مجلة الأزهر

٤٥

بسم الله الرحمن الرحيم

سقيفة الصفا العلمية

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

٤٥

المجلد الثالث والأربعون

السنة ١٣٩١هـ

سقيفة الصفا العلمية

الأزهر الشريف

مشيخة الأزهر الشريف
تليفون : 25907497 / 25899823
فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123
www. azhar. eg

جميع الحقوق محفوظة للأزهر الشريف

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

سقيفة الصفا العلمية
SAQIFAT AL-SAFA TRUST
لبوان ـ ماليزيا
www.saqifat-alsafa.org
E-mail : info@saqifat-alsafa.org

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
« بدل الاشتراك »
٥٠ قرشاً في الجمهورية العربية المتحدة
٦٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٠٠٦

الجزء الأول — السنة الثالثة والأربعون — المحرم سنة ١٣٩١ هـ - مارس سنة ١٩٧١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

المهاجرون والأنصار

للأستاذ عبد الرحيم فوده

لم يشهد التاريخ في غابره وحاضره ولن يشهد في مستقبله . وعيلا جليلا كأولئك الذين رباهم النبي ﷺ على الإيمان الصادق والخلق الفاضل والأدب الرفيع ، وإيثار حب الله على كل ما سواه ، فقد كان هؤلاء من حوله - عليه السلام - كالكواكب حول الشمس . تضيء بضيائها . وتدور في سمائها ، وتطل على وجود الناس كما يقول الله تعالى : « إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب » وكما يقول : « وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون » .

لقد كانوا كما وصفتهم التوراة والإنجيل قبل أن يكونوا وكما قال الله تعالى : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ، ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما » .

وكانت هجرة المهاجرين ونصرة الأنصار تحقيقا لأوصافهم في التوراة وتمثيلهم في الإنجيل، فالمهاجرون آثروا رضا الله على ما سواه وغادروا ديارهم وأموالهم لنصرة دين الله، كما يفهم من قول الله فيهم: «الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون» والأنصار فتحوا لهم صدورهم وديارهم فظاهروهم وآووهم وآثروهم على أنفسهم كما يفهم من قول الله فيهم: «والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون»

وهؤلاء وأولئك هم الذين رفع الله قدرهم وخلد ذكرهم حيث يقول في كتابه الكريم: «والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله. والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم»

ونعود إلى أحداث الهجرة فنجد أن البيعة على النصرة من أهل المدينة كانت هي التمهيد للهجرة، فقد كان النبي ﷺ يعرض نفسه على قبائل العرب، ويتحين فرصة الموسم من كل عام ليلتقي بالحجيج في منازلهم بعكاظ، ومجنة، وذي المجاز. ويعرض عليهم أن يمنعوه حتى يبلغ رسالات ربه، بعد أن عانى من قومه أهل مكة ما تنوء بحمله الجبال، فكانوا يردون عليه بالأذى. ويقولون له: قومك أعلم بك منا، ثم لقي من أهل المدينة رهطا من الخزرج عند العقبة فدعاهم إلى الله، وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن فوجد فيهم استجابة له، وإصغاء إليه. وأسلم منهم ستة، وعاهدوه على أن يمنعوه ولكنهم ذكروا ما كان بينهم وبين الأوس من خلاف وحروب، وقالوا: إن نقدم ونحن كذلك لا يكون لنا عليك اجتماع. فدعنا حتى نرجع إلى عشائرنا. لعل الله أن يصلح ذات بيننا وندعوهم إلى ما دعوتنا فعسى الله أن يجمعهم عليك، فإذا اجتمعت كلمتهم عليك واتبعوك فلا أحد أعز منك وموعدك الموسم في العام المقبل.

ثم انصرفوا إلى المدينة وعاد في الموعد المحدد اثنا عشر رجلا كان منهم رجلان

من الأوس ، فبايعهم بيعة العقبة الثانية ، وبعث معهم إلى المدينة مصعب بن عمير ليقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام ويفقههم في الدين . فكان ذلك سبباً في دخول الأشراف من أهل المدينة الإسلام ، ثم كثر عدد المسلمين حتى لم تبق دار إلا وفيها رجال مسلمون ونساء مسلمات

ولما كان الموسم الأخير قدم إلى مكة مصعب بن عمير ومعه عدد كبير من المسلمين فأرسلوا إلى رسول الله يواعدونه على اللقاء عند العقبة في أوسط أيام التشريق فالتقى بهم النبي بعد ثلث الليل . وهم ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان ، وحضر معه عمه العباس فقال لهم قبل البيعة : إن محمدا منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا فمن هو على مثل رأينا فيه ، فهو في عز من قومه ومنعة في بلده ، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم ، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ، ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج فمن الآن فدعوه ، فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده .

عند ذلك قام رجل من الخزرج فقال : قد سمعنا ما قلت . فتكلم يا رسول الله . فخذ لنفسك ولربك ما أحببت . فتكلم — عليه السلام — ودعا إلى الله ورغب فيه ثم قال : (أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم) فأخذ البراء بن معرور بيده وقال : نعم والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا ، فبايعنا يا رسول الله فإنا والله أهل الحروب ، وأهل الحلقة ، ورثناها كابرا عن كابر . . ولما تمت البيعة أقام النبي من هؤلاء اثنى عشر نقيباً تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس ، وقال لهؤلاء النقباء : أنتم على قومكم كفلاء .

بعد ذلك أمر النبي للمسلمين في مكة بالهجرة إلى المدينة ، فمنهم من خرج متخفيا حتى لا يصد بالعنف ويرد بالإكراه ومنهم من خرج متحديا كعمر — رضي الله عنه — فقد تقلد سيفه ، وتنكب قوسه ، واختصر عنزته (عصاه) ومضى إلى الكعبة والملأ من قريش بفنائها . فطاف بالبيت سبعا ، ثم أتى المقام فصلى ركعتين ، ثم وقف على هؤلاء حلقة بعد أخرى ، وقال يتصدى ويتحدى : شاهت الوجوه لا يرغم الله إلا هذه

المعاطس ، من أراد أن تثكله أمه أو يؤتم ولده ، أو ترمل زوجته . فليلقني وراء هذا الوادي ..

ولما أراد صهيب الهجرة تعرض له جمع من المشركين ليمنعوه وقالوا له : أتيتنا صعلوكا حقيرا فكثر مالك عندنا ، وبلغت الذي بلغت ، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك ، ؟ والله لا يكون ذلك ، فقال صهيب : أرأيتم إن جعلت لكم مالي أتخلون سبيلي .؟ قالوا : نعم ، قال : فإني قد جعلت لكم مالي ، فتركوه وترك لهم ماله ، ومضى إلى المدينة ..

ذلك ، وغيره . مما يفسر به قول الله في المهاجرين : « يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون » فالباعث على الهجرة هو امتثال أمر الله ونصرة دينه ، وابتغاء فضل الله ورضاه ..

وقد بقي النبي ﷺ في مكة ينتظر أن يؤذن له في الخروج ، ولم يكن أسبق المهاجرين إلى الخروج . ثم كانت المؤامرة التي ذكرها الله حيث يقول : « وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » فقد هال قريشاً أن ترى لمحمد أنصاراً من غيرهم ، وساورهم الخوف أن يتصل بهم ثم يعود لحربهم ، فاجتمعوا في دار الندوة ليديروا بينهم الرأي فيما يصنعون به ، فمن قائل نحبسه في الحديد ثم نغلق عليه الباب ، ثم نتربص به ما أصاب أشباهه ، ومن قائل نخرجه من بين أظهرنا . وننفيه من بلادنا . ثم لا نبالي أين يذهب ثم اتفق الجميع على رأي أبي جهل ، وهو أن يؤخذ من كل قبيلة فتى شاب جلد ، ثم يعطى كل منهم سيفاً صارما ، ثم يعمد هؤلاء إليه فيضربوه ضربة رجل واحد ، وبذلك يقتل . ويتفرق دمه في القبائل . فلا يقدر بنو عبد مناف على حربهم جميعاً .

كان هذا مكرهم وتدبيرهم ، ولكن الله أحبط عملهم ، فأطلع نبيه على ما يبيتون . وأمر النبي ﷺ عليا كرم الله وجهه أن ينام في مكانه ، ويتغطى ببرده ، فلم يساوره الخوف ، وقبل أن يتعرض للخطر ، ونام حيث كان الموت يتربص به وينتظره ..

ثم خرج رسول الله على المتربصين به أمام بيته وهم نيام ، فنثر على رءوسهم التراب ، ولم يغادر مكة حتى ودعها بهذه الكلمات : (والله إنك لأحب أرض الله إلى وإنك لأحب أرض الله إلى الله . ولولا أن قومك أخرجونى منك ما خرجت) .

ومضى مع صديقه أبى بكر إلى غار ثور وبقى المتربصون ينتظرون خروجه حتى صاح بهم واحد ممن لم يكن معهم : ما تنتظرون هاهنا . ؟ قالوا : محمدا . قال : قد خيبكم الله ، قد ـ والله ـ خرج محمد عليكم ثم ما ترك منكم رجلا إلا وضع على رأسه ترابا وانطلق لحاجته . فوضع كل منهم يده على رأسه . فإذا عليه تراب .

وطار النبأ إلى جميع أرجاء مكة ، واهتزت له جوانبها ، وقامت قريش وقعدت ثم أرسلت الرسل فى طلبه واقتفاء أثره فى كل جهة ، وجعلت لمن يأتى به حيا أو ميتا مائة ناقة ، واجتمع حول الغار عدد كبير من فتيان قريش ورجالها ، ورآهم أبو بكر فقال : يا رسول الله لو نظر أحدهم إلى قدميه لرآنا تحت قدميه . فأجابه النبى بلهجة الواثق المطمئن : (لا تحزن إن الله معنا) وكان الله معهما بعونه ونصره ، وعاد الأعداء كما قال شوقى :

فأدبروا ووجوه الأرض تلعنهم
كباطل من جلال الحق منهزم

ومما يذكر لأبى بكر ـ وما أكثر ماله من مآثر ومفاخر ـ أنه كان يمشى ساعة بين يدى النبى وساعة خلفه . فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : مالك تمشى ساعة خلفى وساعة بين يدى فقال : يا رسول الله . أذكر الطلب فأمشى خلفك ، ثم أذكر الرصد فأمشى بين يديك فقال : يا أبا بكر لو كان شىء لأحببت أن يكون بك دونى ؟ قال نعم والذى بعثك بالحق .

صلى الله على سيدنا محمد ، ورضى الله عن المهاجرين والأنصار .

ووفق المسلمين إلى التنكيل بهم واقتفاء آثارهم ؟

عبد الرحيم فودة

نظام الاقتصاد في الإسلام

للدكتور علي عبد الواحد وافي

— ٢ —

ذكرنا في المقال السابق أن الإسلام قد أقام نظامه الاقتصادي على ثلاث دعائم يكمل بعضها بعضا . وتعمل متضافرة على تحقيق التوازن الاقتصادي والعدالة الاجتماعية على أمثل وجه: إحداها تتمثل في إقراره للملكية الفردية وحمايتها وحمايته لثمرات العمل الإنساني ، وتتمثل ثانيتها فيما يدخله على حقوق الملكية الفردية من قيود وما يضعه على كاهل مالكها من واجبات ، وتتمثل ثالثتها في نظرية الإسلام فيما ينبغي أن تكون عليه العلاقات الاقتصادية بين الناس — وألقينا نظرة مجملة على هذه الدعائم وأغراضها وما يدخل تحت كل دعامة منها . ثم شرحنا بالتفصيل الدعامة الأولى وهي إقرار الإسلام للملكية الفردية وحمايتها وحمايته لثمرات العمل الإنساني .

وسنتكلم في هذا المقال بشيء من التفصيل على ناحية من نواحي الدعامة الثانية . وهي الناحية المتعلقة بحقوق الملكية الفردية ، وما يدخله الإسلام على هذه الحقوق من قيود ، وما يرمي إليه من وراء هذه القيود من أغراض .

* * *

تمنح الملكية الفردية مالكها ، بدئيا حقوقا كثيرة يرجع أهمها إلى حقين رئيسيين ، وهما حق الدوام ، وحق حرية التصرف .

أما حق الدوام فمعناه ، بقاء الملكية مادامت العين المملوكة باقية ومادام صاحبها لم ينقل ملكيتها إلى شخص حقيقي أو اعتباري . وهذا الدوام يكون أحيانا دواما حقيقيا ، وأحيانا يكون دواما اعتباريا . فيكون دواما حقيقيا إذا كانت العين المملوكة قابلة . للاستهلاك وأتيح لصاحبها أن يستهلكها في حياته ، كمأكل يأكله أو مشرب يشربه أو لباس يلبسه حتى يبليه . ففي هذه الحالة يصدق على الملكية أن يد مالكها بقيت مسيطرة عليها طول المدة التي استغرقها بقاؤها . ويكون الدوام اعتباريا إذا كانت

العين المملوكة غير قابلة للاستهلاك كالأراضى والعقار فيموت صاحبها وهى لا تزال فى حوزته ، أو قابلة للاستهلاك ولم يتح لمالكها أن يستهلكها فى حياته ، فى هذه الأحوال يتحقق الدوام فى صورة اعتبارية تواضعت عليها الشرائع التى تقر الملكية الفردية ، وذلك بأن تنتقل العين بعد وفاة مالكها إلى من يوصى هو بانتقالها إليه أو إلى من تقرر النظم الاجتماعية انتقالها إليه من أقربائه عن طريق الميراث . فى كلتا الحالتين لا يعتبر هذا الانتقال تملكا جديدا من جميع الوجوه ، بل يعتبر بمثابة امتداد للتملك القديم ، لتحقيقه لرغبة المالك الأصلى فى حالة الوصية ، ولتعلقه بأفراد يمتون للمالك الأصلى بلحمة قرابة قوية تجعلهم صورة متجددة منه فى حالة الميراث . فكأن هؤلاء وأولئك يمثلون للمالك الأول ، وكأن الملكية الأولى نفسها لا تزال قائمة ، وإن لبست ثوبا آخر غير ثوبها القديم .

وأما الحق الثانى وهو حرية التصرف فمعناه أن يكون للمالك الحق فى أن يفعل فى ملكه ما يشاء وفى أن يهمله فلا يفعل فيه شيئا . فحرية التصرف لها وجهان : وجه إيجابى ووجه سلبى . ويتمثل وجهها الإيجابى فى أمور كثيرة منها : استغلال الشىء المملوك واستهلاكه وإبادته وبيعه وهبته وإعارته ورهنه وتأجيره والوصية به ووقف غلته على فرد أو أفراد أو هيئة أو جهة ما بعد الوفاة .

هذا ، وقد عمدت الشريعة الإسلامية إلى كلا الحقين فقيدته بقيود كثيرة فى سبيل الصالح العام ، وحماية حقوق الآخرين ، واتقاء الضرر والضرار .

وتتمثل القيود التى قيد بها الإسلام حق الدوام فى النظم التى وضعها لشئون الميراث والوصية .

فقد وضع الإسلام للميراث نظاما حكيما يكفل توزيع الثروات بين الناس توزيعا عادلا ، ويحول دون تضخمها ودون تجمعها فى أيد قليلة ، ويعمل على تذويب الفروق بين الطبقات . وذلك أنه يقسم التركة على عدد كبير من أقرباء المتوفى ، فيوسع بذلك دائرة الانتفاع بها من جهة ، ويحول من جهة أخرى دون تجمع ثروات كبيرة فى يد فئة محدودة من الملاك ، ويقرب طبقات الناس بعضها من بعض ، فهو يورث الأبناء والبنات ، والآباء والأمهات ،

والأجداد والجدات، والإخوة والأخوات والأزواج والزوجات، والأعمام وأبناء الأعمام، وأبناء الإخوة وأولاد الأبناء، بل يورث ذوى الأرحام أنفسهم (أقرباء الفرد من ناحية أمه) فى بعض الأحوال. فبفضل هذا النظام الحكيم لا تلبث الثروة التى يتفق تجمعها فى يد بعض الأفـراد أن تتوزع بعد بضعة أجيال على عدد كبير من الأنفس وتستحيل إلى ملكيات صغيرة وهذه هى أمثل طريقة لتقليل الفروق بين الطبقات، وتحقيق التوازن الاقتصادى، وعلاج ما عسى أن يطرأ على هذا التوازن من اضطراب.

ولحرص الإسلام على تحقيق هذه الأغراض حرم كل إجراء يؤدى إلى الإخلال بقواعد الميراث، وتوعد من يتعـدى حدودها بأشد عذاب فى الآخرة. وفى هذا يقول الله تعالى فى الآيتين الثالثة عشرة والرابعة عشرة من سورة النساء بعد أن قرر قواعد الميراث فى الآيتين الحادية عشرة والثانية عشرة: « تلك حدود الله، ومن يطع الله ورسوله يدخلـه جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها، وذلك الفوز العظيم. ومن يعص الله ورسوله ويتعـد حدوده يدخله نارا خالدا فيها، وله عذاب مهين ».

ومن أجل ذلك يرى كثير من فقهاء المسلمين أنه لا تجوز الوصية لوارث، لما ينطوى عليه هذا الإجراء من تحايل على قواعد الميراث وإعطاء بعض الورثة أكثر من نصيبه الشرعى، وعملا بقوله عليه الصلاة والسلام بعد أن نزلت آيات المواريث: « إن الله أعطى كل ذى حق حقه، فلا وصية لوارث » وحتى الذين يجيزون منهم هذه الوصية يقيدونها فى حدود الثلث من التركة، عملا برواية أخرى للحديث السابق وهى: « ... ألا لا وصية لوارث إلا فى الثلث ». وأما الوصية لغير القريب فجائزة بإجماع الفقهاء تيسيراً لأعمال البر، ولـكن فى حدود ضيقة لا تـكاد تتأثر بها قواعد الميراث وهى حدود الثلث من التركة — وقد توخت الشريعة الإسلامية من هذا وذاك حماية القواعد السـامية التى وضعتها للميراث ووقايتها عبث المورثين وأهوائهم.

ومن أجل ذلك أيضاً ذهب كثير من فقهاء المسلمين إلى بطلان الوقف الأهلى، وهو أن يحبس المالك غلة ملـكه بعد وفاته على واحد أو أكثر من أقربائه أو غيره بشروط يعينها وفق مشيئته، لما

ينطوى عليه هذا التصرف من إخلال بقواعد الميراث ، وما يؤدى إليه من تجميد للثروة وحبس لهـا عن التداول الطبيعى ، وممن ذهب هذا المذهب ابن عباس رضى الله عنهما ، فقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال بعد أن نزلت آيات المواريث: «لا حبس عن فرائض الله» أى لا مال يحبس بعد موت صاحبه فلا يوزع على الورثة وفق فرائض الله ، ومنهم كذلك القاضى شريح (وهو من كبار التابعين ، وقد ولاه عمر قضاء الكوفة ، وظل فى منصب القضاء ستين سنة وقيل اثنتين وسبعين سنة) ، فقد قال ببطلان الوقف الأهلى ، وقرر أن شريعة محمد فى الميراث قد ألغت هذا النظام ، ومنهم كذلك إسماعيل بن الكندى الذى ولاه الخليفة المهدى قضاء مصر ؛ فقد ذهب إلى ما ذهب إليه القاضى شريح بل إن منهم الإمام الأعظم أبا حنيفة النعمان نفسه ، فقد قرر أن الواقف إذا علق بموته ، بأن قال إذا مت فأرضى وقف على فلان مثلا ، فإن ذلك لا يكون وقفا بل يكون وصية تجرى عليه أحكامها ، وإذا لم يعلقه بموته لم يعمل بقوله وتجب قسمة تركته على ورثته ، كل بحسب فريضته[1] وقد اعتمد على هذه المذاهب القانون المصرى رقم ١٨٠ لسنة ١٩٥٢ الذى صدر بعد الثورة إذ ألغى جميع أنواع الوقف الأهلى ، وحظر إجراءه ، وقرر أن كل وقف من هذا القبيل يعد باطلا فى المستقبل[2] .

* * *

فأين من هذا النظام المحكم الذى وضعه الإسلام للميراث وأحاطه بسياج قوى من الحماية ، أين منه نظم الغرب التى ينقل بعضها معظم ثروة المتوفى إلى أكبر أبنائه ، ويدع كثير منها المالك حرا فى أن يوصى بتركته لمن يشاء . فتجمعت من جراء ذلك ثروات ضخمة فى يد أفراد محدودين من الناس ، وأثار هذا حفيظة الفقراء ، وأورثهم الحقد على المجتمع ونظمه ، فنشأت المذاهب المتطرفة الهدامة

---

[١] انظر باب الوقف فى بدائع الصنائع ، للكاسانى

[٢] صدر هذا القانون فى ١٩٥٢/٩/١٤ . وقبل صدوره بنحو أسبوعين نشر لى بجريدة الأهرام تحت عنوان « الوقف الأهلى نظام فاسد يجب إلغاؤه » مقال طويل بينت فيه مجانبة هذا النظام لروح الإسلام وقواعد الاقتصاد السليم « انظر جريدة الأهرام عدد ١٩٥٢/٨/٢٨ » .

واضطرب نظام الحياة الاقتصادية أيما اضطراب، وأدى هذا إلى معظم الانقلابات والثورات العنيفة التي تعرضت لها أوربا في العصور الحديثة.

وكما قيد الإسلام حق دوام الملكية بهذه القيود التي تكفل تحقيق العدالة الاجتماعية وتقليل الفروق بين الطبقات، قيد كذلك الحق الآخر، وهو حق حرية المالك في التصرف في ملكيته، بقيود تكفل عدم الإضرار بالآخرين وبالصالح العام.

ولذلك حرم على المالك كل تصرف في ملكه يؤدي إلى ضرر عام أو خاص أو ينطوي على اعتداء على حرية الآخرين. بل لقد ذهب الإسلام في هذا السبيل إلى حد أنه يجيز نزع الملكية من صاحبها إذا أساء استخدام حقه فيها ولم يكن ثم وسيلة أخرى لمنعه من ذلك. وقد طبق الرسول صلوات الله وسلامه عليه هذا المبدأ تطبيقاً عملياً على سمرة بن جندب. فقد كان لسمرة نخل في بستان رجل من الأنصار. فكان سمرة يكثر من دخول البستان هو وأهله فيؤذي ذلك صاحب البستان. فشكاه إلى رسول الله ﷺ. فاستدعى سمرة، وقال له بعه نخلك، فأبى. قال فاقطعه، فأبى. فقال هبه ولك مثله في الجنة، فأبى. فقال عليه السلام: (أنت مضار) أي تبتغي ضرر غيرك. ثم قال لمالك البستان: (اذهب فاقلع نخله). وروى يحيى بن آدم أنه كان للضحاك بن خليفة الأنصاري أرض لا يصل إليها الماء إلا إذا مر ببستان لمحمد ابن مسلمة. فأبى محمد هذا أن يدع الماء يجري بأرضه. فشكاه الضحاك إلى عمر ابن الخطاب. فاستدعى عمر ابن مسلمة وقال له: أعليك ضرر في أن يمر الماء ببستانك؟ قال لا، ولكنها أرضي أمنع منها من أشاء. فقال عمر: (والله لو لم أجد له ممراً إلا على بطنك لأمررته).

ومن ذلك أيضاً ما قرره الإسلام بصدد الشفعة، إذ يجيز للجار إذا باع جاره ملكه لغيره ورأى أن هذا البيع ينطوي على ضرر يلحقه أو يفوت منفعة له أن يطالب بالشفعة، أي بأن يقدم على الغريب في الصفقة ويلغي العقد الأول.

ومن ذلك أيضاً ما تقرره الشريعة الإسلامية من وجوب الحجر على الصبي والمجنون فيما يملكانه لأنهما لا يحسنان التصرف، وعلى السفيه وهو الذي يبدد

ثروته ويتلف أمواله ويسىء التصرف فيها فيؤدى ذلك إلى الإضرار بورثته وبالصالح العام[1] .

* * *

ولا يبيح الإسلام المالك تعطيل ملكه إن كان فى ذلك التعطيل إضرار بالصالح العام. فقد ورد فى كتب الأموال والخراج وغيرها أن رسول الله ﷺ قد أقطع بلال بن الحارث المزنى « العقيق » وهى أرض قرب المدينة ، وكانت واسعة ، فلم يستطع عمارتها كلها ، ولما تولى عمر بن الخطاب استدعاه وقال له : « يا بلال إنك استقطعت رسول الله ﷺ أرضاً طويلة عريضة فأقطعك إياها ، وإن رسول الله ﷺ لم يكن يمنع شيئاً يسأله ، وأنت لا تطيق ما فى يديك ، فانظر ما قويت عليه منها فأمسكه ، وما لم تقو عليه فادفعه إلينا نقسمه بين المسلمين » . فقال لا أفعل والله ولا أفرط فى شىء أقطعنيه رسول الله ! فقال عمر : « والله لتفعلن ! » . وأخذ منه ما عجز عن عمارته وقسمه بين المسلمين ؟

د . على عبد الواحد وافى

[١] يذهب الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان إلى عدم جواز الحجر على السفيه ، معللا مذهبه بأن فى الحجر عليه إهداراً لآدميته وإلحاقا له بالبهائم ، وأن الضرر الإنسانى الذى يلحقه من جراء هذا الإهدار يزيد كثيراً عن الضرر المادى الذى يترتب على سوء تصرفه فى أمواله ، وأنه لا يجوز دفع ضرر بضرر أشد منه . وهذا اتجاه اجتماعى جليل من الإمام الأعظم ، وقد استوحاه من روح الإسلام وحرصه على احترام الحرية المدنية للعقلاء الراشدين .

قال الله تعالى :

« ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً . إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيراً بصيراً »

(الإسراء : ٢٩ ، ٣٠)

دراسات قرآنية :

معانى الهجرة

للأستاذ مصطفى الطير

« ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيراً وسعة ، ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفوراً رحيما » . (١٠٠) من سورة النساء

الهجرة بكسر الهاء وضمها فى اللغة الخروج من أرض إلى أخرى ، وتطلق على مطلق الترك كالهجر ، وفى عرف الإسلام هى الخروج من دار الكفر إلى دار الإسلام .

وقد أوجبها الله على المسلمين لما اشتدت فتنة المشركين لهم بمكة ، حماية لدينهم وعصمة لأنفسهم ، وتوعد من لم يهاجر منهم بعذاب الجحيم إن كان قادراً على الهجرة ، قال تعالى « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها . فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا » (٩٧) من سورة النساء ، واستثنى من هذا الوعيد المستضعفين من الرجال والنساء والولدان بقوله : « إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفوراً » ٩٨، ٩٩ من سورة النساء

وحرم المقصرين فى الهجرة من ولاية المسلمين بقوله « والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شىء حتى يهاجروا » (٧٢) من سورة الأنفال .

وفى الآية موضوع المقال « ومن يهاجر فى سبيل الله » إلخ يرغبهم الله فى الهجرة بأنهم سيجدون فى أرض الله أماكن كثيرة صالحة للهجرة ، وسعة فى الرزق . وأن من أدركه الموت فى أثناء الهجرة لله ورسوله وقبل أن يصل إلى دار الهجرة التى ابتغاها

سلامة دينه ونفسه ، فإن أجره واقع على الله تعالى كما لو كانت هجرته قد وصلت إلى غايتها وانتهت إلى مداها .

والمراغم هو المكان الذى تحول إليه وهاجر نحوه يبتغى المقام به ، مأخوذ من الرغام وهو التراب يعنى أن من يهاجر فى سبيل الله يجد فى أرضه تعالى أماكن منها كثيرة خالية تصلح مبتغى لمعاشه ، قال السدى — المراغم المبتغى للمعيشة ، وقال القرطبى المراغم موضع المراغمة ، فكأن كفار قريش أرغموا أنوف المحبوسين بمكة فلو هاجر منهم مهاجر لأرغم أنوف قريش (أى ألصقها بالرغام وهو التراب) لحصوله فى منعة منهم ، فتلك المنعة هى موضع المراغمة ، ومنه قول النابغة :

كطود يلاذ بأركانه
عزيز المراغم والمهرب

وتفسير السعة بأنها البسطة فى الرزق مروى عن ابن عباس والربيع والضحاك أما قتادة فيفسره بما يشمل الدين والدنيا . فيقول — سعة من الضلال إلى الهدى ، ومن العيلة (أى الفقر) إلى الغنى ، وقال مالك ، السعة سعة البلاد ، وهذا أشبه بفصاحة العرب ، فإن بسعة الأرض وكثرة المعاقل تكون السعة فى الرزق ، واتساع الصدر لهمومه وفكره وغير ذلك من وجوه الفرج ، ونحو هذا قول الشاعر :

وكنت إذا خليل رام قطعى
وجدت وراى منفسحا عريضا

وهذا الذى ذكرناه هو تعقيب القرطبى على رأى مالك .

وقد استفدنا من الآية أن من أدركه الموت فى أثناء هجرته ، أى قبل وصوله إلى مهجره أثابه الله ثواب من أتم هجرته .

(سبب نزول هذه الآية)

اختلف فى الرجل الذى نزلت بسببه هذه الآية ، فعن عكرمة مولى عبد الله ابن عباس أنه ضمرة بن العيص ، وكان قد طلبه (أى بحث عنه) أربع عشرة سنة حتى وجده .

وحكى الطبرى عن سعيد بن جبير أنه هو العيص بن ضمرة بن زنباع وكان من المستضعفين بمكة وكان مريضا ، فلما سمع ما أنزل الله فى وجوب الهجرة ومؤاخذة من لم يهاجر (فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا) قال أخرجونى فهيىء له فراش ثم وضع عليه وخرج به فمات فى الطريق بالتنعيم ، فأنزل الله فيه (ومن يخرج

من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله) الآية .

وقيل هو ضمرة بن جندب ، وقيل غير ذلك ، ولما أشرف الرجل على الموت صفق بيمينه على شماله فقال ، اللهم هـذه لك وهذه لرسولك ، أبايعك على ما بايع عليه رسولك ﷺ ، ومات عقب هذه البيعة .

وحكم هذه الآية يتناول كل مهاجر إلى الله ورسوله يدركه الموت في الطريق قبل وصوله إلى مهجره ، في أى عصر من العصور فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

حكم الهجرة من مكة إلى المدينة :

كانت الهجرة فرضا محتوما على المسلمين من مكة إلى المدينة لنصرة النبي ﷺ حماية للدين ووقاية للنفس من أذى المشركين ، فلما أتم الله نعمته على المسلمين بفتح مكة انتهى الوجوب بقوله صلى الله عليه وسلم (لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونيـة) وبقيت هجرتان واجبتان - إحداهما - هجرة المحرمات لقوله ﷺ (والمهاجر من هجـر ما نهى الله عنه) - والثانية - هجرة أهل المعاصي حتى يرجعوا تأديبا لهم ، فلا يخالطون حتى يتوبوا ، كما فعل النبي ﷺ مع كعب بن مالك وصاحبيه الذين تخلفوا عن رسول الله في غزوة تبوك - قال تعالى « وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ، ثم تاب عليهم ليتوبوا . إن الله هو التواب الرحيم » .

أقسام الذهاب في الأرض وأحكامها:

قال ابن العربي ، قسم العلماء الذهاب في الأرض قسمين - هربا وطلبا - فالأول ينقسم إلى ستة أقسام - الأول الخروج من دار الحرب إلى دار الإسلام ، وكانت فرضا قبل الفتح من مكة إلى المدينة ، ثم انتهى الوجوب بإسلام أهلها ، ولكن هذه الهجرة لا تزال واجبة إلى يوم القيامة من أى بلد دامت أهله كفارا إلى ديار المسلمين فمن بقي فيها كان عاصيا - أقول - وقد أجاز بعض العلماء البقاء لرجل قوى الإيمان لا يخشى على نفسه الفتنة ، فإن بقاءه قد تكون له آثار صالحة فيمن حوله من الكفار ، إذ ربما أثر عليهم فآمنوا ، كما كان يصنع تجار المسلمين الذين أسلم بسببهم بعض بلاد الكفار كما حدث في الفلبين وأندونيسيا .

الثاني : الخروج من أرض تعم أهلها البدعة إذا لم يقدر على تغييرها لقوله تعالى

« وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره » ـ أقول ـ قياسا على ما تقدم إنه إذا كان واثقا من أن نفسه لا تنحرف فله البقاء

الثالث : الخروج من أرض غلب عليها الحرام فإن طلب الحلال فرض على كل مسلم

الرابع : الخروج فرارا من الأذى فى البدن ، وأول من فعله إبراهيم عليه السلام ، فإنه لما خاف من قومه بعد أن ألقوه فى النار قال « إنى مهاجر إلى ربى » وفعله موسى ، قال تعالى « فخرج منها خائفا يترقب »

الخامس : الخروج خوفا من المرض من الأرض الوخمة إلى الأرض النظيفة التى لا ينتشر فيها المرض ، فقد أذن الرسول صلى الله عليه وسلم للرعاة حين استوخموا المدينة أن يخرجوا إلى المسرح فيكونوا فيه حتى يصحوا ، وقد استثنى من ذلك الخروج من أرض الطاعون ، فقد منعه النبى ﷺ ، قال ابن العربى ، بيد أن علماءنا قالوا إن الخروج من الأرض الوخمة مكروه أقول ، ولعل الكراهة بسبب أن الهجرة تكون سببا فى نقل المرض من تلك الأرض إلى الأرض النظيفة ، فإن من فيها محملون بميكروبات الأمراض الموجودة بها ، وذلك هو اللائق بمحاسن الشريعة ، قال ﷺ فيما صح عنه « لا ضرر ولا ضرار »

السادس : الخروج لتفادى الإيذاء فى الأهل والمال ، وهو مشروع بل قد يكون واجبا إذا كان الإيذاء عند البقاء متوقعا بأرجحية ، فإن حرمة الأهل والمال كحرمة الدم .

وأما الهجرة والخروج للطلب ، فإما أن يكون لطلب دين ، وإما أن يكون لطلب دنيا ، فالهجرة لطلب الدين كالسفر للعبرة والاتعاظ ، وهو مندوب قال تعالى « أولم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم » وكالخروج للحج وهو فريضة على كل مكلف مستطيع لم يسبق له الحج ، وكسفر الجهاد وهو إما فرض عين أو فرض كفاية أو سنة حسب اختلاف الأحوال ، وكالهجرة لطلب المعاش فمن ضاق عليه العيش فى بلده وجب عليه أن يهاجر إلى حيث يجد كفايته من الرزق أما طلب الزيادة على الكفاية فمباح بشرط الاطمئنان على الدين ، والعرض فى أرض الهجرة ، وليأخذ معه فى مهجره القرآن الكريم ومراجع فى الدين والخلق والعقيدة

بصفة خاصة ، حتى يعيش فى جو إسلامى ، ويحمى نفسه من الانزلاق فى أوحال الشبهات والمعاصى .

ومن الأسفار المباحة السفر لجرد التجارة والكسب الزائد على القوت ، فيباح له الانتقال من بلده لذلك والعودة إلى بلده بتجارته أو بثمنها وربحه ، ويدل لهذا والذى قبله قوله تعالى « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » وذلك فى الرزق الضرورى لإبقاء الحياة وقوله تعالى « فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه » وقوله « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم » وذلك فى الرزق الزائد على القوت الضرورى ويدخل فيه ضمنا الرزق الضرورى من باب أولى .

وقد يبدو عند أول النظر أن السفر لطلب الرزق بمختلف أنواعه السابقة يعتبر سفرا لغرض الدنيا ، ولكنه معتبر فى جانب السفر لطلب الدين إن صحبته نية الاستمتاع بنعمة الله وأداء حقوقها وشكر الله عليها ومن الهجرة لطلب الدين السفر لطلب العلم ، وهو فرض كفاية ، قال تعالى « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون » .

ومن الهجرة فى سبيل الدين السفر إلى البلاد المقدسة الثلاثة ــ مكة والمدينة وبيت المقدس ــ لغرض العبادة فى مساجدها وتكثير الثواب بذلك ، لقوله ﷺ « لا تعقد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد » وذكر مسجده ﷺ والمسجد الحرام والمسجد الأقصى ، والسفر لذلك مندوب.

ومن الهجرة فى سبيل الدين الخروج إلى الثغور الواقعة بيننا وبين الأعداء ، للمرابطة فيها لرد الأعداء عن البلاد ، ومنها السفر لزيارة إخوانك فى الله تعالى ، وهى مندوبة لقوله ﷺ « زار رجل أخا له فى قرية ، فأرصد الله له ملكا على مدرجته (أى طريقه) فقال أين تريد ، فقال أريد أخا لى فى هذه القرية ، قال هل لك من نعمة ترد بها عليه (أى تملكها عليه) قال لا غير أنى أحببته فى الله عز وجل ، قال فإنى رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه » رواه مسلم وغيره.

وأما الهجرة لطلب الدنيا أو السفر لذلك من غير نية ابتغاء مرضاة الله بأى وجه من الوجوه فهى مباحة ولا أجر

(البقية على صفحة ٢٠)

مكانة الجهاد من الإيمان

للأستاذ أبو الوفا المراغي

عن سالم أبي النضر مولى عمر بن عبد الله وكان كاتبا له ، قال : كتب إليه عبد الله ابن أبي أوفى رضي الله عنهما فقرأته : أن رسول الله ﷺ في بعض أيامه التي لقي فيها انتظر حتى مالت الشمس ثم قام في الناس فقال : أيها الناس ، لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا ، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف ثم قال : اللهم منزل الكتاب ومجرى السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم . أخرجه الشيخان وغيرهما .

السلم والسلام والصفح والمحبة روح الإسلام العامة التي يجب أن تسود الأفراد والجماعات في صلاتهم ليعيشوا حياتهم في صفاء وأمن ويتفرغوا لما قدر لهم أن يتفرغوا له من حاجات العيش وشئون الحياة . لذا كان شعار الإسلام في التحية السلام ، ومن أسماء الله الحسنى التي يجب على المسلم أن يعرفها السلام وكان مما أوجبه على المسلم أن يكف عن المسلمين يده ولسانه وفي ذلك يقول ﷺ « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده . ومما أوجبه عليه أيضا أن يصفح عمن أساء إليه وفي ذلك يقول تعالى : « ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم » وأوجب على المسلمين أن يعملوا على اقتلاع أسباب الخصومة بين طوائفهم بالصلح حيث يقول جل شأنه : « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين ، إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم » .

فهو أن الإسلام يريد بالسلام ، السلام القائم على العدل والكرامة والعزة والحرية ولا يريد السلام القائم على الظلم والاستعباد والضغط والاضطهاد لأن ذلك هو الاستسلام المخزي الممقوت الذي لا يرضاه الإسلام للمؤمنين به .

ومن هنا فرض العقوبات على الأفراد لردع المعتدين وشرع الحروب بين الجماعات لصيانة الحريات والأموال والأوطان إلا أنه لم يبح الالتجاء إلى الشدة والقوة إلا إذا وقعت الجريمة وتأكد الخطر وحين لا يكون من الشدة مناص :

فقسا ليزدجروا ومن يك حازما
فليقس أحيانا على من يرحم

وما دام باب السلام مفتوحا ، والأمل فيه باقيا ، فإنه يوصى بالتروى والتريث وقرع ذلك الباب .

وفى هذا الحديث الذى نحن بصدده يوصى الرسول الكريم المسلمين بجملة من الوصايا تدور حول الحرب فى مقدماتها وأثنائها ، وأول تلك الوصايا : أن يغلبوا روح السلام ولا يحرصوا على الحرب ولا يتمنوا لقاء العدو ويبذلوا ما فى وسعهم لتجنبها واتقاء مكارهها ويسألوا الله السلامة منها حقنا لدمائهم ودماء أعدائهم ، فالحرب دماء وأشلاء ، ومهج وأرواح ، وتخريب وتدمير ، وتيتيم وترميل ، وأموال وأعراض ، وهى كما صورها الشاعر العربى فى صورة إن قطعت وقبحت فهى دون صورتها الآن :

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم
وما هو عنها بالحديث المرجم
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة
وتضر إذا ضريتموها فتضرم
فتعرككم عرك الرحا بثفالها
وتلقح كشافا ثم تنتج فتتئم

لذا كانت وصاة القرآن للمسلمين ألا يرفضوا المبادرة إلى السلم كلما لاحت فرصه حيث يقول الله تعالى : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » .

والوصية الثانية أنه إذا لم تجد وسائل السلم وتحتمت على المسلمين الحرب وجب عليهم أن يخوضوها شجعانا ، ويصبروا عليها أبطالا تربط على قلوبهم عزة الإيمان ويشد أزرهم الإخلاص والحرص على عقائدهم وأوطانهم وحرماتهم ويضربوا أعداءهم كل مضرب ويتحروا منهم كل مقتل ويحيلوا عليهم ميدان المعركة نيرانا تأخذ عليهم كل طريق ويجعلوا لهم من الرعب جنودا ومن الميدان لحودا حتى يتحقق للمسلمين مايرجونه من نصر تتحقق به عزتهم وكرامتهم ووجودهم .

والوصية الثالثة من الوصايا التى يوصى بها رسول الله المسلمين وهم فى الميدان ليضعوها

نصب أعينهم فى لحظات اللقاء بالأعداء ليكون لهم منها خير مدد وأقوى باعث على البذل والتضحية وتنسيهم آلامهم وجراحهم، أن يعلموا بحكم إيمانهم أن الجنة تحت ظلال السيوف أعنى أن السبيل إلى الجنة أن يقاتلوا ويصمدوا للعدو حيث تتشابك السيوف وتتعانق فوق الرءوس تظللهم كالسحب لا يرهبون صليلها ولا يأخذ عيونهم بريقها ولا يذهلهم وقعها، وما دامت تلك عقيدة المؤمن حين يخوض غمار الحرب فسيقف فى وجه العدو كالطود تتكسر على صخراته موجات الفزع والخوف ويظل صامدا، حتى يفوز بإحدى الحسنيين إما النصر وإما الشهادة وكلاهما أحلى أمانى المؤمن الصادق وعليهما حرص أسلافنا ففازوا بهما ورضى الله عنهم ورضوا عنه وكانوا حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون.

والوصية الرابعة فى الحديث حول الحرب، الدعاء بالنصر وهزيمة العدو بالاستعانة بالله القوى القادر هادى الخلق إلى الحق بالكتاب المنزل والسحاب للمرسل وذلك بالدعاء الذى دعا به الرسول صلى الله عليه وسلم حيث قال: اللهم منزل الكتاب ومجرى السحاب، وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم لأن فى ذلك الدعاء وما يشبهه براءة من الحول والقوة، والتجاء إلى حول الله وقوته وإخلاص القلب والعمل لرضائه، وهو مجيب المضطر إذا دعاه، وقد استحب قادة التكبير فى الغزو بصوت خفيض كما ورد فى الأحاديث الصحيحة فقد روى عن أبى موسى الأشعرى أنه قال: كنا مع رسول الله فكنا إذا أشرفنا على واد هللنا وكبرنا ارتفعت أصواتنا فقال النبى: يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا، إنه معكم، إنه سميع قريب تبارك اسمه وتعالى جده.

وبقى فى الحديث قول الراوى: إن الرسول فى بعض أيامه التى لقى فيها العدو انتظر حتى زالت الشمس ثم قام فى الناس فقال الخ. ففى هذا أن الرسول رغب عن القتال قبل زوال الشمس وانتظر حتى مالت إلى الزوال كما رغب عن القتال فى أوقات أخرى فقد روى الترمذى من حديث النعمان بن مقرن: غزوت مع النبى صلى الله عليه وسلم فكان إذا طلع الفجر أمسك حتى تزول الشمس فإذا زالت

الشمس قاتل حتى العصر ثم يمسك حتى يصلى العصر ثم يقاتل، وكان يقال: عنه ذلك تهب رياح النصر ويدعو المؤمنون لجيوشهم فى صلاتهم، وروى نحو هذا فى أحاديث أخرى.

وحكمة ذلك كما قال العلامة العينى: إن الشمس إذا زالت تهب رياح النصر ويتمكن من القتال بوقت الإبراد وهبوب الرياح، لأن الحرب كلما استحرت وحمى القاتلون بحركتهم فيها وما حملوه من سلاحهم هبت أرواح العشى فبردت من حرهم ونشاطهم؛ وخفت أجسامهم بخلاف اشتداد الحر.

وفيما ذكره العلامة العينى نظر لأنه لو كان السبب ما ذكر من انتظار انكسار حدة الحر وتلطيف الجو لكان القتال فى الليل حيث تخمد حرارة الشمس أولى.

ولعل تخير بعض الأوقات للقتال وبعضها للكف عنه لسر كان يعلمه الرسول بالوحى أو بالإلهام الصادق فى هذه الأوقات والله ورسوله أعلم؟

أبو الوفا المراغى

(بقية المنشور على صفحة ١٦)

فيها، بشرط أن لا تكون للمعصية وأن لا أصاحبها معصية، وإلا كانت حراما، ودليل إباحتها عند خلوها من المعصية قوله تعالى «قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق» فالآية شاملة للمتعة بالطيبات جميعاً حضراً أو سفراً.

هذه هى أنواع الهجرة وأحكامها التى نقلها ابن العربى عن العلماء، قدمناها بين يديك أيها القارىء بأسلوبنا وتصرفنا فى معظمها، وقد ذكرنا فيها ما لم يذكره من الأحكام والأدلة، وذكرنا تطبيقات عليها وكل ذلك بأسلوب سهل واف بالمقصود، رجاء العلم والعمل بها، والله تعالى يهدينا وإياك سواء السبيل؟

مصطفى محمد الطير

من هدى السنة :

من حديث الهجرة النبوية

للدكتور محمد محمد أبو شهبة

روى الإمام البخاري في صحيحه قال :

حدثنا يحيى بن بكير قال : حدثنا الليث عن عقيل قال ابن شهاب : فأخبرني عروة ابن الزبير – رضي الله عنه – أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت – وهو من حديثها الطويل الممتع في الصحيح – « ... ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار في جبل ثور ، فكمنا فيه ثلاث ليال يبيت في الغار عبد الله بن أبي بكر ، وهو غلام ، شاب ، ثقف ، لقن ، فيدلج من عندهما بسحر ، فيصبح مع قريش بمكة كبائت ، فلا يسمع أمراً يكتادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم ، فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رسل ، وهو لبن منحتهما ، ورضيفهما ، حتى ينعق بها عامر بن فهيرة بغلس ، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث ، واستأجر رسول الله ﷺ ، وأبو بكر رجلا من بني الديل ، وهو من بني عبد بن عدي ، هاديا خريتا – والخريت : الماهر بالهداية – قد غمس حلفا في آل العاص بن وائل السهمي ، وهو على دين كفار قريش فأمناه فدفعا إليه راحلتيهما ، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال ، براحلتيهما صبح ثلاث ، وانطلق معهما عامر بن فهيرة ، والدليل ، فأخذبهم طريق الساحل ... » .

تخريج الحديث : هذه قطعة من الحديث الطويل ، المفيد الذي خرجه إمام الأئمة محمد بن إسماعيل البخاري في صحيحه – باب هجرة النبي ﷺ ، وأصحابه إلى المدينة .

« الشرح والبيان »

هذا حديث نبوي طويل ممتع رواه أمير المؤمنين في الحديث محمد بن إسماعيل البخاري في صحيحه الذي هو أوثق كتب الحديث وأصحها ، بهذا الإسناد المتصل بنقل الثقات العدول الضابطين عن أم المؤمنين وزوج النبي ﷺ عائشة الصديقة بنت الصديق – رضي الله تعالى عنهما – وهو

مركب من ثلاثة أحاديث ومدارها كلها على الإمام الكبير الزهرى ، أحدها : بهذا الإسناد الصحيح عن الزهرى عن عروة بن الزبير عن خالته السيدة عائشة رضى الله عنها ، وثانيها بهذا الإسناد الصحيح المتصل عن الزهرى عن عبد الرحمن ابن مالك المدلجى عن أبيه أنه سمع سراقة ابن مالك بن جعشم فى قصته ، وسنعرض لها فى مثل هذه المناسبة إن شاء الله تعالى ، وثالثها بهذا الإسناد الصحيح المتصل إلى الإمام الزهرى عن عروة بن الزبير فى قصة لقيا أبيه الزبير للنبى وهو مهاجر إلى المدينة ، وإهدائه للنبى ، والصديق ثيابا بيضاء ، وقصة مقدم النبى وصاحبه إلى المدينة ، وبناء مسجد قباء ، ثم بناء مسجد المدينة وسنعرض أيضا لهذا الحديث فى مثل هذه المناسبة إن شاء الله تعالى .

وهذا من أمير المؤمنين فى الحديث من بديع صنعه فى صحيحه ، وحسن تصرفه ، ودقة نظره ، وأحب من أبنائنا طلاب الحديث ولا سيما طلاب الدراسات العليا أن يكونوا على بينة من شأن هذا الإمام الكبير البخارى ، وتصرفاته البديعة فى صحيحه .

وقد عرضت فى المحرم من العام الماضى لشرح معظم الحديث الأول ، والآن أشرح ما بقى منه ، فأقول والله التوفيق .

« ثم لحق رسول الله ﷺ ، وأبو بكر بغار فى جبل ثور ، فمكثنا فيها ثلاث ليال يبيت فى الغار عبد الله بن أبى بكر ، وهو غلام ، شاب ، ثقف ، لقن . . »

لقد كان للبيت البكرى فى الهجرة تضحيات جليلة ، فقد قدمت فى المقال الماضى ما كان من السيدة - أسماء - رضى الله عنها - فى تجهيز المهاجرين الكريمين وشقها نطاقها نصفين فربطت فم الجراب بأحدهما وانتطقت بالآخر ، فمن ثم سميت « بذات النطاقين » .

وما أبداه شيخ الإسلام أبو بكر فى هذه الليلة ، وقبل نزول النبى ﷺ الغار من تضحيات ، وتفديات النبى بنفسه لم يعرفها الإسلام لشيخ إلا للصديق رضى الله عنه .

والآن نعرض لما أبداه من تضحيات غلام صغير من آل بيت الصديق وهو ابنه عبد الله بن أبى بكر « وهو غلام شاب ، ثقف ، لقن . . »

غلام : أى صغير لم يطر شاربه بعد .
شاب : لم يبلغ مبلغ الرجال ، ثقف : بفتح الثاء المثلثة وكسر القاف ، ويجوز إسكانها

وفتحها ، وبعدها ذاء وهو الحاذق الواعي للشيء الذي يقيمه على وجهه المستقيم ، لقن : بفتح اللام وكسر القاف بعدها نون وهو السريع الفهم الذي فيه زكانة ، وفطنة فكان يجيء هذا الغلام الصغير تحت جنح الظلام ، في كل ليلة ، ويسير في هذا الطريق الموحش ، حتى يصل إلى النبي ، وأبيه في الغار .

(فيدلج من عندهما بسحر ، فيصبح في قريش بمكة كبائت ...)

يدلج : بفتح الياء وفتح الدال المشددة وماضيه ادلج بتشديد الدال المفتوحة أي يخرج بسحر إلى مكة حتى لا يتفطن إليه أحد أما أدلج إدلاجاً مثل أكرم إكراما فهو سير الليل كله فهو مدلج ، ومنه اسم القبيلة (كبائت) : أي مثل البائت بها ، وهذا التصرف لن يكون إلا لشاب فيه فطانة وحذق ، وثقافة وهذا هو السر في وصفه بهذه الأوصاف ليعلم الواقف عليها أنه كان أهلا لهذه المهمة الشاقة التي تحفها المخاطر والتي هي مثار الظنون .

(فلا يسمع أمرا يكتادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام) .

يكتادان : بضم الياء وسكون الكاف على البناء المجهول من الكيد وهو التفكير في إلحاق الضرر بهما من قريش ، وقد كان إلى ذكائه ، ولقانته ، وفطنته ، له أذن واعية تعي كل ما تسمع مما تكيد به قريش المهاجرين الكريمين ومثل هذا لا يلحق بنفسه الريبة ، ولا يثير حوله الشكوك .

يختلط الظلام : أي يشتد ويرخي الليل سدوله على كل شيء ، فلله درك يا عبد الله ابن أبي بكر ؟ وفي سبيل الله ما وعت أذناك ، وفي سبيل الله ما حفيت قدماك وفي سبيل الله ما لقيت من عناء ، وتعب وخوف ، وارتجاف ، لقد ذهب كل شيء يا سليل الصديق ، وبقيت لك المكارم والمفاخر مسطرة في صحائف الخلود ، والتضحية والفداء .

(ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم . .)

فهيرة . بضم الفاء اسم أمه ، مولى ، المولى : يطلق على السيد ، ويطلق على المملوك الذي أعتق والمراد هنا الثاني : وقد ذكر موسى ابن عقبة في مغازيه عن ابن شهاب أن أبا بكر رضي الله عنه اشتراه من الطفيل بن سخبرة ، فأسلم ، فأعتقه لوجه الله « المنحة » . الغنم فيها لبن فقوله : من غنم بيان المنحة أي قطعة

من غنم «فيريحها عليهما» الرواح: الذهاب بها آخر النهار ومنه قوله تعالى: «ولكم فيها جمال حين تريحون، وحين تسرحون»[1] «رسل»: الرسل بكسر الراء وسكون السين: اللبن «ورضيفهما»: بفتح الراء وكسر الضاد المعجمة بوزن رغيف: وهو اللبن المرضوف أي الذي وضعت فيه الحجارة المحماة بالشمس، أو النار لينعقد وتزول رخاوته، وهو بالرفع عطف على لفظ «لبن» وبالجر عطف على «منحتهما» و«ينعق» بكسر العين أي يصيح بغنمه كي تذهب إلى المرعى، والنعيق: صوت الراعي إذا زجر الغنم[2].

والمراد بهذا بيان مكرمة من مكارم مولى الصديق عامر بن فهيرة، فقد كان يرعى غنما للصديق، فإذا أمسى واستجن الليل، وأمن من الرقباء والعيون راح بغنمه نحو جبل ثور، حيث يوجد الرسول والصديق، فيحلب لهما ما يحتاجان من لبن ثم يسقيهما، فإذا ما طلع الفجر يسرح بها بغلس، فيصبح في رعيان الناس، فلا يفطن له أحد وأيضا فقد كان برواحه، وسراحه بالغنم يعفى على آثار الشاب اليافع عبد الله ابن الصديق، فلا يستدل أحد من القافة بآثاره على منزل المهاجرين الكريمين، فانظر كيف يكون حسن التدبير، من المؤمنين الصادقين.

وهكذا نرى أن الصديق، وبنتيه، وابنه عبد الله، وعامرا مولاه، قد أسهموا في الهجرة النبوية مساهمة فعالة، تذكر فتشكر، وتحفظ فلا تنكر، ففي الله، وفي سبيل الله ما صنع البيت البكري!!

(واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلا من بني الديل وهو من بني عبد بن عدي)

الديل: بكسر الدال وسكون الياء التحتانية، ويقال أيضا بضم الدال، وكسر ثانيه المهموز «الدئل» وهو من بني عبد بن عدي بن الديل بن بكر بن عبد مناة ابن كنانة، ويقال من بني عدي بن عمرو ابن خزاعة وهذا الدليل الأمين هو عبد الله ابن أريقط ـ بضم الهمزة، وفتح الراء، وسكون الياء، وكسر القاف والطاء وهو الأصح والأشهر ـ كما قال ابن سعد وغيره.

«هاديا، خريتا ـ والخريت: الماهر بالهداية — قد غمس حلفا في آل العباس ابن وائل السهمي» هاديا: أي يدلهما

[1] النحل ٦.

[2] قال تعالى: «ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء، صم بكم عمي فهم لا يعقلون» البقرة ١٧١.

على الطريق والخريت : الماهر بالهداية ، وهو مدرج فى الحديث — أى زيد فيه من كلام الإمام الزهرى الراوى للحديث عن عروة ، عن السيدة عائشة رضى الله عنها ، والإدراج لتفسير أمر جائز عند محدثى علماء علوم الحديث والخريت مأخوذ من خرت الإبرة أى ثقبها لأنه يهدى إلى مثل خرت الإبرة لشدة معرفته بالطريق .

وقيل لأنه يهتدى لأخرات الصحراء وهى طرقها الخفية ومعنى (وغمس حلفا فى آل العاص ...) أى كان حليفا على ما هى عادة العرب ، وكانوا إذا تحالفوا غمسوا أيمانهم فى دم ، أو خلوق — شىء ريحه طيب — أو شىء يكون فيه تلويث لليدين ، فيكون ذلك تأكيدا للحلف ، وهو من الكنايات البديعة .

«وهو على دين كفار قريش[1] ، فأمناه ، فدفعا إليه راحلتيهما ، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما صبح ثلاث ، فانطلق معهما عامر بن فهيرة ، والدليل فأخذ بهم طريق الساحل » .

يعنى أن عبد الله بن أريقط كان مشركا ، ولكنهما أمناه ، وواعداه اللقاء بالراحلتين بعد ثلاث ليال عند غار ثور صبح اليوم الذى خرجا فيه من الغار ، وكان الرجل أمينا وفيا ، وعند حسن ظن النبى وصاحبه به ، ثم انطلقا ومعهما عامر بن فهيرة يخدمهما ، وعبد الله بن أريقط يدلهما على الطريق ، حتى وصل الركب الكريم إلى المدينة .

ولابد لنا هنا من وقفة عند قصة ابن أريقط هذا ، وأمانته ووفائه بالوعد ، وهذه القصة إن دلت على شىء فإنما تدل على مروءة العرب ، ووفائهم ، وأمانتهم ، وأخلاقهم الأصيلة التى لم تصل إليها أخلاق حضارة القرن العشرين اليوم ، وإلا فقد كان يمكنه — لو لم يكن عربيا أصيلا — أن يدل المشركين على المهاجرين الكريمين ، ويحظى بالجعل الكبير ، ولكنهم العرب !!

فهل يكون لكم يا قومى المسلمين والعرب فيما صنع البيت البكرى من ألوان التضحية والفداء قدوة وأسوة حسنة ؟!

وهل لكم فيما صنع ابن أريقط — وهو العربى الأصيل — عبرة وذكرى ؟! ذلك ما نرجو ، وما ذلك عليكم بعزيز ؟

د : محمد محمد أبو شهبة

[1] وقد اختلف فى إسلامه بعد ، فقيل : أسلم ، وقيل : لم يسلم وهو الصحيح الذى عليه الأكثرون ، قال الحافظ ابن حجر : لم أر من ذكره من الصحابة إلا الذهبى فى التجريد .

بلاغة الإقناع في القرآن

للدكتور محمد رجب البيومي

— ١ —

الإنسان بطبيعته يميل إلى التأمل والتفكير مهما ضعفت ثقافته وقلت خبرته فالطفل الصغير يحاول أن يعلل ما يشهده ، والهمجي المتوحش يفكر في أسباب ما يحدث ، وإن كان تفكيرهما معاً لا يسير على طريق صحيح ، فإن كل إنسان — كائناً ما كان — فيلسوف صغير يحب أن يكون له فهمه الخالص وتفكيره الذاتي ، لذلك كان الأسلوب البليغ في أرقى مجاليه يحمل طابع الفكر الرصين ، لتصغى إليه الإنسانية المفكرة بطبيعتها الأصيلة ، وما خلدت روائع الآداب في شتى العصور إلا بما تحمل من أفكار حية قوية صيغت في صور جميلة مطبوعة ، وابحث أنت عن بواعث الخالدات من الآثار لترى أن الخلود كان نصيبها الدائم لما تحمله من بوارق تضيء العقل وهزات ترنح الإحساس ، والقرآن الكريم كتاب البشرية الخالد قد بلغ قمة تأثيره بما أتاحه من النظر الفسيح في ملكوت السموات والأرض ، وبما هدى إليه من عناصر الصدق والحق والجمال التي تتفق مع الفطرة الإنسانية الخالصة فكان ذلك مصدراً حياً لقوته ، حيث خاطب الإنسانية بما جبلت عليه قبل أن ترين عليها غشاوات الجهل والأنانية فأقنعها كل الإقناع بما أتى به من نظم ، وبدد شبهات المرتابين بما ضرب من مثل ، وكان في إقناعه البليغ ساداً ثغرات الشك لدى من أخلص للحق قلبه ، فانقادت إليه ملايين البشر عن حب وإيمان .

جاء القرآن برسالة ضخمة تمحو آثار الشرك والوثنية ، وتحارب التقليد والتبعية وترسم قواعد الفضيلة من حب الخير والتئام الشمل ودعوة السلام كما تؤكد الثواب والعقاب في يوم تشخص فيه الأبصار وتلك رسالة الأجيال جميعها لا رسالة جيل واحد ، فوجب أن تحاط بأقوى الأدلة وأن تؤيد بأصح البراهين ، لتميل إليها العقول المفكرة مهتدية طائعة عن يقين جازم ، واعتقاد حاسم ، لا سيما أن الذين خوطبوا بالقرآن أول ما خاطب الناس كانوا أصحاب جدل وحجاج ، يحققون

الحديث ، ويفرعون الكلام ، ويضربون الأمثال وهم بعد أصحاب البلاغة الناطقة ، فى منافرات ترن ، وخطب تتجاوب ، فلا بد أن تأتيهم الرسالة الجديدة بما يخلب ويروع ، ولن تكون العاطفة وحدها مجال التأثير ، بروارق الألفاظ ، وشقشقة الأصوات واتحاد الفواصل ، بل لا بد أن يكون العقل البصير المتئد وسيلة هذا الإقناع اللازم فى منطق لا يأتيه الباطل عن شمال أو يمين ، وكان القرآن بليغا أعظم البلاغة حين دعا إلى انفساح النظر ، واتساع التفكير ، وحين نعى على مخالفيه إهمالهم حرية التفكير وانقيادهم الأعمى للتقليد المتوارث ، والآيات المتواترة فى ذلك أذيع وأشهر من أن نستدل بها الآن ، ولقد أوسعها الكرام الكاتبون بسط تحليل ، ودقة استنتاج ، ولكننا نكتفى منها بقول الله عز وجل : « ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون » إذ كانت العلة الأصلية فى دخول النار هى إهمال نعمة العقل فيما اختص به من النظر والتدليل

فقد خلق الله لجهنم أناسا لا يكلفون أنفسهم واجب التفكير مع ما لهم من قلوب تفقه وأعين تبصر وآذان تسمع فهم فى ذلك كالأنعام بل هم أضل ، لأن البهائم لم تعط التفكير على نحو يهدى إلى الحق وهؤلاء قد أعطوه فكفروا به حين أهملوه فهم الغافلون دون نزاع !

وقد جاء القرآن بالإقناع البليغ فى أسلوبه الحاسم الصريح فبسط من الشواهد ما يقنع وسرد من الأدلة ما يلزم وجاء من التعليل والتحليل بما يهدى إلى التى هى أقوم ، وطبيعى أن تساق الأدلة القرآنية مساقا أدبياً واضحا تتفتح له العقول والقلوب معا فتشرق من نور الإيمان ، فما جلب السأم إلى النفوس غير الصياغات الصارمة الجافة التى حذقها علماء الكلام حين جعلوا نقاشهم فلسفياً يأخذ مأخذ المقدمات المبتسرة والنتائج الضيقة ، ثم يترامون بالمصطلحات ويتراشقون بالتعريفات ، فيسدلون على الحقائق ستارا لا تكاد تخلص منه إلى القارىء فى يسر مطمئن ، ولئن استطاع هؤلاء الكرام أن يقنعوا أنفسهم بما سردوه من حجج وبراهين ، فقد ظلت كتبهم الحافلة ومؤلفاتهم الجهيرة وقفا عليهم

وحدهم، وعلى من يحذو حذوهم فى مدارسة قضايا المنطق وبراهين الفلسفة ، بحيث لا يهتدى بها قارىء غير متخصص ، وكان القرآن الكريم أدرى بطبيعة البشر حين ساق براهينه العقلية فى وضوح أدبى سافر ، وفى منطق عقلى كاشف « فأسفر عن ضوء ساطع يبدد ظلمات الحيرة ويقود النفوس الغامسة إلى مراصد الطمأنينة والسكينة ، وهذه رسالة البيان فى أرق مجاليه » ، وأفسح آماده ؛ إنها رسالة إقناع وإمتاع ، وتدليل وتأثير .

ولن تجد أهدى إلى حقائق النفس ، وأنفذ إلى شعاب القلب وأدعى إلى الطمئنان العقلى من قول الله عز وجل : « قل إنما أعظكم بواحدة ، أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدى عذاب شديد قل ما سألتكم من أجر ، فهو لكم ، إن أجرى إلا على الله وهو على كل شىء شهيد » . إذ أن الآية الأولى قد دعت إلى حقيقة علمية يؤكدها اليوم علماء النفس والاجتماع حين يحذرون من خطر الاستهواء الجماعى ؛ إذ يخضع الناس لرأى عامى مشترك على ما به من ضلال دون أن يفىء كل منهم إلى تفكيره الشخصى ونظره الذاتى فيما يقول ويعمل ، لذلك دعت الآية إلى أن ينفرد كل شاك بنفسه أو بصاحبه ثم يتأمل تأملا ذاتيا ليعلم بعد تفكير أن محمدا ليس بمجنون !

وأن ما يقال عنه بصدد ذلك قد صدر من جماعة حاقدة تستهوى الاتباع دون نظر ذاتى منفرد يزن الأمر وزنا عادلا محايدا لا يتحيف ! استمع إلى ما يحدثه قول الله « أعظكم بواحدة » ثم تصور لهفة السامع على انتظار هذه الواحدة الهينة السهلة التى لا تتعدد ! فإذا استمع بعد ذلك إلى قوله : « أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدى عذاب شديد » فإنه سيضطر لا محالة إلى أن يخلص بعض الوقت من تأثير الجماعة الهائجة المنحدية ليخلص إلى نفسه أو صديقه — مثنى وفرادى — فيستعرض حياة محمد منذ عرفه متأملا كل ما صدر عنه وحاكما من تلقاء نفسه على عقليته وطبيعته ، وهو حكم ينتهى لصالح الدعوة الإسلامية لو صدر عن حيدة وإنصاف لا عن تعصب وإجحاف أما الآية الثانية فتبرىء صاحب الرسالة

من انتظار للغنم الذاتى وهو ما يحرص عليه أصحاب الغرض الشخصى فما أجره إلا على الله وهو على كل شىء شهيد ، بهذا المنطق البليغ سار القرآن فى هديه فبلغ من الإقناع مبلغا لا يمكن أن يتاح لكتاب سواه ، وله فى هذا المضمار روائع خارقة ليست فى مكنة بشر ، فقد يأتى بالإجابة الموجزة كقاذفة مدمرة قبل أن يأتى بالسؤال ، بحيث يصبح بعدها لغوا عابثا فقد مدلوله ، وذلك لن لا يكون إلا عن اقتدار قوى متمكن يصيب الهدف لأول طلقة تصوب ، استمع مثلا إلى قول الله عز وجل : « وضرب لنا مثلا ونسى خلقه ، قال من يحيى العظام وهى رميم ، قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ، الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون ، أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم » استمع إلى قوله قبل السؤال « ونسى خلقه » تجد هاتين اللفظتين قد حملتا الإجابة الصائبة عما يسأل عنه من حديث ؟ فإذا جاء بعدها «من يحيى العظام وهى رميم » كان القارىء قد فهم الرد فهما لا يحتاج إلى تعقيب ، ثم إذا استمع بعد ذلك إلى قوله « يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم » كان هذا الرد تأكيدا لرد سابق يفصل مجمله فيزيد رسوخه فى النفس تثبيتا وتوطيدا فإذا جاء قول الله بعد ذلك « الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون » كان بمثابة برهان عملى تجريبى لا يقبل الشك إذ أتى بالمحسوس المشاهد ليدل على الغائب المرتقب ، ثم يجىء قول الله : « أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم » موضع تصديق لا يقبل الشك بعد أن توالت الأدلة وتضافرت البراهين ... بهذا الإقناع المكين بلغ القرآن مبلغه من النفوس فأدى رسالته الخالدة حين أخرج الناس من الظلمات إلى النور ، فى عصر كان فيه رؤساء الأديان جميعا يحرمون النظر العقلى فى ملكوت السماء والأرض ويدعون إلى الإذعان المطلق بكل ما ينفثونه به الكهنة دون نقاش أو حجاج ويعدون النظر الدينى وقفا على طبقة معينة تتسنم الرئاسة الدينية لتصدر أوامرها الخاصة كأنها مسندة إياها للقوة العليا ، حتى نزل القرآن فدعا إلى الحجاج العقلى وفسح آماد النظر الفكرى ، وهدى

العيون إلى آفاق وضيئة تغرق بالنور والخير، فمدت رسالته الفكرية لتسلط ضوءها على المعتقدات الدارسة، والطقوس الشائهة، فكانت رسالة تمقت العقل بالإقناع، وتحفظ مكانة الفكر بالتدليل والاستشهاد.

وإذا كانت القضايا الفكرية التي ناقشها القرآن الكريم مما لا يتسع لبسطه فصل من كتاب، فإننا نختار منها ثلاثا تحتل أهمية خاصة في كتاب الله لنرى من طريق الإقناع البلاغي كيف ناقشها القرآن بأسلوبه المقنع ومنطقه الكاشف، تلك هي قضايا الوحدانية والبعث الأخروي والرسالة النبوية، وهي خلاصة القضايا الفكرية التي تدخل أصحاب الرسالات السماوية، ونحن في مجالنا البلاغي لن نجمع النصوص المختلفة لكل قضية من هذه القضايا الجليلة. فذلك من شأن مؤرخي الرسالات ومسجلي العقائد ولكننا في المضمار الأدبي نكتفي بأنموذج واحد لكل قضية من القضايا الثلاث لنرى كيف استطاعت البلاغة العربية في أفصح كتاب نزل بلسان العرب أن تبسط الدليل الكاشف، وأن تأتي بالبرهان السافر على صحة ما تقول، ثم نقول لهؤلاء الذين يعالجون هذه القضايا معالجة كلامية ذات مصطلحات ومحترزات، لقد أحدثتم من الجفاف العقلي والغموض الفكري ما حال دون الاهتداء والاحتماء وما سلب القارئ لذة الارتياح والانشراح فهل لكم أن تتجهوا إلى منهج جديد في العرض الهادف والتوضيح الكاشف، وحسبكم القرآن.

ونبدأ بأنموذج لقضية الوحدانية فنذكر نصا كاملا يعرض الدعوى ويقيم الدليل في بيان مبسوط كاشف فإذا كانت كتب العقيدة تكتفي باقتطاع الدليل مهما كان جزءا من آية، أو آية من آيات مثل «لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا» أو مثل «وما كان معه من إله إذن لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض» أو مثل «أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء» إذا كانت كتب العقيدة تكتفي بهذا الاقتطاع الجزئي فإننا في مجال التحليل البلاغي لأسلوب القرآن نعمد إلى نص قرآني كامل لنرى تسلسل الحجة القرآنية بدءا وختاما، فنعرف كيف يطرد البيان القرآني اطرادا يملك قوة الإقناع، ومتانة الدفع وبراعة الحجة في نسق شفاف يجذب الشعور كما يجذب الإدراك، ويوقظ التفكير كما ينبه

الوجدان ، وتلك رسالة البيان الحي ذي الهدف المرموق والمثل المنشود .

قال الله عز وجل في سورة الأعراف من حديثه عن الوحدانية المنزهة عن الشريك « هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها ، فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين ، فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون ، أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ، ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون ، وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون ، إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين ، ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها ، قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون ، إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ، والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون ، وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون ، خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » .

فانظر معي كيف ابتدأ الحديث بقضية الخلق ، حتى ليظن المتعجل أن المجال بعيد عن حديث الوحدانية ، وما درى أن القرآن يمهد من الحديث عن المشاهد الملموس لحديث عقلي منطقي ينزه الخالق جل وعلا عن الشريك ، لقد خلق الله العالم الإنساني من نفس واحدة وآنسها بزوجها ليأنس إليها وتأنس إليه ، فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به ، وذلك مبدأ التسلسل البشري على صحيفة الوجود ، ولن تجد أجمل كناية وأخف موقعا من قوله تغشاها ، فلما أثقلت دعوا الله ربهما أن يهبهما النسل الصالح فاستجاب ! هذه هي المقدمة التي يظنها المتسرع بعيدة عن حديث الوحدانية دون أن يدري أنها سيقت لترسم المفارقة الصارخة ؛ إذ يقابل الخير بالشر والبر بالعقوق ! لقد آتاهما الله صالحا كما دعواه فكان المنطق يدعو للشكران لا للكفران !

ولكن النتيجة قد تكشفت عن عقوق آثم تنطق به هذه الآية « فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما » لم يعترفا بوحدانية الخالق بل جعلا له شركاء مع أنه تنزه عن

الشريك ! هنا لا يزال الظمأ يتطلب الري فربما كان الشريك المزعوم خالقا ذا اقتدار فلينظروا إلى أصنامهم المعبودة كيف يشركونها مع الله ، أيشركون ما لا يخلق شيئاً ! أيشركون مع الله مخلوقا لا يستطيع الخلق فينزلوه منزلة المقتدر المصور البارىء ! وإذا وقع هؤلاء المشركون فى مأزق وطلبوا النصر من قادر قوى أيجدون أصنامهم تكسب لهم النصر ، وأنى ! وهى لا تستطيع أن تنتصر لنفسها فكيف تنصر من يلوذ بها من البلهاء ، إن الأمر من الوضوح بحيث لا يتطلب الإقناع الملح ، والنقاش اللجوج فما لهؤلاء الغافلين إن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون؟ لو كانت هذه الأصنام بشراً يتحرك لوجدت شبهة ما حول عبادتها فتحتاج إلى دفع يعصف بها !

ولكنها كما يرونها سامدة ساكنة جامدة ألها أرجل تمشى بها ؟ أم لها أيد تبطش بها ؟ أم لها أعين تبصر بها؟ أم لها آذان تسمع بها ؟ كل ذلك لم يكن فيا للخجل من عبادة حجر لا يمشى ولا يبطش ولا يبصر ولا يسمع ! وإذا كنتم لا تزالون تعتقدون فى تأثيرها النافذ فأمامكم التجربة عن عيان هانحن أولاء نتحدى قدرتها المزعومة فادعوا شركاءكم ثم كيدونى بها سريعا دون إبطاء وإمهال إذا استطاعت أن تكيد ! لست معكم فى انحداركم المسف نحو هذه الأحجار فإن ولى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين، أما أصنامكم هذه فلا تستطيع النصر لكم بل لا تستطيع أن تنصر نفسها وقد جوبهت بالهوان واتسمت بالذلة والحقارة بعد أن قال القرآن فيها ما قال ! ومع ذلك فسآخذ بالعفو وآمر بالعرف معرضا عمن يناوىء الحق جهلا ويؤيد الباطل عن تخبط ضرير !!

اقرأ النص القرآنى مرة ثانية واستعرض حججه الدامغة حجة حجة ، واسأل نفسك ألا تجد المنطق المقنع فى تأييد الحق وتسفيه الباطل ؟ ألا تجد البراعة الحية فى صياغ الاعتراض والتعجيل بالجواب ، ألا ترى فى توالى الاستفهام ما يدعو إلى اليقظة والانتباه ؟ ألا تجد أن القرآن قد قدم من الحجج الناسفة ما يحرم أن يتخيل القوم شريكا للخالق المتفرد ؟ دع ذلك وانتقل إلى الناحية النفسية التى تتجلى فى هدوء النقاش، واطمئنان الحجة ، وسكينة الدفع ، إنك لا تسمع فى مجال الإقناع

الهادىء ما نعهد لدى البشر من ضجيج الانفعال ، وتسرع الثورة ، وافتعال الحماسة ، لأن الصدق الواضح لا يحتاج إلى متكأ ضعيف من جلجلة الألفاظ ، وعلو النبرات بل ينحى ذلك جانبا إلى سلامة البرهان وصدق الدليل ووضوح النتيجة .

وإذا كان العهد بالمنتصر فى ساحة النقاش أن يتشامخ ويختال حين يفحم خصيمه بالحجة ويلجمه بالدليل فقد ضرب القرآن المثل الأعلى فى توجيه المنتصر وجهة إنسانية لا تعرف الغطرسة الكاذبة والاستعلاء المقيت وذلك حين ختم الدفاع القوى بقوله المتسامح « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » وما أظن صاحب حيدة منصف يقرأ هذا النص ثم لا يقلب كفيه عجبا من قوم جعلوا فى آذانهم وقرا ، وعلى أعينهم غشاوة فهم لا يبصرون ولا يسمعون .

هذا شاهد أدبى يقدم أنموذجا واحدا لقضية الوحدانية فى كتاب الله ، ونحن نرى أن الشاهد هنا قد اقتصر على مناقشة عبادة الأصنام وحدها ، تاركا لغيره من الشواهد القرآنية أن يناقش عبادة البشر من الشركاء الذى من جعلوا أنفسهم آلهة كفرعون أو من اتخذهم الناس آلهة دون رغبتهم كالمسيح عليه السلام وإذا كان من خصائص القرآن أن يقتصر فى الشاهد الواحد على ناحية واحدة يسلط عليها الضوء نقاشا وحجاجا ليكشف ما يرين عليها من شبهات ، وهى طريقة جيدة يقبلها للخاصة والعامة ، أما الخاصة فهم أدرى باستقامة النهج ووضوح الدليل ، وأما العامة فليصوا صابرين على تتابع الحجاج إذا ازدحمت قضاياه وتعددت حججه ، وإذا كان من بين نواحى الإعجاز فى القرآن أنه كتاب الخاصة والعامة معا كما سنشير إلى ذلك فى موضعه ، فإن مراعاته المقتضى البلاغى للحجاج قد أكدت جدوى رسالته الإصلاحية حتى لدى الكثيرين ممن أعماهم الله عن هدايته ، إذ حرصوا على الاستفادة من منحاه التوجيهى وهديه النفسى وإن لم يسيروا تحت لوائه الدينى .

كما قد على الكفر

كتاب الله للشرك

ولك أن تتصور مدى تأثير بيان حى نفاذ عم نفعه المخالفين والمؤيدين على السواء ، لتعلم أنه صدر من أفق عال لا يطار إليه بجناح ؟

محمد رجب البيومى

الهجرة عيد الحرية

للدكتور عز الدين علي السيد

— ١ —

استقبل هلال عيد الحرية بمثل ما اعتاد الكاتبون والعلماء، من تعبير عن التقدير لهذا الحادث الأيمن، الذي حول الله به الدعوة في شخص نبيها إلى المكان الأخصب، كما تنقل النبتة الناشئة من منبتها بعد حين، إلى مقرها الأليق بها في أبعاده وتربته.. فيكون استنباتها في المنشأ لحكمة يعلمها ذوو النظر في الزراعة والغرس، ونقلها لتنطلق في الجو الحسن والرقعة الخصبة، لحكمة يدركها كل ذي عين ترى.. ولله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم.

— ٢ —

أيناقشني القارىء الحساب أن سميت الهجرة عيد الحرية؟

أحسبني آمن هذا الحساب.!

أية حرية منحها الإيمان وعقيدة التوحيد في مكة، منذ أشرق الوحي في غار حراء، ينادي صاحب الشريعة المنتظر: «اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق..»

لقد كانت هذه الصيحة الأولى في طريق التوحيد وبناء الدعوة، ترسم في أوضح بيان أخص الصفات للمعبود الحق، التي ينفرد بها عن الأنداد من بواطل المعبودات..

مفاجأة بطلب أمر غير معتاد، ليس في الحسبان القدرة عليه، من زائر غير معتاد، ليس في الذاكرة رؤية مثاله.. تحيل النبي المخاطب عليه السلام إلى استجلاء حقيقة جديدة، هي تشرفه بالنسبة الكريمة إلى ربه، الذي كشف له طريقه، بعد ما ظل يبحث عنه مشوقا أربعة عقود من العمر في مسابح التأمل ومسارح النظر..

«اقرأ باسم ربك..» إنها رسالة قراءة وعلم.. ومن هو ربه الذي يقرأ باسمه؟ إنه المنفرد بصفة لا تقبل الشركة «الذي خلق» هكذا بحذف المفعول أولا، فجرد اتصافه — سبحانه — بصفة الخلق كاف

فى التمييز عن الأنداد « أفمن يخلق كمن لا يخلق ؟ » ثم استئناف ذكر الخالق للإنسان مستقلا عن غيره .. الإنسان الذى يطغى أن رآه استغنى .. من أى شىء خلقه ؟ إن أصله غاية فى وعظه ، وتأمله وازع لجحده « خلق الإنسان من علق » .

هذه الدعوة التى بدئت ذلك البدء ، كان حريا بها أن تنطلق؛ لأنها نور من النور؛ لأنها تحرير للعقل والقلب من رق الجهالة . من الحبس فى مدار الصنم الأصم تقديساً لذاته .. يرتبط به الرجل الوجيه فى قومه المرموق فى عشيرته ، ارتباط الثور المغمى بمدار الطواحين » .

إن عليتهم كانوا فى أنفة الأسياد . . ودعوة محمد تمحو هذه الأنفة . وإن عامتهم كانوا فى ذل العبيد . ودعوة محمد تمحو هذا الذل . تسوى بين العبيد والسادة فى حقوق الكرامة البشرية وتربط السادة بالعبيد رباط الحب والبر . والتواضع والرحمة .

يا لكارثة السادة من تلكم المساواة . . كيف يستطيعون أن يفكروا فى اعتناق دين يزيل عزتهم ويمحو أنفتهم . ؟ كيف يريدون أن يفكروا ونوازع السيطرة والأثرة والشموخ لا تنسم القلوب معها لتلك الإرادة ؟ كيف يجرءون على أن يفكروا وهى جرأة تعز العبيد وترفع الرقيق ، وتسوى النقيض بالنقيض: حر .. ليس حراً . عبد .. ليس عبداً . ؟

هذه العقيدة كانت أصيلة فى الحرب والاضطهاد ، نشأ منها التعصب للشرك وإنكار البعث وضروب الجحود . ثم حبكت المؤامرة بتنظيم الحروب الدعائية ، ورواج التلبيس ضد محمد والدين الجديد ، بوسائل شيطانية منها التهكم والساخر ، والمزوق الساحر ... والجاب الفاجر . . . والجرىء الكذاب .

من بعد ثلاثة عشر عاما ينزل فيها الوحى بمكة ، وتؤسس الرسالة ، يظن مع التواضع البالغ أن كل عام منها أدخل فى الإسلام مائة من الناس . أذلك العدد كثير مع بذل الجهد والعرق ، وتنقل الحق الواضح المعروض فى فسيح البقاع ، ومناهدة القريب والبعيد الاحتكام فيه إلى منطق العقل وسلامة الفطرة ؟

لقد مرت هذه الأعوام دون أن يحصل حزب الله إلا على عشرات من العقلاء ليس أكثرهم من السادة الذين هم أولى بالنظر وأحق بالتأمل ! . بل كان هؤلاء

م حملة الحق المؤذى ودماة السفه السفيه ، المضطهدون للنبي والمعذبون للصحابة !.

— ٣ —

تلك المبادىء الإلهية التي اقتنع بها المؤمنون فرأوها حياة أرواحهم ، كان يزيدها الخنق والتضييق تمكناً وإصرارا وبذلا ، لما يرتبط بعظيم الأذى والاحتساب من عظيم الثواب الموعود في دار الخلود فضلا عن الإيمان بانتصار الحق مهما اضطهد : « إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ».

هذا الإصرار المطرد صعوداً مع تصعيد الحرب الكافرة أنتج أمرين من الجانبين ، انفصحا عن موقف فاصل بين عهدين ، أشبه بانفلاق البحر لموسى لتنفجر الخوارق وتلوح العواقب.

أذن للأصحاب بهجرة الحبشة ، فحملوا إلى أقصى الأرض دينهم رغم أنف الكافرين وبايع أهل يثرب الرسول بيعتين ، تهيأ بهما للإسلام جوه الجديد ومنطلقه البعيد.

أما جماعة الطغيان والشرك فقد هاجها إفلات الأمر من يدها ، وذهب بعقلها ما كان ، فصممت أن تعجل بآخر فصل في قصة الإسلام الغامرة ، فأملى الشيطان ختام هذه القصة :

أن يختاروا من كل قبيلة أجلدها لكي فيحاصروا محمداً في داره ، فيضربوه إذا خرج ضربة واحدة تعجز بني عبد مناف أن يطالبوا بدمه للتفرق بين القبائل « وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ».

وصدقوا الشيطان نصحه . وصدق الله محمداً وعده ، فأحدقوا بالدار مستأسدين وأنام الرسول عليا بداره ، وفاء بحقوق ذوي الحقوق عنده ، وخرج ينظر إلى الحق نظر الرائي المطمئن ، فنثر على رءوسهم التراب لعلهم يفقهون ، وتركهم في سكرة الغدر الغالب ، يحلمون بما هم جديرون به من ثناء القوم ، حين تعود سيوفهم حمراء منتصرة !.

ورافق أبو بكر حبيبه للغار ، وما ترك الحبيب عليا إلا واثقا من حماية الله العلي وما بقي على مكان ابيه بقلب يطير شعاعا ، ولكن بإيمان مبصر وعقيدة نافذة !

أما الصاحبان في الغار فتهفو إليهما حمامة السلام، يخفق جناحاها فتصرف أنظارهما القلوب إلى بعيد بعيد، وحركتهما الأنظار إلى أبعد وأبعد. وتغزل عنكبوت وتنسج على الباب ستراً، فلا يكون الملاذ إذاً أحكم ولا أمنع من ستار العنكبوت.. ويشفق الصديق على نبيه ودعوته، حرص البشر المنطلق من طبيعة الإنسان، فيهمس: لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا! ويجيب محمد الرسول الواثق بما أنزل إليه من ربه، إجابة نبي سما فوق البشرية: ما ظنك باثنين الله ثالثهما، وتنزل السكينة عليهما في الغار، فيتسع باتساع روحهما حتى يكون دنيا من الأمن، بل جنة من السعادة، ويسجل الوحي هذه المناجاة لتكون للجبناء ذكرى وللمجاهدين عبرة «إلاّ تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار، إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا، فأنزل الله سكينته عليه، وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى، وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم».

ويودعان المنزل الكريم والحصن المنيع ويقلبهما ما لهما من نظرات لا نحيط بها إلا حدساً.. نظرات لها معان لا أول تسبح في بحرها كل مسبح — إلى مكة الموطن الذي خلفاه حبيباً لقسوة أهله وحمقهم، ولولا ذلك ما هجراه.. وإلى القوم الذين افتنوا في الأذى والاضطهاد وكانوا أحق بالاتباع والنصرة.. وإلى الغار الذي عصمهما أدنى ما يكون إلى الطالبين.. وإلى الحمام الهادل والعنكبوت الجاهدة.. وإلى يثرب المرتقب وفجر الدين المبشر..!

— ٤ —

على المعارف انتشر الأنصار، وبينهم تهلل قلوب المهاجرين.. سيلتئم الشمل ويلتقي الأحباب. وبين ساعة وأخرى ستحيط الهالة ببدرها، وتجتمع الأمة حول نبيها.

وأقبل الصاحبان المرتقبان فتهادى بهما المطالع والثنايا، وتغمر فرحة اللقيا كل حي وجامد، وتعزف الجموع في حقيقة كالحلم نشيد الحلم الذي صار حقيقة!

طلع البـــدر علينا

من ثنيات الوداع

إنه لحن يرسم فرحة، فرحة قلوب كانت حبيسة غم وضيق، خنقتها مكة الواسعة فكانت أضيق من غار، وكان أهلها أدنى

من عنكبوت وحمامة ، فأطلقتها الهجرة إلى كون لا تبصر حدوده ، لأن حدوده من الأعلى عرش الله ، ومن الأدنى كرة الأرض بما فيها من الجنة والناس «وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيرا» «وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن ، فلما حضروه قالوا أنصتوا ، فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين » .

عشر سنوات من حياة الحرية في يثرب ، حلقت بالإسلام في آفاق الوجود ، ملأت به القلوب حبا ، وردته على المارقين في عقر دارهم فتحا ، لحطم الأصنام عزيزاً غالبا ، وطهر البيت شريفا قاهراً ، وأطلق العفو كريما سخيا ، وحيا الجباه السفيهة بالأمس ، فسجدت خاشعة ضارعة تعتذر ، وحاربت بسيفه له ، بعد ما حورب بسيف الكفر في يدها ، فكان إصرارها اليوم لنصره أضعاف إصرارها لكفرها وكان إسلامنا واحتفالنا الآن بذكرى الهجرة ثمرة الهجرة وسيكون احتفال الناس إلى يوم الدين بمواسم الدين أثرا للهجرة .. وتجديدا لمفهومها في قلوب المؤمنين .. يعتزون بها عهدا للحرية أعز الله فيه المسلمين المضطهدين وأفاء عليهم بركات الفتوح ومغانم الانتصار «وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما » .

يا هلال المحرم .. يا قرين الأمجاد . اذكر لنا من صحائفك بلسان النور قصة الصبر المؤمن الآمل .. قصة العزم الصامد المصمم تحطم السدود وتكتسح الحدود . وتهدم القلاع لتنقذ البقاع . اذكر لنا أيها الهلال المبارك .. أن نزعات الإلحاد تهدم ولا تبنى وأن نزوات التشكيك تخذل ولا تنصر . وأن الطريق إلى البناء والنصر لا حب .. هو صراط الله المستقيم ، صراط الحق الذى كانت الهجرة في سبيل نصره . وليس بعد الحق إلا الضلال ! .

هكذا أيها الهلال حدثنا . أيها الطالع على الجيش المسلم في جبهات النضال . ! كما طلعت على جيش النبي في طفولة هذا التاريخ المجيد . . جعلك الله هلال خير وبركة .. وحقق في وجهك الأيمن آمال العدل وأحلام السلام ؟

د . عز الرجال على السيد

علاقة التشريع الإسلامي بالتشريع الوضعي

للأستاذ سيد عبد الله حسين

— ٥ —

سأطرق ببحثى اليوم الشخصية القانونية والأهلية الشخصية .

وسنجد فيهما الفرق واضحا بين التشريع الرومانى من جانب والتشريع الفرنسى والتشريع الإسلامى من جانب آخر ليتضح قيمة دعوى المشرعين الوضعيين فيما يدعون أن التشريع الفرنسى مأخوذ من التشريع الرومانى فأقول :

أولا : الشخصية القانونية فى التشريع الفرنسى :

١ — الشخصية القانونية هى كل كائن حى له حقوق وعليه واجبات، وهى قسمان:

(ا) شخصية جسمانية وهو الشخص الحقيقى .

(ب) شخصية معنوية وهى ما تكون من أشخاص حقيقيين كالحكومات والجمعيات .

٢ — وشرط وجودها أن يولد الشخص حيا — وأن يكون ممن يمكن أن يعيش

٣ — وأول وجود الشخصية القانونية ساعة الولادة ونهايتها الموت .

٤ — وإذا كان الشخص قبل ولادته فائدة ألحقها القانون به من تاريخ الحمل به فتصح له الوصية والهبة والاعتراف بشرعيته الخ ص ٣٨ إلى ص ٤٤ ج ١ فوانيه

ثانيا : الشخصية القانونية فى التشريع الرومانى :

١ — الشخصية القانونية هى كل كائن حى أهلا لتصرف يملك حقوقا وعليه التزامات .

٢ — وشرط وجودها :

(ا) كون الشخص حرا .

(ب) كونه مواطنا رومانيا ليس لا تينيا ولا أجنبيا

(ج) كونه رئيس عائلة

٣ — ولقد وجدت الشخصية القانونية المعنوية كالجمعيات والمؤسسات التى لها أملاك ولكنها كانت خاضعة لإذن الملك وجودا وزوالا .

ص ١٨ و ١٩ ق . ر شرح فوانيه ج ١ وما بعدها

ثالثا : الشخصية القانونية فى التشريع الإسلامى :

١ — الشخصية القانونية هى كل موجود له حقوق وعليه واجبات .

٢ — والشخصية قسمان :

(ا) شخصية حقيقية تتحقق بوجود الشخص حقيقة كزيد وعمد من النوع البشرى

(ب) وشخصية معنوية وهو ما يفرض وجوده شرعا ليمثل جهة معينة فيما لها وما عليها كبيت المال والوقف مثلا

٣ — وتوجد الشخصية الحقيقية بوجود المخلوق البشرى — فتتحقق بالخروج إلى الحياة وتنتهى هذه الشخصية بالوفاة حقيقة أو حكما .

وتوجد هذه الشخصية بوجود المخلوق البشرى ولو حكما كحمل موجود أو سيوجد فتصح الهبة له والوصية والوقف عليه .

٤ — ولا تلزم هذه التصرفات فى وجود الشخصية حكما إلا بتحقق حياتها باستهلالها صارخة أو كثرة رضاعها مثلا .

وقد اعتبر التشريع الإسلامى شخصية الحمل فرتب لها حقوقا ووضع لها شروط استحقاقها :

١ — فقد جاء (ونحو من سيولد لزيد مستقبلا مثلا فيصح الوقف عليه وهو لازم لعقده على ما لابن القاسم فتوقف الغلة إلى أن يوجد فيعطاها — فإذا حصل مانع من موت أو يأس منه رجعت للواقف أو وارثه) ص ٢٦٢ ج ٢ ش الصغير .
وص ٨٠ ج ٨ خرشى .

٢ — وجاء (وموصى له وهو ما يصح تملكه للموصى به) إلى أن قال (فتصح (يعنى الوصية) لمن لا يملك ولو فى ثانى حال ممن سيكون من حمل موجود أو سيوجد فيستحقه إن استهل صارخا ونحوه مما يدل على تحقق حياته كرضع كثير) ص ٤٠٩ ش ص وص ١٦٨ ج ٨ خرشى .

٣ — وجاء فى المحافظة على حقوق الحمل (وأوقف القسم للتركة بين الورثة وفيهم حمل من زوجته ولو أخا لأم لوضع الحمل للشك هل يوجد من الحمل وارث أم لا وعلى وجوده هل هو متعدد أو متحد وعليهما هل هو ذكر أم أنثى أو مختلف ص ٤٨٧ ج ٤ ش كبير وص ٢٢٤ خرشى ج ٨ — والهبة كالوقف ص١٠٢ ج ٨ خرشى
والضابط لهذا كله أن يقال يوقف

القسم للحمل الذى يرث الميت ولو احتمالا ص ٢٢٤ ج ٨ خرشى.

١ — والشخصية القانونية المعنوية كالشخصية الحقيقية فى الحقوق والواجبات فقد اعتبره التشريع الإسلامى يقاضى ويتقاضى فيمين الواقف أو ولى الأمر من يمثل هذه الشخصية الاعتبارية فقد جاء ما يأتى:

١ — يعتبر بيت المال وارثا فيرث كل شخص له تركة ولا وارث له أو له ولم يأخذ كل التركة فيأخذ كل ما بقى (ثم بيت المال فهو عاصب على المشهور منتظما أو غير منتظم عند عدم من يرث بالنسب أو بالولاء فيأخذ الجميع إن انفرد أو الباقى بعد ذوى الفروض (والفرض) ص ٢٠٧ ج ٨ خرشى .

٢ — وجاء فى الوقف ـ (واتبع شرط الواقف كتخصيص بمذهب أو ناظر معين وله عزل نفسه فيولى الواقف غيره من شاء وإلا فالحاكم فإن لم يجعل له ناظراً فالمستحق إن كان معينا رشيداً ـ إلى أن قال ـ فالحاكم يولى من يشاء وأجرته من ريعه ـ وكذا إن كان الوقف على مسجد ونحوه) ص٢٦٨ج ٢ ش ص ـ ويكون فى الجمعيات والمؤسسات .

وبالنظر فى التشريعين نجد الفرق بعيدا بين شروط وجود الشخصية القانونية فى التشريعين فبينما يشترط القانون الرومانى أن يكون الشخص حرا — وأن يكون رومانيا ، وأن يكون رئيس عائلة نجـد التشريع الفرنسى يشترط أن يولد الشخص حيا ، وأن يكون ممن يعيش ، إذاً لم يأخذ التشريع الفرنسى فى هذه المسألة شيئاً من القانون الرومانى بل أخـذها من التشريع الإسلامى الذى يشترط فقط أن يولد الشخص حيا باستهلاله صارخا أو بكثرة رضاعه أو أى دليل يدل على حياته

أهلية الشخص — التشريع الفرنسى :

---

١ — الأهليـة للشخص هى صفـة شرعية يتمتع بها لممارسة حقوقه المدنية الأهلية ص ٤٤ ج ١ فورانيه .

٢ — والأهلية هى الأصـل ـ وعدم الأهلية هى الاستثناء ـ ص٤٥ ج١ فورانيه.

٣ — وعدم أهلية التصرف يمكن وجودها فى التمتع بالحقوق وعدم ممارسة الحقوق ص ٤٥ ج ١ فورانيه.

٤ — فالطفل له أهلية لملكية الحقوق ولـكن لا يباشرها بنفسه بل بمن يمثله ص ٤٦ ج ١ فورانيه ، فـلا يباشر الزواج

ولا الوصية ولا الهبة - ولا الإقرار بالنسب مادام قاصرا .

أسباب عدم الأهلية :

أسباب عدم الأهلية تكون في :

١ - صغر السن :

٢ - التغير في العقل (العته والجنون)

٣ - الأنوثة في الزواج .

٤ - بعض أحكام جنائية ص ٤٨ ج ١ قوانيه .

ولكي نتأكد أن هذه الأحكام أخذت من التشريع الإسلامي نورد نص القانون الروماني ليرتفع الحق على الباطل فنقول :

١ - الأهلية للشخص هي الأوصاف المعتبرة قانونا في الشخص ليمارس حقوقه والأوصاف لواجب وجودها هي :

١ - أن يكون ذا عائلة فمن لا عائلة له لا شخصية له .

٢ - أن يكون حرا مواطنا ، فالرق والأجنبي لا شخصية له .

٣ - من كان دون الـ٢٥ سنة والمجنون والأنثى لا شخصية لهم .

والطفل والمجنون والمرأة يجب وجود من يمثلهم ص ١٩ و٢٠ ش القانون الروماني فنجد أن التشريع الفرنسي بعيد كل البعد من التشريع الروماني ولكنه هو هو التشريع الإسلامي الذي جاء فيه :

١ - الأهلية الشرعية هي صفة للشخص تمكنه قانونا من الإلزام والالتزام وهي ما تسمى بالذمة .

٢ - والأهلية هي الأصل وعدم الأهلية هو الاستثناء ص ١٢٤ ج ٢ ش ص فتصرف الذكر قبل الحجر ماض صـ ١٢٤ ج ٢ ونصه (الذكر السفيه المحقق السفه قبل الحجر عليه ماض لازم لا يرد ولو تصرف بغير عوض لأن علة الرد الحجر عليه وهو مفقود وهو قول مالك (لأن الأصل وجود الأهلية) .

وقال ابن القاسم لا يمضي - فلمن يتولى عليه من حاكم أو مقدم الرد ، وله إن رشد ، والمعتمد الأول ، بخلاف الصبي فإنه غير ماض وله رده إن رشد هـ ا

٣ - وللولي أب أو غيره رد تصرف سفيه أو صبي مميز بمعاوضة بلا إذن عليه لبيع وشراء - وألا يكن بمعاوضة كهبة وصدقة وعتق تعين على الولي رده ص ١٣٢ ج ٢ ش ص .

٤ - فالمجنون بالصرع أو الوسواس محجور عليه إلى أن يفيق - والحجر لأبيه

(البقية على صفحة ٥٥)

مصادر الشريعة الإسلامية وثباتها

للدكتور مصطفى كمال وصفي

— ٢ —

ومصادر الشريعة الإسلامية فى الأصول السياسية والدستورية كثيرة فى الكتاب والسنة ، وليست قاصرة على العبارات العامة كالعدل والشورى ، وكذا فإن السنة غنية جدا بالأحاديث المتعلقة بالسياسة والإمامة والتى لا يتسع المجال لبعضها .

ويضاف إلى هذين المصدرين – بطبيعة الحال – مصادر القياس والإجماع والمصالح المرسلة وغيرها .

القرآن كمصدر للأصول السياسية والدستورية :

إن ما عمر به القرآن من ذكر الأمم وما كان من أمر ملوكها وعدلهم أو ظلمهم ورعيتها وصلاحهم أو فسادهم هو فى الواقع مما يستقى منه الفقه أصول الأحكام لأن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم ينسخ ، ولأن مفهوم الموعظة الربانية هو الأمر بانتهاج الصالح واجتناب الطالح .

ولقد أكثر القرآن من ترديد قصص موسى وفرعون وعاد وثمود مع أن قصصاً أخرى لم ترد إلا مرة واحدة كقصة يوسف أو قصة موسى والخضر ، أو قصة قارون أو غير ذلك ، فلو كان تكرار ما تكرر كثيراً من باب التسرية دون هدف آخر لكان الأولى تكرار هذه القصص العجيبة التى لم تذكر إلا مرة واحدة .

وإنما كثر ترديد تلك القصص لأنها نماذج للأخطاء البشرية كثيرة التكرار ولأنها تمثل صوراً عامة من أخطاء الشعوب وعظائها ، وليس قصصا فردية كيوسف والخضر وقارون ، فالمراعى فيها تكرر هو أنها عامة تتعلق بأصول دستورية وسياسية فى الغالب والله أعلم .

فإذا نظرنا إلى قصة فرعون لوجدنا أنها تحتوى على عناصر دستورية هامة . مثل ملك ظالم مستبد استخف قومه ،

ومساعد منافق كاذب يطيعه فى كل ما يريد وشعب ذليل خنع على مضض ، وعلماء سايروا الظلم فلما تبينوا الحق هرعوا إليه بشجاعة ، وثورة مصلحة تفلح فى تحدى الظلم وتحطيمه .

وهذه الأحداث كلها أحكام شرعية اتقيه بها فى أصولنا ، وما قصها الله علينا عبثا ولكن لذلك .

وقس على ذلك أنباء ملوك العدل مثل داود وسليمان وغيرهما وإذا نظرنا لكتب الشرع فإننا نجدها تستقى الأحكام من ذلك كله على وجه الاستفاضة .

ومن أمثلة ما ورد فى أخطاء الشعوب ركونها إلى الإثم ، جاء فى عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم فليس ذلك مطلق حديث ، ولكنه بيان لأنواع من الأخطاء وأنواع من الانحراف لا يقبلها النظام الإسلامى ولا يقرها .

وهناك كثير مما لا يحصى من الأحكام الشرعية فى العدل والظلم مما يدركه المتدبرون ويغفل عنه الغافلون ، والقرآن كله يفيض بذلك ولا يكاد يغادر صغيرة ولا كبيرة مما يجوز وما لا يجوز إلا ونص عليها وبينها . وبذلك تام صرح هذا النظام السياسى الكبير الذى حكمت به هذه الدولة الإسلامية قرونا طويلة فى سيادة عالمية على هذه المعايير الدقيقة التفصيلية فى العدل والسياسة الشرعية .

السنة كمصدر للأصول الإسلامية السياسية والدستورية :

أما السنة فهى عامرة ـ بطبيعة الحال ـ بالأحاديث السياسية التى تتضمن تصرفات النبى ﷺ . ومنها الأحاديث المتعلقة ببيعاته ﷺ وأهمها بيعة العقبة التى تعتبر ـ كما قدمنا ـ أساس إنشاء الدولة الإسلامية التى تضمنت عناصرها وأصولها ، وقد عرضنا لها تفصيلا فى مقال سابق وبينا تلك العناصر .

وكذلك مبايعة الصحابة رضوان الله عليهم ومبايعة الوفود كوفد عبد القيس والخصوصيات التى تضمنتها هذه المبايعات ، ومنها البرامج العامة التى صدرت عن النبى صلى الله عليه وسلم فى معاملة المسلمين وغيرهم ، ككتابه المطول لأهل المدينة من الأنصار واليهود عقب هجرته إليها ، وخطبة الوداع التى تعتبر وصيته ﷺ لأمته ، ومنها معاهداته وكتبه إلى الملوك ووفاداته ،

ومنها خططه السياسية في مواجهة العدو — كما في صلح الحديبية، والمنافقين واضطراره أحيانا إلى تأليف غير المؤمنين، ومنها مشورته للصحابة وطرق أخذ الرأى وتنظيم اجتماعهم وأخذ أصواتهم، وقد عرضنا من قبل لواقعة من ذلك بأخذ أصوات المسلمين عن طريق عرفائهم (ممثليهم) في واقعة التنازل عن غنائم هوازن، ومنها معاملة وزرائه من كبار صحابته وترتيب أسبقياتهم وتنظيم اختصاصاتهم وفض المشاحنات وخلافات الرأى بينهم، ومنها تفاصيل ودقائق معاملة الإمام لرعيته وما يجب من الحزم حينا ومن اللين أحيانا وفي ذلك ننبه إلى أن حشود الأحاديث التي تتعلق بمعاملة النبي ﷺ للصحابة هي مثل يقتدى به في معاملة الإمام للرعية، ولا يحسبن قارئها أنها من أحاديث التصوف والأخلاق بخاصة وإنما هي أحاديث بين إمام حاكم، ورعية يتولاهم، ففيها كلها أصول دستورية تحتذى في هذا المقام، ومنها أحاديث تتعلق بالتضامن الاجتماعي وتكافل المسلمين وبعضهم وتكوين الأمة (وهي جسم سياسي) وما يجب للمسلم على المسلم من حقوق تبعا لذلك من عصمة المال والدم والنفس ومن التساند والتكامل، وما يتعلق بالحرية والمساواة، وحقوق الملكية وقيودها وصفاتها، وهنا أيضا حشد كبير من الأحاديث المختلفة الأنواع والألوان، وكل ذلك وغيره مما يرسى أسس الأصول الدستورية والسياسية في الإسلام، ومنها الأحاديث المتعلقة بمعاملة العاملين وتعيينهم ومحاسبتهم والضرب على يد المسيء منهم، وشئون الإدارة المتعلقة بالإقطاع (منح الامتيازات الإدارية والمالية) وإدارة المرافق العامة المختلفة من صحة وتعليم وسقاية في الحج وإمارات مختلفة والأصول التي تستنبط في ذلك من مساهمة الفرد في تشييد هذه المرافق ومدى انتفاعه منها وما يتعلق بالأموال العامة هذا فضلا عن حشود الأحاديث المتعلقة بالقضاء وإدارته وتوزيع العدالة وإقامة الحدود وتوقيع العقاب على الجنايات، ومعاملة المرتدين والخوارج وغير ذلك مما لا يعد ولا يحصى من الكنوز الفقهية الإسلامية التي تنتظر الاستخراج والتحليل والتصنيف.

أفكل ذلك لا يقنع من قالوا بأنه ليس هناك أصول في السياسة والإمامة؟

ومن الغريب أني أجد هذه الفكرة

مستقرة تماما فى أذهان كثير من من أصحاب الصدارة والتقدم ممن نجلهم ولا يمنع إجلالنا لهم بطبيعة الحال أن نقول لهم إن هنالك حدودا الأحاديث فى السياسة والإمامة.

والسبب فى موقف أولئك هو إغلاق كتب السنة، كالبخارى ومسلم، واحتياجه إلى الفهارس العصرية التى تصنف تحت ألفاظ حديثة كاقتصاد واجتماع وسياسة وإدارة ونحو ذلك، الأمر الذى نقوم الآن به (ونرجو من الله تمامه). فإن مراجع الفقه الإسلامى، كما قدمنا، ليست مصنفة على أساس خطط البحث الجديدة؛ لأن الحساسيات الحديثة لم تنشأ عندنا ولم تثر مثا كلها فى مختلف الأزمنة لأن الدين الإسلامى يحل التناقضات ويمنع الصراع ولذلك لم توجد أبواب خاصة لمسائل الحرية والتوازن الدستورى ونحو ذلك مما هو مألوف فى الكتب الحديثة.

ويمر القارئون بالأحاديث التى ذكرنا طرفا منها غير مستفيدين منها ولا يفطنون إلى ما فيها من أصول فى تنظيم الأمة والسلطات التى تحكمها وعلاقة الشعب بحكامه.

وإن حديثا واحدا مثل قوله ﷺ «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» يعتبر عنوانا لأبواب دستورية واسعة يأخذه هؤلاء على محمل سياسى على الرغم من معرفته إياه. فهذا الحديث يرسى أصلا يعارض أصول النظرية الفردية التى تقوم عليها النظم (الليبرالية) ويقيم مع سائر ما أتى شارحا لهذا المبدأ الجامع أصول التضامن الاجتماعى وهذا الحديث عنوان لعديد من أحكام هذا التضامن، من الأحكام الواردة فى سد حاجة المحتاجين، من الضعفاء والمرضى واليتامى، وكفالة بيت المال لهم ونيابة الإمام عنهم ونظام الحسبة المقرر فى حماية مصالحهم وهذا النظام بدوره متشعب فى شئون الضبط الإدارى من مراقبة الغش ومنعه وإزالة المفاسد، وكيفية ذلك. كما أنه يرسى لنا أحكاما أساسية فى تمثيل المسلم للجماعة وتمثيل الجماعة للمسلم مما لا نظير له فى النظم الأخرى، فيتفرع عليه مثل قوله ﷺ (ذمة المسلمين واحدة ويسعى بها أدناهم) الأمر الذى تترتب عليه أحكام هامة ويتفرع منه صفة أى مسلم فى دعوى الحسبة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وانبراء المسلم لإقامة المصالح وحقه فى ذلك، وصفته فيه وتعويضه بسببه. وأحكام أخرى فى تمثيل المجتمع للمسلم وحمايته لمصالحه،

وأحكام فى فرض الكفاية والإثم العام المتخلف من تضييع المصالح . كل هذه المعانى وغيرها استنتجناها وأقمناها من مبدأ دستورى فى التماسك الاجتماعى وما يترتب عليه من التضامن الاجتماعى ومظاهره.

وحديث آخر مثل قوله ﷺ (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) يوضح تشكيل المجتمع على مستويات من المسئولية وهذا الحديث أيضا عنوان عريض لبحوث هامة ومتسعة تنضوى تحته فى تشكيل الجماعة الإسلامية وتنظيم السلطات والهيئات العامة والخاصة، والحقوق الفردية والمسئولية فيها، ويظاهر ذلك كثير من الأصول القرآنية والأحاديث فى شرح جوانب هذه الأبواب الواسعة التى يفهم بها الأساس الفنى لبنيان الجسم السياسى الإسلامى وقوانينه وقواعده.

وقد اخترت هذين الحديثين بالذات لاستفاضتهما وشهرتهما فلا يقولن أحد: لا أعرفه. كما اخترتهما لأن مغزاهما السياسى خفى على جمهور هؤلاء المفكرين إلى الآن.

وكل باب من الأبواب التى أشرنا إليها فى أبواب السلطة من إمامة ووزارة وإمارة وحقوق لله والعباد فيها أصول تفتح أوسع الأبواب للبحث.

ولكننا نشاهد الإعراض عن هذه الأصول، والركون إلى سهولة الاقتباس من الكتب الأجنبية والادعاء بأن ما فيها مطابق للدين ويمكن الإفادة فيه كإسلام متطور؟!

إنه لا يدفعنى إلى ذلك إلا شدة الحمية من هذا الخلط الذى تشهد بوادره فى إقحام هذه المبادىء الغريبة - المتنافرة فيما بينها - إلى الإسلام فتضيع بذلك ضوابطه وأصوله.

إنهم يجدون طريق استقصاء النصوص صعبا والالتجاء إلى طريق الاجتهاد من قياس واستحسان مجهداً ويحتاج لعلم ليس مدروسا، ولذلك يستسهلون اللجوء إلى مراجع الأجانب حتى يوشك أن يكون قولهم المسلم حجة على المسلمين وكأنه من فقهائهم.

ونحن ندعو إلى التجديد ونتمناه. ولكن بشرط أن يكون فى حدود المبدأ الإسلامى وفى إطاره حتى يظل الإسلام إسلاما ولا يظلم بما يدعى أنه من أصوله.

والله موفق للخير؟

مصطفى كمال وصفى

الجنس والصحة النفسية في نظر الإسلام

للأستاذ يوسف عبد الهادي الشال

يقصد بكلمة « الجنس » مفهومها المعاصر الذي يعني تلك « الطاقة الجنسية » في كيان الإنسان ، هذه الطاقة التي تمثل دافعاً فطرياً كـكل دافع استودعه الله كيان الإنسان ذكراً كان أو أنثى له وظيفته الحيوية التي تبدو في استمرار الجنس البشري على وجه الأرض إلى حيث الوقت المقدور في علم الله الذي خلق فسوى وقدر فهدى .

والظاهرة التي تصاحب هـذا الدافع الفطري يحسها كل إنسان وهي الرغبـة في طلب الإشباع .

والرغبة في طلب الإشباع أمر مشترك بين الدوافع الفطرية جميعها لدى الإنسان .

فدافع « التملك » في كيان الإنسان يتحرك في أعماقه ويتطلب الإشباع ودافع حفظ الحياة يعمل في نفس الإنسان ويبحث عن الإشباع ، وهـكذا كل دافع في عالم النفس ، ذلك العالم الذي لا يعلـم أبعاده إلا خالقه جل وعلا .

ولا يعني وجود الدافع - أي دافع - في كيان الإنسان أن ينطلق هـذا الدافع طالبا للإشباع دون ضابط وإلا لانقلبت الحياة إلى مسبعة متهارشة لا لغة للتعامل فيها إلا لغـة المخلب والناب ، وهذا ما لا تستقيم معه حياة الإنسان .

فلا بد إذن من القيود والضوابط التي تمثل مسار الإنسان على طريق الحياة .

وإذا كانت هناك ضوابط للسلوك البشري التي يعتبر مظهر الدوافع الفطرية وواجهتها المعبرة فلامناص من احترام تلك الضوابط والخضوع لها في حدود معالم .

ومن البدهيات أن الإنسان مدني بطبعه وقد اقتضى وضعه هذا أن يرضخ لمنطق « العقد الاجتماعي » فتنازل بذلك عن جزء من حريته التي تعتبر دافعا فطريا في كيانه ،

وكان ذلك التنازل لتلافى الصدام بين الحريات . وخضوعا لما تقتضيه طبيعة النظام ، وأصبح يعاب ويؤاخذ من يطلق لنفسه العنان ويترك حريته إلى أقصى مداها .

وكما أن دافع التملك ودافع حفظ الحياة وغيرهما من الدوافع الفطرية يخضع للإشباع المنظم ، فلا مفر من التسليم بوجوب خضوع الدافع الجنسى للإشباع المنظم أيضاً .

وتفسير هذا أنه لابد من قيود وضوابط لهذا الدافع كما أن لغيره من الدوافع الفطرية قيوداً وضوابط .

ولدى النظرة إلى « الدافع الجنسى » يخطىء كثير من الناظرين هذه الزاوية التى ينبغى أن تكون مدخل المناقشة فى هذا الدافع .

ومبعث الخطأ ملابسات تحيط بهذا الدافع عند كل من الذكر والأنثى فأدى النظر إلى تلك الملابسات دون غيرها إلى خطأ الرؤية الصادقة فى هذا الموضوع .

والملابسات التى تحيط بهذا الدافع تتركز عند التطلع القوى إلى الإشباع .

والتطلع القوى إلى الأشباع لم يجعله الله عبثا فى كيان الإنسان ، وإنما كان على هذا النحو لتحقيق التعادل والتوازن فى الحياة الجادة الهادفة .

بيان ذلك أن الإنسان ذكرا كان أو أنثى يعانى كثيرا حيال ثمرات اللقاء الجنسى الماثل فى الأبناء ، قياما وتربية وإنفاقا من جانب الذكر ، وحملا ووضعا ورعاية من جانب الأنثى ، وهذه المعاناة لا يستطيع إنسان مهما بلغ مستواه من المكابرة أن ينكرها .

فلو كان الدافع الجنسى لدى الإنسان أقل مما خلقه الله عليه لاستطاعت المعاناة فى سبيل الأبناء أن تغلبه حتى يتلاشى ويصير الجنس البشرى إلى الانقراض .

وتحقيق التعادل والتوازن تقتضى طبيعته أن يكون الدافع الجنسى فى كيان الإنسان على النحو الذى نجده وتحسه استمراراً لوجود الجنس البشرى .

فالنظرة إلى ملابسات الدافع وتسليط الأضواء عليها وإغفال الزاوية الأصيلة للنظر وإهمالها أدى إلى الخطأ فى التصور وبالتالى إلى الخطأ فى التقويم ثم الحكم .

والدوافع جميعها فى كيان الإنسان

تتحرك بين قوتين : قوة « الدفع » وقوة « الضبط » لا فرق بين دافع وآخر ، وإذا كان الدافع الجنسي يظل من بين الدوافع أكثر إلحاحا فرد ذلك إلى حقيقة ينبغى التنبه إليها .

تلك هي أن الدوافع الفطرية جميعها تولد مع الإنسان ، ويقظة غير الدافع الجنسي يأخذ في النمو سريعا وفي مرحلة سابقة كثيرا على مرحلة بروز الدافع الجنسي الذي يتكامل مع فترة البلوغ عند البشر فيبرز وكأنه أطل فجأة . ويعانى الفتى والفتاة في هذه المرحلة ليس من الدافع الجنسي وحده وإنما من جملة دوافع متشابكة أهمها دافع « تحقيق الشخصية » فيحتاج كل من الشاب والشابة إلى عناية خاصة بالتوجيه السليم في هذه المرحلة .

وهنا يشكل وجه الأمر على كثير من المشتغلين بالدراسات النفسية وعلى كثير من العادين الثقافة أيضا فيحسبون ـ وهم فيما يحسبون جد مخطئين ـ أن إتاحة الفرصة للدافع الجنسي وتلبية تطلعه بأى وسيلة هو العلاج ، ولا علاج سواه لمعاناة الشباب ويتشبثون بما يرون أنه ذلك هو الترياق الشافي من كل عقد ، ويمعنون في الغى حين يزعمون أن كل جريمة ثمرة طبيعية لدافع الجنس المكبوت !!

ولو كان الأمر كما يزعمون لاختفت الجريمة واختفى الانحراف من الدول التي أطلقت للدافع الجنسي عنانه ، فانطلق جامحا لا يلوى على شيء ، بل وأنشأت تلك الدول دورا ترعى ثمرات انطلاق هذا الدافع من الأبناء غير الشرعيين ولا لوم ولا تثريب ، بل حفاوة وابتهاج ، أعقبه أنين حزين من بعض المعنيين بشئون الاجتماع وتلك الدول ، شفقا على المستقبل المطل بالخطر على هذه البلاد .

وزاد ذلك الجموح وطغى حتى أضحى الشذوذ الجنسي بين الرجال محاطا بسياج القانون حارسا هذا الشذوذ في بلاد مثل انجلترا .

ونحن في مجتمعنا الإسلامي استقبلنا معارك الغزو الفكرى كل رأى ناقص وقصير النظر ومحدود الرؤية لتفسير النفس الإنسانية بدافع واحد من بين الدوافع التي تتحرك في داخلنا .

وكل تفسير لدوافع النفس البشرية يأخذ بعضها ويدع بعضاً . أو يركزها في واحد منها ثم يغفل هذا وذاك ، ويغفل

حساب القوة الضابطة فى كيان الإنسان فإنه بذلك يبتعد عن الجادة ، ومن ثم لا يستطيع الوصول إلى النتيجة الصحيحة والكاملة المرضية من العلم .

ومن هنا كان خطأ أولئك ومن شايعهم وحطب فى ليلهم .

والأمر فى حقيقته ، دوافع طبيعية تتحرك بها النفس البشرية ، وضوابط أيضا وهى طبيعية تولد مع الإنسان كامنة كمون الدوافع .

وكما تحتاج الدوافع إلى تهذيب تحتاج الضوابط أيضا إلى حظها منه ، وتلك مهمة التربية والتوجيه والتثقيف والتعليم على اختلاف مستويات كل ، وهى عملية ضرورية فى حياة الإنسان وتماسك المجتمع وترد حصيلة ذلك لكليهما سعادة ورخاء

والتجربة التى يجب أن نفيد منها فى مجتمعاتنا المسلمة هى واقع المجتمعات التى وفدت منها الدراسات النفسية التى فتنتا بها وغيبتنا حاها عن قيمنا ومثلنا وعوامل تماسكنا .

فقد ربى هؤلاء فى مجتمعاتهم أجيالا أطلقوا لهم حرية اللقاء الجنسى زعما منهم أن هذا الانطلاق هو الحل الحقيقى لمشكلة الجنس وكل المشكلات المؤرقة بالمعاناة ، وانتظر الناس أن تحدث المعجزة المأمولة فتشبع الدوافع العاوية ، ويهبط مؤشر الجريمة وتستقر شئون الحياة .

ولكن شيئا من ذلك لم يحدث ...

فالدوافع الجنسية انقلبت بفعل الإباحة المطلقة إلى سعار مجنون ، ولو أن إباحة العمل الجنسى وتسهيل الحصول عليه يؤدى إلى تهذيب الغريزة مارأينا ولا سمعنا عن تلك المظاهر فى مجتمعات أولئك الراصين . تلك المظاهر التى لا تكون إلا مع الحرمان القاسى ، والجوع الجنسى المستبد .

ولو أن إباحة اللقاء الجنسى وتسهيل الحصول عليه يؤدى إلى محاربة الجريمة أو هبوط خطها البيانى مارأينا ولا سمعنا عن تلك الجرائم المختلفة الشكول والألوان ، والتى يضطرد خطها البيانى فى زيادة مقلقة للمهتمين بشئون الإصلاح .

فالحيوانية الجامحة لم تشبع من الانطلاق ولم يزدها الانطلاق إلا تفننا فى الانحراف يضاف إلى ذلك مايؤرق الناظرين فى شئون الصحة من شيوع ألوان من الأمراض عديدة أخطرها السيلان والزهرى .

وإذا كان الأمر كذلك فلابد من الربط بين الدوافع والضوابط ، وتعلوة كل منهما إلى المستوى الذى تؤمن معه الغبة حتى يسلم الفرد من مخاطر التوجيه الناقص ، والدراسة المبتسرة ، وبذلك نوقى المجتمع ونحصنه ونؤمنه من البوائق فى حاضره ومستقبله .

والسبيل القاصد إلى ذلك - ولا سبيل سواه - إيقاظ الضمير فى قلب الفـــرد وتوثيق العلاقة بين الضمير والعقيدة ، ووثاقة العلاقة بين الضمير والعقيدة ينتهى حتما إلى احترام التشريع وتطبيقه فى حفاوة وجذل ، دليل عملى ومنهج سلوك ، وذلك هو المناخ الطبيعى للصحة النفسية .

وتشريع الإسلام قائم على القاعـدة الراسخة ، قاعـدة الإيمان بالله وحسبها موقظا للضمير أو ما يسمى فى علم النفس بـ « الأنا الأعلى » الذى يعترفون بأنه صمام الأمان للسلوك البشرى .

والدافع الجنسى فى نظر الإسلام يتخذ وضعه اللائق به ، فلا هو مرذول مستقبح ولا هـو بالدافع الهابط وإنما هو وسيلة استمرار الجنس البشرى على مسار الحياة ومن ثم نظم الإسلام وسيلة تلبيته بالطريق المشروع وهى الارتباط بين الذكر والأنثى على عقد الزواج (ميثاقا غليظا) إشعارا بما لهذا العقد من خطر وما يقوم عليه من مسئوليات الأمانة بـين الزوجين ، ومسئولية ثمرات هذا العقد وهم تلك الأكباد التى تمشى على الأرض وتتهيأ لحمل تبعات المستقبل .

ولا يقال إن فترة ما قبل الزواج ، إطلال الدافع الجنسى دون إشباع يؤدى إلى الكبت لأن الـكبت بمفهومه العلمى لا وجود له فى المجتمع المسلم ، ولا أثر له فى نظام التربية الإسلامية .

وإذا قلنا المجتمع المسلم والتربية الإسلامية فإنما نعنى معهما الاستجابة الصحيحة لتعاليم الإسلام ، وتطبيق منهجه حتى لا يقع لبس فى تناول واقع المسلمين ومحاولة البرهنة به على أسلوب المغالطة ، إذ هذا الواقع ليس حجة على الإسلام .

والـكبت فى مفهومه العلمى دافع أو جملة دوافع لم تجـد متنفساً فترتد إلى أعماق (اللاشعور) مكونة العقد حتى تـكون الفرصة وتتهيأ ظروف الاستدعاء فتأخذ فى التعبير عن نفسها حسب معطيات الذات التى وقع الـكبت فى أعماقها .

وإذا ولينا وجوهنا شطر الإسلام ومنهجه التربوى وجدنا الدافع الجنسى وكل دافع فى كيان الإنسان متنفسا مرغوبا فيه وهادئا بل سائغا للنفس البشرية وحبيبا إليها أيضا .

ففى عقيدة المسلم وشريعة الإسلام متنفس رحيب حيث كلتاهما معا تتناول دوافع الإنسان وتوجهها الوجهة المرضية ؛ إذ تربط العقيدة فكر المسلم وقلبه بمصدر الوجود ربطا وثيقا قائما على الإقناع والاقتناع . ثم تجىء الشريعة أسلوب السلوك البشرى فى تعانق مع العقيدة ... ومقتضى ذلك منطقيا أن يحرك الإنسان المسلم باختياره دوافعه فى الإطار الإسلامى المرسوم طلبا لمرضاة الله فى الدنيا وحسن المثوبة فى الأخرى .

فطلب مرضاة الله من الفرد المسلم فى الدنيا وانتظار الثواب فى الآخرة كلاهما متنفس يمتص مخاطر الدافع الجنسى فلا يرتد إلى أعماق النفس مكبوتا أو معاركا فى تكوين عقدة .

ثم تأتى بعد ذلك مرحلة الإشباع المشروع على النحو الذى سنه الإسلام بالزواج فتساعد هذه المرحلة المنتظرة لكل فتى وفتاة على عدم جموح الدافع الجنسى . والانتظار هذه المرحلة (يعاق) الدافع ، وتعليق الدافع إلى وقت تحقيق الممارسة المشروعة لا يسمى كبتا ولا ينتهى إلى كبت مادام إشباع الدافع فى الانتظار على الزواج الرابطة المشروعة فى الإسلام .

وليس الإيمان بالله وانتظار الثواب الأخروى وتعليق الدافع الجنسى هو سبيل الإسلام إلى تهيئة المناخ الصحى لهذا الدافع وإنما إلى جانب ذلك ركز الإسلام على تنقية مجتمعه من المثيرات التى تعمل على إقلاق هذا الدافع فى كيان الإنسان وتزيد من نشاطه وثوراته وعنفه وإلحاحه ، فكانت آداب السلوك فى النظر إلى مصدر الإثارة ، وإيجاب التصون الظاهرى بالإضافة إلى الدعوة للعفة وتنشئة براعم المجتمع عليها . وبأسلوب الإسلام المتكامل يقيم مجتمعا نظيفا ، لا تهاج فيه الشهوات ولا تستثار إذ عمليات الإهاجة والإثارة تنتهى حتما إلى سعار شهوانى لا يرتوى .

ولقد شاع ، ولا يزال يشيع أن إطلاق الدافع الجنسى تنفيس وترويح وتخفيف من حدة ضغوطه ووقاية من الكبت والعقد . شاع كل ذلك ولا يزال يشيع

بانتشار بعض النظريات القائمة على تجريد الإنسان من خصائصه الإنسانية وعزله عن الارتباط بمصدر الوجود سبحانه وتعالى ولكن كل ذلك لم يكن سوى فروض نظرية استبان ما يكذبها وينقضها من واقع أحد البلاد إباحية وتفلتا من جميع الضوابط الأخلاقية والدينية والإنسانية.

وظهر أيضا أن الإسلام يضع الدافع الجنسي في موضعه الطبيعي من حياة الإنسان ويحوطه بضمانات لا تورث كبتا ولا تتمخض عن عقد.

وأجهزة الإعلام عندنا حينما تعرض على الشاشة أو المسرح أو في المجلات والصحف صوراً أو تمثيليات أو كلمات « عارية » فإنها بذلك تسهم بطريق مباشر في إشاعة الانحلال وإتاحة الفرص لثوران الدافع الجنسي وهياجه، وتكون بالتالي عاملا سلبيا يهدم ما تبنيه التربية ويقيمه التوجيه وهذا مالا يمكن معه إقامة مجتمع نظيف.

وإذا قام من ينادي بإباحة الممارسة الجنسية فهو هازل أو مريض، وكلاهما الهزل والمرض خطر يجب توقية المجتمع منه.

فمجتمعنا مجتمع مسلم وموضعه ريادة العالم الإسلامي الأمر الذي يبهظ مسئوليته وتبعته أمام الله والتاريخ.

وليست في المجتمع المسلم أسباب موضوعية للانحلال المتفشي في الغرب والشرق.

والتحليل الصحيح للانحلال هناك هو تلك العداوة التي قامت بين الدين والعلم والتي انتهت بفصل الدين عن الحياة، وتاريخ الإصلاح الديني في الغرب والثورة في الشرق يشهد بما كان من ضغوط الكنيسة على الأفكار والأجساد ومطاردتها في اليقظة والمنام بالإتاوات الثقيلة والخضوع المذل إلى جانب أسباب مساعدة تمخضت عنها الحربان العالميتان الأولى والثانية مما لا يتسع المجال للخوض فيه، بيد أن الأسباب كلها تلتقي عند فقدان تلك الشعوب في دينها وسادتها ما يمتص شحنات النفس من ألم وأسى ويتناول دوافع النفس ومن بينها دافع الجنس في هدوء ورحمة إلى حيث الوجهة الصحيحة والطريق المأمون.

ولكن الإسلام على النقيض من تلك النظم جميعها، فلم تكن لديه في يوم من الأيام كنيسة تطارد الناس في اليقظة والمنام، ولم تكن لديه أفكار ترفض التطور السليم في شئون الكون والحياة.

ولم تقم فى تاريخه المريض عداوة بين العلم والدين ، بل كان الإسلام فى نكباتنا المتعددة هو المناخ الصالح الذى نجد فيه المتنفس لشحنات آلامنا ، يمتصها فى رفق ورحمة ويحول أنفسنا تحويلا هادئا إلى حيث لا يبقى للآلام والمآسى آثار ولا ردود فعل ونستعيد فى رحابه قوانا ونجد عنده أنفسنا تتهيأ من جديد بشحنات الآمال العريضة والدفع القوى إلى تحقيق الأهداف.

وقد عشنا نحن أبناء هذا الجيل تجربة عانيناها · وكان فضل إسلامنا علينا عظيما إذ امتص من أنفسنا الأسى الممض والألم الممزق، ولولا بقية للإسلام فى نفوسنا التغير وجه الأمر. وما كنا ندرى ما الله فاعل بنا.

وعلينا وفاء بحق الله علينا أن نكون عندما رسم لنا الإسلام . فلا يجدنا إلا عند أمره بعيدين عن كل ما نهى عنه.

وعلى الدولة بجميع أجهزتها وفى مقدمتها جهاز الإعلام أخطر هذه الأجهزة وأفعلها أن تنقى كل مادة إعلامية فى جميع وسائل الإعلام مما لا يرضاه الإسلام ، فلا يقدم العرى الفاضح والمجون المخزى والسخرية بالقيم . وأن يكون لنا فى التربية منهج واضح على الطريق الصحيح للإسلام . أفكاراً ومشاعر وأخلاقا بحيث لا يكون هناك تناقض بين وضعنا الريادى فى العالم الإسلامى وواقعنا الذى نعيشه ونحياه .

ألا هل بلغ الأزهر ؟ اللهم فاشهد ؟

يوسف عبد الهادى الشال

(بقية المنشور على صفحة ٤٢)

أو وصيه إن كان وجن قبل بلوغه وإلا فالحاكم إن وجد منتظما وإلا لجماعة المسلمين ص ١٢٢ ج ٢ ش . ص - والصبى محجور عليه لبلوغه رشيداً ص ١٣٢

٥ — ويمكن أن يتمتع الشخص بحق الملكية دون حق التصرف فيها أو حق مباشرتها كالصغير والمجنون فيملكان بواسطة الوصى أو القيم .

٦ — وأسباب عدم الأهلية :

(١) السفه (٢) الجنون (٣) الرق (٤) الصغر (٥) الفلس . الخ .

ويمكننا جازمين أن نقول إن التشريع الفرنسى قد أخذ قطعا من التشريع الإسلامى لا من القانون الرومانى ولا من غيره والله خير الشاهدين ؟

سيد عبد الله حسين

جنوب السودان الوثنى
بين الإسلام والمسيحية

للأستاذ عبد الستار البدرى

— ٢ —

تناولت فى مقال سابق[1] السياسة الاستعمارية فى جنوب السودان واحتكار التبشير المسيحى لهذا الجزء من السودان والإمكانيات البشرية والمادية والمعنوية التى استخدمها التبشير فى الجنوب وما ترتب على سياسة الجنوب من اعتبار الجنوب منطقة نفوذ دينى للتبشير المسيحى، والنتائج التى حققها بعد نصف قرن من الزمان، وذلك حين خفت حدة هذه القيود التى فرضها الاستعمار والتى هدفت إلى عرقلة أى جهود للشماليين فى الجنوب، ووقف تيار المد الحضارى القادم من الشمال، اعتبرت الهيئات التبشيرية أية محاولة للتخفيف من هذه القيود تحديا للمسيحية من ناحية، كما زعمت أنه عودة من جانب الشماليين لاسترقاق الجنوبيين وفتح المجالات لتجارة الرقيق فى الجنوب من ناحية أخرى، وفى هذه المجالة سيقتصر الحديث على الجانب الأول أما ما يتعلق بالرق وحقيقته ودور الرجل الأبيض وبعض المبشرين فيه فذلك موضوع آخر لا يتسع المجال لعرضه الآن.

ففى ديسمبر عام ١٩٤٦ قررت حكومة السودان على لسان السكرتير الإدارى البريطانى السياسة التالية:

(العمل على أساس أن واقع سكان جنوب السودان واقع أفريقى زنجى، وأن اعتبارات جغرافية واقتصادية تربط هؤلاء السكان بالشمال ذى الطابع الإسلامى العربى، وأنه يجب العمل لتأهيل الجنوبيين للقيام بواجبهم كأنداد للشماليين فى المضمارين الاجتماعى والاقتصادى).

وتنفيذا لهذه السياسة دعا السكرتير الإدارى إلى مؤتمر فى جوبا بجنوب السودان عقد فى يونيو عام ١٩٤٧ وضم هذا المؤتمر زعماء من الشمال والجنوب وعددا من رجال الإدارة، وبحث المؤتمر،

[١] ص ١٢٨ من المجلد ٤١٠.

مستقبل جنوب السودان واستبعد إمكانية انضمام جنوب السودان ليوغندة ، وأكد استحالة استقلاله ، وأيد جميع الزعماء الجنوبيين — عدا اثنين — وحدة الشمال والجنوب ، كما أسفر المؤتمر عن الموافقة على تخفيف القيود التى فرضتها السلطات حينئذ على حرية انتقال الشماليين إلى الجنوب والجنوبيين إلى الشمال ، كما سمح لبعض كبار الموظفين من أبناء الشمال بالعمل فى الجنوب ، وتعليم اللغة العربية ونبذ التفرقة الدينية ، والاعتراف بحق أصحاب العقائد المختلفة فى الدعوة إليها . وأقر المؤتمر توصية بتوحيد العطلات الرسمية فى البلاد وكان يوم الجمعة هو يوم العطلة الأسبوعية فى الشمال والأحد يوم العطلة الأسبوعية فى الجنوب ، فأصبح يوم الجمعة هو يوم العطلة الوحدة ، ولم تطبق هذه التوصية إلا بعد قيام الحكم الوطنى هناك.

ورغم إعلان السكرتير الإدارى للسودان لسياسته الجديدة والسابق الإشارة إليها، فإن ثمة ملاحظات يجب وضعها فى الاعتبار إذا ما رأينا تحليل هذا البيان ، ويمكن إيجاز هذه الملاحظات فيما يلى :

١ — حرص السكرتير الإدارى فى بيانه على تأكيد اختلاف واقع جنوب السودان عن شماله إذ الأول إفريقى زنجى والثانى إسلامى عربى .

٢ — حرص على قصر الرابطة بين الشمال والجنوب على اعتبارات جغرافية واقتصادية فقط دون الاعتبارات التاريخية والثقافية والاجتماعية التى يمكن تنميتها .

٣ — الحرص على عدم التعرض للجانب الثقافى والحضارى حتى إن المؤتمر لم يتخذ أى قرار أو توصية تهدف إلى المساس بالامتيازات الممنوحة للبعثات المسيحية والهيئات التبشيرية فى جنوب السودان سواء فى مجال احتكار التعليم أو الخدمات الصحية والاجتماعية أو غيرها .

ولم تكن هذه الخطوة السياسية عشوائية أو نتيجة لرغبة صادقة من السلطات الاستعمارية فى المحافظة على وحدة السودان ولكنها كانت نتيجة لتطورات طبيعية وضغوط تعرضت لها بريطانيا من أهمها :

١ — استحالة العمل على فصل جنوب السودان أو إعلان استقلاله بسبب وضعه الجغرافى كما أن شمال السودان هو المنفذ

الاقتصادى اللازم لمنتجات الجنوب فضلا عن صعوبة ضمه ليوغندا حينئذ .

٢ — إن احتكار الهيئات التبشيرية للجنوب والإمكانيات البشرية والمادية والزمانية والمعنوية لم تأت بالنتائج التى كانت تتوقعها السلطات الاستعمارية وأنه من غير المستطاع الاستمرار فى تنفيذ هذه السياسة إلى ما شاء الله .

٣ — اطراد الحركة الوطنية ونموها ومعارضة مصر للسياسة البريطانية وخاصة فى جنوب السودان .

٤ — اطراد الوعى الدينى والحملة على التعصب الدينى والعنصرى الذى تغذيه السياسة البريطانية فلم تكن هذه الخطوة سوى تهدئة للخواطر الدينية والوطنية معاً فى شمال السودان .

وعلى الرغم من أن هذه السياسة الجديدة قد احتفظت للبعثات المسيحية والهيئات التبشيرية بكامل امتيازاتها البشرية والمادية والمعنوية فإن هذه الهيئات شنت حملة عنيفة على هذه السياسة الجديدة على أساس :

(ا) إنها تعتبر تخليا عن المسئولية الحضارية المدعاة للرجل الأبيض ورجال الدين المسيحى فى تطوير جنوب السودان

(ب) أنها تعتبر تحديا للمسيحية واتجاها لعرقلة جهود الهيئات التبشيرية فى أداء رسالتها وأن فى ذلك فتحا للجنوب على مصراعيه لدخول الدين الإسلامى .

(ج) الزعم بأن هذه السياسة تمهد السبيل لعودة تجارة الرقيق وتسلط الشمال العربى المسلم على الجنوب الزنجى المسيحى .

(د) أنها تتجاهل الاختلافات العنصرية والثقافية والاجتماعية والحضارية بين الشمال والجنوب .

ولقد بلغ الأمر حد اتهام أحد رجال الدين المسيحى للسكرتير الإدارى للسودان بأن قراره كان مخالفا لضميره .

ولذلك فقد سعى كثير من المبشرين لبث روح العنصرية والكراهية بين الشماليين والجنوبيين واستغلوا سذاجة الجنوبيين وبساطتهم لإثارة النعرات والعصبيات العنصرية بينهم وبين الشماليين مما أدى إلى وقوع فتن واضطرابات فى الجنوب عام ١٩٥٥ ثم أخمدت وفر زعماء التمرد إلى الدول المجاورة وهكل الأب سترانيو أول أبناء الكنيسة من

الجنوبيين حركة دينية خارج السودان أطلق عليها اتحاد السودان المسيحى فى شرق افريقيا ولم يلبث أن تحول هذا الاتحاد بالتعاون مع وليم دينج إلى حزب سياسى أطلق عليه حزب سانو .

وعقب استقلال السودان عام ١٩٥٦ ، رأت الحكومة السودانية أن تقوم بمسئولياتها قبل الجنوب فاصدرت عام ١٩٥٧ قانونا يقضى بتوحيد برامج التعليم والإشراف عليه فى الشمال والجنوب وترتب على هذا القانون الاستيلاء على المدارس ووقف المعونات المالية التى كانت تصرف على الهيئات التبشيرية من الخزانة العامة لصرف منها على المدارس والمستشفيات والخدمات الاجتماعية والتى بلغت ٩٨ ٪ من مجموع نفقات الهيئات التبشرية فى هذه المجالات ، كما قامت الحكومة ببناء بعض المستشفيات وإدارتها والإشراف عليها ، فاعتبرت الهيئات التبشرية هذه الخطوة من جانب الحكومة تحديا للتبشير وعرقلة لجهوده ودعوة تعصبية لإحلال الإسلام محل المسيحية فزاد نشاط بعض المبشرين السياسى وعملوا على تشجيع المتمردين وتهريبهم فى سياراتهم خارج الحدود وتحريض المواطنين على الهجرة بما كانوا يشيعونه من أخبار مختلفة من توقع حدوث مذابح ضد الجنوبيين فضلا عن دعوة طلبة لمدارس للإضراب والعمل كحلقة وصل بين المتمردين والفارين إلى الدول المجاورة والمتمردين المختفين فى الغابات والأدغال وتهريب المطلوب القبض عليهم .

وإزاء ازدياد نشاط بعض المبشرين وتحديدا لمجال عملهم ، أصدرت حكومة السودان قانونا عام ١٩٦٢ لتنظيم عملية التبشير بالأديان وقد تضمن القانون مايلى :

١ — الاعتراف القانونى بالهيئات التبشيرية وأهمية النهوض بسكان الجنوب دينيا وروحيا .

٢ — حرية العقيدة والعبادة دون تمييز بين الأديان ، والمساواة بين مختلف الأديان السماوية ودعاتها .

٣ — قصر مهمة الهيئات التبشيرية على التبشير والدعوة للأديان فقط على أن تتولى الحكومة مسئولياتها فى تقديم الخدمات التعليمية والصحية والاجتماعية وتأكيد التزام الحكومة بهذه المسئوليات .

٤ — عدم السماح المبشرين بممارسة الأعمال التجارية سواء بالمقايضة أو النقد

وقصر أعمالهم على أداء الرسالة الدينية والقيام بمهمتهم التبشيرية .

وقد سارعت الهيئات التبشيرية باستنكار هذا القانون ومعارضته واعتبرته عدوانا على حقوقها ومحاربة لدعوتها التبشيرية وانتقاصا لما تتمتع به من إمكانيات وامتيازات وحربا ضد المسيحية وانتصاراً للإسلام عليها ليحل محلها وزاد نشاط المبشرين فى إثارة المواطنين الجنوبيين وتحريضهم على الحرب واللحاق بالأب ساتورنينو خارج السودان والذى ظل يمارس نشاطه ضد السودان حتى قتل فى يناير عام ١٩٦٨ أثناء اشتباك بين عدد من المتمردين وقوات الجيش السودانى قرب الحدود اليوغندية السودانية .

ونظراً لتزايد نشاط المبشرين فى هذا المجال اتجهت الحكومة السودانية إلى اتخاذ الإجراءات القانونية ضد كل من حاول استغلال رسالته فى الشئون الداخلية للسودان فأبعدت عن جنوب السودان حوالى أربعين مبشراً من عدد المبشرين الذى تجاوز الثمانمائة مبشر وأوضحت الوثائق التى نشرتها الحكومة السودانية حينئذ أسباب الإبعاد والتى يمكن تلخيصها فيما يلى :

١ — النشاط السياسى وتحريض الجنوبيين على الانفصال والإشادة بفترة الحكم الاستعمارى وعقد مقارنات بين السودان فى ظل الاستقلال والسودان فى ظل الاحتلال ومعارضة قرارات الحكومة وخاصة ما يتعلق بتوليها لمسئولياتها قبل الجنوب بالإشراف على التعليم والخدمات الصحية والاجتماعية .

٢ — الاتجار بدون ترخيص وفى مواد سامة وممنوعة قانونية وبدون تصريح بذلك

٣ — الدعوة للتفرقة العنصرية والحط من قدر الرجل الأسود والمساس بكرامته .

٤ — صدور أحكام قضائية ضد بعضهم لتصرفات سيئة .

٥ — إبعاد الذين يزيدون عن حاجة الكنائس ممن كانت مهمتهم تعليمية وآلت مدارسهم للدولة ولم يعد هناك مبرر لاستمرارهم .

وقد شنت الصحف الكنسية وبعض الصحف المتعصبة حملة عنيفة ضد قانون تنظيم الإجراءات التى اتخذتها حكومة

السودان لوضع حد لتدخل بعض المبشرين فى الشئون الداخلية للسودان فاعتبرتها حربا ضد المسيحية وإحلالا للإسلام محلها وتقييدا للنشاط التبشيرى المسيحى بل ذهب البعض إلى ما هو أبعد من ذلك بالإساءة إلى الدين الإسلامى الحنيف ذاته ، فكتبت صحيفة (فيرونا فاذرز ميشن) Verona Fathers Mission التى تصدر فى لندن مقالا فى شهر يونية سنة ١٩٦٣ زعمت فيه أن الديانة الإسلامية ليست مجرد عبادة وثقافة ، بل هى نوع من الحكم اعتمد دائما وأبدا على النظرة العدائية للذين لا يؤمنون بها .

وكتبت (التمبو) الإيطالية أن أنباء طرد المبشرين من جنوب السودان أزعجت السلطات الدينية وادعت أن الحكومة السودانية فرضت رقابة صارمة على المبشرين لمحو المسيحية وفرض الإسلام ، وزعمت أنها أجبرت الطلبة الذين يدرسون فى المدارس المسيحية على تركها والالتحاق بالمدارس الإسلامية .

وادعت إحدى الصحف أن القانون قصد به إضفاء الصفة القانونية على الإجراءات التى تتخذها الحكومة فى محاربتها للمسيحية وهاجمت معظم الصحف الدينية فكرة توحيد العطلة الرسمية عند تطبيقها فى الشمال والجنوب وجعلها يوم الجمعة من كل أسبوع

وإذا كانت مثل هذه المقالات تعتبر تعبيرا سلبيا عن رأى محرريه بعض الصحف فإن تقرير لجنة تقصى الحقائق التى شكلتها الجمعية التأسيسية السودانية عام ١٩٦٦ يحمل موقفا بعيداً كل البعد عن أية رسالة دينية أو دعوة سلمية إذ ذكر التقرير أن أحد القساوسة سخر تلاميذه ليجمعوا بذور أعشاب النيل فيأخذها ويبذرها على مجارى المياه الداخلة إلى السودان وأن عشرات الأميال من مجارى الأنهار قد سدت بأعشاب النيل وتعطلت حركة مرور البواخر فى تلك المناطق مما سبب ضائقة فى المواد الضرورية وارتفاعاً فى الأسعار .

وتضمن التقرير ذاته أن هناك هيئات استعمارية ودينية متعصبة حاولت أن تجعل من إجراءات الحكومة السودانية المشروعة وحلها فى المحافظة على سيادتها ووحدة أراضيها مشكلة تحول إسلامى عربى .

ورب سائل يتساءل على ضوء هذا العرض لمراحل العلاقات بين السلطات

السودانية والهيئات التبشيرية مما إذا كان الخلاف بينهما ضرورة حتمية .

فالواقع أنه لم يكن ثمة مبرر لهذه الخلافات ولا للهجوم الذي حمل لواءه نفر من المبشرين ولا للحملة الدعائية المغرضة التي شنتها بعض الصحف الدينية والمتعصبة ضد السودان ، إلا أن فشل هذه الهيئات في أداء رسالتها قد جعل بعض المبشرين يحولونها لمعركة سياسية يخفون وراءها قصورهم — بعد أكثر من نصف قرن من الزمان في احتكار التبشير في الجنوب — عن تثبيت دعوتهم المسيحية هناك .

كما أنه من الواضح أن حكومة السودان لا تزال حتى اليوم تعطي لهم ولغيرهم حرية للتبشير في الجنوب دون تمييز أو تفرقة وهم لا يزالون يقومون بنشاطهم التبشيري .

وعلى ضوء الاعتبارات السابقة فإن الحملة التي شنها بعض المبشرين وعدد من الصحف المتعصبة تحمل في طياتها خلاصة لمعان ثلاثة جديرة بالتسجيل هي :

١ — إن الهيئات التبشيرية تحرص على الاحتفاظ بحق الاحتكار الكامل للجنوب ولا تسمح بالدعوة لأي دين آخر بصرف النظر عما في ذلك من مساس بمبدأ سيادة الدولة على أراضيها ومسئوليتها في المحافظة على وحدة ترابها ، وبصرف النظر كذلك عن حرية الاعتقاد وحرية الدعوة الدينية .

٢ — إن الهيئات التبشيرية تعتمد اعتماداً كبيراً على مدى ما تتمتع به من سلطات سياسية أو مايظاهرها من سلطان زمني مما يدعو إلى الاعتقاد بأنها مرتبطة ارتباطا وثيقا بالعمل السياسي وبما يتاح لها من إمكانيات مادية ومعنوية وبشرية .

٣ — إن الهيئات التبشيرية قد فشلت في أداء رسالتها وأن قصورها عن أداء هذه الرسالة قد دفع بعض المبشرين إلى طرح رسالتهم جانبا والاتجاه وجهة سياسية فأثاروا النعرات العنصرية وبثوا الضغائن والأحقاد بين أهل الشمال والجنوب بما يتنافى مع رسالة السلام والمحبة التي حملها السيد المسيح عليه السلام ؟

عبد الستار البدري

هلال المحرّم

للأستاذ أحمد عمر هاشم

حين أقبلت ياهلال المحرم … أقبلت ذكرياتنا تتبسم
أى هدى أطل بعد ظلام … أى فجر قد لاح بعد تجهم
تلك ذكرى فقف بنا هل رأيتم … مثل أيامها أجل وأكرم
إنها هجرة الحبيب المرجى … فعليه صلى الإله وسلم

يارعاك الإله يادعوة الحـ … ق .. حماك رب السماء وأكرم
قد ترعرعت بين جدران دار … هل رأيتم داراً كدار ابن أرقم
كم غدت فى الحياة قلعة نور … ورفاق الهدى بدور وأنجم
إذ أقام نداؤهم أعلنوها … لا يخافون من عدا أو أجرم
وأراد الأعداء أن يمنعوها … وأرادوا قتل النبى المكرم
وتلاقوا سيوفهم بيدهم .. … وتلاقوا ، والحقد يغلى ويضرم
وبمكان النبى نام «على» … يفتديه بالروح والقلب والدم
ومضى ينثر التراب عليهم … لا يهاب الجموع ، لا يتألم
سار ترعاه عين رب البرايا … ولبيت الصديق سار ويمم
إيه بيت الصديق مالك تبكى ؟ … مثلما قد بكى الصديق وتمتم
أو من فرط غبطة تذرف الدمع … . إلى كم ترى السرور إلى كم ؟
فالنبى الذى أتاك والصديق … قد غادراك .. لا تتبرم
عن قريب يأتون بالنصر والفتح … فيهنأ البيت الحرام وزمزم

ولدى الغار قد أقاما وجيش الشـرك من خلفهم أغار ودمدم
ثانى اثنين إذهما داخل الغا … ر ، وجيش الكفار منهم تقدم
وإذا العنكبوت تنسج خيطا … وإذا بالحمام باض وحوم

فيقول الكفار : لم يدخلاه   إن هـذا غار قـديم مهدم
ويقول الصديق لو نظروا تحت   خطاهم لأبصرونا ، ويغتم
فيقول للنبي : لا ، لا تحـزن   إن من حارب النبي سيهزم
وجنود السماء جاءت إلى الغار   لترمى النبي من أجـرم
ومضت هجرة الحبيب إلى « طيبـــة » ، والأفق في ابتهاج منغم
قد أرتنا أن السماء تحوط الثو   من الحـــق بانتصار محتم
تلك ذكرى فقف بنا هل رأيتم   مثل أيامها أجـل وأكرم؟
إنها هجـرة الحبيب المرجى   فعليه صـــلى الإله وسلم

أحمد عمر هاشم

التواضع والانكسار فى العلم

« ... وأهل العلم النافع كلما ازدادوا فى هذا العلم ازدادوا تواضعاً لله وخشية وانـكسارا وذلا .

قال بعض السلف : ينبغى للعالم أن يضع التراب على رأسه[1] تواضعا لربه فإنه كلما ازداد علما بربه ومعرفة به ازداد منه خشية ومحبة وازداد له ذلا وانكسارا » .

(من كتاب « فضل علم السلف على الخلف » للإمام الحافظ أبى الفرج زين الدين) .

---

[١] هـــذا كناية عن كمال التواضع ونهاية الخضوع والانـكسار لله جل وعلا ، وإلا فوضع التراب على الرأس حقيقة غير مشروع .

القراءات في نظر المستشرقين والملحدين

للأستاذ عبد الفتاح القاضي

— ٢ —

وقال جولدزيهر في صفحة ٨ « وترجع نشأة قسم كبير من هذه الاختلافات إلى خصوصية الخط العربي الذي يقدم هيكله المرسوم مقادير صوتية مختلفة تبعا لاختلاف النقاط الموضوعة فوق هذا الهيكل أو تحته ، وعدد تلك النقاط . بل كذلك في حالة تساوي المقادير الصوتية يدعو اختلاف الحركات الذي لا يوجد في الكتابة العربية الأصلية ما يحدده إلى اختلاف مواقع الإعراب للكلمة ، وبهذا إلى اختلاف دلالتها .

وإذاً فاختلاف تحلية هيكل الرسم بالنقط واختلاف الحركات في المحصول الموحد القالب من الحروف الصامتة كانا هما السبب الأول في نشأة حركة اختلاف القراءات في نص لم يكن منقوطا أصلا ، أو لم تتحر الدقة في نقطه أو تحريكه ».

ثم ضرب خمسة أمثلة للقراءات المختلفة التي نشأت من خلو المصاحف من النقط .

١ — آية ٤٨ من سورة الأعراف « ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون » قرأها بعضهم بالتاء الفوقية المثلثة بدلا من الباء التحتية الموحدة .

٢ — آية ٥٧ من سورة الأعراف « وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته » قرىء بالنون الفوقية الموحدة بدلا من الباء التحتية الموحدة .

٣ — آية ١١٤ من سورة التوبة « وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه » قرأها بعضهم أباه بفتح الهمزة والباء الموحدة بدلا من كسر الهمزة والياء المثناة التحتية .

٤ — آية ٩٤ من سورة النساء « يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا » قرأ جماعة من ثقات القراء « فتثبتوا » والهيكل المرسوم (فىىىوا) يحتمل الوجهين .

ثم قال : وعلى كل حال لا تسبب هذه الاختلافات وما شابهها فرقا من جهة المعنى العام ولا من جهة الاستعمال الفقهي .

٥ — آية ٥٤ من سورة البقرة «فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم» .

وهـذا في الواقع ينطبق على ما جاء في سفر الخروج فصل ٣٢ فاصلة ٢٧ الذي هو مصدر الكلمات القرآنية ، وربما كان مفسرو وقدماء معتقد بهم (وذكر قتادة البصري المتوفى سنة ١١٧ هجرية حجة على ذلك) قد وجدوا هذا الأمر بقتل أنفسهم أو بقتل الآثمين منهم أمراً شديد القسوة ، وغير متناسب مع الخطيئة ، فآثروا التحلية الحرف الرابع من هيكل الحروف الصامتة «فاقتلوا أنفسكم» بنقطتين من أسفل بدلا من التاء المثناة من أعلى فقرءوا «فأقيلوا أنفسكم» بمعنى حققوا الرجوع مما عملتم أي بالندم على الخطيئة المقترفة .

وهذا المثال يدل فعلا على أن ملاحظات موضوعية قد شاركت في سبب اختلاف القراءة خلافاً للأمثلة السابقـة التي نشأ الاختلاف فيها من مجرد ملابسات فنيـة ترجع إلى الرسم .

ثم قال : ويبدو أن نفس هذه الظاهرة توجد في آيتي ٨ ، ٩ من سورة الفتح وهنا يخاطب الله محمداً ﷺ «إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، لتؤمنوا بالله ورسوله وتعذروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا» .

فبدلا من وتعذروه بالراء المهملة التي معناها وتساعدوه قرأه بعضهم وتعززوه بالزاي المعجمة بمعنى وأعظموه .

وأنا لا أستبعد أن يكون من دواعي تغيير النص على هذا الوجه خشية تصور أن الله تعالى ينتظر من الناس مساعدة أو معونة ، نعم ورد في القـرآن أحياناً معنى أن الله سينصر من ينصره آية ٤٠ من سورة الحج ، وآية ١٧ من سورة محمد وآية ٨ من سورة الحشر .

ثم ذكر أمثلة القـــراءات الناشئة من خلو المصاحف من الشكل والحركات فذكر آية ٨ من سورة الحجر : «ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذاً منظرين» ثم قال : فتبعا لاختلاف القراء في قراءة اللفظ الدال على نزول الملائكة هل هو : «نُنَزِّل» أو «تَنَزَّل» أو «تُنَزَّل» (كل هذه القراءات ممثلة في الأقاليم المختلفة) تفيد المعنى ، كل كلمـة بما يناسبها : نحن ننزل الملائكة ، أو الملائـكة تنزل .

ثم قال : بيد أن هذا الاختلاف في الحركات قد يدعو إلى تغييرات أبعد مدى من حيث المعنى مثل آية ٤٣ من سـورة

الرعد : « ومن عنده علم الكتاب » فقد وردت هذه الجملة بالقراءة التالية « ومن عنده علم الكتاب » كما أن تغييراً زائداً على هذا فى تحريك لفظ علم سمع بالقراءة التالية « ومن عنده علم الكتاب » انتهى ما قاله جولد زيهر.

وأقول : زعم جولد زيهر فى هذه المقالة الطويلة أن سبب اختلاف القراءات ، ومنشأ تنوعها وتعددها إنما هو خاصية الخط العربى الذى كتبت به المصاحف العثمانية تلك الخاصية هى خلوه من إعجام الحروف ونقطها الذى يدل على ذاتها ، وخلوه من شكل الكلمات الذى يدل على إعرابها . فالكلمات القرآنية لما كتبت فى المصاحف مجردة من النقط الذى يدل على ذات الحرف ، ومن الشكل الذى يدل على موقع الكلمة من الإعراب — كانت محتملة لقراءات متعددة ، وأوجه متنوعة فكان كل قارىء يختار من هذه القراءات ومن هذه الأوجه ما يروق فى نظره ، وتنقدح علته فى نفسه ، فاختلاف القراءات فى زعمه إنما كان عن تفه وهوى ، ورأى واختيار من القراء ، لا عن توقيف وسنة ورواية ، فليس لهذه القراءات — فى رأيه — سند إلى رسول الله ﷺ ، وليس للوحى مدخل فيها .

وخلاصة رأيه أن اختلاف القراءات يرجع إلى سببين :

الأول : تجرد المصاحف من نقط الحروف :

الثانى : تجردها من شكل الحروف ، وفقد الحركات اللغوية والنحوية منها .

وهذا زعم باطل ، ونظر خاسىء ورأى خاطىء وفرية منكرة ، اجترأ عليها جولد زيهر ليقذف بها أقدس مايقدسه المسلمون — وهو كتاب الله عز وجل — يزلزل عقيدة الناس فيه ، ويوهمهم أن كتاب الله تعالى لم يكن موضع تحقيق ودقة ، ولم يكن محل تحر وضبط وأمانة ، فى ألفاظه وقراءاته ، ورواياته ، وطرق أدائه .

إن هذا الرأى تصادمه الحقائق التاريخية التى لا يرتقى الشك إليها ، وتعارضه الأدلة النقلية المتواترة فى جملتها وتفصيلها الدالة على أن القراءات مصدرها الوحى الإلهى من الله عز وجل ، ومنبعها النقل الصحيح عن رسول الله ﷺ .

وعلى أنها سنة متبعة ينقلها الآخر عن الأول ، ويتلقاها الخلف عن السلف عن

رسول الله ﷺ، عن جبريل أمين الوحي من الله سبحانه وتعالى.

أجل. إن هذا الرأي يتنافى مع قضايا العقل، ولا يتلاقى وقوانين المنطق، ولا يستسيغه الفكر الناضج السليم.

وهاك من شواهد التاريخ، وأدلة النقل وبراهين العقل ما ينقض هذا الرأي ويأتي عليه من القواعد

الدليل الأول: أن التاريخ — وهو خير شاهد، وأصدق مخبر — يدل على أن القرآن الكريم — بجميع قراءاته ورواياته — كان محفوظا في صدور أصحاب رسول الله ﷺ قبل أن تكتب المصاحف في عهد الخليفة عثمان بل قبل أن يجمع القرآن في الصحف في عهد الصديق أبي بكر، كما يدل على أن قراءاته ورواياته قد ذاع أمرها، وانتشر بين الأنام خبرها، وتداول الناس القراءة بها في العهد النبوي، وقد نطقت بذلك الأخبار الصحيحة، والآثار الصريحة التي لا مطعن فيها، ولا وهن في أسانيدها.

ونقص عليك من نبأ هذه الأخبار ما لا يبقى معه أدنى شبهة، ولا أقل ريبة في أن القراءات مردها الرواية، ومرجعها السماع، ولا دخل لأحد من البشر فيها كائنا من كان، وليست خاصية الخط العربي الذي كتبت به المصاحف مدعاة — من قريب أو من بعيد — إلى تنوع القراءات واختلاف القراء.

١ — عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: أقرأني جبريل على حرف فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف، أخرجه البخاري ومسلم.

شرح بعض ألفاظ الحديث:

«فراجعته» يوضح معنى هذه العبارة قوله في حديث مسلم «فرددت إليه أن هون على أمتي وإن أمتي لا تطيق ذلك».

«فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف» معناه: لم أزل أطلب من جبريل أن يطلب من الله عز وجل الزيادة في الحرف تخفيفا على الأمة ورحمة بها وتوسعة عليها ويسأل جبريل ربه سبحانه فيزيده حتى انتهى إلى سبعة أحرف

٢ — عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ فكدت أساوره في الصلاة فتصبرت حتى سلم فلببته بردائه فقلت من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت كذبت فإن

رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأت فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت إنى سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها فقال رسول الله ﷺ : أرسله . اقرأ يا هشام فقرأ عليه القراءة التى سمعته يقرأ فقال رسول الله ﷺ: كذلك أنزلت، ثم قال اقرأ يا عمر فقرأت القراءة التى أقرأنى فقال رسول الله ﷺ : كذلك أنزلت إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فاقرءوا ما تيسر منه . أخرجه البخارى ومسلم .

شرح بعض ألفاظ الحديث

« فكدت أساوره فى الصلاة » أو اثبه وأقاتله ، أو آخذ برأسه .

« فتصبرت حتى سلم » تكلفت الصبر وأمهلت هشاما حتى فرغ وانصرف من صلاته

« فلببته بردائه » بباءين موحدتين الأولى مفتوحة مشددة ، والثانية ساكنة مخففة ومعناه: جمعت عليه رداءه عند لبته حتى لا يتمكن من الفرار ، وقال الإمام النووى فى شرح مسلم: معناه أخذت بمجامع ردائه فى عنقه وجررته به مأخوذ ، من اللبة بفتح اللام وهى المنحر لأنه يقبض عليها وفى هذا بيان ما كانوا عليه من الشدة فى أمر القرآن والعناية به ، والذب عنه والمحافظة على لفظه كما سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم : انتهى . ومعلوم أن عمر رضى الله عنه كان ذا مراس فى الحق ، شديد الشكيمة فى الدين ، قوى الشوكة فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فصنع ما صنع مع هشام لأنه غلب على ظنه أن هشاما جانب الصواب فى القراءة ، واخترع قراءة من تلقاء نفسه لم يسمعها من رسول الله ﷺ ، ونظرا لأن عمر فعل ما فعل عن اجتهاد منه بدافع الحفاظ على كتاب الله تعالى ، والذود عنه ، والخوف من امتداد التصحيف إليه — لم يؤاخذه رسول الله ﷺ على ما صنع . ولم يعنفه عليه .

وقول عمر لهشام: «كذبت» قال الحافظ فى الفتح : فيه إطلاق ذلك على غلبة الظن ، أو المراد بقوله كذبت أخطأت لأن أهل الحجاز يطلقون الكذب فى موضع الخطأ . انتهى .

وقول عمر : فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأت قد ساقه استدلالا على ما غلب على ظنه ، وأداه إليه اجتهاده من أن هشاما أخطأ فى القراءة نظرا لقرب عهده بالإسلام فلم يتمكن من ضبط ما سمع من القرآن ، وأما عمر فلسابقته

فى الإسلام ورسوخ قدمه فيه، يكون متقنا ما سمع من القرآن، متحققا من ثبوته .

قال الحافظ فى الفتح : وكان سبب اختلافهما أن عمر حفظ هذه السورة من رسول الله ﷺ قديما، ثم لم يسمع ما نزل فيها مخالفا لما حفظه، وهشام من مسلمة الفتح، فكان النبى ﷺ أقرأه على ما نزل أخيرا، فنشأ اختلافهما من ذلك ومبادرة عمر بالإنكار محمولة على أنه لم يكن سمع حديث « أنزل القرآن على سبعة أحرف » إلا فى هذه الواقعة . انتهى .

وقوله ﷺ لعمر (أرسله) أمر له بإطلاق سراحه، وإنما أمره بذلك ليسمع الرسول صلى الله عليه وسلم من هشام ما ادعاه عليه عمر، أو ليزيل عنه ضيق التلبيب فتهدأ نفسه، ويسكن روعه فيتمكن من القراءة أمام الحضرة النبوية، وإنما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بالقراءة خشية أن يكون الخطأ منه لا من هشام .

وقوله : صلى الله عليه وسلم « أنزل القرآن على سبعة أحرف » فيه تطمين لقلب عمر، وتثبيت لفؤاده، وإزالة لما عساه أن يكون قد علق بقلبه من اضطراب وقلق ووسوسة، من حيث إن رسول الله ﷺ صوب كلتا القراءتين، قراءته وقراءة هشام مع اختلافهما .

ويشير إلى هذا ما أخرجه الطبرانى أن عمر رضى الله عنه سمع رجلا يقرأ فخالفت قراءته قراءة عمر، فاختصما عند رسول الله ﷺ، فقال الرجل : ألم تقرئنى يا رسول الله ؟ قال بلى فوقع فى صدر عمر شىء عرفه النبى ﷺ فى وجهه فضرب الرسول ﷺ فى صدر عمر وقال : اللهم أبعد عنه الشيطان ثم قال : أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف وفى رواية كلها صواب .

وقوله : صلى الله عليه وسلم « فاقرءوا ما تيسر منه » أى من الأحرف المنزل بها فيه إشارة إلى الحكمة فى إنزال القرآن على الأحرف السبعة، وهى التيسير على الأمة والتخفيف عليها فى القراءة، والمعنى ليقرأ كل منكم ما يتيسر على لسانه، ويسهل عليه النطق به من القراءات، ولا يشق على نفسه بقراءة لا يطاوعه فيها لسانه، ولا ينقاد لها بيانه، فالمراد بما تيسر كيفية القراءة . وأما قوله تعالى : « فاقرءوا ما تيسر من القرآن » آية ٢٠ من سورة المزمل، فالمراد به كمية القراءة لا كيفيتها .

٣ — عن أبى بن كعب رضى الله عنه أن النبى ﷺ كان عند أضاة بنى غفار فأتاه جبريل عليه السلام فقال : (إن الله يأمرك أن تقرىء أمتك القرآن على حرف فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتى لا تطيق ذلك ، ثم أتاه الثانية فقال إن الله يأمرك أن تقرىء أمتك القرآن على حرفين فقال أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتى لا تطيق ذلك .

ثم جاءه الثالثة فقال إن الله يأمرك أن تقرىء أمتك القرآن على ثلاثة أحرف فقال أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتى لا تطيق ذلك ثم جاءه الرابعة فقال إن الله يأمرك أن تقرىء أمتك القرآن على سبعة أحرف ، فأيما حرف قرءوا عليه فقد أصابوا) رواه مسلم وأبو داود والنسائى .

شرح بعض ألفاظ الحديث :

الأضاة بفتح الهمزة وضاد معجمة مقصورة هى الماء المستنقع كالغدير . وجمعها أضا كحصاة وحصا ، وإضاء بكسر الهمزة والمد نحو أكة وإكام ، والأضاة موضع بالمدينة ونسب إلى بنى غفار لأنهم نزلوا عنده .

« فأيما حرف قرءوا عليه فقد أصابوا » قال الإمام النووى فى شرح مسلم : معناه لا تتجاوز أمتك سبعة أحرف ، ولهم الخيار فى السبعة ، ويجب عليهم نقل السبعة إلى من بعدهم بالتخيير فيها ، وأنها لا تتجاوز . انتهى .

٤ — عن أبى بن كعب رضى الله عنه قال: كنت فى المسجد فدخل رجل يصلى فقرأ قراءة أنكرتها عليه ، ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه ، فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعاً على رسول الله ﷺ فقلت إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه ، ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه فأمرهما رسول الله ﷺ فقرآ فحسن النبى ﷺ شأنهما ، فسقط فى نفسى من التكذيب ولا إذ كنت فى الجاهلية ، فلما رأى رسول الله ﷺ ما قد غشينى ضرب فى صدرى ففضت عرقاً ، وكأنما أنظر إلى الله تعالى فرقاً فقال لى يا أبى : أرسل إلى أن اقرأ القرآن على حرف ، فرددت إليه أن هون على أمتى ، فرد إلى الثانية ، اقرأه على حرفين ، فرددت إليه أن هون على أمتى فرد إلى الثالثة اقرأه على سبعة أحرف فلك بكل ردة رددتكها مسألة تسألنيها فقلت اللهم اغفر لأمتى ، اللهم اغفر لأمتى ،

وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلى الخلق كلهم حتى إبراهيم عليه السلام»، رواه مسلم وأحمد.

وفى بعض طرق هـذا الحديث : واختبأت الثالثة شفاعة لأمتى يوم القيامة .

شرح بعض ألفاظ الحديث :

ورد فى بعض طرق هـذا الحديث أن أبى بن كعب سأل كلا من الرجلين من أقرأك ؟ فيقول : أقرأنى رسول الله ﷺ فقال لهما أبى : وأنا أقرأنى رسول الله ﷺ لأذهبن بكما إليه، فذهب الجميع إلى رسول الله ﷺ فحسن النبى ﷺ شأنهما، وفى بعض الروايات أن الرسول قال لكل منهما : أحسنت ، وفى أخرى قال لكل منهما : أصبت فصوب كلا فى قراءته مع اختلافهما .

« فسقط فى نفسى من التكذيب ولا إذ كنت فى الجاهلية » فسقط : فوقع ، ويظهر لى — والله أعلم — أن أصل هذا التركيب : فسقط فى نفسى من التكذيب مالم يحصل لى وقتا من الأوقات ولا وقت كنت فيه فى الجاهلية ، فقوله — بالنظر لأصل التركيب — ما : فاعل سقط ، وقوله من التكذيب جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من الفاعل وهو ما وبيان له . وقوله : ولا : الواو فيه عاطفة ، ولا حرف نفى ، مؤكد للنفى المستفاد من لم ، وإذ ظرف للزمن الماضى بمعنى وقت معطوف على وقتا المقدر .

وفى بعض روايات الحديث : فسقط فى نفسى من الشك والتكذيب أشد مما كنت فى الجاهلية .

قال الإمام النووى — مبينا معنى هذه الجملة — : وسوس لى الشيطان تكذيبا للنبوة أشد مما كنت عليه فى الجاهلية لأنه فى الجاهلية كان غافلا ، أو متشككا فوسوس له الشيطان الجزم بالتكذيب ، انتهى شرح الإمام النووى لمسلم .

وقال الإمام القرطبى : إن أبى بن كعب أصابته نزغة من الشيطان ليشوش عليه حاله ، ويكدر عليه وقته ، ولما رأى رسول الله ﷺ ما أصابه من هذا الخاطر ضربه فى صدره ، فانشرح صدره ، وتنور باطنه حتى آل به الكشف وشرح الصدر إلى حال المعاينة ، ولما ظهر له قبح ذلك الخاطر خاف من الله عز وجل وفاض بالعرق أى سال عرقه من جميع جسمه استحياء من الله تعالى .

فكان هذا الخاطر من قبيل ما قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم حين سأله الصحابة إنا نجد فى أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به . قال : أوقد وجدتموه ؟ قالوا نعم : قال ذاك صريح الإيمان ، انتهى وقال القاضى عياض : ضربه ﷺ فى صدره تثبيتا له حين رآه قد غشيه ذلك الخاطر المذموم . والفرق بفتح الفاء والراء الرعب والخوف والفزع . انتهى وقال الطيبى : فكان أبى رضى الله عنه من أكمل الصحابة إيمانا ، وأقوام يقينا ، وإنما طرأ عليه بسبب الاختلاف نزغة من الشيطان ، فلما أصابته بركة ضربه ﷺ بيده المباركة على صدره ذهبت تلك الهاجسة ، وخرجت مع العرق ، فرجع إلى اليقين فنظر إلى الله تعالى خوفا وخجلا مما غشيه من الشيطان انتهى . وورد فى بعض طرق هذا الحديث عن أبى قال فوجدت فى نفسى وسوسة الشيطان حتى احمر وجهى فضرب النبى صلى الله عليه وسلم فى صدرى وقال : اللهم أخسىء عنه الشيطان ، وفى بعض الطرق : اللهم أذهب عن أبىّ الشك .

ويجب أن يعتقد أن الذى حصل فى نفس أبى خطرة من خطرات الشيطان لا تستقر وهاجس من هواجس النفس لا يلبث أن يزول . لأن فى إيمان الصحابة من القوة والمنعة ما يبدد ظلمات كل شبهة ، ويزيل كل اضطراب وحيرة ، ومن المعلوم فى الدين أن نزغات الشيطان وهواجس النفس لا يحاسب الإنسان عليهما ، ولا يؤاخذ بهما مادام لم يستسلم لهما ، ولم يسترسل معهما ، ولم يعمل بمقتضاهما ، بل اجتهد فى ردها عن نفسه ، ودفعهما عن فؤاده .

والخلاصة أن أبى بن كعب قد مر بنفسه شىء من وسوسة الشيطان التى تمر بنوع البشر جميعا ، لكل إنسان مهما رسخ إيمانه ، وقوى يقينه ، وهى خاصة من خواص النوع البشرى ، وقد كان ذلك قبل أن يعلم أن القرآن نزل على هذه القراءات ثم لم تلبث تلك الوسوسة أن ذهبت من صدره وصار من أعلام الصحابة وأجلائهم وهو أحد الذين كانوا يحفظون القرآن كله على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد الجامعين له على عهد عثمان .

وقوله فى الحديث « وكأنما أنظر إلى الله تعالى فرقا » يفيد أنها كانت كخطرة البرق أو أسرع .

فلما أن جاءه البيان عرف الحق وأيقن به كل الإيقان ، وكل إنسان منا يمر به من الخواطر ما لا يعلمه إلا الله تعالى ، ولا يمكن أحد أن يحفظ قلبه من تلك الخواطر إلا

أنها تجتاز قلب المؤمن اجتيازا، ولا يلبث أن ينزل جند الله فيذهب جند الشيطان يلتمس قلبا آخر لاتنزله الأنوار، ولاتفاض عليه الأسرار.

« فرددت أن أهون على أمتى » أن فيه مفسرة لأن فى رددت معنى القول، أى فرجعت إليه القول أن هون على أمتى، وهذا معنى قوله فى الحديث الآخر أسأل الله معافاته ومغفرته وقوله: « فرد إلى الثالثة اقرأه على سبعة أحرف » صريح فى أن الرسول ﷺ أمر بالقراءة على سبعة أحرف المرة الثالثة، والحديث السابق — الثالث — يدل على أنه أمر بالقراءة على سبعة أحرف فى المرة الرابعة، ويجمع بين الحديثين بأنه فى هذا الحديث حذف بعض المرات.

« ولك بكل ردة رددتكها مسألة تسألنيها » قال الإمام النووى فى شرح مسلم: معناه: مسألة مجابة قطعا، وأما باقى الدعوات فرجوة ليست قطعية الإجابة، انتهى.

« تتمة » القراءة التى أنكرها أبى على صاحبيه كانت فى آيات من سورة النحل ولكن لم نعثر على تعيين هذه الآيات

٥ — عن أبى بن كعب رضى الله عنه قال: « لقى رسول الله ﷺ جبريل فقال ياجبريل إنى بعثت إلى أمة أميين، فيهم العجوز، والشيخ الكبير، والغلام، والجارية، والرجل الذى لم يقرأ كتابا قط قال يامحمد إن القرآن أنزل على سبعة أحرف» رواه أحمد والترمذى وقال: حديث حسن صحيح.

شرح بعض كلمات الحديث:

أميين: جمع أمى وهو من لا يكتب ولا يقرأ، قال تعالى « هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين » سورة الجمعة آية ٢ وقال ﷺ: « إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب » يعنى أنهم على أصل ولادة أمهاتهم لم يتعلموا الكتابة والحساب فهم على جبلتهم الأولى، وخلقتهم الأصلية، يعنى أنى بعثت إلى أمة أميين، فيهم هؤلاء المذكورون.

فلو كلفوا قراءة القرآن بطريقة واحدة لشق ذلك عليهم، ولكان ذلك سببا للزهد فى القرآن، والرغبة عنه، والنفرة من تلاوته، وفى بعض طرق هذا الحديث « فمرهم فليقرءوا القرآن على سبعة أحرف » وفى ذلك رحمة بهم، وتيسير لهم ليقرأ كل واحد منهم ما يتيسر له.

٦ — عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص أن رجلا قرأ آية من القرآن .

فقال له عمرو : إنما هي كذا وكذا بغير ما قرأ الرجل . فقال الرجل : هكذا أقرأنيها رسول الله ﷺ . فخرجا إلى رسول الله ﷺ حتى أتياه ، فذكرا ذلك له فقال ﷺ : إن هذا القرآن نزل على سبعة أحرف ، فأي ذلك قرأتم أصبتم فلا تماروا في القرآن ، فإن المراء فيه كفر . رواه الإمام أحمد في مسنده وسنده جيد

قال الإمام أبو عبيد : ليس وجه الحديث عندنا على الاختلاف في التأويل ، ولكنه على الاختلاف في اللفظ ، وهو أن يقول الرجل على حرف فيقول آخر ليس هو هكذا ولكنه على خلافه ، وكلاهما منزل مقروء به ، فإذا جحد كل واحد منهما قراءة صاحبه لم يؤمن أن يكون ذلك يخرجه إلى الكفر ، لأنه نفى حرفا أنزله الله على نبيه ﷺ . انتهى

وفي بعض طرق هذا الحديث فإن مراء فيه كفر. والتنكير فيه للتقليل ، ففيه إيذان بأن أدنى مراء فيه يجر إلى الكفر .

٧ — عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (نزل القرآن على سبعة أحرف ، والمراء في القرآن كفر — مرات — فما عرفتم منه فاعملوا ، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه) أي فتعلموه ممن هو أعلم منكم . رواه النسائي والإمام أحمد

٨ — عن ابن مسعود رضي الله عنه قال أقرأني رسول الله ﷺ سورة من آل حم فرجعت إلى المسجد فقلت لرجل : اقرأها فإذا هو يقرأ حروفا ما أقرؤها ، فقال أقرأنيها رسول الله ﷺ . فانطلقنا إلى رسول الله ﷺ فأخبرناه فتغير وجهه وقال : إنما أهلك من كان قبلكم الاختلاف ثم أسر إلى علي شيئاً فقال علي : إن رسول الله ﷺ يأمركم أن يقرأ كل منكم كما علم .

قال : فانطلقنا وكل رجل منا يقرأ حروفا لا يقرؤها صاحبه . رواه ابن حبان والحاكم.

٩ — عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : أقرأني ابن مسعود سورة أقرأنيها زيد ، وأقرأنيها أبي بن كعب ، فاختلفت قراءتهم فبقراءة أيهم آخذ ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي إلى جنبه ، فقال علي ليقرأ كل إنسان منكم كما علم فإنه حسن جميل رواه ابن جرير الطبري والطبراني .

١٠ — روى الحافظ أبو يعلى الموصلي

(البقية على ص ٨٣)

متى نتعلم؟

للأستاذ محمد سلامة صالح

انجابت معركة بعاث[1] عن دم مراق، وأشلاء ممزقة، وقتيل هنا، وجريح هناك من خير ما أنجب الأوسيون والخزرجيون.

وتلفت العقلاء - من خلال سكون العاصفة - عن هاد يأخذ بأيديهم إلى نور الحق وجلال اليقين، ويظلهم - جميعا - براية الأمن والسلام، بعد أن نالت الحروب الطائفة من قواهم وأتت على زهرة الشباب، وخيرة الرجال.

وما كادت كل قبيلة تسترد أنفاسها اللاهثة، وتجمع قواها الحائرة وتعاود الكرة من جديد - مدفوعة بحمى الجاهلية - إلى سعار حرب امتد أمدها وطال مداها - حتى انبثق فجر الإسلام عن صبح سعيد أظلهم برايته المجيدة باسم الأنصار. فلا أوس ولا خزرج، وأزال ما كان بينهم من ضغائن وأحقاد، فلا غل ولا عداء، بل حب في الله، وألفة بين القلوب « لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم[1] ».

بيد أن هذا الوافد الجديد لم يكن ليأخذ مداه من النمو والازدهار بين طوائف اليهود دون أن ينالوا منه بما عرفوا من عدائهم الدائم للسلام، ورغبتهم الملحة في إيقاد نيران الحروب، وبغضهم الشديد لنبي الإسلام، وحرصهم على تفتيت الوحدة الإسلامية.

فقد حدث ذات يوم أن مر - بهذا الجمع المؤتلف من المسلمين - يهودي يدعى « شاس ابن قيس » وما أن شاهدهم، وقد نضحت وجوههم بالبشر، حتى زحف الحقد الأسود على كبده، وأفزعه ما رأى من صلاح ذات بينهم واجتماعهم في حب وإخاء على مائدة الإسلام فقال قولته الآثمة : —

« قد اجتمع ملأ بني قيلة بهذه البلاد لا والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملأهم بها من قرار[2] ».

(١) بعاث اسم يوم اقتتل فيه الأوس والخزرج قبل بيعة العقبة الأولى بعام وكان النصر فيه للأوس

(١) آية ٦٣ من سورة الأنفال.

(٢) ابن هشام - السيرة النبوية - القسم الأول ط ٢ - ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م ص ٥٥٥

وما هو إلا أن عمد إلى فتى من شباب اليهود ، وأفضى إليه بما مشى فى صدره من غل ، وبما يخشاه من قوة هؤلاء إن هم ظلوا على هذا الود ، ثم أمره أن يمتزج بهم فى حذر امتزاج الخمر بالماء ، وأن يدير الحديث بينهم فى لباقة ماكرة مذكرا إياهم بما كان بينهم فى يوم بعاث ، وما قبله منشدا إذ ذاك ما كانوا قد تقاولوا من أشعار ففعل الشاب ما أمر به . حتى إذا اتخذت الفتنة سبيلها إلى القلوب ، وأطلت حمية الجاهلية من جديد ، وجردت السيوف من أغمادها ، أو كادت ، وماجت الجموع مزمجرة بالشر ، هاتفة به ، مقبلة عليه إذ ذاك وفى وسط تلك الخطوب المدلهمة تدارك الله جموع المسلمين بلطفه ، فكان أن استيقظ الفريقان على صوت يجلجل فيهم وإذا رسول ﷺ بك عليهم مشاعرهم بفكره الهادئ ، ومنطقه العضب مناديا : « يا معشر المسلمين ، الله الله ، أبدعوى الجاهلية ، وأنا بين أظهركم ؟ ! ! بعد أن هداكم الله للإسلام ، وأكرمكم به ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر ، وألف به بين قلوبكم[1] »

وما كان لتلك الحادثة — على خطورتها — أن تمر دون أن ينزل الوحى محذراً بتلك الآيات : « يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين ، وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم ، يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون[1] »

وبعد :

فإن اليهود هم اليهود ، أوليس الدرس أمامنا حاضرا ماثلا ؟ . ألا ما كان أجدرنا أن ننتفع به لو كانت منا التفاتة إليه ، وصادفت قلوبا واعية وآذانا صاغية .

أو لو كنا نستفيد من تجاربنا ، ونستمد من ماضينا لحاضرنا ، ونتعلم من ذكرياتنا ، ولكن متى نتعلم ؟!.

محمد سلامه صالح

(١) المرجع السابق ٥٠٦

[١] الآيات ٩٩ — ١٠٢ آل عمران .

وراء كلمات

للأستاذ الغزالي حرب

— ٢ —

٢ — النشاط العلمي في العصر المملوكي :

وأعني به العصر المملوكي من ٦٥٦ هـ — ٩٢٣ هـ ، ومن ١٢٥٨م — ١٥١٧م إلى متى نسيء الظن بنهضته العلمية والأدبية التي لا يستهان بها ، وما منشأ سوء الظن بهذا العصر ؟

يجيب عن ذلك بعض الباحثين المنصفين قائلين إن منشأ الظلم له وسوء الظن به أننا اعتبرنا سقوط بغداد ، تحت وطأة الهجوم التتاري الوحشي ، سقوطا للواء الحضارة العربية في كل بلد عربي آخر ، حتى حلب ودمشق والقاهرة وقرطبة ، وفي هذه البلاد العربية الأربعة بقي لواء الحضارة العربية الإسلامية عاليا ، على الرغم من سقوط بغداد ، وبفضل هذه البلاد العربية الإسلامية تم الانتصار على الصليبيين ، ثم على التتار ، ومن أعلام النهضة العلمية والأدبية في بلد أو أكثر من هذه البلاد :

١ — ابن البيطار المالكي الأندلسي نزيل القاهرة ، والذي كان من أعظم أسياده .

٢ — وابن مالك الطائي إمام النحو نزيل دمشق وصاحب « ألفية بن مالك » المشهورة في النحو والصرف .

٣ — وابن سعيد الغرناطي المؤرخ الأديب ، نزيل القاهرة وحلب .

٤ — وعبد الرحمن بن خلدون التونسي ، مؤسس علم الاجتماع وفلسفة التاريخ ، ونزيل القاهرة التي ما زال قبره بها حتى اليوم .

٥ — وابن منظور اللغوي الأفريقي مؤلف « لسان العرب » أعظم موسوعة لغوية أدبية جامعة .

٦ — وابن هشام المصري ، الذي قال فيه ابن خلدون كلمته المشهورة « ما زلنا ونحن بالمغرب ، نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له ابن هشام أنحى من سيبويه » .

٧ — وابن تيمية الحراني الدمشقي ، والمجدد الإسلامي العظيم ، وأول من نادى

بتفسير القرآن بالقرآن نفسه ، وصاحب « الفتاوى » التى فعلت فعلها ، وأحدثت آثارها فى حركة التجديد الإسلامى حتى كتابة هذه السطور .

٨ – وابن الصلاح المحدث الناقد الرائد صاحب المقدمة المشهورة باسمه فى علم الحديث .

ثم تعالوا بنا إلى أعلام العلوم الأخرى بعد العلوم الشرعية والإسلامية الأصيلة ، تعالوا بنا إلى أعلام التاريخ ، والطب ، والرياضة ، والأدب والنقد الأدبى ، فمن أعلام التاريخ والمجتمع ونحو ذلك :

١ – العلامة السبكى المصرى مؤلف «معيد النعم» الذى حدثنا فيه عن المجتمع العربى المصرى العامى وكيف يكون مجتمعا مثاليا ؟

٢ – والعلامة السخاوى المصرى مؤلف « الإعلام بالتوبيخ لمن ذم التاريخ » وهو دراسة خصيبة للتاريخ والدفاع عنه فى عشر فصول .

٣ – والعلامة المقريزى البعلبكى مؤلف « خطط المقريزى » المشهور بدراسته التاريخية والجغرافية ، لمصر ونيلها وواحاتها وآثارها وبلادها ولاسيما القاهرة ، من خلال البيئة والسكان وتقاليدهم .

ومن أعلام الطب والرياضة والأدب فى هذا العصر المفترى عليه :

١ – علاء الدين بن النفيس الذى أجمع مترجموه على أنه كان فى الطب والعلاج أعظم من ابن سينا ، وعلى أنه مكتشف الدورة الدموية الثانية .

٢ – وقيصر بن أبى القاسم المهندس المصرى العبقرى الذى صنع « الكرة السماوية » التى ما تزال محفوظة حتى اليوم فى المتحف الوطنى لمدينة نابولى ، ومن أعماله الهندسية الخالدة « نواعير نهر العاص » التى يستيقظ أهل « حماة » على أصواتها حتى اليوم .

٣ – وابن حجة الحموى مؤلف « خزانة الأدب » أول كتاب أدبى عربى يتضمن موشحا لديك الجن الحمصى المتوفى خلال النصف الأول من القرن الثالث الهجرى ، مما يستدل به الكاتبون فى تاريخ الموشحات ، على أن التوشيح ليس فى أصله نباتا أندلسيا بحتا وإنما هو نبات عرفه الشرق العربى قبل أن يعرفه الأندلسيون .

٤ – والقلقشندى المصرى مؤلف « صبح الأعشى » فى أربعة عشر مجلداً ، وهو من أعظم المراجع لكل ما يتصل بالدواوين والمعاهد العباسية القديمة ونحو ذلك .

٥ – وابن سعيد الغرناطى نزيل القاهرة

وحلب ، ومؤلف كتاب « المغرب » الذى ترجم فيه لشعراء مصر والمغرب والأندلس بأسلوب ناقد وأنه يعتبر أن الشعراء من ثمرات البيئة والتاريخ والأحداث والظروف وليسوا « أبانا شيطانيا » لا يعرف له أصل .. وهذه النظرة الناقدة الجديدة، لم يعرفها مؤرخو الآداب الأوربية إلا فى القرن التاسع عشر ...

ويعتبر ابن سعيد فى كتابه هـذا من أوائل المعنيين — إن لم نقل أول المعنيين بالأدب الشعبى « الفولكلور » كالزجل والمواليا والقوما والكان كان وما إلى ذلك مما عنى به كذلك صفى الدين الحلى نزيل مصر والشام فى كتابه « العاطل الحالى والمرخص الغالى » .

٦ — والقاضى الفاضل صاحب « الطريقة الفاضلية » وأشهر كتاب العصر الأيوبى وفيه قال صلاح الدين الأيوبى كلمته المعروفة : « إنى لم انتصر بسيفى ، وإنما انتصرت بقلم القاضى الفاضل » وإلى جانب هؤلاء الأعلام نرى ابن نباتة المصرى وابن دقيق العيد وابن حجر العسقلانى ، والبهاء زهير ، وابن سيد الناس ، والشهاب محمود الدمشقى والبوصيرى صاحب « البردة » فى مدح الرسول ﷺ ، وصاحب « الهمزية » التى بلغت ٤٥٠ بيتا ، وقد ترجمت هى والبردة ، إلى اللغات الأجنبية شرقية وغربية .

فكيف بعـد ذلك كله ، نصف هذا العصر بما يبخسه حقه بما ازدهر فيه من نهضة علمية وأدبية ، على الرغم من سقوط بغداد سنة ٦٥٦ تحت أقدام التتار .

٣ — كيف مات ابن الرومى :

ما أكثر الكتب والمؤلفات والمقالات التى روت فيما روت وهى تحدثنا عن كيفية وفاة ابن الرومى الشاعر العباسى المشهور «أن الوزير أبا الحسن القاسم بن عبد الله ابن سليمان بن وهب وزير الإمام المعتضد كان يخاف هجوه وفلتات لسانه بالفحش ، فدس عليه ابن فراش فأطعمه خشكنانجة « بسكويته » مسمومة وهو فى مجلسه ، فلما أكلها أحس بألم يسرى فى بدنه فقال له الوزير : إلى أين تذهب؟ فقال : إلى الموضع الذى بعثتنى إليه ، فقال له الوزير ساخرا : سلم لى على والدى فأجابه ابن الرومى على البديهة : ليس طريقى على النار » وتلك هى الرواية التى رواها ابن خلكان فى « وفيات الأعيان » ثم نقلها عنه المؤلفون والكتاب فى مختلف العصور مأخوذين بما فيها من

حلاوة النكتة، ومرارة السخرية وسرعة البديهة، من إنصاف الحقيقة والتاريخ، وأحسب أن أستاذنا العلامة المرحوم عباس محمود العقاد هو أول ناقد أدبى وباحث فى ابن الرومى، محص هذه الرواية تمحيصا علميا دقيقا، فقال رحمه الله - كما جاء فى كتابه «ابن الرومى» ص ٢٦٣ وما بعدها وكما جاء فى «يوميات العقاد» ج ١ ص ٢٦٩ وما بعدها: ما خلاصته أن المؤرخين من الشرقيين والمستشرقين قد تداولوا هذه القصة وأعجبهم موقع النكتة منها، مع وضوح الكذب فيها وسهولة الاهتداء إليه بالرجوع إلى تاريخ وفاة عبيد الله ابن سليمان الذى طلب ابنه الوزير أبو الحسن القاسم إلى الشاعر أن يبلغه سلامه فى العالم الآخر فإنه كان حيا بعد آخر تاريخ ذكره الرواة لوفاة ابن الرومى بأربع سنوات، إذ مات سنة ثمان وثمانين ومائتين.

والعجيب فى قصور وسائل التحقيق عند المؤرخين أنهم لو راجعوا شعر الشاعر لعلموا أنه عاش إلى ما بعد سنة ثمانين، لأنه بلغ الستين من العمر، كما يدل على ذلك شعره القائل:

طربت ولم تطرب على حين مطرب

وكيف التصابى ما بعد ستين أشيب

أما سبب الوفاة الصحيح فلا ريب عندنا فيه وهو تسمم جرح فصد فى جسم مريض بمرض السكر وليس أوضح من ذلك منه مراجعة جملة الأخبار والحقائق التالية:

١ - كان ابن الرومى مشهورا بالنهم والإفراط فى أكل الحلوى والدسم.

٢ - أصيب بجرح غلط فيه الطبيب كما قال:

غلط الطبيب على غلطة مورد

عجزت موارده عن الإصدار

٣ - زاره صديقه «الناجم» فى مرض وفاته فرآه يشكو من إلحاح البول عليه، وعنده ماء مثلوج فلما لاحظ «الناجم» ذلك قال الشاعر:

غدا ينقطع البول

ويأتى الهول والغول

وجعل الشاعر يشرب من الماء المثلوج ولا يروى فقال:

وأراه زائدا فى حرقتى

فكأن الماء للنار حطب

ولا حاجة بنا إلى غير المقابلة بين هذه الأخبار والروايات لنعلم أننا أمام حالة مرضية معروفة لا شك فيها: حالة رجل منهوم مفرط منذ صباه إلى شيخوخته

فى أكل الحلوى والدسم فقصده الطبيب وهو لا يعلم خطر الفصد فى مثل حالته ، ثم فصد الجرح فاعتراه كل مايعترى مريض السكر من شدة الظمأ ، وإلحاح البول ، والشعور بمثل ما يشعر به المسموم ...

ثم قال أستاذنا العقاد – عليه سحائب الرحمات – : وليس بنا – هنا – أن نحاسب المؤرخين الأقدمين على قلة إدراكهم لهذه الحقيقة من جملة الأخبار التى رووها ، ولكننا نستدل على صدق رواياتهم بهذه المطابقة بينها وبين الأسباب العلمية ، ونخرج من ذلك إلى تحقيق جديد لرأى القائل :

إن لسان الحال أصدق من لسان المقال

وبأننا مطالبون بأن نستمع اليوم إلى لسان الحال ، قبل أن نستمع إلى أقوال المؤرخين وآرائهم فيما يقصدونه ويتعمدونه من العلل والتفسيرات ؟

الغزالى حرب

(بقية المنشور على صفحة ٧٥)

فى مسنده الكبير أن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه قال يوما وهو على المنبر : (أذكر الله رجلا سمع النبى ﷺ قال : إن القرآن نزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف لما [1] قام ، فقاموا حتى لم يحصوا ، فشهدوا أن رسول الله ﷺ قال : أنزل القرآن على سبعة أحرف ، كلها شاف كاف ، فقال عثمان رضى الله عنه : وأنا أشهد معهم ، وقوله : فقاموا حتى لم يحصوا ، صريح فى تواتر هذا الحديث ، وقد نص جمع من الحفاظ على تواتره ، منهم الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام والحاكم .

قال الإمام السيوطى فى الإتقان : ورد حديث (أنزل القرآن على سبعة أحرف من رواية جمع من الصحابة ، أبى بن كعب ، أنس بن مالك ، حذيفة بن اليمان ، زيد بن أرقم ، سمرة ابن جندب ، سليمان بن صرد ، عبد الله بن مسعود ، عبد الله بن عباس ، عبد الرحمن ابن عوف ، عثمان بن عفان ، عمر بن الخطاب ، عمرو بن أبى سلمة ، عمرو بن العاص ، معاذ بن جبل ، هشام بن حكيم ، أبى بكرة ، أبى جهم ، أبى سعيد الخدرى ، أبى طلحة الأنصارى ، أبى هريرة ، أم أيوب فهؤلاء واحد وعشرون صحابيا انتهى .

عبد الفتاح القاضى

[1] لما بفتح اللام وتشديد الميم بمعنى إلا . والمعنى : لا أسأل رجلا سمع النبى قال كذا إلا القيام

طرائف في ألغاز

للأستاذ عباس أبو السعود

— ٣ —

سأل أحد الأدباء فقيها شافعي المذهب في أمور فقهية تتعلق بالوضوء والصلاة والصوم، وما إلى ذلك مما له وثيق الصلة بالدين، ودار بينهما الحديث على النحو التالي :

قال الأديب : ماتقول فيمن توضأ ثم لمس ظهر فعله ؟ فأجاب الفقيه على الفور قائلا : انتقض وضوءه بفعله ، وذلك لأنه أراد بالنعل الزوجة ، أما المتبادر إلى الذهن فهو النعل المعروفة .

قال : فإن توضأ ثم أضجعه البرد ؟ قال : يجدد الوضوء من بعد ، أراد بالبرد النوم وهو ناقض للوضوء ، والمتبادر للسامع هو البرد المعروف الذي لا ينقض الوضوء ، ومنه قوله تعالى « لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا » والبرد ضد الحر .

قال : أيمسح المتوضىء أنثييه ؟ قال . قد ندب ذلك إليه ولم يوجب عليه ، المتبادر أنهما الخصيتان ومسحهما لا يندب في الوضوء ، وإنما يبطله ، والمعنى المقصود بالأنثيين هو الأذنان

قال : أيجوز الوضوء بما يقذفه الثعبان ؟

قال : وهل أنظف منه للعريان ؟

المعنى الظاهر أن ما يقذفه الثعبان من فمه لا يتوضأ به ، والمعنى المراد أن الثعبان جمع ثعب بفتح فسكون وهو مسيل الوادى ، وهذا نظيف جدا يتوضأ به ، وكلمة العريان جمع عرب كسود وسودان

قال : أيستباح ماء الضرير ؟ قال : نعم ويجتنب ماء البصير

المتبادر من الضرير أنه الأعمى وهو لا يستباح ماؤه بدون علمه ، والبصير ضد الأعمى ، و ماؤه إذا أخذ للوضوء باطلاعه لا يجتنب بخلاف المعنى المقصود وهو أن الضرير حرف الوادى ، والبصير الكلب .

قال : أيحل التطوف في الربيع ؟ قال : يكره ذلك للحدث الشنيع .

المتبادر أن التطوف هو الطواف والربيع هو الفصل المعلوم من السنة ولا مانع من ذلك بخلاف ما يقصد إليه وهو أن التطوف معناه التغوط ، والربيع معناه النهر الصغير والتغوط فيه من الأحداث الشنيعة كما قال

الفقيه لأنه منهى عنه نهى كراهة .

قال : أيجب الغسل على من أمنى ؟ قال لا ولو ثنى .

المراد : أمنى أى نزل منى ، ويقال منه منى ، وأمنى ، وأمنى ، وهذا لا يوجب الغسل ولو ثناه ، أما المورى عنه وهو إنزال المنى فإنه يوجب الغسل كما هو معروف .

قال : فهل يجب على الجنب غسل فروته قال : أجل وغسل إبرته

المتبادر أن الفروة واحدة الفراء وهى ما يستعمل فى اللبس ، بخلاف جلدة الرأس وهو المعنى المقصود له ، وكذلك الإبرة فإن المتبادر منها آلة الخياطة ، ولاشك أنها بهذا المعنى لادخل لها فى الغسل والمقصود من الإبرة عظم المرفق ، فيجب على الجنب غسلهما .

قال : فما تقول فيمن تيمم ، ثم رأى روضا ؟ قال : بطل تيممه فليتوضأ .

المتبادر من الروض أنه البستان ورؤيته لا تبطل التيمم ، والمعنى المراد الماء القليل المعبر عنه بالروض وهو جمع روضة ، وهى الصبابة تبقى فى الحوض ، وما دام الماء موجودا بطل التيمم ووجب الوضوء .

قال : أيسجد الرجل فى العذرة ؟ قال : نعم وليجانب العذرة .

وفى نسخة على العذرة وهى الغائط على ما هو متبادر ، والسجود فيها أو عليها مبطل للصلاة ، والمعنى المراد أن العذرة هى فناء الدار ، والسجود فيها جائز ، ومن هذا المعنى قوله ﷺ : « اليهود أنتن الخلق عذرة » أى أفنية .

قال : فهل له السجود على الخلاف ؟ قال : لا ولا على أحد الأطراف .

الخلاف شجر الصفصاف ، ولامانع من السجود عليه ، والمعنى المراد من الخلاف هو الكم ، والمتبادر من الأطراف اليدان والرجلان ، والسجود عليها مطلوب لقوله عليه الصلاة والسلام : « أمرت أن أسجد على سبعة أعظم » بخلاف المعنى المراد ، وهو السجود على الكم أو على أطراف الثوب ، فهذا مبطل للصلاة .

قال : أيجوز المعذور أن يفطر فى نهار رمضان ؟ قال : ما رخص فيه إلا للصبيان .

المتبادر أن المعذور من عنده عذر يوجب له الفطر وهو المعنى المورى به ، بخلاف المعنى المراد وهو أن المعذور معناه المختون فهو لا يسوغ له أن يفطر ، تقول : عذرت الغلام والجارية أى ختنتهما

وفى الصحاح : عذر الغلام : ختنه . قال الشاعر :

فى فتية جعلوا الصليب إلههم
حاشاى إنى مسلم معذور

قال : فهل للمعرس أن يأكل فيه ؟

قال : نعم يحل فيه .

المعرس بتشديد الراء من عرس بمعنى أعرس إذا دخل بالعروس وهو لا يجوز له أن يأكل فى نهار رمضان ، والمعنى المراد أن المعرس هو المسافر سفراً طويلا ، وهذا يجوز له أن يفطر على أن يعيد الصوام بعد الإقامة ، كما فى قوله تعالى : « فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر » .

قال : فإن أفطر فيه العراة ؟ قال : لا تنكر عليهم الولاة .

العراة جمع عار وهو ضد المكتسى ، ولا يجوز للعراة بهذا المعنى أن يفطروا بخلافهم على المعنى المقصود وهو أن العراة هم الذين تأخذهم العرواء وهى الحمى برعدة وجمعه على عراة جمع على غير قياس .

قال : فإن أكل الصائم بعد ما أصبح ؟

قال : هو أحوط له وأصلح .

المتبادر أنه دخل فى الصباح وهو المعنى المورى به ، إذ لا يجوز له أن يأكل ، بخلافه على المعنى المراد وهو أن أصبح معناه استصبح بالمصباح ، وهذا يسن له أن يسرع فى تناول فطوره .

قال : فإن ضحكت المرأة فى صومها ؟

قال : بطل صوم يومها .

الضحك معروف وهو لا يبطل الصوم بخلاف المعنى المراد وهو الحيض ، يقال : ضحكت المرأة إذا حاضت ، ومنه قوله تعالى : « فضحكت فبشرناها بإسحاق » .

قال : أيستحق حملة الأوزار من الزكاة جزءاً ؟ قال : نعم إذا كانوا غزى .

المتبادر أنهم المرتكبون للذنوب وهم بهذا المعنى لا يستحقون الزكاة بخلافهم على المعنى المراد وهم حملة الأسلحة الذين يحاربون فى سبيل الله وسبيل وطنهم .

قال : أيجوز للحاج أن يعتمر ؟ قال : لا ولا أن يختمر .

الاعتمار الإتيان بالعمرة وهى عبادة أركانها الإحرام والطواف والسعى وهذا هو المتبادر ، والمعنى المراد من الاعتمار لبس العمارة وهى العمامة ، والاختمار لبس الخمار ، وليس للرجل أن يلبس العمامة وقت الحج .

قال : فهل له أن يقتل الضباع ؟ قال : نعم كما يقتل السباع .

المتبادر أنه الرجل ذو الشجاعة المقدام، وليس للحاج ولا لغيره أن يقتل أحداً شجاعا كان أو غيره، بخلاف المعنى المراد وهو أن الشجاع معناه الحية، وقتلها واجب عند الاستطاعة.

قال: أيجب على الحاج استصحاب القارب؟ قال: نعم ليسوقهم إلى المدارب.

المتبادر أن القارب سفينة صغيرة يستعملها الناس فى قضاء حوائجهم وجمعه قوارب، وهو بهذا المعنى لا تعلق به للحاج لا وجوبا ولا جوازا بخلاف المعنى المقصود وهو أن القارب طالب الماء بالليل.

قال: ما تقول فى الحرام بعد السبت؟ قال: قد حل فى ذلك الوقت.

المتبادر من الحرام أنه ما قابل الحلال، وأن السبت هو اليوم المعروف، والحرام بهذا المعنى لا يحل مطلقا بخلاف المعنى الذى أراده وهو أن الحرام معناه الإحرام والسبت معناه حلق الرأس.

قال: ما تقول فى بيع الكميت؟ قال: حرام كبيع الميت.

المتبادر من الكميت أنه الفرس الذى اسود عرفه وذنبه، وهو بهذا المعنى لا يحرم بيعه بخلاف المعنى الذى يريده الملغز وهو الخمر، وبيعها حرام كشربها.

قال: أيحل بيع الهدية؟ قال: لا ولا بيع السبية.

المتبادر أن الهدية هى الشىء المهدى من الأحباب، وهى بهذا المعنى لا مانع من بيعها، كما أن المتبادر من السبية أنها الأمة سبيت فى الحرب ولا مانع من حل بيعها أيضا، بخلافهما على المعنى المراد وهو أن الهدية ما يهدى إلى الكعبة، والسبية الخمر.

قال: ما تقول فى ميتة الكافر؟ قال: حل للمقيم والمسافر.

المتبادر من الكافر أنه الآدمى الكافر المقابل المؤمن، وهو بهذا المعنى لا تحل ميتته بخلاف المعنى المقصود وهو أن الكافر البحر وميتته السمك الطافى فوق مائه.

قال: أيجوز أن يضحى بالحول؟ قال: هو أجدر بالقبول.

والمتبادر بالحول جمع الأحول وهو الذى يميل سواد عينه عن موضعه من الآدميين، ولا يضحى بآدمى بخلاف المعنى المراد وهو أن الحول جمع حائل، وإنما كانت الناقة الحائل أجدر بالقبول لخلوها من الحمل.

عباس أبو السعود مصطفى

الأزهر فى تاريخ العروبة والإسلام

كلمة الأستاذ محمد على إبراهيم

ألقيت هذه الكلمة فى استقبال محافظة الشرقية للإمام الأكبر شيخ الأزهر :

فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد الفحام

فى هذه الأيام المباركة نلتقى بسماحتكم على أرض الشرقية الطيبة ويستقبلكم شعبها الكريم بما أنتم أهل له من تقدير وإجلال وتكريم

يستقبلكم شعب الشرقية بنفوس فرحة مستبشرة وقلوب خاصة مؤمنة . . يقدر لفضيلتكم وصحبكم الكرام سعيكم فى سبيل دعوة الحق وجهادكم فى سبيل إعلاء الدين الحنيف ليس عن طريق العاملين فى مجال الدعوة فحسب ولكن بلقاء الجماهير فضربتم بذلك القدوة الصالحة والأسوة الحسنة فكان تفضلكم بقبول الدعوة لهذه الزيارة شرفا يعتز به أهل الشرقية .

وهذه القيادات التى سعت إلى هذا المكان لتحية فضيلتكم والترحيب بكم ممثلين لشعب الشرقية العظيم إنما سعت إلى هذا اللقاء تقديرا لشخصكم الكريم وتأكيدا لمكانة الأزهر الشريف ودوره القيادى على مر السنين .

إن الأزهر جزء من تاريخنا ونضالنا . ولا نبالغ إذا قلنا إنه كان باعث هذا النضال ومذكيه فى كل فترة من فترات التاريخ المصرى ويعبر الزعيم الراحل جمال عبد الناصر عن هذه الحقيقة أثناء زيارته الهند فيقول :

« أيها السادة إنى أحمل إليكم من القاهرة مقر الأزهر تحية إخوان لكم يعملون معكم لنفس الأهداف التى يسعى إليها مجتمعنا وهى فى الواقع نفس القيم العالية التى يوصى بها ديننا وهى فى الوقت نفسه جزء من التراث الروحى للجنس البشرى .. ذلك التراث الخالد الذى استطاع به الجنس البشرى أن يعبر على جسر من الإيمان فى عصور الظلام الأولى إلى الآفاق الروحية المشتركة » .

أيها الإخـوة :

عندما نتتبع مسيرة النضال المصرى يمكن تتبعها من ساحة الأزهر أو من بين سيرة علمائه حيث كان الأزهر وعلماؤه قبلة الجماهير ومقصدهم إزاء كل خطب يحيق بهم ، تعالوا بنا نتابع مسيرة هذا النضال ، ولنبدأ من أرض الشرقية حيث قاد الشيخ عبد الله الشرقاوى عام ١٧٩٥ ثورة فلاحى بلبوس ضد والى مصر محمد باك الألفى وانتهت الثورة بتحرير وثيقة تعرف بالوثيقة السياسية سبقت بها مصر غيرها من الدول فى إعلان حقوق الإنسان.

وفى عام ١٧٩٨ اندلعت ثورة القاهرة الأولى ضد الحملة الفرنسية بقيادة عالم أزهرى جليل هو الشيخ السادات .

وتبعتها ثورة القاهرة الثانية عندما حوصر الأزهر واعتدى عليه الفرنسيون وفى هذه الثورات يبدو دور الأزهر واضحا ، فمن بين علمائه من حكم عليه بالإعدام أمثال الشيخ اسماعيل البراوى وأحمد الشرقاوى وعبد الوهاب الشبراوى .

ومنهم من وقع عليه غرامات باهظة أمثال الشيخ مصطفى الصاوى وآخرين حكم عليهم بدفع غرامة قدرها ٢٦٠ ألف فرانك فرنسى .

أيها الإخوة :

إن عزيمة الشعب المصرى ظلت صامدة متأججة طالما كان الأزهر وعلماؤه من خلفها فانتصارنا فى عين جالوت كان وراءه الإمام العز بن عبد السلام ودور رفاعة الطهطاوى وعمر مكرم فى قيادة الحركة الوطنية سجله التاريخ بسطور من نور .

وصيحة الحق التى انطلقت من الشيخ حسن العدوى من فوق منبر الأزهر فى وجه الخديوى توفيق كانت أكبر مساندة للزعيم أحمد عرابى .

وسعد زغلول الذى درس فى الأزهر هو الذى قاد ثورة ١٩١٩ ولن نعجب إذا عرفنا أن أعنف الأعمال الثورية فى ذلك الحدث الضخم هو ما قام به طلبة الأزهر فى ٩ و ١٠ مارس سنة ١٩١٩ وأن كل تجمع ثورى إبان هذه الثورة كان وراءه من مجاهد بالكلمة الصادقة من أبناء الأزهر بين هذه الجموع .

أيها الإخوة :

لقد تأكد دور الأزهر على مر التاريخ

وتأثيره فى حياة الأمة ومن فوق منبر الأزهر أعلن الزعيم جمال عبد الناصر عام ١٩٥٦ صيحة القتال معلنا للعالم كله « سنقاتل » ولن نسلم « سنقاتل » وباذن الله سننتصر — وقاتلنا وانتصرنا والحمد لله .

أيها الإخوة :

هذا هو دور الأزهر فى الحركة الوطنية وله دور آخر أكثر قدما وأعمق أثرا ليس بالنسبة لمصر وحدها وإنما بالنسبة للدين الإسلامى واللغة العربية — لقد حفظت اللغة العربية بفضل القرآن والأزهر وبقيت هى اللغة الوحيدة بين اللغات العالمية التى مازالت محافظة على أصالتها وقوة جرسها وسعة اشتقاقها وروعة بيانها فإنها لغة البيان وبها تنزل القرآن بلسان عربى مبين .

وبفضل الأزهر أصبحت مصر أغنى الدول العربية والإسلامية بعلماء اللغة والدين .

وبفضل الأزهر أصبحت مصر قبلة المسلمين فى كل أنحاء العالم حيث يلتقون فى رحابه وينهلون من هدى علمائه .

وهى التى تتصدى لكل الحملات التى توجه إلى الدين مثل محاولات إسرائيل لتحريف القرآن الكريم .

وهاهم الذين تلقوا العلم فى رحابه من أبناء الفلبين يؤدون دورهم إذ وقفوا أمام ديان سنة ١٩٦٨ أثناء زيارته لبلادهم وأجبروه على أن يخرج من الباب السرى للمطار دون أن يصل إلى هدفه .

إن مصر وإن لم تكن مهبط الوحى ولكن شاء القدر السعيد أن تتحمل مسئولية نشره فى ربوع العالم وذلك نابع من إيمانها برسالتها .

هذه المسئولية التى أكدها دائما زعيمنا الراحل جمال عبد الناصر فى كتاب « فلسفة الثورة » وفى الميثاق وبيان ٣٠ مارس وفى حديثه للقوات المسلحة حيث قال :

أنتم لا تدافعون عن أرض ولكنكم تدافعون عن دين الله . . تدافعون عن مقدسات الله .

أيها الإخوة :

الإسلام دين الله الخالد والقرآن الكريم معجزته الكبرى وصراطه المستقيم .

عاش المسلمون فى ظل تعاليمه فى سماحة ومحبة وإخاء مع إخوانهم من المسيحيين .

عاش المسلمون والمسيحيون من أبناء العروبة فى سماحة أصبحت سمة بارزة على طريق نضالنا ترجع جذورها إلى ما ورد

فى قرآننا « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير » .

لقد استطاع المسلمون والمسيحيون أن يحققوا بالوحدة والمحبة والسلام والتعاون خيرا كبيرا وفضلا عظيما على مر التاريخ .

أيها الإخوة :

للدين مكانته فى النفوس ينزع الناس إليه ويخضعون لنداءاته بفطرتهم « فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

لذلك كان دور رجال الدين فى هذه المرحلة الحاسمة التى تمر بها أمتنا هاما وخطيرا فنحن نواجه معركة ضارية ليست معركة قواتنا المسلحة وحدها ولكنها معركة كل الشعب وقواتنا المسلحة تقف باليقظة والوعى بالتدريب والتسليح استعدادا لخوض معركة التحرير ، وجبهتنا الداخلية هى السند الأساسى لتحرك قواتنا المسلحة وانتصارها ، وعلى حركة رجال الدين بين الجماهير ومعهم متعاونين مع القيادات السياسية وتعبئتهم روحيا تتحدد مدى يقظة شعبنا وصلابته ووحدة صفوفه خلف قواته المسلحة .

يا أمة محمد رسول الله
ويا أتباع عيسى نبى الله
فى قلب كل مسلم جرح !
وفى قلب كل مسيحى جرح !

وتهفو قلوب المسلمين فى هذه الأيام إلى بيت الله الحرام وعلى عرفات يقفون مبتهلين إلى الله العلى القدير أن يحقق لنا النصر .

وتتطلع أبصار المسلمين والمسيحيين إلى بيت المقدس أولى القبلتين وثالث الحرمين تتطلع إلى اليوم الذى يطهرونه من دنس الصهيونية .

أيها الإخوة :

ليكن لقاؤنا اليوم عهداً أمام الله . أننا قد عقدنا العزم على النصر أو الاستشهاد وسننتصر بإذن الله مصداقا لقوله تعالى : « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » .

والسلام عليكم ورحمة الله ؟

محمد على بشير

باب الفتوى

يقدمه الأستاذ : محمد أبو شادي

من فتاوى فضيلة الأستاذ الشيخ حسنين مخلوف

١ – التاريخ الهجري :

السؤال : من محمد علي أبو زره

يحتفل المسلمون بعيد الهجرة النبوية في أول المحرم من كل عام فهل حدثت الهجرة فيه ؟

الجواب : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرا من مكة إلى المدينة يوم الخميس لبلا لهلال ربيع الأول من السنة الثالثة عشرة من البعثة وأقام في غار ثور ثلاث ليال وخرج منه ليلة الاثنين ووافى المدينة لاثنتى عشرة ليلة خلت من الشهر .

ولما ولى الخلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ورأى مسيس الحاجة إلى توقيت الحوادث بتاريخ ثابت أمر باتخاذ الهجرة تاريخا إسلاميا لأنها أهم حادث في الإسلام فرق بين الحق والباطل وأعز الله به الإسلام وانتشرت به الدعوة في الجزيرة واشتدت به سواعد المسلمين .

وكان ذلك سنة سبع عشرة من الهجرة النبوية وجعل التاريخ الهجرى من مستهل شهر المحرم لأن ابتداء العزم على الهجرة كان فيه ومن هذا التاريخ أصبح التاريخ الهجرى شعار الدولة الإسلامية وأصبح مبدأ السنة الهجرية شهر الله المحرم .

٢ – حكم الاستمناء باليد

السؤال : من شاب يريد معرفة الحكم شاملا لجميع الآراء ولا يريد ذكر اسمه

الجواب : الاستمناء باليد له عدة أسماء في اللغة « جلد عميرة » كما في القاموس « والخضخضة » كما في اللسان وكان معروفا عند العرب قديما وإن لم يكن مشهورا كما تفنده كتب اللغة ويدل عليه حديث « ناكح اليد ملعون » .

وما رواه سعيد بن جبير من قوله ﷺ « عذب الله أمة كانوا يعبثون بمذاكيرهم » وما رواه عطاء من قوله : « سمعت قوما يحشرون وأيديهم حبالى » ، قال وأظن أنهم الذين يستمنون بأيديهم كما ذكره الألوسي والخازن ، وما ذكره ابن دقيق العيد من أنه لم يكن معهودا عند العرب ولا ذكره أحد منهم في شعره فيما وصله مردود بما بيناه .

وهي عادة قبيحة ضارة ضررا فادحا بالأجسام والعقول تنشأ من الفراغ والتوانى وعدم القدرة على الزواج ، وقد أمر الله تعالى من هذا شأنه بالاستعفاف والصبر والاحتمال ، فقال تعالى : « وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله » . وبين النبي ﷺ العلاج بقوله فيما رواه ابن مسعود « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » أي أنه يؤدى ما يؤديه الإخصاء فهو شبيه به .

وقد ذهب جمهور الأئمة إلى تحريم الاستمناء باليد قال في سبل السلام تعليلا لذلك : « لو أنه كان مباحا لأرشد الشارع إليه لأنه أسهل » . واستدلوا على التحريم بقوله تعالى : « والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون » ، أي الكاملون في العدوان ويندرج الاستمناء باليد في (ما وراء ذلك) .

وقال النسفي : « وفيه دليل على أن الاستمناء باليد حرام » وهو قول أكثر العلماء . وفي تفسير القرطبي عن حرملة ابن عبد العزيز أنه قال : سألت مالكا عن الرجل يجلد عميرة فتلا هذه الآية : « والذين هم لفروجهم حافظون » الآية . وهذا لأنهم يكنون عن العضو المعروف بعميرة . وفيه يقول الشاعر :

إذا حللت بواد لا أنيس به
فاجلد عميرة لا داء ولا حرج

وقال بعض العلماء (إنه كالفاعل بنفسه) وهي معصية أحدثها الشيطان وأجراها بين الناس ولو قام الدليل على جوازها لكان ذوو المروءة يعرضون عنها لدناءتها .

والمروى عن الشافعي التحريم وفي شرح الدر في باب الصوم والحدود أن الاستمناء باليد حرام عند الحنفية لحديث ناكح

اليد مأمون وفيه التعزير إلا أنه لو خاف الزنا يرجى ألا وبال عليه .

ونقل عن العلامة ابن عابدين عن الفقيه أبي الليث أنه قال إذا فعله الرجل إرادة تسكين الشهوة المفرطة الشاغلة للقلب وكان عزبا لا زوجة له ولا أمة أرجو ألا وبال عليه أي لا عقاب عليه وأما إذا فعله لاستجلاب الشهوة فهو آثم .

ومن هذا يظهر أن جمهور الأئمة يرون تحريم الاستمناء باليد ويؤيدهم في ذلك ما فيه من ضرر بالغ بالأعصاب والقوى والعقول وذلك يوجب التحريم ، والمروى عن أحمد ابن حنبل ومن الحنفية جوازه عند الحاجة والضرورة القصوى فيكون من باب ارتكاب أخف الضررين

٣ ـ حكم جاحد الصلاة والصوم والزكاة والحج

من محمد محمد مصطفى :

بعض الشباب في هذه الأيام يعتقد عدم وجوب الصلاة والزكاة والصوم والحج فما الحكم ؟ :

الجواب :

هذه العبادات من أركان الإسلام وفرائضه المعلومة من الدين بالضرورة فمن جحد وجوبها وأنكر مشروعيتها فهو كافر بإجماع المسلمين .

قال الشوكاني في نيل الأوطار لا خلاف بين المسلمين في كفر من ترك الصلاة منكرا لوجوبها إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام أو لم يخالط المسلمين مدة يبلغه فيها وجوب الصلاة .

وقال الإمام النووي في المجموع (إذا ترك الصلاة جاحداً لوجوبها أو جحد وجوبها ولم يترك فعلها في الصورة ، فهو كافر مرتد بإجماع المسلمين ويجب على الإمام قتله بالردة إلا أن يسلم ويترتب عليه جميع أحكام المرتدين وهذا إذا كان قد نشأ بين المسلمين فأما من كان قريب عهد بالإسلام أو نشأ ببادية بعيدة عن المسلمين فلا يكفر بمجرد الجحد بل نعرفه وجوبها فإن جحد بعد ذلك كان مرتدا ، ومن جحد وجوب صوم رمضان والزكاة والحج كان مرتدا ، وأما من تركها تهاونا وكسلا مع اعتقاد وجوبها فلا خلاف في أنه فسق وإثم عظيم يجب فيه التعذير الزاجر ويأخذ الإمام الزكاة قهرا من الممتنع ، وقد كثر تهاون الناس في هذه العبادات فليعرفوا حكم الإسلام فيهم وأنهم عند الله عصاة مذنبون .

٤ ـ ذكر السيادة في الصلاة :

من إبراهيم إبراهيم عرفه

شيع بين كثير من الناس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تسيدوني أو لا تسودوني في الصلاة فهل هذا صحيح ؟

الجواب :

هذا ليس بحديث بل هو كذب ، قال في شرح الدر وحاشيته : وندب السيادة أي ذكر كلمة سيدنا في الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم في التشهد الأخير لأن زيادة الأخبار بالواقع عين سلوك الأدب فهو أفضل من تركه كما ذكره الرملي الشافعي في شرحه على منهاج النووي ، وأما حديث لا تسودوني في الصلاة فهو كذب وباطل لا أصل له وكذلك حديث لا تسيدوني مع كونه كذبا فهو لحن لغة.

٥ ـ صلاة الجنازة بدون وضوء:

من مكي عبد الرحمن علي

هل يجوز صلاة الجنازة بالتيمم وما رأى الفقهاء في ذلك ؟

الجواب :

صلاة الجنازة فرض كفاية على جماعة المسلمين إذا قام به البعض سقط الطلب من الباقي فلا تجب على الكل ولا يشترط فيها الجماعة ويشترط لصحتها ما يشترط لصحة سائر الصلوات من النية والطهارة واستقبال القبلة وستر العورة ، حتى لو صلى القوم على جنازة وهم على طهارة والإمام على غير طهارة، وجب إعادتها لأن صلاة الإمام غير جائزة لعدم الطهارة فكذا صلاتهم لبنائها على صلاته ، ولو كان الإمام على طهارة والقوم على غير طهارة جازت صلاة الإمام ولم يكن عليهم إعادة لأن حق الميت قد تأدى بصلاة الإمام .

ونص الحنفية على أن من الأعذار المبيحة للتيمم خوف فوت صلاة الجنازة لأنها تفوت بلا خلف عنها فإذا خيف فواتها بالاشتغال بالطهارة جاز التيمم لها لما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : إذا فجأتك صلاة الجنازة فخشيت فوتها فصل عليها بالتيمم وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه أتى بجنازة وهو على غير وضوء فتيمم ثم صلى عليها.

وذهب الشافعي إلى أنه لا يجوز أن يتيمم لها لأنها مثل الجمعة وسجدة التلاوة وسائر الصلوات .؟

محمد أبو شادي

أنباء وآراء

● كتب الدكتور عز الدين السيد متتبعا كلمة (سالفة) (وسوالف) في اللغة:

هذه الكلمة معروفة في فصحانا، وقد وردت في فخر مفرس بن ربعي الأسدي الجاهلي من شعراء الحماسة حين قال:

إنا لنصفح عن مجاهل قومنا
وتقيم سالفة العدو الأصيد

ومن شرح التبريزي على الحماسة: «والسالفة صفحة العنق» كما جاءت في أمثلة البلاغيين لبيان فضولة التشبيه ومنها:

ظللنا عند باب أبي نعيم
بيوم مثل سالفة الذباب

وقد رواه النويري «عندباب أبي أنيس» وفي ديوان المعاني من عون بن محمد بن إسحاق الموصلي:

ظللنا في جوار أبي الجناب
بيوم مثل سالفة الذباب
يقصره لنا هفف التلاقي
ويوم فراقنا يوم الحساب

أما القاضي التنوخي فيأتي باللفظ جمعا في وصفه لكتاب إذ يقول:

خط وقرطاس كأنهما السوالف والشعور

ويقول ابن حجاج في الهجاء:

ياهش بيض القمل فرّخ في السوالف والشعور

ولعل هذا الأخير أقرب إلى استعمال السوالف في الشعر المجاور المكان المعروف باسم السالفة على المجاز المرسل، قال في اللسان: إن من معاني السالفة الناحية من معلق القرط إلى الحاقنة، وذكر من حديث الحديبية:

لأقاتلنهم على أمري حتى تنفرد سالفتي.

قال: هي صفحة العنق وهما سالفتان من جانبيه.

● أصدرت «المكتبة العتيقة» بتونس «تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب» والكتاب من التراث الإسلامي وهو من تأليف الشيخ عبد الرحمن بن عبد الكريم الأنصاري المدني من رجال القرن الثاني عشر وقد حققه الأستاذ محمد العروسي المطوى وألحق به فهارس تفصيلية

● أذاع فضيلة الإمام الأكبر كلمة في العالم الإسلامي من البيت الحرام جاء فيها :

أيها المسلمون

ينبغي لنا - ونحن في مناسبة عيد التضحية والفداء - أن نحصن صلتنا بالله، وأن نحرص على كرامتنا وحريتنا، وأن نستمسك بكل حقوقنا، ونرفض - في إباء وشمم - كل عروض الذلة، وأن نقف صفا واحداً أمام عدو الله وعدونا ملبين داعي الحق بالجهاد في سبيل الله لاستخلاص الأرض المسلوبة، واسترداد الحقوق المغصوبة وتطهير الأماكن المقدسة.

● أقر المؤتمر الإسلامي الذي عقد بكراتشي - باكستان، وحضره وفد عن الجمهورية العربية المتحدة - إنشاء بنك إسلامي دولي للتجارة والتنمية، ووكالة أنباء إسلامية دولية وإنشاء مراكز ثقافية إسلامية في شتى أنحاء العالم وتعزيزها بمختلف ألوان الثقافة الإسلامية الدينية والعربية.

بلغ عدد الدول المشتركة في هذا المؤتمر ثلاثا وعشرين دولة.

● قدمت دولة ماليزيا إلى المؤتمر نصا كاملا لمشروع وكالة الأنباء الإسلامية، اقترحت فيه أن تقوم وكالة الأنباء الإسلامية مكونة من اتحاد وكالات أنباء جميع البلاد الإسلامية وتنظم على أسس تعاونية كي يحسن سير تبادل الأنباء بين الدول الإسلامية ولضمان نشر الأنباء الملائمة عن المسلمين في باقي أنحاء العالم.

كذلك نص مشروع ماليزيا على أن تقوم وكالة الأنباء الإسلامية بالتعاون مع الحكومات الإسلامية التي لا تمتلك وكالة أنباء على إنشاء وكالة بها كي تستطيع بعد ذلك أن تساهم في الاتحاد التعاوني للوكالة.

● ترجم السيد إبراهيم القريشي - أحد علماء تايلاند - معاني القرآن الكريم إلى اللغة التايلاندية.

هذه أول ترجمة لمعاني القرآن إلى هذه اللغة

كذلك ستصدر قريبا باللغة التايلاندية كتب إسلامية عدة منها كتاب (قواعد الإيمان في الإسلام) للعالم الأندونيسي الدكتور حكماء، وكتاب عن تعدد الزوجات في الإسلام ؟

علي الخطيب

As a religion, the religion of Islam has put forward the principles, made them essential items of its teaching, and easily available to all those who wish to see; and the Muslims, especially during their golden days have beyond doubt, displayed a sense of understanding and appreciation of this humanistic attitude in Islam; and it is now expected that the others, especially those who think that the destiny of human race is in their own hands, should reciprocate. However, it is never too late, and without undue optimism, one can see that the world, in one sense or another, is gradually moving towards this direction. The process is going to be long and the task ahead is hard and tedious.

Three classes of people, however, can make matters less hard and more effective; I mean the politicians and statesmen, the religious men, and the men of education. They can do wonders if they wish; let us hope.

(Concluded)

natural mental development. But the principles given and wisdom behind them are all harmonious and true. The same situation has a parallel in our ordinary life : in the way we teach our children. We do not teach them any principles which they have to forget afterwards. We give them the ideas which their undeveloped mentality can grasp, and which they need for the regulation of their own lives. When they grow older they receive more instructions which will complete, and not contradict, the first given ones, until we gradually impart to them all knowledge deemed necessary for their guidance in life. Every stage is, thus necessary and is completing the previous ones, The religion of Islam came to complete the previous religion before it; that one before it came to complete its predecessor and so on. Each stage is true as far as it goes, and so long it is revealed, and it is a necessary stage in the process of revelation.

Likewise, the Prophets of God — from the prophet Adam to the Prophet Muhammad including all the prophets mentioned in the Quran as well as in the Old & new tastaments — do also form one link, one line or a series of prophets, each one of them is completing the missions of those who came before. The previous prophets of God and their religions have been thus recognizec and accepted by Islam. Every Muslim is required to accept all the prophets of God and their revealed missions. No one cane be Muslim if he denies that Moses, for instance, Jesus or Abraham was a prophet of God. He cannot accept the prophet Muhammad and refuse the rest or anyone of them. It is an item of faith in Islam to believe in all prophets of God. Thus, according to Islam, the universe has been governed by one and the same systam in respect of religion, in the same manner as it is governed materially by one and the same system — by the law of nature. The whole universe is but one unit. The Creator of all is one; the moral and religious principles are fundamentally one, the created is one, the natural order is one; and all this is true and will ever remain so, so long our planets remain in contact. Hence all distinctions are just artificial barriers, a mental disease which should be cured, as I have afore-said. And it was one of the aims of Islam to break those artificial barriers; mainly by exposing some undisputable facts which may prompt people to ponder, to think, and to understand themselves, and their actual position among their fellow men and thereby help to create an atomosphere cables of leading mankind to that desirable end.

father or mother, no son or daugther; He has no shape or form; He deos not reside in a human body or any other body; He does not stand in need of anything, yet what ever is there depends upon Him; without Him nothing can exist; without His grace nothing can subsist for a single moment. He is Infinite, Perpetual, and Eternal; He is the Lord and Master of the entire universe; He is qualified by magnificent and infinite attitudes; He is all Wisdom, all knowledge, all power and all mercy. Divinity and Divine qualities belong to Him alone; He cannot be perceived by anyone of human senses, but He sees and knows everthing. The significance of this conception for the creation of human equality is quite apparent; if people become attached to one another through their blood relationship or through their relationship to one another in humanity, they would be more attached to one another through their relationship with their Lord and Master: with God, upon whom they are absolutely dependant; and who does not give natural superiority to anyone over the other; if they come to realise that their existance is through the grace of the One and Only absolute Master, and to realise that the spirit whereby He made every one of them alive, is almost identical in them; nothing can bring them nearer to one another than the realisation that, apart from everything else, they are spiritually identical.

Accordingly, if anyone of the children of Adam claims that he possesses Divine quality; if any individual or nation claim to be the chosen race or individual; if any one or nation claim that they are entrusted with the fate and destiny of mankind: they are trying to replace the almighty God, it is a kind of Blasphemy. The theory of the divine right of the king is not Islamic and cannot be accepted by Islam. Divinity belongs to God alone. "Say, verily my prayer, and my sacrifice and my life and my death are all for God, the Lord of the Worlds" S: 6, V: 162.

Besides the Oneness of God, Islam teaches that the religion of God is also one and the same in principles. In His regulations of the conduct of mankind upon earth, God has been gracious enough to regard the natural needs and mental development of mankind with respect to giving laws and orders. Laws and orders have to come gradually; have to be narrow or wide according to the developed mentality and growing needs of man. At the beginning they have been limited in scope, but gradually they grow with the growth of man's need and

honourable of you in the sight of God is the most pious of you" S : 49, V : 13. The significance of this verse is very clear : It is addressed to mankind and not only to Muslims ; it says that all men undergo one and the same category in connection with their creation and beginning ; they are created, they are dependant and needfull ; they all are begotten from the same man and woman : they have, therefore one and the same origin and one and the same nature. They have been distributed into different nations, tribes and lands, in order that they may aquire different knowledge, different powers and endowments through their different places, and thereby cooperate with one another in order to be able to conquer nature for the benefit of mankind. People can only be distinguished through their piety and good deeds which help to elevate the soul of mankind and the conditions of the society in which they live. But surely they are not so distributed in order to fight one another or to claim superiority one to the other.

In this connection the prophet of Islam has authentically made the following declaration at Mecca in his last speech : "O men verily you have on God ; you have one father; you are all the sons of Adam and Adam has been created from dust. The best of you is one who is more pious. The Arabs are not superior to non arabs, and those who have red skins are not better than those who have white skins, nor are the latter superior to the former, except through piety and good deeds. Have I fulfilled my mission, O, God be the Witness". It is to be noted here how the prophet Muhammad explained in a very impressive way that a part of his mission was to declare human equality and oneness. Shuch a conception of human equality and oneness is not there mentioned just as a fact to be recognised, but further to be accepted and acted up on, in people dealings with one another. They are expected to act as brothers and to solve their problems and differences in a friendly spirit.

When rightly understood and truly appreciated, the Islamic conceptions of God and His religion, are likely to help in bringing about that desireable and of mutual understanding between different men and different nations.

God is One ; there is one diety except God ; nothing is worthy of being worshipped except God. He is unique ; there is nothing like unto Him either in substance or attributes. He has no partner, no

ISLAM : The Religion of Unity and Universal Brotherhood

(Continued from previous issue)

The text of the lecture delivered by Dr. Mahmoud Hubballah, Member of "the Islamic Research Academy", at the Cultural Centre for Diplomats, Ministry of Culture U.A.R., on Monday 11th January 1971.

In many respects and in more than one place, the religion of Islam has regulated the relation between man and man as such regardless of culture, race or colour. All people are one and the same in substance and attributes; they are equal by nature; they are honoured and respected by virtue of their humanity; all of them and every one of them. They are born as free as birds, and as clean and innocent as cleanliness can be, nothing bad is attached to them by nature; and no one of them is better by nature than the rest; "Indeed we have honoured the children of Adam" S : IV, V : 70. That honour which God has graciously granted to the sons and daughters of the Prophet Adam is something connected with their creation and nature as human beings; everyone has his own share of it whereby he becomes a man with dignity and self-respect; he has the power and the permission to directly and personally offer his prayers to God; he can directly commune with Him; he can directly and privately repent for his sins, and the grace of God may enshrine him; he does not need anyone to intercede between him and God and accept his repentance for God. God listens to anyone who is willing to call on Him. "And when My servants ask you concerning Me, Then I am very near, I answer the prayer of the suppliant when he calls on Me" S : 2, V:186. No one, therefore, is master or servant, superior or inferior by nature; all of them are equal by nature as equality can be. The differences are later developments, through mans deeds and actions; but they will never give man more rights or privileges, except the ones that may be granted to him by the legal concept of the people or the law, so long as they do not contradict any principle of the religion. In the Holy Quran we read : "O ye people, verily We have created you of a male and a female, and We have distributed you into nations and tribes, that you might know one another, verily, the most

understand it well, it may be noted that all are agreed that the best Muslims were the immedia'e disciples of the Prophet, namely his companions. A study of their lives shows that from the very outest they were possessed of a vareity of temperaments. There was Khalid, a warrior, an intrepid soldier, on whom the Prophet was pleased, in admiration, to confer the title of "the Sword of God"; there were 'Uthman and Ibn 'Awf, who were rich merchants, and the Prophet had announced the good tidings that they belonged to the people of the Paradise; there was also Abu Dharr who detested all property, and preferred and ascetic life of mortification. We may recall the Bedouin nomad, who had visited the prophet one day, in order to learn what were the minimum duties to merit Paradise. The Prophet had replied Faith in the One God, prayers five times a day, fast during the whole month of Ramadan, and the pilgrimage and payment of zakat-tax if one had means thereto. The Bedouin embraced Islam, and burst forth : By God ! I shall do nothing more or nothing less.

When he departed, the Prophet remarked : Whoever wishes to see a man of Paradise, let him look at him : (cf. Bukhari and Muslim). Be it the warrior Khalid, or the wealthy 'Uthman, they never neglected the essential duties of Islam and its spirituality ; similarly Abu Dharr, Salman, Abu'd-Darada' and others who liked asceticism, did not obtain permission from the Prophet to lead, for instance, lives of recluses, to fast perpetually, to get castrated in horror of carnal pleasures, etc. On the contrary, the Prophet enjoined on them to marry, and added : "Thou hast obligations even with regard to thy own body." (cf. Ibn Hanbal) According to Islam, one does not belong to one's self, but to God; and it is not permitted to misuse the trust which God has reposed in us in the shape of our persons.

of which he is a member, and so on.

200 — In his celebrated expose of his teaching on faith, submission and the best method of this submission, the Prophet Muhammad defined this last point in following terms : "As to the embellishment (ihsan) of conduct, so render thy service unto God as if thou seest Him ; even though thou dost not see Him, yet He seeth thee." This beatification, this best and most beautiful method of devotion or service unto God, is the spiritual culture of Islam. "Service unto God" is a most comprehensive term, and includes not merely the cult, but also relates to human conduct throughout life. The most cultured, from the spiritual point of view, are those who abide most closely by the will of God, in all their acts.

201 — Questions concerning this discipline form the subject matter of mysticism. The term mysticism has in Islam several synonyms: Ihsan (which we find also used in the above-mentioned expose of the Prophet), Qurb (or approaching God). Tareeqat (road, i.e., of the journey unto God), Sulook (journey, unto God), Tasauwuf (which etymologically means : to put on a woollen cloth). This last term is, curiously enough, the most currently used.

202 — It is true that Muslim mystics - even as their counterparts in other civilizations - are not very eager to divulge their practices and their peculiarities to those outside the restricted circle of their disciples or confreres.

This is not because there are scandalous secrets, but probably because of the fear that the men in the street may not understand why they undergo so much "useless" pain by renouncing the amenities of life ; and also because the commoners do not beleive in the personal experiences of the mystics. So the mystics think, it is better to conceal them from those who are unable to appreciate them. Incidentally it also happens that if a thing is enshrouded in secrecy, it becomes so much the more cherished by those who ignore it, yet are in search of it.

203 — Differences of individual temperaments have existed in the human race at all times. It goes to the credit of Islam, that it has discovered certain things which it could impose on each and everybody irrespective of temperament, a minimum necessary to be shared and practised in common; and this minimum necessity touches not only the spiritual but simultaneously also the material needs. In order to

are not repartriated ; and secondly to educate them and give them the opportunity of acquiring culture in Islamic surroundings, under the government of God. Slaves are obtained only in legitimate war, waged by a government. Private razzias, kidnapping or even sale of infants by their parents have no legal sanction whatsœver.

196 — Aid to those who are heavily indebted or have too great a charge may take different shapes. We see Caliph 'Umar organizing a service of interst-free loans also.

197 — "In the path of God" includes every charitable cause; and the jurists have not hesitated to start with military equipment for the defence of Islam, since Islam struggles only and solely for the establishment of the Kingdom of God on earth.

198 — As for the "wayfarers", one can help them not only by giving them hospitality, but also by ensuring them health and comfort, security of routes and adoption of measures for the well-being of such who have to pass through a place other than their own, whether they be natives or aliens, Muslims or non-Muslims.

CONCLUSION

198/a — After having detailed the facts concerning the religious practices, it may not be out of place to repeat, that the development or the whole and the co-ordination of all parts — is the basic principle governing the Islamic way of life. The Quran has repeated scores of times : "establish worship and pay zakat-tax". What can be a better manifestation of this unity of the body and soul than the fact that the worship of the One God and payment of the duty towards society are commanded in one and the same breath ! The spiritual duties are not devoid of material advantages, and temporal duties have also their spiritual values ; all are dependent again on the intentions and motives that govern one's performance of these duties.

THE CULTIVATION OF SPIRITUAL LIFE

Islam envisages for man a discipline for his life as a whole, material as well as spiritual. But there is no denying the fact that, owing to differences of individual temperaments, certain people would specialize in certain domains and not in others. Even if one were to concentrate on the spiritual side of one's existence, he still remains more or less attached to the other occupations of life, for his nourishment, for the sake of the society

alaihi al-jizyah), the needy (fuqara) are those of the Muslim community, and the poor (masakin) — almost an equivalent — are the poor among the non-Muslim inhabitants (the protected persons). It is to be noted that the sadaqat do not include the revenues coming from non Muslims, yet Islam includes them among the beneficiaries of the taxes paid by the Muslims.

193 — Those who work for the revenues are the collectors, accountants, those in charge of the expenditure, controllers and auditors, which list practically embrace the entire administration, both civil and military, of the State, in view of the fact that the beneficiaries of these revenues include practically all departments of administration.

194 — Those whose hearts are to be won are of many kinds. The great jurist, Abu ya'la al-Farra (al-Ahkam as-Sultaniya, p. 116), points out: "As for those whose hearts are to be won, they are of four kinds: (1) those whose hearts are to be reconciled for coming to the aid of the Muslim; (2) those whose hearts are to be won in order that they might abstain from doing harm to Muslims; (3) those are attracted towards Islam; and (4) those by whose means conversion to Islam becomes possible for the members of their tribes. It is lawful to benefit each and every one of these categories of 'those whose hearts are to be won' be they Muslims or polytheists".

195 — By the term "freeing the necks," one has always understood the emancipation of the slaves and the ransoming of the prisoners of war made by an enemy. A word about the slaves may not be out of place. No religion before Islam seems to have paid attention to the amelioration of the condition of the slaves. The Prophet of Islam forbade altogether the enslavement of the Arabs as Sarakhsi records; as to other peoples, the Quran (24/33) orders that if a well-behaving slave is prepared to pay off his value to his master, this latter cannot refuse the offer; in fact, he will be constrained by the court to grant his slave opportunities to earn and save the necessary amount for obtaining manumission, (and be exempted from serving his master in the meanwhile). Further, as we have just seen, the Muslim government allots a sum in the annual budget for the aid of the slaves desiring emancipation. The object of permitting slavery in Islam is not the exploitation of an unfortunate fellow-being Far from that, its aim is first to provide shelter to the prisoners of war who have lost everything, and for some reason or other

possesses, — rights and duties being correlative terms, and colaboration being the basis of all functioning of society.

188 — There are taxes on savings, on harvests, on merchandises, on herds of beasts pasturing in public meadows, on mines, on maritime products, etc. The tariffs differ, yet all are called zakat, sadqat and other synonymous names indifferently.

189 — The tariffs of the time of the Prophet seem not to have been considered rigid and incapable of modification. We have seen above (88) that the Prophet himself exempted the inhabitants of Ta'if from the zakat, (with some other examples for other regions also). The great caliph 'Umar reduced, as Abu 'Ubaid records, the duties on the importation of victuals in Madinah. In the life-time of the Prophet, there were occasions when he was obliged to appeal for extraordinary contributions, for instance, the defence of the country against foreign menace. This has enabled the jurists to conclude that the government may impose new provisional taxes, called nawa'ib or augment the rates, for the duration of the crisis. The silence of the Quran on the items and rates of taxation confirms the deduction of the jurists.

190 — But the Quran speaks in detail of the expenditure of the State, and the principal heads of the government budget :

"The sadaqat (taxes levied on Muslims) are only for the needy and the poor, and those who work (for these State revenues), and those whose hearts are to be won, and for (freeing) the necks, and the heavily indebted, and in the path of God, and for the way farers ; — a duty imposed by God, and God is the Knower, the Wise". (Q. 9/60).

As stated above, sadaqat and zakat are synonemous, meaning : What is perceived on a Muslim subject. What is perceived on a non-Muslim, such as kharaj, jizyah, ghanimah etc., it is not included in zakat ; the beneficiaries of the two also differ considerably.

191 — While other legislations would rather prescribe rules for income, Quran, on the contrary, formulates the principles of State expenditure only. In the eight categories of beneficiaries of zakat, of whom the verse speaks, it will be noted that there is no mention of the Prophet. Some remarks may be useful for the better understanding of the range and extent of this verse, which speaks of certain exclusive recipients :

192 — According to so great an authority as the Caliph Umar, (cf. Abu Yusuf, Kharaj, ch. Fi man tajib

one of the four fundamental rites of religion, along with prayer, fasting and pilgrimage. In Islam one does not pay a "tribute" to the cheif of the city for his personal luxury and vanity, but one pays his dues, as a right connected with the collectivity, and more particularly in favour of the needy; and this for the purpose of "growing" and "purifying" one's self, as is the etymological sense of the term zakat. The Prophet Muhammad said, "The cheif of a people is in fact their servant". In order to demonstrate the truth of this saying, and the absolute disinterestedness with which he had assumed the direction of his people — both as a spiritual guide and the head of the State — the Prophet formally declared that the revenues of the Muslim State, coming from Muslim tax payers, were religiously forbidden to him and to all members of his tribe. If the head of the state does not abuse public confidence it follows that his subordinates cannot but be scrupulous in the performance of their duties.

186 — In the time of the Prophet and the Orthodox Caliphs, there was in the Muslim State no tax on Muslims other than the zakat. Far from being an almsgiving, it constituted a state-tax, an obligatory contribution fixed in quantity and in epoch, levied by sanctions and cœrcion from the recalcitrants. In order better to inculcate the importance of these payments in the spirit of the faithful, the Prophet declared that the zakat was a religious duty and a Divine prescription, on par with belief in One God, the service of prayer, the fasting and the Hajj. If belief isaspiritual duty, and prayer, fasting and Hajj are bodily duties, the payment of the zakat is a fiscal duty. The jurists call it 'ibadat maliyah' (worship of God by means of property). This is another proof — if there is need of one — of the fact that Islam co-ordinates the entire human life into a single whole, for the purpose of creating a harmonious equilibrium between the body and soul, without either favouring or treating with disdain any of these two elements of the human constitution.

187 — The Quran indifferently employs several terms to designate the tax : zakat, used in numerous verses which means both growth and purification. It connotes that one must pay part of one's growing wealth in order to purify it ; sadaqat (Quran 9/60) which signifies both truth and charity, implying that to be true to humanity, one must be charitable towards the less fortunate ; and haqq (cf. 6/141) or right. If it is the right of others, it also entails duty on the one who

DEVOTIONAL LIFE AND RELIGIOUS PRACTICES OF ISLAM

By Dr. MUHAMMAD HAMIDULLAH

III

184 — There is a reason to beleive that a pre Islamic practice was continued, at least in the early generations of Muslims, during the the Hajj festivities : Profiting by the occasion provided by such a vast assembly, and annual literary congress was organized, where poets "published" their new compositions, orators made harangues before the spellstricken masses to demonstrate their talents, professional wrestlers fascinated the spectators, and traders, brought merchandises of all sorts Caliph 'Umar gave it a most salutary administrative character. For this was an occasion for him to hold the sessions of an appeal court against his governers and commanders as also of public consulation on important projects in view. Let us recall once again, that in Islam the sacred and the profane, the spiritual and the temporal live in co-existence and even in aharmonious collaboration.

THE ZAKAT — TAX

185 — In modern times, the man in the street understands by zakat certain percentage of his hoarded cash which is to be given to the poor every year. But in the Quran, in the Hadith and in the practice of the early centuries of Islam the zakat (also called sadaqat and haqq) meant all sorts of tax perceived by the Muslim State on its Muslim subjects : tax on agricultural products, on subsoile exploitation, on commercial capital, on herds of domesticated animals lying on public pastures, on hoarded cash etc. In the beginning all these taxes were paid directly to the government, but later, during his caliphate, 'Uthman decided that Muslims could spend directly the tax on the hoarded cash to its beneficiaries prescribed by the Quran (9/60) without the intermediary of the government.

185/a — The Quran (4/5) recognizes that wealth is the basis and the essential means of the subsistence of humanity. Therefore it should not be surprising that payment of tax to the government has been raised by the Prophet to the dignity of an article of faith and

« إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم ، انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون » . (التوبة ٤٠، ٤١)

It means : "If you do not help him, yet God has helped him already, when the unbelievers drove him forth the second of two, when the two were in cave, when he said to his companion, 'sorrow not, surely God is with us'. Then God sent down on him His 'Sekina' (calmness) and confirmed him with legions you did not see and He made the word of the unbelievers the lowest; and Gods's word is the upper most; God is Almighty, All — wise. Go forth, light and heavy! Struggle in God's way with your positions and your lives; that is better for you, if you but know". (9 : 40 — 41)

Althouh the word 'Hijrah' means migration or emigration, departure, the flight and settle in another country; but it should be remembered that the Hijrah of the Prophet was a good — bye to the old idolatrous past with all its evil connections and cutomes, so much as the breaking of old ties and a greeting to the new future of purity and true faith. It was a journey in the Way of God :

« يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ، فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل ، إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شيء قدير » . (التوبة ٢٨، ٢٩)

It means : O believers! what is amisswi h you that when it is said to you, 'Go forth in the way of Gos', you sink down heavily to the ground? Are you so content with this present life, ra'her than the life to come? Yet the enjoyment of this present life, compared with the life to comes, is a little thing. If you go not forth, He will chastise you with a painful doom and will choose instead of you a folk other than you. You cannot harm Him at all. Allah is able to do all things." (9 : 28 — 29)

dwelling. They watched all night long, waiting to murder him when he should leave his house in the early dawn. They were peeping now and then through a whole in the door to make sure that he still lay on his bed. In Order, to keep the attention of the assassins fixed upon his bed, the Prophet asked Ali to put on the Prophet's own green garment and to lay on the bed. He also told Ali to remain in Mecca for a few days so as to return the belongings of persons who had entrusted them to him for safe keeping. Then the Prophet departed from his house at a moment when assassins were unaware of his attention. It is reported that a deep slumber overtook the conspirators that Prophet walked among them.

After three days' journeying the Prophet and Abu Bakr reached the territories of yathrib. They rested for four, days at a village called 'Quba', few miles south of Yathrib. He found there many Muslims and there Ali also joined them, journeyed from Mecca on foot, hiding in the day time and travelling only at night. In this Period of days the Prophet built the first mosque in the world. The Banu Amr bin Auf, to whom the village belonged, requested the Prophet to prolong his stay amongst them. But the duty of the Prophet lay before him, and he preceeded towards Yathrib, attended by a numerous body of his disciples. Thus the Prophet entered the City on Friday, 16th of Rabi Awwal (2nd of July 622. A. D.) With his advent to Medina a new era dawned in the history of Islam.

The migration of Prophet Muhammad (peace be upon him) from Mecca to Madina was the turning point in the history of Islam. This important event happened at the age of 53, after the thirteen years of his mission. The departure of the Prophet from Mecca to Medina commenced on the 4th of Rabi Awwal (corresponding with the 20th of June 622 A. D.) and he entered Medina (Yathrib) on friday, 16th of Rabi Awwal (2nd of July 622 A. D.) The Hijrah year or the era of 'Hijrah' was instituted seventeen years latter by the second Caliph, Umar, when he officially proclaimed the year of the Hijrah as the first year of the Muslim era. However, the months of the lunar year were retained and Muharram was kept at the first month of the Hijrah year.

The Holy Quran referred to this story in the following verses:

advised all who could possibly contrive to do so to emigrate to Abyssinia.

In spite of cruel persecution and emigration, the little company of Muslims grew in number. While the desciples of Muhammad were seeking safety in other lands from the persecution of their enemies, he himself stood bravely at his post and amidst every insult and outrage pursued his mission. Again they came to him with promises of honour and riches, to seduce him from his duty; always the reply was full of life and full of faith : "I am neither desirous of riches nor ambitious of dignity nor of dominion. I am sent by God Who has ordained me to announce glad tidings unto you. I give you the words of my Lord; I admonsish you. If you accept the message I bring you, God will be favourable to you both in this world and next; if you reject my admonitions, I shall be patient, and I leave God to jude between you and me."

The matter had become one of life and death for the Qureysh. An assembly of the Qureysh met in the town hall, called "Dar-el-Nadwa" and some chiefs of other clans were invited to attened. It was as a stromy meeting, for fear, of the escape of the Prophet, had entered their hearts. Imprisonment for life, or expulsion from the city were debated in the meeting. Assassination was then proposed, but assassination by one man would have exposed him and his family to the venegeance of blood. Thus Abu Jahl suggested that a number of courageous men, chosen from different families should strike simultaneously in Muhammad's bosom with their swords, in order that the responsibility of the deed might rest upon all the tribes represented, so that the relations of Muhammad would not be strong enough to avenge his blood.

This proposal was accepted and a number of youths were selected for the execution should be carried out. The Prophet was well aware of the murderous intention of the Qureysh but this did not prevent him from staying on Mecca until he received orders from God to emigrate. Receiving his Master's order to emigrate to Yathrib, he went to Abu Bakr and asked him to be his companion on the journey. The venerable Abu Bakr most decidedly agreed and both were ready to leave, but were sure that the Qureysh would prevent them.

On the appointed date, as the night advanced, the assassins posted themselves around the Prophets

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER :

ABDUL RAHIM FŪDA

Muharram 1391	ENGLISH SECTION	March 1971

THE SIGNIFICANCE OF 'HIJRAH'

By

A. M. Mohiaddin Alwaye

On the beginning of the Hijrah year, it is good to review the events leading up to this important happening which marked the greatest moment in the history of Islam. For the first three years of his mission, the Prophet preached only to his family and his intimate friends. At the end of third year he received the command of God to preach his mission in public. It was then the 'Qureysh' became actively hostile.

At the season of the pilgrimage they posted men on all roads leading to ka'ba, to warn the tribes against Muhammad (peace be upon him) who was preaching in their midst. They tried to bring the Prophet to a compromise, offering to accept his religion if he would so modify it as to make room for their gods as intercessors with Allah, or to make him their king if he would give up attacking idolatry. The bitterness of the idolaters was increased by the refusal of his uncle 'Abu Talib' to let them kill Muhammad as well as by the conversion of Umar, one of their stalwarts.

The Qureysh were now alarmed that Muhammad's preaching took a serious revolutionary movement and their power and prestige were at stake. They accordingly decided upon an organised system of persecution. The converts of the first four years were mostly humble folk unable to defend themselves against oppression, so the Prophet

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
« بدل الاشتراك »
٥٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٦٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٠٠٦

الجزء الثاني — السنة الثالثة والأربعون — صفر سنة ١٣٩١ هـ - أبريل سنة ١٩٧١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الدّين قوام الحياة وزمام الخير

للأستاذ عبد الرحيم فودة

الدين - كما قيل - وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود إلى ما فيه نفعهم، أو هو بعبارة أخرى مجموعة العقائد والنظم والأحكام والآداب التي وضعها الله وبينها النبي ﷺ بأقواله وأفعاله وتقريراته لتقود ذوي العقول السليمة - باختيارهم الرشيد الحميد - إلى ما تصلح عليه حياتهم في الدنيا، ويعظم به قدرهم وأجرهم في الآخرة.

فالإيمان بهـذه العقائد والقواعد والأحكام، والعمل بمقتضاها والسير على هداها هو الذي يضمن للإنسان حياة طيبة في الدنيا ونعيما مقيما في الآخرة، كما يفهم من قوله تعالى: « الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب » وقوله جل شأنه: « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » فإن تعليق الحياة الطيبة على الإيمان والعمل الصالح يكشف عن مدى ارتباطها بهما. وترتبها عليهما وتفاوتها بتفاوتهما، فحيثما يكون الإيمان والعمل الصالح تكون الحياة الطيبة وبمقدار ما يكون الإيمان قويا والعمل عظيما

لسكون الحياة كريمة عظيمة ، وقد بين ذلك النبي ﷺ حيث قال : « إن الله لا يظلم المؤمن حسنة ، يعطى بها فى الدنيا ويثاب عليها فى الآخرة » .

غير أن مفهوم الإيمان ليس ـ كما يتصور بعض الغافلين أو الجاهلين ـ ضيق الدائرة ضحل المادة . سهل المنال ، وإنما هو واسع جامع بعيد الغور عميق القرار ، لأنه يتناول مع اليقين بوجود الله التصديق بكل ما صدر عنه ، أو أخبر به . أو دعا إليه ، بل إنه لا يستقيم معناه مع الشك فى أى شىء أمر به الله ، كما يفهم من قوله تعالى : « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون » .

فالمؤمن ـ بمقتضى إيمانه ـ لا يرتاب فى شىء مما أمره الله به ، ولا يهاب أن يحل به الفقر أو ينزل به الموت إذا أنفق ماله أو أزهق روحه فى سبيل الله ، وذلك هو ميزان الحق والصدق فى دعوى الإيمان كما يفهم من قوله تعالى: «أولئك هم الصادقون» وقول النبي ﷺ (لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما) .

أما العمل فهو من الإيمان بمنزلة الثمر من الشجر ، ولا خير فى شجر لا يزهر ولا يثمر ، بل إن العمل بمقتضى الإيمان نتيجة حتمية له ، لا تنفصل منه ، ولا تنفك عنه ، ومن ثم ذهب بعض علمائنا إلى أنه من دعائم بنيانه وقواعد أركانه .

ولا شك أن العمل الصالح يدخل فى مفهومه كل نشاط محمود يعود على الفرد بالمصلحة ، وعلى المجتمع بالخير المشترك والنفع العام ، سواء كان هذا النشاط بدنيا أو عقليا . أو خلقيا .

فاجتهاد الانسان فى سبيل تحصيل رزقه وتربية أولاده عمل صالح ، وإنشاء مدرسة أو إقامة مؤسسة للإسهام فى خدمة عامة عمل صالح . وكل حرفة مهمة تسد حاجة الأمــة عمل صالح . وتعمير الأرض واستثمارها لخير الفرد والجماعة عمل صالح وإعداد الجيش وتزويده بكل ما يصونه ويعينه على الجهاد عمل صالح ، والتعاون على البر والتقوى بكل صوره وألوانه عمل صالح ، وكل ما اشتمل عليه الدين يستهدف اليسر والخير كما يقول الله : «يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » وكما يقول : «وما جعل عليكم فى الدين من حرج » ، وكما يقول : « ولو أن أهل القرى آمنوا

واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ».

ويفهم من قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم » أن مكانة الدين من حياة الفرد والمجتمع هي مكانة الروح من حياة الجسد وقد فصل القرآن قواعد هذا الدين وأصوله العامة ، وبين النبي عليه السلام هذه الأصول والقواعد والأحكام بقوله وفعله وتقريره ، حتى صار مفهوم الدين من الصحة والشمول والاستجابة لمصالح الناس في كل زمان ومكان بحيث يدخل في الصميم من كل تنظيم تقوم عليه حياة الفرد والأسرة والجماعة والأمة والإنسانية .

فهو الدين الشامل الكامل كما يقول الله : « اليوم أكملت لكم دينكم » وهو النعمة التامة والرحمة العامة كما يقول : « وأتممت عليكم نعمتي » وكما يفهم من قوله لرسوله ﷺ : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » .

وهو النور الذي تنشرح به الصدور . كما يقول : « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام » وكما يقول : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم » وقد حقق الواقع من حياة المسلمين في أول عهدهم بالإسلام . كل ما ذكره القرآن . فكانوا (خير أمة أخرجت للناس) (يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) (أشداء على الكفار رحماء بينهم) وكان إيمانهم هو الطاقة الدافعة في ميدان العمل ، والقوة النافعة في مجال الجهد ، والمرفأ الآمن في خضم الأحداث ، لأنه يشعر المؤمنين بالاطمئنان إلى قضاء الله ، والثقة في عدله وفضله ، والأمل في عونه وهداه ، وصدق الله إذ يقول : « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » وإذ يقول : « ومن يؤمن بالله يهد قلبه » وإذ يقول : « ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم ».

عبد الرحيم فوده

دراسات قرآنية :

الزواج طمأنينة ومودة

لفضيلة الأستاذ مصطفى الطير

قال الله تعالى « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » (الروم : ٢١)

يمضى الرجل يومه جاهداً فى سبيل بنى قومه ، ومن أجل لقمة العيش له ولذويه ، ثم يعـود إلى منزله كليلا مرهقا محطم الأعصاب ، وقد ولى النهار أو كاد .

فإن لم يجد فى بيته من أسباب الراحة ما يسترد به أنفاسه الحرة ، ويعيد إليه نشاطه الطليق ، فإنه يرجع إلى عمله فى اليوم التالى وهو يشعر بثقل الحياة على كتفيه ، ويحس للتاعب فى أعماقه ، ويجد نفسه غير منبعثة إلى الجـد ، ورجليه لا تطاوعانه فى السير ، ويديه لا تعملان فى نشاط .

ومن آيات الله الدالة على باهر قدرته وحكمته ، وعظيم فضله ورحمته ، أن خلق لنا من أنفسنا زوجات لتطمئن إليهن النفوس ، وتستريح إلى مودتهن القلوب وليكن منابع الرحمة للأزواج المكدودين فيبدلهم من تعبهم راحة ، ومن كللهم نشاطا ، فيخرجون إلى أعمالهم والابتسامة تعلو شفاههم ، والرغبة فى الجد والعمل تملأ صدورهم ، وتفيض على تفكيرهم وأعضائهم حركة ونشاطا .

وإذا كانت الزوجات خلقهن بديع السموات والأرض ليكن مصدر الطمأنينة والمودة والرحمة ، فعلى كل زوجة أن تعى ذلك تماما ، وأن تعمل على أن تكون هى الواحة الخضراء التى يتفيأ ظلها زوجها إذا عاد من عمله يتصبب عرقا ، وأن تكون النسيم العليل الذى يمر برفق عليه فينعش فؤاده ، فإن راحة زوجها راحة لها ، وهناءه هناؤها ، فإن كانت على عكس ذلك حطمته وحطمت نفسها وأولادها .

ولكى تكون الحياة الزوجية وافية بما خلقت لأجله ، رتبت الشريعة الإسلامية

لكل من الزوجين حقوقا على الآخر ، فإن أداها على وجهها المشروع ، أعطت ثمرتها من الهناء والسعادة مايديم الابتسامة على الثغور ، والغبطة فى القلوب ، وإن قصر فيها انعكست الآثار على قدر ماحدث من التقصير ، وفيما يلى حقوق كل من الزوجين على الآخر .

حقوق الزوج على زوجته :

من حق الزوج على زوجته أن تكون حفيظة على ماله إن كان لديها منه شىء ، فلا تنفق منه ولا تخرجه لأحد إلا بإذنه ، وليس لها أن تتصدق به إلا بإذنه ، ما لم يكن طعاما رطبا يخشى فساده إن بقى ، فلها أن لا تنتظر إذنه فيه ، فإن التصدق به مما يرضى عنه الزوج عادة ، إذ لا فائدة فى إبقائه ما دام يتعرض للفساد ، ولها أن تتصدق من ماله بما تعلم علما لاشك فيه أنه يرضى عن التصدق به ، وإن لم يأذن فيه بعينه ، وعليها أن تبلغه بما تصدقت به ، فربما بدا له أن يرشدها إلى أمر لم تتنبه إليه ، أو أن يضع لها خطة جديدة تتفق مع نقص طرأ على موارده المالية .

ومن حقه عليها أن تحفظ سره الذى استحفظها إياه ، فلا تذيعه لأحد قريبا كان أو بعيداً ، وأن تحفظ عرضه فى نفسها وفى بناته وأخواته ، فلا تخونه فى شىء من ذلك ، وأن تبتعد عما من شأنه أن يؤدى إلى الخيانة ، أو يثير الشبهات ، فلا تأذن لصديقه أو لأى رجل بدخوله منزله فى غيبته ، فإن ذلك مصدر شر واسع عريض.

وعليها أن لا تجالس الرجال الأجانب وحدها أو مع زوجها ، ففى ذلك إزالة لحاجز الحياء الذى يمنع المرأة عما لا يليق ، كما أنه وسيلة لمودة غير مشروعة فى كثير من الأحوال ، ومجلبة لخراب الأسر وتحطيمها .

وعليها أن لا تخرج من البيت بغير إذنه فإن أذن لها خرجت فى غير زينة ، وفى ثياب محتشمة ، والأفضل أن يكون خروجها بصحبة زوجها ، فإن ذلك يدعو إلى الطمأنينة بين الزوجين ، ويبعد أصحاب الفضول ، وبقاؤها بمنزلها يرضى ربها ، بل صلاتها فيه أفضل من صلاتها فى المسجد ، قال ﷺ : « أقرب ماتكون المرأة من وجه ربها إذا كانت فى عقر بيتها[1] ، وإن صلاتها فى صحن دارها أفضل من صلاتها فى المسجد » ، إلى آخر الحديث .

(١) عقر البيت: وسطه .

ومن حقه عليها أن لا تختلط بجاراتها، وأن تقتصر فى الاتصال بهن على الضرورى وأن لا تدخل بيوتهن، إلا من عرفتها منهن بالاستقامة، ومع هـذا يكون الدخول بقدر وحذر، وعليها أن لا تخبر جاراتها بأسرار زوجها أو بيتها أو تفاصيل شئونها ونعمتها، فإن الجارة تحسد الجارة، وتحاول أن تهدم سعادتها، وربما سعت فى سلب زوجها منها، بتنفيره منها، أو إغرائه بالتزين له أو نحو ذلك، ولتكن حذرة من سماع مايسىء إلى عشرتها معه، فإن القلوب تتغير بالكلام، فإذا تغيرت فلا حول ولا قوة إلا بالله، فلتفوت على أصحاب الغرض أطماعهم، ولتحرص على حبها لزوجها ولتبتعد عن كل ما ينفرها من عشرته، فلا تسمع لمن ينتقص ماله أو وظيفته أوجاهه أو حسبه ونسبه، ولترض بما قسم الله لها من شأن زوجها، ولتعلم أن أهم ما يطلب فى الزوج عفة اللسان واليد والاستقامة والحب لزوجته، والقيام بشئون بيته على قدر استطاعته، فإذا توفر فيه ذلك فقد توفرت لها أسباب السعادة والهناء، وما سوى ذلك فظاهر كاذبة، وسراب خادع.

والعسر الطارىء ليس بعيب، فقد يجعل للصابرين بعد العسر يسرا، قال تعالى: «فإن مع العسر يسراً، إن مع العسر يسرا»، وبالجملة: فالحب والرضا بين الزوجين هما صمام الأمان، والعاصم من ريب الزمان.

روى عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما أنها قالت: تزوجنى الزبير وماله فى الأرض من مال ولا مملوك، ولا شىء غير فرسه وناضحه[1] فكنت أعلف فرسه، وأكفيه مؤنته وأسوسه، وأدق النوى لناضحه[2] وأعلفه، وأستقى الماء وأخرز غربه[3] وأعجن، وكنت أنقل النوى على رأسى من ثلثى فرسخ، حتى أرسل لى أبو بكر جارية فكفتنى سياسة الفرس، فكأنما أعتقنى. اهـ

فها هى ذى أسماء بنت أبى بكر الصديق خير الرجال حسبا وسابقية فى الإسلام، ومن أعظمهم مالا، زوج كريمته أسماء ذات النطاقين من الزبير بن العوام، وكان وقت تزوجه منها فقيراً، فاحتملت فقره،

---

[١] الناضح: الناقة التى يسقى بها النخل.
[٢] أى: تق نوى التمر لتأكله ناقته.
[٣] أى أخيط دلوه الكبيرة.

وساعدته فحملت عنه بعض الشئون التي لم يكلفها بها الشرع الشريف وصبرت حتى جاء اليسر بعد العسر، وقد كان للزبير بعد ذلك شأن عظيم في الفتوحات الإسلامية وكان أحد العشرة المبشرين بالجنة، وكان من أولاده منها عبد الله بن الزبير الذي بويع خليفة للمسلمين بالمدينة، وقاتلته جيوش يزيد بن معاوية، وقتل شهيداً رحمه الله

ولا يعيب الزوج أنه غير جميل، فالجمال جمال الدين والخلق ورقة الشمائل وسعة الأفق، والبشر وطلاقة الوجه وطيبة القلب فلا ينبغي أن تفخر عليه بجمالها، أو تزدريه لدمامة خلقته، قال الأصمعي: دخلت البادية فإذا امرأة من أحسن الناس وجها متزوجة رجلا من أقبحهم وجها، فقلت لها أترضين أن تكوني زوجة لمثله؟ فقالت: يا هذا لقد أسأت في قولك، لعله أحسن فيما بينه وبين الله فجعلني ثوابه، أو لعلي أسأت فيما بيني وبين خالقي فجعلني عقوبته، أفلا أرضى بما رضي الله لي، قال الأصمعي: فأسكتتني المرأة، ولا ينبغي لها أن تفخر عليه بحسبها أو بمالها أو شهادتها أو أن تعيره بفقر أسرته، فمثل ذلك يوغر الصدور، ويقضي على الألفة، ويفتح أبواب الشقاق، ويعرض الأسرة لهزات شديدة، ويفسد أخلاق الأولاد، ولا يستتبع أي فائدة، ولا تفلح امرأة تتبع هذا النمط في عشرتها الزوجية، فإن كانت تريد بذلك أن يطلقها زوجها لتتزوج سواه، فهل ضمنت السعادة عند سواه حتى تهدم بيتها بيدها وهل فكرت في أولادها إذ هي تركت أيام إلى غيره، وهل أمنت عقاب الله في الدنيا بالحرمان من السعادة الزوجية عند غيره، وفي الآخرة بعذاب النار جزاء هذا البطر الأعمى، ألا رحم الله امرأة راضية قانعة، وأورثها السعادة في الدنيا والآخرة.

ومن آداب الزوجة أن تظهر لزوجها في زينة وبهجة وانشراح، حتى يشعر باهتمامها به، وانعطافها نحوه، فلا تنصرف نفسه عنها، ولا يغنمها صلاحها ودينها من ذلك، قال تعالى «ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن».

وقال الأصمعي: رأيت في البادية امرأة عليها قميص أحمر مختضبة، وبيدها مسبحة فقلت ما أبعد هذا من ذاك، فقالت:

ولله مني جانب لا أضيعه ... وللهو مني والبطالة جانب

قال الأصمعي ، فعلمت أنهـا امرأة صالحة لها زوج تتزين له .

فعليها أن يكون همها إصلاح شأنها وتنظيف نفسها وبيتها وأولادها لتدخل السرور على زوجها ، وعليها أن تقدم حق زوجها على حق أقاربها ، وأن يعف لسانها عن سب أولادها أو غيرهم ، وأن لا تراجع زوجها فيما لا يضيرها أو يضير شئون المنزل ، أما في ذلك فلها المراجعة بالأدب والمعروف .

ومن آدابها أن تلازم الصلاح والانقباض إذا غاب زوجها ، فإذا عاد رجع إليها انبساطها ومرحها ، ومن حقه عليها أن لا تطالبه بأكثر من حاجتها ، ومن حق الله عليها في شأنه أن تنبهه إلى الامتناع عن الكسب الحرام وتخوفه من عاقبته ، كما كان يفعل نساء السلف الصالح وبناتهم ، كما تنبهه إلى الصلاة إن قصر فيها ليبارك الله في العشرة بينهما ويحرم عليها أن تنكر إحسانه ، وتتنكر لمعروفه وتتجنى على حقوقه ، قال ﷺ « أريت النار فإذا أكثر أهلها النساء . يكفرن . قيل أيكفرن بالله ؟ قال يكفرن العشير ويكفرن الإحسان ، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ، ثم رأت منك شيئاً قالت ما رأيت منك خيراً قط » .

وقد أوصت أسماء بنت خارجة الفزاري ابنتها عند التزوج فقالت : إنك خرجت من العش الذي فيه درجت ، وصرت إلى فراش لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فكوني له أرضا يكن لك سماء ، وكوني له مهاداً يكن لك عمـاداً ، وكوني له أمة يكن لك عبداً ، ولا تلحفي به فيقلاك ، ولا تباعدي عنه فينساك ، إن دنا منك فاقربي منه ، وإن نأى عنك فابعدي عنه ، واحفظي أنفه وسمعه وعينه ، فلا يشمن منك إلا طيباً ، ولا يسمع إلا حسنا ، ولا ينظر إلا جميلا .

حقوق الزوجة على زوجها :

قدمنا للقارىء حقوق الزوج على زوجته ، والآن نذكر حقوق الزوجة على زوجها ، حتى لا يظن الأزواج أن كل الحقوق لهم ، وليس عليهم لزوجاتهم مثلها ، ففي الإسلام عدالة ، وبما أن الزواج شركة في مزرعة الحياة ، فعلى كل من الشريكين مثل ماله على الشريك الآخر ، قال تعالى « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن

درجة » وفيما يلي بعض حقوقهن على أزواجهن :

أول حقوق الزوجة على زوجها أن يتزوجها بصداق معجل كله أو بعضه أو مؤجل ، قال تعالى « وآتوا النساء صدقاتهن نحلة » فإذا زفت إليه عاشرها بالمعروف ، لأن الزواج شرع ليدوم ، ولا يدوم إلا مع العشرة الحنيئة .

وبما أن الزوجة تركت أسرتها التي هي جزء منها وانتقلت إليه وهو منها غريب فالواجب يقتضيه أن يسليها عن هذه الفرقة بعشرة هنيئة لينة حتى تزول الوحشة بينه وبينها ويحل محلها ألفة . وقد أوصى الله تعالى بحسن عشرتهن بقوله : « وعاشروهن بالمعروف » وعليه أن لا يديم مؤاخذتها على الهفوات ، فمن من الناس لا يخطىء ، ولا بأس أن يعظها بالقدوة الحسنة وبالمعروف عندما تخطىء ، وقد أوصى بهن النبي ﷺ فقال: « استوصوا بالنساء خيراً ، فإن المرأة خلقت من ضلع ، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج . فاستوصوا بالنساء خيراً » .

ومن حسن العشرة مداعبة الزوجة والمزح معها ، ففي ذلك تطييب لقلبها وحسن عشرة بها ، وقد كان النبي ﷺ يمزح مع نسائه ، ويعاملهن كزوج وينزل تكرما لمستوى عقولهن ، روى أنه ﷺ كان يسابق عائشة في العدو ، فسبقته يوما ، ثم سبقها ، وقال لها هذه بتلك ، وفي الخبر أنه ﷺ كان من أفكه الناس مع نسائه ، أقول : وكان ذلك منه مراعاة لبشريته وبشريتهن ، فالنبوة لا تمنع من حقوقه البشرية .

وكان عمر مع خشونته يقول : « ينبغي للرجل أن يكون في أهله مثل الصبي ، فإذا التمسوا ما عنده وجد رجلا » ، أي فإذا طلبوا ما عنده وقت الجد كان رجلا كامل الرجولة .

ولا ينبغي أن يبالغ الزوج في الدعابة ولين الخلق مع الزوجة ، حتى لا تجترىء عليه وتسقط هيبته وتفسد أخلاقها ، فخير الأمور الوسط والاعتدال بين اللين والإفراط .

فإذا رأى ما يخالف الشرع أو الأدب أظهر الجد وامتعض ، حتى تثوب إلى رشدها ، ولا تندفع في سوء الأدب أو مخالفة الشرع ، قال ﷺ : « تعس عبد

الزوجة » ، وهو الذى تسيره زوجته على هواها فلا ينبغى أن يمكن رجل لزوجته من نفسه ، فينعكس الوضع الذى شرعه الله : « الرجال قوامون على النساء » .

قال الحسن : ما أصبح رجل يطيع امرأته فيما تهوى إلا كبه الله فى النار ، ومع أن عمر رضى الله عنه كان يرى التبسط مع المرأة كما تقدم ، فإنه كان يقول : شاوروا النساء وخالفوهن ، وذلك إذا كانت المخالفة أنفع من الموافقة ، أو كانت مساوية لها فى الفائدة ، ولكنها لإثبات استقلاله وعدم تبعيته للمرأة دائما ، فمرة يوافق وأخرى يخالف إن اقتضى الأمر ذلك .

فادرس طباع زوجتك وعاملها بما يصلحها وفق حالها ، وكن فى ذلك مثل الطبيب يعطى الدواء وفق الداء ، فاستعمل اللين والسياسة ثم الخشونة فى علاج شرها ، فإن بدا منها العدو والمعدة والسالمة ، فعد إلى اللين وللطايبة والرحمة ، ولا تعكس فتكون كالذى يضع السيف فى موضع الندى ، أو الندى فى موضع السيف .

وعليك بالاعتدال فى الغيرة ، فلا تستعملها إلا فى موضعها ، فقد قال ﷺ : « إن من الغيرة غيرة يبغضها الله عز وجل ، وهى غيرة الرجل على أهله من غير ريبة » لأن ذلك من سوء الظن الذى نهينا عنه ، قال تعالى : « إن بعض الظن إثم » ، وقال ﷺ : « لا تكثر الغيرة على أهلك فترمى بالسوء من أجلك » .

وأما الغيرة فى موضعها فمحمودة ، ففى الحديث الشريف : « إن من الغيرة ما يحبه الله ، ومنها ما يبغضه الله » ، إلى أن قال : « فأما الغيرة التى يحبها الله فالغيرة فى الريبة ، والغيرة التى يبغضها الله فالغيرة فى غير ريبة » إلى آخر الحديث .

وقال ﷺ : « إن الله يغار ، والمؤمن يغار ، وغيرة الله أن يأتى الرجل ما حرم عليه » ، أقول وفى حكمه أن تأتى المرأة ما حرم عليها .

فإذا رأيت من زوجتك ما يخشى شره فنبهها إليه وامنعها عن الاسترسال فيه ، فالوقاية تمنع من الداء ، ولا تبالغ فى إساءة الظن بها وتتبع عوراتها حتى لا تفسدها ، وأحسن علاج لمنع الغيرة أن لا تكثر من نزولها إلى الأسواق ، قال الحسن : أتدعون نساءكم يزاحمن العلوج [1] فى الأسواق ، قبح الله من لا يغار .

[١] العلوج : الرجال جمع علج وهو الرجل .

فإن خرجت فبإذن، والأفضل أن يكون زوجها معها، وأن تكون فى ثياب تنم عن الاحتشام، وكما أن الزوج مكلف بأن لا يغار على زوجته إلا فى مواطن الغيرة، حتى لا يفسدها، فكذلك هى مأمورة أن لا تغار عليه إلا فى مثل ذلك حتى لا تفسده.

ومن حقوق الزوجة على الزوج أن ينفق عليها نفقة معتدلة، فلا يكون فيها تقتير ولا إسراف، قال تعالى «ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا» وقد حض النبى صلى الله عليه وسلم على نفقة الأهل فقال «خيركم خيركم لأهله» وقال فى حديث عدد فيه النفقات التى يثاب عليها «أعظمها أجرا الذى أنفقته على أهلك» وكان الإمام على رضى الله عنه متزوجا أربع نساء بعد فاطمة رضى الله عنها، فكان يشترى لكل واحدة منهن فى كل أربعة أيام بدرهم لحما، مع أنه كان من أهل التقشف والزهد، وكان الدرهم فى حينه يشترى به لحم كثير وكان ابن سيرين يستحب أن يعمل الرجل لأهله كل جمعة (فالوذجا) وهو طعام يتخذ من الدقيق والماء، والعسل، والسمن، وقد اقتبس فى عصرنا — اسم (البالوظة) من (الفالوذج)، لطعام يشبهه، ويصنع من النشا والسكر والسمن، والماء، وأحيانا يستغنى فيه عن السمن والماء باللبن وما كان يطلق عليه الفالوذج فيما مضى يسمى اليوم (عصيدة) فهى طعام يتخذ من الدقيق والعسل أو السكر والسمن والماء.

وينبغى للرجل أن يأمر زوجته بالتصدق بما بقى من طعام رطب يفسد بتركه، فهذا أقل درجات الإحسان، وللزوجة أن تفعل ذلك بغير تصريح منه لأنه مما يجرى به العرف الإسلامى.

ولا يليق بالزوج أن يستأثر بمأكول طيب عن أهله، سواء كان ذلك فى البيت أو خارجه، ولا ينبغى أن يصف لأهله طعاما رآه وهو لا يريد إطعامهم منه وعليه أن يأكل معه على مائدته زوجته وأولاده ولا ينفرد عنهم وعليه أن يبلغ زوجته من من الأحكام الشرعية ما تجهله إذ كان منه على بينة، فإن تشكك فى معلوماته فليسأل العالم عنها ويبلغها بعد علمه، وعليها أن تعمل بما يبلغها من الأحكام لترضى ربها وزوجها وتكون من أصحاب المنازل الرفيعة فى الجنة، وعلى الزوج أن يستعمل السياسة

الشرعية عند نشوز الزوجة وعدم طاعتها له، بأن يعظها ويحذرها عقاب الله، فإن لم يفلح ذلك في ردها إلى الجادة هجـــرها في المضجع إلى ثلاث ليال، وله أن يهجرها في أمر الدين إلى شهر، كما فعل رســول الله ﷺ مــع زوجاته لتأديبهن، ثم عاد إليهن بعد أن رجعن مما اقتضى غضبه عليهن

فإن لم يفلح الهجر أصلح بينهما حكم أو اثنان يمثل كل واحد منهما طرفا، وقد بعث عمر رضى الله عنه حـكما ليصلح بين زوجين، فعاد قائلا لم أستطع، فضربه بدرته وقال: إن الله تعالى يقول (أحد من الحـكمين) «إن يريدا إصـلاحا يوفق الله بينهما» فعاد الرجل وتلطف بهما وأحسن النية فأصلح بينهما.

وإذا كان النشوز من أحدهما أو كليهما فليجتهد كل منهما في حل الخلاف وإعادة الوفاق بينهما رعاية لكيان الأسرة، وحماية للأولاد من آثار الانفصال بين الزوجين وهي في عصرنا هذا آثار مدمرة وعنيفة، فهى دائرة بـين التشرد وضياع المستقبل وفساد الأخلاق، ومن لا يعيش لأولاده فالموت خير له من الحياة.

وليجتهد كلا الزوجين أثناء الخلاف في كف لسانه عن الآخر وكثرة الـــكلام، حتى لا تتسع الشقة بينهما، وسأتبع هذا المقال مقالا آخــــر في حقوق الوالدين والأولاد، إن شاء الله تعالى، وأعــود فأذكر الزوجين بأن الزواج بينهما قصد به الشارع الحكيم أن تسود في جوها الطمأنينة والمودة والرحمة كما قال سبحانه «ومن آياته أن خلق لـكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها، وجعل بينـكم مودة ورحمة» والله يقول الحق وهو يهدى السبيل. ؟

مصطفى محمد الحديدى الطير

الجهاد في سبيل الله

لفضيلة الدكتور سليمان دنيا

لا شيء - فيما أعلم - من أعمال الإنسان أجزل الله عليه المثوبة مثل ما أجزل على الجهاد في سبيله .

يقول رسول الله ﷺ : (لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها) فساعات من صباح أو مساء يقضيهن المرء جهادا في سبيل الله يجلبن له من السعادة فوق ما يجلبه له نعيم الدنيا كلها لو اجتمع له .

والجهاد في سبيل الله في أوضح صوره وأبسطها كف أذى العدو الكافر عن مجتمع المسلمين حتى يتوفر لهم الأمن والطمأنينة اللازمان لتحقيق الهدف الأسمى الذي من أجله وجد الإنسان على ظهر الأرض.

وهو في أوسع صوره تبليغ كلمة الإسلام إلى المجتمع الإنساني كله ، حتى لا يكون لإنسان عذر في الإقامة على الضلال بعد أن تتضح أمامه طرق الهدى والفلاح .

وإذا كان هناك أناس لا يحبون الحق فهم لا يحبون أن يسمعوا صوته ، ولا أن يوفروا لغيرهم مجاله وإذا كانت زحزحة هؤلاء الذين يقفون عقبة كأداء في سبيل وصول الخير لغيرهم ضرورة يمليها الحرص على تمكين الراغبين في الخير من معرفته وفعله فليس الجهاد سوى الجهد المبذول لتحقيق هذه الغاية .

والجهاد بكلا معنييه فريضة فرضها الإسلام على أهله ، وهذه الفريضة تتأكد حين يصبح خطر العدو أمرا محققا ، ففي هذه الحال يصبح الجهاد بالنفس والمال فرضا على جميع المسلمين صغيرهم وكبيرهم رجالهم ونسائهم كل على قدر استعداده ، وعلى قدر طاقته ، والبذل على هذه الصورة ، بذل النفس والمال من جميع الأفراد - كل على قدر استعداده في مثل هذه الظروف هو : الطريق الوحيد للإبقاء على المسلمين ، ورد كيد أعدائهم إلى نحورهم ، وإن التكاسل أو التواني عن القيام بهذا الواجب تمكين للعدو من القضاء على الإسلام والمسلمين ، وإننا باسم الإسلام نهيب بالمسلمين في جميع بقاع الأرض عامة ، وفي بلاد العرب بخاصة أن يستشعروا الخطر المحدق بهم في هذه

الأيام، وأن يعدوا له عدته وألا يضنوا بغال أو ثمين، فكل غال أو ثمين مرتخص في مثل هذه الظروف، وتعضدوا قول الله تعالى: «واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل».

وقوله تعالى: «وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله».

وقوله تعالى «أتخشونهم؟ فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين».

فهذا توجيه إلهي وتعليم رباني، رسم لكم به الخطة التي لا بد لكم من سلوكها ما دمتم بإزاء عدو غاشم، عبث بحقوقكم وافتات عليكم، إذا كنتم حريصين على أن تحيوا حياة كريمة تليق بالمؤمنين الصادقين الذين جعلهم الله أحق عباده بالعزة والكرامة «ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين» أعظم بها من منزلة، منزلة العزة والكرامة ينزلها الله من يعلي كلمة الله، ويسير على النهج الذي اختطه رسول الله.

ويد الله مع المؤمنين «وما رميت إذ رميت، ولكن الله رمى» وجند الله أكثر من أن تحصى، وإنه ليسخرها لنصرة عباده «بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا، يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين».

ولذلك حالف النصر المؤمنين رغم قلة عددهم وكثرة عدد عدوهم وعدده «كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين».

ولا بد لنا من الإيمان نتدرع به، فهو أقوى العدد وأفتك الأسلحة. ولقد كان سيدنا عمر رضي الله عنه وأرضاه ينطق بإلهام من الله حين أوصى جيش المسلمين بأن يتقوا الله حق تقواه، قائلا فيهم: «إنكم إنما تفضلون المشركين بطاعة الله فإن ساويتموهم في المعصية تفوقوا عليكم بكثرة عددهم وعددهم، وها هو ذا «مونتوجومرى» يردد قول عمر في خطبته أمام الجيش الثامن يوم ٤ مارس سنة ١٩٥٢ حين يقول (ويقيني أن الجيش إذا سار على غير مرضاة الله، سار على غير هدى ... إن خطر الانحطاط الخلقي في أفراد الجيش أعظم من خطر العدو ولذلك لا ننتصر في معركة إلا إذ انتصرنا على أنفسنا قبل كل شيء).

ومن فضل الله علينا أن كنا السابقين في كل خير، فلا يعرف الناس طريق النصر وطريق الفلاح إلا منا، وما علينا إلا أن

نصبقهم اليوم في الفعل كما سبقناهم بالأمس في القول والفعل معا .

والجهاد في سبيل الله مرتبة من مراتب الكمال لا يبلغها إلا المجاهدون هاهم أولاء العلماء يختلفون في حياة البرزخ لعامة المؤمنين . هل تكون ، وكيف تكون ، ولكن ليس في وسعهم أن يختلفوا في الحياة البرزخية للشهداء بعد ما تكفل الله جل شأنه بيانها وإيضاحها .

يقول الله جلت قدرته «ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولاهم يحزنون ، يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين ، الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم ، الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » .

فهذه النعوت والألقاب التي أضفاها الله على المجاهدين في الحياة وبعد المهات لم يظفر بمثلها سواهم .

والجهاد في سبيل الله يكون بالنفس ويكون بالمال ، يقول رسول الله ﷺ (من جهز غازيا فقد غزا) ويقول الله جل شأنه « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون » وفي وصف الله المؤمنين بأنهم خلصوا من أنفسهم وأموالهم ، وجعلوها في حوزة الله قبل وصفهم بالجهاد إشارة إلى أن الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمته على كلمة الكفر ينطوى على الجهاد الأكبر الذى هو التغلب على شهوات النفس ونزواتها .

وإذا كانت الغيبة والنميمة والسرقة وما إلى ذلك كله لا يتيسر المرء الخلاص منه إلا بمجاهدة النفس ورياضتها على الطهر والعفاف عن هذه النقائص ، فكيف يتيسر بذل الروح والمال رخيصين دون معاناة هذه المجاهدة .

وإذا كان رسول الله ﷺ يجعل السلوك الإنسانى كله أثرا من آثار الحالة النفسية للإنسان ، إن صلحت صلح وإن فسد فسد (إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب) .

(البقية على صفحة ١٢٠)

من الأصول السياسية والدستورية :

مصادر الشريعة الإسلامية وثباتها

للدكتور مصطفى كمال وصفي

- ٣ -

بينا فيما مضى الرأى القائل بأن الشريعة الإسلامية ليست بها أصول سياسية ودستورية . ونقدنا هذا الرأى وبينا خطأه وخطره .

وعقبناه ببيان رأى من قالوا إن مصادر الشريعة الإسلامية فى السياسة والدستور هى من المرونة والسعة بحيث تصلح لكل زمان ومكان ، بمعنى أنها - فى نظرهم - تتقبل الأفكار الحديثة كلها من رأسمالية أو شيوعية أو اشتراكية أو غيرها .

وقررنا أن الصواب - فيما نرى والله أعلم - هو أن مرونة الشريعة الإسلامية وقابليتها للتطور يخضع بلا شك لقيد التزام الأصول الشرعية ومقاصد الشريعة وكلياتها . وأن هناك فرقا بين الانطلاق والهدم ، وبين التطور والملاءمة .

ولا شك أن هناك جزءا من أحكام الشريعة لا يقبل التطور .

وذلك هو كل ما جاء به نص فى الكتاب والسنة ، فإنه لا يجوز العدول عن النص أو تعديل تطبيقه مهما طال الزمان .

وأما ما لم يرد فيه نص ، فقد قيل إنه يجوز العدول فيه عن القياس إلى الاستحسان . وقيل غير ذلك .

وتطبيق النصوص على النوازل يتم على نوعين :

أمور تكون ولاية المكلف فيه مقيدة . فلا تكون له أدنى حرية فى التقدير ومواجهة الظروف .

وأمور تكون ولايته فيها نظر له ، فيجوز له أن يتصرف فى الظروف حسب الأحوال ليلائم بين مقاصد الشريعة والنصوص . وبين ما يصادفه من أحوال وقد يأتى ذلك له عن وجه للتخيير والإباحة ، وقد يكون بلا نص .

ومثال ذلك - فى الأمور المقيدة -

عدم ترك الجهاد، والقيام بهذه الفريضة . وفي الأمور الموسعة أن يعرض المدنة أو يقبلها - في غير الأحوال التي تجب فيها وجوبا مضيقا . أو أن يعمد للجهاد القولي أو بالتأليف بدلا من الجهاد بالسيف ، وكل ذلك حسب مناسبات الأحوال وحسب الظروف . فالمضيق المحدد في هذا التكليف هو أصل الجهاد . والموسع فيه مناسباته ووسائله وكيفيته ووقته وكم، ونحو ذلك .

وهذه الظاهرة - ظاهرة الولاية المقيدة والولاية التقديرية - هي ظاهرة عامة مدروسة في كل النظم، فقد قيل بأن النصوص تعمد إلى ترك حيز من الحرية والتقدير حتى يمكن الملاءمة بين تطبيق القانون والظروف الواقعية فلا يجد الناس حرجاً عند إنزال النصوص على الظروف .

وليست مراعاة المصالح أمراً لاقيد عليه ، بل هو محكوم بأصول الشريعة فإن كانت المصلحة مقيدة بالنص فلا حيلة فيها ، بل يجب مراعاة ما يعتبر منها مؤثراً ، أو مناسباً (غريباً أو ملائماً) [1] وإن كانت مرسلة أي ليس لها شاهد من النص بالاعتبار أو الإلغاء فإنه يجب مراعاة مقاصد الشريعة فيها . وقد قيل إن للملاءمة السابق ذكرها تخرج من المصالح المرسلة وقيل - وهو الأصوب - تتقيد بها وهو قول الغزالي في شفاء الغليل [1]

وعلى ذلك فإنه في تطبيق الشريعة الإسلامية سواء في المصالح المقيدة أو في إنزال النصوص في الأمور المقيدة المضيقة، أو في أمور الملاءمات الموسعة ، أو كان في المصالح المرسلة ، فإنه يجب دائماً التقيد بأصول الشريعة ومقاصدها وأحكامها فإن كان نص وجب اتباعه أولا مضيقاً أو موسعاً ، وإن كان أمراً يقاس تقيدنا في ذلك بالقياس ما لم نر استحسانا عند من أجازوه . وإن لم يكن هناك نص نظرنا إلى مصالح الشرع في حفظ الضرورات الخمس ورفع الحرج وتحقيق المنافع .

وقد انتقد بعض أهل هذا الزمان التقيد بأصول الشريعة وأحكامها ، وقالوا - بدعوى التطوير - إن ذلك تزمت وإن هذه النصوص نزلت في بيئة بدوية أولية وقد مضى عليها ألف ونصف من الزمان

(١) رسالة الدكتور محمد رمضان سعيد البوطي : ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية مقدمة لجامعة الأزهر ١٩٦٥ - المكتبة الأموية بدمشق ١٩٦٧

(١) البوطي صفحة ٢٣٠ و ٢٣١

ولذلك دعوا إلى الانطلاق والتحرر ، واستعملوا ألفاظ : سماحة الشريعة ، ومرونتها ، وحكمها العالية ، لتحكيم الأهواء في الانطلاق .

والواقع أن ثبات المعايير وتطورها أمر ليس جديداً على البحث ؛ فليس من الصحيح أن الفكر الحديث يزعم أن القانون يتطور مع الزمان وأن العدالة أمر متغير متطور ، وأنه قد طرح ثبات المقاصد وهجر الفكرة التي كانت بأن العدل أمر ثابت لا يتغير .

وهذه مسألة هامة يجب بيانها لأن مغالطة أنصار الانطلاق بالشريعة تقوم على دعوى استحالة ثبات المعايير وضرورة تطويرها .

رأي الفكر الحديث في ثبات المعايير :

كان الرأي المستقر أولا هو أن المجتمعات تخضع لمثل عليا ثابتة وأن القانون إنما يسعى للكشف عن هذه المثل وتحقيقها في المجتمع .

ولما كان هذا الرأي — في الواقع — يتمشى مع الأصول الدينية ، فإنه كان ينسب إلى شراح القانون الكنسي في العصور الوسطى ومستهل العصر الحديث، الذين قالوا إن هناك قانون إلهي وقانون إنساني ، وإن القانون الإنساني متقيد بالقانون الإلهي عليه أن يتحراه ويقتفي خطاه ويتقيد بمقاصده .

ثم جاءت الأفكار الإلحادية في القرن الثامن عشر والتي كانت تضيق ذرعا بالكنيسة وتحكمها فقالت إن جميع الأوضاع من صنع إرادة الإنسان وإنه يتطور بها كيف يشاء حسب ظروفه .

وأول من كتب في ذلك هو (مونتسكيو) في كتابه (روح القوانين) إذ قال أنه لا يعقل أن قانونا واحداً يطبق على الأسكيمو وأهل المناطق الحارة وإنه يجب مراعاة ظروف البيئة في القوانين ، وبذلك هدم — مؤقتا — فكرة ثبات النظم ودعا إلى تطويرها ؛ وعلى أثر ذلك قامت نظرية جديدة في ألمانيا سميت باسم نظرية التطور التاريخي . وقوامها أن القانون هو تعبير عن احتياجات المجتمع في وقت معين ولذلك فلا ثبات لمعايير العدالة ولابد من أن يتطور القانون حسب الزمان والمكان .

وقد علا شأن هذه النظرية في القرن التاسع عشر حتى بهرت الأبصار واستبدت بالأفكار .

ولكن ما لبث أن تكشف وجه الزيف بها . فالإنسان هو هو، وغرائزه كما هي منذ فجر التاريخ واحتياجاته الطبيعية لم تتغير سواء كان في عصر الحجر أو ما نسميه الآن بعصر الذرة . فما زال الإنسان بغرائزه وعوائده الأساسية لم يتغير، يحتاج للأمن وللأكل وللنكاح ولاتقاء عوامل الجو والمرض والعلم والترفيه ، بلا تغيير جوهري في ذلك .

وإنما تتغير الكميات والكيفيات ، والطرق والمناسبات فحسب ، فعوامل السرعة والبطء والضيق والسعة والكثرة والقلة تتغير تغييرا فرعيا في العوائد وطرق قضاء الغرائز دون أن تقضي عليها ولذلك فإن معايير العدالة ثابتة لا تتغير ، لأنها تقوم على طريقة توزيع هذه الاحتياجات بين الناس وكيفية استيفائها .

وبذلك فقد ظهرت آراء جديدة قاومت نظرية التطور التاريخي وأطفأت بهرجها الذي خلب الأبصار ، ومن أهم من قام بذلك عالم فرنسي اسمه (جيني) وانضم إليه أكثر علماء القرن الماضي واستقر الرأي على أن هناك معايير ثابتة وعدالة ثابتة وأنه ليس صحيحا أنه يجب الانطلاق بالقانون وتطويره بلا حدود .

واعترف جميع المفكرين الآن تقريبا بذلك .

وأصبحت الآن الفكرة المسيطرة هي أن الإنسان يخضع لعوامل ثابتة ـ تسمى بالقانون الطبيعي ـ وأن التنظيم الاجتماعي يجب أن يتقيد بذلك .

ويبدو أن مد هذه الأفكار الحديثة لم تصل إلى مصر .

إن الرقي القانوني عندنا متخلف جدا وهذه حقيقة محزنة .

ويريدون أن يفرضوا هذا التخلف على الفكر الشرعي الذي يتهمونه بالتأخر وهو في الحقيقة أكثر منهم تقدما .

ولعلنا نذكر هنا ، ما يقال عن حتمية الحل الاشتراكي ، فإن هذه الفكرة هي نتيجة العودة إلى ثبات المعايير والعدالة واستقرارها ، وطرد فكرة التطور التاريخي غير المحدود .

فإن أنصار الاشتراكية قد وصلوا إلى ذلك بقولهم إن التاريخ أثبت دائما أن هناك صراعا طبقيا ، وأن هذا يؤدي إلى حتمية الحل الاشتراكي، ومعنى ذلك أنهم يعترفون بأن هناك عاملا ثابتا في التاريخ وأن الضرورة تقتضي الكشف عن الوسيلة

الناجمة الموافقة لهذا العامل الثابت وأنهم متى وصلوا إلى الحل الاشتراكى فإنه لا تطور بعد ذلك.

وهذا دليل على أن الأفكار العالمية استقرت الآن على نفى فكرة التطور والرجوع إلى فكرة الثبات .

ثبات الشريعة:

فإذا وصلنا إلى ذلك لم يكن غريبا أن نقرر أن العدالة الإسلامية هى عدالة ثابتة وأنه يجب التقيد بهذه العدالة على مر الزمان متى ثبتت صلاحيتها .

وأنه لا يصح أبدا طرح الشريعة لمجرد الطعن عليها بالقدم ومضى المدة وتغير الظروف . وإنما يكون نقدها ـ لا سمح الله ـ موضوعيا عن طريق فحص كل حكم وتقرير مدى صلاحيته للمجتمع .

فالقول بتغير الظروف هو دفع شكلى لا قيمة له والعبرة بالفحص الموضوعى . ونحن لا يمكننا أن نهجر الشريعة لمجرد القول بأن الزمان تطور وتغير، فقد أثبت التفكير العالمى كذب هذه الفكرة .

هناك فرق بين الظروف الداعية للتطوير، وبين الأمراض الاجتماعية التى يجب مقاومتها .

هناك فرق بين ظروف كسرعة المواصلات الحديثة وازدحام المدن وقيام الصناعات الكبرى وازدياد المعاملات وضخامة المصالح، وبين الهوى المستبد بالفتيان والفتيات والشيوخ المتصابين ، وممارسة هذه الرذائل .

فلا شك أننا يجب أن ننظر إلى الدواعى الجدية ونبحث فى أصولنا عن حلول لها على الوجه التقدم ، أى بين المصالح للقيدة (بفقهها الضيق والموسع) وبين المصالح المرسلة .

كما يجب أن نحارب الدواعى العابثة الهازلة ونعالجها ، فليس معنى أن يظهر فى الناس الشذوذ الجنسى أن نصدر قانونا بإباحته كما فعلت بعض الدول الكبرى . وليس معنى أن تظهر فى المجتمع قوى مسيطرة بوسائل غير مشروعة أن نعدل نظمنا خضوعا لها .

وإنما الحق بين والباطل بين ، والذى يفرق بينهما وفى المتشابهات نستهدى بما أوتينا من العقل فى ضوء الأصول العامة للشريعة وروحها .

والله سبحانه وتعالى الموفق للخير .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ؟

مصطفى كمال وصفى

مسئولية الإيمان

للأستاذ أبو الوفا المراغي

— ٢ —

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ انه قال :

(اجتنبوا السبع الموبقات أي (المهلكات) قالوا : يا رسول الله وما هن ؟ قال : الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات) رواه الشيخان .

لقد جمع النبي ﷺ في هذا الحديث جملة من الجرائم الكبرى التي نهى الإسلام عن اقترافها وكل منها خليق بحديث خاص يبين خطرها على المجتمع ؛ ومن ثم يبين علة تحريمها ، والذي يعنينا في كلمتنا هذه بالحديث عن شأن من شئون الجهاد ، وهو الفرار من الزحف أي من ميدان المعركة حين يقع الالتحام بالأعداء ، ومقدار احتفاء الإسلام بشأنه وتشديد الوعيد عليه .

لقد كتب الله على المؤمنين القتال صيانة لعقائدهم وحماية لدعوتهم ودفاعا عن أوطانهم وحرماتهم وهو يعلم ما في القتال من أهوال وخطوب وقد كتبه لأنه سنة من سنن الحياة كما قال جل شأنه : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز » .

وقد وصف الله القتال بأنه كره كما قال جل شأنه : « كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون » .

ولا شك أنه كره لما فيه من الآلام والمشقات وبذل الأرواح والأموال ولكنه ليس كرها خالصا بل فيه خير نعلم بعضه ولا نعلم كله والله أعلم بما نعلمه وما لا نعلمه فالقتال سبيل العزة والكرامة والأمن والاطمئنان والحرية والسلام وكل هذه نعم لا يقدرها الا من حرم منها .

ومسئولية الإيمان بوجوب الجهاد أخطر

المسؤليات الإيمانية لخطر آثاره على الأمة الإسلامية لا يجوز التهاون فيها أو التقليل من شأنها ، فمن وجب عليه الجهاد وتصدى له وجب أن يخلص نفسه ويجمع همه وعزمه للنصر ولا يكتفى الإسلام من المجاهد أن يحمل السلاح ويتواجد فى الميدان وإنما الذى يرضاه وينشده فى المجاهد أن يكون سلاحه إخلاصه وإيمانه ورغبته فى نصر دين الله وإعلاء كلمته أشد مضاء وأبلغ فى العدو نكاية مما يحمل من حديد ونار وطيارات ومدافع ، والجهاد بالسلاح دون أن يصاحبه عزم وإخلاص جهاد صورى لا يبلغ هدفا ولا يحقق غاية وليس أبغض إلى الإسلام من شعارات يعوزها التحقيق أو صور تنقصها الأرواح ، لذلك حرص الإسلام على توفير النوايا فى الأعمال كما قال ﷺ إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء مانوى)

والمجاهد الذى ينشده الإسلام هو المجاهد الذى يجمع قوته وعزمه ورأيه وحيلته ويقطع كل وصلة بينه وبين الدنيا فلا يكون همه إلا الانتصار والظفر وذلك هو الجهاد الحق الذى أمرنا به فى قوله تعالى: «وجاهدوا فى الله حق جهاده». لقد شدد الإسلام فى أمر الجهاد ما لم يتشدد فى غيره وبعد أن وجه الأوامر الصارمة للمسلمين عامة بأن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله، وبأن ينفروا خفافا وثقالا ليجابهوا العدو كتلة متماسكة يشد بعضها بعضا حتى لا تتاح للعدو فرصة ينفذ إليهم منها خص جنود الميدان بتوجيهات مقرونة بالعقاب مرة وبالثواب أخرى حسب إخلاصهم وبلائهم ومن تلك التوجيهات أنه حتم على جنود الميدان أن يثبتوا ويصمدوا فى وجه العدو ويصبروا فى لقائه وإن كثر عدوه وعدته قال تعالى: «يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين »

قال العلامة القرطبى فى تفسير هذه الآية : ضمنه وعد بشرط ، إن معناه أنه يصبر منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين .

فقوة الصبر فى نفوس المؤمنين تعدل كثرة العـدد فى أعدائهم .

ومن تلك التوجيهات التى آخـذ بها المؤمنين أنه حرم عليهم الفرار من الميدان والتولى يوم الزحف أعنى يوم الالتحام والالتقاء واعتبره جريمة من أكبر الجرائم الموجبة لغضب الله ومقته ، وغضب الله ومقته فى بيان القرآن إنما يكون على أفظع الجرائم كالشرك بالله وقتل النفس . قال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير» .

قال العلامـة القرطبى فى تفسير هذه الآية :

يعنى إذا تدانيتم وتعاينتم فلا تفروا عنهم ولا تعطوهم أدباركم ، حـرم الله ذلك على المؤمنين حين فرض عليهم الجهاد وقتال الكفار ، قال ابن عطية : والأدبار جمع دبر . والعبارة بالدبر فى هـذه الآية متمكنة الفصاحة لأنها مبشعة على الفار ذامة له . وقـد رأى بعض الفقهاء تجريد الفار من الميدان من بعض حقوقه المدنية فقال : لا تجوز شهادة من فر من الزحف .

ومن التوجيهات التى قرنت بالمكافأة على الثبات فى الصف والصـدق فى لقاء العدو قوله تعالى : « إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص » وأى مكافأة أفضل من حب الله وأى جزاء أعظم من الفوز برضاه .

وتطبيقا لمبدأ الثبات فى وجـه العدو والصمود له ، وقف المسلمون فى غزوة بدر وكانوا قلة بالنسبة إلى أعدائهم حتى انتزعوا منهم النصر ، وسار طارق بن زياد إبان فتح الأندلس فى ألف وسبعمائة إلى (لذريق) ملك الأندلس وكان فى سبعين ألف مقاتل ، والتقى به وصبر له حتى هزمـه وفتحت الأندلس ، ولقد كان المسلمون فى أغلب الوقائع الإسـلامية دون أعدائهم عددا وعدة ، ولـكن الإيمان والصبر والثبات والرغبة فى الاستشهاد كانت تعوض ما كان ينقصهم من العدد والعدة .

وإذا كانت القوانين العسكرية تجرم الفار وتقرر له عقوبة الإعـدام ، فإن القانون الإسلامى جعل عقوبته غضب الله وجعل جهنم مأواه ومثواه وإنها لعقوبة لا تعدلها فى نفس المسلم عقوبة فى فظاعتها ونكالها .

ولم يكن استبسال المسلمين الطمع في مغنم كما يتخيل بعض المشككين في نزاهة الغرض في الجهاد الإسلامي بل كان لنصرة الحق وتحرير العقول من أغلال الشرك ولتصحيح الأوضاع والأفكار ، يمثل ذلك هذا الحادث الذي وقع لبعض المجاهدين نلخصه من سنن النسائي ، ففي السنن : أن أعرابيا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال له : أهاجر معك ، فأوصى به النبي بعض أصحابه فكانت غزاة غنم فيها النبي ، فقسم عليه الصلاة والسلام ، وقسم له ، فقال الرجل : ما هذا ؟ فقال النبي : قسمته لك ، فقال الرجل: ما على هذا اتبعتك ولكني اتبعتك على أن أرمى إلى ههنا وأشار بيده إلى حلقه بسهم فأموت فأدخل الجنة ، فقال النبي : (إن تصدق الله يصدقك) فلم يلبثوا ثم نهضوا في قتال العدو فأتى به إلى النبي عليه السلام محمولا قد أصابه سهم حيث أشار ، فقال النبي : أهو هو ؟ قالوا : نعم ، قال : صدق الله فصدقه ، ثم كفن في جبة النبي ثم قدمه فصلى عليه ، فكان مما ظهر من صلاته دعاؤه : (اللهم هذا عبدك خرج مهاجرا في سبيلك فقتل شهيدا وأنا شهيد على ذلك)

بمثل تلك الروح الصادقة جاهد المسلمون فصدقهم الله وعده ومنحهم عونه ونصره وإن نصدق الله في جهادنا فلنا مثلهم ، نصر من الله وفتح قريب ؟

أبو الوفا المراغي

(بقية المنشور على صفحة ١١١)

فكيف لا يكون الجهاد في سبيل الله ، ضد الكفر والكافرين ، نتيجة لمعاناة نفسية شاقة كان من نتيجتها الرضا عن التضحية بأعز شيء في الوجود ، ألا وهو النفس ولعل قول رسول الله ﷺ (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر) يعني أننا رجعنا من العمل في نطاق محدود وهو قتال الكافرين إلى العمل في نطاق غير محدود وهو مجاهدة شهوات النفس في شتى جوانبها تلك الشهوات التي صرف عنها الانشغال بقتال الكفار .

والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده ومراد رسول الله ﷺ .

وأستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه من خطأي وتقصيري ؟

د. سليمان دنيا

حولَ التفسيرِ العِلميّ للقرآن

للدكتور علي عبد الواحد وافي

« آثرنا إرجاء متابعة الحديث عن : « النظام الاقتصادي في الإسلام » لضرورة الرد في هذا العدد على تعقيب الدكتور الغمراوي على مقالنا السابق ، على أن نتابع الحديث في موضوعنا « النظام الاقتصادي في الإسلام » فيما يلي من أعداد إن شاء الله » .

اطلعنا في عدد ذي الحجة ١٣٩٠ من مجلة الأزهر — ونحن نحزم حقائبنا للسفر إلى الجزائر — على مقال للأستاذ الدكتور محمد أحمد الغمراوي يعقب به على بعض ما ورد في مقالنا في المجلة نفسها في عدد ذي القعدة ١٢٩٠ تحت عنوان « التفسير العلمي للقرآن » ، فلم يتسع وقتنا لنرد رداً مفصلا على ما جاء في تعقيبه ، واكتفينا بإشارات موجزة تلخص ما أخذناه على هذا التعقيب في النقاط الخمس التالية :

١ — يذكر سيادته أن تفسير ما ورد في القرآن الكريم من آيات كونية تفسيرا يجعلها متفقة مع نظريات علمية حديثة ليس بدعة في العصر الحاضر ، بل لقد اتجه بعض القدامى من المفسرين كالفخر الرازي والزمخشري وبعض علماء الإسلام في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين كالأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده.

وردنا على ذلك أن ما ذكرناه في مقالنا السابق ليس مقصوراً على المحدثين من رجال العصر الحاضر ، بل هو كذلك موجه إلى كل من سلك من القدامى وغيرهم سبيل التعسف في تفسير آيات الذكر الحكيم ليجعلها مطابقة لنظريات علمية حديثة . هذا إلى أن معظم ما يذكره القدامى من هذا القبيل إنما يذكرونه على أنه حقائق علمية يعلمونها الناس بمناسبة ما ورد في الآيات التي يفسرونها ، ولا يذكرونه على أنه تفسير لهذه الآيات . وإذا ذكروه على أنه تفسير لآية ما لا يتعصبون له ولا يجعلونه تفسيراً متعيناً كما يفعل بعض من أقحموا أنفسهم في تفسير القرآن في العصر الحاضر، وإنما يذكرونه ويذكرون غيره مما أثر في تفسير الآية ومما يمكن تفسيرها به ، ليتاح للباحث مجال للاختيار والترجيح .

ومثل هذا يقال فيما سلكه بعض علماء الإسلام في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين كالشيخ محمد عبده والشيخ طنطاوي جوهري . فإنه لا تثريب عليهم حينما يسلكون المسالك السليمة في هذا

الصدد ، ولكنهم ينحرفون عن الجادة حينما يسلكون مسلك التعسف في تفسير آية كونية ليجعلوا مدلولها معبراً عن نظرية علمية حديثة - والأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده - مع ماله من آثار جليلة في الدراسات الإسلامية والإصلاح الاجتماعي - لم تخل بعض آرائه في التفسير والحديث وفروع الشريعة من مآخذ . وبعض هذه المآخذ قد أخذها عليه تلميذه السيد رشيد رضا . فاستدلال الدكتور الغمراوي ببعض آراء الشيخ محمد عبده وببعض تفاسيره ليس حجة قاطعة في هذا الموضوع ، ومن الغريب أن الدكتور الغمراوي الذي لم يرتض ما ذهب إليه ابن عباس ترجمان القرآن نفسه في تفسير قوله تعالى : « أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما » إذ يقرر أن معناها أن السموات كانت ملتحمة لا تمطر وأن الأرض كذلك كانت ملتحمة لا تنبت ، ففتق الله هذه بالمطر وهذه بالنبات ، يبدو عليه أنه يجعل تفاسير الشيخ محمد عبده فوق كل شبهة ويحاول أن يلزم الناس بقبولها ! صحيح أننا لا نرى أن جميع ما أثر عن ابن عباس صحيحا في ذاته أو صحيحة نسبته إليه . ولكننا لا نرى كذلك أن جميع ما قاله الشيخ محمد عبده يجب التسليم بصحته.

٢ — يرى الدكتور الغمراوي أن تفسير الآيات الكونية تفسيرا يجعلها مطابقة لنظريات علمية حديثة هو تحقيق لإعجاز القرآن في نظر من لا يعرفون العربية . وهذا الكلام يبدو غريبا . فهل إعجاز القرآن يتحقق في أن يأتي بما استطاع البشر أن يأتوا به وما استطاعت عقولهم أن تصل إليه ؟ ! هل إعجازه يتحقق في أنه قد أتى بما أتى به نيوتن وجنز وانشتاين ! ؟ هل إعجازه في أن يكون أشبه شيء بكتاب فلك أو طبيعة أو كيمياء ؟ ! إن الكتاب الكريم لأسمى من هذا كله . وإن الإعجاز هو الأمر الخارق للعادة الذي لا يستطيع مخلوق أن يأتي بمثله في أي زمان ومكان : « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » .

٣ — يذكر الدكتور الغمراوي في مقاله أن استشهادنا بقوله تعالى في سورة القمر « ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر » لتأييد ما ذهب إليه ابن عباس في تفسير آية : «أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما » ، هو استشهاد في غير

موضعه « لأن الآية وصف لبدء الطوفان » ولم يفطن الدكتور إلى مقصدنا من هذا الاستشهاد مع أننا صرحنا به فى مقالنا فذكرنا أنه مما يؤيد تفسير ابن عباس أن القرآن يعبر فى مواضع أخرى كثيرة عن نزول المطر كأنه نتيجة لتشقق السماء وتفتح أبوابها بعد أن كانت موصدة وعن ظهور النبات كأنه نتيجة لتشقق الأرض بعد أن كانت متماسكة الأجزاء . فلم يغب عنا أن الآية فى طوفان نوح ، ولا يمكن أن يغيب ذلك عمن له أدنى إلمام بسياق الآيات فى القرآن الكريم ، ولم نقصد الاستشهاد بقصة الطوفان ، وإنما قصدنا الاستشهاد بفعل « ففتحنا » الذى ورد فى الآية ، كما قصدنا الاستشهاد بفعل « شققنا » الذى ورد فى قوله تعالى بشأن الأرض « ثم شققنا الأرض شقا فأنبتنا فيها حبا . » ، والإشارة إلى مطابقة مدلول هذين الفعلين لفعل « ففتقناهما » الوارد فى الآية التى هى موضوع المناقشة .

٤ — يأخذ علينا الدكتور الغمراوى أننا قد ذكرنا مثالا واحدا ينطوى على خطأ فاضح وقع فيه بعض من يحاولون من المحدثين هذا النوع من التفسير ، وزلة واحدة لا تكفى للإقلال من قيمة ما نشره هذا الكاتب . والحقيقة أنه قد جاء فى المؤلف الذى أشرنا إليه فى المقال السابق من مؤلفات هذا الكاتب وفى مؤلفاته الأخرى أخطاء فاضحة كثيرة لا يتسع المقام لذكرها ، وقد أشرنا إلى بعضها فى مؤلفنا عن « حقوق الإنسان فى الإسلام » (الطبعة الرابعة صفحات ٢٣٤ ــ ٢٣٧) منها مايذكره فى تفسير قوله تعالى « وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم » إذ يزعم أن الآية تشير إلى الأقمار الصناعية وسفن الفضاء وما تحمله من دواب ، وما يذكره فى تفسير قوله تعالى : « اقتربت الساعة وانشق القمر » إذ يزعم أن الآية تشير إلى الزلازل المدمرة التى سيتعرض لها القمر فى المستقبل والتى ستؤدى إلى انشقاقه كما حدث فى زحل ، ومايذكره فى تفسير قوله تعالى « والذى أخرج المرعى ، فجعله غثاء أحوى » إذ يزعم أن المرعى هو الأشجار التى طمرتها الهزات الجيولوجية فى باطن الأرض وأن الغثاء الأحوى هو الفحم الحجرى الذى استحالت إليه هذه الأشجار .

٥ — يدور معظم مقال الدكتور الغمراوى حول قوله تعالى « أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما » . فهو يقطع بأنها معبرة عن

نظرية السديم وأن معناها أن السموات والأرض كانتا كتلة واحدة ثم انفصلت كلتاهما عن الأخرى ، ولا يقبل أي تفسير آخر حتى لو كان تفسير ابن عباس .

وهذا موقف غير سليم من وجوه كثيرة نجتزىء بأن نذكر منها أربعة وجوه :

(أحدها) أن نظرية السديم غير مسلم بها من جميع العلماء ، بل إن منهم طائفة كبيرة تذهب إلى أن الأرض قد خلقت خلقاً مستقلا ، وقد يتحقق الناس بعد أن يتمكنوا من الوصول إلى الكواكب السيارة لأخرى فساد نظرية السديم ، فهل يصح أن تفسر الآية بنظرية مشكوك في صحتها ، ويمكن أن تدل كشوف مستقبلة على فسادها ؟ ! إن تفسير الآية على هذا النحو يعرض كلام الله للكذب والتكذيب تعالت كلمات الله عز وجل عن ذلك علوا كبيرا .

(وثانيها) أن الدكتور الغمراوي من المتخصصين في علوم الصيدلة ، وهو بحكم تخصصه يعلم أن كل ما يقال عن الأصل الأول للكائنات العضوية وغير العضوية وكل ما يقال عن أصل الكون لا يخرج عن فروض لا يمكن أن ترقى أبدا إلى درجة اليقين ، وهي إلى بحوث الميتافيزيقا أدنى منها إلى بحوث العلوم ولا يصح أن تفسر الآية على أساس فرض غير يقيني ، وهو نفسه يذكر في مقاله أنه يشترط في هذا النوع من التفسير « المطابقة بين اليقيني واليقيني بين النص القرآني واليقيني من العلم »

(وثالثها) أن الله تعالى يمن في هذه الآية على الكفار ببعض نعمائه على الناس ونظرية السديم لم تظهر إلا منذ أمد قريب ، فهل يعقل أن يمن الله على الكفار بأمر ما كانوا يعرفونه وقت أن نزل القرآن وظل مجهولا لهم مدة قرون بعد نزوله ؟ ! وهل يعقل أن يقال إن القرآن لم يخاطب كفار هذه العصور وإنما ادخر هذا الخطاب لكفار العصور اللاحقة لظهور نظرية السديم ؟ !

(ورابعها) أن تفسير الآية على النحو الذي يذهب إليه الدكتور الغمراوي يظهر القرآن الكريم بمظهر كتاب يقرر الفروض العلمية على أنها عقائد نزل بها الوحي الأمين من قبل الله تعالى ، فلا يصح لمخلوق معارضتها ، ويكفر من يعارضها ، وهذا مخالف لاتجاه القرآن وروحه ولما يحث عليه من التأمل في ظواهر الكون واستنباط قوانينها العامة ، ولما يقرره من مبادىء سامية تتعلق بحرية التفكير ؟

دكتور علي عبد الواحد وافي

من هدى السنة :

يقظة المؤمن وفطنته

للأستاذ الدكتور محمد محمد أبو شهبة

روى الشيخان في صحيحيهما بسندهما من أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين » متفق عليه .

تخريج الحديث : روى هذا الحديث الإمام البخاري في صحيحه « كتاب الأدب باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » .

ورواه الإمام مسلم في صحيحه « كتاب الزهد - باب في أحاديث متفرقة » وقد اتفق البخاري ومسلم على رواية الحديث بسند واحد ، وزاد مسلم طريقين آخرين [1] وأخرج هذا الحديث أيضا الإمام أبو داود في كتاب الأدب من سننه ، ورواه أيضا الإمام ابن ماجه في سننه كتاب الفتن .

« الشرح والبيان »

سبب ورود هذا الحديث :

ولكي نفهم المراد من الحديث نذكر سبب ورود هذا الحديث ، ذلك أن أبا عزة الشاعر كان ممن أسر في غزوة بدر الكبرى ، وكان فقيراً ذا عيال ، فقال : يا رسول الله لقد عرفت مالي من مال ، وإني لذو حاجة وذو عيال ، فامنن علي [1] ، فمن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخذ عليه أن لا يظاهر عليه أحدا فتعهد بذلك ، ومدح النبي ﷺ بشيء من شعره فقال :

من مبلغ عني الرسول محمداً
بأنك حق والمليك حميد
وأنت امرؤ تدعو إلى الحق والهدى
عليك من الله العظيم شهيد
وأنت امرؤ بوئت فينا مباءة
لها درجات سهلة وصعود
فإنك من حاربته لمحارب
شقي ، ومن سالمته لسعيد

[١] انظر صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٨ ص ١٢٤ ، ١٢٥ ، فتح الباري ج ١٠ ص ٤٣٥ :

[١] يعني اتركني بدون فداء من مال .

فلما كان يوم أحد سعى إليه صفوان ابن أمية وقال له : يا أبا عزة إنك امرؤ شاعر ، فأعنا بلسانك ، واخرج معنا ، فقال : إن محمداً قد من علي ، فلا أريد أن أظاهر عليه ، ولم يزل يغريه ، ويقول له : لله علي إن رجعت أن أغنيك ، وإن قتلت أن أجعل بناتك مع بناتي يصيبهن ما أصابهن من عسر ويسر ، حتى قبل ، فلما كانت موقعة أحد أسر مرة ثانية ، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يمن عليه أيضا فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا أدعك تمسح عارضيك بمكة وتقول : خدعت محمداً مرتين » ثم أمر به فضربت عنقه ، ويقال إن فيه قال رسول الله ﷺ « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » قال بعض العلماء : وهذا من الأمثال القديمة التي لم تسمع إلا منه عليه الصلاة والسلام [1] .

وهذه القصة ذكرها ابن إسحق في سيرته بدون إسناد ، وقال ابن هشام في تهذيب سيرته : وبلغني عن سعيد بن المسيب أنه قال : قال له رسول الله ﷺ : « إن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين ، اضرب عنقه يا عاصم بن ثابت » . فضرب عنقه [1] .

وهذا السبب يلقى لنا أضواء تعيننا على فهم الحديث ، وبيان المراد منه وأن الحديث ليس على حقيقته ، كما فهم بعض الذين لا يعرفون الأساليب العربية ، واستشكلوا الحديث بناء على ذلك ، وإنما هو من قبيل المجاز ، والتمثيل الرائع ، والأسلوب البليغ ، والإبداع الفائق الذي لا يكون إلا من نبينا محمد ﷺ ، ومشكاة نبوته ، ولنأخذ في شرح الحديث فنقول والله التوفيق :

« لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين » .

المفردات : لا يلدغ ، اللدغ — بالدال المهملة ، والغين المعجمة — ما يكون من ذوات السموم كالعقرب ، والحية . قال في المصباح المنير : « لدغته العقرب — بالغين معجمة — لدغا من باب نفع : لسعته ، ولدغته الحية لدغا عضته ، فهو لديغ ، والمرأة لديغ أيضاً ، وقال الأزهري : اللدغ بالناب ، وفي بعض اللغات تلدغ العقرب ، ويقال : اللدغة جامعة لكل هامة ، وأما اللدع — بالذال المعجمة ، والعين المهملة — فهو ما يكون من النار .

الجحر : قال في القاموس « الجحر بالضم

---

[1] البداية والنهاية للحافظ ابن كثير ج ٣ ص ٣١٢ ، ٣١٣ .

[1] سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٠٤ .

كل شيء يحتفره الدواب والسباع لأنفسها كالجحران ، وجمعه جحرة ، وأجحار»[١].

جحرة : على وزن عنبة ، وقال أبو منصور الثعالبي وغيره : قد جعلوا الجحر للضب خاصة ، واستعماله لغيره كالتجوز كما قال صاحب تاج العروس «واحد» صفة لجحر وهو تأكيد ، لأن الإنسان إذا لدغ من جحر آخر ربما يكون له بعض العذر ، أما إذا لدغ مرة ثانية من الجحر الذي لدغ منه أولا فذلك غاية الغفلة ، وذكر المرتين لأنهما أقل ما يتأتى فيه التكرار ، وإذا انتفت المرتان انتفى ما فوقهما من باب أولى .

والمراد بالمؤمن : المؤمن الكامل الذي استضاء قلبه بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، واستقامت جوارحه بالعمل الصالح ، واستنار عقله ، واستفاد ذهنه بما يتلوه من آي القرآن ، والسنة وما اشتملا عليه من الحكم والأحكام والتوجيهات والآداب وما قرأ من سيرة النبي ﷺ وسير أصحابه النبلاء في السلم والحرب ، والصلح ، والمعاهدات ، والشروط ، لما كانوا عليه من الإيمان الصادق والعلم النافع والعمل الصالح والذكاء النادر ، وبعد النظر الأصيل الذي صدقته الأحداث والأيام ، وعلى هذا يحمل هذا الحديث ، وما على شاكلته من الأحاديث النبوية .

وقد روى قوله ﷺ « لا يلدغ » روايتين . أولاهما رفع يلدغ مبنيا للمجهول على أن لا نافية ، وثانيتهما . لا يلدغ بكسر الغين في الوصل وبالبناء للمجهول أيضا ، فتكون لا ناهية .

وعلى الرواية الأولى إما أن تكون جملة لا يلدغ خبرية في لفظها ومعناها ، ويشهد لهذا السبب الذي أوردناه ، ويحتمل أن تكون خبرية لفظا ولكن معناها الأمر ولذلك نظائر في الأساليب العربية [١] قال الإمام الخطابي رحمه الله تعالى : هذا لفظه خبر ، ومعناه أمر أي ليكن المؤمن حازما حذرا لا يؤتى من ناحية الغفلة فيخدع مرة بعد أخرى ، وقد يكون ذلك في أمر الدين كما يكون في أمر الدنيا ، وهو أولاها بالحذر ، وصدق الإمام الخطابي فأول غفلة

---

[١] القاموس جـ ١ مادة جحر ص ٣٨٦ .

(١) فقد جاء في أفصح الكلام وأبلغه قال تعالى : « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين . . . » أي ليرضعن . وقال تعالى : « والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ... » ونحو ذلك .

ساعة من المسلمين قد تسبب لهم ضرراً كبيراً، وشقاء طويلا وجهادا طويلا حتى يزيلوا آثار غفلتهم، وعدم أخذهم حذرهم كما علمنا الله تبارك وتعالى في قوله «وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم، فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا، فليصلوا معك، وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم، ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة، ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا»[1] وكما علمنا النبي ﷺ في هذا الحديث وأمثاله وفي سيرته التي كلها حذر، ويقظة وفطنة.

وقد يقول قائل: إن حمل الحديث على أنه خبر محض لا يستقيم وكيف وهو يخالفه الواقع لأننا نرى بعض المؤمنين يخدعون مرارا؟! والجواب أنه غاب عن هذا القائل أن المراد المؤمن الكامل العاقل المجرب الفطن، على ما ذكرت آنفا وأما المؤمن المغفل فقد يلدغ مرارا من جهة واحدة، ولا يعتبر، ولا يتعظ.

(١) النساء ١٠٢.

وأما على الرواية الثانية، كسر الغين، فتكون لا ناهية، وهي وإن كان لا يشهد لها سبب ورود الحديث، فقد وجهها الإمام الطيبي توجيها حسنا فقال: ويوجه بأن يكون ﷺ لما رأى من نفسه الزكية الميل إلى الحلم جرد منها مؤمنا حازما فنهاه عن ذلك يعني: ليس من شيمة المؤمن الحازم الذي يغضب لله أن ينخدع من الغادر المتمرد فلا يستعمل الحلم في حقه، بل ينتقم منه ومن هذا قول عائشة: «ما انتقم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله، فينتقم لله بها»، قال: فيستفاد من هذا أن الحلم ليس محمودا مطلقا كما أن الجود ليس محمودا مطلقا. وقد قال تعالى في وصف الصحابة أشداء على الكفار، رحماء بينهم»[1]

وقال الحافظ في الفتح بعد أن ذكر ترجيح هذه الرواية - كسر الغين - على الرواية الأولى - برفع الغين - ويؤيده حديثه «احترسوا من الناس بسوء الظن» أخرجه الطبراني في الأوسط[2] من طريق أنس، وهو من رواية بقية بالعنعنة عن معاوية بن يحيى وهو ضعيف فله علتان،

(١) الفتح ٢٩.

(٢) يعني كتابه: «المعجم الأوسط».

وصح من قول مطرف التابعي الكبير[1] أقول ومعنى هذا أنه أثر عن هذا التابعي لا حديث مرفوع إلى النبي .

ما يؤخذ من الحديث من الآداب والتوجيهات :

في الحديث أدب شريف أدب به النبي ﷺ أمته، ونبههم كيف يحذرون ما يخافون سوء مغبته وعاقبته ، وأن الشأن في المؤمن، الفطنة ، والذكاء والحذر ، وبعد النظر وأن لا يكون مغفلا ، ولا غرا ، ولا سالما مسالمة تضر بمصلحته أو مصلحة الأمة ، وفي معنى هذا الحديث ما روى من قوله ﷺ «المؤمن كيس، فطن ، حذر»[2] أخرجه صاحب مسند الفردوس من حديث أنس وسنده ضعيف وهو يؤخذ به في مثل هذا لأنه من الفضائل لا من الأحكام

(١) فتح الباري ج ١٠ ص ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، زاد المسلم شرحه فتح المنعم ج ٦ ص ٨٦٠ .

(٢) وفي بعض الروايات الديلمي أيضا : المؤمن فطن ، حذر ، وقاف ، مثبت ، لا يعجل ، عالم ، ورع » ، انظر كشف الخفاء ومزيل الإلباس ج ٢ ص ٢٩٣ .

وأيضا فإنه يشهد له الحديث الصحيح المتفق عليه .

وروى الديلمي أيضا عن ابن عباس مرفوعا «المؤمن ينظر بنور الله» وقد ذكره العجلوني في كتابه «كشف الخفاء» ولم يبين منزلته من الصحة ، أو الحسن ، أو الضعف ، وفي هذا المعنى الأثر الوارد عن سيدنا عمر «لست بخب ، والخب لا يخدعني» وفي سيرة النبي ﷺ وسير أصحابه المؤمنين الصادقين ، الأذكياء ، الفطناء ما لا يحصى من المواقف والشواهد التي تثبت هذا المعنى وتؤكده «وبعد».

فالإسلام دين العقل والفطنة ، واليقظة والحذر ، وما أجدرنا نحن المسلمين والعرب في حاضرنا أن نكون على حذر ، ويقظة لألاعيب الصهاينة ومن وراءهم ، أعداء الله ، وأعداء الإسلام ، وأن يكون لنا في هذا القول النبوي الحكيم مذكر ، وبذلك نفوت على الأعداء ما يريدون بنا من كيد ، واعتداء ونزيحهم عن أرضنا الطيبة ؟

د. محمد محمد أبو شهبة

شهر صفر وبداية الجهاد

للدكتور عز الدين على السيد

يطل علينا هـلال صفر، الشهر الثانى من الشهور العربيـة، ويطالعنا فيه سر الوثبة. يثبها الإسلام المهاجر إلى يثرب. على رأس عام كامل من الهجرة، يعرف وضع الزوايا الرئيسية للدولة، وإقامة الأسس الركينة للدعوة، فيشاد أول بيت وضـع للناس فى المدينـة، لتسكن إليـه قلوب المؤمنين، وليشاد به أول جامعة يثوب فيها إلى الرسول تلاميذه، يتلقون من الوحى عنه ما يتلقاه هو عن ربه، فيؤديه إليهم ومعه مثله من الشرح والبيان، يثبت به قلوبهم على الحق، وينقلهم فى مدارجه نقلة أكبر. تقر فى أعماقهم بما لا يقبل نفث الشيطان معنى الفدائية فى حب الله، ومغزى التضحية فى حب رسـوله، لأنهـا تقـر فى أعماقهم بما لا يقبل الشك صـدق الله وعده: أنه اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، فلا يرون حرمانا من أنفاس الحياة جريمة، ولا مفارقة لنعيم الأرض كارثة، لأن شوقهم إلى الوعد الموعود يرخص عمر دنياهم، وتصورهم بالبصائر منازل الخلود يملك حسهم، وعلى هذه العقيدة إذا رست يرتفع الصرح، ومن تلك الركيزة إذا ثبتت ينطلق الشهاب.

كان شهر صـفر بعد عام الهجرة مبدأ الحركة: مبـدأ الخروج من حلقة الدرس والتلقى إلى التجارب العملية فى سبيل الجهاد، وهى - إن لم تـكن فى الصورة الرائعـة من المعارك الحامية والـكسب المادى - حـركات تثبت بدءاً جـديداً للمنهج التالى لعهد السكون وتحمل الأذى: منهج (التكتيك) الحـربى والمناورات العسكرية وإظهار العضلات المرهبة لأعداء الإسلام.

كانت أولى غزواته عليه السلام غزوة (ودان) المسماة غزوة (الأبواء) فى صفر على رأس اثنى عشر شهراً من مقدمه للمدينة وقد أقام على المدينة سعد بن عبادة ثم ذهب يطلب قريشاً وبنى ضمرة بن بكر، ولـكن سيدهم وادعه عنهم فعاد عليـه السـلام إلى المدينة فمكث بها شهراً أو يقارب، بعث فيه بعض سراياه إلى قريش ليرهبها بالرعب، فذهبت سرية عبيدة بن الحرث الذى كانت رايته أول راية عقدت لقائد

فى الإسلام فيما بين الستين والثمانين رجلا حتى بلغت : (ثنية المرة) بالحجاز . ولا يخفى سر اختيارها من المهاجرين الذين أخرجهم الكفر أمس من ديارهم ، غير أنهم عادوا بعد الاستعراض دون قتال إذ لم يتصد المشركون لقتالهم .
وقد كان من براعة سعد بن أبى وقاص فى إعلاء الروح المعنوية وإظهار شوكة المعتز أن رمى بسهم كان أول سهم رمى فى الإسلام ، ولو لم يكن من كسب إلا ذلك وإلا أنهم استنقذوا معهم المقداد بن عمرو وعتبة بن غزوان لكان كسبا أى كسب فى طلائع الجهاد .

وتذكر كتب السير بعث النبى عليه السلام عمه (حمزة) فى نفس الوقت إلى سيف البحر حيث طريق قريش إلى الشام فلقى فى ثلاثين من المهاجرين أيضاً ثلاثمائة قرشى يقدمهم أبو جهل ، ولكن (مجدى بن عمرو) حجز بينهم وكان للفريقين موادعا .

وهكذا نجد شهرنا هذا قد انبعثت منه بواكير القوة ونشطت طلائع التوثب ليأخذ الحق مكانه فى الكون معليها بقلعة الكفر ومذلا لشموخ العتاة العابثين ، ولكن حكمة الله البالغة ـ وبالها من حكمة ـ تذهب بالشهور فيعود (صفر) من السنة الرابعة ليبلو الله فيه المؤمنين مرة أخرى بعد (أحد) بالكافرين فيقدموا لسجل الشهداء أسماء لوامع تستفز القلوب المؤمنة للثأر وتبعث الهمم الصادقة للجهاد فتكون دماؤهم الزكية وقوداً حاميا تحترق بلهيبه القمم الرفيعة، وتنهار بإطاء الحصون المنيعة وتدور الدائرة للإسلام المنتصر على أفلاك الكفر الهاربة حتى يصدع محمد عليه السلام الأصنام بحربته ويطهر الكعبة بعودته ويجيء نصر الله والفتح ، فيدخل الناس فى دين الله أفواجا وينادى من نكسوا الرءوس معتذرين نداء النبوة الرحيم : اذهبوا فأنتم الطلقاء !

فى صفر هذا وبعد أربعة أشهر من (أحد) قدم أبو براء ملاعب الأسنة على الرسول عليه السلام فدعاه ليسلم فكان إلى أن يستجيب قريبا ، وعرض على النبى أن يرسل إلى أهل نجد فى جواره رجالا يدعونهم إلى الإسلام فإنه يرجو أن يجابوا فأرسل المنذر بن عمرو فى أربعين من خيرة الصحابة حتى وصلوا (بئرمعونة) فأرسلوا حرام بن ملحان بكتاب النبى إلى عامر بن الطفيل فقتل حراما قبل النظر فى الرسالة واستعدى بنى عامر على الوفد فتحرجوا من أبى براء ولم يجيبوه ، فاستصرخ

آخرين فخرجوا وأحاطوا بالقوم حتى قال المؤمنون الشهادة إلا كعب بن زيد تركوه جريحا فنجا إلى أن استشهد يوم الخندق.

ومن المفارقات العجيبة في الدلالة على الصدق والتضحية أن يشهد عمرو بن أمية وصاحب له من الأنصار كانا في سرح القوم – مواقع الطير على المكان فيندفعا إليه لينظرا ما شأنه فيريا القوم في دمائهم وأعداؤهم لما يزالوا في مواقعهم، فيتراءيا الرأي فيرى أحدهما اللحاق بالنبي وإخباره القصة فيأبى صاحبه أن يرغب بنفسه عن مكان قتل فيه المنذر بن عمرو، ويأخذ في قتال القوم حتى يقتل ويؤسر صاحبه.

كما أن من المفارقات أن يطلق (ابن الطفيل) هذا الأسير بعد علمه أنه مضري فيسير إلى ظل يستريح فيه يجمعه برجلين يدله حديثهما على أنهما من بني عامر فيستمهلهما حتى يناما فيثأر لنفسه وقومه بقتلهما ويعدو إلى النبي يعلمه وهو لا يعرف أن إخباره بما فعل لا يجلب للنبي سرورا لأن من قتلهما معاهدان سيكلفه جوارهما ديتهما.

يقين وعمق إيمان:

ويخبرون أن جبار بن أبي سلمى كان من المشركين الذين قتلوا القوم ثم أسلم يقول في سبب إسلامه أنه طعن أحدهم بين كتفيه بالرمح حتى نظره خارجا من صدره فسمعه يقول في رباطة: فزت والله! قال: فقلت في نفسي: ما فاز؟ ألست قد قتلت الرجل؟ قال: حتى سألت بعد ذلك عن قوله فقالوا: الشهادة، فقلت: فاز لعمر الله!

اليهود وذلك الحادث.

وكان بين بني النضير من اليهود وبني عامر عقد وحلف فذهب إليهم النبي عليه السلام في نفر من أصحابه يستعينهم – ولم يكن قد انكشف أمر عداوتهم – في دية القتيلين، فأظهروا له الطاعة فيما أحب، ثم خلا بعضهم إلى بعض وهو قاعد إلى جدار من جدر دورهم فاستقر الرأي على خلاصهم منه بإلقاء صخرة من على فوق رأسه، وصعد عمرو بن جحاش ليحقق الأمل الكاذب فعصم الله بالوحي نبيه فبادر ذاهبا إلى المدينة تاركا في قلوبهم النار تشتعل، وعاد أصحابه إليه فأخبرهم بخيانة اليهود وأعد من ذلك الحين لقتالهم ثم سار إليهم في حصونهم فحاصرهم وقطع نخيلهم وحرقها وضيق عليهم الخناق حتى صرخوا مستغيثين يسألونه أن يجليهم بما حملت الإبل من المتاع فخرجوا إلى خيبر والشام، وقد

أظهروا التجلد يخفون به الفجيعة ، فيذكر المؤرخون أنهم ذهبوا ومعهم الدفوف والمزامير والقيان يعزفن خلفهم مخلين أموالهم لرسول الله يضعها حيث شاء وقد أسلم رجلان أمنهما النبى على مالهما فأحرزاه ، وامتن الله على نبيه والمؤمنين بتلك النعمة المسداة : نعمة إخراجهم من ديارهم ولم يدر فى ظن المؤمنين خروجهم لحصانة معاقلهم . فأنزل سورة الحشر تقول : « هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا ، وظنوا أنهم ما نعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا يا أولى الأبصار .. »

هذه ذكريات يعود بها (صفر) وما أشد صلة هذه الذكريات بموقفنا اليوم مع اليهود وما أشد حاجتنا إلى أن نعيده عليهم عادار بالأمس فنحاصرهم وننزل اليأس بهم من البر والبحر والجو حتى يخرجوا صارخين مخلفين الديار تلعنهم وقد لعنهم الله قائلا : « لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه .. »

يا عجبا لدولة تذعن لهم وتضع أنفها تحت تصرفهم ! بل لا عجب فى أن يقيمهم أعداء العروبة والإسلام لمحو قوة العرب والإسلام فى محور ارتكازها حذراً مما عرفوا فى التاريخ من تغييرها خريطة العالم وثقافته وتاريخه فى قليل من الزمن حينما كان العرب والمسلمون فى وحدة ترهب وتماسك يعمو وإخلاص يسود .

أيها الجنود البواسل فى جبهة الحق ، اصبروا وصابروا وفاء للحق الذى له وقفتم والأرض التى إليها انتسبتم ، وللشرف الذى ينتظركم بوق الزمان ليهدوا به وللجنة التى جعل الله للمجاهدين أسمى منازلها وللشهداء أكرم ملاذها .

جاهدوا بقلوب أولئك الأبطال الذين حولوا الهزيمة نصراً مرعبا ، ودماء الشهداء فتحا مبينا ، وعلم الله منهم سرهم فأنزل سكينته عليهم وأيدهم بجنود لم يروها . نظروا إليه فى طاعة وضراعة ، فنظر إليهم فى رحمة ورأفة فكان منهم العزم ومنه العون « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز » ؟

د. عز الدين على السيد

بلاغة الإقناع فى القرآن

للدكتور محمد رجب البيومى

— ٢ —

أما دليل البعث فنختار شاهده الأدبى من قول الله عز وجل فى سورة (ق) :

بسم الله الرحمن الرحيم « ق والقرآن المجيد ، بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شىء عجيب أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد ، قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ ، بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم فى أمر مريج أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج ، والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج ، تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ، ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج ، كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود ، وعاد وفرعون وإخوان لوط ، وأصحاب الأيكة وقوم تبع ، كل كذب الرسل فحق وعيد أفعيينا بالخلق الأول ، بل هم فى لبس من خلق جديد ، ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ، ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ، إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ، ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ، وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ، ونفخ فى الصور ذلك يوم الوعيد ، وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ، لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ، وقال قرينه هذا ما لدى عتيد ، ألقيا فى جهنم كل كفار عنيد مناع للخير معتد مريب ، الذى جعل مع الله إلها آخر فألقياه فى العذاب الشديد قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان فى ضلال بعيد ، قال لا تختصموا لدى وقد قدمت إليكم بالوعيد ، ما يبدل القول لدى

وما أنا بظلام للعبيد ، يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد ، وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد ، هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ ، من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ، ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود ، لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد » .

ها أنت ذا تقرأ النص الكريم فتجده يقرع الآذان قرعا قويا بهذه الصيحة المنبهة « ق والقرآن المجيد » ، ليتصل بالقضية مباشرة بعد هذه الصيحة الموقظة فيقول « بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب ؟ » لم كان العجب من دعوة النذير ؟ لأنه أقام أساسها على البعث الأخروى بثوابه وعقابه وصاح الصائحون « أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما ذلك رجع بعيد » تأمل حذف جواب الشرط ودلالة ما بعده عليه لتعلم كيف يصور القرآن دهشات النفوس وهزات العقول بما يحذف ويجمل ، كما يصورها تماما بما يذكر ويفصل ؟ إذ منكرى البعث لا يتصورون أن تعود الأجسام بعد فنائها فيستحيل هباء التراب ثانية إلى دم ينبض وإحساس يفور فيرد عليهم القرآن قائلا : « قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ » وإذا كانوا يستهولون ذلك ويطلبون الدليل على صحته فلينظروا فى ملكوت السموات والأرض ليجدوا الدليل ! هذا الدليل الذى ردده القرآن أكثر من مرة حين قال : « أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها ، رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها . والأرض بعد ذلك دحاها . أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها » وحين قال فى إيجاز حاسم « لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون » هذا الدليل الملزم يبسطه القرآن هنا فى إقناع هادىء وطمأنينة راضية فيقول « أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج ، والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ، ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج » إذ قول الله عز وجل « كذلك الخروج » بعد أن قدم البراهين والشواهد على إحياء الأرض بعد موتها بما أنزل من ماء وأنبت من زرع وأخرج من رزق ليعطى قياسا منطقيا

يجل من أن يقاس بمنطق أرسطو وحلقاته من بعده ، إذ أنى بالنتيجة الصحيحة بعد مقدمات واضحة لا تقبل اللبس ، فإذا جاز لمنكر أن يقف قليلا لديها ، فلينكر معها ما يرى من زرع وضرع وحجر وحيوان! وهيهات ! ثم ينتقل القرآن فى فصاحة صادقة من هذه الأدلة الاستقرائية الملزمة إلى أدلة تاريخية يعرفها المنكرون تمام المعرفة ويفحمون بالفاصل الصريح حين يصيح القرآن بهم : « وإنكم لتمرون عليهم مصبحين ، وبالليل أفلا تعقلون » ينتقل القرآن من الدليل الاستقرائى إلى الدليل التاريخى فيقول « كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون وإخوان لوط وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد » فإذا انتهى إلى ذلك لا يترك قضية البعث لتفهم من السياق بل يحرص على الصراحة الواضحة حين يسأل فى تعجب « أفعيينا بالخلق الأول » وهو سؤال لا يمكن دفعه ، إذ أن الخلق الأول حقيقة واقعة يشهد لها وجود المنكرين بأجسامهم وأرواحهم ، فإذا أنكروها فلينكروا أنفسهم وهذا ما لا يستطاع بحال ! وياله من إلزام يأخذ على المنكر منافذ إحساسه ومسارب تفكيره فلا يجد غير السكوت المغيظ وقد عز عليه أن يعترف بالواقع الصريح ولا أحل بعد ذلك من التهكم بهم فى قول الله « بل هم فى لبس من خلق جديد » !

وقد ألف القرآن أن يتحدث عقب كل إقناع ملزم عن البعث الأخروى باعتباره حقيقة واقعة لم تعد تقبل الجدل بعد انضاح البراهين وقيام الأدلة ، وحديثه فى سورة « ق » يتجه وجهة التصوير الواقعى لما سيكون صارفا النظر عن إنكار المنكرين حيث انهارت بعد المحاجة الدافعة والرد الهادم ، وقد قال أستاذنا الأكبر محمود شلتوت رحمه الله فيما يشابه هذا الموقف فى تفسير سورة الأنعام ما نصه ص ٢٩٣ « وهنا نوع آخر من الاستدلال على البعث بقطع النظر فيه عما تضمنته هذه الأنواع من توجيه للنظر إلى العلم والقدرة وإلى ما تقتضيه العدالة والحكمة ، وإنما يعرض شأن البعث باعتباره أمرا كائنا ليس موضع إنكار ولا محلا لريب ، وتصور فيه مواقف المنكرين ، وما سيكونون عليه فى ذلك اليوم ، وكأن القرآن يقول لهم فى هذا النوع أريحوا أنفسكم من الإنكار وأريحوا

الوصول من الجـدل والمناقشة ، وتعالوا فاعرفوا الواقع الذى سيكون ، وهذا هو الأحرى بكم وما يجب أن تعرفوه » .

هذا ما قال المغفور له الأستاذ شلتوت ونحب أن نضيف إليه أن القـرآن يقدر ما لكل إنسان من التخيل التصورى للأحداث فى مسرح ذهنه قبل حـدوثها فهو حين يتحدث عن المستقبل فى صورة الواقع المشاهـد بعد أن أكـد حقائقه المنتظرة تأكيدا لايقبل الشك ، إنما يرضى الرغبة النفسية فى استطلاع الآتى استطلاعا واقعيا يدنو من الحاضر ولا يكاد ينفصل عنه ، ولنضرب المثل بإنسان يعتزم القيام برحلة سارة إلى مكان جميل يعرفه من قبل ، فإنه قبل شروعه فى السفر يتخيل ما سيلقاه فى رحلته من كائنات وأشياء سابحا بخياله إلى شجرة ليستظل بها هناك ونهر يتمتع بمـرآه ونسيم يستنشقه ممزوجا بعطر الروض ! لقد أكد القـرآن للناس حقائق البعث الأخروى ثم طفق يتحدث إليهم عما يعرض مشاهد هذا البعث معرضا تصويريا ينقل إليهم المسموع فى صورة المنظور ، وهاهوذا بعد أن قال « أفعيينا بالخلق الأول بل هم فى لبس من خلق جديد » يتحدث عن الإنسان وما توسوس به نفسه إليه من خير أو شر يعلمهما الله لينتقل به من الدنيا إلى الآخرة بعد أن جاءت سكرة الموت بالحق ونفخ فى الصور وجاءت كل نفس معها شهيد وسائق ولا نجد أبلغ من إعادة النص القرآنى ، إذ يعجز كل شارح عن تصوير مدلولة الأدبى بما ينقل من حوار ويحمل من أحاسيس ويلقى من ظلال ، ويومض من إيحاء ، يقول الله عز وجل :

« وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ، لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ، وقال قرينه هذا مالدى عتيد ، ألقيا فى جهنم كل كفار عنيد ، مناع للخير معتد مريب الذى جعل مع الله إلها آخر فألقياه فى العذاب الشديد قال قرينه ربنا ما أطغيته ولـكن كان فى ضلال بعيد ، قال لا تختصموا لدى وقـد قدمت إليكم بالوعيد ، مايبدل القول لدى » ثم ينتهى للوقف بذهاب المنكر إلى جهنم والمؤمن إلى الفردوس .

إن صاحب التفكير الجانح إلى النظر ، ليجد فى تتبع سورة ق مايقنع عقله بحقيقة البعث فيظل يرى الشاهد خلف الشاهد متبنيا ، وكذا حتى إذا بلغ حاجته من الإقناع للنعق

أمتع حسه الوجدانى بما يقرأ من تصوير يتنازع فيه المختلفون ويترامى بالتهم المتنازعون وتتنوع الشخوص والمقاعد ثم يرتفع الستار بعد أن ينحصر الأمر بين الجنة والنار !

وإذن فلقد قدم القرآن لقضية البعث هذا التقديم المقنع الممتع لتصير بعد ثبوتها الراسخ حقيقة لا تقبل الارتياب .

بقى أن نتحدث عن قضية الرسالة ، وهى الثالثة الأخرى فى حاجة إلى أدلة مقنعة شافية لأن اختصاص محمد صلى الله عليه وسلم بها دون العرب قد جعل الحقود النفسية أثرا قويا فى محاولات عدة لتزييف الحقائق، والثبات على الباطل، إذ أن أعلام المشركين لم يكونوا يطيقون مبدئيا أن يروا فردا من بينهم يختصه الله برحمته هذا الاختصاص ، فالتصميم على الإنكار كان وجهتهم التى تتلمس كل دليل لتمحوه ، وكل برهان لتزيفه ، حتى بلغ بهم الأمر أن قال قائلهم فيما حكاه عنه القرآن الكريم « اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم »وكان المعقول أن يقول قائلهم لو خلصت النيات وصدقت الضمائر ، اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا الصراط المستقيم ، وقد سلك القرآن طريق الإقناع البصير فى دعوتهم إلى الإيمان حين أمر رسول الله أن يقول « قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدرى مايفعل بى ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إلى وما أنا إلا نذير مبين » . وأن يقول « قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون؟! ثم ضرب المثل بالسابقين من الأنبياء ، فأخذ يسجل أحداثهم ويشرح مواقفهم بما يدل على صعوبة الجهاد ، ومشقة النضال ومن هنا كانت قصص المرسلين أبلغ دليل على صحة الرسالة المحمدية،وكانت الإفاضة فى تبسيطها من أظهر الأدلة على تأييد الدعوة الإسلامية ونحن فى مجالنا التطبيقى سنختار سورة نوح عليه السلام دليلا على قوة الإقناع القرآنى فى تأكيد الرسالات السماوية .

وسيرى القارىء كيف يتشابه المعاندون فى القديم والحديث بغيا وعتوا حتى ليكادون ينطقون بلسان واحد، ويرمون عن قوس واحدة لذلك كان كل رد قرآنى على السابقين من المنكرين هو فى حقيقته رد جديد على الحاضرين من المشركين ،

وإذا كانت عاقبة السابقين قد افتضحت بما قصه الله من نهاياتهم الفاجعة فإن عاقبة الحاضرين لن تخرج عن غايتهم الوبيئة، وما ظلمهم الله .

بدأت سورة نوح الحديث عن رسالته وما أعقبها من جدل وهتاف، وسامعها المتأمل، وبخاصة من ووجهوا بها من المشركين لأول نزولها فى مكة يلاحظ موقفين متواليين لاموقفا واحدا، فهو حين يسمع قول نوح - فيما حكى الله عنه - «ياقوم إنى لكم نذير مبين أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى إن أجل الله إذا جاء لايؤخر لو كنتم تعلمون » أقول حين يسمع ذلك ينتقل من موقف نوح إلى موقف محمد حيث لم يقل غير ما قال نوح، فإذا تلا بعد ذلك قول الله على لسان نبيه « إنى دعوت قومى ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائى إلا فرارا وإنى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا ثم إنى دعوتهم جهارا ثم إنى أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا» وجد هذا القول يتفق مع ما ووجهت به الدعوة المحمدية فى مكة تمام الاتفاق، وكأن نوحا ينطق عن لسان محمد فيما قال، أما اعتماد الدعوة الإسلامية على الدليل المقنع فشأنه فى ذلك شأن كل دعوة سماوية نزلت من عند الله، إذ تعتمد فى براهينها القوية على الشاهد المألوف فى ملكوت السموات والأرض مما لايجرأ عاقل على إنكاره إلا إذا سلك سبيل الجحود الحانق والتحدى المغرض، وقد كانت براهين نوح فى دعوته هى نفسها براهين محمد التى عبر عنها القرآن بقوله «فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا مالكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا والله أنبتكم من الأرض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا والله جعل لكم الأرض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا » .

وما أظن القارىء بحاجة إلى أن نكشف له قوة التدليل بما ترسل السماء من مطر وما تنبت الأرض من حب ومايبزغ فى الأفق من قمر وشمس، فقد ألممنا إلى مثل هذا التدليل الواقعى المحسوس فيما تحدثنا عنه

من سورة ق ، أما قول نوح « رب إنهم عصـــوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا ومكروا مكراً كبارا وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا ولا تزد الظالمين إلا ضلالا » فهو في لبابه قول محمد عليه السلام حين شكا تجبر المترفين من المشركين ومؤامراتهم للتربصة بالرسالة ، كل متربص وهيامهم المفتون باللات والعزى ومناة وهبل كاهام سابقوهم بود وسواع ويغوث ويعوق ونسرا وقد كانت العاقبة الدامغة لدى المغرقين من قوم نوح ، وهي نفسها عاقبة كل متكبر عنيد ، هـذا مثل من تأييد قضية الرسالة بين أمثلة مختلفة سجلها الذكر الحكيم في إقناع مبين لتسن طريق الحجاج ، الملزم بالمنطق ، المؤيد بالتاريخ ، المشرق بالوضوح ولندعوا عشاق البيان الرفيع إلى الاهتداء بالمنهج القرآني فيما يزاولونه من حجاج ، وإذا كنا نرى الآن اختلاف الباحثين في تحديد طرق النظر حيث يتوخى كل فرد ما يناسب منحاه التفكيري من مناهج الفلاسفة وأساطين الحكمة ، فإننا نقول لهم لن تبلغوا الهدف الجدير بالنجاح إلا إذا أفصحتم عما تقولون إفصاح البليغ لحروف جمعتهم إلى قوة الإقناع ، سلامة لوضوح ورصانة التعبير وتلك سبيل القرآن ؟

د. محمد رجب البيومي

قال الله تعالى :

« ولله ملك السموات والأرض والله على كل شيء قدير إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب »

(آل عمران : ١٨٩ ، ١٩٠)

اتجاهات تربوية فى هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم

للأستاذ توفيق محمد السبع

نقرأ طرائق التربية الحديثة ، وندرسها فى معاهدنا وجامعاتنا ، ونهتم بتجديد الملامح الأساسية لكل طريقة من الطرق لكى يتمكن طلابنا من استيعابها ، والإفادة منها ، وتطبيق ما يمكن تطبيقه على بيئتنا ، وندرسها أيضاً كتراث فكرى يثرى معرفتنا ، ويعمق ثقافتنا ، ويربطنا برواد الفكر العالمى ، كى لا نعيش فى دائرة ضيقة ، أو نجمد على فكر معين ، فنصاب بالعقم الذى يفصلنا عن المجتمع الإنسانى الحر .. فهذه طريقة دكرولى المربى البلجيكى ، وتلك طريقة السيدة منتسورى وأخرى لدالتن ودبوى وسبنسر وديكارت وغير هؤلاء كثير وكثير . ولا شك أن الاستشراف إلى المعرفة فى حد ذاته أمر هام لتكوين ثقافة المربى . بيد أننا نأسف كل الأسف أن نجمد الدراسات التربوية على هـــذه الطرق الأوربية .. ونتعصب لها ونحاول تطبيقها فى بيئتنا الإسلامية العربية . مع اختلاف كبير فى المناخ العلمى ، والاهتمامات الإقليمية ، وقدرات التلاميذ ، ومعاهداتهم ، مما ترتب عليه إلغاء المواهب الابتكارية عند المدرسين ، وتحويلهم إلى مجرد آلات تطبق النظرية تطبيقاً حرفياً والويل لمن يخالفها أو يتصرف فيها .. ولقد ضحينا بأجيال من أولادنا نتيجة لهذا التعصب الجامد.. والتحيز المقيت .. وقد آن الأوان أن نقوم تراثنا التربوى تقويماً صالحاً وموضوعياً وأن نقارنه بهذه الطرائق الحديثة ونستفيد منه كمنهج صالح يقف أمام مناهج الغرب ، ويتميز عليها بالأصالة ، والمطابقة للمجتمع ، والملاءمة لروح التربية التى نبتغيها ونمط السلوك الذى نريده .

وما من شك فى أن فلاسفة التربية الإسلامية قد كشفوا على هذا التراث الغالى واستنبطوا منه طرائق واتجاهات جديرة بالتقدير والإجلال ، بقدما واتتهم الظروف ، وأسعفتهم الوسائل ..

ومن الظلم الظالم أن تذهب هذه الجهود

الخلصة دون أن نستفيد منها ، أو نتعرف عليها ، أو نوليها من الاهتمام ما هي جديرة به .. فمذاهب الفارابى ، وابن رشد ، وابن سينا ، والغزالى ، وابن خلدون ، ومحمد عبده وغيرهم من فلاسفة الفكر الإسلامى لا ينبغى أن تظل مجرد معرفة ثقافية (أكاديمية) دون أن تترجم إلى خطة عملية تطبق فى مدارسنا ، أو يطبق منها ما هو مناسب ، وحتى الآن لم أجد فيما قرأت من دراسات عربية ما ينهض بهذه الغاية ويؤدى هذه الوظيفة .. كلها كتابات سطحية ، لا تتعمق النظرية ، ولا تستوعب عناصرها ..

وقد يقال إن مفكرى الغرب كتبوا كثيراً من هؤلاء الأعلام ، ولكنى أقول : نريد أن نكتب عنهم كتابة موضوعية تتصل بالمنهج التربوى لكل منهم متكاملا .

وما يمكن أن يطبق منه فى معاهدنا ومدارسنا ، وللموازنة بينه وبين مناهج التربية فى الغرب ومعرفة ما فيها من روعة وجلال ..

ولا ندعى أن هذه المناهج التربوية فى الغرب مأخوذة منا ومنقولة عنا .. بل نقطع بأن فى تراثنا التربوى ما يغنينا ويكفينا وينهض بحاجتنا دون تعسف ، ولا تقليد ..

وعند ما ندرس دراسة عميقة سوف نخرج بنتيجة لا محيص عنها .. هى أن تراثنا غنى بأتجاهات تربوية سديدة معظمها يتفق تماما مع ما تقوله التربية الحديثة ..

وأرى أن يقوم هذا التراث تقويماً دقيقاً بحيث ينتفع به فى حياتنا التربوية مع نظيره من طرق الغرب ، وأن تصبح المعرفة بهذا النوع من التربية فى بيئتنا كغيرها من طرائق الغرب ومناهجه .

ذلك لأن الأمم العظيمة ، دائما تعتز بتراثها ، وتنقب فيه عما يصلح لحاضرها ومستقبلها وتضيف إليه ما تستدعيه الظروف المرحلية .. وبذلك تبنى جديدها على أساس من القديم فيصبح البناء قوياً يتحدى عوامل الضعف والانهيار ..

ونحن نعتقد أن هذا هو ما يجب فى هذه الفترة بالذات من تاريخ مصر العظيمة ، ذات الحضارة والتاريخ ، وطليعة الشعوب الإسلامية وعقلها المفكر ..

بل إن ذلك هو واجب الأزهر بنوع خاص ليسهم فى تأصيل الشخصية الإسلامية فى العالم الإسلامى كله . وودت لو قرأت

دراسات منهجية حول « مبادىء التربية عند ابن خلدون أو عند الغزالي » بعمق واستيعاب ورأيتها تطبق منسوبة إلى أصحابها وتترجم كذلك إلى اللغات الحية.

وأيضا فإنى جد مشوق إلى أن أقرأ عن مناهج تربوية في القرآن الكريم وهدى الرسول. لأن هذين هما النبع السمح الذى استقى منه فلاسفة الإسلام، وهو خليق أن يمدنا بالكثير متى تفرغنا للدراسات ومكنا على استخلاص للمبادىء والاتجاهات.

والرسول - صلوات الله وسلامه عليه - قد بعث معلما وكذلك رسل الله أجمعين ففى تراثه الخالد اتجاهات تربوية سديدة كان يعمد إليها في توجيه أصحابه وتلاميذ مدرسته. وكانت هذه الاتجاهات على بساطتها آية في الإصابة، وحسن التوجيه.

ولو دققنا النظر لوجدنا أن ما نقتبسه من اتجاهات التربية الغربية - كان له أصل قوى وواضح في هدى نبينا. فلقد مارس صلوات الله وسلامه عملية التربية مستهديا بالوحى، ومبتكرا بعقله وتصرفه ما يكفل لتعاليم الدين أن تصل بيسر إلى نفوس أصحابه.

مما يدخل فيما نسميه « طرق التربية الحديثة ».

ومن الممكن بعد استجلائها أن تصاغ بلغة العصر، وأسلوب العلم، ومنهج الدراسة الحديثة. وأن نستفيد بما كتبه فلاسفة الإسلام في الوصول إلى هذا الهدف أى أن نجتهد بعقولنا في استنباط طرائق تربوية من القرآن الكريم والحديث الشريف ونمزج ذلك بما كتب من قبل لتكون النظرة أدق، والفكرة أعمق، وعلى سبيل التمثيل أذكر هنا بعض الاتجاهات التى تهدى إليها الرسول المربى ومارسها عمليا - وأسميها بما يمكن أن تسمى به من اتجاهات التربية الحديثة ولسوف نحظى بلحظات سعيدة حين نجد أنفسنا أمام مجموعة من الاتجاهات هى بعينها ما نردده منسوبا إلى الغرب فمثلا :

١ — هناك تركيز كبير من التربية الحديثة على شخصية المدرس - على معنى أنه يجب أن يكون قدوة لتلاميذه في القول والفعل والسلوك ليأخذوا عنه، ويستمدوا منه، وينصتوا إليه. والذين يتتبعون مناهج التربية عند الرسول الكريم يجدون أنه كان يؤثر في أصحابه بالقدوة والعمل أكثر مما كان يؤثر بالقول والحديث..

وقد أنزله أصحابه من قلوبهم في أعز مكان.

كانوا يجلسون فى درسه كأنما على رءوسهم الطير ما يتكلم منهم متكلم . وكان الواحد لا يستطيع أن يملأ عينه منه تأدبا معه، وكانوا يغضون أصواتهم فى مجلسه المبارك، ولم يعرف لتاريخ تلاميذ مدرسة كانوا أكثر حبا لأستاذهم ومربيهم ومعلمهم ونبيهم من تلاميذ مدرسة محمد لمحمد . ولا شك أن الثقة فى المدرس تحالف جوا من الاقتناع به وتجعل حديثه مقبولا .

٢ — كذلك تنصح التربية الحديثة كل مدرس أن يتعمد تبسيط المعلومات لمن يتحدث إليهم حتى يفهموا ويقتنعوا ، والمعروف عنه صلوات الله وسلامه عليه أنه كان مثلا أعلى فى هذا الاتجاه، فكم من حقيقة صعبة أو معقدة استطاع أن يقدمها لتلاميذ مدرسته فى بساطة ويسر ، وبأسلوب واضح مقبول .

فعندما يقبل عليه جابر بن سليم ولم يكن يعرف شيئا عن طبيعة الدعوة الإسلامية يقول هذا الرجل - رأيته بين أصحابه متميزا ، موقرا ، يصدرون عنه ، فعرفته فقلت أأنت رسول الله ؟ فقال نعم أنا رسول الله، فقلت وعليك السلام يارسول الله ... فقال : لا تقل هكذا ولكن قل السلام عليك فإن الأولى تحية الموتى .

ثم قال الرجل : أنت رسول الله !! ... (وكأنما أراد أن يأخذ فكرة عن الله) فشرع صلوات الله وسلامه عليه يبسط له الفكرة بأجمل أسلوب وأيسره ، فقال للأعرابى : أنا رسول الله الذى إذا أصابك ضر فدعوته كشفه عنك - وإذا أصابك عام (سنة جدب) فدعوته أنبتها لك وإذا كنت بأرض قفر فضلت راحلتك فدعوته ردها عليك ..

وهنا نقف وقفة للتحليل . . فنحن نلاحظ أن إعطاء الأعرابى الساذج فكرة عن الله أمر بالغ التعقيد .. ولو أن مثقفا أراد أن يمارس هذا الدور لأخفق فيه . . ولكننا نلاحظ البساطة السمحة فى رد الرسول .. فهو أولا لا يرهق الرجل ولا يعنيه ولا يفرض عليه ما يجهل وإنما يقدم له أمورا تجرى فى محيطه ، بل هو لا يهتم بغيرها ، فالناقة ، والغيث، والجدب كلها عناصر تهدد انتباه الأعرابى لأنها منتزعة من بيئته وهل يملك الأعرابى من دنياه إلا هذه الأمور .؟! ومن ثم فإن الجواب يجىء محددا مقنعا . وفى هذا الحوار لمحة تربوية أخرى : ذلك أن الرسول رد

الأعرابي إلى الصواب ولم يقره على الخطأ حين أخطأ في توجيه التحية ، والتربية الحديثة تنصح المبادرة برد أخطاء التلاميذ فورا حتى لا تثبت في أذهانهم .

٣ — تنصح التربية الحديثة .. بأن تلون الأساليب بالنسبة للتلاميذ ، فأسلوب الصغار غير أسلوب الكبار ، والحقائق التي تقدم لهؤلاء غير التي تقدم لغيرهم مما يسمى ملاحظة الفروق الفردية . وقد كان رسول الله نموذجا رائعا في رعاية هذا المبدأ التربوي حيث كان يخاطب كل قوم بما يألفون ويتحدث إليهم بما يعرفون . أحيانا يصوغ الأسلوب قويا رصينا ، وأحيانا سمحا بسيطا حينا يوجز القول - وهو الغالب عليه - وحينا يسهب ويشرح وفقا لحالة المخاطب من ذكاء أو غباء أو صغر أو كبر . أو بداوة أو حضارة . وهو القائل : (أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم) .

٤ — تنصح التربية الحديثة بأن يعود المدرس الكفء تلاميذه اكتشاف أخطائهم ، والبحث عنها بأنفسهم حتى لا يقعوا فيها ، والمعروف أنه صلوات الله وسلامه عليه قد مارس هذا المبدأ ممارسة عملية عندما دخل عليه رجل فسلم - ثم صلى وأساء الصلاة فلم يتم ركوعها ولم يخشع فيها فماذا صنع به الرسول ؟ قال له : « ارجع فصل فإنك لم تصل » وذهب الرجل فصلى ولم يفطن لما يقصده الرسول . وكرر ذلك حتى إذا وجد الرسول أن الرجل عاجز عن اكتشاف الخطأ شرح له الحقيقة ، ووضح له الخطأ وأرشده إلى الأناة والاطمئنان في القراءة وفي الركوع وفي السجود .

هذه الواقعة يجب أن تضيف جديدا إلى النظرية التربوية ، وهي أن التلميذ إذا عجز عن اكتشاف الخطأ وجهه المدرس وذلك أدعى لأن يذكر الحقيقة فلا ينساها لأنه تعب في التوصل إليها ، واستنفد جهده ليعرفها ، ومارس تجربة قاسية حتى فهمها .

٥ — تؤكد التربية الحديثة دور التمثيل في الدرس : إما بتشبيه المجهول بالمعروف أو باستحضار النماذج الموضحة ، مما يعرف (بوسائل الإيضاح) والمعروف أن رسول الله قد مارس هذا المبدأ التربوي ممارسة واسعة النطاق لأنه كمعلم لابد أن يوضح الحقائق ويبين الوسائل والغايات في تمثيلاته المنتزعة من البيئة قوله : (مثل المؤمن كمثل الجمل الأنف إن قيد انقاد وإن أنيخ على صخرة استناخ) وقوله « مثل المؤمن كمثل

النحلة لا تأكل إلا طيبا ولا تخرج إلا طيبا» وقوله : «مثل المؤمن كمثل النخلة ..» مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا مختلفة » الخ فالجمل والنحلة والنخلة والغيث مما يألفه الأعراب ويعرفونه فى بيئتهم .

٦ — تركز التربية الحديثة على أسلوب التشويق الذى يجتذب انتباه التلاميذ ، وذلك إما بالحوار ، أو تلوين الأسلوب ، أو تمثيل للمعانى بالحركة أو الصوت أو ما إلى ذلك .. والمعروف أن رسول الله قدوة المربين قد مارس هذا المبدأ ممارسة عملية وكان له فيه فنون وفنون . أحيانا يعتمد الحوار الحى «قيل يا رسول الله أى الناس أشد بلاء ؟ قال : الأنبياء ، قيل ثم من ؟ قال : الأمثل فالأمثل . الخ » ومنه أن رجلا جاء إليه صلوات الله عليه فسأله : «أى الناس أحق بحسن صحابتى ؟ قال : أمك قال : ثم من ؟ قال : أمك : قال ثم من ؟ قال أمك قال : ثم من ؟ قال أبوك» وكقوله لأصحابه : «أيكم مال وارثه أحب إليه ؟ فقالوا : كلنا مالنا أحب إلينا ، قال : فإن مالك ما أنفقت ومال وارثك ما تركت » .. وقوله لأصحابه «أتدرون من المفلس ؟» وكقوله : «ما تقولون فى السرقة والزنى والقتل ؟ » كل ذلك من أساليب التشويق التى تخلق جوا حواريا نشيطا يساعد على تفهم الحقائق وتقبلها دون إملال لا أن يستمر الأسلوب على وتيرة واحدة .

٧ — من المبادىء التربوية أيضا — ألا يعمد المدرس إلى نسبة الذنب إلى مقترفه حتى لا يخجله ، فتتعقد نفسه ، بل ينبه إلى الذنب غير مقترن باسم صاحبه ... وقد كان رسول الله مثلا أعلى فى رقة الشعور ولطافة الحس وقد أثر عنه « ما بال أقوام يفعلون كذا — لينتهين أقوام عن تركهم الجمعات — لقد هممت أن أخالف إلى جماعة يتأخرون عن أداء العشاء فى جماعة فأحرق عليهم بيوتهم وهكذا — يذكر الذنب أو الجريمة — دون أن ينسبها إلى صاحبها تحقيقا للهدف السابق .

هذا إلى أنه كان يركز على الكلمة الهامة فيكررها ثلاثا لتفهم منه وتؤخذ عنه — وكان يتأنى فى إلقاء الحديث كما حدثت عنه أم المؤمنين عائشة ، كان يتكلم كلاما لو عده العاد لأحصاه — وتلك كلها مبادىء تربوية تعين على الفهم وتساعد على التقبل .. تلك لمحات من أساليبه التربوية .. أخذها عنه

(البقية على ص ١٥٢)

العربية لغة الإسلام والمسلمين

للأستاذ علي عبد العظيم

— ٣ —

بين الفصحى والعامية

تقلص النفوذ الاستعماري في مصر ، ولكن آثاره ظلت باقية في أعماق بعض النفوس الضعيفة - من حيث تدري أو لا تدري - وهذه الآثار تجري على الألسنة حينا وتختفي حينا آخر ، وكثيرا ما تبدو في مظهر دعوة إصلاحية أو نهضة تجديدية أو تقدم - مزعوم - ومن أبرز آثار الاستعمار الدعوة المتجددة لاستعمال اللغة العامية[1] وإحلالها محل العربية الفصحى في الكتابة والخطابة والتعليم ، وحجة القائلين بهذه الدعوة أن العامية أيسر فهما وأسرع استجابة وأدعى إلى إزالة الفوارق الطبقية وأنها توفر جهدا ووقتا ومالا .

وفات هؤلاء المخدوعين أو الخادعين أنه لا توجد لغة في العالم تخلو من الفصحى والعامية تبعا لاختلاف طبقات الشعوب في المستوى الثقافي والاجتماعي - فأساتذة الجامعات والعلماء والشعراء لهم تعبيراتهم وأساليبهم الخاصة في البيان ، كما أن للعمال والفلاحين وعامة الشعب أساليبهم الخاصة في التعبير ، وقد عالج الكاتب الكبير برناردشو قضية هذه الفوارق في مسرحيته الشهيرة « سيدتي الجميلة » التي شاهدها في القاهرة معروضة في السينما منذ عامين .

والانكليز يعبرون عن اللغة الدارجة عندهم باسم Current وبين يدي الآن معجم إنكليزي أصدرته جامعة اكسفورد بقلم ثلاثة من كبار الأساتذة وهو مقصور على هذه اللغة الدارجة ، أما اللغة الشعبية السوقية فيسمونها Slang ، وهناك معاجم أدبية وأخرى علمية إلى جانب المعاجم الاصطلاحية الخاصة بكل علم أو فن أولون من ألوان الحياة .

---

[١] العامية الآن لهجة لا لغة ، وقد آثرنا تلك التسمية لإبراز الخطر الكامن في استعمالها باعتبار ما يمكن أن تتطور إليه في المستقبل القريب .

وما سمعنا بداعية انكليزى أو أوربى يدعو إلى نبذ الأساليب العلمية أو الأدبية أو الفنية وهجرها إلى اللهجة الدارجة أو أساليب السوقة من العوام.

على أن العامة عندنا يفهمون العربية الفصحى فى يسر وسهولة، فالصحف يتلوها القراء ويستمع إليها الأميون فيفهمونها دون مشقة أو عناء، والإذاعة عندنا تذيع الأخبار بالفصحى عدة مرات فى كل يوم فيسمعها الأميون ويفهمونها، ويعلقون عليها حتى التعليقات، وخطباء المساجد يلقون خطب الجمعة بالمساجد فى لغة عربية فصحى مؤيدة بآيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة فيفهمها العامة، وكثيراً ما يناقشون فيها الخطيب بعد الفراغ من الصلاة على الرغم من مرور أربعة عشر قرنا على نزول هذه الآيات وإلقاء هذه الأحاديث والعامة عندنا يرددون قصائد شوقى مع أم كلثوم ويطربون لمسرحياته الشعرية ويحضرون للمسرحيات المترجمة بالعربية الفصحى فيفهمونها ويتجاوبون معها ويتحدثون عنها فى نشوة وإعجاب.

ومع انتشار الثقافة واتساع التعليم وقوة وسائل الإعلام سترتفع العامية إلى مستوى الفصحى وسترق الفصحى وتسهل حتى تصبح اللهجتان متقاربتين أو تصبح العامية على مدى قريب من لغة القرآن الكريم.

وتمتاز اللغة العربية عن جميع لغات العالم باتساع مداها اتساعا كبيراً عبر الزمان والمكان، فهى اللغة الوحيدة دون لغات العالم التى عاشت حية ناصعة مستعملة زهاء ألف وستمائة عام، فإننا نقرأ الآن لامرىء القيس وعمرو بن كلثوم وعنترة ما أبدعوه من قصائد شعرية خالدة فنفهمهم ونتفاعل معهم وجدانياً يجعلنا نحس ما اعتمل فى أعماقهم من مشاعر وأفكار، كما نقرأ أمثال العرب فى الجاهلية وما أبدعوه من حكم وخطب ووصايا فنعجب بها كل الإعجاب، والعربية من اللغات القليلة التى فرضت نفسها على شعوب عديدة تركت لغاتها الأصلية وهجرتها إلى اللسان العربى المبين.

وإذا نظرنا إلى اللغات الحية المعاصرة فإننا نجدها سريعة التغيير بحيث تكاد تنقطع بينها وبين أصولها جميع الصلات؛ فالإنجليز الآن يجدون صعوبة فى فهم شاعرهم الفضل شكسبير مع أنه توفى سنة

١٦١٦م ، وهناك كتب جديدة تبسط لغته وتترجمها للإنجليز المعاصرين شأنهم في هذا شأن الفرنسيين مع شاعريهم الكبيرين «كورني وراسين» وهذا التغير المستمر يكاد يقطع الصلة بين الأبناء والأجداد على تطاول الزمن وتعاقب الأجيال .

واللغة العربية استطاعت – دون بقية اللغات – ربط الأجيال العربية المتعاقبة في وحدة ثقافية واجتماعية عميقة ستة عشر قرنا أو تزيد . كما ربطت الشعوب العربية من الخليج إلى المحيط ، ولا تستطيع اللغة العامية أن تفعل شيئا إلا تمزيق هذه الصلات الزمانية والمكانية فضلا عن أنها لا تستطيع أن تستوعب الثقافة العربية العميقة بأي حال .

وإذا فرضنا أننا استعملنا اللغة العامية في الأداء والتعبير فماذا تكون النتيجة الحتمية لهذا الاستعمال ؟ ستكون النتيجة أن تنهض على أنقاض اللغة العربية الفصيحة لغات كثيرة تتعدد بتعدد الأقطار بحيث يصبح لكل دولة عربية لغتها الخاصة بها وبحيث يحتاج كل إقليم عربي إلى أن يترجم إلى لغته العامية نحو عشرين لغة عامية لغيره من الشعوب العربية فيتمزق الشمل وتنفصم الوحدة وتنقطع الصلات العلمية والاجتماعية والتاريخية والمذهبية وهذا هو ما يريده الاستعمار .

إن العامية في مصر غيرها في العراق أو في الخليج العربي أو في المملكة المغربية أو اليمن الديمقراطية أو السودان ، وأنا لا أتي الكلام على عواهنه وإنما أقوله عن خبرة عملية وتجربة ذاتية شاهدتها في عديد من الأقطار العربية منذ سنوات ؛ وأذكر أنني كنت أستاذاً للأدب العربي في جامعة الرباط وجدت مشقة كبيرة في التفاهم مع المغاربة بلغتهم الدارجة ولولا إلقاء محاضراتي باللغة العربية الفصحى في الجامعة وفي غيرها من المنتديات ما وجدت سبيلا للتفاهم مع الجامعيين أو غيرهم من المثقفين ؛ ومن الخير أن أذكر أمثلة عملية واقعية لاختلاف العامية هناك عنها في مصر كل الاختلاف ، فالبرتقال عندهم لاتشين والطماطم عندهم ماطيشة ، والخرشوف عندهم قوق ، والأرانب عندهم لقنية ، والديك الرومي عندهم البيبي ، والحذاء عندهم سباط ، والجورب عندهم طقاشر ، وحينما تمت إعارتي لجامعة الليبية وجدت

اللغة العامية عندهم تختلف عن العامية عندنا اختلافا كثيراً على الرغم من الجوار فالتيه يسمى فى ليبيا كرموز، والدار عندهم الحوش، والجالس عندهم مقمز، وتحت عندهم لوطة والجورب عندهم شخاخير؛ والسيارة عندهم الكرة «بحرفة عن الكهرباء».

ونستطيع أن نسوق أمثلة عديدة من كل قطر عربى تبين مدى هذا الاختلاف بل نستطيع أن نقرر أن الدولة الواحدة تختلف فيها العامية تبعا لاختلاف أقاليمها فعندنا لهجة البشارية فى أسوان لا نفهمها إلا بعناء وكذلك لهجة أهل سيوة، ولا يكاد سكان السواحل يفهمون لهجة سكان الصعيد، ولا يكاد أهالى السلوم، ومطروح يفهمون لهجة أهل الغردقة أو القصير وهكذا.

واللغة العامية لا تستطيع أن تستوعب ألوان الثقافات العلمية والأدبية والفنية، لأنها لهجة العوام فى تعبيرهم الساذج السطحى المحدود. وإن كانت تستطيع التعبير عن بعض المشاعر الوجدانية فى الأغانى الشعبية لأن العواطف مشتركة بين الخواص والعوام ولكنها لا تستطيع التعبير عن أعمق أغوار النفس البشرية وما يثور فيها من عواصف وجدانية عميقة تفوق طاقة العوام.

ولقد استطاعت العربية الفصحى أن تستوعب القرآن الكريم وهو المعجزة الكبرى التى تحدى الله سبحانه وتعالى بها الإنس والجن فى جميع العصور أن يأتوا بمثلها وأعلن عجزهم عن ذلك ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا، كما استطاعت أن تستوعب ثقافات الأمم القديمة جميعها مثل فلسفة الإغريق والرومان وحضارة الفرس وعلوم المصريين ورياضة الهند ومدنية الصين إلى جانب ثقافة الآشوريين والبابليين والسريان واستطاعت أن ترث اللغات الإغريقية واللاتينية والعبرية والسريانية والهندوكية والصينية والفارسية وعبرت عن مضموناتها أدق تعبير.

ولما تأخر العالم الإسلامى وانكمشت حضارته وقامت النهضة الأوروبية الحديثة ظن كثيرون أن اللغة العربية قد انتهى دورها وأصبحت لغة عبادة وأنها عاجزة لا محالة عن استيعاب الحضارة العصرية التى أمدت العالم بكشوف عديدة تكاد تفوق مايتصوره الخيال

أو يخطر على البال، وهنا قامت الضجة الكبرى التي تدعو إلى نبذ اللغة العربية واتخاذ إحدى اللغات الغربية الحديثة لغة للفلسفة والعلوم والفنون والآداب وشتى ألوان الثقافات إذا شئنا أن نتقدم في ركب المدنية مع المتقدمين .

وقد رأيت هذه الدعوة تكاد تسيطر على عقول المثقفين في بعض البلاد العربية التي عاشت حقبة طويلة تحت ظل الاستعمار سواء كانت منطقة احتلال عسكري أم منطقة نفوذ استعماري، ولقد رأيت كثيرين من المثقفين في المملكة المغربية وفي الجزائر يبدون دهشتهم من وجود كتب عربية مدرسية في الجبر والهندسة والطبيعة والكيمياء وبعضهم كان يزور المركز الثقافي العربي في فاس أو في الرباط لهذه الكتب المقررة في مدارسنا الثانوية ويقلبها في دهشة واستغراب، فلما شاهد الكتب الجامعية وكتب التخصص العميق في الفلسفة والعلوم والفنون زادت دهشته إلى حد كبير، ومن الإنصاف أن نقول إن في المغرب والجزائر فئة مختارة من كبار المثقفين المتعمقين في الدراسات العربية والإسلامية وأنهم أسهموا بقسط كبير في النهضة الأدبية الحديثة وهم الذين يقودون في قوة عزيمة وحدة مضاء وعمق إيمان حركة التعريب في هذه البلاد .

ولقد استطاع المجمع اللغوي بالقاهرة أن يعرب آلاف المصطلحات العلمية وأن يصدر موسوعات عظيمة متعددة تناولت شتى العلوم والفنون، وبهذا مهدت السبيل لتستوعب العربية الفصحى ما كشفته المدنية الحديثة من علوم ومخترعات في شتى الميادين .

ومعظم كليات الجامعات المصرية تدرس أحدث وأعمق ما وصل إليه الفكر البشري باللغة العربية الفصيحة، وكبار الأساتذة المتخصصين لا يزالون يتابعون إصدار الكتب العلمية والمراجع الثقافية العميقة بالعربية الفصحى لطلاب الدراسات العليا وأمثالهم من الباحثين أمام ميادين الفنون والآداب فقد أثرت اللغة العربية في العصر الحديث آثاراً فنية وأدبية رائعة تمت ترجمتها إلى عدد كبير من اللغات الأوربية الدائمة الآن.

وإذا كانت كليات الطب وبعض شعب كليات العلوم عندنا يستعمل أساتذتها اللغة الإنكليزية في محاضراتهم فإن كلية الطب في جامعة دمشق تدرس فيها فروع الطب باللغة العربية الفصحى منذ بضعة عشر عاماً، وسيأتي قريباً الوقت الذي تتم فيه العربية

جميع كليات الجامعات فى الشعوب العربية جمعاء وليس معنى هذا أن نقطع صلاتنا باللغات الأجنبية فإن الثقافة والحضارة العصرية قدر مشترك بين جميع الشعوب، ولا نستطيع أن نزعم أننا سبقنا أوربا وأمريكا فى ميادين الحضارة والعلوم، وأكبر الدول المعاصرة وأكثرها تقدما تأخذ من غيرها بنصيب، وجميع اللغات الكبرى تأخذ وتعطى وتتبادل أحدث ما أنتجته الأفكار والبحوث والتجارب العلمية الحديثة، وعلماء العالم يتقابلون ويعقدون المؤتمرات العلمية للتعاون فى معالجة وحل عقد المشكلات.

ولكننا ينبغى ألا نظل متخلفين وأن نعمل على أن نتقدم الصفوف وأن نتبادل الأخذ والعطاء، وأن تعجز العربية الفصحى عن استيعاب ما نرجوه من آمال، وإن كان فى طريق نموها وازدهارها عقبات فإن علينا أن نذلل هذه العقبات ؟

(للبحث بقية)

على عبد العظيم

(بقية المنشور على ص ١٤٦)

أصحابه بالقدوة، وعمقوها بالتجربة، ومارسوها بالفعل، وأضافوا إليها كل جديد نافع.

وما أظنك فى أن من يركز على هذا الموضوع سوف يظفر بكتاب نافع يكون بالغ الجمال والطرافة - يؤكد لنا خصب الثقافة الإسلامية بهذا التراث الغالى - ويجعلنا نطمئن إلى أن معظم المبادىء التى نرددها فى مدارسنا منسوبة إلى الغرب - قد كان لها وجود حقيقى فى توجيهات الرسول، وفى مبادىء الفلاسفة المسلمين الذين تتبعوا تراثه ودرسوا طرائقه والدارس لهذا الموضوع يستطيع أن يخرج منه بالكثير الذى يشكل منهجا تربويا إسلاميا متكاملا ؟

توفيق محمد سبع

البوصيرى وشعر النقد الاجتماعى

للأستاذ محمد جاد البنا

طغت بردة البوصيرى وهمزيته على كل جوانب شعره ، وذلك لما نالته الأولى من انتشار وذيوع وشروح ، وبما كسبته الثانية من تخميس وتشطير ومحاكاة .

والحق أن شعر البوصيرى متنوع بألوان متعددة فى النظرات الاجتماعية ، والهجاء والغزل ، والشكوى ، والمدح ، والتضرع ، وغير ذلك .

والبوصيرى صاحب النقدات الاجتماعية لا زال فى الظل يحتاج إلى من يبعث قبسا من الضوء كى يتضح الوجه الآخر لهذه الشخصية المصرية الفذة ، التى تعطى فى مجموعها ملمحا طيبا لما يجب أن يكون عليه المسلم الواعى ، والمتصوف المعتدل الذى يعيش بوجدان عصره ، فيشقى من أجل الدنيا كأنه يعيش أبدا ، ويعمل من أجل الآخرة كأنه يمضى اليها غدا ، على هذا الدرب اسوى كان يمضى الإمام شرف الدين البوصيرى (محمد بن سعيد) الذى ولد فى قرية (دلاص) إحدى قرى محافظة بنى سويف سنة ٦٠٨ هـ ثم انتقل منها إلى قرية (بوصير) من قرى الإقليم نفسه ، فظل بها مدة حتى رحل إلى القاهرة ،

وعندما نزل الفتى البوصيرى بالقاهرة كان لا بد أن يأخذ حظه من علم العربية ، وفقه الدين ، وأن ينهل من مناهل الأدب والمعرفة ، بعد أن حفظ المعجز وجود قراءته فى قريته وكان ما أراد حتى تفجرت ينابيع شاعريته منذ الحداثة فقال الشعر فى الأغراض التقليدية من مديح وهجاء وغزل الخ إلى أن انتقل إلى الطور الابتداعى فعكف على نقد الأحوال الاجتماعية ، مما يجعلنا نسلكه فى زمرة شعراء الشعب لهذه الحقبة ، ونعنى بشعراء الشعب فى ذلك العصر تلك الفئة الواعية التى استطاعت دون غيرها أن تغنى آلام الشعب الكادح وأن تغنى آماله ، والتى عاشت مشاكله فى وعى ، وعبرت عنها فى سخرية مرة حينا ، وفى رمز قريب حينا وفى واقعية جريئة أحيانا كثيرة ، فليس صحيحا ذلك الذى يقال من أن

الشعر في العصرين الأيوبي والمملوكي لم يواكب الحركة الاجتماعية ولم يهتم بأشواق الجماهير ورغبات الأمة ، وأنه اكتفى بالإسراف في البديع ، والشغل بالزخرف والمحسن وترك المضمون الاجتماعي ، والمحتوى الجماهيري يدور في فراغ ، لأن الواقع المنظور من التراث الشعري الذي يطرز دواوين الشعراء في هذه الفترة يشهد بغير ذلك ، وإلا فما بالنا نغفل عن البهاء زهير ، وأبي الحسين الجزار ، والدهان ، والوراق والسراج ، والبوصيري الذي نعرض له في هذا المقال قصيدتين إحداهما في نقد الموظفين ، والثانية في وصف حال أسرته وقد أقبل عليها شهر رمضان والعيد دون أن يصرف راتبه .

وأكاد أزعم بنقيض هذه القضية ، وهو أن الشعراء المصريين في هذه الفترة الحالكة من تاريخنا السياسي والاجتماعي والأدبي استطاعوا دون غيرهم أن يواكبوا الأحداث ، وأن يندمجوا فيها وأن يعبروا عنها ، وليس عسيراً علينا أن ندرك أن الشعر وقتها لم يك (ارستقراطيا) بالمعنى المتعارف عليه ، وإنما كان الشعراء يغنون أنفسهم أحياناً ، ويغنون الشعب في أغلب الأحايين ، لأنهم لم يعتمدوا كثيراً على التكسب بشعرهم مثلما اعتمد الكتاب أو كما كانت الحال في العصر العباسي مثلا وإنما كان اتصالهم بالسلاطين نابعا - في أغلبه - من عاطفة وطنية أو رابطة دينية ، ومن ثم جاء شعرهم - في معظمه - غنائياً ظهرت فيه السهولة والرقة ، كما وضحت فيه المبالغة الشعبية التي هي من أخص خصائص المصريين وقد اتفق النقاد المعاصرون أو أغلبهم ممن اهتموا بالتراث المملوكي أن الكتاب قصر بهم الجهد فلم يلحقوا بالشعراء في هذا الميدان ، وذلك لأن أكثر الكتاب وجدوا سبل العيش أمامهم أكثر يسرا ، وأرحب صدرا ، ودرت عليهم وظائفهم الجاه والمال فلوت عنان أقلامهم عن النقد ، ولا سيما أنهم ارتبطوا بسياسة السادة الحكام ، ومن هنا أيضا كان للشعراء أكثر حرية من الكتاب فأباحوا لأنفسهم ما لم يبحه الكتاب[1] .

والشعب المصري نقاد بطبيعته لا تكاد تمر به حادثة إلا ويشبعها نقدا وتعليقا ، بل ويشيع من حولها الشائعات التي يحرص على تلوينها بآرائه وأهوائه فلا ضير إذن

[١] محمود رزق سليم ، عصر سلاطين المماليك، ٦ ٢٩٧

على البوصيرى وهو ابن من أبناء هذا الشعب النافه، نشأ فى صعيده، وعاش فى قاهرته أن يبدأ طوره الابتدائى بقصيدته فى نقد طائفة الموظفين الذين عاشرهم وبلى من شرهم الكثير فهو ينقدهم نقد الخبير الذى يعرف موطن العلة :

نقدت طوائف المستخدمينا

فلم أر فيهمو حرا أمينا

فقد عاشرتهم ولبثت فيهم

مع التجريب من عمرى سنينا

هو نقد واقعى إذن يتسم بالصدق والصراحة مادام قد عاشرهم وجرب أعمالهم، وهذه بعض صوره الناطقة :

١ — الموظفون يسرقون الغلال (قوت الشعب الكادح) ليرفهوا عن أنفسهم وليشربوا الخمر ويلبسوا الحرير فكأنهم سرقوا عيون الشعب :

فكم سرقوا الغلال وما عرفنا

بهم فكأنهم سرقوا العيونا

ولولا ذاك ما لبسوا حريرا

ولا شربوا خمور الأندرينا

٢ — وهذه صورة حلوة ساخرة لهؤلاء الذين يتظاهرون بالزهد والورع بينما هم يملأون بطونهم من الكسب الحرام:

يخاطب بذلك الوزير المسئول ويحرضه عليهم :

أمولاى الوزير غفلت عما

يتم من اللئام الكاتبينا

تنسك معشر منهم وعدوا

من الزهاد والمتورعينا

وقيل لهم دعاء مستجاب

وقد ملأوا من السحت البطونا

٣ — ثم لا ينجو القضاة من سخريته فهو يشنع بهم ويلذعهم بنقده زاعما أنهم خانوا الأمانة وتأولوا فى كتاب الله ولم يؤدوا رسالتهم التى نيطت بهم :

تفقهت القضاة فخان كل

رسالته وسموه الأمينا

وما أخشى على أموال مصر

سوى من معشر يتأولونا

٤ — ثم هو لا ينسى اليهود وكيف أنهم كانوا (فى ذلك الوقت) يحلون لأنفسهم أموال الطوائف جميعا من مسلمين وأقباط:

وحلت اليهود بحفظ سبت

لهم أموال الطوائف أجمعينا

إلى أن يتم الصورة فيقول :

وفى دار الوكالة أى نهب

فليتك لو نهبت الناهبينا

فقام بها يهودى خبيث
يسوم المسلمين أذى وهونا
إذا ألقى بها موسى عصاه
تلقفت القوافل والسفينا
وشاهدهم إذا اتهموا يؤدى
من الكل الشهادة واليمينا

أما قصيدته الثانية التى يصف فيها حال أسرته وما عانته فى شهر رمضان حينما تأخر راتبه وجاء العيد.

فهى مليئة بصور صاخرة تنطق بالمرارة والألم، وهى بلا شك وثيقة اجتماعية تصور حال الطبقة الكادحة فى ذلك العهد المظلم فيشكو إلى الوزير:

إليك نشكو حالنا إننا
عداك من قوم أولى عسره
فى قلة نحن ولكن لنا
عائلة فى غاية الكثره

وفيها يصف طعام أسرته بعد طول صيام. وكيف أن العيد أقبل وليس فى يد الصغار ما يأكلون أو يلبسون:

صاموا مع الناس ولكنهم
كانوا لمن أبصرهم عبره
إن شربوا فالبئر زير لهم
ما برحت والشربة الجره

وأقبل العيد وما عندهم
قمح ولا خبز ولا فطره
فارحمهم إن عاينوا كعكة
فى كف طفل أو رأوا تمره
تشخص أبصارهم نحوها
بشهقة تتبعها زفره

ثم يصور حال أولاده حينما يسألونه عن راتبه الذى تأخر:

كم قائل يا أبتا منهمو
أقطعت عنا الخير فى كره ؟
ما صرت تأتينا بفلس ولا
بدرهم ورق ولا نقره
وأنت فى خدمة قوم فهل
نخدمهم يا أبتى سخره ؟

حقا إننا لن نستطيع مهما بلغ دفاعنا عن البوصيرى إنكار أن القصيدة مخلخلة التركيب ركيكة الأسلوب مهلهلة النسج ممثلة لحال عصرها (من لوجهة الفكاهية) ولكنها دون جدل أو حاجة إلى دفاع قوية المضمون، طيبة المحتوى، هادفة القصد، لأنها تعطينا الصورة الواضحة لحال الأسرة المصرية المتوسطة فى عهده وما كانت تعانيه من حرمان وعوز وشعور بالضياع وكأنه - رضى الله عنه - كان يؤرخ للحياة الاجتماعية فى ذلك العصر...

والشعر إذا ارتفع إلى هـذا المستوى ، فقد أدرك طريقه الصحيح ، ذلك أن غاية الأدب والفنون جميعا هى أن تعكس التيارات التى يموج بها العصر ، والصور التى تزخر بها الحياة .

وهذا المعيار – إن صح – يصدق على قصيدتى البوصيرى السابقتين إلا أن الظاهرة التى نعجب لها فى شعره أنه ارتفع فى البردة وغيرها من شعر المدح النبوى إلى مصاف الشعراء الموهوبين الأوائل من حيث جودة العبارة ، وحبك الديباجة ، وانتظام الوقع الموسيقى وتدفقه فى سهولة بالغة ، وانسجام رائع مع عمق الفكرة – أحيانا – ودلالة التشابيه والمجازات التى استعملها ، بينما نزل فى شعر النقد الاجتماعى وغيره من الأغراض الأخرى ، إلى مستوى أقرب ما يكون إلى التركيب الضعيف المفكك ، فربما ظن قارىء أن شعر المدح النبوى لشاعر غير البوصيرى الناقد الاجتماعى ، وأن شعر النقد الاجتماعى وغيره مما قيل فى الأغراض الأخرى لشاعر غير البوصيرى صاحب البردة والهمزية ، فالفرق بين الوجهتين شاسع ، والبون بعيد ، فالبوصيرى الذى يقول عن النفس فى البردة :

من لى برد جماح من غوايتها
كما يرد جماح الخيل باللجم
فلا ترم بالمعاصى كسر شهوتها
إن الطعام يقوى شهوة النهم
والنفس كالطفل إن تهمله شب على
حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

يختلف عن البوصيرى الذى قرأنا له ما تقدم من شعر الاجتماع وغير البوصيرى الذى يقول (من قصيدة فى الغزل) :

أهوى وللشيب قد حال دونه
والتصابى بعد المشيب رعونة
أبت النفس أن تطيع وقالت
إن حبى لا يدخل القنينة
كيف أعصى الهوى وطينة قلبى
بالهوى قبل آدم معجونة

ولعل مرد ذلك إذا حاولنا تفسيره يعود إلى أحد تعليلين ، أما التعليل الأول : فهو شرف الغرض فحينما تسامى البوصيرى إلى مقام الرسول الأعظم صلوات الله عليه ، أجاد وأبدع ، وحينما نزل إلى سفح العامة أسف وهزل ، أما التعليل الثانى : فهو مراعاة مقتضى الحال التى يبدو أن البوصيرى كان ينظر إليها حينما كان يخاطب سواد

(البقية على ص ١٦٩)

انتشار الإسلام في الرحاب

للدكتور حامد غنيم أبو سعيد

— ٧ —

اتضح لنا في المقال السابق أن القوات الإسلامية قد حاولت في أواخر عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن تفتح أرمينية ، كما اتضح لنا أيضا أن هذه القوات لم تبلغ هدفها وأن دعوة الإسلام بالتالي لم توجد لها استجابة بين مواطنى هذه المنطقة .

ونقول هنا : إن الخليفة عثمان رضى الله عنه قد واصل السياسة التي ابتدأها سلفه تجاه الأرمن ، فقد سجل التاريخ لهذا الخليفة أنه في الفترة الأولى من خلافته قد عهد إلى حبيب بن مسلمة الفهرى بمهمة فتح أرمينية ، وأن حبيبا هذا قد قاد رجاله ، وزحف صوب هذه البلاد حتى أتى إلى مدينة قاليقلا [1] عاصمة أرمينية البيزنطية والتي تقع في أقصى الشمال الغربي وعلى مقربة من الحدود البيزنطية .

هناك استطاعت القوات الإسلامية أن تلحق بالقوات المادية هزيمة قاسية كان من نتيجتها أن طلب أهل قاليقلا من القائد المسلم الأمان على الجلاء أو الجزية فاستجاب لهم فجلا كثير منهم ولحقوا ببلاد الروم [1] .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن الهزيمة التي لحقت بأهل قاليقلا كان لها رد فعل عنيف على الروم فوجهوا ضد القوات الإسلامية جيشا كثيرا تعضده قبائل من الخزر واللان ، غير أن هذا الجيوش قد مزق شر ممزق في مواجهة المقاتلين المسلمين [2] .

كان لهذين الانتصارين أثرهما الكبير في تحديد موازين القوى بين المسلمين والروم ، فقد ترتب عليهما تثبيت أول وجود إسلامى في هذه البلاد ، ويحدثنا البلاذرى من هذه الحقيقة فيقول [3] : « فكتب (حبيب) إلى عثمان يسأله أن يشخص إليه من أهل الشام والجزيرة قوما

---

[١] يطلق على هذه المدينة في التاريخ الحديث اسم أرزن الروم أو أرضروم .

[١] فتوح البلدان ص٢٧٨ ، ابن الأثير ح٣ ص ٨٤

[٢] تاريخ ابن خلدون ح ٢ ص ١٠٠١ .

[٣] ص ٢٧٨ .

ممن يرغب فى الجهاد ، فبعث إليه معاوية ألفى رجل أسكنهم قاليقلا ، وأقطعهم بها القطائع ، وجعلهم مرابطة بها » .

وهذا النص يبرز لنا أن هؤلاء الرجال قد شكلوا أول جماعة إسلامية أقامت فى قاليقلا ، ومما لا شك فيه أن استقرار هذه الجماعة فى تلك الناحية من أرمينية قد صاحبه فى الوقت نفسه وجود للدين الإسلامى على الأقل متمثلا فى هذا العدد من الرجال المسلمين . ويعود تاريخ هذا الوجود للدين الإسلامى إلى سنة ٢٥ من التاريخ الهجرى ، وذلك لأن حملة حبيب التى نحن بصدد الحديث عنها هنا قد بدأت فى أواخر سنة ٢٤ واستغرقت السنة التالية على وجه التقريب .

والسيطرة الإسلامية على مدينة قاليقلا تكشف لنا عن واحد من الأساليب البارزة للتخطيط الحربى فى تاريخ الفتوح الإسلامية فهذه المدينة لم تكن أقرب المدن الأرمينية إلى الوجود السياسى للدولة الإسلامية فى الجزيرة ؛ بل إنها على العكس من ذلك كانت بعيدة ، ولكنها فى الوقت نفسه كانت تشكل الوطن الأول الذى كان من الممكن أن ينطلق منه الخطر الرئيسى ضد المحاولات الإسلامية للسيطرة على أرمينية . وفى ضوء هذا فإن القوات الإسلامية، على ما يبدو ، كانت تستهدف ضرب هذا الوطن لكى تسهل عليها بالتالى مهمة السيطرة على المواقع الأخرى .

مهما يكن من أمر ، فقد حدث بعد استسلام قاليقلا أن اتجه حبيب برجاله صوب الجنوب الشرقى تجاه بحيرة أرجيش حيث دانت له مدن خلاط ومكس وأرجيش[1] ، ومن الشواطىء الشمالية لبحيرة أرجيش اتجهت القوات الإسلامية إلى الشمال الشرقى حيث مدينة دبيل ، عاصمة أرمينية الفارسية ، ولم تجد هذه المدينة أمامها مفراً من الاستسلام للقوات الإسلامية ، فكتب حبيب لأهلها عهد أمان حفظه لنا المؤرخون ، ونصه ، كما أورده البلاذرى[2] وياقوت ، يقول :

« بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من حبيب بن مسلمة لنصارى أهل دبيل ومجوسها ويهودها ، شاهدهم وغائبهم ، إنى أمنتكم على أنفسكم وأموالكم ، وكنائسكم وبيعكم ، وسور مدينتكم ، فأنتم آمنون ، وعلينا الوفاء لكم بالعهد ما وفيتم وأديتم الجزية والخراج ؛ شهد الله ، وكفى به شهيداً » .

(١) فتوح البلدان ص ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ابن الأثير جـ ٣ ص ٨٤ ، ٨٥ ، معجم البلدان جـ ٥ ص ١٨٠
(٢) فتوح البلدان ص ٢٨٢ .
(٣) معجم البلدان جـ ص ٤٣٩ .

وبمقارنة ما حققه حبيب بما سبق أن تحقق في السنوات السابقة ، نستطيع أن نقول : إن حبيباً هو فاتح أرمينية ، ولكن وبعد سلسلة الفتوح التي حققها هذا الصحابي والتي أشرنا إلى أهمها في السطور السابقة لا يجد الدارس من الحقائق ما يساعده على القول بأن الأرمن قد استجابوا لدعوة الإسلام ، غير أن الوجود الإسلامي في الوقت نفسه قد تمثل في أرمينية على الأقل في المقاتلين المسلمين الذين استوطنوا قاليقلا وغيرها من المدن الأرمنية بهدف الحفاظ على المكاسب السياسية للدولة الإسلامية ، وقد لا يكون خارجاً عن دائرة الصواب أن نقول : إن بعض هؤلاء المقاتلين قد نجحوا في اجتذاب عدد من الأرمن ، وخاصة المجوس ، إلى الدين الإسلامي . ونستأنس لهذا الاستنتاج بموقف المجوس في آذربيجان من الدين الإسلامي فقد اتضح لنا فيما سبق أن الكثيرين منهم قد اعتنقوا الإسلام قبل مضي وقت طويل [١].

* * *

لم يطرأ تغير واضح على هذه الصورة في السنوات التالية وحتى نهاية عهد الخلفاء الراشدين . أما في العهد الأموي فإن الدارس يجد العديد من الأخبار التي تساعده في إلقاء الضوء على حركة انتشار الإسلام في هذا الجزء من الرحاب ، ومن هذه الأخبار ما تذكره المصادر التاريخية من أن عبد العزيز بن حاتم بن النعمان قد تولى حكم أرمينية في عهد معاوية ، وأنه بنى مدينة دبيل «وحصنها وكبر مسجدها [١]» والذي يعنينا من هذا النص هو الجملة الأخيرة ... وكبر مسجدها ، فهذه الجملة من ناحية تجزم بوجود مسجد في مدينة دبيل قبل ولاية هذا الوالي ، ولكن متى تم إنشاء مسجد دبيل؟ هذا ما لم ترد إشارة عنه في المصادر التي رجعت إليها ، وهي من ناحية أخرى ، وتمشيا مع المدلول اللغوي لكلمتي مسجد وجامع ، تشير إلى أن الإسلام في هذه المدينة كان لا يزال حتى عهد معاوية يمر بالمراحل الأولى من نموه .

وما يقال عن مدينة دبيل ، استنادا على هذا النص ، من الممكن أن يقال أيضا عن المدن الكبرى في أرمينية مثل قاليقلا وخلاط وأرجيش .

والحقيقة التي تؤكدها الوقائع التاريخية هي أن رفض الأرمن للدين الإسلامي كان

---

[١] راجع المقالات الثلاث الأول من هذه الدراسة

[١] فتوح البلدان ص ٢٨٨ .

له أثره الكبير في عدم استقرار الأمور السياسية بين الأرمن والدولة الإسلامية، وقد ترتب على ذلك أن قام الأرمن بالعديد من محاولات التمرد ضد السيادة الإسلامية ومن هذه المحاولات ما حدث أيام الانقسام الذي منيت به الدولة الإسلامية أيام عبد الله ابن الزبير (٦٣ — ٧٣) فقد استغل الأرمن الفرصة، ونبذوا الاتفاقات التي سبق أن أبرمت بينهم وبين الدولة الإسلامية فلما تجاوز المسلمون هذه المحنة عهد عبد الملك ابن مروان (٦٥ - ٨٦) إلى أخيه محمد بغزو أرمينية، فغزاها في سنة ٨٢، وقد استطاع محمد أن يهزم الأرمن، وأن يفرض عليهم الاستسلام [١].

وقد سجل التاريخ على أهل أرمينية أنهم عادوا إلى التمرد ضد الدولة الإسلامية في نفس العام أو في العام التالي، وأنهم في تمردهم هذا قد قتلوا الوالي أبا شيخ ابن عبد الله، فما كان من محمد بن مروان إلا أن غزاهم مرة ثانية في سنة ٨٤، ويبدو أن هذه الغزوة لم تؤد إلى نتيجة إيجابية فكرر الزعيم الأموي المحاولة مرة ثالثة في السنة التالية [٢].

ومما ساعد الأرمن في تمردهم مجاورة بلادهم لدولتين قويتين من أعداء الدولة الإسلامية، وأعني بهما الروم والخزر، ولذا فإن المسلمين كانوا حريصين على تأمين وجودهم في أرمينية ضد المحاولات المعادية لكل من هاتين الدولتين ومن المنجزات التي حققتها الدولة الإسلامية في هذا المجال ما قام به مسلمة بن عبد الملك حوالي سنة ٩٠ هـ، فقد أسكن مدينة الباب أربعة وعشرين ألفا من أهل الشام [١].

ومن الطبيعي أن هذا العدد الكبير من المقاتلين المسلمين كان له دوره في تأمين السيطرة الإسلامية على بلدان المنطقة ومن بينها أرمينية وليس بعيدا أن يكون من بين هؤلاء المقاتلين من عملوا على نشر الإسلام بين أهالي هذه البلدان.

ارتبط الوجود الإسلامي بأرمينية في أواخر العهد الأموي بمروان بن محمد ابن مروان الذي تولى حكم هذه المنطقة من سنة ١١٤ إلى سنة ١٢٦، وقد سجل التاريخ لمروان، أنه اتخذ من مدينة دبيل مقرا له [٢]. أنه طوال هذه السنوات

---

[١] ابن الأثير جـ ٤ ص ٤٧٦.

[٢] المصدر السابق ص ٥٠٠، ٥١٥.

[٣] فتوح البلدان ص ٢٩١.

[١] الاصطخرى، المسالك والممالك ١١٠.

كان يغزو ، ويواصل بالتالى اكتساب مناطق نفوذ جديدة للدولة الإسلامية ، ومن دراسة النشاط الحربى لمروان بن محمد نجد أنه قد اتخذ ميدانين أساسيين لنشاطه ؛ فمن ناحية نجد الميدان الشمالى الشرقى حيث بلاد الخزر ، وقد استطاع مروان فى هذا الميدان أن يضع حدا لما كان يقوم به هؤلاء القوم من عدوان ضد الدولة الإسلامية .

ومن ناحية أخرى ركز مروان نشاطه على الجنوب الشرقى حيث العديد من الجماعات التى لم تكن حتى آنذاك قد أعلنت تبعيتها للدولة الإسلامية ، وكان من نتيجة النشاط الحربى للمسلمين تحت قيادة مروان بن محمد فى الميدان الأخير أن أعلنت هذه الجماعات ولاءها السياسى للدولة الإسلامية[1] .

لم أعثر فى المصادر التى رجعت إليها على شىء من المعلومات يساعدنا فى التعرف على الدور الذى قدمه مروان بن محمد فى سبيل نشر الدين الإسلامى ، ويبدو أن هذا الموقف من المصادر ليس من قبيل التجاهل بل إنه تصوير لواقع المهمة التى قام بها هذا الزعيم الأموى ، وهى مهمة سياسية كانت تستهدف بالدرجة الأولى وضع حد لحركات التمرد التى كان يقوم بها الأرمن ، وفرض سلطان الدولة الإسلامية على هذه النواحى وتأمين هذا السلطان ضد المحاولات المعادية لكل من الخزر والروم .

وفى ضوء هذا الفهم فإننا نستطيع أن نقول : إن الصورة التى كانت عليها حركة انتشار الدين الإسلامى فى أرمينية أواخر العهد الأموى لم تكن تختلف كثيراً عن تلك التى كانت موجودة أوائل هذا العهد ، وهى الصورة التى من الممكن تلخيصها فى أن الدين الإسلامى على طوال هذه السنوات بعيدا عن عقول وقلوب الأرمن ، ولكن وجوده فى الوقت نفسه كان متمثلا فى أرمينية ، وذلك فى المستوطنين المسلمين الذين استقروا فى أرمينية ، وخاصة فى العاصمة دبيل وفى غيرها من المدن الرئيسية .

فإلى أى مدى تغيرت ملامح هذه الصورة بعد العهد الأموى ؟ هذا ما سنحاول الإجابة عليه فى المقال التالى؟

د . حامد غنيم أبو سعيد

---

[١] البلاذرى ص ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، وعن النشاط الحربى لمروان بن محمد اقرأ ابن الأثير ح ٥ ص ١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٨٦ ، ١٩٠ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢١٥ ، ٢٢٨ ، ٢٤٠

استعمالات "بَيْنَ"

للأستاذ عبّاس أبو السّعود مصطفى

كلمة (بين) قد تكون أسما بمعنى الفراق وقد تكون بمعنى الوصل فهي من الأضداد، كما في قول الشاعر:

لعمرك لولا البين لا يعرف الهوى
ولولا الهوى ما حن للبين آلف

وفى التنزيل قرىء قوله تعالى «لقد تقطع بينكم» برفع (بين) على أنه فاعل لقطع أى تقطع وصلكم، وبالنصب على الحذف أى تقطع ما بينكم.

والأصل فيها أن تكون ظرفا مبهما لا يظهر معناه إلا بإضافته إلى اثنين فصاعدا، تقول: جلست بين أصدقائى، كما تقول: جلست وسطهم بسكون السين، وتقول: المال بين محمد وأخيه، أو المال بين الورثة

فأما قوله تعالى «لا نفرق بين أحد من رسله» وقوله «يزجى سحابا ثم يؤلف بينه» وقوله «عوان بين ذلك» وقوله «مذبذبين بين ذلك» وقول امرىء القيس

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى[1] بين الدخول فحومل[2]

فهى فيهن مضافة لمتعدد معنى، لأن كلمة أحد فى الآية الأولى تفيد استغراق الجنس والضمير العائد على السحاب فى الآية الثانية جمع لأن السحاب جمع سحابة، واسم الإشارة فى الآية الثالثة راجع إلى الفارض والبكر واسم الإشارة فى الآية الرابعة يؤدى معنى الفريقين بدليل قوله «لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء».

وكلمة الدخول فى بيت امرىء القيس اسم لمواضع شتى.

(وبين) إذا أضيفت إلى مفرد وجب العطف عليه بالواو لأنها لجمع المطلق، تقول: وقفت بين محمد ومحمود، وهى تكرر مع الضمير لزوما كما فى قوله تعالى «ياليت بينى وبينك بعد المشرقين» وقوله «ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق» وينكر كثير من المتأدبين تكرارها مع الظاهر، والحق أنه يجوز أن تكرر معه للتوكيد، وذلك كثير فى كلام العرب قال ﷺ فى خطبة له: «إن المؤمن بين مخافتين، بين أجل قد مضى

---

[١] اللوى: رمل معوج.
[٢] الدخول وحومل: موضعان.

لا يدرى ما الله صانع به ، وبين أجل قد بقى لا يدرى ما الله قاض فيه » وقال على كرم الله وجهه فى رسالة له : « وهذه أخرى قد فعلتموها ، إذ حلتم بين الناس وبين الماء » وقال الشاعر يصف الحرب :

وهى عقيم ترى بنيها
من بين مرد وبين شيب

وقال بن منظور فى لسان العرب بمادة (رفق) رأوا أن يفرقوا بين المرفق من الأمر وبين المرفق من الإنسان ، وقال فى ص ٥٧ جزء ١٤ : فلا يجمع بين يا وبين الألف واللام .

وقال صاحب المصباح فى مادة (إذ) ففرق بين إن وبين إذا ، فجعل إن للممكن وإذا للمحقق وجاء فى حاشية ياسين على التصريح ما نصه « قال الدنوشرى : يجوز أن يقال : بين زيد وبين عمر بزيادة بين الثانية للتوكيد ، كما قاله ابن برى وغيره ، وكما قال ذو الرمه .

أيا ظبية الوعساء[1] بين حلاجل[2]
وبين النقا[3] آ أنت أم أم سالم

وقال ابن الرومى يصف صانع الرقاق :

ما بين رؤيتها فى كفه كرة
وبين رؤيتها قوراء[1] كالقمر

مما سقنا من النصوص الأدبية وآراء أهل اللغة استبان لنا ولكل مولع بالحقيقة أنه يجوز أن تقول : لى صديق يجلس دائما بين عمه وبين خاله ، وتقسم تركة الميت بين زوجه وبين أولاده .

ولبين — إذ وليت شتان — حالتان : إحداهما أن تكون مسبوقة بما ، كقولك : شتان ما بينكما ، وقول ربيعة الرقى :

لشتان ما بين اليزيدين فى الندى
يزيد سليم والأغر[2] بن حاتم
يزيد سليم سالم المال والفتى
أخو الأزد للأموال غير مسالم

فشتان اسم فعل ماض بمعنى بعد ، وفاعله إما ما الموصولة وهى عبارة عن الوفر أى الفضل والمزية ، وإما بين هو الفاعل وما زائدة والحالة الأخرى أن تكون غير مسبوقة بما ، كقولك : شتان بينكما ، وفى هذه الحالة يجوز فى بين الرفع والنصب .

(١) الوعساء : الرابية الحصبة .
(٢) حلاحل موضع .
(٣) النقا : قطعة من الرمل محدودبة .

(١) قوراء . واسعة .
(٢) الأغر : الأبيض المشرق وجهه .

قال : شتان بينهما فى كل منزلة

هـذا يخاف وهـذا يرتجى أبدا

الرواية برفع (بين) على أنه فاعل شتان .

وقال حسان بن ثابت :

وشتان بينكما فى الندى [1]

وفى البأس والخبر [2] والمنظر

الرواية بنصب بين على أنه فاعل شتان .

وقد قرىء قوله تعالى « لقد تقطع بينكم » بالرفع والنصب على التوجيهين السابقين .

وتوجيه الرفع أن بين اسم فهو ظرف معناه الوصل كما تقدم،أى بعد وصلكم .

وتوجيه النصب أن بين ظرف مبنى على الفتح لإضافته إلى غير متمكن ، كما فى البيتين السابقين والآية ، أو أنه نصب على أغلب الأحوال ، وموضعه رفع ، ككلمة (دون) فى قوله تعالى « وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك » أى قوم دون ذلك ، فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مكانه .

وأما قوله : جاز يتمو نى الوصال قطيعة

شتان بين صنيعكم وصنيعى

فإن نصب بين على الظرفية لأنه مضاف إلى متمكن ، والفاعل يخرج على أنه ما الموصولة المحذوفة .

(١) الندى : الكرم .

(٢) الخبر بضم الخاء : الاختبار والابتلاء .

وبينا نحن جلوس حصل كذا هى بين أشبعت فتحتها فحدثت الألف ، وبينما كذلك وزيدت فيها ما ، أنشد سيبويه

فبينا نحن نرقبه أتانا

معلق وفضة [1] وزناد راع [2]

يريد الشاعر أن يقول : بين نحن نرقبه أتانا فأشبع الفتحة فحدثت بعدها ألف ، وهنا واسطة محذوفة ، وتقدير الكلام : بين أوقات نحن نرقبه أتانا أى أتانا بين أوقات رقبناه إياه .

وبعض المتعلمين يخطئون حين يقولون مثلا : مات الولد بينما أو بينا عاش أبوه ، وكان ينبغى لهم أن يقولوا : بينا أو بينما مات الولد عاش أبوه ، والمعنى : عاش الأب بين أوقات موت الولد ، وذلك لأن بينا وبينما ظرفان تجب لهما الصدارة ، وهذا هو الفرق بينهما وبين كلمة (بين) .

ويمكن إصلاح عبارتهم السابقة وأمثالها بأن يقال : مات الولد على حين ، أو فى حين عاش أبوه .

وقد تأتى بعدها إذ ، أو إذا الفجائيتان ، فن الأولى قول بعض بنى عذرة :

(١) الوفضة : خريطة الراعى لزاده وأدواته جمعها وفاض .

(٢) الزناد : جمع زند وهو العود الذى تقدح به النار

استقدر[١] الله خيراً وأرضين به
فبينا العسر إذ دارت مياسير[٢]
وبينا المرء فى الأحياء مغتبط[٣]
إذ صار فى الرمس[٤] تعفوه[٥] الأعاصير

وفى الحديث « بينا نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل الخ » .

ومن الثانية قول الحرقة بنت النعمان :

بينا نسوس الناس والأمر أمرنا
إذا نحن فيهم سوقة[٦] نتنصف[٧]

ويرى الأصمعى أن يجر الاسم الذى يأتى بعد (بينا) إذا صح أن يحل محله بين كما فى قول الشاعر :

بينا تعنقه[٨] الكماة وروغه[٩]
يوما أتيح له جرىء سلفع[١٠]

ويرى غيره رفع ما بعد بينا وبينما على الابتداء والخبر كما فى قول بعض بنى عذرة السابق .

(١) استقدر الله خيراً : سله أن يقدره لك .
(٢) المياسير : جمع موسر وهو ضد المعسر .
(٣) مغتبط : حسن الحال مسرور .
(٤) الرمس : القبر .
(٥) تعفوه الأعاصير : تذهبه الرياح الشديدة .
(٦) السوقة : الرعية للواحد وغيره .
(٧) نتنصف : نخدم .
(٨) التعنق : الاعتناق .
(٩) الروغ : الذهاب يمنة ويسرة فى سرعة خادعة
(١٠) السلفع : الشجاع الواسع الصدر .

وبين قد يجر وهو ظرف على سبيل الاتساع كما فى قوله تعالى « وإن خفتم شقاق بينهما » أصله وإن خفتم شقاقاً بينهما ، وذلك شبيه بقوله سبحانه « بل مكر الليل والنهار إذ أصله : بل مكر فى الليل والنهار .

ومن هذا أيضا قوله تعالى « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » فأصله لا يأتيه الباطل بين يديه وقوله « أهؤلاء من الله عليهم من بيننا » فأصله من الله عليهم بيننا ، وقوله « ومن بيننا وبينك حجاب » فأصله وبيننا وبينك حجاب ، وقوله « يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم » فأصله شهادة بينكم شهادة اثنين ، وقوله « وأصلحوا ذات بينكم » أى ما بينكم من الأحوال وقول صخر أخى الخنساء :

وذى إخوة قطعت أقران[١] بينهم
كما تركونى واحدا لا أخا ليا

يريد قطعت أقرانا بينهم ما ؟

عباس أبو السعود مصطفى

(١) الأقران : الحبال واحدها قرن بفتحتين . يقال : أعصاه بعيرين فى قرن أى فى حبل يقرنان به .

لا ... يا رائد الشباب

للأستاذ محمد سلامة صالح

كدت أستريب في سمعي حين توافد إليه ماتردد عن رائد شبابنا من تصريحات تم عن بالغ سخريته بتراثنا ، إنكارا منه لجدوى هذا التراث ، ورغبة في التطلع إلى آفاق الجديد .

إذ ما كنت أظن أن مثله — على سمو منزلته ، وجلال قدره ، وتصدره لرسالة من أخطر الرسالات وأسماها — وهى تربية الناشئة وتقويمهم ، والأخذ بأيديهم إلى طرق الخير والسداد — سوف يجعل من مهام رسالته تكدير ماء النيل بنطاف هـذا التراث تخلصا منه ، أو حبا لما يرى من جـديد ، وكأنه يريد — مشكورا — أن يضيف إلى مأساة تهر دجلة — التى لم تـكن كافية فى القضاء على معالم هذا التراث — مأساة أخرى تأتى على البقية الباقية من بقاياه (!!) وإلا فأى فارق بين إهمال التراث واجتياحه أليسا معا سواء ؟!!

ولست أنـكر على رائدنا التقدمى طموحه فى التطلع إلى آفاق الجديد لـكنى أنـكر على سيادته أن يتطلع إلى نجله بعين الإكبار منـكرا فضل أبيه ، وكما لا نتصور وجود الحفيد بدون وجود الجـد قبل الوالد ، فـكذلك لا نتصور جديدا لا ماضى له إلا أن يكون مشوها مبتورا .

وماذا على الدكتور الوزير لو دعا إلى محاسن الجديد مع التمسك أيضا بأصالة القديم ، ثم لست أدرى أى جوانب هـذا التراث ينـكر ؟ (!!)

أهو الجانب الفقهى : الذى قرر علماء الفقه فى مؤتمرهم الدولى سنة ١٩٣٦ م .

أن علماء الإسلام لم يدعوا لباحث آخر مجالا للبحث فيه ، وأنهم قد أتوا بما هو كفيل بحكم أهل الأرض جميعا حكما عادلا مدى الحياة (!!)

أم الجانب الأدبى : وما أظن أن سيادته سيعجب كثيرا حين يعلم أن الأستاذ الدكتور « فلايشهمر » Prof. Dr. Fleischhammer عميد معهد اللغات الشرقيـة

فى مدينة « هالا » بألمانيا الديمقراطية قد حصل على رسالة الدكتوراه فى : « مصادر كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى » فكان أن احتزت لرسالته محافل الأدب وأروقته فى الشرق والغرب متطلعة إلى قراءتها والتزود منها (! !)

وهل يجهل سيادته موسوعة « بروكلمان » Brockelmann فى تاريخ الأدب العربى تلك التى توافر على إعدادها ، وجمع مادتها ، والإشارة إلى مصادرها خمسين عاما .

إن الغرب ليعترف مشيدا بأثر المد الحضارى الذى انتقل مع روائع القرائح العربية من أسبانيا إلى أوربا ، فكان « أساس الدراسات الإنسانية عند كافة الأوربيين » فلماذا نستخف نحن بتراثنا ؟ ! !

أم فى الجانب الفلسفى : فما رأى سيادته فى ابن رشد ، وابن سينا ، والفرابى ، وما لهم من أثر فى الفكر الفلسفى الأوربى قديما وحديثا .

أم فى علوم الاجتماع : فماذا يقول عن آراء علمائه فى ابن خلدون رائد هذا العلم ، وواضع أسسه باعتراف المنصفين جميعا .

أم فى الجانب الحربى : فماذا يذكر منه عن لدن خالد بن الوليد إلى صلاح الدين الأيوبى . إلى سيف الدين قطز .

ألا يذكر سيادته أن بطولة صلاح الدين الخارقة ، ونبل سماحته فى معاملة الأسرى كانتا مصدر إلهام « لمارتن لوثر » Martin Luther فى حركة الإصلاح الدينى التى دعمت على أسسها عناصر النهضة الأوربية ..

فماذا تريد أن تقدم لشبابنا من نماذج فى هذا الطرف الحاسم من تاريخنا ، مالم يكن إلا التراث محركا وملهما ؟ ! ! وهل أصبنا إلا بالتنكر لماضينا ؟ ! !

يا قومى إن لكم من إرث أولكم مجداً قد أشفقت أن يفنى وينقطعا

وبعد : فإن مجال الحديث طويل فضفاض لكنى مابر مجول ولذا أوجزه مناشداً سيادة الرائد الكبير أن يتريث قليلا ، وأن يقف أمام التراث متأنيا ، وأن يستظهره منصفا ، ولعله إن فعل استجاب لندائى . فمهلا مهلا .. مهلا يا رائد الشباب ؟

محمد سعود صالح

الموسوعة القرآنية

تصنيف الأستاذين :
ابراهيم الإبياري وعبد المقصود مرزوق

للدكتور علي العماري

— ٤ —

ثالثا : ومن المآخذ التي وقفت عليها في هذا القسم من المجلد الأول رأى الكاتب في (نقط المصحف وشكله) أو بعبارة أدق (اضطراب الكاتب) اضطرابا شديداً في هذا الرأي .

(١) ذكر في أول التقدمة أن العناية بخط المصحف وشكله كانت (على يدي الحجاج) مستأنسا بمن حوله من ذوي الأقدار حفظا وعلما ، مثل أبي الأسود الدؤلي ، ويحيى بن يعمر العدواني .

(بقية المنشور على صفحة ١٥٧)

الشعب حريصا — بذكائه المصري — أن يصل إلى قلوب مستمعيه وقارئيه ، وأن يخاطب وجدانهم الشعبي .

كذلك فإننا لن نستطيع إنكار أن البوصيري كما لغيره أمراضه الشعرية التي لم يستطع الفرار منها لأنها كانت علي مايبدو مرض العصر كله مما جعل النقاد القدماء يعمدون إلى شعره فيقسمونه إلى أقسام ثلاثة : ماقيل في مدح الرسول ﷺ وهو في الذروة من البلاغة والفصاحة ، وما وجه إلى الأمراء والوزراء وهو في الدرجة الوسطى وما قاله لنفسه أو لغيره في مداعباته وهزلياته وهو في الدرجة الدنيا ، ولسنا بصدد مناقشة هذه النظرة التي تعتمد الشكل وحده مقياسا تصدر عنه أحكامها ، وإنما الذي نحب أن نضيفه وننبه إليه أن البوصيري شاعرٌ من شعراء الشعب في هذه الفترة الحالكة فوق أنه كان أول من فض بكارة الصبغ البديعي وأخضعه لشعر المديح النبوي ؟

محمد جاد البنا

(ب) وذكر فى ص ٧١ : (وأن الحجاج كانت على يديه الجولة الثانيـة فى نقط المصاحف وشكلها) .

(ج) وذكر فى ص ٧٢ : (وأن الحجاج حين نقط وشـكل ميز الرسم وبينه) .

(د) وذكر فى ص ٨٠ أن الحجاج قام بإسناده النقط والشـكل إلى رجلين ، هما : يحيى بن يعمر والحسن البصرى فنقطاه وشـكلاه) .

(ﻫ) وقال فى ص ٨٣ بعد أن بين أن الخط العربى إلى أيام عبد الملك بن مروان لم يـكن عرف النقط المميز للحروف فى صورته الأخـيرة ، كما لم يـكن عرف شـكل الـكلمات ، قال : (من هنا كان لابد من نقط وشـكل على يد « الحجاج » ـ كما سبق) .

(و) وفى ص ١٠٥ عرض النقط والشـكل وقال : (وكان أول من فصـل ذلك أبو الأسود الدؤلى ٦٧ (ﻫ) فى خـلافة عبد الله بن الزبير) .

(وبدأ أبو الأسود فى شـكل المصحف بعد ما احتال عليه زياد بن سمية الذى كان واليا على البصرة . . . .

ومضى على ذلك إلى أن أتم المصحف كله) .

هذا كله كلامه ، وقـد كان مجرد نقلنا لهذه العبارات كافيا فى بيان مدى الخلط الذى وقع فيه الـكاتب ، ولـكن أرى أنه لا بد من البيان ، وإن كانت النظرة العابرة كافية فى الحـكم .

فأول ذلك أن الـكاتب جعل فى عبارته الأولى (أبا الأسود) من الذين حول الحجاج ، أى من رجاله ، وذكر فى عبارته السادسة أن (أبا الأسود) توفى سنة ٦٧ ﻫ فى خلافة بن الزبير ، وقال فى عبارته الأخيرة إن زيادا احتال على أبى الأسود .

ومعروف أن الحجاج أمر بنقط المصحف وهو وال على الـكوفة بعد سنة ٧٥ ﻫ ، ومعروف ـ كـذلك ـ أن زياد ابن أبيه توفى فى خلافة معاوية سنة ٥٦ ﻫ .

والأمر الثانى : أنه حرص على ذكر خلافة عبد الله بن الزبير ، وعلى نسبة زياد لسمية ، وكلا الأمر لا داعى إليه .

وثالثا : ـ وهو الأهم ـ أن المشهور عند العلماء ، حتى قال بعضهم إنه استفاض استفاضة كادت تبلغ حد التواتر ـ هو أن

أول من أحدث النقط أبو الأسود الدؤلى (يريد الشكل) .

وقال ياقوت الحموى فى ترجمة أبى الأسود والأكثر على أنه أول من وضع العربية ، ونقط المصحف [١] .

ورابعا : أن المشهور كذلك أن الحجاج كان بنقط المصحف عالمين هما : يحيى بن يعمر ، ونصر بن عاصم ، وأما الحسن فأمره فى ذلك غير مشهور ، وإن جاء ذكره فى بعض الروايات .

* * *

رابعا : ومن المآخذ على الكاتب فى هذا القسم ، قسم (تأريخ القرآن) :

(ا) فى قوله تعالى : « واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله » قال عن هذه الآية (كانت آخر ما نزل من القرآن) والتدقيق أن يقول : من آخر ما نزل ، إذ تعيين آخر ما نزل فيه اختلاف كثير .

(ب) فى ص ٧٠ ذكر لسورة محمد اسم (الذين كفروا) ، ولم أظفر فيما رجعت إليه من مراجع على هذه التسمية ، والمعروف أن أسماء السور توقيفية ، وقد ذكر هو ذلك فى ص ٤٦ من هذا المجلد ، والمعروف ـ كذلك ـ أن لهذه السورة اسمين : (محمد) و (القتال) .

(ح) فى ص ٧٥ ذكر أن من العلماء الذين أخذوا القرآن من الصحابة (شهابا الزهرى) والصواب (ابن شهاب) .

(د) فى ص ٧٩ قال عن الأحرف السبعة (ثم ما من شك فى أن هذه الرخصة قد نسخت) ، وهذا التعبير غير علمى ، وغير دقيق ، إذ من العلماء من يرى ـ وقد أيد هو ذلك الرأى ـ أن الأحرف السبعة هى القراءات السبع ، ولا شك أنها باقية إلى الآن ، جاء فى كتاب (البرهان) : (وهذه الوجوه ـ الأحرف السبعة ـ هى القراءات السبع ، التى قرأها القراء السبعة ، فإنها كلها صحت عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم) [١] .

(هـ) فى ص ٨٠ ذكر قوله تعالى : « وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم » مرتين ، بدون

---

[١] معجم الأدباء حـ ١٢ ص ٣٤ .

[١] حـ ١ ص ٢٢٧ ، وانظر ص ٢٢٣ من هذا الجزء ، وبذلك تعلم أنه لا وجه لمن حكى إجماع العلماء على خلاف ذلك ، وإن كان هو المشهور ، وعليه الأكثرون .

ذكر كلمة (لكثير) . وينبغى الحيطة كل الحيطة فى إثبات الآيات القرآنية صحيحة .

ثم ما معنى كلمة النسخ ؟ هل يريد أنها نسخت فى عهد رسول الله ؟ وما الذى نسخها ؟ .

(و) من المعروف أن سيدنا عثمان ـ رضى الله عنه ـ حين أراد جمع المصحف عهد إلى أربعة من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ ثلاثة من قريش ، وواحد من الأنصار ، وهو سيدنا زيد بن ثابت ، عهد إليهم بكتابة المصحف ، وقال للقرشيين : ما اختلفتم فيه أنتم وزيد ، فاكتبوه بلغة قريش ، فإنه نزل بلسانهم .

وقد اختلفوا فى كلمة واحدة ، هى (التابوت) من قوله تعالى فى سورة البقرة : « إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت » فقال زيد : (التابوه) بالهاء وقال سعيد ابن العاص ـ وهو القرشى الذى كان يملى ـ (التابوت) بالتاء ، فرفعوا الأمر إلى عثمان فأمر بأن تكتب بالتاء ، لأن قريشا تكتبها كذلك .

وقد نقل الأستاذ الأبيارى فى صفحة (٧٥) كلمة سيدنا عثمان للرهط القرشيين ، وبذلك أقر أن كتابة التابوت بالتاء هى لغة قريش .

غير أنه فى صفحة (٥٩) أورد هذه العبارة بالحرف الواحد : (ويحكى المؤرخون أن زيدا وسعيدا لم يختلفا إلا فى حرف واحد فى سورة البقرة ، فقال أحدهما (التابوت) وقال الآخر : (التابوه) ، واختيرت قراءة زيد لأنه كاتب الوحى) .

وفى هذا الكلام أمور :

١ — لم يعين الكاتب أى الصحابيين قالها بالتاء ، وأيهما قالها بالهاء .

٢ — هى فى مصحفنا ـ وهو على الرسم العثمانى ـ مكتوبة بالتاء ، فيلزم ـ على رأى الكاتب ـ أن تكون كتبت بغير لغة قريش ، إذ أنها كتبت كما نطقها زيد ـ رضى الله عنه ـ

٣ — وهذا يخالف ما روى من عثمان من أنه أمر أن يكتب ما اختلفوا فيه بلغة قريش .

٤ — ومناقضة الكاتب نفسه واضحة فيما نقلنا عنه .

خامساً : أما القسم الثانى الذى ذكر فيه الكاتب مجمل سيرة الرسول ، فلقد لفت نظرى فيه أمران :

١ — فى ص ٦ : (ولقد شهد محمد بعض أيامها — حرب الفجار — أخرجه أعمامه معهم ينبل عليهم ، أى يرد عليهم نبل عدوهم إذا رموهم به) .

وهذا التفسير يخالف ما فى كتب اللغة، وما فى كتب الحديث :

جاء فى القاموس المحيط : (والنبل السهام بلا واحد ، ونبله رماه به ، أو أعطاه النبل كأنبله ، و م القوم لقطه لهم)

وفى النهاية لابن الأثير : (قال كنت أنبل على عمومتى يوم الفجار — يقال : نبلت الرجل بالتشديد إذا ناولته النبل ، وكذلك أنبلته ، ومنه الحديث إن سعدا كان يرمى بين يدى النبى — صلى الله عليه وسلم — يوم أحد ، والنبى — صلى الله عليه وسلم — ينبله ، وفى رواية : وفتى ينبله كلما نفدت نبله) .

على أن سن النبى — ﷺ — آنذاك ، وهى أربعة عشر عاما ، أو خمسة عشر ، وكلمة (على) كلاهما يبعد أن يكون المراد من النبل أو التنبيل رد النبل ، ولو كان المراد ذلك لقال : كنت أنبل عن عمومتى .

٢ — فى ص ٢٢ : (فهن جميعا — زوجات الرسول — بما فيهن خديجة خمس عشرة امرأة ، دخل الرسول بثلاث عشرة منهن ، وقد تم هذا قبل أن ينزل الوحى بتحريم الجمع بين ما زاد على أربع .

وفى هذا الكلام غلطتان :

الأولى : قوله أن الرسول دخل بثلاث عشرة امرأة ، و(لا خلاف بين أهل السير والعلم بالأثر أن أزواجه عليه الصلاة والسلام اللاتى دخل بهن إحدى عشرة امرأة) .

وقد عدد الكاتب الأزواج اللاتى دخل بهن الرسول — فكن فى كلامه — اثنتى عشرة . لا ثلاث عشرة .

وغلطته — فى هذا أيضا — أنه ذكر من بينهن خولة بنت حكيم التى وهبت نفسها للنبى ، والمعروف أن النبى صلى الله عليه وسلم — لم يدخل بها ، ولذلك قصة معروفة فى السيرة .

(البقية على ص ١٧٢)

القراءات في نظر المستشرقين والملحدين

للأستاذ عبد الفتاح القاضي

— ٣ —

وهذه الأحاديث التي سردناها — وهي قلّ من كثر — ناطقة بأن القراءات منزلة من عند الله تعالى، موحى بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ويؤخذ هذا من قول الرسول ﷺ «أنزل القرآن على سبعة أحرف» وقوله عند سماع قراءة كل من هشام وعمر «كذلك أنزلت» وقول جبريل لرسول الله ﷺ: (إن الله تعالى يأمرك أن تقرىء أمتك القرآن على سبعة أحرف فأيما حرف قرءوا عليه فقد أصابوا).

وكما دلت هذه الأحاديث على أن القراءات نزل بها أمين الوحي جبريل على قلب النبي ﷺ — دلت على أنها مأخوذة بالتلقي والمشافهة والسماع منه صلى الله عليه وسلم.

ويؤخذ هذا من قول عمر لما سمع هشاما يقرأ: فإذا هو يقرأ على حروف لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن قول هشام لعمر: أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقول عمر لهشام: فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرأنيها على غير ما قرأت.

وقول عمر للرسول: إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها.

وقول الرسول: اقرأ يا هشام، فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ بها. وقول الرسول: اقرأ يا عمر، يقول عمر: فقرأت القراءة التي أقرأني، فالحديث قد تكرر فيه لفظ الإقراء، كذلك تكررت مادة الإقراء في الأحاديث، الثالث، والسادس، والثامن والتاسع مما يدل على أن القراءات إنما ثبتت بالتوقيف، والتلقين، والتلقي، والأخذ، والمشافهة والنقل، والسماع.

ويدل أيضا على أن صحة القراءة متوقفة على التلقي والسماع قول علي رضي الله عنه للمتخاصمين في القراءة، اللذين ترافعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم — إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم أن يقرأ كل منكم كما علم.

إن تنازع الصحابة في القراءة، ورجوعهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم — كما دلت على ذلك الأحاديث المذكورة — أوضح برهان على أن القراءة ليست موكولة إلى أهوائهم ولا مفوضة إلى آرائهم، فليس لأحد منهم أن يقرأ باختياره، أو من تلقاء نفسه وليس لأحد منهم أن يقرأ حسب رغبته وهواه فيغير عبارة بعبارة، أو يأتي في مكان اللفظ بمرادفه، أو مساويه.

إن الصحابة — رضوان الله عليهم — كانوا في الذروة العليا دقة وضبطا لألفاظ القرآن الكريم، وإحكاما لكلماته وحروفه وحرصا على إماطة أدنى تصحيف من ساحته وحسبنا برهانا على ذلك موقف عمر ابن الخطاب مع هشام بن حكيم من تلبيبه له وأخذه بخناقه، وسوقه لرسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنه سمع هشاما يقرأ بغير الرواية التي تلقاها عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان إذ ذاك لا يعرف أن القرآن أنزل على سبعة أحرف فاعتقد أن هشاما غير وبدل من تلقاء نفسه.

فلما عرف أن ذلك مأخوذ عن النبي ﷺ وأن القرآن قد نزل على وجوه كثيرة يعلمها الرسول الأمة رحمة بها، وتسهيلا عليها اطمأنت نفسه، ولم يتعرض بعد لهشام — ولا لغيره — لأن الذي كان يخشاه عمر إنما هو التبديل والتغيير في كتاب الله تعالى.

ومعلوم أن سيدنا عمر رضي الله عنه كان لا يخشى في الحق لومة لائم.

الدليل الثاني: لما كتبت المصاحف العثمانية، وأرسلت إلى الأمصار الإسلامية لم يكتف الخليفة عثمان بإرسالها إلى الأمصار وحدها لتكون الملجأ والمرجع بل أرسل مع كل مصحف عالما من علماء القراءة يعلم المسلمين القرآن وفق هذا المصحف. وعلى مقتضاه فأمر زيد بن ثابت أن يقرىء بالمدينة. وبعث عبد الله بن السائب إلى مكة. والمغيرة بن شهاب إلى الشام، وعامر بن عبد قيس إلى البصرة، وأبا عبد الرحمن السلمي إلى الكوفة. فكان كل واحد من هؤلاء العلماء يقرىء أهل مصره بما تعلمه من القراءات الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التواتر والتي يحتملها رسم المصحف دون الثابتة بطريق الآحاد والمنسوخة وإن كان يحتملهما رسم المصحف

المقصود من إرسال القارىء مع المصحف تقييد ما يحتمله الرسم من القراءات بالمنقول منها تواتراً ، فلو كانت القراءات مأخوذة من رسم المصحف . وساغ لكل إنسان أن يقرأ بكل قراءة يحتملها الرسم سواء كانت ثابتة بطريق التواتر، أم بطريق الآحاد . أم كانت منسوخة ، أم لم يكن لها سند أصلا لم يكن ثم حاجة إلى إرسال عالم مع المصحف . فإيفاد عالم مع المصحف دليل واضح على أن القراءة إنما تعتمد على التلقي والنقل والرواية . لا على مجرد الخط والرسم والكتابة .

الدليل الثالث : لو كان خلو المصاحف من الشكل والإعجام سبباً في اختلاف القراءات وتنوعها أي أن هذا الاختلاف نتيجة حتمية لخلو المصاحف من الشكل والإعجام لكانت كل قراءة يحتملها رسم المصحف صحيحة معتبرة من القرآن ، وليس كذلك . فإن ما يحتمله رسم المصحف من القراءات أربعة أقسام :

القسم الأول : ما ثبت بطريق التواتر . وهو جل القراءات ومعظمها . كالقراءات في كلمة « ونخرج » في قوله تعالى « ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً » آية ١٣ من سورة الإسراء . فإن في هذه الكلمة ثلاث قراءات . الأولى بنون مضمومة مع كسر الراء الثانية، بياء مضمومة مع فتح الراء ، الثالثة بياء مفتوحة مع ضم الراء . والقراءات الثلاث ثابتة بطريق التواتر . والرسم يحتملها كلها .

القسم الثاني : ما ثبت بطريق الآحاد . وصح سنده بنقل العدل الضابط عن مثله وهكذا إلى نهاية السند ، واستفاض نقله عن أئمة الأداء — واشتهر ذكره بين شيوخ الإقراء . وتلقاه علماء القراءة بالرضا والقبول كقراءة « والذي خبث لا يخرج إلا نكدا » آية ٥٨ من سورة الأعراف بضم الياء وكسر الراء في يخرج .

وقراءة « أجعلتم سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام » آية .. من سورة التوبة بضم السين وحذف الياء — جمع ساق مثل رماة جمع رام . وعمرة بفتح العين والميم مع حذف الألف بعدها جمع عامر مثل صنعة جمع صانع .

فهاتان القراءتان مع ثبوتهما بطريق الآحاد — قد صح سندهما ، وذاع بين القراء خبرهما ، وتلقوهما بالقبول . ورسم المصحف يحتملهما .

وحكم هذين القسمين واحد . وهو أن كل واحد منهما يعتبر قرآنا ، ويتعبد بتلاوته فى الصلاة وغيرها . فيجب قبوله . ولا يحل إنكار شىء منه . ومن أنكر منه شيئا فهو كافر ، حلال الدم .

القسم الثالث : ما ثبت بطريق الآحاد . وصح سنده . ولكنه لم يشتهر . ولم يظفر بالذيوع والاستفاضة . ولم يتلقه علماء القراءة بالقبول كقراءة : « وكان عبد الله وجيها » آية ٦٩ من سورة الأحزاب بفتح العين وباء تحتية موحدة ساكنة بعد العين مع نصب الدال وتنوينها . بدلا من « وكان عند الله وجيها » .

« يتبع »

عبد الفتاح القاضى

(بقية المنشور على ص ١٧٢)

الثانية : قوله إن ذلك تم قبل أن ينزل الوحى بتحريم الجمع بين ما زاد على أربع ولو كان الأمر - كذلك - لكان على النبى أن يسرح من فوق الأربع عندما نزل هذا التحريم ، مع أن الثابت فى السيرة أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - توفى عن تسع ، ولم يمت من أمهات المؤمنين فى حياته غير خديجة وزينب بنت خزيمة ، وهذا أمر لا خلاف فيه .

والحجة المعروفة فى ذلك أن الزواج بأكثر من أربع كان من خصوصياته - عليه الصلاة والسلام - ولا داعى للتمحل فى الإجابة بما لا يؤيده الواقع .

على أن زميله مصنف المجلدة السادسة ذكر أن ذلك من خصوصيات الرسول التى لم يشركه فيها أحد [1] .

والله الهادى إلى سواء الصراط ؟

د . على العمارى

[١] ج ٦ ص ١٦٣ .

الجرح والتعديل في علم السنة

للأستاذ محمد نجيب المطيعي

— ٤ —

قال القاسمي : وهكذا نحن نقول : لا ينبغي لأستاذ أن يشرح صدره لتلاميذ أحرار ، انتحلوا غير ما يراه الحق بدون نظر أو فكر ، بل تقليداً أو اتباعاً لكل ناعق، وأما من بلغ مرتبة الرسوخ والإفادة وكان على جانب عظيم من العلم وانتحل ما انتحل عن اجتهاد ونظر ، فلا يرتاب أحد في العناية بالأخذ عنه ، والتلقي منه ، كما فعل الأئمة أمثال البخاري وأشياخه ، فكلام زائدة من واد ، وما نقوله من واد آخر ، وهكذا نقول فيمن حكى عنهم من المرجئة من أهل بلخ .

فإن قيل : رأينا غير واحد من أهل العلم يستتيبون أهل الخلاف وإلا أخرجوهم من مجالسهم . قلنا : هذا يعضد ما ذهبنا إليه من أن هؤلاء من التلاميذ لقوله : وإلا أخرجوهم من مجالسهم ، وهل يخرج إلا المتعلم الضعيف في العلم والفهم ، المتطفل على ما ليس له بأهل ، وشتان بين من يخرج من مجلس الحديث من أهل الخلاف ، وبين من يرحل إليه ويتحمل عنه منهم كرجال الشيخين وغيرهما من هؤلاء .

وقد يكون المراد عند البخاري بأهل الخلاف أهل الرأي جموداً وتقليداً ، المؤثرين آراء الفقهاء على صحيح السنة ، وقد رأينا اهتمام الإمام الشافعي رضي الله عنه في الأم بمحاولة أبي حنيفة وعبد الرحمن بن أبي ليلى إذ يعقد بابا في الأم بعنوان : «باب اختلاف العراقيين» ويعني بهما هذين الإمامين الجليلين.

وكتاب البخاري « جزء رفع اليدين » خاص بمناقشة أهل الرأي وحججهم بصحيح السنة على رأيهم ، وقد تجافى أرباب الصحاح الرواية عن أهل الرأي ، فلا تكاد تجد اسما لهم في سند من كتب الصحاح أو المسانيد أو السنن كالإمام أبي يوسف والإمام محمد ابن الحسن فقد لينهما أهل الحديث كما ترى في ميزان الاعتدال . قال القاسمي : ولعمري لم ينصفوهما ، وهما البحران الزاخران ، وآثارهما

تشهد بسعة علمهما ، وتبحرهما بل بتقدمهما على كثير من الحفاظ ، وناهيك كتاب الخراج لأبي يوسف ، وموطأ محمد بن الحسن ثم كان ولم جامعي السنة ممن طوف في البلاد واشتهر بالحفظ ، والتخصص بعلم السنة وجمعها ، وعلماء الرأي لم يشتهروا بذلك لا سيما وقد أشيع عنهم أنهم يحكمون الرأي في الأثر ، وإن كان لهم مرويات مسندة معروفة ، رضي الله عن الجميع ، وحشرنا وإيام مع الذين أنعم الله عليهم .

على أنني كلما قرأت شرح معاني الآثار للإمام الطحاوي وهو أكبر من سنن ابن ماجه وسنن الدار قطني والدارمي ، أتحسر باللائمة على الأربعين الذين تشددوا في معاملة أهل الرأي ، حتى حجر قاضي (مكة) سليمان بن حرب على بعض علماء الرأي من الفتوى ، ويبدو أن هذا كان ديدن كل فريق وصل إلى مرتبة السلطنة ، فإنه ينبذ التسامح الذي كان عليه الصحابة والتابعون ، ومن قرأ السنة يرى كثيراً ما كان يرسل معاوية إلى أبي موسى الأشعري يسأله في حكم مسألة ، وهذا بدوره يسأل فيها عليا عليه السلام ، فيقول : أنا أبو حسنها ثم يجيب ، ويبعث أبو موسى بفتوى علي إلى معاوية ، وهكذا إلا أن هذا النزع ضعف واضمحل في عهد العباسيين فشاع الإكراه على مقالة بعينها أو نحلة بذاتها ، انظر إلى القدر لما دالت لهم دولة العلم أيام المأمون ماذا جرى منهم مع من لم يقل بقولهم ، ولم يستجب لدعوتهم ، فلطالما ضربت أئمة ، وأهينت مقامات وسجن فحول العلم السنين والأعوام ، وأوذوا بما دونه التاريخ وأحصاه ، فكان وصمة عار في جبين المتعصبين ، وكان نقطة سوداء في تاريخهم ، وإذ زعموا مقاومة الحشو والجمود وتنوير الأذهان بعلوم الدين أخذوا يتزحزحون لهم من للغابرين إلا أن الغلو كان رائدهم ، والبطش قائدهم ، ولكن نشوة النصر تشمل بالسكرة التي يذهب معها صحيح الفكرة .

وكذلك قل عن الفتنة التي فر من أجلها إمام الحرمين من العراق إلى الحجاز حين آلت الأمور إلى دولة الحنفية وثارت عصبيتهم على الشافعية والأشعرية ، قال التاج السبكي في طبقاته في ترجمة محمد بن هبة الله بن محمد بن الحسين ج ٣ ص ٨٥ و ٨٦ :

إنه لما بلغ من سمو للقام أن أرسل إليه السلطان الخلع ، وظهر له القبول عند الخاص

والعام حسده الأكابر وخاصموه ، فكان يخصمهم ويتصاطعليهم ، قال فبدأ له خصوم واستظهروا بالسلطان عليه وعلى أصحابه ، قال : وصارت الأشعرية مقصودة بالإهانة والمنع من الوعظ والتدريس ، وعزلوا من خطابة الجامع ، قال : وتبع من الحنفية طائفة أشربوا فى قلوبهم الاعتزال والتشيع فخيلوا إلى أولى الأمر الإزراء بمذهب الشافعى عموماً وبالأشعرية خصوصاً ، وهذه الفتنة التى طار شررها ، وطال ضررها وعظم خطبها ، وقام فى سب أهل السنة خطيبها ، فإن هذا الأمر أدى إلى التصريح بلعن أهل السنة فى الجمع ، وتوظيف سبهم على المنابر وصار لأبى الحسن الأشعرى أسوة بعلى ابن أبى طالب رضى الله عنه .

وبعد أن أوردنا عناصر الجرح وآفاق مأخذه وما فى ذلك من أسباب جمة ؛ نأتى على ما أجملناه مفصلين حتى نخلص إلى ما نريده من تقعيد الجرح والتعديل كعلم مستقل يعمل له ويخدمه علم المصطلح لأن القدر الذى خصصه علماء المصطلح من الجرح والتعديل ، لا يكافىء دوره الأساسى فى خدمة السنة ، كما أن هناك أحكاما عامة إذا نوقشت أمكن تنقيحها وتوضيحها (كالجهالة) مثلا ، وهى قسمان : عين وحال .

فأما جهالة العين ، فقد جعل علماؤنا كل راو أبهم فهو مجهول العين ، فإذا قيل : عن رجل أو عن شيخ أو عمن روى عن فلان الخ . فهذه جهالة عين ، على أننا إذا تأملنا كثيراً من الروايات التى فيها مجهولون لم يبهموا ، وذكر لهم أسماء وكنى وأنساب وألقاب نجد أن انتفاء جهالة العين عنهم تساهل لا ينبغى أن نلتزم به .

إن قلة الرواية لدى المجهولين كان من العوامل التى جعلت شبح الجهالة يخيم على ذلك القبيل الذى يتسلل إلى حظيرة الرواية ، ويأتى إلى ساحة المحدثين عبر الألوف من الثقات المتقنين ، والعدول الضابطين .

ولا تكاد رواية المجهول من هؤلاء تزيد على خبر أو خبرين أو ثلاثة ، ومن النادر أن نجد مجهول الحال يروى أكثر من ثلاثة أخبار .

وقد يكون الراوى معلوم العين — يعنى غير مبهم فى الإسناد — ومعلوم الهوية وبعض الأحوال ، ولكن بقدر لا يغنى فى مجال التوثيق والتعديل ، فالقول إن هذا

الوقف تغلب على روايته الوضع، وانضرب لذلك أمثلة :

كوهب بن أبان عن نافع مولى بن عمر، يقول الحافظ الذهبي : لا يدرى من هو، وأتى بخبر موضوع، فإذا عرفنا أن معتمد الذهبي في الحكم على الراوي بالجهالة هو قول أبي حاتم الحافظ محمد بن حبان البستي فيه حيث يقول : (ثم اعلم أن كل من أقول فيه مجهول ولا أسنده إلى قائل فإن ذلك هو قول أبي حاتم فيه، ثم يقول : فإن عزوته إلى قائله كابن المديني وابن معين فذلك بين ظاهر) عرفنا أن هذا حكم أبي حاتم وعندنا أبان بن سفيان الموصلي، وأبان ابن سفيان المقدسي، لكل واحد منهما ترجمة تختلف عن الآخر، فالأول بصرى روى عن أبي هلال محمد بن سليم، قال الدار قطني :

جزرى متروك والثاني عن الفضيل بن عياض وغيره من الثقات، قال أبو حاتم روى أشياء موضوعة، وعنه ابن غالب الأنطاكي حديثين ؛ أحدهما عن الفضيل عن هشام عن أبيه عن عبد الله بن عبد الله عن أبيه «أنه أصيبت ثنيته يوم أحد، فأمره رسول الله ﷺ أن يتخذ ثنية من ذهب» وروى عن عبيد الله بن عبد الله بن عمر عن نافع عن بن عمر : «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نصلي إلى نائم أو متحدث» قال ابن حبان : وهذان موضوعان، وكيف يأمر المصطفى عليه السلام باتخاذ الثنية من الذهب وقد قال : «إن الذهب والحرير محرمان على ذكور أمتي» وكيف ينهى عن الصلاة إلى النائم وقد كان يصلي وعائشة معترضة بينه وبين القبلة ؟ فلا يجوز الاحتجاج بهذا الشيخ ولا الرواية عنه إلا على سبيل الاعتبار للخواص . قال الذهبي : قلت : حكمك عليهما بالوضع بمجرد ما أبديت حكم فيه نظر، لاسيما خبر الثنية . والظاهر أن أبانا هذا هو الأول . فيكون بصريا موصليا مقدسياً .

إذا ثبت هذا فإن جهالة العين هنا غير منتفية بإطلاق ــ وإن كان أصحابنا لا يجعلون من ذكر اسمه في الرواية مجهول العين ــ لأننا بإزاء شخص موسوم موصوف منسوب في وقت بغير وسمه ونسبته وصفته في وقت آخر، مع رجحان كونه واحداً وليس اثنين، فلماذا لا يدخل هذا في جهالة العين ؛ إذ لا يكفي ذكر اسمه

ونسبته لتحديد ذاته ، فإن قيل : إن هذا يدخل في جهالة الحال فبابه هناك ، قلنا . إن عين الراوى التبست علينا، إذ ينبغي أن نعرفه بعينه أولا ، ونحدد نسبته ، ثم ما خفي علينا بعد ذلك من حاله كان جهالة حال ، ومن ثم لا يكون ذكر اسم راو (مجرد ذكر اسمه) مثبتاً للعلم بعينه ، نافياً هنا جهالة ذاته ، وبذلك نكون قد وسعنا في جهالة العين ، ولم نضيق من جهالة الحال شيئاً ، إذ كل مجهول العين مجهول الحال إلا الصحابة (رضي الله عنهم) لاحترازكهم في رتبتي التعديل والضبط أجمعين ، ولا عكس ، فليس كل مجهول الحال مجهول العين كما هو معروف .

ومن ثم فقد عمدنا إلى التفريق بين حالة المتصل بشخصه وحالة المتصل بروايته وعدالته وضبطه ، فما كان من الأول فهو العين ، وما كان من الآخر فهو الحال .

ويؤيد هذه المحاولة التي نذهب إليها أن أبان بن سفيان - ولا نسوقه إلا مثلا لما لا يحصى - المذكور عند ابن حبان هكذا ومذكور عند الحافظ أبي أحمد عبد الله بن عدى الجرجاني أبين بصيغة التفضيل أو أبين بصيغة التصغير ، أو أن القدماء كانوا يثبتون الألف الليّنة في أكثر الأحوال ياء ولو كانت واوية الأصل ، فكيف بها إذا كانت يائية ، ومن تمرس بقراءة المخطوطات القديمة يدرك هذه الحقيقة، فمن خلال اشتغالي بشرح المهذب - أعني القدر الباقي من كتاب المجموع - ورجوعي إلى كتب المذهب المخطوطة كالحاوى للماوردي وبحر المذهب للروياني والشامل لابن الصباغ وغيرها من الأمهات الكبار ألفيت الناسخين يكتبون الألف ياء في بعض ما ينبغي أن يكتب ألفا وجها واحداً كاسم الإشارة هكذا فإنها تكتب عندهم (هكذى) فيكون أبان قلب الناسخ ألفه ياء إملاء مع ثبوت نطقها مجوفة . على أننا قد نصل من خلال انتفاء جهالة الحال إلى انتفاء جهالة العين وإن كانت مبهمة .

فعندنا بعض كبار النقاد إذا روى رواية في إسنادها من لا يعتد به فإنه يعمد أحياناً إلى إخفاء اسمه استضعافاً له ، وتهويناً من شأنه مع علمه به، فيأتي ناقد آخر أو نأتي نحن بناء على ما تعورف عند أهل هذا الفن فنقول : فيه مجهول ، ونعني مجهول العين، في حين إننا لو دققنا النظر وتتبعنا هذا

المجهول لا تنتفت الجهالة ، ولعرفنا أن الذى أخفاه استهانى به لفظ مثل وكيع كان إذا مر على حديث أبان بن أبى عياش يقول : رجل ، ولا يسميه استضعافاً له ، مع العلم بأن أباناً غير مجهول العين ولا مجهول الحال فأما عينه فهو أبان بن أبى عياش فيروز وقيل دينار الزاهد أبو اسماعيل البصرى .

وأما حاله فقد قال حماد بن سلمة قال لى سلم العلوى : رأيت أبان بن أبى عياش يكتب عند أنس عند السراج فى سبرجة ، ثم قال لى سلم : يابنى عليك بأبان . قال الحافظ الذهبى : أبان أحد الضعفاء وهو تابعى صغير يحمل عن أنس وغيره وهو من موالى عبد القيس . أما لماذا كان وكيع يبهمه ويستهين به فذلك أن الله تعالى لكى يحفظ سنة نبيه ﷺ قيض لها من الأئمة الناقدين رجالا وقفوا بالمرصاد لكل من لا تؤهله كفايته الشخصية خلقية أو ذهنية وهما الشرطان الضروريان فيمن يحمل الحديث العدالة والضبط ، فنقدوهم وحصبوهم وذبوهم عن أمهات الجوامع الصحاح ولا تزال طائفة من الغيورين على السنة قائمين على إحيائها ، يذودون عنها ويرفعون أعلامها ، ويقومون بين الناس بنورها وأنت إذا تتبعت أبان بن أبى عياش وتعقبت رواياته هتفت صحى صحى وكيع بخ بخ .

قال عبد الله بن أحمد بن شبويه : سمعت أبا رجاء يقول : قال حماد بن زيد : « كلمنا شعبة فى أن يكف عن أبان بن أبى عياش لسنه وأهل بيته فضمن أن يفعل ذلك ثم اجتمعنا فى جنازة فنادى من بعيد يا أبا إسماعيل إنى قد رجعت عن ذلك ، لا يحل الكف عنه ، لأن الأمر دين » وروى عن سفيان بن عيينة أنه قيل له : « مالك قليل الرواية عن أبان ؟ فقال : كان نسيا للحديث » وقال أحمد بن حنبل : قال عفان : « أول من أهلك أبان بن أبى عياش أبو عوانة ، جمع أحاديث الحسن فى جامع فجاء به إلى أبان فقرأه عليه » .

قال ابن حبان : كان أبان من العباد الذى يسهر الليل بالقيام ، ويطوى النهار بالصيام ، سمع من أنس أحاديث وجالس الحسن ، فكان يسمع منه كلامه ويحفظ ، فإذا حدث ربما جعل كلام الحسن عن أنس مرفوعاً وهو لا يعلم ، ولعله روى عن أنس أكثر من ألف وخمسائة حديث ما لكبير شىء منها أصل يرجع إليه !!

قلت: قد نسب أبان هذا - اختلاطا وسوء حفظ - إلى النبي ﷺ كثيرا من مواعظ الحسن البصري وحكمه فأسندها عن الحسن عن أنس عن النبي ﷺ وذلك كالخطبة التي عزاها للنبي صلى الله عليه وسلم ورواها كثير من المصنفين في الوعظ والإرشاد حتى المتأخرين منهم كالمرحوم الشيخ عبد العزيز الخولي في كتابه «إصلاح الوعظ» وهي:

«أيها الناس كأن الحق فيها على غيرنا وجب، وكأن الموت فيها على غيرنا كتب، وكأن الذي نشيع من الأموات سفر قليل إلينا راجعون، نؤويهم أجداثهم ونأكل تراثهم كأنا مخلدون - قد نسينا كل موعظة وأمنا كل جائحة، طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، طوبى لمن طاب كسبه وصلحت سريرته واستقامت علانيته، طوبى لمن أنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله ووسعته السنة ولم يذهب عنها إلى البدعة».

وكذلك حديث الاسم الأعظم وهو عن أنس، وحديث حماد بن سلمة عن أبان عن شهر بن حوشب عن أم سلمة قالت: (كان جبرائيل عند النبي صلى الله عليه وسلم والحسين معي فبكى، فتركته فدنا من النبي صلى الله عليه وسلم فقال جبرائيل: أتحبه يا محمد؟ قال: نعم قال: إن أمتك ستقتله، وإن شئت أريك من تربة الأرض التي يقتل بها فأراه فإذا الأرض يقال لها: كربلاء) على أن أبانا هذا يأتي في بعض الأسانيد هكذا: (أبان بن فيروز أبو إسماعيل البصري) ويظنه بعضهم شخصا آخر فإذا لم يجدوا له ترجمة ظنوه مجهولا، ويؤيد ما نذهب إليه في جهالة العين أن بعض الكذابين يحدثون عن أسماء اختلقوها وشغلوا صحائف كتب الجرح والتعديل بها، وهي أسماء وهمية مثل أبان بن جعفر النجار أبي سعيد، قال السهمي: سمعت الحسن بن علي بن عمر القطان يقول فيه: كذاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم حدث بنسخة كتبناها عنه حدث عن شيخ له مجهول أحمد بن سعيد الثقفي الطوعي عن سفيان بن عيينة فيها متون لا تعرف؟

يتبع

محمد نجيب المطيعي

المصطلحات العسكرية في كتاب "المخصص" واستعمالها في الجيش العراقي الحديث

للواء الركن محمود شيت خطاب

– ٨ –

أسماء ما في السهام

١ – (أ) الفُوق من السَّهم : مَوْضِع الوَتَر . (ج) : أَفْواقٌ وفُوقٌ وفُقًا مقلوب . وقد فَوَّقْتُ السَّهْم : جعلتُ له فُوقًا ووافَقْتُه وبه وأوفقته وبه: وضَعْتُه في الوَتَر لأرْمي به وفُقْتُه فانْفاق : كسرته فانكسر، وسَهْمٌ أَفْواق : مكسور الفُوق. ومن أمثالهم: رجَع بأفْوَقَ نَاصِلٍ، النَّاصِل: الذي سقط نَصْلُه. (ج): أفْوَاقٌ . ويقال لِمَا أشرفَ من الفُوْق من حَرْفَيْه : الشَّرْخان وشَرْخ كلّ شيء: حَرْفُه وما نَتَأ منه . وإذا حُدِّدَ طَرَفا شَرْخَي الفُوق قيل: أُلِّل مأخوذ من الأَلَّة، وإذا لم يكن كذلك فهي مَمْسُوحة – أي مُسْتَديرة . وإذا اشْتَدَّت استدارته فهو فوق مُحَدْرَج ، وإن جُعِلَ في ظاهر شَرْخَي الفُوق عيرانِ بِطُول الشَّرْخَين فهي فُوقَة مَرْبُوعَة ، ويقال لِمَا بين أصول الفُوق

أجْزاء السّهْم

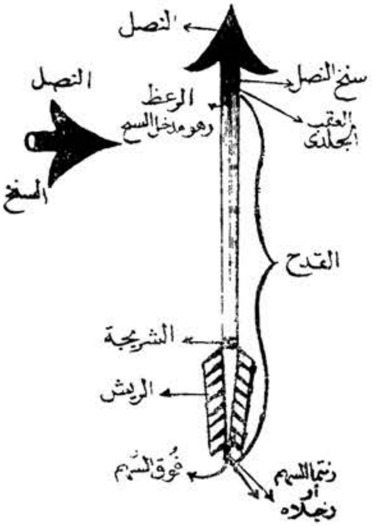

وما بين الرِّيش: المَذْبَح والخَصْر .

(ب) زَغْتَا الفُوق : حرْفاه ، وتُسَمَّيان الرِّجْلَين . وغَارُه : المَغْرَضَة التي يقع فيها الوَتَر .

(ج) الرُّعْظُ : مَدْخَل النَّصْل في السَّهْم . وسهم رَعِظ : قد انْكَسَر رُعْظُه . (ج) : أَرْعَاظ ، ورَعَظْتُ السَّهْمَ أَرْعَظُه

رَعْظاً فهو مَرْعوظٌ ورَعِيظٌ : لَفَفْتُ عليه العَقَب ، ويقال للرُّعْظ : الفَتْح ، وجمعه : الفُتُوح . وكذلك المَقْدَح ، وقد قدَح فى القدح ثَقَبَ لمَدْخَل السِّنْخ .

(د) الرَّدْع : أن يضرِب بالسَّهْم على خَشَبةٍ تقَع عليها قُوْنة النَّصْل ليَغْرق السِّنْخُ فينْتَشب فى القِدْح فلا يَخْرُج ، ورَدعه رَدْعاً . فَعَل به ذلك .

(هـ) الزَّافِرة : مادون الرِّيش من السَّهْم ، ومادون ذلك إلى وسَطه إلى مُسْتَدقِّه فهو : الصدْر وإنما صار ما يَلى النَّصل منه يُقَال له : الصدر ، لأنَّه المُتقَدِّمُ إذا رُمِىَ به ، ومؤخَّره مما يَلى الفُوق العَجزُ .

(و) سَهْمٌ مُصَدَّر : غَلِيْظ الصَّدْر .

(ز) ذَلْق السَّهْم : مُسْتَدَقُّه من مؤخَّره مما يَلى الرِّيش .

(ح) الكِظَامة : مَوْضِعُ الرِّيش من السَّهْم .

(ط) عَجْز السَّهْم وعَجْسه : ما دون الرِّيش ، وقد تَقَدَّم أن العَجْسَ مُقْبِضُ القَوْس .

(ى) بادِرَة السَّهْم : طَرَفُه من قِبَل النَّصْل ، سُمِّيت بذلك لأنها تُبْدُرُ الرَّمِيَّة ، فإذا جُعِل فى أسْفله مكانَ النَّصْل كالجَوْزَة من غير أن يُرَاش فذلك الجُبَّأ : الواحدة : جُبَّأَة .

٢ - لا استعمال لهـذه المصطلحات فى الوقت الحاضر ، وهى مُنَاسِبَة لاجزاء الصواريخ الحديثة.

عَقَبُ السهم

١ — (ا) العَقَبُ : عَصَب المَتْنَيْن والوظيفين والسَّاقين . واحدته : عَقَبَة . والفرق ما بين العَقَب والعَصَب ، أنَّ العَصَب أصفَر والعَقَب إلى البياض وهو أمتَنُها . وقد عَقَبْتُ السَّهْم أعْقِبُه عَقْباً وعقَّبته : شَدَدْته بالعقَب ، وكذلك كلُّ شىء تَكَسَّر فَشُدَّ .

(ب) العِرْصاف والعِرْفاص : العقَب المستَطِيل ، وأكثرُ ما يكون يقال ذلك لعقَب الجنْبين والمتْنين .

(جـ) الأطْـــرة : العقَب التى تجْمع

الفُوق . وأَطَرْت السَّهْم آطِرُه أَطْراً : لففت عليه الأُطرة .

(د) الكِظَامة : العَقَبة التى على رُءُوس القُذذ مما يلى حَقْو السَّهم ، وهو موْضع الرِّيش .

(هـ) الرِّصَاف : العقب الذى فوق الرُّعظ . واحدتها : رصَفة . وقد رَصَفْتُه أرْصُفُه رَصفاً : شدَدت عليه الرِّصاف . ورَصْفة ورَصَفة والجمع رصَف ورِصَاف وأَرْصَاف .

(و) الشَّرْجَة : العقبَة التى يُلصَق بها ريشُ السَّهْم وعمَّ بها غيرُه .

(ز) السَّلَبة : عَقبة تُلفُّ على أطراف الريش مما يلى الفُوق .

(ح) الطَّنْبة : عقبة تُلفُّ على أطراف الريش مما يلى الفوق .

(ط) السَّرْعان : العَقَبة التى تجمع الفوقين .

(ى) السَّرائح : عَقَب يُعصَب بها السَّهم .

(ك) اللَّخمة : العَقَبَة من المَتْن .

(ل) مَحطْتُ العَقَب ـ أَمحَطه مَحْطاً : إذا أَمْرَرْت عليه أصَابعك لتُصلِحَه .

٢ ـــ لا استعمال لها فى الجيش فى الوقت الحاضر .

غِـراء السَّهْم

١ ـــ (ا) غَرَوْت الرِّيش ـ غَرْواً ، وغَرَيْتُه ، ومنه المَثَل : « أَرِحْنِى ولو بأَحدِ المَغْرُوَّين » ، يعنى السَّهم والغِرَاء ممدود ، وقد يُفتَح ويُقْصَر وليست بجيِّدة . والغِرَاء مَأخوذ من الغَرَاء ، وهو اللُّصُوق . قالوا : غَرِىَ به غَرَاء . يقال : قَوْس مَغْرِيَّة ومَغْرُوَّة .

(ب) الرُّومَة : إذا ريشَ السَّهْم بغير عَقَب ، فالغِرَاء الذى يُلصَق به الرِّيش هو الرُّومة بغير همز .

٢ ـــ الغِرَاء : مادَّة لَزِجَة تُستَعمل لصُوقاً للخَشَب ، وهو من مواد النجَّار فى الوحْدات وفى المعامل الحربيَّة .

(يتبع)

محمود شيت خطاب

باب الفتوى

يقدمه الأستاذ : محمد أبو شادى

جمهور الفقهاء يجوزون صلاة الجمعة ، في بلد لا تطبق فيها الأحكام الشرعية .

السؤال:

ما حكم صلاة الجمعة فى بلد لا تطبق فيها شريعة الله ؟ .

الجواب

إنه يشترط لصحة الجمعة فى مذهب الحنفية المصر ، وقد عرف المصر بعضهم بأنه ما لا يسع أكبر مسجد أهله المكلفين بها ، وعلى هذا التعريف تكون الجمعة واجبة وأداؤها صحيحا فى كل بلد ينطبق عليه هذا التعريف سواء طبقت فيه أحكام الشريعة أم لا . وعرف المصر بعض فقهاء الحنفية بأنه ما له أمير وقاض يقدر على إقامة الحدود (اهـ) وفى التعبير بيقدر دلالة على أنه لا يشترط التنفيذ بالفعل قاله فى شرح الشيخ إسماعيل عن الدهلوى ليس المراد تنفيذ جميع الأحكام بالفعل إذ الجمعة أقيمت فى عهد أظلم الناس وهو الحجاج وأنه ما كان ينفذ جميع الأحكام بل المراد والله أعلم اقتداره على ذلك .

ونقل مثله فى حاشية أبى السعود عن رسالته العلامة نوح أفندى أقول وتؤيده أنه لو كان الإخلال بتنفيذ بعض الأحكام مخلا يكون البلد مصرا على هذا القول الذى هو ظاهر الرواية لزم ألا تصح جمعة فى بلد من بلاد الإسلام فى هذا الزمان بل فيما قبله من أزمان .

فتعين كون المراد الاقتدار على تنفيذ الأحكام ولكن ينبغى إرادة أكثرها وإلا فقد يتعذر على الحاكم الاقتدار على على تنفيذ بعضها لمنع من ولاه وكما يقع فى أيام الفتنة (اهـ) من حاشية ابن عابدين على شرح الدر المختار .

أما جمهور الفقهاء المالكية والشافعية والحنابلة فلا يشترطون لصحة صلاة الجمعة أن تكون فى مصر كما أنهم لا يشترطون تطبيق الأحكام الشرعية فى البلد الذى تقام فيه .

الأحق بالإمامة من لا يحتاج فى قراءته إلى المصحف

السؤال من السيد / نورالدين مصطفى :

١ — ابتدع الناس فى صلاة التراويح فى رمضان أن يقرأ الإمام من المصحف فى العشرين ركعة مقدار جزء من القرآن بقصد ختمه مرة فى رمضان مع وجود من يمكنه أن يقرأ هذا القدر فيها من غير فتح المصحف أو مع وجود من يمكنه صلاة التراويح بطوال المفصل أو قصاره أو غيره من القرآن .

علما بأن من يصلى فاتحا المصحف بعد الفاتحة بعد إتمامه القراءة يغلقه ثم يجعله تحت إبطه أثناء الركوع ثم يضعه على الأرض أثناء السجود ثم يأخذه تحت إبطه إذا ما رفع من السجود ويفعل ذلك كل ركعة إلى آخر الصلاة .

٢ — يلجأ المبتدعون إلى الخروج من صلاة الوتر إذا صلى بهم غير فاتح المصحف على رأس الركعتين أو القيام بعد الثالثة لإتمامه أربعا مخالفين للإمام لابتداع حالة ثالثة وهى صلاة التسابيح ليكون الوتر عقب صلاة التسابيح لا آخر صلاة التراويح (وصلاة التسابيح أمرها معروف من حديث ابن عباس) .

٣ — ابتدع هؤلاء القوم صلاة التسابيح عقب صلاة التراويح وهى ست ركعات متصلة بالتراويح وبذلك تكون التراويح ستا وعشرين ركعة صلى الوتر بعدها : فإذا ما أنكرت عليهم قالوا إنا وجدنا آباءنا كذلك يفعلون .

٤ — هل يصح الإنكار على هؤلاء وأمثالهم ؟ أم تركهم على ما هم عليه ؟ وما حكم من أنكر ؟ أمأجور أم لا ؟ وما حكم من يجاريهم أو لم ينكر عليهم ؟ .

الجواب :

إن القراءة فى المصحف على الوجه المذكور فى السؤال يستلزم كثرة الأفعال التى ليست من جنس الصلاة وهى مبطلة لها، والأحق بإمامة المصلين فى مسألتنا من لا يحتاج فى القراءة إلى المصحف ، كما نفيد بأن أكثر ما ورد فى صلاة التراويح بالنسبة لغير أهل المدينة أنها عشرون ركعة ، وصلاة التسابيح فى هذا الوقت بخصوصه (بعد صلاة التراويح) لم نر فيه نصا والمداومة على فعلها فى هذا الوقت خلاف ما جرى عليه عمل السلف على أن صلاة التسابيح من الصلوات التى لا تطلب فيها الجماعة ، أما الإنكار على هؤلاء فمطلوب شرعا على أن يكون ذلك

على مقتضى قوله تعالى « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة »

الزكاة إنما تجب في المبالغ التي تتحصل من أجرة الجرار أو السيارة :

السؤال : من السيد / محمد أحمد شلباية

١ — رجل عنده جرار زراعي يؤجره للناس في حرث الأرض ودرس الحصاد فهل تجب زكاة ؟

٢ — رجل عنده منحل لا يستغله في جمع العسل وإنما يربي فيه النحل ويبيع هذا النحل للناس ، فما زكاته ؟

٣ — رجل عنده مصنع نسيج يدار بالآلات وتعطيه بعض الشركات غزلا ويرده إليها قماشا ، ويأخذ عمولة على هذا العمل ، فكيف تكون زكاته ؟ وهل تقوم الآلات كل عام ويخرج منها زكاة أم أن الزكاة على المبالغ المتحصلة فقط ؟

٤ — رجل عنده سيارة يستعملها في الأجرة ، فما زكاتها ؟

الجواب :

إن كل هذه التي تسأل عنها لا زكاة فيها إنما الزكاة في المبالغ التي تتحصل منها إذا بلغت نصابا ومضى عليها الحول .

زكاة عروض التجارة تجب بتمام الحول من ابتداء التجارة :

السؤال : من السيد / بيومى الجزار

عند تاجر قطع غيار سيارات يربح ٢٠٠ جنيه شهريا ولا يمكنه معرفة رأس المال لأنه من العسير جدا تقدير رأس المال لدقة حصر البضاعة – فما حكم الزكاة في هذا المال ؟

الجواب :

إن زكاة عروض التجارة تجب بتمام الحول من ابتداء التجارة فتقوم العروض (البضاعة) التي عنده ويضاف إلى قيمتها ما عنده من نقود وما له من ديون حالة يسهل تحصيلها ويخرج من ذلك كله ربع العشر ٢,٥ ٪ ويتكرر ذلك كل عام ما دامت التجارة قائمة .

محمد أبو شادي

أنباء وآراء

● يصدر هذا العدد من (مجلة الأزهر) والمؤتمر السادس لمجمع البحوث الإسلامية منعقد ليؤدي دوره العلمي للإسلام والمسلمين في شتى بقاع العالم.

وقد صرح فضيلة الأمين العام للمجمع - عن المؤتمر - بقوله :

إن المجمع يقوم بدور علمي كبير. وقد نجح في أداء بعض المهام، فالمجمع واجهة الأزهر في مجال البحث العلمي، ويمثل همزة الوصل بين جميع الهيئات العلمية في العالم الإسلامي سواء منها : المعنى بشئون البحث العلمي، أو المعنى بتنظيم العلاقات بين الهيئات الإسلامية بعضها البعض، وفوق هذا وذاك فهو مصدر الإشعاع للتعريف بالثقافة الإسلامية في مختلف أنحاء العالم الإسلامي والمرجع الموثوق به في الشئون الإسـلامية.

● تحدث فضيلة الأمين العام المجمع عن دور مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية بالنسبة لغيره من المؤتمرات الإسلامية التي تنعقد بين وقت وآخر في أنحاء شتى من العالم الإسلامي فقال :

إن هذا المؤتمر يختلف عن أي مؤتمر آخر بأنه مؤتمر أبحاث علمية يدرس المشاكل الإسلامية من وجهة النظر العلمية بقصد الخروج بحلول للمشاكل المعاصرة ومعرفة رأي الإسلام فيها.

● بلغ عدد مسلمي ألمانيا نحو مائة ألف مسلم، وفي مدينة «ألندروف» وحدها نحو ألفي مسلم، ويتجمع أكثرهم في برلين وكولونيا وهامبورغ وميونيخ، وفي ميونيخ جمعية إسلامية أسست رسميا وتمتعت بكافة الحقوق التي تخولها القوانين الألمانية، ومن الطريف أن عدد النساء الألمانيات المسلمات يفوق عدد الرجال، ولم تؤثر الدعاية المضادة - والصهيونية خاصة - بينهن، وهي الدعاية التي تعتمد على «تعدد الزوجات» رغبة في إنماء النفور من الإسلام.

● أقرت وزارة التعليم العالي بالجمهورية العربية المتحدة معادلة خمس عشرة درجة علمية أجنبية (ماجستير ودكتوراه وليسانس) نالها مصريون لتمثيلها في الجمهورية العربية المتحدة شملت هذه الدرجات :

الماجستير في إدارة الأعمال من جامعة

كولومبيا بالولايات المتحدة — الماجستير في التمريض الباطني من جامعة بتسبرج بالولايات المتحدة — الدكتوراه في العلوم الاجتماعية فرع العلوم السياسية من جامعة أمستردام بهولاندا، دبلوم طب المناطق الحارة بفرنسا.

كذلك شملت هذه المعادلات:

الليسانس في اللغة العربية من جامعة البنجاب بالباكستان بدرجة الليسانس في اللغة العربية، البكالوريوس في كلية الدراسات الإسلامية ببغداد بدرجة الليسانس في العلوم الإسلامية من كلية دار العلوم.

● تحدث الدكتور عبد العزيز كامل وزير الأوقاف وشئون الأزهر في لجنتي إعداد المعلم والمناهج في مؤتمر التعليم فقال:

إن تطوير التعليم يجب أن تسهم معه ثورة في التعليم الديني بحيث يتعلم الطلاب الدين لمواجهة الحرب النفسية باعتبار أن الجهاد والاستشهاد من المقومات التي مجدتها الأديان السماوية وأن يستخدم الدين في كل مادة دراسية.

وجاء في القرارات التي أعلنت في الجلسة الختامية للمؤتمر التوصية التالية:

اتخاذ الوسائل الكفيلة بدعم مناهج التربية الدينية وتطويرها في مراحل التعليم المختلفة من حيث محتوى المنهج وطرق تدريسه وربطه بمشكلات الحياة.

● قام الشيخ عمر فيتا بترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة اليابانية. سيطبع من هذه الترجمة مائة ألف نسخة.

● جاء في طبعة «عبقرية خالد» الموزعة على طلبة الثانوية العامة ص ٥٥ «ومن وثباته هذه ولجاجه ذلك يغلب على الظن أن كراهته كانت من نوع تلك الكراهة التي هي أقرب إلى المبارزة والمناجزة منها إلى المقت والضغينة، لأنها لا تعني صاحبها بالبعد من المبارزة اللازم لإتمام الصراع وإذكاء حرارته وامتحان قدرة النفس عليه.

وصحة العبارة:

لأنها لا تعني صاحبها بالبعد عن موضوعها كما تعنيه بالاشتغال به، والعكوف عليه كأنه زميل للمبارزة اللازم لإتمام الصراع وإذكاء حرارته، وامتحان قدرة النفس عليه[1]؟

على الخطيب

(١) انظر «عبقرية خالد» نشر دار الهلال ١٩٦٩ ص ٣٨

These objectives are all summed up in the Surat-ul-Fatiha. The chapter, be it noted, consists of just a few words easily counted. But they are so aptly chosen that they seem invested with striking significance. They are so simple in form. There is nothing complicated about them; nor do they confuse. The fact is that whatever is true to life is always easily comprehended. Look at nature. Nowhere dœs it appear elusive. Elusiveness is produced by artificiality. All that is true and real will necessarily be plain and attractive, so attractive that when it appears before you, you do not feel any strangeness about it. Indeed, you accept it without hesitation.

Now think it over. What plainer view can be taken of human devotion to God and all that it implies than what is presented in this chapter ? Here are but seven brief phrases, each of not more than five words, every word crystal clear and impressive. God is here invoked in His attributes, the manifestatinos of which man beholds day in and day out, however much he may, through indifference, neglect to reflect over them. Here you have man's admission of his absolute dependence on God, his ackn wledgement of the divine kindness shown to him, his earnest yearning to be saved from the pitfalls of life and to be led along the straight path. Nothing is abstruse here ! Since we repeat this Surat so frequently and have grown so familiar with it, it may look as if it is but a commonplace concept of religion. But this very commonplace concept, till it emerged before man, was by no means commonplace or easy to grasp. So it is with everything real. So long as it dœs not come into sight, it looks as if there is nothing more difficult to perceive. When it is brought to view, what is there so clear and plain ?

Whenever a revelation from the divine has come, it has not brought to the knowledge of man anything strikingly novel; for, in respect of devotion to God, there is nothing novel to impart. The function of revelation has been simply to interpret, on the basis of knowledge and conviction, the inherent urges of man. And this is what the Suratul Fatiha dœs. It expresses the instinctive urges of man so artfully and with such ease that he is impelled to affirm that every line of this chapter, nay every word of it, is but the compulsive voice of his own heart and mind.

Think it over again. Although by the very nature of it, this chapter is no more than a simple invocation, it reveals in every word of it, and in every turn of expression, one or other of the great purposes which underlie the Din or the way of life sponsored by the Quran.

to compare with it, and according to another, to have styled it as the 'greatest and the finest chapter'.

Looking into the character of the contents of this chapter, it becomes apparent that the rest of the Quran is but a detailed commentary of the concentrated substance that it contains, or that it gives out in an epitomized form the fundamental objectives of the Faith so elaborately expatiated upon in the rest of the Quran. If a person were to read nothing but this from out of the Quran and grasp its meaning, he could understand all the essentials of the Faith which form the subject of detailed exposition by the Quran. Further, when it is borne in mind that the form given to this chapter is one of invocation and that it is to be an integral part of a Muslim's daily prayer, not only the importance of the chapter is reinforced, but the fact emphasized that a deep purpose underlay the provision of a concentrated version of the Quran clenched to the full form of it. The purpose clearly was to make available to every one an easily intelligible brief version of the Quran such as might freely be recited in his daily prayers. It was intended to bring to mind every day the substance of his beliefs, or his spiritual ideology, as well as, his programme of righteous living. Hence, a knowledge of the contents of this chapter is regarded as indispensable to a Muslim. According to Bukhari and Muslim, the Islamic form of prayer is incomplete without a recitation of it.

Before we proceed further, the request may as well be posed : What are the essential objectives of the Quran, and in what manner are they reflected in this chapter since it has to function as an epitiome of it ? These may briefly be stated. In the first place, the Quran aims to present the attributes of God in proper respective, for, it is in his approach to them that man has often blundered. In the second place, it lays emphasis on the principle of causation in life so as to suggest that, even as in nature, every cause has its effect in the domain of human life, both individual and collective; so much so, that a good action produces a good result and an evil action an evil result. In the third place, it aims to inculcate in man a belief in the life hereafter, by pointing out that man's life does not end with his earthly existence, but that there is a life to follow, where one has to account for his life on earth and where the effect of past deeds becomes manifest, as a matter of course. And lastly, it points the way to righteous or good life.

IMPORTANCE OF 'SURAT-UL-FATIHA'

BY

Moulana Abul Kalam Azad

The Surat-ul-Fatiha is the first chapter of the Quran and is for that reason styled Fatihatul Kitab or the opening of the book, Because of its intrinsic value, it has been assigned a place of honour in the Quran and allowed to appear on the very first page of it, Indeed the Quran endorses its importance in the following terms :

"Prophet ! It is fact that We have given thee seven oft repeated verses and the great Quran"(5:87).

It has been established by 'Hadith' and Athar' that the reference here is to this chapter; for it not only consists of seven verses, but is repeatedly recited in daily worship. It is also called 'Saba al-mathani', (the oft-repeated Seven). The same sources give it further names — Umm-ul-Quran (the core of the Quran), Al-Kafia (the Sufficient), Al-Khanaz (the Treasure House) and Asasul — Quran (the Basis of the Quran), each emphasising a particular aspect of its importance.

In Arabic, the term Umm applies to concepts and objects which, in one form or another, bear inclusive connotation, or by virtue of which, assume the role of genitives. It is why the central part of the human head is called 'Umm-ul-Ras' because it is the seat of the brains. The flag of an army is called 'Umm, because the army gathers round it. Mecca was known as 'Ummul-Qura', for, consequent upon the location of the Kaba therein and the association there with of the institution of Hajj, it had grown into a place of assemblage for the people of Arabia. So, to style this chapter as 'Umm-ul-Quran' is to acknowledge that in its tense comprehensiveness, it concentrates within its ambit the thought-content of the entire Quran, and that, on that account, it rightly deserves the place of honour among its chapters.

Further, it is clear from some of the traditions of the Prophet that, even in his own lifetime, this unique rôle of the chapter had come to be recognized on all hands. The Prophet himself, according to one tradition, is stated to have expressed to Ubayy bin Kaab that there was no chapter

If God taught men something through the prophet Abraham, for instance, it will not be disobedience to abandon it for abiding by the teachings of the prophet Moses, because he brought in his time the latest disposition of the orders of the same Law giver ; what is more, to neglect the directions of Moses and continue to practise the teachings of Abraham would be a flagrant disobedience to God. It is thus that man should practise, turn by turn, the messages of God brought by successive prophets, the latest of whom being Muhammad of holy memory. It is thus that, with all his respect for the previous prophets, a Muslim cannot abide except by the latest disposition of the will of God communicated to man. A Muslim venerates the Torah, the Psalter and the Gospel as the word of God, yet he abides by the latest and the most recent of the words of God, namely the Quran. Whoever remains attached to the preceding laws, cannot be considered, by the legislator, as law-abiding and obedient.

CONCLUSION

222 — Man being composed simultaneously of body and and soul, of an outer and an inner existence, the harmonious progress and balanced evolution towards perfection require that attention should be paid to both these aspects of man. Mysticism or spiritual culture in Islam envisages the diminution of the Ego and the never-increasing realization of the presence of God. To be absorbed in the will of God dœs not at all mean an immibolity ; far from that. In innumerable veres, the Quran urges man to action and even to compete in the search for the Divine pleasure by means of good actions. Not to follow one's own evil desires, but to abide by the will of God alone, dœs not lead to inaction. Only that happens which God wills ; yet not knowing the will of God which remains concealed from men, man must always continue his effort, even though failure follows failure, when trying to attain the goal which he conscientiously believes to be good and in conformity with the revealed commandments of God. This notion of a dynamic predestination, which urges one to action and resignation to the will of God, is well explained in the following verses of the Quran (57 / 22 - 23) : "Naught of disaster befalleth on the earth or in your souls but it is in a book (Prescription) before We bring it into being— lo ! that is easy for God — that ye grieve not for the sake of that which hath escaped you, nor ye exult because of that which ye had been given ; God loveth no prideful boasters".

do not possess even the necessaries of life, or perhaps as a penitence. But it is not permitted to act an exaggerated manner or out of all proportion. A verile man who makes an effort to lead a chaste life has greater merit than the one who destroy his desires by means, for instance, of a surgical operatton. One who has no capacity for evil has no mrit in comparison with the one who has the most perfect capacity for it and yet abstains voluntarily from it, for fear of God.

219 — Self - mortifications, abstinences and other spiritual practices enhance certain faculties, yet the acquisitton of such faculties, however miraculous they might be, is not the aim of one who travels towards God. One seeks to realize acts, but not the sensations which are produced thereby automatically. Even an infidel may acquire certain of the faculties of saints, yet without the ultimate salvation. The mystic is continually directed towards his destination, and dœs not think of, much less profit by, these incidents of the saintly journey.

220 – The life of a sufi, derwish or mystic begins with repentance for the past sins and the reparation, as far as possible, of the harms done to other people. God pardons harms done to His own rights, but not those to the rights of other creatures; it is these latter who alone can pardon. It is only then that one can march on the path leading to the Lord. It is not the monopoly of any person or class or caste; it is within the reach of everybody, and it is the duty of each and everyone to take this road. The provisions for this journey are two fold : obedience to God and constant remembering of Him. Obedience is easier in the sense that one knows what one has to do and what will of the Lord is. He has revealed His will and His prescriptions through His chosen prophets, in order that they communicate them to the common folk.

221 — God has sent innumerable prophets. If their teachings have differed in details, it is not because God has changed His openion, but only because, in His mercy and wisdom, the evolution or deterioration of the human capacities necessitated a change in the rules of conduct and in the details. Although in the essentials of their teachings, particularly in those which concern the relation of man with God, prophets do not differ, – and the Quran lays a strong emphasis on it — it is part of the obedience of man to God's orders to abide by the latest dispesition of His will.

Again (3/191) : "such as remember God, standing, sitting, and reclining and meditate on the creation of the heavens and the earth (and say :) our Lord, Thou createdst not this in vain; glory be to Thee; Preserve us from the doom of Fire". There are litanies, in which some formulas repeated a number of times; there are prayers which one pronounces every days as a habit. This is done aloud or in a low voice, but all should be related invariably and always to God, to His person or to His attributes, and never to created beings. Even if the subject be the Prophet Muhammad, for gratitude and admiration, the approach should be always through God, and not praying Muhammad himself independently to do something for us. For instance "O God, incline to Muhammad and take him into Thy protection", or "O God resuscitate Muhammad in the glorious place which Thou hast promised him, and accept his intercession in our favour", etc. For developing concentration of thought, the mystics sometimes live in seclusion, or retreat, stop respiration for moments, close the eyes, and concentrate on the throbbing of the heart while thinking of God, etc. They also say that there are three grades of remembrances of God : to remember only His name, to remember His person by means of and through His name, and to remember His person without having the need of of His name or any other means. That these practices were recomended by the Prophet himself and that they are not of a foreign origin, it may be recalled that Abu Hurairah had a rosary, made of a thread, with 2,000 knots to serve as many beads, and he repated a certain prayer on it every night.

218 — Among other practices, one may mention a life of asceticism, self-mortification, and meditation particularly on the death and the final judgement. For Islam these are not ends, but only the means, rather temporary and provisional, for the purpose of mastering and breaking the ego. Everything that one permits to one's self in this world is divided into two categories : necessaries and luxuries. One can never renounce the necessaires, for it would be suicide. To commit suicide is religiously forbidden in Islam, for we do not belong to ourselves, but to God; and to destroy something before its fullfledged realization is to go against the will of God. As for luxuries, if they are not made the aim of our existence in this world, they are lawful. One can renounce them in order to dominate over one's animality; one can also do so in order to help those who

master is always useful, if not indispensable. Further, mere knowledge does not suffice : it should be assimilated and become a second nature.

216 — Mystics recommend four practices : eat less, sleep less, speak less and frequent people less. "Less" does mean complete abnegation, which is sometimes impossible (such as in eating and sleeping), and always undesirable ; there must always be a moderation. One should eat to live, and not live to eat. To eat for the purpose of obtaining the energy to accomplish the will and the commandments of God, is an act of devotion ; and to diminish the nourishment and get weakened to the extent of dimnishing the spiritual productivity is a sin. Sleep is necessary for health, and is a duty imposed on man ; but laziness, which makes us remain in bed for long, affects our spiritual progress. Sleeping less does not mean passing time in material needs, but finding more time for the practices of devotion and piety. Speaking less means diminution of frivolous talks, and avoidance, if possible, of all evil task. It is often our habit to give good counsel to others, but forget to practise it ourselves. To frequent people less, means refraining from unncessary talk and wasting time in needless contacts. To do a good turn to others, and to be occupied with the realization of things which could procure the pleasure of Lord are rather desirable frequentations. However, it should not be forgotten that the needs of the individuals differ according to their stage of evolution ; one does not give the same advice to an expert master as to a young novice. Mundane frequentations often occasion temptations, waste of useful time, and the foregetting of our more important obligations. It may be permitted to add a fifth counsel ; spend less meaning on luxury, on flirtation, on personal pleasure ; the amount thus saved could be used for purposes dear to us but for which we have no money— in our spend-thrift habits — to contribute our mite. The five counsels may constitute five principles of economy in Islam, both spiritual and material.

SPECIAL PRACTICES

217 — One has to remember God all time. The essential feature is the remembering by the heart. But concentration not being constant, one employs physical methods for strengthening the presence of the spirit, and focusing of thought on the Divine person The Quran (33:41-2) says : "O ye who believe : Remember God with much remembrance. And glory Him early and late".

only gradually that one traverses them. In the life of the Prophet Muhammad, we see that he began with retreats in the cave of Hira; then came the Meccan period, in which there was in store for him suffering and self-abnegation for the sake of the Divine cause. It is only after the Hijrah that he permits himself, — under Divine instructions always — to oppose injustice with force. It is quite possible that someone, who pretends to be a derwish, should only be so appearance, being in reality a wolf disguised as a sheep; similarly it is quite possible that king, with all the powers and treasures accumulated in his hands, should still be in practice a saint, who does not at all profit by these things, but makes a great self-sacrifice, in the course of accomplishing his duties by renouncing his personal comforts.

214 — To break the ego, the first requirement is a feeling of humility, which should be developed. Pride is considered as the greatest sin against God. In the words of al Ghazali, ostentation is the worship of self, therefore really a kind of polytheism.

215 — Temperaments differ, that is why the roads also are verious. One insists on the need of a guide and master. One who has studied medicine privately, without passing through a period of apprenticeship or even attending the courses of study with proficient doctors, is not allowed to practice medicine. The cases are rare where one sees all one's defects; rarer still ore instances of people who correct themselves immediately. A master is necessary in the first instance to indicate to us our defects and also the way in which these are to be removed. There is a constant development and a perpetual evolution in the individual, and the master spares us many an unecessary effort. If one were not to profit by the experience of the past, and if each new-born were to recommence all of the task and to fall back on his own individual self, there would be no growth of culture and civilization which may be defined as the accumulated knowledge and practice of generations of our ancestors. The pupil has a regard for the judgement and counsel of his Master which he never has for his comrades and equals. After theoretical studies, one passes through a probationary period, for learning their practical application. This is as true of the material sciences as of the spiritual ones. There are many things which one can never learn by mere reading or listening; their practical application under the supervision of an experienced

remains deprived of these comforts so that his endurance and constancy may be tested. In both cases, man must show his devotion and attachment to God. This necessitates, on the one hand, abnegation of the ego by getting absorbed in will of God and on the other, a constant feeling of the effective presence of God.

211 — The philosophic conception of pantheism emanates from the necessity of "self-abnegation in God". For a mystic, the mere affirmation of this belief has no value; he aspires to assimilate it and feel it as a reality. Thus it is that the learned distinctions between pantheism in the sense of the unity of existence, and that of the unity of vision, or any other, are for a true mystic mere logomachy, which makes the eager traveller lose his track, and retards his arrival at his destination.

212 — It may be recalled here that the Islamic notion of pantheism does no lead to the reunification of man with God. However close a man may approach God, there is still a distinction, a separation, and a distance between the Creator and the created. One abnegates one's ego, but no one's person. The higher the level we attain, the more dœs God speak with our tongue, act with our hand, and desire with our heart (cf. Bukhari). There is an ascension and a journey of man towards God, but there is never a confusion of the two. Thus it is that a Muslim dœs not the term "communion", which may imply a union and a confusion. The Muslims designate the spiritual journey by the term 'miraj', which means a ladder, an ascension, which varies according to individuals and their capacities. The highest imaginable level a human being can attain is the one that has been reached by the holy Prophet Muhammad; and this experience of his is also called 'miraj'. So, in a state of consciousness and wakefulness, the Prophet had the vision (ru'ya) of being transported to heaven and graced with the honour of the Divine Presence. Even there, in this state beyond time and space, the Quran (53 : 9) indicates formally that the distance between God and the Prophet, "was of two bows, length or even nearer", and this graphic description lays emphasis simultaneously on the closeness of proximity as well as the distinction between the two. The Prophet himself employed the term miraj in connection with the common faithful, when he indicated that "The service of worship is the miraj of the believe". Evidently to each according to his capactiy and his merit.

213 — The spiritual journey has a whole series of stages, and it is

and in ostentation so as to be observed by men" (4 : 142). The good and bad services of worship, indicated therein, give us a clue to the understanding of what Islam requires of its adherents in all activities of life.

208/a — Islamic tradition reserves to the caliph or the head of the Muslim State not only politics (including administration of justice), but also cult i. e. the outward practice of the religion, such as service of worship, fasting, pilgrimage. All this falls under the purview of the Fiqh (Muslim law) developed by different schools (see infra 563/a). In this realm, monopoly of power has been jealously imposed, although this concerns rather the less important part of our life. Sectarrian differences exist among Muslims, since the death of the Prophet, as to who had the right to succeed to the Prophet in the exercise of the power regarding politics and cult.

Let us leave the decision to God on Dooms Day, and let us occupy with our future and the defense against the enemies of God. As to the inner life, which alone determines the salvation in the everlasting Hereafter, in this sphere there are no jealousies : several persons could and did succeed the Prophet simultaneousy. If the Naqshbandiyah Order of mystics seeks its authority from the Prophet through Abubakr, the Qadiyah and Suhrawardiyah orders for instance, do the same through Ali, and all this among the Sunnis to whom Abu Bakr alone was the immediate successor of the Prophet in the political field. This spiritual Realm, which unites Sunnis and Shias, is no vapid abstration : it has its own full-fledged administrative organisation. The existence of 'abdal and authad' is known on the authority of the Prophet himself, as we read by as early an author as Ibn Sad. A monograph of Suyuti has collected all the traditions of the Prophet on the subject of qutb, abdal and authad. One need not enter into details here.

PLEASURE OF GOD

209 — The common folk desire that God should love them, in a sort of one way traffic, without their loving Him : that He should give them well-being without their obeying Him. The Quran (2 / 165) teaches : ". . . . those who believe are stauncher in their love for God". Again, it indicates the traits of the best men and says (5/54):".. a people whom He loveth and who love Him".

210 — Obtaining Divine pleasure is not analogous to the enjoyment of material comfort, which God may give a man in order to test his gratefulness. Sometimes a man

mysterious psychic means : not even with asceticism, mortification, seclusion, meditation and the consquent sensation (which may sometimes be means, yet not ends); or even with certain beliefs regarding the person of God (panthism, etc.); much less with what the charlatans assert, that a mystic is above the Islamic law and the necessary minimum duties imposed by it.

207 — For want of a better term, one might use the word "mysticism" which in Islam means the method of the best individual behaviour, i.e., the means by which one acquires control over one's own self, sincerity, the realization of the constant presence of God in all one's acts and thoughts, seeking to love God more and more.

208 — In the Islamic teachings, there are certain "external" duties, such as prayer-service, fast, charity, abstaining from evil and wickedness, etc. There are also "internal" duties, such a as faith gratitude to God, sincerity and freedom from egoism. Mysticism is a training for this latter aspect of life. However, even the external duties are motivated for purifying the spirit, which is the only means of internal salvation. In general, the mystic develops by his spiritual practices certain of his faculties and talents, which appear to the commoners as miraculous; but the mystic does not seek them; he even despises them.

To know invisible things, event if that becomes possible for certain persons by certain practices, is not desirable for the mystic; for these constitute the secrets of God and their premature divulgation is harmful to man in the long run. That is why the mystic does not utilize such powers even if he comes to acquire them; his aim remains always the purification of the spirit, in order to become more agreeable to the Lord. The perfect man is he who beautifies not only his outer but also his inner self, or — as mystics say — his body and his heart. For the external aspect, there is the Fiqh or body of Muslim law which consists of rules for the entire outer life, such as cult, contractual relations, penalties, etc. It is however the internal aspect which is the true subject matter of mysticism. The acts of prayer—service belong to the domain of the Fiqh, but sincerity and devotion are inner things, and belong to mysticism. Let us recall in this connection two verses of the Quran : "Successful indeed are the believers who are devout in their prayer-service" (23 : 1 - 2); and "Lo, the hypocrites . . . . when they stand up to worship they perform it languidly

THE CULTIVATION OF SPIRITUAL LIFE

By Dr. MUHAMMAD HAMIDULLAH

II

THE SUFFAH

204 — In the grand mosque of Madinah, there was in the time of the Prophet a special portion, called Suffah somewhat away from the prayer hall. This was a centre of training and education, functioning under the personal supervision of the Prophet himself. A considerable number of Muslims occupied it. They devoted part of their time, during the day, to learn the Islamic way of life, not only in matters of man's relations with God, but also with other members of society. They also worked to earn their bare necessaries of life, so that they might not become parasites and a burden on others. During the night, they passed their time, like the best mystics, in the observance of super-ogatory (nafal) prayers and in meditation on God. Call this institute a convent (a Tekkeh, a Khanqah) or by any other name, there is no doubt that the inmates of the Suffah were more attached to spiritual practices than to material avocations. Perhaps one will not be able to know the details of the practices which the Prophet had enjoined on these early Muslim mystics, which practices must have varied according to the temperament and capacities of each individual. Yet the object being determind, there was enough liberty to select lawful means leading there to. It may be recalled, by the way, that the Prophet once said : "Wisdom is the lost - property of the believer ; wherever he should find it, he he should recover it." (cf. Tirmidhi, Ibn Majah).

THE ESSENCE OF MYSTICISM

205 — Through mysticism, Islam envisages a rectitude of beliefs, embellishment or of the acts of devotion, taking the life of the Prophet as a model to be followed in all activities of life, the amelioration of personal conduct, and the accomplishment of duties imposed by Islam.

206 — It has nothing to do with the power to know invisible things, with performing miracles, or imposing one's will on others by

mankind the qualities of true believers in following verses :

"They only are the (true) believers whose hearts feel fear when Allah is mentioned, and when the revelations of Allah are recited unto them they increase their faith, and who trust in their Lord ; who establish worship and spend of that We have bestowed on them. Those are they who are in truth believers. For them are grades (of honour) with their Lord, and pardon and a bountiful provision". (8 : 2 — 4)

13 — Their manners :—

"The (faithful) slaves of the Beneficent are they who walk upon the earth modestly, and when the foolish ones address them answer : Peace ; And who spend the night before their Lord, prostrate and standing, And who say : Our Lord! Avert from us the doom of hell ; Lo ! the doom thereof is anguish ; Lo ! it is wratched as abode and station. And those who, when they spend, are neither prodigal nor grudging ; and their is ever a firm station between the two ; And those who cry not any other god along with Allah, nor take the life which Allah hath forbidden save in (course of) justice nor commit adultry — and whoso doeth this shall pay the penalty" 25 : 63 - 68

"And those who will not witness vanity, but when they pass near senseless play, pass by with dignity. And those who, when they are reminded of the revelations of their Lord fall not deaf and blind threat. And who say : Our Lord ! Vouchsafe us comfort of our wives and of our offspring, and make us patterns for (all) those who ward off (evil)" (25 : 72 — 74)

14 — They make peace and act equitably :

"And if two partis of believers fall to fighting, then make peace between them. And if one party of them dœth wrong to the other, fight ye that which dœth wrong till it return unto the Ordinance of Allah ; then, if it return, make peace between them justly, and act equitably. Lo ! Allah loveth the equitable. The believers are naught else than brothers. Therefore make peace between your brethren and observe your duty to Allah that haply ye may obtain mercy" (49 : 9 — 10)

We have seen from the above Quranic descriptions of the characters, qualities and manners of the true believers that if we seek God's help we must first be His helpers by dedicating ourselves entirely to Him, and obeying His ordinances, and forbidding what He has declared forbidden.

may be successful. And obey Allah and His messenger, and dispute not one with another lest ye father and your strength depart from you; bnt be steadfast ! Lo ! Allah is with the stedfast." (8 : 45 - 46)

9 — Who do not ask for exemption from joining the army of the Muslims when at war; the Holy Quran says :

لا يستئذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين . (التوبة ٤٤)

(Those who believe in Allah and the Last Day ask no leave of thee lest they should strive with their wealth and their lives. Allah is Aware of those who keep their duty (unto Him) (9 : 44)

10 – Their behaviours :—

The Holy Quran describes the behaviours of the true believers in the following verses : "They hold together and unite together" (3 : 103) "They are protected from harm since they abide by the instructions of their Lord and Benefactor, the ture God, Allah" (5 : 108) "Their lives, honour and property are sacred" (4 : 92). "Believers should not disregard these who salute them and wish them peace even if the saluters are unbelievers" (4 : 95) "They should not sit when God's attributes are ridiculed" (4 : 140). "O ye who believe ! Chose not disbelievers for (your) friends in place of believers. Would ye give Allah a clear warrant against you ?" (4 : 144)

"O ye who believe ! Be stedfast witnesses for Allah in equity, and let not hatred of any people seduce you that ye deal not justly. Deal justly, that is nearer to your duty. Observe your duty to Allah. Lo ! Allah is Informed of what ye do" (5 : 8) "O ye who believe ! Ask not of things which, if they were made known unto you, would trouble you ; but if ye ask of them when the Quran is being revealed, they will be made known unto you. Allah pardoneth this for Allah is Forgiving, Clement" (5 : 101).

11 — Their duties to God :—

(O ye who believe ! Be mindful of your duty to Allah and seek the way of approach unto Him, and strive in His way in order that ye may succeed) (5 : 35) And :

(O ye who believe ! Turn unto Allah in sincere repentance ! It may be that your Lord will remit from you your evil deeds and bring you into Gradens underneath which rivers flow, on the day when Allah will not abase the Prophet and those who believe with him) 66:8

12 — Their qualities :—

The Holy Quran sets before

It means : "Naught of disaster befalleth in the earth or in yourselves but it is in a Book before We bring it into being — Lo ! that is easy for Allah — That ye grieve not for the sake of that which hath escaped you nor yet exult because of that which that been given. Allah loveth not all prideful boasters" (57 : 22 — 23)

3 — Who put their trust wholly in God :

الله لا إله إلا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون . (التغابن ١٣)

(Allah ! There is no god save Him. In Allah, therefore let the believers put their trust). (64: 13)

4 — Who are helpers of God's ordinances :

يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله . (الصف ١٤)

(O Believers ! Be ye helpers of Allah's ordinances) (61 : 14)

5 — Who are not coward, nor should be weary and faint-hearted against their enemies : The Quran says what means : So do not falter and cry out for peace when ye (will be) the uppermost, and Allah is with you, and He will not grudge (the reward of) your actions".

(47 : 35)

6 — Who should help each other and give asylum to those who adopt exile towards the cause of God; as The Holy Quran declares :

« إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض .... » (الأنفال ٧٢)

It means : "Lo ! those who believed and left their homes and strove with their wealth and their lives for the cause of Allah, and those who took them in and helped them ; these are protecting friends one of another". (8 : 72)

7 — Who do unite with those who are true in works and deed :

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين . (التوبة ١١٩)

(O ye who believe ! Be careful of your duty to Allah and be with the truthful). (9 : 1 9)

8 They should rely upon God for victory :

« يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين ». (الأنفال ٤٥ — ٤٦)

It means : "O ye who believe ! When ye meet an army, hold firm and think of Allah much, that ye

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER :

ABDUL RAHIM FUDA

SAFAR 1391	ENGLISH SECTION	APRIL 1971

The Holy Quran Describes Qualities of True Believers

By

A. M. Mohiaddin Alwaye

The Holy Quran declares :

وكان حقا علينا نصر المؤمنين ـ الروم ٤٧

(To help believers is incumbent upon Us) 30 : 47. Who are the true believers ? What are the characters and manners of them ? The Holy Quran describes their characters, manners and qualities in the following clear verses :—

1 — Who do what they say :

« يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون . كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون . إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص ».

(الصف ٢ — ٤)

" O you who believe ! Why say you that which you do not ? It is most hateful in the sight of Allah that you say that which you do not. Lo ! Allah loves those who battle for His cause in ranks, as if they were a solid structure.)

(61 : 2 - 4)

2 — Who should never despaire or exult : The Holy Quran says :

« ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها، إن ذلك على الله يسير . لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور » (الحديد ٢٢ — ٢٣)

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
«بدل الاشتراك»
٥٠ قرشا في الجمهورية العربية المتحدة
٦٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

«العنوان»
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

الجزء الثالث — السنة الثالثة والأربعون — ربيع الأول سنة ١٣٩١ هـ - مايو سنة ١٩٧١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدى هذه الذكرى

للأستاذ عبد الرحيم فوده

لا شك أن مولد النبي ﷺ في هذا الشهر الميمون المبارك، حقيق بأن يحتفل بذكراه العالم كله، وخليق بأن يشهد في نفوس الناس أجمعين يقظة الشعور، وانتباه العقل وصحوة الضمير، فقد كان مولده ـ عليه السلام ـ مولد أمة ماجدة ووجود جديد، إذ ارتفعت به الأمة العربية إلى القمة التي لم تصل إليها أمة، وانتقل به العالم كله ـ كما يقول العقاد رحمه الله ـ : «من ركود إلى حركة، ومن فوضى إلى نظام، ومن مهانة حيوانية إلى كرامة إنسانية»

بل كان مولده في دنيا الناس، مولد الفجر في ظلام الليل، ثم كانت مراحل طفولته وصباه وشبابه ورجولته وكهولته كمراحل الضوء في مسيرة الشمس، ومسيرة الأرض والكواكب حولها، وليس هذا كلاما يقال بإملاء الخيال، وإنما هو بعض ما يفهم من كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فقد قال تبارك وتعالى: «ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا» وقال في محمد ﷺ :

« يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا » فالشمس بين السموات والأرض سراج وهاج يبعث الضوء والدفء ، ومحمد ﷺ بين الناس سراج يهديهم إلى ما يحييهم : « ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم » .

وكل آى أتى الرسل الكرام بها
فإنما اتصلت من نوره بهم

٢ — وكان — عليه السلام — قبل أن يكون في دنيا الناس ، كما يفهم من قوله تعالى : « وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين » وكما يفهم من دعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام حين كانا يرفعان قواعد البيت ويقولان : « ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ، ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم » . وكما يفهم من البشارة السارة التي بشر بها عيسى عليه السلام وقال : « يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد » .

٣ — وهذا الذي نستشفه من القرآن نرى مثله في حديث النبي ﷺ ، فعن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قلت : يارسول الله ما كان أول أمرك .. ؟ قال : دعوة أبي ابراهيم وبشرى عيسى بي . ورأت أمي نورا أضاءت له قصور الشام ، وقد حقق الواقع ما رأته أمه ﷺ قبل وضعه ، فأشرق نوره في مكة ، ثم تألق في المدينة ، ثم انطلق إلى ربوع الشام ، ثم امتد في كل اتجاه ، (يهدى للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا) .

٤ — وقد سبق ﷺ إلى كل خير ، حققه بالقول والعمل ، ويفهم من كلامه ومن كتاب الله الذي أنزل عليه أن النفرقة العنصرية نزعة شيطانية ، عرفت أول ما عرفت في موقف إبليس ، حين أبى أن يسجد مع الملائكة لآدم ، وقال لربه فيما حكاه القرآن عنه : (أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) ثم ظهرت هذه النزعة المنحرفة في اليهود . فقالوا ما حكاه القرآن

منهم : « نحن أبناء الله وأحباؤه » ، ثم استشرى شرها فى العالم عن طريقهم ، فكانت روح الشر فى البيض ضد السود ، وفى الصهيونية ضد العرب ، وفى الاستعمار ضد الشعوب ومن ثم كان خليقا بالأمم المتحدة أن تذكر - وهى تهتم بإلغاء التفرقة العنصرية - أول صوت ملأ أسماع الدنيا بقوله : (الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى) وقول الله تعالى : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

٥ - أما بعد : فقد تجاوب المؤتمر السادس لمجمع البحوث الإسلامية مع هيئة الأمم المتحدة ، فخص جانبا من بحوثه بالمبادىء الإنسانية فى الإسلام ، واسترشد بكتاب الله وسنة رسوله . فيما تناوله من موضوعات تتعلق بالتفرقة العنصرية ، وغيرها من الموضوعات الحيوية التى يجدها القارىء فى هذا العدد ، وإذا كانت بحوث المؤتمر وقراراته لم تجد حتى الآن الاستجابة المرجوة فذلك لا يغض من قيمتها الذاتية وأهميتها الحقيقية ، وستؤتى دون شك ثمراتها قريبا أو بعيدا « ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله » وصدق الله إذ يقول : « ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون) .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ؟

عبد الرحيم فوده

« يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا . وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا » .

[صدق الله العظيم]

كلمة الإمام الأكبر الدكتور محمد محمد الفحام
شيخ الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

السيد نائب السيد رئيس الجمهورية

السادة الأجلاء أعضاء المؤتمر

إخوانى وأبنائى .

تحت لواء الإسلام ، وعلى ضوء هداه مستعيناً بالله ، أفتتح المؤتمر السادس لمجمع البحوث الإسلامية ، وأحييكم معشر العلماء الأعلام ، وأبارك جهادكم الدائب لخدمة قضايا العلم والدين على وجه يملأ العالم نورا ، وحياة ، وأحيي بكم كل مسلم يمثل فى شخصه عزة الإسلام وحقيقته ، وأرحب بكم فى أرض الكنانة التى لم تأل جهداً فى تحقيق الصحيح من الدين ونشره ، وكانت دائماً فى صف التعاون الإسلامى الحقيقى الذى يبتغى وجه الله وحده ، ولقد كانت القاهرة دائما وستبقى إن شاء الله مركزا صلبا للإيمان والعمل الإسلامى الجاد من أجل مصلحة الناس جميعا ، بما تضمنه هذا الدين من المبادىء والتعاليم القويمة النبيلة التى تبعث على التضامن العام والألفة ، وتدعم مبادىء العدل والحرية والمساواة ومراعاة الحقوق والواجبات ، وإطلاق الأخوة والحب بين الناس جميعا .

ولقد أهلها القدر للقيام بهذا الدور الخطير حين وضعها على خريطة العالم لتكون مركز اتصال بين آسيا وإفريقيا ، ترسل من أشعتها هنا وهناك منبعثة من أروقة الأزهر الذى قاوم مسيرة الإلحاد ، ومواكب الانحراف ، ومذاهب الهدم ، وحملات التبشير ، وتيارات الفوضى والانحلال ، وذلك بحفظ التراث الإسلامى ودراسته وتجليته ونشره ، وأداء رسالة الإسلام إلى الناس ، والعمل على إظهار حقيقته وأثره فى تقدم البشر ، وكفالة

السعادة للعالم . لأنه دين الدنيا والآخرة معاً ، فهو العقيدة ، وبه العبادة ، وعليه تركيز السياسة وهو مستمد القضاء ، ومعين التشريع .

إن الأزهر يبلغ رسالة الإسلام وهدايته إلى العالم كله عن طريق إنشاء المراكز الإسلامية فى العديد من البلاد لتكون منارات إرشاد على طريق الله ، وتزويد العالم بالكثير من الكتب الإسلامية المختارة ، والمصاحف الشريفة ، وبالعلماء الداعين إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، مع تأكيدهم الصلة بين الدين والحياة ليجد الناس لهذه الصلة مددا من علمهم .

والأزهر ذلكم الوطن الروحى لكل مسلم دون سمعته فى أرجاء العالم لمكانته الراسخة فى قلوب المسلمين ، فبعثوا بأبنائهم إليه لينهلوا من علمه ، فيقبلهم راعيا وحانيا ، وأنزلهم منازل الإعزاز والتكريم ، وأولاهم اهتمامه ، وأوردهم ينابيع العلم والحكمة ، فتخرجوا فيه علماء أجلاء وكانوا رسل خير ومصابيح هداية إلى أمم الأرض وشعوبها ، على طريق الله استجابة لقوله تعالى (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) .

لقد مضى على الأزهر الأول منذ إنشائه أكثر من ألف عام ، وقد كان وما زال ولن يزال إن شاء الله الحصن الحصين لعلوم الشريعة الإسلامية والقلعة الراسخة للغة العربية يحفظها وينشرها فى شتى البلاد الإسلامية ويخدم الإسلام والمسلمين .

إن خدمة الإسلام والمسلمين أيها السادة لا تأتى عن طريق رفع الشعارات بل فى تنفيذ تعاليم الدين الحنيف التى تقضى على الجمود الفكرى والظلم الاجتماعى ، وتدفع إلى التطور والتقدم ، والعمل على تجديد الثقافة الإسلامية وتحريرها من الجمود ، وتنقيتها من الشوائب وآثار التعصب السياسى والمذهبى ، وتجليتها فى جوهرها الأصيل الخالص وتوسيع نطاق العلم بها لكل مستوى ، وفى كل بيئة وتلكم بالفعل هى رسالة مجمع البحوث الإسلامية ، آمن أعضاؤه المجاهدون المبجلون بقدسيتها فتكفلوا برعايتها ، وأدائها بأمانة وإخلاص ، وقد تجلى ذلك بوضوح فى التواصل بينهم ، وفى عرض المشاكل التى تواجه المسلمين على اختلاف

بيئاتهم وأوضاعهم وعاداتهم، وبيان الرأى فيها ، بما يكشف ما استغلق فهمه منها ، وما استحدثه تطور العصر فيها ، ذلكم أن الإسلام دين يلبى حاجة البشر كافة ، عامتهم وخاصتهم، لا مسخ فيه ولا إسفاف ، ولا عسر فيه ولا إجحاف وإنما هو « صراط مستقيم » لا إعنات فيه للفكر السليم والبداهة المفيدة ، فهو بحق مدرسة جامعة تتسع لكل البشر ، تتطور فروع تعاليمها مع تطور العصور واختلاف الأزمنة والأمكنة ، مع ثبوت أصولها ورسوخ قواعدها .

أيها السادة :

إن اجتماعكم على هذه الصورة الكريمة المشرفة ، فى رحاب أزهركم وعلى اختلاف أقطاركم وتباعد دياركم ليؤكد التعاون الذى أمر الله به فى السعى فى سبيل الخير، وتوسيع للمعرفة بدينه (وتعاونوا على البر والتقوى) وبهذا صحت تسميتكم (هيئة الأمم الإسلامية) وإن كنتم جميعا فى الواقع أمة واحدة(إن هذه أمتكم أمة واحدة) ولهذه التسمية وزنها الفكرى والروحى وتأثيرها القوى المستمد من أرصدة الأمة الإسلامية من التاريخ الفكرى والاجتماعى والاقتصادى والسياسى تنهض بها فى كل العصور فكانت بحق خير أمة أخرجت للناس ، وعلى هدى هذه الحقيقة الإسلامية فى الوحدة كانت مناهج بحثنا مستهدفة الصالح العام بعيدة عن الأهواء والمناورات والضغوط التى تمارس فى الهيئات والمنظمات الأخرى لخدمة أغراض خاصة أو دول خاصة

أيها السادة :

حقا إن الإسلام دين يدعو إلى السلام ويحرص على التواد والتعاطف بين بنى البشر، ولا يحرض على العداوة أو الخصام : «يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة » وأهله مأمورون بأن يسالموا من يسالمهم وأن يعادوا من يعاديهم « فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم» وهم مأمورون كذلك بأن لا يبدأوا أحدا بعدوان « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا» ولكنهم مأمورون فى الوقت نفسه برفض كل سلام فيه ذلة وهوان « فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم » .

وفى ظلال من سماحة هذا الدين كانت البلاد الإسلامية حرما آمنا لليهود وغيرهم ممن اضطهدتهم أممهم فعاشوا فى الدول الإسلامية فى سلام وأمن، وربحت تجارتهم

وراجت بضاعتهم فى حماية للسلمين ورعايتهم، ولكن كثيراً منهم لم يحفظوا للعرب والمسلمين فضلهم عليهم فتنكروا لأولياء نعمتهم وعصبوا تراثهم . وكان من آثار ذلك تلك الأيام المريرة التى عشناها فى السنوات الأخيرة .

أيها السـادة :

إذا كان الاستعمار قد تمكن من إحراز انتصار مؤقت لربيبته إسرائيل فلا عجب فى ذلك فالحرب سجـال ، فيوم علينـا ويوم لنا ويوم نساء ويوم نسر ، سنة الله فى خلقه « ولن تجد لسنة الله تبديلا » .

إن جـلاء إسرائيـل عن الأرض التى احتلتها على مرأى ومسمع من الجمعية العامة للأمم المتحدة وتحت سمع وبصر القانون الدولى، الذى لا يعطى الحق لها فى التوسع عن طريق الحرب . أمر محتوم لامرية فيه وخاصة بعد أن جعل الله للأمة العربيـة فى قضائه رحمة ، فعرفت أنه حاسبها لترجع إليه ، وابتلاها لتقبل عليه ، فوعت من الهزيمة دروسا سطرها واقع المعركة بمداد من دم الشهداء الأبرار ، ولقد أثمرت هذه الدروس رجوعا إلى الله ، وخلقت إرادة صلبة قادرة على مواجهـة الموقف ، وعزما صادقا ، على مواجهة التحديات فى ثبات لا يتزعزع وإيمان بنصر الله الذى ينصر من يشاء وهو القوى العزيز .

والواقع أننا معشر المسلمين قوم حـكم علينا بمقتضى قواعد ديننا أن نكون أكثر الناس عدلا وأقواهم لدى الحق شكيمة ، وأقومهم سلوكا، وأوفاهم عهدا، وأغزرهم علما ، وألزمنا بأن نكون حكاما وساسة وعلماء وروادا ومعلمين وتجارا وعبادا فى وقت واحد آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنـكر وتؤمنون بالله » وعلى الرغم من هـذا فإن أكثرية المسلمين الآن على عكس ما اختط لهم القرآن الكريم من أهداف عليا ، وقررت لهم شريعتهم من قواعـد وسنن ، تراهم إذا شرق الإسـلام غربوا ، وإذا أقـدم أحجموا ، وإذا اتسع محيطـه انكمشوا وأحاطوا أنفسهم بنطـاق من الاعـتزاز بفخامة التراث الغابر وهم قاعدون سامدون، حتى انسلخوا من حكم الله فى كتابه عنه قوله : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » .

ومن أجل هـذا كانت المسئولية الملقاة

على عاتق العلماء كبيرة وخطيرة ومجال الدعوة إلى سبيل الله مفتوحا ، وهذا جهاد فى سبيل الله ؛ إذ أن الجهاد بالمال والنفس لا يكون بالحرب والفتح فحسب بل يكون بكل عمل صالح لخير عباد الله وينشر السلم وهداية الناس إلى ما تصح به نفوسهم وييسرن به للخير ومرضاة ربهم فى أمور دينهم ودنياهم (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون).

أيها السادة :

إن ملايين المسلمين فى أرجاء الدنيا تنظر إليكم فى لهفة مترقبة لما يروى ظمأها ويشفى غلتها بما تخرجون به على الوجود من بحوث تبصرهم بالحلول الحكيمة العادلة الرحيمة لما يعترض طريق الحياة من مشاكل ومن قرارات وتوصيات بما يهم العالم من أحداث تفاقم أمرها وباتت تنذر بحرب لا تعرف غير الخراب والدمار وإن نفوسا مؤمنة أرهقها ظلم الصهاينة الغاصبين باتت مبعثرة هنا وهناك تفزعها الفكرى ويعتصرها الألم آمنت بعد أن جربت بأن ما أخذ بالقوة لا يرد إلا بالقوة فحاولت جاهدة أن تصنع من عظام شهدائها حرابا مسمومة تسددها اليوم عظيم تدق فيه طريقها إلى ديارها السليبة، ولكنها أحوج ما تكون إلى من يؤيد نضالها ويسانده كفاحها ومن للمسلم سوى المسلم يسانده ويؤازره بالقول والعمل والمال (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله) (انصر أخاك ظالما أو مظلوما قالوا يارسول الله ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما ؟ قال : تحول بينه وبين الظلم) (مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر البدن بالحمى والسهر).

وأنتم أيها العلماء الأجلاء ، قمة الزعامة الإسلامية والرأى لكم ولنا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة القدوة والمثل الصالح ، فلم يكن يعمل لجاه وسلطان شخصى وإنما كان يمثل النموذج الذى يؤكد أن الدعوة الصادقة إلى الإسلام هى دعوة من أجل الإسلام وحده صادرة من قلب يؤمن بالله ، وعقيدة لا تهادن أعداء الدين ولا تناصرهم (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) (والعصر إن الإنسان لفى خسر إلا الذين

آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) .

وبعد : فليس من السهل علينا أيها السادة أن نجتمع اليوم هذا الاجتماع العظيم وقد غاب عنا الزعيم المرحوم الرئيس جمال عبد الناصر الذى كان ملء العيون ، ملء الأسماع ، ملء القلوب ، وغاب عنا ونحن أحوج ما نكون إليه وإلى سياسته الحكيمة وتوجيهاته الرشيدة ولكن هذا حكم الله ولا معقب لحكمه ، وهذا قضاؤه ولا راد لقضائه ، نذكره اليوم لأن مجمع البحوث أثر من آثاره ومؤتمرا هذا مظهر من مظاهر إيمانه ، رحمه الله . وجزاه عن كفاحه خير الجزاء ، وحيا الله عنا جميعا سيادة الرئيس محمد أنور السادات الذى كان خير خلف لخير سلف فى قيادته لمسيرة النهضة العربية بأمانة وكفاية وإخلاص والذى لا ننسى له اعتزازه بالأزهر وتكريمه لعلماء عندما قال لنا ونحن نؤيد إجماع الأمة على اختياره رئيسا للجمهورية لقد شرفتمونى بمجيئكم ، ومن الحق أن الأزهر هو الذى يجب أن يسعى إليه .

ونحن ننتهز هذه الفرصة لنجدد له عهد الوفاء للعمل على خير الأمة الإسلامية جمعاء ونشكر سيادته على رعايته لهذا المؤتمر وتشريفه لمهمته بإنابة السيد / الدكتور عبد العزيز كامل وزير الأوقاف وشئون الأزهر عن سيادته فى حضور حفل الافتتاح سائلا المولى جلت قدرته أن يسدد خطاه على طريق الجهاد حتى نسترد أرضنا ونستعيد كرامتنا تحت راية الإسلام .

(ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم) ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

د . محمد محمد الفحام

كلمة الأستاذ الدكتور عبد العزيز كامل
نائبًا عن السيد رئيس الجمهورية

بسم الله الرحمن الرحيم :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى عباد الله الذين اصطفى ، وعلى الآل والصحب ومن سار على هداهم إلى يوم الدين

أيها الإخوة :

تحية من عند الله مباركة طيبة .

ويسعدنى أن أحمل إليكم فى افتتاح المؤتمر السادس لمجمع البحوث الإسلامية تحيات السيد الرئيس محمد أنور السادات ، رئيس الجمهورية العربية المتحدة ، وتحيات الحكومة والشعب ، وأطيب تمنياتهم لكم بالتوفيق فيما أنتم بسبيله من خدمة الإسلام والعلم والسلام القائم على الحق والعدل .

أيها الإخوة :

فى لقائنا اليوم ترد إلى ذهنى قصة أحب أن أذكرها لكم .

فمنذ عامين كنت فى رحلة لزيارة بعض الشعوب والجماعات الإسلامية فى الشرق الأقصى ، وجمعنى لقاء مع نفر من أبنائها فى إحدى جزائر المحيط الهادى ، كانوا يعيشون معنا مأساة النكسة ، ويتابعون خطواتنا فى دعم القاعدة الشعبية ، وإعادة بناء القوات المسلحة ، وكانت لهم جهودهم — رغم بعد الشقة — فى مقاومة حملات الدعاية الإسرائيلية التى تشوه وجه الحقيقة ويعملون ويأملون أن يسعدوا معنا باستعادة أرضنا ومقدساتنا السليبة مسجدنا الأقصى الأسير وحقوق شعب فلسطين . قالوا لى :

لو كانت مصر عندنا شخصا فهى : جمال عبد الناصر .

ولو كانت عقيدة فهى الإسلام .

ولو كانت مؤسسة فهى الأزهر الشريف

وتحددت لى فى هذا القول أبعاد من المسئولية الكبيرة التى يحملها الأزهر على الصعيد العالمى ، وظل يحملها عشرة قرون ، مصرى الموقع عربى اللسان ، إسلامى العقيدة ، إنسانى الهدف ، باسطا يده بالخير لكل عالم وطالب علم ، وبالمقاومة العنيدة لكل غاصب فى حيوية متجددة مستمرة . . استمرار نداء الصلاة وتلاوة

القرآن ، تحيا به القلوب كما تحيا الأرض بماء السماء .

ولقد ظل الأزهر يمارس تطوير ذاته عبر القرون :

* فى مبناه يضم الرواق بعد الرواق ، والمدرسة بعد المدرسة .

* وفى علومه يضم الجديد إلى الأصيل

* وفى رحابه يلتقى أبناء العالم الإسلامى وقد تساقطت دونهم حجب التفرقة العنصرية والعصبية الإقليمية ، والفروق الاجتماعية والاقتصادية فى إخاء كريم .

* وفى تفتحه يبتكر الفكر الذى يلتقى بالحياة فى مسيرتها الدائبة .

وها نحن الآن نجتمع فى مؤتمرنا السادس ومؤتمرنا الأول بعد رحيل القائد القومى جمال عبد الناصر ، ونذكر كيف لقيناه بعد مؤتمرنا الماضى وتحدث إلينا حديث العقل والقلب والمسئولية .

إن تطوير الأزهر وإنشاء مجمع البحوث الإسلامية ، ولقاءنا من أجل ربط الدين بالحياة ذلك من بعض غرسه .

وعلى يده ارتفعت ميزانيـة الأزهر من ٩ر٠ مليون قبل الثورة مباشرة إلى ٣ر١ مليون فى مطلعها إلى ٣ر٧ فى عام ١٩٧٠ .

وعلى الصعيد الجامعى الأزهـرى زاد عدد الطلاب من ثلاثة آلاف إلى أربعة وعشرين ألفا ، والكليات من ثلاث إلى ثلاث عشرة ، وأنشأ مدينة ناصر للبعوث الإسلامية ، تسع أكثر من ثلاثة آلاف من طلاب العلم يمثلون نحو سبعين دولة ، يعيشون الإخاء والسماحة والمحبة .

وأذكر الرئيس ـ رحمه الله ـ وقد وقف على منبر الأزهر عام ١٩٥٦ وقد ارتفع صـــوته : سنقاتل .. سنقاتل . وأذكره واقفاً فى المحراب ، وساجداً لله فى صلواته ، ثم أذكر ابتسامته الأخيرة بعد أن استطاع أن يجعل الأيدى العربية تتصافح بعد أن سالت دماء طاهرة ما أغلاها وما أحوجنا إليها فى معركة المصير .

كانت ابتسامة الوداع ومضى الرجـل الكبير .. الذى عاش حياته لا يملك بيتاً ، وفى موته لا يملك قبرا .. ووسده شعبه المحب فى رحاب بيت من بيوت الله .. يتلى فيه القرآن ، ويرتفع فوقه الأذان ليكون دائماً .. فى صحبة الركع السجود .

كان هذا فى ذكريات الإسراء من عامنا الماضى وأجمعت أمتنا فى صبيحة النصف من شعبان على رفيق دربه ونضاله :

الرئيس محمد أنور السادات ليتابع المسيرة فوق صخور المؤامرات الاستعمارية ، ووسط غيومها وعواصفها ، ومسحت أمتنا من عيونها دمعة الحزن ، بيد الإيمان والنضال . ووقفت فى جلال المأساة ترقب الأفق وتحرس الأرض الغالية .

أيها الإخوة :

لم يكن هذا مصابنا وحدنا .. وإنما مصاب كل عربى ومسلم وكل محب للإنسانية والسلام وكان علينا أن نضاعف الجهد فى جبهة القتال وفى القاعدة الشعبية .. وأصبح الوطن كله كيانا واحداً يحمل كل مواطن فيه سلاحه .. دفاعا وإنتاجا .. الزارع بفأسه ، والعامل بمطرقته ، والعالم فى مختبره ، والواعظ فى المسجد والخطوط الأمامية ..

وتدعم اللقاء بين الدين والحياة .. فالجيش مؤمن ، ورجل الدين الآن يعمل فى الخطوط الأمامية .

ومع تصاعد الموقف حسر العدو الإسرائيلى ومن وراءه من قوى الاستعمار عن الوجه الحقيقى .. الرغبة فى مزيد من الأرض العربية الغالية ، إهدار حقوق شعب فلسطين .

أيها الإخوة :

فى هذه الظروف للمسيرة الملتقى .. وليس أحد أشد إحساساً بالمسئولية من أحد ، ذلك لأننا كما تعلمنا من رسولنا عليه الصلاة والسلام (كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) .

وأقف فى هذا الحديث عند كلمة واحدة « تداعى » وأحس أن هذه الكلمة قد تجسمت أمامى سؤالا يحتاج إلى إجابة :

— ما مظاهر هذا التداعى ؟

— مزيد من القرارات ؟

— مزيد من البحوث ؟

— مزيد من النداءات ؟

لقد عبرنا عن هذا كله فى لقاءات سابقة وأذكر أن وصية السيد الرئيس جمال عبد الناصر لنا قبل أن يترك أرضنا إلى جوار ربه . أن نحول قراراتنا إلى خطة عملية .. وأعطانا المثال مما يصنعه أعداؤنا والترابط العضوى القوى بين إسرائيل ومن وراءها من قوى الاستعمار والصهيونية العالمية .

واعتقد أننا على علم واضح بما يصنعه

الأعداء .. وكيف تعبر هذه القوى من علاقتها بإسرائيل .

أيها الإخوة :

هل نستطيع فى هذا العام أن نعيد النظر فى أسلوب عملنا ؟ وأن يكون لقاؤنا فرصة لنقوم ما قمنا به من جهد وما علينا أن نقوم به محدداً واضحاً ؟

أعتقد أننا فى أشد الحاجة إلى ذلك .. وأن فى قائمة الإيجابيات أشياء كثيرة ، وأن فى قائمة السلبيات ما يحتاج إلى مراجعة.

ولو نظرنا من موقع عملنا لرأينا جوانب مضيئة والحمد لله :

١ — هناك أولا هذا العمل الدائب على المستوى العلمى فى جبهة القتال .

٢ — وهناك الإنتاج المستمر دعما للقاعدة الاقتصادية التى تمد الجيش بحاجته.

٣ — وهناك مظاهر كريمة من التعاون والدعم العربى للمعركة .

٤ — وهناك رغبة واضحة فى تنظيم العمل الإسلامى العالمى من أجل القضية المصيرية ومن أجل حياة أفضل على أساس من الإيمان والعدل والسلام .

ولقد شهد العام الماضى أكثر من لقاء لمنظمات إسلامية عالمية على جبهة تمتد من قلب العالم الجديد عابرة المحيط الأطلسى إلى أقصى المغرب مارة بتونس وليبيا والقاهرة ، مهبط الوحى والشرق الأقصى واستهدفت هذه المؤتمرات التنسيق بين بين منظمات ذات طبيعة إسلامية عالمية .

ولقيت فى زيارتى فى العام الماضى بعض الإخوة الفضلاء القائمين بأمر هذه المؤسسات لقيتهم فى القاهرة وفى أقطارهم المباركة وأشهد أنى وجدت منهم الترحيب الكامل بأن يصعد هذا التعاون خطوة أخرى ، بحيث يكون لنا لقاء يمثل أكبر قطاع ممكن من العالم الإسلامى والمسلمين .

ولكن لا تزال الكلمة مع كرامتها علينا جميعا — لها نصيب كبير حتى كادت أن تصبح هى العمل ... أن يكون عملنا أن نقول .

والآية الكريمة واضحة فى أنهما أمران « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا .. » ونحن ندعو ربنا فى صلاتنا « إهدنا الصراط المستقيم » والصراط طريق ونحن محتاجون إلى أن يزداد السائرون فى طريق العمل عددا وقدرة بحيث يكون إنتاجهم من أجل قضية المسير ملموسا محسوسا منظما .

هذه الترجمة من الكلمة إلى العمل هى التحدى الكبير الذى يقابلنا فى هذه الظروف المصيرية .

أيها الإخوة :

وأعود إلى هذا العام الذى نحن فيه .. وأذكر أن هيئة الأمم المتحدة قد اختارته عاما دوليا لمقاومة التفرقة العنصرية . واختارت يوم ٢١ مارس ليكون يوما عالميا لذلك .. وهو ذكرى مذبحة شاربفيل فى جنوب أفريقية عام ١٩٦٠ عندما سقط برصاص الغدر ٦٩ إفريقيا قاموا يطالبون بحقهم فى الحياة .

وأذكر إخوتى فى الأرض السليبة .. وأذكر أبشع أنواع إهدار الكرامة الإنسانية فى إسرائيل وأذكر قبل شاربفيل دير ياسين فى ١٠ أبريل سنة ١٩٤٨ .

مائتان وخمسون عربيا ، ما بين رجل وامرأة وطفل ذبحهم الغدر الإسرائيلى ومثل بأجسامهم ، بقروا بطون الحوامل . ذبحوا الرضع أمام أعين النساء وقطعوا أوصالهم . وجمع العدو الغادر أوصال الشهداء وألقاها فى بئر ليحول بينها وبين مندوب الصليب الأحمر الدولى .

وارتفعت بعدها أصوات رجال الهجناه — وكان طريق (أريحا) لا يزال مفتوحا — أيها العرب اختاروا بين هذا الطريق أو مصير دير ياسين .

كان هناك طريق من دير ياسين فى فلسطين إلى شاربفيل فى جنوب أفريقية إلى مذبحة ماى لاى فى فيتنام فى ١٦ مارس سنة ١٩٦٨ بل طريق بينها وبين كل مذبحة أهدرت كرامة الإنسان .

وإذا كنا نشارك الأمم المتحدة فى العام الدولى لمقاومة التفرقة العنصرية فنحن نشارك بآلامنا ودمائنا وشهدائنا وحقائق معركتنا .. ومبادئنا التى نادت بكرامة الإنسان ولا يزال صوت الهاجاناه على لسان العدو : اختاروا بين هذا الطريق وبين طريق دير ياسين .

ولكن امتنا قد اختارت طريق الجهاد الدائب .. يستشهد فيه الرجال والنساء والولدان كما تستشهد المساجد وفى حبة القلب مسجدنا الأقصى الشهيد .

أيها الإخوة

ماجئت إليكم اليوم لأجمل أكثر القول عما كان وما هو قائم ، ولكن لنتعاون معا من أجل ما ينبغى أن يكون ولنجعل من طاقة الحزن والإحساس

بالمسئولية طاقة عمل تكون لنا زاد النصر والنور الذى يسعى بين أيدينا وبأيماننا ، يوم نلقى الله .

أيها الإخـوة

حياكم الله فى مؤتمركم هذا ، وتحية من قلوبكم وقلبى إلى كل جندى على خطوط المواجهة ، وكل مجاهد من أجل الأرض السليبة .

تحية إلى كل كلمة طيبة وكل ضربة فأس وكل إنتاج مصنع وكل تأييد مخلص كريم وكل جهد أو دعم يثرى الوجود العربى والإسلامى فى نضاله الدائم من أجل الحق والسلام القائم على العدل .

وأدعوا الله أن يتقبل شهداءنا وأن يبارك فى جهود العاملين وأن يجمع قلوب العالم العربى والإسلامى ملوكا ورؤساء وحكاما وشعوبا على الخير ، وأن يكتب لنا صلاة تجمعنا فى المسجد الأقصى يوم يعود السلام إلى أرض السلام .

وما النصر إلا من عند الله .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

د . عبد العزيز كامل

كلمة فضيلة الأستاذ الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار

أمين عام مجمع البحوث الإسلامية

الحمد لله .. نستعينه ونستهديه ونتوكل عليه ، ونصلى ونسلم على سيدنا محمد قدوة أهل الحق واليقين ، والمبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه والتابعين الذين آمنوا به وعزروه ونصروه ...

« أولئك الذين هدام الله وأولئك هم أولو الألباب » .

أيها السادة .

فى كل دورة من دورات انعقاد مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية ، عاما بعد عام ، يتطلع الأزهر الشريف بصفة خاصة ، والجمهورية العربية المتحدة بهيئاتها المختلفة إلى يوم لقائكم ، والترحيب بكم .. لقائكم فى رحاب الأزهر الشريف .. كعبة العالم الإسلامى الفكرية ، ومنهله الفياض للثقافة الإسلامية ، وعلوم الدين والعقيدة ، والتشريع واللغة . ومن عام لعام يعد علماء المسلمين أبحاثهم ويجمعون آراءهم ، ويستحضرون ما يعرض لهم من أفكار وآراء ، علمية كانت أو إصلاحية ، نظرية كانت أو عملية ، ليفرغوها فى قالب مقترحات تبحث ... أو قضايا تدرس ، أو أبحاث تتبادل فيها وجهات النظر ، ليخرجوا منها فى هذا المؤتمر برأى موحد مدروس ، ومنهج واضح محدود ، يساعدون الله على بثه بين أممهم والعمل على جعله واقعا حيا فى جوهر حياتهم ، وعلى أن يكونوا أولياء لهذه المقررات ، باذلين كل جهد وطاقة لتطبيقها عمليا ، حتى تؤتى ثمارها ، وينعم بها المسلمون فى شتى أنحاء العالم .

لقد التقينا من قبل فى رحاب الأزهر الشريف . فى خمس دورات ، تمثل خمسة مؤتمرات إسلامية عالمية ، تجاوبت فيها عواطف ممثلى المسلمين فى العالم أجمع ، وتكاشفوا بمشاكلهم ، وعرض قضاياهم التى يعانون منها على بساط البحث والدراسة ، ليكون لهم من وراء ذلك قرار عالمى صادر عن قلوب مفعمة بالإخلاص والحب وعقول كبيرة هادفة ترنو إلى تخليص دنيانا بصفة عامة ، والعالم الإسلامى بصفة خاصة من ويلاته ومشاكله التى يقاسيها ، تلك المشاكل التى تقف حجر عثرة فى سبيل تقدم حركة الإنسانية ، قاطبة إلى الخير

والحق والسلام، وفي سبيل المد الهادر لحركة الدعوة الإسلامية المستنيرة، التي تهدف إلى رفع مستوى الوعي العالمي للفكر الإسلامي السليم، وتحقيق تعاليم الرسالة الخالدة في عموم دعوته ﷺ ...

« وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا ».

وقد شاءت إرادة الله أن ينعقد اليوم مؤتمرنا السادس لمجمع البحوث الإسلامية وسط موجة هوجاء، من تهديدات الحركة الصهيونية العالمية، وتوعدها ديار الإسلام والمسلمين، والتهامها السور للأماكن المقدسة عند جميع الأديان.

غير أن ذلك ليس بغريب عليكم ولا جديد في تاريخ كفاحكم، فبين حركة الجهاد الإسلامي ومؤامرات ذلك العدو، حروب مستمرة منذ فجر الدعوة الإسلامية، وحتى يومنا هذا، إنها صفحات ساخنة، سجل فيها الإسلام انتصاراته التاريخية التي غيرت وجه الأرض، وحددت المفاهيم الحقيقية للقيم الإنسانية، وبعون من الله سنسجل كما سجل أسلافنا - صفحات أخرى في تاريخ الانتصارات الإسلامية، على أعداء الإنسانية والسلام.

لذلك لا ينبغي أن يقتصر جهود المؤتمر العالمي لمجمع البحوث الإسلامية على المسائل العلمية، والفقهية النظرية فحسب دون عناية بأحداث الساعة وقضايا المسلمين، فقد قال رسول الله ﷺ:

« من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم »

أيها السادة:

لقد اتسعت رسالة الإسلام، لمواجهة مشاكل المسلمين في مختلف جوانب حياتهم، وجاءت تعاليمه وافية بكل أغراضهم في عاجلتهم وآجلتهم، وقد طلب الإسلام من أهل الحل والعقد، وهم أهل الرأي والفكر والفقه والبصر بشئون الدين، أن يتخذوا المواقف الإيجابية، والخطط السديدة، والتدبير الحكيم، في مواجهة كل هذه المشكلات.

ولا تتحقق هذه المواجهة الحازمة الحكيمة، بخطبة تلقى، أو بحث يقدم أو قرارات تنشر، أو مقال ينمق، أو عبارات حماسية رنانة، وإنما تتحقق بالإصرار بعزيمة وإخلاص على ترسيخ المفاهيم الإسلامية، والقيم الإنسانية، في أذهان عامة المسلمين، ثم في العمل الدائب المثابر على صبغ واقع الحياة بها، وجعلها منهجا لسلوكنا ودستورا لحياتنا، وهذا أسمى لكل ما نملك من جهد، وما نبذل من تضحيات وما نذخر من إمكانات وطاقات

عندئذ تلتقى الفكرة بالواقع ، وتصبح العقيدة عملا إيجابيا خلاقا ، ويصير المبدأ حقيقة حية تسعى بين الناس ، فتغمرهم بالخير وتقودهم إلى الحق ، وتصبح سددا إلهيا وتوفيقا ربانيا ، يهيىء لهم من أسباب النصر ما يحتسبون وما لا يحتسبون ، ومن عوامل النجاح أكثر وأوفى مما يتوقعون

إن سعادة الإنسانية - أيها السادة - وتحقيق الحياة المثلى لها ، وعلى الأخص فى مجتمعاتنا المعاصرة ، لا يمكن أن تنال إلا إذا حكمت حياتها بأمرين : الدين والعلم ، فالدين يرشدها إلى الطريق المستقيم ويبصرها بالفضائل والقيم ، وينمى فيها الخلقية الرفيعة العظمى الباعثة على الإيثار والتضحية ، وإنكار الذات فى سبيل المبدأ والكرامة الإنسانية ، أما العلم فيخدم جانبها المادى مع واقع حياتها ، مما تقتضيه ظروف هذه الحياة ، وبمقدار ما ينجح المصلحون فى تحقيق التوازن فى ذواتهم - بين جانبهم الروحى المتمثل فى تعاليم الدين ، وجانبهم المادى المتمثل فى قواعد العلم وحقائقه يكون حظهم من النجاح فى تحقيق الحياة الأفضل والوجود الأكمل .

أيها السادة :

ولسوف تعرض على حضراتكم خلال هذه الدورة فى مؤتمركم السادس مواضيع شتى ، فى مختلف الجوانب الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية ، مما له اتصال وثيق بالمجتمع العالمى كله سلوكا ونظاما وعملا ، لتناقشوه وتخرجوا منه برأى موحد ، ونتائج واضحة حاسمة ، تقدمونها إلى مجتمعاتكم ، داعين إليها - كما أمركم الله - بالحكمة والموعظة الحسنة ، ومحاولين ما استطعتم تنفيذها فى مختلف القطاعات ، كما تتطلبه ظروفنا الراهنة .

ومازال التفرقة العنصرية حتى الآن ، تجتاح بسلطان القانون الأمم المتحضرة فى العالم ، رغم التقدم العلمى والحضارى ، ووجود الأمم المتحدة التى اعترفت بحقوق الإنسان وتحتفل بها .

وما يزال العدوان على الأديان فى إسرائيل قائما ، تحت سمع المجتمع الدولى كله ، بل مازالت العنصرية هى الأساس فى قيام إسرائيل على أشلاء شعب عربى ، عاش فى فلسطين منذ خلق الله جبالها ، وشق وديانها ، وأجرى أنهارها ولسوف يعيش عليها بإذن الله بعد التحرير

وما تزال هناك فى كل الدنيا قضية الإنسان وحقوق الإنسان ، والإسلام دين الله ودين الحضارة والتقدم ، عالج كل هذه الأمور ، والجماهير الوفية لدينها الغيورة عليه تطالبنا ببيان حكم الإسلام ، شريعة الوجود وشريعة الخلود .

أيها السادة الأفاضل :

لا أريد أن أستغرق كثيرا من وقتكم ، فى تقديم بيان شامل مفصل عن منجزات المجمع ، وجهوده فى مختلف جوانب رسالته ، ولا عن القرارات التى اتخذتموها فى مؤتمراتكم السابقة ، وآثارها الطيبة فى محيط المجتمعات العالمية ، إسلامية وغير إسلامية ، ولا عن الجهود المشكورة المبذولة من السادة أعضاء المجمع ، ومراسليه وأروقته ولجانه وأجهزته المختلفة ، فقد اكتفيت من هذا كله بتقديم الدليل المطبوع الذى بين أيديكم ، لتطالعوا فيه هذه الجهود المشرقة ، والمنجزات الطيبة ، وتروا من خلال ذلك العمل الدائب المثابر فى خدمة البحث العلمى ، والتراث الإسلامى ذلك النمو المطرد فى مطبوعات المجمع ، نوعا وكما وكيفا والذى نأمل أن يزداد إن شاء الله بمضاعفة جهودكم وصدق إخلاصكم انساعا ونموا عاما بعد عام .

وإنه لمما يسرنى ويسركم جميعا ، أن أنوه هنا بالجهود الجبارة التى بذلها السادة العلماء ، ممثلو الدول الإسلامية ، بعد عودتهم إلى بلادهم من مؤتمر المجمع الخامس من أجل نشر توصيات المؤتمر ومقرراته ، وتبليغها إلى الجهات المختصة فى الحكومات والهيئات المختلفة ، لتنفيذها وترسيخها بينهم ، لتكون مراكز الانطلاق والنشاط الإسلامى المساند مساندة جدية فعالة للنشاط القومى والسياسى فى هذه البلاد ، كما تصوره الوثائق والمكاتبات الواردة إلى المجمع ، فى أندونيسيا ، فى ماليزيا ، فى الهند ، فى اليمن ، فى لبنان ، فى المغرب ، فى يوغسلافيا ، فى النمسا ، فى سيلان .

وإنى أنتهز هذه الفرصة لأعلن من فوق منبر هذا المؤتمر السادس ، وباسم الأمانة العامة للمجمع ، عظيم تقديرنا وغبطتنا ، ونقدم خالص شكرنا إلى هؤلاء السادة الأفاضل الذين سعوا إلى تحقيق هذه النتائج من غير ذكر أسمائهم انكارا للذات وطلبا للجزاء الأوفى من الله وحده .

ومرة أخرى : أيها السادة العلماء — أحييكم وأهلا بكم مرة أخرى فى ضيافة جزء حبيب إلى نفوسكم ، من وطنكم الإسلامى الكبير وفى رحاب بقعة قدسية مباركة هى الأزهر الشريف .

فباسم الله تبدأ قافلتنا المسير والعمل .

« فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له كاتبون » .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

د . محمد عبد الرحمن بيصار

كلمة الوفود*

لسماحة الأستاذ عبد الله غوشة
وزير الشئون الدينية بالأردن سابقاً

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .

السيد مندوب السيد سيادة رئيس الجمهورية

فضيلة الإمام الأكبر رئيس المؤتمر

أيها السادة الكرام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فإنه لشرف عظيم لى بأن أعهد بإلقاء كلمة إخوانى وفود المسلمين وعلمائهم إلى هذا المؤتمر العتيد . ويسرنى أن أشكر باسمهم سيادة الرئيس السيد أنور السادات الذى تفضل برعاية هذا المؤتمر وأناب سيادته سيادة وزير الأوقاف وشئون الأزهر فأضفى على المؤتمر قوة وروعة .

وأن أشكر باسمهم فضيلة الإمام الأكبر دعوته الكريمة التى أتاحت لكل منا فرصة اللقاء بصفوة مختارة من علماء المسلمين ورجالاتهم من مختلف الأقطار الإسلامية .

وإنها لمناسبة كريمة تلتقى فيها هذه الجموع الكريمة لينظروا فى شئون المسلمين وما يحيط بهم من شدائد ويقـولوا كلمتهم فى الأحداث الخطيرة التى يمر بها المسلمون والعرب فى هذا الظرف العصيب .

وإنه لمما يؤلم النفس ويحز فى الفؤاد أن يعقد مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية هذا العام بعد أن أصيب العالم الإسلامى والعربى منذ بضعة أشهر إصابة مؤلمة فى الصميم بفقد بطل من أعظم أبطالهم وزعيم من أجل زعمائهم وقائد من أخلص قوادهم . كان فى مقدمة إخوانه القادة الذين قادوا الأمة قيادة حكيمة وساسوها سياسة رشيدة ورسموا لها الطريق القويم فى هذا العصر لتحقيق أهدافهـا والوصول إلى آمالها وأمانيها .

ــــــــــــ

* المغفور له الرئيس جمال عبد الناصر ، الذى سطر صفحة مشرقة نيرة فى تاريخ هذه الأمة وإن أبناء فلسطين خاصة وأبناء العرب والمسلمين عامة لم ينسوا تلك المواقف البطولية الرائعة التى وقفها الرئيس الراحل والتى كان آخرها حقن الدماء فى الأردن بين الإخوة الأشقاء ، ولقد دفع حياته ثمنا لهذه

المواقف العظيمة فاختاره الله إلى جـواره وكنفه بعد أن قام بواجبه خير قيام نغمده الله برحمته وجزاه عن فلسطين وعن العرب والمسلمين خير الجزاء.

ولقد كان من توفيق الله تعالى أن اختارت الأمة زميله ورفيق دربه وجهاده الرئيس أنور السادات وهو المعروف برزانته وحصافته وبحزمـه وعزمه وقـوة إيمانه ليكون خلفـا له فى قيادة الأمـة وكان لاختياره صـدى ارتياح عظيم فى العالمين العربى والإسلامى واستبشر الجميع خيرا.

وإننا لنسأل الله عز وجل أن يوفقه لما يحبه ويرضاه وأن يسدد خطاه وينهج أمامه طريق الحق والخير ليحذو حذو سلفه ويتبع خطاه فى قيادة الأمة وتدبير أمورها لتصل إلى أهدافها وتسترد بلادها وتعيد للعرب عزتهم وترجع للمقدسات حرمتها وكرامتها وتلقن العـدو درسا قاسيا فى أن العرب والمسلمين لن يسكتوا على ضيم ولن يصبروا على ذلك.

أيها السادة:

إن مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية يعقد هذا العام أيضاً والعدو قد مضى على احتلاله لبلاد العرب والمسلمين ما يقرب من أربع سنوات يصول فيها ويجول ويأتمر ويتحكم على أرض بلادنا وتحت سمائها يقيم سياسته فيها على التمييز العنصرى يقتل ويعتقل ويخرج ويطرد وينسف ويهدم ويصادر الأموال ويسن القوانين الظالمة ليحرم أصحاب الحقوق من حقوقهم ويعتدى على المقدسات: يحرقها ويهين كرامتها غير حاسب لأحد حسابها ولا مبال بالرأى العام العالمى ولا عابئ بمبادئ العدالة والإنسانية.

ولا يزال يتمادى فى عدوانه وطغيانه ويسعى حثيثـاً لتهويد مدينة القدس التى جبلت تربتها بدماء الشهداء الأبرار فى مختلف العصور ويقيم العمارات الكبيرة السكنية ليسكن فيها اليهود الذين يأتى بهم من مختلف البلاد ليغير معالم القدس ويزيل الصبغة الإسلامية والعربية عنها.

كما أنه يسعى حثيثاً لامتهان كرامة المسجد الأقصى المبارك تارة باتخاذ ساحاته التى هى جزء منه مكانا لتجمع أبنائه وإقامة صلواتهم وشعائرهم مستخفاً بشعور مئات الملايين التى تهفو إليه قلوبهم فى المشارق والمغارب وتارة بإحراقه وأخرى بإجراء الحفريات تحته لانهياره وإزالتـه حتى يقيم هيكله المزعوم على أنقاضه.

وليس لنـــا من سبيل إلى مواجهته والتغلب عليه إلا بالرجوع إلى الله باجتماع كلمتنا وتوحيد صفوفنا وائتلاف قلوبنا ونبذ خلافاتنا وإعداد العـــدة الكافية الروحية والمادية .

ويجب أن تكون الجهود متضافرة فى مواجهة العـدو فى ميادين القتال وفى ميادين السياسة وأن يكون خط السـير واحداً والكلمة واحدة .

(إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص).

وعلينا أن نرد على تعنت العدو وتصلبه وتهدده فى الاحتفاظ ببعض الأراضى والمدن العربية والإسلامية بأننا لن نتخلى عن شبر واحد من أراضينا وبلادنا وفى مقدمتها مدينة القدس الخالدة ، وإننا سنعمل ونجاهد ونكافح ونقاتل بمختلف الطرق وشتى الأساليب لتحرير بلادنا .

إن الجهاد وقد اعتدى العدو على بلاد العرب والمسلمين أصبح فرض عين على كل مسلم قادر بالنفس والمال ، والجهاد وقد تعنت العدو فى موقفه وتهدد فى عـدم الانسحاب من بلادنا وتصلب فى تحقيق أطماعه التوسعية أصبح هو الطريق الوحيد الذى يجب أن يسلكه العرب والمسلمون لتحرير بلادهم وإنقاذ مقدساتهم .

إن المسلمين والعرب عليهم واجب الدفاع عن بلادهم ومقدساتهم وعن المسجد الأقصى المبـــارك أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين والذى هو جزء من عقيدتهم .

ولا يكفى الدفاع بالقول وإظهار الشعور والاستنكار وتقديم الاحتجاجات بل لابد من العمل النافع البناء والدفاع بالمال والنفس لإزالة العدوان وإنقاذ المقدسات .

فإن فلسفة الاحتجاجات والاستنكارات أصبحت فى هذا الوقت العصيب عقيمة عديمة الجدوى لا تعيد حقاً ولا ترجع أرضا ولا تنقذ مسجدا فلا يفل الحديد إلا الحـديد ولا يقابل القوة إلا القوة وليس للضعيف مكان فى هذه الحياة .

وإن الله عز وجل لسائل كل مسلم عما بذله من جهود وما قدمه من تضحيات فى سبيل تحرير بلاد العرب والمسلمين وإنقاذ مقدساتهم ولن يقبل الله تعالى للمسلمين معذرة فى التخلف عن القيام بواجبهم فى هذا السبيل .

(انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون).

إن كل تقصير أو تقاعس ستكون نتائجه سيئة وعواقبه وخيمة على المسلمين والعرب جميعا فالعدو لا تقف أطماعه عند حد معين وهو يطمع فى مملكة من النيل إلى الفرات بـل يطمع فى أكثر من ذلك يطمع فى المدينة وما حولها بل يطمع فى بلاد إسلامية وعربية أخرى .

فـلا يحق لمسلم أن يغمض له جفن أو تنام له عين وبلاد العرب والمسلمين ومدينة القدس الخالدة أرض الإسراء والمعراج والمسجد الأقصى المبارك تحت قبضة الأعداء وسيطرتهم .

أيها السادة :

إن هـذه هى الأيام الخطيرة فى تاريخ العرب والمسلمين بل هذه هى الساعات الرهيبة التى تمتحن فيها قوة إيمانهم وسلامة يقينهم وثباتهم على الحق فبالاتحاد والتعاضد يقوى بأسهم وتشتد شوكتهم .

(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا)

وقبل أن أترك مكانى أرجو أن أقترح باسم إخوانى وفـود المسلمين على مؤتمركم الكريم مناشدة زعماء الباكستان وقادتهم المحافظة على وحدة بلادهم وعلى تجنب كل ما يؤدى إلى انقسامهم وتمزقهم وإضعافهم وأن يحذروا ما تحيكه لهم الأيادى الخفية التى تتآمر على الإسلام والمسلمين .

فباكستان فى مقدمة الدول الإسلامية التى وقفت بجانب إخوانها العرب والمسلمين فى قضية فلسطين وفى جميع قضاياهم وفى مختلف الميادين فعلى المسلمين الاهتمام بها والعمل على تحقيق مصالحها ودرء مفاسدها وإبعاد الشر عنها .

(من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم)

فقوة باكستان قـوة للمسلمين والعرب فى كل مكان وهى من أكبر حصون المسلمين وقلاعهم فى العالم .

وأختتم كلمتى بأن أوجه باسم إخوانى الوفود الشكر الجزيل للجمهورية العربية المتحدة حكومة وشعبا وعلى رأسها سيادة الرئيس الجليل السيد / أنور السادات على ما لقيناه ونلقاه فى رحابها من الحفاوة والتكريم .

وأسأل الله رب العالمين أن يحفظها ويديمها ويبقيها حصنا حصينا للمسلمين ودرعا واقيا للعرب أجمعين .

والله من وراء القصد .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

عبد الله غوشة

المؤتمر السادس
لمجمع البحوث الإسلامية

هذا هو اللقاء السادس الذى ضم وفود الصفوة من علماء المسلمين فى القاهرة .

وقد اجتمعوا فى جو يسوده الاهتمام البالغ بمصير العروبة والإسلام فى صراعهما مع الاستعمار والصهيونية .

وتم لقاء أول مرة — هذه الدورة — فى الأزهر الشريف كعبة المسلمين العلمية وللنبع العام لجميع الشعوب التى تدين بالإسلام فأدوا صلاة الجمعة فى محرابه يوم ٢٩ من المحرم ١٣٩١ هـ ، الموافق ٢٦ من مارس ١٩٧١ م .

ثم توجهوا بعد الصلاة إلى قبر الرئيس الراحل جمال عبد الناصر حيث قرأوا الفاتحة ترحما على روحه .

ومساء نفس اليوم أقام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ورئيس المؤتمر حفل استقبال فى فندق هيلتون ميرامار .

وفى الصباح من يوم السبت كان حفل افتتاح المؤتمر الذى ضم كثيراً من المدعوين غير الأعضاء بقاعة الاحتفالات بديوان محافظة القاهرة .

وقد أناب الرئيس أنور السادات الأستاذ الدكتور عبد العزيز كامل وزير الأوقاف وشئون الأزهر عنه فى افتتاح المؤتمر ، وكلمات الافتتاح يجدها القارىء فى هذا العدد .

وفى مساء السبت بدأت جلسات المؤتمر وأخذت وفود المؤتمر فى الكلمات المعبرة عن تقديرهم للجمهورية العربية المتحدة ، ومشاركتهم آلام وآمال الأمة العربية فى كفاحها مقدمين مقترحاتهم فيما يرونه من مشاكل العالم الإسلامى وقضاياه .

وابتداء من صباح الأحد أول صفر ١٣٩١ هـ الموافق ٢٨ من مارس ١٩٧١ م فى جلستى الصباح والمساء أخذ أعضاء المؤتمر فى تقديم بحوثهم المستفيضة حتى انتهت الفترة الأولى مساء الخميس ٥ من صفر ١٣٩١ هـ بإعلان القرارات والتوصيات الآتية :

بسم الله الرحمن الرحيم

إنطلاقاً من إيمان عميق بوحدة الكلمة الإسلامية التي دعا إليها القرآن الكريم والرسول عليه الصلاة والسلام :

وتلبية لدعوة الإسلام إلى التعاون على البر والتواصي بالحق .

وحشداً للعزائم الصادقة لمواجهة أدق مرحلة يجتازها الوطن العربي والأمة الإسلامية في مجابهة العدوان الصهيوني الذي نزل بأجزاء عزيزة ومقدسة من الأراضي الإسلامية والعربية .

اجتمع علماء المسلمين الممثلون لإخوانهم في خمس وثلاثين دولة في القارات الثلاث : آسيا وأفريقية وأوربا وأمريكا اللاتينية ، تلبية لدعوة مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر لعقد مؤتمره السادس في ظل كتاب الله تعالى وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام .

وقد ألقيت فيه البحوث ودارت المناقشات في أسبوع أظله الوفاق واجتماع الكلمة على ما فيه خير الإسلام والمسلمين .

وقد بدأ المؤتمر في يوم الجمعة ٢٩ من المحرم سنة ١٢٩١ هـ الموافق ٢٦ من مارس (آذار) سنة ١٩٧١ م بلقاء الأعضاء في الجامع الأزهر لتأدية صلاة الجمعة .

ثم استمرت جلساته صباحاً ومساء حتى يوم الخميس ٥ من صفر سنة ١٢٩١ هـ الموافق أول إبريل (نيسان) سنة ١٩٧١ م .

وقد خصص للمؤتمر الجزء الأكبر من نشاطه للبحث في العدوان الإسرائيلي الصهيوني على أرض فلسطين السليبة ، وعلى الدول العربية المجاورة لها ، ولكن اهتمام المؤتمر بهذه المحنة الأليمة وتركيزه عليها لم يصرفه عن بحث عدد من المشكلات التي تواجه الإسلام والمسلمين في حياتهم الدينية والاجتماعية والاقتصادية .

وتحت لواء الإسلام وتعاليمه وعلى هدى من حقائق التاريخ واستناداً إلى المبادىء الإنسانية وما تواضع عليه العرف الدولي وتعبيراً عن إجماع علماء المسلمين يقرر المؤتمر ما يأتي :

١ — مطالبة الدول والشعوب الإسلامية بدعم وتأييد الشعب العربي الفلسطيني وسائر الشعوب العربية والمقاومة العربية في العمل الجدي الدءوب لتحرير الديار وسائر المقدسات إلى أن تعود إلى أربابها .

يؤكد المؤتمر قراراته السابقة بأن الجهاد بالنفس والمال أصبح فرض عين على كل مسلم ومسلمة، ولذلك يدعو المؤتمر المسلمين جميعا أينما كانوا إلى النفير العام.

٢ — المسجد الأقصى المبارك وسائر المقدسات الإسلامية ملك المسلمين جميعا لا يملك أحد التصرف فيها أو الانتقاص من قدسيتها، كما أن المقدسات المسيحية من واجب المسلمين حمايتها وتأمين زيارتها لكل المسيحيين في العالم عملا بالمودة المعروفة وأحكام الشريعة الإسلامية.

٣ — كل حل لا يعيد جميع الأراضي المحتلة إلى العرب وفي مقدمتها مدينة القدس بكاملها سيادة وإدارة هو حل مرفوض جملة وتفصيلا، كما أن فكرة تدويل القدس بأية صورة من الصور مرفوضة كرفض تهويدها.

٤ — يؤكد المؤتمر الفتوى الدينية الصادرة من علماء المسلمين وقضاتهم ومفتيهم في الضفة الغربية بالأردن بتاريخ ١٧ من جمادى الأولى سنة ١٣٨٧ هـ الموافق ٢٢ من أغسطس سنة ١٩٦٧ م والمتضمنة أن المسجد الأقصى المبارك بمعناه الديني يشمل المسجد الأقصى المبارك المعروف الآن، ومسجد الصخرة المشرفة والساحات المحيطة بهما وما عليه السور وفيه الأبواب.

وأن العدوان على أي جزء من ذلك يعتبر انتهاكا لحرمة المسجد الأقصى المبارك واعتداء على قدسيته، وأن الحرم الإبراهيمي في الخليل مسجد إسلامي مقدس وكل اعتداء على أي جزء منه يعتبر انتهاكا لحرمته وقدسيته.

٥ — ويستنكر المؤتمر استمرار إسرائيل في تغيير معالم القدس والعدوان على آثارها الدينية والتاريخية والحضارية ويطالب الأمم المتحدة بتنفيذ قراراتها المتعلقة بذلك وردع إسرائيل عن المضي في جرائمها.

٦ — يستنكر المؤتمر موقف الولايات المتحدة الأمريكية في دعم إسرائيل سياسيا وعسكريا واقتصاديا على الرغم من تماديها في طغيانها وعنادها وصلفها، ويعد ذلك عداء سافرا للعالم الإسلامي والعربي.

٧ — يدين المؤتمر موقف إسرائيل التمادي في إهدارها لحقوق الإنسان في المناطق المحتلة بوسائل التعذيب الوحشية

وهدم المنازل وطرد المواطنين واغتصاب الأراضى والمبانى وإقامة المستوطنات لإسكان اليهود الغرباء بإحلالهم محل الأهالى العرب الأصليين .. ويعلن أن هذا أفظع صورة من صور التمييز العنصرى .

٨ — يصر المؤتمر على أن من واجب الدول الإسلامية قطع علاقاتها السياسية والاقتصادية بإسرائيل .

٩ — كما يناشد المؤتمر سائر الدول المحبة للسلام قطع علاقاتها مع إسرائيل .

١٠ — يحث المؤتمر الدول العربية على حشد جميع طاقتها المادية والمعنوية دعما للجبهتين الشرقية والغربية ويدعو إلى وضع الوحدة العسكرية موضع التنفيذ .

١١ — يدعو المؤتمر الدول الإسلامية إلى إرسال المتطوعين من الطيارين والفنيين إلى جبهة القتال كما يدعو الشعوب الإسلامية المساهمة بأنفسهم وأموالهم لمعاونة إخوانهم فى خطوط المواجهة الأمامية .

١٢ — يهيب المؤتمر بالدول الإسلامية والمؤسسات والمجتمعات الإسلامية بإنشاء صندوق للجهاد فى كل منها لتمويل الجهاد والإنفاق على المجاهدين وأسر الشهداء وأن تخصص الحكومات الإسلامية قسطا من ميزانيتها لهذا الصندوق ، وأن تساهم فى هذا الصندوق الشعوب أفرادا وجماعات .

١٣ — كما يطالب المؤتمر مجمع البحوث الإسلامية بمواصلة الإجراءات لتنفيذ إنشاء صندوق الجهاد العام فى القاهرة وتنسيق العمل بين هذا الصندوق العام وصناديق الجهاد فى البلاد الإسلامية الأخرى .

١٤ — يقرر المؤتمر أن المقاومة الفلسطينية تمثل القيام بواجب شرعى فى الجهاد لتحرير أرضها ومقدساتها .

ولهذا يوصى المؤتمر جميع الدول المجاورة للوطن المحتل أن ييسروا للعمل الفدائى القيام بمهمته الفالة الشريفة على الوجه الأكمل ولا يجوز لأحد ضرب المقاومة أو أن يضع العراقيل فى سبيل ذلك .

١٥ — ويطالب تلك الدول والمقاومة بالعمل على تنفيذ جميع الاتفاقات المعقودة لتنظيم العلاقات بينهما . وأن توجه جميع الجهود والأسلحة العربية لصدر العدو

المناصب والحرص على دماء رجال الجيش والفدائيين .

١٦ — كما يوصى المؤتمر رجال المقاومة بالعمل على توحيد صفوفهم والقيام بمهمتهم فى مقاومة الأعداء .

١٧ — يدعو المؤتمر إلى إنشاء مصرف إسلامى يخلو من المحظورات الشرعية ، ويعتمد المؤتمر على إعانة الدول الإسلامية حكومات وشعوبا وعلى المجتمعات الإسلامية فى البلاد الأخرى وعلى جميع الموسرين من المسلمين دعمه والمساهمة فيه لسد حاجة ماسة فى الاقتصاد الإسلامى مافتىء المسلمون يتطلعون إليها .

١٨ — يوصى المؤتمر الدول الإسلامية بضرورة التعاون الاقتصادى فيما بينها بالعمل على تحقيق التكامل والتعاون الاقتصادى فيما بينها .

١٩ — يدعو المؤتمر إلى إنشاء دار الفكر والنشر الإسلامى تقوم بخدمة العالم الإسلامى فى مجال التأليف والترجمة والنشر

٢٠ — بما أن المؤتمر أرسل برقيات إلى الأطراف المعنية فى النزاع القائم فى كل من الأردن وباكستان وأصدر كذلك بيانا إلى أطراف النزاع فى كل من الأردن وباكستان عن طريق وكالات الأنباء والإذاعات الموجهة حقنا للدماء .

فإن المؤتمر يقرر إرسال وفد إلى كل من هاتين الدولتين ويمهد إلى المجمع فى الاتصال بالأطراف المعنية لتنفيذ ذلك .

٢١ — يوصى المؤتمر أجهزة الإعلام من صحافة وإذاعة مسموعة ومرئية فى الدول والمجتمعات الإسلامية بمراعاة آداب الإسلام فيما تنشره وأن تضاعف رقابتها على موادها حرصا على مبادىء الإسلام وتقاليده ومصلحة المجتمع الإسلامى .

٢٢ — يوصى المؤتمر المسلمين فى جميع مجتمعاتهم رجالا ونساء أن يستمسكوا بآداب الإسلام وتقاليده فى سلوكهم وأزيائهم وسائر تصرفاتهم .

٢٣ — يوصى المؤتمر وزارات التعليم والتربية والثقافة فى جميع البلاد الإسلامية أن تعنى عناية خاصة بالتراث الإسلامى والتعليم الدينى فى كافة المراحل .

٢٤ — يطالب المؤتمر جميع الحكومات والهيئات الإسلامية بالمحافظة على العرف الإسلامى فى حفلاتها وعدم تقديم المشروبات المحرمة .

٢٥ — يوصى المؤتمر بمراعاة الآداب الإسلامية فى تنشئة أولاد الأمة فى نطاق الأسرة والمدرسة والمجتمع تنشئة إسلامية

٢٦ — يوصى المؤتمر أن يكون فى كل معهد من معاهد التعليم فى البلاد الإسلامية مسجد أو مصلى لأداء الشعائر الدينية .

٢٧ — يحيى المؤتمر القوات المسلحة الرابضة على خطوط النار جنودا وفدائيين ويقدر فيهم مواقف التضحية والبطولة المنبعثة عن إيمان صادق بدينهم واستمساكهم بحقوقهم الوطنية والقومية وحرصهم على مقدساتهم وحضارتهم ومصادر أمجادهم .

٢٨ — يشكر المؤتمر الدول والهيئات التى نفذت مقررات وتوصيات المؤتمرات السابقة ، ويرجو من سائر الدول والهيئات الأخرى العمل على تنفيـــذ المقررات والتوصيات الصادرة عن المؤتمر فى مختلف دوراته .

٢٩ — ويشكر المؤتمر الجمهورية العربية المتحدة قيادة وحكومة وشعبا والأزهر الشريف على إتاحة الفرصة لعقد هذا المؤتمر وتسهيل مهمته وحسن الضيافة والتكريم

(يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) .

ويوم الجمعة ٦ من صفر ١٣٩١ هـ الموافق ٢ من إبريل ١٩٧١ م كان أعضاء المؤتمر بمدينة السويس حيث أدوا صلاة الجمعة هناك والتقوا بالجنود والضباط على الخطوط الأمامية .

وقد استقبل السيد / أنور السادات رئيس الجمهورية العربية المتحدة أعضاء الوفود المشتركة فى الدورة السادسة المؤتمر وقد تمت المقابلة ظهر الأحد ٨ من صفر ١٣٩١ هـ الموافق ٤ من أبريل ١٩٧١ م .

حيث استقبل سيادته أعضاء الوفود الذين يمثلون المسلمين فى كافة أنحاء العالم الإسلامى من اليابان شرقا إلى أمريكا اللاتينية غربا ومن روسيا شمالا إلى مختلف أعضاء الوفود الأفريقية جنوبا .

وألقى فيهم سيادته الكلمة التالية :

كلمة السيد الرئيس

بسم الله الرحمن الرحيم

إنه ليسعدنى باسم شعب مصر، أن أحييكم، وأن أحيى هذا اللقاء أخوة فى الإسلام، أخوة فى الدين، أخوة أيضاً فى كل معارك الحياة.

إنكم تأتون، وتجتمعون فى مصر، فى لحظة من أشد لحظات التاريخ حسماً، ليس فى تاريخ مصر وحدها، وإنما فى تاريخ أمتنا الإسلامية كلها، من أقصاها إلى أقصاها.

إننا نتعرض هنا فى هذه الأيام لمعركة شرسة، معركة أنتم أدرى الناس بها، فأنتم الحفظة على تاريخنا الإسلامى تعلمونه للنشء وتفقهونهم فيه..

اللحظة التى نعيشها هنا فى مصر، هى لحظة حاسمة كما قلت لكم ليس فى تاريخ مصر وحدها، ولكن فى تاريخ أمتنا الإسلامية كلها، ومصر كما عرفتموها شعوبا إسلامية وشعوبا عربية، مصر هى مصر كما عهدتموها، ستحفظ الأمانة، وستؤدى الأمانة بمشيئة الله سبحانه وتعالى.

على هذه الأرض كان الصمود دائما من أجل الدفاع عن الإسلام، وعن مقدسات الإسلام، وستظل بعون الله وبمشيئته، هذه الأرض قلعة منيعة للدفاع عن مقدسات الإسلام وعن تراث الإسلام، مهما كانت المعارك ومهما كانت شراستها وضراوتها.

ولقد خبرتم من قبل، وخبر معكم التاريخ هذا الشعب، شعب مصر، وأثبت أنه فى كل المعارك هو الشعب الصابر، هو الشعب الصامد، الشعب الذى بعون الله ومشيئته لابد أن ينتصر فى النهاية.

وكما قلت لكم، فإن معركة اليوم إلى جانب ما تحتاجه من صمود وصلابة وتمسك بإيماننا الراسخ تحتاج أيضا منا جميعا، كل فى مكانه، أن نحارب وأن نكافح، وأن نناضل بأسلحة العصر الذى نعيش فيه.

كان الإسلام ولا يزال ثورة، وما أحوجنا اليوم ونحن نخوض هذه المعركة الشرسة، أن نتسلح بأسلحة هذا العصر

وهذا ما يأمرنا به الدين ، أن نعد ما استطعنا وأن يكون إعدادنا على مستوى مفهوم العصر ، حتى لا نتخلف .

ولقد قاسينا نحن المسلمين طوال القرون الماضية حين فرض علينا التخلف ، واليوم لابد أن نحارب معركة التخلف كما نحارب معركة الصهيونية والاستعمار وكل القوى التي تريد أن تفرض إرادتها علينا .

لا بد أن نحارب معركة التخلف . .

أنتم مسئولون أمام الله سبحانه وتعالى وأمام دينكم ، وأمام تاريخكم ، أن تنبهوا إخوتنا في كل أقطار الإسلام إلى هذه المعركة .

يجب أن نبني بلادنا الإسلامية على أساس من الدولة العلمية التي لا تتخلى عن الإيمان ، ولا بد من أن نأخذ بكل أسباب العلم . والرسول ﷺ نصحنا بهذا وديننا أقر هذا .

لا يمكن ولا يجب أن نسمح لأنفسنا أن نتخلف مرة أخرى أبدا .

إن المعركة التي نخوضها اليوم ، نعرف نحن جميعا من تاريخنا أبعادها وجذورها . إن المعركة التي طالما قرأنا عنها ونحن نتعلم في كتابنا الكريم ، وفي تاريخنا الطويل ، معركة بين الحق والباطل . بين الخير والشر والعدوان .

ولا بد لنا في هذه الظروف . من أن نتسلح كما قلت لكم . . إلى جانب إيماننا . وما يدفعنا به هذا الإيمان من صلابة وثبات وصمود . لابد أن نتسلح بما يتسلح به العصر وهو العلم .

وإني لأنتهز هذه الفرصة لكي أقول لكم . حتى تنقلوا إلى إخوتنا في مشارق الأرض ومغاربها . أن مصر التي عرفتموها صامدة . وصابرة . ومقاتلة . ولن تفرط في حق عربي . ولا أرض عربية مهما كانت المعارك ومهما كانت الضغوط ، ومهما تكاثفت أنواع الظلم ومهما كانت أسلحة الغدر والخيانة . لن تتخلى مصر ولن يتخلى شعب مصر عن مسئولياته أبداً .

أريدكم أن تطمئنوا إخواننا في المشرق والمغرب على هذا . وإننا أيضا لن نقبل المساومة على حق شعب فلسطين ولا على أرض فلسطين .

لن نقبل المساومة على الإطلاق . . ولكننا قبل ذلك وبعد ذلك في حاجة إلى زاد معنوي من إخواننا في المشرق والمغرب هذا الزاد المعنوي . هو أن يحسوا بنا في معركتنا . وأن يعيشوا معنا معركتنا

نحن فى حاجة إلى كل مشاعر الود والحب والأخوة من إخوتنا فى مشارق الأرض ومغاربها .

بهذا الزاد نحن نسعد .. نحن نحس بالدفء فى قلوبنا ونحن ندخل المعركة لكى ندفع الثمن أيا كان هذا الثمن ، لن نخشاه ولن نتردد فيه بإذن الله .

ولكننا كما قلت لكم نريد قلوبكم ومشاعركم معنا فى هذه المعركة ، فتزودنا هذه بزاد معنوى يعوننا فى معركتنا التى نحن بصددها اليوم .

أريدكم أيضا أن تنقلوا إلى شعوبكم وإلى قادتكم أخلص تحية من هذا الشعب هذا الشعب الصابر الصامد المؤمن .. أريدكم أن تنقلوا إلى شعوبكم وإلى قادتكم أخلص تحيات هذا الشعب الأخوية ، وأخلص تمنياته لكم بالتوفيق .. وأدعو الله سبحانه وتعالى أن يكون لقاؤنا القادم ونحن نحتفل بالنصر إن شاء الله .

وفقكم الله ورعاكم وأيد خطاكم من أجل بناء مستقبل فى كل بلد من بلادنا فى مشارق الأرض ومغاربها ، مستقبل ملىء بكل العزة . وكل الكرامة .. ملىء بكل ما يحمله الإسلام من معان فى العزة وفى الإيمان وفى القوة وفى المنعة وفى روعة البناء وشموخه حتى نحقق لأجيالنا المقبلة عزا وازدهارا .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

الفترة الثانية للمؤتمر :

بدأت الفترة الثانية للمؤتمر يوم السبت ١٤ من صفر الموافق ١٠ من أبريل . واقتصرت الفترة على السادة أعضاء مجمع البحوث الإسلامية وقد دعى بعض السادة الباحثين لتقديم بحوثهم فى جلسات هذه الفترة .

وتنتهى هذه الفترة يوم ٢ من ربيع الأول ١٣٩١ الموافق ٢٧ من أبريل . وهو اليوم المحدد لإعلان قرارات وتوصيات الفترة الثانية

وفيما يلى تعريف بالسادة الذين اشتركوا ببحوثهم فى الدورة السادسة للمجمع . والسادة الذين دعوا لهذه الدورة من خارج الجمهورية العربية المتحدة .

اسم الباحث	التعريف بالباحث	بلده	عنوان البحث
فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد محمد الفحام	شيخ الأزهر ورئيس المؤتمر	ج . ع . م	الإصلاح الاجتماعي بين النزعتين المادية والروحية
السيد الوزير إبراهيم الطحاوى	وزير برئاسة الجمهورية	ج . ع . م	نحو اقتصاد إسلامي
« الدكتور إبراهيم عبد المجيد اللبان	عضو المجمع	ج . ع . م	مشكلة العرض والنشر في المجال الديني
« « إسحق موسى الحسيني	« «	فلسطين	العنصرية كأساس في قيام دولة إسرائيل
« « أحمد مدنى	سكرتير عام جمعية علماء المسلمين بالهند	الهند	رعاية الإسلام للقيم والمعاني الإنسانية
« « إسماعيل بالك	مدرس اللغات الشرقية بجامعة فيينا	النمسا	أفكار إسلامية جديدة دخلت مسيحية عصرنا
الأستاذ البهى الخولى	مدير إدارة الدعوة بوزارة الأوقاف سابقا	ج . ع . م	{ بنو إسرائيل قبل الإسلام } { الوحى . . أنواعه وموضوعه }
سماحة الشيخ حسن خالد	مفتى لبنان	لبنان	التوحيد في الإسلام
الدكتور حسن ظاظا	أستاذ التاريخ الإسلامى بآداب اسكندرية	ج . ع . م	العنصرية كأساس في قيام دولة إسرائيل
السيد الدكتور سيد جعفر شهيدى	مدير جمعية اللغات والآداب العربية	إيران	التفسير بالرأى : معناه ، تاريخه ، حدوده المشروعة
سماحة الشيخ عبد الحميد السائح	وزير الأوقاف بالأردن سابقا	الأردن	عدوان اليهود على المقدسات الدينية

اسم الباحث	التعريف بالباحث	بلده	عنوان البحث
الأستاذ عبد الحميد حسن	عضو المجمع	ج.ع.م.	رعاية الإسلام للقيم والمعانى الإنسانية
الفريق عبد الرحمن أمين	رئيس الجمعية الشرعية	»	الشهيد فى الإسلام
الشيخ عبد الستار السيد	مفتى طرطوس	سوريا	» » »
المهندس عبد السلام أحمد نظيف	وكيل الإدارة العامة للأقسام الهندسية	ج.ع.م.	تطوير العمارة الإسلامية
الأستاذ عبد الله عبد الشكور حسن كامل	مدير المركز الإسلامى بالبرازيل	ج.ع.م.	الإسلام والعروبة فى أمريكا اللاتينية
سماحة الشيخ عبد الله غوشة	وزير الشئون الدينية بالأردن سابقاً	الأردن	رعاية الإسلام للقيم والمعانى الإنسانية
السيد الدكتور عبد العزيز كامل	وزير الأوقاف وشئون الأزهر	ج.ع.م.	الإسلام والحرب النفسية
الدكتور عبد الغنى الراجحى	أستاذ التفسير بكلية أصول الدين	ج.ع.م.	المحكم والمتشابه فى القرآن الكريم
فضيلة الشيخ عبد الفتاح القاضى	وكيل المعاهد الأزهرية	ج.ع.م	القراءات بين حقيقة التوقيف ودعوى الاجتهاد
الأستاذ عبد الله كانون	عضو المجمع	المغرب	رعاية الإسلام للقيم والمعانى الإنسانية
الدكتور عثمان خليل عثمان	» »	»	حقوق الإنسان فى الشريعة الإسلامية
فضيلة الشيخ على الخفيف	» »	ج.ع.م.	الفكر التشريعى الإسلامى
فضيلة الدكتور على حسن عبد القادر	» »	»	النظرية العالمية فى الإسلام
الدكتور على عبد الواحد وافى	عميد كلية التربية بالأزهر سابقاً	»	التكامل الاقتصادى فى الإسلام
السيد عمر أحمد الخواص	قاضى قضاة السودان	السودان	رعاية الإسلام للقيم والمعانى الإنسانية

اسم الباحث	التعريف بالباحث	بلده	عنوان البحث
الأستاذ غلام محمد نيازى	عميد كلية الشريعة بجامعة كابل	أفغانستان	حقوق الإنسان فى الإسلام
الشيخ قاسم غالب	وزير التربية والتعليم باليمن سابقا	اليمن	الشهيد فى الإسلام
الأستاذ لبيب السعيد	مدير عام شئون القرآن بالأوقاف	ج.ع.م	القراءات وموضوع الرسم الاصطلاحى
فضيلة الشيخ محمد أحمد أبو زهرة	عضو المجمع	ج.ع.م.	الوحدة الإسلامية
فضيلة الدكتور محمد البهى	» »	ج.ع.م.	نظرة الإسلام الى الفرد والجماعة فى علاقة بعضهما ببعض
الأستاذ محمد خلف الله أحمد	» »	ج ع م	حقوق الإنسان فى الإسلام
فضيلة الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار	الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية	ج ع م.	النظرة العالمية فى الإسلام
فضيلة الدكتور محمد عبد الله ماضى	عضو المجمع	ج.ع م	رعاية الإسلام للقيم وللمعانى الإنسانية
فضيلة الدكتور محمد محمد أبو شهبة	عميد كلية أصول الدين بأسيوط	ج ع م.	رسم المصحف: تاريخه وبيان ضرورة التوقيف فيه
اللواء الركن محمود شيت خطاب	عضو المجمع	ج ع م.	العقيدة والقيادة فى الإسلام، الحرب النفسية
فضيلة الشيخ مصطفى الحديدى الطير	شيخ معهد دمياط سابقا	ج.ع.م.	اتجاهات التفسير فى العصر الحديث من الإمام محمد عبده حتى مشروع التفسير الوسيط
الدكتور مصطفى الرافعى	المستشار الثقافى لسفارة لبنان بالقاهرة	لبنان	محنة حقوق الإنسان فى إسرائيل
الدكتور مصطفى كمال وصفى	الخبير بلجنة تقنين الشريعة بالمجمع	ج ع م.	الوظيفة الاجتماعية فى الإسلام
سماحة الإمام موسى الصدر	رئيس المجلس الأعلى الشيعى بلبنان	لبنان	رعاية الإسلام للقيم وللمعانى الإنسانية
الأستاذ وفيق القصار	عضو المجمع	»	محنة حقوق الإنسان فى إسرائيل

السادة الذين وجهت إليهم الدعوات من خارج الجمهورية العربية المتحدة لحضور المؤتمر السادس المجمع

أولا : الشخصيات المدعوة من خارج الجمهورية العربية المتحدة :

البلد	الشخصيات	
الأردن	سماحة الشيخ عبد الله غوشة	وزير الشئون الدينية بالأردن سابقا
«	سماحة الشيخ عبد الحميد السائح	وزير الشئون الدينية بالأردن «
أفغانستان	الأستاذ غلام محمد نيازى	عميد كلية الشريعة بجامعة كابل
أندونيسيا	الدكتور محمد رشيدى	من كبار العلماء فى أندونيسيا
أندونيسيا	الأستاذ إسماعيل يعقوب	مدير جامعة سورا بايا
إيران	الأستاذ جعفر شاهيدى	مدير جمعية اللغات والآداب العربية وأستاذ الأدب فى جامعة طهران
باكستان	مولانا محمد يوسف البنورى	مدير المدرسة الإسلامية بكراتشى
تشاد	الإمام موسى إبراهيم	زعيم مصلى تشاد
تركيا	الدكتور على ارسلان أيدن	عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بتركيا
توجو	السيد / محمد حسين	رئيس جمعية الشبان المسلمين بتوجو
تونس	الشيخ محمد الشاذلى بن القاضى	الأستاذ بالكلية الزيتونية
الجزائر	الأستاذ مالك بن نبى	عضو مجمع البحوث الإسلامية
روسيا	سماحة الشيخ ضياء الدين بابا خانوف	مفتى المسلمين بطشقند
السودان	الشيخ على عبد الرحمن الأمين	عضو مجمع البحوث الإسلامية
السودان	الشيخ عمر أحمد عبد الرحيم	قاضى قضاة السودان
سوريا	الشيخ عبد الستار السيد	مفتى طرسوس

البلد	الشخصيات	
السعودية	الشيخ محمد سرور الصبان	أمين الرابطة الإسلامية بمكة
السعودية	الشيخ عبد العزيز آل الشيخ	وزير سابق
السعودية	الشيخ محمد ناصر العبودى	الأمين العام للجامعة الإسلامية بالمدينة
سيلان	الأستاذ بودرى هاشم	رئيس جمعية الشبان المسلمين بسيلان
الصومال	الشيخ حسن عبد الله فارح	المستشار بالمحكمة الشرعية العليا
العراق	الشيخ كمال الدين الطائى	رئيس جمعية الآداب الإسلامية
العراق	الشيخ محمد تقى الدين الحكيم	عميد كلية الفقه بالنجف الأشرف
الفلبين	السيد محمد على ديماپورو	عضو مجلس النواب ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالفلبين
فرنسا	صاحب السعادة الحاج أبو بكر حمزة	مدير مسجد باريس
كينيا	السيد عبد الله صالح الفارس	
الكويت	الشيخ راشد عبد الله الفرحان	وزير الأوقاف بالكويت
لبنان	سماحة الشيخ نديم الجسر	عضو مجمع البحوث الإسلامية
لبنان	الأستاذ وفيق القصار	عضو مجمع البحوث الإسلامية
لبنان	سماحة الشيخ حسن خالد	مفتى لبنان
لبنان	سماحة الإمام موسى الصدر	إمام الشيعة بلبنان
ليبيا	فضيلة الشيخ عبد الرحمن القلهود	عضو مجمع البحوث الإسلامية
ليبيا	فضيلة الشيخ محمود صبحى	مدير الجامعة الإسلامية سابقا
ليبيا	فضيلة الشيخ الطاهر أحمد الزاوى	مفتى ليبيا
ليبيا	فضيلة الشيخ مسعود بويصير	مستشار بوزارة الخارجية الليبية
المغرب	الأستاذ عبد الله كنون	عضو مجمع البحوث الإسلامية
المغرب	الدكتور مهدى بن عبود	
ماليزيا	الدكتور عبد الجليل حسن	عميد الكلية الإسلامية بكوالا لامبور

البلد	الشخصيات	
موريتانيا	الشيخ محمد سالم عبد الودود	رئيس المحكمة الشرعية العليا
نيجيريا	الحاج أبو بكر جومى	قاضى القضاة
النمسا	الدكتور اسماعيل بالنش	مدرس اللغات الشرقية بجامعة فينا
الهند	السيد / أسعد مدنى	سكرتير عام جمعية علماء المسلمين بالهند
اليابان	السيد / عبد الكريم صائيو	أستاذ بجامعة طوكيو
يوغسلافيا	السيد/ حسين سليمان جوزو	رئيس قسم الشئون الإسلامية بالبوسنة والهرسك

ثانيا : دعى السادة أعضاء المجمع من خارج الجمهورية العربية المتحدة المقيمون بالقاهرة وهم :

١ — الدكتور إسحاق موسى الحسينى .

٢ — اللواء الركن محمود شيت خطاب .

ثالثا : دعيت بعض الشخصيات الإسلامية الموجودة بالقاهرة والتى يمكن أن ينظر إليها باعتبارها ممثلة لبعض المناطق الإسلامية وهم :

الدكتور مصطفى الرافعى	المستشار الثقافى بسفارة لبنان بالقاهرة
الحاج موديبو ديالو	سفير جمهورية مالى بالقاهرة
الحاج جبريل سيسى	سفير سيراليون بالقاهرة
الشيخ قاسم غالب	وزير التربية والتعليم باليمن سابقا

وبعد :

فإن « مجلة الأزهر » بمناسبة انعقاد الدورة السادسة لمجمع البحوث الإسلامية ومشاركة فى اليوم العالمى للتفرقة العنصرية تقدم مختارات من بحوث المؤتمر التى تبرز المعانى الإنسانية فى الإسلام مستقاة من نصوص تشريعية قرآنا وسنة . وتعد قراءها الأعزاء أن تنشر بحوث هذه الدورة تباعا حتى تكون بين يدى القراء حصيلة والمرة لنتاج أفكار ممتازة تحتل مركزا ممتازا فى مجالى العلم والثقافة الإسلامية فى مشرق بلاد الإسلام ومغربها ؟

المجلة

حقوق الإنسان فى الإسلام

للأستاذ غلام محمد نيازي
عميد كلية الشريعة جامعة كابول / أفغانستان

عندما كان العالم فى غمرة من الجهل والظلم ، كان منطق القوة مسيطرا عليه ولم يكن للحق والعدالة فيه وجود، جاء الإسلام لينظم أمور الإنسان ويبين علاقاته بربه ونفسه وبنى جنسه ، ويقرر المبادىء الخاصة بحقوقه السياسية والاجتماعية والمدنية ، ويحترم الشخصية الإنسانية بكفالته لحرية الفكر وحرية التدين والحرية السياسية .

وأثبت للإنسان حقوقا لم تصل إليها القوانين الحديثة فى القرن العشرين ، والمبادىء التى قررها الإسلام لصون كرامة الإنسان وحقوقه لا تزال بروعتها وصفائها أكثر بهاء من كل ما جاء به البشر ووصل إليه التقدم . ولو وازن الإنسان بين ما جاء به الإسلام وبين ما اهتدى إليه العقل البشرى أو أتت به القوانين البشرية بمختلف أنواعها لأدرك أن المبادىء الإسلامية الخاصة بحقوق الإنسان أحق وأعدل وأنها أثبتت للإنسان حقوقا لا توجد فى غيرها من القوانين وصانت للإنسان شخصيته وكرامته .

ولإثبات ذلك يحسن أن نتكلم أولا عن معنى الحقوق وأنواعها ، وما هو النوع الخاص بحقوق الإنسان الذى نقصده هنا.

أما الحق بعمومه فهو ميزة يقررها الإسلام لشخص معين ، ولا يوجد حق فى الشريعة إلا ويقابله واجب ، فحق الملكية لشخص من الأشخاص يقابله واجب على سائر الناس يقضى عليهم باحترام هذا الحق وعدم التعدى على تلك الملكية ، وحق الشخص فى الحرية يقابله واجب من جهة الآخرين يقضى بعدم جواز استرقاقه أو استعباده وحق الشخص فى المساواة يقابله واجب على الآخرين ، وعلى الدولة أن تمنحه المساواة فى التقاضى وفى العمل وفى الأجر على نفس العمل وهكذا . .

ويقسم القانونيون الحقوق إلى حق مدنى وحق سياسى ، فالحق المدنى هو إما ما يثبت للفرد باعتبار معاملاته المالية وتسمى تلك الأنواع من الحقوق بالحقوق المالية كحق البيع وحق الشراء وحق الدائن

وحق المدين وحق الراهن وحق المرتهن .. إلى آخر ذلك وإما مايثبت الفرد باعتباره عضوا فى الأسرة كحق الزوج وحق الزوجة وحق الأب على أولاده وحق الأولاد اتجاه أبيهم . ومن ذلك حقوق الورثة والنفقة والحضانة ونحو ذلك ونسمى هذه بالحقوق الشخصية .

أما الحقوق السياسية فهى أهم مجالات تلك ، ولكنها تشترك مع الحقوق المدنية فى أن كلا منهما يثبت للإنسان باعتباره إنسانا ، والحقوق الأخيرة – كما قلنا – تثبت الشخص باعتبار معاملاته المالية أو باعتبار مركزه فى الأسرة أما الحقوق الأولى فتثبت له باعتبار مركزه فى المجتمع وباعتباره مواطنا فى دولة من الدول وذلك كحق الانتخاب وحق الترشيح للمجالس النيابية أو البلدية أو الوظائف العامة أو الخاصة ومن ذلك ما اشترطته الشريعة فيمن يتولى الخلافة أو القضاء ، ونحو ذلك

هذا التقسيم يقبله الإسلام على علاته ، والشريعة الإسلامية قد تكفلت بتفصيل تلك الحقوق وما يتصل بها تفصيلا لا تسمو إليه أية شرائع أخرى ، وتكفى أقل نظرة فى كتب الشريعة على اختلاف مذاهبها لإدراك هذه الحقيقة .

إنما الذى يعنينا هنا نوع آخر من الحقوق يثبت للإنسان بقطع النظر عن كونه مواطنا أو أجنبيا ، ودون اعتبار لوضعه المالى أو مركزه فى الأسرة والمجتمع وهى المسماة « بحقوق الإنسان » أو « الحقوق الطبيعية » .

هذه الحقوق قد أنكرها بعض المفكرين المعاصرين ، فقد ذهبوا إلى أنه لا يوجد حق طبيعى للإنسان وإنما الحق هو ما يمنحه المجتمع أو الدولة الشخص مثل « حق الإضراب » وهو متفرع عن ما يسميه المفكرون الآخرون بالحق الطبيعى فى الحرية ، فإن معناه أن الدولة لا تنكر فى دستورها أو فى قوانينها العادية هذا الحق ، ومثل « حق المساواة فى التقاضى » وهو المتفرع من الحق الطبيعى فى المساواة عند من يقولون بالحقوق الطبيعية ، فإن معناه أن الدولة تقرر فى دستورها أو فى قوانينها أن لكل فرد هذا الحق وهكذا وعلى ذلك فما لم تنص الدولة على تلك الحقوق المسماة عند غيرهم بالطبيعية ، وعلى مايتفرع منها من حقوق فرعية لم يكن للفرد هذا الحق .

وقد وجه هؤلاء المفكرون من النقد على الحق الطبيعى للإنسان ماهو كفيل

فى زعمهم لأن يهدمه كلية من أساسه باعتباره أنه ليس هناك حق طبيعى للإنسان باعتباره إنسانا ، وعلى ذلك لا حق عندهم من هذا القبيل إلا ما تقرره كل دولة فى داخلها لأفراد شعبها .

ويقرر آخرون من أكثرية المفكرين أن للإنسان حقا قررته له الطبيعة باعتباره شخصية إنسانية وقد ظهر ذلك الاتجاه قديما عند بعض الفلاسفة اليونانيين ، كما ظهر أيضا فى العصور الوسطى إبان إحياء التراث اليونانى ، بل لقد طبق بعضهم ذلك على القانون الدولى أيضا باعتبار أن الالتزام بقوانينه يرجع إلى الالتزام بقوانين وضعتها الطبيعة إذا أهملتها الدول لم تستطع أن يعيش بعضها مع بعض فى سلام .

وقد توارى مذهب الحقوق الطبيعية للإنسان قليلا بعد القرون الوسطى باعتبار أنه نسبى وغير دقيق وأنه يجعل تلك الحقوق مصدرا للجدل والدعوى ، فما يدعيه فرد أو دولة أنه حق طبيعى قد ينكره آخرون ولكن هذا المذهب وجد ما يؤيده ويحييه من بعض الوجوه فى (الإعلان العالمى لحقوق الإنسان) الذى أعلنته الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ١٠ ديسمبر سنة ١٩٤٨ فهو يتضمن صراحة أن للناس باعتبارهم آدميين حقوقا أوجدتها الطبيعة يجب على الجميع احترامها .

والإسلام قد سبق إلى المناداة بما يتفق مع الرأى الأخير لأكثرية المفكرين القائلين بوجود حقوق طبيعية للناس تثبت لهم باعتبارهم آدميين ، فضلا عما قررته الشريعة من الحقوق المالية والشخصية بالتفصيل الذى لا مزيد وراءه فإن الإسلام يقرر فى النصوص العامة للدين حقوق الإنسان الطبيعية تقريرا لا شك فيه .

فينادى القرآن الكريم بكرامة بنى آدم عموما بقطع النظر عن الجنس أو اللون أو الدين فيقول الله تعالى : « ولقد كرمنا بنى آدم » ويقرر أيضا مبدأ المساواة بقوله « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم »[1] ، كما يقرر رسول الله ﷺ هذه المساواة بقوله « أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب إن أكرمكم عند الله أتقاكم ليس لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ولا لأحمر على أبيض ولا لأبيض على أحمر فضل إلا بالتقوى » وفى رواية « ولا لأبيض على أسود ولا لأسود على أبيض فضل إلا بالتقوى » وقوله : « الناس

[١] الحجرات ١٣ .

سواسية كأسنان المشط » . بل يوجه القرآن الكريم نظرنا إلى أن اختلاف الناس في اللغات والأجناس إنما هو من الأدلة على القدرة الإلهية التي يجب أن يتساوى البشر جميعا في الاعتبار بها فقال الله تعالى « ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين » .

وفضلا عن أن الإسلام قد أرسى دعائم حقوق الإنسان منذ نحو أربعة عشر قرنا ، فإن مناداة الإسلام بتلك الحقوق تمتاز عن كل التشريعات الحديثة من خاصة ودولية ومنها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان من الوجهات الآتية :

أولا : إن تلك الحقوق من تقرير الوحي السماوي فلا يعتريها التبديل ولا التغيير .

ثانيا : إن تلك الحقوق لا يقررها الإسلام من وجهة عامة نظرية كما فعل الإعلان العالمي لحقوق الإنسان بل يعضدها كما في تفصيلات الشريعة مما يتعلق بالحقوق الخاصة من مالية وشخصية وسياسية إذ لا يمكن فصل الحقوق الطبيعية عنها فصلا تاما ، بل الحقوق كلها أيا كان تقسيمها القانوني وحدة متكاملة ترمي إلى صيانة كرامة الإنسان وتكميل ذاتيته سواء فيما يتعلق به أو بأسرته أو بملكيته أو ببني جنسه .

ثالثا : إن الحقوق الطبيعية للإنسان في الإسلام لها صفة الإلزام بالنسبة إلى المسلمين أيا كانوا لأنها من مقررات الدين ولأنها تتضمن جزاءات دينية ودنيوية على من يخالفها . أما الإعلان العالمي لحقوق الإنسان مثلا أو ما يؤخذ منها من التشريعات فليس من شأنه حماية تلك الحقوق ولا يعطيها صفة الإلزام لأنه لا يتضمن أي جزاءات لمخالفة أحكامه أو ضمانات لتنفيذها ولأنه يحتاج إلى أن يتخذ شكل معاهدة يوقعها رؤساء الدول المتعاقدة حتى يصبح له حكم القانون .

وكل جهود الأمم المتحدة في هذا المجال قد ظهرت في أن أعلن الميثاق في ديباجته عن إيمان الدول بما للفرد من حقوق أساسية وما للإنسان من قدر وكرامة يجب عليها أن ترعاها . ثم نص في مادته الأولى (فقرة ثالثة) على واجب الهيئة في العمل على تعزيز احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية للناس جميعا بلا تمييز بين الأجناس ولا تفريق بين الرجال والنساء ، ثم قرر الميثاق أيضا في الفصل الخاص بالتعاون الاقتصادي والاجتماعي (المادة ٥٥ فقرة أ — ح) أنه يجب على الأمم المتحدة أن تعمل على (تحقيق مستوى أعلى للمعيشة

وتوفير أسباب الاستخدام المتصل لكل فرد، وأن تنشر فى العالم احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية للجميع بلا تمييز بسبب الجنس أو اللغة.

وقد عملت الأمم المتحدة على إبراز روح هذه النصوص وماتنادى به فى صورة فعلية عن طريق الإعلان العالمى لحقوق الإنسان، ولكننا بينا قصور هذا الإعلان فيما سبق.

وإذا نظرنا إلى الإعلان العالمى لحقوق الإنسان نجد أنه يتكون من ثلاثين مادة تعود كل منها عند التأمل إلى حقوق ثلاثة حق الحرية (المواد ٣، ٤، ٥، ٩، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٣، ٢٥، ٢٧) وحق المساواة فى (المواد ١، ٧، ١٠، ٢٢، ٢٦) وحق الملكية (المادة ١٧).

وكل هذه الحقوق قد سبق الإسلام غيره بتقريرها من الوجهة النظرية فقط بل رتب الجزاء على من ينتهكها إذ هى تشريعات دينية سماوية ذات إلزام.

أما الحرية فقد كفلها الإسلام بالنسبة إلى العقيدة وإلى الحرية فى الرأى وبالنسبة إلى مالكية الشخص لنفسه أى عدم الرق وحرية العقيدة أو الحرية الدينية، قررها الإسلام ومنع إكراه أحد على ترك دينه أو إكراهه على قبول عقيدة معينة واعتبر الفتنة فى الدين أكبر من القتل وجعل الأساس فى الاعتقاد أن يكون بالاختيار الحر الخالى من كل إكراه وترك الحرية لأصحاب الديانات الأخرى ليمارسوا شعائرهم الدينية، ويقيموا عباداتهم فى المجتمع الإسلامى، ويشهد لذلك أمران: الأمر الأول: النصوص الإسلامية التى تقرر تلك الحرية كقوله تعالى: « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » وقوله «أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين» إلى غير ذلك من النصوص. والأمر الثانى: حقائق التاريخ حيث ثبت أن المسلمين لم يكرهوا أحدا على ترك دينه ولم يمنعوه من ممارسة شعائره الدينية.

وأن الإسلام سمح لأصحاب الديانات الأخرى أن يمارسوا ما يسمى بالأحوال الشخصية من قضايا الزواج والطلاق والنفقة والمواريث دون أن يتعرض لهم فى ذلك أو يجبرهم على اتباع شريعة المسلمين فيها، بل وكان يترك لهم الحرية بين أن يدخلوا فى الإسلام أو يبقوا على دينهم لأن الإسلام

اعترف للإنسان بصفة الإنسان حقوقا لم تعرف فى أى دين أو قانون آخر وجعل أساس العلاقات بين الناس المودة والرحمة حيث قال الله تبارك وتعالى « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون »[1] .

فبذلك يرد ادعاء من يقول إن الإسلام يدعو إلى إكراه الشعوب الأخرى على قبوله لأن الإسلام لم يقل بقتال الكفار الذين لم يقاتلوا المسلمين ولم يخرجوهم من ديارهم بل ترك لهم حرية العقيدة وحث على العدل معهم والإحسان إليهم .

أما الذين يقفون فى وجه الدعوة الإسلامية بالقوة فيجب قتالهم إلا من كان كافرا ولم يقف فى وجه الدعوة أو لم يكن من أهل الممانعة والمقاتلة كالنساء والصبيان والشيوخ الكبار وذوى العاهات فلا يقتلون وقد ثبت تاريخيا أن الإسلام لم ينتشر بالقوة والقهر ولكنه انتشر بسمو تعاليمه وحسن سيرة المسلمين وعدالتهم ولم يعترف بذلك المسلمون فقط بل اعترف به المحققون من غير المسلمين أيضاً ، ويقول جوستاف لوبون فى كتابه عن حضارة العرب : « القرآن هو كتاب المسلمين المقدس ، ودستورهم الدينى والمدنى والسياسى » ثم يقول وساعد وضوح الإسلام البالغ وما أمر به من العدل والإحسان كل المساعدة على انتشاره فى العالم ، ويقول إن الإسلام من أكثر الديانات ملاءمة لاكتشافات العلم ومن أعظمها تهذيبا للنفوس ، وحملا على العدل والإحسان والتسامح وإن القوة لم تكن عاملا فى انتشار الإسلام فقد ترك المسلمون المغلوبين أحرارا فى أديانهم فحدث أن اعتنق هؤلاء المغلوبون الإسلام واتخذوا العربية لغة لهم فذلك لما رأوا من عدل الغالبين ما لم يروا مثله من قبل .

والإسلام كما دعا إلى الحرية الدينية دعا إلى الحرية السياسية أيضا ومنح لكل فرد من أفراد الأمة حقا فى إبداء الرأى بل أكثر من ذلك فرض على المسلمين الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر « كنتم خير

---

[١] الممتحنة ٨ ، ٩ .

أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله». وقال رسول الله ﷺ (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان) وقال: (أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر).

فأفراد الأمة أحرار فى إبداء آرائهم لاختيار الحاكم ومراقبته ومشاركتهم معه فى الحكم ويتمتعون بالحرية السياسية الكاملة، فإذا تصفحنا التاريخ الإسلامى أدركنا أن هذه الظاهرة كانت موجودة فى انتخاب الخلفاء الراشدين وفى أقوالهم وأعمالهم وتصرف الأمة فى مراقبتهم، فقد قال الخليفة الأول للمسلمين بعد اختياره (يا أيها الناس: إنى وليت عليكم ولست بخيركم، فإن رأيتمونى على حق فأعينونى وإن رأيتمونى على باطل فسددونى، أطيعونى ما أطعت الله ورسوله، فإن عصيت الله فلا طاعة لى عليكم).

وخطب الخليفة الثانى عمر رضى الله عنه: (يا أيها الناس: من رأى منكم فى اعوجاجا فليقومه، فقال أحد من الحاضرين: والله يا أمير المؤمنين لو وجدنا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا هذه، فقال عمر رضى الله عنه: الحمد لله الذى جعل فى هذه الأمة من يقوم اعوجاج عمر بسيفه إذا اعوج.

فالنصوص الإسلامية وسيرة الخلفاء السياسية تثبت أن الإسلام منح لكل فرد من أفراد الأمة الحقوق المكونة للحرية السياسية حيث جعل الأمر شورى بينهم، واعتبر جميع الأفراد متساوين أمام الشرع، ولم يميز فى ذلك بين الحاكم والمحكوم، وبين الغنى والفقير وما شاكل ذلك - ولتوطيد مبدأ الشورى أمر الله سبحانه وتعالى نبيه الكريم بأن يتشاور مع أصحابه فى الأمور حيث قال: «فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك».

فى ذلك كان الخلفاء يتشاورون فى الأمور الهامة، وأخذوا بمبدأ الشورى فى شئون الحكم وكانوا يتيحون الفرصة لمن يبدى رأيه ويناقش آراءهم وينقدهم وقصة الخليفة الثانى ومناقشة امرأة مسلمة إياه مشهورة إذ وقف عمر رضى الله عنه خطيبا ذات مرة

يدعو إلى وضع حد أعلى للمهور منعا للمغالاة فيها فناقشته وعارضته امرأة قائلة له « ليس هذا لك يا أمير المؤمنين وتلت قوله تعالى « وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا[(1)] » فاقتنع عمر بما قالت ورجع عما نوى .

حرية الرأى وحرية التفكير :

إن الإسلام ضمن الحريات الأخرى فمنح الإنسان حرية التفكير وحرية الرأى فقد حثت الآيات القرآنية العديدة على التفكير فيما وقع وسيقع أمام الإنسان وتحت نظره، وكثير من هذه الآيات الكريمة تختتم بتعلمون ، يعلمون ، يعقلون ، يتفكرون ، والإسلام بجانب التفكير فيما وقع أو يقع أمام الإنسان نهى عن التقليد الأعمى وطلب من الإنسان التفكير العميق فيما يقع تحت نظره لمعرفة كنهها وأن هذه الأشياء سخرت له « ألم تر أن الله سخر لكم ما فى الأرض والفلك تجرى فى البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه[(2)] » .

فموقف الإسلام من هذه الحرية لا يختلف عن موقفه من الحريات الأخرى بل أقر الإسلام هذا الحق فى أوسع نطاق وحض كل الناس على التفكير فى ملكوت السموات والأرض وفيما يحدث فى هذا الكون من التغيير والتبديل حيث قال الله تعالى : « أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض »[(1)] وقال (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت[(2)]) .

فالإسلام قد سبق غيره بقرون عنح هذه الحرية للإنسان التى نادى بها الإعلان العالمى لحقوق الإنسان فى القرن العشرين فقط وأشار إليها فى مادته الثامنة عشرة والتاسعة عشرة .

أما الإسلام كما قلنا — فقد أطلق حرية التفكير لكل فرد من أفراد البشرية فمن الطبيعى أن يطلق له حرية التعبير عن هذا التفكير وهو ما يسمى بحرية الرأى ، ومن ذلك كان الرسول الأعظم صلوات الله عليه وسلامه وخلفاؤه يحضون الناس على التفكير وصراحة التعبير و ظهار الحق وألا يخافوا فى ذلك أحدا إلا الله ويقولوا الحق دائما فأفضل جهاد هو كلمة حق عند سلطان جائر ، وأما حق الحرية بالنسبة

(١) النساء ٢٠ (٢) الحج ٦٥ .

(١) الأعراف ١٨٥ .

(٢) الغاشية ١٧ - ٢٠ .

لمالكية الإنسان لنفسه وحمايته من الاسترقاق والاستعباد فقد سبق الإسلام كل التشريعات فى ذلك ونفذها تنفيذا فعالا غير أنه سار فى ذلك على سنة التدرج وتضييق الأسباب المؤدية إلى الرق تمهيدا لإلغائه والقضاء عليه .

فلم يبح الإسلام الوسائل التى كانت منتشرة عند ظهوره لإنشاء الاسترقاق فى الشعوب القديمة كالإغارة والاختطاف واسترقاق للمدين الذى لا يستطيع الوفاء بدينه ونحو ذلك وبقى للاسترقاق حالة واحدة هى حالة أسرى الحرب بشرط أن تكون الحرب مشروعة وحتى فى هذه الحالة الوحيدة لم يكن الرق نتيجة حتمية لمعاملة الأسرى بل كان هناك طرق أخرى لمعاملة الأسرى كالفداء وغيره .

ومن مظاهر ذلك التدرج فتح باب الحرية على مصراعيه عن طريق مجرد العتق تقربا إلى الله تعالى وعن طريق المكاتبة وتخصيص جزء من الزكاة المفروضة للعتق وجعله كفارة فى بعض العقوبات ونحو ذلك .

وبالإضافة إلى ذلك نجد أن الإسلام أكد لهم كرامتهم الإنسانية أثناء قيام الرق وأوصى بمعاملتهم خير معاملة .

حق المساواة:

والحق الثانى الذى منحه الإسلام للإنسان وأيده الإعلان العالمى لحقوق الإنسان أيضا حق المساواة فنجد أن الإسلام قد وضع الأساس العام لهذا الحق من وجهات متعددة ؛ المساواة بين جميع المسلمين فى الكرامة وحرمة الدم والمال والعرض كما قررها الحديث الشريف « كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » والمساواة بين جميع الناس مسلمين وغيرهم كما يفهم من قوله تعالى « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى » وقرر عدم أفضلية إنسان على آخر أو لون على غيره أو جنس على بقية الأجناس إلا بالتقوى والعمل الصالح (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) .

فالإسلام قرر المساواة وأعلن القضاء على نظام الأجناس والطوائف وقضى على أسباب التمايز وعدم المساواة كالجنس والطبقة واللون قبل أربعة عشر قرنا ، فقد قال رسول الله ﷺ (يا أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب إن أكرمكم عند الله أتقاكم وليس لعربى على عجمى ولا لعجمى

على عربى ولا لأحمر على أبيض ولا لأبيض على أحمر فضل إلا بالتقوى) والإسلام كما سوى بين الرجال كذلك سوى بين الرجل والمرأة فى العمل والأجر والجزاء على ذلك العمل سواء كان ذلك الجزاء أخرويا أو سابقا عليه فى الدنيا وأما أن للرجل فى قيادة الأسرة درجة فوق المرأة فهذا يرجع إلى التخصص فى الوظائف تبعا لاختلاف طبيعة كل منهما ، ولا يدل ذلك على عدم المساواة فى الحقوق والواجبات ، كما لا نستطيع أن نقول إن انقسام أفراد الأمة إلى حاكم ومحكوم لا ينفى المساواة بينهما فى أصل الحرية والكرامة والحقوق والواجبات الإنسانية .

والإسلام كما قرر المساواة بين المسلمين قرر أيضاً المساواة بينهم وبين غير المسلمين فجعل للذميين فى دولة إسلامية من حقوق وواجبات ما للمسلمين يعنى لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين وكلف الدولة حمايتهم وأن تقاتل عنهم كما تقاتل عن المسلمين وقال رسول الله عليه الصلاة والسلام «من آذى ذمياً فأنا خصمه يوم القيامة» .

إذاً فالحرية والمساواة التى منحها الإسلام للإنسان لم يمنحها أى دين أو قانون آخر .

أما حق الملكية فلقد قرره الإسلام واحترم ملكية الأفراد والجماعات ، وموقفه موقف عادل ووسط فقد بالغت بعض المذاهب إلى حد لم يترك للدولة أى حق ، للمراقبة على حق الملكية كما بالغت بعض المذاهب الأخرى إلى الاتجاه المضاد لذلك فتدخلت فى أمور الملكية إلى حد إلغائها ، أما الإسلام فلم يسلك أحد هذين السبيلين فأقر حق الملكية ولكنه منع الاحتكار فأمر بالعدل فى الأجر ومنع جمع الأموال بالطرق غير المشروعة كالربا والرشوة ومنع العقود التى فيها الجهالة والغرر وما يؤدى إلى النزاع فى المعاملات المالية .

أيها السادة :

إن الإسلام منح للإنسان حقوقا كاملة: حق الحرية وحق المساواة وحق الملكية ولكن كما قلت أترك الآن تفصيل الموضوع وأشير إلى نقطتين فقط هما :

إذا أردنا أن نصون للإنسان حقوقه ونحترم شخصيته وكرامته فيجب :
أولا : تأكيد هذه الحقوق فى دساتير الدول الإسلامية واحترامها فى داخل الدول.
ثانيا : محاربة الدول التى تنتهك حقوق

الإنسان والوقوف فى وجهها بكل الوسائل الممكنة.

أما الأمر الأول فلا شك أن حقوق الإنسان بالنسبة إلى الشعوب داخل الدول الإسلامية قد قررتها أكثر تلك الدول ولا محل لاستعراض ذلك فهو خارج عن بحثنا وعن مجال اختصاصنا لكننى أكتفى بالإشارة إلى الدولة الأفغانية التى أتشرف بشرف تمثيلها فى هذا المؤتمر العظيم.

والمملكة الأفغانية مملكة عريقة فى الإسلام وعندما دخل الإسلام إلى أفغانستان فى عهد سيدنا عثمان رضى الله عنه أقبل الأفغانيون على قبول الإسلام ودخلوا فيه أفواجا وأصبحوا بعد قليل من أرسخ المسلمين عقيدة وتمسكا بمبادىء الإسلام واحتل عدد منهم الصدارة فى العلوم وصاروا أئمة فى الفقه والعلوم الإسلامية وأساتذة فى اللغة العربية وقدمت أفغانستان من الخدمات الجليلة للدين والعلم والأدب عن طريق من أنجبتهم من رجالها كما قامت بنشر الإسلام فى المناطق المجاورة لها ولم يدخر الشعب الأفغانى المسلم وسعا فى أداء رسالة الإسلام وإقامة روابط الأخوة الإسلامية بين المسلمين وصيانة حقوق الإنسان بين البشرية جمعاء.

ولذلك يعكس الدستور الأفغانى هذا التوارث الإسلامى ويبين مدى علاقة أفغانستان بدين الإسلام ويؤكد فى مواده تلك الحقوق التى تكفل الديمقراطية والحقوق الفردية أو حقوق الشعب، التى هى تطبيق لعموميات ما سميناه (حقوق الإنسان).

ولم يقتصر الدستور الأفغانى على تقرير الحريات والحقوق العامة التقليدية، بل شمل أيضا كثيراً من الحقوق الاجتماعية والاقتصادية التى يقتضيها منطق العصر الحديث فأشار الدستور إلى قوانين الضمان الاجتماعى ومشروعات التأمين الصحى والتعليم المجانى حيث تنص المادة الثانية منه على أن الإسلام دين أفغانستان الرسمى وأن الدولة تقيم الشعائر الدينية وفقا للمذهب الحنفى، وتنص الفقرة الثانية من المادة الرابعة والستين على أنه لا يجوز أن ينفذ أى قانون فرعى ينافى أصول الإسلام وتعاليمه وتقول الفقرة الأخيرة من المادة الثانية بعد المائة يجب تطبيق الفقه الحنفى فى الحالات التى لا يوجد بها قانون مدون، أما حق المساواة القانونية وهو أن ينال الجميع على قدم المساواة حماية القانون وأن يخضع الكل للواجبات والتكاليف التى يوجبها القانون على أفراد

[٤]

الشعب سواء أكانت هذه أمام القانون أم أمام القضاء أم فى التوظف، أم فى التكاليف الاجتماعية كالضرائب والخدمة العسكرية .

فقد نصت المادة الخامسة والعشرون من الدستور على أن كل أفراد الشعب الأفغانى متساوون فى الحقوق والواجبات بدون أى تميز وامتياز أمام القانون كما تنص المادة السادسة والعشرون منه على أن (الحرية حق طبيعى للإنسان) الحرية والكرامة الإنسانية مصونتان عن التعرض، والدولة مكلفة بحماية الحرية والكرامة الإنسانية، وأما حق الحرية وهو قدرة كل فرد من أفراد الشعب على إتيان كل عمل لا يضر بالآخرين فقد قرر الدستور أيضا أنواعا عديدة من تلك الحريات، مثل الحرية الشخصية أى حرية التنقل داخل الدولة وخارجها وعدم جواز القبض على الشخص وحبسه أو معاقبته إلا بمقتضى القانون، وكذلك حرية التملك وحرية العمل والتجارة والصناعة وحرية الرأى .

وفى هذا الصدد ينص الدستور فى المادة السادسة والعشرين على أن كل أفغانى له حق فى أن ينتقل فى داخل الحدود من منطقة إلى أخرى ويختارها مسكنا له، وتنص الفقرة الأخرى من تلك المادة على أنه لا يجوز القبض على أحد أو معاقبته إلا بمقتضى القانون ونصت المادة التاسعة والعشرون على أن الملكية مصونة من التعرض . ولا يجوز منع أحد من كسب الملكية والتصرف فيها إلا بمقتضى القانون .

وتنص المادة الواحدة والثلاثون على أن حرية الرأى والبيان مصونة من التعرض، ولكل أفغانى أن يبدى رأيه ويشرح فكرته بالقول أو الكتابة أو نحو ذلك، وتنص المادة السابعة والثلاثون على أن العمل حق كل أفغانى وواجبه إذا كان له القدرة على أدائه، ونصت المادة الرابعة والثلاثون على أن (للتعليم حق جميع أفراد الشعب وعلى الدولة أن تهيىء التعليم للجميع بصورة مجانية) .

أما الأمر الآخر الذى أشرنا إليه سابقا فهو واجب الدول الإسلامية فى محاربة وصد كل من ينتهك الحقوق التى منحها الله لعباده من كرامة وحرية ومساواة وملكية وإذا كان الأمر الأول الذى شرحناه متروكا لكل دولة إسلامية أن تقرره بالتفصيل الذى تراه، إذ هو من صميم سياستها الداخلية

فإن الأمر الثانى الذى نحن بصدده يقتضى تكاتف العالم الإسلامى وتعاونه تعاونا صادقا لأنه من قبيل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر المفروض فى الدين .

وليس هناك فى العالم اليوم أسوأ من المثل الذى يتجلى فى إسرائيل فقد انتهكت حقوق الإنسان انتهاكا صارخا لم يسبق له مثيل ، وعلى الرغم مما قرره ميثاق الأمم المتحدة لصيانة تلك الحقوق وهى التى أشرنا إليها سابقا فلم يمنع ذلك إسرائيل التى هى عضو فى تلك المنظمة من أن تستمر فى انتهاكها لتلك الحقوق . أما الإعلان العالمى لحقوق الإنسان فليس كافيا لردع مثل تلك العصابة إذ ما هو إلا توصية ليس تحتها إلزام أو مسئولية .

ومن المعروف أن ما يسمى حق تقرير المصير بالنسبة للدول هو مرادف مع بعض وجوهه لحق الحرية بالنسبة للأفراد ومع ذلك فإن قيام إسرائيل يتعارض مع حق الشعوب فى تقرير مصيرها وذلك بتقسيم فلسطين وإنشاء تلك الدولة المغتصبة فيها ومشكلة سكان فلسطين من العرب الذين شردوا من وطنهم نتيجة لقيام تلك الدولة هى من أهم مشكلات العصر الحديث ، وتعتبر أكبر انتهاك فى التاريخ لحقوق الإنسان فى ملكيته الخاصة ، فقد استمرت إسرائيل تصدر القوانين والقرارات التى تصادر ممتلكات العرب وتعطيها حق التصرف فيها ، ويساوى اعتداء تلك الدولة على حق الملكية اعتداءها على حق الحرية والمساواة .

ولم تكتف اسرائيل بانتهاك حقوق الإنسان فى الحرية والملكية بل انتهكت الحرية الدينية واعتدت على مقدسات الأديان وأحرقت المسجد الأقصى القبلة الأولى للمسلمين وبذلك لم تعترف إسرائيل حتى الآن بحقوق الإنسان التى نادت بها منظمة الأمم المتحدة تحت عنوان الإعلان العالمى لحقوق الإنسان بعد أن كان الإسلام قد قررها قبلها بقرون .

وأفغانستان كدولة إسلامية مستقلة تقف فى صدر الدول التى تندد بانتهاك اسرائيل لحقوق العرب . وهى بذلك تعبر عن عقيدتها وعن الآداب والتراث الإسلامى الذى تعتز به .

وقد وقفت أفغانستان فى جميع المؤتمرات والمحافل الدولية إلى جانب الحق وناصرت قضية عرب فلسطين وأيدت الدول العربية فى نضالها الحق ونددت بالسياسة العدوانية

(البقية على ص ٢٥٢)

رعاية الإسلام للقيم والمعاني الإنسانية

لسماحة الإمام موسى الصدر
إمام الشيعة في لبنان

١ — القيم والمعاني الإنسانية :

هذا المفهوم يبدو وكأنه السهل الممتنع عن التحديد الدقيق ولذلك نجد المدارس الفكرية تختلف في تفسيره وفي تحديد أبعاده ، وقد ادعى الكثير من حملة الأفكار الاجتماعية ومن قادة الحركات والنشاطات : أن الإنسانية هي الطابع الأساسي لمساعيهم وأن حب الإنسان هو الغاية لمحاولاتهم، ولكي نضع حداً للغموض الذي اكتنف مفهوم الإنسانية ولا نغرق في دوامة التفسيرات اللفظية والتحديدات المنطقية ، علينا أن ننظر إلى الواقع الإنسانية وأبعاد وجوده الحقيقية، ومن ثم ننتقل إلى المصدر للمشتق منه — الإنسانية — وإلى معانيها وقيمها وإلى فاعليتها وقوتها .

الإنسان أولا موجود عيني ، يختلف عن الموجودات العينية بحرية الاختيار ، يعني أن أفعاله تصدر عن تأمل وإرادة ولو بصورة نسبية .

وهو ثانيا متأثر إلى حد كبير بالطبيعة وبالموجودات الكونية المحيطة به ثم إنه موجود اجتماعي يتفاعل تلقائيا مع بني نوعه إلى أقصى الحدود .

وثالثا وفي الأساس أنه مخلوق لله خالق الكون والحياة بما لهذه العلاقة من أبعاد وتأثيرات عليه بالذات وعلى علاقاته كلها .

هذه الجوانب الثلاثة هي فصول كتاب الإنسان ، والقيم الإنسانية إذاً هي الركائز الأصيلة التي خلقت في طينته لكي تنمو بسعي وجهد منه التنمية المتكاملة بحيث لا ينمو جانب من وجود الإنسان على حساب جانب آخر ولا تجمد أي ركيزة من هذه الركائز في حركة الإنسان المستمرة نحو الأفضل .

إنها الخطوط المرتسمة لكمال الإنسان الشامل والتي تنطلق من ذاته ووجوده .

إنها صيغة الله وفطرته التي فطر الإنسان عليها كبذور واستعدادات كانت في بدء خلقه لتتحول عندما يسلك الطريق المستقيم إلى قيم ومعان فعلية .

٢ — آراء أخرى : عندما أنكرنا الجانب الأول من وجود الإنسان واعتقدنا بأنه ظاهرة كونية شأن الظواهر الأخرى وفسرنا حريته وإرادته بأنها ظاهرة طبيعية وجبرية ... !

أو فصلناه عن الموجودات الطبيعية واعتبرناه مصنوعا فى جسمه أو روحه بمعزل عن العالم المادى الذى يعيش وعاش فيه وبالتالى أخضعناه للقدر المحتوم بالمفهوم العرفى الكلمة ... !

أو جعلناه فردا يكون الأساس الوحيد للمجتمع الذى ليس إلا كمية من الأفراد . !

أو تجاهلنا جانب الربط بالله وقصرنا أبعاده دون امتداده إلى الأزل والأبد وبدون اتصال بجميع المخلوقات الأخرى فى التكوين والأدوار والمصير ... !

عند ما تبنينا أحد هذه الآراء الثلاثة فسنجد أنفسنا أمام إنسان آخر وأمام مفهوم آخر للإنسانية .

وبالفعل فإننا نجد فى الوجوديين الفرنسيين رغبة ملحة لتبنى الرأى الأول وفى المشائين من فلاسفة اليونان والشرق وفى الجبرية جنوحا نحو الرأى الثانى وفى الفلسفة اليهودية وبعض غلاة المتصوفة آراء تشبه الرأى الثالث .

أما الرأى الرابع فهو رؤية الماديين بصورة عامة أو الفلاسفة الغربيين الذين خرجوا على «اسكولاستيك» وعزلوا كافة الماورائيات عن التأثير فى الموجودات العينية ، يعنى أكثر علماء الاجتماع والفلسفة المعاصرين تقريبا .

٣ — الإسلام والإنسانية : إن القرآن الكريم يؤكد التطابق الكامل بين الدين وبين الإنسانية حيث يقول « فأقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم » (الروم ٣٠) — والحديث الشريف يعبر عن تساوى الإسلام وفطرة الإنسان بقوله « كل مولود يولد على الفطرة » .

وإذا لاحظنا أن مفهوم الإسلام هو التسليم لله وهذا يعنى أن كل شىء عندما يقف فى مكانه الحقيقى من الخلق فهو مسلم ولذلك فإن الموقع الذى جعل الله للإنسان فى الخلق وجعل الإنسان له هذا الموقع إنسانيته وإسلامه بنفس الوقت ، إذ الإنسان من هذا الموقع الطبيعى يرتبط بالخلق وبالموجودات البشرية والطبيعية فإسلام الإنسان إنسانيته .

وهذه الآيات المباركات من سورة البقرة توضح هذه الحقيقة « قولوا آمنا بالله

وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون . فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم فى شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم . صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون » .

٤ — من يرسم التفاصيل ؟ : إن الإنسانية وقيمها بالرغم من ترابطها الذاتى بالإنسان لا يمكن أن يحددها ويضع تفاصيلها الإنسان نفسه وذلك لعدة أسباب أهمها :

أولا : إن مدارك الفرد والجماعة ومفاهيم تتأثر حتما بعاداتهم الثقافية وبأوضاعهم الخاصة وبمصالحهم الأرضية .

ثانيا : إن الفرد أو الجماعة فى تكامل دائم ولذلك فيهما من النقص وعجز دائمين عن إدراك أبعاد وجود الإنسان ، الأبعاد التى يسهر نحوها ويسعى للوصول إليها .

فإذا أراد الإنسان وضع تفاصيل الإنسانية وقيمها فإنه سيفعل ذلك بصورة نسبية وهذا يؤدى إلى تعدد الإنسانية وإلى إخضاع الأهداف للأوهام والتخيلات أما الله ، خالق الإنسان وخالق الكون والحياة ، فهو المقام الصالح لوضع هذه التفاصيل التى هى أبعاد الإنسانية الواحدة الكاملة وهذا هو مفهوم ضرورة سماوية الدين وغيبيته وإطلاقه .

ولأجل التأكيد على صحة هذا البحث وتبنى علماء الإسلام رضوان الله عليهم له نعيد إلى الأذهان المبدأ المعروف : « أن الواجبات الشرعية ألطاف فى الواجبات العقلية ، والمبدأ الآخر « كلما حكم به العقل حكم به الشرع » هذا إذا حكم .

هنا ننتهى من دراسة نقطة الأساس فى هذا البحث أى أن الإسلام هو الإنسانية وقيمها ومعانيها وأن الإنسانية هى الإسلام .

٥ — إنسانية العقيدة : إن الأساس فى العقيدة الإسلامية هو الإيمان بالله الواحد الأحد الذى له الأسماء الحسنى والأمثال العليا لم يلد ولم يولد .

والإيمان هذا :

أولا : ينزه الإنسان من الخضوع الكامل (العبادة) للموجودات الطبيعية كلها وللفرد المماثل له مهما بلغ من المقام وبالنتيجة لا يحدد وجوده بحد مادى ويحرره من الطغاة ويرفع عنه إصره والأغلال التى يضعونها عليه .

ثانيا : تجند كافة طاقات الفرد نحو هدف واحد وبصونها عن الضياع والتسرب ومن الشرك أى التجزئة المحطمة لحياته ولنشاطاته.

ثالثا : يوجه الإنسان نحو الهدف اللامتناهى ويرسم لطموحه خطاً طويلا يتمكن من السير فيه منذ المهد إلى اللحد وإلى ما بعد الموت .

فالموت لا يوقف تحرك الإنسان نحو الكمال بل العمل مستمر مع « ولد صالح وكتاب علم وصدقة جارية » على حد تعبير الحديث الشريف ، والكمال والجزاء ، يزدادان عند ما سن سنة حسنة وعند ما يعمل بها أحد بعد موته إلى يوم القيامة .

رابعا : يجعل الكمال الإنسانى المستمر بعيدا عن الاصطدام والتزاحم مع الآخرين حيث اللانهائية وحيث اللامادية تتحكم فى جوهر نشاطاته وعطائه .

خامسا : بل يوجد طاقات الجماعة فى تنسيق مقارن بالسياق ويحول دون الشرك الجماعى الذى يفرق المجتمع وطاقات أفراده « ولا تكونوا من المشركين ، من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا » .

سادسا : أن معنى لم يلد ولم يولد يبعد العنصر الذاتى والانتسابات المتنوعة عن ميدان مكاسب الإنسان حيث إن الناس سواسية كأسنان المشط .

بل إن له ما حصلت يداه ، وليس له إلا ما سعى .

وفى هذا الصدد نطرح أيضا أثر الإيمان بالمعاد وبعدالة المحاسبة الإلهيـة وبرؤية الإنسان ما صدر عنه من خير أو شر حتى ولو كان مثقال ذرة ، أقول أثر الإيمان بهذا على صعيد القيم الإنسانية يمكن :

أولا : مقام الإنسان الرفيع الذى يجعله مسئولا فى كبار أعماله وصغارها وفى أسرار نشاطاته وبوارزها ، وفى كل أقـوالـه وما يخفى صدره .

إن المسئولية تثبت عند ما يحدث تأثير على النفس أو على الآخرين فهى شأن كبير للإنسان وتشريف له .

ثانيا : اطمئنانا فى نفسه بعدم ضياع جهده البارز أو الخفى وتأكيدا على أن الجهد المبذول عن إخلاص حتى ولو لم يثمر لعائق يفوق قدرته فهو جهد مشكور « ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ، ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله » . سورة النساء (١٠٠) ، والمخطىء أيضا باتفاق علماء المسلمين له أجر .

ثالثاً : ومن الانعكاسة الثانية نستنتج أن الإيمان بالمعاد يسهل على الإنسان مهمة التغيير المجتمع نحـــو الأفضل ومهمة تطوير نفسه فى مطلق الأحوال .

إن المؤمن يسعى لأجل ذلك دون اهتمام بآراء المنتفعين بالأوضاع القائمة ، إنه يريد وجه الله ويختار جزاءه الأوفى .

رابعاً : ولا ننسى هنا دور التوبة فى توفير الجهد الإنسانى ومنعه عن اليـأس والخوف من الإحباط ، وعلينا قبل إنهاء هذا الجزء من البحث أن نذكر أن الإيمان الإنسانى لا يتم دون الإيمان بجميع الكتب والرسل وأن نشير إلى مبـدأ « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشـد من الغى » وإلى قاعدة « الإسلام يجب ما قبله » وإلى قاعدة « لكل قوم نكاح » الواردة فى غير المؤمنين بالله أيضـاً والنزعة الإنسانية فى هـــذه المبادىء بارزة .

٦ — إنسـانية الثقافة فى الإسـلام :

إن المفاهيم العامة التى يقدمها الإسلام لتكوين ثقافة أولية أصيلة للإنسان المسلم وتخلق نظرة له شاملة إلى الكون والحياة ، هذه المفاهيم نجدها ترتـكز على القيم الإنسانية وتصونها .

وإذا تتبعنا آراء الإسـلام فى الإنسان وفى الحياة والكون والمجتمع وغير ذلك من المفاهيم العامة التى لا تنالها يد العـلم والتجربة وتبقى فى نطاق النظريات ، إذا تتبعناها نلاحظ عمق إنسانيتها .

إن الانسان فى القرآن الـكريم مكرم ومفضل على كثير من الخلق . مخلوق فى أحسن تقويم من أحسن الخالقين وهو مخلوق بيد الله إنه خليفة الله فى الأرض علمه الأسماء ونفخ فيه من روحه وأمر الملائكة بالسجود له وسخر له الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار ، إنه الموجود الوحيد الذى شرفه الله بالعلم وبإمكانية السيطرة على القوى الـكونية وسائر الموجودات إنه طيب الذات اهتدى إلى النجدين وألهم الفجور والتقوى حتى يكتمل على أثر الصراع الذى يشعر به عند الاختيار ، وهذه ميزة ثانية له بين الموجودات كلهـا تجعله فوق صفوف الملائكة فى المرتبة .

أما الموت والأمراض والكوارث فنظرة الإسلام إليها طريفة جداً وإنسانية جداً .

إن الموت زينة الحياة ، خط على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة (الإمام الحسين) لأنه امتحان للإنسان وفرصة ليبلونا الله أينا أحسن عملا .

إنه دخول على رب غفور الذى ما عنده خير وأبقى، وليس نهاية عمل الإنسان فبإمكانه أن يتخطاه ويبقى مرزوقاً عند ربه فرحاً بما آتاه الله مستبشراً بالذين لم يلحقوا به وبإمكانه أيضاً تخليد أعماله وإبقاء نشاطاته.

أما الأمراض والمصائب ونقص الأموال والأنفس والثمرات فهى ابتلاء وتنمية لكفاءات الإنسان وتدريب له على الصبر وفى نفس الوقت تنبيه له إلى حجمه الحقيقى وأنه لله وإليه راجع.

ومن جهة أخرى فإن المصائب والأمراض هذه شأنها شأن الكوارث الطبيعية التى تدفع الإنسان إلى معرفة أسبابها وتجنب مآسيها والسيطرة عليها قدر المستطاع فهى إذاً مدرسة إلهية ترفع المعرفة البشرية.

والمستقبل فى رأى الإسلام للمتقين والنصر لأولياء الله وقد أراد أن يجعل الذين استضعفوا فى الأرض أئمة ووارثين ونتائج هذه الرؤية تفاؤل فى الإحساس وثقة بالنجاح وبالفرج.

والكون محراب كبير يسجد لله كل شىء ويسبح بحمده ويصلى له، وكل شىء فيه منظم وبحسبان وجعل له قدر معين وهذه الرؤية تنعكس على تحركات الإنسان ونشاطاته بصورة إيجابية ومؤثرة.

٧ — المجتمع الإنسانى فى الإسلام:

إن الصورة التى يقترحها الإسلام لمجتمع المؤمنين من أهم المعطيات الثقافية الإسلامية ومن أكثرها تأثيراً فى رعاية القيم الإنسانية، فالمجتمع كالجسد الواحد فى رأى الإسلام، إنه إنسان كبير واحد وليس فيه صراع ولا طبقات ولا فئات، إنه يتكون من أفراد متفاوتة الكفاءات والطاقات ولكنها متعاطفة ومتعاونة تتبادل الخدمات بينهم فيكتمل كل بأخذه من الآخر ويعمر كل بعطائه للآخر.

إن المجتمع تكون من الإنسان وللإنسان فهو صورة كبيرة عن الإنسان لا من جانب واحد من جوانب وجوده، جانب الفردية فقط أو جانب الجماعية فقط وإلا فسيتحول إلى وسيلة ضغط قوية على ناحية لمصلحة النواحى الأخرى وهذا يؤدى إلى تحريف حقيقة الإنسان وتشويه وجهه الحقيقى.

إن المجتمع فى رأى الإسلام يتكون من الإنسان كل الإنسان، من كافة أنواع الإنسان، لا فرد منه ممتاز ولا طبقة منه مفضلة ولا عنصر من العناصر دون سواه ولا فئة دون فئة حتى ولا أكثرية دون أقلية ولا العكس للإنسان فحسب.

ويتكون هذا المجتمع للإنسان كل الإنسان ، لا مجتمع ينمى بعض جوانب وجوده دون بعض لا فرديته فحسب أو جماعيته دون سواها ، لا جسمه دون روحه ولا العكس فلا رهبانية في الإسلام، إنه لكل إنسان ينمى كافة الكفاءات لكل فرد ويوفر الفرص لكل طاقة إيجابية من كل فرد .

إن تمايز الشعوب للشكلة المجتمع العالمى فى رأى الإسلام للتعارف وبالنتيجة للتبادل والتعاون اللذين ينتهيان إلى التكامل الإنسانى على الصعيد العالمى ، تماما كتمايز الأفراد داخل مجتمع واحد .

إن الولاء البشرى نحو ما يحيط به وما ينتسب إليه لا يمكن أن يكون مقترنا بالشعور بالتفوق والعنصرية فالوطن والقوم والعائلة ليست أصناما تعبد ولا يمكن تنمية أحدها وخدمته على حساب الآخرين .

إن الثروة فى المجتمع الإسلامى شأنها شأن جميع الإمكانات الأخرى المملوكة للإنسان وليست مالكة له متحكمة فيه وفى غيره ، إنها أمانة الله بيد الإنسان.

فالأساس هو الإنسان وليس المال ولا الآلة ولذلك فالطاقة البشرية تشكل العنصر الأول الممتاز فى عناصر الإنتاج .

إن العمل يمكنه أن يساهم فى الأرباح دون خسارة بينما الآلة لا يمكنها أن تنال هذا الحظ ، والعمل أيضا يمكنه أن يأخذ قيمة ثابتة دون رأس المال الذى حرمت عليه القيمة الثابتة (الربا).

إن الأحكام الإسلامية فى حقل الاقتصاد الاجتماعى مليئة بالنزعة الإنسانية ولذلك فقد عبر القرآن الكريم عن المال بأنه فتنة مع أنه زينة الحياة الدنيا ، وذلك لكى لا يطغى على الإنسان ، ولكى لا يصبح دولة بين الأغنياء .

وعلى صعيد السلطة فقد رفض الإسلام أى سلطة حزبية وموروثة لأى شخص على أى شخص هذا القاصر .

والسلطة الوحيدة هى سلطان الله أو السلطة التى تنطلق من التزامات الإنسان وعقوده، وأماناته ، وهذه مشروطة بشروط صحة العقود من حرية ورشد ومعرفة .

إن هذا المجتمع هو المجال الخصب لصيانة القيم الإنسانية ولتنميتها .

٨ — <u>الأخلاق فى الإسلام</u> : إنها غاية التعاليم الدينية وهدفها الأسمى وهى جزء أساسى من تكوين الدين .

والملاحظ فى الأخلاقية الإسلامية أنها تحارب بشدة العوامل التى تحول دون ربط الإنسان بالموجودات كالجبن والتى

تمنع التفاعل بينه وبين بنى نوعه كالقسوة وغلظة القلب والإحجاب عن الناس والغرور الذى هو شعور بالاكتفاء والذى يمنع الأخذ والاستفادة من الآخرين والكبر الذى يحول دون الاستفادة من الفيض الإلهى ودون سهولة استفادة الآخرين من الشخص، إن الأخلاق الإسلامية فى حال الاستعراض الشامل هى تماما ركن القيم الإنسانية أو سبل الوصول إليها وصيانتها.

٩ — الأحكام الإسلامية تصون القيم :

لا يتجاهل الإسلام حاجات الإنسان ولا يدعو إلى إهمالها ومكافحتها ولا يشجع الرهبنة فى مختلف مصاديقها .

وقد سمى الإسلام وسائل إرضاء الحاجات هذه نعما من الله واعتبر تلبيتها مع النية الصالحة عبادة لله .

ووضع لذلك كله حدوداً هى الحفاظ على مصالح الجوانب المتعددة من وجوده وصيانة كفاءته وإلا فقد جعل للإنسان ما فى الأرض جميعا وأنكر على من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق .

ومن جهة ثانية يمكننا أن نسمى تصنيف هذه الحاجات وإرضائها إلى حلال وحرام - صوفية الإسلام حيث إن الإنسان لا ينطلق نحو ممارسة رغباته إلا بعد تأكده من رضا الله وهو بذلك يترفع عن الانحراف مع أهوائه التى هى أصداء العالم المادى الذى يحيط به فى الأغلب ، والحقيقة أن هذه الصوفية تختلف عن التصوف المعروف الذى يعتمد على تجاهل الرغبات بصورة حادة طلبا لصفاء النفس وكمال الروح بل هى تنزيه للإنسان من أن يتمرد على التبعية بمحيطه الذى يفرض نفسه عليه عن طريق الرغبات .

إن المطلوب من الإنسان أن يكون فاعلا فى محيطه لا منفعلا ، مؤثرا ومطورا يقود ، وهذا لا يمكن حصوله مع الانجراف وراء الرغبات .

والطريف فى أحكام الإسلام حول الحرام والحلال ما عدا محتوياتها وأسبابها هو التعبير عنهما بالمنكر والمعروف بالطيبات والخبائث ، فهى فى الحقيقة تنزيه وتشريف للإنسان ، ومن الصعب استعراض الأحكام الإسلامية فى هذا المختصر ودراسة تأثيراتها على صيانة القيم الإنسانية ولذلك نكتفى فى ختام البحث بذكر بعض الأمثال الأخرى :

العبادات والواجبات والمحرمات محدودة بحدود الطاقة واليسر ، أما العسر والحرج

فقد يؤديان إلى رفع الحكم هأن الضرر والضرار فى الحقوق والمعاملات .

الجهل والإكراه والاضطرار والنسيان والسهو كل منها يرفع المسئولية ويبطل الالتزام ، والإقالة وقبول العذر من أفضل العبادات .

والعمل يتخذ طابع العبادة والعشرة وتأدية الواجبات العائلية والاجتماعية كلها تدخل فى مصاف العبادات لكى لا تفقد قداستها وإنسانيتها .

وجميع العلاقات القائمة بين الأفراد والجماعات (الأهل والجار والرحم وللمواطن القريب والبعيد وكل إنسان) فى جميع الحالات تتصف بالطابع [الإنسانى ويبرز ذلك فى أحكام الحروب وفى معاملة الخصم بالنسبة للأراضى والشعوب التى دخلت تحت سلطة الحكم الإسلامى .

وبعد فهذه نماذج وعناوين لرعاية الإسلام للقيم الإنسانية ومفاهيمها ، أرفعها للمؤتمر الكريم فى تواضع مؤكدا أن كل بحث أو عنوان هو فصل من فصول هذا الكتاب الكريم وأن تساوى الإسلام للإنسانية وقيمها يؤكد اتساع هذا البحث ولزوم دراسته فى مجموعة العلوم الإسلامية وفى موسوعة إسلامية كاملة راجيا قبول بضاعتى المزجاة أمام الله مشرع الإسلام وخالق الإنسان وقبول عذرى من قبلكم ؟

موسى الصدر

(بقية المنشور على ص ٢٤٣)

والمطامع الصهيونية لإسرائيل وهذا الموقف يعكس مبادىء العدالة الإسلامية التى تهتدى به أفغانستان فى سياستها الخارجية ، وهو الموقف الذى تجلى فى عدم انحيازها إلى الباطل وفى حيادها الذى تمسكت به .

والذى ساعد أفغانستان على هذا الحياد هو إيمانها بدينها الذى تتمسك به تمسكا عميقا واحترامها لحقوق الإنسان التى قررها الإسلام وأيدها الإعلان العالمى لحقوق الإنسان ، وكذلك بدعوتها إلى حل المنازعات الدولية على أساس التفاهم وحسن النية بين الشعوب وحق الشعوب فى تقرير المصير .

وأخيرا أكرر شكرى للقائمين بانعقاد هذا المؤتمر وأرجو الله أن يوفق الدول العربية والإسلامية فى استرداد أماكنهم المقدسة وأراضيهم المغتصبة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

غلام محمد نيازى

الدولة الإسلامية دولة إنسانية

للأستاذ أسعد مدني
عضو المجلس الأعلى للبرلمان الهندي

الحمد لله الذي هدانا لدينه والصلاة والسلام على رسوله محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين

قبل أن نبدأ البحث عن الدولة الإسلامية يجب أن نقف وقفة نستعرض فيها حقيقة الإنسان في نظر الإسلام ، فإن الدولة ليست إلا هيئة متشكلة من ذوي الرأي وأهل الحل والعقد تقوم بالمحافظة على شخصية الإنسان وحقوقه وواجباته، فإذا فهمنا حقيقة الإنسان في نظر الإسلام سهل علينا الحكم بأن الدولة الإسلامية دولة إنسانية، فإن نسبة الدولة إلى الإسلام كفيلة بأن تكون إنسانية حقا لأن الإسلام دين الفطرة وهو الذي يجب أن يكون خير حافظ لشخصية الإنسان من حيث هو إنسان .

فالإنسان في نظر الإسلام حقيقة مركبة من روح ومادة ، ليس هو مجرد مخلوق مادي أو مخلوق روحي فحسب ، وإذا كانت حقيقته هي الجسم المادي والروح فلا بد لكل واحد من هذين العنصرين من حاجات ومتطلبات ، ولا تكتمل شخصية الإنسان ولا تتحقق إنسانيته إلا بالاعتناء بناحيتيه — المادية والروحية — والإسلام ينظر إلى وحدة الجسم والروح في الفرد كما يجمع المعنويات والماديات في الحياة وحدة متماسكة تنتج عن وحدة الهدف بين الأفراد ووحدة المصلحة بين مختلف الجماعات البشرية ، والإسلام له فكرة كلية مثبتة عن الإنسان فهو حينما ينظر إليه يربطه بحياته وما يحيط به من الكون فيعالج جميع نواحي حياته المادية والروحية ولا يكتفي بإثارة الأهمية أحد الجانبين ويقطع النظر عن الآخر فإنه حريص على تكميل الإنسانية والنهوض بها ولذا اعتنى في جميع تعاليمه بكلا العنصرين الهامين بخلاف الديانات الأخرى فإنها لم تنظر إلى الإنسان هذه النظرة الهامة

وإنما أعارت الأهمية أحد الجانبين وعاملت معاملة الإفراط والتفريط مما أدى إلى اختلال المزاج الإنسانى واختلال نظامه الحيوى ولكن الإسلام تولى تنظيم الحياة الإنسانية جميعا حرصا على السمو بها إلى أشرف الغايات التى خلق لأجلها .

وهذه هى الميزة التى يمتاز بها الإنسان من سائر المخلوقات ولكون حقيقته مركبة من المادة والروح والقيام بوظائفهما خصه الله بجلائل نعمه وجعله أشرف مخلوقاته .

ولقد أشار القرآن الكريم أولا إلى حقيقته فقال : (وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون) ، ثم ذكر القرآن مكانته وما أنعم عليه فقال : (ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) ، وقال : (لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم) ، وقال : (إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا) ، وبين مصيره بقوله : (يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه، فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب إلى أهله مسرورا ، وأما من أوتى كتابه وراء ظهره ، فسوف يدعو ثبوراً ويصلى سعيرا ، إنه كان فى أهله مسرورا) .

فالإنسان ليس مخلوقا ماديا يرتبط بالماديات فحسب وإنما هو مخلوق مشرف مفضل لسموه وارتباطه بالسماء روحيا ، وهو مسئول أمام الله عن أمانته التى حملها كما جاء فى القرآن الكريم : « إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا » ، فالإسلام حين ينظم الحياة الإنسانية ويقدم النماذج السامية من الإنسانية الراقية لا يترك الجانب الروحى الذى لا وجود بدونه للإنسانية فإنه عنصر تتكون به حقيقة الإنسان ، بل أول ما يلفت النظر إليه هو صلة الإنسان بخالقه سبحانه وتعالى الذى رفع مكانته باستخلافه فى الأرض ، فهو يبين طبيعة العلاقة بين الخالق والمخلوق كما يوضح علاقة الفرد بالفرد وعلاقة الإنسان بالحياة والكون إيضاحا لا يبقى فيه إبهام ولا غموض ، ويذكر الإنسان تلك الأمانة الكبرى

(الإيمان بالله) التي حملها دون أن يدرك خطورتها حتى يجدد صلته بالله ويستمد القوة من مصدرها الأصيل فيسير على درب الحياة مستقيما ومضمونا بالفوز والنجاح .

وإذا فهمنا حقيقة الإنسان ووجهة نظر الإسلام عنه ، يسهل علينا أن نقول إن الدولة الإسلامية دولة إنسانية ، لأنها لا تستمد نظامها وحكمها إلا من مصادر الإسلام ، فلابد إذن أن تكون هي معتنية بتشكيل إنسانية الإنسان بمراعاة عنصريه الأساسيين المادي والمعنوي فتؤدي حقوق الإنسان وتحافظ عليها وعلى شرفها وخصائصها حتى يعيش في ظلال الأمن والسلام والطمأنينة والسعادة .

الدولة الإسلامية :

الدولة - كما هو معلوم - هي الحكومة التي تقوم في جماعة من الناس لتدبير شئونهم الداخلية والخارجية والاحتفاظ بمصالحهم الشخصية والجماعية والدفاع عن أنفسهم وأموالهم وأرضهم التي يعيشون عليها . ولا تقوم الدولة إلا إذا توفرت لها أركان ثلاثة : الشعب ، والإقليم والسلطة الحاكمة.

والدولة الإسلامية عبارة عن جماعة من المسلمين أصحاب الحل والعقد وذوى الرأي السديد وأولى الإيمان القوي على رأسها إمام أو خليفة يتولى إدارة النظام وفق كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام وليس الحكم في الإسلام منوطا بجماعة خاصة أو شخص خاص دون آخر وإنما هو منوط بتنفيذ الشريعة الإسلامية ، فكل حكم تنفذ فيه الشريعة الإسلامية هو حكم إسلامي أيا من كان القائم بتنفيذها . ولا تكون هذه الحكومة مطلقة حرة من كل قيد ، بل تكون لها غايات ذات أهمية يجب تحقيقها وبدون ذلك تعد مقصرة في أداء مسئولياتها ، وربما تتجرد من الصفة الإسلامية بنبذها الغاية الأصلية وراء ظهرها .

والدولة الإسلامية تختلف عن غيرها من الدول في الأهداف والمقاصد اختلافا جذريا . فالدول عامة كانت ولا تزال إلى هذا اليوم تهدف إلى أن تسود على غيرها من الشعوب وتبسط سلطانها إلى ما أمكنها بأي طريق كان وليس هناك غرض آخر وراء مطامع النفوذ والسيادة ، لأجل ذلك تتعارض هذه الدول في أهدافها ويحدث احتكاك شديد فيما بينها وتشتعل نيران الحروب بصورة منظمة لأن كل دولة تطمع في بسط سلطانها وتوسيع ملكها بين الدول حتى تكون هي أعظم دولة على الأرض حتى

تستأثر بكنوز تلك الأرض وخيراتها فيحرم أهلها ويعيشون عالة على القوة المستولية الغاشمة، وهذا هو الجشع المقوت والطمع البغوض الذي يثير الحروب بين الشعوب والأمم، فلا غاية لها إلا اكتساب العظمة المصطنعة الكاذبة.

أما الدولة الإسلامية فأكبر هدفها هو تبليغ الدعوة الإسلامية، وتلك دعوة عامة ترمى إلى رفع الإنسانية والنهوض بها إلى معالى المجد الحقيق والشرف الإنسانى الأصيل لا يقصد من هذه الدعوة سيادة شعب على شعب ولا طمع فى ملك وجاه، وإنما يقصد بها إحكام صلة الإنسان بخالقه وإلى الحكم بالعدل والمساواة بين الناس وتحقيق العدالة الاجتماعية فيما بينهم، وهاتان غايتان من أشرف الغايات وغرضان من أنبل الأغراض تسعى الدولة الإسلامية لتحقيقهما دائماً مادامت هى إسلامية بمعناها الكامل.

وقد حدد القرآن الكريم هذين الهدفين قائلا فى سورة النساء (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء)، وأيضاً: (قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أربابا من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون)، وأشار إلى الهدف الثانى بقوله: (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل، إن الله نعما يعظكم به، إن الله كان سميعاً بصيراً) وقال أيضاً: (وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين).

وهذه الدعوة الإسلامية إنما تقوم على أساس من السلم والأمن، لا داعى هناك لحرب كما قال تعالى: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين).

فالأهداف التى تتولى الدولة الإسلامية تحقيقها تدعو إلى السلم ولا تؤدى إلى حروب ونزاعات أو مجموعات وتكتلات كما تؤدى أهداف الدول الأخرى.

ولم يكن للعرب قبل الإسلام دولة تقوم برعاية مصالحهم والاحتفاظ بحقوقهم الإنسانية، وإنما كانوا قبائل متفرقة يعادى بعضها بعضاً ويظلم القوى الضعيف ويمتهن

البعض على بعض ، وكذلك كانت الحال في الأمم الأخرى فلم تكن هناك مساواة في الحقوق الإنسانية ولا عدالة في الجماعات البشرية وإنما كان الحكم للقوى الغالب والمسيطر القاهر فجاء الإسلام بدعوة أحدثت في العالم ضجة وثورة حيث إنه دعا أولا إلى تحرير الوجدان البشرى من عبادة غير الله ومن الخضوع لأحد سواه، حتى يكون الإنسان التائه ملتجئا إلى مركز القوة ومصدرها الإله الواحد القهار ويستمد منه القوة التى تكفيه كل نوع من أنواع الظلم والاستبداد ويتمتع بجميع حقوقه الطبيعية الإنسانية فى ظلال ربوبية خالقه ورحمته العادلة .

وجاءت الدولة الإسلامية نتيجة انبعاث الدعوة الإسلامية وغلبة الحق على الباطل ـ عرضا لا فرضا ـ لأن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يكن ملكا أو أميراً يبسط سلطانه على الأرض ، وإنما بعثه الله رسولا فقط ، بشيراً للإنسانية الضالة بالهداية ونذيراً لأعداء الإنسانية على وجه الأرض ، فجاء مبعوثا إلى الأبيض والأسود إلى كافة الناس ليتم مكارم الأخلاق ويصلح ما فسد من حياتهم فيبنى للإنسان حياته على أسس من توحيد الكلمة والحرية العادلة وللمساواة البشرية، فقامت أول دولة إسلامية فى المدينة المنورة ، انبعثت منها أشعة الحق والإيمان والعدل والسلام إلى أرجاء العالم .

ولم تكن هذه الدولة فرضا يبذل الغالى والرخيص لإقامتها بما أمكن من الوسائل غير المشروعة ولا ماحة كما هى الحال فى جميع الدول الأخرى ، فإنها تكون مقصودة بالذات ، ليس وراءها هدف سام ولا قبلها دعوة بنائية ، لأجل ذلك تكون تلك الدول مثار فتن وحروب وصراع ونزاع تحترق فى أتونها القيم الإنسانية ، وأما النبى ﷺ فلم يبعث إلا رسولا لتكون رسالته خالصة للدين الذى جعله خاتم الأنبياء والمرسلين فتتفق كلمة الأمة بعده ولا ينشأ هناك تخاصم فيما بين أتباعه لأن الملك والطمع فى السيادة مما يحدث التنازع المؤدى إلى الفشل ويجلب الشقاء والبلاء .

وقامت هذه الدولة أول مرة فى الجزيرة العربية حين رأى النبى ﷺ أن الفوضى واللاحكومية سائدة فى بلاد العرب والحكم للقوة لا للحق ، عالج ذلك ببالغ

حكمته وحسن رويته، فأسس لها نظاما إداريا ودستورا أساسيا يتضمن كل ما تحتاج إليه حكومة دستورية راقية، ويشتمل على إدارات تنفيذية وقضائية وعمال للجباية وجيش للدفاع عن الدين وعلماء ووعاظ وحفاظ لتعليم أصول الدين الإسلامي وتبليغ الأحكام الإلهية وإلى غير ذلك من الأمور الإدارية والتشريعية، ولما توفى ﷺ في العام العاشر من الهجرة خلف لنا مملكة إسلامية عظيمة قائمة على أحسن نظام من العدل والمساواة وعلى أحسن طراز حكومي، وعند ما تولى زمام الحكم من بعده خلفاؤه الراشدون المهديون وجدوا هذا النظام الإسلامي كافيا ومفيدا لإدارة مملكة إسلامية كبرى مدت أطنابها إلى قارات ثلاث واسعة تقطنها أمم وشعوب متنوعة يعتنقون أديانا ومذاهب شتى ويتكلمون بلغات مختلفة، ويتمتعون بوارف ظلال العدل والأمن والسلام تحت عناية الحكومة الإسلامية، فلقد كان ذلك النظام الإسلامي والدستور الإلهي المحمدي أوفق نظام حكومي لمصالح الناس ولقد برهنت تجارب العصور الطويلة في غضون الأجيال الكثيرة بأن الحكم الإسلامي الذي وضع بنيانه وأسس قواعده أفضل الرسل ﷺ كان في عهده وعهد خلفائه الراشدين أحسن حكم دستوري عرفه العالم.

وكان عهد النبي ﷺ وعهد خلفائه الراشدين عهدا ذهبيا سجله التاريخ في صفحاته الخالدة ولا زالت تلك العصور لامعة وضاءة في جبهة الدهر، وأن ذلك الحكم الإسلامي لجدير بأن يكون خير مثال يحتذي به العقلاء من كل الأمم ويستوحون من روحه ما يلزمهم لحل مشاكل العصر في الإدارة والحكم كما أنه خير أسوة يتأسى بها الملوك وأصحاب الحكم.

أما الأصول والأحكام التي سار عليها الرسول عليه الصلاة والسلام وأمر بها في تنظيم للمسائل العمرانية والاقتصادية فلقد كانت مفيدة جدا لرقي العمران والاقتصاد، ونلاحظ فيها أن تقسيم الثروة بين الناس وتداولها منظم تنظيما بديعا، وقائم على أعدل طريقة وأحسن منوال كأحكام المواريث وتحديد الوصية وفرض الزكاة على صاحب النصاب وتحريم الربا، فكل هذه تثبت دعائم الحياة الاقتصادية وتوزع المال بين الأغنياء والفقراء بالعدل

والسوية ، وتحض الناس على عمل الخير وإسداء الإحسان للمعوزين ، وتقوى أواصر الأخوة الإسلامية بين مختلف طبقات الشعب ، وتحثهم على التعاون على البر والتقوى فى المشاريع الخيرية الاجتماعية .

سياسة الحكم فى الدولة الإسلامية :

إن سياسة الدولة الإسلامية أو سياسة الحكم فى الإسلام هى سياسة إنسانية ترمى إلى خير الشعوب ورفاهيتها روحيا وماديا ، ولا ترمى إلى تسليط شعب على شعب ، كما هى سياسة الدول الكبرى فى الوقت الحاضر ، مع زعمها الكاذب أنها من وراء ذلك تقصد الخير للشعوب وتحاول القضاء على استعباد الناس بعضهم بعضا ، وإنما تقوم سياستها على التعصبات القومية والدينية والامتياز بين الأهالى والأجانب والأسود والأبيض وما إلى ذلك من مساوىء ، وأما سياسة الإسلام فهى سياسة رشيدة وصريحة لا التواء فيها ولا خداع فإنها سياسة دينية والدين قواعده صريحة لا احتيال فيها ولا إبهام فإنها تقصد إلى خير الناس دون لف ودوران ، وليست هى سياسة تذهب المذهب القائل ـ الغاية تبرر الوسيلة ـ وإنما هى صريحة وعادلة تذهب المذهب المشروع فى الوصول إلى الغايات ، فبالحق تصل إلى الحق وتدعو إلى الحق ، وقد جرى النبى ﷺ على هذه السياسة العادلة وانتهج نهجه بعد وفاته الخلفاء الراشدون فكانت سياسته الداخلية والخارجية واضحتين صريحتين فى مدلولهما تهدفان إلى خير الناس والأمن والسلام .

وتقوم هذه السياسة على فكرة وحدة الإنسانية فى الجنس والطبيعة والنشأة ، وعلى أن الإسلام هو النظام العالمى الخالد الكفيل ببناء الحياة الإنسانية على أسس من توحيد الكلمة وبث العدل والمساواة دون تفريق طبقى أو تمييز عنصرى ، فإنه ليس فى النظام الإسلامى مجال لأى نوع من الاستبداد سواء كان من رجال الدين فى الأمور الدينية أو من رجال الحكم فى الإدارة والسياسة ، فهو يقضى على الاستبداد ويسوى بين الناس جميعا ، ولا يترك رجال الحكم أحرارا فى استئثارهم بأموال الدولة لأنفسهم بل يجعل الرعية حقا فى مشاركتهم فى الأموال ، ولسنا فى حاجة إلى أن نشبه النظام الإسلامى بالنظم العصرية المتبعة فى العالم أو نحاول

تطبيق أحكامه وتعاليمه على ما علمنا من النظم والمذاهب المادية الحديثة ، فإن الإسلام نظام مستقل بذاته كفيل بإرادته ، كاف لتقديم حلول للمشاكل الإنسانية ولمعالجة قضاياها قديمة وحديثة ، وهو يختلف عن سائر النظم الأخرى فى طبيعته الأصلية وغنى عن محاولات التقريب والتطبيق .

والخطوط الأساسية للسياسة التى تسير عليها الدولة الإسلامية ثلاثة :

(١) طاعة المحكومين للحكام .

(٢) الشورى من قبل رجال الحكم .

(٣) العدل .

وقد نص على هذه الخطوط الأساسية القرآن الكريم فقال :

«يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر» .

فالطاعة لولى الأمر كما يتضح من الآية الكريمة مستمدة من طاعة الله ورسوله ، وتسقط هذه الطاعة إذا انحرف ولى الأمر عن الشريعة فإن طاعته ليست لأنه ولى أمر بل لكونه قائما بتنفيذ شريعة الله .

وقد قال رسول الله ﷺ « على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية ، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » ويقول « اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة ما أقام فيكم كتاب الله تعالى » فليست طاعة المحكوم لسلطة الحاكم مطلقة كما فى سائر النظم الأخرى ، وإنما هى مشروطة بإقامة كتاب الله ، ومنح الإسلام الرعية حق المساهمة فى الحكم وذلك عن طريق الشورى ، والشورى لم يكن له وجود قبل الإسلام ، فسنه الإسلام للمسلمين وأمر النبى ﷺ أن يشاور أصحابه فى أمور الحكم وتدبير شئون الدولة كما قال تعالى (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين) كما جاء فى آية أخرى (وأمرهم شورى بينهم) فالشورى أصل مهم من أصول الحكم ودعامة من دعائم الدولة الإسلامية ، وأما كيفية الشورى فسكت عنها القرآن ولم يحدد لها نظاما خاصا وذلك كى يسهل الاختيار حسبما تقتضيه الظروف ومتطلبات الزمان ، وقد عمل الرسول صلى

الله عليه وسلم بهذا المبدأ فكان يستشير المسلمين في كثير من الأمور، وحذى حذوه خلفاؤه الراشدون ، فكان أمرهم شورى بينهم .

والأساس الثالث: عدل الحاكم وقد ورد في القرآن الكريم (إن الله يأمر بالعدل) وجاء في مكان آخر (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) وفي سورة المائدة (ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى). وفي سورة الأنعام (وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى) .

حقوق الأفراد في الدولة الإسلامية:

الحقوق التي يتمتع بها الناس في الدولة هي على ثلاثة أقسام :

١ — الحقوق السياسية ، مثل حق الانتخاب وحق الترشيح وحق تولي الوظائف العامة .

٢ — الحقوق المدنية ، مثل حق الزواج والتعامل بالبيع والشراء والعمل الحر وغيره .

٣ — الحقوق الإنسانية ، كمثل حق الحرية العامة وحرية الدين والاستفادة بمرافق الدولة كالسكن والمواصلات والمياه والإنارة وما إلى ذلك .

إن الشريعة الإسلامية منحت هذه الحقوق أكثر من أي شريعة أو مذهب آخر قديما كان أو حديثا .

فالحقوق السياسية والاشتراك في الحكم لم يفتح بابها للأجانب في الدولة المتحضرة لغاية اليوم بل هي محرمة في القانون الدولي على غير المواطنين ، أما الإسلام فأباح للفارسي والزنجي ومن على شاكلتهم جميع هذه الحقوق التي يتمتع بها المواطن إذا ما ترك بلاده وهاجر إلى دولة إسلامية . وقد أناط النبي ﷺ ومن بعده خلفاؤه كثيرا من مناصب الدولة العامة إلى غير المواطنين العرب من الفارسيين والحبشيين إعلانا بمبدأ المساواة الإنسانية الذي أقرته الشريعة الإسلامية .

وهكذا الحقوق المدنية يتمتع بها كافة المواطنين والأجانب المقيمين في الدولة على قدم المساواة دون تفريق بين مواطن وأجنبي أو أي تمييز بين أسود وأبيض . لأن الإسلام يبتغي العدالة والمساواة بين الجميع . وقد ورد الأمر بذلك صراحة في القرآن الكريم : (ياأيها الذين آمنوا

كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ، إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا) .

وقد أقر القرآن الحكيم مبدأ المساواة واتخذه الرسول ﷺ أساسا للحكم وكذلك من بعده خلفاؤه الراشدون ، فقال تعالى في القرآن الكريم (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) .

وهناك أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ تؤكد هذا المعنى ، قال رسول الله ﷺ : (أنتم بنو آدم وآدم من تراب) فالناس من أصل واحد ، وهم سواسية في الأصل والمنشأ ، قال تعالى في القرآن الكريم : (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير) .

والإسلام برىء من العصبيات القبلية ، والطائفية ، والطبقية ، والعنصرية ولم تصل أية حضارة إلى هذا المستوى الرفيع حتى إلى يومنا هذا ، مع أن الحضارات الغربية تزعم كثيرا أنها تحاول القضاء على التمييز العنصري والطبقي والطائفي ، ولكن هل نجحت في القضاء عليها فعلا . كلا !

وقد رفع الإسلام مكانة المرأة وأعطاها حقها الطبيعي البشري لا إفراط فيه ولا تفريط ، وقد كانت قبل الإسلام في أحط منزلة وكانت تعيش حياة كلها ذل وهوان ، إنها كانت متاعا يباع ويشترى فأثبت لها الإسلام حقها وكرامتها .

وإن هذه المبادىء التي أتى بها الإسلام ليست مجرد وجهات نظر أو فلسفة مكتوبة على الأوراق بل عمل بها في عهد النبوة وعهد الخلفاء الراشدين وفي العهود الأخرى كما أن العدالة في الدولة الإسلامية كانت واضحة جلية ظهرت آثارها في جميع نواحي الحياة في العصور الإسلامية الأولى ، والمجال ضيق لسرد أمثلة تلك العدالة في هذه العجالة .

سياسة المال في الإسلام :

إن السياسة المالية في الإسلام سياسة عادلة ، فهو يراعي مصلحة كل من الفرد والجماعة ويحرص على تحقيق العدالة الاجتماعية بين مختلف طبقات الشعب . إنه

لا يكتفى بتشريع القوانين وإصدار القرارات واللوائح هذا الخصوص فقط بل يقرنها بتوجيه الضمير ويعمل على إيجاد روح البذل والإيثار فى النفوس ، روح البر والتقوى والتعاون على الخير «وتعاونوا على البر والتقوى » « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » « من ذا الذى يقرض الله قرضاحسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة» إنه يحبب البذل والإنفاق إلى النفوس ويجنبها الطمع والجشع وجمع المال ، فإنه لا يقر جمع المال وتكديسه وكنزه .

معالجة مشكلة الفقر :

عالج الإسلام مشكلة الفقر، المشكلة التى لم تنجح فى حلها كثير من الدول وما زال العالم مقسما بين الغنى والفقير ، بين المتقدم والمتخلف ، فقد فرض الإسلام - بعد أن أقر الملك الفردى - نصيبا للفقراء فى أموال الأغنياء يصرف إليهم إلزاميا وهذه هى الزكاة التى هى ركن من أركان الإسلام الخمسة ، وعبادة من العبادات ، مثل الصلاة والصوم والحج ، وليست هذه الزكاة نقصا فى الأموال بل هى تطهير وتزكية لأموال الأغنياء .

ولم يترك الإسلام أمر تسديد الزكاة على أصحاب الثروة ورجال المال ، بل فرض عليهم دفع الزكاة إلى الفقراء المستحقين ، وأوضح لهم أن هذا المال هو حق الفقراء عليكم وليس منة منكم عليهم : « وإنما ترزقون بضعفائكم » ، وفرض كذلك نصبة للمال المدفوع ، وهكذا منع الإسلام تكديس المال والثروة فى أيدى القلة القليلة « كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم ».

حقوق غير المسلمين فى الدولة الإسلامية:

وقد أباح الإسلام لأهل الأديان الأخرى المقيمين فى دولته أن يقوموا بشعائر دينهم وطقوسهم الدينية كما يشاءون وهم أحرار فى شئونهم الخاصة والدينية ، وأما الأحكام العامة والمرافق الوطنية فعاملهم فيها معاملة المساواة وجعلهم يشعرون بأن الدولة لهم أيضا كما أنها للمسلمين ، ولكن مع ذلك يوجد هنالك - بالطبع - بعض الأمور لا بد من التمييز فيها بين المسلمين وغير المسلمين مثلا الزكاة ، فإنها مفروضة على المسلمين قانونيا وكعبادة إسلامية صفتها صفة الصلاة والصوم فلا يمكن فرضها على من لم يعترف بالإسلام دينا ولم يؤمن به كدين سماوى، إذن كيف تأخذ الدولة منهم ما ينفق على رعاية

مصالحهم وإنهم أيضا يتمتعون بالمرافق العامة مثل المسلمين ففرض عليهم مقداراً من المال سماه (الجزية) يؤدونه إلى السلطة الحاكمة كى تنفق على رعاية مصالحهم .

نظام الحرب فى الدولة الإسلامية

إن دعوة الإسلام مبنية على السلام ينادى بها القرآن فيقول : « يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة » وتوفر للناس جميعا الأمن والسلام فقال تعالى فى القرآن الكريم : « فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور » ، والإسلام يحرص على حل مشاكل الإنسان وتسوية قضاياه بطرق سلمية كما نص عليه القرآن : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » .

ولا يبيح الإسلام الحرب لأجل بسط النفوذ والسيادة وإخضاع الشعوب والسيطرة وفتح البلدان والأقطار ، كل ما يريده الإسلام هو نشر الدعوة ورسالة الإسلام إلى كافة الناس ، ثم أقر لها قواعد وسن لها لوائح خاصة لا يمكن الخروج عنها والتجاوز عنها ، ولهذا السبب انتشرت رسالة الإسلام فى جميع أرجاء العالم فى فترة قصيرة ؟

أسعد مدنى

العنصرية أساس قيام إسرائيل

للدكتور إسحق موسى الحسيني
عضو مجمع البحوث الإسلامية

— ١ —

اللهم اشهد أننا نؤمن برسلك وكتبك، ابتداء من إبراهيم أبى الأنبياء - عليه السلام - إلى سيدنا محمد - صلوات الله عليه - امتثالا لما جاء فى كتابك الكريم: «قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون»[١].

واللهم اشهد أننا نؤمن بالأخوة الإنسانية، وأن لا تفاضل بين الناس إلا بالتقوى، التزاما بما ورد فى كتابك الكريم: «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير»[٢].

هذا هو موقفنا الذى جعل بلادنا مأوى لأصحاب الديانات السماوية فى أثناء الأزمات التاريخية المشهورة، منذ الحكم الرومانى الوثنى، فالحروب الصليبية، فمحاكم التفتيش فالاضطهاد الأوربى فمذابح روسيا القيصرية النازية فى القرن العشرين، وقد قرر ذلك المؤرخون فقال العالم اليهودى إبراهام هلكن Abraham Halkin فى كتابه الانصهار العظيم:

«كان اليهودى فى العالم العربى يشعر بالكفاية والأمن والطمأنينة دون أن يحتاج إلى صهر شخصيته فى سكان فلسطين وأرضها. فى هذا العالم كان اليهودى يحس أنه ينزل فى وطنه ويقيم بين أهله، لقد كان آمنا ومطمئنا ومندمجا فى هذا العالم ومتفائلا بمستقبله. واختبارات اليهود خلال القرون التى ساد فيها الحكم العربى تشكل مرحلة ذات مغزى ومعنى عظيمين من مراحل الإنجازات العلمية والاجتماعية التى أنجزها أفراد الطائفة اليهودية»[١].

[١] البقرة ١٣٦. [٢] الحجرات ١٣.

[١] الياس كوسا، قضت مضاجعهم، حيفا ١٩٦٠ ص ٢٠.

وقال المؤرخ البريطانى نيفل بادر : « كانت اليهود أسعد حالا تحت الحكم الإسلامى منهم تحت الحكم المسيحى ، وأسبانيا تقدم مثلا للمركز الممتاز الذى كان يتمتع به اليهود فى العالم الإسلامى »[1] .

"Under Islam yews were in general habbier than in Chiristendom. Arab spain is often quoted as an example of the splendid Jostition which could be enjoyed by yews in the Moslem World".

فماذا كان جزاء العرب والمسلمين؟ وهل نالوا إحسانا بإحسان ، وبرآ ببر؟ أحداث التاريخ المعاصرة تغنى عن كل جواب ، ونجزىء بالإشارة إلى تشريد عرب فلسطين وهدم قراهم ، والاستيلاء على ديارهم ومساجدهم وأقواتهم ، ثم الغزو المتواصل الذى امتد حتى تجاوز الحدود التاريخية المزعومة فى أراضى سوريا ومصر .

وماذا وراء هذا الجحود والعدوان الذى لايقره إنسان ، ولم ينزل به سلطان؟ إنما العنصرية المتمثلة فى الصهيونية التى مافتئت تخطط وتدبر ، ترشو وتضلل ، تخدع وتغزو ، حتى أقامت دولة فريدة فى طرازها – فى العالم أجمع – تستوحى العصور المرغلة فى البداوة ، والمبادىء القائمة على التعصب العنصرى والدعاوى الباطلة التى نسجها خيال متنبئين من أمثال نحميا وعزرا ، ونسبت إلى الله ، تعالى عما يصفون .

— ٢ —

وما العنصرية ؟ وما جرثومتها الأولى ؟ وما قواعدها ؟ وما نتائجها ؟

(١) فالعنصرية اعتقاد يقينى بأن الله اختار شعبا وجعله مقدسا ، وفضله على جميع شعوب العالم ، وقطع له عهدا أبديا مطلقا غير مشروط بأن يمنحه مايشاء ، يخرب ويهلك ويسكن ، تخضع له الملوك وتلحس غبار رجليه ، تكون له الأمم ميراثا ، وأقاصى الأرض ملكا ، يحطم أعداءه بقضيب من حديد ، ويكسرهم مثل إناء من خزف ، لايعطى بناته الغريب ولا يأخذ بنات الغريب لبنيه ، ويعيش شعبا طاهرا مبرأ من رجسات الشعوب[1] .

(٢) وجرثومة هذه العنصرية عهد من طرف واحد – لا تماثله بين طرفين – قطعه إلههم أولا لإبراهيم قائلا : « وأقيم عهدى بينى وبينك وبين نسلك من بعدك فى أجيالهم عهدا أبديا لأكون لك ولنسلك

(1) Nevill Barbour, Nisi Dominus, London 1946, P. 24.

[١] أنظر اشعيا ٤٩/١٤–٢٦ ومزامير ٢/٨–٩ وعزرا ٩/١١–١٢ .

من بعدك ، وأعطى لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك ، كل أرض كنعان - فلسطين - ملكا أبديا وأكون إلههم »[1] .

ثم أكدوا لإسرائيل - وهو لقب ذرية إبراهيم وإسحق ويعقوب - قائلا : « اسمع يا إسرائيل (أنت اليوم عابر الأردن لكى تدخل وتتملك شعوبا أكبر وأعظم منك ، ومدنا عظيمة ومحصنة إلى السماء .. فاعلم اليوم أن الرب إلهك هو العابر أمامك نارا آكلة ، هو يبيدهم ويذلهم أمامك ، فتطردهم وتهلكهم سريعا ، لا تقل حين ينفيهم الرب إلهك من أمامك قائلا : لأجل برى أدخلنى الرب لأمتلك هذه الأرض ، ليس لأجل برك وعدالة قلبك تدخل لتمتلك أرضهم ، بل لكى يفى بالكلام الذى أقسم الرب عليه لآبائك إبراهيم وإسحق ويعقوب فاعلم أنه ليس لأجل برك يعطيك الرب إلهك هذه الأرض الجديدة لتمتلكها لأنك شعب صلب الرقبة »[2] .

فهذه هى إسرائيل نفسها التى بعثت من جديد فى عصرنا ، والعهد الذى أعطى لا علة له ، وليس عقدا بين طرفين وليس له مسوغ أخلاقى لأن من أعطى له لا يستحقه فهو صلب الرقبة غليظ القلب .

وربما قيل : لقد أقر القرآن الكريم بتفضيل بنى إسرائيل على العالمين لقوله تعالى : « يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين »[1]

والجواب أن التفضيل موقوت ومشروط موقوت لأن الإسرائيليين يومذاك كانوا موحدين فى عالم وثنى ، وإذن كل من دخل فى التوحيد شمله التفضيل ، ومشروط بالوفاء بالعهد لقوله تعالى : « اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم وإياى فارهبون »[2] . وإذن إذا توقف الوفاء زالت النعمة ، وقد فصل القرآن الكريم ، والعهد القديم ، عصيان بنى إسرائيل ونقضهم العهد مرارا ، وتنبأ بالتشرد إذ جاء فى سفر التثنية : « ويبددك الرب فى جميع الشعوب من أقصاء الأرض إلى أقصائها .. وفى تلك الأمم لا تطمئن ولا يكون قرار لقدميك بل يعطيك الرب هناك قلبا مرتجفا وذبول النفس » .

وعاد الإسرائيليون زمن داود وأكدوا العهد ، وقالوا فى العنصرية حتى جعلوا الله

[١] تكوين ١٧/٧ .
[٢] تثنية ٩/١ - ٦ .

[١] البقرة ٤٧ .
[٢] البقرة ٤٠ .

يأخذ داود من وراء الغنم ليكون رئيسا على إسرائيل ، ويكون معه حيثما توجه ، ويقرض جميع أعدائه[١] ، وحتى جعلوا الله يختار « صهيون » في بيت المقدس مسكنا له[٢] ، ويمنح نسل داود وكرسيه الخلود إلى آخر الدهر[٣] .

ومع ذلك فإن مملكة داود لم تدم أكثر من سبعين سنة ، إذ حدث الانشقاق بين جزأيها الشمالي والجنوبي ، وتلاه السبي الأشوري والبابلي ، ثم اندثار الهيكل ودمار العاصمة ، فالتهتت في كل مكان ، وبذلك لم يتحقق العهد الذي قطعه المهم ، وصدق قول الله تعالى : « وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم » .

(٣) أما جرثومة العنصرية فقد وردت في العهد القديم ، ولما كتب الحاخامات التلمود بشقيه المشنا والجمارا ـ التلمود الفلسطيني في القرن الثاني بعد المسيح والتلمود البابلي في القرن الخامس بعد المسيح أسهبوا في شرح العنصرية وتفننوا في تمجيد الشعب وتأليهه ، وأسرفوا في ذم الشعوب غير اليهودية ، سيما المسيحية ، وأباحوا الشعب الإسرائيلي مالا يقره عقل ولا خلق وتكون من ذلك كله قواعد العنصرية القائمة على العقيدة والعهد ، لا على الأخلاق والعقل .

١ — فمن ذلك قول التلمود إن أرواح اليهود تتميز عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله كما أن الابن جزء من والده وكأن الإنسان يعلو البهيمة كذلك اليهود هم أرفع من شعوب الأرض ، لأن زرع الأغراب كزرع الحصان ، وشعب الله المختار وحده يستحق الحياة الأبدية ـ ولا تقتل ـ التي جاءت في وصايا موسى معناها لا تقتل إسرائيليا ، ومن يقتل إسرائيليا فإن الله يحاكمه كما لو أنه قتل العالم بأسره[١] .

٢ — ويقول التلمود إن الله أعطى اليهود كل قوة على خيرات الأمم ودمائهم فإذا سرق غير اليهودي يعاقب ، أما اليهودي فتحل له السرقة وغش الغريب لأنه مكتوب أي في العهد القديم « لا تغش قريبك وليس « لا تغش الغريب »[٢] .

[١] صموئيل ٢/٨ ـ ٩ .
[٢] مزامير ١٣٢/١٣ ـ ١٧ .
[٣] مزامير ٨٩/٣٠ .

[١] الكنز المرصود في قواعد التلمود ، ترجمة الدكتور يوسف نصرالله ، بيروت ١٩٦٨ ط ثانية ٦٢ ، ٦٨ وهمجية التعاليم الصهيونية ، تأليف بولس حنا سعد ، بيروت ١٩٦٩ ص ٦٢ ، ١٣٢ ، ٩٦
[٢] همجية التعاليم الصهيونية ص٧٣ والتثنية ١٤/٢٢

٣ — وجاء في سفر التثنية: «لا تقرض أخاك بربا في فضة أو شيء آخر مما يقرض بالربا بل الأجنبي إياه تقرض بالربا، وأخاك لا تقرضه بالربا»[١] وجاء في التلمود «مسموح غش الأمي وأخذ ماله بواسطة الربا الفاحش ولكن إذا بعت أو اشتريت من أخيك اليهودي شيئا فلا تخدعه ولا تغشه»[٢].

وجاء في سفر التثنية: «لا تأكلوا جثة ما، تعطيها الغريب الذي في أبوابك فيأكلها أو يبيعها لأجنبي لأنك شعب مقدس للرب إلهك»[٣].

٤ — قال موسى: «لا تشته امرأة قريبك»[٤]، فمن يشتهي بامرأة قريبه يستحق الموت، والتلمود لا يعد القريب إلا اليهودي فقط، فإتيان زوجات الأجانب جائز[٥].

٥ — ولا يعد التلمود اليمين التي يقسم بها اليهودي في معاملاته مع باقي الشعوب يمينا، لأنه كأنه أقسم لحيوان والقسم لحيوان لا يعد يمينا[٦].

[١] تثنية ٢٣/١٩ - ٢٠.
[٢] الكنز المرصود ص ٧٥.
[٣] ١٤/٢١.
[٤] خروج ٢٠/١٧ وتثنية ٥/٢١.
[٥] الكنز المرصود ص ٨٩.
[٦] الكنز المرصود ص ٩٣.

٦ — وجاء في سفر اللاويين بالعدل تحكم لقريبك لا تسع في الوشاية بين شعبك لا تقف على دم قريبك، لا تبغض أخاك في قلبك، لا تنتقم ولا تحقد على أبناء شعبك بل تحب قريبك كنفسك[١].

وجميع هذه الوصايا عنصرية.

٧ — وجاء في التلمود أن الله لا يغفر ليهودي يرد للأمي ماله المفقود وغير جائز رد الأشياء المفقودة من الأجانب[٢].

٩ — ويطالب التلمود بالحرمان كل من يبيع حقلا أو غيطا لغير يهودي[٣]

وكانت الشركات اليهودية في فلسطين تحرم نقل الأرض من اليهودي إلى العربي.

١٠ — ويقرر التلمود أن من يرفع وثنيا من حفرة وقع فيها فإنه يبقي على رجل من عبدة الأوثان، لذلك إذا سقط وثني في حفرة فاسددها عليه بحجر كبير[٤]:

هذه هي بعض قواعد العنصرية الواردة في العهد القديم والتلمود، وقد ضربنا صفحا عما ورد بحق السيد المسيح والمسيحيين تنزيها للقلم.

[١] ١٩/١٤ - ١٨.
[٢] الكنز المرصود ص ٧٧.
[٣] السابق ص١٠٢ التعاليم الصهيونية ص١٢٣.
[٤] السابق ص ٩٣.

٤ — وماذا كانت نتيجة هذه العنصرية ؟

أولا : لم يطق الإسرائيليون فى تاريخهم حكما لغريب عليهم ، وثاروا على حكامهم الرومان مرارا ، بل لم يطيقوا العيش فى الحويين فى شكيم — الناصرة — الذين أنزلوهم فى ديارهم وأكرموا وفادتهم وقبلوا مصاهرتهم (١) ولم يطيقوا العيش مع المسيحيين الغربيين فى أوروبا ، فأغلقوا دونهم الأبواب وأقاموا الأحياء المعزولة المعروفة بالغيتو (٢) فى جميع المدن الأوربية التى سكنوها .

ثانيا : نتجت عن العنصرية ما عرف فى التاريخ بمناهضة السامية Anti - semitism والمذابح الوحشية ، ومحاكم التفتيش ، ويذكر أحد المؤرخين (٣) أن مناهضة السامية عرفت فى العصور القديمة فى القرن الثانى قبل الميلاد حين قال الوزير الفارسى هامان للملك أحشو يروش Ahasuerus « أنه موجود شعب ما متشتت ومتفرق بين الشعوب فى كل بلاد مملكتك ، وسننهم مغايرة لجميع الشعوب وهم لا يعملون سنن الملك ، فلا يليق بالملك تركهم ، فإذا حسن عند الملك فليكتب أن يبادوا » — كما ورد فى سفر أستير فى قصة طويلة وطريفة (١) ، وذكر المؤرخ اليهودى يوسيفوس الذى عاش فى القرن الأول للميلاد : أن سبب كل مصيبة حلت باليهود هى العقيدة المتعصبة عندهم .

وليست اللاسامية فى حقيقتها إلا رد فعل للعنصرية حينما أظهر اليهود ترفعا عن مساكنيهم ، واتبعوا تعاليمهم العنصرية فى المعاملات ، وظهرت اللاسامية تردع وتنتقم ، ومع أن الإسرائيليين وجدوا فى الولايات المتحدة الأمريكية مرتعا خصبا لا مثيل له فى أية بقعة فى العالم فإن هنرى فورد الأول هتك سترهم فى كتابه « اليهودى الدولى » (٢) The International yeu وصدر كل فصل بفقرة من حكماء صهيون تبرز عنصريتهم ومدى أطماعهم وآمالهم .

ثالثا : ونتيجة للعنصرية ظهرت الحركة الصهيونية فى ثوب الفقهاء المتدين فى أواسط القرن السادس عشر للميلاد، وفى ثوب الباحث

---

[١] انظر القصة فى سفر التكوين الإصحاح الرابع والثلاثون.

(2) Ghetto

[٣] المصدر رقم ٤ ص ١٩ .

[٤] الإصحاح الثالث والنص ورد فى ٣/٧ - ١٧م مارجوليز وألكسندر ماركس ، تاريخ الشعب اليهودى ، نيويورك ١٩٦٤ ج ١ ص ٤٤ .

[١] الـكتاب يحتوى على ستة عشر فصلا ، قدم له Gerald L.K. Smith فى الولايات المتحدة الأمريكية بلا تاريخ .

من الملجأ من الاضطهاد في القرنين الخامس عشر والتاسع عشر ، وفي ثوب الطامع في وطن قومي في أوائل القرن العشرين ، وفي ثوب المواطن المدافع عن مصالحه في أواسط القرن العشرين ، وفي ثوب الجندي المدجج في السلاح ، الذي يجول ويصول ، يزأر ويهدد ، في النصف الثاني من هذا القرن .

فالحركة الصهيونية التي تجسدت فيما يسمى بإسرائيل حركة عنصرية ضاربة في أعماق التاريخ ، تلاحمت هي والدين تلاحما تاما ، وقصدت إقامة دولة عنصرية ، تأبى أن يختلط الدم المقدس بدم الشعوب غير المقدسة .

إن العنصرية هي القاعدة الأساسية التي تقوم عليها إسرائيل اليوم ، وهي التي نقض أصولها السيد المسيح ، وأبطلها الإسلام جملة وتفصيلا ، ولنا على ذلك جملة أدلة يطول شرحها ، نجزىء منها ما يلي :

أولا : إن اختيار فلسطين دون بلاد العالم ، وتسميتها بأرض الميعاد هو ارتباط بالعهد العنصري الذي شرحناه والذي لا نجد له مسوغا خلقيا ولا إنسانيا .

ثانيا : إن اختيار اسم « إسرائيل » للدولة هو بعث للعهد الذي قطعه إلهم لإسرائيل بالروح والهدف والمعنى التي وردت في سفر التثنية . وهو قائم على الإبادة والطرد والإذلال - كما ذكرنا سابقا .

ثالثا : إن شعار « الصهيونية » ذو دلالة عنصرية واضحة ، فصهيون هو الحصن الذي استولى عليه داود من اليبوسيين — الكنعانيين ، وبنى فيه مدينته التي نقل إليها تابوت العهد ، فصار صهيون أحب إلى الرب من جميع البلاد ، حتى اتخذوه مسكنا له : « أفتعرفون أني أنا الرب إلهكم ساكنا في صهيون جبل قدسي . وتكون أورشليم مقدسة ولا يجتاز فيها الأعاجم في ما بعده »[1] . فالصهيونية هي حنين طاغ إلى بعث مملكة داود خالصة للعنصريين وحدهم ، ولا يشاركهم فيها أحد من الأعاجم .

رابعا : نص مشروع الدستور الإسرائيلي على الصيغة العالمية اليهودية للدولة - أي طبع الدولة بطابع عنصري صرف . وقرر أن الدولة ستبنى على مبادىء الحرية والعدل والسلام كما يفهمها أنبياء إسرائيل . ومفهوم أنبياء إسرائيل مشروح في التلمود على النحو الذي بيناه فيما سبق .

---

[١] يوئيل ٣/١٦ - ١٧ .

(1) The yewsalem post (weekly), August 14, 1907 P.4,

خامسا : إن زعماء إسرائيل تفلت منهم أحيانا عبارات تربط الدولة بالدين ومن ذلك قول موشى ديان : مادام يوجد كتاب الكتب ، أى الكتاب المقدس ، وما دام يوجد شعب الكتاب المقدس ، فيجب أن يوجد بلد الكتاب المقدس : ولابن جوريون أقوال جريئة تدل على عنصرية طاغية .

سادسا : فتح البلاد لهجرة يهودية مستمرة يؤدى إلى إزالة الصبغة العربية تدريجيا واستفحال العنصرية .

سابعا : ترديد زعمائهم عبارة «الحدود التاريخية» يقصد بها بعث مملكة داود العنصرية .

والحقيقة التى ينبغى أن يعرفها العالم اليوم ، والتى يخفيها الزعماء العنصريون ، هى أن الصراع ليس بين العرب والإسرائيليين ولا بين المسلمين واليهود - كما يبدو فى الظاهر - ولكنه بين فلسفتين فى الحياة ، فلسفة تقول إن الإنسان أخو الإنسان أحب أم كره ، وإن الناس تتكافأ دماؤهم ، وإن التعايش السلمى ضرورة لا غنى عنها فى عصر الفضاء والأسلحة الذرية ، وإن العدل والحق والخير والمساواة وتكافؤ الفرص ينبغى أن تشيع وأن تتحرر من كل قيد لتتمكن الأسرة الإنسانية من العيش فى سلام وحرية واطمئنان ، وبين فلسفة عتيقة تقول إن شعبنا اختاره الله ليكون شعبا أخص من جميع الشعوب على وجه الأرض ، وإن الله إلهه وحده ، وإن سائر الشعوب نجسة خلقت لتكون رعاة لغنمه وحراثين لكرومه ، إليه وحده تتحول ثروة البحر وغنى الأمم [1] .

هذا هو جوهر الصراع القائم اليوم . وهو يسمى عرضا القضية الفلسطينية أو القضية العربية ، وما هو إلا قضية الوحدانية السمحة والأخوة والمحبة والتسامح والعدل من ناحية وقضية العنصرية الموغلة فى التعالى والغرور والعزلة وأساطير الأولين من ناحية أخرى .

ومتى أدرك العالم هذه الحقيقة - ولا سيما المسيحية الغربية المضللة والمغلوبة على أمرها - هب يدافع عن كرامة الإنسان ، من حيث هو إنسان ، وقل جاء الحق وزهق الباطل . إن الباطل كان زهوقا ؟

إسحاق موسى الحسينى

[1] عدد ٣٣/٥٢ - ٥٥ وتثنية ٧/١ - ٦ وعزرا ٩/١٠ واشعيا ٦٠/١٠ .

الإسلام و الحرب النفسيّة

للواء الركن محمود شيت خطاب
عضو مجمع البحوث الإسلاميّة

— ١ —

رددت أجهزة الإعلام العربية كثيرا تعبير « الحرب النفسية » بعد نكسة سنة ١٩٦٧ ، فأصبح هذا التعبير شائع الاستعمال في البلاد العربية .

وقد صدرت في اللغات الأجنبية دراسات مستفيضة عن « الحرب النفسية » تتحدث بإسهاب ودقة عن معانيها وأساليب تطبيقها وأجهزتها وأهدافها والوسائل الفعالة في استخدامها ومظاهرها الأساسية وطرق الوقاية من شرورها .

واطلعت على بعض تلك الدراسات الأجنبية فوجدت طرق الوقاية من شرور الحرب النفسية معقدة صعبة لأن الباحثين اعتمدوا على الوسائل المادية في معالجتها ، فهم يزنون كل شيء في الحياة بميزان المادة وحدها ويعتبرون المادة هي المشكلة وهي الحل .

ووازنت بين حلول الأجانب وحلول الإسلام لمعضلات الحرب النفسية فلمست كيف يبسط الإسلام ما عقدوه ويسهل ما صعبوه .

فما هي الحرب النفسية ؟ وما الفرق بين الحرب الفعلية والحرب النفسية ؟ وكيف يدفع الإسلام أخطارها عن المجتمع الإسلامي ؟

الحرب : هي القتال الناشب بين دولتين أو أكثر للحصول على مقاصد سياسية واقتصادية بقوة السلاح .

والحرب النفسية : هي الجهود السلبية والإيجابية التي تبذل في أيام الحرب والسلام لتحطيم المعنويات وفرض الاستسلام .

والمعنويات : هي القوى الكامنة في صاحب الإنسان التي تكسبه مزية إرادة القتال .

وإرادة القتال : هي التصميم على خوض الحرب دفاعا عن العقيدة والأرض والعرض وتحمل أعباء الحرب بذلا للأموال وتضحية بالأنفس واستهانة بالأضرار والعقبات ، وصبرا على البأساء والضراء مهما طال المدى وبعد الهدف وكثر العناء وازدادت المصائب وسالت الدماء .

والهدف الأصلي من الحرب ، هو تحطيم القوات المادية جيشا وشعبا، بحيث لا تقوى على المقاومة وترضى بشروط المنتصر .

وتحطيم القوات المادية يشمل تحطيم طاقاتها المادية والمعنوية لفرض شروط الاستسلام عليها .

تلك هي تعاريف موجزة لمصطلحات عسكرية شائعة أصبح تفهمها ضروريا للعرب وللمسلمين خاصة في هذه الظروف التي يجتازها العرب والمسلمون بعد الذي حدث في حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ .

ومن الواضح أن هدف الحرب الفعلية هو القضاء على جسد الإنسان بالدرجة الأولى ، وهدف الحرب النفسية هو تحطيم نفسيته .

والحرب النفسية تشن قبل الحرب الفعلية للتأثير في معنويات العدو ، وفي أثناء الحرب للتأثير في ثباته ومقاومته ، وبعد الحرب للإذعان إلى المنتصر .

— ٢ —

إن الحرب النفسية تعبير يرادف تعابير : حرب الدعاية وحرب الإعلام والحرب الباردة والحرب العقيدية والحرب السياسية .

وهذه الحروب قديمة قدم التاريخ لا تختلف في شكلها الحالي عما كانت عليه من قبل إلا في الوسيلة والتطبيق ، وقد ظل هدفها الرئيسي هو التأثير في نفسية العدو والقضاء على معنوياته ، ويتم التأثير في نفسية العدو ومعنوياته باستخدام علم النفس وتطبيقاته الاجتماعية لتشكيك في الأفكار والمعتقدات وزعزعة الإيمان بالنصر وإشاعة الانهزامية وتأجيج الأحقاد باستثارة الطائفية والتفرقة العنصرية والعقيدية وإثارة الكراهية بين الشعب وحكومته ومحاولة كسب العناصر الحايدة والمترددة ، والتخويف من الموت والفقر والمجهول ، وبث الذعر وإطلاق الإشاعات والمبالغة في قوة العدو والزعم بأنها لا تقهر .

ويستعين العدو بشتى الوسائل لتحقيق أهداف الحرب النفسية فهو يستعين في الحرب بنشرات الاستسلام التي يوزعها بالطائرات على القوات المقاتلة وفي الصفوف الخلفية وعلى القواعد المتقدمة والأمامية والخلفية .

ويستعين في الحرب بمكبرات الصوت والإذاعة للحث على الاستسلام ، والقيادة

الحصيفة المسيطرة هي التي تمنع العسكريين وغيرهم من التقاط منشورات العدو والإصغاء إلى مكبرات صوته وإذاعته.

وقد استعان الحلفاء والمحور في الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥) بأساليب الحرب النفسية، فنجح الحلفاء في تحطيم معنويات الإيطاليين مما أدى إلى استسلامهم للحلفاء بأعداد ضخمة ولم ينجحوا في تحطيم معنويات الألمان واليابانيين.

كان الألمان واليابانيون يرفضون سماع الإذاعات المعادية وكان الإيطاليون يقبلون على سماع الإذاعات المعادية ويتناقلون أخبارها ويصدقونها في أغلب الأخبار، لذلك انهاروا بسرعة وقبلوا شروط الاستسلام.

ويستعين العدو في أيام السلام بنشرات الاستسلام والمنشورات الصحفية ومكبرات الصوت والأفلام السينمائية والمعارض والملصقات والصور والإذاعات والإشاعات والمخربين والجواسيس والوعد والوعيد وإشاعة الانحلال الخلقي والفساد والذعر والخوف والتشكيك بالقيم والمثل العليا.

— ٣ —

فما هي الحلول الجذرية البسيطة السهلة التي يعالج بها الإسلام آفات الحرب النفسية؟

ظهر لنا مما تقدم أن أهم أهداف الحرب النفسية هي: التخويف من الموت والفقر، ومن القوة الضاربة للمنتصر، والدعوة إلى الاستسلام، وبث الإشاعات والأراجيف، وإشاعة الاستعمار الفكري بالغزو الحضاري، وبث اليأس والقنوط.

المؤمن حقا لا يخشى الموت لأنه يؤمن بأنه لا يموت إلا بأجله الموعود، قال تعالى: «إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون[1]» وقال تعالى: «فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة، ولا يستقدمون[2]» وقال تعالى «وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله[3]» وقال تعالى «أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة[4]» وقال تعالى: «قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم»[5].

إن المؤمن حقا يعتقد اعتقادا راسخا بأن الآجال بيد الله سبحانه وتعالى وما أصدق قولة خالد بن الوليد رضي الله عنه عند ما حضرته الوفاة «ما في جسمي شبر إلا وفيه طعنة رمح أو سيف وها أنذا

[١] يونس : ٤٩
[٢] الأعراف : ٣٤ ومن النحل: ٦١
[٣] آل عمران: ١٤٥
[٤] النساء : ٧٨
[٥] آل عمران : ١٥٤

أموت على فراشي كما يموت البعير ، فلا نامت أعين الجبناء [1] » .

والمؤمن حقا لا يخاف الفقر لأنه يعتقد اعتقادا راسخا بأن الأرزاق بيد الله سبحانه وتعالى وأنه يرزق النملة المنفردة في الصخرة المنفردة في البحر المحيط ، فكيف ينسى رزق الإنسان ؟

قال تعالى « والله يرزق من يشاء بغير حساب » [2] ، وقال تعالى : « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب » [3] وقال تعالى : « وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها » [4] .

والمؤمن حقاً لا يخشى قوات العدو الضاربة ، فما انتصر المسلمون في أيام الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام ، وفي أيام الفتح الإسلامي العظيم بعدة أو عدد ، بل كان انتصارهم بالإسلام ، قال تعالى : « قال الذين يظنون أنهم ملاقو الله ، كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ، والله مع الصابرين » [5] وقال تعالى « يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال ، إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون ، الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا ، فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله ، والله مع الصابرين » [1] ، وقال تعالى : « الذين قال لهم الناس ، إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء » [2] .

والمؤمن حقاً لا يقر بانتصار أحد عليه ما دام في حماية عقيدته ، فهو لا يستسلم أبداً ولا يفكر في الاستسلام لأنه يؤمن بأن انتصار العدو عليه قد يدوم ساعة ولكنه لا يدوم إلى قيام الساعة ، قال تعالى « إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ، وتلك الأيام نداولها بين الناس » [3] وقال تعالى « إن مع العسر يسرا » [4] وقال تعالى « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ، ولكن المنافقين لا يعلمون » [5]

[١] أسد الغابة ٢/ ٩٥ والاستيعاب ٢/ ٤٣
[٢] البقرة : ٢١٢ .
[٣] الطلاق : ٢٠ .
[٤] هود : ٦ .
[٥] البقرة : ٢٤٩ .

[١] الأنفال : ٦٥ ، ٦٦ .
[٢] آل عمران : ١٧٣ ، ١٧٤ .
[٣] آل عمران : ١٤٠ .
[٤] الانشراح : ٦ .
[٥] المنافقون : ٨ .

وقال تعالى « ولا يحزنك قولهم إن العزة لله جميعاً »[1].

والمؤمن حقاً لا يصدق الإشاعات والأراجيف ولا يبثها ، بل يقضى عليها فى مهدها وينبذ مروجيها ويفضحهم ولا يسكت عليهم ، قال تعالى « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين »[2] وقال تعالى « لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم »[3] وقال تعالى « وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ، ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم ، لعلمه الذين يستنبطونه منهم »[4]

والمؤمن حقاً يقاوم الاستعمار الفكرى ويصاول الغزو الحضارى الذى لا طائل من ورائه لأن له من مقومات دينه وتراث حضارته ما يصونه من تيارات المبادىء الوافدة التى تناقض دينه وتراثه وحضارته وتذيب شخصيته وتمحو آثاره من الوجود قال تعالى : « قل يا أيها الكافرون ، لا أعبد ما تعبدون ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، ولا أنا عابد ما عبدتم ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، لكم دينكم ولى دين »[1] .

وقال تعالى : « قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى ، وسبحان الله وما أنا من المشركين »[2].

والمؤمن حقا لا يقنط أبدا ولا ييأس من نصر الله ورحمته ، قال تعالى « لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا »[3] وقال تعالى « قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون »[4] . وقال تعالى « وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون »[5] وقال تعالى : « وإن مسه الشر فيئوس قنوط »[6] .

تلك هى الحلول الجذرية السهلة البسيطة التى يعالج بها الإسلام آفات الحرب النفسية ومن موازنة هذه الحلول بحلول الأجانب نجد عظمة الإسلام فى حماية المسلمين من شرور الحرب النفسية ، وبهذه الموازنة بين حلول الأجانب المعقدة وحلول الإسلام البسيطة تذكرت قولة « برناردشو » فى رسالته باللغة الإنجليزية التى سماها (نداء الأمل) وتأكدت من إنصافه فقه

[١] يونس : ٦٥ .
[٢] الحجرات : ٦ .
[٣] الأحزاب : ٦٠ .
[٤] النساء : ٨٣ .

[١] الكافرون : ١ - ٦ .
[٢] يوسف : ١٠٨ . [٣] الزمر : ٥٣ .
[٤] الحجر : ٥٦ . [٥] الروم : ٣٦ .
[٦] فصلت : ٤٩ .

قال (إن محمدا يجب أن يدعى منقذ الإنسانية ولو أن رجلا مثله تولى قيادة العالم الحديث لنجح فى حل مشكلاته بطريقة تجلب إلى العالم السلام والسعادة اللذين هو فى أشد الحاجة إليهما) [١].

— ٤ —

لقد ذكرت أن الحرب النفسية لا تؤثر فى المؤمن الحق فهل العرب والمسلمون اليوم مؤمنون حقا ؟.

لا بد من إعادة النظر فى بناء الرجال ليكونوا دعامة الحاضر وسند المستقبل لتكون الأمة الإسلامية خير أمة أخرجت للناس.

والسبيل إلى ذلك هو :

(١) يجب أن يتحمل الآباء والأمهات واجباتهم كاملة فى تربية الطفل، لأن كثيرا منهم قد أهمل هذه الناحية اعتمادا على المدرسة ، فيجب تلقين الأطفال مبادىء الدين الحنيف وأسس الخلق القويم فى البيت قبل الالتحاق بروضة الأطفال والمدرسة .

إن الطفل الذى لا يتلقى التربية الصالحة من والديه فى بيته قبل ذهابه إلى الروضة والمدرسة ، أو يتلقى فى البيت تربية فاسدة تعجز الروضة والمدرسة عن تقويم اعوجاجه التربوى ، ومن المؤسف حقا أن كثيرا من المدارس لا تعلم التدين وأن البعض منها يعلم ما يتناقض مع الدين ولا أزيد .

وقد سألنى صحافى قبل أيام يزعم بأن الأبوين فقدا السيطرة على أولادهم من الجيل الجديد . فقال : « هل تعانى مشاكل من تصرفات أولادك ؟ » فأجبته : « مشاكل ولماذا أعانى مشاكل ؟ إن الذين يعانونها مقصرون فى تربية أطفالهم ، ولو بدأوا بتوجيههم حين كان أطفالهم فى السادسة لغرسوا فيهم الدين والفضيلة ولما عانوا مشاكل من تصرفاتهم » .

إن البيت هو المدرسة الأولى للأطفال وفيه يوجهون مبكرا إلى الخير والشر ، والأطفال يقتبسون مزايا آبائهم وأمهاتهم والمثال الشخصى للأبوين يؤثر فى أطفالهما أعمق التأثير ، فمن خاف على عقبه وعقب عقبه فليتق الله .

والأطفال المنحرفون والشباب المنحرف هم نسخة طبق الأصل من أبويهم ، ولا عبرة بالاستثناء. إن الأطفال أمانة لدى الوالدين ورب البيت الذى لا يربى أولاده تربية سليمة ولا يستطيع السيطرة عليهم فى دور المراهقة خائن وجبان ، والذى يدع عرضه نهبا لأعين الفساق من الناس خائن وجبان وديوث .

[١] من رسالة بالإنجليزية « نداء العمل » مجلة الأزهر — ج ١٠ س ٤ ص ٧٢٠ .

ب — إعادة النظر فى تربية النشء الإسلامى ووضع مناهج تربيتهم على أسس مستمدة من تعاليم الدين الحنيف .

إن تفشى التردى الخلقى بين أبنائنا يخدم إسرائيل وأعداء العرب والمسلمين ، فلماذا نخرب بيوتنا بأيدينا ؟

إن إعداد المعلم والأستاذ إعدادا سليما هو مفتاح الإصلاح التربوى ، فلا بد من إعطاء هذه الناحية أعظم درجات الاهتمام، يجب أن ندخل التعليم الدينى فى مدارسنا ومعاهدنا وكلياتنا ، وأن نعد مناهج هذا التعليم باستشارة علماء الدين الحنيف .

ومن المؤلم أن التعليم الدينى حورب فى البلاد العربية والإسلامية محاربة لاهوادة فيها حتى تلاشى هذا التعليم فى المدارس والمعاهد والكليات أو كاد .

ومن المذهل حقا أن رجال التربية والتعليم العرب والمسلمين هم الذين ذبحوا التعليم الدينى بغير سكين ، وبهذا نفذوا أهداف الاستعمار والصهيونية فى سلب العقيدة من المتعلمين فهل يمكن أن نصدق أن ذلك جرى عفوا ، أم أن الأيدى الخفية كانت وراء الأكمة ، فسخرت التافهين والإمعات والعملاء وأشباه الرجال لوضع مخططاتها التخريبية فى موضع التنفيذ .

حـ — يجب إقامة المساجد فى كل مدرسة ومعهد وكلية وحث التلاميذ والطلاب على أداء فريضة الصلاة ، وقد دأب التلاميذ والطلاب على القيام بسفرات محلية وخارجية فلماذا لا تقوم بسفرات لأداء فريضة الحج والعمرة ولو مرة واحدة فى كل قطر عربى وإسلامى فى كل عام .

أليس من الغريب أن نسافر إلى الشرق والغرب ولا نزور الديار المقدسة .

لقد سافرت لأداء فريضة الحج يوم كنت فى السنة الثالثة من المدرسة الإعدادية مع جماعة من التلاميذ والمدرسين ، فأثر ذلك فى نفسى تأثيرا لا تمحوه الأيام ، ووجهنى إلى الخير والنور فلماذا لا نكرر هذه التجربة على أكبر عدد من التلاميذ والطلاب والمدرسين والأساتذة .

د — مراقبة تصرفات التلاميذ والطلاب والمدرسين والأساتذة ووضع حد للانحراف والمنحرفين بحزم وقوة لمصلحة أولئك المنحرفين .

إن (الحرية) التى بنا وفى قيودهى (فوضى) والحرية الحقة فى التصرف ضمن إطار الفضيلة والخلق الكريم .

إننا لسنا بحاجة إلى (حرية) التفسخ والتحلل والضياع .

إن عقلاء الأجانب ومفكريهم متذمرون من ضياع شبابهم فلماذا نستورد التحلل

من وراء الحدود باسم الحرية والمدنية ، الخ من شعارات .

(هـ) على الدول العربية والإسلامية أن تشجع الفضيلة وتقضى على الرذيلة وأن تولى مقاليد الأمور الملتزمين بالفضيلة والدين حتى يكونوا أسوة حسنة لغيرهم لأن فاقد الشيء لا يعطيه ، وعلى هذه الدول تحريم تقديم الخمور فى حفلاتها الرسمية وأن تمنع استيراد الأفلام الخليعة وعرض التمثيليات اللا أخلاقية فى الإذاعة المرئية والمسموعة وتمنع مجلات الجنس وقصص الخدع وأدب الجنس ، لقد نقلنا المراقص الخليعة بالإذاعة المرئية إلى كل دار فالله الله فى أخلاق أطفالنا وشبابنا .

(و) على الدول أن تختار العلماء للنهوض بواجب التوعية الدينية فى الإذاعة والصحافة وأجهزة الإعلام والمساجد والنوادى وقاعات المحاضرات وقصور الثقافة ، إن حاجة العرب والمسلمين اليوم إلى علماء عاملين كأسد بن الفرات والعز بن عبد السلام وأبى الحسن الشاذلى وابن تيمية لا تقل أهمية عن حاجتهم إلى قادة أفذاذ كخالد بن الوليد والمثنى بن حارثة الشيبانى ، فى يعطى العلماء العاملون حقهم ، ومن يفسح لهم المجال للنهوض بواجباتهم الدينية ؟ .

(ز) على المسئولين عن اختيار طلاب الكلية العسكرية التدقيق الشديد فى اختيار العناصر المؤمنة القوية الأمينة ، وعدم اختيار غير الملتزمين بالخلق المتين وتعاليم الدين الحنيف .

كما يجب اختيار المعلمين المتدينين من ذوى الكفايات العالية ليكونوا ضباطا مدربين ومعلمين فى الكلية العسكرية لأن هؤلاء يطبعون الطلاب بطابعهم ويكونون قدوة حسنة لهم .

كما يجب الاهتمام بإقامة الشعائر الدينية فى أوقاتها فى الكلية العسكرية والجيش ، وإدخال التعليم الدينى فى منهج الكلية العسكرية والجيش ومن المهم بناء مسجد فى كل معسكر وكل ثكنة وكل كلية ومدرسة عسكرية .

(ح) يجب حث العسكريين كافة على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان . ومن الضرورى تحريم الخمور والميسر فى الجيش تحريما صارما ومعاقبة المخالفين أشد العقاب .

ولا بد من تعيين (إمام) فى كل وحدة عسكرية لقيادة العسكريين من الناحية

الروحية . وألفت الأنظار إلى أهمية اختيار الأئمة العسكريين من العلماء العاملين لا من المرتزقة الجاهلين .

(ط) من الضروري إجراء مسابقات دينية بين العسكريين ، كإتقان قراءة القرآن وحفظ الكتاب العزيز وتفسير الذكر الحكيم وإعداد المحاضرات الدينية وإلقائها . . . الخ .

وأقترح أن يوفد المتفوقون سنويا لأداء فريضة الحج على نفقة الجيش مكافأة لهم على تفوقهم .

تلك مقترحات آمل أن تصل إلى آذان المسئولين العرب والمسلمين وأن يعملوا على تنفيذها نصا وروحا . وحينذاك تتحطم شرور الحرب النفسية على صخرة الإيمان وينتصر العرب والمسلمون على إسرائيل ومن وراء إسرائيل، ومن تكون إسرائيل وغير إسرائيل بالنسبة للمؤمنين الصادقين .

— ه —

وأنتهز هذه الفرصة لأذكر أمامكم الحقائق التالية :

(ا) إن إسرائيل لن تنسحب من الأراضي العربية بغير القوة ، واللغة الوحيدة التي تفهمها إسرائيل هي القوة وحدها . فيجب أن نعد العدة لحرب آتية لا ريب فيها ، وكل عربي لا يجاهد بأمواله ونفسه ليس عربيا ، وكل مسلم لا يجاهد بأمواله ونفسه ليس مسلما ، فلابد من زج طاقاتنا المادية العربية من المحيط إلى الخليج والإسلامية من المحيط إلى المحيط .

(ب) إن السوق العربي (الاستراتيجية العربية) منذ عام ١٩٤٨ حتى اليوم كان سوقا دفاعيا والمدافع لا ينتصر أبداً كما هو معروف .

ينبغي أن نعتمد السوق التعرضي ، فذلك وحده يقودنا إلى النصر ، وأنا واثق من ذلك كل الوثوق .

(ج) تهتم إسرائيل بالخسائر بالأرواح ولا تهتم بالخسائر في المواد . . فيجب أن تضع القوات النظامية والفدائيون إيقاع الخسائر في سكان إسرائيل ، فذلك وحده يهز الجمهور الإسرائيلي هزاً عنيفا ويؤثر في معنوياتهم أسوأ التأثير .

والله أكبر كبيراً ، والحمد لله كثيراً ، وسبحان الله بكرة وأصيلا ، وصلى الله على سيدي ومولاي رسول الله وعلى آله وأصحابه أجمعين ؟

محمود شيت خطاب

الإسلام والعروبة فى أمريكا اللاتينية

الأستاذ عبد الله عبد الشكور حسن
مدير المركز الإسلامى بالبرازيل

حين نعرض لموضوع الإسلام والعروبة فى تلك القارة ، فإنه لابد لنا أن نتناول الجاليات العربية والطوائف الإسلامية التى يقوم عليها أساس ذلك الموضوع ، وتتركز أهمية الموضوع فى عناصر ثلاثة :

الأول . أهمية تلك المناطق التى اتخذتها الجاليات العربية والطوائف الإسلامية وطنا لها .

الثانى : ضخامة عدد الجاليات العربية وقوة تأثيرها فى مواطنها الجديدة .

الثالث : ما يمكن أن تسهم به تلك الجاليات وهذه الطوائف فى الميادين الاجتماعية والدينية بما لها من إمكانيات مادية كبيرة .

أما أهمية دول أمريكا الجنوبية فترجع إلى ما تتمتع به تلك القارة من ثروات طائلة كانت منحة تلك المساحات الشاسعة من الأراضى مع قلة عدد سكانها ، بالإضافة إلى تقدمها الصناعى المرموق ، كما تظهر تلك الأهمية فيما يبدو بين حين وآخر من تغييرات سياسية واجتماعية تتمثل فيما تقوم به المؤسسات السياسية أو العسكرية من ثورات اجتماعية تهدف إلى تصحيح أوضاع اجتماعية أو سياسية ، وهى بذلك تشارك فى وعى عالمى ثورى لشعوب تتطلع إلى أن يكون لها نصيب فى خيرات وطنها ودورها فى مقدرات أرضها .

الجاليات العربية :

وتبلغ الجاليات العربية ومن تحدر منها قرابة ٢٫٥٠٠٫٠٠٠ موزعة على كافة جمهوريات أمريكا الجنوبية وجزر بحر الأطلنطى والبحر الكاريبى .

وهناك عوامل عدة وراء هذا التكوين البشرى الضخم الذى شكل الجالية العربية بهذه الصورة العددية الكبيرة ، ويمكن إجمالها فى الآتى :

١ — قدم تاريخ الاغتراب .

٢ — طبيعة العربى المغترب التى تأبى عليه تحديد النسل .

٣ — حاجته إلى الاستزادة من الأبناء لدواع اقتصادية .

٤ — استدعاء المغترب لآله .

٥ — الغيرة التى تدفع بالبعض إلى أن يقتفوا أثر هؤلاء المغامرين المحظوظين .

٦ — استمرار سيل الاغتراب لمدة طويلة وحتى الآن .

على أن المسلمين بمذاهبهم الدينية المتعددة لا يقلون عن ٤٥٠ ألفا غالبيتهم العظمى من لبنان وسوريا .

وتقطن البرازيل والأرجنتين نسبة كبيرة من أبناء الجالية العربية بأمريكا الجنوبية حيث يعيش بالبرازيل ما لا يقل عن ٤٠ ٪ من مجموع المغتربين العرب بالقارة ثم يليها الأرجنتين وبقية جمهوريات القارة وجزرها المحيطة بها لتتقاسم قرابة ٦٠ ٪ تحظى الأرجنتين وحدها بالجانب الكبير من تلك النسبة ، وتكاد الجاليات العربية على اختلاف مواقعها التى تعيش فيها ، تقترب فى قضاياها الاجتماعية ومعها كلها اقترابا كبيرا يصل أحيانا إلى حد التشابه .

وعلى ذلك فإن حديثنا عن البرازيل أو الأرجنتين من الناحية العربية يمكن أن يتعدى إلى تطوير قضايا الجاليات العربية عامة ذلك باستثناء بعض الظروف والمواقف التى تكشف بنفسها عن ملامح لا تضيف إلى الصورة العامة كثيرا ، وإن لوحظت فى الحكم والتقدير .

أما تناولنا للناحية الإسلامية فى الحديث عن الجاليات ، فإن ذلك يقتضينا أن نذكر أن الطائفة الإسلامية بأمريكا اللاتينية تتركز غالبيتها العظمى فى كل من :

البرازيل

الأرجنتين

فنزويلا

كولومبيا

شيلى

ثم تنتشر مجموعات متواضعة من العائلات الإسلامية ببقية القارة ولا تشكل ثقلا اجتماعيا أو سياسيا أو اقتصاديا .

وسيبدأ حديثنا عن البرازيل باعتبار أن بها نشاطا إسلاميا منظما منذ أكثر من ١٢ عاما ، لم يكن من نصيب بقية الجمهوريات الأخرى للأسف حتى الآن .

(البرازيل)

وسيتناول الحديث منها الجوانب الآتية :

(١) الجالية العربية

(٢) الاغتراب العربى والإسلامى

(٣) أقدم العناصر المغتربة .

(٤) النسب العددية لجنسيات المغتربين
(٥) مراكز التجمعات الإسلامية
(٦) النشاط الإسلامى، نشأته ومسيرته

البرازيل شبه قارة إذ تبلغ مساحتها ٩٦٥ر ٥١١ر ٨ كيلو مترا مربعا وتشاركها حدودها قرابة ٨٠٪ من دول القارة، ويبلغ تعدادها السكانى حوالى ٩٥ مليون نسمة وهى تتسع لـ ٦٠٠ مليون نسمة حسب ما تشير إليه دراسة خبراء الإسكان بها، ولهذا تعد أكبر دولة فى أمريكا الجنوبية مساحة وسكانا وثروة وهى مساحة كبيرة لأجناس عدة مهاجرة من كافة قارات العالم حيث تجد الفئات المهاجرة ومن تحدر منها عطفا وتأييدا وتقديرا للدور الهام الذى أسهمت وتسهم به فى خدمة البرازيل وتدعيم اقتصادياتها بالإضافة إلى الحرية التى يتمتع بها الوافد إليها فى ممارسة شعائره الدينية واحترام تقاليده الاجتماعية، إذ تعيش الجاليات فى البرازيل حياتها وتمارس نشاطها فى جو من التعاون المشترك والاحترام المتبادل ولهذا تعيش الديانات والمذاهب على مختلف مصادرها، وقد توفرت لها كافة الظروف التى تيسر لها أداء رسالتها وذلك بفضل ماتمنحه البرازيل المضيافة حكومة وشعبا، هذا البلد الذى يعد أكبر بلد كاثوليكى ليس فى أمريكا الجنوبية فحسب وإنما فى العالم قاطبة.

ومن أجل هذا وجدت الجالية العربية مسلمين ومسيحيين فى البرازيل فرصة حياتها فأخلصت لوطنها الجديد وساهمت فى كافة ميادين نشاطه الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية، فقدمت للأرض الطيبة كل جهدها الإنسانى والذى تمثل فى مجموعات المثقفين من أبناء الجالية العربية الذين تربعوا على كراسى الوزارة، وإدارة الجامعات وعمادة وأستاذية الكليات وحكام الولايات ورئاسة البلديات وفى المجالس النيابية.

أما فى المجالس النيابية والدوائر الاقتصادية فإن أبناء الجالية العربية يحتلون مكانتهم القوية التى تظهر فى رئاستهم للمجالس النيابية وبنك البرازيل المركزى وسيطرتهم على قرابة ١٥٪ من النشاط التجارى بالبرازيل، وهو الواقع الذى خدم فكرة المؤتمر الأول للمؤسسات الإسلامية بالبرازيل والذى عقد فى سبتمبر سنة ١٩٧٠ إذ عاونت الجالية العربية بعنصريها المسيحى والإسلامى فى نجاح المؤتمر وفى التمكين

لمهمته ، وذلك بالجهد الصادق والعمل الدءوب والحرية الواسعة والأخوة الطيبة التى تربط بين أبناء الجالية العربية على اختلاف معتقداتهم .

الاغتراب العربى والإسلامى :

لقد بدأت حركة الاغتراب الحديث للجالية العربية منذ قرابة ١٠٠ عام ويصعب على الباحث أن يؤرخ لهذه الحركة إلا إذا توفرت له الإحصاءات الكاملة والبيانات الكافية عن أسماء السفن التى كانت تصل إلى البرازيل وسواها من أقطار أمريكا اللاتينية حاملة هؤلاء الذين اتخذوها مسرحا لكفاحهم ووطنا ثانيا لهم ، وتاريخ وصول تلك السفن إلى موانىء البرازيل بالإضافة إلى الاطلاع على سجلات الإدارات الخاصة بالهجرة والمهاجرين ، مع معرفة ما لدى سفارات وقنصليات المغتربين من بيانات تخدم هذا الغرض ، وهو مالم يتوفر كاملا حتى الآن ، على عكس ما حدث فى دراسة الهجرة والاغتراب فى جزر بحر الكاريبى حيث توصل الباحثون هناك إلى العثور على البيانات الخاصة بأسماء السفن وتاريخ وصولها وأسماء من كانت تحملهم والمناطق التى قدموا منها ، وبهذا تمكن الباحثون من أن يؤرخوا لحركة الاغتراب بتلك الجزر على أساس علمى ثابت .

من أجل هذا كان الاعتماد كبيرا على الروايات التى يرويها كبار المغتربين ومعمروهم بعد تحليل لتلك الروايات وتمحيصها ـ يساند ذلك بعض الكتابات والإشارات التى تقترب من الحقيقة ولا تبعد عن الرأى الصائب .

والحقيقة أن المسلمين وصلوا إلى البرازيل كأفريقيين حملهم الاستعمار البرتغالى أرقاء يزرعون الأرض ويخدمون المستعمر البرتغالى وملاك الأراضى ، ولقد عاشوا وسط ظروف قاسية وفى ظل معاملة لم تترك لهم حرية المحافظة على عقيدتهم إلا خفاء حيث يذكر أساتذة الاجتماع فى البرازيل أثناء دراستهم لطبقات المجتمع أن هؤلاء الأرقاء كانوا يتجمعون يوما ما فى الأسبوع كما كانت لهم أدعية وقراءات بلغة ليست هى اللغة البرتغالية ، كما كانوا يجمعون من بينهم أموالا يقدمونها حينا إلى السيد ليطلق سراح أحد الأرقاء ، وحينا آخر يقدمون أموالهم إلى بحارة السفن لشراء بعض كتب بلغة تخالف البرتغالية فى كتاباتها ونطقها .

ونظرة تحليلية لما قاله هؤلاء الباحثون تجعلنا نؤكد إسلامية هؤلاء الأرقاء ، فاليوم الذي يجتمعون فيه لعله يوم الجمعة أو بديلا له ومعاونتهم في عتق الأرقاء هو نظام المكاتبة في الإسلام أما الأوراق التي كان بحارة السفن يبيعونها لهم بالأسعار الغالية فهي الكتب الدينية والفقهية وكتب الأدعية يؤيد ذلك الاستنتاج أن المناطق التي كان يجلب منها الرقيق كانت مناطق إسلامية والأوراق التي تحفظها متاحف البرازيل لهذه الحقبة مكتوبة بالخط العربي وتتناول المأثور من الأدعية والعبادات بخط عربي غريب .

ولقد ذاب هؤلاء الأرقاء وتلاشوا ولم تجد محاولاتهم في سبيل الإبقاء على عقيدتهم نفعا لأسباب تعود إلى أوضاع اجتماعية سادت الأرض التي يعيشون عليها .

ثم كان استقلال البرازيل عن البرتغال بعد معارك دامية وحروب طويلة أعقبتها حياة ساد فيها مبدأ احترام الحريات واتخاذ الديمقراطية سبيلا للحكم والسياسة، ومنذ ذلك الوقت أصبحت البرازيل مقصد الكثيرين ممن يطمحون في أن يحققوا لأنفسهم مستوى كريما من الحياة ونصيبا وافرا من الثراء جاءوا من كافة أقطار العالم ولئن كان العنصر العربي يعد من أسبق عناصر الاغتراب في البرازيل عامة فإن المغترب للسلم ترجع هجرته إلى نحو تسعين عاما ، حيث بدأ حياته في البرازيل عاملا أو تاجرا متجولا ، يعرض للبيع سلعته المتواضعة من صور الأماكن المقدسة ورسوم الشهداء والمسيح وبعض للعبادات الدينية الدقيقة ، استجابة للروح الدينية التي كانت تهيمن ولا زالت على الشعب البرازيلي والتي تحس راحتها في تلك الآثار التي جاءتها من أرض عاش عليها السيد المسيح عليه السلام ومشت على ثراها قوافل الحواريين وأنصار الله ، ثم تتابع سيل الاغتراب والهجرة من لبنان وسوريا ومصر والجزائر والسعودية وتركيا وإيران واليمن ويوغسلافيا وباكستان وجنوب إفريقية والصين ، على أنه يمكن توزيع النسب العددية بينهم بالبرازيل على النحو الآتي :

٨٠ ٪ لبنانيون

١٠ ٪ سوريون

١٠ ٪ من كافة الأقطار الأخرى .

أما التوزيع الجغـــرافى فإن الطائفة الإسلامية تتركـز فى المواقع الآتية : حسب ترتيبها :

١ — سان باولو : حيث تعتبر العاصمة الإسلامية والعـربية للبرازيل يعيش بها مالا يقل عن ٦٠٪ من المسلمين والمنحدرين منهم سواء أكان ذلك فى العاصمة (سان باولو) أو فى مدينة الأخرى (باريتوس وسانتوس وأراسنوبا) .

٢ — ريودى جانيرو : عاصمة ولاية جوانابارا والعاصمة القديمة للبرازيل .

٣ — كوريتيبا عاصمة ولاية بارانا .

٤ — بورت البحرى عاصمة ولاية ريو جراندى سول .

٥ — برازيليا : العاصمة الجـديدة للبرازيل :

٦ — باراناجوا :

٧ — لوندرينا :

تلك هى أهم مراكز التجمعات وإن كان هناك مدن صغيرة تقطنها عائلات مسلمة تجتهد فى أن تصل تجارتها لتلحق بإحدى مراكز التجمعات السابقة فى محاولة للحفاظ على كيانها الإسلامى رغبة فى حماية أطفالها من ضياع دينى تتعرض له نتيجة انعزالها وبعدها من تجمع تتوفر فيه بعض وسائل الأمن بالنسبة لعقيـدة ذريتها وتثقيف أبنائها ثقافة إسلامية

النشاط الإسلامى :

(١) بعد أن اطمأن المغترب المسلم بعض الاطمئنان إلى حياته بدأ يلتفت إلى الناحية الدينية التى كشف عنها عبء الحياة الجديدة وفقدان الراعى الدينى وبعد المراجع الدينية فى الدول العربية والإسـلامية عن الحركة الإسلامية بالمهاجر ، هذه الدول التى كانت ترزح تحت عبء الاستعمار الإنجليـزى والفرنسى وتخضع فى توجيهها وتقديرها للأمور إلى موروثات مذهبية وسياسية وعلى ذلك فإن النشاط الإسلامى بدأ منذ سنة ١٩٢٩ بإنشاء أول جمعية إسـلامية بمدينة سان باولو ، ومن الظروف الاقتصادية الحرجة التى كادت تتعرض لها البرازيل كان ينعكس أثرها على المـغترب المسلم الفقير ، وجمعيته الناشئة هـذه الجمعية التى كانت تصـل الحال بإدارتها إلى العجز عن دفع إيجار الغرفة التى كانت مقرا لها ومع هذا الوضع فإن الروح الإسلامية للمغترب كانت تأبى أن تخمد جـذوتها ، إذ كانت تبذل كل ما فى وسعها للاتصال بالصحف والمراكز

الاجتماعية وإقامة الحفلات في المناسبات الدينية والتجمع لأداء صلاة العيد والجمعة فقط، منتهزة في اتصالاتها وحفلاتها الفرصة التي تعلن فيها عن وجود إسلامي بالبرازيل حي وإن كان ضعيفا، متحرك وإن كان هادىء السعي، ثم تتابعت خطى مباركة للعمل الإسلامي حين فكرت الطائفة الإسلامية بمدينة سان باولو في إقامة مسجد سنة ١٩٣٨.

(ب) اتصلت الطائفة الإسلامية بالمؤتمر الإسلامي حينما كان يتولى السيد الرئيس أنور السادات منصب الأمين العام لذلك المؤتمر وبهذا الاتصال الذي أسفر عن إرسال مبعوث لرعاية الطائفة الإسلامية بالبرازيل تحققت أول رعاية دينية للحركة الإسلامية في تاريخ المهجر وكان ذلك في أكتوبر ١٩٥٦.

(جـ) بعد أربع سنوات من وجود مبعوث للمؤتمر الإسلامي بالبرازيل افتتح أول مسجد بأمريكا الجنوبية حضره وفد من المؤتمر الإسلامي، وكان ذلك عام ١٩٦٠، كما أنشأ المؤتمر الإسلامي مكتباً لرعاية شئون المغتربين المسلمين بأمريكا اللاتينية كان مقره مدينة سان باولو.

(د) ثم تزايد النشاط الديني وبدأت حركة العمل الإسلامي تتسع منذ ذلك الوقت حتى أصبحت البرازيل تضم قرابة أربع عشرة مؤسسة إسلامية تخدم الحركة الإسلامية دينيا وثقافيا واجتماعيا.

(هـ) ونظرا لاتساع رقعة البرازيل حتى لتبلغ مساحة الولاية الواحدة منها مساحة دولة أوروبية كبيرة، ونظرا لتغلب روح الفردية على المغترب وحماسه القوى للهدف الشخصي مما ترتب عليه غياب الوحدة بين تلك المؤسسات وضعف الصلة فيما بينها وعدم ارتباطها بتنسيق وتوجيه يقربها إلى هدفها ويعينها على تحقيق رسالتها. فقد بذلت محاولات جادة ومخلصة لتجميع هذا الشتات من الجمعيات وتوثيق الصلة والروابط بينها على أساس من تفاهم مشترك ولقاءات دورية بوجه خطوات العمل الإسلامي بعد دراسة لوضع الحركة الإسلامية دراسة ميدانية تكشف عن الواقع بإيجابياته وسلبياته، ولتحقيق تلك الغاية كان إنشاء المركز الإسلامي بسان باولو إحدى الوسائل لتحقيق هذا الهدف حيث أصبح مركزا تلتقى فيه وعليه المؤسسات الإسلامية بالبرازيل، لقاء يعرف بالإسلام وينمى

من نشاطه ويزوده بكافة الوسائل التى تتيح له شرف السعى فى سبيل الله، ثم كان التفكير فى انعقاد المؤتمر الأول للمؤسسات الإسلامية بالبرازيل، والذى افتتحه بساو باولو الأستاذ الدكتور عبد العزيز كامل وزير الأوقاف وشئون الأزهر حيث انتخب رئيس شرف له - وسيلة ثانية لتجميع النشاط الإسلامى ومؤسساته، ليس على مستوى البرازيل فحسب، وإنما على نطاق القارة، حيث حضرت أو أنيبت فى الحضور وفود من أكثر بلاد أمريكا الجنوبية، كما دعى ممثلو البلاد الإسلامية والعربية وكان ذلك المؤتمر أول لقاء للمؤسسات الإسلامية فى هذا الجزء من العالم.

ولقد كانت حصيلة أبحاث المؤتمر التى ألقيت - والندوات التى عقدت واللجان التى ألفت - توصيات ومقررات كان ثقلها وقيمتها مرتكزاً على أساس أنها مبنية على دراسة واقعية من المغتربين المسلمين لأوضاعهم التى يعانونها ويعيشونها، وبذلك توفرت لتلك المقررات موضوعية التشخيص والوضوح والبعد عن المعالجة النظرية التى تتنافى إمكانيات العمل المتاحة، ومن ثم دارت تلك المقررات حول المحافظة على الوجود الإسلامى بأمريكا الجنوبية والتمكين لمستقبله وذلك عن طريق تقديم إمكانيات الدعم والتأييد للمحاور التى يدور عليها العمل الإسلامى وهى: المسجد والمدرسة والصحيفة والنادى والشباب والتآكيد على دعم العمل الإسلامى عن طريق تبادل الخبرات والزيارات، وعقد المؤتمرات، ولقاءات العاملين بالحركة الإسلامية، مع ربط هذه الحركة فى المهاجر بإخوتها فى الوطن الإسلامى الكبير ربطا يمد فى حيويتها ولا يعزلها عن ميدانها الذى تعيش فيه برازيلية أو أرجنتينية، فالولاء للوطن الذى يعيش المسلمون على أرضه لا يمنع من الوفاء لذكرى الأجداد والآباء.

ولما كان المؤتمر الأول للمؤسسات الإسلامية والذى عقد فى ساو باولو فى البرازيل قد استطاع أن يظهر ملامح الشخصية الإسلامية فى هذا الركن من العالم ظهورا تعاونت على إبرازه جهود العاملين فى المجال الدينى والإعلامى فى بلد يعد شبه قارة يبلغ سكانه يبلغون قرابة ٩٥ مليونا لهم تأثيرهم الواسع على القارة نظرا لثروة وطنهم المادية والإنسانية والتى هيأت له مكان الرائد لكل دول قارة أمريكا الجنوبية - لما كان الأمر كذلك - فإن سياسة تقوم على الربط والتنسيق بين هذا المؤتمر فى أمريكا الجنوبية وبين مؤتمرات المنظمات والروابط الإسلامية فى أرجاء العالم الإسلامى كفيلة بأن تدفع

بالحركة الإسلامية إلى الأمام نتيجة لتبادل التجارب والأفكار في ميدان الحركة الإسلامية بالإضافة إلى تعاون متبادل بين أطراف يعملون في حقل واحد ، يهدف للتمكين للدعوة الإسلامية من أن تكسب أرضها التي تتناسب وقدراتها على التوحيد ورفع المتناقضات بين صفوفها وهو ما تتجه إليه مؤسسات دينية غير إسلامية وترجته إلى لقاءات واتحادات تدعم به كياناتها وتعلى به من صوتها في عصر أصبحت الكتلة والاتحاد والمنظمة والنقابة وسيلة التأثير لأنها وسيلة القوة .

(الأرجنتين)

وننتقل الآن إلى الحديث عن الأرجنتين فالجالية العربية في الأرجنتين لها ثقلها الاجتماعي والاقتصادي الكبير وهي وإن أتت في الأهمية بعد جالية البرازيل إلا أن ذلك لا يقلل من الدور الذي تنهض به في الحياة الأرجنتينية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ولا يقل عدد الجالية العربية عامة عن ٨٠٠ ألف تتوزعهم النسب الآتية :

٥٠٪ سوريون . ٤٥٪ لبنانيون .

٥٪ جنسيات أخرى معظمها من أبناء فلسطين

ويبلغ عدد المسلمين ما يقرب من ١٨٠ ألفا الغالبية العظمى منهم سوريون أو من أصل سوري والباقي لبنانيون وفلسطينيون ومصريون وجنسيات أخرى .

وفي بيونس إيرس عاصمة الأرجنتين يعيش أكبر تجمع إسلامي بمذاهبه الدينية المتعددة حيث يبلغ عدد المسلمين ما لا يقل عن ٣٠ ألفا تقوم على خدمتهم الدينية والاجتماعية والثقافية نحو ١٣ مؤسسة أنشىء بعضها منذ أكثر من عشرين عاما ثم تقطن بقية الطائفة الإسلامية المدن والقرى المنتشرة وأهم تلك التجمعات هي :

(١) مندوسا . (٢) توكومان .
(٣) قرطبة . (٤) روماريو .

وقد بذلت محاولات عديدة لإنشاء مسجد في عاصمة الأرجنتين لعله أن يجمع ما تفرق من أمر القوم في واجبهم الديني ، والأمل معقود على أن يكون هذا المسجد منطلقا لمشاريع ثقافية واجتماعية في حياتهم كما هو الشأن بالنسبة للكنائس العربية هناك والتي خرجت من تحت قبابها ونواقيسها المشاريع الكبيرة التي نهض بها الإخوة أبناء الطائفة المسيحية ، ولقد أعدت المجالس المالية والتنفيذية من أجل تحقيق هذا الهدف ولكن كان غياب المرشد الديني وفقدان الرعاية الدينية المستمرة وتغلب اليأس على بعض النفوس وانصراف بعض المسئولين هناك عن المعارك الجادة وإهمال

وجهاء الجالية هناك لواجبها ، كل هذا أدى بمحاولات مخلصة إلى أن تحمد .

وفتر حماس الساعين فى سبيل الله وعقيدته فى هذا الركن من العالم حتى كانت زيارة الأستاذ الدكتور عبد العزيز كامل وزير الأوقاف وشئون الأزهر تلك الزيارة التى لمس فيها خطورة التسامح الدينى للطائفة الإسلامية هناك فكان لسيادته توصيات نأمل أن يكون فى تنفيذها إنقاذ لآلاف من المسلمين يتطلعون إلى قادة الحركة الإسلامية وهم فى مهجرهم البعيد ومغتربهم النائى، لايعلم شبابهم عن الإسلام إلا انتسابا لجد مضى ولوالد ليس فى مقدوره أن يقدم لابنه شيئا ذا غناء فى العقيدة إذ أن فاقد الشىء لا يعطيه .

(فنزويلا)

أما المسلمون فى فنزويلا فهجرتهم جديدة لا تتعدى ٢٥ عاما وغالبيتهم فلسطينيون أتوا بعد عام ١٩٤٥ ويبلغ عدد المسلمين قرابة ٢٠٠٠ تتوزعهم النسب الآتية .

٥٠ ٪ فلسطينيون . ٣٠ ٪ لبنانيون

٢٠ ٪ سوريون وجنسيات أخرى .

وقد اجتمع ممثلون للطائفة الإسلامية سنة ١٩٦٨ فى مدينة كراكس عاصمة فنزويلا أثناء زيارتى لها وأنشأوا لجنة أطلقوا عليها (لجنة مسجد فنزويلا) وجمعوا تبرعات بلغت قرابة عشرة آلاف دولار لتنفيذ فكرتهم فى إقامة مسجد بالمدينة ، ولكن نظرا لتعدد الآراء وللتنافس الاجتماعى ظل الموضوع متوقفا عند هذا الحد .

وجدير بالذكر أن كل المغتربين اللبنانيين المسلمين جاءوا من بلدة واحدة هى (غزة البقاع) وجزء كبير منهم انتقل من البرازيل إلى فنزويلا متخذا إياها دار هجرة ثانية لهم وهم يحاولون أن ينقلوا إلى فنزويلا صورة من نشاط الطائفة الإسلامية بالبرازيل ، ولكن فقدان التوجيه الدينى وغياب الراعى للسلم يعتبر العلة وراء كل قصور وتوقف فى نشاط العمل الإسلامى بالمهاجر عامة

(شيلى)

تجاور شيلى جمهورية الأرجنتين وتشترك معها فى حدود طويلة فوق الهضبة كما معها فى اللغة وفى العقيدة وفى سيادة المذهب الكاثوليكى ، ويبلغ تعدادها قرابة ١١ مليون نسمة .

والجالية هناك تتكون بذلك الترتيب : فلسطينيون ، سوريون ، لبنانيون ، وهناك النادى الفلسطينى الذى يعتبر أقوى

نادى عربى ثم يأتى بعده النادى السورى والنادى اللبنانى ولا يتجاوز عدد اللبنانيين ١٥٠٠ أو ٣٠٠٠ نسمة من مجموع الجالية البالغ عدده حوالى ٥٠ أو ٦٠ ألفا تقريبا وعلى ذلك لانجد لبنانيين يتولون مراكز التوجيه ويتزعمون حركات الجالية أو يشاركون بقوة فى نشاطها، كما هو الحال فى البرازيل والأرجنتين . وإنما نراهم مجرون على ماتراه أكثرية الجالية من الفلسطينيين .

أما الطائفة الإسلامية فتقدرها المراجع الدبلوماسية العربية بحوالى ٣٠٠ نسمة ولكن ذلك التقدير الذى تذهب إليه السفارات يبدو أنه مبالغ فيه من ناحية القلة إذ أنه يوجد فى شيلى جمعية إسلامية أنشئت سنة ١٩٢٥ باسم جمعية الاتحاد الإسلامى وقد استمرت فى نشاطها حتى سنة ١٩٤٧ ثم توقفت حركتها أو خمدت قوتها فلم يجتمع أعضاؤها إلى أن حضرت إلى شيلى لتفقد حالة المسلمين بمدينة سنتياجو سنة ١٩٥٨ وأحسب أن هذه الجمعية لم تكن لتنشأ فى ذلك الوقت منذ أكثر من ٣٠ عاما لتوحى حالة طائفة أقل من ٢٠٠ شخص وللمفروض أن يزداد تعداد الطائفة لا أن ينقص، أضف إلى ذلك أنى قد اطلعت على كتاب ألفه أحد أبناء الجالية ليسجل فيه أسماء وأعضاء الأسر العربية بشيلى .

وقد رأيت فى ذلك المؤلف ما يزيد على ٢٠٠ اسم رب أسرة مسلمة لهم من البنين والأحفاد ما يزيد عن الذى قدرته السفارات وعلى ذلك فالمرجح أن عدد المسلمين لا يقل بحال ما عن ١٠٠٠ شخص أو ٣٠٠ مائة ولعل ما دفع السفارات إلى تقديرها هذا هو ما يلاحظ من ذوبان المسلمين وعدم ظهور قوة لهم وزواج غالبيتهم العظمى من شيليات وخمود الحركة الإسلامية بصورة تؤلم وتفزع، وقد تمكنت خلال زيارتى لشيلى أن أجمع عددا من رءوس المسلمين بالعاصمة ليتعاونوا على إعادة الحياة إلى جمعية الاتحاد الإسلامى حتى تمارس نشاطها وتقدم خدماتها لأبناء الطائفة الإسلامية هناك، وحين نبحث عن الأسباب التى عجلت بتلك النهاية نرى عليها مسلمى شيلى وتبدو لنا الحقائق الآتية :

أولا : لم يدخل شيلى أى رجل دين منذ أن هاجر إليها المسلمون ونزحوا من ديارهم فى سوريا ولبنان على العكس من الأرجنتين التى كانت مسرحا لعدد لا بأس به من الدعاة الدينيين ومعلمى اللغة العربية .

ثانيا : لم توجه إلى الآن أية عناية رسمية لمسلمى شيلى ، سوى زيارة قام بها مندوب المؤتمر الإسلامى سنة ١٩٥٨ ويعتبر المؤتمر الإسلامى أول هيئة رسمية اتصلت بهم ، ورغبت فى تعرف واقع حياتهم .

ثالثا : أهمل جانب المسلمين من ناحية المسئولين هناك لمبررات خاصة .

رابعا : المهاجر المسلم خرج من وطنه الأصلى ولم يكن له زاد من الثقافة الدينية ثم عاش فى مجتمع له تقاليده وله دينه وشرائعه ولم يقو المسلم على مقاومة هذه البيئة الجديدة وهو الضعيف الثقافة قليل الزاد الدينى .

خامسا : زواج المسلم من شيلية مثقفة وهى فى بلد يستمسك بعقيدته جعل من الزوج المسلم شخصية سلبية فهو لا يستطيع إقناع زوجته بدينه وهو لا يقدم لأبنائه ما يحول بينهم وبين دين آخر بالإضافة إلى نسيانه تعاليم وشعائر دينه لطول اغترابه وفقدانه الراعى الدينى منذ أن هاجر حتى الآن ، كل هذه الأسباب وغيرها جعلت من حياة الإسلام فى شيلى صرخة ، نرجو أن نصيخ السمع إليها إلى أن يخفف من مرارتها .

(كولومبيا)

يبلغ عدد المسلمين بها قرابة ٦٥٠٠ غالبيتهم العظمى من الفلسطينيين الذين أتوا بعد محنة النكبة ومعهم مئات من اللبنانيين الذين أتوا من سهل البقاع فى لبنان ، والنشاط الإسلامى بكولومبيا ضعيف أو شبه معدم وليس بها أية مؤسسة إسلامية يمكن أن تقوم بأى نشاط فى هذا المجال .

ملاحظات ومقترحات عامة :

(١) الحركة الإسلامية فى الأرجنتين فيها القدرة الكبيرة على تحقيق نشاط إسلامى واسع نظراً لضخامة عددها وتعدد مؤسساتها ولإمكانياتها المالية والثقافية ولكن هذه القدرة للأسف البالغ شبه معطلة لعدم وجود الراعى الدينى المقيم الذى يقود العمل الإسلامى هناك لينفذ المخطط له .

(٢) العمل الإسلامى فى فنزويلا وكولومبيا وشيلى يمكن أن يبدأ مسيرته إذا توفر له الراعى الدينى ، فالمغترب المسلم فى كل منها جديد الهجرة ويمكن أن يتطور معه النشاط الإسلامى إلى مستقبل للإسلام فى تلك الجهات

(٣) يجب أن ننتفع بتجارب المؤسسات الدينية الأخرى التى تعمل فى الحقل الدينى من ناحية العناية بالعملية الدينية إعداداً وراعيا ، عناية تجعل من الرعاية - رسالة - وليس وظيفة .

(٤) مستقبل الحركة الإسلامية فى هذا

الجزء من العالم رهن بنظرتنا الواعية والتى تتمثل فى مؤتمرنا اليوم، إلى مجموعة تبلغ اليوم قرابة نصف مليون مسلم هى فى الغد الملايين التى يمكن أن تكون قوة للإسلام ودعامة له، وصوتا عاليا فى قارة أمريكا الجنوبية خاصة وأن وضعها الاقتصادى والاجتماعى والثقافى يتطور بخطى سريعة.

(٥) المغترب المسلم يمكنه بالجهد الذى أن ينشىء لعقيدته مؤسساتها إذا ما توفر له الداعية المخلص ونظمت الرعاية الدينية لجهوده ووجهت تلك الجهود التوجيه الصحيح.

(٦) الطائفة الإسلامية بأمريكا الجنوبية ساحة كبيرة تقف عليها المذاهب الإسلامية التى حملها المغترب معه، إلى وطنه الثانى وأورثها أبناءه هناك وعلى هذه المساحة تشاهد الأخوة الإسلامية الحقة التى جعلت من مذاهبها الدينية ركائز تسند وتجمع لا حوائط تحجز وتمنع وفى إعداد الراعى الدينى الذى يدرك ذلك ويعيه خير كبير.

(٧) الطوائف الإسلامية تهتم الآن أكثر من أى وقت مضى بتثقيف أبنائها إلى أقصى مراحل التعليم بعد أن اطمأنت ماديا، ومن هنا تأتى ضرورة الاهتمام بتقديم زاد من الثقافة الإسلامية والتعريف بالعبادات الدينية إلى هذه المجموعات من الشباب المثقف حتى لا تفلت من يدنا هذه الثروة البشرية، تلك الثروة التى ينتفع بها الآن الأخوة المسيحيون العرب والذين يتربع أبناؤهم على مراكز السلطة والثقافة فى أمريكا الجنوبية والذين أصبحوا عضداً قويا للجالية العربية عامة مسيحيين ومسلمين

(٨) لقد شاركت وفود وجمعيات من البرازيل، والأرجنتين، وكولومبيا وفنزويلا فى المؤتمر الأول للمؤسسات الإسلامية الذى عقد بالبرازيل فى ١٨ سبتمبر ١٩٧٠ وشارك هؤلاء جميعا فى التوصيات والمقررات التى صدرت عنه وهى مقررات رأت تلك الوفود أن تعهد بالإشراف على تنفيذها ومتابعتها إلى (الأمانة العامة) التى اختارها أعضاء ذلك المؤتمر بمدينة سان بلولو باعتبار أن تلك المقررات هى حاجة الإسلام فى المهجر، بل عليها يتوقف مستقبل الحركة الإسلامية بأمريكا اللاتينية (للمقررات مرفقة).

(٩) قد يكون من المناسب أن تنشأ لجنة أو إدارة خاصة لدراسة شئون الجاليات المهاجرة وتقويم نتائج تلك الدراسة تخطيطا وتوجيها ومعونة.

(١٠) إن القاهرة أو مكة أو القدس أو كراتشي أو سواهـا من الأماكن التي تعقد بها المؤتمرات الإسلامية ليست في حاجة كبيرة إلى دعم إسلامي تمدها به تلك المؤتمرات بقدر حاجة ساو باولو ولوينوس أيرس حيث يعتبر انعقاد مؤتمر إسلامي هناك بمثابة دفعة قوية لمد النشاط الإسلامي في هذه المناطق النائية يزاد من الحس الديني وفيض من المعنوية الصامدة.

وبعد: فإن الشيء الذي أنبه إليه هو أن الرعاية الدينية لإخوة لنا في أمريكا الجنوبية وتقدير ظروفهم وهم الذين تفصلهم عنا قارات ومحيطات شاء الله أن يجتازوها في سبيل لقمة العيش، أقول إن رعاية هؤلاء أصبحت مسئوليتنا أمام الله تعالى وليس لنا أن نيأس وما يجب أن نفقد الأمل حينما نواجه تركة ثقيلة خلفها لنا إهمال سنين وسنين، وزاد في ثقلها استسلام المسلم المغترب بعد أن فقد المعاون والموجه والراعي الديني.

وقد نرى ظامئا مشرفا على النهاية ولكن جرعات قليلة من الماء يمكن أن تمسك عليه أنفاسه وتحفظ له حياته.

إن الواقع لا يجب أن نجامل في رسمه أو نخادع أنفسنا في وصفه.

إن الإسلام باحترامه للعقل ومسايرته مع المنطق وتمكينه الحقيقة وبتجربته في تقديم أنجع الحلول لمشاكل الأسرة والمجتمع والإنسانية كفيل حين يحملها رعاة مهتدون بأن يكسب للإسلام بأمريكا الجنوبية مجالا حيويا للانطلاق بالدعوة الإسلامية إلى آفاق أرحب وأوسع يتحقق بها المستقبل المرجو للرسالة الإسلامية الخالدة ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله؟

عبد الله عبد الشكور حسين كامل

الشهيد في الإسلام

للأستاذ الشيخ عبد الستار السيد
وزير الأوقاف بالجمهورية السورية

---

١ – الشهيد في اللغة أصله من الشهود والحضور ، ومنه الشهادة التي تقابل الغيب كما يقول الله تعالى عن ذاته الكريمة « عالم الغيب والشهادة » ومنه الشاهد الذي يشهد بما رأى أو سمع أو علم ، فيخرج ما رآه أو سمعه أو علمه من السر إلى العلن ، ومن الخفاء إلى الظهور . وقد ورد لفظ الشهيد في القرآن في أكثر من موضع مثل قوله تعالى « والله على كل شيء شهيد »[1] وقوله سبحانه « وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد »[2] وقوله جل شأنه « وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم »[3] وكلها تحمل معنى الظهور الذي يدل على العلو ، الذي يدل بدوره على التمكن والإحاطة بما هو واقع تحت المشاهدة .

وقد غلب لفظ « الشهيد » في لسان الشريعة على من يقتل مجاهدا في سبيل الله ولكن الذي ينظر في القرآن الكريم يجد أن لفظ « شهيد » لم يرد في المواضع التي

[١] البروج ٩ . [٢] ق ٢١ .
[٣] المائدة ١١٧ .

أورده فيها القرآن بهذا المعنى الذي يدل على الاستشهاد في سبيل الله ، بل نرى القرآن الكريم ، قد آثر لفظ «القتل» على لفظ الاستشهاد ، عند ذكر القتال ، والقتل ، في سبيل الله ؛ كما في قوله تعالى « ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون »[1] ولم يجيء النظم القرآني بلفظ « يستشهد » بدلا من لفظ «يقتل» الذي جاء عليه نظم القرآن . . ومثل هذا قوله تعالى « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون »[2] وقوله سبحانه « ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون »[3] وقوله تعالى :

« ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما »[4] وقوله سبحانه « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله

[١] البقرة ١٥٤ . [٢] آل عمران ١٦٩ .
[٣] آل عمران ١٥٧ . [٤] النساء ٧٤ .

فيقتلون ويقتلون»[1]. وهكذا نرى آيات القرآن الكريم تتوارد على لفظ «القتل» ولا نجد موضعا واحدا جاء فيه لفظ الاستشهاد بدلا من لفظ القتل.

فنحن إذن أمام ظاهرة قرآنية تحتاج إلى كثير من النظر والتدبر للوقوف على بعض الأسرار التي ضم عليها لفظ «القتل» في هذا المقام وما في هذا اللفظ القرآني من معطيات لا نجدها في لفظ الاستشهاد إنه لا بد من (سر) بل وأسرار وراء هذه الظاهرة، سواء لمحناها من قريب أو من بعيد أو لم نلمح شيئا منها. ونقول - والله أعلم - إن إيثار النظم القرآني لفظ القتل على لفظ الاستشهاد، إنما يراد - فيما يراد له - أن يلقى المجاهدين في سبيل الله، بالأمر الواقع «أو المتوقع» وهو أن دوافع الجهاد في سبيل الله ليس مجرد إيمان به وتصور له، ولما يمكن أن تزهق فيه من نفوس وتراق من دماء.

وإنما هو استقضاء لحق الله في تلك النفوس التي اشتراها الله سبحانه وتعالى من المؤمنين والتي رضوا ببيعها لله بالثمن الذي أرضاهم به، وهو الجنة. وذلك بقوله تعالى «إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون»[1]. فالجهاد معناه القتال والقتل.. هكذا ينبغي أن يعلم المجاهدون من أمر الجهاد، وهكذا ينبغي أن يوطنوا أنفسهم عليه وأن يرصدوها له إلى اليوم الذي يدعوهم الله سبحانه وتعالى فيه إلى الجهاد.. فإذا جاء ذلك اليوم ودعوا إليه، لم يفاجئهم الأمر، ولم يجئهم الجهاد بغير ما يعلمون منه.

وعلى هذا فإن إيثار النظم القرآني لكلمة «القتل» على كلمة الاستشهاد هو تدبير حكيم من حكيم عليم، لتربية المجاهد وإعداده ليوم المعركة إعدادا نفسيا ووجدانيا على الحياة في المعركة قبل يوم المعركة، وتوطين النفس على القتل والموت قبل يوم القتل والموت.

فإذا خرج المسلم المجاهد للقتال، وهو على تلك النية، وفي صحبة هذه المشاعر التي عاشها من قبل، كان له من ذلك ما يثبت قدمه في ميدان القتال ويربط على قلبه ساعة الهول والفزع فلا يحجم عن الإقدام ولا يفر عند اشتداد البأس، وحين تبلغ القلوب الحناجر، فلقد خاض المسلم هذه

[1] التوبة ١١١.

[1] التوبة: ١١١

المعركة بمشاعره من قبل ، وذاق طعم الموت في موقع الاستشهاد ، في انعقاد نيته عليه واعداد نفسه له . وهذا لاشك أعظم أثرا وأحمد عاقبة في اعداد المؤمن المجاهد ليوم القتال ، مما لو صور له الموت في صورة مجازية ، كلفظ الشهيد « أو الاستشهاد » حيث يبدو فيها الموت على غير تلك الصورة التي يشهدها المجاهد منه ويلقاه عليها ساحة الجهاد . . إنه عندئذ ينكر من الموت في صورة القتل ، ما عرف منه مجازا في صورة الاستشهاد ، وتلك حال إن دخلت على نفس المجاهد وهو في هذا الموقف المتأزم لم يجد الفرصة ممكنة في ضبط مشاعره وإقامتها على الوضع الصحيح الذي ينبغي أن يأخذه في المعركة .

ومن جهة أخرى فإن هـذا القتل في سبيل الله قد ربطه القرآن الكريم بالصورة المقابلة له ، وهو الحياة . فجعل القتل للذين يقتلون في سبيل الله حياة مجددة لهم في صورة أكرم من تلك الصورة التي هم عليها في هذه الدنيا ، حيث يلبسون في هذا القتل صورة الحياة الكاملة وحيث يدعوهم الله تعالى إليه ، وينزلهم منازل الإكرام والإحسان عنده في جنات النعيم . وفي هذا يقول الله سبحانه « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عنـد ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولاهم يحزنون »[1] ومن هذا المعنى جاء الوصف لمن يقتلون في سبيل الله بأنهم شهداء إذ كان قتلهم حياة لهم ، وهم بهذه الحياة في مقام عال يشهدون فيه فضل ربهم عليهم ويطلعون فيه من العالم الأخروى على ما لم يطلع عليه غيرهم ومن أجل هذا لفت الله تعالى المؤمنين إلى أن ينظروا إلى هؤلاء القتلى على أنهم أحياء وليسوا من عالم الموتى وفي هذا يقول تبارك اسمه : « ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحيـاء ولـكن لا تشعرون »[2] وفي هذا عزاء للأحياء الذين قتل أحبابهم وإخوانهم في ميدان الجهاد . إنهم أحياء غير أموات ، فلا تبك عليهم عين ولا يحزن من أجلهم قلب ، وكيف تدمع العيون وتحزن القلوب ، على من كان في أفراح دائمة ، ومسرات لاتنقطع ؟ وأين يذهب من المؤمن قول الله تعالى : « فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون » إنهم يهتفون من عليائهم إلى إخوانهم الذين لم يلحقوا بهم

(١) آل عمران ١٦٩ ، ١٧٠ (٢) البقرة ١٥٤ .

أن هلم إلينا إلى رضوان الله ورحمته وإلى النعيم السرمدى الدائم فى جنانه .

٢ — والحق أن القتل فى سبيل الله هو أمنية النفوس المؤمنة بالله المستيقنة بما وعد الله ، وأن هذا الإيمان لو وقع من كل نفس مؤمنة موقعه الصحيح — لكان هذا القتل أشهى مورد يرده المؤمن وأحب مطلب يطلبه ، ويسعى حثيثا جاهدا إليه فإن فاته الظفر به فى موقعه الذى يطلبه فيه ، ساء ظنه بنفسه واستشعر أنه لم يبلغ به إيمانه وعمله الدرجة التى يستأهل بها أن ينال هذه المنزلة الكريمة العالية من الله ، فكان من حكمة الحكيم العليم أن أقام النفوس من حيث اشتهاؤها الجهاد على درجات ومنازل ، هى على حسب درجات المؤمنين ومنازلهم عند الله ، فكان أقرب الناس إلى الله ، وأكرمهم عليه ، هم أولئك الذين اتخذ منهم شهداء . . ولو وقع حب الاستشهاد من المؤمنين جميعاً على الصورة الحقيقية له ، لتراموا على مواقع القتل ، ولعرضوا أنفسهم على الموت عرضاً ، ولأسلموا رقابهم لقاتليهم بلا حساب : ولكن هكذا كان تدبير الله فى جعل الاستشهاد فى سبيله رزقا من رزقه يصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء . . .

ولقد عرف صحابة رسول الله — ﷺ — وكثير من جاءوا بعدهم واتبعوهم بإحسان — عرفوا هذه الحقيقة من أمر الموت فى سبيل الله فأقبلوا على الجهاد فى سبيل الله بنفوس حريصة على الموت ، فكان أن كتبت لهم الحياة ، فى الدنيا والآخرة جميعا . . أما فى الحياة الدنيا ، فإن كثيراً منهم قضى معظم عمره ، فى قتال متصل ، لا يخرج من معركة إلا ليدخل فى معركة ، ومع هذا فلم تنله أيدى الأعداء ، الذين كانوا يتطايرون حول شجاعته وإقدامه تطاير الفراش . لأنهم يقاتلون بنفوس حريصة على الحياة ، يتمنى السلامة والنجاة فلا تثبت لهم قدم ، ولا تجتمع لهم قوة . أما هو فقد كان حريصا على الموت ، يتمناه ويتشهاه إذ هو أصابه بالثمن الغالى ، الذى يكافىء نفسه العزيزة الكريمة عند الله ومن هنا كثر الموت فى الجبناء ، وقل الموت فى الذين لا يخافون الموت .

وفى على بن أبى طالب ، وخالد بن الوليد ، وأبى عبيدة بن الجراح ، وسعد بن أبى وقاص ، وطلحة ، والزبير — فى هؤلاء وكثير غيرهم من صحابة رسول الله ، صلوات الله وسلامه عليه ، ورضوان الله عليهم — فى هؤلاء وكثير غيرهم ، الشاهد الذى ينطق بالحق أبد الدهر على ما يعطيه الإيمان من قوة لا تنال فى ميدان القتال

وإن من طلب الموت كتبت له الحياة . . فهؤلاء جميعا لم يمت أحد منهم قتيلا في ميدان القتال مع عدو ، وإن مات بعضهم بطعنة غادرة من يد جبان ملحد كابن ملجم الذي اغتال الإمام عليا . يقول خالد ابن الوليد وقد حضره الموت على فراشه :

(لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها ، وما في جسدي موضع إلا وفيه ضربة سيف أو طعنة رمح .. وها أنذا أموت على فراشي كما يموت البعير . فلا نامت أعين الجبناء) .

أما الحياة الأخرى ، التي كتبت لهؤلاء الذين جاهدوا في سبيل الله وقاتلوا ، ولم يقتلوا ، فهي حياة الشهداء ، إذ قد وقع أجرهم على الله ، كما يقول سبحانه : « ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله »(١) وهو ما يشير إليه الرسول الكريم بقوله - كما رواه مسلم في صحيحه - : « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » . ويقول الرسول الكريم فيما رواه مسلم أيضا : « من قتل في سبيل الله فهو شهيد . ومن مات في سبيل الله فهو شهيد » .

وعلى هذا ، فإن كل من صحت نيته على الجهاد ، وانتظم في جيش المجاهدين في أي موقع من مواقعه فهو في عداد الشهداء ، سواء قتل بيد العدو ، أو مات من غير قتل ، إذ كان والقتل في سبيل الله ملء يقينه ، ومعقد نيته : « وإنما الأعمال بالنيات » .

٣ - بهذا الإيمان الوثيق المطمئن إلى ما عند الله ، الذين يقتلون في سبيل الله توارد المؤمنون الأولون على حياض الموت ، كما يتوارد العطشى في يوم شديد الحر على منهل صاف بارد ، فينهلون منه ، ويعلون : فما أن كان يؤذن بالجهاد حتى يخف المسلمون إلى الانتظام في الركب الزاحف ، وكأنهم على موعد للقاء عزيز غائب ، طالت غيبته ، أو لمصافحة أمنية تطلعت الآمال إليها ، وتقطعت الأعناق دونها ، الرجال والنساء ، والفتيان ، كلهم على سواء في هذا الموقف حيال الموت في سبيل الله ، يرصدون مطالعه ، ويتعهدون موارده ، إذا طاف بدين الله أو برسول الله ، أو بالمؤمنين بالله - طائف من العدوان ، على حرمة من حرمات الله ، أو حرمات المؤمنين بالله .

ويحدثنا التاريخ الموثق ، عن صور من هذا الإيمان الذي يعمر القلوب ، ويملك

(١) النساء : ١٠٠ .

أقطار النفوس ، أحاديث عجبا ، لا يكاد يصدقها إلا من كان على شيء من هذا الإيمان وإلا من عاش وجوده كله ، عقلا وقلبا ، وروحا ، مع مسيرة الدعوة الإسلامية ، ونفذ ببصيرته إلى مواقع الحق فرأى كيف انتصر أعراب البادية — في قلة من عددهم وعدتهم — على أكبر دولتين كانتا تقتسمان السيادة على الأرض يومئذ ، وهما دولتا الروم والفرس ؟ إنه شيء واحد ، هو الذي مكن الإسلام والمسلمين أن يكونوا هم الوارثين للأرض في سنوات معدودات ، ذلك الأمر ، هو روح التضحية ، والبذل ، والفداء ، والاستشهاد في سبيل الله إيمانا بالله ، وثقة بما عند الله ، ووفاء بما بايع به المؤمنون ربهم فباعوا أنفسهم لله واشتروا الجنة من الله .

في غزوة بدر ، أول مواجهة عامة بين المسلمين والمشركين ، سمع عمير بن الحمام النبي ﷺ وهو يحرض المؤمنين على القتال ويقول : « والذي نفس محمد بيده ، لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا ، مقبلا غير مدبر إلا دخل الجنة » وكان بين يدي عمير بن الحمام هذا تمرات يأكلهن فقذف بهن وقال : بخ بخ ، ما بيني وبين الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ! ثم ألقى بنفسه في محيط المعركة يقاتل ، ويقتل حتى قتل

وفي غزوة بدر أيضا يجيء ابن عفراء وهو عوف بن الحارث ، يجيء إلى رسول الله ﷺ فيقول ، وكأنما يريد أن تكون كلمات رسول الله من آخر عهده بالدنيا يا رسول الله ما يضحك الرب من عبده اليوم ؟ فيجيبه الرسول الكريم بقوله : « غمسه يده في العدو حاسرا ، فينزع عوف درعا كانت عليه ، فقذفها ، ثم أخذ سيفه وقاتل ، وقاتل ، وقاتل حتى أرضى الله ، والنبي والمؤمنين ولم يكف عن القتال حتى قتل .

وقد يحسب بعض الذين لا ينفذون من الأمور إلا عند ظواهرها ، أن لقاء العدو بهذه الصورة التي يتخلى فيها المرء عن درعه أو لامته الواقية له من السيوف والرماح ، هو من التهور ، ومن إلقاء النفس في التهلكة وهو ما يجافي الحكمة وحسن التدبير ، ثم هو أيضا مما يخالف ما دعا إليه القرآن الكريم من الإعداد للعدو ، والأخذ بكل وسائل الحرب ومكايدها إذ يقول سبحانه « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم »

ونقول : إن لقاء العدو على تلك الصورة التي صورها رسول الله ﷺ لابن عفراء ، إنما هي صورة جانبية من الصورة العامة للقتال ، ينفرد بها فرداً وأفراد بين المقاتلين ولهذا لم يكن الرسول ﷺ مؤذناً بها في الناس جميعاً ، وإنما هي طريق مرسوم لشخص بعينه أراد أن ينال الرضا الكامل من ربه ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن هذه الصورة التي يظهر فيها بعض الأفراد في ميدان المعركة من التهور وعدم المبالاة ، هي ضرب من المكيدة في الحرب وأسلوب من الأساليب التي تلقي الرعب في قلوب الأعداء ، على حين تملأ قلوب المؤمنين الذين تظهر فيهم تلك الصورة أو الصور الرائعة من الاستبسال والتضحية والفداء - تملأ قلوبهم سكينة وأمناً ، وتمسك بأقدام الذين تحدثهم أنفسهم بالإحجام عن لقاء العدو ، أو التردد في أخذ المواقف التي يرهب منها الخطر على المسلمين . إنه على النقيض من الموقف الذي يأخذه الفار من المعركة حين يشتد القتال ، ويحتدم البأس فيكون ذلك منه أشبه بالدعوة إلى غيره من الثابتين في المعركة أن يأخذوا هذا الطريق الذي فتحه هو لهم ، ليكون لهم فيه النجاة والسلام ، ولهذا توعد الله أولئك الذين يولون الأدبار ساعة الزحف بأن ينزل بهم غضبه ، وأن ينتقم في الآخرة بما يأتي به أعداءه من عذاب النار وبئس المصير ، فيقول سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار ، ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير »[1] .

ففي الحروب قديماً وحديثاً - تعد الجيوش بعضاً من أفرادها إعداداً خاصاً ، وتسمى فرقاً انتحارية ، مهمتها أن تقدم نفسها للموت المحقق فتلقي بنفسها إلقاء إلى التهلكة ، لتفتح للجيش طريقاً إلى العدو يعجز بوسائله الطبيعية عن فتحه ، أو تنسف من العدو خطة أعدها ، ولا تصل يد الجيش إليها . إلى غير ذلك مما لا ينال إلا بالموت الميدان سبيله . ومع أن الذين يقدمون أنفسهم للموت هنا إنما يقدمونها غالباً إرضاء لشهوات التسلط والاستعلاء السائدة في أممهم - مع هذا ، فإننا نجد كثيراً من الناس لا يترفعون بأنفسهم عن هذا المطلب الرخيص ، تخليداً لذكراهم في الدنيا ، وإرضاء

(١) الأنفال ١٥ ، ١٦

حق أمتهم عليهم وإن لم يكونوا مؤمنين بالحياة الآخرة ولا عاملين لها . فكيف إذاً يضن بنفسه من يعلم أنه يجاهد فى سبيل الله ويدافع عن حرمات الله وأنه إن مات فى سبيل الله ، فإنه سيحيا فى ملكوت الله حياة طيبة لا يذوق فيها الموت أبداً ؟

فلا نعجب إذن إذا رأينا تلك الصور الرائعة المجيدة من صور التضحية والفداء ، التى يرويها لنا التاريخ عن أسلافنا الذين أصبحوا مضرب المثل ، فى الإقدام على الموت بل والاشتهاء له ، والإلحاح فى فتح الأبواب المستغلقة منه دونهم :

فى غزوة أحد تقدم إلى النبى صلوات الله وسلامه عليه شبان فى عمر الزهر لم يجاوزوا الرابعة عشرة من عمرهم يريدون أن يضمهم النبى إلى صفوف المجاهدين وألا يحرمهم حظهم من الجهاد فى سبيل الله والموت فى سبيل الله . . ومن هؤلاء الفتيان أسامة ابن زيد ، وعبد الله بن عمر ، وزيد بن ثابت ، والبراء بن عازب ، وعمرو بن حزم ، وأسيد ابن ظهير ، ورافع بن خديج ، وسمرة بن جندب وقد أشفق النبى الرحيم على هؤلاء الصغار أن يواجهوا الأبطال ، والفرسان الذين مرسوا بالحرب ودربوا على أهوالها ، وفى هذا ظلم لهم وإنزالهم منزلا جائراً عليهم منزلا قد اختل فيه ميزان القوى اختلالا حاداً ، لا يستقيم على أى وجه . ولهذا طيب النبى نفوسهم ودعا لهم بخير . . ثم ردهم مشكورين مأجورين .

وبعض التاريخ يكمل هذه القصة فيروى أن رافع بن خديج ، تثبت فى موقفه وأبان لرسول الله ﷺ أنه يحسن من فنون الحرب ما لا يحسن أصحابه الذين ردهم رسول الله ، فهو ممن يرمى فيجيد الرمى ، وقد شهد له القوم بذلك فقبله الرسول — صلوات الله وسلامه عليه — بين الرماة ، ويتلفت سمرة بن جندب إلى من شهدوا لرافع أن يقولوا فيه ما يعلمون منه . . فقالوا يارسول الله : إن سمرة يصرع رافعا . فأجاز رسول الله سمرة أيضا ، فكان ممن شهد المعركة . .

٤ — إن الصورة التى رسمها الإسلام للشهيد ، والمنزلة العالية التى رفعه إليها والمقام الكريم الذى أحله الله فيه فى دار البقاء ، لما يتنافس فيه المؤمنون ، ويعمل له العاملون ، وحسب المسلم أن يستمع إلى قوله تعالى : « والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم ، سيهديهم ويصلح بالهم ، ويدخلهم

الجنة عرفها لهم »(١) .. وحسب المسلم أن يعلم أن رسول الله – وهو من هو عند ربه في مقام الإكرام والإحسان، حسبه أن يعلم أن رسول الله يتمنى الموت في سبيل الله لا مرة واحدة، بل مرة، ومرة، ومرة، يقول صلوات الله وسلامه عليه، فيما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال:

« والذي نفس محمد بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل »، حسب المسلم أن يعلم هذا فيتأكد له أنه لا مطلب أعز ولا أكرم ولا أشرف، من الموت في سبيل الله.. وحسب المسلم أن يستمع إلى قول النبي فيما رواه البخاري ومسلم عن أنس، إذ يقول صلوات الله وسلامه عليه: «ما من نفس تموت لها عند الله خير، يسرها أن ترجع إلى الدنيا وأن لها الدنيا وما فيها – إلا الشهيد فإنه يتمنى أن يرجع فيقتل مرة أخرى» – حسب المسلم أن يستمع إلى هذا من الصادق الأمين الذي لا ينطق عن الهوى – فتهون عليه نفسه، وأهله وماله وولده في سبيل أن يلقى الله في زمرة للشهداء، مصبوغا بالدم الذي أريق منه على جسده، والذي يطلع به على أهل الموقف يوم القيامة شهادة ناطقة بأنه من المجاهدين في سبيل الله.. يقول الرسول الكريم:

« ما من مكلوم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة وكلمه يدمى، اللون لون دم والريح ريح مسك ».

٥ – فلم إذن يحزن أحباؤنا، أم يجزعون على من مات من أحبائنا، وأعزائنا في سبيل الله؟ إنهم هناك في عرس دائم وفي أفراح ومسرات لا تنقطع، وإنهم إذا كان لهؤلاء الشهداء أن يحزنوا على فائت في هذه الدنيا – وهيهات هيهات – فإنما يحزنون على من سنحت له الفرصة منا نحن الأحياء أن يلقى الله شهيدا، ثم لم يهتبل هذه الفرصة، ويلحق بهم هناك في عليين.

روى البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: سألت أم حارثة، النبي صلى الله عليه وسلم عن ابنها حارثة، وكان قتل يوم بدر فقالت يا رسول الله: إن كان ابني في الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك اجتهدت في البكاء عليه... فقال صلى الله عليه وسلم: « يا أم حارثة إنها جنان في الجنة

(١) محمد ٤ – ٦

وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى» وروى البخارى ومسلم أن عبد الله بن عمرو بن حزام - وهو والد جابر بن عبد الله - استشهد يوم بدر فبكته أخته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«تبكينه أو لا تبكينه مازالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه»

وروى مسلم قال: «خرج النبى ﷺ فى غزاة فلما أفاء الله عليه، قال لأصحابه «هل تفقدون من أحد؟ قالوا: نعم فلانا، وفلانا . . . ثم قال: هل تفقدون من أحد؟ قالوا: نعم، فلانا، وفلانا، ثم قال: «هل تفقدون من أحد؟ قالوا لا . . . فقال عليه الصلاة والسلام: فإنى أفقد جليبيبا، فاطلبوه فى القتلى فطلبوه فوجدوه إلى جنب سبعة قتلهم ثم قتلوه . . فأتاه النبى صلى الله عليه وسلم فقام عليه الصلاة والسلام وقال: قتل سبعة ثم قتلوه؟ هذا منى وأنا منه . ثم وضعه النبى على ساعديه، ليس له سرير إلا ساعدى النبى صلى الله عليه وسلم، فحفر له، ووضع فى قبره».

٦ - هذا، ولم تكن تلك المنزلة العالية التى رفع إليها الإسلام قدر الشهيد وأعلى بها مقامه - لم تكن من معطيات هذا الدين وحده، وإنما هى مما جعل الله لكل من يقاتلون فى سبيله ويقدمون أنفسهم قربانا لله، وانتصارا لدينه ودفاعا عن حرماته . . وفى هذا يقول الله تعالى «وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين، فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين» [1].

ونحن إذا نظرنا إلى ما قدم المجاهدون فى سبيل الله من عمل وما أنفقوا من خير وجدنا أنهم قدموا كل ما يملكون وأنفقوا أعز ما يحرص الناس عليه، وهو النفس فإنه ليس وراء النفس شىء يمكن أن يتساوى ميزانه معها، أو أن يقوم مقامها فى البذل والعطاء ولو كان ملء الأرض ذهبا . .

فإذا كان الثواب على قدر المشقة، والجزاء الحسن على قدر الإحسان، لم يكن أحد

(١) آل عمران ١٤٦ - ١٤٨ .

فى المحصنين يلحق بمن قدم نفسه وجاد بها فى ميدان الجهاد تحت راية الحق .. وهو الشهيد .

ومن جهة أخرى فإنه إذا كان فى هذه الدنيا موقع للحق ، وطريق للهدى ووجه للعزة والكرامة ، فإن ذلك هو مما نبتت مغارسه بيد المجاهدين فى سبيل الله ، وارتوت أصوله بدم الشهداء الذين قتلوا تحت رايته ، وامتدت حياته بجنود الله الذين رصدوا أنفسهم لحراسته ، وأعدوها الدفاع عنه ، والموت فى سبيله .. وأنه فى اليوم الذى ينضب فيه معين هذه المشاعر المستمدة للتضحية والفداء فى أى مجتمع من المجتمعات ، وفى أى وطن من الأوطان فى هذا اليوم ، لن تجد فى هـذا المجتمع أو ذلك الوطن موقعاً للحق ، ولا طريقاً للهدى ولا وجها للعزة والكرامة .. وأنه بقدر ما يحمل أى مجتمع من مشاعر الفداء والتضحية بقدر ما تشع فيه أضواء الهدى وتعلو فيه راية الحق ، ويبرز فيه وجـه للعزة والكرامة .

٧ — والذى يتحسس هذه المشاعر ، مشاعر التضحية والفداء ، فى الأمة الإسلامية ويضبط حسابها فى دقة وإحكام ، ويضعها فى كفة ميزان ، ثم ينظر فى الكفة الأخرى ليرى فيهما حظنا من مجانى الخير ، ونصيبنا من الحياة العزيزة الكريمة ، يجـد دائما توازناً بين الكفتين ، وأنه كلما ثقلت الكفة الحاملة لمشاعر التضحية والفـداء عندنا ، ثقلت الكفة الحاملة لمعطيات الحياة لنا ، من المجادة ، والعزة والسيادة .. والعكس صحيح : وأنه لن يثقل ميزاننا فى الحياة الإنسانية الكريمة إلا إذا امتلأت نفوسنا بمشاعر التضحية والبـذل فى سبيل الله ، وفى إعلاء كلمة الله ، فهذا هو الباب الصحيح الذى ندخل منه إلى حوث الحياة العزيزة الكريمة ولا باب غيره ، وأن أى علم نحصله أو سلاح نحصل عليه أو رقعة من الأرض نبسط يدنا عليها ، وأى أعداد من البشر نضيفهم إلى حسابنا ، كل هذا لن يقومنا على جناح أمن ، ولن يدفع عنا يد البغى والعدوان إلا إذا أظلتنا روح من الإيمان بالله ، وسرت فينا مشاعر قـوية صادقة من التضحية والفداء فى سبيل الله ، وعندئذ يمكن الله تعالى لنا فى الأرض ، ويخلع علينا خلع العـزة والسيادة ، مهما يكن حظنا من القوة المادية فإن قليل هذه القوى مع الإيمان بالله ، ومع الاستعداد للتضحية

والفداء ، هو كثير ، مبارك فيه . . فإذا كان إلى ذلك استزادة إلى أقصى ما يمكن من العلم ، وإعداد إلى أبعد الحدود لما يكون من أحدث عدد الحرب ، ومعدات القتال ، وحشد لكل ما يتاح من قوى بشرية ومادية، فذلك كله مما يؤكد النصر ويحقق للمؤمنين ما وعدوا به في قوله تعالى : «يأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » . فنصر الله للمؤمنين هو منوط بالاستقامة على صراطه المستقيم وبالاستجابة لما دعاهم إليه من إعداد أنفسهم ورصدها للقتال والاستشهاد في سبيل الله فإذا نصروا الله ، نصرهم الله : «وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم » .

٨ — ولا نود أن ننهى هذا الحديث دون أن نقف وقفة قصيرة، مع تلك القضية التي يثيرها دائما أولئك الذين يكيدون للإسلام ، ويتربصون به وبأهله الدوائر منذ أيامه الأولى ، من اليهود ، وغير اليهود ، ممن يرون في الإسلام خطرا على أطماعهم وطمسا لمعالم الضلال التي يصيدون الناس بها ، ويوقعونهم ضحايا في شباكها .

وتقوم هذه القضية على دعوى مضللة باطلة ، وهي أن الإسلام دين قام على السيف في نشر مبادئه ، وأنه قدم اتباعه على مذبح التضحية ليقيموا لهذا الدين مقاما في الحياة وأنه لولا ذلك لما كان لهذا الدين مقام في دنيا الناس .

إنها دعوى خبيثة ماكرة ، لا يراد بها إلا أن تنهزم في نفس المسلم معاني القوة ، وأن على المسلم أن يتجرد من كل سلاح يتسلح به ، إن أراد أن يسقط هذه الدعوى ، وأن يقيم شاهدا من حاله ذلك على أن الدين قائم بذاته وحدها لا يحتاج إلى سند من أتباعه ، ولا إلى سيوف تسل لنصرته .

ولقد أدت هذه الدعوة الخبيثة الماكرة من ذلك الجانب ـ أدت مهمتها فقامت في المسلمين دعوات حادة تدعو إلى الانخلاع من الدنيا والتجرد من كل سلطان، والتفرغ لحياة الزهد ، والعبادة ، والتنكر للحياة العاملة الجادة . . وبهذا تحول كثير من المسلمين إلى مجرد أشباح هزيلة ، تعيش على مضغ الكلمات التي لا مفهوم لها ، والتي تغلب عليها الرطانات العبرية والسريانية ، التي اصطنعها اليهود، وألقوا في روع المتعاملين بها من المسلمين ، أنها تحمل أسرارا ربانية، لا تفتح مغالقها إلا لمن يعيش معها أيامه

ولياليه، ويقطع منها العمر فى ذكر وعبادة . . .
ثم ما زالت هذه الدعوى الماكرة الخبيثة ، وما تولد عنها ، تعمل معاولها فى هدم معالم الحياة فى الأمة الإسلامية ، حتى وقعت أوطان المسلمين جميعها فى يد الاستعمار .

ولا نناقش هنا مبادىء الإسلام وتعاليمه ولا ندفع بالقول بأن هذه المبادىء وتلك التعاليم لم تفرض على الناس فرضا ، ولم يكرهوا عليها إكراها وحسبنا أن نشير إلى حقيقة واقعة يعلمها أعداء الإسلام ، قبل أن يعلمها المسلمون أنفسهم وهى أن الإسلام ، قد عاش قرونا كثيرة فى عزلة عن كل قوة تدفع عنه يد المعتدين عليه ، والمتربصين به من المبشرين ، والمستعمرين ومع هذا فما نال منه هؤلاء وهؤلاء منالا ، وما استطاعوا أن يقفوا فى وجه الداخلين فيه ، بكل ما يملكونه من وسائل الإغراء بالمال والنساء ، والجاه والسلطان فقد استمر المد الإسلامى يزداد ويزداد ، بقواه الذاتية ولا بقوة من اتباعه الذين أتى عليهم حين من الدهر لم يكونوا يملكون من القوة شيئا ، بل ربما كانوا قوة مضادة لهذا المد ، لما كانوا عليه من سوء حال ، ورداءة مظهر ومخبر.

لا نناقش هنا مبادىء الإسلام وتعاليمه ولا ندفع هذه التهمة الظالمة بأن الإسلام قام على السيف ـ بل إننا نسلم بهذا ، ونقول نعم : إن الإسلام قام على السيف . .

ونسأل : ما الإسلام ؟

أهو مجرد مبادىء وأحكام ملقاة فى العراء ، لا يلتفت إليها أحد ، ولا يتأثر بها إنسان ؟ أم هو مبادىء وأحكام يؤمن بها الناس ، ويعيشون فى ظلها ويعملون بموجبها ؟ .

قد يصح أن يكون الإسلام مجرد مبادىء وأحكام ، وذلك فى معرض الدراسات النظرية التى تعنى بدراسة الأفكار وتحديدها لمجرد الرياضة الذهنية ، أو نحو هذا .

أما حين تصبح هذه المبادىء وتلك الأحكام فى مواطن العقول ، وفى قرارة النفوس ، وفى خلجات الضمائر ، وفى مسرى الخواطر ، ومنازع السلوك ـ فإنها إذ ذاك لا يمكن أن تكون شيئا منفصلا عن الجماعة التى تؤمن بها ، وتعيش فى ظلها .

فدعوى أن الإسلام قام على السيف ، لا يمكن أن توجه إلى الإسلام فى مبادئه وأحكامه وإن كان فى ظاهرها ما يشير إلى هذا ، وإنما هى موجهة فى صميمها إلى المجتمع الذى يدين بالإسلام ، ويعيش فى ظل أحكامه وتعاليمه . . وإذن فلكى يكون لهذه القضية وجه تقبل عليه ،

يجب أن تكــــون صورتها هكذا ، وهى أن المجتمع الإسلامى قام بالسيف ، ومع السيف .

فالدعوة الإسلامية ، ليست هى التى قامت على السيف بمجرد أنها دعوى، تحمل مبادىء ، وتقيم أحكاما ، وإنما الذى قام على السيف ، وكان لابد من أن يقوم على السيف ، هو المجتمع الذى قام تحت لواء هذه الدعوة ، ثم امتد ، وامتد حتى صار دولة عريضة تنتظم شطر العالم كله . .

ولا شك أن مجتمعا كهذا، فى الامتداد والسعة ، لا يمكن أن يكون أعزل من السلاح ، مجردا من القوة والا تداعت عليه قوى البغى والعدوان من كل مكان . فهكذا الحياة وهكذا طبيعة الناس فيها ، ولغة التعامل بين أبنائها فمن لم يكن قويا أكله الأقوياء . .

إن المجتمع الإسلامى ـ كأى مجتمع إنسانى ـ له ذاتيته المتميزة فى الحياة ، وله وجهته وفلسفته فيها . وطبيعى أن تقوم فى ظل هذه المعانى عصبية، هى التى تكون الأمم ، وتقيم الشعوب كما أنه من الطبيعى أيضا أن تتعصب على هذا المجتمع مجتمعات أخرى ، تخاف قوته إذا كان قويا ، وتطمع فى ضعفه إن كان ضعيفا . .

ومن هنا يكون الصراع الذى لابد فيه من قوة ولابد فيه من سلاح . فالقول بأن الإسلام دين قام على السيف هو حق أريد به باطل . فالإسلام إن يكن قام على السيف فما ذلك من طبيعته، وإنما هو دعوة رحمة، وخير مودة بين الناس ، والناس . ومواطن الرحمة والخير والمودة هى تلك الأمم التى استجابت له ، وهذه الشعوب التى آمنت به ، ولهذه الأمم وتلك الشعوب حمى يجب أن يصان ، وألا يترك لآكلة الغير تأتى عليه وتعبث فيه . . والله سبحانه وتعالى يقـــول :

« ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ، ولكن الله ذو فضل على العالمين » (١)

وننظر فنرى أنه فى اليوم الذى تخلى فيه المسلمون عن القوة وعن هذا السيف الرحيم الكريم ، كان هو اليوم الذى لقوا فيه مصرعهم بأيدى الباغين والمستعمرين ، حيث استبد الأقوياء بهم وسلطوا السيف على رقابهم ، وعلى مقدرات أرزاقهم ، ثم لم يكن للمسلمين فى هذه المحن القاسية ، ملاذ يلوذون به ، وحمى يتقون به تلك الضربات القاتلة ، إلا الإسلام وإلا مبادىء الإسلام ، حيث وجدوا فى ظله القدرة على الاحتمال والصبر على المكاره كما وجدوا

(١) البقرة ٢٥١

من جوانبه ريح الحياة التي أمسكت عليهم إيمانهم بالله ورجاءهم في رحمة الله ومن خلال هذه المشاعر كانت تتسرب إليهم نسمات الأمل والرجاء في المستقبل فلم ييأسوا من روح الله أبداً « إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون » .

فلنحذر إذن هذه الدعوى الخبيثة ولا ندعها تدخل على مشاعرنا بحال أبداً لا فيما نكتب ، ولا فيما نقرأ أو نسمع .

فليكن الإسلام ديناً قام على السيف أو لم يكن .. فليس ذلك هو القضية ، وإنما القضية هي أننا أمة ندين بالإسلام كعقيدة كما ندين أو يجب أن ندين بالسيف أو ما يقوم مقام السيف كقوة رادعة حارسة تحمي مجتمعنا وتصون مقدساتنا ، وتدفع البغي والكيد الذي يراد بنا .

ثم إنه على الذين ينكرون على الأمة الإسلامية أن تدين بالإسلام بغير قوة على هؤلاء — وكلهم يدين بدين أيا كان هذا الدين ، من دين الله أو من وحي الشيطان على هؤلاء أن يتخففوا — ولا نقول أن يتجردوا — فذلك محال من أسلحة الخراب والدمار التي يرصدونها لتدمير العالم ، وهلاك الجنس البشري ثم لهم بعد هذا أن يقولوا ما يشاءون في السيف الذي قام به وعليه الإسلام ، ويومئذ يكون لقولهم من يستمع إليه ويقف عنده وأما أن يقال للمسلمين إن دينكم دين قوة ، ودين سيف ، أما أن يقال هذا القول من ذئاب تنهش في جسم الأمة الإسلامية بمخالبها وأنيابها وتلغ في دمها في شراسة ونهم فذلك مما لا جواب له إلا قول أبي العلاء :

هـذا كلام له خبيء
معناه ليس لنا عقول

ونحن بحمد الله لنا عقول نزن بها موارد أمورنا ومصادرها ، وإنا لن نلدغ من جحر مرتين وإنا إذا كنا قد تخلينا عن القوة تحت تأثير هذه الدعوات المضللة المخدرة فإننا لن ندعها اليوم تفلت من أيدينا ما وجدنا إليها سبيلا . فلتكن القوة بعضاً من وجودنا ، وعنصراً من عناصر حياتنا ودعوة مستجابة من دعوات ديننا قوة في الإيمان بالله ، وقوة في الاستعلاء على شهوات النفوس وأهوائها ، وقوة في التضحية والفداء ، وقوة في معدات الحرب والقتال وهذه القوى جميعها تحمي وجودنا ، وتحفظ مقدراتنا وتقوم موازين الحق والعدل والإحسان لا نبغي على غير باغ ولا نعتدي على غير معتد قائمين أمرنا على ما أمرنا الله به ، « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » .

عبد الستار السيد

أنباء المؤتمر

للأستاذ علي الخطيب

● أوضح المؤتمر مدى طلب المسلمين الوحدة العالمية بينهم، وعملهم الجاد نحو تحقيقها، برز ذلك في مختلف المؤتمرات الإسلامية المنعقدة في العالم من مؤتمر سان باولو بالبرازيل إلى مؤتمر كراتشي بالباكستان إلى مؤتمر مكة.

ويجدر أن ننبه أن هذه المؤتمرات بحثت في صراحة وجهات النظر المختلفة التي ألقاها المؤتمرون، فأصبحت محل دراسة تذلل العقبات وتمهد لجمع الكلمة، وفي المؤتمر السادس لمجمع البحوث الإسلامية وضع فضيلة الشيخ أبو زهرة عضو المجمع أسسا واضحة لبناء هذه الوحدة في بحثه «الوحدة الإسلامية»، وهي أسس عملية عالجت موضوعيا أسباب الخلاف ووضحت كيف نتجنبها، وقد عقب الأستاذ علي عبد الرحمن عضو المجمع على بحث الأستاذ أبو زهرة بأنه ليس خياليا، ورأى أن العرب يجب أن يتقدموا المسلمين في تكوين تلك الوحدة فتتكون الجامعة الإسلامية منبعثة من طريق الشعوب فالحكومات، وقال: إن المؤتمرات المتعددة مظهر الوحدة وظاهرة لها، ويجب أن تقوم بين الأمانات العامة لهذه المؤتمرات لجنة مشتركة تنسق بينها، وفي نشاط هذه اللجنة تطوير سريع نحو الوحدة الجامعة، كذلك فإن رابط الاقتصاد الآن أصبح ميسورا، وقد ذكر سيادة الوزير الطحاوي أن (بروجرام) تنفيذ البنك الاقتصادي الإسلامي يتقدم سريعا وأن بعض خطواته تمت بالفعل.

● اتخذ المؤتمر طريقا عمليا نحو توحيد جهود المؤتمرات الإسلامية التي تعقد في أنحاء شتى من العالم، وقد قام مجمع البحوث الإسلامية ـ فعلا ـ بطبع مقررات المؤتمر الإسلامي الأول المنعقد بسان باولو بالبرازيل في ١٨ ـ ٢٠/٩/١٩٧٠، وجعلها بأيدي أعضاء المؤتمر السادس للمجمع، وهي مقررات شملت الشئون الدينية والثقافية

والعلاقات الاجتماعية، لسكان القارة الأمريكية المسلمين، كذلك عنيت بشئون المرأة المسلمة والشباب المسلم.

وقد دعم الأستاذ أحمد محمد جمال عضو الوفد السعودى هذا الاتجاه وزاده عمقا باقتراحه تقديم البحوث التى قامت بها رابطة العالم الإسلامى بشأن الطبعة الأمهرية لترجمة معانى القرآن ومافيها من أخطاء - إلى مجمع البحوث الإسلامية، فإن الرابطة استحضرت نسخا من هذا الكتاب وشكلت لجنة لدراسته وأبدت استعداد الرابطة التام للتعاون العلمى مع المجمع — ويعنى الاقتراح السعودى توسيع رقعة التعاون حتى تشمل مختلف الجماعات العاملة فى الحقل الإسلامى.

● أكد المؤتمرون ضرورة العناية بـ:

(ا) تنفيذ القرارات والتوصيات التى انتهى إليها المؤتمر فى دورته العالمية وتحميل كل عضو أمانة العمل على تنفيذها ببلاده بشتى وسائل التنفيذ على المستوى الرسمى والشعبى، وطالب اللواء الركن محمود شيت خطاب عضو مجمع البحوث بأن تعمل الأمانة العامة للمجمع على إصدار كتاب تبين فيه ما تم تنفيذه من المقررات والتوصيات ومالم ينفذ.

(ب) وسائل الإعلام من إذاعة صوتية ومرئية وصحافة لتتجه اتجاها إسلاميا أخلاقيا يبتعد تماما عن التأثير الضار بالكلمة أو الصورة على الشباب، وتجند طاقاتها هذه لبث القيم والتعاليم الإسلامية الصحيحة فى نفوس الأجيال حتى تستعيد الأمة الإسلامية مجدها وتحتفظ بمناعة قوتها فلا ينالها عدو ولا يطمع فيها مستغل.

(ج) حصر معا كل الأفراد والجماعات فى العالم الإسلامى حصرا مستوعبا لها وللعيوب فى هذه المجتمعات لتوجيه الحلول الإسلامية لها وعقد مؤتمرات خاصة بذلك وقد رأى الأستاذ غلام محمد نيازى مندوب أفغانستان ضرورة العمل لذلك وضرورة تطبيق القوانين الإسلامية فى المجتمع الإسلامى كله.

وقد أخذ مجمع البحوث الإسلامية فى الإعداد لهذه القوانين مصنفة على وضعين

الأول: عام يرصد القوانين الإسلامية مبوبة شاملة لا تختص بمذهب إسلامى دون آخر.

والثانى: خاص يرصد القوانين الإسلامية لكل مذهب حتى يتسنى لكل جماعة إسلامية أن تأخذ بما تراه منها.

● تقرر فى هذا المؤتمر العمل على إيجاد صندوقين ماليين لفلسطين: أولهما

صندوق الجهاد لتمويل حركة الجهاد الفلسطينية نفسها ، وتبرع لهذا الصندوق اللواء الركن محمود شيت خطاب بخمسمائة جنيه اعتبر أمينا عليها حتى يتم الإجراء القانونى لشرعية الصندوق .

والثانى لتمويل أسر الشهداء مثل سابقه بتحويل هذا المبلغ إلى إحدى أسر الشهداء وينتظر أن يكون وضع الصندوقين دولى عام .

● قال مندوب سيلان :

« بأن المسلمين فى سيلان يدافعون عن العرب ويندون بما تقوم به إسرائيل من عدوان ، وحكومة البلاد تقف متكاتفة مع العرب ضد القوى العدوانية التى تآمرت عليهم ، وقد رفضت حكومة سيلان استقبال وفد « دبلوماسى » إسرائيلى لإنشاء سفارة لها بسيلان كما أغلقت المفوضية الإسرائيلية بالبلاد .

وقد نتج عن ذلك أن كف الأمريكيون عن شراء شاى سيلان فلم يفت ذلك فى عضد الشعب السيلانى .

● اقترح دكتور محمد مهدى علام عضو مجمع البحوث ، وأحد أعضاء لجنة صياغة القرارات بالمؤتمر أن تمد البحوث الخاصة بالتمهيد فى الإسلام لتوزيعها على الجنود وقد استجابت الأمانة لاقتراح دكتور علام

● قال مولانا محمد يوسف البنورى - باكستان : إن الذل والهوان أصاب المسلمين بتركهم الجهاد فى حين أن الله أسبغ على الأرض الإسلامية من الثروة الطبيعية ما يجعلها من أقوى الأمم ، ولكن المسلمين آثروا الأغراض الشخصية على منافع الجماعة وعزتها وأحبوا الدنيا وكرهوا الموت فكان فى هذا تأخرهم .

● قال الأستاذ قاسم غالب / اليمن :

إن الجهاد واجب مقدس على كل مسلم ، وإن مصر التى تتحمل وحدها العبء الأكبر فى هذا الجهاد مع المغى فى صد العدوان هى - فى تاريخها - نموذج حى للفداء على المتدين .

لقد فتح المسلمون ثلاث قارات فى خمسة وعشرين عاما ، ونحن فى أربعة وعشرين عاما لم نستطع أن نطهر فلسطين من العدو

● جاء فى كلمة الأستاذ الدكتور عبد العزيز كامل وزير الأوقاف وشئون الأزهر التى ألقيت فى ختام المؤتمر :

إن العلماء من رجال الأزهر يعملون جنبا إلى جنب مع القوات المسلحة فى الخطوط الأمامية ، وهم يؤدون واجبهم على خير وجه تبصرة بالدين وعملا بالجهاد ؟

على الخطيب

« آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير » . (الحديد ٧)

(Believe in Allah and His Apostle, and spend in charity out of the substance where of He has made you heirs. For, those of you who believe and spend in charity-for them is a great reward) Sura 57 / 7 .

« والذين في أموالهم حق معلوم ، للسائل والمحروم » . (المعارج ٢٤،٢٥)

"And those in whose wealth is a recogmized right for the needy who asks and him who is prevented (from asking). (Sura 70/24,25).

This outlook is associated by mercy and justice in the distribution of wealth among people, which fact is one of the best manifestetions of social security.

This Islamic ruling is designed not to enlist supporters for the alms - giver nor to from partisan, political or colonial blocs just as some countries do to-day, but is designed to ensure the welfare of humanity, to strenghten the bond of fraternal solidarity among all people, rich and poor, to foster the spirit of mercy and tranquility among human elements to dissolve differences and develop amity and harmony so that all people should live under the shadow of security and tranquility,

One of the noble features of Islam lies in the fact that it urges for peaceful co-existence and exhorts Muslims to deal kindly and equitably with the adherents of other religions as is shown by this verse :

« لا ينهاكم الله من الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » . (الممتحنة ٨،٩)

(Allah forbids you not, with regard to those who fight you not for your faith nor drive you out of your homes, from dealing kindly and justly with them for Allah loves those who are just. Allah only forbids you to make friends with those who fight you for your faith, and drive you out of your homes, and support others in driving you out. Whosœver makes friends of them-such are wrongdœrs) (Sura 60 / 8,9).

and hatred in order to stir up dissension between them.

2 — Fraternity and Sympathy.

These two virtues are complementary to the ideal of union and co-operation, and tend to inspire human hearts with amity and mercy. Allah says:

«إنما المؤمنون إخوة» (الحجرات ١٠)

(Believers are but brethren) Sura 49 / 10. The holy Prophet says : "Believers are in their mutual love and sympathy like the human body; when one limb suffers all the other limbs respond to it with sleeplessness and fever". Again he suys. "The Most Merciful has mircy on the merciful so have mercy on those on the earth, and the Most High will have mercy upon you".

Blood relations are more entitled to sympathy and kindness than other peopl. The teachings of Islam are full of precepts exhorting filial piety to parents, and kindness to blood relations. is the duty of the rising generation to treat them kindly and tenderly.

3 — Secial Security.

This means that the rich should take account of the right of the poor. Zakat (i.e. poor-rate) was instituted by Islam to achieve the aims of social security. It is a remedy for social ills, and subvereive principles. In addition to Zakat, Islam recommends voluntary alms in different ways. Thus saith the Lord :

«إن تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم» .
(التغابن ١٧)

(If you advance to Allah a good loan He will double it to your credit, and He will grant you forgiveness, for Allah is Most Grateful and Forbearing) — Sura 64/17 ;

«من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله أجر كريم» .(الحديد ١١)

(Who is he that will advance to Allah a good loan ? For Allah will increase it manifold to his credit, and he will have besides a liberal reward) — Sura 57/11.

The outlook of Islam on wealth is worthy of admiration for it holds that wealth belongs to Allah, that the rich are mere custodians of it holding it in trust for the service of their fellow-creatures, that the poor have a recognized right in it. Allah says in this regard :

this holy verse which includes all the rules of righteousness and reform : "Allah enjoins justice, kindness and charity to one's kindred, and forbids indecency, wickedness and oppression. He admonishes you so that you may take heed (Sura 16 / 90).

In this verse there are to qualities which play a great part in the life of communities i. e. justice and oppression. As for justice it is the firm foundation on which the existence and survival of nations are established. In this respect, Allah says : "Allah commands you that you restore deposits to their owners, and if you judge between mankind, that you judge justly". (Sura 4/58); "Believers, fulfil your duties to Allah and bear true witness. Do not allow your hatred for other men to turn you away from justice. Deal justly, justice is nearer to piety. Have fear of Allah, He is cognizant of all your actions (Sura 5/8).

****

Besides the principal virtues which we have referred to in discussing the aim of Islam and the unity which is the chief support of humanity, there are other supplementary virtues stemming from them which ensures the welfare of humanity, strengthen its foundations, join the hearts of individuals and foster harmony and amity among them. To conclude the treaties, we shall refer to the most important of those virtues so that we may see how much power, dignity and good humanity will derive from adhering to them.

1 — Union and Co-operation.

Union and co-operation are strong pillars of interdependant and compact societies. They play a great part in maintaining the unity of people. Allah says : "And hold fast, all of you together to the rope of Allah, and do not separate" (Sura 3/103); "Help one another unto righteousness and piety not unto sin and aggression, and have fear of Allah, for Allah is severe in punishment (Sura 5 / 2). In this respect the Holy Prophet says : "Believers are like a firm edifice in which bricks stick to one another"; and on the necessity of following the community, he says, "Whoever departs from the community even at span's length will cast the tie of Islam wherewith he bound himself".

Muslims and all other people will enjoy the full measure of peaceful life if they foster the spirit of unity and solidarity among themselves, thus establishing a solid barriers against the evils of humanity and the evil suggestions of the devil who sows the seeds of enmity

tongue that you may thereby proclaim good tidings to the pious, and give warning to a sententious folk" (Sura 19/97); "Praise be to Allah Who has revealed the Book to His servant shorn of falsehood and unswerving from the truth, so that he may give warning of a stern punishment from Him and bring unto the believers who do good works the news that theirs will be a fair reward wherein they will abide for ever; and to warn those who say that Allah has begotten a son, a thing where of they have no knowledge, nor had their fathers : menstrous is the word that comes out of their mouths. They speak naught but a lie (Sura 18/15).

2 — As for the most forceful bond of humanity, it is unity which stems from the unity of the universe, and the oneness of the Great Creator, the unity of religion and community. This unity is established upon human nature which consists of two elements : the one is spiritual, showing itself in relation to Allah, and belief in His oneness; the other is material being concerned with human relations. This means that human relation has two aspects : spiritual relation to the Heavenly World and material relation to the Earthly World. It is this two-fold relation which distinguishes human nature and individuality.

In the Holy Quran this fact is sometimes combined with worship, sometimes with piety : "LO ! this, your religion, is one religion, and I am your Lord, so warship Me. (Sura 21/92) ; "And Lo ! this your religion is one religion, and I am your Lord, so fear Me". (Sura 23/52).

Islam regards the Sons of Adam as one community, being all equal, irrespective of race, colour or region. Piety is the sole criterion of superiority in excellence as is pointed out by the verse : 'The noblest of you, in the sight of Allah is the most pious" (Sura 49/13). In his farewell cermon the Holy Prophet said : "O people, the believers are but brethren; so it is forbidden for any one of you to take his brothers save what the latter should willingly give. O people ! your Lord is one, and your father is one. You all belong to Adam and Adam wes created from dust. The you, in the sight of Allah, is the most pious.

****

Islam then turns to the social virtues upon which the good human community should be established. These virtues are two numerous and both the Holy Quran and the Prophetic traditions refer to them. Suffice here to mention some of them. Foremost among them comes

The Holy Quran expounds this method and explains its features and aims. Surely the intensive study of the Holy Quran and the close investigation of its verses will, contribute a great deal to the welfare of humanity.

It is noticed that some benevolent people, moved by purely religious feelings have shown interest in establishing associations and schools designed to learn the Holy Quran by rote. This is a good and noble deed in itself. Apart from this, it is more desirable to establish special asscoiations, seminaries and schools to study the Holy Quran. understand its verses and promote its purposes aiming at the welfare and guidance of humanity, thereby showing the Quran's influence in reforming human life, and restoring the former glory of Muslims.

Now we come to the second part of this treatise i. e. the hnmanity of Islam within the framework of the nation and at the level of human society.

Here, we have to lay stress upon two elements which reveal the fact that Islam is the religion of humanity at large. The two elements are:

1 — The aim of the Islamic message.

2 — The chief support of Islam, viz., unity.

1 — As for the first, Islam aims at guiding humanity to the right way and preserving it from error and ruinous evil.

The message of the previous prophe's prior to Muhammad had been limited in its legislation, instruction, commands and prohibitions, taking into consideration the extent of vital and intellectual maturity which humanity had then reached. When humanity developed and reached the pitch of perfection in all fields, and became well prepared to receive the general religious message adaptable to all times and climes, Allah sent his trustworthy Prophet Muhammad, the seal of the prophets with the message designed to guide the whole mankind.

The Holy Quran illustrates this fact in the following verses :

"It is He who has sent His messenger with the guidance and the religion of truth (Sura 48/28); "We have sent you with the truth, a bringer of glad tidings and a warner (Sura 2/199), "We have not sent you save as a bringer of good tidings and a warner unto all mankind (Sura 34 / 28).

Then it points out those to whom good tidings are borne and those to whom warning is given : "We have revealed to you the Quran in your

in Islam. The Holy Quran extols it in many verses and mentions it side by side with Iman (i e. belief), as is evidenced from the following verses. "But as for him who believes and dœs right, good will be his reward. (Sura 19/88); 'Verily I am Forgiving toward him who repents and believes and does good, and afterward walks aright. (Sura 20/82).

"Whosoever does right, whether male or female, and is a believer, him verily We shall grant a happy life ; and We shall reward them in proportion to the best of what they used to do" (16/97).

****

Besides those virtues, the Holy Qur'an commends other virtues which are deemed complementary to nobility of character such as truthfulness, honesty, suppression of wrath, patience forgiveness, to endure suffering in the cause of truth, to fulfil promises and show kindness, etc.

All the above virtues exalts the position of man, perfects his humanity and enhances his standing in the sight of Allah and people.

5 — In addition to these positive methods of purifjing soul, Islam resorts to protective means of purging the human soul through preserving man from moral defects and warning him against lapsing into them. This is based on the fact that man is a human being who errs and acts right, that the human soul is prone to evil. But if his heart becomes so hardened that he heeds no warning, then recourse must be had to deterrent punishment to defend both the individual and the society. Out of mercy and kindness, however, Islam does not drive the sinful to despair. It opens the door of repentance to him who feels remorse, and is firmly resolved never to relapse into error. Allah exalted He be says : "And it is He also who accepts repentance from His servants, and pardons the evil deeds (Sura 42/25).

"Say : "Servants of Allah, you that have sinned against your souls, do not despair of Allah's mercy, for He forgives all sins. He is the Forgiving One, the Merciful. Turn in repentance to your Lord and surrender yourselves to Him before His scourge overtakes you, for then there will be none to help you (Sura 39/53,54).

Such is the method adopted by Islam to bring up the individual and fit him to be a useful member of the Muslim community, sharing in its happy and peaceful life.

against sin, and believes in goodness, We shall smooth the path of salvation" (Sura 92 / 5 - 7);.

"The noblest of you, in the sight of Allah is the most pious (49/13) . . . . etc.

B) Uprightness.

Uprightness means keeping to the straight path, the path of truth. In extolling this virtue Allah says. Those who say : Our Lord is Allah, and afterword are upright, the angels descend upon them, saying : Fear not nor grieve, but hear good tidings of the paradise your are promised" (Sura 41 / 30). "Follow then the straight path as you are bidden, together with those who have repented with you, and do not transgress. He is watching over all your actions. (Sura 11/112)... etc.

C) Good - doing.

Good - doing has two meanings ; either to do good to others or to do one's work well and perfectly. Good-doing is more general than benevolence and surpasses justice, for the latter means giving what one owes, and taking what is owed to one whereas benevolence means giving more than one owes, and taking less than is owed to one. To seek justice is due from one as a duty, whereas good-doing is done of one's own free will, for which reaon Allah increases the reward of those who do good for God's sake. Allah says "But seek, in that which Allah has given you, the abode of the Hereafter Do not forget your share in this world. Be good to others as Allah has been good to you, and do not seek evil in the earth, for Allah does not love the evil-dœrs" (Sura 28)77); For those who do good is the best reward and more thereto (Sura 10/26); "Nay, but whosœver surrenders his purpose to Allah while doing God, his reward is with Lord, and there shall no fear come upon them neither shall they grieve" (Sura 2 / 112).

The Holy Prophet — Allah bless him and grant him peace says "Ihsan (i. e. good - doing) is to worship Allah as though you see Him, for if you do not see Him, He sees you".

In Islam the concept of Ihsan is a broad one, for it implies any good act done to mankind. For this reason the virtue of doing good is one of the cheif traits of noble character. It is also a strong tie which binds the individuals of good community, establish the unity of humanity and engenders sympathy and true fraternity among people irrespective of their races, colours and beliefs.

D) Good Work.

Good Work has a high standing

Allah brought you forth from the wombs of your mothers knowing nothing, and gave hearing and sight and hearts that you may gave thanks. (Sura 16 : 78). Again We have "Say : It is He who has created you and given you ears and eyes and hearts. Yet you are seldom thankful". (Sura 67/23)

2 — Next, Islam appeals to man to consider the dominion of the heavens and the earth. Thus saith the Lord : "Have they not considered the dominion of the heavens and the earth and what things Allah has created. (Sura 7/185). Again He says "It is Allah who splits the grain of corn. and the datestone. He brings forth the living from the dead, and the dead from the living .... Surely in these there are signs for a people who believe. (Sura 6/95-99). Again the verse; And He it who spread out the earth and placed therein firm hills and flowing streams, and of all fruits He placed therein two spouses; male and female . . . . . . Surely in these there are signs for thinking men. (Sura 13/3,4)... etc . .

3 — Then, Islam passes on to emphasize the necessity of belief in God and His oneness, for He alone deserves worship. Thus saith the Lord "Thy Lord has decreed that you worship none save Him (Sura 17 / 23);" We have revealed the Scripture unto thee with truth; so worship Allah, making religion pure for Him only. (Sura 39 / 2) "I, even I, am Allah. There is no God save Me. So serve Me and establish prayer for My remembrance". (Sura 20 / 14).

4 — Finally it goes to implant the essential virtues in the heart of man. Of these, four are worthy of note in this respect, namely, piety uprightness, good - doing and good work. These virtues are sure to bring up the individual in a proper manner until he becomes the perfect type of humanity and the ideal exemplar of righteous society.

A) Piety.

Piety signifies to preserve one's soul from all fear. Fear is sometimes called piety and vice versa. In the conventional language of the law piety means to preserve the soul from sin namely to avoid all prohibitions.

T e Holy Quran highly praises this virtue in many verses such as "Nay, but (the chosen of Allah is) he who fulfils his pledge, and guards against sin, for Allah loves those who guard against sin" (Sura 3/76); So make provision for yourselves (hereafter); for the best provision is to guard against sin". (Sura 2/197); For him who gives and guards

Patronage of Islam to Human Values and Ideals

By : Prof. Abdul Hamid Hasan
Member of 'Islamic Research Academy'

Islam is the religion of sound nature, right principles, upright humanity, and contented, happy life.

Islam came to sustain mankind, to achieve human interests, to ensure welfare for man, to preserve his power and dignity, and to guide humanity to the right path.

Allah-Exalted He-laid the foundations of this true faith upon human instincts and dispositions, He showed man the path of good, endowed him with whereby he may resist his fancies and passions, ward off evil and error, and follow the right path.

Allah created Adam "the father of mankind" to be His viceregent on the earth. He honoured and preferred him to many of His creatures, made everything in the earth subservient to him so that he might lead a dignified life, and be happy in this world and the Hereafter.

1 — The first step taken by Islam to perfect the humanity of the individual was to acquaint him with himself and his origion, and to show him his weakness as compared with the power of Allah, and the universe. This is shown by many verses of the Holy Quran, Thus saith the Lord : "Verily We created man from an extract of clay. Then We made him a small life - germ in a firm resting place. Then We made the life-germ a colt, then We made the colt a lump of flesh. This We fashioned into bones, then clothed the bones with flesh, then We caused it to grow into another creation. So blessed be Allah, the best of creators ! " (Sura 23/12 - 14).

Again, "It was He who has created you from dust, making you a little life - germ, and then a clot of blood, then brings you forth as a child ; you attain full strength, then decline into old age — though some of you die before — so that you may reach an appointed term and grow in wisdom (Sura 40-67 ; . . . . etc.).

At the same time, Islam reminds man of his intellectual talents, as of the senses with which Allah has endowed him so that he may gain an insight into the secrets of the universe. Of such senses the most important are those of hearing and sight. Thus saith the Lord : "And

Resolutions and Recommendations of the Conference

On Thursday, 1st. April 1971, the Conference announced its Resolutions and Recommendations. Foremost among them are :

1 — The Conference rejected completely the idea of internationalising the city of Jerusalem.

2 — It demanded Islamic peoples and nations to support Arab peoples and the Palestine people in their struggle for the liberation of their usurped land and sacred places.

3 — The Conference furthermore urged all Muslims to stand united close ranks and rally behind the Arabs in their struggle for the restoration of their usurped rights.

4 — Concerning the attempts made by Israel to change the characteristic of Jerusalem and its historical religious monuments, the delegates called upon the United Nations to implement its resolutions relating to this subject and to prevent Israel from continuing its crimes in this respect.

5 — The Conference, meanwhile, denounced the attitude followed by the United States towards Israel and the American political military and economic aid to it. It considered this attitude as a flagrant enmity towards the Islamic and Arab world.

6 — The delegates called upon Islamic and peace loving countries to severe political and economic relations with Israel.

7 — The Conference furthermore urged Arab countries to concentrate all their materialistic and moral energies towards strengthening the Eastern and Western fronts; and urged Islamic countries not to spare their money and themselves to help their colleagues stationed along the frontlines.

8 — The conference affirmed and backed a religious ruling passed by Muslim ulemas and judges in the Western Bank of Jordan on August 22, 1967, ruling that the blessed Aqsa Mosque, in the religious meaning, means the known Aqsa Mosque as well as the Dome of the Rock, the courtyards surrounding them, fence and gates. They also warned against any aggression against the Ibrahimy Mosque in Hebron.

9 — Referring to the Aqsa Mosque and various Islamic sacred places, the Conference said they belong to all Muslims and that nobody has the right to dispose of them.

10 — On Christian sacred places in the occupied territories, the Conference stated tha it is the duty of every Muslim to protect them and to safeguard their visit for Christians from different parts of the world.

talked about martyrdom in Islam. The guests entertained to lunch by the Governor of Suez.

2 — The conference has sent the following cable to each of the Pakistani President Yahya Khan and Sheikh Mujiburahman of East Pakistan: "Members of the Sixth Muslim Ulema Conference of the Islamic Research Academy of Al - Azhar, representing 700 million Muslims of the world, urge you, in the name of Islamic fraternity, to stop fighting among the sons of One Community (Umma) and One Faith.

They also request you to find out an urgent formula to keep the unity of Pakistan, for Islam calls to unity and forbids disunion as the Holy Quran says : Hold fast, all of you together, to the Path of God, and do not be scattered . . .

May God Bless you to serve Islam and Muslims".

3 — The conference decided to send a delegation on behalf of the conference to each Pakistan and Jordan in order to persuade the parties concerned to stop fighting in their country. The conference has charged a sub committee with the task of the formation of the delegations. This committee consists of the President of the conference Dr. Fahham (Chairman), Dr. Mahdy Allam of Ein - Shams university, General Sheeth Khattab of Iraq and Sheikh Muhammad Abu Zahra of Cairo university (Members).

4 — The Story of Israelites before Islam, by Prof. Bahai el-Kholy (U.A.R.)

Monday 29th March 1971

1 — Care of Islam to Human Values (4 papers presented in the same topic) by :

a) Sheikh Abdullah Ghosha (Jordan)

b) Dr. Abdul Hameed Hassan (UAR)

c) Imam Mousa Sadr (Lebanon)

d) Dr. Abdulla Kannon (Morocco)

2 — Martyrs in Islam (4 papers)

a) Sheikh Hasan Khalid (Mufti of Lebanon)

b) General Abdul Rahman (UAR)

c) Sheikh Kassim Galib (Yemen)

d) Sheikh Abdul Sattar Said (Syria)

Tuesday 30th March 1971

1 — Towards an Islamic Economy by Mr. Ibrahim El - Tahawi (President of Young Muslim Association, UAR).

2 — Psychological warfare by General Mohamed Sheeth Khatab (Iraq)

3 — Islamic Unity by Sheikh Abuzahra (UAR).

Wednesday 31st March 1971

1 — The relation between individual and society in the view point of Islam, by Dr.Mohd. El-Bahai,(UAR)

2 — Interpretation of the Holy Quran by Dr. Jafer Shaheed (Iran)

3 - Quranic Commentary in the Modern Age, by Sheikh Mustafa Tair (UAR).

4 - Islamic State is a Human State by Maulana Asad Madani (India)

Thursday 1st April 1971

Morning session was closed to discuss the draft Resolutions and Recommendations.

In the evening session, the Resolutions and Recommendations were announced.

Some Features of the Conference

1 — The Scholars who participated in the sixth conference of the Islamic Research Academy, visited members of the Armed Forces on the frontlines. They held meetings with officers, NCO's and men, and conveyed to them the admiration of the Islamic and Arab world for their honourable attitude of firm determination and steadfastness against enemies of God and humanity. They were accompanied by el Sayed Muhammad el Biltagy, the Governor of Suez, some Army officers, and a number of leading personalities in the Suez Governorate. The Muslim Ulemas afterwards performed Friday prayers at the Martyrs Mosque in Suez. Sheikh Ibrahim Dessuky of the Ministry of Wakfs, who delivered the Friday Sermon

Dr. Fahham welcomed the Ulemas present and affirmed that Israel's withdrawal from the occupied territories is inevitable. He said that millions of Muslims throughout the world are anxious to hear about the accomplishments of the conference, especially concerning just solutions to every day problems with which they are faced.

He furthermore paid tribute to the late leader Gamal Abdu Nasser and pointed out that the Islamic Research Academy was one of Nasser's accomplishments. The Grand Sheikh also hailed President Sadat and said he (the President) was the best possible successor to the best possible predecessor.

Dr. Kamel, who was delegated by President Anwar el Sadat, to open the conference, greeted and welcomed the delegates on behalf of the U.A.R. President, Government. and people, and wished the conference success. He called for the closing of ranks especially under the present circumstances, to confront plans engineered by enemies of Arab nation. Dr. Kamel said that there are bright aspects, including the continuous scientific preparation on the front line, continuous production to supply the Armed Forces with their requirements, and the desire to reorganise Islamic action internationally to serve the cause of destiny. The Minister in conclusion, hailed every soldier stationed along the confrontation lines and every militant working to regain the usureped land.

Sheikh Abdulla Ghosha, former Minister for Religious Affairs in Jordan, speke afterwards, on behalf of the gust-delegats.

Dr. Beissar, Secretary - General of the Academy, emphasised that it was important that the conference should not only discuss Islamic laws and Islamic jurisprudence, but also the events of the hour as well as Muslim problems in general.

The various sessions of the conference discussed the following research papers presented by members of the Academy and delegates. The foremost among them are :

Sunday 28th March 1971

1 – Responsibility in Islam by the Grand Sheikh of Al-Azhar, Dr. Muhamed El-Fahham.

2 — Israeli aggression on Religious places. by Sheikh Abdul Hameed Saih (Jordan).

3 — Tribulation of Human Rights in Israel, by Prof. Wafik el-Kassar. (Lebanon).

The countries that participated in that conference amount to 40 all over the world. During the session, the conference studied papers dealing with the following subjects :

Bank dealings, insurance and Investement, Education, etc., in the light of religious point of view.

The third conference of the Academy was held in October 1966. A great number of Muslim scholars of the world participated in that conference. The research papers presented by the members related to the following topics :

The means of fixing the beginning of lunar months, Islamic and contemporary economic system ; etc.

The fourth conference was held in September 1968. It was attended by about one hundred Scholars, representing 33 countries, in Asia, Africa and Europe.

The fifth conference was held in February 1970. It was also attended by one hundred Muslim Scholars representing 36 countries.

The sixth conference was held on Saturday, March 27, 1971 and ended (the first stage) on April 1, 1971. The inaugural session of the conference was held in the conference hall of the Cairo Governorate. A large number of University professors, Arab and foreign diplomats were present.

About 120 delegates, representing 35 countries attended the conference. The countries that participated in the sixth conference were as follows:

From Asia : Afghanistan, Pakistan, India, Cylon, Indonesia, Philippine, Japan, Malasia, Iraq, Yemen, Kuwait, Lebanon, Saudi Arabia, Syria, Jordan. Soviet Union, Iran, Oman, Palestine.

From Africa : U. A. R., Sudan, Libya, Algeria, Morocco, Tunisia, Negeria, Mauritania, Uganda, Somalia, Chad, Togo, Mali, Sierarleone and Guinea.

From Europe: Yugoslavia & Austria.

In addition to the delegates, Scholars of local universities, men of letters and press and radio reporters were also attended the sessions of the conference.

The Inaugural Session

The inaugural session of the Sixth Conference of the Academy was addressed by the Grand Sheikh of Al-Azhar, Dr. Muhammed el Fahham, Dr. Abdul Aziz Kamel, Minister of Wakfs and Al Azhar Affairs, Sheikh Abdulla Gosha, former minister of Religious Affairs in Jordan and Dr. Muhammed Abdul Rahman Beissar, Secretary-General of the Islamic Research Academy.

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER :

ABDUL RAHIM FŪDA

Rabî'Awwal 1391	ENGLISH SECTION	MAY 1971

The Sixth Conference of Islamic Research Academy of Al-Azhar (Cairo - 1971)

By

A. M. Mohiaddin Alwaye

Introduction :

The Islamic Research Academy, since it was established in 1961 under the auspices of Al-Azhar, has been working as the highest body for research in Islamic Studies and Jurisprudence. The Academy comprises a select number of Scholars with profound knowledge of Islamic studies and law. The main object of the Academy is to study the problems of Islamic communities and express its views according to Islamic jurisprudence. The Academy has also been charged with the task of studying all that is published about Islam and the researches carried out by non-Muslim scholars to benefit from what is good and to refute what is wrong.

The first conference of the Academy was held in March 1964. The inaugural session was opened by Hussein Shafei onbehalf of the President Gamal Abdel Nasser. It was attended by about 120 delegate-Scholars representing 42 countries. The first conference discussed papers prepared by scholars dealing with problems created by modern inventions and scientific advancement, such as:

1 — The system of Revenue and Taxation in Islam.

2 — The economic system in Islam

3 — 'Ijthihad' (Individual interpretation in Islam).

4 — International Relations, etc.

The second conference of the Academy was held in May 1965.

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
«بدل الاشتراك»
٥٠ قرشا في الجمهورية العربية المتحدة
٦٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

«العنوان»
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤
٩٠٠٥٠٦

الجزء الرابع — السنة الثالثة والأربعون — ربيع الثاني سنة ١٣٩١ هـ - يوليه سنة ١٩٧١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

صحة النفس والحياة..

للأستاذ عبد الرحيم فوده

معنى النفس يصدق على عدة أشياء أظهرها الروح مادامت متلبسة بالجسم، وهي بهذا المعنى ثلاثة أنواع أو مراتب، كما يفهم من القرآن الكريم:

١ — النفس الأمارة بالسوء، وهي التي تغري الإنسان بارتكاب السيئات واقتراف المآثم والجرائم، وهذه هي أعدى أعداء الإنسان كما يقول النبي ﷺ: «أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك» وكما يفهم من قوله: «جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعدائكم» ولا شك أنها مطية الشيطان وأداته المطيعة، وهو كما يقول الله: «إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير» ورحم الله البوصيري حين نظر إلى ذلك وقال:

وخالف النفس والشيطان واعصهما
وإن هما محضاك النصح فاتهم

٢ — والنفس اللوامة وهي التي تشعر بقبح القبائح فتلوم صاحبها عليها إذا ارتكبها، وتحملها على التوبة النصوح فيقلع عنها ولا يعود إلى الوقوع فيها، فإذا عاد عادت إليه بالتأنيب والتثريب وعذاب الضمير حتى يرجع إلى الله ويستغفره، وقيل في تفسيرها كذلك: إنها النفس التي

فلوم صاحبها على التقصير في عمل الخير مع القدرة عليه ، وهذه النفس هي التي يطلق عليها اسم الضمير الحي في الاستعمال الحديث فهي ما تزال لصاحبها تراقبه وتحاسبه وتعاتبه حتى يصلح ما أفسده أو يتدارك ما فات ، وقد أقسم الله بها تنويها بشرفها وقيمتها حيث قال : « لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة » .

٣ — أما النفس المطمئنة فهي التي بلغ بها الإيمان بالله والثقة بعدله وفضله . واليقين بأن الخير في امتثال ما أمر به واجتناب ما نهى عنه . مبلغا علاؤها بالاطمئنان إلى لقائه ، والرضا بما يقع لها أو عليها في سبيله ، وهذه هي النفس التي يقول الله فيها : « يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي » وهي النفس السوية النقية التي عناها شوقي رحمه الله حين قال :

والنفس من خيرها في خير عافية
والنفس من شرها في مرتع وخم

ولا شك أن صحة الحياة رهن بصحة النفس . كما يفهم من قوله تعالى « قد أفلح من تزكى » ، وقوله جل شأنه : « ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها » فإن تزكية النفس كعمل الزارع في الحقل ، ينتزع منه الحشائش والأعشاب الضارة ، ويتعهد الزرع فيه بما ينميه ويقويه . ليورق ويزهر ويثمر ويؤتي أكله ، وكذلك المؤمن في عمله مع نفسه يطهرها من نوازع الشر وينميها بعوامل الخير ، فيعظم قدره في الدنيا وأجره في الآخرة . كما يفهم من قوله تعالى : « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » وقوله جل شأنه : « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى » .

ولا شك أن الإسلام عقيدة تصح بها النفس ، وشريعة تطيب عليها الحياة ، بل هو من حياة الفرد والمجتمع . والأمة . كما يفهم من قول الله : « أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها » وكما يفهم من قوله في كتابه وسنة رسوله : « وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم »

فإذا تخلف المسلمون عن غيرهم فى مضمار العلم والعمل والحياة العزيزة القوية ، بعد أن كانوا لهم قادة وسادة فإن مرد ذلك لبعدهم عن موارد القوة فى هذا الدين القيم ، وروافد الحياة فيما يدعو إليه ، فإنه كما يقول الله فيه : « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم » وقد تحقق ذلك لهم فى أول عهدهم به واعتصامهم بحبله ، وجهادهم فى سبيله فصاروا إلى التقدم بعد التخلف وإلى القوة بعد الضعف . وإلى الحياة الطيبة الجليلة بعد الحياة الواهنة الذليلة ولكن كتاب الله لا يزال بين أيديهم ، وسنة رسوله لا تزال أمام أعينهم وطريقهم إلى ما يطمحون إليه من خير لا يزال واضح المعالم ، لا يضلون إذا التقوا عليه ، ولا يزلون إذا مضوا فيه ، وصدق الله إذ يقول : « ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الأمور » .

عبد الرحيم فوده

قال الله تعالى :

« وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ، أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين » .

[يونس : ٣٧ ، ٣٨]

دلالة القرآن على نفسه أنه من عند الله

للدكتور محمد أحمد الغمراوى

— ٧ —

بعض حقائق كونية سبق إليها القرآن الكريم

قرأت فى عدد صفر من مجلة الأزهر ما علق به الأستاذ الدكتور على عبد الواحد وافى على مقالنا المنشور فى عدد ذى الحجة قبله ردا لحملته الهوجاء على الداعين « إلى تفسير جديد للقرآن » يكشف عما تنطوى «عليه آياته الكونية » من حقائق علمية لم يهتد إليها الباحثون إلا بعد نزول القرآن بعدة قرون » وذلك فى مقاله (حول التفسير العلمى للقرآن) المنشور فى عدد ذى القعدة الخاص بالقرآن الكريم ، وقد ذكر سيادته بين يدى تلك التعليقات أنه كتبها وهو يتأهب للسفر إلى الجزائر ، ففسر ذلك لنا كيف أن ظروف السفر قد أعجلت عن مراعاة الدقة المنتظرة من أستاذ مثله متخصص فى علم الاجتماع إذا كتب نقدا حول التفسير العلمى للآيات الكونية فى القرآن الكريم

فهو ينسب إلينا فى موضعين اثنين على الأقل من تعليقاته أننا نرى « تفسير الآيات الكونية تفسيرا يجعلها مطابقة لنظريات علمية حديثة » وهذا مالم نذهب إليه قط وما لا يمكن أن يفهم من شىء كتبناه لا فى ردنا على المقال المنشور للدكتور فى عدد ذى القعدة ولا ما فى نشرنا قبل ذلك فى مجلة الأزهر وغيرها من مقال تفسيرى لبعض كونيات القرآن ، بل لقد اشترطنا فى التفسير العلمى للقرآن أن تكون المطابقة بين الآى القرآنى وبين الحقائق الكونية « فلا تطابق بين الآى القرآنى والنظريات التى لا تزال محل فحص وتمحيص عند أهلها ، اللهم إلا للحكم عليها بالصحة أو بالبطلان عند موافقتها أو مخالفتها للقرآن » كما جاء نصا فى البحث الذى ألقيناه فى الجلسة العاشرة من الفترة الثانية المؤتمر الخامس لمجمع البحوث الإسلامية بعنوان (فى تفسير الآيات الكونية فى القرآن الكريم) .

وليس من النظريات المشكوك فيها أن الكون مر بطور سديمي قبل أن تتشكل عوالمه ومجراته ونجومه وكوكباته ، إنما الخلاف هو في كيف نشأت تلك الحالة السديمية من ناحية ، ثم كيف تشكلت إلى ما تشكلت إليه من ناحية أخرى ، والطور السديمي الذي مر به الكون دل عليه القرآن في آيتين على الأقل آية سورة الأنبياء (أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما) وآية سورة فصلت (ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها ، قالتا أتينا طائعين) ، وكانت أرضنا هذه قد بلغت في خلقها طورها الرابع، طور مباركتها وتقدير الأقوات فيها ، فالنص على أن السماء كانت عندئذ دخانا نص لا يقبل الشك في أن الكون كله ماعدا الأرض كان سديميا بالمعنى الفلكي لا اللغوي ، لأن السديم في اللغة هو الضباب الرقيق أو عام ، كما في القاموس، والضباب كما هو معروف بخار ماء تكثف على ما علق بالهواء من هباء ونحوه ، فلا ينطبق معناه على معنى كلمة NEBULA المترجم عنها به في علم الفلك الحديث إلا في خاصة الإعتام وحجب الرؤية ، لكن الكلمة القرآنية (وهي دخان) تدل أيضا على خاصيتين أخريين : الحرارة المتوافرة في السديم بالمعنى الفلكي ، وعلى احتمال أو رجحان وجود نوع من السديم أسود ، وهو ما قد أثبت علم الفلك الحديث وجوده فعلا ففي التعبير القرآني بإحدى الكلمتين العربيتين بدلا من الأخرى إعجاز قرآني من الناحية العلمية لا شك فيه .

وتحققه على أيدي علماء الفلك المحدثين ليس فيه ما يخرجه من دائرة المعجزات كما ظن الدكتور ومن لف لفه لأنهم بتحقيقه قد جاءوا بمثل ما جاء به القرآن ، بل هو في الواقع قد أضاف إلى الإعجاز من الناحية العلمية إعجازا من الناحية التاريخية أعظم وأعجب من الإعجاز التاريخي في التنبؤ بغلبة الروم على الفرس في وقت كانت الدلائل كلها تدل على أن انتصار الفرس كانت نهائيا حتى في رأي مؤلف الخامس من المجلد السابع من تاريخ العالم للمؤرخين (1) ، فاستحالة الإصابة في التنبؤ عن طريق التخمين واضحة في الحالين لكنها أوضح وأظهر في حالة ظهور التطابق التام بين الحقيقة الكونية

(1) The Historian's History of the world.

التى لم يكن يعلمها إلا خالق الكون وقت نزول القرآن ، وبين الكلم القرآنى الذى دل على تلك الحقيقة قبل أن يكشف الله عنها على أيدى أهل علم الفلك الحديث بعدة قرون .

فأنباء الغيب التى ينزلها الله فى كتابه أو يجريها على لسان رسوله ثم يحققها سبحانه بعد ذلك حين يشاء على يد من يشاء من عباده ، هى قطعا من معجزات نبيه ومن أوجه إعجاز كتابه . وتحققها بالوقوع فعلا هو قوام إعجازها ودليله ، لا العكس كما يظن الدكتور . وسواء فى ذلك أكان النبأ متعلقا بغيب كونى كما فى آية الأنبياء أم بغيب تاريخى كما فى آيات سورة الروم ، أم بغير هذين الصنفين من أنباء الغيب . وعلى أى حال فالمتعرض لتفسير شىء من الكتاب العزيز عرضة لخطأ ، وتبعة خطئه واقعة عليه هو لا على الكتاب العزيز الذى « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » وإلا لاشترطنا فى المفسر أن يكون معصوما من الخطأ وهو شرط مستحيل تحققه فى غير نبى ، وتكون النتيجة تحريم تفسير القرآن على كل إنسان بعد عهد النبى عليه الصلاة والسلام ، يستوى فى ذلك التفسير الكونى أو غير الكونى من آيات القرآن ، وتجنب الخطأ فى تفسير القرآن أمر واجب ، لكنه لا يكون إلا عن طريق للمفسر ببذل غاية الدقة والاحتياط لكتاب الله فى تفسيره ، وعن طريق النقد الصارم الصحيح يتضافر عليه كل حريص على توفية كتاب الله حقه من الإجلال والإكرام ، وتحرى الإصابة فى فهم المعنى المراد . وفى الأخذ والرد بين المفسر وناقديه من أهل الاختصاص فى موضوع الآيات الكريمة طبق قواعد اللغة ضمان للوصول إلى الحق بإذن الله . ومن السهل اشتراط الشروط فى المفسر والناقد معا على الورق كشرط الدقة والاحتياط لكتاب الله فى فهم المعنى المراد مع مراعاة مبدأ الإعجاز فى الآى الكريم ، أو استحالة التعارض بين بعض الآى وبعض ، أو بينه وبين بعض الحق الثابت يقينا ـ هـذا ومثله سهل اشتراطه لكن العمل به وتنفيذه جد عسير ويحتاج إلى مران كثير فى فرع من فروع العلوم التجريبية مثلا . فليس من الدقة مثلا قياس حديث تأبير النخل على حديث الذباب ، أو العكس ، لأن حديث الذباب فيه أمر بالغمس قبل الطرح ، وحديث

التأبير فيه نص على أنه كان ظنا ظنه النبي صلى الله عليه وسلم ، وشتان بين الأمر والظن . وليس من الدقة في النظر أن يحتج لتفسير الآية القرآنية الكونية بعمل الشيخ محمد عبده في تفسيره قوله تعالى « والسماء وما بناها » بقانون الجاذبية العامة ، أى بحقيقة ثابتة في العلم لا بنظرية تحت الفحص والتمحيص ، فيرد عليه بأن الشيخ الإمام رحمه الله لم تخل بعض آرائه في التفسير والحديث وفروع الشريعة من مآخذ .

وبعض هذه المآخذ قد أخذها عليه تلميذه السيد رشيد رضا ، كأن استعانة الأستاذ الإمام بقانون الجاذبية على تفسير الآية الكريمة هي من المآخذ التى أخذت عليه رحمه الله .

ثم اقتصر الدكتور حفظه الله من المأثور في تفسيره قوله تعالى (أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما) على تفسير ابن عباس فيما روى ابن كثير ، مع أن تفسير ابن كثير نفسه للآية الكريمة أقرب ما يكون إلى تفسير الرتق بالاتصال ، والفتق بالفصل إذ يقول (ألم يروا أن السموات والأرض كانتا رتقا أى كان الجميع متصلا بعضه ببعض متلاصقا متراكما بعضه فوق بعض في ابتداء الأمر ، ففتق هذه من هذه فجعل السموات سبعا والأرض سبعا وفصل بين السماء الدنيا والأرض بالهواء فأمطرت السماء وأنبتت الأرض) . ويلاحظ أن ابن كثير قد تدارك في تفسيره ما فات ابن عباس من توجيه ذكر السموات بالجمع ، كما ذكر لمفسرين آخرين آراء ، بعضها يوافق ابن عباس وبعضها يوافق ابن كثير ، فمن المفسرين القدامى إذن من فسر الآية على الوجه الذى فهمناه منها ودل عليه ذكر السماء بالجمع لا بالإفراد في حين أن تفسير ابن عباس يستلزم ذكرها بالإفراد لا الجمع .

وبعد ، فلو ذهبنا نتتبع ما ذهب الدكتور الفاضل برد لانقلب الأخذ والرد إلى جدل وراء منهى عنه في الدين خصوصاً إذا كان الأمر متصلا بالقرآن الكريم في آياته الكونية التى لا يقل عددها من ثمانمائة والتى يتوقف على فقهها تيسير الدعوة إلى دين الله في هذا العصر ، عصر العلم الحديث فلابد إذن من قول فصل في هذه القضية التى لا تبالغ إذا قلنا إنها قضية العصر ، ولنبدأ بتوكيد أن الدكتور على حق في أنه لا ينبغى تفسير الآى القرآنى إلا بالثابت

اليقين في العلم ، فلا يجوز تفسير شيء من آياته الكونية بفرض أو نظرية لا تزال عند أهلها موضع فحص وتمحيص .

لكن ليس معنى هذا أن القرآن الكريم لم يسبق العلم الحديث إلى حقائق كونية بعضها صحح لفلاسفة اليونان من أخطائهم الفلكية ، وبعضها لم يكشف عنه العلم إلا حديثاً جداً ، وبعضها من القضايا الكلية التي ينطوي تحتها قضايا جزئية ثبت بعضها فعلا ولا تزال صالحة لتشمل ما يمكن أن يكشف عنه العلم في مجالها ، ومعروف أن القضايا الكلية هي أرقى ما يمكن أن يصل إليه العلم في ميادينه المتعددة بحيث لو استطاع العلم أن يشمل الحقائق الكونية جميعها في قضية واحدة لفعل .

فمن القضايا التي اشتهرت حديثاً بين الناس ، ودل عليها القرآن من قبل اختصاص كل إنسان ببصمة دل عليها قوله تعالى « أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه بلى قادرين على أن نسوى بنانه » تقريراً لبعث الأجساد بحيث يحتفظ كل جسد بشخصيته .

فالإعجاز العلمي هو في قوله تعالى (نسوى بنانه) وقد سمعت هذا المعنى تفسيراً لحرفيه الكريمين من الشيخ الأحمدي الظواهري شيخ الأزهر سابقاً رحمه الله .

ومنها أن المركز العصبي للإحساس، هو في الجلد لا في اللحم تحته ، دل عليه قوله تعالى « كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب » .

ومنها أن البويضة الملقحة تعلق بجدار رحم الأنثى تتغذى من دمها وتتكاثر، دل عليها قوله تعالى في مطلع أول سورة قرآنية نزلت « اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق » .

ومنها ما لم يكشف عنه إلا حديثاً في أواخر القرن الماضي مثل قوله تعالى « والشمس تجري لمستقر لها » فقد أثبت علم الفلك الحديث سرعة الشمس في فضاء الله قدروها على الأقل باثني عشر ميلا في الثانية في اتجاه النجم المسمى (vega) بالإنجليزية أو النسر الواقع في العربية .

ومنها ما لم يكشف عنه العلم إلا استنباطا في أوائل هذا القرن ، ومشاهدة في عصر الأقمار الاصطناعية والسفن الفضائية، مثل قوله تعالى (وأغطش ليلها) أي ليل السماء إذ الضمير في (ليلها) راجع إلى السماء في قوله تعالى من سورة النازعات (أأنتم أشد

خلقا أم السماء ؟ بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها) فالسماء فوق جو الأرض سوداء حالكة بالنهار والشمس طالعة ، لانعدام ما يعكس ضوء الشمس إلى العين بعد تجاوز للغلاف الهوائي للأرض ولأن الضوء نفسه لا يرى إلا منعكسا عن الأجسام ولقد ظل المفسرون يرجعون الضمير في قوله تعالى (وأغطش ليلها) إلى ليل الأرض الذي لم يكونوا يعرفون غيره بالرغم من رجوع الضمير إلى السماء في الآيات الكريمة فأخرجوا الآية الكريمة من الحقيقة إلى المجاز بقرينة أن ليل الأرض ناشىء عن غروب الشمس الموجودة في السماء ولو أنهم أخذوا الآية على ظاهرها لكشفوا من الحقيقة الفلكية قبل أن يكشف عنها علم الفلك الحديث بقرون .

ومن القضايا الكلية التي تحوي قضايا جزئية ثبتت حديثا قوله تعالى في سورة يس : « سبحان الذي خلق الأزواج كلها ، مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ، ومما لا يعلمون » . ففي قوله تعالى (ومن أنفسهم) يمثل لنوع الزوجية فالبويضة بعد التلقيح تكتسب خواص أخرى مغايرة بالمرة لخواصها بعد التلقيح : من التكاثر أولا والتنوع ثانيا . ومن هنا يتبين معنى صدر الآية الذي لم يكن معروفا للناس اللهم إلا في النخل عصر نزول القرآن . ثم يأتي قوله تعالى (ومما لا يعلمون) ليشمل كل ما يمكن أن يكشف عنه العلم من أزواج إذا التقت تغيرت إلى ما يغاير خواصها تماما قبل . وقد كشف العلم بعد سنة ١٩٣٧ أو حولها الكهيرب (الالكترون) الموجب نقيض الكهيرب السالب ، بحيث إذا التقيا تحولت مادتهما إلى طاقة صرفة تسير في الكون بسرعة الضوء أي بسرعة ثلثمائة ألف كيلو متر في الثانية . وكذلك كشفه عن نقيض البروتون (الأبيب) الموجب أي عن أبيب (بروتون) سالب إذا التقى بعكسه الموجب الذي هو عبارة عن نواة ذرة الأيدروجين تحول إلى طاقة صرفة تسير في الكون بسرعة الضوء ، أي فنيت مادة الأيدروجين بتحولها إلى طاقة خرجت عن سلطان الإنسان ، وانحلت بذلك شبهة قدم المادة التي قامت عليها شبهة قدم العالم التي كان يقول بها قدماء فلاسفة اليونان ؟

محمد أحمد الغمراوي

دراسات قرآنية :

حقوق الأولاد وآدابهم

للأستاذ مصطفى الطير

«يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد ، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون» . (صدق الله العظيم)

لم يشرع الله الزواج لمجرد المتعة الجنسية وإعفاف النفس فحسب ، بل شرعه لإنجاب الأولاد ، ذكوراً كانوا أو إناثاً ، حتى يبقى الجنس البشرى خليفة عن الله تعالى ، فى عمارة أرضه ، والسلطان على تربتها وحيوانها ، وزرعها ومائها ، ومعادنها وهوائها ، وتسخير ذلك كله لخيره فى معاشه ومعاده .

ولقد جعل الله سبحانه العاطفة الجنسية سبيلا إلى هذا الإنجاب ووسيلة إليه وهيأ دوافعها اللائقة فى كل من الرجل والمرأة ، حتى تتحقق مشيئته تعالى بإنجاب ذريات متتابعة من أولاد آدم ليكونوا خلفاء الله ونوابه فى أرضه ، قال تعالى «إنى جاعل فى الأرض خليفة» .

فعلى كل مسلم أن يقصد من زواجه مع المتعة والإعفاف إنجاب الذرية تنفيذاً لمشيئة الله تعالى ليكون له فى عمله الجنسى مثوبة وأجر ، فإن المباحات والشهوات تتحول بالنية إلى طاعات « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى » .

وإذا كانت الأرض لا تصلح إلا بإصلاح أهلها فلذلك يجب على الوالدين أن ينشئا أولادهما تنشئة صالحة ، وأن يتعهداهم بالتربية النظيفة ، ليشبوا على الفضيلة وعلو الهمة ، كما يتعهد البستانى حديقته بالخصبات والرى ، فيترعرع شجرها ، وتؤتى أكلها شهيا للآكلين ، جميلا يسر الناظرين والأولاد أمانة فى أيدى الوالدين يسألان عما صنعاه فى تربيتهم وتختلف شئونهم ،

بين يدى الله تعالى ، فهم مكلفون بوقايتهم بالتربية الفاضلة « نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون » وفى ذلك يقول النبى ﷺ « والرجل راع فى أهله ، وهو مسئول عن رعيته » ويقول « إن الله سائل كل راع عما استرعاه ، حفظ أم ضيع » .

والأولاد المهذبون مصدر سعادة الأسر ، ومصدر هنائهم وراحة نفوسهم .

مشقة التهذيب :

وتهذيب الأطفال من أشق الأمور ولكن الله تعالى ييسره ، بالصبر وحسن السياسة ، وسعة الأفق وجمال الحيلة .

فلا ينبغى الضجر مما يصنعه الأطفال ، ولا القسوة عليهم ، فإن ذلك يأتى بعكس المطلوب ، وما يرى من شقاوة الأولاد وحركتهم الدائمة يمكن تحويله إلى عمل نافع ومفيد ، واعلم أن قلوبهم جواهر نفيسة خالية من كل نقش قابلة لأن ينقش فيها ما يسمعونه وما يرونه من أقوال وأعمال أهليهم ومن حولهم من خير أو شر ففى الحديث « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » .

فالطفل يولد على البراءة والاستعداد للخير والشر ، فليحرص أبواه على أن يزرعا فى نفسه الخير ويبعداه عن الشر ومفاسد الحياة ، ويهيئا له الجو الذى يكتسب فيه الأخلاق الكريمة ، والمعارف النظيفة ويحافظ فيه على دينه ، وعليهما أن يمنعا عنه قرناء السوء ، حتى لا يفسدوا عليه ما يتعلمه من أسرته ومدرسته ، هذه هى وصايانا العامة ، وفيما يلى جزئيات من التأديب والتربية النافعة .

أوائل من التربية الفاضلة :

الأصل فى التربية اللين والقدوة الحسنة وحسن التوجيه ، فلا ينبغى أن تستعمل الخشونة إلا عند الضرورة القصوى ، وبقدر ، ودون إصرار أو إظهار عداوة ، ليدرك الولد أن عقابه أو الخشونة معه لأجل مصلحته لا لكراهته ومعاداته ، حتى لا يصر على ما هو فيه عنادا ومكابرة ، والبيئة أثر عظيم فى نشأة الطفل ، فليحرص ذووه على أن تكون بيئته مزرعة خصيبة يتناول منها الشهى الطيب من الأخلاق والعادات ، فلا تقع عينه ، ولا تسمع أذنه مالا يليق دينا وخلقا وأدبا .

ولكل سن من عمر الطفل ما يناسبه من التربية والمعاملة ، وقبلة الحنان فى الأطفال الصغار لازمة وضرورية لحياتهم ونشأتهم النفسية والخلقية ، فإنها تشعرهم بأنهم محبوبون فى أسرتهم ، فتتربى فيهم عاطفة الحب لمن حولهم ، والشعور بالمودة معهم ، وينتقل شعورهم هذا شيئاً فشيئاً إلى المجتمع الذى يعيشون فيه ، أما القسوة عليهم فإنها تملأ نفوسهم ، وتورثهم الغلظة والقسوة على من قسا عليهم ، ثم على المجتمع من حولهم .

رأى الأقرع بن حابس رسول الله ﷺ يقبل سبطه الحسين رضى الله عنه ، فقال إن لى عشرة من الولد ما قبلت واحداً منهم ، فقال ﷺ «من لا يرحم لا يرحم»

ومن ألوان التربية فى هؤلاء الصغار المداعبة والملاعبة ، لتتفتح قواهم العاطفية والذهنية وليتكون لديهم الشعور بالشخصية ، وبأن لهم كيانا فيمن حولهم.

وإذا بدر منهم قبل التمييز الناضج ما لا ينبغى أن يصنعه الطفل كامل التمييز فليحتمله الوالدان ، قال عبد الله بن شداد — بينا رسول الله ﷺ يصلى بالناس ، إذ جاءه الحسين ، فركب عنقه وهو ساجد ، فأطال السجود بالناس ، حتى ظنوا أنه قد حدث أمر ، فقال ﷺ إن ابنى ارتحلنى فكرهت أن أعجله حتى يقضى حاجته » .

فانظر إلى رأفته بالطفل الذى لا يدرى أن جده ﷺ فى صلاته بالناس ، بين يدى رب العالمين ، حيث لم ينهره ، بل صبر عليه حتى نزل ، وهكذا ينبغى أن يصنع الآباء مع أطفالهم وإذا تجاوزوا هذه المرحلة إلى التمييز ، وجهوهم برفق إلى ما ينبغى وما لا ينبغى .

توجيه الغرائز

كلما كبر الطفل تنبهت غرائزه الكامنة فى نفسه ، والغريزة سلاح ذو حدين ، فهى تنفع إن أحسن استخدامها وتضر إن أسىء .

ومن الغرائز المبكرة فى التيقظ غريزة حب التملك والاستئثار والسيطرة، فينبغى تنظيمها وتوجيهها بحيث لا يعتدى الطفل على حقوق سواه ، حتى لا ينشأ شريراً مغرما بالحصول على ما فى يد غيره ظلماً وعدوانا .

ومنها غريزة الميل إلى الطعام ، فإنها قد تتحول عند بعض الأطفال إلى شراهة، والتهام بالعجلة وتقبسم أطايب الطعام ،

وسبق غيره إلى الأكل، وغير ذلك من مظاهر سوء الأدب، فينبغي تنظيم هذه الغريزة أولا بحسن القدوة من أهله، وثانياً بتعليمه أن يبدأ باسم الله، ويأكل بيمينه، ويطيل المضغ، ويأكل مما يليه، وأن يعود الأكل الخشن أحيانا ليألفه، حتى إذا أجهدته الحياة مستقبلا تحمل بأعبائها.

وبالجملة، يجب أن يراقب الوالدان مختلف الغرائز في طفلهما، ويوجهانه إلى الخير في وقت مبكر، حتى إذا وصل إلى مرحلة الشباب الخطرة، وصل إليها وهو مستقيم الطباع، مهذب الغرائز، مرضى الأخلاق، فلا يصيبه فيها ما يصيب غيره ممن نشأ طليقا حراً غير موجه إلى معالي الأمور.

وينشأ ناشئ الفتيان منا
على ما كان عوده أبوه

فينبغي أن يعود أن لا يبصق ولا يتمخط أمام غيره، ويعلم كيفية الجلوس المهذبة، فلا يجلس أمام سواه واضعا رجلا فوق رجل، وأن لا يكثر من الكلام والثرثرة، وأن لا يبدأ بالكلام ما لم يكن ذلك داع، وأن يحسن الاستماع إلى من هو أكبر منه سنا، وأن يقوم أو يوسع للقادم، وأن ينصرف إذا سمع لغو الكلام وخفه، ويجل والديه ومن هو أكبر منه سناً تقريباً كان أو غريباً، ويحترم معلميه ويقتدي بهم فيما حسن من أخلاقهم، ويجانب ما لم يحسن، قال ﷺ: «خيار شبابكم المتشبهون بشيوخكم، وشرار شيوخكم المتشبهون بشبابكم» وقال أيضا: «من تشبه بقوم فهو منهم» رواه ابن عمر.

كما يعود ألا يتعالى على زملائه بمال أو جاه أو ذكاء أو غير ذلك، وأن لا يشمخ بأنفه على أستاذه، بل يكون ذليل النفس متواضعا مع الجميع، والملق والمصانعة لا يحسنان في موضع حسنهما في طلب العلم، روى معاذ بن جبل عن النبي ﷺ أنه قال: (ليس من أخلاق المؤمن الملق إلا في طلب العلم) وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (ذللت طالبا فعززت مطلوبا) وقال بعض الحكماء: (من لم يحتمل ذل التعلم ساعة بقي في ذل الجهل أبدا) وقال بعض حكماء الفرس: إذا قعدت وأنت صغير حيث تحب، قعدت وأنت كبير حيث لا تحب.

وبالجملة ينبغي أن يوجه إلى احترام معلمه

وتوقيره ، روت طائفة رضى الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال : (من وقر عالما فقد وقر ربه) وقال على بن أبي طالب رضى الله عنه : (لا يعرف فضل أهل الفضل إلا أهل الفضل) وقال بعض الشعراء :

إن المعلم والطبيب كلاهما
لا ينصحان إذا هما لم يكرما
فاصبر لدائك إن جفوت طبيبه
واصبر لجهلك إن جفوت معلما

وإذا كان ولدك متراخيـــا فى تأدية الفرائض ، فإن كان ذلك عن جهل وجب تعليمه ، وإن كان عن كسل وجب تنشيطه وإن كان عن عناد وجب سياسته بحكمة وبدون ملال ، مع التحول بالموعظة واختيار الوقت اللائم لا فى كل وقت ، حتى لا يكرهها ، وكلما بكر الوالد فى النصح والتوجيه كان الانتفاع بذلك أرجى وأقرب .

وينبغى الإكثار من ذكر الله أمامه قبل البلوغ لتتربى الخشية عنده . كما يتحدث أمامه عن نعيم الآخرة للمتقين ، وعذابها للعصاة ليتربى عنده الوازع مبكرا ، فإذا أدركه البلوغ على حال خيرة ، انتفع من هذه النشأة المباركة ، التى تثبت الخير فيها فى النفس ثبوت النقش فى الحجر ، فإن ترك بدون توجيه قبل البلوغ كان علاجه بعده من أصعب الأمور ، وكثيرا ما يكون مثل النقش على الماء .

وفى مرحلة المراهقة تجب حماية الطفل من الاختلاط والخلوة بالجنس الآخر ، من أقارب أو غرائب فإنها مرحلة حاسمة فى حياته فإما قادته إلى الحماية والطهر ، وإما إلى الانحراف والفساد ، فليتيقظ الوالدان لهذه المرحلة تماما :

وإذا حباه الله بنعمة الحياء كفته ومنعته من المفاسد ، وأعانت والديه على تربيته وحمايته فى هذه المرحلة فإنها تمنعه من ارتكاب ما لا يليق ، قال صلى الله عليه وسلم : (إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى) (إذا لم تستح فاصنع ما شئت) ويجب أن يوجه الحياء ويستعان به على الخير ، حتى لا ينقلب بالطفل إلى الجبن وعلى الوالدين ألا يعودا أولادهما الرفاهية والزينة دائما ، قال صلى الله عليه وسلم : (اخشوشنوا فإن النعمة لا تدوم) كما أن الولد الناعم لا يصلح للكفاح فى سبيل رغيف الخبز ، ولا فى الدفاع عن وطنه .

وكلما ظهر من الطفل خلق جميل يشجع

عليه ، فإن خالف ذلك مرة فلا يكشف ستره أمام غيره ، فإن ذلك يزيده جرأة وعنادا، بل يوجه سرا ويفهم عاقبته كذلك، ولا يكثر وليه من ملامته كل حين حتى لا يستهين بها ، وعلى الأم أن تعين زوجها في تربية أولادها ، وتخوفهم بأنها ستبلغ أباهم إن لم يرجعوا عن تقصيرهم .

ويعود الطفل أن يتعاون مع زملائه وأن يعطف عليهم إن كانوا فقراء بطريقة لا تجرح شعورهم ، كما يعوده ألا يتطلع إلى ما في أيدي زملائه وما يلبسونه وما يصرفونه ، وإذا جاء في يده بشيء لا يعرف أهله أنه له ، يرفضونه ويفهمونه ألا يتكرر منه مثل ذلك ، وأن يسلمه إلى ناظر مدرسته إن كان قد وجده في فنائها ، فإن لم يفعلوا مع طفلهم ذلك ، تدرج من صغير الأمور إلى كبيرها ومعظم النار من مستصغر الشرر .

ويعود الطفل قضاء الحاجة لأهله من الخارج حتى يكون معينا لهم وبارا بهم ، كما يعوده الرياضة ويسمح له باللعب في بعض الأوقات نهارا ، فإن منعه من اللعب والرياضة ، وإرهاقه بالمذاكرة دائما يبطل ذكاءه وينغص عيشه ، حتى يطلب الحيلة للخلاص من التعلم .

وعلى الوالدين أن يعينا أولادهما على برهما ، قال ﷺ: « رحم الله والدا أعان ولده على بره » أي لم يحمله على العقوق بسوء تربيته ومعاملته ، وبذاءة اللسان مع الأولاد ، والتفريق في المعاملة بينهم بحملانهم على العقوق .

وإذا جاوز ولدك الحلم فعامله كشريك ، ولا تعامله كطفل فتفسد عليه استعداده لأن يكون ركنا يعتمد عليه في المنزل ، ولا تعامله كعدو فيناصبك العداء ، وامض ما تستطيع من حاجته وما لا يكون قضاؤه ضعفا لك أو إفسادا له ، وخير الأمور الوسط ، ونختم مقالنا هذا بحكمة حكيم (ولدك ريحانتك تشمها سبعا ، وخادمك سبعا ، ثم هو عدوك أو شريك) ـ فاجعله يا أخي القارىء شريكك ولا تجعله عدوك هدانا الله جميعا سواء السبيل .

مصطفى محمد الطير

من رياض السنة :

مسئولية الإيمان

للأستاذ أبو الوفا المراغي

— ٢ —

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (الغزو غزوان ، فأما من ابتغى وجه الله وأطاع الإمام وأنفق الكريمة ، وياسر الشريك واجتنب الفساد فإن نومه ونبهه أجر كله ، وأما من غزا فخرا ورياء وسمعة وعصى الإمام وأفسد في الأرض، فإنه لم يرجع بالكفاف) أخرجه أبو داود .

ليس من قصدي فيما أكتب من الأحاديث حول الجهاد أن أؤلف كتابا ، أو أصنف رسالة فألتزم التنسيق والترتيب في الأبواب والأحكام فقد ألف في الجهاد كثير ولكن قصدي أن أختار من الأحاديث النبوية ما يتناول النواحي الهامة في موضوع الجهاد وأعرضها بلغة العصر تذكرة للمسلمين بركن هام من أركان دينهم ودعامة من دعائم حياتهم فقد كاد هذا الركن أن يزول عن مكانه في أذهانهم وتفكيرهم لطول ما أغفلوه وتخلوا عن ممارسته ولطول ما تعرض له من دعايات التشويه والتشهير من أعداء الإسلام ، فلقد حاول أعداء الإسلام أن يصوروا الإسلام بأنه دين حرب لا دين سلام وأن أمة الإسلام أمة متعطشة للدماء لا تصلح أن يكون لها مكان في مواكب الحضارة حتى وقر هذا المعنى في أذهان بعض المثقفين من المسلمين ، وأصبحوا يفرقون من الحديث في القتال والجهاد كأنه وصمة في الإسلام يحاولون دفعها وصرف النصوص عليها إلى ما يتفق وفهمهم وتقديرهم .

إن الجهاد ركن من أركان الإسلام بصريح النصوص وهو مظهر من مظاهر حياة الأمم ووجودها والجهاد الذي يعتد به الإسلام ويجزي به ويثيب عليه ويتحدث به

صدق للسلم ، وإخلاصه هو الجهاد الذى يجهده له المسلم ، كل طاقاته ، ويجرده من أغراض النفس وشهواتها ويبذل فيه مما يملك مهما عز عليه وغلى عنده وهذا هو الجهاد أو الغزو الذى ينشده النبى فى أحاديثه ويكرر القول فيه ليجعل القصد منه واضحا ولا يبقى فيه لمتأول عذر ، وفى الحديث الذى صدرنا به بيان لبعض ما يجب أن يتوافر فى الجهاد من أمور حتى يكون جهادا معتدا به بالغا غايته .

وأول هذه الأمور أن يبتغى المجاهد لجهاده وجه الله أى أن يكون لإعلاء كلمة الله ونصر دينه خالصا من شوائب الغرض الشخصى ، كالطمع فى الكسب والمغنم أو الاشتهار بالبطولة والشجاعة وبعد الصيت أو القتال للحمية والعصبية فتلك أغراض تحبط أجر الجهاد وتذهب بثوابه

فقد سأل عبد الله بن عمرو بن العاص رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، أخبرنى عن الجهاد والغزو فقال: (يا عبدالله ابن عمرو ، إن قاتلت صابرا محتسبا بعثك الله صابرا محتسبا ، وإن قاتلت مرائيا مكاثرا بعثك الله مرائيا مكاثرا ، ياعبد الله ابن عمرو : على أى حال قاتلت أو قتلت بعثك الله على تلك الحال) وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : أرأيت رجلا غزا يلتمس الأجر والذكر ماله ؟ فقال رسول الله : لاشىء له فأعادها ثلاث مرات ويقول رسول الله : لا شىء له ثم قال : إن الله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا وابتغى به وجهه .

الأمر الثانى مما يجب توافره فى الجهاد للمعتد به أن يطيع المجاهد الإمام أى رئيس الدولة أو نائبه أى يطيع القائد ، فطاعة القائد والاستجابة للقيادة أهم أركان النظام الحربى فى المعارك والالتحام بين القادة والجند والتجاوب النفسى والفكرى والعملى من أقوى أسباب الانتصار ، لذلك كان جريمة التمرد على القيادة ومخالفة أوامر القائد من أعظم الجرائم العسكرية ومما يزيد فى أسباب هذا التلاحم الإيمان الحق بضرورة الجهاد لدفع الاعتداء واسترداد الحقوق المغتصبة وغسل العار الذى يكون قد لحق بالأمة ، وقد يكون من أسبابه أيضا أن يحس الجنود بتعاطف القادة وإخوتهم وأنهم شركاء فى غاية واحدة وهدف واحد يحمل كل منهم ما يحمله أخوه من مسئوليات دينية ووطنية لافضل

لأحدهما على الآخر إلا ما يقتضيه النظام العام.

والأمر الثالث: من هذه الأمور أن ينفق الكريمة عنده، أى أعز ما عنده من نفس ومال ومتاع وكل ما يمكن أن يفيد فى القتال ويهيىء أسباب النصر وقد قلنا فى بعض كلماتنا: إن الأمر بالجهاد بالأموال قدم على الأمر بالجهاد بالأنفس فى أكثر آيات الجهاد فى القرآن، ذلك أن المال قوام الجهاد ولا يتصور جهاد بدونه فالعصا والسيف والرمح والسهم والدابة وقربة الماء وهى أدنى أدوات الجهاد قديما كانت لا تتوافر إلا بالمال فما بالنا بوسائل القتال فى العصر الحديث.

الأمر الرابع: من هذه الأمور، حسن معاملة المجاهد لأخيه فقد أمر الإسلام المجاهد أن يياسر أخاه أى يتساهل معه ويتغاضى عن بوادره وهفواته وينسى كل شىء إلا ما هو بصدده من مناجزة العدو بغية إحراز النصر، وظروف اللقاء والقتال ظروف قاسية تهد الأعصاب وترهق الإحساس وفى اتحاد قلوب الجند بالتساهل والتغاضى اتحاد جوارح للنكاية بأعدائهم وهذه هى الأخوة المعنوية التى ينشدها الإسلام فى المجاهدين حيث يقول الله تعالى: «إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص».

ومن المياسرة والتعاون أن يسد كل من المجاهدين حاجة أخيه بما هو فى غنى عنه من أدوية وأدوات وأطعمة وأشربة وأكسية فإن ذلك يخلق بين المجاهدين جوا من الصفاء والمودة يهون الصعاب وتحمل الشدائد.

والأمر الخامس الذى أشار إليه الحديث أن يجتنب المجاهد الإفساد والتخريب فى جيوش المسلمين، والتخريب إما تخريب مادى بإتلاف أدوات الجهاد ومعدات القتال وإما تخريب معنوى بالإرجاف وإذاعة الإشاعات الضارة بين الجنود لتثبيطهم وإضعاف عزائمهم. والمفسد والمخرب ليس مجاهدا فى سبيل الله وإنما هو مجاهد فى سبيل الشيطان لخذل المسلمين ممن لأعدائهم وهو أشد على المسلمين من أعدائهم فهو العدو فى ثياب الصديق يستعين على أغراضه الخبيثة بالانتظام فى صفوف المسلمين ويجب التخلص منه وأخذه بقسوة لا هوادة فيها وهو أشبه بالجاسوس الذى يجب تطهير الصفوف منه قبل أن يستفحل خطره ويستطير شروه.

(البقية على ص ٣٣٥)

وقفة مع منطق الإلحاد

للدكتور سليمان دنيا

دخل على جماعة فى مكان عام، وما كاد يستقر به المقام، حتى صاح بهم مشيرا إلى ما حوله من أشياء : هذا كرسى، وهذا باب، وهذا شباك، وهذا حائط، وهذا قلم، وهذا ثوب، فأين الله ؟

يعنى أن هذه أمور موجودة لا يخالجنا فى وجودها شك ولا ارتياب، ندركها ونحسها ونلمسها ؟ فأين من هذا الوجود الواضح البين وجود ربكم الذى تدعون أنه خالق هذا الوجود وأنشأه من عدم ؟ أين هو ؟ وكيف ندركه ؟

هذا شأنه وشأن كثيرين من أمثاله يحملون فكرة الكفر ويدعون الناس إليها، علانية جهارا، فى كل مجتمع وناد. والأمر جد خطير، ولا ترجع خطورته إلى الخوف على الحق من أن تنطمس معالمه، أو تهتز أركانه، فمعالم الحق واضحة بينة لا تخفى على من أرادها، وأخلص فى طلبها، وأركانه ثابتة قوية لا تحول ولا تزول.

أرأيت إلى قوله : (هذا كرسى، وهذا باب، وهذا ثوب، وهذا قلم) إنه ليشاركه فى إدراك وجود هذه الأشياء، الحيوانات من حوله، فالكلاب والقطط يدركون الباب والشباك ويحسونهما ويلمسونهما، فيقفون أمامهما إن كانا مغلقين، ويدخلونهما إن كانا مفتوحين، بل إن ما دون الكلاب والقطط من الحشرات يدركونهما أيضا، ولكن فى الباب والشباك معنى قد لا تدركه الحشرات ولا الكلاب والقطط فيهما، إنهما مصنوعان صنعهما نجار، ولولا النجار لما كان هناك باب ولا شباك، هذه القضية التى يدركها الإنسان إدراكا بدهيا، يجهلها الكلاب والقطط والحشرات تمام الجهل.

فهل هذا الذى يبحث عن وجود الله بين الكرسى والباب والشباك والقلم، والثوب لم يدرك أيضا مع هذه الأشياء، وجود نفسه، ووجود سائر الحيوانات، ووجود الشجر والنبات، ووجود الكواكب والأفلاك لا شك أنه يدرك كل ذلك ؟

فإذا كان يدرك أن للباب والشباك صانعا هو النجار؟ فهلا يدرك أن للإنسان والشجر والنبات والكواكب والأفلاك صانعا؟ وأى فارق بين الباب والشباك، وبين الإنسان والشجر والنبات والكواكب والأفلاك، حيث يسلم أن الباب والشباك لا بد لهما من صانع ويتوقف فى الإنسان والشجر والنبات والكواكب والأفلاك؟

إن من يتوقف فى ذلك مثله كمثل الحشرات التى لم تر النجار يصنع الباب والشباك فغفلت عن أن لهما صانعا، بل لعلها لو رأته يصنعهما لما أدركت ماذا يصنع

ولكن الإنسان يخالف الحشرات فى هذا الموقف تمام المخالفة فهو يقطع بأن للباب والشباك صانعا هو النجار.

كذلكم الإنسان العاقل يخالف هؤلاء الماديين الذين يتوقفون فى أمر الإنسان والشجر والأفلاك تمام المخالفة، فهو يقطع بأنه لا بد لكل هذه الأشياء من صانع، له من السمو والرفعة بمقدار ما بين صنعة الباب والشباك وصنعة الإنسان والشجر والأفلاك من فارق.

هذا هو الطريق الواضح المستقيم لمن يريد أن يسلكه. أما أولئك الذين يلفون ويدورون ويتخذون من الكفر حرفة يحترفونها، فإنك إذا أوقفتهم أمامك لتسألهم: كيف لم تجوزوا أن يوجد قلم أو ثوب أو رغيف من غير صانع، وتجوزون أن توجد سماء وأرض، وشمس وقمر، وليل ونهار، وإنسان وحيوان ونبات، من غير صانع؟ لم تجد لديهم إلا إجابات لا يؤمنون هم أنفسهم بها، ولكن الاحتراف هو الذى ألجأهم إليها إلجاء، تلك هى المصادفة أو الطبيعة، وإنى أسألهم لماذا تخصصت المصادفة والطبيعة فى خلق الإنسان والشجر والكواكب والأفلاك؟ ولم تجاوزا هذا النطاق لتخلقا لنا قلما، أو شباكا أو بابا لنقول: إن الطبيعة خلقت هذا الباب أو هذا الشباك، أو إن المصادفة خلقت هذا القلم أو هذا القرطاس؟ فإذا كان للطبيعة والمصادفة عندكم من القدرة ما يخلق شمسا وقمرا وإنسانا، فلم لم تقولوا: مرة واحدة إن الطبيعة خلقت هذا القلم أو هذا الثوب ولماذا كلما رأيتم قلما أو ثوبا قطعتم بأن هناك إنسانا صنعه، وإن لم تكونوا قد رأيتم إنسانا قط يصنعه.

ولو رحت تسألهم عن معنى الطبيعة والمصادفة، أوقعهم التقليد والعناد فيما

لا يليق بعاقل أن يتورط فيه ، ألا فليرجعوا إلى ذات نفوسهم ليقرءوا فيها :

« وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ، أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم ، أفتهلكنا بما فعل المبطلون »

قلنا : إن ترك الكفر يأخذ طريقه إلى الناس علانية جهارا خاصة الشباب ، فيه خطورة أيما خطورة ، لا على الحق ، ولكن على المجتمع نفسه ، فلكل مجتمع أسسه وأركانه التي تقوم عليها عاداته وتقاليده وكيانه ، وأسس مجتمعنا وأركانه هي مبادىء الإسلام فزعزعة هذه الأسس والأركان ، زعزعة لكياننا كله ؟

سليمان دنيا

(بقية المنشور على ص ٣٣٢)

بهذه الأمور يكون الجهاد خالصا لله وتكون المثوبة عليه موفورة جزاء عادلا فكما أخلص المجاهد نفسه وعمله ووقته لله أجزل له المثوبة وجعل له في جميع أوقاته ثوابا فهو مثاب في يقظته وحركته ومثاب في نومه وسكونه لأنه لا ينام إلا ليستجم ولا يسكن إلا لينشط ويتأهب أما من أخل بأمر من هذه الأمور فقد سقط أجره وحبط عمله ، فمن خرج غازيا ليفاخر بشجاعته ويرائي بجهاده ويسمع الناس ببلائه ، أو عصى قائده في أمره دون أن يدخل ذلك في نطاق المشورة الصادقة أو حاول التخريب والإفساد فإنه ليس مجاهدا في سبيل الله ولا غازيا في سبيل الحق ، وإنما هو مجاهد في سبيل الشيطان . وكل من هؤلاء يرجع من غزوه إن رجع - بالخيبة والخسران وليته يرجع كفافا كما خرج لا عليه ولا له بل يرجع محملا بأوزار ما عمل ، وصدق رسول الله إذ يقول : إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا وابتغى به وجهه ؟

أبو الوفا المراغي

الصراع الثقافى فى حياة الشباب

للدكتور عز الدين على السيد

من حسنات العصر أو من سيئاته ، أن القارىء لو انقطع عن كل عمل غير القراءة لا يمكنه أن يتابع ما تجود به المطابع السخية ودور النشر الكريمة من عطاء غدق ، فى ميادين تعصى على العد : من كتاب صغير أو كبير ، وصحيفة يومية أو غير يومية ، إلى ما يمتع به العصر أبناءه من أجهزة الثقافة المنتشرة كالهواء والضوء بل التى سارت إلى كل عين وأذن مع الهواء والضوء ، فى إذاعات مسموعة أو مسموعة ومرئية ، فضلا عن المعاهد ، والدور المتخصصة على اختلاف الشكل واللون والقصد ، وليس من المغالاة أن نقول : إن بلدا كبلدنا الواعى الحى أصبحت فيه الثقافة تستنفد المال والجهد والعرق ، لا من وزارة واحدة مسئولة ، بل من الهيئات القائمة كلها ، وإلا ففيم تعمل وزارة التربية والتعليم ، ووزارة التعليم العالى ، ووزارة الثقافة ، ووزارة الشباب والأزهر الشريف ، والإدارات الثقافية المختلفة ، ومجمع اللغة وجامعة الدول العربية ودور الإذاعة و (التليفزيون) . . . إلى آخر ما يرى أثره ويسمع ؟.

لقد ضاقت المكتبات العامة والخاصة ، والمكتبات التجارية . . . بل وضاق بالكتب العلماء أنفسهم ، فما يستوعب العالم آخر كتاب فى تخصصه ظهوراً فضلا عن سواه - حتى تطالعه مؤسسات النشر أو يطالعها هو بكتاب أو كتب تمحو وتثبت وتحقق وتنقد ، مما جعلنا فى حذر من الحكم ، إلا فيما هو أمر لا يقبل النقض أو التشكيك مما جزمت قلوبنا وعقولنا بثباته : كشروق الشمس بصباح جديد ، وغروب الشمس بليل جديد ، وانبساط الأرض حولنا بالعجائب ، وامتداد السماء فوقنا بالغرائب وأننا أحياء نسمع ونرى ، ونحس ونتحرك وأن لنا تاريخا موصولا يستحق الإكبار وماضيا باذخا شامخا يجدر بالفخار ، وديننا ليس من صنع البشر العاجز ليومه لينقضه غده ، بل هو ناموس حياة كلها ، إلى أن

ينعكس سهم الشمس ، فتكون النهاية مصداقا خاتما لما جاء به .

أعود قائلا : من حسنات العصر أن تتفتح جميع نوافذنا على هذه الثقافات ، بل أن تقتحم مخادعنا وهي مغلقة علينا ، فنسمع منها ونرى ، دون أن نحمل ورقة أو نقلب صفحة أو نجهد جهدا .. بل أن تهلف إلى عمق نفوسنا بما تلفف فيه من لحن شجي ، أو لفظ حلو ، أو تحبب فكرة أو إثارة ماكرة ، أو طعنة ذكية .

كما أعود قائلا : من سيئات العصر أن يكون ذلك كله ، وقد يأتي الخير بالشر وشر ما في هذه الثورة الثقافية ما تصحبه الثورات من تهويش العناصر المبيدة باسم الخير والنفع والتقدم، ونحن الآن في حرب هي حرب طويلة المدى - لا شك - والضحية المرتقبة عند أعدائنا هي نحن لا غيرنا .

من أجل هذا زرعوا اليهود بيننا ، شجراً خبيثاً في أرض خصيبة ، ينبت الشر والأذى ، وبسبب أو بأكثر من سبب ، هو منا أو من غيرنا ، أو هو منا ومن غيرنا ، امتدت جذور الشجر في الأرض وفروعه في الجو تزاحمنا في كل اتجاه ، في حماية يسهر عليها حماة الرذيلة ، ويغمرها في شرها عداة السلام ، وليس من التعقل أن نحكم على أنفسنا أو لأنفسنا بما يصدق أو يكذب ارتقاب أعدائنا لمصيرنا المزعوم فلا قدر الله قد تغلب الأسباب المانعة - ومنها السموم والمخدرات الثقافية - أسبابنا فنفقد مركز القوة في شبابنا الذي هو عدة الكفاح وعمود النضال ! . وقد لا تقدر هذه السموم والمخدرات أن تنتقل من مكان نظره إلى عقله أو قلبه ، فيجعل من مزاولته لها فيما يزاول لونا من ألوان المعرفة يزيده حذراً من مكر الغادرين ودهاء المحتالين ، وتمسكا في إلحاح بأصل الأصول من شجرة الشخصية التي فيها ازدهر ومنها انبثق وفي كل مسامه وعروقه يجري طعمها ولونها وريحها .. إن لم يكن من الغادرين ! .

الأمر إذاً - ما لم يكن له منهج - مرهون بمرور الزمن وتقلب الأحداث وهجوم النتيجة !

والحرب إذاً في هذا الجانب سلاحها الكلمة المكتوبة والمسموعة ، وسلاحها الشكل في المثال المحكي وللصورة المنقولة .

وليست الخشية على جيل تركزت فيه مقوماته حتى خيف منه فوصمه المكرة

بالجمود والرجعية ، ليجتذبوا الثرى بينه وبين سفينة الشباب .

وإنما الجهنية على هذه البراعم المتفتحة في أول سن الوعي والمحاكاة .

وإنما هي على هؤلاء الظامئين المتطلع بالمتعة من نشاط الحياة والشباب .

وإنما هي على هؤلاء الرامقين ما حولهم بالأعين المتطلعة والقلوب القلقة الحائرة .

أي لون يأخذون ؟ وأي لون يتركون ؟

صور كلها تناقض .. من الخير والشر .. والفضيلة والرذيلة .. والإيمان والإلحاد .. صور كلها تناقض ، ، لا يرى فيها الشباب مع التناقض إلا وجهاً واحداً أنيقاً ، هو وجه الحق بفطرته الأصيلة ينبع جماله من الداخل ، ووجه الباطل بفتنته الخبيثة يفتن في سحرها الجاحدون .

أي أسلوب فاتن من السحر ذلك الذي يعرض به الشيطان خدعته ؟ لقد تأثر بها أناس من جلدتنا ضعفاً في عقل ، ووهناً في عقيدة ، وإيثاراً لزائف خداع ، تبهتهم في زهو بها ، وفتنتهم بظاهر منها ، فتبنوا حبها يبثونه في الشباب بثا ، يزلزلون ميزان الفكر فيهم ثم يباغتونهم بالفتنة المجتاحة قبل أن يعود الفكر معتدلا . .

هؤلاء أقسى في ميدان حربنا من أهل ذلك المبدأ ؛ لأنهم منا في جانب حسن الظن وحمل حالهم على الصلاح !.

من الحق أن يقال أيضا : إن الكلمة الإسلامية والوطنية الغيورة تقال وتكتب ، وتنتشر في الأرض العربية والمسلمة انتشاراً يصارع تلك السموم .

ولكن متى كان إقبال الشباب على المسجد كإقباله على الملهى ؟ ومتى كان استماعه إلى القرآن بأعذب الأصوات كاستماعه إلى صوت يبعث لحنها الداعي بمكان النزوات منه . . أو جسمها للكهوف الساوم بكل وعي فيه ؟

كثير من الأقلام الإسلامية والقومية تكتب الكلمة . . وكثير من الألسنة الإسلامية والقومية تنطق الكلمة . . ولكن كثيراً أيضا من يتكلمون وينطقون على حساب الإسلام لا لحساب الإسلام .. وعلى حساب قضيتهم لا لحساب قضيتهم ، ويطنون في ذلك وفاء أو إرضاء لأناس علموهم فيما تعلموا هذه الثقافات ، في بلاد لها مقومات غير المقومات ، وسلوك غير السلوك ، وقضية غير القضية .. أليس بهم أولى بالوفاء .. وقضيتهم أدعى إلى اليقظة . . وأسلات أقلامهم أحوج إلى ضبط مقولهم ؟

المسألة على جانب خطير فى حياة الأمة، والوعى الثقافى للشباب أمانة هى أدق الأمانات .. وتاريخ هذه الحقبة ما يزال مداد الأقلام .. وقادة فكر الأمة هم قادة الشباب وسدنة كعبته، فليتقـوا الله وليقولوا قولاً سديداً .. ليغسلوا عقول الشباب وقلوبهم بالمداد الطهور. وليخلدوا فيه أفكارهم القائدة إلى الهدى والفضيلة. فليس الضمير كما شاء أن يلقننى أحد الشباب: «هو الجبن الشديد الذى يحول بين الإنسان وبين رغباته المشتهاة .. متى كانت شهواتى تطلب الإشباع جعلت لها حياة الآخرين حطبا إذا استطعت» وليس التراث وإحياؤه عبئا ثقيلا على الحضارة فإن التراث للأمة بمثابة ماضى الفرد من تكوينه وتجريبه، والفرد ـ إن صح انسلاخه عن كل ما استكن فى رأسه ولن يصح ـ عاد طفلا يستقبل الحياة بوجه جديد .. وأحق الأمم لا يسعدها أن تنسلخ من أصالتها فتستقبل التاريخ كطفل يلقنه الوصى، وإلا لتبناها ألف عفريت وشيطانة.

وليس الدين عائقا فى طريق الفكر والحياة ودراسة الحياة فى الكواكب. فإن الدين والإسلام بالذات أساس الحضارات وناشر التمدن وقوام السلام، ومنقذ العقل من وثنية الأصنام .. يعرف عنه أعداؤه مثل ما نعرف، وكم مستشرق عادل أنصفه وشهد له، بأمجد مما يقول دعاته ومعتنقوه ...

نتيجة ماذا من وسائل الثقافة وآلاتها .. أن نرى هذه المناظر المؤذية يتمسك بها الشباب دون حياء أو مهابة! أى كرامة. أو جاه .. أو رجولة .. أو ذوق .. فى أشكال الهيبيين يغريهم بها؟

كيف وصلت؟ بم استسغيت؟ كيف عولجت؟.

ثم نتيجة ماذا من وسائل الثقـافة وآلاتها، تنشر الصحف جرائم الشباب يطبقها على ما يرى ويسمع ويقرأ فى أفلام المغامرات وروايات المغامرين بالشرف والعرض والفضيلة؟.

باسم الشباب قامت مؤسسات كبرى عندنا .. وباسم الشباب أنشئت صحف ومجلات، وللشباب الجامعات والدنيا كلها فأين الصلة بين الشباب وبين المناهج .. وأين الصلة بين الشباب وسلامة الشباب؟

إنهم ما يزالون متعطشين للسلامة .. وأرواحهم ظمأى للاستقامة .. إنهم

فلقول فلنعطف عليهم .. لنعطيهم حق الرعاية والحماية .. لنمسح عن عيونهم تلك السحابة المسحورة .. حتى يضيقوا على صوت الواجب عارفين أنهم لاخيرهم الذين جعلهم القرآن مركز القوة والنشاط وغنى الحياة « الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير » والويل لمن حاد بهم عن الجادة « فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون » .

أقول هذا وقد أعلن مؤتمر العلماء فى مجمع البحوث اهتمامه بالشباب ، ونيته الكريمة فى إنشاء بنك الشباب .. وجعل (الشبان المسلمين) منطلقا بعيد المدى تنبثق منه الفروع فى بلاد العالم المسلم .. وآمل أن تثمر هذه الدعوة فتغادر المداد والكاغد .. ولا تكون أنشودة عذبة بالأمل الحلو شنفت الآذان ثم راحت عن الأذهان .. ثم آمل أن تكون هذه الرسالة شاغل كل دار تحرص على التماسك الأسرى أولا ، والتآزر الاجتماعى ثانيا ، والمشاركة الوجدانية أخيراً فى عالم الإنسان فسبيل ذلك كله هو الإسلام الذى جرب فصح ، ثم أهمل سلوكه فتبدد الشمل وخار العزم وانقطعت عن الصعود الأجنحة ! .

يوم تكون رسالة البيت والمدرسة والمزرعة والمصنع وديوان الحكومة تلك الرسالة سيرى العالم من أمرنا عجبا .. فلنغربل ما يصارعنا من ثقافات .. ولنزن بعقولنا الضار والنافع . أما النافع من العلم فهو زاد حلال لا نرفضه ولو كان من عدو مبين ، وأما الضار المبيد فهو سم قاتل لا نقبله ولو كان من صديق حميم ، ولنضع بين أعيننا عند الوزن قول الله يهدنا إلى الحق « واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ، ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون » .

« يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا ، وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ، ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد » .

د. عز الدين على السيد

الإسلام وكرامة الإنسان

للأستاذ محمد كمال الدين

تعتبر «الكرامة» من أهم الأسس التي يقوم عليها بناء المجتمع الفاضل، والكرامة تعني توفر بعض الصفات الاجتماعية في أفراد الجماعة، فإذا توفرت، كان جماعها علامة صحته وتقدمه، ومن هذه الصفات أن يكفل الإنسان مبدأ المساواة مع غيره من البشر في الحقوق والواجبات، بمعنى أن يقوم كل فرد بما يكلف به من أعمال، وأن يؤديها في صدق وأمانة، وأن يأخذ حقه جزاء إنجازه هذا العمل ماديا ومعنويا ومنها أن يشعر بالإخاء الإنساني بينه وبين كافة البشر، فلا يحاسب بحسب لونه أو مركزه أو جنسه، بل بحسب عمله وقدراته، ومنها أن يكون متعاونا مع أفراد مجتمعه فلا ينعزل أو يتكبر، ويشعر بأنه معهم أصحاب مجتمع واحد، بهم ينهض، وعلى أكتافهم جميعا يبنى، ومنها أن يكون ذلك الإنسان مع غيره وحدة واحدة في سبيل الدفاع عن مجتمعه ضد الأخطار المحيقة به، فكرامته من كرامة مجتمعه، ولا صلاح له إلا في صلاح وطنه الذي تظله سماؤه ومن هذه الصفات أيضا أن يعتاد الفرد على حياة حرة كريمة لا ظلم فيها ولا استبداد، حياة تصان فيها الحرمات، وتمنع المحرمات، ويأخذ الناس فيها أنفسهم بالتقوى وحب الخير، والعمل على تحقيق السعادة لكافة أفراد المجتمع، وهي تتمثل في توفير سبل العيش الكريم والمأوى المناسب، والرعاية الواجبة، وبهذه الصفات تتحقق كرامة الإنسان، الإنسان الذي لا يذل لغير الله، ويؤمن بواجباته الروحية والدنيوية، ويحسن التصرف في مختلف المواقف، فليست الكرامة صفة مفردة، وإنما هي صفة شاملة تهدف في النهاية إلى إيجاد الإنسان المتكامل في دينه ودنياه؛ وحين يجمع ذلك الإنسان بين هذه الفضائل كلها، فإنه يصبح ذلك الإنسان الكريم الذي يشعر بسمو وجوده، وعلو مكانته، وارتفاع قدره مع الناس لا بينهم فحسب.

ولقد كرم الله الإنسان، وسما به على كافة مخلوقاته، وجعل له المكانة الأولى بين

الأحياء، يقول تعالى فى سورة الإسراء (آية ٧٠) «ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا» فضلهم على الملائكة أنفسهم، وأمرهم بالسجود لهم، «ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم» (الأعراف ١١)، «فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين، فسجد الملائكة كلهم أجمعون» (سورة ص آيات من ٧٢ إلى ٧٣).

ولقد أتم الله للإنسان كرامته حين ذلل له صعاب الحياة، ويسر له سبل الرزق، يقول تعالى: «ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض، وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة» (لقمان آية ٢٠)، ويقول أيضا: «هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون، ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون» (سورة النحل آيات ١٠، ١١)

ومعنى ذلك أن يتدبر الإنسان أموره الأخرى تدبر العاقل للفكر، فلا يغلو ولا يتخلف، ولا يحقد ولا يخون، يعمل لدينه ودنياه عمل المتعاون المتآخى، الذى يحرص على خير المجموع كما يحرص على خير نفسه، والذى يتعامل بالحسنى فى السراء والضراء، حينئذ يعلو الإنسان إلى المرتبة التى وضعه فيها بارئه، والتى ألزمه إياها فيحسن به أن يكون جديراً بها حاملا عليها

وكما يعلمنا الله سبحانه وتعالى فى محكم آياته، يعلمنا الرسول الكريم من واشد حديثه فيقول: «لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر، قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا، ونعله حسنا، قال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس». (رواه عبد الله بن مسعود فى الجامع الصحيح الجزء الأول) ويقول الرسول أيضا «لا يدخل النار أحد فى قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، ولا يدخل الجنة أحد فى قلبه مثقال حبة خردل من كبرياء» (عن ابن مسعود أيضا)، وتصرف الرسول الكريم فى حياته مصداق عمل لأقواله، فقد رأى النبى يوما بعض الصحابة يعير رجلا فيقول له:

« يا ابن السوداء »، فغضب النبى غضبا شديدا وقال : « طف الكيل » قالها ثلاثا ، ثم قال : « ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بالتقوى » وهذه الكرامة يستحقها الإنسان لذاته ، روى أنه مرت جنازة لشخص غير مسلم على النبى ﷺ ، فوقف النبى الكريم ، فقيل له يا رسول الله إنها جنازة غير مسلم ، فقال الرسول « أليست نفسا ؟ » فهذا السلوك يدل على مدى حرص الإسلام على كرامة الإنسان واحترامه له حيا أو ميتا ، قويا أو ضعيفا أسود أو أبيض وفى هذا يقول الرسول الكريم فى خطبة حجة الوداع : « يا أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب »

(رواه البزار والإمام أحمد)

وكما كان الرسول الكريم فى حياته وأقواله مثلا يحتذى للكرامة الإنسانية والعزة الإسلامية ، كان الصحابة من بعده مثلا مطابقة تحتذى فى حياتهم وأقوالهم ، ومن المأثور الخالد عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قصته مع الفتى المسيحى الذى جاء يشكو إليه من اعتداء ابن عمرو ابن العاص عليه حين فاز عليه فى سباق بينهما ، فأخذ ابن عمرو يضربه بسوطه ويقول : « أتسبق ابن الأكرمين ؟ وحين سمع عمر هذا الكلام أمر باستدعاء المعتدى أمام أبيه عمرو ، وكانت رسالته إليه تنبىء عن غضبه منه ، وقد قال له فيها « احضر إلى ومعك ولدك فلان » فحضر إليه، وأمر عمر بإحضار الشاب المسيحى فحضر ثم أعطاه السوط وقال له : اضرب من ضربك فأخذ يضرب ابن عمرو، وكلما أحس بأنه اقتص لنفسه منه قال له عمر : « زد ابن الأكرمين فأخذ الشاب يزيد من ضربه حتى قال : « لقد اشتفيت لنفسى يا أمير المؤمنين » فنحى عمر عمامة عمرو عن رأسه وقال له « اضرب على صلعة عمرو » فقال له (يا أمير المؤمنين لقد ضربت من ضربنى) ثم قال عمرو . « ما علمت بهذا » فالتفت عمر وقال لعمرو : « منذ كم يا عمرو استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا » .

وتكمل هذه الصورة صورة أخرى عن عمر أيضا تبين مدى حرصه على كرامة الفرد، وتحقيق العدالة والمساواة بين البشر ، فقد روى عنه أنه قال : « ما من أمير أمر أميرا أو استقضى قاضيا محاباة إلا كان عليه لعنة ما اكتسب من الإثم » . ومن عدالة عمر ومساواته ما جاء فى رسالته إلى أبى

موسى : « آس بين الناس فى مجلسك وفى وجهك وفى قضائك ، حتى لا يطمع شريف فى حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك ، وإياك والغضب ، والقلق ، والضجر ، والتأذى بالناس ، والتنكر عند الخصومة » (من كتاب أعلام الموقعين لابن القيم).

هذه هى الكرامة التى يعتز بها الإسلام ويضعها مبدأ وأساسا لبناء المجتمع بناء صحيحا وسليما ، فإذا جئنا لتطبيق العملى لهذه النماذج فى حياة الفرد فى أى مكان وزمان ، وجدنا أن الإنسان إذا تمسك بحقه ، وقام بواجبه كما ينبغى فى أمانة وصدق ، وإذا تعامل مع كافة الناس من حوله على أساس المساواة والإخاء ، ضمن لنفسه كرامتها ، وهذا ما يطالب به الإسلام ويدعو إليه ، ويكفله علما وعملا ، ونحن فى حياتنا الراهنة جدير بنا أن نحث خطانا نحو هذا التطبيق العملى لمبدأ من أهم المبادىء الإسلامية ، وهو مبدأ الكرامة ، فيه نعيش فى بلادنا أحرارا متآخين ، وبه نعيش بين دول العالم أعزة كراما ، نرد المعتدى ، ونحمى الوطن « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ، ولكن المنافقين لا يعلمون » صدق الله العظيم . (سورة المنافقون آية ٨).

محمد كمال الدين

قال الله تعالى :

« هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ، إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً ، إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً ».

(الإنسان : ١ ـ ٣)

من الأصول السياسية والدستورية في الاسلام

للدكتور مصطفى كمال وصفي

البيعـــة

يكاد يكون موضوع البيعـة من أبرز موضوعات الفقه الدستورى الإسلامى ، لكثرة ماورد فيه من النصوص، ولكثرة من عرضوا له من مفكرى الإســلام فى العصر الحـديث .

وكذلك فإن البيعة مظهر من أهم مظاهر الحياة الدستورية فى الإسلام فهى من ناحية مظهر من مظاهر القوة الشعبية واستعمالها حقها ، ومن ناحيـة أخرى عنصر هام فى تكوين السلطـة لأنه أداة تنصيبها ، وبذلك فإن حسن استعمالها من أهم مظاهر التوازن الدستورى وعناصره ، ولقـد استقام أمر هـذه الأمة لما استقام أمر المبايعة فيها، فلما فسدت وتغيرت من الخلافة إلى الملك ، وأصبح كل ملك يلى العهد بعده ولده أو وريثه ، فسد أمر هـــذه الأمة وتغيرت طبيعـة نظامها واختفت ميزته الشعبية الواضحة وتغيرت إلى ارستوقراطية استبدادية يترفع فيها الحـكام بالعنصر والتحـكم .

وإننا نظن أن هذا الموضوع يتطلب منا كى نستوفيه أن نعرض لما يلى :

أولا : بيان مشروعية البيعة .

ثانيا : بيان تعريفها وطبيعتها وخصائصها .

ثالثا : بيان من يبايعون ومن يبايع لهم .

رابعا : بيان شروطها وكيفيتها .

خامسا : بيان أحكامها .

سادسا : بيان انتقاضها وانتهائها .

أولا : البيعـــة ـ مشروعيتها

أهمية البيعة :

البيعـــة أداة تنصيب الإمام الأعظم أمير المؤمنين وخليفة رسول الله فى المسلمين فشروعيتها هى مشروعيـة لزوم الإمام وضرورته للأمة ، وأن البيعـة السليمة الصحيحة تأتى لهذه الأمة بالإمام البر الصالح والبيعة الفاسدة تأتى لها بالفاجر الفاسق

الطالح ، فتصلح بالأول شئونها وتفسد بالثاني أحوالها .

ومرد ذلك كما يقرر بعض علم الاجتماع الحديث — إلى ظاهرة يسمونها بظاهرة التدرج الاجتماعي .

ومنطوق هـذا القانون : أن الأفراد يتدرجون في المجتمع حسب كفاياتهم المناسبة للمبدأ المهيمن على المجتمع ، فيرتقى فيه أصحاب الـكفايات المناسبة ويسقط فيه أصحاب الـكفايات غير المناسبة ويتدرج الباقون حسب قدراتهم ، فإذا كنا في مجتمع فاضل برز أصحاب الفضيلة وسقط أصحاب الرذيلة ، وإذا كنا في مجتمع غير فاضل برز أصحاب الرذيلة وسقط أصحاب الفضيلة .

وهذا القانون عام في جميع التشكيلات ، فالـكفايات التي تبرز في معهـد علمي غير تلك التي تبرز في جيش أو في نقابة العمال أو في مهنة كالمحاماة أو الطب أو في عصبة من الأشرار فيبرز في كل جماعة أصحاب الـكفاية التي تناسب مبدأ الجماعة ، ولذلك فإنه في دولة رأسمالية يبرز أصحاب الأموال الضخمة ، والقادرون على اقتناص الفرص والمنافع ، وفي دولة مؤمنة يبرز أصحاب اليقين والإيمان لقوله تعالى : «إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

وقوله : «يرفع الله الذين آمنوا منـكم والذين أوتوا العـلم درجات » .

ويترتب على هـذا القانون بالنسبة لما نحن بصدده أمران :

الأول : أنه في الدولة الإسلامية يجب أن يكون الإمام قمة أهل العقيدة والعلم بالدين ، حتى يقوم على المبدأ ويرعاه .

والثاني : أنه إن كان الإمام كذلك ، برز في الجماعة أهل العقيدة والعلم بالدين وتبوؤا مكاناتهم وصلح بهم حال الجماعة .

وإن كان الأمر غير ذلك ، بأن تولى الإمامة غير أهل لها ، برز من ورائه أهل الشر والفجور فتفسد الأحـوال بذلك فساداً عظيما .

ما كان من المبايعة أيام النبي ﷺ

ودليل مشروعية المبايعة وضرورتها ما كان من أمرها أيام النبي عليه صلاة الله وسلامه . فإنه ما ربط مسلما بأمة الإسلام إلا بالبيعة ، وكانت للبيعة تختلف باختلاف حال المبايع وظروف البيعة ، وبايع الفرد والجماعة كما بايع على أمور أخرى ، كبيعته في الحديبية ، بيعة الرضوان تحت الشجرة .

وقد قال الله تعالى : « إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيما » (الفتح ــ ١٠) .

وهذه الآية الكريمة وإن نزلت فى خصوص بيعة الرضوان إلا أنها عامة فى مشروعية البيعة وإنها لله تعالى والوفاء بها واجب .

بيعة العقبة :

وقد كان بناء دولة الإسلام الأولى ببيعة العقبة التى روى عبادة بن الصامت رضى الله عنه خبرها ، وكان أحد نقباء العقبة وشهد بدرا ــ قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ــ وحوله عصابة من أصحابه ــ : « بايعونى على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا فى معروف فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب فى الدنيا فهو كفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء الله عفا عنه وإن شاء عاقبه ، فبايعناه على ذلك » (العبارة من البخارى فى كتاب الإيمان ــ بخارى الشعب ١ ــ ١١ وكتابنا البخارى المفسر الحديث رقم ١٧) .

بيعة النساء :

كما نزل قوله تعالى : « يا أيها النبى إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك فى معروف فبايعهن » (الممتحنة ــ ١٢) فكانت على غرار بيعة العقبة ومنوالها .

بيعة الرضوان :

وكانت ــ كما قدمنا ــ عندما خرج النبى ﷺ لمكة ــ لا يريد كيدا ــ وإنما للعمرة فأحصره المشركون عنها وعقد معهم صلح الحديبية على أن يعتمر فى عامه القابل كما هو معروف .

وقد جاء فى صيغة بيعة الرضوان : عن سلمة رضى الله عنه قال : بايعت النبى ﷺ ثم عدلت إلى ظل الشجرة . فلما خف الناس قال : (يا ابن الأكوع ألا تبايع ؟) قال قلت (قد بايعت يا رسول الله) . قال (وأيضاً فبايعته ثانية) .

قال الراوى فقلت له : يا أبا مسلم . على أى شىء كنتم تبايعون يومئذ ؟ قال :

(على الموت) . (صحيح البخارى نسخة الشعب ٤ ــ ٦١) .

وقيل لابن عمر : على أى شىء بايعهم ؟ على الموت ؟ قال لا . بايعهم على الصبر (بخارى الشعب ٤ ــ ٦١) [1] .

البيعة على الإسلام والجهاد قبل الفتح وبعده :

فلما فتح النبى ﷺ مكة . لم يعد يبايع الناس على الهجرة فإنه لما جاءه أبو معبد ابن مسعود أخو مجاشع بن مسعود يريد أن يبايعه على الهجرة فقال له : ذهب أهل الهجرة بما فيها أو قال : مضت الهجرة لأهلها قال ، فقلت على أى شىء تبايعه ؟ قال أبايعه على الإسلام و لإيمان والجهاد . (بخارى الشعب ٥ ــ ١٩٣ ــ يكونان بالمفسر برقم ٤٠٠٠ و ٤٠٠١) .

وكان النبى ﷺ يبايع على الإسلام أيضا قبل الفتح فإن المغيرة بن شعبة جاءه يبايعه على الإسلام ومعه مال غدر فقال له : أما الإسلام فإنى أقبل وأما المال فلست منه فى شىء .

المبايعة على غير ذلك :

وقد ورد عن عبادة بن الصامت أنه قال : بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة فى المنشط والمكره ، وألا ننازع الأمر أهله ، وأن نقوم بالحق حيثما كنا ، لا نخاف فى الله لومة لائم . [1] (رواه البخارى فى كتاب الأحكام بخارى الشعب ٩ ــ ٩٦ ويكون بالمفسر برقم ٦٦٩٦) .

وعن جرير بن عبد الله أنه بايع رسول الله ﷺ على (إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم) (البخارى كتاب الإيمان ــ نسخة الشعب ١ ــ ٢٢ البخارى المفسر برقم ٥٥) .

المبايعة بعد النبى صلى الله عليه وسلم :

بيعة السقيفة : وخبرها أنه كان قد نمى إلى أبى بكر أن نفرا من الأنصار اجتمعوا فى سقيفة بنى ساعدة يريدون أن يبايعوا أحدهم ، فذهب إليهم أبو بكر فبايعوه . قال البخارى عن أنس بن مالك : إن عمر ابن الخطاب قام فخطب الناس فتشهد وأبو بكر صامت لا يتكلم قال : كنت أرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يدبرنا . . فإن يك محمد ﷺ قد مات فإن الله تعالى قد جعل بين أظهركم نورا تهتدون به ،

[1] يكونان بالبخارى المفسر بإذن الله برقم ٢٧٥١ و ٢٧٤٨ .

[1] أوردنا صيغة بيعة العقبة من قبل ولعل هذه صيغة لإحداهما أو لعلها بيعة أخرى فإنه يجوز للمسلم أن يجدد بيعته ويكررها .

هدى الله محمدا ﷺ . وإن أبا بكر صاحب رسول الله ﷺ وثاني اثنين فإنه أولى المسلمين بأموركم . فقوموا فبايعوه . قال أنس : « وكانت طائفة منهم قد بايعوا قبل ذلك في سقيفة بني ساعدة . وكانت بيعة العامة على المنبر » وقيل من أنس : « سمعت عمر يقول لأبي بكر يومئذ : اصعد على المنبر . فلم يزل به حتى صعد المنبر . فبايعه الناس عامة (صحيح البخاري كتاب الأحكام ـ بخاري المجلد ٩ ـ ١٠١ ويكون بالمفسر برقم ٦٧١٥) ثم عهد أبو بكر لعمر بن الخطاب من بعده . وقد كان عهده إليه بعد أن سأل عبد الرحمن ابن عوف ، وعثمان بن عفان وسعيد بن زيد وغيرهم حتى انتهى إلى أمر ، فأشرف على الناس وقال : لقد وليت عليكم عمر بن الخطاب فاسمعوا واطيعوا له .

ثم روى البخاري في بيعة عثمان بن عفان أن عمر بن الخطاب كان قد ولى نفرا الاختيار الخليفة منهم فاجتمعوا وتشاوروا ، فقال عبد الرحمن بن عوف : لست بالذي أنافسكم فيه . ولكن إن شئتم اخترت لكم منكم . فجعلوا ذلك إلى عبد الرحمن . فمال الناس على عبد الرحمن يشاورونه تلك الليالي ، حتى بايع عبد الرحمن لعثمان، وبايعه الناس : المهاجرون والأنصار وأمراء الأجناد والمسلمين (صحيح البخاري ٩ ـ ٩٧ كتاب الأحكام ـ المفسر ٦٧٠٣) .

وكذلك روى البخاري في مبايعة عبد الملك بن مروان بن الحكم أنه قبل شهدت ابن عمر حيث اجتمع الناس على عبد الملك قال : كتب إني أقر بالسمع والطاعة لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين على سنة الله وسنة رسوله ما استطعت وأن بني قد أقروا بمثل ذلك (صحيح البخاري ٩ ـ ٩٦ كتاب الأحكام ويكون بالمفسر إن شاء الله برقم ٦٦٩٩) .

مصطفى كمال وصفي

أدب وتاريخ:

أبو بكر الصّديق في مرآة شاعر معاصر

للدكتور محمّد رجب البيّومي

— ١ —

لا أدري لماذا لا يتردد اسم عبد الحليم المصري كما تتردد أسماء معاصريه من الشعراء لقد كان أحد تلاميذ المدرسة البارودية من شعراء البعث، فقال الشعر كما قالوا ولم يتخلف عنهم في مستواه الشعري، بل ترك على قصر عمره - إذ غادر حياته في الخامسة والثلاثين - ثروة أدبية ذات مدلول مشرف: ترك ثلاثة دواوين شعرية وملحمتين طويلتين، ولسنا نعنى الكم العددي في التقدير ولكننا نجزم أن القيمة الفنية في هذا الكم تتيح لصاحبها من ذيوع الشعر ونباهة الاسم ما فاز به عبد الحليم المصري في حياته ثم أخطأه بعد وفاته، ومن حظ شعراء هذه الفترة أن أكثر إنتاجهم مطبوع محفوظ، وفيهم من تكفلت الصحف اليومية بتدوينه فعز العثور عليه الآن على غير ذوى العزم من المنقبين الصابرين. ولكن عبد الحليم المصري جمع أكثر شعره في ثلاثة أجزاء فكفى الباحثين صعوبة المراجعة والتنقيب، فكيف يجوز السكوت عنه إلى كثير ممن لم يبلغوا مداه؟ تلك هي بعض ظواهر الحياة الأدبية تتحيف نفرا من الناس لتحابى آخرين دون تعليل مقنع لما وقع من تحيف ومحاباة.

ولد عبد الحليم المصري سنة ١٨٨٧، وتربى تربية عسكرية، فالتحق بالجيش السوداني، وغادر مصر قرابة عامين، ولكن هواه الأدبي قد صرفه عن آمال المناصب العسكرية إلى حيث يعالج الشئون السياسية في قصائد حية تناوىء الاحتلال وتؤرق الغاصبين، فخرج من السودان والجيش معا كما خرج منهما زميله حافظ ابراهيم، واتجه إلى يراعه ينفث عن صدره ويتخذه بديلا من سيفه الذي ودعه، وقد قال في ذلك.

أغمدت سيفي لا كرها ولا فرقا
وابتعته بيراع غير مغمود

صلب الشباة على القرطاس لينها
يدمى على ضعفه صم الجلاميد

ثم مضى فى ديوان الأوقاف ليتفرغ نسبيا إلى أداء رسالته الأدبية تجرى على طريقة حافظ ومحرم والكاشف وغيرهم من ذوى القصائد السياسية والاجتماعية التى تتحدث عن آمال الجمهور ورغباته ، فى تلك الحقبة الزمنية من أوائل هذا القرن ، وهى آمال تتجه أكثر ما تتجه إلى مناوءة الاحتلال والتنديد بجبروته المتسلط ، ثم إلى محاربة الظلم الاجتماعى وتأييد ذوى الإصلاح من أمثال محمد عبده ومصطفى كامل وعبد العزيز جاويش ، ومناصرة تركيا فى اتجاهاتها السياسية بعد سقوط عبد الحميد وإعلان الدستور ثم الحديث عن السياسة العالمية فى ضوء الاتجاه العثمانى لدى من كانوا يحفظون للخلافة حرمتها الدينية .

والحق أنه لا توجد فى تاريخنا المعاصر حقبة تكفل فيها الشعر بمجاراة الأحداث وتسجيل الوقائع السياسية كهذه الحقبة التى تلت عهد الاحتلال الانجليزى لمصر ، لأن الكثرة من الشعراء قد فهموا رسالة الشعر إذ ذاك فهما يتجه بها إلى التعبير عن الشعور العام ، دون عكوف على التأمل الذاتى ، والاستشفاف الوجدانى الخاص ، حتى ظهر دعاة التجديد الشعرى ، ففتحوا عيون الشعراء على آفاق جديدة من القول ، وليس معنى ذلك أن شعراء هذه الحقبة قد أسكتوا جميعا نوازعهم الخاصة بعيدين عن التأمل العميق ، إذ كان منهم من خاض إلى استشفافاته الوجدانية خلوصا مال به إلى الطرافة المبتكرة ، ولكنه قليل فى كثير.

على أن الشاعر كان ذا طموح إلى المجد الأدبى والحظوة السياسية فرأى أن شاعر العصر أحمد شوقى قد فاز بما يجب أن يفوز به كل شاعر من النباهة والرفعة ، وكانت قصائد شوقى فى عباس إحدى بواعث تقدمه ونباهته ، فعمل على مجاراته فى التهنئة بالمواسم والأعياد ، وأطال فى ذلك كما أطال حافظ ، ثم سعى عبد الحليم إلى التقرب من شوقى ليكون بابه القريب إلى كرسى صاحب الأمر ، فمدح شاعر الأمير باذلا ما استطاع فى ترضيته ، مندفعا إلى مبالغات يمجها الذوق الحى كأن يقول فى شوقى :

ذلت آبية البلاغة فاغتدت
تمشى بطرسك مشية المتذلل
فإذا فخرت بهـا فإن محمداً
قد كان يفخر بالكتاب المنزل

قد جاء بالمنثور آخر مرسل

وأتيت بالمنظوم أول مرسل

إذ لا وجه للمقارنة بين وحي رسول الله وما قال شوقي بحال ، ولكنه التطرف المذموم قد ساقه إلى محاولة استرضاء لم تكن بمتاحة لو تعقل الشاعر ، إذ كان شوقي يصد كل منافس يحاول أن يقف جواره في عين ولي نعمته ، وقد حاول حافظ إبراهيم جهده أن يتقرب من شوقي، فكان يخصه بالذكر في مدائحه لعباس ، فما ازداد إلا بعدا ، كأن يقول في تزلف :

لم يبق أحد من قول أحاوله

في مدح ذاتك اعذرني ولا تعب

فلست ممن سمت بالشعر همتهم

إلى الملوك ولا ذاك الفتى العربي

حتى إذا طمع به الكيل ويئس من معاونة غريمه لجأ إلى هجائه في مدحة أخرى فقال :

يا عيد ليت الذي أولاك نعمته

بقرب صاحب مصر كان أولاني

شكا عمان وضج الغائصون به

على اللآلي، وضج الحاسد الشاني

كم رام شأوي فلم يدرك سوى صدف

سامحت فيه لنظام ووزان

وكذلك كان عبد الحليم فقد توالت مدائحه لشوقي وقال فيما قال منفسا عن صدره :

لقد أخلصت يا شوقي ودادي

إليك وأنت توسعني نفورا

فثق بيدي واذكرني بخير

إذا ما جئت مولانا الأميرا

حتى إذا يئس من أمله أعلن الثورة في غير تحفظ فنظم قصيدة رنانة في هجاء شوقي وعباس معا ، كان لها دوي مجلجل في الوسط الأدبي والقضائي معا إذ سيق بسببها إلى المحاكمة ، وقد احتال لنشرها في الأهرام كبرى الصحف اليومية بحيلة جازت على هيئة التحرير فلم تفطن إلى ما وراءه بها من هجو عباس ، إذ جعل عنوانها : « جائزة شاعر قدرها خمسون ألف دينار بين مسلم بن الوليد وهارون الرشيد » ، ثم صدرها بمقدمة قال فيها : إن الشاعر العباسي مسلم بن الوليد قد زاره في المنام ، وأهداه قصيدة مدح بها الرشيد فأجازه عليها بخمسين ألف دينار ، ثم أنسيت فلم يروها أحد ، لذلك كان من الأمانة الأدبية أن يقوم عبد الحليم المصري بنشرها على القراء ، والقصيدة كلها نقد جارح لخصيب

والى مصر فى عهد الرشيد إذ خص أبانواس بكل إنعامه ، مع أن النواسى واش نمام حسود ، فضاعت أموال المسلمين بددا بين شاعر نمام ووال مستهتر بخيل يجمع الأموال لنفسه من غير حل ويؤمن على البلاد كما يؤمن الذئب على الشاة ! وإذا كانت مصر إذ ذاك تتبع الخلافة العثمانية من الوجهة الرسمية فإن الرشيد فى القصيدة هو الخليفة العثمانى ، والخصيب هو عباس والنواسى هو شوقى شاعر العصر ، والهجاء يعد من القسوة والعنف بحيث أتى بكل سباب جارح لذاع ، وقد ابتدأت القصيدة بالقول التقليدى ترسما لطريقة مسلم بن الوليد ، وهو ما لا يهمنا الآن ، فلنعده إلى قول عبد الحليم :

ما للخصيب يغالى يا بن هانئه
ما أعرف المين إلا فى المغالاة
يد بعارفة الإحسان يصرفها
إليه كانت سبيلا للغوايات
أشاعر النيل دون الخلق يعرفه
بينا يذق الصدى منا المرارات
رأى الوشايات من نوع الخيال فلم
يزج الخيال إلى غير الوشايات
إلى الخصيب تركت النيل عن رغب
يسخر الناس فى حل الجنايات
نعم الأمين على مصر وساكنها
لو يؤمن الذئب فى المرعى على الشاة
قل للخصيب إذا ما جئت سدته
عليك بالدين فالدنيا لميقات
أصغرت أمر رجال أمرهم جلل
وبت تعبد أصنام الخرافات
لو قيل منجم تبر فى الهواء رمت
بك الأمانى أوهام البنانات
فى الله أبكار أشعارى التى وئدت
فى شرع مدحك بعد الجاهليات
فاجلس على عرش فرعون أخيك وقل
أنا الإله ولى حق العبادات

والهجاء فى القصيدة أوضح من أن يشار إليه، وقد حوكم الشاعر وصدر الحكم غيابيا بحبسه ثلاثة أشهر ، فاستأنف ، ثم رأى مستشار الأمير ألا يسجل القضاء فى عهده اتهاماً لشاعر ما بهجائه فاكتفى بعما كتبه تأديبيا فى ديوان الأوقاف حيث صدر الحكم بفصله من وظيفته وابتسم له الحظ بعد حين فعزل عباس وعين حسين كامل سلطانا على مصر فاختاره ليحل محل شوقى فيصبح شاعر القصر ، وهلا نجم

عبد الحليم منذ ذلك ولكن الموت لم يمهله فاختطفه بعد سنوات !.

وقد ظن عبد الحليم أن محمداً علياً رأس الأسرة الحاكمة قد كان صاحب عبقرية في الحكم والإدارة، منخدعاً بما سطره المتملقون من كتاب الغرض أو المنخدعون من ذوي السذاجة الغافلة، فاندفع إلى تمجيده كما مجده شوقي في ملحمة طويلة تمجد وقائعه وتمجد أعماله، وقد واتاه الخيال بأبدع ما يوفق إليه شاعر في مثل ثقافته واتجاهه وكانت له صرخات وطنية تتخلل أبياته حين يندد بالظلم في بعض مظاهره كأن يقول في المماليك .

أليس من مصر من باق يحدثني
هل أنت يا نيل أم هل أنت يا هرم
ما بال أرضكما نهبا لغائرها
فكل من وضعوا رجلا بها حكموا
طغى المماليك فيها فوق طاقتهم
فكان ما شهدوا للمجد ما هدموا
لا عهد للقوم بالملك الذي ملكوا
الجاهلون قضوا فاعذر إذا ظلموا
تكاد أدمع قتلام تفيض على
يدي ويصرخ من بين السطور دم
لعزة الملك هبوا لا لأنفسهم
كذاك يجزى وإن لم يسكن الأجم
عهد به لو توارى وجهه خجلا
إذن توارت عهود وهي تبتسم

وموضع الشاهد عندي في هذه الأبيات أنها كما تعبر عن ظلم المماليك تعبر عن ظلم محمد علي حين اقتفى أثرهم في الإرهاب والطغيان، إذ لا عهد له بالسياسة كما لا عهد لهم بها، وقد هب لعزة الملك لا لجلال مواهبه وأمرائه كما هبوا سواء بسواء، ولم يكن الشاعر معذوراً في غفلته عن مساوئ محمد علي لأن الأستاذ الإمام محمد عبده – وهو المثل الأعلى للمعاصر للرجولة الجريئة – قد هاجم محمد علي في عهد أسرته وكشف النقاب عن مظالمه في مقال رنان توالت طبعاته دون خشية من أحد، وكان مما قال الإمام – طيب الله ثراه – عن المجلد الخامس من مجلة المنار (ما الذي صنع محمد علي ؟ لم يستطع أن يحيي ولكن استطاع أن يميت، كان معظم قوة الجيش معه وكان صاحب حيلة بمقتضى الفطرة فأخذ يستعين بالجيش وبمن يستميله من الأحزاب على إعدام كل رأي من خصومه، ثم يعود بقوة الجيش وبحزب آخر على من كان معه أولا وأعانه على الخصم

الزائل فيمحقه ، وهكذا حتى محقت الأحزاب القوية ، فوجه عنايته إلى رؤساء البيوت الرفيعة فلم يدع منها رأسا يستتر فيه ضمير أنا .

واتخذ من المحافظة على الأمن سبيلا لجمع السلاح من الأهليين وتكرر ذلك منه مرارا حتى أفسد بأس الأهالى وزلزلت ملكة الشجاعة منهم ، وأجهز على من بقى منهم ، فى البلاد من حياة فى أنفس بعض أفرادها فلم يبق فى البلاد رأسا يعرف نفسه حتى خلعه من بدنه ، أو نفاه مع بقية بلده إلى السودان فهلك فيه .

أخذ يرفع الأسافل ويعليهم فى البلاد والقرى ، كأنه كان يحن لشبه فيه ، ورثه من أصله الكريم ، حتى انحط الكرام ، وساد اللئام ، ولم يبق فى البلاد إلا آلات له يستعملها فى جباية الأموال وجمع العساكر بأية طريقة وعلى أى وجه ، فمحا بذلك جميع عناصر الحياة الطيبة ، من رأى وعزيمة واستقلال نفس ، لتصير البلاد المصرية جميعها إقطاعا واحدا له ولأولاده على أثر إقطاعات كثيرة كانت لأمراء عدة » .

هذه مقدمة من مقال طويل للأستاذ الإمام يكفى أن يمضى على كل ما خط من الكتب فى محمد على ، وما قيل من الشعر فى بطولته إذ جاء بفلق الصبح فكشف الظلام ، ولم تمهل الأيام عبد الحليم فيقطع دور الشباب للتعجل إلى الكهولة العاقلة التى تتيح له أن يزن الرجال فى اتئاد ، ويحال الأعمالى فى غير لبس ، إذ ارتحل إلى جوار ربه فى صيف ١٩٢٢ ورثاه عارفو فضله من الكتاب والشعراء ، وقال حافظ يبكيه :

لك الله قد أسرعت فى السير قبلنا
وآثرت يا مصرى سكنى المقابر

فلم تتو يا عبد الحليم بحفرة
ولكن بروض من قريضك ناضر

فسائل أبا بكر هناك فإنه
سيظفر فى عدل بخير مسامر

هنيئا لك الدار التى قد حللتها
وأعظم بمن جاورته من مجاور

وقوله (فسائل أبا بكر) يشير إلى قصيدته الرائعة فى عظمة أبى بكر الصديق وهى قصيدة ذات وحى ملهم ترك أثره الجاذب فى النفوس ، وسنخصها ببعض الحديث ؟

له بقية

د. محمد رجب البيومى

علاقة التشريع الإسلامي بالتشريع الوضعي

للأستاذ سيد عبد الله حسين

— ٦ —

سأطرق في مقالي اليوم بحث موضوع الأملاك في التشريعين الإسلامي والوضعي وسنجد الفرق واضحاً بين النص الشرعي والوضعي والنص الروماني مما يؤكد أن الشرع الإسلامي هو أساس التشريع الوضعي لتقدم التشريع الإسلامي عن التشريع الوضعي وذلك .

أولاً : الأملاك في القانون الفرنسي :

هي كل ما يملك الإنسان أي منفعة كمنزل وحصان صـ ٤٥٠ ج ١ فوانيه .

والتركة من الأملاك - وهي بالنسبة لكل إنسان - وهي مجموع الحقوق والواجبات المقدرة بمال ، فلا تشمل أي حق أو واجب لا يقدر بمال كالحقوق الشخصية كحق حفظ الصغير أو تأديبه أو عدم خيانة زوجته صـ ٤٥٠ ج ١ فوانيه .

والشخصية الطبيعية أو الاعتبارية هي التي يكون لها تركة تورث ، وكل شخص له تركة ولو لم يكن له أملاك أو كان دينه يستغرق كل ما يملك ، يعني يمكن أن يكون له تركة ، وكل شخص له تركة واحدة والوارث قد يكون جماعة وقد يكون فردا صـ ٤٥١ ج ١ فوانيه .

ثانياً : القانون الروماني :

الأملاك : هي كل ما يمكن أن يحصل مصلحة أو منفعة للإنسان .

التركة : هي مجموع الالتزامات من الحقوق التي يمكن تقديرها بالنقد وهي وحدة قانونية .

وفي روما - ليس لكل شخص تركة - بل التركة تكون لرئيس العائلة فقط فلا تركة للرقيق - ولا لولد العائلة ولا للأشخاص غير البالغين ، والوارث لا يكون إلا واحداً صـ ٩٣ القسم الثاني ق . ر فوانيه .

ثالثاً : التشريع الإسلامي :

الأملاك : كل شيء معلوم يصح أن تقع عليه ملكية الأشخاص الطبيعيين أو الاعتباريين كأرض وحيوان وقمح - ومن الأملاك التركة .

التركة - حق يقبل التجزي يثبت لمستحق بعد موت من كان له بقرابة أو ما في معناها

كالنكاح والولاء - فهو يتناول المال وغيره كالخيار والشفعة والقصاص - ولا يدخل فيه الولاء والولاية ، إذ ينتقلان إلى الأبعد بعد موت الأقرب ص ١٩٦ ج ٨ خرشى .

وللشخص يكون له تركة واحدة يترتب عليها حقوق خمسة : حق تعلق بعين كالمرهون - وحق تعلق بذمة المتوفى وهى دونه التى لا رهن بها - وحق تعلق بالميت وهو مؤن تجهيزه - وحق تعلق بالغير من الميت وهى الوصية - وحق تعلق بالوارث وهو الميراث ص ٤٥٧ ج ٤ حاشية الدسوقى .

وكل شخص يصح أن يكون له تركة - والوارث يصح أن يكون واحداً ويصح أن يكون متعددا - سورة النساء آية ١١، ١٢ .

وبمراجعة هذه النصوص الثلاثة نجد فيها ما يأتى :

أولا : مدلول كلمة (الأملاك) واحدة وهى كل ما يمكن أن يحصل مصلحة أو منفعة للإنسان - وهو مفهوم لفظة (ملك) فى أى لغة أو عرف .

ثانيا — أن لفظة (تركة) تدل على مجموع حقوق والتزامات تركها مالكها بالموت لمن يستحقها بعده - فهى تتناول المال وما قدر بمال وما يتعلق بهذا المال من حقوق ترتبت فى حياة المالك وتناولتها التركة .

ولا يدخل فى التركة الحقوق الشخصية التى كانت للمورث كحق الحضانة وحق الولاء والولاية فى مال الصغير مثلا فلا تورث بل تنتقل لمن يستحقها بعد وفاة المورث - وهذا صريح ونص فى التشريع الفرنسى الذى نقله من التشريع الإسلامى أيضا كما يعلم من النصوص .

ثالثا — كل شخص يمكن أن يكون له تركة ولو لم تكن له بالفعل وهذا نص القانون الفرنسى المأخوذ من التشريع الإسلامى - وفى القانون الرومانى لا تكون التركة إلا إذا كانت موجودة بالفعل ولا تكون التركة لكل شخص بل تكون لرئيس العائلة .

رابعا — يكون للرقيق تركة ولكن يرثها مالكه - ويكون لولد العائلة وللأشخاص غير البالغين تركة يرثها عنهم من يستحقها حسب قانون الميراث لأن الشخص عديم الأهلية يملك ويترك تركة وهو نص فى التشريع الفرنسى المنقول عن التشريع الإسلامى .

وليس فى القانون الرومانى تركة للرق ولا لعديم الأهلية من أولاد العائلة والأشخاص غير البالغين ، فدعوى أن القانون الفرنسى قد أخذ من القانون الرومانى دون التشريع الإسلامى - تحتاج

إلى دليل، بل الدليل على الأخذ من التشريع الإسلامي موجود وقائم بالفعل .

خامسا : اتفق التشريع الفرنسي وهو حديث والتشريع الإسلامي وهو قديم على أن الوارث يصح أن يكون واحدا ويصح أن يكون متعددا ، ودل نص القانون الروماني على أن الوارث لا يكون إلا واحدا — فيكون هذا التجديد قد أخذ من التشريع الإسلامي ، ولا داعي إلى الإطالة في مأخذ القوانين الوضعية من التشريع الإسلامي مهما أطال المدعون .

لنذكر موضوعا آخر فنرى كيف أخذ التشريع الإسلامي من التشريع الوضعي .

الحقوق التي تكون مالية الشخص :

أولا — القانون الفرنسي :

الحقوق التي تكون مالية الشخص تتكون من نوعين .

١ — الحقوق العينية — وهي صفة تتعلق بالشخص يعارض بها ما عداه ويستفيد بها مباشرة من شيء محدود كل أو بعض منافع هذا الشيء .

٢ — الحقوق المتعلقة بالذمة — وهي خاصة تتعلق بشخص يسمى دائنا تطلب من شخص آخر يسمى مدينا يقوم بتنفيذ شيء أيا كان كمقترض مبلغا من المال فهو دائن ومقترض لهذا المبلغ فهو مدين ج ١ فواليه ص ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ .

والفرق بين الحق العيني والحق المتعلق بالذمة ما يأتي .

١ — الحق العيني يستعمل مباشرة على ذات الشيء المملوك دون واسطة أحد ، والحق المتعلق بالذمة لا يمكن استيفاؤه من المدين مباشرة إذا لم يؤده حسب تعهده .

ولكنه يستوفى بواسطة الطرق القانونية التي أعطاها القانون للدائن فيصل إلى حقه بواسطة القانون ورجاله .

٢ — الحق العيني يكون علاقة قانونية بين شخص وبين شيء فهو حق على شيء — أما الحق المتعلق بالذمة فهو ينشيء علاقة بين شخصين صاحب الحق (الدائن) والآخر المدين

٣ — مادة الحق العيني دائما شيء جسماني محدود كمنزل أو حصان — أما الحق المتعلق بالذمة يمكن أن يكون شيئا محدودا أو من جنس أو نقود أو عمل أو امتناع عن عمل .

٤ — الحق العيني يوجه معارضا لكل العالم فهو حق مطلق — والحق المتعلق بالذمة لا يوجه إلا ضد شخص محدد وهو المدين فهو حق خاص .

٥ — الحقوق العينية محدودة بنص

القانون فلا زيادة فى قائمة الحقوق العينية ـ بخلاف الحق المتعلق بالذمة فإن للمتعاقدين الحق المطلق فى الاتفاق فتتغير حقوق الدائنين كما يبداء الطرفان ـ ج ا فوانيه ص ٤٥٣

ثانيا : التشريع الإسلامى :

إن مالية الشخص التى يكون له عليها حقوق فيتركها لورثته بعد وفاته لا تخرج عن حقين :

١ — حق عينى ـ وهو ما كان على شىء معين كالملكية فى العقار وما ألحق به ، والعقار هو الأرض وما تصل بها من بناء أو شجر ـ والملكية إما للذات وإما للمنفعة

٢ — حق متعلق بالذمة ـ بمعنى أن ذمة آخر قد تعلق بها الوفاء لشىء معين لدائن مثلا كقرض لزيد فى ذمة على لمدة معينة يؤديه لدائنه .

وإذا نظرنا إلى هذا التقسيم فى أبواب الفقه فى الشريعة فلا نجده فى باب معين مفصل فيه قد استوفى أبحاثه ولكنا نجده فى كل باب فيه تصرف فى مال يذكر لإعطائه الحكم الفقهى من صحة أو بطلان ومن حل أو حرمة كما يلى :

١ — جاء فى ص ٣٥ ج ٥ الخرشى (وجاز النقد فى العقار بشرط أن يباع على اللزوم وأن لا يباع بوصف البائع ، لأن العقار لا يسرع إليه التغير ـ وجاز النقد فى غير العقار بشرط إن قربت مسافته ولو حيوانا كاليومين ولم يكن فيه حق توفية ككيل أو وزن أو عد أو مقاس) وهو ما يصح أن يكون فى الذمة (بيوع) .

٢ — جاء فى ص ٢١٠ ج ٢ الشرح الصغير (فيفرد كل نوع أو صنف ليقسم على حدة من عقار أو حيوان أو عرض كدور وأرض للزراعة ويقسم العقار والمقوم بالقيمة ، فتقسم الأرض بالمساحة إن استوت فى الجودة والعدد ـ والمثلى كالعملة والقطن والحبوب والحديد فإنها تقسم بالعدد أو الكيل أو الوزن) (باب القسمة) .

٣ — وجاء فى باب الشفعة ج ٢ الشرح الصغير ـ الشفعة تكون فى العقار المباع من مالكه لغير شريكه ، فالهبة والصدقة والوصية لا شفعة فيها (باب الشفعة) .

وتصح الشفعة فى الثمرة تبعا للشجر فى الأرض المشفوع فيها ما لم تيبس وإلا اعتبرت منقولا فلا شفعة فيها ، ولا شفعة فى الزرع والبقل ولو بيع مع أرضه (باب الشفعة) .

٤ — وجاء فى ص ٢١٧ ج ٥ خرشى (وكون المسلم فيه دينا فى ذمة المسلم إليه

فيبيع معين يتأخر قبضه لا يجوز سلما لأنه يدور بين السلفية والثمنية ؟

وفى ص ٢٢٤ ج ٥ خرشى (لا يجوز السلم فيما لا يمكن وصفه كتراب المعدن والأرض والدار لأنه سلم فى معين وشرط السلم أن يكون السلم فيه فى الذمة (السلم).

وجاء فى ص ٢٢٩ (كل ما يجوز فيه السلم يجوز فيه القرض كالعروض والحيوان لا كالأرضين والأشجار وتراب المعادن والجواهر النفيسة). (القرض).

هذا وقد قسم التشريع الإسلامى (الملك) أيضا إلى ثابت ومنقول كما قسمه القانون الفرنسى كما سيأتى، وإلى ملك ذات وملك منفعة وملك انتفاع.

أما ما ذكره للشرع الوضعى فى الفرق بين الحق العينى والحق فى الذمة فيأتى من القواعد الآتية :

١ — استعمال الحق لمن يستحقه ويملكه أما أن يكون على شىء معين كمنزل أو حيوان فلا يحتاج فى استعماله إلا مباشرته على نفس الشىء — أما الحق فى الذمة فهو فى ذمة الغير فلا يمكنه استعماله إلا أن يؤدى له المدين أو يستعين بما اصطلح عليه المجتمع من القوانين فلا ترفع دعوى إلا من مالك الحق، ولا ترفع إلا على صاحب ذمة مماثل للمدعى امتنع عن الوفاء بذمته، فالخصومة يجب أن تكون بين شخصين مكلفين رشيدين طائعين، ولا يتحقق هذا فى الحق العينى مع مالكه بل يتحقق فى الحق المتعلق بالذمة. راجع الخرشى ج ٥ ص ٩ و ص ١٥٤.

٢ — الحق العينى يكون دائما على شىء والحق فى الذمة دائما يكون بين شخصين ويكون الحق العينى دائما شىء جسمانى محدود لا يكون فى الذمة إلى آخر ما جاء فى بقية الفروق بين الحقين يمكن أخذه استنتاجا من مفهوم تعريف الحقين فلا يوجد فارق بين القسمين يصح أن يدعى به أنه من وضع التشريع الوضعى وإنما هو مفهوم التشريع الإسلامى.

٣ — أما كون الحقوق العينية محدودة بنص القانون فسيكون بحثنا فى المقال الآتى إن شاء الله — ولعل فى هذا المقال ما يكون دليلا قاطعا على أن التشريع الوضعى قد أخذ فى جملته وقواعده من التشريع الإسلامى الذى لم يعترف له أحد من هؤلاء، ولكن هذا لا يضيره فهو تنزيل من حكيم حميد ؟ (يتبع)

سيد عبد الله حسين

رسالة باريس :

المستشرقون واللغة العربية وآدابها

للدكتور محمد عطية أبو النجا

من الأمور التي توسع آفاق الإنسان، وتساعد فكره على الابتكار والإبداع، أن يدخل مع الآخرين في حوار موضوعي هادىء يكشف له عن عوالم لم تكن تخطر له على بال، ويساعده على معرفة نفسه من خلال نظرة الآخرين إليه، ويحثه على الدفاع عن الجوانب الأصيلة من شخصيته ويكشف له عن مواطن الضعف فيها فيحاول علاجها وبذلك تتجدد حياته الفكرية، وتثرى حضارته. ولهذا فقد حفل كبار الكتاب العرب بمؤلفات المستشرقين مثل ليفي بروفنسال ونالينو، وماسينيون، وجب وحاولوا إظهار ما في آرائهم من طرافة وأصالة وعمق، أو تطرف ومغالاة، كما كان المستشرقون من جانبهم يتابعون باهتمام مؤلفات النقاد العرب ويتناولونها بالنقد والتمحيص، فمن منا لم يقرأ تعليق طه حسين في كتابه (في الأدب الجاهلي) على آراء المستشرق الإيطالي نللينو في الأدب ومن منا لم يقرأ تعليق المستشرقين على نظرية طه حسين نفسه في الأدب الجاهلي، ويمكن القول أن هذا الحوار الخصب قد ضعف في بلادنا في الفترة الأخيرة ولكنه قد عاد من جديد في صورة غير مباشرة. فها هو كتاب (الشعب) ينشر ترجمة لدائرة المعارف الإسلامية، وها هم المستشرقون يفردون في السنين الأخيرة عدة مؤلفات لتاريخ الأدب العربي وسنحاول أن نعطي القارىء صورة إجمالية عنها قبل أن نتوقف طويلا عند آخرها وأهمها في نظرنا ألا وهو كتاب (تاريخ اللغة العربية وآدابها) الذي ألفه البروفسور شارل بلا Charles Pellat مدير معهد الدراسات الإسلامية بالسوربون

لم يكن القارىء الفرنسي يجد قبل الحرب العالمية الثانية سوى كتاب كليمان هوارت (الأدب العربي) وهو كتاب ينقصه بعد النظر، ويفتقر إلى كل محاولة جدية لتوضيح تطور الأدب العربي وإبراز اتجاهاته الأساسية.

وفي عام ١٩٤٣، نشر المستشرق ج م عبد الجليل، وهو من أصل مغربي، تاريخا مختصرا للأدب العربي وهو كتاب مدرسي مفيد جدا لمن يدرسون الأدب العربي،

بل هو مفيد أيضا للقارىء العادي الذي يريد أن يلم بفكرة عامة عن التراث العربي الذي أصبح جزءاً لا يتجزأ من الحضارة العالمية.

وفي عام ١٩٥٢ نشر المستشرق الفرنسي شارل بلا كتابا عن (اللغة والآداب العربية)، عرض فيه بإيجاز ما أنتجه العرب من مؤلفات أدبية، مع العناية بشكل خاص بإبراز السمات الرئيسية للغة العربية، وبيان الخطوط العريضة لتطورها، ورسم صورة إجمالية للأدب العربي تعنى بالمؤلفات أكثر مما تعنى بالمؤلفين.

ومنذ ذلك الحين، ومنذ ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ بشكل خاص، أخذ العالم العربي يتقدم بخطى حثيثة، ويحتل المكان اللائق به على الصعيد العالمي، مما أثار اهتمام الرأي العام العالمي بالحضارة والآداب العربية، ومما حدا باليونسكو إلى ترجمة عيون الأدب العربي في (مجموعة الروائع الإنسانية)، كما أشرت هذه المنظمة تحت رعايتها في عام ١٩٦٦ كتابا للمستشرق جاستون فييت عنوانه (المدخل إلى الأدب العربي) وهو كتاب ضيق جدا، جمع فيه المؤلف حصيلة ما نشره المستشرقون من دراسات في هذا المجال وصاغها بأسلوب سهل في متناول القارىء العادي.

وفي عام ١٩٦٩، نشر ميكيل في مجموعة Que Sais-Je تاريخا مختصرا للأدب العربي، يعرض المعلومات بطريقة طريفة ومفيدة في نفس الوقت.

ويمكن القول أن هذه المحاولات الوجيزة كانت تستهدف إعطاء لمحة عامة عن تاريخ الأدب العربي، ولم تكن دراسة بمعنى الكلمة لهذا الأدب، ولقد كانت أول محاولة حقيقية في هذا المجال هي كتاب المستشرق الشهير ريجيس بلاشير (تاريخ الأدب العربي منذ نشأته حتى القرن الخامس عشر) وقد ظهرت هذه الدراسة الفريدة من ١٩٥٢ إلى ١٩٦٦ في ثلاثة مجلدات، وهي تدرس بتعمق شديد، وبموضوعية كبيرة ما أنتجه العرب من مؤلفات خلال القرن الأول من الهجرة، ولكن الظروف الصحية التي يعاني منها البروفسور بلاشير منعته من الاستمرار في هذه الدراسة.

اللغة والآداب العربية:

ولهذا فقد رأى البروفسور شارل بلا أن يرجع إلى كتابه الذي ظهر في عام ١٩٥٢ ليعيد صياغته، آخذا في الاعتبار ما جد على اللغة العربية وآدابها من تطورات، وما ظهر في هذا الميدان من دراسات بالفرنسية وغيرها من اللغات الأجنبية.

ورغم ما يتسم به هذا الكتاب من إيجاز فهو مرجع لا غنى عنه لكل من يريد التعرف على لغة الضاد وعلى الأدب العربي وهو ليس موجها للقارىء الغربي فقط ، بل إن فائدته أعظم للباحثين العرب الذين يريدون الاطلاع على المراجع الأجنبية ، ففي كل موضوع يتناوله البروفسور بلا يتوخى الإشارة إلى جميع ما ظهر من دراسات وبحوث بصدده حتى تاريخ نشر كتابه هذا العام .

وقد يأسف القارىء لأن البروفسور بلا لم يضمن كتابه مقتطفات من المؤلفات العربية التي يتحدث عنها ، ولكن المجموعة التي نشر فيها هذا المرجع (Armand Colin Colleo) كانت تقتضي منه الإيجاز في العرض ، ولهذا فقد حاول البروفسور بلا سد هذه الثغرة بالإشارة إلى جميع ما نشر من ترجمات للمؤلفات العربية التي يذكرها .

دراسة فريدة لتطور اللغة والأدب :

ويتميز هذا المرجع بأنه يتجنب تقسيم تاريخ الأدب العربي إلى عصور ودراسة كل عصره على حدة ، إذ أن التقسيم الزمني لا يبرز دائما السمات العامة للأدب ، ولا يوضح توضيحا كافيا تطور وسائل التعبير والأنواع الأدبية . فكتاب البروفسور بلا يبدأ بإشارة سريعة إلى أهم الفترات التي عرفها الأدب العربي : (١) من الجاهلية حتى الأمويين (٢) العصر العباسي (٣) تدهور الأدب العربي بعد سقوط العباسيين . (٤) النهضة والأدب الحديث . ثم يتطرق بعد ذلك إلى دراسة وسائل التعبير (الشعر النثر ، السجع) والأنواع الأدبية فيدرس كل واحد منها دراسة ضافية منذ الجاهلية حتى يومنا هذا ، ويوضح مراحل تطورها ومدى تأثرها بالثقافات الأخرى وتأثيرها في هذه الثقافات (مثل تأثر الحضارة العربية بالحضارات الفارسية والهندية واليونانية وأثر الشعر العربي في شعر التروبادور) ، ولكي نعطي للقارىء العربي فكرة شبه كاملة عن أهمية هذا المرجع سنقدم له أحد فصوله التي يدرس فيها البروفسور بلا مشكلة ما زالت تستحوذ على اهتمام العرب ، وهي مشكلة اللغة وتكييفها مع مقتضيات الحضارة والحياة العلمية .

استهل البروفسور بلاَّ دراسته بالحديث عن نشأة اللغة العربية وأصولها ونشأة الكتابة ومحاولات تبسيطها ، ثم تطرق إلى مشكلة ازدواج اللغة (الفصحى والعامية) وتكلم عن الطابع الديني الذي تتسم به هذه اللغة التي أنزل بها القرآن ، فقال إن هذا الطابع الديني هو الذي حدا بالعلماء

إلى الحرص ، منذ القرنين السابع والثامن على استخلاص قواعد اللغة حتى لا يتعرض القرآن الكريم للتحريف ، وحصر الألفاظ التي استخدمت في القرآن والأحاديث النبوية ، وبعد ذلك بدأ علماء اللغة يأخذون عن البدو الألفاظ القديمة التي لم ترد في النصوص الدينية

ويمكن القول أن اللغويين ساروا على نفس المنهج الذى اتبعه من قبلهم الفقهاء الذين اعتمدوا في العلوم الدينية على القرآن والسنة قبل كل شيء ، ثم أكملوا ذلك بالاستناد إلى الإجماع والقياس والاجتهاد فنحن نجد أن علماء اللغة يبدأون أولا بدراسة ألفاظ القرآن والأحاديث ، ثم يعتمدون على الشعر القديم ، ثم يستكملون اللغة بالاستناد إلى العرف والقياس ، ومثل علماء الدين ، اختار اللغويون ما اختاروه من بين ما نقله إليهم البدو ، واستبعدوا اللهجات التي تأثرت بعناصر أجنبية ، ثم تكونت بعد ذلك مدرستان ، اتبعت الأولى وهى مدرسة البصرة ، مذهبا عقلانيا رشيدا ، فحاولت الاهتداء بالعقل في جميع نواحي نشاطها ، أما المدرسة الثانية ، وهى مدرسة الكوفة فقد اتسمت بنزعتها البراجماتية ، واستندت إلى العرف في مختلف نواحي نشاطها ، وسرعان ما ساد الاتجاه الثاني في القرن العاشر ، عندما « امتصت » مدرسة بغداد مدرستي الكوفة والبصرة .

وقصارى القول أن اللغة العربية مرت بعملية حصر أجريت بشكل خاص خلال القرن الثامن وتناولت القرآن والأحاديث الشريفة والشعر القديم ، وأتى اللهجات ، وهما لهجتا نجد والحجاز ، وقد أدت هذه الجهود إلى إنتاج مؤلفات في النحو وإلى تصنيف معاجم أصبحت حجة اعتمد عليها المؤلفون اللاحقون عن طريق « الإسناد » مقتدين في ذلك بعلماء الدين .

ويمكن القول بشكل عام أن المعاجم كانت تستند إلى هذا المعيار وحده فبالرغم من أن مصنفي المعاجم قبلوا بعض المفردات التي نحتت أو استعيرت من اللغات الأجنبية قبل نشأة الإسلام ، إلا أنهم ركزوا جهودهم على الألفاظ المستعملة في البادية ، فنقلوا إلينا لغة غنية جدا بالنسبة لكل ما يتعلق بحياة البدو ولكنها تفتقر إلى ألفاظ الحضارة وإلى الألفاظ المجردة .

وكما أقفل باب الاجتهاد في العلوم الدينية منذ القرن التاسع ، فقد حدث نفس الشيء في المجال اللغوى ، فحاول علماء اللغة أن يحولوا دون تغير اللغة وتطورها ولا يزال هذا الاتجاه يجد أنصاره المتعصبين له ،

ولكنه لم يتغلب ، لحسن الحظ ، على التأثيرات الأجنبية التي تعرضت لها لغة الضاد ، ولا على حيوية هذه اللغة التي لم تفتأ تتطور وتزيد من ثروتها ، ولكن يجب التسليم بأن الاتجاه المذكور قد منع اللغة من التطور تطوراً طبيعياً ، وفرض عليها قيوداً ثقيلة ، فبعد تسجيل الألفاظ التي وردت في القرآن والأحاديث والشعر القديم ، قبل اللغويون الكلمات الأجنبية «المعربة» التي أمكن اشتقاق كلمات أخرى منها ، وأبعدوا الألفاظ التي لم تتكيف مع معيار «الأصل الثلاثي» .

ويجدر التنويه في هذا المقام بأن العرب كانوا قد استعاروا منذ الجاهلية ألفاظاً أجنبية أخذوها بشكل مباشر أو غير مباشر ، عن العبرية والآرامية فيما يتعلق بالأمور الدينية ، وعن الفارسية بالنسبة للألفاظ الخاصة بالملابس والطهي والأسلحة كما نقل البحارة والتجار إلى العرب ألفاظاً هندية خاصة بأسماء المواد الكمالية والحجارة الكريمة والعطور بل لقد أخذ العرب بعض الألفاظ العلمية عن اليونانية .

ومنذ نشأة الإسلام ، أحس العلماء بضرورة وجود مصطلحات فنية إسلامية ، فاشتقوا ألفاظاً جديدة تتفق مع احتياجات العلوم الجديدة ، أو أدخلوا تغييرات طفيفة على معاني الكلمات القديمة ، وبهذا تمكنوا من ابتداع مصطلحات الشريعة والحديث والنحو .

أما المصطلحات الإدارية فقد تكونت بعد أن تم تنظيم الدولة العباسية على مراحل ، فبعد فترة طويلة من تطويع الإدارة بالبلاد التي فتحها المسلمون ، قرر أولو الأمر الاكتفاء بتعريب الإدارة ، ولم يكن ذلك بالأمر اليسير ، إذ ثارت صعوبات كثيرة في القرن التاسع ، عندما دعت الحاجة إلى ترجمة الوثائق التي كانت تكتب حتى ذلك الحين باليونانية أو بالفارسية ، وبالطبع خشى الكتاب Scribes الأجانب أن يؤدى استخدام اللغة العربية كلغة رسمية إلى ضياع مراكزهم ، فحاولوا إبراز قصور هذه اللغة ، ولكن المترجمين نجحوا في الاقتداء بعلماء اللغة في اشتقاق الألفاظ أو توليد معان جديدة ، كما لم يترددوا في استعارة مفردات أجنبية ، وبهذا تكونت لغة الإدارة ، وعندما أصبحت العربية لغة رسمية ، كان لذلك الفضل في نشأة النثر .

ومن المؤسف أن مصنفى المعاجم لم يسجلوا إلا في حالات نادرة الألفاظ الحديثة المنحوتة أو المستعارة من اللغات الأجنبية ، ولكنهم

آراءهم استقرت على الاعتراف بالاشتقاق وبإعطاء معانى مجازية للألفاظ كوسيلة لإثراء اللغة، وهكذا أصبحت اللغة العربية قادرة على التعبير عن الأفكار المجردة ، ولكن من السهل علينا أن نتوصل إلى المعنى الأصلى للكلمات التى أصبحت اليوم تعبر عن معان مجردة بعد أن كانت تدل على أشياء حسية (مثل كلمات شعار - تهذيب - فنون ... الخ) .

وبالنسبة للمصطلحات العلمية ، لم يبدأ تسجيلها فى المعاجم إلا فى نهاية القرن العاشر ، عندما أدرك الخوارزمى (الذى مات بعد عام ١٠٠٠) أهمية المصطلحات العلمية فحرر موسوعة عنوانها « مفاتيح العلوم » وضمنها المفردات التى لم ترد فى المعاجم والتى تتعلق بالقضاء وعلوم الدين والعروض والمنطق والحساب والهندسة والفلك والموسيقى والسيمياء، ويمكن القول أن اللغة تطورت تطورا كبيرا فى الفترة الواقعة بين القرن السابع والقرن العاشر ، وخاصة فى عهد المأمون ، الذى بلغت فيه حركة الترجمة من اليونانية والفارسية والهندية ذروتها ، وقد احتلت ترجمة المؤلفات اليونانية مركز الصدارة ، وكان لها أثرها الحاسم فى الحضارة العربية .

وتجدر الإشادة بجهود المترجمين المسيحيين الذين نقلوا هذه المؤلفات فى معظم الأحوال من السريانية ، ولم يكن ذلك بالشىء اليسير ، وتبدو صعوبة الترجمة من السريانية عند قراءة ترجمة كتاب الشعر لارسطو ، فقد كان المترجم الذى نقل النص من اليونانية يستخدم الألفاظ اليونانية التى لم يجد مقابلا لها فى السريانية وعندما ترجم كتاب أرسطو من السريانية إلى العربية حاول المترجم أن يجد ألفاظا عربية قريبة من الكلمات اليونانية ، فترجم « التراجيديا » بالمديح « والكوميديا » بالهجاء .

وفى حالات نادرة ، استعار المترجمون الألفاظ المجردة الأجنبية وفى حالات أخرى اتخذوها أساسا لتكوين ألفاظ أخرى مثل « ماهية » المأخوذة من كلمة « ما » الآرامية ومعناها quidd .

ومعظم الألفاظ الأجنبية المستعارة تتعلق بالطب والرياضيات والكيمياء . والفلك والعلوم الطبيعية ، وبجانب هذه الاستعارات المباشرة ، بذلت محاولات أخرى لنحت ألفاظ عربية مقابلة للكلمات الأجنبية ، فكانت أصول الكلمات الأجنبية

تترجم إلى العربية ويشتق من الأصل العربى كلمات جديدة تعبر عن نفس المعنى .

وفى التصوف والفلسفة ، اعتمد العلماء على أعمال المترجمين ، كما استخدموا الألفاظ التى وردت فى القرآن ، واعتمدوا أيضا على الاشتقاق وعلى بعض المصطلحات المستعملة فى العلوم العربية ، كما استعاروا ألفاظا أخرى من اليونانية والفارسية .

وبعد سقوط الدولة العباسية لم تعد العربية لغة رسمية سوى فى شمال أفريقيا وأسبانيا ، وكذلك فى مصر وسوريا قبل أن تتبع الدولة العثمانية ، واقتصرت اللغة على علوم الدين والأدب ، ولم تسجل الألفاظ الجديدة ، ولكن اللغة العامية اضطرت إلى استعمال كثير من الألفاظ التركية والفارسية ، ومعظم هذه الألفاظ مصطلحات إدارية ومن المؤسف أن هذه الكلمات الدخيلة ظهرت فى النصوص المكتوبة .

وعندما بزغت شمس النهضة حاول علماء اللغة تطهير العربية من هذه الألفاظ الدخيلة وبعد هذه المرحلة من النقد السلبى ، اضطر العرب إلى تطويع لغتهم وتكييفها مع ضرورات التقدم السريع الذى شهدته البلاد العربية .

ويمكن القول أنه منذ القرن الماضى ، وجد العرب أنفسهم فى وضع شبيه بالوضع الذى كان فيه أجدادهم فى عهد العباسيين ، فقد تحتم عليهم أن يسجلوا مجموعة كبرى من الأفكار والمفاهيم التى لم يعرفوها من قبل أو التى طواها النسيان ، ولقد تسرعوا عندئذ بقبول الكلمات التى لم يجدوا مقابلا لها فاستخدموا - بلا داع فى معظم الأحوال - ألفاظا كثيرة فرنسية وإيطالية وإنجليزية وقد احتفظت اللغة ببعض المصطلحات الخاصة بالشئون الحربية والإدارية والسياسية والتجارية مثل قنصل وبرلمان وفاتورة ... الخ

ولكن الحرص على الحفاظ على روح اللغة العربية دفع اللغويين إلى استغلال التراث اللغوى وحاولوا التوفيق بين حصيلة الماضى ومقتضيات الحاضر والمستقبل فى وقت كانت اللغات الأوربية التى مرت بنهضة مماثلة تفضل التجديد . ويمكن القول أن التيار المحافظ انتصر فى العالم العربى على محاولات التجديد بعد عام ١٨٨٠ . فحاول اللغويون أن يجدوا فيما ورثوه عن الماضى حلولا لم تفكر فيها الأجيال الأولى من القرن التاسع عشر ، واكتشفوا عددا كبيرا من المفاهيم اعتقدوا أنها جديدة

رغم أنها كانت معروفة لدى العرب منذ العصور الوسطى، كما حاول اللغويون إحياء بعض المصطلحات القديمة، ولكن جهودهم شابتها الفوضى وخانها التوفيق، بينما كتب النجاح للاشتقاق المباشر كوسيلة لنحت ألفاظ جديدة ولإضفاء معان جديدة على الألفاظ التقليدية.

ولم تكن هذه الجهود عملية متعمدة شبيهة بما حدث في تركيا أو في ألمانيا الهتلارية بل كانت ردفعل تلقائي إزاء الألفاظ الدخيلة. إلا أن هذه التلقائية كانت لها آثارها الضارة إذ أن الفردية التي يتسم بها العرب جعلتهم يرفضون بعض الحلول اللائقة ويعتمدون على الاجتهاد الشخصي، فافتقرت أعمالهم إلى التنسيق وذلك بالرغم من الجهود الجديرة بكل تقدير والتي يبذلها مجمع اللغة العربية بالقاهرة والمجمع العلمي في دمشق. فثمة قدر كبير من الفوضى في مجال المصطلحات الفنية، ولا يمكن بحال أن تخول هيئة ما لنفسها الحق في فرض رأيها على الهيئات الأخرى ومن حسن الحظ أن كثيراً من الألفاظ قد تحددت معانيها واستقر عليها رأى العرب كافة ويكفي أن نسوق مثالا على الصعوبات التي يواجهها العرب في ميدان المصطلحات، فعندما بدأت نظرية الذرة atome تنتشر في القرن الثامن، استعمل العرب في أول الأمر عبارة بأكملها للتعبير عن هذا اللفظ، وهي «الجزء الذي لا يتجزأ» ولكنهم درسوا بعد ذلك أصل هذه الكلمة الأجنبية فوجدوا أنه يتكون من a ومعناها (لا)، و tome ومعناها (قسمة) فترجموا هذا اللفظ بكلمة (اللاقسمة) وبعد النهضة ترجم العرب عن اللغات الأوربية كتبا في الفيزياء وعندما قابلوا كلمة atome لم يستخدموا مصطلح (اللاقسمة) الذي كانوا قد نسوه، ولكنهم أخذوا من القرآن كلمة الذرة، ومعناها نملة صغيرة وجزء صغير جدا.

وعندما اخترعت القنبلة الذرية واضطر الصحفيون إلى الحديث عن ال (atome) تخيروا عدة ألفاظ ولكن سرعان ما فرضت الصحافة المصرية كلمة الذرة.

إن أعمال المجامع العلمية والجهود الشخصية لن تؤتى كل ثمارها إلا إذا أدرك العرب أن الإبقاء على الماضي لا يتنافى مع تخليص اللغة من جميع الألفاظ التي لم تعد لها أي فائدة، وإن تم هذا الاختيار استطاعت لغة الضاد أن تتبوأ المكانة الكبرى التي تتطلع إليها.

د. السيد عطية أبو النجا

القراءات في نظر المستشرقين والملحدين

للأستاذ عبد الفتاح القاضي

— ٤ —

القسم الرابع : مالم يصح سنده ، أو لم يعرف له سند أصلا ، كقراءة بعضهم « وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها أباه » آية ١١٤ من سورة التوبة بفتح الهمزة وباء موحدة تحتية مفتوحة مخففة ، بدلا من « إياه » بكسر الهمزة، وياء مثناة تحتية مفتوحة مشددة .

وحكم هذين القسمين - الثالث والرابع - واحد ، وهو أن كلا منهما شاذ لا يعتبر قرآنا ، فتحرم القراءة به في الصلاة وخارج الصلاة ولا يحل التعبد بتلاوته .

وأزيد هذا الدليل إيضاحا فأقول :

في القرآن الكريم كلمات تكررت في مواضع كثيرة ، ورسمت برسم واحد في جميع المواضع ، ولكنها في بعض المواضع وردت فيها القراءات التي يحتملها رسمها فاختلف فيها القراء ، وتنوعت فيها قراءاتهم ، وفي بعض المواضع اتفق القراء على قراءتها بوجه واحد ، لأن غيره لم يصح به النقل ، ولم تثبت به الرواية ، وهاك بعض الأمثلة .

١ — كلمة « مالك » ذكرت في القرآن على أنها صفة أو في قوة الصفة - في ثلاثة مواضع ، « مالك يوم الدين » في الفاتحة ، « قل اللهم مالك الملك » في آل عمران ، « ملك الناس » في سورة الناس ، ورسمت برسم واحد في المواضع الثلاثة ، وهو حذف الألف بعد الميم ، ولكن ، القراء اختلفوا في قراءتها في موضع الفاتحة فقط ، فنهم من قرأها في هذا الموضع بحذف الألف ، ومنهم من قرأها فيه بإثباتها .

أما موضع آل عمران فقد اتفقوا على قراءتها فيه بإثبات الألف .

مع أنه لو قرىء هذا الموضع بحذف الألف لكان ذلك سائغا لغة ومعنى ، ولكن لم يقرأ بالحذف لعدم ثبوت الرواية بالحذف

وأما موضع سورة الناس فقد اتفق القراء على قراءة الكلمة فيه بحذف الألف ، مع أنه لو قرئت هذه الكلمة في هذا الموضع بإثبات الألف لكان ذلك سائغا لغة ومعنى ، ولكن لم تقرأ في هذا الموضع بالإثبات لعدم ثبوت النقل بالإثبات

فلو كانت القراءات بالرأى والاجتهاد لا بالتلقى والتوقيف ، وكان تنوع القراءات تابعا لرسم المصحف لم يكن اختلاف القراء مقصورا على موضع الفاتحة ، بل كان يتناول الموضعين الآخرين ، لكنهم اختلفوا فى موضع الفاتحة ، واتفقوا فى موضعى آل عمران والناس ، فدل هذا على أن القراءات لم تكن بالاختيار والاجتهاد ، ولم يكن تنوعها تابعا للخط والرسم وإنما هو تابع للحفظ والرواية والنقل .

٢ — وردت كلمة «غشاوة» فى موضعين فى القرآن الكريم .

الأول «وعلى أبصارهم غشاوة» فى سورة البقرة آية (٧) .

الثانى «أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة» فى سورة الجاثية آية (٢٣) .

وهذه الكلمة مرسومة فى جميع المصاحف العثمانية بحذف الألف بعد الشين فى الموضعين معا ، ومع ذلك اتفق القراء على قراءتها فى موضع البقرة بكسر الغين وفتح الشين وإثبات ألف بعدها . واختلفوا فى قراءتها فى موضع الجاثية ، فقرأها بعضهم بكسر الغين وفتح الشين وألف بعدها وقرأها بعضهم بفتح الغين وسكون الشين مع حذف الألف ولو قرىء موضع البقرة بفتح الغين وسكون الشين لكان ذلك صحيحا لغة ومعنى ولكن لم يقرأ أحد بهذه القراءة فى هذا الموضع لعدم ثبوتها فيه ، وهذا يدل على أن القراءة إنما تؤخذ بالمشافهة والسماع ، ولا تؤخذ من خط المصحف ورسمه .

٣ — «الصاعقة» ذكرت هذه الكلمة — معرفة ومنكرة — فى القرآن الكريم فى خمسة مواضع .

الأول : «وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون» سورة البقرة آية (٥٥)

الثانى «فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم» سورة النساء آية (١٥٣)

الثالث والرابع «فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود» سورة فصلت آية (١٣) .

الخامس «فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون» سورة الذاريات آية (٤٤) .

وهذه الكلمة مرسومة فى جميع

المصاحف العثمانية فى المواضع الخمسة بغير ألف بعد الصاد .

ولكن القراء أجمعوا على قراءتها فى المواضع الأربعة الأولى بإثبات ألف بعد الصاد مع كسر العين ، واختلفوا فى الموضع الخامس فقرأها بعضهم فيه بإثبات الألف بعد الصاد مع كسر العين ، وقرأها بعضهم بحذف الألف مع إسكان العين ، ومعنى القراءتين واحد فلو كان تنوع القراءات تابعا للرسم لاختلف القراء فى المواضع الأربعة كما اختلفوا فى الموضع الخامس ، ولكنهم اتفقوا فى المواضع الأربعة واختلفوا فى الخامس فكان ذلك دليلا على أن العمدة فى ثبوت القراءات التوقيف والرواية ، لا الرسم والكتابة .

٤ — « كرها » ورد هذا اللفظ فى القرآن الكريم فى ستة مواضع :

(١) «وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون » آل عمران آية (٨٣) .

(٢) « يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها » النساء آية (٩)

(٣) (قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم » التوبة آية (٥٣) .

(٤) « ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعا وكرها » الرعد آية (١٥)

(٥) « ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها » فصلت آية (١١) .

(٦) «حملته أمه كرها ووضعته كرها» الأحقاف آية (١٥).

وقد اتفق القراء على القراءة بفتح الكاف فى الموضع الأول والرابع والخامس واختلفوا فى الموضع الثانى والثالث والسادس فنهم من قرأ بضم الكاف ، ومنهم من قرأ بفتحها والضم والفتح لغتان بمعنى واحد ، وتجريد المصاحف من شكل الحروف يجعل كل موضع من المواضع الستة محتملا لقراءتى الضم والفتح ولكن لم يقرأ قارىء بالضم فى الموضع الأول والرابع والخامس كما سبق فلو كان اختلاف القراءات نتيجة لخلو المصاحف من الشكل لاختلف القراء فى هذه المواضع كما اختلفوا فى المواضع السالفة ، لكنهم اتفقوا فى هذه المواضع واختلفوا فى تلك ، فحينئذ لا يكون لخلو المصاحف من الشكل دخل ما فى اختلاف القراءات .

٥ — « يحزن » ثبت أن الإمام نافعا قرأ لفظ « يحزن » في القرآن الكريم كيف ورد بضم الياء وكسر الزاي نحو « ولا يحزنك قولهم » ، « قال إني ليحزنني أن تذهبوا به » « قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون » « إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا » .

واستثنى من ذلك « لا يحزنهم الفزع الأكبر » في الأنبياء فقرأه بفتح الياء وضم الزاي وثبت أن الإمام أبا جعفر قرأ هذا اللفظ في جميع مواضعه بفتح الياء وضم الزاي إلا قوله تعالى « لا يحزنهم الفزع الأكبر » فقرأه بضم الياء وكسر الزاي .

وكلا الإمامين مقتف للأثر ، متبع للرواية ، فلو صح أن منشأ القراءات تجريد المصاحف من شكل الحروف وحركاتها لكانت هاتان القراءتان في هذا اللفظ في جميع مواضعه .

واللغة تسيغ كلتا القراءتين ، وهما بمعنى واحد ، يقال في اللغة : حزنه الأمر وأحزنه إذا أهمه .

٦ — اختلف القراء في قراءة لفظ « مدخلا » في قوله تعالى في سورة النساء « إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما » آية (٣١) وفي قوله تعالى في سورة الحج « ليدخلنهم مدخلا يرضونه » آية (٥٩) فقرأه بعضهم بضم الميم في الموضعين ، وقرأه بعضهم بفتح الميم فيهما .

واتفقوا على قراءة لفظ « مدخل » في قوله تعالى في سورة الإسراء : « وقل رب أدخلني مدخل صدق » آية (٨٠) بضم الميم ، واللغة تجيز في هذا الموضع فتح الميم كما تجيزه في الموضعين السابقين ، ولكن لم يقرأ قارىء في هذا الموضع بفتح الميم ، فلو كان مرجع القراءات رسم المصحف لقرىء هذا اللفظ في هذا الموضع بقراءتين : ضم الميم وفتحها كما قرىء في الموضعين السابقين ، ولكن لم يرد عن النبي ﷺ فتح الميم في هذا الموضع فاتفق القراء على قراءته بالضم ، إذاً يكون مرجع القراءات التوقيف والرواية لا الرسم والكتابة ؟

عبد الفتاح القاضي

العربية لغة الإسلام والمسلمين

للأستاذ علي عبد العظيم

— ٤ —

عقبات ومعوقات

استطاعت اللغة العربية أن تنهض أخيراً نهضة كبرى استعادت فيها أمجادها، وعوضت جل ما فاتها منذ مئات السنين، وهي تشق طريقها الآن لتكون في طليعة اللغات الحية في العصر الحديث، ولكن هناك عقبات ومعوقات تعترضها في هذا الطريق، وعلينا أن نعرف هذه العقبات ونعمل على إزالتها بكل ما نملك من طاقات وجهود، ويمكن إجمال هذه العقبات فيما يلي:

وسائل الإعلام: تلعب هذه الوسائل دوراً كبيراً في تثقيف الشعوب وقيادتها لأنها تتصل بكل بيئة وتدخل كل بيت وتخاطب كل طبقة بأهون كلفة وأيسر سبيل، فالإذاعة انتشرت انتشاراً عظيماً في المدن والقرى فلا يكاد يخلو منها بيت حتى في أقصى الواحات، ولم يعد للمذياع متوقفاً على وجود التيار الكهربائي بعد أن شاعت البطاريات، والإذاعة لدينا مستمرة منذ الصباح الباكر إلى ما بعد منتصف الليل، وليست مقصورة على برنامج واحد وإنما تذاع برامج عديدة في وقت واحد يختار منها المستمع ما يشاء، ولم تقتصر الإذاعة على قطر عربي واحد بل تعددت الإذاعات العربية بتعدد الدول العربية، وقد تتعدد الإذاعات في الدولة العربية الواحدة، هذا إلى جانب عدد كبير من الدول الأجنبية ترسل إذاعات موجهة بالعربية إلى الشعوب العربية في كل مكان، وبدأت الإذاعات المرئية (التليفزيون) تشق طريقها بقوة إلى الانتشار والذيوع.

وبعد استخدام الأقمار الصناعية سيتم تعدد البرامج العربية بتعدد البلاد.

والصحف والمجلات مناهل متنقلة متجددة تحمل أهم التوجيهات وآخر

الأنباء وأحدث الكشوف وتخاطب جميع الأذواق فى مختلف الطبقات وتقدم أشهى ألوان الغذاء الفكرى للعقول المتطلعة للتقدم والارتقاء ؛ ولا تنسى شئون الفلاحين والعمال والنساء والأطفال وتتسع للشئون السياسية والاجتماعية والاقتصادية كما تتسع للفنون والعلوم والآداب فى أساليب سهلة واضحة معززة بالصور الدقيقة والخرائط التوضيحية والرسوم المعبرة ، ولا تهمل إلى جانب هذا كله العناية بعنصر الفكاهة والترفيه ، ومن هنا كان خطرها البالغ فى توجيه الأمم والشعوب ، وقيادة الرأى العام .

وإلى جانب هاتين الوسيلتين تقوم السينما والمسارح ودور النشر والجمعيات والنوادى بأدوار هامة فى ميادين التقدم العلمى والازدهار الثقافى والنهضة العامة للشعوب والجماعات .

فماذا أدت هذه الوسائل جميعها للغة العربية الفصحى من خدمات ؟

إننا إذا استثنينا الصحف والمجلات ودور النشر فإننا نجد معظم وسائل الإعلام تؤدى أدوارها بالعامية إلا قليلا ، ففى الإذاعة والتليفزيون نجد الأغلبية العظمى من الأغانى بالعامية الدارجة وهى تنصب فى الآذان صباحا ومساء فتصل إلى أعمق المشاعر الوجدانية محمولة على أعذب الألحان وأروع الأنغام بأصوات ساحرة شجية يشدو بها عباقرة الموهوبين من مطربين ومطربات فيحفظها الفتيان والفتيات ويرددها الأطفال فى نشوة وإعجاب وأصبح الجيل الجديد يحفظ من أغانى الحب والغرام بالعامية المبتذلة مالا يحفظه من بدائع العربية الفصحى من آيات الذكر الحكيم وروائع الحديث الشريف وطرائف الحكم والأمثال وأوابد الشعر الرقيق من التراث العربى الخالد الذى صور أعمق الأفكار الفلسفية والعلمية وأبرز أدق المشاعر الوجدانية الرائعة أكثر من ألف عام .

وأصبح الجيل الجديد يعرف من نجوم كواكب السينما والمسرح مالا يعرفه عن كبار الصحابة والتابعين وعن عباقرة القواد وجهابذة العلماء وكبار الأبطال من آبائه الأمجاد .

إن لدينا الآن ثروة طائلة من كبار المطربين والمطربات يرسلون ألحانهم العذبة فتصغى إليهم عشرات الملايين فى جميع الدول العربية فى نشوة وإعجاب ، وتتردد أغاريدهم

الشجية مسجلة على الأشرطة أو الإسطوانات في شتى الإذاعات في الداخل والخارج فتترك في أغوار النفوس أعمق الآثار .

ولو أدى هؤلاء المطربون أغانيهم بالعربية الفصحى السهلة لأدوا دورا خالدا في خدمة لغتهم القومية وساعدوا في تثبيتها في أعماق النفوس ، وفي توثيق الصلات الوجدانية بين البلاد العربية من الخليج إلى المحيط .

ولا نستطيع أن ننسى لأم كلثوم أغاريدها الرائعة في مدح الرسول ﷺ ولا ألحانها الخالدة في تمجيد الوطن العربي الكبير في لغة عربية فصحى لكبار الشعراء من قدماء ومحدثين . وقد استجابت الشعوب العربية وانفعلت مع مطربتنا الكبرى متجاوبة من أعماق مشاعرها واعية لأدق ما صاغه شوقي في نهج البردة والهمزية والبائية في مدح الرسول ﷺ بلسان عربي مبين .

كما لا ننسى لعبد الوهاب المطرب الكبير ماشدا به لشوقي من آيات رائعة بالعربية الفصحى مثل أغاريده في « جارة الوادي » و « على غصون البان » و « مجنون ليلى » كما شدا لعلي محمود طه وغيره من أعلام الشعراء .

ولكن ماأداه هؤلاء المطربون والمطربات بالعامية الدارجة هو الأغلبية العظمى فأساءوا إلى الفصحى من حيث يشعرون أو لا يشعرون .

والمشرفون على الإذاعة والتليفزيون والسينما مسئولون عن هذا الاتجاه ويتحملون تبعات كبيرة تنمو وتتزايد على مر العصور .

فإذا أضفنا إلى ماذكرناه من هجر العربية الفصحى ما تحمله الأغاني العامية من معان مبتذلة وإثارة للغرائز الدنيا ومجافاة لمكارم الأخلاق عرفنا مقدار المسئولية العظمى الملقاة على عاتق المسئولين عن وسائل الإعلام أمام الجيل الحاضر وما يتلوه من أجيال .

وسائل التعليم :

تعتمد هذه الوسائل على الأساتذة والكتب التربوية والمناهج الدراسية ؛ وهي التي تكون الأجيال القادمة علميا واجتماعيا وتسرع أو تبطيء بهم في ميادين الحياة وتطور التقدم والعمران .

وإذا استطعنا أن نعد هذه الوسائل إعدادا قويا صالحا متكاملا قطعنا في بضع سنوات مافاتنا في مئات السنين . وتهيأ لنا أن نلحق بالبلاد الراقية المتقدمة في زمن وجيز .

والذى يعنينا فى هذا البحث هو أسلوب التعبير، ومن المؤسف أن الغالبية العظمى من أساتذة المعاهد والمدارس يلقون دروسهم باللغة العامية إلا قليلا، حتى أساتذة الجامعات يخلطون العربية الفصحى بالعامية أو باللغات الأجنبية، والأساتذة هم قدوة الجيل الجديد والأجيال التالية ومن القصور فى حق لغتهم القومية أن يتجاهلوها فى أداء رسالتهم التعليمية الكريمة عن قصد أو غير قصد.

والقصور - أو التقصير - أبلغ آثارا وأفدح خطرا فى تدريس اللغة العربية والثقافة الإسلامية باللغة العامية مع أن أساس تعلم اللغات هو النطق السليم بهذه اللغات، والأطفال سريعو المحاكاة والتقليد ولهذا كان خلفاء المسلمين من أمويين وعباسيين يرسلون أبناءهم إلى البادية بين الأعراب الذين لم يتطرق إليهم اللحن ولم تتعرض ألسنتهم للانحراف أو الالتواء، وهناك يشب هؤلاء الأطفال مستقيمى الفطرة بلغاء التعبير.

ومن أهم واجبات المسئولين عن الأزهر ومن وزارة التربية والتعليم أن يلزموا المدرسين على اختلاف ثقافاتهم وتخصصهم أن يلقوا دروسهم باللغة العربية الفصيحة وبخاصة من يتولون منهم تدريس الثقافة الإسلامية واللغة العربية، وإلا كانوا مقصرين فى حق وطنهم وحق الجيل الجديد وما يتلوه من أجيال.

أما مناهج تدريس اللغة العربية والثقافة الإسلامية فإنها لا تراعى تقدم الزمن ولا اختلاف البيئات ولا تطور المجتمعات ولا تتدرج مع النمو العقلى للأطفال والشبان فأبواب النحو والصرف وعلوم البلاغة هى الأبواب نفسها التى كانت تدرس منذ مئات السنين حتى الأمثلة التوضيحية تكاد تكون الأمثلة نفسها التى ساقها المؤلفون فى عصر الأمويين والعباسيين، مما يجعل الطلبة ينفرون من علوم اللغة العربية ويجعلونها مادة للتنكر والتندر والاستهزاء.

وقد حاول بعض الأساتذة أن يجعلوا النماذج الأدبية مصدرا لاستنباط قواعد هذه العلوم، ولكن محاولاتهم كانت محدودة النطاق، ولعله من الخير أن تتأخر قواعد علوم النحو والصرف والبلاغة إلى مرحلة تالية على أن يبدأ الأطفال بحفظ مقدار مناسب من القصص والمسرحيات والأناشيد بلغة عربية سليمة سهلة تتدرج طبقا لمستويات أعمارهم.

على أن تكون مصورة للبيئات الطبيعية

التي يعيشها الأطفال وأن يراعى بها عنصر الجمال والتشويق ، ثم تأتي بعد هذا مرحلة دراسة القواعد اللغوية المطلوبة ، وهذه القواعد يجب تبسيطها بحذف ما يثقلها من خلافات وتفصيلات وتعليلات لم يعد لها ما يبرر دارستها الآن إلا للمتخصصين .

ولما كان إتقان اللغات يعتمد على التحدث بها وإدمان قراءة آثارها الأدبيـة فإننا في أشد الحاجة إلى مـكتبات تسجيلية مسموعة ومكتبات مطبوعـة مقروءة تناسب كل مرحلة من مراحل التعليم على أن تـكون جيدة الطباعة مزدانة بالصور التوضيحية متنوعة التعبير شيقة الأساليب تنتقل بالطالب من قصة شيقة إلى فـكاهة مستملحة إلى أغنية عذبة إلى نشيد قوي . ومن وصف أدبي إلى كشف علمي إلى تطبيق عملي إلى قصيدة ممتعة، وبهذا نجذب أبناءنا إلى القراءة ونشدهم إليها شدا قويا ونقوى فيهم حب الاطلاع والإعجـــاب بلسانهم العربي المبين .

والمـكتبات المدرسية عنـدنا تـكاد تـكون صورية وليس لها في الجدول المدرسي نصيب محدود وهي على هذا فقيرة جدا لانصراف جمهرة المؤلفين عن التأليف للأطفال ، فالأدباء والـكتاب والمربون ينفرون من كتب الأطفال ويعدونها دون مستواهم الثقافي الـكبير مع أن التأليف المناسب للأطفال في مراحل نموهم الثقافي يحتاج إلى مواهب كبيرة صقلتها التجارب وغذاها الاطلاع الواسع ونمتها الدراسات التربوية والنفسية العميقة .

إن الجيـل الجديد في أشد الحاجة إلى القصص السهلة الشيقة التي تصور بطولات الأمة العربية وتاريخها المجيد . مع التزام الصدق التاريخي والأسلوب الرقيق والتعبير السهل المعتمد على عنصر التشويق .

وهو في أشد الحاجة إلى إصدار سلسلة عامة تتناول العلوم المبسطة لتقرب إلى الطلاب أحدث الـكشوف العلمية في لغة سهلة وتعبير رقيق مع التوضيح بالصور العديدة الملونة والرسوم التوضيحية الدقيقة وهو في حاجة إلى إصـدار سلسلة مبسطة عن عالم الحيوان ، وأخرى عن عالم النبات وثالثة عن شعوب العالم المعاصرة ورابعة عن الـكواكب والأجرام الفلـكية وخامسة عن الجسم البشري وخفاياه وسادسة عن المشكلات العصرية التي تـكاد تنحرف بالشباب ، وسابعة عن شتى الهوايات .

(البقية على ص ٣٨٤)

ويمكرون .. ويمكر الله

حفظ الله مصر وصانها من مؤامرة ماكرة كانت تحاك لطعن جيشها من الخلف وإشاعة القلق والاضطراب بين شعبها القوى الأبى .

وقد كشف السيد / الرئيس « محمد أنور السادات » الستار عن خيوط هذه المؤامرة وتحدث إلى جماهير الشعب والأمة العربية والعالم الإسلامى ، بما كان . وبما هو كائن . وبما يرجو أن يكون .. حديث المؤمن بالله . الواثق بالشعب . الآمل فى المستقبل .

وكانت نبرات صوته تخفق مع قلوب السامعين بالمعانى القوية التى تضمنها حديثه الواضح الصريح المدعم بالوثائق والحقائق ، فلم يكد يسفر الصباح حتى ماجت الشوارع بالجموع تهتف له وتحييه ، وتطالبه بأن يمضى فى طريقه السليم القويم الذى أخذ نفسه بالتزامه واحترامه والمضى فيه غير عابىء بما يدبر له فى الخفاء وأن يضرب بيد الحق أعناق الخونة ، ويطأ بقدميه رءوس الماكرين ..

وهكذا .. يمكرون ويمكر الله . والله خير الماكرين .

وهكذا .. يمتحن الله شعب مصر . فتتكشف المحن والأحداث عن نقاء جوهره وكرم عنصره ، وتساميه الدائم إلى نصرة الحق ، والحرص عليه ، والجهاد فى سبيله ..

إنه قلعة العروبة وراية الإسلام منذ عرف العروبة ودان بالإسلام إنه شعب مصر الماجد الخالد .

رعاه الله . وسدد على طريق الحق والخير خطاه ، وكلأ برعايته وحفظه الرئيس « محمد أنور السادات » ليقوده إلى تحقيق أهدافه العليا ومقاصده النبيلة ؟

(الجملة)

الحب بين الزوجين في الأدب العربي القديم

للأستاذ الغزالي حرب

ولعل الحب هنا تآلف الروحين ، في ظلال العروة الزوجية الوثقى التي اعتبرها القرآن الكريم « ميثاقا غليظا » والتي لا تنال منها الرياح أو العواصف كائنة ما كانت .. أما الحب الذي لا يكاد يتجاوز الاستلطاف العابر ، والاستهواء العارض فليس هو الحب الذي نعنيه ونريده للأزواج الأوفياء والزوجات الوفيات ..

وما أحكم عمر بن الخطاب حينما جاءه رجل يهم بطلاق امرأته زاعما أنه لا يحبها فسأله عمر سؤالين لا يجيب عنهما إلا كل زوجين وفيين متحابين :

أو كل البيوت بنى على الحب ؟
أين الرعاية والتذمم[1] ؟

وما شواهد حب الزوج لزوجته في أدبنا العربي القديم ؟ حسبنا منها ما يأتي :

أولا : تغزل الزوج في زوجته على الرغم من طول الألفة والمعاشرة الزوجية الرتيبة ، ومن ذلك :

١ — تغزل امرىء القيس في زوجته أم جندب .

خليلي مرا بي على أم جندب
لنقضي حاجات الفؤاد المعذب
فإنكما إن تنظراني ساعة
من الدهر تنفعني لدى أم جندب
ألم ترياني كلما جئت طارقا
وجدت بها طيبا وإن لم تطيب
عقيلة أتراب لها لا دميمة
ولا ذات خلق إن تأملت جانب[1]

٢ — وتغزل زهير بن أبي سلمى في زوجته « أم أوفى » التي بدأ معلقته بالغزل فيها قائلا :

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم
بحومانة الدراج فالمتثلم ؟

وعلى هذا المنوال نسج كثير من الشعراء في مختلف العصور وفي العصر الإسلامي مثلا :

٣ — تغزل حسان بن ثابت في زوجته « الشعثاء »[2] .

---

[١] نقلا عن « ربيع الأبرار » للزمخشري وهو مخطوط.

[١] جانب : المراد ضخم قصير وانظر ديوان امرىء القيس ص ٣١ .

[٢] انظر الإصابة في تمييز الصحابة ٨ - ١٢٠ .

وفى العصر الأموى :

٤ — تغزل الحارث بن خالد المخزومى فى زوجته السيدة أم عمران [1] .

وفى العصر العباسى :

٥ — تغزل أبو العتاهية فى زوجته وقصيدة بينه التى اقتصر عليها وفى التشبيب بها يقول :

من لقلب متيم مشتاق
شفه شوقه وطول الفراق
طال شوقى إلى السيدة بيتى
ليت شعرى فهل لنا من تلاق ؟
هى حظى قد اقتصرت عليها
من ذوات العقود والأطواق
جمع الله عاجلا بك شملى
عن قريب وفكنى من وثاق

ثانيا : ومن أروع شواهد حب الزوج لزوجته فى أدبنا العربى القديم أيضا :

نداؤه لها أحيانا بلقب التكريم والإعزاز وأحيانا أخرى باسمها الحبيب مجردا أو مصغرا للتكريم :

فحاتم الطائى أو قيس بن عاصم يكنى عن زوجته بابنة عبد الله وابنة مالك :

أيا ابنة عبد الله وابنة مالك
ويا ابنة ذى البردين والفرس الورد

[1] الأغانى ٣ - ٣٢٠ .

إذا ما صنعت الزاد فالتمسى له
أكيلا فإنى لست آكله وحدى [1]

وعروة بن الورد يلقب زوجته بابنة منذر :

أقلى على اللوم يا ابنة منذر
ونامى فإن لم تشتهى النوم فاسهرى [2]

وأوس بن حجر التميمى ينادى زوجته بأم الجلاس :

ألم تعلمى أم الجلاس بأننا
كرام لدى وقع السيوف الصوارم [3]

وأزهر بن هلال التميمى ينادى زوجته « عاتكة » باسمها مجردا مرخما :

أعاتك ما وليت حتى تبددت
رجالى وحتى لم أجد متقدما [4]

والمثقب العبدى يذكر زوجته فى شعره بأنها عرسه .. ويذكر « العروس » ترتاح النفوس فيقول :

تهزأت عرسى واستنكرت
شيبى ففيها جنف وازورار [5]

وتأبط شرا . . حدثنا مرة عن زوجته

[1] الأغانى ١٢ - ١٤٤ وتهذيب الكامل ٢ - ١٠٢ وشعراء النصرانية ١ - ١٣٢ وشرح الحماسة للتبريزى ٤ - ٤٠٠ .

[٢] انظر شعراء النصرانية ٨٨٣ .

[٣] انظر حماسة البحترى ٢٤٢ .

[٤] حماسة البحترى ٥١ .

[٥] الحماية البصرية لأبى الحسن البصرى مخطوط بدار الكتب ٥٢٠ أدب ص ١٠ .

باسمها مصغرا ومرة بوصفها عروسا فقال:

تقول سليمى لجارتها
أرى ثابتا قد غدا مرملا

وقال أيضا:

ألا تكلما عرسي منيعة ضمنتا
من الله إثما مستترا وعالنا (١)

ثالثا: إشهاده إياها على حسن بلائه ومكارم أخلاقه ولا سيما الشجاعة والكرم والأريحية والمرح وحسبنا من شواهد ذلك: قول عبد يغوث:

وقد علمت عرسي مليكة أنني
أنا الليث معدوا علي وعاديا

وقد كنت نحار الجزور (٢) وكنت .. ، وكنت .. ، إلى آخر مفاخره التي سجلها في شعره الذي ترونه في المفضليات.

وقول عروة بن الورد:

سلي الطارق المعتر يا أم مالك
إذا ما أتاني بين قدري ومجزري
أيسفر وجهي أنه أول القرى
وأبذل معروفي له دون منكر؟

وقوله أيضا:

ذريني ونفسي أم حسان أنني
بها قبل لا أملك البيع مشتر
أحاديث تبقى والفتى غير خالد
إذا هو أمسى هامة فوق صير (١)

وقد مر بنا آنفا قول حاتم الطائي يخاطب زوجته:

إذا ما صنعت الزاد فالتمسي له
أكيلا فإني لست آكله وحدي

رابعا: والإشادة بمكارم الأخلاق وحسن المعاشرة الزوجية المتبادلة بين الزوجين من طراز ما أشاد به أزهر بن هلال التميمي في ندائه لزوجته الحبيبة عاتكة (٢) ومما افتخر به ذو الأصبع (٣) العدواني قائلا إلى زوجته قد أمنت منه «الفحش» والأذى وما تمنته ابنة الخس وقد سألوها: ألا تتزوجين؟ فقالت: بلى لا أريده أخا الفلان ولكن أريده كسوبا إذا خرج، ضحوكا إذا أتى (٤) وما علمت به السيدة أم أبان بنت عتبة بن ربيعة تفضيلها الزواج من طلحة بن عبيد الله على سواه:

---

[١] الأغانى ١٨ - ٢٢٣

[٢] المفضليات تحقيق السندوبى ص ٦٨

---

[١] هامة: طائر يخرج من القبر كما كانوا يزعمون للمطالبة بالثأر والانتقام، صير: قبر، انظر ديوان عروة ص ١٣

[٢] انظر حماسة البحترى ص ٥١

[٣] الأغانى دار الكتب ٣/٩٧

[٤] انظر عيون الأخبار ٤ | ١١

إني لعارفة بخلائقه إذ دخل دخل ضاحكا وإن خرج خرج باسما وإن سألت أعطى وإن سكت ابتدأ وإن عملت شكر وإن أذنبت غفر [1] وما عناه رسول الله وهو يحدث السيدة عائشة ممهداً بحسن العشرة وكرم المعاشرة بين السيدة أم زرع وزوجها أبي زرع الذي وصفته أم زرع – كما روى البخاري وغيره – بأنه كان (إذا دخل فهد وإذا خرج أسد) .

فلا عجب أن قال الرسول في آخر الحديث لزوجته عائشة مداعبا : يا عائشة كنت لك كأبي زرع لأم زرع ، وقال لها مداعبا أيضا : إني لأعلم أنك إذا كنت راضية عني قلت : ورب محمد ، وإذا كنت غضبى قلت : ورب إبراهيم ، فقالت له السيدة عائشة هاشة باشة : والله يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك ، وما أروع ما رواه ابن طيفور عن رجل من آل أبي طالب قال لامرأته في فورة غضبه عليها : أمرك بيدك ، فأجابته على الفور في وفاء وولاء : أما والله لقد كان هذا الحق في يدك عشرين سنة فحفظته وأحسنت صحبته وما كان لي أن أضيعه وقد صار في يدي ساعة من نهار فأعجبه قولها وأحسن صحبتها [2] .

خامساً : حسن ظنه وثقته بها وجميل تقديره وتدليله لها حتى في أثناء غيابها عنه ، ودعونا من سوء ظن بعض الأزواج بزوجاتهم تحت وطأة الغيرة الجاهلية العمياء من طراز غيرة آكل المرار [3] ، أو غيرة الحارث بن عمرو [4] ، وتعالوا بنا لنستعرض من نسمات حسن الظن وجميل الثقة بالزوجة العربية في ظلال الأدب الإسلامي ما يأتي :

(ا) السيدة سكينة بنت الحسين شرطت على زوجها زيد بن عمرو بن عثمان ألا يمنعها سفرا ولا مدخلا ولا مخرجا ، بل لقد منعته مرة من زيارتها بالطائف حيث كانت تقيم ببيت لها ، ثم أمرت بالرحيل إلى المدينة حيث أذنت له في زيارتها [5] .

(ب) والسيدة عائشة بنت طلحة كانت موضع الثقة والتقدير وحسن الظن من زوجها مصعب بن الزبير في غدوها ورواحها .

---

[١] انظر أعلام النساء للأستاذ عمر رضا كحالة ج ١ ص ١٢ .

[١] الأغاني ١٠ - ٨٢ والعقد الفريد ٣ - ٧٠ وسيرة ابن هشام ٤ - ٢٥٥ .

[٢] مجمع الأمثال للميداني ١ - ١٧٧ ، وأخبار النساء لابن الهيثم ص ٣ .

[٣] الأغاني ١٧ - ٩٣ .

[٤] انظر بلاغة النساء لابن طيفور ص ١٣٢

(ج) والسعيدة عاتكة بنت يزيد بن معاوية كان زوجها عبد الملك بن مروان يثق بها ثقته بنفسه [1].

وفى ضوء ما سبق من روائع الحب وظواهر الحب المتبادل بين الزوجين فى ظلال (الأسرة العربية) السعيدة يتبين لنا أن العرب لم يكونوا « شعبا بدائيا يجهل عاطفة الحب ويقيم الزواج على أنه اتصال حيوانى الغرض منه إشباع اللـذة وإنسال الولد فحسب ، ذلك بأن البدائيين لا يعرفون عاطفة الحب ، وقلما تغنوا بشعر يصورها لذلك لما ترجم المبشرون المسيحيون للكتاب المقدس إلى اللغة التى تتكلمها قبيلة (الجونكوين) Algonquins لم يجدوا فى لغتهم كلمة واحدة تعبر عن معنى الحب وفى قبيلة (اليوتنتوت) نجد الزواج عملا آليا لا يأبه فيه أحد الزوجين بالآخر، وكذلك فى ساحل الذهب وعند الاستراليين البدائيين والمتأخرون بعامة أقل من المتمدينين ميلا إلى النساء حتى لقد يبقى الرجال أعزابا مدة طويلة من أعمارهم ثم تطرأ عليهم الرغبة فى الاتصال الجنسى وهم فقراء فى عاطفة الحب الجنسى ، لهذا لا يعبر الغرام بالمرأة قلوبهم أو أخيلتهم » وما كذلك كان العرب ، القديم تؤكد لنا أشعارهم وآدابهم وأخبارهم أنهم كانوا شعبا متحضرا راقيا يؤسس العشرة بعــد الزواج على دعائم من الحب والتعاطف والاعتزاز .

وقد شهد المنصفون من الباحثين شرقا وغربا بأن الزوجة العربية كانت أرفع مكانة من اليونانية والرومانية، لأن هذه أو تلك لم تكن تنال مثل ما نالت المرأة العربية فى ظلال الأسرة العربية من حب زوجها وتقديره كما شهدوا بأن الأوروبيين لم يعرفوا للمرأة هذه المكانة الرفيعة إلا بعد أن فتح العرب الأندلس ونقل عنهم الأسبان والأوروبيون حب المرأة وتقديرها فيما نقلوا [1].

فلا عجب أن كان من العرب على مر الأيام شعراء وأدباء وعلماء سجلوا خفقات القلوب ونبضات العروق وهواتف الأرواح بالحب الصادق الحار المتبادل بين الزوجين ومنهم :

١ — محمد بن حزم الأندلسى مؤلف

---

[١] الأغانى ٢ ـ ١٣٥ ، ١٠ ، ٥١ .

[١] انظر « المرأة فى الشعر الجاهلى » للأستاذ الدكتور أحمد محمد الحوفى ١٥٩ ـ ١٦٠ نقلا قصة الحضارة ، ٧١ ول ديورانت و « تراث الإسلام » تأليف جماعة من المستشرقين نشرته لجنة النشر الجامعيين ج ١ ص ٩٥٩ .

أول كتاب عربي جامع في الحب الشريف، ونعني به طوق الحمامة في الألفة والآلاف.

٢ — وابن قيم الجوزية مؤلف «أخبار النساء» و «روضة المحبين».

٣ — وأبو بكر محمد بن داود الظاهري مؤلف «الزهرة».

٤ — وأبو جعفر السراج مؤلف «مصارع العشاق».

٥ — والمرزباني مؤلف «أشعار النساء»

٦ — وابن سينا مؤلف «رسائل العشق»

٧ — وداود الأنطاكي مؤلف «تزيين الأسواق بتفصيل أحوال العشاق.»

وعلى هامش هذا الكتاب طبعوا كتابا آخر لشهاب الدين أحمد بن أبي حجلة. وهو «ديوان الصبابة».

فأية عناية هذه العناية العربية الإسلامية بأسمى العلاقات الإنسانية من قديم الزمان؟ إلا حبا وكرامة لأمة، هذا فيض من فيض احتفالها بالحب المتبادل بين الزوجين في ظلال الأسرة السعيدة . . . ؟

الغزالي حرب

(بقية المنشور على ص ٣٢٧)

وما أشد حاجته إلى دائرة معارف مبسطة تناسب كل مرحلة من مراحل التعليم ، إذ لتنفيذ هذا كله يحتاج إلى أقلام متخصصة تنال أجورا مجزية عن هذا الإنتاج المطلوب.

ويوم أن يتم التعاون التام بين وسائل الإعلام وشيوخ الأزهر ورجال التربية والتعليم يوم يتم هـذا التعاون تستطيع الفصحى أن تأخذ مكانها في القلوب والعقول والألسنة وتستطيع أن تسترد أمجادها الماضية وتضيف إليها أمجادا جديدة وتنهض ناهضة قوية بين اللغات المعاصرة وتؤدى دورها الكامل في النهضة العالمية المرتقبة ، وإننا لنرجو أن يتحقق هذا الأمل قريبا إن شاء الله؟

البحث بقية

علي عبد العظيم

الجرح والتعديل في علم السنة

للأستاذ محمد نجيب المطيعي

— ٥ —

وهناك مجهولون يتشابهون في الاسم ، ولجهلنا بهم لا نستطيع أن نفرق بينهم هل هم شخص واحد أو أشخاص متعددون ؛ وذلك مثل إبراهيم بن إسحاق عن طلحة ابن كيسان وإبراهيم بن إسحاق عن الحسن البصري وإبراهيم بن إسحق عن سعيد المقبري ، قال أحمد في المسند : حدثنا أسد ابن عامر حدثنا إسرائيل عن إبراهيم بن إسحاق عن سعيد المقبري عن أبي هريرة أن النبي ﷺ « مر بجدار مائل فأسرع فقيل له في ذلك فقال أكره موت الفوات » فالأول قال فيه أبو حاتم مجهول ، والثاني قال فيه الحافظ الذهبي في الميزان : لا يعرف من هو ويجوز أن يكون الأول .

أما الثالث فقد قال فيه الذهبي: لا أدري من هو والخبر منكر وفي هامش بعض نسخ الميزان وإنما يعرف بإبراهيم بن الفضل وتدع المسند يصرح على أنه إبراهيم بن إسحاق لنأتي على ترجمته بهذا الاسم في الميزان فنجده عرف عينا وحالا فيقول الذهبي :

إبراهيم بن الفضل (ت ، ق) المخزومي عن سعيد المقبري شيخ مدني ضعيف وروى عنه ابن أبي فديك .

قال ابن معين : لا يكتب حديثه وقال مرة : ليس بشيء ، وقال النسائي وجماعة: متروك ومن مناكير إسرائيل وأبي معاوية عنه عن المقبري عن أبي هريرة قال « مر رسول الله ﷺ بحائط مائل فأسرع فقيل له فقال : إني أكره موت الفوات » وكذلك عبد الله بن موسى عنه بالسند مرفوعا : « أحب الأسماء إلى الله ما سمى له والحارث وهمام ، وأكذبها خالد ومالك وأبغضها إلى الله ما سمى به لغيره » الحديث قال أحمد وأبو زرعة : ضعيف ثم يأتي في ترجمة إبراهيم بن الفضل بن سليمان أن أحمد ابن حنبل قال : ليس بالقوي ، وقال ابن معين ليس بشيء ، ويقول الذهبي إنه هو الذي قبله ، قال ابن أبي حاتم : إبراهيم بن الفضل ابن سليمان المخزومي المديني اهـ . قلت : لعل إبراهيم بن إسحاق الثالث غير سميه الأولين اللذين وجدنا أنهما واحد مجهول .

ولتقريب الأمر أكثر نقول : إننا إذا رأينا النقاد يقولون فى رجل مثل جرير الضبى : عن على وعنه ابنه غزوان لا يعرف ويقولون فى جرير بن يزيد : عن منذر عن ابن المنكدر عن جابر فى الخفين تفرد عنه بقية بن الوليد لا يعتمد عليه لجهالته وجرير بن حنب عن على ، قال ابن المدينى مجهول ما روى عنه غير قتادة يمكن أن نستخلص من هذه الصفات اللاحقة بهؤلاء المجهولين أن عينيهم معروفة ، رغم أن بقية بن الوليد قال فيه الحفاظ (أحاديث بقية ليست نقية ، فكن منها على تقية) فإنه ليس كذابا فإذا قال : حدثنى جرير ابن يزيد عرفنا شخصا بهذا الاسم ولكن الجهالة تأتى من جهة حاله ، وكذلك قتادة وهو من هو فى جلالته ومكانته فإذا روى عن جرير بن حنب دل ذلك على عين جرير فتكون الجهالة إنما هى جهالة حال ومن ثم ندرك الفرق بجهالة العين وجهالة الحال لا من جهة ذكر الاسم فى الإسناد لما قدمنا آنفا بل من جهة التأكد من وجود عين المسمى ، فتنحصر الجهالة بعد ذلك فى جهالة الحال .

فإذا جاء فى نعته : لا يدرى من ذا ، أو لا يدرى من هو ، أو قول السليمانى فى جناب بن الخشخاش العنبرى : يستغرب حديثه ولا أعرفه ، فإن هذه العبارة تختلف عن متروك مجهول كقول الأزدى فى الحسين ابن زياد ، شيخ يروى عن مقاتل بن سليمان ، فالأولى يمكن أن يكون مجهول العين مهما ذكر له اسم وكنية ولقب ، وقد يوصف الراوى بأنه مجهول مع التصريح باسمه ثم يوثقه بعض الحفاظ لنزول الجهالة عنه إلا أننا لا نعتمد هذا التوثيق إلا بعد جلاء حاله لا سيما إذا عرف الموثق بالتساهل كما ورد فى الحصين ابن عبد الرحمن عن سعد وأسامة بن سعد قال الذهبى : مجهول ووثقه ابن حبان ، حيث أورده فى ثقاته وقال : روى عنه أهل الكوفة . وحليس بالتصغير كفليس هو ابن هاشم له عن سلمة بن عبد الرحمن مجهول ، وعكسه ما ورد فى خالد بن محمد من آل الزبير عن على بن الحسين قال فيه البخارى منكر الحديث وقال أبو حاتم : مجهول . فإن مثل قول أبى حاتم مجهول لا يستقيم أمام قول البخارى : منكر الحديث إذ فيه تعريف له وإزالة للجهالة عن جانبيه . ومثل خازم (بالمعجمتين) ابن القاسم ، سمع أبا عسيب ـ وله صحبة ـ وعنه التبوذكى . فيه جهالة .

ذكره البخارى وماليفه، ومثل خالد بن أنس عن أنس بن مالك قال الذهبى: لا يعرف وحديثه منكر جداً وهو: من أحبى سنتى فقد أحبنى ومن أحبنى كان معى فى الجنة. رواه بقية عن عاصم بن سعيد - مجهول: عنه ومثل بسر بن محجن الديلى حدث عنه زيد بن أسلم فهو معروف، ولأبيه صحبة حديثه: (صل مع الناس وإن كنت قد صليت) إلى غير هؤلاء فإنهم تحيط بأسمائهم قرائن تثبت أعيانهم ولا تعطينا فكرة عن أحوالهم، وفى طائفة مجهول الحال من زعموا أن لهم صحبة ولم تصح أخبارهم ولكى نزيد مذهبنا وضوحا قبل أن نأتى على عناصر الجرح الأخرى التى نريد كشف الغطاء عنها وجلاء أمور قد تختلط على المبتدىء إذا أراد سبرها مما سنتكلم عليه كالجهالة بالحديث، والاختلاط، والتدليس، ومن طعن فيه لصحبته بآخر، والتلفيق فى السند، وأحاديث الوعاظ من أهل الرواية وغير ذلك من آفات هذا العلم.

نقول إن جهالة العين قد تلحق من يذكر اسمه فى الإسناد، إذا لم يصرح بالرواية عنه راو موثوق به ليننفى عنه جهالة العين، ولا يكون اسما موهوما لا حقيقة له كما ضربنا له الأمثال. ومثال آخر لمجهول العين ما يرويه الأخباريون من نوادر وملح، وأكثر هذه النوادر عن مجاهيل العين والحال، وهى مبثوثة فى كتب الأدب كالأغانى والعقد الفريد وأصابيه الجاحظ فى البيان والتبيين والبخلاء وغيرها، بل إن الخطيب البغدادى الحافظ صاحب تاريخ بغداد يروى عن محمد بن القاسم أبى العيناء من هؤلاء الأخباريين قد قال فيه الدارقطنى: ليس بقوى فى الحديث. قال الخطيب: أخبرنا الأزهرى أخبرنا محمد بن جعفر التميمى أخبرنا الصولى عن أبى العيناء قال سبب تحولى من البصرة أنى رأيت غلاما ينادى عليه (ولم يسمه طبعا) ثلاثين ديناراً يساوى ثلاثمائة دينار، اشتريته وكنت أبنى داراً فأعطيته عشرين ديناراً لينفقها على الصناع فأنفق عشرة واشترى بعشرة ملبوساً له فقلت له: ما هذا؟ فقال: لا تعجل فإن أصحاب المروءات لا يعتبون على غلمانهم هذا، فقلت فى نفسى: أنا اشتريت الأصمعى ولم أدر. قال: وأردت أن أتزوج امرأة سرا من ابنة عمى فاستكتمته فدفعت إليه ديناراً لشراء حوائج وسمك هازبى

فاشترى غيره فغاظني فقال: بقراط يذم الحازم. فقلت يابن الفاعلة لم أعلم أني اشتريت جالينوس، فضربته عشر مقارع فأخذني وضربني سبعاً وقال: يامولاي الأدب ثلاثة وضربتك سبعاً قصاصاً، قال فضربته فرميته فشججته فذهب إلى بنت عمي وقال: الدين النصيحة، ومن غشنا فليس منا، إن مولاي قد تزوج واستكتمني فقلت: لا بد من تعريف مولاتي الخبر فشجني وضربني فمنعتني بنت عمي دخول الدار، وحالت بيني وبين ما فيها وما زلت كذلك حتى طلقت المرأة وسمته بنت عمي الغلام الناصح فلم يمكني أن أكلمه. فقلت: أعتق هذا وأستريح فلما أعتقته لزمني وقال: الآن وجب حقك علي ثم إنه أراد الحج فزودته فغاب عني عشرين يوما ورجع وقال: قطع الطريق، ورأيت حقك أوجب، ثم أراد الغزو فجهزته فلما غاب بعت مالي بالبصرة وخرجت عنها خوفا أن يرجع.

وأكثر أسانيد للملح والأشعار ومواقف ذات غرابة من النوادر تعتمد على المجاهيل إما بذكر أسماء وهمية لربط المستمع بإسناد متصل، وإما بعدم ذكر الأسماء. وكلا الأمرين عندنا جهالة عين وحال، ولكيلا يظن ظان أننا نعمم في جهالة الحال جهالة العين، نقول إننا نحترز عن مثل من ثبت وجوده حقيقة وجهلنا حاله مثل محمد ابن القاسم الجهني عن أبيه عن الربيع بن سبرة روى عنه الواقدي، ومحمد بن أبي القاسم روى عنه يحيى بن أبي زائدة وأبو أسامة. ومحمد بن قدامة الحنفي روى عنه أبو بشر جعفر بن أبي وحشية، ومحمد بن قدامة البلخي الزاهد؛ رحل وسمع من أبي كريب وطبقته، وهو يعد من شيوخ عبد الله بن محمد بن يعقوب البخاري — وهو غير محمد ابن إسماعيل صاحب الجامع - رضي الله عنه. وكذلك محمد بن محمد روى عنه الأوزاعي ومزيد شيخ الوليد بن مسلم، وعمرى ابن قطري تفرد عنه سماك بن حرب، وممرة ابن سعيد حدث عنه أبو بكر بن عباس. ومسكين بن ميمون مؤذن الرملة، كل هؤلاء مجهولو الحال ولكن أعيانهم معروفة والتقاء الناس بهم ثابت، وقد نجد بعض أحوالهم معلومة لنا مثل تلقيهم عن مشايخهم ومعرفة حرفتهم بل وهيئتهم مثل مسعود بن الربيع أبي عمر القاري قال أبو حاتم: أعرابي مجهول هؤلاء مجهولون من جانب يتصل بصحة الرواية، ذلك هو

عدم ثبوت عدالتهم وضبطهم ومن هنا رفضنا رواياتهم وأسقطناها ألبتة . على أنه لو نعت أحدهم بصفة مذمومة لانتفت عنه الجهالة وأعطيت روايته الدرجة التي تستحقها من الضعف كالنكارة أو الشذوذ أو الوهى أو الذهاب بمرة .

وكما تتعدد أسماء وتتشابه في كل شيء حتى في اللقب والصفة قديماً وحديثاً فإن الأمر يلتبس على من لم يسبر غور علم الرجال حتى أسماء الصحابة أنفسهم رضي الله عنهم أجمعين ، يلتبس اسم عبد الله بن زيد الأنصاري بعبد الله بن زيد الأنصاري فأحدهما الذي رأى الأذان وهو أوسي والآخر للمازني وله روايات في صفة وضوئه ﷺ وفي صلاة الاستسقاء وفي الطلاق ، وقد يلتبس أحدهما بالآخر على من لا أنس له بعلم الصحابة لا سيما والاسمان على صورة واحدة .

أما في الرواة من غير الصحابة ممن يؤثر في صحة رواياتهم عدم التمييز بينهم فنجد الخطيب البغدادي يخلط بين محمد بن قدامة البغدادي ومحمد بن قدامة بن أعين المصيصي وأولهما مات سنة ٢٣٧ والآخر ٢٥٠

ومثل هذا اللبس والخلط يحدث بين المجهولين والمعلومين يتضح هذا إذا أضفنا إلى من سبق اسم محمد بن قدامة الرازي وهو شخص روى عنه عمر بن محمد بن الحكم ومع ذلك لا يدرى من هو .

على أننا لو تتبعنا ما تركه هؤلاء المجهولون سواء في أعيانهم أو أحوالهم من الغرائب لعرفنا صدق وصفهم بالمجهولية ولعرفنا مبلغ بعدهم عن البيئة الشريفة والنبتة المباركة والمشيخة الأذكياء من رجال الفن وفحوله الأعلام انظر مثلا إلى معمر بن يحيى المهدي يقول الذهبي : لا أعرفه وأتى بخبر منكر ، قال بن بطة : حدثنا أبو ذر أحمد ابن الباغندي أخبرنا أبي عن معمر بن يحيى حدثنا شريك عن أبي إسحاق عن أبيه عن ابن عباس مرفوعاً : « من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه وإلى نوح في حكمته وإلى إبراهيم في حلمه فلينظر إلى علي » .

ومن غرائب محمد بن أبي محمد وهو مجهول عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً : « حجوا قبل ألا تحجوا » .

ومن غرائب مسعود بن عمرو البكري (مجهول) ما روى سليمان ابن بنت شرحبيل حدثنا مسعود بن عمرو وحدثنا حميد الطويل عن أنس مرفوعاً : « ركعتان من المتأهل خير من اثنتين وثمانين ركعة من

العزب» رواه الذهبي من فوائد تمام ومن غرائب مسكين بن ميمون مؤذن الرملة ما أخرجه أبو نعيم في عوالي سعيد ابن منصور وصححه مع أنه منكر أخبرنا سنقر الأسدى أخبرنا عبد اللطيف أخبرنا عبدالحق أخبرنا على بن محمد أخبرنا أبو الحسن الحمامى أخبرنا بن نافع أخبرنا الحسين بن إسحاق التسترى حدثنا سعيد بن منصور حدثنا مسكين بن ميمون حدثنى عروة ابن رويم عن عبد الرحمن بن قرط أن رسول الله ﷺ قال: «أسرى بى ليلة من المسجد الحرام وكان بين المقام وزمزم جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره، فطارا حتى بلغ السموات العلا، فلما رجع قال: سمعت صوتاً من السموات العلى مع تسبيح وتكبير سبحان رب السموات العلى ذى المهابة (١١) سبحانه وتعالى».

ومن غرائب موسى بن المغيرة (وهو مجهول) عن أبى موسى الصفار (وهو مجهول كذلك): قال سألت ابن عباس أى الصدقة أفضل؟ قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الصدقة أفضل؟ قال: الماء، ألا ترى أن أهل النار إذا استغاثوا بأهل الجنة قالوا: «أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله» رواه الذهبي قراءة على زينب بنت عبد الله أخبركم أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو جعفر الصيدلانى أخبرنا محمود بن إسماعيل حضوراً أخبرنا ابن شاذان أخبرنا القتاب أخبرنا بن أبى عاصم حدثنا محمد بن أبى بكر المقدمى حدثنا موسى (المشار إليه.)

ومن غرائب هذا الإسناد وأكثره مجاهيل ما قاله عبدان فى معرفة الصحابة: حدثنا محمد، يحيى ابن أحمد، حدثنا إسماعيل بن عياش حدثنا هانىء ابن المتوكل عن محمد بن عياض الأنصارى عن أبيه عن العباس بن نزيع الأزدى عن أبيه مرفوعاً قالت الجنة: يا رب زينتنى فحسن أركانى قال: قد حسنت أركانك بالحسن والحسين. ومن غرائب يحيى بن بشار الكندى ما رواه الخثعمى عن عباد بن يعقوب حدثنا يحيى بن بشار الكندى عن إسماعيل بن إبراهيم الهمدانى عن أبى إسحق عن الحارث عن على وعن عاصم بن ضمرة عن على مرفوعاً: «شجرة أنا أصلها وعلى فرعها والحسن والحسين ثمرها والشيعة ورقها فهل يخرج من الطيب إلا الطيب وأنا مدينة العلم وعلى بابها، فمن أراد المدينة فليأت بابها».

ومن غرائب القاسم بن الرخي عن عبد الله بن عمرو وهو من رجال المسند : (من أخرج صدقة فلم يجد إلا بربرياً فليردها) وغير هذه الأباطيل من روايات كان آفتها هؤلاء المجهولين .

على أننا قبل أن ننتقل من بحث هذا الباب نذكر أن بعض من جهلهم فريق من العلماء عرفهم فريق آخر وذلك مثل كثير ابن أبي كثير مولى عبد الرحمن بن سمرة قال ابن حزم : مجهول ، ولكن ابن حبان ذكره في الثقات ، وروى الحافظ الذهبي نقل بعضهم عن العجلي أنه وثقه .

وكلاب بن تليد عن سعيد بن المسيب لا يكاد يعرف وقد وثقه الذهبي ، وقد تفرد بالرواية عنه عبد الله بن مسلم ومالك بن أدي عن النعمان بن بشير .

على أن بعض المحدثين كانوا في سبيل أن ينفوا جهالة النسب عن أنفسهم ولكن يرفعوا من شرفهم يدعون الانتساب إلى أحد الصحابة كصنيع عمر بن الحسن أبي الخطاب بن دحية يقول فيه الذهبي نقلا عن ابن عدي : متهم في نقله مع أنه كان من أوعية العلم ، دخل فيما لا يعنيه من ذلك أنه نسب نفسه فقال : عمر بن حسن بن علي ابن محمد بن فرح بن خلف بن قومس ابن مزلال بن ملال بن أحمد بن بدر بن دحية بن خليفة الكلبي . فهذا نسب باطل لوجوه . أحدها : أن دحية لم يعقب . الثاني أن على هؤلاء : قومس ، مزلال ، ملال لوائح البربرية . الثالث : بتقدير وجود ذلك قد سقط منه آباء فلا يمكن أن يكون بينه وبين دحية رضي الله عنه عشرة أنفس ، وله عدة كنى : أبو حفص ، أبو الفضل ، أبو علي الداني الكلبي .

وكان يروي مقامات الحريري لما رجع إلى الأندلس بعد أن عزله الملك الكامل لما امتحنه في الحديث فوجده يختلف أخذ يحدث بها عن ابن الجوزي عن المؤلف وليس ذا بصحيح . قال ابن نقطة : كان موصوفاً بالمعرفة إلا أنه كان يدعي أشياء لا حقيقة لها وقال أبو القاسم بن عبد السلام : أقام عندي ابن دحية فكان يقول : أحفظ صحيح مسلم والترمذي قال : فأخذت خمسة أحاديث من الترمذي ، وخمسة من المسند وخمسة من الموضوعات فجعلتها في جزء فعرضت حديثاً من الترمذي عليه فقال : ليس بصحيح ، وآخر فقال : لا أعرفه ، ولم يعرف منها شيئاً !؟

يتبع

محمد نجيب المطيعي

الصِّيَغ التى تأتى بمعنى "مفعول"

للأستاذ عباس أبو السّعود

تأتى بمعنى مفعول من الثلاثى صيغ كثيرة مسموعة لا يقاس عليها ، منها :

١ — فَعيل : وهـذه الصيغة كثيرة فى كلام العـرب ، كقتيل بمعنى مقتول ، وملىء بمعنى مملوء ، وذبيح بمعنى مذبوح وجريح بمعنى مجروح .

٢ — فِعْل : بكسر فسكون : كقطف بمعنى مقطوف ، وطِحن بمعنى مطحون ، كما فى المثل : «أسمع قعقعة ولا أرى طحنا» وذِبح بمعنى مذبوح ، كما فى قوله تعالى : «وفـديناه بذبح عظيم» ، وبسط بمعنى مبسوط ، تقول : هذه يد بسط أى مبسوطة مطلقة ، وفى قراءة عبـد الله «بل يداه بِسطان» وعلم بمعنى معلوم ، كما فى قوله تعالى : «ولا يحيطون بشىء من علمه» . أى بمعلومه .

٣ — فاعل : نحو دافق بمعنى مدفوق . كما فى قوله جـل شأنه : «خلق من ماء دافق» وراضية بمعنى مرضية ، كما فى قوله تعالى «فهو فى عيشة راضيـة» وشارع بمعنى مشروع ، وقاصـد بمعنى مقصود فى قولهم : طريق شارع ، وطريق قاصد .

ومن أساليب أهل الحجاز أنهم يحولون المفعول فاعلا إذا وقع نعتا كما فى الأمثـلة السابقـة ، وكما فى قولهم سر كاتم بمعنى مكتوم ، ومكان عامر بمعنى معمور ، وغامر بمعنى مغمور وهو ضـد العامر ، وعاصم بمعنى معصوم ، كما فى قوله سبحانه «لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم» وقد قالوا : أسمنا الماشية فى المرعى فهى سائمة ولا يقال مُسامة .

٤ — فِعال : بكسر الفاء ، نحو كتاب بمعنى مكتوب ، وبساط بمعنى مبسوط ، وفراش بمعنى مفروش ، وإله بمعنى مألوه أى معبود ، ورِكاز بمعنى مركوز وهـو المال المدفون ، ولفافة بمعنى ملفوفة .

٥ — فَعَل[1] : بفتح فسكون ، نحو خَلق بمعنى مخلوق كما فى قـوله تعالى :

---

[١] قال الفراء : والعرب تقول للضـعف مضعوف ، وللجلد مجلود.

« إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد » ، ولفظ بمعنى ملفوظ ، وصيد بمعنى مصيد وضرب بمعنى مضروب ، كما في قوله : هذا درهم ضرب الأمير أي مضروبه ، وجد بمعنى مجدود كما في قولك : هذا رجل جد أي مجدود محظوظ ، وعزل بمعنى معزول .

٦ — فَعِل : بفتح فكسر ، نحو كذب بمعنى مكذوب في قوله تعالى : « وجاءوا على قميصه بدم كذب » ، قال الفراء : أي بدم مكذوب وقال أبو العباس بدم كذب هذا مصدر في معنى مفعول وقال الزجاج : أي ذي كذب والمعنى دم مكذوب فيه .

٧ — فَعَل : بفتحتين ، كما في قولك : نفضت الورق أو الثمر من الشجرة إذا أسقطته ، فالورق أو الثمر نفض بمعنى : منفوض .

ومثل ذلك خبطت الورق من الشجر فهو خبط فعل بمعنى مفعول ، وقبضت المال فالمال قبض بمعنى مقبوض ، وحسبت المال بمعنى عددته فهو حسب أي محسوب معدود ، وهذا درهم نسق أي منسوق وحفر بمعنى محفور ، وقد قيل للبئر التي حفرها أبو موسى قرب البصرة حفر ، والقلم الذي يكتب به فعل بمعنى مفعول ولهذا لا يسمى قلما إلا بعد البرى ، مأخوذ من قلمته قلما من باب ضرب إذا قطعته وبريته ، ويسمى قبل البرى قصبة ، وكذا ولد بمعنى مولود ، وعدد بمعنى معدود ، ونزح بمعنى منزوح ، تقول : هذه بئر نزح أي لا ماء فيها فهي منزوحة ، والصمد في قوله تعالى : « الله الصمد » بمعنى المصمود ، وهو المقصود في كل الحوائج .

٨ — فُعْلة : بضم فسكون ، كقولك : الكذوب سبة أي مسبوب يكثر الناس سبه ، وفلان ضحكة أي مضحوك منه كثيرا ، وفي هذين المثالين وما يشبههما تدل هذه الصيغة على المبالغة والتكثير .

وقد تأتي بمعنى اسم المفعول دون مبالغة ، نحو نسخة بمعنى منسوخة ، وخطبة بمعنى مخطوبة ، وغرفة بمعنى مغروفة ، كما في قوله تعالى « إلا من اغترف غرفة » وقبضة بمعنى مقبوضة ، وهي ما قبضت عليه من شيء ، تقول : أعطاني فلان قبضة من تمر أي كفا منه .

٩ — فُعُل : بضمتين : كقولك : هذا باب فتح أي واسع مفتوح ، وفي

حديث أبي الدرداء « ومن يأت بابا مغلقا يجد إلى جانبه بابا فتحا » وهذا باب فتح أي مغلق، وهذه قارورة فتح وهي الواسعة الرأس، وما ليس لها صمام ولا غلاف.

١٠ — فُعال : بضم الفاء، نحو جذاذ بمعنى مجذوذ أي مقطوع، كما في قوله جل شأنه « فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم » وحطام بمعنى محطوم أي مكسور، كما في قوله تعالى « ثم يكون حطاما » وركام بمعنى مركوم أي مجموع كما في قوله تعالى: « ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما » وقوله: « يقولوا سحاب مركوم ».

١١ — فَعول : بفتح الفاء، نحو ركوب بمعنى مركوبة، وكذا ركوبة وهي الناقة تركب، كما في قوله تعالى « فمنها ركوبهم » وقرأت السيدة عائشة رضي الله عنها « فمنها ركوبتهم ».

وقيل الركوب : المركوبة من الإبل، والركوبة المعينة للركوب والملازمة للعمل من الدواب أيا كانت، وتقول: هذه ناقة حلوب وحلوبة أي محلوبة، ورسول بمعنى مرسل، ومنه قوله تعالى « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه »، ولبوس بمعنى ملبوس ومنه قوله تعالى « وعلمناه صنعة لبوس لكم » وقول الشاعر :

البس لكل حالة لبوسها
إما نعيمها وإما بوسها [1].

١٢ — فُعُل : بضم فسكون، نحو سؤل بمعنى مسئول، ونكر بمعنى منكور، وعرف بمعنى معروف ؟

عباس أبو السعود مصطفى

[١] البوس : مخفف من البؤس، وهو ضد النعيم

سوف تحتجب مجلة الأزهر — جريا على عادتها السنوية — شهري جمادى الأولى والآخرة، وسوف تطالع قراءها الكرام غرة رجب إن شاء الله ؟

« المجلة »

الدكتور محمد أحمد الغمراوى

العالم الذى فقدناه

للأستاذ يوسف عبد الهادى الشال

شاء الله ولا راد لمشيئته أن يخلد القلب الكبير إلى الجمام الأبدى . وأن يقف القلم الذى طالما انبرى بما يرضى الله دعوة إلى دينه ودفاعا عن حماه .

ولئن سكت القلب الكبير فإن رنين دقاته سيظل عبر الأيام ملاحقا بما كان يزخر به من كريم للمعانى ونبيل المقاصد .

ولئن وقف القلم المجاهد فإن ما خطه على صفحات الكتب والمجلات سيبقى على الزمن مشرقا يطالع فيه من يطالع معرفة مستوعبة وعلما فياضا فى صفاء قريحة ورشاد فكر .

رحم الله الدكتور الغمراوى ونضر مثواه لقد كان علما من أعلام هذا الجيل ، اعتز به الإسلام جنديا من جنوده البواسل الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه .

شرع قلمه فى سبيل الله مجاهدا فى معارك الفكر التى خاضها الإسلام مع من لا يرجون له وقارا ، فما لانت له قناة ، وما ضعف وما استكان على تنوع الجبهات وتعددها ، وخرج من كل معركة مرفوع الهامة موفور الكرامة مرموق المنزلة .

ولا ريب أن الدكتور الغمراوى - رحمه الله - كان من الصفوة الذين يختارهم الله نماذج تشد القلوب والأبصار على طريق الإنسانية من جيل إلى جيل .

وأبرز ما يتميز به أولئك الصفوة ، متانة الخلق ، وسماحة الطبع ، واحترام الحق ، وصمود الرجولة ، وتدفق الحيوية .

وهذه المعانى الجليلة كانت المزيج المتناسق الذى يكون شخصية الدكتور الغمراوى رحمه الله .

فما يراه الرائى إلا هادئا رزينا تزيده الابتسامة الرقيقة جلالا ووقارا .

وما كان فى نقاشه المتأنى إلا متخذا إلى الهدف أقوم طريق وأعدله . شأن المثبت الواثق لا يلتوى عن الجادة ولا يعدل

إلى أساليب الغضب والمهاترة، في عفة لسان وطهر بيان، دأب الذي لا يشغله عن الحق شاغل، وكنت تراه وقد أثقلت السنون عاتقه. وألحت عليه العلة بكل ما تملك من ضغوط فترى فيه حيوية تعجب منها لإنسان في مثل سنه مع إلحاح العلة.

كان رحمه الله إذا كتب أشبع، وإذا بحث استقصى.

قال عنه أمير البيان «شكيب أرسلان» في ختام تقديمه لكتاب فقيدنا الجليل «النقد التحليلي لكتاب في الأدب الجاهلي» الذي ظهرت طبعته الأولى عام ١٩٢٩ م.

«.. ومالي وللتعليق على كتاب الأستاذ الغمراوي واستقصاء ما فيه، وهو لم يترك في القوس منزع ظفر، ولم يغادر صغيرة ولا كبيرة من الموضوع إلا وفاها حقها من البحث بطريقة علمية اعتادها من مباحثه في الكيمياء وعلم الطبيعة، وتم فيها حظه بملكة عربية متناهية في البلاغة.

فجاء هذا الكتاب نسيج وحده في الجمع بين العلم والأدب، وآية من الآيات الباهرة في إبراز التحقيقات العلمية بهذا القالب النفيس من لغة العرب، وإلى أفضل ما في هذا البحث أن صاحبه أستاذ متخصص في علوم الطبيعة متمرس بالتجارب التي لا تكذب صاحبها مما يزيده صحة حكم وسداد نظر ويؤيده في التغلب على المكابرين».

لقد عاش الرجل حياته عظيما بأعمق وأشمل ما توحي به كلمة العظمة من دلالات.

وآية العظمة في الدكتور الغمراوي رحمه الله أنه كان يعيش حياته الفكرية على النوافذ مفتوحة، والأبواب على مصاريعها لا يضيق بلوافد الجديد ولكنه يتناوله تناول الخبير «الذي يأخذ نفسه بأشد ما يطالب به الناس من التجرد من الهوى ومن الإخلاص في القصد، والقدرة على تمييز الحق من الباطل».

ومنهجه الذي لم يتحول عنه تلك القاعدة التي جرى عليها العلم فكانت سر نموه وارتقائه.

«لا تنبذ شيئا بيدك قبل أن تستعيض عنه بخير منه من جنسه، واستوثق من فضل العوض على ما بيدك قبل أن تنبذ هذا وتأخذ بذاك».

لقد حببت إليه العربية لغة القرآن المجيد وكان حفيا بها، وفيا لمن وجهوه إلى المنهل من مواردها العذبة، ومصل حفاوته بالعربية وشغفه بها أنه عاش معظم حياته

الفكرية مع القرآن الكريم كتاب الإسلام الأول يتأمل وجوه إعجازه ويبهر القراء بما يصل إليه من دلائل الإعجاز القرآنى فى مختلف الأبعاد التى تناولتها آيات الكتاب العزيز .

وحسب القارىء مؤشرا على صدق ما نقول تلك السلسلة التى حفلت بها « مجلة الأزهر » الغراء للفقيد الأصيل ـ رحمه الله ـ تحت عنوان « دلالة القرآن على نفسه أنه من عند الله » والتى يجد القارىء الحلقة السابعة منها فى هذا العدد .

وقد كان يسعدنا أن يتم الراحل الكريم تلك الدراسة الفريدة التى تدل دلالة على مقدار ما أوتى الرجل من مقدرة على الاستنباط ، وموهبة يندر أن يكون على مثلها باحث فى القرآن .

وبرهان وفائه لمن وجهوه إلى العربية وحببوها إليه تلك العبارة القصيرة ذات الأبعاد المترامية ، والتى صدر بها كتابه « النقد التحليلى لكتاب فى الأدب الجاهلى » حيث قال فى إهداء هذا الكتاب: إلى الذين حببوا إلى اللغة صغيرا فى البيت وفى المدرسة ، إلى أخى وإلى أساتذتى أهدى هذا الكتاب .

وبعد :

فهذه كلمة عجلى وفاء بحق الفقيد على « مجلة الأزهر » ، رحمه الله رحمة واسعة، وأنزله أكرم منزل وأحبه؟

يوسف عبد الهادى الشال

قال الله تعالى :

« كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور »

(آل عمران : ١٨٥)

الموسوعة القرآنية

تصنيف الأستاذين :
ابراهيم الإبياري و عبد المقصود مرزوق

للدكتور علي العماري

— ٥ —

في المجلدة الثانية

تضم هذه المجلدة قسمين :

الأول : الألفاظ القرآنية مرتبة على الحروف الهجائية ، وأماكنها من الآيات

الثاني : المكي والمدني ، وترتيب الآيات حسب أوائلها .

وقد تبين لي من النظر في هذه المجلدة :

١ — ترك المصنف كثيرا من (المواد) لم يعرض لها

من ذلك مادة (أبد) ، وقد وردت في القرآن الكريم في ثمانية وعشرين موضعا ، ومادة (أحد) وقد وردت في القرآن في واحد وستين موضعا ، ومادة (أهل) وقد وردت في القرآن في نحو مائة وثلاثين موضعا ، ومادة (آية) وقد وردت في نحو مائتي موضع ، ومادة (أي) وقد وردت في القرآن في نحو مائتين وأربعين موضعا ومادة (أين) وقد وردت في نحو خمسة وعشرين موضعا .

٢ — لم يستوف كثيرا من المواد .

من ذلك - مثلا - مادة (أتى) ذكر منها لفظين اثنين ، مع أنها وردت في القرآن ، هي وما يتصل بها ، في نحو خمسمائة وستين موضعا ، ومادة (أجر) ذكر منها ثلاثة ألفاظ ، مع أنها وردت هي وما يتصل بها في القرآن الكريم في نحو مائة موضع ، وسبعة مواضع ، ومادة (أجل) ذكر منها أربعة ألفاظ ، وترك خمسين لفظا ، ومادة (أخر) ذكر منها ثلاثة وعشرين لفظا ، مع أنها وردت في القرآن هي وما يتصل بها في نحو مائتين وخمسين موضعا ، ومادة (أذن) ذكر منها خمسين لفظا ، وترك أكثر من خمسين ، ومادة (أمر) لم يذكر منها إلا القليل ، مع أنها وردت في نحو

مائتين وخمسين موضعا ، ومادة (أمن) وقد وردت فى أكثر من أربعمائة موضع وكذلك مادتا (أكل) و (ألف) .

وهذه المواد كلها فى حرف الهمزة ، وقد فعل مثل ذلك فى كل الحروف ، إما أن تهمل المادة ، وإما أن تذكر ناقصة وكثيرا ما يكون النقص مخلا .

ومن عجب أن المصنف ، وزميله عرضا فى مقدمة (المجلد الخامس) لبعض المحاولات السابقة لهما ، وعاباها بنقص الاستقراء الدقيق للآيات ، وهو عيب واضح أشد الوضوح فى هذا المجلد الثانى .

وكلمة الحق التى يجب أن تقال إن المصنفين عمدا إلى بعض المؤلفات السابقة ، واعتمدا عليها اعتمادا كليا ولنأخذ ـ مثلا (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن) للمرحوم محمد فؤاد عبد الباقى ، هذا عمل ناضج ومكتمل . عمد إليه المصنفان فوزعاه على مجلدين من مجلداتهما الست ، فأخذا ألفاظ القرآن ما عدا أسماء الأعلام ، وأسماء البلدان ، ووضعا هذه الألفاظ ـ مع النقص الملحظ ـ فى المجلد الثانى ثم ذكرا الأعلام والأماكن فى المجلد الخامس مع إبدال الرمز (ك) بمكى ، والرمز (م) بمدنى ، ووضع العناوين للآيات المتفقة فى موضوع واحد .

وواجب الدفاع عن صاحب المعجم ، وقد انتقل إلى جوار ربه ـ حيث لا يملك عن نفسه دفاعا ـ يقتضينا أن نقول إن المصنفين سطوا سطوا على هذا المعجم ، ومع الأسف لم يوفقا كما وفق صاحبه .

ولقد كان الإنصاف يقتضيهما أن يعيدا طبع (المعجم المفهرس) ويتحاشيا بعض ما فيه من هنات يسيرة وقعا فيما هو أخطر منها .

على أن الأستاذ الأبيارى يذكر فى (المجلد الثانى) الألفاظ القرآنية مجردة عن جملها ، فى حين ذكرت فى المعجم المفهرس ، مع جملها ، وبذلك يستفيد القارىء فائدتين : معرفة مكان اللفظ من القرآن ، ومعرفة الجملة التى ورد فيها ، وكثيرا ما يستغنى بهذه المعرفة عن الرجوع للمصحف .

وأخرى ، وهى أن المعجم المفهرس استوفى جميع ألفاظ القرآن الكريم ، وذكرها فى جملها فى مجلد واحد ، فى حين وضع المصنفان بعض ذلك فى مجلدين كبيرين

فياليت شعرى . ما الذى يدعو الدارس إلى أن يجاوز هذا المعجم الميسر الكامل إلى مؤلف فيه نقص كبير ، والحصول عليه غير ميسر .

وقد لاحظت أن المصنف للمجلد الثاني مع تركه كثيرا من المواد، ومع إيجازه المخل في مواد كثيرة أخرى يذكر في بعض المواضع ما كان يمكن الاستغناء عنه - على طريقته -.

مثلا: مادة (أفل) كتب عنها:

لا أحب الآفلين ٦ الأنعام ٧٦
فلما أفل ٦ « ٧٧
فلما أفلت ٦ « ٧٨

ومادة (قد) ذكر فيها:

إن كان قميصه قد ١٢ يوسف ٢٦
وإن كان قميصه قد ١٢ يوسف ٢٧
فلما رأى قميصه قد ١٢ « ٢٨

ولو كان هدفه الإيجاز حقا لكان الاكتفاء في هذين الموضعين وما أشبههما واجبا.

* * *

٣ - على الرغم من الاستدراك بثبت من الأخطاء وتصحيحها - في هذا المجلد - ملأ نحو أربع صفحات كبار، أقول: على الرغم من ذلك فقد وقفت على أخطاء كثيرة لم يتنبه لها المصنف، وقد كان حريا ألا يفوته شيء من ذلك، فإنه لا عمل له في هذا المصنف إلا نقله ثم تصحيح بروفاته.

من هذه الأخطاء:

١ — ص ٨ سطر ٢٨ في خانة (رقم الآية) ٢٨ والصواب ٨٢.
٢ — ص ٩ « ١٢ « (الاسم) من أثر السجود « من أثر الرسول ٢٠ طه ٩٦
٣ — ص ٩ « ٢٦ « « فيها إثم كبير « فيهما إثم كبير
٤ — ص ١٠ « ٢٩ « (رقم السورة) ٥ ـ المائدة « ٢ ـ البقرة
٥ — ص ١٠ « ٣٠ « « ٢ ـ البقرة « ٥ ـ المائدة
٦ — ص ١٢ « ١ « (رقم الآية) ٢٥٢ « ٢٢٥
٧ — ص ١٧ « ٢١ « الآية ولا تحمل علينا إصر « ولا تحمل علينا إصرا
٨ — ص ٢٢ « ١٥ « (رقم الآية) ٩ « ١٩
٩ — ص ٣٦ « ٨ « « ١٠٠ « ١٠١
١٠ — ص ٣٧ « ٩، ١٠، ١١ ورد:

٢٥ الفرقان ٧٠ « ٥٦ الواقعة ٦١

٥٦ الواقعة ٦١ الصواب ٧٠ المعارج ٤١

٧ المعارج ٤١ » ٢٥ الفرقان ٧٠

١١ – ص ٤٠	سطر ٢٠	(رقم السورة) ٨٣	»	٨٢
١٢ – ص ٤٠	» ٢١	(اسم السورة) الانفطار	»	المطففين
١٣ – ص ٤٣	» ٧	(رقم الآية) ٣٩	»	٢٩
١٤ – ص ١٩٥	» ٢٤	(الآية) ويضربن بخمرهن	»	وليضربن بخمرهن
١٥ – ص ٤٩٦	» ٥	» يتفيئوا ظلاله	»	يتفيؤا ظلاله
١٦ – ص ٤٩٨	» ٢٤	» على سرور متقابلين	»	على سرر متقابلين
١٧ – ص ٤٩٩	» ٢٤	» اقتلوه وحرقوه	»	اقتلوه أو حرقوه
١٨ – ص ٦٣١	» ١٨	» وجعلوا لله مما ذرءوا	»	وجعلوا لله مما ذرأ
١٩ – ص ٤٩٩	» ١٤	(السورة) ٢ ـ البقرة ـ ٢٥٣	»	٤٩ ـ الحجرات ـ ٩
٢٠ – ص ٥٢٧	» ٢١	(الآية) وإذا يرفع إبراهيم القواعد	»	وإذ يرفع
٢١ – ص ٥٦٩	» ٢٦	» إنما الحياة الدنيا لعب	»	أنما الحياة الدنيا لعب
٢٢ – ص ٥٧٢	» ٣	» لا لغوا فيها	»	لا لغو فيها
٢٣ – ص ٥٧٤	» ١٧	» وإذا ألقوا فيها	»	إذا ألقوا فيها
٢٤ – ص ٧٠٦	» ١٨	» مالكم لا ترجون من الله وقارا	»	مالكم لا ترجون لله وقارا
٢٥ – ص ٩٩	» ١٥	» إلى الأرض الجزر	»	إلى الأرض الجرز

وأحب أن أقول إني لم استقص قراءة هذه المجلدة الثانية ، بل كنت أنظر منها في صفحات متفرقات فتظهر لي هذه الأخطاء ، والله فإني أقدر أن الأخطاء التي فيها أضعافا كثيرة لهذه الأخطاء التي نبهت إليها .

ونسأل الله الهداية والتوفيق ؟

د . علي العماري

المصطلحات العسكرية في كتاب "المخصص"
واستعمالها في الجيش العراقي الحديث

للواء الركن محمود شيت خطاب

— ٩ —

ريش السهام (١)

١ — (ا) راشَ السهمَ رَيْشاً : جعل عليه الرِّيش . راشه وريَّشه وارتاشه ، وأنشد :

وارتَشْنَ حين أردْتَ أن يرمِينَنا
نَبلاً مُقَذذةً بغير قِداحِ

وهو رِيشُ السَّهم ورِياشُه ، الواحدة : رِيشَة ، والأرياشُ جمع الجمع ، وفلان لا يَرِيش ولا يَبْرِى : أي لا يضرُّ ولا ينفع .

(ب) القذَذَ : رِيشُ السَّهم ، واحدتها : قُذَّة . وقد قَذَذْته قذًّا وأقْذَذْته : جعلت عليه القُذَذ . وسهمٌ أقذُّ : ذو ريش .

(ج) اللَّغْبُ واللَّغَبُ : أن تكون ريشتان من ظُهُور الرِّيش ، والثالثة من البطْن فلا يزال السَّهم مضطَرِباً . وأصل اللَّغْب : الفاسد ، ومنه — لغَبْتُ على القوم ألغَبُ لَغَباً : أفسدْتُ عليهم ، جمع اللغْب : لِغَابٌ . وواحدة اللُّغاب : لُغَابة . وقيل : اللغاب : ما تخالَفَ من الرِّيش ، فإذا اعتدل فهو لُؤام .

(د) الظُّهار : ما جُعِل من عَسِيب الريشة : وهي الظُّهْر والظُّهْران ، وقد ظَهَّرْت السهم .

(ه) البُطْنان : ما كان من تحت العسيب .

(و) المُفَزَّع : الذى رِيشَ بريش صِغار .

(ز) القزع : أصغر ما يكون من القُذذ .

(ح) المُغْبر والعَبِر : الموفَّر الرِّيش بمنزلة الشاةِ المُغْبَرَة .

٢ — لا استعمال لها في الجيش .

نِصَال السِّهام (١)

١ (ا) النَّصل : كل حديدَة من حدائد السهم نَصل . (ج) : أنصُل

[١] انظر التفاصيل في المخصص ٥/٥٦ - ٥٨ .

[١] انظر التفاصيل في المخصص ٥/٥٨ - ٦٠ .

ونِصَال ، وأنْصَلتُ السهم : جعلت فيه نَصْلاً .
ونَصَلَ السهمُ فيه : ثَبَتَ ولم يخرُج ونَصَلتُه أنا وقيل نَصَل : خرج . ونَصَل يَنصُل نُصُولاً : فارقَ القِدْح . ونَصَّلتُ القِدَح : جعلتُ فيه نَصْلاً وأنصلْتُه : نزَعْتُه منه .

(ب) من النِّصَال المِعْبلة : وهو المُعَرَّضُ المطوَّل . والمِعْبلة : على هيئة الحربة .

(جـ) المِشْقص : النَّصْل الطَّويل وليس بالعريض .

(د) السَّجْف من النِّصَال : الطويل ، وقيل : العَّريض .

(و) المِصْدَع : المِشْقص .

(ز) القِطْع : النَّصْل القصير العريض .

(ج) أقطَاع وقُطْعان .

(ح) السِّرْية والسِّرْوَة : وهو المُدوَّر المُدَمْلك ولا عَرْضَ له . والسِّرْوَة كأنها مِخْيط أو مِسَلَّة ليست لها حُروف ولا شَفْرَة .

(ط) المِرْماة : مثل السِّرْوَة فى الأدماج ، وقد يُسَمّى به السهم .

(ى) القُطْبَة : نِصال الأهداف . (ج) : القُطْب والقُطَب . وهى أقصر المِرْماة .

(ك) المِغْلاة : كالقُطْبَة .

(ل) القِتْر : نحو القُطْبَة ، وقيل : نحو المِرْماة . واحدته : قِتْرَة . وهو نَصْل قَدْرَ الأصْبع .

(م) الرِّهاب : النِّصَال الرِّقاق . وهو القَصَب الذى يُرْمى به الأهداف .

(س) النَّضِيُّ : النَّصْل ، وقد تقدّم أنه القِـدح .

(ع) النَّصْل العُفَارِىُّ : الجيِّد .

(ف) المِزْدَعَـة : من النِّصَال وهى مثل النَّواة .

(ص) المِزْراق : حديدةٌ طويلة .

(ق) المِسلَّة : حديدة حادّة إلى الطُّول والدِّقَّـة .

(ر) السُّلاَّءة : الطويلة ، أصله من السُّلاَّءة : وهى شوكَة النَّخلة ، ويُسَمّى هذا الضَّرْب من النِّصَال : الدِّرْعِيَّة ، لأنها تَنفُذ فى حَلَق الدِّرْع .

(ش) القِرَّيْع : النَّصْل العريض الواسع الجُرْح ، (ج) : قِرَاع .

(ت) السَّاوُف : نصلٌ عريض .

(ث) السَّلْجم : الطويل العريض .

(خ) الأحذُ : النَّصْل الخفيف .

(ذ) المِغْول : النَّصْل الطويل القليل العرْض الغليظ المتن .

(ض) الأنْجَر : العريض الواسع الجرح .

(ظ) الأفطح والمفطوح : المُعرَّض الأبيض المبْرود ، فإن جُلِيَ بعد ذلك وصُقِلَ فهو أبْرق للونه وأصلع لملاسته وبَريقه ، فإن بُرِد وحُلِّيَ ثم لُوِّح بعد ذلك على الجمْر حتى يَخضَرَّ فهو أوْرَق ، فإذا اشتدَّ سواده فهو أطْحَل ، فإذا بَرْداً خَفِيفاً فلم يذهب سوادُه كُلُّه فهو أشْهب . وأجْود الحدائد ما عُمِل بحجر ولهذا قيل : النِّصَال الحَجْرية .

(غ) المِنْزَع : الحديدة التى لاسِنْخَ لها ، إنما هى أدنى حَدِيدة تدْخُل فى الرُّعْظ لا خير فيها .

(لا) النَقَال : ضَرْب من نِصَال السِّهام . الواحدة : نَقْلة .

٢ — لاتستعمل فى الجيش العراقى حالياً .

أسْمَاء فى ما النِّصَال

١ — (ا) فى النَّصْل قُرْنَتُه : وهى طَرَفه . وقَرْنه : طَرَفه .

(ب) وفيه ظُبَتُه : وهى طَرَفه .

(جـ) العَسِير : المُرْتفع فى وسطِه .

(د) الغِراران : الشَّفْرتان . والغِرار : المِثال الذى يُضْرَب عليه النَّصْل ليُصْلَح .

(ج) : أغِرَّة .

(هـ) الكُلْيَتَان : ما عن يمين النَّصْل وشماله . كُلْيَتُه : حيثُ عَرُض مما يلى الرُّصاف . وقيل : ما فَوْق الثُّلُثَين من النَّصْل .

(و) طُرَّتان النَّصْل : حَدّاه وإذا كانت الأغِرَّة طِوَالاً تَامَّة . قيل : أُسْلِيت .

(ز) ذَلَق النَّصْل : مُسْتدقُّه . وكذلك أسَلَتُه .

(ح) سِنْخُ النَّصْل : الحديدة التى تُدْخل منه فى رأس السَّهْم .

٢ — يمكن استعمال هذه المصطلحات فى أسماء ما فى الحرْبة ، وهى مناسبة لذلك كلَّ المُناسَبة .

أحْدادُ النِّصَال وغيرها من الحدائد

١ — (ا) أحْدَدْتُ الحديدةَ وحدَدْتُها ، وهو نَصْلٌ حَدِيد وحُداد . وحَدَدْتُها أحُدُّها حدًّا وأحْدَدْتها ، وشَفْرَة حَدِيدة وحَدِيد وحُدَاد ، وجمع الحدِيد والحَدِيدة والحُدَاد : حِدَاد . وحَدُّ السَّيف وغيره : طَرَف شَبانة .

(ب) نَصْلٌ وقِيعٌ : حَديدٌ وَوَقَعْتُ الحديدةَ وَقْعاً : أَحْدَدْتُها وَوَقَعْتُ المُدْيَةَ والسهم والسيفَ إذا كان مَغْلولاً فوضعته بين حجرين وضربتُ بالمِيقَعَة – وهى المِطْرَقة ليستوى فلولُه واستوقعَ السَّيفُ : احتاج إلى الشَّحْذِ .

(ج) نصلٌ رَمِيض وشَفْرَةٌ رَمِيض ، وقد رمَضْتُها أَرْمِضُها وأَرْمُضُها رَمْضاً : أَحْدَدْتُها .

(د) نَصْلٌ فَتيقٌ : حَدِيد الشَّفْرتين ، كأن إحْداهما فُتِقَت من الأُخرى .

(ه) نَصْلٌ طَرِبٌ : حديد . وطَرَرْتُ الحدِيدَة أُطُرُّها طرا وطُرُوراً : أَحددتُها .

(و) الذَّرَبُ : الحِدَّة . والذَّرِبُ : الحادُّ من كل شيء . وقد ذَرَبَ ذَرباً وذَرابة . ولِسَانٌ ذَرِبٌ : حَدِيد الطَّرَف منه .

(ز) والنَّحِيض والمَنْحوض : النَّصْل المرَقق المحدَّد . وكل قليل اللحم مَنْحوض .

(ح) المُذَلَّق : المُحَدَّد طرَفُه . وهو المُذْلَق والذَّلَق : الحِدَّة . وقد ذَلُقَ ذَلاَقَةً فهو ذَلِيقٌ وذَلِقٌ .

(ط) المُؤَلَّف : المُحدَّد طرفُه .

(ى) المُرْهَف : المُرَقَّقُ . ورَهَفْتُ الشيءَ وأَرْهَفْتُه : رَقَّقْتُه . وقد رَهُفَ رَهَافَةً فهو رَهِيفٌ .

(ك) المَسْنُون : المُحدَّد . وقد سَنَنْتُه أَسُنُّه سَنًّا .

(ل) الغُرَاب من كل شيء : حَدُّه .

(م) الحَلِيفُ : الحدِيد .

(ن) المُحَذْلَقُ : المُحَدَّد .

(س) شَحَذْتُ السكين والسَّيفَ ونحوهما – أَشْحَذُها شَحْذاً : أَحْدَدْتُه ، فهو مَشْحُوذ وشَحِيذٌ .

٢ – (ا) أَحْدَدْتُ السَّيْفَ : شَحَذْتُه .

(ب) سَيْفٌ مسنُون : مَشْحوذٌ . والمِسَنُّ آلةٌ سَنِّ السَّيْف أو الحربَة ، وهى من آلات أرباب الحرف فى وَحَدَات المشاة وكتائب الخيالة وفى المعامل الحربية .

(ج) شَحَذْتُ السَّيف : أَحْدَدْتُه ؟

محمود شيت خطاب

باب الفتوى

يقدمه الأستاذ : محمد أبو شادى

رأى الإسلام فى شهادات الاستثمار

المجموعة – ج – :

السؤال من السيد / صاحب الفضيلة الشيخ عبد اللطيف مشتهرى مراقب عام الوعظ بالأزهر .

هل يجوز التعامل مع البنك الأهلى فيما يختص بشراء شهادات الاستثمار ذات الجوائز – حرف ج – ويكون المبلغ الذى يعطى كهبة من البنك لمن يختاره البنك بطريق القرعة حلالا شرعا ؟

الجواب :

إن هذه المعاملة تتضمن ثلاث مراحل :

١ – إيداع مبلغ من المال لدى البنك يذهب المواطن إلى البنك فيسلمه جنيها أو أكثر ويأخذ شهادة ذات رقم متسلسل عن كل جنيه مما يودعه ، ويلاحظ أن فى هذه المرحلة مظهرين هامين :

(أ) إنه لم يشترط فى الإيداع ربح مطلق وبهذا المظهر يخالف هذا النوع من الإيداع جميع أنواع الإيداع الأخرى ذات الفائدة ، فإنهم يشترطون فيها قدراً من الربح منسوبا إلى رأس المال ، فهذا إما وديعة وإما قرض وكلاهما جائز .

(ب) إن المبلغ المودع لا يضيع هو ولا جزء منه بحال من الأحوال ولصاحب الوديعة أن يستردها كلها أو بعضها متى شاء وبهذا المظهر خالف هذا النوع من الإبداع القمار وأوراق اليانصيب .

٢ – إن البنك بعد أن يهب عدداً محدودا من المودعين مقادير معينة من المال ولكنه لا يعين واحداً منهم .

٣ – إن البنك يعين العدد الموهوب له بواسطة القرعة الموثوق بها بضمانات معينة يطمئن إليها أهل الحل والعقد كما يطمئن إليها الجمهور من المودعين وغيرهم .

وكل من الهبة والوعد بها أو القرض جائز شرعا ولا شبهة فيه ، واستخراج

الموهوب لهم من بين عدد أكثر منهم بواسطة القرعة جائز أيضاً .. فقد كان النبي - ﷺ - إذا أراد سفرا أقرع بين زوجاته فأيتهن خرج سهمها اصطحبها فى سفره ، وأئمة المذاهب كلها يصورون قسمة المال المشترك بين أصحابه بأنها تكون عن طريق القرعة إذا اختلف أصحاب الأقسام ولو أن رجلا وهب عشرة من مساكين قريته قدراً من المال ، ومساكين القرية أكثر من العشرة فإنه يعينهم بنفسه أو بمن يختاره أو بالقرعة .

ومن هنا نعلم أن هذه المعاملة جائزة لا غبار عليها لأنها مؤلفة من ثلاثة أعمال كل واحد منها فى ذاته جائز ، ولا شك أن المؤلف من الجائزات جائز .

السؤال من السيد/ يوسف السيد حسانى

هل يجوز الاكتفاء بسماع خطبة الجمعة من جهاز الراديو دون أن يكون الخطيب موجوداً بين جماعة المصلين ؟

الجـواب :

إن خطبة الجمعة من الأعمال التى توارثها المسلمون فى جميع الأقطار من عهد النبى صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا ولم ينقل عن عصر ما أن جماعة من المسلمين أدوا صلاة الجمعة من غير خطبة .

وكذلك توارث المسلمون من عهد النبوة إلى يومنا هذا أن يكون لكل جماعة تجتمع لأداء صلاة الجمعة خطيب يقوم بينهم فى المكان الذى يقيمون فيه الصلاة يعظهم ويرشدهم ويرد إلى الصواب من يراه منهم قد حاد عن طريقه فارتكب ما لا ينبغى أو ترك ما ينبغى . ولا ريب أن مجرد سماع الخطبة من شخص يرسلها من مكان غير المكان الذى يجتمع القوم لا يحقق هذا التوارث ولا يصح فى متعارف الناس أن يطلق على ذلك الشخص أنه خطيب القوم .

هذا وقرر الفقهاء بالنظر إلى خطيب الجمعة أحكاما لا يتصور تطبيقها إلا إذا كان الخطيب مع القوم فى المكان الذى يقيمون فيه الصلاة .

ومن هذه الأحكام اشتراط حضور جماعة من الناس الخطيب وقت الخطبة حتى تكون الخطبة صحيحه محققة كشرط لصحة الجمعة وإن كان الفقهاء قد اختلفوا فى أقل عدد يتحقق به هذا الشرط ، ومن المعلوم أن سماع الناس خطبة الخطيب معناه وجودهم

معه فى مكان الاجتماع وقت الخطبة ، فهو شىء غير السماع الذى يكون دون حضور. فالسماع وحده لا يحقق الشرط المطلوب لصحة الخطبة .

ومن هنا صرح المالكية بأنه يشترط فى صحة الخطبة أن يكون الخطيب داخل المسجد الذى تقام فيه الجمعة ولا تصح الخطبة إذا كان الخطيب فى رحبة المسجد أو فى الطرق المتصلة به ، فمن باب أولى لا يصح إذا كان الخطيب يذيع خطبته من غير مكان الاجتماع .

السؤال من السيد/ محمد حسن رشدى

سافر زوج مع زوجته وأولادهما الأربعة إلى أمريكا ، وأثناء حياتهما الزوجية هناك حدث سوء تفاهم بين الزوجين ، فرفعت الزوجة دعوى لتطليق نفسها فقدم الزوج وثيقة طلاق صادرة من القاهرة مفيد بها أن زوجته طلقت طلقة أولى رجعية ، وتحمل تاريخ صادراً أثناء حياتهما الزوجية التى كانت قائمة بينهما فى منزل واحد والتى استمرت قبل وبعد الطلاق المذكور لفترة طويلة فما حكم هذه المعاشرة الزوجية اللاحقة على صدور الطلاق المذكور والذى تم بتفويض من الزوج لأخيه المقيم فى القاهرة .

الجـــواب :

نفيد بأنه حيث أن هذا الزوج طلق زوجته المذكورة طلقة أولى رجعية فيكون له مراجعتها — إعادة الحياة الزوجية — ما دامت فى العدة . وهى الفترة التى ترى فيها الزوجة العادة الشهرية ثلاث مرات إن كانت ممن تحيض أو مرور ثلاثة أشهر إن كانت ممن لا تحيض أو لحين وضع الحمل إن كانت حاملا . وحيث أن هذا الزوج قد عاشر زوجته معاشرة مستمرة أو لمسها قبل الطلاق وبعده كما ذكر فى هذا السؤال فإن هذه المعاشرة الزوجية تكون رجعة للطلقة المذكورة وتكون الزوجية قائمة بينهما وتحسب عليه هذه الطلقة وتكون معه هذه الزوجة على طلقتين والله تعالى أعلم ؟

محمد أبو شادى

أنباء وآراء

دعامتا الدولة الإيمان والعلم :

جاء في خطاب الرئيس أنور السادات الذي ألقاه بمسجد الإمام الحسين رضي الله عنه ليلة الاحتفال بذكرى مولد المصطفى ﷺ :

إن خير من نتأسى به في يومنا هذا ، وفي معركتنا هذه ، هو محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، فبرسالة محمد ﷺ وهي رسالة الإيمان ، قامت الأمة العربية ، وقامت حضارة يعترف الأوربيون اليوم بأنهم أخذوا عنها ، من كل العلوم ومن كل الفنون ، أشياء لا يستطيعون إنكارها .

وإنما كان ذلك حينما جمع محمد ﷺ هذه القبائل المتناثرة . . . المتنافرة ليجعل منها أمة الإيمان . . أمة الرسالة . . أمة الحضارة .

ولعلنا - عبر تاريخنا كله - أننا ما اجتمع العرب أبداً إلا كانت لهم مكانتهم ، وما تفرق العرب إلا ذلوا وتسرب إليهم المستعمر والدخيل .

إننا بعون الله وبإرادته سنبني دولتنا على الإيمان والعلم .

إنني مؤمن بأن الله سبحانه وتعالى معنا ما دمنا محافظين على وحدتنا ، وأدعوه سبحانه أن يهبنا صلابة الإيمان ومتانة اليقين وحلاوة الصفاء ، وفقكم الله .

● من أسرة المجلة إلى رئيس الجمهورية :

أبرقت أسرة المجلة إلى السيد أنور السادات رئيس الجمهورية بمناسبة قضائه على مراكز القوة المضادة للوحدة الوطنية بالبرقية التالية :

السيد الرئيس أنور السادات رئيس الجمهورية - القاهرة

أسرة مجلة الأزهر ، وقد هزها من أعماقها اعتزازك بالله وثقتك بالشعب وأملك في المستقبل ، تعلن أنها معك حرب على من حاربت بالقلب والقلم واللسان والدم ، لأنها ترى فيك خصائص الشعب المصري العربي المسلم ، والمصرية والعروبة والإسلام مفاخر أئمتك الله أمينا عليها حارسا لها ، وفقك الله ورعاك ، وسدد على الصراط المستقيم خطاك ، ورفع بك راية الإسلام وأعزك به وبالعمل له .

عن أسرة المجلة

عبد الرحيم فودة

كلمة الرئيس فى وفد الأزهر :

جاء فى كلمة الرئيس السادات التى وجهها إلى علماء المسلمين وعلى رأسهم فضيلة الأستاذ الأكبر الدكتور محمد الفحام يوم الأحد ٢١ من ربيع الأول ١٣٩١ الموافق ١٦ مايو سنة ١٩٧١ ما يلى :

فضيلة الأستاذ الأكبر .

السيد وزير الأوقاف .

إخوتى وأصدقائى رجال الدين ، الحفاظ على رسالة الإيمان ، أشكر لكم سعيكم وأشكر لكم مشاعركم .

إننا ـ ونحن نحارب معركة المصير ـ نسير فى ثلاث طرق متوازية :

البناء العسكرى ، وهو الأساس .

الكفاح السياسى ليعلم العالم والعدو والصديق سعينا إلى السلام القائم على العدل .

بناء الدولة الحديثة القائمة على العلم والإيمان .

علينا أمانة وتبعات فى بناء دولة العلم والإيمان .

عليكم تبعات وأنتم سدنة هذا البناء الجديد لكى يقوم الإيمان ـ كما أراده الله سبحانه وتعالى فلا نخشى الإنسان أحدا إلا الله .

إنى لن أفرط فى الأمانة ، وأنتم أعلم منى بقوله تعالى : « إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان »

أشكر لكم مجيئكم وسعيكم ، وأحملكم إلى الأخوة من رجال الدين هذه الرسالة وهذه الأمانة حتى نلقى الله سبحانه وتعالى بقلب سليم . والله يوفقكم والسلام عليكم ورحمة الله .

● المغفور له الدكتور محمد أحمد الغمراوى

فقدت مجلة الأزهر علما من كتابها هو الأستاذ الدكتور محمد أحمد الغمراوى أحد علماء مصر المعدودين فى الطبيعة ، وأول رئيس لقسم العلوم بجامعة القاهرة وعضو لجنة التأليف والترجمة والنشر عنه إنشائها . وهو صاحب كتابى : « النقد التحليلى لكتاب فى الأدب الجاهلى » ، و « السنن الكونية » .

ويعتبر ـ رحمه الله ـ حجة فى الكونيات فى القرآن ، وله فيها أكثر من عشر مذكرات بين أيدى طلبة الدراسات العليا بكلية أصول الدين جامعة الأزهر ، واختير ـ رحمه الله ـ عضوا بلجنة التنسيق المنبثقة عن « لجنة التفسير الوسيط » بمجمع البحوث الإسلامية .

وافاه القدر المحتوم ٩ من ربيع الأول ١٣٩١ الموافق ٤ من مايو ١٩٧١ تغمده الله برحمته وأثابه من فضله . إنه سميع مجيب ؟

على الخطيب

to promote economic collaboration and integration between Muslim countries.

Secondly : On what is related to Man's self - respect.

The conference pronounces that Islam had proclaimed the self respect of man, and the maintenance of his rights. The conference rigoreurly condemns racial discrimination as practised by certain states which claim to be civilized.

Thirdly : on what is related to the Holy Quran.

1 — "The conference cautious Muslims against what is published by the enemies of Islam about the Holy Quran, whether the distortions occur in writings of certain baised orientalists, or in those of others who either plot against Islam or endeavour to mislead Muslims far from the Right Path.

2 — As regards the Quranic Qiraat, readings, the conference declares that these readings are not the outcome of the exercise of judgement, but they had been Divinely Revealed, and that they are "Qiraat mu'awatirah", readings based on identical reports that had been transmitted by numerous reliable authorities.

3 — The conference recommends encourging the readers of the Holy Quran provided that they should not confine themselves to the reading of 'Hafs', so that the recital of other readings might not fall into oblivion or become obsolete.

(Continued from page 13)

nations are converted (Deut. 7 : 1-6; Ezra 9 : 11 ; Isaiah 60 : 6).

Such is the essence of the present conflict, which is accidentally described as the Palestinian or the Arab question but is none other than the question of liberal monotheism fraturnity, love, tolerance, justice on the one hand, and the question of arrogant and exclusive racialism based on ancient myths, on the other.

Once this fact is realized by the whole world, particularly by Western Christendom which labours under misleading delusions, the world will rise to defend the dignity of man as man, and falsehood will vanish. "Lo ! Falsehood is ever bound to vanish".

acquainted with each other and that cordial fellowship can be promoted through the following :

a) The publication of an Islamic year-book containing genuine data about Muslim countries, their population, and religious, social, economic and cultural affairs.

b) Encouraging the making of tours to Muslim countries for both individuals and groups.

c) Furthering the exchange of scholars and students between Muslim countries and communities, covering all educational levels.

3 — The Conference recommends realizing a unified intellectual and religious outlook. by :

a) Calling upon Muslims to hold fast by the Book of God and the Sunn of His Apostle (P. B. U. H.) within the law-schools derived from Islam, without adhering to sectionalism that would cause dissension instead of accord.

b) Applying the infunctions of the shariat bearing on family status, money transactions, and social prohibitations. Every Muslim society conforms to the law-school that is predominantly obtaining in its territory.

c) Disseminating knowledge about the injuctions of the shariat to Muslims who are in need of acquiring a deeper insight into their religious affairs.

4 — The Conference recommends the realization of cultural unity among Muslims, through :

a) Propagating the language of the Holy Quran in all the Muslim countries. Hence Arabic should be one of the languages that has to be taught in the intermediate and secondary scools in Muslim countries.

b) Encouraging the translation of works on secular discipline into Arabic in accordance with the various educcational levels.

c) Emphasizing what had been recommended by the fifth conference as regards establishing committees formed out of the Academy Members and other Muslim personages. Each committee has to be closely and uninterruptedly linked with the Academy to carry out the injunctions of the Islamic Call, to execute the resolutions of the conference, and to promote the exchange of visits.

5 — The Conference recommends that efforts be exerted to establish an Islamic economic union, (covering the whole world of Islam). For this reason, it calls upon those who are in autherity (in Muslim states) to render less difficult customs measures, and to work out all the appropriate plans that are most requisite

The Second Session of the Sixth Conference of The Islamic Research Academy (10-27th April 1971, Cairo)

The Sixth Conference has held its Second Session presided by the Grand Imam, His Eminence Dr. Muhammad Muhammad el Fahham, Rector of the Azhar, with the attendance of the Academy Members. The meetings started on Saturdoy 14th Safar, 1.91 A. H. (10th April, 1971 A. D.), and went on till Tuesday 2nd Rabi Awwal, 1391 A. H. (27th April, 1971 A.D.).

The meetings of the Second Session have been devoted to hear and study the following research papers :

- Two papers on the "Weltanschauung" of Islam. by : Dr. Muhammad Abdu Rahman Baissar, and Dr. Ali Hassan Abdul Qadir.
- Two papers on the Rights of Man in Islam. by : Prof. Muhammad Khalafalla Ahmed and Dr. Uthman Khalil Uthman.
- One paper on the Creed and leadership in Islam by : Genral Sheeth Khattab.
- Four papers on the 'Holy Quran, its qirâ'at, readings and orthography'.

After the discussions of these research papers, the Academy issued the resolutions and recommendations of the second session, which starts with a call "to the Muslim nation, individuals and groups, peoples and governments, trusting that every muslim man and woman and society would adopt them as a working guide and rule of life" and by "Imploring God, be He Exalted, to bless the efforts that led to establishment of the Federation of Arab republics, and to favour them with His Support and Guidance".

The prominant points of the resolutions are :

First : Towards the way leading to Islamic Unity.

1 — The Conference recommends that an appeal to Islamic Unity be sent, on its behalf, by the grand Imam of the Azhar to Muslims in all countries and communities.

2 — The Conference recommends that Muslims should be closely

was the fortress which David had taken from the Jebusites — the Canaanites — and built there his city where he carried the ark of the covenant, and so Zion became so dearer to the Lord than any other place that He dwelt in it, "So shall ye know that I am the the Lord your God dwelling in Zion, my holy, mountain : then shall Jerusalem be holy, and there shall "no strangers pass through her any more". (Joel 3 : 17) Zionism is a violent yearning for reviving David's kingdom exclusively for racialists.

4 — The Israeli constitution provides for the Jewish world character of the State, which is purely racial. It says that the State shall be established on the principles of freedom, justice, and peace as conceived by the Prophets of Israel. The conception of these Prophets is explained in the Talmud as already mentioned.

5 — Sometimes phrases connecting the State with religion slap from Israeli leaders. Moshé Dayan, for instance is quoted as saying, "So long as the book of books that in the Bible exists; so long as the people of the Bible exist, the land of the Bible must exist. Ben Goreon has also made bold declarations, implying extreme racialism.

6 — The opening of the country to a constant stream of Jewish immigration tends gradually to wipe out the Arab character and to intensify racialism.

7 — The phrase "historical boundaries reiterated by their leaders signifies the revival of the recial state of David.

The fact which must to-day be known by the whole world and which the racial leaders try to conceal is that the real conflict is not raging between the Arabs and the Israelites, nor between Muslims and Jews — as it now seems to appear — but rather between two philosophies in life. One philosophy says that men are brethren, whether they like it or not that human bloods are equal, that peaceful co-existence is an indispensable necessity in the age of space and atomic weapons that justice, right, good, equality and equal opportunities for all must reign supreme, free of all strings and shackles so that the human family may live in peace, freedom and tranquility. The other philosophy is an obsolete one which says that God chose a people to be special unto Him, that God, is the deity of this people alone, that all the other peoples are filthy, being created to look after the sheep and plough the vines of the chosen people to whom the abundance of the sea and the wealth of

(Continued on page 16)

to suffer them. "The whole story is told in the Book of Esther (chapter 3 : 8). Josephus the Jewish historian who flourished in the first century A. D. remarked that all the disasters that befell Jews were due to their religious fanaticism.

Anti - semitism was essentially a reaction to racialism. Wherever the Jews behaved proudly towards their compatriots, followed their racial teachings in dealings with men, anti - semitism would soon flare up to pursue them with the nemesis of ouraged humanity. Although the Israelites found in the United States a freely living space the like of which is nowhere to be found, Henry Ford the first exposed them in his book, The International Jew and prefaced each chapter with a quotation from Zionist sages indicating their racialist tendencies ambitions, and hopes.

C) As a result of racialism, the Zionist movement appeared in the guise of a religious poor in the middle of 16th century. A. D. of one seeking refuge from persecution in the 15 — 19 centuries, of one aspiring for a national home early in the 20th century, of a citizen defending its interests in the middle of the 20th century, and of a soldier fully, armed to attack rear and threaten in the second half of this century.

The Zionist movement assuming the form of the so - called Israel is therefore a racial move with its roots running in the depths of history. It is wholly welded with religion with a view to establishing a racial state in which holy blood is not to be mixed with the blood of unholy peoples.

Racialism is the basic rule on which Israel is established to - day, and which Jesus Christ and Islam abolish in general and in detail. As a proof of this racialism, the following points may be mentioned :

1 — The choice of Palestine alone from among the countries of the world as the Promised Land is closely associated with the racial covenant already explained and which has no moral or human justification.

2 — The choice of "Israel" as a name for the State is a revival of the covenant made to Israel by their Deity with all its spirit, aim, and meaning in the book of Deuteronomy. It is a covenant based on genocide expulsion and humiliation, as already mentioned.

3 — The slogan "Zionism" is of an obvious racial signification. Zion

5 — According to the Talmud the oath sworn by a jew in his dealings with other people is invalid for it is as if he swore to a brute.

6 — The Book of Leviticus says: " In righteousness shalt thou judge thy neighbour. Thou shalt not go up and down as a tale-bearer among the people; neither shalt thou stand against the blood of thy neighbour.

Thou shalt not hate thy brother in thine heart. Thou shalt not avenge nor bear any grudge against the children of thy people, but thou shalt love thy neighbour as thyself (Leviticus 19 : 15 — 18)

7 — The Talmud says that God dœs not forgive a jew who returns to a gentile is lost money, for it is inadmissible to return to gentiles their lost things.

8 — The Talmud ex communicates anyone who sells a field or a garden to a gentile. Accordingly the Jewish companies in Palestine prohibited the transference of land from a jew to an Arab.

10 — The Talmud provides that anyone who helps a pagan out of a ditch, spares the life of an idol worshipper. A Jew should, therefore, block with a large stone any ditch into which a pagan falls.

Such are the rules of racialism in the Talmud and the old Testament. I have passed over the words derogatory to the Christ and the Christians.

— 4 —

What was the result of this racialism ?

A) The Israelites could not submit to the rule of gentiles. They often rebelled against their Roman rulers. They even revolted against the people of Shechem who settled them in their lands, accorded them a hearty welcome and agreed to become related to them by marriage. They kept aloof from the Western christians in Europe, and established solitary quarters for themselves under the name of ghettos in all the European cities.

B) Racialism gave rise to what is known in history as antisemitism, brutal massacres, and Inquisition. It is related that anti-semitism had been already known in the second century B. C. when Haman a Persian minister said to Ahasuerus, "There is a certain people scattered abroad and dispersed among the people in all the provinces of the kingdom, and their laws are diverse from all people; neither keep they the king's laws : therefore it is not for the king's profit

Talmoud in its two parts : the Mishnah and the Gemara — the Palestinian Talmud in the second century A. D. and the Babylonian Talmud in the 5th. cent. A. D. — they expatiated upon, racialism, glorified and adored the Jewish people, went to extremes in the condemnation of non-jewish peoples especially the Christians, and allowed the Israelite to commit anything repugnant to person or morallity. All this formed the rules of racialism based upon dogma and covenant, rather than upon morality and contract. They may be summed up as follows :

1 — According to the Talmud the Jewish souls differ from other ones in that they are a part of God just as the son is a part of his father. Just as man is a love beasts so jews are superior to other peoples of the earth, for the offspring of the gentiles is like that of the horse. The chosen people of God alone deserves eternal life. The phrase, " Do not kill " in the commandements of Moses means "Do kill" an Israelite, for God shall condem the killer of a Jew as if he had killed all mankind.

2 — The Talmud states that God has given Jews all authority over nation goods and bloods. A gentile theif shall be punished but a jew is allowed to rob and cheat a gentile of his money, for it prescribed in the old Testament "Cheat not your relative" not the gentile.

3 — The book of Deuteronomy says, "Thou shalt not lend upon usury to thy brother; usury of money, usury of victuals, usury of any thing that is lent upon usury. Unto a stranger thou myst lend upon usury, but unto thy brother thou shalt not lend upon usury. (Deut 23 : 19, 20). The Talmud says. "You are allowed to cheat the gentile and obtain his money through exorbitant usury but it is forbidden to deceive or cheat your jewish brother if you sell or buy anything from him".

Again the Book of Deuternomy says, "Ye shall not eat of anything that dies of itself : thou shalt give it unto the stanger that is in they gates, that he may eat it ; or thou mayest sell it unto an alien for thou art an holy people unto the Lord thy God. (14 : 21)

3 — Moses says : "Neither shalt thou desire thy neighbour's wife" (Exodus 20 : 17 ; Deut 5 : 21) ; he who commits adultery with his neighbour's wife deserves death. The Talmud applies this rule only to the Jewish neighbour, and so it is allowed to commit adultery with the wife of a stranger.

unilateral. It has no moral. Justification, for it was given to a people who did not deserve it, being stiffnecked and hard-hearted.

It might be said that the Holy Quran admits that the sons of Israel are preferred to all creatures as is evidenced by the verse : " O children of Israel ! Remember My favour wherewith I favoured you and how I preferred you to all creatures ". The answer is that the preference referred to by this verse is both temporary and conditional. It is temporary because the Israelites were at that time monotheists in a pagan world and so the idea of preference applied to every monotheist. It was conditional because it depended upon the fulfilment of the covenant made with Allah according to the verse" : " Oh Children of Israel Remember My favour wherewith I favoured you and fulfil your covenant, and fear Me." (Sura 2:40) Hence, in case of non-fulfilment, the favour would vanish. Both the Holy Quran and the old Testament indicate the rebellion of the Israelites who repeatedly broke the covenant. The book of Deuteronomy predicted : " And the Lord shall scatter thee among all people from the one end of the earth, even unto the other . . . . And among these nations shalt thou find no ease, neither shall the sole of thy foot have rest, but the Lord shall give thee, there a trembling heart, ... and " sorrow of mind". (Deut 28 : 64).

In time of David the Jews re-affirmed the covenant and went to extremes in their idea of racialism so more so that God took David from following the sheep, to be ruler over Israel that God was with him withersover he went and had cut off his enemies out of his sight (II sam. 7 : 8, 9) that God chose " Zion " in Jerusalem, and desired it for his habitation (Ps. 132 : 13), that God would make David's seed to endure for ever and his throne as the days of heaven. (Ps. 89 : 29).

The kingdom of David, however, lasted no more than seventy years being divided into two parts : the northern and southern. This was followed by the Assyrian and the Babylonian captivity, the destruction of the Temple and of the Capital, and, the dispersal of the Jews everywhere. Therefore the covenant of their Diety was not fulfilled.

– 3 –

As for the germ of ràcialism, it appeared in the old Testament. When the Rabbis wrote the

to be a perulisr people unto Himself, above all the nations that are upon the earth. He made an everlasting covenant with that people granting them whatever they pleased.

They shall ruin, possess and settle at will. Kings shall bow down to them and lick up the dust of their feet. God shall give them nations for their inheritance, and the uttermost parts of the earth for their possession. They shall break their enemies with a rod of iron, and dash them in pieces like a potter's vessel. They shall not give their daughters unto the sons of aliens, neither, take alien daughters unto their sons. They shall live a pure people free of the abominations of the gentiles". (Isaiah 49 : 14 — 26, Ps. 2, 8 — 9 Ezrah 9 : 11 — 12).

2 — The germ of this racialism is a unilateral — not a bilateral contract — which their God made at first with Abraham. "And I will establish my covenant between me and thee and thy seed after thee in their gomerations for an everlasting covenant, to be a God unto thee, and to thy seed after thee. And I will give unto thee, and to thy seed after thee, the land wherein thou art a stranger, all the land of Oanaan, for an everlasting possession, and I will be their God. He than re-affirmed the covenant to Israel — the name applied to the seed of Abraham, Isaac and Jacob — in these words." Hear, O Israel ! Thou art to pase over Jordan this day, to go in to possess nations greater and mighter than thyself cities great and fenced up to heaven :

Understand therefore this day, that the Lord thy God is he which gœth over before thee ; as a consuming fire he shall destroy them, and he shall bring them down before thy face : so shalt thou drive them out, and destroy them quickly. Speak not thou in thine heart, after that the Lord thy God hath cast them out from before thee, saying, For my rightnees the Lord hath brought me in to possess this land. Not for thy righ'ness, or for the uprightness of thine heart dost thou go to possess their land; but for the wickedness of these nations the Lord thy God doth drive them out from before thee, and that he may perform the word which the Lord sware unto thy fathers, Abraham, Isaac and Jacob. Understand, therefore that the Lord thy God giveth thee not this good land to possess it for thy righteousness ; for thou art a stiffnecked people".

This is Israel itself which has been revived in our age. The premise given is causeless and

crises, from the time of the pagan Roman rule to the time of the Crusades, the Inquistion, the European persecution, the Tsarist massacres, and of the Nazism in the twentieth century. This is confirmed by historians such as Ibraham Halkin, the Jewish writer who said, "The jew felt self-sufficient secure and tranquil in the Western world, without fusing his individuality into the population and the land of Palestine.

In that world the Jew felt that he settled in his native land, and lived among his people, being safe, secure, integrated with that world and optimistic of its future.

The experiences of the Jews during the centuries in which the Arab rule prevailed, constitute a significant stage of the scientific and social achievements of the Jewish community.

Nevill Barbour, the British historian says, "Under Islam Jews were in general happier than is Christendom. Arab Spain is often quoted as an example of the splendid position which could be enjoyed by Jews in the Muslim world".

How then have the Arabs and the Muslims been rewarded? Have they received goodness for goodness and kindness for kindness ? The facts of contemporary history hardly needs any answer. Suffice to mention the dispersal and displacement of the Palestinian Arabs, the destruction of their villages, the seizure of their houses, morques and foods, and the constant invasion which has exceeded the alleged historic bounds, and extended to Syrian and Egyptian lands.

What is the motive for this ingratitude and aggression which no human being or legal authority would approve ? It is none other than racialism represented in Zionism which continued to plan and plot, to bribe and mislead, to deceive and invade, until it established a state unique in its style throughout the world, drawing its inspiration from remote ages of nomadism, from principles of racial fanaticism, and false presumptions fabricated by the fancy of false prophets such as Nehemia and Ezra, and attributed to God (Glorified be He from that which they attribute to Him !)

— 2 —

What is racialism ? What is its first germ ? What are its bases and results ?

A) Raaialism is a firm belief that Allah chose a holy people

ISRAEL IS BASED ON RACIALISM

Among the Research papers heared by the sixth conference of the Islamic Research Academy was a paper presented by Dr. Isbaq Musa Al-Husaini, *member of the Academy, under the above title. In view of the importance and research value of the paper, the Magazine would like to publish the English version of it.*

The paper starts :

"Lord, bear witness that we believe in Your Apostles and Books, from Ibrahim, the father of the Prophets - Peace be upon him, to our master Muhammad - Allah bless him-in complaiauce with the verse of Your Holy Book :

« قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا
وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق
ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى
وما أوتي النبيون من ربهم، لا نفرق بين أحد
منهم ونحن له مسلمون » . (البقرة ١٣٦)

(Say, (O Muslims) : We believe in Allah and that which is revealed unto us, and that which was revealed unto Ibrahim and Ismail, and Ishac, and Jacob, and the tribes, and that which Moses and Jesus received, and that which the Prophets received from their Lord. We make no distinction between any of them, and unto Him we have surrendered). (Sura 2 : 136).

Lord, bear witness that we believe in human brotherhood that no one is to excel another in merit except on account of piety, according to the verse :

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر
وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا
إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم
خبير » . (الحجرات ١٣)

(O mankind ! We have created you male and female, and have made you nations and tribes that you may get to know one another. Lo ! the noblest of you, in the sight of Allah, is he who fears Him most. Allah is Knower and Aware). (Sura 49 : 13).

This is our attitude which has prompted the adherents or of other religions to seek refuge in our lands during the famous historical

faith which does not require action. So every article of faith means a principle to be carried into practice for the higher development of man. Just as Iman is the acceptance of the truth brought by the prophets, so kufr (unbelief) is its rejection. As the practical acceptance of the truth or the doing of a good deed is called Iman or part of Iman. So the practical rejection of the truth is called kufr or part of kufr.

It is quoted a report in the traditions of the Prophet relating to Abu Dharr who said that he abused a man, addressing him as the son of a negro woman, upon which the prophet remarked : "Abu Dharr ! thou findest fault with him on account of his mother, surely thou art a man in whom is Jahiliyya (the pre-Islamic or non-Islamic character). Bu. 2 : 22. The dividing line between Iman and kufr or between a believer and an unbeliever, is confession of the existence of God and His authority, and the prophethood of His messengers. In all Religious Books the existence of God is taken almost as an axiomatic truth. The Holy Quran, however, advances numerous arguments to prove the existence of a Supreme Being Who is the Creator and Controller of this universe.

The Holy Quran chiefly deals with the three kinds of arguments. Firstly, the arguments drawn from creation, which may be called the lower or material experience of humanity. Secondly the evidence of human nature which may be called the inner experience of humanity. Thirdly the arguments based on Divine revelation to man, which may be called the higher or spiritual experience of humanity.

The argument from creation simply shows that there must be a Creator of this universe, Who is also its Controller. The testimony of human nature proceeds a step further, since there is in it consciousness of Divine existence, so that consciousness may differ in different natures according as the inner light is bright or dim.

Among these three material, inner and spiritual experiences of humanity only revelation that discloses God in the full splendour of His light and shows the sublime attributes which man must emulate if he is to attain perfection, together with the means where by he can hold spiritual and moral relation with the Divine Being. The instinct to turn to God for help ; the readiness to make every sacrifice for His sake and the unqualified submission to the Will of his Maker and Nourisher, will implant in man the noble ideals and great moral qualities.

It means : "The power of Abu Lahab will perish, and he will perish. His wealth and gains will not exempt him. He will be plunged in flaming fire, and his wife, the wood—carrier, whill have upon her neck a halter of palm — fiber"
(111 : 1 — 5)

« إنا أعطيناك الكوثر ، فصل لربك وانحر ، إن شانئك هو الأبتر » .
(الكوثر ١،٣)

It means : " Lo ! We have given thee abundance ; so pray unto thy Lord and sacrifice. Lo ! it is thy insulter (and not thou) who is without posterity" (108 : 1 — 3)

« إذا جاء نصر الله والفتح . ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا . فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا » .
(النصر ١،٣)

It means : "When God's succour and triumph comes and thou see man kind entering the religion of Allah in troops. Then hymn the praises of thy Lord, and seek forgiveness of Him. Lo ! He is ever ready to show mercy". (110 : 1 – 3)

The belief in the Existence and Oneness of God is a source of man's upliftment, making him conscious of the dignity of human nature. It also will inspire him with the grand ideas of the conquest of nature and of the equality of man with man, so the numerous attributes of the Divine Being are really meant for the perfection of human charcter The Divine attributes really serve as an ideal to which man must strive to attain.

The man who seeks to attain to perfection must do good even to those of his fellow-men from whom he has not himself received, and does not expect to receive, any benefit. The believer knows that God is the Lord, Fosterer and Nourisher of the worlds. Keeping that as an ideal before himself, he must endeavour to make the service of humanity the object of his life. When he knows that God is conferring benefits on human beings and showing them love without their having done anything to deserve it; then he must also do good for others without having received any return.

According to Islam, belief is not only a conviction of the truth of a given proposition, but it is essentially the acceptance of a proposition as basis for action. Iman (Belief) really signifies the acceptance of a principle as a basis for action, and every doctrine of Islam answers to this description. Thus there are no mysteries, no dogmas and no

everywhere. But his determination grows stronger with the strength of the opposition and, while in the earlier revelation there are only general statements of the triumph of his cause and the failure of the enemy. Here are a few verses of the Holy Qur'an addressed to the Prophet :

« ما أنت بنعمة ربك بمجنون ، وإن لك لأجراً غير ممنون » . (القلم ٢، ٣)

It means : "By the grace of thy Lord thou are not mad. And thou shall surely have a reward never to be cutt off (08 : 2-3).

« إن مع العسر يسرا » (الشرح ٦)

(Surely with difficulty is ease) (94 : 5).

« ما ودعك ربك وما قلى . وللآخرة خير لك من الأولى . ولسوف يعطيك ربك فترضى » . (الضحى ٣، ٥)

(Thy Lord has not forsaken you nor does He hate you; And what comes after is certainly better for thee than that which has gone before, and soon will thy Lord give thee so that thou shall be well pleared). (93 : 3 5)

« إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد » . (غافر ٥١)

(Surely We help Our apostles, and those who believe, in this world's life and on the day when the witnesses shall stand up) 40.51.

« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا » . (النور ٥٥)

"Allah has promised to those of you to believe and do good that He will make them rulers in the earth as He made rulers those before them, and that He will establish for them their religion which He has choosen for them, and that He will, after their fear, give them security in exchange" (24 : 55).

After the general statements of the Divine help behind the apostles the Holy Qur'an refers to the failure of their enemies :

« تبت يدا أبي لهب وتب ، ما أغنى عنه ماله وما كسب ، سيصلى نارا ذات لهب وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد » . (المسد ١، ٥)

worlds, so His worshiper, His servant and His obeyer will do his utmost to serve the cause of humanity, and exercise care even for the dumb creation. The true believer knows that God is Loving and Affectionate to His creatures, so one who believes in Him and His attributes will be moved by the impulse of love and and affection towards His creation. He also knows that God is Merciful and Forgiving, so His servant must be merciful and forgiving to his fellow-beings. Without this ideal there is a void in man's life.

To take the examples of the great prophets and reformers, who brought about a moral and, even material, revolution in the world, and have lifted up humanity from the debths of degradation to the greatest heights of moral and material prosperity. These examples only show to what heights man's soul may rise if only it works in to relationship with Divine Being. There is in man's soul a yearning after its maker, the instinct to turn to God for help; there is implanted in it the love of Him for Waese sake it is ready to make every sacrifice.

The role of belief in God and the true relationship with Him, in the elevation of man is clear from the living example of Prophet Muhammad (peace be upon him). A solitary man arises in the midst of a whole nation which is sunk deep in all kinds of vice and degradation. He has no power at his back, not even a man to second him. Without any prelimiaries at all he sets his hand to the unimaginable and apparently impossible task of the reformation, not merely of that one nation but, through it, of the whole humanity. He starts with that One Force, the Force of Divine, which makes posibles the impossible. The cause was Divine, and it was on Divine help that its success depended; As it is clear from the first revelation :

« اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم ».
(العلق ١ ـ ٥)

It means : "Read in the name of thy Lord Who created, created man from a clot. Read : And thy Lord is the Most Bounteous, Who taught by the pen : Taught man that which he knew not".

With every new dawn the task grows harder, and the opposition waxes stronger, until to an calooker, there is nothing but disappointment

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER :

ABDUL RAHIM FŪDA

Rabi'Thani 1391	ENGLISH SECTION	JUNE 1971

Faith And Moral Qualities

By

A. M. Mohiaddin Alwaye

When a man is required to believe in God, is really required to make himself possessor of the highest moral qualities. He must set before himself the highest and the purest ideal of which the heart of man can conceive, and make his conduct conform to that ideal. The belief in God brings man closer to Him and makes His existence felt as a reality in his life. Then man can feel the presence of Divine Being and realize this truth in every moment of his everyday life and have the closest relations with his Creator.

Such a realization of the Divine Being creates a change in the life of man, making him an irresistible spiritual force in the world. The clearest and surest evidence relating to the existence of God is afforded by Divine revelation, which not only establishes the truth of the existence of God, but also casts a flood of light on the Divine attributes, without which the existence of the Divine Being would remain mere dogma.

It is through this disclosure of the Divine attributes that belief in God becomes the important factor in the evolution of man, since the knowledge of those attributes enables him to set before himself the high ideal of imitating Divine morals. It is only thus that man can rise to the highest moral eminence.

The belief that God is the real Maker and Nourisher of all the

٢٢٢٦٤
١٩٧١

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
« بدل الاشتراك »
٥٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٦٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء الخامس — السنة الثالثة والأربعون — رجب سنة ١٣٩١ هـ — أغسطس ١٩٧١

بسم الله الرحمن الرحيم

الصادق الواثق الذى لا يهاب ﷺ

للأستاذ عبد الرحيم فوده

فى صبيحة ليلة الإسراء الغراء أخبر النبى -صلى الله عليه وسلم- أم هانىء بما رأى من آيات ربه، فأخذها الإشفاق عليه من أذى قومه إذا حدثهم بما حدثها به، وتضرعت إليه أن يكتم هذا الأمر حتى لا يثير سخريتهم منه واستخفافهم به وحنقهم عليه .. فقالت : يا رسول الله لا تحدث قومك بهذا فيكذبوك ويؤذوك . .

ولم يكن — صلى الله عليه وسلم — ليغيب عنه ما سيثار فى وجهه من العواصف الرعن ، والفتن الهوج ، والسخرية الحمقاء ؛ لأن حديث العقل والمنطق لم يجد فيهم أذنا واعية ، ولا قلوبا صاغية . بل كان شأنهم معه كما يقول الله فيهم : (لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها) فكيف بهم إذا حدثهم بما لا يخضع لمنطق بشرى أو قانون علمى أو عرف شائع مألوف . . ؟

إنها الفرصة التى لا يجدون مثلها لإثارة الأرض والسماء عليه ، وزعزعة الثقة فى نفوس الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه ،

ولكنه - عليه السلام - لم يساوره شعور بالضعف أو الخوف ، لأنه كان واثقا بما رأى . مؤمنا بأن الله معه . موقنا بأن الحق كما يقول الله فيه (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق) ولهذا قال لأم هانىء غير متردد ولا عابىء : والله لأحدثنهم به ..

٢ - وغدا إلى المسجد الحرام ، وجلس فيه يفكر ويمعن فى التفكير ، حتى أقبل عليه أبو جهل فقطع صمته وتفكيره العميق بهذا السؤال : هل من خبر ..؟ فقال صلى الله عليه وسلم : نعم . قال أبو جهل : ماهو ..؟ فقال عليه السلام : أسرى بى الليلة ، قال أبو جهل : إلى أين؟ فقال - صلى الله عليه وسلم : إلى بيت المقدس. قال أبو جهل وهو يكتم الدهشة والسخرية : ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟ قال عليه السلام : نعم . فقال أبو جهل : أرأيت إن دعوت قومك أتحدثهم بما حدثتنى ..؟ فقال عليه السلام فى ثقة مطلقة وإيمان مكين : نعم ...

٣- ووجد أبو جهل الفرصة التى لا يجد مثلها للتشهير به . وصرف المؤمنين عنه ، وإثارة العواصف من حوله .. فانطلق ينادى بطون قريش ويستخفهم إلى شهود المفاجأة العجيبة الغريبة . فكان منهم معه ما كان من قوم فرعون إذ يقول الله فيهم : فاستخف قومه فأطاعوه ، وأقبلوا على النبى صلى الله عليه وسلم مسرعين . يمدون إليه أبصارهم ، ويصيخون له بأسماعهم . فلما اجتمعوا حوله . وأحاطوا به . لم يساوره - كذلك - الشعور بالضعف أمامهم . أو الخوف منهم ، بل قص عليهم القصة كاملة . ولم يكد ينتهى منها حتى عصفت بهم الدهشة والسخرية . وطاشت عقولهم فصاروا بين مصفق ، وواضع يده على رأسه من العجب ، وصائح بما لا يرضى من القول ..

٤ - وسعى بعضهم إلى أبى بكر - رضى الله عنه - يقولون : هل لك فى صاحبك .. يزعم أنه أسرى به الليلة إلى بيت المقدس .!! فقال - رضى الله عنه : أو قد قال ذلك ..؟ قالوا : نعم .. فقال : لئن قال ذلك لقد صدق ، قالوا : فتصدقه فى أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟ قال : نعم ، إنى أصدقه فيما هو أبعد من ذلك ، أصدقه فى خبر السماء يأتى إليه فى غدوة أو روحة .

٥ - وبذلك ارتفع أبو بكر - رضى الله عنه - بقوة إيمانه - إلى شرف القرب من الصادق الواثق الذى لا يهاب ، ولقب منذ ذلك التاريخ بالصديق ، وكان قوة كبرى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان الله معهما بعونه ورعايته وتأييده ونصره . كما قال تعالى : (إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا) .

٦ - وقبل ذلك وقف النبى صلى الله عليه وسلم . وحده أمام عمه ، وأمام المتحزبين ضده والمتألبين عليه من قومه فقال كلمته الخالدة : يا عم . والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته . .

إنه محمد - صلى الله عليه وسلم - الصادق الواثق الذى لا يرتاب ولا يهاب . والقوة الكبرى التى انتقل بها العالم كما قال العقاد رحمه الله : من سكون إلى حركة . ومن فوضى إلى نظام . ومن مهانة حيوانية إلى كرامة إنسانية .

٧ - ولم يقل أحد من المسلمين : إن الإسراء كان عملا من أعماله الخارقة حتى يرتفع اللغط بالخلاف أكان بالروح أو بالجسد ؛ بل قال صلى الله عليه وسلم أسرى بى ، وقال الله تعالى : (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا) وذلك يفهم منه أن الإسراء كان بقدرة الله ، فمن شك فيه فقد وقع فى شرك الشرك والكفر ، وكأنما نظر شوقى إلى ما قاله أبو بكر رضى الله عنه فى تعليل إيمانه به ؛ فقال فى نهج البردة :

مشيئة الخالق البارى وصنعته
وقدرة الله فوق الشك والتهم

وقال فى قصيدته الهمزية المشهورة :

يتساءلون ، وأنت أطهر هيكل
بالروح أم بالهيكل الإسراء ؟
بهما سموت مطهرا وكلاهما
نور وروحانية وبهاء
فضل عليك لذى الجلال ومنة
والله يفعل ما يرى ويشاء

صلى الله عليه ، ووفقنا إلى الانتفاع به فى سيرته وسنته ، وصدق الله إذ يقول فيه : (قد نعلم إنه ليحزنك الذى يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) ؟

عبد الرحيم فودة

من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى

للأستاذ أنور الجندى

عندما أسرى بالنبى محمد - صلى الله عليه وسلم - من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى كان ذلك علامة ضخمة فى تاريخ طويل، واكتمالا لدائرة واسعة، ترابطت فيها رسالة إبراهيم - عليه السلام برسالة محمد - صلى الله عليه وسلم - فى هذا الجزء من العالم الذى نزلت فيه الأديان ورسالات السماء التى ختمت بالإسلام ديناو القرآن كتابا ومحمد رسولا: الإسلام دينا للناس كافة، والقرآن كتابا للعالمين ومحمد رسولا وخاتما للنبيين، وختاما للرسل، ومرسلا إلى الإنس والجن، وإلى من خلق الله حتى تقوم الساعة.

وكأن الحنيفية السمحاء التى جاء بها محمد - صلى الله عليه وسلم - قد انطلقت رسالتها على يد إبراهيم - عليه السلام من المسجد الحرام، ثم أرسل الله رسله ورسالاته، الموسوية والعيسوية بين مصر وبيت المقدس. ثم أشرق نور الإسلام من قلب مكة ومن حول المسجد الحرام الذى بناه إبراهيم وإسماعيل، ثم اكتملت الصورة بأن أسرى بالنبى - صلى الله عليه وسلم - إلى المسجد الأقصى، فى طريقه إلى المعراج نحو السموات العلا.

ومعنى هذا هو وحدة دين الله الذى أوحاه للبشرية وعلى أيدى أول الأنبياء وأبى البشر (آدم) عليه السلام، ثم نوح ومن جاء بعده من رسل الله:

(شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه).

وقد ربط إبراهيم عليه السلام بين العراق مولده والشام منطلقه ومصر ممره ومكة حيث رفع القواعد من البيت مع ابنه رسول الله وجد العرب (إسماعيل)، وهو (أبى إبراهيم) إلى هذا جد العبرانيين والمسيحيين المنتسبين إلى ابنه (إسحق) عليه السلام.

(ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلماً) .

هـذه الحنيفية التي أذاعها إبراهيم واستقرت فى الجزيرة العربية ، هى التى أعاد الإسلام إحياءها بعد أن حرفها بعض المنتسبين إلى الأديان وأخرجوها من أصولها ، فكان محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو الذى أعادها إلى ما أنزل الله حقا وصدقا .

ومن هنا فقد كانت هذه الحنيفية هى الضوء القايل الباقى قبل بزوغ فجر الإسلام بعد أن أفسدت الوثنية فى شتى صورها رسالة التوحيد ، ومن هذا الضوء كان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم يهتدى ويترقب طلوع فجر التوحيد الخالص .

ومن هنا فقد أشار القرآن الكريم إلى الربط الواضح بين الحنيفية والإسلام فى أكثر من موضع :

(ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما) .

(فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها) .

(حنفاء لله غير مشركين به) .

وفى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : بعثت بالحنيفية السمحة .

وكان رسول الله قبل نزول الوحى عليه يتحنث فى غار حراء . والعرب تقول : تحنث اشتقاقا من تحنف . ويقول ابن هشام : تقول العرب : التحنث والتحنف يريدون الحنيفية فيبدلون الفاء من الثاء كما يقولون : جدث وجدف يريدون القبر .

ولقد كانت هذه الأرض التى ارتبطت فيها الحنيفية بالإسلام مهبط الأديان ورسالات السماء كلها فأورثتها هذا الطابع الحنيفى الذى ارتبط بالعروبة وصبغها بصبغته فهو (معنى وطابع) أكثر منه عرقا وجنساً ، فقد كان أهل هذه المنطقة من أتباع الأنبياء إلا من انحرف منهم وقد حملوا لواء هذا الطابع الواضح : طابع التوحيد الذى ألقته إليهم جميع رسالات الله وكتبه والذى تبلور فى الرسالة الكبرى (الإسلام) التى جاء بها محمد ـ صلى الله عليه وسلم

وأبرز مفاهيم الحنيفية السمحاء هو (التوحيد) و (الأخلاق) وهما القاعدتان اللتان فرقتا بين الفكر الربانى العربى الإسلامى المتصل برسالات السماء

وبين الفكر الوثنى اليونانى الإغريقى . ومن حولهما تدور كل الخلافات الأساسية بين الإيمان والوثنية فى صورها المختلفة .

ولقد كانت رسالة السماء جامعة بين المادة والروح ، والقلب والعقل ، فلما انحرف الناس برسالة السماء إلى المادية المغرقة ، جاءت تعدل هذا الاتجاه بقدر من الروحية فلما انحرف الناس مرة أخرى إلى الروحية المغرقة جاء الإسلام مجدداً دعوة الله إلى الربط الواضح الصريح المتكامل بين الروحية والمادية وبين العقل والقلب .

ولما انحصرت الأديان فى الذات ، وغلبت عليها العنصرية ، كانت الجزيرة العربيـــة مرة أخرى مصدراً للحنيفية السمحاء مجددة رسالة السماء قائمة على أساس التوحيد والأخلاق وهما ما تزال تحاربهما المذاهب الفلسفية الغربية بعنف وتقاومهما بشدة .

وقد اختيرت العروبة لحمل الرسالة والاندفاع بها فترابطت العروبة والإسلام ترابطا جذريا ، لا سبيل إلى فصمه مهما حاولت نظريات القوميات الغربيـــة الوافدة ، ذلك أن العروبة ارتوت من الإسلام ، والإسلام هو الذى صنع وحدة العرب وجمع كلمتهم على التوحيد . وهو الذى دفعهم على الطريق إلى الآفاق فصنعوا الحضارة ، فالعرب من غير الإسلام لم يكونوا شيئاً معدوداً فى ميزان الدول ولا الأمم ، وما حفظ لغتهم إلا القرآن والإسلام وما أعطاها ذلك الفيض الفنى الكبير من المعانى والقيم وأساليب الأداء غير الإسلام ، فاختيار الله لها لختام رسالاته واختيار لغتها لخاتم كتبه أمر مقدور فقد اختار هـذه الأمة لصفات وشمائل استطاع الإسلام تحريرها من الزيف ، وإخراجها من الوثنية ، وتوجيهها لله خالصة فلم تلبث أن حققت المعجزات فى الفتح وبناء الحضارة مما لا زال فى قصر زمن بنائه وعظمة اتساعه يدهش الباحثين .

لقد حققت العروبة هدف الحنيفية التى أخفقت فى تحقيقه الأمم ، فربطت نفسها بالإسلام وانصهرت فيه (رسالة عالمية إنسانية) للدنيا جميعا ، ولم تحرفه كما حرفته اليهودية حين جعلته دينا خاصا ، وحين حولته إلى العنصرية الغالية .

ومن هنا نشأ بالإسلام هذا العالم الوسط (الأمة الوسط) : بين عوالم الشرق الذاهبة إلى الفلسفات الإشراقية المجوسية وبين عوالم الغرب الذاهبة إلى الفلسفات المادية الوثنية ، ومن هنا نشأ عالم التوحيد والخلق ، الذى صاغته الرسالات السماوية وتوالت تصحيح مقاييسه كلما انحرفت حتى حررته تماما وأقامته على أساس الإيمان الخالص لله .

ومن هنا قام هذا العالم العربى الإسلامى : الذى ترابطت فيه العروبة والإسلام ترابطا عضويا وامتدت شرقا وغربا ، حاملة رسالة التوحيد ، وكلمة القرآن ، وقام لهذا العالم كيانه الخالص ، وإيدلوجيته الكاملة وفلسفته الواضحة ، المستمدة من ذاتيته وقيمه وتراثه ، هذه الذاتية العميقة الجذور البعيدة الأعماق والتى تواجه هذا العصر : من العواصف الهوج ما يريد اقتلاعها تحت أسماء الاستعمار والصهيونية والتغريب والمادية والعلمانية والتبشير والشعوبية والغزو الثقافى .

غير أنه من العسير على هذه العواصف أن تقتلع الشجرة الضخمة مادامت العيون يقظى ، والأيدى على الزناد ، وأقلام الكتاب مهما اشتدت موجهة إلى تصحيح المفاهيم وتحرير القيم وكشف الزيف ومدافعة الشبهات والحسم فى القضايا وإبراز ذاتية هذه الأمة وطبيعتها التى تعجز كل الخصوم عن إذابتها أو احتوائها أو صهرها فى أتون الثقافات العالمية أو الأممية .

وعلى العرب والمسلمين أن يعرفوا حقيقة وجودهم وجوهر كيانهم وطابع إسلامهم وروح فكرهم وتتمثل هذه الحقائق فى أمور ثلاثة :

الأولى : إن الإسلام ليس دينا فحسب ولكنه منهج حياة ونظام مجتمع وأنه ثقافة وحضارة وأنه ليس دينا لاهوتيا تعبديا ، وأنه لا ينفصل عن المجتمع ولا يكف عن توجيه أمور الحياة والإنسان فى كل دقائقه وأحواله .

وأنه يستمد ذلك كله من منهج ربانى يقوم على التوحيد ويتفق مع الفطرة الإنسانية ولا يتعارض معها .

ثانيا : إن الإسلام دين قوة وضع على أساس الغلب والعزة ، وأن له ذاتيته

التى لا تنطوى فى أى مذهب أو فلسفة أو عقيدة أخرى .

وعلى حد تعبير الإمام الشيخ محمد عبده الديانة الإسلامية وضع أساسها على طلب الغلب والشوكة والامتناع والعزة ورفض كل قانون يخالف شريعتنا ونبذ كل سلطة لا يكون القائم فيها صاحب الولاية على تنفيذ أحكامها فالناظر فى أصول هذه الديانة ومن يقرأ سورة من كتابها المنزل يحكم حكما لا ريبة فيه بأن المعتقدين بها لا بد أن يكونوا أول ملة حربية فى العالم وأن يسبقوا جميع الملل إلى اختراع الآلات الفاتكة وإتقان العلوم العسكرية والتبحر فيما يلزمها من الفنون كالطبيعة والكيمياء وجر الأثقال والهندسة .

(ومن تأمل فى آية (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) أيقن أن هذا الدين قد صبغ بحب الغلبه وطلب كل وسيلة إلى ما يسهل سبيلها والسعى إليها بقدر الطاقة البشرية فضلا عن الاعتصام والمنعة والامتناع عن تغلب غيره عليه) .

ثالثا : الإيمان بوحدانية القيم أعنى وحدة المعيار بين مختلف الناس بغض النظر عن أجناسهم وألوانهم على حد تعبير الدكتور إسماعيل الفاروقى الذى يفسر هذا المعنى حين يقول : لب هذه الرسالة أن الله موجود وأنه واحد ، أما وجوده فمعناه عند العقل العربى وجود القيم وجودا مستقلا عن الإنسان ووجوده أعنى أنها ليست من صنع الإنسان يصنعها كما تقتضى ظروف عيشه ومعناه كذلك عند العقل العربى أن حياة الإنسان على هذه الأرض لم تكن عبثا ، أما كون الله واحدا فمعناه عند العقل العربى أن القيم تحمل معيارا واحدا لا يتأثر باختلاف الزمان والمكان فالمعيار واحد بكل إنسان أنى كان وحيثما كان فليس لكل مجموعة من الناس معيارها الخلقى ومعيارها الذى تعيش به فالخير خير بالنسبة لكل البشر ، والحق حق بالنسبة للناس أجمعين فالقول بوجود الله وبوحدانيته إذن هو فى صحيحه اعتراف بموضوعية القيم وتخليصها من قيود النسبية التى تقر اختلاف المعايير باختلاف الظروف .

* * *

فى ضوء هذه الفوارق الواضحة بين الأمة التى صنعها الله على عينيه وأقامها فى هذه المنطقة الحساسة الدقيقة من

العالم ، ووضعها في موضع الامتحان الدائم ، الذي لا يتوقف بين غزوات التتار وحروب الصليبيين وجائحة الاستعمار الغربي وتطويقه للعالم الإسلامي ثم الحملة الصهيونية الجائرة التي تصل الآن إلى أخطر مواقفها بعد احتلال بيت المقدس عام ١٩٦٧ نفس بيت المقدس الذي احتلته الحملات الصليبيه منذ ثمانمائة عام في هذا الضوء يجب أن ننظر إلى هذا الحدث العظيم .

(إسراء الله بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى) ثم دخول الإسلام إلى بيت المقدس ووصول عمر بن الخطاب متسلما مفاتيح القدس ثم بناء المسجد الأقصى على قبة الصخره ، وعلينا أن نذكر أن بيت المسجد الأقصى الآن يمر بمرحلة خطيرة وأزمة حادة ، فقد وردت البرقيات تذكر كيف أخذ اليهود يحفرون تحت قواعده على نحو أخذ يعرض بناءه للخطر وهذه هي الخطوة التي تلت حرق المسجد الأقصى والتي تتجه نحو هدف أشد خطرا يجب أن يضعه المسلمون نصب أعينهم ، ولا يغفلون عنه، هو مطمع إسرائيل في بناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى وسوف يحق الله الحق بكلماته . ويقطع دابر الكافرين ؟

أنور الجندي

قال الله تعالى :

(سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير) (الإسراء : ١) .

أدب الإسلام فى الجهاد

للأستاذ أبو الوفا المراغى

عن أنس بن مالك رضى الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا بعث جيشاً قال: انطلقوا باسم الله لا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا طفلا صغيرا، ولا امرأة ولا تغلوا، وضموا غنائمكم وأصلحوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين. أخرجه أبو داود.

قال الله تعالى: (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير. الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز).

فى هذه الآيات إشارة إلى الغاية من الحروب الإسلامية أو الجهاد أو الغزو، فالحروب الإسلامية إنما شرعت ليطمئن المسلمون إلى عقائدهم ويمارسوا شعائرهم فى جو من الأمن لا يزعجهم إرهاب ولا اضطهاد، ولن يتحقق ذلك إلا إذا كان المسلمون قوة يرهبون أعداءهم والطامعين فيهم، فلم يبح الإسلام الحرب للاستلاب والاستعمار، والاستعباد والاستغلال، فدماء الناس أغلى ما فى الوجود فى نظر الإسلام لا تستباح إلا عند الضرورات القاهرة، وحيث يكون الدافع إليها، وحيث يكون الخطر فى حقنها وصيانتها أشد من الخطر فى إهدارها وسفكها.

إن القتال فى الإسلام ضرورة وضرر والضرورة تقدر بقدرها والضرر يجب أن يحصر فى أضيق الحدود، فالقتال يجب أن يكون للمقاتلين من الأعداء، والقتل يجب أن يقع عليهم، لا يتعداهم إلى غيرهم ممن لا يشتركون فى القتال ولا قدرة لهم عليه، قال تعالى: وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين، وعلى هذا فلا يقتل الشيخ الكبير الذى لا يستطيع

القتال إلا أن يكون ذا رأى يشترك مع الأعداء فى حرب المسلمين برأيه وتوجيهه أو مشورته قال العلامة القرطبى :

(وأما إن كان الشيخ ممن تخشى مضرته بالحرب أو الرأى أو المال فهذا إذا أسر يكون الإمام فيه مخيراً بين خمسة أشياء، القتل أو المن أو الفدا أو الاسترقاق أو عقد الذمة على أداء الجزية) .

ولا يقتل الطفل إذ لا دخل له فى إشعال نار الحرب ولا طاقة له بخوض غمارها ، وأما الصبى فإنه يقتل لو اشترك فى الحرب، ولا تقتل المرأة إلا أن تسهم فى الحرب بجهدها ورأيها ومالها فإنها حينئذ تكون معينة أعداء المسلمين على المسلمين ، ونساء هذا العصر لهم جهودهم فى إدارة رحى الحرب، وهن عنصر هام من عناصرها فلا جدال فى إباحة قتل من تشترك منهن فى أى حرب تدور بين المسلمين وأعدائهم، قال العلامة القرطبى:

(وللمرأة آثار عظيمة فى القتال ، منها الإمداد بالأموال ومنها التحريض على القتال ، وقد يخرجن مثيرات معيرات بالفرار ، وذلك يبيح قتلهن غير إنه إذا حصلن فى الأسر ، فالاسترقاق أنفع لسرعة إسلامهن ورجوعهن عن أديانهن وتعذر فرارهن عن أوطانهن بخلاف الرجال) .

هؤلاء جماعة ممن نهى الإسلام المسلمين عن قتلهم فى الحرب . وقد جاء فى أحاديث أخرى النهى عن قتل جماعة آخرين ، والنهى عن أشياء أخرى ، فقد جاء فى وصية أبى بكر إلى يزيد بن سفيان حين أرسله إلى القتال بالشام وأمره على بعض الجيش: (إنك ستجد قوما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله فدعهم وما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم له وستجد قوما فحصوا عن أوساط رءوسهم من الشعر فاضرب ما فحصوا عنه بالسيف وإنى موصيك بعشر : لا تقتلن امرأة ولا صبياً ولا كبيراً هرما ولا تقطع شجراً مثمراً ولا تخربن عامراً ولا تعقرن شاة ، ولا بعيرا إلا لمأكله ولا تغرقن نخلا ولا تحرقنه ولا تغلوا ولا تجبنوا).

معنى هذا الحديث النهى عن قتل الرهبان الذين أخلصوا أنفسهم للعبادة ولم يدخلوا فى شئون الحرب وانفردوا عن الأعداء وفيه النهى عن تدمير موارد

الأمـــوال حرصا على استبقاء أسباب العمران الإنسانى، والانتفاع بها إذا كانت الدولة للمسلمين ، فقد نهى الإسلام عن تقطيع الشجر المثمر وإغراق النخل وإحراقه وتدمير العمران وذبح الإبل لغير الطعام ، وهـذا بالطبع إذا لم يعق تحركات المسلمين ويقف فى طريق الظفر بأعدائهم فإن وقع شىء من ذلك فلا شك فى جوازه للضرورات الحربية . وقد جاء فى حديث آخر النهى عن قتل الأجراء الذين يستأجرهم العدو للأعمال الحربية لأنهم لم يشتركوا رغبة فى قتال المسلمين والغلبة عليهم وإنما استؤجروا ليعيشوا ويقتاتوا كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : اتقوا الله فى الذرية والفلاحين الذين لا ينصبون لكم الحرب .

والذى يتلخص من مجموع الأحاديث التى وردت فى النهى عن قتـــل بعض الطوائف فى الحرب ؛ أن كل ما لا يشترك فى حرب المسلمين بأى نوع من أنواع الاشتراك فإنه لا يحل قتله ، لأن الدماء الإنسانية عزيزة على الإسلام لا يحل إهدارها إلا بمقتضى قوى وباعث قاهر فينبغى التحرز عن سفكها بغير حق والتقليل فى ضحايا الحرب وويلاتها بكل وسيلة ، وهذا هو الفارق بين الحروب السماوية المشروعة والحروب البشرية الطاغية المدمرة العمياء التى لا تبالى بالضحايا الإنسانية ولا بالفضـــائل الخلقية ولا بتخريب العامر وتدمير المثمر .

وفى حديثنا هـــذا بعض الآداب الإسلامية التى يزود بها الإسلام المجاهدين فمنها أن يخرج المقاتلون إلى القتال مستعينين بالله مستنصرين به . فالقتال يكون باسم الله ولوجه الله ليستنزل النصر من عنـــد الله وبحوله لا بحول المقاتلين ولا بقوتهم ، إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم . ومن الآداب التى يجب أن يحرص عليها المجاهد ، ألا يغل فى الغنيمة أى لا يخون فيها ولا يسرق منها فإن ذلك جريمة من أكبر الجرائم، لأن الغنيمة إذا احتازها المسلمون كانت حقا لهم جميعاً ولكل مقاتل نصيب كما قسم الله فالخيانة. فيها بأخذ شىء منها اغتصاب لحقوق المسلمين يوقع بينهم الفرقة ويغرس فى نفوسهم العداوة وهو أمارة الجشع ودخل النية فى القتال وقد

قال صلى الله عليه وسلم فى رجل غل شملة (ملحفة) من المغنم يوم خيبر : والذى نفسى بيده إن الشملة التى أخذ يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه نارا ، فلما سمع الناس ذلك جاء رجل بشراك أو شراكين - سير النعل - إلى رسول الله .

فقال رسول الله : شراك أو شراكان من نار .

وقد جرى المسلمون بعد رسول الله على تعظيم أمر الغلول والتشدد فى عقوبته فقد روى عن الوليد بن هشام أن رجلا ممن غزا معه غل متاعا فأمر الوليد بمتاعه فأحرق وطيف به ولم يعطه سهمه ، ومن الآداب أنه ينبغى على المقاتلين أن يجمعوا غنائمهم ويصونوها بعد أن تقع فى أيديهم حتى يحكم فيها بحكم الله ولا تتوزع حسب الأهواء والرغبات ليجتمع شمل المسلمين ويكونوا فى القتال وحدة متماسكة بقلوبهم وجوارحهم ، وقد رأى جماعة من العلماء أن المقاتلين إذا احتاجوا إلى ما يأكلون من الطعام فلا بأس أن يأخذوا ما يكفيهم قبل القسمة وما فضل ردوه إلى الإمام .

وأخيرا يأمر النبى صلى الله عليه وسلم بالإصلاح والإحسان وليس لكل منهما حدود ، فكل ما فيه تهيئة وتقوية لجيوش المسلمين وتوجيه إلى النصر فالمسلمون مطالبون به ومسئولون عنه ومحاسبون عليه وعلى قدر الإحسان يكون الجزاء فى الدنيا والآخرة وصدق الله إذ يقول: (وأحسنوا أن الله يحب المحسنين) ؟

أبو الوفا المراغى

قال الله تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ، ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا إن الله كان بما تعملون خبيرا) .

(النساء : ٩٤)

دروس من غزوة تبوك

للأستاذ مصطفى الطير

(فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله ، وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ، وقالوا لا تنفروا فى الحر، قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون)
(١٨ التوبة)

غزوات النبى صلى الله عليه وسلم ، تعتبر من المثل العسكرية العليا التى ينبغى أن تعنى الكليات الحربية الإسلامية بدراستها، للاستفادة منها فى تثقيف طلبتها

وجوانب الاستفادة من هذه الغزوات عديدة ، منها أسلوب الدعوة إلى الجهاد ، وإخفاء اسم الجهة التى كان يدعو إلى القتال فيها ، مالم تدع الدواعى الملحة إلى إعلانها كما فى هذه الغزوة والحث على الإنفاق فى سبيل الله بما يرغب فيه حتى يبذلوا وهم راضون ، والحث على الثبات حتى النصر أو الشهادة حتى ينالوا أرفع الدرجات ، واختيار أصلح العناصر للقتال ، وإبعاد أهل الخور فى العزيمة ،والضعف فى الإيمان ، وتنظيم اللقاء مع العدو تنظيما يرهبه ويستتبع النصر، وإيجاب الطاعة فى القتال إلى أبلغ مداها ، وعقابه للمتخلفين عن الجهاد ، وغير ذلك من المبادىء الهامة .

وقد امتازت غزوة تبوك بأمور عظيمة لم تحدث فى غيرها ، وتعتبر دروسا نافعة تحسن الاستفادة منها ، ويستوى فى ذلك القائد الذى يدعو إلى الجهاد ، والمدنى الذى يدعى للبذل أو القتال، فالجميع يجمل بهم أن يقتبسوا منها مايفيدهم، وأن يعتبروا بما فيها من عبر عديدة (إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) .

(سبب الغزوة وظروفها)

بلغ النبى صلى الله عليه وسلم أن الروم جمعت جموعا كثيرة بالشام ، وأن هرقل أعطى الجنود نفقة سنة ، وأن بعض

القبائل انضموا إليه كلخم وغسان ، وأن مقدماتهم وصلت إلى البلقاء .

وكان ذلك فى السنة التاسعة من الهجرة وفى زمن عسرة بالناس ، وجدب بالبلاد وقد طابت الثمار ، والناس يحبون المقام فى ظلالهم وثمارهم، ويكرهون الخروج فى مثل تلك الحال ، ولكنه كان أمرا لا مفر منه لرد العدوان إن كان ، أو إرهاب العدو إن لم يكن .

ولقد كان من سياسة الرسول أنه إذا خرج إلى غزوة لم ينبىء الناس بمقصده ، حتى يفاجىء العدو دون أن يتسرب إليه نبأ خروجه إليه انتفاعا بعامل المباغتة ، لكنه فى هذه الغزوة صارحهم بمقصده لشدة الحال وبعد الشقة ، فقد كانت تبوك بين الشام والمدينة .

كما كان من أهم أسباب المصارحة أنه يدعوهم إلى قتال دولة عظمى هى الروم ذات الجنود الكثيرة ، والعدة القتالية الوافرة ، فإذا خرجوا بعد تلك المصارحة خرجوا وهم يعلمون أين يذهبون ، ومن يقاتلون وبعث النبى صلى الله عليه وسلم لأهل مكة والأعراب يستنفرهم للقتال ، إلى جانب أهل المدينة

(سخاء البذل فى وقت العسرة)

ونظرا لظروف العسرة التى يعيش فيها المسلمون وقتئذ ، حث النبى صلى الله عليه وسلم الموسرين على البذل وتجهيز المعسرين ، فشمروا عن ساعد الجد ، وضربوا فى ذلك أروع الأمثال

فهذا عثمان بن عفان رضى الله عنه ، بذل عشرة آلاف دينار ، وأعطى ثلثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها[1] وخمسين فرسا ، فقال صلى الله عليه وسلم ، اللهم ارض عن عثمان ، فإنى راض عنه

وهذا أبو بكر رضى الله عنه يجود بكل ماله ، وهو أربعة آلاف درهم ، فيقول له الرسول صلى الله عليه وسلم ، هل أبقيت لأهلك شيئا ، فيقول أبقيت لهم الله ورسوله - ونعم من أبقاه لهم - وهؤلاء عمر بن الخطاب يجود بنصف ماله ، وعبد الرحمن بن عوف يجود بمائة أوقية ، والعباس وطلحة يتصدقان بمال كثير ، وعاصم بن عدى يتصدق بسبعين وسقا من تمر ، وهكذا غيرهم من الموسرين

(١) الأحلاس : جمع حلس ، وهو كساء يوضع تحت البرذعة على ظهر البعير ، والأقتاب : جمع قتب ، وهو الرحل .

ولم يقتصر الجود على الرجال ؛ فقد أرسلت النساء كل ما قدرن عليه من حلى إلى الرسول من أجل المعركة ، حبا فى الله ورسوله ، وابتغاء مرضاته وثوابه (مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم) .

(البكاءون السبعة)

وكان الصادقون فى الإيمان يتسابقون فى تلبية دعوة الرسول إلى الجهاد ، ومن كان لا يجد وسيلة إليه يشتد به الحزن حتى يبكى .

ومن هؤلاء فى تلك الغزوة البكاءون وهم سبعة من الفقهاء جاءوا إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، يطلبون منه أن ييسر لهم ركائب يحملهم عليها ، ليجاهدوا معه فى تلك الغزوة ، فقد كانوا فقراء لا يقدرون على شرائها ، فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم : (لا أجد ما أحملكم عليه) وحينئذ (تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون)

وكان من هؤلاء علية بن يزيد ، فقام فصلى من الليل وبكى ، وقال اللهم إنك قد أمرت بالجهاد ورغبت فيه ، ثم لم تجعل عندى ما أتقوى به مع رسولك ، ولم تجعل فى يد رسولك ما يحملنى عليه ، وإنى أتصدق على كل مسلم بكل مظلمة أصابنى فيها من مال أو جسد أو عرض ثم أصبح مع الناس ، فقال صلى الله عليه وسلم : (أين المتصدق فى هذه الليلة ، فلم يقم إليه أحد ، ثم قال : أين المتصدق فليقم ، فقام إليه فأخبره ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : (أبشر فو الذى نفس محمد بيده ، لقد كتبت فى الزكاة المتقبلة ، ولم يقف الموسرون أمام أولئك المخلصين العاجزين عن أهبة الجهاد موقفا سلبيا ، بل جهزوهم رضى الله عنهم ، فعثمان جهز ثلاثة منهم ، والعباس جهز اثنين ، ويامين بن عمرو جهز الاثنين الباقيين ، فحققوا بذلك أملهم فى جهاد أعداء الله معهم ، وهكذا يكون التعاون بين المسلمين ، وهكذا يبذل المياسير منهم .

(المعتذرون الكاذبون)

برغم هذه الظروف الصعبة التى دعا فيها الرسول إلى غزوة تبوك ، لبى دعوته ثلاثون ألفا ، فخرج بهم من المدينة ، وولى عليها محمد بن مسلمة ، وولى على أهله

على بن أبى طالب ، وتخلف كثير من المنافقين ، يتزعمهم عبد الله بن أبى ابن سلول ، ولم يكتف بالتخلف والتحريض عليه ، بل قال : يغزو محمد بنى الأصفر ، مع جهد الحال والحر والبلد البعيد ، يحسب أن قتال بنى الأصفر معه اللعب ، لكأنى أنظر إلى أصحابه مقرنين فى الحبال، وفيه وفى أصحابه نزل قوله تعالى (فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله وقالوا لا تنفروا فى الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون) .

واجتمع جماعة من المنافقين فقالوا فى حق رسول الله وأصحابه ما شاء لهم نفاقهم من الإرجاف ، فأرسل إليهم عمار بن ياسر يسألهم عما قالوا ، فقالوا إنما كنا نخوض ونلعب ، وجاء منهم جماعة يعتذرون عن الخروج بعذر قبيح، وفيهم الجد بن قيس ، فقالوا ائذن لنا ولا تفتنا ، لأنا لا نأمن نساء بنى الأصفر ويروى أن الجد بن قيس قال للرسول ، يارسول الله ، أو تأذن لى ولا تفتنى ، فوالله لقد عرف قومى (وهم بنو سلمة) أنه ما من رجل أشد عجبا بالنساء منى ، وإنى أخشى إن رأيت نساء بنى الأصفر ، ألا أصبر ، فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال قد أذنت لك ففيه نزلت الآية (ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى ، ألا فى الفتنة سقطوا ، وإن جهنم لمحيطة بالكافرين) .

وجاء المعذرون من الأعراب ـ وهم أصحاب الأعذار من ضعف أو مرض أو غيرهما ـ ليأذن لهم فى التخلف ، وكذلك استأذن كثير من المنافقين فأذن لهم فعاتبه الله على هذا الإذن بقوله (عفا الله عنك لم أذنت لهم ، حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) ورمى أولئك المستأذنين بالكفر فقال (إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ؛ وارتابت قلوبهم ؛ فهم فى ريبهم يترددون) وكذبهم فى أعذارهم فقال (ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ؛ ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم ؛ وقيل اقعدوا مع القاعدين) وبين للمسلمين خطورة خروجهم معهم ؛ حتى لا يحزنوا على تخلفهم فقال (لو خرجوا فيكم مازادوكم إلا خبالا ؛ ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة ؛ وفيكم سماعون لهم ؛ والله عليم بالظالمين) ونفى الحرج عن

أصحاب الأعذار الحقيقية فقال (ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم).

(متخلفون غير متهمين فى دينهم)

تخلف عن شهود هذه الغزوة جماعة من المسلمين غير متهمين فى دينهم: منهم هلال بن أمية، وكعب بن مالك ومرارة بن الربيع، وأبو خيثمة السلمى، وأبو ذر، ولما خلف الرسول عليا فى أهله أرجف المنافقون فقالوا ما خلفه إلا استثقالا وتخففا منه، فأخذ على سلاحه، وخرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو نازل بالجرف، فقال يا نبى الله. زعم المنافقون أنك إنما خلفتنى لأنك استثقلتنى وتخففت منى فقال (كذبوا، ولكنى خلفتك لما تركت ورائى، فارجع فاخلفنى فى أهلى وأهلك، أفلا ترضى أن تكون منى بمنزلة هرون من موسى. إلا أنه لا نبوة بعدى) فرجع على إلى المدينة؛ ثم لحق أبو خيثمة وأبو ذر برسول الله وشهدا معه الغزوة.

(موقف رائع لأبى خيثمة)

سار النبى صلى الله عليه وسلم بالجيش وفى يوم شديد الحرارة رجع أبو خيثمة إلى أهله؛ فوجد امرأتين له فى بستان وقد هيأت له كلتاهما ماء باردا وطعاما شهيا؛ ورشت عريشها بالماء؛ فلما دخل قام على باب العريش، فنظر إلى امرأتيه وما صنعتا له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الضح (أى الشمس) والريح والحر، وأبو خيثمة فى ظل بارد وطعام مهيأ وامرأة حسناء، ما هذا بالمنصف (أى ما هذا بإنصاف) ثم قال والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله صلى الله عليه وسلم، فهيئا لى زادا، ففعلتا، ثم قدم إلى ناضحه (أى بعيره) فارتحله، ثم خرج فى طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى أدركه حين نزل تبوك وكان قد أدرك أبا خيثمة عمير ابن وهب الجمحى فى الطريق يطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فترافقا حتى إذا قربا من تبوك؛ قال أبو خيثمة لعمير بن وهب، إن لى ذنبا فلا عليك أن تتخلف عنى حتى آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففعل، حتى إذا دنا من رسول الله وهو نازل بتبوك، قال الناس هذا راكب على الطريق مقبل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن أبا خيثمة

قالوا يا رسول الله هو والله أبو خيثمة ، فلما أناخ أقبل فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله. أولى لك يا أبا خيثمة فأخبر رسول الله خبره ، فقال صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له .

(تنظيم الجيش ومسيرته)

قلنا إنه تجمع مع رسول الله خارج المدينة ثلاثون ألفا ، فأعطى لواءه الأعظم أبا بكر الصديق ، وأعطى الزبير راية المهاجرين ، وأعطى أسيد بن حضير راية الأوس؛ والحباب بن المنذر راية الخزرج ثم سار النبي صلى الله عليه وسلم بالجيش فلما مروا بالحجر (ديار ثمود) قال صلى الله عليه وسلم لأصحابه (لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم) رواه الشيخان .

وذكر البيهقى أنه صلى الله عليه وسلم نادى فيهم (الصلاة جامعة) فلما اجتمعوا قال (علام تدخلون على قوم غضب الله عليهم ، فناداه رجل فقال : نعجب منهم يا رسول الله ؛ فقال : ألا أنبئكم بما هو أعجب من ذلك ؟ رجل من أنفسكم ينبئكم بما كان قبلكم ، وما هو كائن بعدكم ؛ استقيموا وسددوا ، فإن الله لا يعبأ بعذابكم شيئا وسيأتى الله بقوم لا يدفعون عن أنفسهم شيئا) وكان غرض الرسول مما قاله أن يشعرهم الرهبة من الله تعالى .

(معجزات الرسول فى تبوك)

لما كان النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض الطريق ضلت ناقته ، فقال زيد ابن اللصيت ـ وكان منافقا ـ أليس محمد يزعم أنه نبى ويخبركم بأخبار السماء ، وهو لا يدرى أين ناقته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن رجلا يقول كذا وذكر مقالته، وإنى لا أعلم إلا ما علمنى الله سبحانه وتعالى ، وقد دلنى الله تعالى عليها ، وهى فى الوادى فى شعب كذا وكذا ، وقد حبستها شجرة بزمامها ؛ فانطلقوا حتى تأتونى بها ؛ فانطلقوا فجاءوا بها) رواه البيهقى وأبو نعيم .

وأخرج مسلم عن معاذ بن جبل (أنهم وردوا عين تبوك ؛ وهى تبض بشىء من ماء ؛ وأنهم غرفوا منها قليلا حتى اجتمع فى شن ؛ ثم غسل صلى الله عليه وسلم به وجهه ويديه ؛ ثم أعاده فيها ؛ فجرت بماء كثير فاستقى الناس) .

وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنه

أنه قيل لعمر بن الخطاب رضى الله عنه حدثنا عن ساعة العسرة قال عمر (خرجنا إلى تبوك فى قيظ شديد؛ فنزلنا منزلا أصابنا عطش حتى ظننا أن رقابنا ستقطع حتى إنه كان الرجل ليذهب يلتمس الرجل فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستنقطع حتى إن كان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه، ويجعل ما بقى على كبده، فقال أبو بكر يا رسول الله: إن الله قد عودك فى الدعاء خيراً، فادع الله لنا، قال أتحبون ذلك، قال نعم، فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء فانسكبت فملأوا ما معهم من آنية، ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها تجاوز العسكر) أخرجه البيهقى وشيخه ابن بشران.

وعن أبى هريرة قال (لما كانت غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة، فقال عمر يا رسول الله ادعهم بفضل أزوادهم، ثم ادع الله لهم عليها بالبركة، فقال نعم فدعا بنطع (بساط من الجلد) فبسط، ثم دعا بفضل أزوادهم، فجعل الرجل يجىء بكف ذرة، ويجىء الآخر بكسرة، حتى اجتمع على النطع شىء يسير، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة، قال خذوا فى أوعيتكم، فأخذوا فى أوعيتهم، حتى ما تركوا فى العسكر وعاء إلا ملئوه، قال فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أشهد أن لا إله إلا الله، وأنى رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك، فيحجز عن الجنة) رواه مسلم.

(لحوق أبى ذر بالرسول)

قلنا إن أبا ذر رضى الله عنه كان قد تخلف عن الرسول ثم أدركه واشترك معه فى الغزوة، ونذكر هنا قصته فنقول:

كان بعير أبى ذر قد غاب عنه، وانتظر حضوره ليركبه ويلحق بالرسول صلى الله عليه وسلم، فلما أبطأ عليه أخذ متاعه على ظهره، ثم خرج ماشيا يتبع أثر الرسول صلى الله عليه وسلم، فنزل الرسول فى بعض منازله، فنظر ناظر من المسلمين، فقال يارسول الله. إن هذا الرجل يمشى وحده على الطريق، فقال الرسول كن أباذر، فلما تأمله القوم قالوا يا رسول الله، والله هو أبو ذر، فقال صلى الله عليه وسلم، رحم الله أباذر، يمشى وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده، وللكلام بقية فى العدد المقبل فترقبها والله تعالى أعلم؟

مصطفى محمد الطير

من هـدى السنة :

تضامن الأمة في الإصلاح ودرء الفساد

للدكتور محمد أبو شهبة

روى الإمام البخارى فى صحيحه بسنده عن النعمان بن بشير - رضى الله عنهما - عن النبى صلى الله عليه وسلم قال:

(مثل القائم على حدود الله ؛ والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة؛ فأصاب بعضهم أعلاها؛ وبعضهم أسفلها؛ فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ؛ فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ؛ ولم نؤذ من فوقنا ؛ فإن يتركوهم ؛ وما أرادوا هلكوا جميعا ؛ وإن أخذوا على أيديهم نجوا ؛ ونجوا جميعا) .

تخريج الحديث: أخرجه البخارى بهذا اللفظ فى صحيحه (كتاب الشركة - باب هل يقرع فى القسمة ؛ والاستهام فيه) وفى (كتاب الشهادات - باب القرعة فى المشكلات) مع المغايرة فى بعض الألفاظ وأخرجه الترمذى فى (الفتن ؛ عن النعمان بن بشير أيضا ؛ وقال حسن صحيح .

(الشرح والبيان)

(من هو النعمان بن بشير) ؟

هو النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصارى الخزرجى ؛ وهو صحابى ابن صحابى ؛ وأمه السيدة عمرة بنت رواحة أخت الصحابى البطل شهيد مؤتة عبد الله بن رواحة ؛ ولد قبل وفاة النبى - صلى الله عليه وسلم - بثمان سنين ؛ وقيل بست ؛ والأول أصح ؛ قال الواقدى : كان أول مولود فى الإسلام من الأنصار بعد الهجرة بأربعة عشر شهرا ؛ كما كان عبد الله بن الزبير أول مولود فى الإسلام للمهاجرين بعد الهجرة إلى المدينة ؛ روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ؛ وعن خالد بن عبد الله بن رواحة، وعن عمر ؛ وعائشة - رضى الله عنهم -

وروى عنه ابنه محمد ، ومولاه سالم ، وعروة ، والشعبى ؛ وسماك بن حرب وآخرون .

وكان كريما جوادا ؛ شاعرا ؛ ولعله ورث هذه الشاعرية من خاله عبد الله بن رواحة ؛ وقد تولى القضاء بدمشق بعد فضالة بن عبيد ؛ وقال سماك بن حرب: استعمله معاوية على الكوفة ؛ وكان من أخطب من سمعت ثم نقله معاوية من إمرة الكوفة إلى إمرة حمص ؛ وضم الكوفة إلى عبيد الله بن زياد ؛ وكان بالشام لما مات يزيد بن معاوية ؛ ولما استخلف معاوية بن يزيد ؛ ومات عن قرب دعا لعبد الله بن الزبير ؛ ثم دعا لنفسه فواقعه مروان بن الحكم بعد أن واقع الضحاك ابن قيس ؛ فقتل النعمان بن بشير ؛ وقيل إنه دعا لعبد الله بن الزبير فى حياة يزيد ؛ فخرج عليه أهل حمص فقتلوه وذلك سنة خمس وستين(١) فرضى الله عنه وأرضاه.

(مثل القائم على حدود الله والواقع فيها).

هذا الحديث النبوى الشريف من الأحاديث الرائعة البليغة؛ وليست روعته فى فصاحته وبلاغته ودقة التمثيل فيه فحسب؛ ولكن فى أنه إلى ذلك كله يؤصل قاعدة من القواعد الإصلاحية فى الإسلام ؛ إن لم تكن أهم هذه القواعد وأجلها ؛ وأعظمها أثرا ؛ وأحسنها عاقبة؛ وهى تكافل الأمة وتضامنها فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؛ أو بمعنى آخر : مسئولية كل مواطن فى تثبيت دعائم الهداية ؛ والحق؛ والخير؛ والصلاح فى الأمة والقضاء على بذور الضلال ؛ والباطل ؛ والشر ؛ والفساد فيها ؛ فهو يخلق فى الأمة روح الإيجابية ؛ ويقضى على الروح السلبية التى تؤدى إلى أوخم العواقب ؛ وإشاعة الفساد ؛ الذى يؤدى إلى الضعف والانحلال ؛ ثم إلى الفناء والزوال .

ومن روعة التمثيل تمثيل الوطن بالسفينة العائمة فى خضم واسع عميق عرضة للأعاصير الهوج ؛ والأمواج المتلاطمة ؛ المتدافعة ؛ وما أدق التمثيل وما أروعه !! فالأوطان فى الحقيقة عرضة للتأثر باختلاف الأهواء ؛ والأغراض؛ وتباين النزعات والاتجاهات؛ واصطراع

---

(١) الإصابة فى تاريخ الصحابة جـ ٣ ص ٥٥٩ ، الاستيعاب .

الأفكار والآراء ؛ وأى تفريط من الربان وأعوانه يؤدى بالسفينة إلى الغرق والغوص فى متاهات الأعماق ؛ وكذلك الأوطان أى خطأ فى الحساب ؛ والتقدير أو إفراط أو تفريط فى التصرف قد يؤدى بها إلى الهلاك والرسوب ؛ والذل والتخلف أحقابا من الزمان ؛ هذا إلى ما فى التمثيل بالسفينة من بيان الحساسية البالغة ؛ وحتمية التأثر بما يجرى حولها ؛ وفوقها وفيها ! !

وكذلك مثل المواطنين بركاب السفينة وربط حياتهم ببقائها ؛ وهلاكهم بهلاكها ولهذا من التأثير النفسى ماله فى الحفاظ عليها ؛ والتضحية بكل شىء فى سبيلها ؛ ومن ذا الذى لا يرغب فى الحياة ؛ ولا يكره الهلاك ؟ فكما أن الربابنة يحرصون على السفينة لارتباط حياتهم بحياتها ؛ وسيرها ؛ فكذلك المواطنون يجب أن يحرصوا على الأوطان حرصهم على حياتهم ؛ وليس هذا ـ وهو قل من كثر مما يمكن استشفافه من الحديث ـ بكثير على من أوتى جوامع الكلم ؛ واختصر له الكلام اختصارا ؛ صلوات الله وسلامه عليك يا سيدى يا رسول الله ؛ ما أسمى توجيهاتك ؛ وما أروع تمثيلاتك ؛ وما أشد إشراق بيانك ؛ وما أغزر معانى أحاديثك .

المثل ؛ والمثل ؛ والمثيل كالشبه ؛ والشبه ؛ والشبيه وزنا ومعنى ؛ ثم قيل للقول السائر المشبه مضربه بمورده ، مثل ومن شأن العرب أنهم لم يضربوا مثلا إلا قولا فيه غرابة ؛ ولهذا حوفظ على الأمثال ؛ فلا تغير ؛ ولا يخرج بها عن صيغتها الأولى ؛ ثم توسع فيه فاستعير المثل للحال أو الصفة أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة ، والمعنى صفة القائم ؛ على حدود الله ؛ والواقع فيها ؛ وحالهم العجيبة كحال قوم استهموا على سفينة .

الحدود : جمع حد قال الزجاج : أصل الحد فى اللغة المنع ؛ ومنه حد الدار ؛ وهو ما يمنع غيرها من الدخول فيها ؛ والحداد : الحاجب ؛ والبواب .

وأما فى الشرع : فالمراد بالحدود الشرائع التى شرعها الله من الحلال والحرام ، وتطلق الحدود، ويراد بها نفس المعاصى ، ومنه قوله تعالى (تلك حدود الله فلا تقربوها (١))وتطلق ويراد بها

(١) البقرة / ١٨٧

فعل فيه شيء مقدر ، ومنه قوله تعالى : (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه)(١) وتطلق ويراد بها العقوبات المقدرة من الشارع ، وذلك كحد السرقة ، والزنا ، وشرب الخمر ونحوها فإن لم تكن مقدرة محددة من الشارع فهى التعازير .

والمراد فى الحديث المعنى الأول وهو شرائع الله فيشمل فعل المأمورات ، واجتناب المنهيات .

ومعنى (القائم على حدود الله) الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر وقيل معناه : المستقيم على الشريعة وعلى مامنع الله ، ولا تنافى بين المعنيين بل هما — فى نظرى - متلازمان غالبا . فالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، رأس الاستقامة على الدين بعد الإيمان ، والمستقيم على الشريعة لا بد أن يكون آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر فلا يترك هذا الغرض ولا يداهن فيه .

(والواقع فيها) أى التارك للمعروف المرتكب للمنكر أو يشمله ، ويشمل المتساهل فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وفى رواية الترمذى : مثل القائم على حدود الله تعالى والمداهن فيها وهو فى معنى هذه الرواية ، لأن المداهن والمدهن هو المتلين لمن لا ينبغى التلين له وهو بمعنى التارك للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

وجاءت رواية البخارى فى (كتاب الشهادات) بلفظ (مثل المدهن فى حدود الله : والواقع فيها . .)

وهو غير مستقيم لأن المدهن ليس مقابلا للواقع فى الحدود وإنما هو داخل معه وفى حكمه فلا يكون هنا توافق بين الممثل له . والممثل به .

والأصوب والأصح الرواية الأخرى التى سقناها أولا ، والظاهر أن هذه وهم من بعض الرواة ، أو اقتصار . والمدهن من الادهان وهو المحاباة فى غير حق . وهو الذى يرائى ويضيع الحقوق ولا يغير المنكر ، وقيل المداهنة المصانعة والمساهلة على حساب الحق ، ومنه قوله تعالى : (ودوا لو تدهن فيدهنون) (١)

وقد جاءت رواية الإسماعيلى فى مستخرجه فى كتاب الشركة (مثل القائم على حدود الله والواقع فيها والمدهن فيها) وهذه ثلاث فرق وجودها فى المثل المضروب

---

(١) الطلاق / ١

(١) القلم ٩ .

أن الذين أرادوا خرق السفينة بمنزلة الواقع فى حدود الله، ثم من عداهم : إما منكر وهو القائم على حدود الله ، وإما ساكت وهو المداهن .

والظاهر أن بعض الرواة كما قال الحافظ فى الفتح - اقتصر على ذكر المدهن والقائم وبعضهم اقتصر على ذكر الواقع فى الحدود والقائم عليها . وبعضهم ذكر الثلاثة - أما الجمع بين المدهن والواقع دون ذكر القائم فلا يستقيم وعلى هذا فتكون هذه الرواية التى فى كتاب الشهادات إما وهم من بعض الرواة وإما اقتصار بذكر البعض وترك البعض (١)

(استهموا على سفينة) أى أخذ كل منهم نصيبه من السفينة على سبيل الاقتراع وفى الرواية الأخرى (استهموا سفينة) أى اقترعوا على أنصبتهم فيها، فالمعنى واحد وهذا إنما يكون فى السفينة ونحوها كالقطار ؛ والسيارة مثلا فيما إذا نزلوا معا ؛ أما لو سبق بعضهم بعضا فالسابق أحق بموضعه، وسواء أكان الحق بالتملك أم بالاستئجار (فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم)

استقوا: أى أرادوا السقيا أى الشرب والسين والتاء للتأكيد ويجوز أن تكونا للطلب أى طلب بعضهم من بعض السقيا وفى الكلام محذوف دلت عليه الرواية الأخرى (فتأذوا به) والضمير فى (به) إما عائد على المار أو المرور المفهوم من الكلام ؛ وإما عائد على الماء الذى يكون مع المار عليهم (فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ؛ ولم نؤذ من فوقنا) .

لو : إما للتمنى فلا جواب لها ؛ وإما أن تكون للشرط وجوابها محذوف لكان أولى وليس فيه إيذاء للممرور بهم وكأنهم ظنوا أنه ما دام مالكا لهم فلهم التصرف فيه ؛ حتى ولو ضر ذلك بمصلحة الغير ؛ أو بمصلحة الجماعة ؛ فوضع لهم النبى الأمور فى نصابها (فإن يتركوهم ؛ وما أرادوا هلكوا جميعا) .

ما : مصدرية ؛ والواو بمعنى (مع) أى إن يتركوهم وتحقيق إرادتهم؛ والواو فى يتركوهم عائد على البعض الذى اختار أعلى السفينة ؛ واستقر فيها أى إن يترك الذين فى علو السفينة ؛ الذين هم فى أسفلها

---

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ ٥ ص ٢٢٥

ليخرقوها هلكوا جميعا ؛ أى الخارقون والتاركون للإنكار ؛ ولم يحولوا بينهم وبين ما يريدون ؛ وفى هذه الرواية إجمال بينته الرواية الأخرى (فأخذ فأساجعل ينقر أسفل السفينة فأتوه ؛ فقالوا : مالك ؟! قال: تأذيتم بى ؛ ولا بد من الماء) (وإن أخذوا على أيديهم نجوا ؛ ونجوا جميعا).

وفى الرواية الأخرى (فإن أخذوا على يديه) بالإفراد لأنهم إن شاركوه فى الخرق وائتسوا به فالجمع ظاهر ؛ وإن كان الذى تولى الخرق واحد فموافقتهم له ورضاهم عن عمله يجعلهم فى حكمه.

(نجوا) أى المنكرون عليهم (ونجوا جميعا) أى الناهون المنكرون والشارعون فى الخرق ، وإحداث الثغرة ، وقد يظن ظان بادىء الرأى أنه لا داعى لقوله (ونجوا جميعا) وأنه تكرار لما قبله ولكن عند التحقيق ، والتأمل وإعمال الفكر والروية ، يتبين لنا أنه لاغنى عنه قط لأنه لو لم يذكره صلى الله عليه وسلم لتوهم أن النجاة خاصة بالمنكرين دون الشارعين فى الخرق ، ولكن بذكره كان تنصيصا على نجاتهم أيضا ، وفى هذا ما فيه من التأثير النفسى فإن الشارع فى الخرق إذا علم أن فى تنفيذ ما يريد الهلاك ، وفى تركه النجاة كان ذلك أدعى إلى تهيب الإقدام عليه ، والإصاخة لصوت الحق ، وقد جاءت الرواية بأوضح من هذا (فإن أخذوا على يديه نجوه [1] ونجوا أنفسهم وإن تركوه أهلكوه ، وأهلكوا أنفسهم).

وقد جاءت هذه الرواية بتقديم تركهم وشأنهم على الأخذ على أيديهم ، وجاءت الرواية الأخرى بالعكس ، فإن كانت القصة واحدة فيجاب عنه بأن الواو لا تفيد ترتيبا ولا تعقيبا ، ويكون من تصرف الرواة ويكون داخلا تحت جواز الرواية بالمعنى بشروطها ، ولا سيما أنه لا يترتب عليه أى تغير فى حكم شرعى ، وإن كانت القصة متعددة أى أن النبى ذكر الحديث غير مرة فيكون من باب التفنن فى القول ، الأول هو الذى يترجح عندى والله أعلم.

وقد حاولت أن أعرف اللفظ الذى يكون نطق به النبى على أن القصة لواحد

(١) نجوه بفتح النون ، وتشديد الجيم المفتوحة ، وكذلك ما بعدها وفى رواية أنجوه

فلم أصل فى هذا إلى يقين ولكن الذى يترجح عندى ، ويغلب على ظنى والله أعلم — أن يكون اللفظ الذى سقته فى صدر المقال هو لفظ النبى صلى الله عليه وسلم لأن فيها دفع المضرة الذى ذكر أولا ، وهو مقدم على جلب المصلحة الذى ذكر ثانيا ، هذا إلى ما فيها من الإشراق والإيجاز ، والخلو من احتمال الغلط الذى وجد فى الرواية الثانية ، وإن كان هذا الاحتمال من الراوى لا من النبى فتعاون ركاب السفينة على إزالة المنكر والأخذ على يد الخارق سبب فى نجاتهم جميعا ، وتهاونهم فى هذا سبب فى هلاكهم جميعا ، وهكذا الشأن إذا أقيمت الحدود فى الأمة وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر صلحت الأحوال ، وأمن الناس على أنفسهم ، وأعراضهم وأموالهم ونجا الكل من عواقب المنكر والشر والإفساد الوخيمة ، وإلا هلك الكل : العاصى بمعصيته والتارك للإنكار بالتفريط فى هذا الواجب والمداهن بالمداهنة والمساهلة ، وهذه سنة الله فى كل مكان وزمان ، وصدق الله تبارك وتعالى فى قوله : (لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا ، وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) :

(ما يؤخذ من الحديث من الأحكام والآداب) :

١ — أثر القيام بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى بقاء الأمم ، وتقدمها ، ورقيها ، روحيا ، وأخلاقيا ، وماديا ، وأن العامة قد يؤخذون بذنوب الخاصة ، وأن الصالح قد يؤخذ بذنب الطالح ، وأن الفتنة إذا نزلت عمت قال عز شأنه : (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) ، وفى الحديث الصحيح المرفوع إلى النبى صلى الله عليه وسلم : (إن الناس إذا رأوا منكرا فلم يغيروه يوشك أن يعمهم الله بعقابه) رواه أصحاب السنن وابن حبان فى صحيحه . ولو أن الأمة الإسلامية والعربية أخذت بهذا المبدأ لكانت من خير شعوب الأرض ، وأعزها إن لم تكن خيرها ، وأعزها ، وأفضلها .

٢ — فى الحديث جواز القرعة فى المشكلات ، وقد اختلف فيها العلماء ، والجمهور سلفا وخلفا على جوازها ،

وخالف فيها بعض الكوفيين ، وجوزها الإمام أبو حنيفة وقال : هى فى القياس لا تستقيم ، ولكنا تركنا القياس للآثار والسنة ، وصدق الإمام فنى الصحيحين وغيرهما الروايات الكثيرة فى القرعة ، وارجع إلى صحيح البخارى فى (باب القرعة فى المشكلات) .

٣ — أخذ العلماء من هذا أحكاما شرعية فى مسألة من ملك سفل بيت ومن ملك علوه ومما قالوه : حكم العلو والسفل يكون بين رجلين ، فيعتل السفل ويريد صاحبه هدمه ، فليس له هدمه إلا من ضرورة ، وليس لرب العلو أن يبنى على سفله شيئا لم يكن قبل ، إلا الشيء الخفيف الذى لا يضر صاحب السفل . . . وقال أشهب : باب الدار على صاحب السفل ، فلو انهدم السفل أجبر صاحبه على بنائه ، وليس على صاحب العلو أن يبنى السفل ، فإن أبى صاحب السفل أن يبنى ، قيل له : بع ممن يبنى ، إلى آخر ما قالوا وما استنبطوا من هذا الحديث الموجز .

وبعد : فما أشد حاجتنا فى حاضرنا اليوم من أن نهتدى بهذا الهدى النبوى الذى هو أحسن الهدى ، والذى كون أمة كانت خير أمة أخرجت للناس ، فهل تعــود ؟ ذلك ما نرجو ، والله الموفق والمعين ؟

الدكتور محمد محمد أبو شهبة

قال الله تعالى :

(إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيرا) . الإسراء ٩

كبائر الإثم وصغائره

للأستاذ محمد الشرقاوى

جاء القرآن الكريم فى تعبيره عن الذنوب والآثام بثلاثة نعوت مختلفة فى مادتها ، وفى إيحاءاتها بحيث تضع الذنوب - أمام المتأمل - فى قائمة متصاعدة فى خطرها ، أو متنازلة فى درجاتها حسب الاختلاف فى زاوية النظر . . وذلك فى قوله تعالى فى وصف عباده الذين أحسنوا : (الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم)[1] . فهذا النص المقدس مع ما فيه من جمع وتركيز قد استوعب ثلاثة أنواع من الإثم ، لها من اسمها وفهمها ما يجعلها فى ثلاث طبقات : الفواحش ، والكبائر ، واللمم ولكل واحد من هذه الذنوب خصائصه الذاتية التى تجعله أهلا لعنوانه ، ومميزاته الشرعية فى الأثر والخطر على السواء .

فأما الفواحش : فهى المخالفات التى يعبر عنها بأكبر الكبائر ، وهى كما يبدو من مبناها ومعناها تمثل ذروة الفساد الخلق ، ونهاية الانحراف الشخصى عن جادة الحق ، وطريق الهداية بما تحققه من إضرار بالنفس أو العقل أو المجتمع وأولها : الكفر بالخالق جل وعلا ، وجحود الأدلة الكونية الدالة على آثار رحمته وخارق إعجازه ، وعظيم حكمته ، أو الافتراء عليه بما هو برىء منه من نقائص وأكاذيب ما أنزل الله بها من سلطان ، ولا جاءت على لسان نبى مرسل ، ولا بين دفتى كتاب منزل . وهذا إلغاء لأسمى ما يتميز به الإنسان من عقل وفكر لا يتردد فى الاستدلال على المؤثر بأثره ، وعلى الصانع بصنعته ، وفى مستوى الكفر بالله ، الكذب المتعمد على صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم وفى ذلك يقول السيوطى[1] : (لا أعلم شيئا قال أحد من أهل السنة بتكفير مرتكبه إلا الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم) وقال الشيخ الجوينى

(١) النجم : ٣٢ .

(١) الجوهرة : ص ١٥١ .

والد إمام الحرمين : (إن من تعمد الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم يكفر كفرا يخرجه من الملة) ووافقه على ذلك[1] ابن المنير من المالكية .

ومنه سب الرجل والديه ، بأن يسب رجلا آخر ، فيعمد هذا المسبوب إلى الرد على من سبه بسب أمه وأبيه ، وهو لون من العقوق الذى عبر عنه فى الأحاديث الصحيحة بأنه من أكبر الكبائر ، ومعنى الإساءة والعقوق فيه أظهر من أن يخفى فهو استهتار بكرامة الوالدين ، وتضحية بحرمة اسمهما على مذبح السخف والمهاترات وتعريض ذكرهما للزراية والامتهان ، وهما اللذان حاطاك فى صغرك بكل ألوان الرعاية والعناية والإعزاز .

ومن ذلك ماحمل فى بعض الأحاديث المروية اسم أكبر الكبائر ، مثل أن تجعل لله ندا وقد خلقك ، وأن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك ، وأن تزانى حليلة جارك ، ومنها شهادة الزور التى أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم يكررها على مسامع أصحابه فى معرض إخبارهم بأكبر الكبائر حتى قال الصحابة : ليته سكت .. يقول صاحب الكشاف فى تفسيره للفواحش[1] : (وهى ما فحش من الكبائر .. كأنه سبحانه وتعالى قال : (الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش منها خاصة) .

وأما كبائر الذنوب فهى كما قال ابن الصلاح[2] : كل ذنب كبر وعظم عظما يصح أن يطلق عليه اسم الكبير ، أو وصف بكونه عظيما على الإطلاق ، ولها أمارات منها : إيجاب الحد على مرتكبها ، ومنها الإيعاد بالعذاب بالنار لكل من اقترفها . سواء كان ذلك فى الكتاب أو فى السنة ، ومنها وصف فاعلها بالفسق نصا ، أو لعنه ، وهى درجات) .

وقال إمام الحرمين فى تحديد الكبيرة : : (هى كل جريمة تؤذن بقلة اكتراث مرتكبها بالدين ، ورقة ديانته ، فهى مبطلة للعدالة) ومن تفسير هذين الإمامين للكبيرة نلمح معنى الشمول والعموم لكل ما عظم ضرره مما نهى الله ورسوله عنه ، ويكون معنى الكبر فيه منسوبا إلى فداحة الآثار

(١) حاشية ابن عبد السلام الجوهرة ١٥١

(١) الكشاف ج ٢ ص ٢١٨ .
(٢) الجوهرة فى التوحيد ص ١٥١ .

الضارة ، والنتائج الفاسدة التى يتمخض عنها هذا الذنب، وبهذا الاعتبار يصعب على الباحث إخضاعها للعد والحصر ، بحيث لا يدع منها شاردة ولا واردة إلا أحاط بها ، ونبه لها .

ولعل الحكمة فى ذلك هو طبيعة الغرائز والميول التى يزخر بها التكوين الإنسانى . والتى هى عرضة دائما للظهور بمظاهر مختلفة ، فى قوالب متنوعة قد يكون لتأثير الزمان والمكان شأن فى حجم الأضرار الناشئة عنها . ولذلك تركت الكبيرة تفسر نفسها بنفسها اكتفاء بما تحمله من معنى التعاظم فى التقدير ، والكبر عند النظر حسبما تمليه مقاييس الشريعة من الحسن والقبح فى الأقوال والأعمال والعقائد .

ولذلك قال العز بن عبد السلام [١] : (لم أقف للكبيرة على ضابط) .. أى سالم من الاعتراض وقد يكون هذا هو السر الذى حدا بابن عباس رضى الله عنهما إلى أن يتجنب البت فى تعداد الكبائر فقد أخرج عبد الرازق فى تفسيره عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه أنه قيل لابن عباس : الكبائر سبع ؟ فقال : هى إلى السبعين أقرب ، وفى رواية عند ابن أبى حازم : هى إلى السبعمائة أقرب .

ونقل عن إمام الحرمين [١] قوله : (وأما حصر الكبائر بالعد فلا يمكن) هذا مع ملاحظة أن عدد سبع وسبعين وسبعمائة فى تعبير العلماء كثيرا ما يكون كناية عن عدد لا يحصى ويسمونها (صيغة تكثير) . . أو (عددا لا مفهوم له) وما ورد من تحديد الكبائر بسبع أو أكثر أو أقل .. فهو لا يعنى الحصر والجمع ، وإنما هو ذكر لبعض الأنواع بصفة خاصة ، وهذا لا يعنى النفى للبعض الآخر إذ التخصيص بالذكر ليس أسلوبا من أساليب القصر والتحديد ، فمن ذلك ما روى عن على كرم الله وجهه [٢] : (الكبائر سبع : الشرك ، والقتل ، والقذف ، والزنى ، وأكل مال اليتيم ، والفرار من الزحف ، والتغريب بعد الهجرة) .. وزاد ابن عمر رضى الله عنهما : (السحر ، واستحلال البيت الحرام)

---

(١) الأشباه والنظائر للسيوطى ص ٢٩٢ .

(١) المصدر السابق

(٢) الكشاف جـ ٢ ص ٢٠٢

ولهذا أيضا . . لم يجد بعض الباحثين حرجا فى محاولة جمعها وحصرها . . بل ونظمها فى أبيات تؤثر .. ومن هؤلاء : الشيخ تاج الدين السبكى فى جمع الجوامع حيث عد منها خمسا وثلاثين كبيرة ، وقد أوردها السيوطى [1] فى ثمانية أبيات لا حشو فيها ، فقال :

كالقتل والزنى وشرب الخمر
ومطلق المسكر ثم السحر
والقذف واللواط ثم الفطر
ويأس رحمة وأمن مكر
والغصب، والسرقة والشهادة
بالزور والرشوة والقيادة
منع زكاة ودياثة فرار
خيانة فى الكيل والوزن ظهار
نميمة .. كتم شهادة .. يمين
فاجرة . على نبينا يمين
وسبه صحبة ، وضرب المسلم
سعاية . عق . وقطع الرحم
حرابة . تقديمه الصلاة أو
تأخيرها ، ومال أيتام رأوا
وأكل خنزير وميت والربا
والغل ، أو صغيرة قد واظبا

(١) الأشباه والنظائر ص ٢٩٢ .

قال السيوطى : وزاد صاحب الروضة [1] : نسيان قرآن ، والوطء فى الحيض ، وزاد صاحب العدة : إحراق الحيوان ، وامتناع الزوجة من زوجها بلا سبب ، وترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مع القدرة .. وزاد العلائى فى قواعده عدم التنزه عن البول والإضرار فى الوصية ، ومنع ابن السبيل فضل الماء ، والشرب فى آنية الذهب والفضة للتوعد عليها بالنار وورودها فى الأحاديث .

وأخيراً فإن الصغيرة من الذنوب إذا كان معها إصرار وملازمة بأن ينوى صاحبها العودة إليها عند فعلها - كما ذكر ابن عبد السلام - [2] تنقلب إلى كبيرة كما قالوا : (لا كبيرة مع الاستغفار ، ولا صغيرة مع الإصرار) [3] كما تعتبر الصغيرة كبيرة إذا صدرت من عالم يقتدى به فيها .

على أن هذين النوعين من الذنوب قد يعبر عنهما معا بكلمة الكبائر .. ويرادمنها المعنى الشامل لطبقاتها المتنوعة، ودرجاتها

(١) الجوهرة ص ١٥١ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) الكشاف ج ٢ ص ٢٩٢ .

المتفاوتة ولذلك نقل صاحب الجوهرة أن المختار عند أهل السنة أن الذنوب قسمان : كبائر وصغائر (١) بيد أننا فى تعداد الذنوب إلى ثلاثة أقسام لاحظنا التعبير الحرفى للقرآن ، وما تدل عليه واو العطف التى عطفت الفواحش على الكبائر ، وهذا يقتضى المغايرة على ماهو الأصل فى معنى العطف ، وإن كان معنى التفسير والشرح من معانى العطف أيضا .

وبقى النوع الثالث من الذنوب وهو اللمم ، ويراد منه الصغائر من السيئات . قال الزمخشرى فى كشافه (٢) : اللمم : ماقل وصغر ، وأصله : المس من الجنون : واللوثة منه ، ويقال : ألم بالمكان . إذا قل فيه لبثه ، وألم بالطعام . قل منه أكله ، ومنه قولهم : (لقاء أخلاء الصفاء لمام).

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه : اللمم هو النظرة والغمزة ونحوها أى إذا تجردت عن الإصرار والمداومة عليها ، وإلا صارت كبيرة من الكبائر ، ونقل عن السدى فى تعريف الصغيرة : هى الخطرة من الذنوب ، وكأنه يعنى أن حسنات الأبرار سيئات المقربين ،

(١) الجوهرة ص ١٥١ . (٢) ص ٢١٨ .

إذ أن خطرات الذنوب ، فى القلوب جزء من أحاديث النفس وهى عفو لهذه الأمة ، ولا مؤاخذة فيها ما لم تقترن بقول أو عمل وفى الحديث الصحيح : (إن الله تعالى تجاوز لهذه الأمة عما حدثت به أنفسها ما لم تقل أو تعمل) وذكر الكلبى فى تعريف الصغائر : أنها كل ذنب لم يذكر الله تعالى له حداً من الحدود ، ولا توعد عليه بعذاب .. وهذا التعريف أقرب إلى الضبط العلمى لأن معناه أن كل ما خرج عن حد الكبيرة بتعريفها السابق فهو صغيرة .

وقد ذهبت بعض الفرق الإسلامية إلى إلغاء تقسيم الذنوب إلى كبائر وصغائر فمنهم من جعلها كلها صغائر وهم المرجئة (١) الذين قالوا : كل الذنوب صغائر ، ولا تضر مرتكبها ما دام على الإسلام ، ولكن هذا يتنافى مع النصوص الصريحة فى معاقبة مرتكبى الذنوب مثل قوله تعالى : (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً)(٢) .

(١) الجوهرة ص ١٥١ .
(٢) سورة النساء ٩٣ .

ومنهم من جعل الذنوب كلها كبائر وألغى وصف الصغائر ، وجعلها فضلا عن ذلك مكفرة لمن ارتكبها ، وهم الخوارج[1] القائلون بأن كل ذنب كبيرة نظراً لعظمة من عصى به ، وكل كبيرة كفر.. ولكن هذا يتعارض مع حديث أبي ذر المشهور ،وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من قال لا إله إلا الله دخل الجنة ، فقال أبو ذر : وإن زنى وإن سرق يارسول الله ؟ فقال : وإن زنى وإن سرق ، فقال أبو ذر : وإن زنى وإن سرق ؟ فقال : وإن زنى وإن سرق رغم أنف أبي ذر) .

ومنهم من جعل كل الذنوب كبائر لا صغائر فيها ولكن لا يكفر منها إلا ما يستوجب الكفر .. إلا أنه بالنظر إلى الآية الكريمة التي بدأنا بها البحث مع آية سورة النساء: (إن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم) ندرك أن الحق في جانب الذين قسموا الذنوب إلى كبائر وصغائر إجمالا أو إلى فواحش وكبائر ولمم تفصيلا ، وأن هناك ذنوباً يكفرها الإمساك عما هو أشد منها ضرراً وأفدح خطراً وهي الصغائر كما أن ثمت ذنوباً لا تكفرها إلا التوبة النصوح .. أو الفضل المحض ، أو الطاعات والصالحات ، وهي الكبائر ، وصدق الله تعالى : (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)[1].

محمد محمد الشرقاوي

(١) الجوهرة ص ١٥١

(١) سورة النساء : ١١٦

قال الله تعالى :

(قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم . وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون) . (الزمر ٥٣ ، ٥٤)

فى القصاص حياة يا أولى الألباب

للأستاذ عبد الرحمن العدوى

كثر الحديث فى هذه الأيام حول عقوبة الإعدام أو الجريمة القانونية كما يسمونها ، وارتفعت أصوات تؤيد الاتجاه إلى إلغاء هذه العقوبة وظاهرتها فى ذلك وسائل الإعلام المختلفة بالصورة والتمثيلية والرواية والكلمة وغير ذلك . وكل هذا الاندفاع حدث ركضا وراء ما ظهر من اتجاه بعض الدول فى بلاد الغرب إلى إلغاء هذه العقوبة وقيام البعض الآخر بإلغائها فعلا ، ولو أن ذلك لم يحدث هناك ما اتجه أحد للتفكير فيه أو الحديث عنه .

وعند ما يتجه الكتاب إلى تأييد ما يدعو إليه الغرب أو ما تريده بلاد سبقتنا ولا شك فى مجال الصناعة والآلة والعلم فبهرت بعض الأبصار بذلك وجعلتها تخلط بين التقدم العلمى والصناعى وبين التفوق السلوكى والتشريعى ، فإنهم لا يقفون عند حد الاستحسان والتأييد وإنما يسيرون شوطا آخر باختلاق المبررات والحتميات التى تقضى بوجوب هذا الاتجاه ويعززون ذلك بالقول بأن الإحصاءات والتاريخ الإنسانى وقيم هذا العصر يقضى حتما بانتصار هذا الفكر ويغرقون فى هذا القول حتى يصبحوا ملكيين أكثر من الملك نفسه .

هذا ما حدث فى الكتابة عن عقوبة الإعدام وضرورة إلغائها احتراما لحق الحياة حتى ولو كانت حياة قاتل أثيم . وآخر ما قرأته فى ذلك مقال نشرته جريدة الأهرام فى ١٩٧١/٥/٧ تحت عنوان (عقوبة الإعدام) الجريمة القانونية أو القضية الأزلية فى تاريخ البشرية : الدراسات الإحصائية تسقط مبررات الإبقاء على العقوبة .

وفى هذا المقال تحدث صاحبه عن اتجاه الدول المتمدينة إلى إلغاء هذه العقوبة والاكتفاء بعقوبة السجن مدى الحياة كبديل لها ، ثم ساق من الأدلة ما يراه مؤيدا لذلك فذكر أن التاريخ الإنسانى

ابتداء من أيام قدماء المصريين ومرورا بالعصور الوسطى ثم بالقرنين الثامن عشر والتاسع عشر، يؤكد حقيقة واحدة هى تقييد حكم الإعدام - وأن جريمة القتل غير القانونى يجب أن لا تقابل بجريمة قتل قانونية، هذا من الناحية الإنسانية - وأن قوة الردع الموجودة فى عقوبة الإعدام يماثلها فى القوة سجن القاتل مدى الحياة وبخاصة فى البلاد الغنية؛ وبذلك تفقد هذه العقوبة مبررات بقائها - وأن الإحصاءات أثبتت أن الدول التى ألغت عقوبة الإعدام والأخرى التى أبقت عليها لم تتأثر فيها معدلات جرائم القتل ارتفاعا أو انخفاضا مما يدل - فى رأيه - على أن إبقاء العقوبة ليس له أى تأثير رادع خاص يبرر الإبقاء عليها.

ثم ذكر فى النهاية حجة، رأى أنه لا يمكن لأى فريق فى الحوار أن يتجاهلها، هى أن هناك دائما احتمال حدوث خطأ فى أحكام القضاء، فى مجال لا يحتمل الخطأ لأنه يودى بحياة أبرياء... ثم دعا صاحب المقال إلى أن تصدر الأمم المتحدة قرارها بإلغاء (عقوبة الإعدام) فى جميع أنحاء العالم لتضع بذلك نهاية للجريمة القانونية.

هذا تلخيص واف للمقال وقد آثرت ذكره على هذا النحو وفاء بحق المناقشة وأداء لأمانة العرض حتى ولو كان ما نعرضه هو رأى نخالفه ولا نرتضيه.

وقبل الرد على ما جاء فى هذا المقال مما سبق ذكره يجدر أولا أن نبدى ملاحظة على تسمية هذه العقوبة (عقوبة الإعدام) أو (جريمة قانونية) ذلك لأن قتل النفس بالحق والعدل لا يستوى مع قتل النفس بغير الحق وإذا سمى الاعتداء جريمة فلا يجوز أن يسمى الانتصاف من المعتدى جريمة كذلك وأن ينظر لكلتا الحالين على أنهما متساويتان فى وجوب المنع والتصدى لهما، إذ لو سرنا على هذا المنطق لكان على المقاتل الذى يصد الاعتداء ويواجه الهجوم على وطنه من الإثم والمؤاخذة واستبشاع فعله ما على المعتدى الآثم المهاجم بغير حق، بحجة أن كلا منهما حريص على قتل صاحبه دون نظر إلى البون الشاسع بين بغى الآثمين وعدل المدافعين وهو لا شك منطق لا يستسيغه عقل

ولا يقبله إنسان . ولذلك فإننا نمنع أن يسمى القصاص من القاتل (جريمة) وإن وصفت بأنها قانونية ، وكيف يمكن للإنسان أن يقبل الجمع بين وصفين متناقضين : بين وصف الجريمة ووصف القانونية ؟ .

إن الفعل لا يكون جريمة إلا إذا خالف القانون الذى يرعى مصالح البلاد والعباد ، وكل فعل يقبله القانون ولا يحرمه لا يسمى (جريمة ، ولذلك فإن التسمية العادلة غير المتناقضة ، هى تسمية هذه العقوبة بالقصاص ، كما يقول فقهاء المسلمين ، يعتمد المساواة ، والمساواة عدل لا مناص من إقراره بين العباد لتنتظم حياتهم ويستقر الأمن بينهم .

هذا من ناحية الشكل والتسمية ، أما من ناحية الفكر الموضوعى فى القضية المطروحة أمامنا ؛ فإن الله تعالى شرع القصاص من القاتل وجعل فى شرعه حياة للناس أجمعين ، فإن القاتل إذا علم أنه سيقتص منه وأن دمه مستباح إذا أهدر دم إنسان معصوم فإنه يحجم عن القتل فيكون فى إحجامه حياة له وحياة لمن كان يريد قتله ؛ وبذلك يكون شرع القصاص من أجل المحافظة على الحياة وصيانتها لا من أجل إهدارها وانتهاك قدسيتها .

وإلغاء القصاص - كما هى الدعوة الآن - يفسح للنفوس الحاقدة الثائرة طريق إهدار الدماء لواحد أو لأكثر مع الاطمئنان إلى أنهم لا يؤخذون بمثل ما فعلوا .

والإسلام فى حرصه على الحياة أى حياة الناس جميعا جعل قتل النفس الواحدة بمثابة قتل الناس أجمعين ؛ لأنه اعتداء على حق الحياة المقدس وإهدار لهذا الحق دون مبرر ، فيقول سبحانه وتعالى : (من قتل نفساً بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا) وهى نظرة إنسانية شاملة تقصر دونها كل النظرات والفلسفات ، قتل نفس واحدة بغير حق قتل للناس أجمعين ، وإحياء نفس واحدة إحياء للناس جميعا ، وفى شرع القصاص كما أوضحنا إحياء لنفس القاتل بمنعه عن القتل فلا يستوجب قصاصا ، وإحياء لنفس المقصود قتله بعدم وصول القتل إليه ، وذلك مصداق قوله تعالى : (ولكم

فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون).

وبذلك تسقط الحجة القائلة بأن ليس للقصاص قوة ردع خاصة تؤثر فى معدلات جريمة القتل ، وما يدعى من الإحصاءات التى تبين عدم تأثير معدلات هذه الجريمة فى حالتى إبقاء العقوبة وإلغائها فليس فى محل التسليم والقبول ، فنحن نعلم أن الإحصاءات كثيرا ما تؤثر فيها عوامل مختلفة ومؤثرات قد تغيب - عند إجراء الإحصاء - عن القائمين به ، وهذا أقل ما يقال فى مثل هذه الإحصاءات فضلا عما جرت به العادة من تقرير اتجاه معين ثم العمل بعد ذلك على تدعيمه واختلاق وسائل تقويته وإظهاره على أنه أصبح قضية مسلمة يؤيدها البحث العلمى والإحصاءات ومسرى التاريخ الإنسانى ، إلى آخر ما يقال من مثل ذلك .

على أن صاحب المقال يذكر أن الدول التى ألغت عقوبة الإعدام لم ترتفع معدلات الجرائم الموجبة للقتل فيها وأن الدول التى تبقى هذه العقوبة لم تنخفض فيها هذه الجرائم ، أى أن الوضع لم يتأثر فى حالتى الإلغاء والإبقاء ، ولو سلمنا ذلك تسليما مطلقا لبقى من المبررات ما يستلزم إبقاء هذه العقوبة وهى إقامة العدل بين الناس ومساواة العقوبة للجريمة وشفاء صدور أولياء القتيل ومنع الغل والحقد من أن يدفعهم إلى الثأر الذى لا يقف عند حد ، فقد يقتل بالنفس الواحدة أنفس كثيرة ، وقد يرى أهل القتيل أن قتيلهم لا يكفى فيه واحد أو اثنان وأن قاتله أقل شأنا فيتجهون بالثأر إلى الرءوس الكبيرة فى أسرة القاتل ويهدرون بذلك دم الأبرياء من الفضلاء وتفقد الدولة عناصر ممتازة قد تكون فى حاجة إليها وتكون الطامة الكبرى عندما يطمئن الآخذون بالثأر إلى أن العقوبة على فعلتهم لا تصل إلى أعناقهم بل تحفظ لهم الدولة بعد ذلك حياتهم ولا تباشر فيهم عقوبة الإعدام ، أى شرع هذا ؟ ! إن ذلك لا يستقيم فى شرع العقلاء ، ليس فى سجن القاتل مدى الحياة سواء فى البلاد الغنية أو الفقيرة - ما يغنى عن القصاص وليس فيه ما يحقق نتائجه من إقامة للعدل وإقرار للأمن وطب للنفوس ومنع من إهدار الدماء أو الاعتداء على الأبرياء .

بقى بعد ذلك ما يقال من أن كثيرا من

الدول المتمدينة قد ألغت هذه العقوبة (أكثر من ٧٠ دولة) وأن غـيرها فى طريقها إلى إلغائها. وهذا القول نقدمه بين يدى مناقشة هذه الأسئلة . أليست هذه الدول المتمدينة ! ! هى التى تباشر جريمة القتل بالجملة اعتداء على شعوب بريئة ، أليست هى التى تستعمر البلاد وتقهر العباد وتسحق كل من يدافع عن حقه ووطنه وشرفه ، أليست هى المعتدية دائماً ، ولم يحدث فى التاريخ الحديث أن كانت معتدى عليها ، إن الإجابة على هـذه الأسئلة توضح لنا البواعث التى دفعت دولا معتدية قاتلة مستعمرة آثمة إلى المطالبة بإلغاء عقوبة الإعدام وتحريم القصاص من القتلة السفاحين والإبقاء على حياتهم واستبشاع مؤاخذتهم بمثل ما ارتكبوا من جرم ، لو أن هذه الدول ذاقت من الاستعمار والقتل والذل مثل ما تذيقه للشعوب لكان تفكيرها على نحو آخر ولنادت بتمزيق المعتدين أفرادا كانوا أو جماعات أو دولا متمدينة أو غير متمدينة ؛ وإن كنا لا نرضى بالمثلة بالقاتلين مهما كانت بشاعة جرمهم فإن الإسلام فى إنسانيته الفاضلة نهى عن المثلة حتى مع أعدائه .

وإذا جاز لهذه الدول أن تنادى بمثل ذلك وأن تدعو إليه وهو أمر يتفق مع مسلكها ويحفظ للمعتدين من أبنائها حياتهم ويجعل الشعوب المعتدى عليها فى موقف من لا يساعده القانون على المطالبة بالقصاص من القتلة ـ إذا جاز لهذه الدول أن تدعو إلى ذلك فإن العجيب حقا أن تنطلق الدعوة إلى مثله من بنى دولة ذاقت وما تزال تذوق ألواناً من عسف هؤلاء الطغاة وبغيهم ومازالت جراحها تدمى بفقد رجال ونساء وأطفال أبرياء فى هجمات وحشية يستخدم فيها أشد الأسلحة فتكا من صنع هذه الدول التى تدعى أنها متمدينة وأن ضميرها فى هذا العصر لا يسمح بقتل القاتلين ، ولكنه بكل فخر يسمح بقتل الأبرياء الآمنين .

أى تمدين هـذا ، وأى حضارة هذه التى لا زلنا ـ مع الأسف ـ نجد من يشيد بها من أبنائنا حملة الأقلام ، ألا يستحق هؤلاء القصاص منهم حقا وعـدلا ؟ الذين قتلوا عمالنا الذين يصنعون الحياة فى أبى زعبل والذين قتلوا أطفالنا الذين

يستقبلون الحياة فى مدرسة بحر البقر هل يعرفون قدسية الحياة ويستحقون الحفاظ على حياتهم ؟ .

إنهم قتلة سفاحون معتدون ، قتلهم عدل وتركهم ظلم مبين .

وفى كلمة أخيرة نقول : إنه مع استحقاق القاتل - كل قاتل بغير حق للقصاص - منه فإن الإسلام ليس حريصا مع ذلك على قتله ذهابا منه إلى أقصى درجات المحافظة على حق الحياة ، ولكنه يسلك فى ذلك سبيلا لا تهدر الغايات السامية التى شرع لها القصاص والتى أو ضحناها فيما سبق من القول ، فهو إذ يقر أن شرع الله القصاص ، وأن الله قد كتب على المؤمنين القصاص فى القتلى وأن النفس بالنفس والعين بالعين وأن فى القصاص حياة مع هذا فإن الله يدعو أولياء القتيل إلى العفو ويحرضهم عليه فيقول سبحانه : (ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل) ويقول : (فمن عفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة) وقال عقب ذكر القصاص فى سورة المائدة (فمن تصدق به فهو كفارة له) فإن الله جل ذكره فى هذه الآيات ينهى أولياء القتيل عن الإسراف فى القتل والتعدى فيه بأى وجه من وجوه الإسراف والتعدى كما يدعوهم إلى العفو عن القصاص وقبول الدية من القاتل مع الرفق فى مطالبته بها واتباعه بالمعروف وقد استثار عاطفته لهذا العفو حين سمى القاتل أخا فلم يسقط عنه هذا الوصف مع أنه قاتل (ذلك تخفيف من ربكم ورحمة) وفى صورة المائدة دعا إلى التصدق بالقصاص والعفو عن القاتل بغير مقابل وجعل ذلك كفارة للذنوب وفعلا كريما يستوجب عفو الله وغفرانه ، وهى منزلة تتسامى إليها النفوس الكبيرة ولا يلقاها إلا ذو حظ عظيم .

ومع هذا الحرص على عفو الأولياء عن القصاص إذا ثبت ، ودعوتهم إلى ذلك وحثهم عليه فإن الإسلام يسقط عقوبة القصاص إذا وجد شبهه ، تؤثر فى الإثبات أو قام احتمال الخطأ فى القتل أو كان القتل عمدا غير عدوان فلا يقضى بالقصاص ، إذا استعمل القاتل آلة ليست للقتل أو كانت قرائن الحال تنفى تعمده فى قتله أو كان القتل نتيجة دفاع عن النفس

(البقية على ص ٤٦٣)

حتمية الدستور الإسلامى

للدكتور مصطفى كمال وصفى

لا بد لكل جماعة من هدف ، فإن الطاقة الاجتماعية تتفجر من سمو الهدف وقوة الإيمان به .

ونحن نسن دستوراً جديدا لمجتمعنا ، إنما نتكشف النص على الهدف الحقيقى الصادق الذى يستطيع أن يجمع الأمة وأن يرتفع بها ويخرجها من محنتها إلى مراقى العز والسؤدد .

* * *

إن شعب مصر أصيل ، تمكن من الوصول إلى السيادة العالمية أكثر من مرة ، وذلك كلما اتحد نظامه مع هدفه

وإننا نريد الآن دستوراً صادقا يتحرى أهدافنا وإيماننا وعقيدتنا فيبث فى دمائنا حمية الحماسة والتفانى فى سبيله ونحيا به وله .

* * *

ولقد كان نظام هذه البلاد قبل الثورة نظاما يسمى بالنظام الفردى ، أو الليبرالى الرأسمالى ، وهو نظام بطبيعته لا يجعل للجماعة هدفا عاما مشتركا سوى تأمين الحريات الفردية والحقوق الخاصة ، ولكنه لا يجعل فوق هذه الغايات الفردية غرضاً اجتماعيا أعلى ، مثلما يضع الإسلام من نصرة الدين وجعل كلمة الله هى العليا .

* * *

وقد تنتج عن ذلك معايب كثيرة عنيت الثورة بعلاجها فى مستهل قيامها وقد أدى النظام القديم إلى سيطرة الاستعمار ، ونفوذ السراى ورأس المال والإقطاع وإلى تدهور الاقتصاد والجيش

فلما قامت الثورة فى يوليو عام ١٩٥٢ حددت للمجتمع المصرى هدفا عاما ، كانت الظروف تحتم فى البداية ، أن يكون العلاج وقتيا للعيوب التى تخلفت عن عهد ما قبل الثورة . وفى مايو ١٩٦١ صدر الميثاق ناصاً على الهدف العام الدائم الذى ارتأته الثورة وهو الهدف الاشتراكى .

إن الهدف الاشتراكى الذى تتخذه كثير من الدول ، يقوم أساساً على القضاء على الصراع الطبقى وعلى أسباب الاستغلال . وهذا الهدف العام يقبل التطور والتكيف حسب ظروف كل دولة ومقتضيات كل عصر . ولكنه فى جوهره ينحصر فى منع أسباب الصراع والاستغلال .

وهذا الهدف إذا لم تصحبه سياسة محددة وتدابير واقعية وخطة وتطبيق عملى ، يكون مجرد شعار وأمنية . فهو لا يخرج عن وصفه بأنه (اشتراكية خيالية) إلى تحققه كاشتراكية علمية إلا بالخطة والتطبيق السليم .

كما أن هذا المبدأ لا يمكن أن يقوم إلا بالعقيدة والإيمان . فهو يحتاج إلى البيئة الاشتراكية والرجل الاشتراكى . وإلا فلا اشتراكية مهما رددنا من الشعارات وأكثرنا من الأشكال والهيئات .

ألا إن تراث البلاد مرتبط بالهدف الإسلامى أشد الارتباط .

وقد أعربت الاقتراحات والبرقيات الكثيرة فى الأيام الماضية عن شدة التمسك به .

والهدف الإسلامى يقوم على تحقيق ما نسميه بالمقاصد الشرعية : وهى تتلخص فى التضامن فى تنفيذ ما أمر الله تعالى به ومنع ما نهى الله عنه ، سواء بما نص عليه فى الكتاب والسنة ، أو بجلب المصالح ودرء المفاسد التى تقتضيها كليات الشريعة .

ومن ضمن هذه المقاصد منع الصراع والاستغلال . ولكنها أوسع فى جوانبها ومقتضياتها . فهى لا تقتصر على الاعتبارات الاقتصادية والاجتماعية المحددة التى أدركتها «الديالكتيكية» الاشتراكية بل هى أشمل فى نواحيها المعنوية والخلقية التى تضفى على الاقتصاد والاجتماع فى الإسلام اتساعا وشمولا لا تعرفه النظريات الاقتصادية المعاصرة .

* * *

إن الاشتراكية تستطيع أن تتجه اتجاها إسلاميا ، كما اتجهت اتجاها مسيحيا فى بعض الأفكار الأخرى ، أو كما اتجهت اتجاها معنوياً أدبياً فى بعضها الآخر . فالاشتراكية قابلة للتطور والتشكل . وهى إذا فعلت اكتسبت من الإسلام ذلك الشمول والاتساع وتلك

المرونة والإنسانية والسماحة فتكون أرقى وأمتن من سائر النظريات الاشتراكية المعاصرة . ونحن نرضى بها كطريق للتدرج نحو الإسلام . فما كان مطابقا للإسلام اعتمدناه . وما كان مخالفا له رفضناه .

حتمية الهدف الإسلامى :

ولكن لماذا يبحث الإنسان عن هدف دينى ؟ ولماذا لا يرتضى أفكار المفكرين ، أو يقف عند معايير الإنسانية أو الأخلاق ؟

إننا لا نرتضى أفكار المفكرين لأننا محتاجون إلى المبدأ الصادق . وقد أثبتت الأيام أن أفكار المفكرين مهما صدقتها النفوس وقت صدورها ، يتضح على الأيام فسادها .

أما الدين فهو يتميز بأنه خبر صادق .

* * *

إننا محتاجون فى هذه الحياة للخبر الصادق والنظرية الأكيدة المعتمدة فى علاقاتنا ومعاملاتنا . إننا نريد أن نعرف ماهو العدل؟ وماهو الحق؟ على وجه أكيد سواء فى علاقتنا مع حكامنا ومن نحكمهم ، أو مع المتعاملين معنا أو مع أزواجنا وأولادنا وجيراننا .

ولقد صدقنا فلاسفة القرن السابع عشر مرة ، فقامت الثورة الفرنسية وغيرها وسفكت الدماء وقامت الحروب وعانى البشر فى سبيل نصرتها ثم اتضح عدم صدقها . وصدقنا فلاسفة القرنين التاسع عشر والعشرين مرة أخرى فقامت ثورات أخرى وحروب أخرى وأهريقت دماء كثيرة ، ثم هاهو العالم يقف فى معسكرين متكتلين يكاد لهب السلاح يلفح من حالكة التربص بينهما .

ليس من السهل على البشر أن يعتنقوا فكراً ثم يتخلوا عنه .

ليس ذلك أمراً نظريا أو متعة ذهنية ؛ ولكنه فى الحقيقة باب لإجراء بحار الدم وللهدم والتخريب .

ولذلك فنحن نحتاج للقول الثابت الأكيد .

وأن نحتمى بأمر لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

* * *

إن ثبات الدين آلاف الأجيال والقرون ـ منذ أول الأنبياء آدم عليه السلام ـ لشهادة أكيدة بأنه حق وصدق .

إن الحق واحد لا يتغير والصدق واحد لا يتبدل .

أما ماليس حقا أو صدقا فلا يدخل تحت حصر .

إن أهل الدين منذ بدء الخليقة على ما هم عليه يتبدل عليهم المنتقدون ومن يزعمون أنهم أهل الفهم والتقدم ؛ ثم لا تلبث أمواج هجماتهم أن تتبدد على هذه الصخرة الثابتة العاتية .

إنه حصن الأمن الذى رد آلاف الغارات والهجمات .

إن الإنسان فى كنفه يكون آمنا مطمئنا متأكدا .

ويكون له فيه هدف واضح محقق يعلل وجوده ومآله .

* * *

إننا محتاجون للدين من جهة أخرى فوق احتياجنا للخبز الصادق . ذلك أن الإنسان عابد بطبيعته .

وإذا لم يتصاعد إلى عبادة الحق المطلق والعدل المطلق وسائر المعانى المجردة التى يتصف بها الله تعالى - عبد شهواته وأطماعه ونفسه وكل ما تنزع إليه ؛ فى هياكل المادة التى يشيدها لإشباع هواه ؛ من محال اللهو والمجون إلى مؤسسات التداول والمال أو تشكيلات التنظيم والتدبير لتحقيق النفوذ ؛ وفى مثل ذلك المناخ لا يمكن أن يسود العدل المطلق مادام للنوازع الإنسانية مقام فى تلك الهياكل والأوثان .

* * *

إن النظرية الدينية التى تقوم على قوله صلى الله عليه وسلم (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) أصدق من النظرية السياسية التى تقول (إن الملك يتولى الحكم ولا يحكم) ! !

وإن تعريف السياسة فى الإسلام بأنها تعهد الأمر بما يصلحه ؛ وقولهم بأن الولاية هى اختصاص بالمصلحة ، وأن التصرف فى الرعية منوط بالمصلحة أصدق وخير من قولهم إن الغاية تبرر الواسطة .

إن السياسة الشرعية لا تقوم إلا على المصلحة العادلة .

والسياسة الوضعية لا تبرأ من الشهوة والأنانية .

* * *

إننا لا نعتمد فقط على القول بأن الإسلام هو أعز مقوماتنا القومية .

ولا على أنه المحرك الأكبر والمحور الذى قام عليه تاريخنا .

ولا على أنه خلف لنا تراثا تليداً لا يمكن لنا أن نفرط فيه .

ولا على أنه عنصر الجنس واللغة وقوام الحياة فينا .

فقد يقال إن ذلك كله إنشاء وعبارات ولكننا نتشبث بالدين لأنه الخبر الثابت الصادق الذى يرينا الحق حقاً والباطل باطلا ويرسى لنا معايير حياتنا وأصول معاملاتنا وعلاقاتنا .

ولأننا لو تركناه عبدنا أنفسنا وشهواتنا وأطماعنا وتردينا فى حمأة الصراع والظلم والهلاك .

لذلك كله فالدين حتمى فينا .

الاعتبار الأخلاقى:

ولكن ألا يكفى أن نتمسك بمبادىء الأخلاق ، وأن نجعلها المقوم الأساسى لمجتمعنا فى الدستور ؟

إن الأخلاق تأمر بما يأمر به الدين فلماذا لا نكتفى بالأخلاق من دون الدين؟

ألا يكفينا ألا نكذب ، وألا يغش بعضنا بعضاً ، وألا نفعل ما يجلب العار؟

* * *

كلا لا يكفينا التمسك بذلك باسم الأخلاق فقط .

لأن الأخلاق ـ فى الواقع ـ عنصر ذاتى فى النفس . فكل إنسان له نظرته الذاتية الخاصة لأمور الأخلاق .

ومهما قلنا : إن الأخلاق هى أمر اجتماعى ، أى يعتمد على تقبل المجتمع أو رفضه لما يفعله الإنسان وإن الفضيلة لا تعتبر فضيلة إلا إذا أقرها المجتمع كفضيلة . وإن الرذيلة لا تصير رذيلة إلا برفض المجتمع لها . مهما قلنا بذلك فإن الأخلاق طواعة لفساد الضمير الفردى فالواقع أن كل إنسان ينصب نفسه حكما خاصاً على مبرراته ومعاذيره فإذا فسد ضميره سوغ لنفسه ما يشتهيه بالتحايل على نفسه فى التعريف والوصف والتجاوزات والرخص والأعذار ، فيجد لنفسه ـ خاصة إن كان قوياً ـ مائة مساغ ومساغ إلى الباطل .

إن الأخلاق لا تصلح لأنها محكومة تحكمها النفس والهوى .

والهدف يجب أن يكون حاكماً ولا يصلح أن يكون محكوما .

* * *

وإن الأخلاق لا تسمى أخلاقا إلا إذا خلت من الجزاء .

أما إذا صحبها الجزاء الدنيوى فإننا نسميها قانونا .

وإذ صحبها الجزاء الأخروى فإننا نسميها دينا .

والأمر الذى لا جزاء عليه لا يصلح حاكما .

* * *

إن الشريعة الاسلامية ترقم الخالقيات بالجزاء الدنيوى وبالجزاء الأخروى . فتصف الفعل المخالف للأخلاق كالغش بأنه باطل وتهدر أثره فى المعاملات . كما توقع العقوبة على المخالف .

وكذلك فهى تصف هذا الفعل بأنه حرام وتهدد فاعله بغضب الله ومعاداة المسلمين لقول النبى صلى الله عليه وسلم (كل خديعة فى النار) و(من غشنا فليس منا) .

وإن القانون يضع الجزاء الدنيوى فقط على بعض أنواع الغش . وليس على كلها . ولا شأن له بالجزاء الأخروى .

وإن الأخلاق لا تضع ألبتة جزاء دنيويا أو أخرويا على شىء من ذلك . فإذا ارتكبت الغش وأنت فى ناس غشاشين أعجبوا بك ؛ وكان فى ذلك تزكية ترفعك . وإذا ارتكبت زوراً ولم يعلم به أحد برئت من آثاره فى نظر الناس . وأما فى نظر نفسك فليس أعذر لنفسك منك ولا أشد تسامحا معك من ضمير مطاط .

إن الأخلاق لا تعصم المجتمع من الأمراض الاجتماعية .

إذا تطور المجتمع وفسد، ساغت عنده المعايب والفضائح . ولم تعد الأمور التى تمجها الفطرة السليمة عيبا ولا عارا .

وإن بعض المجتمعات الآن لا ترى بأسا فى الزنا والشذوذ الجنسى . وكانت اسبرطة ومجتمعات النور (الغجر) لا تعيب السارق ولذلك فالمعيار الخلق لا يعتمد عليه كمقوم اجتماعى ؛ لأنه متطور طواع لفساد الضمير الاجتماعى ؛ كما رأيناه طواع لفساد الضمير الفردى .

الهدف الاقتصادى :

لقد فتن هذا الهدف ألباب الناس . وقالوا إن آخر سعى الإنسان وخلاصة مقاصده هو الغرض الاقتصادى .

لقد أوحت عبادة المادة للناس بهذه النظرية وملكت عليهم ألبابهم . ورأوا أن الاعتبار الاقتصادى وراء كل تصرف . وأن النظم يجب أن تقوم على تحقيق المصالح الاقتصادية والمحافظة عليها .

إن هذه الفكرة كاذبة خاطئة .

حتى علم النفس الحديث يرى وهو مانازع فيه - أن الجنس وراء كل تصرف وأنه الغرض النهائى لأعمال الإنسان .

إن هذه النظرية الاقتصادية قد أهدرت فى النظم التى اتخذتها اعتبارات معنوية يقدسها الفرد .

لقد ضحت بالحريات ، وضحت بالعدالة الحقيقية، وأحالت الفرد إلى مجرد لحل فى قايم كبير أو ترس فى آلة ضخمة.

إنها - بعد أن نزلت باحتياجات الإنسان إلى حد إشباع الحاجة المادية من طعام ولباس ومأوى وحرصت على أن ينال الجميع هذا القدر من الإشباع على قدم المساواة ، أهدرت الكيان الإنسانى والمشاعر الإنسانية والأحاسيس النبيلة التى من أجلها سمى الإنسان إنسانا

إن هذه النظرية دنيئة فى مقاصدها والنظر للناس بعين المساواة المطلقة هى عين الظلم، لأنك بذلك تغفل المزايا الجوهرية التى يتمتع بها إنسان ويتميز على آخر .

ولا شك أن النظم التى تقدر الحريات وتعرف للإنسان كرامته وتعترف بأحاسيسه ومشاعره وأمانيه هى أرقى وأسمى من النظم الاقتصادية البحتة .

إن للإنسان قواما معنويا وروحيا لا شك فى ضرورة الاعتراف به واحترامه وتقديسه .

وإن احتياجه للعبادة والثقافة وتقدير الخير والجمال هى اعتبارات جوهرية ، ولا يغنى عنها أن ينال الإنسان حصته من الماء والخبز .

* * *

إننا لا نرى مفرا من اعتناق الدين.

وإن الدين لا ينظر إلى دنيانا فقط ، بل إلى آخرتنا كذلك .

ولا ينظر للفرد الواحد بل للجماعة متضامنة .

ولا يقف عند الاعتبارات الهابطة بل يسمو بالإنسان إلى قمة الأهداف المعنوية والإنسانية :

وإن لقوة الهدف من القدرة ، ما تستطيع به أن ترفع الإنسان مكانة عالية إذا كان إيمانه به قويا :

السبيل إلى العودة للشريعة :

وإن التوفيق بين الهدف الاشتراكى - الذى نرتبط به الآن بحكم الميثاق - والهدف الإسلامى الذى تنشده البلاد ليس على شيء من الصعوبة ، فإن الاشتراكية

تسطتيع أن تنطور تطوراً إسلاميا كما أن الأهداف التى تنشدها الاشتراكية هى جانب من المقاصد الشرعية التى تستهدف - فيما تستهدف - منع الاستغلال والصراع والتنازع بين الناس وتنشد العدالة الاجتماعية بمعان أوسع مما تنشده الاشتراكية كما قدمنا .

وليس هناك نظام يتفق مع تصميم الميثاق أكثر من الشريعة الإسلامية فهى تجمع بين الفردية والجماعية ، وتستطيع أن تغذيه بتطبيقاتها الواسعة بالحلول العملية الغزيرة التى تساعده على إصدار الخطة والتشريعات اللازمة، كما أن الشريعة الإسلامية ـ باعتبارها عقيدة الشعب ـ يجب أن تتبع ؛ لأن الشعب مصدر السلطات .

* * *

وإن تطبيق الشريعة والرجوع إليها يحتاج إلى التدرج لأن الشريعة تقوم على عدم المشقة ورفع الحرج .

وفى ذلك نفرق بين أمرين :

بالنسبة للعادات لا مانع من الإفساح للناس فيما ليس فيه نص قاطع وجوبا أو تحريما، أى فى المباحات والأمور المشتبهة والخلافية والمندوبات والمكروهات ويترك ذلك لأمر المجتمع فإنه متى صلح نبذ الطالح واستزاد من الصالح . وبالنسبة للأحكام فإنه يجب أن ينص الدستور على ضمانتين لتطبيق النص على هيمنة الشريعة على القانون واستمداد أحكامه منها .

الضمانة الأولى ـ ضمانة وقائية : تقوم على إرفاق مشروع القانون عند تقديمه للمجلس التشريعى برأى جهة شرعية متخصصة، ولا يكون رأيها ملزما ، فإن شاء المجلس خالفها فإنه يجوز لذوى الشأن الطعن فى القانون الصادر لمخالفته للدستور .

الضمانة الثانية ـ ضمانة علاجية :

وبمقتضاها يكون لذى الشأن أن يطعن أمام المحكمة المختصة بعدم دستورية القانون لمخالفته للشريعة ، وذلك باعتبار أن الشريعة نظام يعلو على القانون فتكون مخالفتها مخالفة للمذهب الاجتماعى الأمر الذى ينافى الدستور . وبذلك تتدرج الشريعة فى تعديلها .

أما طريقة تقنين الشريعة سلفا قبل التطبيق فهى طريقة لا نوافق عليها ونراها عديمة الجدوى إذ من المستحيل أن يسبق التشريع العمل .

والله سبحانه وتعالى قادر على أن نبلغ أمانينا ونحيا بشريعتنا ؟

د . مصطفى كمال وصفى

سُلطانُ القانُون

للدكتور محمد خليفه

إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ؛ فسلطان القانون الذى تخشع له فى أجيالنا النفوس وترتجف القلوب ، قد يكون تأثيره أخطر من آية قرآنية تدق الأسماع ولا تصل إلى القلوب ، وكم هزت آيات الله الرعيل الأول من المسلمين ؛ فصعقوا احين دوت فى أسماعهم واقشعرت لها جلودهم رهبة وخوفا ، ومع ذلك يقول الحكيم لهؤلاء : (إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن) .

وإن الدولة لتتجه إلى تقنين جديد لهذه الأمة ، فيجب أن يتحمل المقننون مسئوليتهم ؛ لأن مواد القانون تعمل عملها فى حمل الأمة على الطريق وتوجيهها الوجهة المرضية التى لم يستطعها القانون المستورد .

إن المجتمع الصالح يجب أن تعيش صورته المنشودة فى خواطر المقننين ليضعوا ما يوصل إلى إيجاده وخلقه ؛ فلا تعيش عقولهم مع أسمار من قوانين الغرب أو الشرق لا تربطها روابط بمجتمعاتنا الإسلامية التى لها أخلاقها المتوارثة وتقاليدها التى استمد أكثرها من ديننا وتوجيهاته القويمة .

وإن المقننين الذين يؤمنون بأثر القانون فى المجتمع هم الذين يستطيعون أن يعملوا عملهم فى تكوين الأمة المنشودة وعليهم أن يحملوا مسئولية تلك الأمانة واثقين فى قدرتهم وإيمانهم .

وإن مسئولية الانحراف على مختلف المستويات تقع على المقننين قبل أن تلقى على العلماء أو على رجال التربية أو الكتاب المسلمين ؛ وإن كان أولئك جميعا يشتركون فى حمل تلك المسئولية ؛ فالقانون الرادع أولا ؛ والعظة والتوجيه والقلم ثانيا وأخيرا .

إن القانون يجب أن يحكم قبضته على من وضعتهم الأمة فى موضع المسئوليات عظمت أو صغرت ، ثم يجىء دور العظات الحية فتجذب حيويتها النفوس إلى طريق

الحق ، ثم يتحرك دور التربية والتوجيه في عمل أو نص أو قصة مؤثرة تعمل عملها في هدى النفوس ، وأخيراً يجيء دور الكاتب المسلم الذي يتحرك قلمه الإسلامي في المواقع والمواقف مستلهما من دينه وثقافته الإسلامية العون على الإرشاد والتأثير .

إن الانحراف الذي عانت منه الأمة في ماضيها القريب وحاضرها ما عانت يجب أن تعيش صورته أمام المقننين ليتخذوا من سلطان القانون الصرامة الرادعة ، وعلى قدر ضخامة المسئولية تكون قسوة الردع ، وعلى قدر سمو مواقع المسئولية تكون صورة العقوبة.

« الانحراف »

وقد اجتاحت الأمة تيارات الانحراف ، حرك بعضها الغدر ، ودفع بعضها الطمع في الاستئثار ، وساق بعضها الأمل في الجاه أو المال ، وهزت كل هذه التيارات كيان الأمة بل كادت تطيح بكل ما بنت من أمجاد بذلت في سبيلها الدم والمال، لولا عناية الله التي لم تتخلف عنها في المحن ، ولم تتركها طعمة للأحداث ، لأنه لم تزل فيها بقية باقية من تراث إسلامي يرعاها الله من أجله ، ولولا رحمة الله التي أرادت الخير لهذه الأمة التي يجتاز حاضرها المحن والأهوال فلولا هذه العناية وتلك الرحمة لسقطت مصر فريسة الأثرة الطاغية ومؤامرات الطغيان الجائر ، ولكن الله سلم ،ونجاها من عواصف الخلاف التي استشرت حتى تاهت النفوس في ليلها الحزين وتداركها الله فضمد جراحها في لحة ، وأنقذها من الغوائل ودمر مراكز القوى على رءوس الباغين.

وإلى جانب استهداف الأمة لتلك الانحرافات على المستوى المسئول ، فهي تعيش هدفا لألوان من الانحرافات الخلقية دبت في كيانها وكادت تقضي على الشباب الذي تناط به آمال المستقبل ، فقد جره الانحراف إلى التأنث حين ترجو الأمة منه أن(يسترجل) لحاكي الفتاة في ملبسها ومظهرها وشعرها وتهاديها ، وكأنما استنكر على الله أن يخلقه رجلا فصنع من نفسه أنثى له مظهرها الذي ينتزعه من دنيا الرجولة صاحبة القوة والبأس إلى دنيا قد تعافها الأنثى التي لا تعترف بضعف الأنثى ، وبهذا الشباب التائه بين

رجولة لا يحمل شيئا من معانيها وأنوثة له كل مظاهرها ، بهذا الشباب غصت دور (السينما) والمسارح والطرق والحدائق ، وخلت منه مراكز التدريب وأندية الثقافة ومراكز التوجيه، وأصبح لا يملك من العلم الذى هو حياة الأمم وعدة مستقبلها غير قشور تتبخر من حياته يوم ينتهى امتحانه وهو يعيش حياته المدرسية صريع الجهل حتى تسلمه تلك الحياة إلى ميدان العمل جاهلا بكل ما يريده العمل .

« بين شبابين »

وحين نتحدث عن شبابنا تلمع فى الخواطر صورة الشباب المسلم فى فجر الإسلام، فنقف أمام الصورتين فى صراع تشدنا صورة إلى الإكبار والإعجاب فتنحنى هاماتنا إعظاما لشباب لا يعترف بعمره ولا بسنه بل يكره مظهر الصبى ويأبى إلا أن يخوض المعامع فى الصفوف الأولى مع الشجعان ، ويجلس مجالس المعمرين من العلماء للعلم والفتوى ، بل يقود الجيوش كأعظم القواد تجربة وحكمة وإدارة وحزما وقوة .

ثم تبدو الصورة القاتمة لشبابنا الذى تأنث فيه من تأنث ، ولا ندرى أيجد المستقبل بين أمثال هؤلاء من يتحمل مستقبلا مسئولية الأمة سياسيا أو عسكريا أو توجيهيا أو علميا وهم على هذه الصورة المترنحة من الانحلال ، بل التى تكاد تتساقط وهى فى ريعان الشباب .

إن بين الشبابين فرقا تضل فى متاهاته الخواطر وتحار العقول ، شباب يصنع الحياة ، ويعمل عمله فى توطيد دعائم المجتمع بعقله وخلقه وجهده وعرقه بل بدمه ، وشباب تلعب به أسباب الفناء ويقوض بناء المجتمع بسلوكه وانحلاله ، ونأيه بنفسه عن مواطن الخير والفلاح والكفاح من أجل هذا المجتمع الذى يعيش فيه ويجب أن يعمل له .

ولسنا ندرى متى ترى الأمة شبابها كله يعمل فى كل المجالات على خلق الأمة التى كانت خير أمة ، وإننا لا نغمط جهد شبابنا المحارب على خط النار ووراء خطوط النار فى المصانع فأولئك تقدرهم الأمة حق قدرهم ، وإن الأمة لتود أن ترى كل شبابها فى خلق الشباب المحارب وإيمانه وثقته وعمله فمتى ترى الأمة

أبناءها جميعا ، فيهم روح الجندى وعزمه ونجدته ودينه وخلقه ، إنها يوم تبصر أبناءها فى مواقعهم يؤمنون ويعملون لن تقف أمامها يومئذ قوة ، ولن تصدها عن آمالها قدرة أرضية .

« الإيمان والعمل »

ما أحوج هذه الأمة فى حاضرها ومستقبلها إلى إيمان يصنع حياتها وإلى عمل يبنى أمجادها ، وليس الإيمان الصانع كلمات تمضغها الأفواه ، أو تتسع لها الحناجر أو تنمقها الخواطر ، أو تجرى على الألسنة سحرا ، أو ترسلها المشاعر شعرا ، وإنما الإيمان عقيدة صادقة تحث على العمل المخلص .

وليس أقدر من مبادىء ديننا على خلق الإيمان فى القلوب ، وصانع الإيمان هو القرآن إذا عشنا مع معانيه وأوامره ونواهيه بقلوبنا وأرواحنا ثم حملنا نفوسنا على طريقه فعملنا به ، واهتدينا بهداه .

وهذا القرآن هو الذى صنع الأمة التى دانت لها القوى ، وخشع لها كل سلطان ، والدعاة المؤمنون بهذا القرآن وبقدرته على الخلق هم الذين يستطيعون حين يتجردون من حب الدنيا خلق الإيمان وتعميقه فى القلوب .

فليت مواكب العمل ترى هذا اللون من الدعاة المؤمنين ، وليت الذين يلوكون القول بغير إيمان يختفون من حاضر هذه الأمة ، ومن مجالات القول ليخلو الجو للمؤمن العامل فيتحمل مسئوليته أمام الله والتاريخ ، وقد يكون هؤلاء أقدر على خلق الحياة فى الضمائر التى تصارعها الأهواء ، وتنخر فيها الأمراض ، ولقد نادى السيد الرئيس أنور السادات بضرورة حياة الأمة إلى الإيمان والعمل ، ويجب أن يترجم أولئك الذين يقيمون فى مواقع المسئولية الإيمان والعمل إلى رسم وتخطيط للطريق الذى يوصل إلى الهدف فى حاضر قريب محدد على أن تشترك فى الرسم والتخطيط والتنفيذ والمتابعة نفوس لها إيمانها وصدقها وإخلاصها واستعدادها للنهوض بمسئولياتها .

وحين يحقق الله اختيار هذه النفوس وحين تصل الأمة بإيمانها وعملها إلى هدفها تكون خليقة آنئذ بزعامة المعسكر

الإسلامى لتحقق بقدرته وانطلاقه وجود الأمة القائدة .

وإن الأمة لتؤمن بأن فى الرئيس أنور السادات طاقات عميقة وعظيمة وقديمة من الإيمان وأن تلك الطاقات تستطيع أن تحرك كوامن الطاقات المؤمنة التى توارت وراء الصور الباهتة المستغلة، ولعل الله يغير بالرئيس أخلاق هذه الامة ، ولعل الله يهىء له اتجاها جديدا بهذه الامة على طريق الحق يحدوه إيمانه بربه وثقته فى نصر المؤمنين .

وقديما قالوا : الناس على دين ملوكهم « والأمثال لا تغير » .

محمد خليفة

(بقية المنشور على ص ٤٥٠)

أو العرض أو المال، وغير ذلك من الصور التى يسقط القصاص فيها عن القاتل لوجود شبهة أو احتمال ، وبذلك تنهار الحجة بأن هناك احتمال حدوث خطأ فى أحكام القضاء تودى بحياة أبرياء ، وإن من القواعد المقررة فى الشريعة الإسلامية أن القاضى لأن يخطىء فى العفو خير من أن يخطىء فى العقوبة .

وبعد : فمتى نتخلص من عقدة التقليد والتبعية ؟ ومتى نرجع إلى أنفسنا وقيمنا ونعطيها من الجهد والفهم والنظر ما هى جديرة به وهل نظل هكذا دائما نستحسن قول الآخرين مهما كان بادى الضعف والتهافت .

إن القصاص هو شريعة الله التى أنزلها فى كتابه الكريم ، وقد أوجبه على المؤمنين فناداهم بقوله : (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى) وجعل فيه حياتهم ودعا ذوى الألباب ليتدبروا شريعته ويقفوا على غاياتها (ولكم فى القصاص حياة ياأولى الألباب لعلكم تتقون)

وصدق الله العظيم

عبد الرحمن العدوى

الملكية بوضع اليد أو سقوط الحق بمضى المدة

للأستاذ سيد عبد الله حسين

الملكية بوضع اليد - أو سقوط الحق بمضى المدة حكم موضوعى فى التشريع الفرنسى ، وفى التشريع الإسلامى ، وقد ذكر أيضا فى القانون الرومانى ، فهل هو من محدثات التشريع الوضعى ، أو هو مأخوذ من التشريع الإسلامى أو من التشريع الرومانى ؟ هذا بحثنا فى هذا الموضوع ، وسيتبين أنه أخذ من التشريع الإسلامى لا من القانون الرومانى كما يقول المشرعون الوضعيون وسيكون الموضوع محكما بالنصوص من التشريعات الثلاث - وسنقول الحكم لغير المتحيزين ولمن له قلب يفرق بين الحق والباطل ، والله على ما نقول وكيل .

أولا - القانون الفرنسى أو التشريع الوضعى :

- سقوط الحق بمضى المدة محدود بالقانون وهو سبب للملكية أو وضع اليد

- والملكية بوضع اليد قسمان :

١ — وضع اليد المدة الطويلة - التملك أو الملكية بوضع اليد .

٢ — سقوط الحق بمضى الزمن ، أو تلاشيه وانقراضه .

فالملكية بوضع اليد تكون سببا لملكية عقار بدون حجة الملكية بل بوضع اليد فقط

والملكية بالتلاشى تكون سببا لرفع دعوى خاصة بحق أهمله صاحبه بعض الوقت

إذا لم يوجد وضع اليد ، فعلى من يدعى الملكية إثبات أنه تملك هذا العقار من ماله الحقيق - وبسبب وضع اليد يكفى إثبات أنه تملكه بوضع اليد أو من تلقى عنه الملك وضع يده المدة القانونية .

والشرط الأساسى للملكية بوضع اليد هو وضع اليد - أما الملكية بالتلاشى فلا تستلزم شرطا إلا الإهمال فى الحق .

شرح القانون الفرنسى للعلامة فوانيه ج ١ ص ٥٤٤ و ٥٤٥ و ٥٤٦ و م ٢٢١٩ وما بعده كود سيفيل - مدنى

ثانيا : التشريع الرومانى :

التملك بوضع اليد المدة الطويلة - هذا التملك يستعمل فى حالتين :

١ — فى حالة تملك شىء يمكن نقله – فالمشترى لا يملك ما اشتراه بمجرد العقد بل يملكه بوضع يده عليه سنة إن كان منقولا وسنتين إن كان عقارا .

فالملكية بوضع اليد فى هذه الحالة كانت لتنظيم الملكية الناقصة فى الشكل بشرط أن يكون البائع هو المالك الحقيقى .

وكذا فى المعطى غير المالك الحقيقى بشرط ألا يكون مسروقا ومع حسن النية وبسبب صحيح فيصبح واضع اليد مالكا للعين التى تحت يده بما لها وما عليها من الحقوق العينية .

شرح القانون الرومانى للعلامة فوانيه ص ١١٦ و١١٧ و١١٨ ج ١

والفرق بين التشريع الرومانى والتشريع الفرنسى أن وضع اليد أو الحيازة لم توضع فى القانون الرومانى أصالة للتملك، وإنما اعتبرت تصحيحاً للتعامل بين المتعاقدين على ملكية محل التعاقد؛ إذ من المعلوم فى القانون الرومانى أن عقد البيع غير المملكية ، فعقد البيع يكون كلا المتعاقدين مديناً للآخر بما تعهد به من ثمن أو مثمن فقط، فلا تتحقق بالبيع الملكية فاعتبرت الحيازة أو وضع اليد سنة أو سنتين متمم لما تم عليه التعاقد لنقل الملكية .

وأما فى التشريع الفرنسى فقد اعتبر عقد البيع مساوياً للتمليك فلا يحتاج التمليك لشىء آخر وشرعت الملكية بوضع اليد كأحد أسباب الملكية فالبيع والهبة والقرض والبدل الخ ، هذه العقود المملكة تعادل التمليك مباشرة وكذلك من أسباب الملكية وضع اليد المدة المعروفة فهى حالة مستقلة لها أحكامها قائمة بذاتها تفيد تملك الشىء المحاز للحائز متى استوفى أركانه وشروطه .

ثالثاً : التشريع الإسلامى :

ذكر المشرع الإسلامى الحيازة المفيدة للملكية فى موضعين :

١ — فى الاستحقاق — فقد جاء بصفحة ١٩٤ ج ٢ حاشية الصاوى على الشرح الصغير قوله : (وسبب الاستحقاق قيام البينة على عين الشىء المستحق أنه ملك للمدعى لا يعلمون خروجه ولا خروج شىء منه عن ملكه إلى الآن — ويمنعه عدم قيام المدعى بلا عذر مدة أمد الحيازة أو اشتراؤه

من حائزه من غير بينة ، وجاء مثله فى الشرح الكبير ص ٢٣٣ ج ٤

٢ — وجاء بصفحة ٣٢٨ ج ٢ الشرح الصغير فى ترجيح البينات عند التعارض قال: (ورجح بالملك على الحوز فمتى شهدت بالملك قدمت على من شهدت بالحوز ولو تقدم تاريخ الحوز على تاريخ الملك لأن الحوز قد يكون عن ملك وغيره ، اهـ ومثله فى الشرح الكبير بصفحة ٢٢١ج٤ وجاءت أحكام الحوز ومدده وأقسامه بصفحة ٣٣٢ وما بعدها .

وبالرجوع إلى التشريع الفرنسى والتشريع السماوى نجد أنهما قد اتفقا على أن من أسباب الملكية وضع اليد أو الحوز مدة معينة ـ وبلا شك أسقطنا من الاعتبار النص الرومانى لأنه لم يكن وضع اليد فيه للتملك مباشرة كسبب مستقل بل كان لتكملة عقد ناقص وهو التملك بأى سبب فكان لا يتم إلا بوضع اليد مدة سنة فى المنقول وسنتين فى العقار .

أما فى التشريعين فهو سبب حقيقى قائم بذاته يترتب عليه الملكية ـ وبما أن التشريع الإسلامى قد وجد فيما بعد سنة ستمائة ميلادية، ولم يكن التشريع الفرنسى قد وجد فكان عقايا هذا التشريع بهذا الأصل من أصول التملك قد أخذ عن التشريع الإسلامى .

وبنظرة بسيطة فى علة التملك بوضع اليد نجده أنه شرع لإيجاد حالة استقرار وطمأنينة لوضع اليد؛ فهو دليل ظاهرى يدل على الملكية إن لم يقم دليل آخر أقوى منه ـ وبعد مضى مدة معينة لوضع اليد وبشروط معينة يصبح دليلا قاطعا يفيد الملكية .

شروط الملكية بوضع اليد :

أولا ـ القانون الفرنسى ـ يجب وجود الشروط الآتية ليكون وضع اليد مفيداً للملكية :

(١) يجب أن يكون الشىء المحاز قابلا للملكية بوضع اليد، فيخرج: ١ ـ الأملاك العامة للدولة ٢ ـ وأملاك الوقف العقارية (مرسوم اول مارس سنة ١٨٠٨)

ويدخل وضع اليد على المنقول بسوء نية لمدة ٣٠ سنة ـ والمنقول المسروق أو الضائع لمدة ٣ سنوات .

(٢) يجب وضع اليد فعلا مستمراً خالياً من كل عيب .

(٣) يجب مرور زمن محدد ـ ويبتدىء

زمن سقوط الحق بمضى المدة والتملك من يوم وضع اليد على العقار إلا فى ١ - الحقوق المستقبلة الخاضعة لشرط تحقيق وفاة شخص، فالمدة تبتدىء من يوم الوفاة وإلا فى ٢ - الحق الخاضع لتحقيق شرط كالبيع بشرط ملغى أو موقف للمالكية ص ٥٤٦ وما بعده فوانيه ج ١

ثانيا - التشريع الإسلامى - لكى يكون وضع اليد سببا للملكية يجب تحقق ما يأتى :

(١) يجب وجود الحيازة بالفعل على شىء محوز مدة محددة.

(٢) يجب حصول التصرف من واضع اليد كتصرف المالك فى ماله - كركوب دابة أو لبس ثوب.

(٣) أن يكون الشىء المحوز قابلا للتملك بوضع اليد.

(٤) عدم منازع لواضع اليد فى مدة حيازته.

(٥) أن ينسب واضع اليد الشىء المحوز إلى نفسه مالكا.

(٦) أن تعد البينة أن الشىء الموضوع يده عليه لم يخرج عن ملكه فى علمهم بناقل شرعى، فيتفق التشريع الفرنسى مع التشريع السماوى فى :

أولا : أن يكون الشىء المحاز قابلا للتملك بوضع اليد - فلا يفيد المالكية وضع اليد على أملاك الدولة مثل الطرق والكبارى والأنهار والمدارس والمساجد والوقف وما أشبهه.

فقد جاء فى الشرح الكبير ص٢٣٤ج٤ « بعض أنواع الحيازة تسمع فيه الدعوى والبينة كما فى :

(١) ما فقد شرطا من شروط الحيازة كحوزه ملك غيره أقل من المدة المقدرة وتصرف فيها بالهدم أو البناء وادعى ملكه بوضع اليد ثم قام عليه إنسان وادعى المالكية وأقام بينته - سمعت دعواه وبينته إن صحت وحكم له بما طاب - والحيازة هى وضع اليد على الشىء والاستيلاء عليه) شرح كبير ص٢٣٣ج٤ .

(٢) وكما إذا تبين أن المحوز حبس (وقف) أو طريق أو مسجد فالحيازة لا تنفع مع وجود البينة المثبتة ذلك.

ثانيا : يجب أن يكون وضع اليد وقع بالفعل واستمر خاليا من كل عيب مدة

الحيازة ، فلا يفيد الملكية وضع اليد غير المستمر ، والذى اعترضه ما أفسده .

فقد جاء بصفحة ٢٣٣ الشرح الكبير ج ٤ ما يأتى (وإن حاز أجنبى غير شريك وتصرف ، ثم ادعى حاضر ساكت بلا مانع له من التكلم ، فإن نازع أو جهل كون الشىء المحاز ملكه أو قام به مانع من إكراه أو صغر أو سفه أو سطوة الحائز فلا حيازة مع هذه الموانع ولا تفيد الملكية ولو مضت المدة المقدرة) .

ثالثا : يجب أن يمر زمن محدد من وضع اليد على الشىء المحوز مبتدأ من يوم وضع اليد إلا فى :

(١) الحقوق المتصلة بشىء مستقبل كشرط تحقق وفاة شخص فمدته تبدأ من يوم الوفاة كمن أوصى بأزيد من الثلث ووضع الموصى له يده على الوصية كلها ولم يعلم بها الوارث فالمدة تبدأ من يوم الوفاة متى علم الوارث بهذه الزيادة (لا من يوم عمل الوصية) - ومن يوم علمه بذلك .

(٢) الحقوق الخاضعة لتحقيق شرط كالبيع بشرط ملغى أو موقف للملكية كمن باع بثمن مؤجل واشترط أنه إذا لم يدفع الثمن فى ميعاده المحدد فالبيع باطل وجاء الميعاد ولم يدفع الثمن وبقى المشترى واضعا يده على العين المبيعة فبدء مدة وضع اليد تكون من يوم تحقق الشرط الملغى .

(٣) الحقوق المتعلقة بشىء مستقبل لا يجوز التمسك بها شرعا مادامت لم تحصل ولم يتم وقوعها فالحق المستقبل سببه غير واقع حتى يوجد سببه ، وعلى ذلك تتولد ما يترتب على وجود الحق بالفعل ، فالسكوت على ما زاد فى الوصية أو على ما نتج من تحقق الشرط الملغى لا يتولد عنه حق يصح أن تقع عليه حيازة - وعلى ذلك فقد أخذت جميع أحكام التملك بوضع اليد فى القانون الفرنسى من الشريعة الإسلامية .

ويلاحظ أن (أملاك الوقف العقارية لا تدخل فى العقار الذى يصح تملكه بوضع اليد)

أضيفت إلى التشريع الفرنسى سنة ١٨٠٨ أى بعد تقنين الحقوق المدنية فى كود نابليون سنة ١٨٠٣ أى بعد التشريع الإسلامى بنحو ١٢٠٠ سنة وكسور ، وقد كان التشريع الإسلامى منتشرا فى أوروبا من الشرق ومن الغرب ومن الجنوب .

المدة الضرورية للتملك بوضع اليد

أولا — القانون الفرنسى :

الملك بوضع اليد تجب له مدة محددة كما يأتى :

١ — المدة من عشر سنوات إلى عشرين سنة إذا كان واضع اليد حسن النية ووضع يده بحق وبحجة صحيحة.

٢ — المدة ثلاثون سنة إذا كان واضع اليد سيء النية — وليس واضعا يده بحق أوهما معا — فوضع اليد بحجة صحيحة — هو كل عمل قانونى يكون قابلا لنقل الملكية فى حد ذاته كالبيع والإعطاء نظير دفع شيء والوصية والهبة بين الأحياء (فيخرج ما كان بعقد إيجار وصلح وقسمة ومرسى المزاد)

- والحجة المعيبة — هى كل حجة معيبة بعيب خاص - كما إذا كان البائع لا يملك العقار المبيع — لأنه ليس أهلا للتعاقد قانونا — أو لأن إرادته كانت غير كاملة فى العقد فوضع اليد يكون فى عشر سنين إلى عشرين سنة .

- والحجة الخادعة الفاسدة وهى مايعتقد واضع اليد أنها صحيحة فلا تكفى لوضع اليد إلا بعد ثلاثين سنة .

- من تعاقد مع صبى أو مع من غشه أو خدعه يكون حسن النية فيملك بوضع اليد من عشر سنوات إلى عشرين سنة وحسن النية يجب وجوده عند وضع اليد وحسن النية مفروض بالقانون فعلى من يدعى غير ذلك إقامة الدليل .

- يتم التملك بوضع اليد عشر سنوات إذا كان مالك العقار محل الحيازة ساكنا بدائرة محكمة الاستئناف التابع لها العقار ويتم التملك بوضع اليد عشرين سنة إن كان مالك العقار مقيما خارج دائرة الاستئناف التابع لها العقار وما بعدها ج ١ فوانيه)

ثانيا : التشريع الإسلامى :

المدة الضرورية للتملك بوضع اليد :

لكى يكون وضع اليد حجة تفيد الملكية وتعارض الأدلة الأخرى يجب أن تمضى المدد الآتية فى وضع اليد كما يأتى :

أولا فى العقار مدة الحيازة فيه عشر سنين وذلك :

١ — فى أجنبى غير شريك تصرف فى العقار بهدم أو بناء أو هبة أو صدقة أو زرع أو غرس أو إيجار ، أو بيع

أو قطـــع شجـر — متى كان العمل كثيرا .

٢ — فى شريك أجنبى تصرف فى العقار بهدم أو بناء أو غرس أو قطع شجر متى كان العمل كثيرا عرفا :

ثانيا — فى العقـار مـدة الحيازة أربعون سنة إلى ستين سنة

١ — قريب ونحوه كالموالى والأصهار شريكا أو غير شريك مدته أربعون سنة

٢ — أب وابنه فى هدم وبناء فيجب أن يمـر زمن تهلك فيه البينات وينقطع العـلم ؛ فيجب مرور فـوق الستين عاما على الحيازة

ثالثـا : فى المنقول

١ — يجب مرور أكثر من عشر سنين فى قريب شريـكا ، وغير شريك أبا وغيره - وفى أجنبى شريكا أو غـير شريك ، يجب أن يمـر أكثر من ثـلاث سنين - وفى دابة الركوب وأمة الخدمة فى غـير الأجنبى الشريـك سنتان ، وفى الأجنبى الشريك يجب مرور أكثر من ثلاث سنين .

ملاحظات :

أولا - يلاحظ أن سبب اعتبار وضع اليد المدة الطويلة يفيد التملك راجع إلى :

١ — حفـظ النظام بين النـاس فى أمـلاكهم المنقولة والثابتة بحيث يطمئن كل مالك إلى الاستقرار والسعى الدائب لاكتساب الثروة من وجوهها المشروعة وهـذا يقضى باحترام وضع اليـد حتى يثبت ضـده .

٢ — لو لم يحترم وضع اليد كدليل للمـلكية لطالبنا كل واضع يده بدليـل المـلكية وربما يكون قـد فقد بأى سبب ومقتضاه أن يؤخذ الشيء الموضوع اليد عليه حتى تثبت ملـكيته للواضع - وهذا يجعل الحياة العامة مضطربة غير مستقرة فيغتنم أهل الدعاوى الكاذبة والمزيفون طـرقا لبلبلة الأفـكار ونقض النظـم والاستقرار وسلب أموال الناس بغير حق - وهذه هى الفوضى المدمرة .

ثانيـا - أخذ التشريع الفرنسى مـدة عشر سنين فى واضع اليـد حسن النية والذى كان وضعـه بحق وبحجة صحيحة من التشريع الإسلامى - فقط زاد عليها إلى عشرين سنـة ومعناه أن العشر سنين حيازة تفيد الملـكية .

ثالثـا - أن عقـد الإيجار والمزارعة

والإسكان والهبة للثواب الخ تتنافى مع وضع اليد المملك ، كعقد الصلح ومرسى المزاد - فلا يفيد الملك إلا بعد ثلاثين سنة مع سكوت المالك بلا منازعة مأخوذ أيضا بنصه من التشريع الإسلامى - فقد جاء فى الشرح الكبير ص ٢٣٥ ج ٤ « وهذا فى محض حق الآدمى، وأما الوقف بأنواعه فتسمع فيه البينة ولو تقادم الزمن إلا أن تشهد البينة بإسكان من المدعى للحائز وإعمار وإرفاق ومساقاة ومزارعة فإن ذلك لا يفيته على صاحبه وتسمع بينته بشرط عدم حصول تصرف كالمالك فى ملكه ولم ينازعه فى ذلك فلا تسمع بينته المدعى بالإسكان ونحوه » .

هذا ، وقد ذكر العلامة ابن رشد فى البيان كما نقله الدسوقى فى حاشيته على الشرح الكبير ص ٢٣٥ ج ٤ ما بين كل صغيرة وكبيرة فى وضع اليد والتصرف وإليك نصه :

« وتحصل الحيازة فى كل شىء بالبيع والهبة والصدقة والوطء ولو بين أب وابنه ولو قصرت المدة - إلا أنه إن حضر مجلس البيع فسكت لزمه البيع وكان له الثمن - وإن سكت بعد العام ونحوه استحق البائع الثمن بالحيازة مع يمينه .

وإن لم يعلم بالبيع إلا بعد وقوعه فقام حين علم كان له رد البيع وإمضاؤه وأخذ حقه - وإن سكت العام ونحوه لم يكن له إلا الثمن .

وإن لم يقم حتى مضت مدة الحيازة ثلاث سنوات لم يقم له شىء واستحقه الحائز .

وإن حضر مجلس الهبة والصدقة فسكت لم يكن له شىء - وإن لم يحضر ثم علم فإن قام حينئذ كان له الرد والإجازة - وإن قام بعد عام ونحوه فلا شىء له . هذا واعتقد أنه بعد هذه النصوص وما سيكتب بعد فى هذه المسألة لا محل للقول مهما كان قائله إن التشريع الإسلامى ليس أصلا للتشريع الوضعى ، اللهم إلا إذا ألغينا عقولنا أو كذبنا كتب الفقه فى التشريعين ولم يقل بذلك أحد حتى من المعارضين والله ولى التوفيق ؟

يتبع

سيد عبد الله حسين

القراءات فى نظر المستشرقين والملحدين

للأستاذ عبد الفتاح القاضى

— ٥ —

٧ ـ اختلف القراء فى قراءة لفظ « تخرجون » فى قوله تعالى فى سورة الأعراف « قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون » آية « ٢٥ » وقوله تعالى فى سورة الروم ، وهو الموضع الأول فيها « ويحيى الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون » آية ١٩ ، وقوله تعالى فى سورة الزخرف « فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون » آية « ١١ » وقوله تعالى فى سورة الجاثية « فاليوم لا يخرجون منها ولاهم يستعتبون » آية « ٣٥ » اختلف القراء فى هذه المواضع فمنهم من قرأ بضم الحرف الأول منها وفتح الحرف الثالث على البناء للمفعول ومنهم من قرأ بفتح الحرف الأول وضم الثالث على البناء للفاعل .

واتفقوا على قراءة قوله تعالى فى سورة الروم ـ وهو الموضع الثانى فيها ـ « ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون » آية ٢٥ ، بفتح التاء وضم الراء على البناء للفاعل ، ولا شك أن خلو المصاحف من شكل الحروف يجعل هذا الموضع محتملا للقراءتين الثابتتين فى المواضع السابقة واللغة تجيز فيه البناء للمفعول ، ومعنى الآية يسيغه ، ولكن قراءته بالبناء للمفعول لم تأت بها رواية ، ولم يثبت بها سند ، فلم يقرأ بها أحد ، وهذا أيضا من البراهين على أن مصدر القراءات وتنوعها إنما هو التوقيف والتلقين والأخذ والسماع ، ولا دخل لخلو المصاحف من الشكل فى هذا البتة ـ

٨ ـ اختلف القراء فى قراءة لفظ « الرشد » فى قوله تعالى فى سورة الأعراف « وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا » آية « ١٤٦ » وفى قراءة لفظ (رشداً) فى قوله تعالى فى سورة الكهف « قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا » آية (٦٦) وخلاف القراء فى هذين اللفظين دائر بين ضم الراء وسكون

الشين ، وفتح الراء والشين، وهما لغتان فى هذا اللفظ ـ معرفا ومنكرا ـ كالبخل بضم الباء وسكون الخاء ، وبفتحهما والحزن بضم الحاء وسكون الزاى وبفتحهما .

والسقم بضم السين وسكون القاف وبفتحهما .

واتفق القراء على قراءة لفظ «رشدا» فى قوله تعالى « وهيء لنا من أمرنا رشدا » آية ١٠ ، وفى قوله تعالى « لأقرب من هذا رشدا » آية ٢٤، وكلاهما بالكهف وفى قوله تعالى « أم أراد بهم ربهم رشدا » آية ١٠، وقوله تعالى « فأولئك تحروا رشدا » آية ١٤ ، وقوله تعالى « قل إنى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا » آية ٢١ الثلاثة فى سورة الجن . اتفقوا على قراءة هذا اللفظ فى المواضع المذكورة بفتح الراء والشين .

كما اتفقوا على قراءة قوله تعالى فى سورة الجن « يهدى إلى الرشد » آية ٢ بضم الراء وسكون الشين ـ وهذا اللفظ فى جميع المواضع المذكورة ـ معرفا ومنكرا ـ المختلف فيها ، والمتفق عليها معناه واحد، وهو الحق والخير والصلاح، والصواب، فلو كان اختلاف القراءات وليد خلو المصاحف من ضبط الحروف بالحركات والسكنات لقرىء هذا اللفظ فى جميع مواقعه بقراءتين .

إذ أن اللغة تجيز كلتا القراءتين ، ومعنى اللفظ لا يختلف عليهما ، أما وقد اتفق القراء على قراءته بوجه واحد فى بعض المواضع ، واختلفوا فى قراءته فى بعض المواضع فقرءوه بوجهين، فلا يكون ذلك راجعا إلا إلى اتفاق النقل فى المواضع المتفق عليها ، واختلافه فى المواضع المختلف فيها ـ وليس لرسم المصاحف دخل فى هذا ألبتة .

٩ — ورد لفظ « ضرا » فى القرآن الكريم فى المواضع الآتية :

(أ) « قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا » فى المائدة آية ٧٦ ،

(ب) « قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله » فى الأعراف آية ١٨٨

(ج) « قل لا أملك لنفسى ضرا ولا نفعا إلا ما شاء الله » فى يونس آية ٤٩

(د) « أفلا يرون ألا يرجع إليهم

قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا » فى طه آية ٨٩ .

(هـ) « ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا » فى الفرقان آية ٣

(و) « فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا » فى سبأ آية ٤٢

(ز) « إن أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا » فى الفتح آية ١١

وقد اتفق القراء على قراءة هذا اللفظ فى المواضع الستة الأولى بفتح الضاد ، واختلفوا فى الموضع السابع، فقرأ بعضهم بفتح الضاد ، وبعضهم بضمها ، والفتح والضم لغتان ، بمعنى واحد ، وهو الضرر مقابل النفع ، وهذا من جملة الأدلة على أن القراءات ليست بالاختيار والاجتهاد وإنما هى بالتوقيف واتباع الأسناد

١٠ — « حزن » وقع هذا اللفظ ـ منكرا ومعرفا فى القرآن الكريم فى خمسة مواضع :

(ا) « وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون » فى التوبة ٩٢

(ب) « وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم » فى يوسف آية ٨٤

(حـ) « قال إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله » فى يوسف آية ٨٦

(د) « فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا » فى القصص آية ٨

(هـ) « وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن » فى فاطر آية ٣٤

وهذا اللفظ ـ سواء كان منكرا أم معرفا ـ فيه لغتان بمعنى واحد : ضم الحاء وسكون الزاى، وفتح الحاء والزاى، ولكن القراء اختلفوا فى موضع القصص خاصة فقرأه بعضهم بضم الحاء وسكون الزاى، وقرأه بعضهم بفتح الحاء والزاى، واتفقوا على قراءة الموضع الأول والخامس ـ التوبة وفاطر ـ بفتح الحرفين ، وعلى قراءة موضعى يوسف بضم الحاء وسكون الزاى.

وهذا من أبين الأدلة على أن الاعتماد فى القراءات على الرواية والنقل لا على الخط والرسم

١١ — « فعميت » وردت هذه الكلمة فى القرآن الكريم فى موضعين :

(ا) « فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون » فى هود آية « ٢٨ » :

(ب) « فعميت عليهم الأنباء يومئذ فهم لا يتساءلون » فى القصص آية «٦٦»

وقد اختلف القراء فى موضع هود فقرأه بعضهم بضم العين وتشديد الميم المكسورة وقرأه بعضهم بفتح العين وتخفيف الميم المكسورة.

أما موضع القصص فقد اتفقوا على قراءته بفتح العين وتخفيف الميم المكسورة فلو كان منشأ اختلاف القراءات تجرد المصاحف من الحركات لوقع اختلافهم فى الموضعين معا، أما وقد اختلفوا فى موضع واتفقوا فى آخر فلا يكون منشأ الاختلاف ما ذكر، إنما منشؤه النقل والرواية والسماع:

١٢ — «نسق» ذكرت هذه الكلمة فى القرآن الكريم فى أربعة مواضع

(ا) «نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين» فى النحل آية «٦٦».

(ب) «نسقيكم مما فى بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون» فى المؤمنون آية «٢١».

(ج) «لنحى به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسى كثيرا» فى الفرقان آية «٤٩».

«د» «قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير» فى القصص آية «٢٣»

وقد اختلف القراء فى «نسقيكم» فى موضعى النحل والمؤمنون، فمنهم من قرأهما بالنون المضمومة ومنهم من قرأهما بالنون المفتوحة، ومنهم من قرأهما بالتاء المثناة الفوقية المفتوحة.

واتفق القراء على قراءة «ونسقيه» فى الفرقان بالنون المضمومة مع أن رسم هذه الكلمة فى المصحف - لكونه غير منقوط ولا مشكول يحتمل القراءات الثلاث فيها كما احتملها فى الموضعين المذكورين، ولكن قراءة هذه الكلمة فى هذا الموضع بالتاء المفتوحة لا تلائم نظم الآية، ولا تتفق مع معناها وسياقها. فلم يقرأ بها أحد، وقراءتها بالنون المفتوحة - وإن كانت اللغة تجيزها، ومعنى الآية لا ينبو عنها - لم تنقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقرأ بها أحد أيضا.

كما اتفقوا على قراءة «قالتا لا نسقى» فى سورة القصص بفتح النون وإن كانت اللغة تجيز ضمها لأنه يقال سقاه وأسقاه بمعنى ومن الأول قوله تعالى:

«وسقاهم ربهم شرابا طهورا» ومن الثاني قوله تعالى :

« وأسقيناكم ماء فراتا » فدل ذلك على أن القراءة بالسماع والاتباع، لا بالاجتهاد والابتداع

١٣ — اختلف القراء في قراءة كلمة «ينفخ» في قوله تعالى: «يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا» في طه آية (١٠٢).

فقرأها بعضهم بياء مثناة تحتية مضمومة مع فتح الفاء على البناء للمفعول، وقرأها بعضهم بالنون المفتوحة مع ضم الفاء على البناء للفاعل، واتفقوا على قراءة هذه الكلمة «ينفخ» بضم الياء وفتح الفاء في قوله تعالى: «ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله» النمل آية (٨٧). وفي قوله تعالى: «يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا» سورة النبأ آية (١٨) - مع أن سياق الآيتين المذكورتين لا يأبى القراءة بالنون فيهما.

أما آية النمل فقراءتها بالنون تتسق مع أسلوب الآيات قبلها، اقرأ إن شئت من قوله تعالى: «وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون» إلى قوله تعالى: «إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون». وتدبر هذه الكلمات: أخرجنا، نحشر، بآياتنا، أنا جعلنا - تجدها متناسبة متناسقة مع القراءة بالنون المفتوحة مع ضم الفاء.

وأما آية النبأ فقراءتها بالنون تلائم أسلوب الآيات قبلها.

تدبر هذه الآيات: وخلقناكم أزواجا وجعلنا نومكم سباتا، وجعلنا الليل لباسا، وجعلنا النهار معاشا، وبنينا فوقكم سبعا شدادا، وجعلنا سراجا وهاجا، وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا، لنخرج به حبا ونباتا، وجنات ألفافا».

إن نون العظمة في الآيات السابقة على آية النمل وآية النبأ تتسق مع قراءة «ينفخ» في الآيتين المذكورتين بالنون، ولكن لم يقرأ أحد من الأئمة بالنون في آية من هاتين الآيتين، لعدم ورود القراءة بالنون فيهما، فدل هذا على أن القراءات إنما تثبت بالتلقي والتوقيف لا بالاجتهاد والاختيار.

١٤ — «سخريا» ذكر هذا اللفظ في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع :

(البقية صفحة ٤٨٦)

دروس من سير شهداء العلم والإيمان :

شهداء الصحابة يومى الرجيع وبئر معونة

للأستاذ حسن فتح الباب

كان النبى عليه السلام يرسل بعوثه لهداية القبائل ، كوسيلة من وسائل نشر الدعوة ، فيتولى هو شرح الدعوة للذين يفدون إلى يثرب للدخول فى الإسلام من طريق إثارة فكرهم ونظرهم وشحذ قرائحهم وإقناعهم بالحسنى ، ويوفد فى الوقت ذاته بعض أصحابه إلى غير هؤلاء للقيام بتلك المهمة ، ذلك كان شأنه صلوات الله عليه وسلم منذ صار له أتباع مصدقون ، فاتخذ منهم أعوانا لنشر الدين وجنوداً للدفاع عن الرسالة .

وقد شاء الله تعالى أن يستشهد بعض من صفوة المسلمين الذين بعث بهم النبى فى سبيل العلم أو فى سبيل العقيدة بعبارة أخرى ، وبثاً لمعنى التضحية بالنفس فداء القيم والمثل العليا ، وتلك أعلى مراتب الإنسانية فى سموها إيمانا بالعلم ، وسوف نعرض فيما يلى ليومى الرجيع وبئر معونة اللذين تمثلت فيهما تلك المعانى .

ففيما يتعلق بالواقعة الاولى ، يسجل كتاب السيرة أن النبى عليه السلام قد أقام فى المدينة بعد عودته المظفرة من معركة حمراء الأسد ، وعودة سرية أبى سلمة بن عبد الأسد على أثر نجاحها فى أداء العملية العسكرية التى نيطت بها ، وقد اجتمع المسلمون حوله يتشاورون فى أمرهم مع المشركين فى الخارج والمنافقين فى الداخل ، وكان عليه السلام على يقين من ائتمار القبائل المجاورة بالمسلمين رغم ما حققوه من نصر فى هذه الغزوة وتلك السرية ، فظل ملتزما موقف الحذر والترقب ، مشعلا فى حنايا رجاله الروح العسكرية ، كى يظلوا دائما على أهبة الاستعداد ، ولا يخلدوا إلى دعة السلم ورفاهية الحياة مادام العدو متربصاً بهم ، منتهزاً فرصة غفلة منهم عنه لينقض عليهم .

الاستخبارات الحربية :

وفى مقدمة التدابير التى كان يتخذها

النبي لاتقاء هجوم المشركين بعث طلائع فدائية من أصحابه للاستكشاف ، وتقصى أخبار الاعداء ، والوقوف على تحركاتهم واستعدادهم ، وكان يختار لهذه المهمة من يتوسم فيهم القدرة على أدائها وتكامل العناصر اللازمة لها من قوة وبصيرة وخبرة ، ومن يأنس فيهم وقدة العزيمة التى تستهين بالصعاب وتعمل تحت شعار النصر أو الشهادة .

ومن هذه الطلائع التى عرفت بالحنكة والمقدرة فى أعمال الاستخبارات الحربية عبد الله بن أنس ، فكان أن وقع عليه اختيار النبى للوقوف على أنباء خالد ابن سفيان بن نبيح الهذلى ، وكان زعيما لبنى لحيان إحدى بطون قبيلة هذيل ، حين بلغ رسول الله أنه يستعد لغزو المدينة على رأس بعض المشركين ، وبادر عبد الله إلى الذهاب إلى نخلة أو عرنة حيث كان يقيم خالد .

وهناك التقى الرجلان ، فقال الذى فى نفسه مرض يسأل عبد الله : « من الرجل » ؟ فأجابه عبد الله : « أنا رجل من العرب سمع بك وبجمعك لمحمد فجاءك لذلك » وهى إجابة تدل على دهاء رجل الاستخبارات الحق وقدرته على تضليل العدو حتى يفضى إليه بسره ويكشف عن طويته ، الأمر الذى تحقق ، إذ لم ينكر خالد فعلته ،فاستدرجه ابن أنيس بعيدا عن نسوة كان يهيء لهن مكانا يقمن فيه ، ثم وثب عليه وأعمل سيفه فى عنقه وتركه صريعا ، لقاء ما بيت من مكيدة للمسلمين ، وعاد عبد الله إلى المدينة حيث أنبأ النبى بالواقعة .

يوم الرجيع :

سكتت بنو كيان على مصرع زعيمها حينا ريثما تتهيأ لها فرصة الأخذ بالثأر وظلت تجتاحها الرغبة العارمه فى الانتقام وقد واتتها تلك الفرصة حين قدم على رسول الله رجال من بنى الهون بن خريمة ابن مدركة ، وكانوا يجاورون بنى لحيان فذكروا له أنهم قد أسلموا ، ورغبوا أن يبعث معهم نفرا من المسلمين يعلمونهم القرآن ويفقهونهم فى الدين .

فبعث النبى معهم سبعة رجال هم مرثد ابن أبى مرثد الغنوى ، وخالد بن البكير الليثى ، وعاصم بن ثابت بن أبى الأقلح ، وخبيب بن عدى ، وهما من بنى عمرو ابن عوف ، وزيد بن الدثنة ، وعبدالله ابن طارق حليف بنى ظفر ، ومعتب

ابن عبيد أخو عبد الله لأمه ، وأمر عليهم مرثد بن أبى مرثد .

وهكذا سارت هذه الصفوة المؤمنة مغتربة عن ديارها متكبدة عناء الرحلة استجابة لما أمر به رسول الله ، تبغى هداية الناس وتعليمهم شرائع الإسلام لا تطلب منهم جزاء ولا شكورا ولكن حسبها رضا الله ورضا الرسول والمؤمنين وكفاها فخر أنها ندبت للوفاء برسالة دينية سامية .

ولما بلغ القوم - رجال بنى الهون - مع أصحاب رسول الله ماء لقبيلة هذيل بالحجاز بناحية تدعى الرجيع غدروا بهم إذ استصرخوا عليهم رجال هذيل قبيلة بنى لحيان ، الذين فاجأوهم بسيوفهم من كل جانب أخذا بثأر زعيمهم فأحيط بأصحاب النبى حين أخذوا على غرة ، فاستلوا سيوفهم واعتزموا أن يقاتلوا حتى آخر رمق ، وقد أيقنوا أنهم لامحالة هالكون فى موقعة غير متكافئة فى العدد والعدة والمكان ، موقعة لا تجدى فيها شجاعة سبعة من الرجال وثب عليهم فجأة أضعاف عددهم من الأعداء فى عقر دارهم غير مراعين حرمة الضيف ولا شرف العهد ، سبعة من الرجال المسالمين نزلوا فى ساحهم يبتغون لهم الخير والصلاح والخروج من ظلمات الجاهلية إلى أنوار الحق والرشاد ، فقوبلوا بخسة لا تصدر إلا عن نفوس تنضح بالعفونة وقلوب يأ كلها الحقد والضغينة .

ولما وجد الهذليون أن المسلمين يرفضون الاستسلام . وقد شرعوا أسلحتهم للدفاع عن أنفسهم حتى الموت . طلبوا منهم أن يضعوا سيوفهم وأعطوهم كلمة الأمان ، وأخبروهم أنهم لا يرغبون فى قتلهم . وإنما يريدون أن يساوموا عليهم قريشا . وكان قولهم فى ذلك : « إنا والله مانريد قتالكم . إنما نريد أن نصيب بكم ثمنا من أهل مكة . ولكم العهد والميثاق ألا نقتلكم » بمعنى أنهم يزمعون بيعهم كالعبيد إلى قريش .

لا مساومة على المبدأ :

غير أن رجال رسول الله من حفاظ القرآن ومعلمى شريعته رفضوا هذا العرض المشين وإن كانوا يعلمون أن رفضهم هذا سيكلفهم أعناقهم فى مثل هذا الموقف ترخص الحياة وتصغر كل مباهج الدنيا . فلا مساومة على العزة ولا بديل

للكرامة. ولقد عرفوا نعمة الإسلام وذاقوا حلاوة الإيمان والحرية. وأدركوا أن الاستشهاد في سبيل الدفاع عن مبادىء الحق بغية المؤمن. وأن مقتلهم جميعا لأهون من تسليمهم أسرى أذلاء إلى أعدائهم في مكة، فقال أربعة منهم هم عاصم ومرثد وخالد ومعتب: «والله لا نقبل من مشرك عهدا ولا عقدا أبداً» وقاتلوهم حتى قتلوا، وصعدت أرواحهم النورانية إلى السماء تعانق أرواح إخوان لهم سبقوا إلى ساحة الخلود، مفتدين بدمائهم الزكية رسالة النور والخير والعدالة، فانحين للبشرية من بعدهم سبيل المثل العليا والنضال دفاعا عن قدسيتها. مقدمين أروع المثل على تضحية العلماء المؤمنين بأرواحهم في سبيل نشر علمهم.

شهيد في السماء:

وكان الشهيد عاصم بن ثابت قد قتل في معركة أحد أخوين مشركين من بني عبد الدار. فنذرت أمهما سلافة بنت سعد بن شهيد إن أمكنها الله من رأس عاصم لتشربن الخمر في جمجمته. ولئن كانت هند زوجة أبي سفيان قد شفت حقدها من سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب في تلك المعركة بعد مصرعه برمح من وحشي وكان من عبيد الأحباش في قريش. إذ لاكت كبد البطل الخالد انتقاما لمقتل أبيها وأخيها بسيفه في بدر. فإن سلافة لم تشف غليلها من عاصم. وذلك أن بني هذيل أخذوا رأسه ليبيعوه لها. فحمله سيل عرم. فلم يصلوا إلى جثته ولا عرفوا مسقط رأسه.

ويدل التمثيل بجثتي الشهيدين حمزة وعاصم على مدى ما بلغته قريش في جاهليتها من غلاظة الطبع وبشاعة الجرم يستوي في ذلك رجالها ونساؤها. فامرأة مثل هند أو سلافة لا تجد سبيلا للتنفيس عن حقدها الكظيم غير أحط وسائل الثأر وأبشعها.

فإذا لوحظ أن الشهيدين عباسا وعاصما رضي الله عنهما قد قتلا بعض المشركين في معركة جماعية متكافئة تبين مدى مخالفة قريش حين مثلت بجثث أعدائها المحاربين لأبسط مبادىء الحرب كما عرفها الإنسان من قديم، دلالة على فساد المجتمع الجاهلي وحتمية العمل على تغييره للخلاص من شروره، وآثامه وإنشاء مجتمع جديد يقوم على القيم الروحية والمبادىء الإنسانية الخالدة.

تلك كانت خاتمة حياة عاصم بن ثابت

أما رفقاؤه زيد الدثنة وخبيب بن عدى وعبد الله بن طارق ، فقد انقادوا إلى الأسر ، فأوثقهم الهذليون وساروا بهم إلى مكة لبيعهم ، فلما بلغوا واديا قرب مكة يسمى (مر الظهران) انتزع عبد الله بن طارق يده من القيد ثم أخذ سيفه ، واستأخر عنه القوم ورموه بالحجارة حتى قتلوه وساقوا خبيب بن عدى وزيد بن الدثنة مكبلين بالقيود حتى بلغا بهما مكة فباعوهما فيها .

أما زيد فقد بيع لصفوان بن أمية الذى اشتراه ليقتله ثأرا لأبيه أمية بن خلف الذى قتل بسيف بلال مؤذن رسول الله فى معركة بدر ، فدفعه مولاه نسطاس ليقتله ، فلما قدم ليقتل سأله أبو سفيان بن حرب : « أيسرك أن محمداً عندنا بمكة تضرب عنقه وأنت سالم فى أهلك؟» فقال: « والله ما يسرنى أنى سالم فى أهلى وأن محمدا شوكة تؤذيه » فعجب أبو سفيان وقال : « ما رأيت من الناس أحدا يحبه أصحابه ما يحب أصحاب محمد محمدا ، وقتل زيد ضاربا أروع المثل فى الأمانة لربه ودينه ونبيه ، وفى الاستشهاد فداء لكلمة الحق وحب رسول الله حبا أكبر وأغلى من الحياة ،

وأما خبيب ـ فباعه حجير بن أبى إهاب لابن أخته عقبة بن الحارث بن نوفل ليقتله بأبيه ـ فحبسه حتى خرج به فى نفر من قومه ليقتلوه ، فقال لهم : « إن رأيتم أن تدعونى أركع ركعتين فافعلوا » فخلوا بينه وبين ما أراد فلما فرغ من صلاته ـ وكان أول من سن ركعتين عند القتل ـ أقبل على القوم : وقال : « إنما والله لولا أن تظنوا أنى إنما طولت جزعا من القتل لاستكثرت من الصلاة ورفعوه إلى خشبة لصلبه ـ فلما أوثقوه إليها نظر إليهم بعين مغضبة وصاح: اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا ولا تغادر منهم أحدا فأخذت القوم الرجفة من صيحته واستلقوا إلى جنوبهم حذر أن تصيبهم لعنته ـ ثم قتلوه ـ وكان ذلك بموضع خارج الحل يقال له التنعيم ويروى أنه قال قبل مقتله :

ولست أبالى حين أقتل مسلما
على أى جنب كان فى الله مصرعى
وذلك فى ذات الإله وإن يشأ
يبارك على أوصال شلو ممزع

حسن فتح الباب

"السّحر" بين الدّين والمجتمع

للأستاذ محمد كمال الدين

يشكل الدين أساسا اجتماعيا تنبع منه كافة الظواهر الأخرى، وذلك باعتباره سلوكا يتبعه المرء فى حياته الخاصة والعامة ، ووسيلة لا يستطيع تجنبها أو الحياد عنها ، ونحن نعرف أن الظاهرة الدينية تتسم بسمات ثلاث : هى أنها عامة تشمل اتباع الدين الواحد، وأنها إجبارية يلتزم المرء بتعاليمها حتى تبلغ لديه مبلغ العادة فلا يشعر بجبريتها ، وأنها تاريخية يتناقلها الخلف عن السلف وتحمل فى طياتها ما يضفيه عليها جيل من الأجيال من عادات أو تقاليد مكتسبة ، ونضرب لذلك مثلا بالدين الإسلامى الحنيف حين نزل، فقوم من عادات الجاهليين، ووضع أساليب جديدة لحياتهم ، ثم أخذ يحض على نبذ عادات لم تعد سائغة لما تنطوى عليه من فساد فى الذوق أو سوء فى التصرف كما حارب ظواهر اجتماعية بلغ انتشارها حدا أفسد على الناس حياتهم ، كظاهرة وأد البنات ولعب الميسر وشرب الخمر ، وأحل مكانها ظواهر أخرى تدعو إلى المحبة والإخاء والمساواة ...

ومن الظواهر الشاذة التى أمكن للإسلام أن يقضى عليها أو أن يجعلها فى أضيق نطاق ، بحيث لم تعد ظاهرة لها خطرها على المجتمع ، ظاهرة « السحر » فقد كان للسحر فى العهود القديمة والسابقة على الإسلام وجوده المستقل ، وانتشاره الذائع ، وخاصة فى أهل بابل من السيريانيين والكلدانيين ، ثم بلغ ذروته أيام نبوة موسى عليه السلام ، ولعلنا نذكر هنا قصة سحرة فرعون حين تجمعوا من كل أفق يريدون بموسى كيدا، ويتفننون فى ألوان السحر « فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى فأوجس فى نفسه خيفة موسى ، قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى ، وألق ما فى يمينك تلقف ما صنعوا ، إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى ،

فألقى السحرة سجدا قالوا آمنا برب هارون وموسى » « طه ٦٦ - ٧٠ » .

وكان المفكرون يضعون عن السحر بعض الكتب ، وصلنا منها كتاب : « الفلاحة النبطية » من عهد بابل ، وأخذ الناس منه هذا العلم وتفننوا فيه ، ثم وصلنا كتابان هما : « مصاحف الكواكب السبعة » و « كتاب طمطم الهندى » فى صور الدرج والكواكب وغيرها ، ثم ظهر بالمشرق جابر حيان كبير السحرة فأكثر الكلام فى السحر ، ووضع فيه بعض المؤلفات فى القرن الثامن الميلادى مثل كتابه « السر المكنون » ، وكتابه « العلم الإلهى » وكتابه « المعرفة بالصفة الإلهية والحكمة الفلسفية » وغيرها ، وفى كتاب «مقدمة ابن خلدون» (ص٤٢٣ من طبعة دار التحرير ١٩٦٦) يقسم ابن خلدون السحر إلى ثلاثة مراتب : أولاها : يؤثر بالهمة فقط من غير آلة ولا معين ، وهذا هو ما تسميه الفلاسفة بالسحر ، وثانيها : يؤثر بمعين من مزاج الأفلاك أو العناصر أو خواص الأعداد ويسمونه الطلسمات ، وهو أضعف رتبة من الأول ، وثالثها : يقوم على التأثير فى القوى المتخيلة ، يعمد صاحبه إليها فيتصرف فيها بحيلة من الحيل ويلقى فيها أنواعا من الخيالات والمحاكاة ، وصوراً مما يقصده من ذلك ، ثم ينزلها إلى الحس من الرائين بقوة نفسه المؤثرة فيه ، فينظر الراءون كأنها فى الخارج وليس هناك شىء من ذلك ، كما يحكى عن بعضهم أنه يرى البساتين والأنهار والقصور ، وليس هناك شىء من ذلك ، ويسمى هذا عند الفلاسفة الشعوذة أو الشعبذة .

فلما جاء الإسلام لم ينكر وجود السحر ، ثم بين ما فيه من جهل وشر ، وما يكتنفه من أسرار مثل التوجه إلى الأفلاك والكواكب والعوالم العلوية والشياطين بأنواع التعظيم والعبادة والخضوع ، فهى لذلك وجهة إلى غير الله وسجود له ، والوجهة إلى غير الله كفر ، فلهذا كان السحر كفرا ، واختلف الفقهاء فى قتل الساحر ، هل هو لكفره السابق على فعله أو لتصرفه بالإفساد ، وما ينشأ عن الفساد فى الأكوان ، والكل حاصل منه .

ولقد ذكر القرآن الكريم السحر فى أكثر من موضع فى آياته الشريفة ،

ومنها قوله تعالى : « ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ، وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ، وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر ، فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه ، وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ، ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ، ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق ولبئس ماشروا به أنفسهم لوكانوا يعلمون » ، (البقرة ١٠٢) .

وقد وصف الساحر أو السحار بأنه عليم ، أو مبين ، وكذلك وصف السحر بأنه مبين ويؤثر فى آيات قرآنية أخرى .

وحاربت الشريعة الإسلامية السحر ، ولم تفرق بينه وبين الطلسمات أوالشعوذة ، وجعلته كله بابا واحدا محظورا ، لأن المشرع أباح من الأفعال ما كان منها نافعا لنا فى الدنيا والدين ، وبذلك انحسرت هذه الظاهرة الضارة والشاذة فأصبحت طى التاريخ ، وما بقى من آثارها فإنما يجرى فى الخفاء ، وبطرق سرية غير معلنة ، وتحارب السلطات هذا اللون من السلوك الشرير باعتباره مفسدة وشرا لا يعود على المجتمع بأية فائدة ، بل لقد هجره المجتمع وخاصة طبقاته الواعية والمثقفة ، ولم يعد له ذلك الانتشار والذيوع كما كان فى العهود السابقة على الإسلام .

ومما يؤيد أن ظاهرة السحر لم يعد لها وجود واضح ومنتشر ، وأن ظاهرة الدين لها كل الوجود : -

١ - أن السحر لا تنطبق عليه شروط الظاهرة الاجتماعية السليمة ، فلا هو عام يؤمن به أفراد المجتمع جميعا ولا هو إجبارى يتبع قلة الأفراد تقاليد ملزمة لسلوكهم وعوائدهم ، ولا هو تاريخى بالمعنى الذى للظاهرة الدينية .

٢ - ليس هناك للسحر هيئة رسمية أو غير رسمية مشرفة عليه كالدين .

٣ - أتباع السحر أو « زبائنه » لا تربطهم رابطة خاصة تجعل منهم مجموعة اجتماعية متميزة عن غيرها ، كالمجموعة التى تدين بدين معين له اتباعه ومريدوه .

٤ - عملاء السحر يجهل بعضهم بعضا ، ولا يوجد شىء بين مشاعرهم وعقائدهم ، ويصبغهم بصبغة اجتماعية

ثقافية متحدة على غرار ما يفعل الدين بأتباعه .

٥ — يتخذ السحر كأداة للتأثير بها على قوى خاصة لتحقيق أغراض معظمها شرير يهدف إلى الضرر والإيذاء ، أما الدين فهو يستهدف إيجاد تجانس فى العقيدة بين أفراد المجتمع ، وإرساء العلاقات الاجتماعية السليمة بين الأفراد على أساس معايير أخلاقية يرسمها لهم .

٦ — يستهدف الدين ، تعويد الأفراد على الطاعة والخضوع لنظام اجتماعى معين، مما يؤدى إلى إمكان قيام الحياة الاجتماعية الواضحة الصحيحة بين كافة أبناء المجتمع الواحد ، كما يستهدف الدين مراقبة سلوك الأفراد فى ناحية أو أكثر من نواحى نشاطهم الجمعى ، شأنه فى ذلك شأن النظم القضائية والتربوية والأخلاقية والاقتصادية والسياسية وغيرها .

وهناك دلائل أخرى لا تجعل من السحر ظاهرة ذات أصالة اجتماعية باقية منها :

(ا) أن السحرة أناس شواذ ومصابون بأمراض فيزيقية أو عقلية يقول بها الأطباء النفسيون والعقليون .

(ب) يعتمد الساحر على قوى خفية لا وجود لها فى عالم الواقع المرئى الملموس .

(ج) يمارس الساحر تعاليمه فى سرية وخفاء ، وينعزل عن الناس فلا يظهر إلا فى وقت معين يكون ليلا أو عند الفجر أو المغرب ، وفى أوقات من السنة تتصل بحركات النجوم ، وفى أماكن بعضها مهجور ، ويستخدم أدوات يضفى عليها طابع السحر مثل الحشائش ، والنباتات الطبية وقطع الأظافر أو الملابس والأطعمة .

وليس شيئا من ذلك يمارسه رجل الدين ، إذ هو شخص طبيعى عاقل ، ولا يعتمد على قوى خفية ، بل على الله وتعاليم دينه ، ولا يمارس شعائره فى الخفاء ، بل مع الناس وفى كل مكان . وفى أوقات الشعائر المقررة فى الكتاب والسنة . ولا يستخدم فى ذلك أدوات سرية أو غير سرية ، ولا يعتمد على طلاسم أو حسابات فلكية أو إيحاءات ضارة ولا يستغل البسطاء من الناس لمجرد المعيشة بالكذب والرياء .

إن الدين ظاهرة صحية ، تنتشر بين الناس على علم منهم ، وإيمان بما فيه من

خير يستهدف حياتهم فى الدنيا والآخرة، والدين ظاهرة اجتماعية تجمع الناس على مبادىء خيرة واضحة ، لاسر فيها ولا غموض ، ولا قهر ولا تعسف ؛ ولا استغلال ولا تزلف . ومن هنا كانت لها دلالاتها القوية الباقية على تعاقب الأجيال . ورسوخها المتين الذى يعكس أصالتها وخلودها ، وتنظيمها لوسائل الحياة فى وحدة واحدة تجعل منها علاقات اجتماعية متماسكة ، وإن تباينت فى مظاهرها، معتمدة على بعضها البعض وإن بدت متشابكة معقدة ؛ لأنها فى النهاية لا تهدف إلا لخير الإنسان الذى يعيش فى جماعة ، وسط تقاليد مرعية ، لها سماتها الفكرية والوجدانية المتقاربة . والذى يعيش وفق مبادىء وقوانين، هى نفسها مبادىء الدين وقوانينه التى شرعها الله لخير البشر كافة . وليس من ذلك ظاهرة شاذة وشريرة وضارة كالسحر ؟

محمد كمال الدين

(بقية المنشور على ص ٤٧٦)

(ا) « فاتخذتموهم سخريا » فى المؤمنون آية « ١١٠ » .

(ب) « اتخذناهم سخريا » فى ص آية « ٦٣ »

(جـ) « ليتخذ بعضهم بعضا سخريا » فى الزخرف آية « ٣٢ » .

وقد اختلف القراء فى الموضعين الأول والثانى ، فقرأهما بعضهم بضم السين ، وقرأهما بعضهم بكسرها .

واتفقوا على قراءة الموضع الثالث بضم السين ، والضم والكسر لغتان ، ومعناهما واحد ، والمصاحف العثمانية مجردة من النقط والشكل . فلو كانت القراءات ناشئة من رسم المصاحف لاختلف القراء فى الموضع الثالث كما اختلفوا فى الأول والثانى، لكنهم اتفقوا فى الموضع الثالث؛ فكان ذلك دليلا على أن القراءات لم تنشأ عن خط المصاحف ورسمها ، وإنما نشأت عن التوقيف والسماع ؟ « يتبع »

عبد الفتاح القاضى

أدب وتاريخ :

أبو بكر الصّديق في مرآة شاعر معاصر

للدكتور محمّد رجب البيّومي

— ٢ —

كانت النفوس غب انتهاء الحرب العالمية الأولى ذات قلق ثائر ، لأن تكالب المنتصرين على دول العروبة والإسلام ، التى كانت حينئذ ترزح تحت أثقال الاحتلال ، قد ضيق منافذ الأمل فى صباح يشرق غب الحرب بالحرية والاستقلال، وقد تبخرت وعود الحلفاء بالمساواة والحرية ، ليحل محلها التغطرس الغاشم والشره المتطلع إلى الانتقاض فالالتهام ، وقد عز على المصريين أن يحتفل أعداؤهم بانتصاراتهم الساحقة وهم رهن الاحتلال يقرءون الصحف ويطالعون الأنباء ، فيجدون أحاديث البطولة والمجد تتوالى متجهة إلى أعدائهم من ذوى النفوذ الاستعمارى الباطش وليس فى الميدان بطل عربى أو إسلامى يمضى بفخر البطولة فيهز أعطاف ذويه ، ولكن ضوءا ينبثق من غابر المجد الزاهر ، ليشرق بتاريخ أبطال الإسلام فى عهد النبوة الطاهرة والخلافة الراشدة ، مناديا ذوى الغفلة من اليائسين البائسين أن لنا تاريخا ذا انتصار ، وأن لنا لبطولات رائعة تتوج بالشرف والكرامة وينتصر معها العدل والصدق والإخاء ، فإذا عز علينا اليوم أن نجد بطلا نزهو بانتصاره ، ففى صفحات تاريخنا الزاهر ، تعبق البطولة العالية بعبيرها الفواح ، ولا بد أن نستعيد سير هؤلاء الأبطال ليوقد الأجداد فى الأحفاد لهيب الحمية فيهبوا من كبوتهم العاثرة متحفزين! وليس غير الشعراء من يبعثون العزائم ، ويلهبون المشاعر إذا ضربوا ببيانهم الصادق على الأوتار المخلصة ليحيوا ميت الأمل فى نفوس تعتز بالإسلام وترى فى مبادئه النبيلة معجزة الخلاص وباب الإنقاذ ! لذلك نهضت الندوات الشعرية فى باحات العلم يتحدث أفذاذها عن عمالقة الإسلام فى انتصاراتهم الحية ، وأخلاقهم النبيلة ،

ومبادئهم المثالية ، فابتدأ حافظ بقصيدته الرائعة عن عمر بن الخطاب حيث أنشدها بمدرج وزارة المعارف فى الثامن من فبراير سنة ١٩١٨ ، وتلاه عبد الحليم المصرى بقصيدته الرائعة عن أبى بكر الصديق حيث أنشدها بمدرج الجامعة المصرية القديمة فى ٢٤ مايو سنة ١٩١٨ وهى التى نخصها اليوم ببعض التحاليل ، ثم أعقبهما محمد عبد المطلب بقصيدته البارعة عن على بن أبى طالب فبلغ من الإجادة مبلغا قوى التأثير، أما شوقى فقد كان مغتربا فى منفاه الأندلسي فعكف على نظم ما أسماه « دول العرب وعظماء الإسلام » مما أشرق بسنا الرجاء فى حوالك اليأس فتطلع المستضعفون إلى نصر قريب.

وواضح أن عبد الحليم المصرى وزميليه قد أعدوا قصائدهم التاريخية لتلقى فى محفل عام ، ثم ليرددها الناس عقب طبعها دون إثقال بغموض أو إبهام ، وشعر المنابر يتطلب من الوضوح الساطع ما قد يعاب لدى من يرى الشعر مجال الدراسة المستأنية والمراجعة الوئيدة ، وموضع الغوص على الدفائن المستترة ، والكوامن الوالجة ولكن إجبار الناس جميعا على لون خاص من الشعر تحكم لا مبرر له ، وقد أدت القصائد الثلاث رسالاتها القوية فطبعت فى الصحف ، ثم انفردت بأجزاء صغيرة تتداولها الأيدى ونهض للتعليق عليها نفر ممتاز من صفوة المعاصرين . وذلك ما يثبت مكانها الأدبى مهما تحيفها أصحاب النظريات النقـــدية حين لم يروا بها ما يتطلبون من اتجاه ، ولا زلنا حتى اليوم نقرأ هذه الروائع مقدرين معجبين وسيرورة الشعر دليل يتأبى على التوهين .

لم يعمد المصرى إلى السرد التاريخى متتبعا أدوار أبى بكر الزمنية ؛ بل فطن إلى مواقف رائعة فى حياته يتخذ منها مسبحا لإلهامه ، فكانت كالجذوات المشعة تتوقد لتضىء وتلهب ، وقد أحس أنه باختياره أبا بكر قد تخطى رسول الله وأنى له بالحديث عن سيد الأنبياء ومقامه فوق بيان الشاعر مهما أوتى الإفصاح ، غير أنه اطمأن إلى أن أبا بكر من حسنات محمد صلى الله عليه وسلم ، فإذا مدح الشعاع المتألق فقد مدح الشمس ، التى أرسلت الشعاع ، وذلك ما عناه الشاعر حين ابتدأ قصيدته الرائعة بقوله الصريح :

أفضنى أبا بكر عليهم قوافيا
وأمطر لسانى حكمة ومعانيا
وقل لرسول الله لم أعد مدحه
وإن لم أكن فيه بشعرى باديا
مقام رسول الله فوق قصائدى
وهل شرر النبراس يجدى الدراريا
وإنك فى الإسلام من حسناته
فمدحك كنى عنه دون بيانيا
وقفت بباب الله والقول نافر
فأوقر لى الصديق منه ركابيا
فآمنت بالإلهام فيك وإن أقل
تعهدنى وحى فلست مغاليا

وهو قول ينطق عن سريرة صاحبه دون التباس ، وقد كان الشاعر واضحا حين حدد الهدف من موقفه الشعرى ، إذ شاء أن يرسم صورة الخلافة كما سنها الإسلام ممثلة فى أبى بكر ، فهى ليست مظاهر مباهاة كما هى لدى خلفاء بنى عثمان وليست ميراثا ينال ولدا عن والد ، إذ تتهيأ أسبابها بالمال المبذول والقول المعسول ، وإنما تنال بالإنصاف النزيه والعدل الصريح ، وكان المرجفون بالخلافة حينئذ من أعداء الإسلام . يوهمون الأغرار أن الخلافة العثمانية بعثراتها الكثيرة هى النموذج المحتذى فى الشريعة الإسلامية ، فألمع الشاعر إلى الخلافة الراشدة فى عهد أبى بكر ، ليدل على المثال الصحيح من التطبيق الإسلامى فى الحكم الديمقراطى النزيه ، حيث قال :

وأضرب أمثالا لقومى تجيئهم
بصورة شيخ المسلمين كما هيا
عسى أن يعيدوا ما أضاعوا من الهدى
وأن يتلافوا منه ما كان باقيا
وحتى يروا أن الخلافة لم تكن
مظاهر فى إبانها ومرائيا
وأنك لم ترق الخلافة بالغنى
ولا السن لكن بالنهى كنت راقيا
رجوت أبا حفص وآثرته بها
فصادفت منه مؤثرا لك راجيا
أولئك قوم لا يحابون سيدا
ولا عرفوا فى جانب الحق عاليا
قضوا لك بالحسنى ولو لم تكن بها
أحق لقام السيف للحق قاضيا

والصيغ التقريرية فى الأسباب السالفة واضحة ملموسة ، وعذر الشاعر أنه يقرر إحدى حقائق الإسلام الخالدة ،

فسلك إلى الإفصاح من طريقه العقلى لا من شعوره الوجدانى، وقد ملك دقة القول حين أوجز فى بيته :

قضوا لك بالحسنى ولو لم تكن بها
أحق لقام السيف للحق قاضيا

لأن هذا البيت على إيجازه البالغ يغنى عن شروح كثيرة تملأ عدة صفحات، وقد تعرض إلى ملكة الصديق البيانية فعرضها فى مطارف زاهية من القول، واستعان بصور الخيال الجزئية على إيضاح ما يريد من الحقائق فأبدع وجلى فى مثل قوله :

لسان بغيداق الفصاحة ناشر
على السمع من زهو الربيع نواديا
إذا الحق حالت جونة دون شمسه
رأوا قبسا منه إلى الحق هاديا

ولكن هذه المطارف الزاهية قد حال لونها كثيراً فى حديثه عن موقف الصديق ليلة الإسراء حيث سرد القول سرد المتكلم ولم يحلق بجناح الشاعر، ولكنه حين انتقل إلى قصة بلال تحت العذاب وإنقاذه بهمامة الصديق وجد مجال البراعة ذا سعة فصدق الحديث عن المعذب المسكين حين صوره تحت السياط وكأنها مدالع من لهيب :

تسيل دماً حتى كأن بجلدها
جروحا متى أنكئن سلن دواميا

ومرجع الطرافة الخالبة فى هذا البيت أن الشاعر المصرى جعل السياط نفسها تسيل دماً كأن بها الجروح الناغرة، فنقل بذلك آثار الألم إليها وصارت أبلغ شاهد على ما قاسى بلال من التعذيب ! وقد صدق الوصف حين استشف من وراء السنوات روح بلال رضى الله عنه فقال فى إبداع :

وروح بلال قاب قوسين من نوى
تودع من أطلال جسم بواليا
فلما أفاض النفس إلا صبابة
إذا ما رآها الموت لم يدر ما هيا
أطلت عليه رحمة الله من يد
ترى البرق فى ديباجة الغيث دانيا
رأى نور عيش فى ظلام معيشة
يلوح أبو بكر به متهاديا

ويمضى الشاعر متحدثا عن كرم الصديق يوم تبوك، وتفانيه الصادق فى غار ثور يوم الهجرة، فيلمس موضع التأثير، إذ يشير إلى صبر أبى بكر واحتماله، حين

لدغته الأفعى بالغار ، فكتم شكواه كيلا يوقظ صاحبه ، لولا تساقط عبراته والشاعر المبدع فى مثل موقفه هو الذى يختار من مواقف الصدق ما يمنحه القدرة على التأثير والنفاذ ، كما وفق المصرى فى كثير مما اتجه إليه من لفتات ، وقد حالفته البصيرة المشرقة فى تصويره موقف أبى بكر يوم وفاة الرسول إذ تسرع الفاروق فى هول الخطب فرفض القول بموته ، أما أبو بكر فكان صاحب ثبات حازم أحسن الشاعر تصويره فى قوله :

نهى لم يزدها الهول إلا حصافة
وما زعزعت منها الرياح رواسيا

فلما استبان الموت حيا بأبلج
مسجى من الإشراق يحسب صاحيا

أهاب بهم ياقوم مات محمد
وألقى على شط الخلود المراسيا !

ثم انتقل إلى الحديث عن جيش أسامة ، فصور حزم الصديق حين عزم على تسيير الجيش على رغم معارضة المثقفين ، وحين أصر على تولية أسامة إذ عقد له رسول الله لواء القيادة قبل ارتحاله ، مع استشراف بعض ذوى النباهة إلى احتلال مكانه ، وأنى ! وأبو بكر الخليفة يسير فى ركابه ضاربا أصدق المثل فى الطاعة والانقياد .

فشق رواء عن أسامة راكبا
يشيعه فيه الخليفة ماشيا

وإن ابن زيد بعدها غير مدع
إذا قال إن الشمس دون مكانيا

أتمشى أبا بكر وإنك إن تشر
لطاولت الأعناق فيك المذاكيا

رضيت بها فى الله لا فى أسامة
لتخضع بالإحسان من كان عاصيا

وقفت أمام الجيش ترفد أسه
وتضرم من تلك العواطف خابيا

يكاد يشق النار إن صحت آمرا
ويرتد خوف الظل إن عدت ناهيا

وموقف أبى بكر فى توديع جيش أسامة راجلا غير راكب ، يخفض رأسه تواضعا خلف القائد المختار كان يتطلب وحده ملحمة ذات ذيول ، ولم يكن فى طوق المصرى أن يفيض فى تصويره ، لأنه ينظر نظرات خاطفة ، على ميدان فسيح الجوانب متعدد الأنحاء ، فإذا أطال الوقوف فى جهة خاصة ، تحيف بذلك بعض الجهات الهامة التى تتطلب حظها من التشريف والاحتفاء ! ولم تتسع

نظرات شعراء البعث من زملائه إلى التحليق فى ميادين أرحب وأوفى ، لأن مناخهم الفكرى لم يكن ليسمح بالملاحم الطوال ذات الآلاف من الأبيات، حتى نهض محرم بنظم الإلياذة فى أخريات أيامه نخطا بالشعر التاريخى خطوة فسيحة كانت موضع الاحتذاء ، وقد يماثل موقف أبى بكر من أسامة فى قوة تأثيره وجيشان صداه ما تعرض له المصرى من حديث ملك حمير ذى الكلاع إذ وفد على أبى بكر فى سلطانه الغالب وزينته الباهرة يضع على رأسه تاجه الذهبى ، ويلبس مطارف الحرير موشاة بالذهب ووراءه ألف عبد يخفضون رقابهم هيبة لجلاله ، ولكنه يدهش حين يطلب لقاء أبى بكر فى إيوانه ، فلا يجد قصرا وحراساً وحاشية بل يجد رجلا يلبس قميصه المتواضع فوق بدنه دون شغار أو دثار ! فيتضاءل جاهه الممتد فى عينه، وينزع عنه ما يثقل رأسه من ذهب ، وجسده من ثياب، ليقتدى بخليفة المسلمين ذلك موقف قديستأهل وحده ملحمة رنانة ذات صليل ، ولكن عبد الحليم المصرى أوجز الحديث عنه إيجازا لم يفته تصوير الخوالج وإيضاح المشاهد، بل جاش بنبض الحياة وقوة الوجدان،وهو بعدمن أجمل ما فى البكرية كلها من بيان ، وقد اشتقنا إلى أن نسمع منه قوله عن أبى بكر .

أفى خلد الأسمال أى خليفة بها رائحا فى نصرة الله غاديا
إذا ما جوارى الحى هبت بشائها تساوم حلابا وتطلب راعيا
قعدت بأجلال الخلافة ضارعا تدر شويهات وترضى جواريا
لقد دهم الركب اليمانى مخبر فشاهده عن منظر الملك نائيا
غداة تجلى ذو الكلاع بتاجه وأشرق فى أبراده مترائيا
يكاد من الإغراق يمهق بالحلى وأقدامه كادت تمج الغواليا
إذا الشمس حيته وغنت خريدة يدحرجها بالصولجان تلاهيا
وإن نظرت منت على النور رعينه كما لو يكون النور بالعين رائيا
مشى ألف عبد مثقلين أمامه إذا هزهم بالجود هز الغواديا
فلما رأى من نسج تيم مجاسداً يكاد يرى فيها الخليفة عاريا
تولته من أمر الخلافة دهشة فألقى الحلى والخز وارتد حافيا

وقال كذا دين المساواة فلتكن
خلافته حرية وتآخيا

ومن ضمن الإجلال فى كل بردة
رأى ما وقاه الحر والبرد كافيا

وقد أحسن الشاعر فى حديثه عن حروب الردة ، وقيادة أبى بكر لها ، مصوراً انبعاث السرايا بقيادة الميامين من أبطال الصحابة ، ووافقا عند خالد بن الوليد وقفات تسجل بسالته النادرة ، وذعر أعدائه الذين تهيبوه قبل لقائه لما طار له من صدى مجلجل فى ساحات الحروب إذ قال :

مضى كدوى الرعد بين أزيزهم
بأصلت لا تلق الطلى منه واقيا

صدى عزمات طار من قبل خالد
يقول بأصوات الرياح حذاريا

فكانت رئات الخيل ترقى حلوقها
وتبلغ أرواح الرجال التراقيا

وكل ما قاله فى حروب الردة ومعارك فارس والروم جميل مؤثر ، وأجمل منه ما حكاه عن اشتغال أبى بكر بالتجارة ليقتات ، وإذا كان قد بدأ حديثه السابق عن ذى الكلاع بتصوير أبى بكر فى أسماله ، يدر شويهاته ليبيع ألبانها مرتزقا من كسب يده ، فقد عاود الكرة إلى حديث الخليفة الزاهد حين دعا أهل بيته عند احتضاره ليأمرهم برد البستان والعبد إلى بيت المال ليمضى معافى إلى ربه .

ومات ولم يترك تليداً لوارث
ولا قام منهم من يقول تراثيا

ليالى كان الناس لا المال مالهم
فما هو إلا مال من جاء عافيا

ولا فرق فيهم بين مولى وعبده
إذا جاءهم عبد لمولاه شاكيا

ونرى كيف ألح الشاعر على هذه المعانى ليرسم مساواة الإسلام كما ظهرت فى تطبيقها الصحيح ، وليقول عن طريق المقارنة النفسية الناهضة بما توحيه ملابسات السياسة فى عصره إن كل خلافة تنكبت سبيل الخلافة الراشدة من أموية وعباسية وفاطمية وعثمانية لم تكن تسير بنظامها المتجبر فى دائرة الإسلام شريعة وقانونا ، وها هو ذا أبو بكر وخلفاؤه الراشدون يعلون النموذج الصحيح ، ثم ختم بكريته الهادفة برجاء حى ضمنه قوله :

ذكرت أبا بكر لقومى وليتنى
بلغت به ما كنت فى القول راجيا

لعل سراة الدهر تبلغ فجره
فإنى أرى الإصباح يتلو الدياجيا؟

د . محمد رجب البيومى

العَربيّة لغة الإسلام والمسلمين

للأستاذ على عبد العظيم

٥ ـ الخط العربى

يرى بعض الباحثين ، أن أهم اختراع عرفته البشرية فى جميع عصورها ؛ هو اختراع الخط ، الذى يصور الآراء والأفكار والتجارب ويحفظ الأنباء ، والأخبار ، وينقل الحضارات من جيل إلى جيل ومن مكان إلى مكان ، وهو الذى قامت عليه أسس المدنية والعمران ، وامتاز به الإنسان على جميع الكائنات ، وقد عرف الفلاسفة الإنسان بأنه «حيوان ناطق» بمعنى أنه مفكر ، يستطيع التعبير عما يجول فى خاطره ، بأصوات عديدة لا مجال للموازنة بينها وبين أصوات الحيوان ، ولقد من الله على الإنسان بأنه خالقه وسواه ، ومنحه ملكة البيان : قال تعالى : (خلق الإنسان علمه البيان) ولهذا فضله على الملائكة ، وأمرهم بالسجود له .

والتعبير يكون باللسان ، كما يتم بالكتابة ، واللسان أثره مقصور على مجلس خاص وزمن محدود .. أما الكتابة فهى تنتقل عبر الأجيال ، وعبر الممالك والشعوب ، ولولا ما سجله قدماء المصريين والإغريق والرومان ـ ما عرفنا شيئا عن مدنيتهم العريقة ، ولا أدركنا شيئا يذكر من معارفهم وعلومهم ، التى تعتبر أساسا ثابتا لجميع ما وصلت إليه الإنسانية من حضارات .

ولقد حدد الجاحظ وسائل التعبير فى فنون اللفظ ، والإشارة ، والعقد والخط ، والنسبة .. فالإنسان يعبر باللفظ كما يعبر بالإشارة بالرأس أو اليدين ، أو هز الكتفين ، أو زم الشفتين ، أو الإعراض ، وأما العقد ، فهو الإشارة العددية بالأصابع ، للإبانة عن العدد المطلوب ، من الآحاد حتى عشرات الألوف ، بحسب وقوف كل أصبع أو ضمه أو انحنائه .

وقد ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم

(عقد عقد تسعين) وألف العرب فى هذه الإشارات وكيفيتها رسائل عديدة وصاغوا فيها أراجيز لا يتسع المقام لسردها .

أما النسبة ، فهى ما نعبر عنه حديثا بلسان الحال ، كالهيئة الرثة فى الدلالة على الفقر أو البخل ، والرعدة على الخوف أو المرض ، والبكاء على الحزن والألم . .

ونستطيع أن نضيف إلى ما أورده الجاحظ دلالات بيانية أخرى ، مثل الإشارات الضوئية ، والموسيقى التعبيرية ، والرسم (التصوير الكاريكاتورى) والسينما الصامته ومثل طريقه Mcrs فى البرقيات والتلويح بالرايات أو بالنيران أو بالعصا والنوته الموسيقية ، بل قد يكون الصمت من وسائل التعبير ، والفقهاء يقررون أن إذن البكر فى زواجها ، هو صمتها ، كما تكون الرموز السرية ، (الشفرة) من أخفى وسائل التعبير .

ومن المناطقة من يقرر أن الكون بما فيه من تفاعل ، هو منطق الله جل جلاله . . وأيا ، ما كان فما لا شك فيه أن أهم هذه الوسائل إيضاحا وشمولا ، هى الكتابة الخطية . ويكاد الباحثون يجمعون على أن قدماء المصريين ، هم أول من اهتدى إلى الرموز الكتابية ، ثم تلاهم الفينيقيون ، ثم تفرع الخط إلى مسند وآرامى ، وتفرع بعد هذا إلى فروع عديدة ، عبر أجيال وشعوب متنوعة التفاهم والتعارف ، حتى انتهى المسند منه إلى الخط الكوفى .

روى البلاذرى أن الإسلام « دخل وفى قريش سبعة عشر ، كلهم يكتب (وذكر أسماءهم) وقليل من نسائهم كن يكتبن . مثل أم المؤمنين حفصة رضى الله عنها » كما ذكر أيضا أحد عشر كاتبا فى الأوس والخزرج ممن أدركوا الإسلام ولما بزغ الإسلام ، واشتد الحرص على ما ينزل من القرآن ، دفع العرب دفعا إلى القراءة والكتابة ، وما تم نزوله حتى كان للنبى عليه السلام أكثر من أربعين كاتبا .

ولما دخلت الشعوب الأخرى ، بلهجاتها ولغاتها فى الإسلام ، اقتضى الأمر زيادة الضبط والتحقيق فوضع يعقوب الرهاوى نقطا فى حشو الحروف إذ كانت إلى ذلك الوقت غير مشكولة ولا منقوطة ، وكان النطق موكولا إلى السليقة ثم زاد أبو الأسود الدؤلى ،

علامات أولية للترقيم والإيضاح، فوضع بعض النقط لتمييز الاسم عن الفعل، كما وضع بعضا آخر منها، علامة على الحركات، وجرت عادة الكتاب. بعد أبي الأسود. على أن يرسموها بمداد مخالف، إبانة عن النطق الصحيح.

ولما كثرت. مع ذلك. التحريفات، لما طرأ على السليقة العربية من ضعف أمر الحجاج، بإحداث بعض التغييرات التي تميز بين المتشابهات من الكلمات، ويقال إن نصر بن عاصم أول من فعل ذلك، ثم اشتدت الحاجة إلى ضوابط أكثر، فدخل التحسين إلى المرحلة الخالية من الشكل، وأكثره على يد الخليل ابن أحمد، ثم تدرج شكل الحروف شيئا فشيئا، إلى أن جاء الوزير على بن مقلة سنة ٣٢٨ ه فانتهت إليه جودة الخط..

ودور الخط العربي في تسجيل الحضارات ونقلها، لا ينكره منكر، ونهضة أوربا الحديثة، مأخوذة عنه أو مؤسسة عليه، ولكن أعداء العرب. كالمستعمرين والمبشرين ومن على شاكلتهم. يحاولون النيل من الخط العربي فيشنون الحملات الشعواء عليه، ويزعمون أنه السبب الرئيسي في تخلف العرب عن ركب المدنية والعمران. ويذكرون أن القارئ في اللغات الأخرى، يقرأ ليفهم ولكنه في العربية يفهم ليقرأ، فهو إذا أراد أن يقرأ كلمة (علم) فسيجد نفسه أمام عدة احتمالات، أهي: علم (بفتح العين واللام والتنوين) أم هي علم (بكسر العين وسكون اللام والتنوين) أم هي علم (بفتح العين وكسر اللام فعل ماض) أم هي علم (بتشديد اللام) أم هي علم (بضم العين وكسر اللام) أم علم «بضم العين وتشديد اللام» ويقولون: إن نقط الحروف كثيرا ما تكون مسببا في اللبس، إذا ما سقطت النقطة، أو اعتراها الضمور، فتصير القاف فاء والياء باء وهكذا، مما يكون سببا في تشابه الكثير منها.

كذلك يأخذون على الخط العربي، أنه يزيد حروفا، أو ينقص حروفا في بعض الكلمات لا مبرر لها فيصعب النطق الصحيح وينتهون من هذا، إلى هدفهم المنشود، وهو إحلال الحروف اللاتينية محل الحروف العربية، ليتم ضبط العربية مثلما ضبطت الإنكليزية.

وقد لاقت هذه الدعوة قبولا عند بعض المتحللين المستضعفين .

ونود أن نذكر لهؤلاء الدعاة العداة ومن شايعهم ، أن الصواب يجافيهم . فإن الكتابة الإنجليزية المثالية عندهم ، أشد تعقيدا من الكتابة العربية. وحسبنا هذه النماذج :

١ — بعض الحروف تعطى أصواتا مختلفة. فالحرف C ينطق كاف حينا وسينا حينا آخر . والحرف S ينطق زايا حينا وسينا حينا آخر، وأحيانا مثل الجيم المعطشة وحروف الحركة تختلف نطقها اختلافا كثيرا بينا . فالحرف A ينطق أحيانا كالفتحة وأحيانا يدل على الضمة وأحيانا على الكسرة . وكذلك بقية حروف الحركة . أما حروف المد ، فتحتاج إلى حرفين من حروف الحركة ، وليس لها نسق مطرد أو قاعدة معروفة .

٢ — بعض أصوات النطق يحتاج إلى أكثر من حرف، ويختلف باختلاف الكلمات ، فنطق الفاء ، يؤديه الحرف F وأحيانا الحرفان : PH معا . وحرف الكاف يؤديه أيضا الحرف C الذى يتحول إلى حرف س أحيانا . كما يؤدى حرف الكاف، حرف K وأحيانا الحرفان QU معا وأحيانا الحرفان QH

٣ — وبعض الحروف تكتب ولا تنطق ، مثل الحرفين CH فى كثير من الكلمات ، ومثل الحرف W قبل الحرف R وكذلك حرف N ومثله الحروف UHB فى كثير من الكلمات .

٤ — بعض الأصوات لا يؤدية حرف واحد ، مثل حرف الشين ، فيؤديه عادة الحرفان CH وأحيانا SH ومثل الثاء ، فيؤديه الحرفان TH ومن العجب أن الحرفين الآخيرين ينطقان أحيانا مثل حرف الذال ، وحرف الغين يؤديه الحرفان KH

٥ — بعض الأصوات لها حروف مطلقا ، مثل الحاء والصاد والضاد والطاء والظاء والعين والقاف ، وتبدو هذه الصعابات فى كتابة أسماء الأعلام المنقولة من غير الإنكليزية إليها [1] ولهذه

(١) وضعت العربية حروفا لجميع مخارج الأصوات ، وتكاد تنفرد بهذا بين جميع اللغات ، وهى وإن كانت خالية من الحروف J,P,V فالواقع أنها ليست حروفا مستقلة ، وإنما هى ضغط وتشديد على حروف الفاء والباء والجيم .

ولهذه الصعوبات ـ حاول العلماء وضع قواعد تقريبية ، ولكنهم لم ينجحوا لكثرة الخلافات . ولهذا تقوم المعاجم اللغوية بمتابعة كل كلمة بعلامة مميزة لنطقها نطقا صحيحا . ولكل معجم اصطلاحاته الخاصة ، للتنبيه على هذا النطق سواء أكان ذلك عن طريق الأرقام أو الحروف أو الرسوم . بل إن هذه المصطلحات ، لم يتم الاتفاق عليها ووضع قاعدة لها تلتزم بها جميع المعجمات .

ويحاول الأمريكان الآن ، إصلاح بعض هذه العيوب ، ولكن هذه المحاولة ستبعدهم شيئا فشيئا عن الإنكليزية المعروفة المتداولة فى انجلترا ، ومع مرور الزمن وتعاقب الأجيال ، ستنقسم الإنكليزية إلى عديد من اللهجات ، ثم إلى عديد من اللغات ، وفى انجلترا ، حاول بعض علماء اللغة من الإنجليز ، إدخال بعض الإصلاحات فى الرسوم الكتابية فاقترحوا حذف الحروف غير المنطوقة وتقدم بعض النواب مقترحين إقرار هذه الخطوة ، فرفض مجلس العموم ذلك الاقتراح ، وندد به ، وشدد على التمسك بما هو قائم ، وفى هذا بلاغ لمن يتدبرون.

ثم إن الخط العربى، ينفرد عن اللاتينى بالزخرفة ، وبالاختصار أيضا . فإن كلمة : « كتب » ذات حروف ثلاثة بينما هى باللاتينية ستة ، حيث تكتب هكذا Katapa ويرجع اختصار الخط العربى ، إلى خلوه من الشكل ، وهذا الخلو يعتبر عيبا إلى حد ما ، وبخاصة عند الحاجة الضرورية إلى صحة الكلمات ، كما فى كتابة القرآن الكريم ، والنصوص المقدسة ، وقد شاع فى المطبوع العربى الحديث خلو الآيات القرآنية فى الاستشهادات ، من الشكل ،وهذا ولا شك خطأ خطير ينساق فيه الطابع العربى ، بلا تبصر للعواقب .

والانصاف يقتضينا ، أن نبحث عن علاج ، لمصاعب الخط العربى ، حتى نضمن له سعة الانتشار ، وتمام المحافظة على اللغة العربية وذلك واجب لا يستهان به ولحسن الحظ أن هذه العيوب قليلة إذا قسناها بما فى الخط اللاتينى من عيوب .

ولسنا متعصبين ، ففى الخط العربى ، عيوب ، بعضها بارز ، منها تعدد أشكال الحرف الواحد فى الكلمة الواحدة ، مثل كلمة « محمد » فإن الميم تفتح وتغلق ، ومثل : علم وسمع ويعلم ، فرسم العين

فيها مختلف ، فإذا أضفنا إلى هذا تعدد الاختلاف فى باقى الحروف ، فقد يصل بنا عدد أشكال الحروف العربية إلى المئات إذا راعينا التزام شكل الحروف.

ولما جاءت الحملة الفرنسية إلى مصر ، أنشأ نابليون مطبعة عربية ، هى الأولى من نوعها فى العربية ، وعهد إلى أحد علماء الحملة ، بوضع حروف عربية صالحة للطباعة ، وبعد بحث طويل ، اهتدى إلى وضع ٩٠٠ شكل للحروف العربية ، بينما حروف المطبعة الأفرنجية ، نحو ٩٠ حرفا ! .

ومعنى هذا أن الطابع العربى ، مقيد بتكاثر الأشكال ، مضطر إلى الوقوع فى الخطأ ، مهما حاول أن يتجنبه ، فكان لا بد من محاولة لاختصار تلك الأشكال وأمكن فى عهد إسماعيل ، اختصارها إلى ٧٠٠ شكل ، ولكن هذا لم يحسم الداء فتوالت الجهود للاختصار ، حتى صارت فى سنة ١٩١٨ نحو ٤٠٠ شكل .

وفى سنة ١٩٤٥ تبنى المجمع اللغوى ، مشروع اختصار ناجع ، فرصد ألف جنيه جائزة ، لمن يقدم أحسن اقتراح لتيسير الخط العربى ، وتلقى ٢٥٠ اقتراحا فى ذلك الوقت ، وكان للمستشرقين فيها أكثر من النصف .

وكان من بين المتسابقين جنرال روسى وأحد علماء الدين بأقاليم طشقند وأساتذة جامعيون من السوربون وكمبردج وأدنبره ودارت محاورات عنيفة بين أعضاء المجمع حول أحقية أولئك العلماء الأجانب فى التقدم لهذه المسابقة ، ثم أهملت الفكرة كلها ، إلى سنة ١٩٦٠ حيث عقد هذا المجمع جلسة برياسة وزير المعارف ، فوجه إلى أعضاء المجمع الخطبة التالية : إننى أحملكم مسئولية الأجيال القادمة إن طريقة الكتابة العربية معقدة وتكلفنا جهدا أولى ببذله عمل آخر ، فضلا أنها تعوق مكافحة الأمية ، ولم تعد ظروفنا تسمح لنا أن نسكت على هذا الوضع يجب أن تصلوا عاجلا إلى طريقة جديدة ميسرة توفر جهد الملايين وتفتح نافذة الفكر العربى من مصاريعها ، إن أية اعتمادات تريدون فتحها ، لمواجهة أية أبحاث نظرية أو تطبيقية أو جوائز أو غيرها سأعتمدها فورا لا أريد أن ينقضى عام ، أو عامان ، قبل أن نطبع

كتبا بالطريقة الحديثة الميسرة والطريقة التى تتفقون عليها سأطبقها فى المدارس فورا وترك الوزير منصبه، فسكن المشروع زوايا الإهمال.

وفى هذه الأثناء، تقدم صديقنا العلامة، الأستاذ أحمد الأخضر، عميد معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، وهو أحد معاهد الجامعة العربية، بمشروع يؤدى إلى تحقيق أكثر التيسيرات وتبلغ أشكال الحروف فى هذا المشروع نحو التسعين، وينفرد بأنه وثيق الصلة بين ماضى الخط العربى وحاضره، فضلا عما فيه من يسر وسهولة، ويقول صاحبه: إنه يمكن طبع صحيفة بالأهرام، مضبوطة بالشكل، فى نصف حجمها الحالى، وأهدى إلى كتابا ألفه فى هذا الموضوع أسماه «الطريقة المعيارية للطباعة العربية» وإنى مستعد لوضعه أمام من يشاء من الباحثين.

ومن قبل تقدم صديقنا الباحث العلامة الدكتور على عبد الواحد وافى، بمشروع إلى المجمع اللغوى سنة ١٩٤٤ ونشرته مجلة «الشرق الجديد» فى أبريل ومايو ويونية سنة ١٩٤٥ ثم أضاف إليه بعض التعديلات، وتقدم بها إلى المجمع اللغوى سنة ١٩٤٦ ثم أعاد نشرها فى كتابه «فقه اللغة» وطبعته لجنة البيان العربى سنة ١٩٥٠ وخلاصته: أن يتم رسم حروف الكلمة منفصلا بعضها عن بعض بحيث يكون لكل حرف صورة واحدة، لا تختلف باختلاف موقعه من الكلمة، أما الحروف المتحدة فى الشكل، فتوضع لكل منها صورة خاصة به، فالباء والتاء والثاء ترسم لها صور تميز كلا منها، مع مراعاة التقارب مع الصورة الأصلية بقدر الإمكان، وأن يكون التمييز بصفة عامة، باختلاف الخط بين نسخ ورقعة وغيرهما مما يسهل أداؤه، لا بالنقط ولا بأماكنها، ثم إهمال النصب فى الشكل لكثرة دورانه، وتمييز الضم والجر والسكون والشد، بعلامات مميزة ملحقة بالحروف، أما علامات الترقيم، فتبقى كما هى، وهو يرى أن هذه الطريقة، ستختصر الأشكال إلى ٥٤ شكلا بما فيها التشكيل والترقيم.

هذا ولا شك فى أن هناك اقتراحات عديدة، جديرة بالدراسة والبحث من المجمع، وحسبنا من كل ذلك أن نصل

(البقية صفحة ٥٠٤)

باب الفتوى

يقدمه الأستاذ : محمد أبو شادى

مصلحة الجمارك

هى صاحبة الحق فى المبلغ

السؤال من السيد / الأستاذ عبد المنعم زكى هارون

لى شقيقة كانت مبعوثة فى الكويت وأثناء وجودها هناك كلفتها بشراء سيارة لى ودفعت لها ثمن الشراء ، وأرسلت إلى السيارة ، وقد طلب منها دفع مبلغ ٨٠٠ جنيه جمرك عليها وقد دفعت هذا المبلغ ، وأفرج عن السيارة وتسلمتها ، ثم صدر قانون بإعفاء المبعوثين من رسوم الجمرك على السيارة التى تشترى خلال مدة البعثة ، وعليه فقد رد المبلغ إلى شقيقتى مع الإحاطة بأن شقيقتى لم تشتر سيارة أخرى من الكويت ولم تكن لديها النية لمثل ذلك .

فما حكم المبلغ الذى رد من إدارة الجمارك ؟ وهل هو حق للأخت أم للأخ صاحب السيارة ؟

الجواب

تفيد اللجنة بأن هذا المبلغ يجب رده شرعا إلى مصلحة الجمارك لأنها أعفت غير صاحب الشأن ، والأخت لا تستحق فيه شيئا لأنها لم تدفع شيئا لا فى ثمن شراء السيارة ولا فى قيمة الجمرك الذى سبق أن تحصل عن هذه السيارة .

والله تعالى أعلم ؟

* * *

رأى الدين فى الشقيقين

اللذين دخل كل منهما على عروس الآخر

السؤال من السيد /

تزوج شقيقان من شقيقتين ، وتم العقد ولجهل الدليلة تم تقسيم العروسين على العريسين خطأ ، إذ أدخلت عروس كل منهما على الآخر ، وفى الصباح اتضح الخطأ .

فهل فى هذه الحالة تكون العروس للعريس الذى دخل عليها أو الذى عقد

عليها وما حكم الشرع فيما حدث ولو أنجبت كل منهما طفلا فلمن ينسب ؟

الجواب

إذا أراد كل من الزوجين أن يحتفظ بزوجته التى عقد عليها فينتظر إلى حين أن تنقضى عدتها بالحيض « إن لم تكن حاملا » أو بوضع الحمل « إن كانت حاملا من وطء الآخر الذى هو وطء شبهة ثم ترجع إليه دون عقد جديد » .

وإن أراد كل منهما أن يحتفظ بالتى دخل بها فيطلق كل من الزوجين زوجته التى عقد عليها ، ثم تتزوج من الآخر الذى دخل بها مباشرة .

والولد « إن كان » ينسب إلى الواطىء والله تعالى أعلم .

* * *

الكافر الذى مات على كفره مخلد فى النار أبد الآبدين ؟

السؤال من السيد / عبد الحميد البنا .

سمعت رأياً بشأن الكفار وغير المسلمين ممن نطقت آيات التنزيل والسنة السمحة بخلودهم فى نار جهنم أبد الآبدين ولا سبيل إلى خروجهم منها ، وسمعت رأياً آخر يقول إن عذابهم ينتهى حتما بعد فترة ما ، ثم يخرجون إلى دار خارج النار حيث تغلق أبوابها يبطل مفعولها ليظلوا بعدئذ فى صـــورة الخنازير يرتعون فى الكلأ فحسب .

فأى القولين هو الصحيح ؟

الجواب :

إن هذا الكلام الذى سمعته هو كلام اليهود الذى قالوه إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن أنفسهم وكذبهم الله تعالى فيه وأنزل فيهم قوله سبحانه وتعالى : « وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون ، بلا من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » صدق الله العظيم .

وإجماع علماء المسلمين منعقد على أن المسلم يعذب فى النار إن كانت له ذنوب استحق عليها ذلك ، ثم يخرج إلى الجنة بعد أن يغسل فى نهر نص عليه حديث البخارى وسماه « نهر الحياة » وأن الكافر الذى مات على كفره وهو المعنى بقوله سبحانه : « وأحاطت به خطيئته » يبقى فى النار خالداً فيها لا يخرج منها أبدا والله تعالى أعلم .

رأى الفقهاء فى تطبيق شروط الواقفين

جاء إلى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الاستفتاء الآتى :

وقف المرحوم محمد أمين أغا الأعيان التى بينها بكتاب وقفه على أن يصرف من ريعها :

أولا - على مسجد عينه . وفاضل الريع يكون لأولاده وأولادهم بطنا بعد بطن يستوى فى ذلك نساؤهم ورجالهم .

فهل عبارة « بطنا بعد بطن » تقتضى أنه لا يستحق واحد من الطبقة السفلى إلا بعد انقراض ما قبلها من الطبقات أو أن ما استحقه كل واحد من طبقة ينتقل بموته إلى فرعه وإن كان هناك أحد من طبقة عليا .

وقد مات الواقف عن بنته خديجة ثم ماتت خديجة عن بنتها زهراء ثم ماتت زهراء عن أولادها الأربعة : هبة الله ومسرورة وصفية وعاطف ، واستولى الأخير وهو عاطف على فاضل ريع الوقف كله ولم يعط أخواته الثلاثة شيئا .

ثم ماتت مسرورة عن بنتها زهراء ثم ماتت زهراء عن أولادها حق ومسعود وأسماء مع وجود بعض من هو فى الطبقة التى هى أعلا من طبقتها . فهل هؤلاء الثلاثة يستحقون نصيب أمهم زهراء الذى آل اليها عن مسرورة التى آل اليها الاستحقاق عن أمها زهراء نرجو الإفادة !

الجواب

اطلعت اللجنة على هذا السؤال وتفيد بأن للفقهاء رأيين فى تطبيق عبارة الواقفين « طبقة بعد طبقة » أو « بطنا بعد بطن » أحدهما أن الترتيب يعتبر ترتيب مجموعة على مجموعة فلا يستحق أحد من أهل الطبقة السفلى فى ريع الوقف إلا إذا انقرضت الطبقة العليا جميعها ولم يبق منها أحد .

فاذا مات واحد من أهل الطبقة العليا انتقل نصيبه إلى من هو موجود من أهل طبقته . وعلى هذا يكون الحكم فى هذه المسألة أنه بموت زهراء بنت خديجة بنت الواقف ينتقل نصيبها إلى أولادها الأربعة وهم عاطف ومسرورة وهبة الله وصفية بالتساوى بينهم ، ومن مات من هؤلاء الأربعة ينتقل نصيبه إلى أخواته الموجودين وقت موته ولا ينتقل إلى ذريته.

وعلى هذا لا يستحق أحد من ذرية الأربعة (عاطف ومسرورة وهبة الله

وصفية) شيئا من ريع هذا الوقف مادام أحد هؤلاء الأربعة موجودا ، فإذا انقرض الأربعة جميعا وانتقل الريع إلى الطبقة التالية فلا يستحق أحد من الطبقة التى بعدها شيئا من الريع مع وجود واحد من أهل الطبقة السابقة . وبهذا يتبين أن إعطاء بعض أهل طبقة مع وجود أحد من الطبقة التى فوقها يكون خطأ بمقتضى هذا الرأى .

أما الرأى الثانى : فهو أن الترتيب الذى يراعى فى مثل عبارة (طبقة بعد طبقة أو بطنا بعد بطن) هو ترتيب أفراد فلا يستحق فيه فرع مع وجود أصله وليس ترتيب مجموع على مجموع .

مقتضاه أن من مات من طبقة وله فرع انتقل نصيبه إلى فرعه ولو مع وجود أحد من طبقة المتوفى ، وعلى هذا ينتقل نصيب من مات من الأولاد الأربعة المذكورين قبلا إلى أولاده ثم ينتقل نصيب كل واحد من أولاده إلى من بعده وهكذا .

ولا تنقض القسمة بانقراض أى طبقة من التطبيقات وعلى هذا ينتقل نصيب مسرورة بموتها إلى بنتها زهراء ، وبموت زهراء ، ينتقل نصيبها إلى أولادها الثلاثة حتى ومسعود وأسماء بالسوية بينهم ، كما هو مقتضى شرط الواقف (أن الرجال والنساء سواء) وهذا النصيب الذى وصل إلى حتى وأختيه مسعودة وأسماء هو ريع فاضل ريع الوقف بعد ما شرطه الواقف للمسجد .

وهذا الرأى الثانى هو الراجح من مذهب المالكية والحنابلة وبه أخذ قانون المحاكم الشرعية المصرية الصادر فى سنة ١٩٤٦ والله تعالى أعلم .

محمد أبو شادى

(بقية المنشور على ٥٠٠)

إلى طريقة دقيقة ، سهلة واضحة ، تيسر محو الأمية ، وتوفر الوقت والورق والمداد.

وقد علمنا أن المجمع استقر أخيرا ، على طريقة حديثة ، يسر فيها قواعد النحو والإملاء ، واختصر الأشكال إلى ٧٢ شكلا منتزعة من الأشكال القديمة .

والمهم هو التنفيذ العملى ، بما يحقق الهدف المنشود ، والأمر بين يدى رجال الثقافة والتربية والتعليم ، فى الدول العربية جمعاء .

أما مشكلة الإعراب وصعوبة قواعد النحو ، فلها حديث آخر بمشيئة الله تعالى

(للبحث بقية)

على عبد العظيم

أنباء وآراء

● بعث فضيلة الإمام الأكبر دكتور محمد الفحام ببرقية إلى رئيس مجلس الشعب ورئيس لجنة الدستور جاء فيها :

باسم الإسلام الذى جاء بأحكم دستور ، وباسم الشعب ، وباسمى واسم جميع العلماء العاملين بالأزهر ، نرجو - ملحين فى الرجاء - أن ينص الدستور على أن الدين الرسمى للدولة هو الإسلام الذى وسع الناس جميعا بعدله وإنصافه وسماحته ، وأن تستمد منه القوانين والتشريعات التى تنظم حياتنا على أساس العلم والعمل والإيمان والأخلاق .

وقد أخذت لجنة الدستور بهذه الرغبة، فنص مشروع الدستور الدائم لجمهورية مصر العربية على أن دين الدولة الرسمى هو الإسلام ، كذلك نص على أن الشريعة الإسلامية مصدراً رئيسياً للتشريع .

● معهد إسلامى بالسنغال :

● قررت الحكومة الليبية المساهمة فى تكاليف بناء معهد إسلامى يتم تشييده بمدينة (داكار) بالسنغال .

أرسل « ليوبولد سنجور » رئيس جمهورية السنغال برقية للرئيس الليبى معمر القذافى تعرب عن تقديره لدور الحكومة الليبية لمساهمتها فى هذا المشروع الكبير .

● جامعة إسلامية أزهرية بوسط إفريقيا .

بحث الإمام الأكبر دكتور محمد الفحام مع شاه إيران أثناء زيارته لها إنشاء جامعة إسلامية فى نيجيريا ، وقد تم الاتفاق على إنشائها بنيجيريا باعتبارها أكبر دولة إفريقية يبلغ عدد المسلمين فيها أكثر من ٤٠ مليون مسلم ، وصرح فضيلة الإمام بأن ملوك الدول الإسلامية ورؤساءها سيساهمون بالأموال اللازمة لإنشائها ، ويسهم الأزهر بهيئة التدريس والمراجع العلمية .

● نوقشت بجامعة الجزائر أول رسالة علمية حررت جميعها باللغة العربية عنوان الرسالة «الفيلسوف المغربى أبو بكر

ابن العربى » تقدم بها الطالب الجزائرى عمار طالبى .

تكونت لجنة المناقشة من أساتذة مصريين وفرنسى واحد ، من المصريين فضيلة دكتور عبد الحليم محمود وكيل الأزهر والدكتور محمود قاسم والدكتور يحيى هويدى ، ودكتور على سامى النشار المشرف على الرسالة .

● عشر للعالم الرياضى المغربى أبى العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدى المراكشى المعروف بابن البناء - نسبة لصناعة أبيه . على مؤلفات عدة فى القرآن الكريم منها :

« تفسير سورتى العصر ، والكوثر » وحاشية على الكشاف بعنوان : « منحى التأويل فى التشابه اللفظى من آى التنزيل ورسالة فى « تسمية الحروف وخاصية وجودها فى أوائل سور القرآن » ورسالة فى تفسير بعض الآى من القرآن » و « عنوان الدليل فى مرسوم خط التنزيل وهو جزء نبيل فى تعليل رسم المصحف الإمام . ولد ابن البناء بمدينة مراكش عام ٦٥٤ هجرية .

والرسالة الأخيرة تعتبر من أندر الرسالات وقد شرحها العلامة أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن ابن يوسف بن محمد بن عطية المديونى الشهير بالجاديرى من علماء القيروان ولد عام ٧٧٦ هجرية وتوفى عام ٨١٨ م .

أصدرت « الميثاق » المغربية بيانا عن هذه المؤلفات .

● تدريس « الدين واللغة العربية » بالمدارس الفنية .

عقد المجلس المركزى للتعليم الفنى أول اجتماع له برياسة د . محمد حافظ غانم وزير التربية لبحث سياسة التعليم الفنى فى ضوء القانون الجديد ، وناقش المجلس الخطة الجديدة .

وصرح السيد / حمدى حرب وكيل الوزارة للتعليم الفنى بأن الخطة الجديدة تتضمن إدخال المواد الثقافية فى هذه الصفوف وتدريس اللغة العربية والدين إلى جانب اللغات الأجنبية والفيزياء والكيمياء والرياضة بنفس مستوى المدارس الثانوية العامة .

سبق أن اتخذ مؤتمر التعليم قرارا نص على اعتبار الدين مادة أساسية فى جميع مراحل التعليم .

على الخطيب

person, the punishment is in principle retaliation; life for life, eye for eye, tooth for tooth. But there is first of all the great principle of motive and intention. Has one caused damage voluntarily or only by accident ? Again, there is the choice for the victim (or the heirs of his rights) to agree to a pecuniary reparation, or even pardon completely. If the judicial proof establishes that the crime was intentional, the public authorities have no right to pardon; the matter rests with the sufferer.

248 – Entirely different is the case of fornication and adultery For the consent of the parties does not attenuate its gravity The Prophet had so greatly succeeded in developing justice and selfcriticism among his companions that they preferred severest public punishment in this world to the one in the Hereafter; and they presented themselves voluntarily before the Prophet, to confess their sins and submit themselves cheerfully to the legal sanctions. Outside confession, it is aiways very difficult to to prove illicit sexual relations if the parties were willing. In order to diminish the temptation, Islam has taken other precautions also: prohibition of promiscuity, of easy and unsupervised meetings between the young of opposits sexes if they are not near relatives, and even the recommendation of the veil to cover the face of the woman if she goes out in the street or meets strangers. Far from attracting the gaze of the amorous strangers by her coquetry, it is the duty of a Muslim woman to reserve her beauty aud her attration only for her husbaud. The veil has othir advantages also for the woman. One knows the great difference between the exterior of those women who work in the fields, for instance, and of those who are not exposed to the sun.

One knows also the difference between the outer and inner feathers of a bird. In fact the veil preserves for a louger time the charm and freshness of the skin. One can see that plainly on comparing the skin of the face or hands with that of other parts of the body which are habitually covered by the dress. The veil does not at all signify seclusion, but it does diminish the temptation that could draw strangers. It is abusing the credulity of the simpleton to make-beleive that covering the face with veil generates tuberculosis. This disease is a prevaleut among people where womenfolk never uses the veil, not only in Black Africa. but even in the most highly developed societies from Finlaud to Italy, as the latest research has brought to light. In passing, it may be mentioned that there is no legal penalty for the neglect of this Qu'ranic recommendation.

(to be continued)

of which He has retained Himself 99 and distributed the one portion among all the beings living on the earth; the mutual mercy found among the creatures comes from the same." The Quran (11/114) announces no doubt; "Verily the good deeds carry away evil deeds," yet alms and charities are no doubt recommended, yet they do not buy automatically the Divine pardon for a given sin : each has an independent existence, and God's freedom is absolute

THE INJUCTIONS

244 – The Qur'an often employs two characteristic terms to designate the good and the evil. Thus it refers to ma'ruf (the good known to everybody and recognized as such), and munkar (the evil denounced by everybody and recognized as such). In other words, the Qur'an has confidence in human nature, in the common sense of man; " There will never be a unanimity in favour of the evil, even if some people permit it to themselves " is the purport of a well-known saying of the Prophet. The Qur'an (3/110) calls the faithful " the best community " aud explains that this is so because they "enjoin the good (ma'ruf) and forbid the evil (munkar) and belive in the One God. " Another passage (103-3) is still more emphatic ; " By the Time ! Lo ! Man is in a state of loss, save those who believe and do good works, and exhort one another to truth (or right) and exhort one another to endurance (or constancy).

245 – But there are also injunctions against particular evils. As has already been remarked, there are those which accompany a sanction and a public punishment, and those regarding which there is only a warning of punishment in the Hereafter, and, except in cases of extra-ordinary gravity, the public authorities do not take cognizance of them.

246 – In his celebrated speech, on the occasion of the Farewell Pilgrimage, the Prophet declared the inviolability of the rights of a man in all the three categories of person, property aud honour. In fact the Muslim penal law takes it into account declaring that the principal crimes are the following ; murder, damage to body, fornication and adultery (which are all crimes against person), theft and highway robbery (which are crimes against property), and calumny against chastity, and consumption of alcoholic drinks (constituting crimes against honour). All these are punished.

247 – As for the damages against

taken away, or replace them if the original rights could not be restituted, and so on.

240 – To show clemency to others and pardon them is a noble quality, and upon this Islam has often insisted. In eulogizing it, the Quran (3/133 - 4) says : "And vie one with another for forgivness from your Lord and for a Paradise as wide as the heavens and the earth, prepared for the pious, who spend (as charity) in case and in adversity, who control their warth and are forgiving towards mankind; and God loveth the doers of good."

241 – Pardon is recommended, yet vengance is also permitted (for the average man). In this respect, the Quran (42 / 40) says : "The guerdon of an ill – deed is an ill the like thereof. But whoever pardeneth and amendeth, his wage is the affair of God. Lo ! He loveth not the oppressors". This is one of many similar verses.

242 – God is incomparably more forgiving and merciful of men. Among the names with which Islam calls God, there is Rahman (Most Merciful), Tauwab (Most Pardoning) 'Afu (one who affaces faults). Ghaffar (Most Forgiving,) etc. Those who commit a sin against God, and then repent, find God full of indulgence. Two verses of the Quran may show the Islamic notion of the bounty of God :

(a) "Verily God pardoneth not that partners should be ascribed unto Him, while He pardoneth all else to whom He will (4 / 116).

(b) " . . . . . O My slaves who have been prodigal to your own hurt! despair not of the mercy of God ; Verily God forgiveth all sins ; verily He is the Forgiving ; the Merciful. (39 / 53)

243 – If one gives up disbelief and turns to God to beg pardon of Him, one can always hope for His clemency. Man is weak, and often breaks his resolutions ; but true repentance can always restore the grace of God. There is no formality, no buying of Divine pardon by mediation of other men ; but one must turn directly to God present Him one's sincere regrets in a tete-a-tete conversation (munajat) ; for He is the Knower of all and nothing could be concealed from Him. "The Love of God for His creatures is seventy times greater than that of a mother for her child ; " as has once been remarked by the Prophet ; and "If one goes one step towards God, God comes two steps towards such a one," as has been said on another occasion. The Prophet Muhammed has said : "Mercy has been divided by God into one hundred portions,

lo ! some suspicion is a crime ; and spy not, neither backbite one another would one of you like to eat the flesh of his dead brother (by backbiting) ? ; ye abhor that (so abhor the other).

THE FAULT AND ITS EXPIATION

237 – Nobody could object to the good counsel, offered in the above mentioned verses ; but man has his weaknesses. He is constituted simultaneously of the elements of good and evil By his innate defects, he gets angry ; he is subject to temptations, and is driven to do harm to those who are weaker and have no means of defending or avenging themselves Similarly, his noble sentiments make him repent afterwards ; and in proportion to the force of his repentance, he tries more or less to rectify the harm he had done.

238 – Islam divides faults into two big categories : those which are committed against the rights of God (unbelief, neglect of worship, etc), and those against the rights of men. Moreover, God does not pardon the harm done by a man to his fellow-being: it is the victim who alone can pardon. If one does harm to another creature, be it man, animal or any other one commits in fact a double crime : a crime against one's immediate victim, and also a crime against God, since the criminal conduct in question constitutes a violation of the Divine prescriptions. It is thus that, when there is an injustice or crime against another creature, one has not only to try to repair the damage by restituting to the victim of one's violation the right which had been taken away from him, but he has also to beg pardon of God. In a famous saying of his, Prophet Muhammed gave a warning, that on Doomsday, a certain person would be thrown in Hell because he had tied up a cat with a rope, giving it neither to eat nor to drink, nor letting it go and seek itself the food, thus causing the death of poor animal in inanition.In another Hadith, the Prophet spoke of Divine punishment to those men who did not fulfil their duty against even the animals, by not giving them sufficient food, or leading them beyond their strentgh, etc. The Prophet prohibited even the hewing down of trees without necessity. Men should profit by what God has created, yet in an equitable and reasonable measure, avoiding all dissipation and waste.

239 – When one causes damage to another and wishes to repair it, there are several ways he could adopt. Sometimes by merely asking pardon everything is set right ; at other times it may be necessary to restitute the rights which were

And keep the convenant. Lo ! of the convenant it will be asked. Fill the measure when ye measure, and weigh with a right balance ; this is meet, and best refuge.

Follow not that whereof thou hast no knowledge. Lo ! the hearing and the sight and the heart – of each of these it will be asked.

And walk not in the earth exultant. Lo ! thou canst not rend the earth, nor canst thou stretch to the height of the hills. The evil of all that is hatefull in the sight of thy Lord. This is part of the wisdom wherewith thy Lord hath inspired thee (O Muhammed). And set not up with God any other god, lest thou be cast into hell, reproved, abandoned

These commandments, comparable to and more comprehensive than those given to Moses, were revealed to the Prophet during the mi'raj.

235 – It would be too lengthy to cite here all the Quranic exhortations. However, we may quote a passage (4 : 36 - 8) in which it speaks of the social behavour of the average man : " And serve God ; aseribe no thing as partner unto Him ; (show) kindness unto parents, and unto near kindred, and orphans, and the needy, and unto the neighbour who is of kin (unto you) and the neighbour who is not of kin, and the fellow traveller and the wayfarer, and (the slaves) whom your right hands possess ; lo ! God loveth not such as are proud and boastful, who hoard their wealth and enjoin avarice on others, and hide that which God hath bestowed upon them of His bounty ; for debelievers, We prepare a shameful doom. And (also) for those who spend their wealth in order to be seen of men, and believe not in God nor the Last day; whoso taketh Satan for a comarade, a bad comarade hath he".

236 – In another passage (49 : 10 - 12), the Quran describes the characteristics of Muslim society : "The believers are naught else than brethren ; therefore make peace between your brethren and observe your duty to God, that haply ye may obtain mercy. O ye who believe !.

Let not a folk deride a folk who may be better than they are, nor let woman (deride) women who may better than they are ; neither defame one another, nor insult one an other by nickmames ; bad is the name of lewdness after embracing the faith ; and whose turneth not in repentance; such are evil-doers O ye who believe! Shun much suspicion ; for

sum-total of wisdom is the fear of God. Islamic morality begins with the renunciation of all adoration outside God, be it adoration of the self (egoism), or adoration of our own handicrafts (idols, superstitions), etc; and the renunciation of all that degrades humanity (atheism, injustice, etc.).

234 – In a beautiful passage (17 : 23 - 9) The Quran gives twelve commandments to the Muslim community, and sayes :

Thy Lord hath decreed, that ye worship none save Him.

And that (ye show) kindness to parents. If one of them or both of them were to attain old age with thee, say not 'Fie' unto them nor repulse them, but speak unto them a gracious word. And lower unto them the wing of tenderness through mercy, and say :

My lord ! Have mercy on them both, as they did care for me when I was little. Your Lord is best aware of what is in your minds. If ye are righteous, then lo ! He is ever Forgiving unto those who turn (unto Him).

Give the kinsman his due, and the poor, and the wayfarer, and squander not (thy wealth) in wantonness Lo ! the squanderers are ever brothers of the devils, and the Devil as an ingrate to his Lord. But if thou turn away from them, waiting mercy from thy Lord, for which thou hopest, then speak unto them a convenient word.

And let not thy hand be chained to thy neck nor open it with a complete opening, lest thou sit down rebuked, denuded. Lo ! thy Lord enlargeth the provision for whom He will, and straineth (it from whom He will) LO ! He is ever Knower, Seer of His slaves.

Slay not your children, fearing a fall to penury ; we shall provide for them and for you. Lo ! 'the slaying of them is great sin.

And come not near unto fornication Lo ! it is an abomination and an evil way.

And slay not the life which God hath forbidden save with right. Whoso is slain wrongfully, we hath given power unto his rightful representative, but let him not commit excess in slaying. Lo ! he will be helped.

Come not near the wealth of the orphan save with that which is better till he comes to strength.

minor, in selfdefence, by a headsman executing the capital punishment ordered by a tribunal, a soldier defending his country against an aggressive invasion, etc. - in all these cases the killing is sometimes punished more or less severely, sometimes pardoned, sometimes considered a normal duty entailing neither praise nor condemnation, and sometimes obtains high praise and honour. Almost all human life is composed of acts whose good and evil are relative. This is why the Prophet Muhammed has often declared : "Acts will be (judged) only according to motives."

229 - Islam is based on the belief of a Divine revelation sent to men by as prophets intermediary. Its law and morality, even as its faith, are therefore based ou Divine commandments. It is possible that in the majority of cases human reason also should arrive at the same conclusion, but essentially it is the Divine aspect which has the decisive significance in Islam, and not the reasoning of a philosopher, a jurist or a moralist, the more so because the reasonings of differet individuals may differ and lead to completely opposite conclusions. Sometimes the motive of the discipline is found underlying an obligation and practice which is aparently superfluous.

230. One may divide human actions, first of all, into good and evil, represented by orders and prohibitions. The acts from whith one must abstain are also divided into two big categories Those against which therë is temporal sanction or material punishment in addition to condemnation on the day of the Final Judgement, those which are condemned by Islam without providing a sanction other than that of the Hereafter.

231. In a saying attributed to the Prophet (and reprated by Qadi 'Iyad, in his Shifa, ch. 2) we see the conception of life envisaged by Islam : « 'Ali asked the Prophet one day about the principles governing his general behaviour, and he replied : Knowledge is my capital, reason is the basis of my religion, love is my foundation, desire is my mount for riding, remembrance of God is my comrade, confidence is my treasure, anxiety is my companion, science is my arm, patience is my mantle, contentment is my booty, modesty is my pride, renunciation of pleasuer is my profession, certitude is my food, truth is my intercessor, obedience. is my sufficiency, struggle is my habitude and the delight of my heart is in the service of worship"

232 – On another occasion, the Prophet Muhammed said : The

should not be persuaded to sacrifice on its own initiative. As to the ordinary spirit, not only does it not willingly consent to sacrifice, but even permits to thrive at the expense of others, unless there be a fear of violent and immediate reaction on the part of its victim, or society, or any other superior power. And the abtuse spirit is not deterred even by this fear, and persists till the last in its criminal intent, struggling against all opposition, until it is placed by society in a state where it can no more have nuisance value such as a punishment by death or imprisonment.

226. All laws, all religions and all philosopies try to persuade the masses, or the intermediary category, to behave in a suitable emanner and even to offer voluntary sacrifices in order to help the poor, the destitute and those who have needs and yet cannot satisfy them, for no fault of theirs.

CHARACTERISTIC TRAITS OF ISLAM

227 Islam is an all-embracing mode of life. Not only does it prescribe beliefs but also the rules of social behaviour ; moreover, it occupies itself with the nicer application and functioning of its laws We know that Islam does not believe in the life of this world as an end in itself, or in body without any relation to soul On the contrary, it teaches belief in the Hereafter. Its motto, as enunciated by the Quran, is "The best in this world as well as the best in the Hereafter." It is thus that not only does it praise the good and condemn the evil, but also provides rewards and sanctions, both spiritual and material. As far as its injunctions and prohibitions are concernerd, Islam inculcates in the spirit, the fear of God, the last judgement after the Resurrecton, and the punishment of the Hell fire.

Not content with this, it takes all possible precautions in the realm of material sanctions, in order to deter man from permitting himself acts of injustice and violation of the rights of others. It is thus that the believer prays and fasts even when he is not coerced to do that ; he payes the tax even when government ignores fixation of the amount or finds itself unable to obtain payment by force.

THE BASIS OF MORALITY

228 - Often it, so happens that motives or circumstances bring about a profound change in the import of acts which outwardly seem to resemble one another. For instance, the death occasioned at the hands of a brigand, of a hunter mistaking his victim for a game, of a fool, or a

THE SYSTEM OF MORALITY

By

DR. MUHAMMED HAMIDULLAH

Men may be divided into three principal categories : (1) Those who are good by nature, and incorruptible in the face of temptations ; whose very instinct suggests to them whatever is good and charitable ; (2) Those who are just the contrary and are incorrigible ; and (3) Those who belong to the intermediary group, and behave suitably if they are constrained thereto by supervision or sanction, but who otherwise lapse into a state of carelessness or do injustice to others

224 – This last category comprises the immense majority of the human race, the members of the other two extreme categories comprising but a few individuals The first kind (of the humanangels) does not require any direction or control; but it is the second kind (of the human-devils) which must be controlled, and prevented from doing evil. Great attention has to be devoted to the third kind (of the human-men)

225 The members of this third category resemble in certain respects the beasts : they are calm and content with what they possess, so long as they perceive nothing better in the possession of others, or do not suspect some mischief on the part of others This evil propensity in the face of temptation has been, at all times, the object of intense preoccupation on the part of human society. Thus the father controls his children ; the head of the family, of the tribe, of the city-state, or of any other group of men, tries to force those who are placed under his authority to be content with what they possess, and not to usurp that which others have obtained in an honest and legitimate way. Perhaps the very aim of human society is no other than controlling temptations and remedying the damage already done.

All men, even members of the same nation, are never developed alike. A noble spirit is willing to sacrifice and do works of charity. An intelligent spirit sees very far ; and the consequences which would compromise the immediate gain prevent it from doing evil, even if it

(And those who will not witness vanity, but when they pass near senseless play, pass by with dignity) S : XXV, V. 72

COURAGE

The real courage is a virtue which is resembled in those who lose not their hearts but stand firmly and behave patiently under hardships and in battle fields. The quality of conrage is not a movement in an insolent manner or in a vain display. With the help of it the true believer resists and overcomes the passions of the body and the attacks of transgressors, when it is advisable in the cause of truth and justice.

The courageous man resists his passions and does not fly from danger like a coward, but he takes any step to resist evil by patience and steadfastness even in the violent battle field. The true faith in God increases the instinct of bravery in the way of establishing the truth and resisting injusfice. The Holy Qur'an explains this point ;

« الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ... » آل عمران ١٧٣-١٧٥

(These unto to whom men said ; Lo ! the people have gathered against you, therefore fear them (the threat of danger) but increased the faith of them and they cried ; Allah is suffieient for us !

Most excellent He is in Whom we trust ! So they returned with grace and favour from Allah, and no harm touched them. They followed the good pleasure of Allah, and Allah is of infinite bounty. It is only the devil who would make (men) fear his partisans. Fear them not ; fear Me, if ye are true believers) S ; III, V ; 173-175

POLITENESS

The Qur'an enjoins upon the believers to lead a polite social life. It considers politeness as a high moral quality. The preliminary stages of this quality are to avoid defaming one anothere, and not traduce any person in his absence, not to deride others, not to insult anyone, to avoid suspicions and even not to call on by his nickname.

The following verses of Qur'an refer to the essential conditions of a polite life :

« يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الإسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون » .

(O ye who believe ! Let not a folk deride a folk who may be better than they (are), nor let women (deride) women who may be better than they are ; neither defame one another, nor insult one another by nick names. Bad is the name of lewdness after faith. And whoso turneth not in repetance, such are evil-doers) S : XLIX, V : 11.

« يا أيها الذين أمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه ، واتقوا الله إن الله تواب رحيم » الحجرات ١٢ .

(O ye who believe ! Shun much suspicion ; for Lo ! some suspicion is a crime. And spy not, neither backbite one another. Would one of you love to eat the flesh of his dead brother ? Ye abhor that (so abhor the other). And keep your duty to (Allah). Lo ! Allah is Relenting, Merciful.) S. XLIX, V : 12

« ولا تمش فى الأرض مرحا ، إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا » . الإسراء ٣٧

(And walk not in the earth exultant. Lo ! thou canst not rend the earth, nor canst thou stretch to the height of the hills) S. XVII, V : 37.

« وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ». الفرقان ٦٣

(The (faithful) slaves of the beneficent are they who walk upon the earth modestly, and when the foolish ones address them answer : peacee) S : XXV, V : 63. And

« والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما) . الفرقان ٧٢

(And feed with food the needy wretch, the orphan and the prisoner, for the love of Him (Allah) ; (Saying) ; We feed you, for the sake of Allah only, We wish for no reward nor thanks from you)

FORGIVENESS

Forgiveness is highly commended in Islam but it is preached in such a manner as to mend the wrong doer and to help to do good to others by forgiving the faults of them, As the Qur'n says ;

« الذى ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » آل عمران ١٣٤

(Those who spend (of that which Allah hath given them) in ease and in adversity, those who controle their wrath and are forgiving towards mankind ; Allah loveth the good) And ;

«والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون» الشورى ٣٧

(And those who shun the worst of sins and indecencies and, when they are wroth, forgive.)

PATIENCE

The Qur'an deals with this noble quality of patience in the following verses ;

« يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين . ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات ، بل أحياء ولكن لا تشعرون . ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين. الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون » البقرة ١٥٣ - ١٥٦

(O ye who believe ! Seek help in patience and prayer, Lo ! Allah is with the patient, And call not those who are clain in the way of Allah (dead) Nay, they are living, only ye perceive not. And surely we shall try you with something of fear and hunger, and loss of wealth and lives and crops ; but give glad tidins to the patient who say when a mis fortune strike them ; Lo ! we are Allah's and Lo ! unto Him we are returning) S : II, V : 153-156

The patience would be considered as a true moral quality only when it be performed with total submission to the will of God and in complete freedom of action. But a patience or conciliation because of disappointment and the result of natural inclination, is not a noble moral quality of patience. It has a much higher aim and effect on the sphere of life.

politness forgiveness, goodness, courage, humility etc. Let us now have a look at these moral qualities:

HONESTY

Honesty (أمانة) is naturally met with in man. This quality consists in not causing injustice to others by cheating them or taking unlawful possession of their own things. The true honesty and its various requisites are clarly setforth in the Quran;

« إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل . إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً » النساء - ٥٨

(Lo ! Allah commandeth you that ye restore deposits to their owners, and, if ye judge between mankind, that ye judge justly . . .) (4 : 58)

GOODNESS

The idea of goodness (إحسان) represents the highest stage of sincerity and justice in man's be haviour with his Lord and his fellow creatures. The Holy Qur'an commands people to do good for the sake of goodness, without having received any benefit. This moral quality means to do good for good and to abstain from rudeness and wrong doing, The Qur'an says ;

« إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون » النحل ٩٠

(Lo ! Allah enjoineth justice and kindness, and giving to kinsfolk, and forbiddeth lewdness and abomination and wickedness, He exhorteth you in order that you may take heed)

There are three stages in the doing of goodness. The first stage is that in which man does good to his benefactors only, in other words to repay good for mere justice. The second stage is that in which he takes the initiative to do good to others who can not claim it as a right. In this stage he may expect thanks or acknowledgement in return for the good he does, This quality occupies an excellent middle positon if there is sincerity and chastity. In the third stage, man should not think of the goodness he has done, nor except any thankfulness or acknowledgement from the person upon whom the benefit is conferred. This is the highest stage of goodness, sincerity and moral perfection.

Such sincere good doers are highly praised by God in the Qur'an;

« ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً . إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً » الإنسان ٨ - ٩

very foundations had collasped, and that set about laying new foundation and rearing an entirely new structure of culture and ethics. A new idea of the unity of the human race as a whole, not of the unity of this or that nation, was introduced into the world This idea was so mighty that it welded together nations which had warred with and hated each other. It not only cemented together the warring tribes of one country but it established a brotherhood of all nations of the world. An English writer terms it in following words : "A more disunited people it would be hard to find till suddenly the miracle took place. A man arose who, by his personality and by his Divine Guidance, actually brought about the impossible - namely the union of all those warring factions". (The Ins and Outs of Mesopotamia). It was not only in Arabia, among the ever-bickering tribes of a single peninsula, that this great miracle was wrought, but it established a brotherhood of all nations of the world, joining together those which had nothing in common except their common humanity.

Islam had actually achieved the unification of many races, and harmonized the jarring and discordant elements of humanity The following passages show the significance of the religion in the development of mankind. So far as Islam is concerned, the facts are entirely clear and practical in all aspects of social and moral life of man. It came as the real friend of the poor and the destitute, and it has accomplished an upliftment of the poor to which history affords no parallel. It made of slaves not only leaders in thought and intellect but actually leaders and rulers of the nation. As regards the advancement of science and learning Islam gave an impetus to learning in a country which had never possessed a seat of learning and was sunk in the depths of superstition.

As regards the teaching of Holy Qur'an it teachs the people to work their best and hardest for success in life and lay down, in plain words that : " Man shall have nothing but what he strives for "

« وأن ليس للإنسان إلا ما سعى »

53 : 39, It actually made the most neglected nation in the world, the Arabs of Arabian peninsula, a nation of supreme conquerors in all phases of life. This great revolution was brought about only by awakening in them a desire for work and striving hard.

According to the teachings of the Religion of Islam, the main moral qualities are the honesty, sincerity, justice, Keeping promise, patience,

man is required to believe in God, he is really required to make himself possessor of the highest moral qualities. He must set before himself the highest and purest ideal of which the heart of man can think, and make his conduct conform to that ideal.

Love, amity, simpathy, kindness to one's fellow-men, and human brotherhood have been the messague of every religion. Every nation has learnt these essential lessons in their true purity only through the spirit of selflessness and service which a faith in God has inspired If there have been hatred and bloodshed they have been there in spite of religion. It is not as a consequence of the message of the love which religion has brought, but they have been there because human nature is too prone to these things; and their presence only shows that a still greater religious awakening is required, that a true faith in God is yet a urgent need of humanity.

As a matter of fact a true human civilization is based on religion. Tracing back its history in all nations, it will be seen that whenever it has begun to fall, a new religious impulse has always been at hand to save it from utter destruction, It is often said that religion is responsible for much of the hatred and bloodshed in the world, but a hasty glance at the history of religion will show this to be a horrible misconception. If unification, or human brotherhood, be the true basis of human civilization of humanity as a whole, then Islam is undoubtedly the greatest civilizing force the world has ever known or is likely to know.

The religion of Islam, as the greatest spiritual force of the world, laid the basis of unification of humanity; and of a brotherhood of man which knows no bounds of colour, race, country, language or even of rank; and of a unity of the human race beyond which human conception cannot go. Its fundamental doctrine is "All men are a single nation (كان الناس أمة واحدة) 2 : 213. Islam has proved itself to be a spiritual force the equal of which the human race has never known. Its miraculous transsormation of world conditions was brought about in an incredibly short space of time.

How great a force it was in bringing back the lost civilization of a people to them, is clear from the following facts : Fourteen hundred years ago it was Islam that saved the human civilization from crushing into an abyss of barbarism that came to the help of a civilization whose

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER :

ABDUL RAHIM FŪDA

RAJAB 1391	ENGLISH SECTION	AUGUST 1971

Religion and the Moral Development of Man

By

Dr. Mohiaddin Alwaye

The moral and ethical development of man is due to religion. That all that is good and noble in man has been inspired by faith in God is a truth at which perhaps even an atheist would not cavil. It is through the teachings of Prophets and Reformers that man has been able to conquer his lower nature and to set before himself the noblest ideals of selflessness and the service of humanity. If we study the noble sentiments that inspire man today we will find their origin in the teachings and example of some great Prophet or sage who had a deep faith in God and through whom was sown the seed of faith in other human hearts.

If the sanction of religion be removed today, the ignorant masses will sink back, gradually of course, into a state of wild. Even those who count themselves above the common level will no longer feel the inspiration to noble and high ideals which only faith in God can give. The belief in God Who is the Nourisher of all the worlds, Merciful and Forgiving, creates in the believer love and affection towards His creation. In another way, Religion brings man closer to God and makes His existence felt as a reality in his life, and that is a force in the moral development of him.

All articles of faith are in reality principles of action. The Almighty God is the Being who possesses all the perfect attributes, and when a

٣٦٢
ر

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة .
ت : ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
« بدل الاشتراك »
٥٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٦٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء السادس — السنة الثالثة والأربعون — شعبان سنة ١٣٩١ هـ — سبتمبر ١٩٧١

بسم الله الرحمن الرحيم

مصريون . وعرب . ومسلمون

للأستاذ عبد الرحيم فوده

هذه الكلمات الثلاث تحمل أمجد وأخلد وأعظم وأضخم وأجمل وأنبل ما يعرف الناس في هذه الدنيا من مفاخر ومآثر وقيم عالية غالية .

فالمصرية التي ينتمي إليها أبناء هـذا الشعب شرف لا يفضله أو يعدله شرف إذا ذكر ما كان لمصر في تاريخها القديم من حضارة وعمارة ومـدنية ، وسبق في مختلف العـلوم والفنون ، وسلطان امتـد ظـله على شتى البقاع والأصقاع في العالم القديم .

والعروبة التي ينتسبون إليها سـلالة ولسانا وأحسابا وأنسابا ، وأخلاقا وآدابا شرف كانوا يجودون في سبيله بأنفسهم ، ويرون الحرية قيمة أغلى وأعلى من الحياة بدونها . والكرامة فـــوق كل تقدير واعتبار ، ولا تزال كلماتهم ترن في سمع الوجود بمثل قولهم : المنية ولا الدنية ، استقبال الموت خير من استدباره ، الطعن في ثغر النحور خير منه في الأعجاز والدبور .

والإسلام ـ وهو النعمة التامة ، والرحمة العامة ، كما يقول الله : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم

الإسلام دينا » ـ وجد في هذا الشعب استجابة صادقة له . وإيمانا عميقا به ، وحرصا بالغا عليه . وكفاحا متواصلا دونه . فقد وقفت مصر بكل مدنها وقراها تدافع عنه . وتجاهد في سبيله . واستعذبت المر في مواقفها الصلبة أمام حملات التتار وبذلت مالم يبذله غيرها . واحتملت مالم يحتمله سواها في صراعها المرير مع الاستعمار . وظلت قلعة منيعة للإسلام وحصنا قويا للعروبة . وهرما لا يطال ولا ينال . وستظل مآذنها المرتفعة كالرماح المشرعة فوق مدنها وقراها تتصدى ، وتتحدى ، وتضيء ، وتملأ سمع الوجود بكلمة (الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد ألا إله إلا الله ، أشهد أن محمدا رسول الله ، أشهد أن محمدا رسول الله ...) .

فإذا نص في الدستور الجديد على أن مصر جمهورية عربية ، وعلى أن دينها الإسلام ، فذلك تعبير صادق عن واقع مشهود يمليه منطق « الديمقراطية » ومنطق التاريخ ، ثم هو ـ مع ذلك ـ تذكير بما يجب أن يستلهمه الشعب في صراعه مع الصهيونية العالمية والقوى التي تسندها وتؤيدها وتمدها بما تشاء من زاد وعتاد .

ولن يذكر التاريخ بعد هذه المرحلة التي نجتازها شعبا كشعب مصر ، كافح بشرف ، وبذل بسخاء ، وصبر في إيمان ومد يده بالعون والتشجيع والود لكل حركات التحرر في هذه المنطقة من العالم وأقام مدينة زاخرة عامرة في مدينته القاهرة لأبناء المسلمين من طلاب العلم ، وبعث بالعلماء والمعلمين من أبنائه إلى جميع الشعوب التي تدين بالإسلام ، ليضيئوا عقولها بالدين القيم ، ويخصبوا حقولها بالعلم النافع ، ويأخذوا بأيديها إلى ما ينفعها ويرفعها ، ويحقق لها الحياة الطيبة . .

ولن يحجب هذا السجل الحافل بالمآثر والمفاخر ، ما ظهر من انحراف في عدد من الأفراد ، استغلوا الحكم ، واستحلوا الحرام ، ونسوا الله فأنساهم أنفسهم ، فهؤلاء غبار لا يحجب وجه الشمس ، وزبد يذهب جفاء ، وصدق الله إذ يقول : « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض » .

هذه حقيقة يجب أن يذكرها الدعاة والوعاظ ، والكتاب لأبناء هذا الشعب

الماجد الخالد، لتظل ثقتهم بأنفسهم قوية، وإيمانهم بحقهم راسخا، وجهادهم لحاضرهم ومستقبلهم موصولا، وليشعروا وهم يواجهون روح الشر فى العالم أنهم جند الله، يجاهدون فى سبيله، ويقاتلون أعداءه وأعداء دينه، وهم بذلك موضع حبه ورضاه، كما يفهم من قوله تعالى: «إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص».

ولا شك أن النصر مع الصبر، وأن الله مع الصابرين، وصدق الله إذ يقول:

«يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم»، وإذ يقول: «إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد»، وإذ يقول: «إن ينصركم الله فلا غالب لكم».

إن مصر بمصريتها، وعروبتها، وإسلامها، وصمودها أمام أعداء العروبة والإسلام والإنسانية، خليقة بأن يعتز بها كل مصرى وعربى ومسلم، وأن يضعها فى أعز موضع من قلبه وحبه، وينشد ويردد مع الرافعى قوله الصادق:

اسلمى يامصر إننى الفدا
ذى يدى إن مدت الدنيا يدا
أبداً لن تستكينى أبداً
إننى أرجو مع اليوم غدا
ومعى قلبى وعزمى للجهاد
ولقلبى أنت بعد الدين دين
لك يامصر السلامة
وسلاما يا بلادى
إن رمى الدهر سهامه
أتقيها بفؤادى
واسلمى فى كل حين

عبد الرحيم فودة

المتخلفون عن واجب القتال وكيف أدبهم الإسلام

للأستاذ أبو الوفا المراغي

التخلف عن جهاد العدو ومواجهته والفرار من المعركة من الأمور التى أولاها الإسلام عنايته لخطورته وأثره فى حياة الأمم والنيل من عزتها وكرامتها وإسقاطها من حساب الأمم ، وإلحاق العار بها وجعلها أمة ذليلة ، ثم شل حركتها من التصرف فى مقدراتها السياسية والاقتصادية والعسكرية حيث تصير بالهزيمة خاضعة لغالب تابعة له يتولى أمورها ويتصرف فى مصائرها وثرواتها كيف شاء .

والتخلف عن المعركة ، إما أن يكون فى أثناء القتال وحين تتصاف جيوش المسلمين وجيوش الأعداء وهو المعروف بالتولى يوم الزحف ، وتلك جريمة قد حكم الإسلام فيها بأنها كبيرة توبق صاحبها وتفضى به إلى النار وبئس القرار كما قال جل شأنه : « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير » وقد أشرنا إلى ذلك فى كلمة سابقة .

وإما أن يكون التخلف بالتقاعد عن شهود المعركة وخوض غمارها ومشاركة جيوش المسلمين فيها لدفع خطر الأعداء وحماية الأمة والوطن من تسلطهم وسيطرتهم وبغيهم وغلبتهم ، وذلك التخلف إما أن يكون عن عذر مقبول ومعقول كالعمى والعرج والشيخوخة والمرض والاشتغال بشأن من شئون المسلمين وإعواز النفقة ، ونحو ذلك مع النصيحة ، والنية الصادقة فى المشاركة فى الجهاد لولا قيام هذه الأعذار ، وقد عفا الإسلام عن أصحاب هذه الأعذار اتباعا لسنته فى التيسير والتخفيف حيث يقول الحق سبحانه : « ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار ومن يتول يعذبه عذابا أليما » .

ولم يكتف الإسلام برفع الإثم عن

هؤلاء ، بل وعدهم الأجر والمثوبة على حسن نياتهم العزم فى المشاركة لو أمكنتهم الفرصة ، وفى ذلك يروى البخارى عن أنس - رضى الله عنه - أن النبى - صلى الله عليه وسلم - كان فى غزاة فقال: «إن أقواما بالمدينة خلفنا ماسلكنا شعبا ولا واديا إلا وهم معنا فيه حبسهم العذر» يعنى أنهم شركاء فى ثواب الجهاد بنياتهم الصادقة ، وبسبب ألمهم وحسرتهم على تخلفهم ، والحريص على الخير والبر يؤلمه ويحزنه أن يحول دونه ودون الخير حائل أو يعوقه عائق ، وهذا معنى يحسه المؤمنون الصادقون ، وذوو النفوس الكريمة والقلوب الرحيمة .

والعجب فى تاريخ الجهاد الإسلامى أنه مع هذه الأعذار الواضحة ورفع المؤاخذة عن التخلف عن القتال لأجلها ماصبرت قلوب بعض المسلمين على التخلف فخرج إلى المعركة الأعمى كابن أم مكتوم والأعرج كعمرو بن الجموح . ولقد قال له الرسول صلى الله عليه وسلم : إن الله قد عذرك فقال عمرو: والله لأحفرن بعرجتى هذه فى الجنة . ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام فى الصف .

وإما أن يكون التخلف عن واجب القتال تكاسلا وتهاونا دون عذر بل إيثاراً للدعة وخفض العيش ودون مبالاة بأمور المسلمين، وهؤلاء قد أدبهم الإسلام أدبا نفسيا وعاقبهم عقابا اجتماعيا كاد يخرجهم به من جماعة المسلمين ويجعلهم كالرجس حتى أوجب اعتزالهم وهجرهم وتجنب محادثتهم ومعاملتهم حتى كانوا يتوجسون النبأة والهمسة . ويقرءون فى عيون المسلمين نظرات التقريع والتحقير، وحبسوا أنفسهم فى بيوتهم تجنبا لهذا الجو الرهيب حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم إلى أن تاب الله عليهم وعفا عنهم فاستعادهم المسلمون إلى حظيرتهم فى فرحة لم يحظوا بمثلها من قبل.

يروى البخارى ومسلم رضى الله عنهما فى حديث طويل يثير الإشفاق والألم ويصور فى بلاغة رائعة قصة ثلاثة من المسلمين تخلفوا عن الغزو مع رسول الله فى غزوة العسرة دون عذر مقبول فأدبهم الرسول بمقاطعتهم ومقاطعة المسلمين إياهم فكانوا لا يحادثونهم ولا يعاملونهم ولا يسلمون عليهم ، ولو كانوا من ذوى قرباهم ، ولقد جاء هذا الحديث نموذجا رائعا من الأدب النبوى الذى تتقطع دونه الأعناق ، وتتقاصر دونه الألسنة

ولولا ضيق المكان لأوردته كاملا حرصا على حسن تصويره وبلاغة تعبيره، ولكنى سأقتصر منه على مواطن الدلالة والعبرة معتذرا مع ذلك أيضا عن التطويل.

وقبل أن آخذ فى الاقتباس أذكر ما أجمله القرآن الكريم فى قصتهم بالأسلوب الإلهى المعجز حيث يقول عز من قائل: «لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رءوف رحيم. وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا ألا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم».

والثلاثة المتخلفون هم: كعب بن مالك ومرارة بن ربيعة، وهلال بن أمية، ويروى البخارى ومسلم عن أحدهم وهو كعب ابن مالك فيقول:

كان من خبرى حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك؛ أنى لم أكن قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنه فى تلك الغزوة والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما فى تلك الغزوة فغزاها رسول الله فى حر شديد، واستقبل سفرا بعيدا ومفازا وعدوا كثيرا، وغزا رسول الله الغزوة حين طابت الثمار والظلال.. فتجهز إليها رسول الله والمسلمون معه وطفقت أغدو لكى أتجهز معه فأرجع ولم أقض شيئا فلم يزل كذلك يتمادى بى حتى أسرعوا وتفارط الغزو فهممت أن أرتحل فأدركهم، فياليتنى فعلت ثم لم يقدر ذلك فطفقت إذا خرجت فى الناس بعد خروج رسول الله يحزننى أنى لا أرى لى أسوة إلا رجلا مغموصا عليه فى النفاق أو رجلا مما عذر الله من الضعفاء ولم يذكرنى رسول الله حتى بلغ تبوك فقال ما فعل كعب بن مالك؟ فقال رجل: يا رسول الله حبسه برداه والنظر فى عطفه، فقال له معاذ بن جبل: بئسما قلت؛ والله يا رسول الله ما علمنا إلا خيرا، فسكت رسول الله؛ قال كعب فلما بلغنى أن رسول الله قد توجه قافلا من تبوك حضرنى بثى فطفقت أتذكر الكذب، وأقول أخرج من سخطه غدا واستعين على ذلك كل ذى رأى من أهلى، فلما قيل لى أن رسول الله قد أظل قادما زاح عنى الباطل حتى عرفت أنى لن أنجو منه بشىء أبدا فأجمعت صدقه، وصبح رسول الله قادما وكان

إذا أقدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه المتخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له فقبل منهم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله ؛ حتى جئت فلما سلمت تبسم تبسم الغضب ، ثم قال : تعال فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال : ما خلفك ؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك ؟ قال : قلت : يا رسول الله ، إنى والله لو جلست عند غيرك لرأيت أنى سأخرج من سخطه بعذر ، ولقد أعطيت جدلا ولكنى والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عنى ليوشكن الله أن يسخطك على ، ولئن حدثتك حديث صدق تجد على فيه إنى لأرجو فيه عقبى الله والله ما كان لى عذر والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنك ، قال رسول الله أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضى الله فيك ، فقمت وثار رجال من بنى سلمة فاتبعونى فقالوا لى : والله ما علمناك أذنبت ذنبا قبل هذا .

ثم قلت لهم : هل لقى هذا معى من أحد ؟ قالوا : نعم لقيه معك رجلان قالا مثلما قلت . فقيل لهما مثلما قيل لك ، قلت من هما ؟ قالوا : مرارة بن ربيعة وهلال بن أمية . قال : ونهى رسول الله عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت لى فى نفسى الأرض فما هى بالأرض التى أعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فأما صاحباى فاستكانا وقعدا فى بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشد القوم وأجلدهم ، فكنت أخرج فأشهد الصلاة وأطوف فى الأسواق ولا يكلمنى أحد فآتى رسول الله فأسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة فأقول فى نفسى هل حرك شفتيه برد السلام أم لا ؟ ثم أصلى قريبا منه وأسارقه النظر فإذا أقبلت على صلاتى نظر إلى ، وإذا التفت نحوه أعرض عنى حتى إذا طال ذلك على من جفوة المسلمين مشيت حتى تسورت حائط أبى قتادة وهو ابن عمى فسلمت عليه فوالله ما رد على السلام فقلت له : أنشدك الله ، هل تعلمن أنى أحب الله ورسوله ؟ قال، فسكت . فقمت فناشدته فسكت، فعدت فناشدته، فقال: الله ورسوله أعلم . ففاضت عيناى وتوليت حتى تسورت الجدار حتى إذا مضت أربعون من الخمسين واستلبث الوحى إلى رسول الله إذا رسول رسول الله يأتينى فيقول : إن رسول الله يأمرك أن تعتزل امرأتك، فقال : أطلقها .

أم ماذا أفعل ؟ قال : لا بل اعتزلها فلا تقربنها ، قال قلت : فأرسل إلى صاحبي بمثل ذلك ...

فقلت لامرأتي : ألحق بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر ... فلبثت بذلك عشر ليال فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهى عن كلامنا ، قال : ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله فينا : قد ضاقت على نفسي وضاقت على الأرض بما رحبت إذ سمعت صوت صارخ أوفى على سلع يقول : يا كعب أبشر ، قال : فخررت ساجدا وعرفت أن قد جاء فرج ، قال : فآذن رسول الله الناس بتوبة الله علي ؛ فذهب الناس يبشروننا ، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبي فكسوته إياه ببشارته والله ما أملك غيرهما يومئذ واستعرت ثوبين فلبستهما فانطلقت أتأمم رسول الله ، فتلقاني الناس فوجا فوجا يهنئونني بالتوبة ويقولون : لتهنئك توبة الله عليك فلما سلمت على رسول الله قال وهو يبرق وجهه من السرور : أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك فقلت : أمن عند الله يا رسول الله أم من عندك ؟ قال : لا . بل من عند الله ، فلما جلست بين يديه ، قلت : يا رسول الله إن من توبة الله على أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله ، فقال أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك ، وقلت : يا رسول الله إن الله إنما أنجاني بالصدق وأن من توبتي ألا أحدث إلا صدقا ما بقيت ، والله ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله إلى يومي هذا ، وإني لأرجو الله أن يحفظني فيما بقي قال كعب : والله ما أنعم الله على من نعمة قط بعد إذ هداني الله للإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله ألا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا .

هذا أدب الإسلام وأسلوبه في عقوبة المتخلفين عن الجهاد حين يتحتم القتال وهي عقوبة جماعية يشترك فيها كل فرد في الأمة حتى زوج الرجل وأهله ضرورة أن هذا التخلف جرم اجتماعي يصيب كل فرد في الأمة ويتأثر به كل فرد فيها ، وهي عقوبة أقسى على المؤمن من كل عقوبة ودونها كل ما تفرضه النظم الوضعية من عقوبات ؟

أبو الوفا المراغي

نزولُ المسيح من علامات السّاعة

للأستاذ مصطفى الطير

أرسل إلينا جندى فاضل من أصحاب « المؤهلات » بالقوات المسلحة يقول: إنه جرى بينه وبين بعض زملائه المسيحيين نقاش فى شأن نزول عيسى عليه السلام قرب قيام الساعة وأنه أجابه بقدر معلوماته، ويريد بيانا وافيا فى هذا الشأن يزيل الالتباس، ويطلب أيضا الإجابة على أمور أخرى.

وقد ذكر أنه يؤدى الصلاة فى أوقاتها ويقوم بتدريس التوجيه المعنوى لزملائه ويخطب الجمعة؛ وإنا إذ نشكر لهذا الجندى الفاضل غيرته على دينه ومحافظته على صلاته، وحسن توجيهه لزملائه، نجيبه على أسئلته بما يلى:

نزول المسيح قرب الساعة وأغراضه

يقول الله تعالى فى سورة الزخرف « وإنه لعلم للساعة » والعلم هنا بمعنى العلامة، أى لعلامة ليوم القيامة.

وللعلماء فى تفسير هذه الآية آراء (أحدها) أن الضمير فى (وإنه) يعود على ابن مريم فى قوله تعالى (ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون) الزخرف (٥٧) وبهذا الرأى أخذ مجاهد والضحاك والسدى وغيرهم، ويستدلون لذلك بما أخرجه البخارى ومسلم، والترمذى وغيرهم عن أبى هريره قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لينزلن ابن مريم حكما عدلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير، وليضعن الجزية، وليتركن القلاص فلا يسعى عليها، وليذهبن الشحناء والتباغض، والتحاسد وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد).

وإنما يكسر عيسى الصليب لأنهم ظلموه بادعاء صلبه (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) والعجيب أنهم يدعون أنه صلب ليفدى شعبه ويخلصهم، ويقولون مع ذلك إنه ابن الله وهذا خطأ من عدة وجوه.

الأول: أنه إذا كان ابن الله، فإنه لا يمكن أعداءه الكافرين، من صلبه وقتله.

والثانى : أنه لو كان يريد تخليص شعبه من العذاب لكان الطريق إلى ذلك أن يرجو ربه أن يغفر للمذنبين من قومه ، فإن هذا هو حسن التصرف لا ما زعموه فإنه أفضل من أن يظهر بالعجز أمام أعدائه.

الثالث : أنه لو كان الغرض من قتله وصلبه أن يخلص شعبه لما استغاث بربه وعتب عليه أن يتركه فى يد أعدائه ليقتلوه، فقد قال له إيلى إيلى لما شبقتنى (١) أى إلهى إلهى لماذا تركتنى .

وهذا يدل على أنه كان مكرها على القتل والصلب ولم يكن باختياره فكيف يصح الزعم بأنه فعل ذلك ليخلص شعبه.

الحق أنه عبد الله ورسوله وأنه لم يقتل ولم يصلب ، بل رفعه الله إليه حيا ، لمهمة تنتظره قرب قيام الساعة، وهى ما سنبينه بعد بتوفيق الله تعالى .

اعلم يابنى أن من علامات الساعة المضيقة أن يخرج فى الناس رجل جبار شديد البأس عنيف كافر بالله وبرسله ، يدعى المسيح الدجال ، وهذا الرجل يجبر الناس على الكفر والضلال ، فكان من قدر الله تعالى أن ينزل المسيح (١) عيسى ابن مريم ليصحح بنفسه عقائد النصارى فيه ، ويكفوا عن أعتقاد أنه الله أو ابن الله ، ويقتل المسيح (٢) الدجال ، وينشر بين الناس شريعة الإسلام ، فقد جاء فى الحديث أن عيسى عليه السلام «ينزل على ثنية بالأرض المقدسة يقال لها أفيق وعليه محصرتان وبيده حربة ، وبها يقتل الدجال ، فيأتى بيت المقدس والناس فى صلاة الصبح ، فيتأخر الإمام فيقدمه عيسى ويصلى خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم، ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس، ويقتل النصارى إلا من آمن به » (أى إلا من آمن بأنه عبد الله ورسوله وليس إلها أو ابن الله)

وفى رواية « كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم » وفسر ابن أبى ذؤيب قوله « وإمامكم منكم » بأنه يؤم الناس

---

(١) إنجيل متى - إصحاح (٢٧) آية ٤٦

(١) المسيح علم لعيسى عليه السلام ، تعريب (مشيحا) ومعناه بلغة قومه المبارك.

(٢) سمى الدجال بالمسيح لأنه يمسح الأرض بمظالمه ، وتسميته عربية ، وذلك خلاف تسمية المسيح كما تقدم .

بكتاب الله وسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

ومن هذا يتبين أن عيسى لا ينزل برسالة جديدة ، بل ينزل ليهدى الناس إلى عقيدة أخيه محمد صلى الله عليه وسلم، الذى نعته القرآن بأنه خاتم النبيين ، قال تعالى « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين» وعقيدة محمد تقوم على توحيد الله تعالى ونفى البنوة لله عن عيسى وغيره ولهذا سيكون من أمره أن يصحح عقائد من يدين بالمسيحية، حتى يعودوا فى أمره إلى الحق وسيكسر الصليب ويقتل من لم يعترف بالحق فى شأنه وشأن أخيه محمد صلى الله عليه وسلم .

وقد علمت مما ذكرناه أن ما جاء فى شأن المسيح من نزوله آخر الزمان وحكمه بشريعة محمد بالقسط والعدل ليس آية من القرآن ، وإنما هو من الأحاديث، فقول زميلك المسيحى إن ذلك آية قرآنية ليس صحيحا، ولكنه سيقع إن شاء الله تعالى، وفقا لخبر المعصوم صلى الله عليه وسلم .

أما قول زميلك المسيحى ، لماذا لا ينزل رسولكم ليحكم وهو آخر النبيين كما تقولون بدلا من أن ينزل السيد المسيح ؟ فالجواب: أن عيسى ينزل لعدة أغراض لا تحقق إلا بنزوله :

الغرض الأول : أن يكذب اليهود فيما زعموه من قتلهم له ، ويحقق لهم بنزوله أنه لو لم يكن رسولا إليهم لما أبقاه حيا إلى هذا الوقت ، ولما أكرمه الله بذلك ، وهذا يستلزم براءة أمه السيدة مريم التى اتهموها زوراً بيوسف النجار .

الغرض الثانى : أن يكون آية على قدرة الله ، حيث أبقاه حيا هذه المدة فى السماء ، وهذا يساعد على إيمان الغافلين المارقين .

الغرض الثالث : أن يصدق أخاه محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم فى نبوته، تأكيدا لبشارته قبل رفعه إلى السماء ، ويكون بهذا التصديق حجة له ضد اليهود والنصارى الذين كذبوه، فيستجيب للحق الذى جاء به من كتب الله له السعادة الأبدية منهم .

والغرض الرابع : أن يبطل بنفسه دعاوى النصارى فى ألوهيته .

وليعلم أهل الأديان أن دين الله واحد فى عقائده وأصول أحكامه ، ولا تختلف الأديان إلا فى فروع الأحكام المناسبة

لكل أمة من الأمم ، حسب اختلاف عصرها .

ونظرا لاتفاق جميع الأديان فى الأصول التشريعية والعقائد ، يبعث كل رسول مصدقا لما بين يديه أى لما سبقه من الكتب السماوية ، وينص فى كتابه على هذا التصديق ، فكما جاء فى القرآن أنه مصدق لما سبقه من الكتب جاء فى الإنجيل والتوراة وغيرهما كذلك ، وفى هذا يقول الله تعالى عن عيسى عليه السلام « ومصدقا لما بين يدى التوراة » - ٥٠ - آل عمران ، ولولا ضيق نطاق المقال لجئت بنصوص من الإنجيل والتوراة على ذلك .

ومن هذا يفهم أنه لا تعصب بين الأنبياء بعضهم بالنسبة لبعض ، فلا يرجح أحد منهم نفسه أو دينه على غيره ، فالدين لله وليس لأحد منهم فضل فى نصوصه ، وقد شرع الله لنا تلك القاعدة فى كتابه إذ قال فى الآية (٢٨٥) من البقرة « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله » ، وقال صلى الله عليه وسلم (الأنبياء إخوة لعلات . . . أمهاتهم شتى ودينهم واحد ، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم إنه ليس بينى وبينه نبى ، وإنه أول نازل فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويقاتل الناس على الإسلام » .

ولهذا كله لا يليق بزميلك أن يقول لك لماذا لا ينزل نبيكم ليحكم بالعدل بدلا من المسيح ، فهذا من التعصب المذموم الذى لا يقره الأنبياء ، ولا تغفل عما قلناه سابقا من أسباب نزوله ، ولولا هذه الأسباب لما نزل عيسى ، فإن شريعة الإسلام كافية نفسها ، شاقة طريقها إلى الخلود حتى تقوم الساعة ، فإنها الشريعة الخاتمة الوافية بحاجات البشر ، وعلماؤها يقومون بتبليغها على خير وجه ، والمسلمون يقومون على حراستها ووقايتها من المعتدين ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : (ولن يزال أمر هذه الأمة مستقيما حتى تقوم الساعة) .

ولا تغفل عما قلناه من أنه ينفذ شريعة أخيه محمد ، حين ينزل لأنها فى الحقيقة ليست شريعته ، بل هى شريعة الله ، وشريعة الله شريعة الجميع ، وقد ذكرنا الحجج الدالة على ذلك .

وقيل معنى « وإنه لعلم للساعة » : وإن محمدا

لعلامة لقرب الساعة ، بدليل قوله صلى الله عليه وسلم : « بعثت والساعة كهاتين » وضم السبابة والوسطى) أخرجه البخارى ومسلم، ولذا قال الحسن : أول أشراطها محمد صلى الله عليه وسلم ، أقول : وذلك لأن بعثة محمد هى خاتمة الرسالات فى البشرية وهذا يؤذن بقرب قيام الساعة .

وقال : قتادة فى معناها ـ وإن القرآن لعلامة على الساعة ، أقول : وذلك لأنه أخبر عنها وأقام الدليل عليها .

(شفاعة الأنبياء والصالحين)

شفاعة الأنبياء فى عصاة المؤمنين من أممهم ، وشفاعة صالحى الأمم فى عصاتهم ثابتة ، وكذلك شفاعة الآباء فى الأبناء ، والأبناء فى الآباء ، بشرط الإيمان فى الجميع ، أما الكافرون فلا شفاعة لهم من أحد قال تعالى « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » وقال : « لا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له » ولا يأذن الله فى الشفاعة إلا لعصاة المؤمنين فى كل أمة، أما الكفار فمصيرهم إلى النار .

وهذه الشفاعة على اختلاف الشافعين تعتبر من رحمة الله بالمذنبين الذين لا يؤهلهم عملهم الصالح للنجاة ، فالحمد لله رب العالمين على فضله ورحمته .

وإننى أحس من سؤالك عن وجود نص فى القرآن يقتضى شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ، أن زميلك المسيحى يريد إحراجك ، فإنهم يزعمون أن القرآن نفى الشفاعة عن جميع الأنبياء حتى محمد، ولم يثبتها إلا لعيسى عليه السلام فى قوله عنه «وجيها فى الدنيا والآخرة».

وهذا الزعم خطأ من وجوه .

أحدها : أن الشفاعة ثابتة لمن ارتضاهم الله ، وهم الأنبياء والصلحاء، بقوله تعالى: « لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا » (٨٧) سورة مريم .

وللآباء الصلحاء فى أبنائهم بقوله « والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم » وإذا ثبتت الشفاعة لهؤلاء فالأنبياء أولى منهم بثبوتها، وهذا يسمى القياس الأولى .

والثانى : أن الوجاهة فى قوله تعالى عن عيسى « وجيها فى الدنيا والآخرة » ليس معناها الشفاعة كما زعموا ، بل معناها الجاه والمنزلة ، وجاهة فى الدنيا بالنبوة، ووجاهة فى الآخرة برفعة المنزلة

وهذا قدر مشترك بين جميع النبيين ، فلا يختص به عيسى بداهة ، وإنما نص على ذلك فى القرآن بالنسبة لعيسى ليبرئه مما زعمه اليهود فيه من أنه ابن غير شرعى ليوسف النجار الذى كان مع أمه مريم يخدمان بيت المقدس ، ولينفى ما زعموه من أنه ساحر كذاب ، وليس برسول ، ولا جاه له عند ربه لا فى الدنيا ولا فى الآخرة ، وذلك هو شأن القرآن فى الحرص على كرامة الأنبياء وإثبات الحقوق لذويها وليس من معانى الوجاهة الشفاعة كما زعموا .

والثالث : أن هؤلاء لا يعترفون بأن القرآن نزل من عند الله ؛ بل يدعون زورا وكذبا أن محمدا هو الذى أنشأه ونسبه إلى ربه ، فهل يجوز عند من لديه ذرة من العقل أن ينفى محمد الشفاعة عن نفسه ويثبتها لغيره ، ما دام هو الذى أنشأ القرآن كما زعموا ، إن هؤلاء لا يفقهون قولا .

الرابع : أن الشفاعة وغيرها من المعالى ثابتة لنبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى القرآن الكريم ، قال تعالى : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » ورحمة العالمين شاملة للدنيا بالإرشاد إلى الحق وللآخرة بالإنقاذ من النار بالشفاعة ، وقال تعالى « ولسوف يعطيك ربك فترضى » فهذه الآية لا تقتصر على الشفاعة ، بل تدل على أنه تعالى يقبل شفاعته ، ويعطيه ما يرضى فى حق من يشفع له ، وفى حق نفسه .

مما سبق يتبين أن الشفاعة ثابتة للأنبياء جميعا وللصالحين جميعا ، لعموم قوله تعالى : « لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا » وأن شفاعة سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثابتة بنص القرآن ، كما تقدم ، وحسبه ما قاله الله تعالى فيه : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » ، « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » .

(أنواع الشفاعة والشفعاء)

الشفاعة لغة : الوسيلة والطلب ، وعرفا : سؤال الخير للناس ، والشفاعة يوم القيامة أنواع :

إحداها : الشفاعة العظمى ، وتختص بالنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ

دون غيره من البشر ، وهذه الشفاعة لإنقاذ الناس جميعا مؤمنهم وكافرهم من طول الموقف ، وهى أول المقام المحمود للرسول وسيأتى بيانها .

وثانيتها : الشفاعة فى إدخال قوم الجنة بغير حساب وهى مختصة به - صلى الله عليه وسلم - كما قاله النووى ، وثالثتها : الشفاعة فيمن استحق دخول النار بسوء عمله وهو مؤمن فلا يدخلها ، وتردد النووى فى اختصاصها بالرسول .

وثالثتها : الشفاعة فى إخراج الموحدين من النار ، ويشاركه فيها الأنبياء والملائكة والمؤمنون .

ورابعتها : فى زيادة الدرجات لأهل الجنة ، وهى عامة للأنبياء جميعا .

وخامستها : الشفاعة فى العفو عمن خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ، وهذه عامة للأنبياء والملائكة والعلماء والشهداء وللآباء والأبناء الصالحين ، لقوله تعالى : « لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا » .

وقوله : صلى الله عليه وسلم -« يشفع يوم القيامة ثلاثة : الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء » رواه ابن ماجه .

والكلام فى هذا الموضوع يطول ، وحسبنا منه ما ذكرنا .

(السنة تثبت الشفاعة العظمى وغيرها)

قد علمت مما تقدم أن للرسول شفاعات ، وقد أقمنا الدليل عليها من القرآن ، وإليك أدلتها من السنة :

جاء فى البخارى وغيره عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لكل نبى دعوة يدعو بها ، وأريد أن اختبىء دعوتى شفاعة لأمتى فى الآخرة » .

وصح عند أحمد وأبى داود وغيرهما قوله صلى الله عليه وسلم : « ادخرت شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى » وقد جاء فى شفاعاته - صلى الله عليه وسلم - غير ذلك كثير من الأحاديث نكتفى منها بما ذكر لضيق المقام .

أما شفاعته العظمى فقد جاء فيها حديث طويل رواه البخارى وغيره ، خلاصته أن الله تعالى يجمع الناس يوم القيامة فى صعيد واحد ، وأن الشمس

تدنو من أهل الموقف ، وأن الناس يبلغون من الغم والكرب فلا يطيقون فيذهب بعضهم إلى آدم ، ثم إلى نوح ثم إلى إبراهيم ثم إلى موسى ثم إلى عيسى ، فيقول كل منهم : إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله : اذهبوا إلى غيرى ، ويدلهم عيسى على نبينا ، فيقول . اذهبوا إلى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيأتونه فيقولون: « يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر (الذنب هنا ليس معصية ولكنه خلاف الأولى بالنسبة إلى مقامه ومباح فى الشرائع) اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه ، فأنطلق فآتى تحت العرش ، فأقع ساجداً لربى عز وجل ثم يفتح الله على من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلى ، ثم يقال: يا محمد ، ارفع رأسك ، سل تعطه واشفع تشفع ، فأرفع رأسى فأقول : أمتى يارب أمتى يارب ، فيقال أدخل من أمتك من لا حساب عليهم ، من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب » الحديث من كتاب التفسير ، سورة بنى إسرائيل (أى الإسراء) باب ذرية من حملنا مع نوح .

(هل النبى أول خلق الله)

أما سؤالك عما يقوله بعض المؤذنين عقب الأذان (الصلاة عليك يا أول خلق الله) فالجواب عليه أن الأذان الوارد عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ آخره لا إله إلا الله ، وليست هذه الزيادة ولا غيرها من الأذان المأثور ، وأما سؤالك :

وهل هو أول خلق الله تكوينا أم أولهم أدبا وأخلاقا لقوله تعالى فى حقه « وإنك لعلى خلق عظيم » .

فالجواب عليه أنه لا يجوز عقلا ولا شرعا أنه أول خلق الله تكوينا ، فإن تاريخ تكوينه يبدأ منذ حملت به أمه السيدة آمنة ، فلا ينبغى للمسلمين أن يغلوا فيه كما غلا النصارى فى عيسى ابن مريم فهو عبدالله ورسوله ، أوجده الله فى الوقت الذى حدده لنشأته حتى يبعثه رسولا للناس ، ولما زعم النصارى أن عيسى أول من انفصل عن الله تعالى وأنه ثالث ثلاثة قال لهم الله : « يأهل

الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق . إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم ، وروح منه (أى نفخة منه بوساطة جبريل) فآمنوا بالله ورسله ، ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد ، سبحانه أن يكون له ولد » الآية - ١٧١ من سورة النساء .

وأما أنه أول خلق الله من ناحية الأخلاق الفاضلة ، فذلك حق ، فهو الأسوة الحسنة التى أمرنا أن نأتسى بها ، قال تعالى : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً » الأحزاب (٢١)

وبعد أن أجبناك على أسئلتك ، نرجو أن لا تجارى صاحبك أو غيره فى الجدل فى أمثال ذلك ، فأنتم الآن فى مواجهة عدو شرس ، فاشغلوا أنفسكم به ، ولا تشغلوا أنفسكم بسواه ، واعتصم دائما بقوله تعالى : « قل إن الهدى هدى الله » والله يوفقنا وإياك للتمسك بالدين ، ورفعة شأن الوطن ، ويبصر زميلك وأمثاله بالحق ، ومعرفة واجب الوطن فى هذا الظرف العصيب ؟

مصطفى محمد الحديدى الطير

قال تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون ، واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب » . (الأنفال ٢٤ ، ٢٥)

الرضا بشرائع الإسلام من الإيمان

للدكتور محمد أبو شهبة

روى الإمام مسلم فى صحيحه قال :

حدثنا محمد بن يحيى بن أبى عمر المكى ، وبشر بن الحكم قالا : حدثنا عبدالعزيز - وهو ابن محمد الداروردى - عن يزيد ابن الهاد ، عن محمد بن إبراهيم ، عن عامر ابن سعد ، عن العباس بن عبد المطلب أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : (ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد - صلى الله عليه وسلم - رسولا)[1] .

تخريج الحديث : هذا الحديث مما انفرد به مسلم ، ولم يخرجه البخارى - رحمه الله - فى صحيحه)[2] .

ورواه أبو داود فى سننه عن أبى سعيد الخدرى مرفوعا بلفظ « من قال رضيت بالله تعالى ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد - صلى الله عليه وسلم - رسولا ، وجبت له الجنة » .

« الشرح والبيان »

« من هو العباس بن عبد المطلب » ؟

راوى هذا الحديث عن النبى - صلى الله عليه وسلم - هو العباس بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف القرشى الهاشمى عم النبى - صلى الله عليه وسلم - أسلم ليلة الفتح ، وقد كان هواه مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل إسلامه ، وكان بمثابة العين له عليهم ، وقيل إنه أسلم قبل ذلك وإنما لم يعلن عن إسلامه ، ولم يهاجر لمصلحة الدعوة الإسلامية ، والصحيح الأول ، وكان رسول الله يحبه ويكرمه ، وفى صحيح مسلم أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال لعمر : (يا عمر أما شعرت أن عم الرجل صنو أبيه) .

---

(١) صحيح مسلم : باب ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربا .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٢ صـ ٣ .

أى مثل أبيه فى التجلة ، والإكرام ، وحسن المعاملة .

وفى غزوة بدر كان من الأسارى فسمع النبى أنينه وهو فى القيد ، فأرق النبى لذلك ، وبقى أول الليل ساهرا ، فقال له أصحابه : مالك لا تنام يارسول الله فقال سمعت أنين عمى العباس فى وثاقه ، فأطلقوه فسكت ، فنام رسول الله - صلى الله عليه وسلم .

ومع هذه المعاملة الرحيمة قد أبى رسول الله إلا أن يأخذ منه الفداء عن نفسه وابنى أخويه عقيل بن أبى طالب ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، وعن حليف له ، وكان الفداء مائة أوقية من الذهب .

ولما قال للنبى - صلى الله عليه وسلم - إنه كان أسلم حتى يتخلص من الفداء قال له المشرع الحكيم « أما ظاهرك فكان علينا ، والله أعلم بإسلامك ويجازيك » !! ولما قال رجال من الأنصار للنبى صلى الله عليه وسلم « ائذن لنا فنترك لابن أختنا العباس فداءه [1] » قال : « لا والله لا تزرون له درهما » !!

ولما قال للنبى : إنه لا مال له : « فأين المال الذى دفنته أنت وأم الفضل ، وقلت لها : إن أصبت فى سفرى فهذا لبنى : الفضل ، وعبد الله ، وقثم ، فقال العباس : إن هذا شىء ما أعلمه إلا أنا وأم الفضل يا رسول الله ! !

وهذا غاية العدل والإنصاف فى المعاملة فرسول الله مع رحمته بعمه ، وإشفاقه عليه ، وتخوفه عليه أن يقتل وهو يرجى منه للإسلام خير كثير . تأبى عليه نفسه السامية ، وعدالته الفائقة أن يفرق بينه وبين الأسارى فى الفداء ، أو أن يقبل أن يمن عليه الأنصار أخواله ، خشية أن يكون عملهم هذا لمكانه من قرابة رسول الله ، مع أنه صلى الله عليه وسلم من على بعض الأسارى دون فداء وليس هذا بعجيب ممن خاطبه الله بقوله : « وإنك لعلى خلق عظيم » .

وقد روى عن النبى الحديث ، وروى

---

(١) الظاهر أنهم من بنى النجار أخوال أبيه عبد المطلب لأن هاشما كان تزوج سلمى = بنت عمرو النجارية شريفة قومها وولدت له عبد المطلب فلما مات هاشم تربى فى حجر أمه حتى أخذه أعمامه شرفاء مكة .

عنه بعض الصحابة والتابعين ، فرضى الله عنه وأرضاه .

« ذاق طعم الإيمان »

الذوق : إدراك طعم الشىء بواسطة الأعصاب المنبثة فى اللسان يقال : ذقت الطعام أذوقه ذوقا ، وذوقانا ، وذواقا ، ومذاقا إذا عرفته بتلك الواسطة .

والمراد الشعور بحلاوة الإيمان ، وهو من الأساليب العربية البديعة ، والاستعارات اللطيفة فقد شبه الإيمان بطعام حلو شهى ، ثم حذفه ورمز إليه بشىء من لوازمه وهو الذوق، وهذا الذوق أمر معنوى يدرك بالقلب والوجدان ، كما أن الشىء المطعوم المحسوس يدرك باللسان فهو مثل قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الحديث الصحيح الآخر « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان » والطعم يكون بمعنى الأكل ومنه قوله تعالى : « فإذا طعمتم فانتشروا » وبمعنى الشرب ، ومنه قوله تعالى : « ومن لم يطعمه فإنه منى » .

والإيمان : هو التصديق بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره ، وهو بمعناه الشرعى الكامل : اعتقاد بالقلب ونطق باللسان ، وعمل بالجوارح ، وعلى هذا دلت الدلائل المتكاثرة من القرآن والسنة .

« ومن رضى بالله ربا » .

رضيت الشىء ، ورضيت به رضا : اخترته ، وارتضيته مثله ، فالرضا يشعر بمعنى الاختيار للشىء والاقتناع به ، والاطمئنان القلبى إليه ، وهذا الرضا بهذا المعنى لا بد منه فى الإيمان ، فلا يكفى فى الإيمان العلم والمعرفة من غير رضا ، واطمئنان قلبى ، ولو كان العلم بصدق الرسول ، وصدق دينه ، كافيا فى الإيمان لكان أبو طالب مؤمنا بقوله .

ولقد علمت بأن دين محمد
من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذارى سبة
لوجدتنى سمحا بذاك مبينا

لأنه لم يطمئن إلى ذلك قلبه ، ولم ترض به نفسه .

والمراد بالرضا بالله سبحانه وتعالى ربا أن يعتقد أن لا إله إلا الله ، وأنه لا رب سواه فهو الخالق ، وهو المبدئ ، وهو المعيد ، وهو الرازق ، وهو النافع ،

وهو الضار ، فلا يعبد إلا الله، ولا يستعين إلا به « إياك نعبد ، وإياك نستعين » وأن كل من عداه سبحانه وتقدست أسماؤه وصفاته هو مربوب له ، ولا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ، وأن كل من عبد دونه سبحانه فهو بمعزل عن ذلك وصدق عز شأنه حيث يقول : « إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ، وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب[1] » .

وأن يعتقد أنه لو اجتمع أهل السموات والأرضين على أن ينفعوا أحدا لم ينفعوه إلا بشيء قد كتبه الله له ، ولو اجتمع أهل السموات والأرض على أن يضروا أحدا لم يضروه الا بشيء قد كتبه الله عليه وأن ما أصاب أحدا لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه وفى رواية أبى داود ما يدل على أنه ينبغى أن يقترن الاعتقاد بالقول حتى يصير ذلك شعارا من شعارات أهل الإيمان والإسلام .

« وبالإسلام دينا » .

الإسلام فى اللغة معناه الانقياد وإسلام الوجه لله تعالى .

وفى لسان الشرع معناه الانقياد والخضوع لكل ما جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم تفصيلا فيما جاء مفصلا ومجملا فيما جاء مجملا .

والمراد بالإسلام هنا الدين العام الخالد الذى جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والذى هو خاتم الأديان ، وشريعته خاتمة الشرائع ، فلا نبى بعد نبينا محمد وصدق الله حيث يقول : « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين[2] » .

وقد جاءت الآية محكمة غاية الإحكام فإن نفى النبوة بعده يلزم منه قطعا نفى الرسالة ، ولو جاءت الآية بأنه خاتم الرسل لوجد المارقون فى ذلك ثغرة ينفذون منها إلى باطلهم وهو وجود أنبياء بعده كما ادعت بعض الطوائف الضالة، وهذا من الأدلة على أن القرآن من عند علام الغيوب ، الذى يعلم كل ما كان ، وكل ما يكون ، فتبارك الله منزل القرآن على أحكم وجه ، وأدق بيان .

وكذلك لا دين بعد دينه ، ولا شريعة بعد شريعته، ولا مثل شريعته ، وكيف؟!

---

(١) الحج ٧٣ .

(٢) الأحزاب ٤٠ .

وقد جاء دينه، أكمل الأديان وخاتمها، وقد جاءت شريعته أكمل الشرائع السماوية - بل القوانين الوضعية - وأوفاها بكل ما يحتاج إليه البشر فى دينهم، ودنياهم، ويحقق لهم السعادة الدنيوية والأخروية فما الداعى إذا لدين آخر؟! وما الداعى لشريعة أخرى؟! مادام الكمال من ذاتهما

وهذا الإسلام هو الدين الذى ألزم الله البشر جميعا به حينما قال « إن الدين عند الله الإسلام »[1] وهو الدين الذى ارتضاه الله للناس كافة عربا وعجما، فلا نجاة لأحد إلا به، قال عز شأنه « ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين »[2].

والآيتان نصان قاطعان فى أن المراد بهما هو هذا الدين الذى جاء به خاتم الأنبياء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فلا نجاة لأحد من أهل الأديان السماوية الأخرى - بل الأرضية - إلا باتباع هذا الدين! عقيدة، وشريعة، وسلوكا، وأخلاقا، وسياسة، واقتصادا، وو... فمن فهم غير هذا فقد حرف كتاب الله، واتبع طريق الجاحدين

إن هذا الدين أصلاه الأصيلان هما القرآن والسنة النبوية، وقد جاء على غاية من الوفاء والكمال ومعظم الأحكام الشرعية نص عليها فيهما، وما لم ينص عليه فيهما فيعرف حكمه إما بالقياس عليهما، أو بالاجتهاد فى حدود القواعد الشرعية التى استنبطت منهما مثل قاعدة « التيسير ورفع الحرج » أو قاعدة « لا ضرر ولا ضرار » وقاعدة « الضرورات تبيح المحظورات » وكل ذلك بشرط أن لا يصادم الاجتهاد نصا؛ إذ من المتفق عليه بين العلماء قاطبة أن « لا اجتهاد مع النص » والاجتهاد ليس كلأ مباحا لكل أحد، فله أهله وله رجاله، ومقتضى هذا الحديث أنه لا بد من الرضا بكل شرائع الله وأحكامه والعمل على الأخذ بها فى كل جوانب الحياة الإسلامية، بل جاء الحديث الآخر بأوكد منها فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم: « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » فعلى المؤمن أن يهذب من طباعه، ويطوع من فطرته حتى تصير أحكام الله هوى ومحبوبة له، وهكذا كان المسلمون الأولون يجدون فى أحكام الشريعة روحا، وراحة نفسية

(١) آل عمران ١٩

(٢) آل عمران ٨٥

وطهرا وطهارة وإن كان ذلك بالموت حدا وكذلك جاءت الآيات القرآنية مؤكدة وجوب العمل بشرائع الإسلام، وأن لا يجد فى نفسه حرجا منها، لا شكا فيها، ولا ضيقا بأحكامها العادلة، قال عز شأنه: «فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت، ويسلموا تسليما» (١) وقال عز شأنه «وأن احكم بينهم بما أنزل الله، ولا تتبع أهواءهم، واحذرهم، أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك، فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم، وإن كثيرا من الناس لفاسقون، أفحكم الجاهلية يبغون، ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون» (٢)

«وبمحمد - صلى الله عليه وسلم - رسولا».

فلابد من اعتقاد أن سيدنا محمدا هو خاتم الأنبياء والرسل، وأنه هو المكمل لهيكل الرسل الكرام من لدن آدم إليه عليه الصلاة والسلام، وأنه نبى حق مرسل من ربه للبشر جميعا «قل يأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا» (١) «وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا» (٢) «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين» (٣) وأنه لولا رسالته لبقيت الرسالات السماوية ناقصة غير تامة.

روى الشيخان فى صحيحها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى تصوير هذه الحقيقة: «إن مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون حول البيت ويقولون: هلا وضعت هذة اللبنة فأنا اللبنة وأنا خاتم الأنبياء».

ألا ما أعظم، وما أصدق أن يكون شعارنا معاشر المسلمين جميعا عن اقتناع، ورضى، وأن ننشئ على ذلك أبناءنا وبناتنا «الله ربنا، والإسلام ديننا، وسيدنا محمد نبينا ورسولنا» ؟

محمد محمد أبو شهبة

---

(١) النساء / ٦٥
(٢) المائدة ٤٩، ٥٠

(١) الأعراف / ١٥٨
(٢) سبأ / ٢٨
(٣) الأنبياء / ١٠٧

أربع عشرة ميزة لصلاة الجمعة ويومها

للأستاذ محمد الشرقاوى

أصح ما ذكر[1] تعليلا لإطلاق اسم يوم الجمعة عليه .. أن آدم عليه السلام قد استجمع خلقه كله فيه ، واستوفى قدره التكوينى حتى صار بشراسويا ، واكتمل كائنا حيا .

ولهذا ولما ينطوى عليه هذا اليوم المقدس ، من أسرار دينية ، تميز عن أمثاله من أيام الأسبوع بخصائص معينة جعلته فى القمة الزمنية فى حساب الأيام ووضعته على مستوى فريد من حيث حكمه وأحكامه . فى الشريعة الإسلامية .

وأول هذه الميزات : لزوم أداء صلاته الجماعية . فى إطار محدد ، وبأسلوب خاص لا يشاركها فيه غيرها من سائر الفرائض المكتوبة ، أو السنن المؤكدة . بمعنى أنه يتحتم تحتما عينيا على كل من توفرت فيه شرائط وجوبها وهى الإسلام والبلوغ والعقل والحرية ، والإقامة ، والذكورة والمقدرة الشخصية ، فى أصح الأقوال[2] أن يؤديها مع الجماعة ، ولا يخرج من عهدتها إذا استبدل بها ظهراً ، أو جماعة أخرى لا تحمل الطابع المحدد لها فقهاً وإنما يقع تحت طائلة العقوبة الدينية ، على عكس ماهو متبع فى سائر الصلوات الأخرى المكتوبة . حيث يسوغ أداؤها فى وقتها على سبيل التوسع والاختيار بين الجماعة والانفراد ، وإن كان الأفضل دائما إيقاعها فى أول الوقت فى جماعة .

وهذا اللزوم العينى لصلاة الجمعة هو ماتدل عليه الآية الكريمة : « يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله ، وذروا البيع .. »[1] فإن معنى اسعوا إلى ذكر الله . أى امضوا إلى الخطبة والصلاة . وفى قراءة عمرو ابن عباس وابن مسعود وغيرهم[2] : فامضوا إلى ذكر الله » فليس المراد من السعى هنا هو السرعة ، أو العدو كما قد يتبادر إلى الذهن من كلمة « السعى » وإنما يقصد

(١) ذكرى البرجندى فى شرح النقاية فى باب الجمعة
(٢) الفقه على المذاهب الأربعة ص ٢٧٨

(١) سورة الجمعة ٩
(٢) الكشاف ج ٢ ص ٤٥٨

به : القصد : إذ أن السعى هو التصرف فى كل عمل : ومنه قوله تعالى : «فلما بلغ معه السعى[١] » ، وقوله تعالى : « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى » [٢].

ونقل عن الحسن فى هذا المقام : « ليس المراد السعى على الأقدام ، ولكن على النيات والقلوب » ، ومع ذلك فلا مانع من الإسراع فى السير لإدراك الجمعة حين سماع النداء إليها ، فقد ذكر محمد بن الحسن فى موطئه : « أن ابن عمر سمع الإقامة وهو بالبقيع فأسرع المشى » قال محمد : وهذا لا بأس به ما لم يجهد نفسه، والتعبير بترك البيع يؤذن بتحريم كل شواغل الحياة الدنيا حين ينطلق صوت المؤذن داعيا لصلاة الجمعة سواء كانت تلك الشواغل بيعاً أو سفراً أوغيرهما .

وفى هذا تأكيد أى تأكيد للزومها ، ووجوب التفرغ لها ، والحرص على أدائها فى صورتها الأسبوعية الخاصة ، وإلا تعرض المتهاون فيها للعذاب والغضب

(١) سورة الصافات ١٠٢

(٢) سورة النجم ٣٩

روى مسلم عن عمر وأبى هريرة رضى الله عنهما - أنهما سمعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول على أعواد منبره : (لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات ، أو ليختمن الله على قلوبهم ، ثم ليكونن من الغافلين)[١] . وقد كان لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- مؤذن واحد للجمعة يؤدى أذانا واحدا ، فكان إذا جلس على المنبر [٢] أذن على باب المسجد ، فإذا نزل الرسول أقام المؤذن للصلاة ، ثم كان أبو بكر وعمر -رضى الله عنهما- على ذلك ، حتى إذا كان عثمان ، وكثر الناس وتباعدت المنازل زاد مؤذنا آخر ، فأمر بالتأذين الأول على داره التى تسمى زوراء ، فإذا جلس عثمان على المنبر أذن المؤذن الأذان الثانى ، فإذا نزل أقام للصلاة ، فلم يعب ذلك عليه .

الميزة الثانية : اشتراط الجماعة لصلاة الجمعة ، وهذا الشرط وإن كان مشتركا بينها وبين العيدين عند الحنفية والحنابلة والمالكيه، إلا أن أساس هذا الاشتراط

(١) سبل السلام حـ ٢ ص ٤٤

(٢) الكشاف حـ ٢ ص ٤٥٨

مختلف بين الصلاتين ، فى الجمعة الأساس هو الفرضية ، وفى العيدين السنية عند الأكثر والوجوب الذى هو منزلة بين الفرض والسنة عند أبى حنيفة ، فبالنسبة إلى الجمعة يصير الشرط فرضا ، لأن مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، وبالنسبة إلى العيدين يكون سنة .

الميزة الثالثة : أن الجماعة فى صلاة الجمعة لا تقل عن ثلاثة مع اختلاف فى وجهة نظر الحنفية فى هذا التثليث ، فالصحيح عندهم أنها ثلاثة سوى الإمام فيكون مجموع الجماعة أربعة ، ولا تجزىء الجمعة بدون ذلك ، ويرى بعضهم : أنها ثلاثة بالإمام فيكون مجموعها ثلاثة ، وأيا ما كان الرأى فلا يكفى فيها إمام ومأموم كما هو الشأن فى سائر الصلوات حيث تتأدى باثنين على الأقل فى جماعة أما الجمعة فلا تصح بالاثنين اتفاقا ، وأقل ما تجزى به هو الثلاثة ، وعند الشافعية والحنابلة : الأربعون ، وعند المالكية : اثنا عشر رجلا .

الميزة الرابعة : اشتراط الخطبة لها ، بخلاف العيدين فإنها سنة فيهما .

الميزة الخامسة : إيقاع هذه الخطبة قبل[1] صلاتها وجوبا ، بحيث لا تصح صلاة الجمعة قبلها ، كما لا تجزىء الخطبة بعدها ، أما العيدان فإنه يسن تأخير الخطبة عن الصلاة عند الحنفية ، فإن قدمها جاز مع الكراهة ولا تعاد ، وعند الأئمة الثلاثة يشترط تأخيرها عن صلاة العيدين فإن قدمها لا يعتد بها ، ويقول المالكية[2] : إذا أخرت الخطبتان عن صلاة الجمعة أعيدت الصلاة فقط ، وصحت الخطبتان ولا يعيدهما إن قرب الزمن عرفا ولم يخرج الإمام من المسجد وإلا أعيدت الخطبتان كالصلاة .

الميزة السادسة : سنية الغسل والتطيب لصلاة الجمعة لا ليومها على الصحيح ، والحكمة فى ربط هذه السنية بالصلاة ما فيها من تزاحم وتكاثر فى أماكن كثيراً ما تضيق بروادها ، ومن شأن هذا الاحتشاد توليد الحساسية والضيق بما يتنافى مع التطهر الكامل ، والنقاء الشامل ، ولذلك كان الاغتسال لصلاة

(١) الفقه على المذاهب الأربعة ج ١ ص ٢٨٠ وما بعدها .

(٢) المصدر السابق ص ٢٨٥ .

الجمعة سنة مؤكدة ، أما للعيدين فإنه مستحب ، ويراه أبو حنيفة سنة وعلى أي حال فهو لحق اليوم فى العيدين لا لحق الصلاة ، لأنه يوم زينة واجتماع .

الميزة السادسة : قراءة سورة الأعلى والغاشية فى ركعتيها على التوالى وبدون مواظبة عليها عملا برواية النعمان بن بشير رضى الله عنهما : أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقرأ فى العيدين وفى الجمعة بسبح اسم ربك الأعلى ، وهل أتاك حديث الغاشية ، وهى من رواية مسلم الذى روى حديثا آخر لابن عباس رضى الله عنهما « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بسورتى الجمعه والمنافقين فى صلاة الجمعة » (١) وكأنه كان يقرأ بما رواه النعمان بن بشير حينا ، وبما رواه ابن عباس حينا آخر ولذلك قلنا بدون مواظبة على خصوص السورتين الأوليين.

الميزة السابعة : تحريم السفر بعد الأذان للجمعة وقبل أدائها قياسا على ترك البيع فى ذلك الحين ووجوب التفرغ للفريضة العينية الجامعة .

(١) سبل السلام ج ٢ ص ٥٥

الميزة الثامنة : استحباب لبس الثياب البيض لصلاة الجمعة ولو لم تكن جديدة ، أما فى صلاة العيدين فعلى العكس من ذلك : أى يستحب لبس الثياب الجديدة ولو لم تكن بيضاء ويقول المالكية (١) إن وافق يوم الجمعة يوم العيد لبس الجديد أول النهار ولو كان أسود قضاء لسنة العيد ، وعند الخروج للجمعة يلبس الأبيض وفاء لسنة العيد،وقد روى البيهقى (٢) «أنه عليه الصلاة والسلام كان يلبس يوم العيد بردة حمراء» وقد فسرها صاحب الفتح : بأنها عبارة عن ثوبين من اليمن فيهما خطوط حمر وخضر ، لا أنهما حمراوان خالصان ، فقد ورد النهى عن ارتداء الثياب الخالصة الحمرة(٣) وعلى هذا فإطلاق الحمرة على لون البردة فى رواية البيهقى إطلاق مجازى لا حقيقى ، وذكر صاحب الهداية فى باب صلاة الجمعة : « ويستحب أن تكون الثياب بيضاء » ويكره لبس الثياب الخضر

(١) الفقه على المذاهب الأربعة ص ٢٩٦
(٢) الأشباه والنظائر ج ٢ ص ٢٣٦
(٣) رواه أبو داود .

للرجال ، وأحب الثياب إلى الله تعالى البيض وبه ورد الخبر [١] .

الميزة التاسعة : تقليم الأظفار وحلق الشعر ، ولكن بعد صلاة الجمعة لا قبلها فقد ذكر فى جامع المضمرات والمشكلات جاء فى الخبر : أنه يكره قلم الأظفار ، وقص الشارب فى يوم الجمعة (أى قبل صلاتها) لما فيه من معنى الحج ، فيكره قبل الفراغ من الحج التقليم والحلق ليكون الشعر والأظفار من شهداءه يوم القيامة على حضور صلاة الجمعة ، أما بعد صلاتها فهو مستحب ، لما روته عائشة رضى الله عنها عن النبى - صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قلم أظفاره يوم الجمعة (أى بعد الصلاة جمعاً بين الأخبار) أعاذه الله من البلاء إلى الجمعة الأخرى ، وزيادة ثلاثة أيام [٢] » وهذا إذا لم يطل الظفر قبل الجمعة وإلا قلمه وكأنه حينئذ كمن فرغ من حجه وعمرته فهو يحلق ويقلم الأظفار .

(١) جامع المضمرات والمشكلات باب الجمعة
(٢) الأشباه والنظائر ج ٢ ص ٢٣٧ ، وكتاب الكراهية للعلامى .

الميزة العاشرة :

التكبير والابتكار لها ، والأول هو سرعة الانتباه ، والثانى هو المسارعة إلى المصلى ، وكلاهما مستحب فقد روى أبو هريرة رضى الله عنه مرفوعا [١] « إذا كان يوم الجمعة وقفت الملائكة على أبواب المساجد يكتبون الناس على مجيئهم ، فالمتعجل اليها كالمهدى بدنة والذى يليه كالمهدى بقرة والذى يليه كالمهدى شاة والذى يليه كالمهدى دجاجة ، والذى يليه كالمهدى بيضة فإذا صعد الإمام للخطبة طويت الصحف ، وجاءوا يستمعون الذكر يعنى الخطبة » ومعنى الإهداء : التصدق والمراد من الملائكة هنا غير الحفظة [٢] .

وهم جماعة من الملائكة وظيفتهم كتابة محاضر المسجد .

الميزة الحادية عشر : كراهة إفراد نهاره بالصيام ، وليله بالقيام ، فقد نقل عن أبى يوسف : أنه جاء حديث فى كراهيته إلا أن يصوم يوما قبله أو يوما بعده ، قال الحموى : ولعل وجه ذلك : أن يوم

(١) جامع المضمرات والمشكلات
(٢) الحموى على بن الحكيم ص ٢ ج ٢٣٧

الجمعة عيد ، وصومه مكروه ، كما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا تخصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالى[١] » .

الميزة الثانية عشرة : كراهة المداومة على قراءة سورة الكهف فى يوم الجمعة دون غيره من الأيام ودون غيرها من السور ، لما فيه من هجر الباقى من القرآن الكريم فى هذا المجتمع الحاشد ، ولما فيه من إيهام تفضيل بعض القرآن على بعض فالمستحب إذن : هو عدم المداومة ، لا المداومة على العدم . بمعنى أنه يقرأ القارئ الكهف يوم الجمعة حينا ، ويقرأ غيرها فيه حينا آخر .

الميزة الثالثة عشرة : أفضلية نهار يوم الجمعة على سائر أيام الأسبوع وإنما فضل نهاره على ليلته لوقوع صلاة الجمعة فيه لا فيها[٢] ، ولأن فيه ساعة الإجابة دونها ، ولذا كان يوم عيد .

الميزة الرابعة عشرة : أن فى نهار الجمعة ساعة إجابة وفى الحديث الصحيح . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن فى يوم الجمعة ساعة لا يوافقها مسلم يسأل الله تعالى شيئا إلا أعطاه إياه »[١] وهى ساعة مبهمة . قال القرافى : فينبغى التعرض لها بإحضار القلب ، وملازمة ذكر الرب والحكمة فى شيوعها بين ساعات النهار : حمل المؤمن على التطلع الدائم الأمل المتواصل وهذا يدعوه إلى شغل هذا النهار بالدعا والضراعة سواء منها ما كان باللسان ، أو بالجنان فيتكاثر بره ، ويتعاظم فى الإجابة رجاؤه .

الميزة الخامسة عشرة : [٢] اجتماع الأرواح وزيارة القبور ، والأمن من عذاب القبر ومن مات فيه أو فى ليلته أمن من فتنة القبر وعذابه ، ولا تسجر فيه جهنم ، وفيه خلق آدم عليه السلام ، وفيه أخرج من الجنة ، وفيه تقوم الساعة ، وفيه يزور أهل الجنة ربهم سبحانه وتعالى (أى فى مثل وقعته من الدنيا) .

وكان يسمى يوم الجمعة أولا يوم العروبة ولم يكن قد كشف الستار بعد عن تسميته

(١) رواه مسلم
(٢) نقلا عن المضمرات

(١) رواه الشيخان
(٢) الأشباه والنظائر لابن نجيم جـ٢ صـ٢٣٩

بيوم الجمعة فقال الأنصار يوما(١) : إن لليهود يوما يجتمعون فيه كل سبعة أيام ، وللنصارى مثل ذلك ، فهلموا نجعل لنا يوما نجتمع فيه ، فنذكر الله ونصلى ، . فقالوا : يوم السبت لليهود ، ويوم الأحد للنصارى ، فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا إلى سعد بن زرارة ، فصلى بهم يومئذ ركعتين ، وذكرهم . فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه . وهداهم الله تعالى إلى الاسم والمسمى معا بعد أن ضلت عنه الأمم من قبلهم من أتباع موسى وعيسى عليهما السلام . مكابرة منهم وعناداً لأنبيائهم ، وتهجما على حدود الله وأزمان عبادته بالرأى الزائف والتخمين الباطل . . وفى هذا أنزل الله تعالى آية الجمعة وكانت تلك الصلاة التى صلاها سعد بن زرارة بالأنصار بعد هذا الاجتهاد الموفق أول جمعة صليت فى الإسلام . . أما أول جمعة صلاها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقد كانت فى بنى سالم بن عوف . . فى بطن واد لهم حين أدركه وقتها فى طريق هجرته إلى المدينة . . فخطب وصلى الجمعة . . ولم يبق من ميزات يوم الجمعة إلا ما ذكره الحموى(١) : أن من استأجر أجيراً شهراً مثلا لا يدخل ضمن العقد يوم الجمعة عملا بالعرف السائد وقد نقله عن الخلاصة وقال : وهى مسألة نفيسة ؟

محمد محمد الشرقاوى

(١) الكشاف ج ٢ تفسير سورة الجمعة

(١) الحموى على ابن نجيم ج ٢ ص ٢٣٩ .

قال الله تعالى :

« ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ، ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم » . (صدق الله العظيم)

« مع الشباب » :

يا أذن الشباب اسمعي

للدكتور عز الدين علي السيد

إني متحدث إليك أيها الشاب حديثا لا تستطيع أن تدفعه، يغريك منه أنه منك، ويشدك إليه أنه لك، صفه بما شئت وليصفه الآخرون معك.

قل: إنه الفلسفة، أو التملق، أو التحبب، أو الإشفاق، أو الاستدراج أو ما شئت من مصادر اللغة، فأنا لا يعنيني إلا اجتذابك، وأراني مجتذبك في أي صورة؛ لأنك اليوم صورتي بالأمس، ولأنك في الغد صورتي اليوم فأنا متحدث إلى نفسي بحديثي معك، وانفعالي بك واختلاط عاطفتي بعاطفتك حق من الحق يعصمني من النفاق، وكيف يتهنى الذين هم في سلم الحياة على أول الدرج، وهم يصنعون من العصي خيولا يركبون صهواتها، ويمثلون من أدوار البطولة والكفاح ما به يتعجلون الزمن ليكونوا في عمرهم معك؟

أم كيف يتهنى الذين هم قد وصلوا إلى القمة، وقد فقدوا في الصعود قوى العضلات، وتركوا مع كل درجة حاسة أو حاستين، فلهثوا تعبا، وأصيبوا بالدوار جهدا، وتقوست ظهورهم جفافا واحتاجت بقية أيام العمر منهم إلى عشرات الأطباء والصيادلة والممرضين يرممون الهياكل الفانية ليعودوا أدنى صورة من صورك؟.

كذبوا عليك ليضاهوك بكذبهم على أنفسهم، فصبغوا أكفان الشيب الناصع بياضها صبغا يفضح السر ويلزم ببرهان الحقيقة، حينما تقول منابت الشعر وأصوله لأقاصي الشعر وأعاليه؛ إنني شاهد الحق الواضح الذي لا مهرب منه، وإنك شاهد الزور المضلل الكذاب!.

أرأيت أني لا أتماقك؟.

أقول لك أيها الشاب : إن هذا الكون العظيم فى جلال ما وصل إليه ، لو تمثل شخصاً نناجيه : أيها الكون الرائع بآيانه، من شق عظيم أنهارك،وأنتج بهيج ثمارك وشاد المدن بناطحات السحاب ، ورفع القلاع فوق عالى الهضاب ، ومن الذى أنتج من عجائب الاختراع ما بهر ، ومن غرائب الافتنان ما سحر ، وما لو سمع به الأقدمون لقالوا : فوق قدرة البشر ، وخطى من أول الخطى على القمر .. و .. و ..؟ لقال الكون : عجبا . . إنه الشباب . . إنه الشباب . . عماد الأوطان ، وعدة الزمان ، وجند الإيمان ، وضمان الأمان ! .

ثم أقول لك أيضا أيها الشاب : إنه لو تمثل التاريخ حكيما هرما نسأله : أيها الشيخ المجرب ، من تراه حطم الممالك .. وخرب المالك ، ومثل المآسى .. ودمر العوامر . . وأزعج القلوب ، وفزع النفوس ، وثار حتى طغى ، وفار حتى بغى . . و . . و ..؟ لقال ! عجبا ! إنه الشباب . . إنه الشباب حين يعرف الشيطان . . ويعزف عن الإيمان . . ويخرج على ناموس الأديان . .

يا عجبا للشباب .. ثم يا عجبا للشباب !

رحلة قصيرة :

لنرحل معا لنتسلى وأنت تنشد التسلية. ولتكن رحلتنا إلى متحف اللغة ، ثم إلى روضة الشعر والأدب . وسوف ترى هذه التسلية لونا طريفا من التعرف على نفسك تعرفا يزيدك بها ثقة ولها حبا . . فأنا لا أريد إلا أن أسرك وأسعدك !

لا تخف من انتقالى بك إلى اللغة . . فليس بحثا معجميا تحس منه الملل والجفاف ، بقدر ما هو خاطرة طريفة تجد فيها الراحة ونصاحة ، اللغة ، فمادة الشباب حيث كانت تحمل معنى القوة .. وتمثل النشاط والزيادة فى جميع الكلمات، يستوى فى ذلك المجاز منها والحقيقة . .

مما قرأت لك فى (لسان العرب)

الشباب الفتاء والحداثة ، شب يشب شبابا وشبيبة ... والاسم الشبيبة ، وهو خلاف الشيب ، والشباب أيضا جمع شاب وكذلك الشبان ...

يقال : قدح شاب أى شديد كما قالوا فى ضده : قدح هرم .

وفى المثل : أعيتنى من شب إلى دب ومن

شب إلى دب أى من لدن شببت إلى أن دببت على العصا ...

ويقال : لقيت فلانا فى شباب النهار أى فى أوله ، وجئتك فى شباب النهار وبشباب نهار أى أوله ..

وتشبيب الشعر ترقيق أوله بذكر النساء ، وهو من تشبيب النار وتأريثها .. وشب النار والحرب : أوقدها ، يشبها شبا وشبوبا ، وشبة النار اشتعالها ، والشباب والشبوب ماشب به ... وتقول: هذا شبوب لكذا : أى يزيد فيه ويقويه ورجل مشبوب : جميل حسن الوجه كأنه أوقد . قال ذو الرمة :

إذا الأروع المشبوب أضحى كأنه على الرحل مما منه السير أحمق

وقال العجاج :

من قريش كل مشبوب أغر

ورجل مشبوب : إذا كان ذكى الفؤاد شهما ... وتقول : شعرها يشب لونها أى يظهره ويحسنه . والمشبوبتان الشعريان لا تقادهما (هما من النجوم إحداهما العبور ؛ والثانية الغميصاء) وشب لون المرأة خمار أسود لبسته ، أى زاد فى بياضها ولونها فحسنها لأن الضد يزيد فى ضده ويبدى ما خفى منه ... وهذا شبوب لهذا ، أى يزيد فيه ويحسنه ، وفى الحديث عن مطرف أن النبى صلى الله عليه وسلم ائتزر ببردة سوداء فجعل سوادها يشب بياضه وجعل بياضه يشب سوادها .

قال شمر : يشب أى يزهاه ويحسنه ويوقده. ورجل مشبوب إذا كان أبيض الوجه أسود الشعر ، وأصله من شب النار إذا أوقدها فتلألأت ضياء ونورا . .

ومن كتاب عمر رضى الله عنه لوائل ابن حجر : إلى الأقيال العباهلة والأرواع المشابيب : أى السادة الرءوس الزهر الألوان ، الحسان المناظر ، وأحدهم مشبوب كأنما أوقدت ألوانهم بالنار ..

والشباب بكسر الشين : نشاط الفرس ورفع يديه جميعا . . والشب بفتحها ارتفاع كل شىء . .

أيها الشاب ، أما صدقت عندك هذه المعانى كثيرا مما كان يوحى به اللفظ ؟ إنها جميعا تدور مع إشعاعه وتتعانق تحت ظلاله قائلة لك : إنك عندى ! إنك هنا! فتنبه لتقدرنى واستيقظ لتعرفنى .. إننى تاجك الألق فوق جبينك يا صاحبى ويا ملكى . !

أما جولة الأدب : فحسبنا أن نقرأ قديمه وحديثه لنرى الدموع الدافقة والحسرة المحرقة حينا على عهد الشباب ممن زايلهم الشباب ، أو نرى التجلد والحنكة حينا ممن يحاولون التعزى عنه وإخفاء الأسى والحزن ، ولكننا نشم على أى حال ريح احتراق القلوب، ونسمع على أى حال نبر الضنى والألم ، فى كلمة موحية مشعة ، أو لفظ صادق معبر ؛ لا يسع العاطفة المشبوبة بالذكريات ، والحافلة بالصور الغاربة ؛ أن يغالبها الجلد المصطنع على ظهوره ، وكيف وقد حكى القرآن الكريم عبارات الاستعطاف وشكوى الضعف إلى الله من أناس يحبهم ويحبونه : « رب إنى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا » ؛ « قالت يا ويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا ... »

يطول بنا هذا الحديث ويطول ، فلنستدل بقليله عليه ، أما القديم فاقرأ منه مرات قول لبيد بن ربيعة، ثم اغمض عينيك وعش لحظات فى خياله معه ، وقد رسم لك صورته رسما أنت واجده اليوم فى عشرات ممن ترى فى ناس عصرك :

أليس ورائى إن تراخت منيتى
لزوم العصا تحنى عليها الأصابع؟
أخبر أخبار القرون التى مضت
أدب كأنى كلما قمت راكع !
فأصبحت مثل السيف أخلق جفنه
تقادم عهد القين والنصل قاطع

فإذا أدركت تعجله المنية ليستريح من تلك الصورة التى رسمها فى تشبيهه الرائع لنفسه فاستمع إلى قول (غسان) يمس أغلى ما يعتز به الرجل فى حياته ؛ لأنه مناط شرفه فى بيته ، وسلطانه فى داره، وقد كنيت لك عنه وليس بعيدا أن يفهمك إياه الشطر الثانى فى قوله :

ابيض منى الرأس بعد سواده
ودعا المشيب حليلتى لبعادى
واستحصد القرن الذى أنا فيهم
وكفى بذاك علامة لحصادى

ألا تراه يجعل المشيب بمثابة الساحر الخبيث والشيطان الرجيم الذى يفرق بين المرء وزوجه . ؟ كم تحت الكناية بالمشيب من معان يسبح فيها الخيال !

أما الفراء فاستمع إليه يقول :

حنتنى حانيات الدهر حتى
كأنى خابل يدنو لصيد

قصير الخطو يحسب من رآنى
ولست مقيدا ـ أنى بقيد

ثم انظر إلى هذا الطبيب البارع الذى يرشد (التيمى) إليه أصحاب السبعين عاما من الشيوخ :

إذا كانت السبعون سنك لم يكن
لدائك إلا أن تموت طبيب
وإن امرأ قد عاش سبعين حجة
إلى منهل من ورده لقريب

أى داء هذا وأى طبيب ذاك ؟

إن عبدة بن الطبيب أحس كبرته إحساس العاقل الحكيم فاستغلها فى نصح بنيه ، ولكنه لم يخل قصيدته من شعوره بالمصير الذى اليه يسير :

ولقد علمت بأن قصرى حفرة
غبراء يحملنى إليها شرجع
فبكى بناتى شجوهن وزوجتى
والأقربون إلى ، ثم تصدعوا
وتركت فى غبراء يكره وردها
تسفى على الريح حين أودع
إن الحوادث يخترمن وإنما
عمر الفتى فى أهله مستودع
يسعى ويجمع جاهداً مستهترا
جدا وليس بآكل ما يجمع
حتى إذا وافى الحمام لوقته
ولكل جنب لا محالة مصرع
نبذوا إليه بالسلام فلم يجب
أحداً . . وصم عن الدعاء الأسمع

أى عزاء فى أى رثاء هذا الأنين المقنع فى قناع العظة والحكمة ؟

أما الطائى فيفصل لنا بعض التفصيل ما يصحب الشيب من مؤسفات حين يقول :

غدا الشيب مختطا بفودى خطة
طريق الردى منها إلى الموت مهيع
هو الزور يجفى ، والمعاشر يجتوى
وذو الإلف يقلى ، والجديد يرقع
له منظر فى العين أبيض ناصع
ولكنه فى القلب أسود أسفع
ونحن نرجيه على الكره والرضا
وأنف الفتى من وجهه وهو أجدع

نعم أيها الشيخ المتحزن إن ارتحال الشباب كجدع الأنف ! . وهل يقدر مجدوع الأنف أن يفارق أنفه المجدوع ؟

إن لابن المعتز بيتا إذا ذكرته غمرنى الحزن له ، واجتذبنى أطيل الأسى عنده يحكى فيه هتاف اليائس المحزون بصابغة رأسه :

صبغت رأسى .. فقلت لها
اصبغى قلبى فقد شابا . !

إن هذا اللفظ العابر يصل إلى أغوار النفس مع قربه القريب ، إنه يلمس العلة لمسا مباشرا ، ينقلنا من ورائه إلى زوايا قلبه المحطم ! .

ربما كان ابن الرومى كعادته دائما أندى بصوت العاطفة من الآخرين ، وأشجى بحسرة الفقد ، إذ تعجب من هؤلاء الذين أنكروا تعزية المعزين إياه فى شبابه الذاهب ، وجعل فقده الشباب أجل المصائب :

أأفجع بالشباب ولا أعزى ؟
لقد غفل المعزى عن مصابى !

وهو إن صبغ الشيب بالسواد لا يصبغه تمويها على الحسان ، وإنما يصبغه حداداً على أعز ما فقد وهو الشباب :

لم أخضب الشيب للغوانى
أبغى به عندهم ودادا
لكن خضابى على شبابى
لبست من بعده الحدادا

أما الذين يتجلدون للشامتين ، ويتصبرون رغم الحنين ، فمنهم القائل :

ألا قالت الخنساء يوم لقيتها :
كبرت ولم تجزع من الشيب مجزعا
رأت ذا عصا يمشى عليها وشيبة
تقنع منها رأسه ما تقنعا
فقلت لها : لا تهزئى بى فقل ما
يسود الفتى حتى يشيب ويصلعا

إنه مكابر ومغالط ، فكثيراً لا قليلا ما يسود الفتى قومه فى ميعة الصبا وريعان الشباب ، ولا أدل على ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم وإخوانه الأنبياء ، وقد اكتملت فتوتهم عند مبعثهم ، وتم واستحصف شبابهم - كما سيلى من الحديث عنهم - والتاريخ فى جميع الحقب يشهد بسيادة الشباب ، وأعدل من ذلك وأقرب على ما فيه - قول طريح الثقفى :

والشيب للحلماء من سفه الصبا
بدل تكون له الفضيلة مقنع
والشيب غاية من تأخر حينه
لا يستطيع دفاعه من يجزع
لا يبعد الله الشباب ومرحبا
بالشيب حين يرى إليه المرجع
إن الشباب له لذاذة جدة
والشيب منه فى المغبة أنفع

والثقفى يقول هذا ، وهو لم يدرك بعد

(البقية صفحة ٥٦٦)

الإمام أبو حنيفة وعنايته بالحديث

للأستاذ منشاوى عبود

نال بعض الكاتبين من الإمام أبي حنيفة رضى الله عنه ، وأساءوا تقديره من غير تثبت ولا سند ، فزعموا أنه قليل البضاعة فى الحديث ، وأنه يقدم عليه العمل بالقياس ، فرأيت أن أكتب المقال الآتى إنصافاً لهذا الإمام الجليل ، ووفاء بحقه ، وتصويباً للفكرة عنه .

تمهيد : لا خلاف لأحد ممن يقام لرأيه وزن أن السنة إذا ثبتت وصحت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يجب الأخذ بها ، والعمل بمقتضاها .

منهج أبي حنيفة فى اجتهاده :

روى عنه أنه قال :

« إنى آخذ بكتاب الله إذا وجدته ، فما لم أجده فيه أخذت بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والآثار الصحاح عنه التى فشت فى أيدى الثقات ، فإذا لم أجد فى كتاب الله ولا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذت بقول أصحابه من شئت ، وأدع قول من شئت ، ثم لا أخرج من قولهم إلى قول غيرهم ، فإذا انتهى الأمر إلى إبراهيم ، والشعبى ، والحسن ، وابن سيرين ، وسعيد بن المسيب ، وعد رجالا قد اجتهدوا ، فلى أن أجتهد كما جتهدوا ، اه(١)» .

عنايته رضى الله عنه بالسنة :

يدل على عنايته بالسنة ، وجعلها مصدراً للاستنباط بعد الكتاب الكريم ما ذكره فى منهج اجتهاده ، ويدل على عنايته بها أيضاً أنه متى اطمأن إلى ثبوت الحديث قدم العمل به على العمل بالقياس والرأى .

قال ابن القيم فى كتابه إعلام الموقعين ص ٧٧ ج ١ :

وأصحاب أبى حنيفة رحمه الله مجمعون على أن مذهب أبى حنيفة ، أن ضعيف الحديث عنده أولى من القياس والرأى ،

(١) تاريخ التشريع للخضرى .

وعلى ذلك بنى مذهبه ، كما قدم حديث القهقهة مع ضعفه على القياس والرأى ، وقدم حديث الوضوء بنبيذ التمر فى السفر مع ضعفه على الرأى والقياس، ومنع قطع يد السارق بسرقة أقل من عشرة دراهم ، والحديث فيه ضعيف ، وجعل أكثر الحيض عشرة أيام ، والحديث فيه ضعيف ، وشرط فى إقامة الجمعة المصر ، والحديث فيه كذلك ، وترك القياس المحض فى مسائل الآبار لآثار فيها غير مرفوعة ، — فتقديم الحديث الضعيف وآثار الصحابة على القياس والرأى قوله وقول الإمام أحمد .

وليس المراد بالحديث الضعيف فى اصطلاح السلف هو الضعيف فى اصطلاح المتأخرين ، بل ما يسميه المتأخرون حسناً قد يسميه المتقدمون ضعيفاً ، اه .

احتياطه فى العمل بخبر الواحد :

اشترط أبو حنيفة للعمل بخبر الواحد شروطا ، منها ما يأتى :

١ ـ ألا يخالف السنة المشهورة سواء كانت فعلية أم قولية عملا بأقوى الدليلين .

٢ ـ ألا يخالف المتوارث بين الصحابة والتابعين فى أى بلد نزلوه بدون اختصاص بمصر دون مصر .

٣ ـ ألا يخالف عمومات الكتاب أو ظواهره ، فإن الكتاب قطعى الثبوت ، وظواهره وعموماته قطعية الدلالة ، والقطعى يقدم على الظنى ، أما إذا لم يخالف الخبر عاما أو ظاهراً فى الكتاب بل كان بياناً لمجمل فيه فإنه يأخذ به حيث لا دلالة فيه بدون بيان .

٤ ـ أن يكون راوى الخبر فقيها إذا خالف فيها قياسا جليا ، لأنه إذا كان غير فقيه يجوز أن يكون قد رواه على المعنى فأخطأ .

٥ ـ ألا يكون فيما تعم به البلوى ، ويدخل فى ذلك الكفارات والحدود التى تدرأ بالشبهة ، فلا يكون طريق ذلك غير الشهرة ، أو التواتر .

٦ ـ ألا يسبق طعن أحد من السلف فيه .

٧ ـ ألا يعمل الرواى بخلاف خبره كحديث أبى هريرة فى غسل الإناء من ولوغ الكلب سبعاً ، فإنه مخالف لفتوى أبى هريرة ، فترك أبو حنيفة العمل به لتلك العلة .

٨ - ألا يكون الراوى منفرداً بزيادة فى المتن أو السند عن الثقات ، فإن زاد شيئا من ذلك كان العمل على ما رواه الثقات احتياطا فى دين الله ، ولا تقبل زيادته .

٩ - الأخذ بالأحوط عند اختلاف الروايات فى الحدود التى تدرأ بالشبهات ، كأخذه برواية قطع السارق بما ثمنه عشرة دراهم دون رواية ربع دينار من حيث إنه ثلاثة دراهم ، فتكون رواية عشرة دراهم أحوط ، وأجدر بالثقة ، حيث لم يعلم المتقدم من المتأخر حتى يحكم بالنسخ لأحدهما (١) .

الباعث لأبى حنيفة على هذا الاحتياط :

الذى دفع أبا حنيفة إلى الاحتياط فى قبول خبر الواحد أن فى عصره كثر الوضاعون للحديث ، ونشأت فرق منحرفة ، وتريد كل فرقة الانتصار لمبادئها ، والكيد للإسلام عن طريق الكذب على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وإدخال فى الحديث ما ليس منه ، فاقتضى ذلك أن يحتاط أبو حنيفة رضى الله عنه فى تلقى خبر الواحد حتى لا ينسب إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قول لم يصدر عنه ، ويجعل مادة للتشريع واستنباط الأحكام .

الطعون التى وجهت إلى الإمام أبى حنيفة :

طعن بعض الناس فى الإمام بالأمور الآتية :

١ - قلة بضاعته فى الحديث ، وأنه لم يرو إلا سبعة عشر حديثا .

٢ - تقديمه العمل بالقياس على السنة .

٣ - تجريح بعض الأئمة والمحدثين له .

ونحن نفند هذه الطعون واحداً واحداً ليتبين أنها لا تقوم على أساس علمى سليم .

١ - القول بأن أبا حنيفة كان قليل البضاعة فى الحديث ، وأنه لم يرو إلا سبعة عشر حديثاً قول باطل ، فإن أصحاب النظر جميعاً يعترفون بأن أبا حنيفة مجتهد مطلق ، وأنه أسبق الأئمة الأربعة إلى الاجتهاد ، ومن خصائص المجتهد المطلق أن يكون عالماً بالكتاب والسنة ، خبيراً

(١) أنظر تأنيب الخطيب للشيخ الكوثرى ص ١٥٣ ، ١٥٤ .

بدلائلهما ، فكيف يسوغ بعد هذا لعاقل أن يفهم أن أبا حنيفة - وهو الإمام المجتهد - أغفل السنة التى هى المصدر الثانى للتشريع ؟

وليس محصول أبى حنيفة فى السنة ضئيلا - كما يقول الزاعمون - فقد صح عنه أنه انفرد بمائتى حديث وخمسة عشر حديثا سوى ما اشترك فى إخراجه مع بقية الأئمة ، وله مسند روى فيه مائة وثمانية عشر حديثا فى باب الصلاة وحدها .

قال ابن حجر العسقلانى فى كتاب تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة.

أما مسند أبى حنيفة فليس من جمعه ، والموجود من حديث أبى حنيفة إنما هو كتاب الآثار التى رواها محمد بن الحسن عنه ، ويوجد فى تصانيف محمد بن الحسن وأبى يوسف قبله من حديث أبى حنيفة أشياء أخرى وقد اعتنى الحافظ أبو محمد الحارثى ، وكان بعد سنة ٣٠٠ هـ بحديث أبى حنيفة ، فجمعه فى مجلدة ، ورتبه على شيوخ أبى حنيفة اهـ .

وقد جمع أبو المؤيد محمد بن محمود الخوارزمى المتوفى سنة ٦٦٥ هـ مسندا لأبى حنيفة . طبع بمصر ١٣٢٦ هـ فوقع فى نحو ٨٠٠ صفحة كبيرة ، وقد أخذه من خمسة عشر مسندا ، جمعها لأبى حنيفة فحول علماء الحديث الأول ، فجمع هذه المسانيد على ترتيب أبواب الفقه مع حذف المعاد ، وعدم تكرار الإسناد (١).

وأبو حنيفة مع محصوله الواسع فى الحديث كان يتزود أيضا بالاطلاع على باقى الأحاديث من رواية أصحابه الأجلاء ، قال صاحب كتاب تأنيب الخطيب ص ١٥٢ متحدثا عن أبى حنيفة :

وإنما كان عنده صناديق من الحديث انتقى منها نحو أربعة آلاف حديث ، نصفه عن حماد بن أبى سليمان شيخه الخاص الذى به تخرج ، ونصفه الآخر من باقى شيوخه ، وكان يكتفى فيما سوى ذلك بالاطلاع على باقى الأحاديث من رواية أصحابه البارعين فى شتى العلوم أركان المجمع الفقهى الذى كان يرأسه هو ، وتبحث فيه المسائل من كل ناحية ، ثم تثبت فى الديوان .

(١) انظر تاريخ التشريع للشيخ السبكى وآخرين ص ٢٤٢، ٢٤٣

قال ابن أبي العوام : حدثني محمد ابن أحمد بن حماد ، قال أخبرني محمد ابن شجاع ، قال:

سمعت ابن أبي مالك يقول عن أبي يوسف قال : كان أبو حنيفة إذا وردت عليه المسألة قال : ماعندكم فيها من الآثار فإذا روينا الآثار وذكرنا ، وذكر هو ماعنده نظر ، فإن كانت الآثار في أحد القولين أكثر أخذ بالأكثر ، فإذا تقاربت وتكافأت نظر فاختار، اه .

٢ — وأما القول بأنه كان يقدم العمل بالقياس على العمل بالسنة فهذا قول غير صحيح أيضا بدليل ما نقل في منهج اجتهاده رضي الله عنه من تقديمه العمل بالسنة على العمل بالقياس، وأزيد من هذا أنه يقدم الأخذ بقول الصحابي على القياس ، ويدل أيضا على تقديمه للحديث متى اطمأن إلى ثبوته ما ذكرناه عن ابن القيم آنفا ، وما رواه ابن أبي العوام من سؤال أبي حنيفة عن الآثار لإثبات الحكم بها .

وغاية الأمر أنه احتاط في قبول خبر الواحد فوضع لقبوله شروطا حتى يأمن على دين الله من أولئك المنحرفين الذين أكثروا من وضع الحديث ـ كما قلنا ـ فهو لم يرد خبر الواحد بالهوى ، وإنما عن اجتهاد دفعه إليه الاحتياط للسنة ، والحفاظ على شريعة الله .

قال الحافظ محمد بن يوسف الصالحي في التعليق على هذه الشروط :

فبمقتضى هذه القواعد ترك الإمام أبو حنيفة رحمه الله العمل بأحاديث كثيرة من الآحاد ، وأبى الله سبحانه وتعالى إلا عصمته مما قال فيه أعداؤه وتنزيهه عما نسبوه إليه ، والحق أنه لم يخالف الأحاديث عناداً ، بل خالفها اجتهاداً لحجج واضحة ، ودلائل صالحة ، وله بتقدير الخطأ أجر ، وبتقدير الإصابة أجران ، والطاعنون عليه إما حساد أو جهال بمواقع الاجتهاد . اه

منشاوي عثمان عبود

من الأصول السياسية والدستورية فى الإسلام :

البيعة

للدكتور مصطفى كمال وصفى

— ٢ —

البيعة : تعريفها ، وطبيعتها ، وخصائصها :

والبيعة مشتقة من البيع ، وهو العقد المعروف . ولكنها ليست مثله فى خصائصه بطبيعة الحال ، فهى ليست معاوضة مالية يتبادل فيه المتبايعان مالا بثمن ، وإنما اشتقت منه على وجه الكناية والمجاز ؛ لأن البيع أصل العقود وأساسها .

وإنما هذا العقد ، هو عهد يعطيه المسلم على نفسه بالطاعة والنصرة لآخر ليقوم بولاية الإمامة الكبرى على المسلمين .

فالبيعة عقد ، ولكن فى طرفيه ومحله تفصيل .

معنى العقد :

فالبيعة عقد بالمعنى الشرعى المفهوم ، والعقد فى الشريعة الإسلامية ينصرف بمعناه الخاص إلى الصيغة ، أى الايجاب والقبول الذى ينعقد بها إن كان ثمة قبول وبمعناه العام إلى مطلق العهد والرباط ، سواء كان عهدا بين إنسان وآخر أو عهدا يقطعه العبد على نفسه لربه ، لقوله تعالى « أوفوا بالعقود » أى العهود بأنواعها ، فدخل فى ذلك عقد الإسلام والإيمان ، وعقد الذمة ، والنذر وكل ما يقطعه الإنسان على نفسه ، والعقد فى الإسلام التزام أمام الله أصلا ثم أمام العاقد الآخر تبعا ، فإن التزامه الأصلى لله ، إذ المتعاقد يكاد يتعاقد مع الله أولا ثم يلتزم تبعا بالتنفيذ أمام الطرف الآخر . وتكاد الأصول تعتبر الإنسان متعاقدا مع الله فى عقوده وعهوده ولو أن المعاملات تتم بطبيعة الحال بين عاقدين من الناس . ولا يتيسر القول من الناحية الشرعية البحتة أن الله سبحانه وتعالى طرف فى العقد على الرغم من أن القرآن قد وصفه سبحانه وتعالى بما يوصف به

الطارف فى العقد كقوله تعالى : « وقد جعلتم الله عليكم كفيلا » ، وقوله : « إن الذين يبايعونك إنمـا يبايعون الله » ، ووصفه أحياناً بأنه وكيل . وعلى الرغم من أن العقود لها حكمان :

أحدهما الظـاهر : وهو أثره بين المتعاقدين .

والآخر تعبدى : وهو ما يجرى من وصفه من التحريم أو التجويز وما يدور بينهما .

وهذا المعنى التعبدى نجده ظاهرا أشد الظهور فى القربات والعهود التعبـدية ، ثم فى المعاملات والعقود غـير المالية ، فإنه أوضح فيها وأظهر منه فى المعاملات المالية ، لكنه لا ينـدثر فى المعاملات المالية البحتة ، الأمر الذى يجعل للعقيدة اعتبارا خاصاً فى العلاقات الإسلامية ، ويجعل قصد وجه الله تعـالى والالتزام بأوامره ونواهيه سبباعاما تتقيد به جميع تصرفات الإنسان فى الإسلام .

ولمـا كانت البيعـة تصرفا غير مالى ، فإن النظـر إلى تحقيق مصـالح المسلمين تكون له مكانة بارزة بحيث تعتبر السبب الحقيقى والوحيد للتعاقد .

روى الإمام البخـارى ـ رضى الله عنه ـ عن أبى هريرة أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم) منهم (رجل بايع إماما لا يبايعه إلا لدنيا) ، (صحيح البخـارى نسخة الشعب ١ - ١٤٥ و ٩ - ٩٨ ، وبالمفسر يكون ٢١٩١ و ٦٧٠٨) .

وهذا العهـد لا يوصف فى القانون الحديث بأنه عقـد بمعناه الضيق ، لأن العقود فى القانون إنما هى العقود المالية بصفة خاصـة ، وأما الارتباطات غير المالية وخاصـة المتعلقة بإنشاء أوضـاع نظاميـة أو الانضمام إلى وضع قائم ، أو استعمال حرية سياسية فإنها لا تعتبر من العقود، فلا يصح فى القانون أن نقول: تعتبر المبايعة عقدا من العقود ، لأنها إما إنشاء لوضع تنظيمى هو إقامة الخليفة أو الانضمام إلى وضع قائم إذا كان الخليفة قد عين فعـلا فينضم المبايع لمؤيديه ، كما أنها استعمال لحق سياسى خارج عن دائرة التعامل فلا يوصف بأنه من العقود.

طرفا البيعة وصفتهما :

ومن العسير أن نقول : إن البيعة هى

المبايع والمبايع له بصفتهما الشخصية ، بل بصفتهما العامة ، أو التنظيمية ، أو الوظيفية .

فإن لكل طرفين يتعاقدان حقيقة دون أن يذكرا هذه الصفة النظامية ، ولكن هذا الأمر مفهوم من طبيعة العلاقة .

فالإمام - بطبيعة الحال - يتعاقد بصفته مرشحاً لرياسة الجماعة أو رئيساً لها فهو عقد تنظيمي بحت يؤدى إلى تعيين الإمام وإخضاعه للأحكام الشرعية المتعلقة باختصاصات الإمام ووظائفه وواجباته وإكسابه المزايا التى يقتضيها الشرع من أن يطيعه المبايع وينصره وأن يكون له نفقة من الخزانة العامة - بيت المال - وغير ذلك مما يجب له .

والفرد يتعاقد أيضاً بصفته العامة وباعتباره عضواً فى الجماعة وفرداً من الأمة يستعمل حقه السياسى العام .

فهو هنا يؤدى وظيفة من وظائف عضويته الاجتماعية وباعتباره جزءاً من المجتمع يدلى بصوته فى اختيار الإمام وقيمة هذا الصوت وتحديد مقدار هذا الجزء الذى يتعاقد مع الإمام ، يتوقف على مكانة هذا العضو فى المجتمع ، وعدد من يدينون برأيه ويولونه ثقته . وكما قدمنا أن الحياة الإسلامية هى حياة نظامية بحتة . فإنه يتشكل الناس فى الجماعة الإسلامية فى صورة وحدات شعبية هى المساجد ، يبرز فيها ناس من ذوى الإيمان والكفاية يوليهم الناس ثقتهم ويفوضون إليهم الرأى فى مسائلهم ومشاكلهم ، ثم إن هؤلاء الناس المختارين يتدرجون صعوداً مع تدرج هذه الوحدات النظامية فبعد أن يبرز الواحد منهم فى مسجد القرية أو الحى ، نرى بعض هؤلاء يبرزون فى جامع المدينة أو المصر . ثم يبرز بعضهم عند تمثيل الإقليم مثلا فى الحج أو فى عاصمة البلاد وفى صحبة الإمام الأعظم ووزرائه وأمرائه .

وبذلك ، فإن المبايع إن كان من هؤلاء الناس ، الذين نسميهم أهل الحل والعقد أو أهل الاختيار ، لأن الناس قد عهدوا إليهم بثقتهم واختاروهم ليحلوا فى أمورهم ويربطوا ، فإن بيعته تكون بيعة لذلك الجزء أو القطاع من المسلمين الذين أولوه هذه الثقة .

وإن كان من ذوى المكانة فى المصر

أو الإقليم العظيم أو عند المسلمين كافة ، صح أن تكون بيعته عن هذا الجزء أو هذا الكل الذى يثق فيه ويوكل إليه أمره .

والمفروض أن يستطلع من يلوذون به فعن ابن عباس أنه قال: قال عمر بن الخطاب: « من بايع رجلا من غير مشورة المسلمين فلا يبايع هو ولا الذى بايعه تعزة أن يقتلا » ، وتعزة أى خشية أن يلقيهم ذلك فى الضرر وهو المخاطرة ، يعنى إنه إذا بايع دون مشورة أحد فإن ذلك يغضب المسلمين ، وربما أدى غضبهم إلى الثورة عليه وعلى من بايعه فيعتدون عليهما مما يؤدى إلى قتلهما ، لا يقول: إن قتلهما مشروع ، ولكن استفزاز الناس بذلك قد يخرجهم من طورهم فلا يضبطون مشاعرهم وتقع الفتنة بقتلهما .

ومناسبة هذا الحديث أن ناسا قالوا فى موسم الحج : لو مات عمر بايعنا فلانا فأتى عبد الرحمن بن عوف إلى عمر فأخبره بذلك فغضب وقال : « إنى قائم العشية بين الناس فمحذرهم هؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم أمورهم أى يحملونهم على الأمور غصبا وبدون رضاهم ، فقال عبد الرحمن : يا أمير المؤمنين لا تفعل ، فإن الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم ، فإنهم هم الذين يغلبون على قربك حين تقوم فى الناس وأنا أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطيرها (أو يضربها) عنك كل مطير وأن لا يعوها ولا يضعوها مع مواضعها ، فأمهل حتى تقدم المدينة فإنها دار الهجرة والسنة فتخلص بأهل الفقه وأشراف الناس فتقول ما قلت فيعى أهل العلم مقالتك ويضعونها مواضعها ، فقال عمر : أما والله إن شاء الله لأقومن بذلك أول مقام أقومه بالمدينة ، قال ابن عباس : فقدمنا المدينة فى عقب ذى الحجة ، فلما كان يوم الجمعة ، جلس عمر على المنبر ، وقال : أما بعد؛ فإنى قائل لكم مقالة قد قدر لى أن أقولها ، لا أدرى لعلها بين يدى أجلى ، فمن عقلها ووعاها فليحدث بها حيث انتهت به راحلته ومن خشى أن لا يعقلها فلا أحل لأحد أن يكذب على الله ، إن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق وأنزل عليه الكتاب (يعنى فاتبعناه) ثم إن رسول صلى الله عليه وسلم ، قال لا تطرونى كما أطرى عيسى بن مريم ، وقولوا عبد الله

ورسوله ، ثم إنه بلغني أن قائلا منكم يقول : والله لومات عمر بايعت فلانا ، فلا يغترن امرؤ : أن يقول : إنما كانت بيعة أبي بكر فلتة (أي فجأة وبدون مشورة من الناس) وتمت ألا أنها كانت كذلك (أي فتنه) ولكن الله وقى (أي دفع) شرها ، وليس منكم من تقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر (أي ليس منكم من هو على فضله حتى يبايع بلا مشورة) من بايع رجلا عن غير مشورة المسلمين فلا يبايع (أي لا تقع بيعته وتكون باطلة) ولا الذى بايعه (أي ينتصب بها ولا يتولى نتيجة لها) ، تعزة أن يقتلا رواه البخاري في كتاب المحاربين وأهل الكفر (بخاري الشعب ٩ - ٢٠٩ و ٢١٠ ويكون برقم ٦٣٦٤ - بالبخاري المفسر) .

وإن كان المبايع من آحاد الناس الذين لا كلمة لهم ، فانه لا يبايع إلا لنفسه أو ربما بايع عن نفسه وأهله ، وقد رأينا أن ابن عمر لما بايع عبد الملك بايعه عن نفسه وبنيه ، وذلك أن عبد الله بن عمر كان قد اعتزل الناس في الفتنة ووقف على الحياد بين علي ومعاوية ، فربما لذلك كانت بيعته لنفسه وأهله .

وبذلك فإن المبايع إنما يبايع عن نفسه وعن الجماعة قلت أو كثرت على قدر مكانته إلا أن ذلك خوف الناس من نتيجة المبايعة ، فإن الظلمة إنما يغتصبون بادعاء اسم الشعب وإنهم يعبرون عنه ولا يقول أحد منهم إن الشعب لا يؤيده ، ولقد استند الخلفاء بعد ذلك إلى هذا الأصل فكان أحدهم يبايع ابنه وحده ويعهد إليه ليستخلفه فقلبوها ملكا وراثيا ، ولذلك فإن الأصل في المبايع أنه من أهل الاختيار أو أهل الحل والعقد ، ولكن هل يشترط أن يكون من أهل الحل والعقد ، أم أنه إذا لم يكن منهم فإن بيعته في هذه الحالة تكون عن نفسه وعمن رأيهم ملكه ، وذلك يجرنا إلى الكلام على صفات المبايع وبيعة أهل الحل والعقد وبيعة غمار الناس وهل تتكون بها بيعة ؟ ونعقب عليه بآراء بعض أهل الفكر الحديث في ذلك ؟

مصطفى كمال وصفي

من شعراء الأزهر :

نظراتٌ في شعر أحمد الزين

للدكتور محمد رجب البيومى

— ١ —

كان الأستاذ أحمد الزين ناقداً أديباً مرموق المكانة فى عصره ، وقد شهدت صفحات الأهرام نماذج حية من فصوله الرائعة التى كانت تصدر تحت عنوان (النقد والمثال) ثم انتقلت إلى صفحات الرسالة فكشفت عن أصالة وافتنان ، وأذكر أن نفراً من الشعراء قد ضاق بها ، فنهض الدكتور أحمد زكى أبو شادى لمعارضتها ؛ إذ رأى من نظراتها مايخالف مذهبه الشعرى . وليس يهمنا أن نتعرض الآن لوجوه المخالفة بين الشاعرين ، ولكننا نقرر أن الرجل كان ذا رأى نقدى مسموع ، وكان يرى فى الصياغة الفنية موضعاً للتفوق البيانى ، حاملا على ما يلحظه فى شعر الشباب من ركاكة وتهافت ، ولم يفته أن يزن الفكرة وزنا صائباً ، فيحفظ لها مكانتها ، ناعياً على من يسوقون أفكارهم فى نسق منطقى لاتشعله العاطفة ، أو يوشيه الخيال ، ومن الخير لدارس الزين أن يرجع إلى السنة الثالثة من مجلة (الرسالة) ليرى تفصيل آرائه النقدية موضحة بالشاهد ومدعمة بالدليل .

ولست فى هذا المقال أتجه إلى مقالات الزين النقدية ، ولكنى أشير إليها ، لأمضى فى الحديث عن شعره النقدى ، لأن اهتمام الزين بالشعر المعاصر لم يقتصر على صفحات النقد وندوات الأدب ، بل تغلغل إلى قصائد ديوانه ، إذ جعل من أبياتها ترجمانا لآرائه النقدية ، فوجه الأذهان إلى نمط من النقد الشعرى ، له تأثيره الحى ، وصداه المجلجل ، وسيرى القارىء أن الشاعر لم يسق آراءه النقدية مساقا علميا ، فيثقل وقعها على السامع والقارىء ولكنه طار فى آفاق الفن بأجنحة قوية ، فصدر عن عاطفة متوهجة وحكم عن رأى أصيل .

وقف الشاعر فى ذكرى حافظ مع نفر

من زملائه الشعراء فى مهرجان تعددت حلقاته ، فلم ينح نحو الأكثرية من الناظمين؛إذ يقصر خواطره على الحسرة والترحم ؛ بل تعرض إلى نقد ما يصدره بعض المجددين من دواوين تهتم بجمال الطبع ، ونصوع الورق ، وصورة الغلاف ، وخداع العنوان ، ثم يزعم أصحابها أن الطبيعة مصدر إلهامهم فيتحدثون عن نهر بلا ماء ، وزهر بلا عطر ، وشمس بلا ضوء وطير بلا شدو ، وحب بلا إخلاص ،فهم كما قال الزين :

هم جدرى الشاعر آذوا جماله
بما ألصقوا فى حسنه من معايب
عناوين كالألغاز حيرت النهى
وما تحتها معنى يلذ لطالب
دواوين حسن الطبع موه قبحها (١)
وهل يخدع النقاد تعش الخرائب
وكم دافعوا عن مذهب العجز جهدهم
فما غسلوا أسواء تلك المذاهب
وكم ملئوا بالزهر والنهر شعرهم
بلا طيب مستاف ولا رى شارب
وكم يذكرون الأيك والطير صدحا
عليها فلم نسمع سوى صوت ناعب
وكم لهجوا بالشمس حتى تبرمت
بهم وتمنت محوها فى الغياهب
وكم أقلقوا بدر الدجى فى سكونه
وكم أغرقوا سماعهم بالسحائب
وكم هاتف بالخلد منهم وشعره
توفى سقطا قبل عقد العصائب
وشاك كواه الحب أطفأ جمره
بشعر كبرد الثلج جم المثالب
إذا ما احتفى بعض ببعض فإنهم
نواضب علم تحتفى بنواضب
أكل متاع كاسد عند غيركم
يروج لديكم يا بلاد العجائب
وكل أخى زين نفاه سواكم
يرى فيه من أخياركم ألف راغب
لقد راج دجل الشعر عند رجالكم
كما راج دجل السحر عند الكواعب

وقد صادفت هذه الأبيات ترحيب السامعين ، لتهكمها الظريف ، وخفتها المرحة ، مع ما تحمله من صائب النقد ، وصادق التوجيه ، إذا أنها كشفت زيف الأدعياء بما أحكمته من تصوير ، وقررته من معان ، ولسنا نظن الزين يعنى بشعره كل مجدد ناهض ، فللصادقين من ذوى

---

(١) فى ديوان الزين « دواوين حسن الطبع قوة قبحها » ، وهو تطبيع ظاهر .

التجديد الهادف مكانهم لدى كل ناقد ، مهما خالف اتجاههم ، وصدر عن غير وجهتهم، ولكنه يعنى نفراً حسبوا الشعر زهوراً وطيوراً وبدوراً فصدروا عن تلفيق زائف ، لا يشف عن حب للطبيعة ، قدر ما يشف عن خداع العواطف وتلفيق الأحاسيس ، وهؤلاء هم موضع النقد من المجددين والمحافظين على السواء .

على أن (الزين) فى نقده الشعرى أبلغ صدى منه فى نقده النثرى ، لأن قارىء مقالاته النقدية يقرؤها بعقله وحده فيزنها بميزان دقيق ، وقد يتصدى لخلافه حين تتاح أوجه الخلاف فينحرف عنه فى بعض ما يدعو إليه ، ولكن قارىء شعره الناقد يقرؤه بعقله وعاطفته معا ، فيستريح إلى ما فيه من تهكم ، ويهش لموضع الطرافة فيه مهما صدر عن مبالغة ، ويستعيد الأبيات حريصا على مذاقها الفنى وبريقها الأدبى دون جنوح إلى تغلغل فى استقصاء أو دقة فى تطبيق ، لذلك حرص (الزين) دائما فى أكثر مراثيه لزملائه على التهكم بمن يخالفون مذهبهم الأدبى تهكما يجد صداه الرنان ، فهو - مثلا - فى رثاء عبد المطلب يبارك ديباجته القوية ، ويؤيد دفاعه الصادق عن التراث القديم منتقلا إلى أدعياء التجديد ممن يبغون الهدم ويعجزون عن البناء من كل ألكن يهيم بأدب أوربا دون أن يقرأه ، ويجحد تراث العرب دون أن يراه :

جيش تجمع يبغى الهدم معتزما
فإن طلبت بناء لم تجد أحدا
من كل ألكن معقود اللسان رأى
أن يستر الجهل بالإزراء فانتقدا
يهيم بالغرب لم يقرأ له أدبا
ويجحد العرب لا يدرى الذى جحدا
وكل ما عنده كتب يعددها
لم يدر مما حوت غيا ولا رشدا
وقصة لم يزد عن علم أولها
وطار يملأ إعجابا بها البلدا
مقلدون سروا فى ليل جهلهم
تهوى الفيافى بهم سعيا لغير مدى
ومن أضاع تراثا من أبوته
لم يستفد من سواهم قدر ما فقدا

وقد يقال عن هذا الشعر خواطر نقدية لا تبلغ مبلغ الرأى المدعم، والحجة القاطعة ، ونحن لا ننكر ذلك فى شىء، ولكننا نشير إلى ضرب من النقد الشعرى يعتمد على الإثارة العاطفية فيبلغ بها

ما يريد من التوجيه الدافع إلى البحث الهادف إلى النظر ، وحسب الشاعر الناقد أن بسط قضية للنظر ؛ وفتح عينا للرؤية ؛ ولا عليه بعد ذلك .

ولقد كان الزين منذ صباه الأدبى يميل إلى هذه الأحكام الشعرية ميلا قوياً ، فقد نظم فى مفتتح حياته الأدبية أثناء الحرب العالمية الأولى قصيدة نقدية يضع فيها شعراء عصره فى ميزان تقديره ، فكانت - فيما أرى - أول قصيدة فى الأدب العربى تزن الشعراء بميزان النقد ، وطبيعى أن يكتفى (الزين) فى نقده الشعرى ، باللمح الدائر والإشارة الموجزة ؛ إذ لو استرسل بالحديث إلى غايته لانقلب الشعر إلى نظم موزون .

ومقدمة القصيدة توحى باتجاه الشاعر ، فهو اتجاه سانى مقلد ، يبتدىء بالغزل والصبابة ، ويتحدث عن المنازل والديار مستسقيا لها الغيث ، ولو وقف الناقد الشاعر عند ذلك ما كان لقصيدته الآن وزنها الفنى ، ولكنه مهد بهذه الديباجة إلى نقد زملائه المعاصرين ، ونحن نشير إلى ذلك لنعلن أن القصيدة قيلت فى زمن بعيد يرجع إلى شباب الشاعر الأول حيث كان من التقليد أقرب منه إلى ما عرف عنه أخيرا من التجديد فى المعانى والغوص عليها ، وذلك ما يتضح فى نظراته للشعراء .

لقد مجد (شوقى) وجعله خير شاعر ، ولكنه أشار إلى ما يرى من قصوره حين قال :

وإن معانيه تطول وتعتلى
ويا رب لفظ فى البلاغة يقصر
كروح بلا جسم وحسناء ألبست
مع الحسن ثوبا ليس بالحسن يجدر

وهذا النقد غريب إذا نظرنا إلى شعر شوقى الأخير ، ولكن (الزين) أنشد قصيدته وشوقى فى منفاه بالأندلس يتدارس دواوين الفحول ليرجع وقد ملك ناصيتى اللفظ والمعنى معا .

أما حافظ إبراهيم فإنه عند الزين :

متين القوافى يدرك الفهم لفظها
ولو لم تكن فى آخر البيت تذكر
سوى أنه يحشو ويستر حشوه
بلفظ كصنو الخمر رياه تسكر

وهذا عين الحق فى حافظ ؛ إذ كان أكثر اهتمامه باللفظ وحده سبكا وصقلا وتجويدا وقد حاباه الزين حين قال :

يصور معناه فتحسب أنه
لتلك المعانى شاعر ومصور

لأن المعنى لدى حافظ لم يكن كما بالغ الزين ، ولو ذهب بهذا البيت إلى خليل مطران لكان جديراً به، ولكن الزين قد اهتضم شاعر الأقطار العربية حين قال عنه.

ألا أبلغا مطران أن بيانه
خفى ومعناه عن اللفظ أكبر
ويوجز فى الألفاظ حتى تظنه
على غير عى بالبلاغة يحصر

إذ أن بيان مطران ليس بالخفى الغامض ولم يشبه الحصر فى قليل أو كثير ، ولكنه شاعر يثب فى قوة إلى التجديد ، فيأتى فى معانيه بغير المألوف المكرر ، والزين يظن ذلك خفاء وحصرا ، وما هو إلا السبق كل السبق ، وشعراء التجديد آنذاك متهمون جميعا لديه فعبد الرحمن شكرى مثلا قد قال عنه :

ولا تشكرا شكرى على حسن شعره
فذلك شعر بالبلاغة يكفر
فلست أرى فى شعره ما يروقنى
ولكن عناوين القصيد تغرر

ولو كانت عناوين القصيد هى التى تغرر وحدها فى شعر شكرى ما حظى بتقدير المثقفين وما عد رائداً كبيراً من رواد الشعر الحديث ، ولكن الزين وهو شاعر راوية يشيح عن كل ما يظنه مخالفاً لجودة السبك وقوة الحبك ، ومع ذلك فجل أشعار شكرى ذات سبك جيد ولكنها تبتعد فى معانيها ومنهجها عن المحفوظ لدى الزين فشالت كفة الرجل عنده .

وقد أنصف العقاد بعض الشيء بالقياس إلى شكرى حين قال عنه :

ألا أبلغا العقاد تعقيد لفظه
ومعناه مثل النبت ذاو ومثمر
يحاول شعر الغرب لكن يفوته
ويبغى قصيد العرب لكن يقصر

أقول لقد أنصف العقاد لأنه جعل من معانيه ما يثمر ، وهو قول لم يحظ به شكرى على تقارب الشاعرين فى الاتجاه وكلاهما محفوظ المكانة لدى الناقدين .

والزين يتعاطف مع الشعراء السلفيين من أمثال عبد المطلب والكاظمى وزناتى والجارم ومهدى خليل ، وله دقة بالغة حين يتحدث عنهم حديث المشخص المحلل ، الملتفت إلى وجوه الاختلاف والاتفاق، فإذا قال عن عبد المطلب مثلا :

ومطلب فى شعره ذو بداوة
ولكنه فى بعضه يتحضر
ويغرب فى ألفاظه ولعله
يريد بها إحياء ما كاد يقبر
فلو كان للأشعار فى مصر كعبة
لكان على أشعارها منه أسطر

فإنه يذكر له ميله إلى التحضر فى بعض أشعاره ، وهذا ما يفتقده شعر الكاظمى فى رأى الزين حين قال عنه :

ويشبهه فى لفظه الفخم كاظم
سوى أنه من رقة المدن يصغر
تراه بصحراء العذيب وبارق
مقيما فلا يمضى ولا يتأخر
فأشعاره ثوب من القز نسجه
وليس لهذا الثوب من يتدثر

والحق أن كلا الشاعرين من معدن واحد ، فللكاظمى بداوة عبد المطلب وبعض تحضره معا ، ولو اقتصر على العذيب وبارق ما ترددت فى الوطن العربى قصائده السياسية ومراثيه القوية . أما إذا قصد الزين منحى الصياغة وحدها فعبد المطلب من صاحبه قريب قريب ، وكان عثمان زنانى الشاعر المجهول فى هذا العهد ، المعروف المشتهر فى زمنه ، وقد خصه الزين بقوله :

ولا تنسيا عثمان إن قريضه
يعيد لنا عهد البداء ويذكر
يؤرقه برق الغضا ويشوقه
نسيم على أزهار (توضح) يخطر
فذاك امرؤ أهدته أيام وائل
لأيامنا فالعصر للعصر يشكر

وقد كان الزين دقيقاً حين حكم على مقطوعات صبرى بالرقة والسحر ! وهو بذلك لا يتكلم عن مطولاته التى لا تلحق بالمقطوعات فى شىء ، كما كان منصفاً كل الإنصاف حين ذكر للسيد حسن القاياتى عفة نسيبه ، وقوة معناه مع رقة فى الصوغ لولا تكلف قليل يخفى بعض معانيه ، ولكنه ارتفع بأحمد الكاشف فوق قدره حين قال عنه :

وللكاشف المعنى الذى خطراته
صعاب على من رامها تتعذر
يميزه عمن سواه اعتماده
على نفسه كالبحر بالماء يزخر
يفيض على قرطاسه وحى فكره
سوى أنه يكبو قليلا ويعثر

فتلك معـــانيه وأما بيـــانه

فلا عيب فيـــه غير يبس ينفر

ونحن لا نبخس الكاشف حين نقول: إن معانيه ليست صعابا على من رامها كما يظن الزين، وإن صدق الشاعر فى قوله عنه :

يميزه عمن سواه اعتماده

على نفسه كالبحر بالماء يزخر

فقد كان الكاشف شاعرا سابقا ولكن إلى حد ، وكان يجرى مع أحمد محرم فى ابتدائهما الشعرى على سنن واحد، ومحرم هو الذى يقول فيه الزين :

ومعناه لا عال ولا هو ساقط

وبكر معانيه قليل مبعثر

فإذا امتاز الكاشف ببعض الجودة فى أغراضه فلن يبلغ من الصوغ مبلغ محرم ، وهذا ما يوضح وجه الخلاف فى منزع الشاعرين ، وهو خلاف تجد منه عوامل اتفاق متشابهات .

ولم يجد الزين عند الجارم ما يعيبه ، فنسيبه رائع ومعانيه جديدة ! وما كان الجارم ذا جدة فى المعانى كما يظن الزين ، أما محمد الهراوى، فقد صدق الزين وصفه حين قال عنه :

معانيه لا ترضى الحجاب عن النهى

يرنحهـا فيه الجمال فتظهر

ولا عيب فيه غير أن خيـاله

يقل إذا أهل التخيل أكثروا

وكذلك قد صدق القول فى بساطة حفنى ناصف وولوعه بالبديع وظرفه وفكاهته وقلة ابتكاره المعانى :

وإن له ظرفاً وحسن فكاهة

يكاد لها ذاوى الأقاح يزور

ومحمود عماد المجدد خفيف القوافى جيد المعـانى ، ومحمود رمزى أمير الموشحات فى رأى الزين ، وهكذا صار الزين ناقدا فى شعره يكتفى باللمح عن الإفاضة ويؤثر الإشارة على الإسهاب ولن يصاغ النقد الشعرى على غير هذا المنوال ! (له بقية)

د . محمد رجب البيومى

علو الهمة في حياة المسلمين

للأستاذ معوض عوض ابراهيم

كانت حياة المسلمين حول نبيهم صلوات الله عليه وبعد أن آثر الرفيق الأعلى ، مثالا فريداً لعلو الهمة وشرف القصد ، كما أرادهم الله ، وتعهدهم رسوله ، منذ قال صلوات الله عليه : « تخلقوا بأخلاق الله » .

ولقد سمع النبى صلى الله عليه وسلم أحد صحابته ينشد :

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا
وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فأعجب رسول الله ما قال صاحبه ، وسأله : فأين المظهر ؟ قال : الجنة يا رسول الله ، فقال صلى الله عليه وسلم : الجنة إن شاء الله .

والجنة عطاء كبير لا ينال بغير البذل والفداء ، اللذين يسخو فيهما المؤمنون بكرائم الأموال وغوالى الأنفس ، حين يتعينان ثمناً لبقاء العقيدة ، وأمن الوطن ، وسلامة المقدسات ونماء الحرية ، وصيانة العرض والشرف ، وهى أنفس ما يحرص عليه الكرام فى هذه الحياة ، لأنها وجه الحياة المشرق ، وهى حقيقتها التى لا تكون الحياة بدونها شيئا يؤبه به ، وعنها قبل سواها يسأل الله عباده ويحاسبهم يوم لا ملك إلا ملكه ، ولا سلطان إلا سلطانه قال تعالى : « يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار . اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب » .

أجل .. إن المؤمن يضع فى اعتباره الأول أن تسلم له عقيدته ويكمل دينه ، ويصح عرضه ، ويأمن حماه ، وتطمئن نفسه على حرماته ومقدساته ، ومقدسات استحفظها الإسلام أهله فى قوله تعالى : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا » ..

يرعى المؤمن ذلك كله حق رعايته ، ويخاصم فيه من أنكر عليه منها قيد شعرة ، ولا يساوم فى أيسر حظوظها ، وفيه نفس يتردد وقلب ينبض ، وعين تطرف ، ويد تستطيع أن تدفع فى صدر

عدوها ، ويرتفع حقها فى الإيثـــار والافتداء على حق الآباء والأبناء ، قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمـان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون . قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين » .

قال الإمام الزمخشرى فى تفسيره : « هذه آية شديدة لا نرى أشد منها ، كأنها تنعى على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين ، واضطراب حبل اليقين ، فلينصف أورع الناس وأتقاهم من نفسه ، هل يجد من التغلب فى ذات الله ، والثبات على دين الله ما يستحب له دينه على الآباء والأبناء والإخوان والعشائر والمـال والمساكن وجميع حظوظ الدنيا ، ويتجرد منها لأجله ؟ أم يزوى الله عنه أحقر شىء منها لمصلحته ، فلا يدرى أى طرفيه أطول ؟ ويغويه الشيطان من أجل حظ من حظوظ الدين فلا يبالى ، كأنما وقع على أنفه ذباب فطيره » ؟!!

ويوم أصر الجراح أبو الصحابى الجليل أبى عبيدة عامر بن الجراح ، أن يباهى وهو فى صفوف المشركين بآلهة قريش ، ويرفع بذكرها صوته ، وحرص على أن يقتل ابنه الذى سبق إلى الإسلام وكان أبو عبيدة رضوان الله عليه ينحرف عن ضربات أبيه فتطيش ، جاشت بعامر عقيدته ، وربمـا إيمانه ، ورجح على ما يأمر الإيمـان من بر للوالدين وإحسان ، فاخترط بضربة مؤمنة رأس أبيه فأرداه قتيلا ، وساقه بشركه إلى النار ، وأثنى الله بذلك عليه ، فقال « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون » .

ولقد قال أحد أبناء أبى بكر : له « لقد أهدفت لى فى بدر فلم أقتلك ، فقال : أبو بكر والله لو أهدفت لى يومئذ لقتلتك فى الله » .

وهو رضوان الله عليه الذى وكز أباه فى صدره عند ما سب أبو قحافة النبي صلوات الله عليه، وقال له رسول الله: يا أبا بكر إن عاد أبوك إلى سبى فلا تؤذه فقال رضوان الله عليه: « والله يارسول الله لو كان سيفى إلى جانبى لقتلته » !

قال الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى فى كتابه «الإسلام الصحيح» جـ١ ص٤٧:

« إن صاحب العقيدة لا يلوى فى الدنيا إلا على عقيدته، ولا يعرج إلا عليها، ولا يحفل إلا بها، عدوه من ناوأها، وإن كان أقرب الأقربين، وصفيه منتحلها، وإن كان أجنبياً من أجنبيين » .

وفى كامل أبى العباس المبرد : « قال معاوية بن أبى سفيان لأبى حوثرة : اكفنى أمر ابنك، فصار إليه أبوه، فدعاه إلى الرجوع فأبى، فأداره فصمم. فقال : يا بنى أجيئك بابنك، فلعلك تراه فتحن إليه !

فقال : يا أبت إنى إلى طعنة نافذة اتقلب فيها على كعوب الرمح أشوق منى إلى ابنى !! » فرجع أبو حوثرة إلى معاوية فأخبره فقال يا أبا حوثرة : عتا هذا جداً !! .. وما هو .. وأيم الله .. بالعتو، ولكنها العقيدة والوفاء لعلى رضى الله عنه، يرجح بها الميزان أمام عاطفتى الأبوة والبنوة معاً فى هذا المثال، وما أكثر أمثاله فى سير الرجال ..

وفى تاريخ الذهبى : أن صلة بن أشيم قال لابنه فى إحدى المغازى : تقدم فقاتل حتى احتسبك .. فلما استجاب الابن لوصاة أبيه، ركض صلة إلى الحومة فقاتل قتال الأبطال حتى لحق بابنه .

« مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا » .

.. وابتدرت النسوة يعزين الأم والزوج معاذة العدوية فأرتهن من علو همتها نسقا ترتفع بها إلى صف نسيبة بنت كعب الأنصارية أم حبيب وعبد الله يوم أحد ويوم اليمامة، وأسماء بنت أبى بكر وهى تحرض ابنها على مواصلة القتال حتى يموت على ما مات عليه أصحابه غير مالق بالا لما يحتسب من صنيع عدوه بجثته بعد موته، وقالت لابنها عبد الله بن الزبير : « إن الشاة لا يضرها سلخها بعد ذبحها » .

.. وكأنى بمعاذة العدوية وهى تخاطب المعزيات فتقول : « إن كنتن قد جئتن لتهنئتى فمرحبا بكن، وإن كنتن قد جئتن لتعزيتى فارجعن ولا كرامة » .

كأنى بها ترى من وراء سدف الغيب نساء يشق عليهن أن ينخرط فى سلك الجندية ابن أو زوج أو قريب ، فتؤكد لهن إلى آخر الزمان أن العقيدة لا تصان بالأمانى وأن صرح الوطن لا يعلو ، ولا ترسخ جذور المبادىء إلا بالتضحية والعطاء، بعيدا عن الدعاوى العريضة، والشعارات المريضة ، والكلام الصارخ الذى ينقض به أقوام عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض ..

ويجم على المؤمن - حتى فى اللحظات التى يعطى نفسه فيها بعض ما أحل الله له من لبانات وشهوات - شعور الوفاء لله، والبر لدينه، والاستجابة لدواعى الجهاد، فيدع زوجه أدنى ما كان منها ، وألصق شىء به ، كما فعل « غسيل الملائكة » حنظلة بن أبى عامر الأنصارى رضى الله عنه ، يوم أحد ، حين أعجله الخروج عن إتمام الغسل بعد إلمامه بأهله، فلما استعلى أبو سفيان - وهو زعيم المشركين يومئذ وكاد حنظلة يقتله ، نهد إليه شداد ابن الأسود ، فقتل حنظلة رضى الله عنه.

قال ابن هشام فى السيرة « فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن صاحبكم - يعنى حنظلة - لتغسله الملائكة ، فاسألوا أهله ، ما شأنه ؟ فسئلت صاحبته عنه ، فقالت : خرج وهو جنب حين سمع الهاتفة » الصيحة » .

قال ابن إسحق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك «غسلته الملائكة»

وفى رواية الاستيعاب : قال الرسول لامرأته : « ما كان شأنه ؟ فإنى أرى الملائكة تغسله ؟ قالت : كان جنباً ، وغسلت أحد شق رأسه ، فلما سمع الهيعة - الصيحة - خرج » .

إن فى اكتمال عقيدة المسلم كمال إنسانيته وتمام مروءته ، يرى عرضه وشرفه - كما قال الشاعر -

يهون علينا أن تصاب جسومنا
وتسلم أعراضٌ لنا وعقول !

فجراحات الأبدان يجد الإنسان لها الدواء بعد الدواء ، ويدرك منها العافية والشفاء ، وقد يمتحن فى بعض أطرافها ويمارس بعد ذلك أعمال الحياة ، وكأن لم يكن شىء ، على حين تستعصى سلامة العرض إذا ثلم ، ويصعب إحراز الشرف حين يتبدد ويهون ، وموت المرء بانقضاء حياته انطلاقة بالأخيار إلى ما ينعمون به

فى جوار الله ، وهو طى لصحائف كان الأشرار يمدونها كل لحظة بجديد من واردات أهوائهم وغفلاتهم .

لكن وراء هذا الموت الذى هو رحمة بمن أحسنوا ومن أساءوا ، موتا آخر يملأ ثياب الذين يدبون على الأرض ، ويخطرون فى مناكبها ، ويذكرون فى الأحياء ، من أولئك الذين عناهم من قال:

ليس من مات فاستراح بميت
إنما الميت ميت الأحياء

ومن قال :

إن المرء ميتا بانقضاء حياته
ولكن بأن يبغى عليه فيخذلا !

وما أكثر ما راودت الحياة مؤمناً بعد مؤمن عن نفسه ، وقالت : هيت لك فطرحوا ذلك كله وراء الظهور ، وجعلوه دبر الآذان مؤثرين ما عند الله لأوليائه على زخرف تنقضى لذاته وحطام ينتهى عما قليل رونقه وتبقى حسراته ، وهو ضرب من علو الهمة رفيع منيع لا يخلص إليه سحر المال ، ولا أسر الثراء ، ولا سلطان لها على الذين يؤمنون بمراد الله تعالى من قوله : « ما عندكم ينفد وما عند الله باق » .

« وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون » .

« وما عند الله خير للأبرار » .

حدث الطبرى فى تاريخه ج ٤ ص ١٦ فقال « لما هبط المسلمون المدائن وجمعوا الأقباض أقبل رجل بحق معه فدفعه إلى صاحب الأقباض ، فقال والذين معه : ما رأينا مثل هذا قط ، مايعدله ماعندنا أو يقاربه ، فقالوا : هل أخذت منه شيئا ؟ فقال : أما والله لولا الله ما أتيتكم به ، فعرفوا أن للرجل شأنا ، فقالوا : من أنت؟ فقال: لا والله لا أخبركم لتحمدونى ولا غيركم ليقرظونى ، ولكنى أحمد الله وأرضى بثوابه !! وأتبعوه رجلا حتى انتهى إلى أصحابه ، فسألوه عنه ، فإذا هو عامر بن عبد قيس !

وماذا يكون كل ما فى الدنيا من حوافز وجوائز ومكافآت إذا وزنت بجائزة الرضا عن النفس التى انتصرت على المغريات ، وأبت أن تلين لمغامز المادة وإن زكا معدنها وجاوز أرقام الحاسبين مقدارها ؟!

ولقد خطب شداد بن عمرو بن أوس فى حضرة معاوية فقال :

«إن الله عز وجل إذا أراد بالناس صلاحا ولى عليهم صلحاءهم ، وقضى بينهم فقهاءهم ، وجعل المال فى سمحائهم ، وإذا أراد بالعباد شراً ، ولى عليهم سفهاءهم ، وقضى بينهم جهلاءهم ، وجعل المال فى بخلائهم ، وإن من صلاح الولاة أن يصلح قرناؤهم . . نصحك يا معاوية من أسخطك بالحق ، وغشك من أرضاك بالباطل » .

فقال له معاوية : اجلس ، وأمر له بمال ، وقال :

ألست من السمحاء ؟ فقال : إن كان مالك دون مال المسلمين تعمدت جمعه مخافة تبعته ، فأصبته حلالا ، وأنفقته فضلا - إحسانا - فنعم . . وإن كان مما شاركك فيه المسلمون فاحتجنته دونهم . . احتويته واستأثرت به - أصبته اقترافا وأنفقته إسرافا ، فإن الله عز وجل يقول « إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا»

إن الغنى غنى النفس كما قال رسول الله صلوات الله عليه - ولله در العربى الأبى العيوف الذى قال :

إن الغنى هو الغنى بنفسه
ولو انه عارى المناكب حافى
ما كل ما فوق البسيطة كافيا
فإذا اقتنعت فبعض شىء كافى !

ولقد عاش القاضى الجرجانى أبو الحسن على بن عبد العزيز فى زمن لا ينفتح سبيل المناصب إلا لمن يمتهنون كراماتهم ويتحاملون على ضمائرهم ، ومن شعره :

وقالوا : توصل بالخضوع إلى الغنى
وما علموا أن الخضوع هو الفقر
وبينى وبين المال بابان حرما
على الغنى، نفسى الأبية والدهر!!

وقصيدته « يقولون لى فيك انقباض » جليلة فى تقرير ذلك المعنى .

والإسلام فى إعلائه لقدر القناعة حيث يقول رسول الله صلوات الله عليه « خير الغنى القناعة » ويقول « ومن كانت الآخرة همه جعل الله غناه فى قلبه وجمع عليه شمله وأتته الدنيا وهى راغمة» يرفع قاعدته المثلى وهو يؤثر مقالة الذين أوتوا العلم من قوم قارون حين أرادوا أن يوقظوه من سكر ملكه ، وغرور ثرائه ، وأن يثنوه عن بطشه واستعلائه فيما حكى الله من قولهم :

« وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لا يحب المفسدين » .

« فالمؤمن بعد أن يذيل نفسه الجهد يقنع بما تيسر ، ويرضى بما كان ، ويرى أن من سقوط الهمة أن يحسد امرؤ فى مكانه ، ويضن بإمكانه ، ويتمنى على الله الأمانى ، بينما يتقاسم الناس بوسائلهم المشروعة أنعم الله وخيره الكثير ، لا يحسدون أحداً على ما آتاه من فضله ، وإنما يغبطهم الرخاء الذى يسع سواهم ، ويروحون وإياهم شاكرين الله على ما أعطى ، مستزيدين من خزائنه التى تفيض ولا تغيض أبدا ، متوسلين إلى ذلك بكل ما شرع الله من وسائل وأسباب ، مستعينين بالصبر والصلاة وضروب طاعة الله الذى لا ينال ماعنده إلا بطاعته ، عارفين دور الوقت وقيمته وضرورته فى بلوغ مانرجو ، وتحصيل ما نؤمل ؟

معوض عوض إبراهيم

بقية المنشور على صفحة ٥٤٢

ضناه بالهرم ، فهو ما يزال عالقا بالشباب يدعو الله ألا يبعده ، وإن رحب بالقادم الميئوس من رده .

وأبو تمام من هؤلاء المكابرين حين يقول :

فلا يؤرقك إيماض القتير به
فإن ذاك ابتسام الرأى والأدب

أما محمد بن حازم فكأنه يرد على أولئك حين يهتف :

لا تكذبن فما الدنيا بأجمعها
من الشباب بيوم واحد بدل
كفاك بالشيب ذنبا عند غانية
وبالشباب شفيعا أيها الرجل

وإن يكن حاد بالشيب وبالشباب إلى درب منحاز . .

هذه جولة قصيرة ـ وإن استطلتها ـ مع القدامى ، فهل أنت بحاجة إلى شىء فى ذلك من أقوال المحدثين ؟

د . عز الدين على السيد

العربية لغة الإسلام والمسلمين

للأستاذ علي عبد العظيم

– ٦ –

قواعـــد الاعراب

يذهب بعض غـــلاة المستشرقين ومن تابعهم من العرب إلى أن اللغة العربية عاجزة عن أن تكون لغة عالمية لما يثقلها من قيود عديدة تغل نموها وتطورها، ومن أهم هذه الأغلال قيود الإعراب؛ لأن الكلمات فيها تتغير أواخرها من الفتح إلى الضم إلى الجر إلى السكون طبقا لقواعد معقدة كل التعقيد؛ مما يجعل تعلمها عسيرا وانتشارها من الصعوبة بمكان كبير؛ وفات هؤلاء وأولئك أن اللغة العربية كانت لغة عالمية وظلت تؤدى رسالتها العالمية مئات السنين فى الشرق والغرب على السواء، وأنها حملت حضارات الأمم السابقة مثل الإغريق والرومان والفرس والهند والصين ... كما أعطت حضارة عالمية قوية: روحية ومادية، ولا يزال العالم ينعم بثمرات حضارتها حتى الآن. ولم تعقها قيود الإعراب عن أداء رسالتها السابقة عدة قرون.

ونحب أن نصحح خطأ يقع فيه الكثيرون، وهو ما يزعمه بعض المتعصبين من أن اللغة العربية انفردت بين لغات العالم بقواعد الإعراب؛ فإن قواعد الإعراب معروفة فى بعض اللغات العالمية القديمة والحديثة على السواء؛ فقد شاعت أنواع من الإعراب فى اللغة اليونانية واللاتينية – وهى أساس اللغات الأوربية المعاصرة – كما كانت شائعة فى الهيروغليفية والعبرية والحبشية. واللغة الألمانية فى العصر الحديث تعتمد على كثير من قواعد الإعراب، ولم يعقها هذا عن أن تكون فى طليعة اللغات العالمية الحديثة فى ميادين العلوم والفلسفة والآداب.

وإذا كان التعصب قد حمل المتعصبين من المستشرقين على أن يلمزوا اللغة العربية بما فيها من قواعد الإعراب فمن الغريب أن يتابعهم فى هذا اللمز عضو بارز من أعضاء مجمع اللغة العربية – فقد

نادى - غفر الله له - بإلغاء قواعد الإعراب، ودعا إلى تسكين أواخر الكلمات، وفاته أن هذه دعوة إلى إلغاء اللغة العربية ومحاولة تدريجية لمحوها من الوجود .

ومن العجيب أن تنقلب أغلب الحسنات فى أعين المتعصبين إلى أقبح السيئات ، وأعجب من هذا ، أولئك الذين يلغون عقولهم ويسيرون وراء المتعصبين دون روية أو تفكير ؛ فإن قواعد الإعراب أكسبت اللغة العربية مرونة فى التعبير وتنوعا فى أساليب البيان مع مراعاة الدقة والإيجاز بأيسر جهد ، وأبلغ تعبير ؛ ومنحت الأدباء حرية فى التقديم والتأخير ، والذكر والحذف ، والتصريح والتلميح ، فإن اختلاف حركات الإعراب يعطى معانى جديدة تزيد اللغة ثراء والبيان طرافة وتلوينا ؛ ونستطيع أن نضرب بعض الأمثلة التوضيحية لإبراز فنون البلاغة العربية المعتمدة على قواعد الإعراب .

١ ــ من الآداب الإسلامية أن يرد المسلم التحية بمثلها أو بأحسن منها ؛ وقد فعل هذا إبراهيم عليه السلام مع ضيفه من الملائكة « إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام » .. فقد حياه الملائكة بقولهم « سلاما » وهى جملة فعلية مرتبطة بزمن معين فأجابهم بقوله : «سلام» وهى جملة اسمية تدل على الثبات والاستمرار : فإذا قابلوه بالسلام فى زمن الزيارة أجابهم بأنه سيظل معهم فى سلام دائم ؛ وعلامة الإعراب هنا هى التى حددت هذين المعنيين .

٢ ــ سأل الكسائى الفقيه أبا يوسف - بمحضر من الخليفة الرشيد - ما تقول فى رجل قال لآخر : أنا قاتل غلامك (بالإضافة) وقال له الآخر أنا قاتل غلامك (بتنوين قاتل ونصب غلام) أيهما نأخذ به ؟ قال أبو يوسف آخذهما جميعاً ؛ فقال له الرشيد : أخطأت -وكان الرشيد على علم بالعربية - فاستحيا أبو يوسف وقال: كيف ؟ قال يؤخذ بقتل الغلام الذى قال : أنا قاتل غلامك (بالإضافة) لأن الجملة هنا ماضية ، وأما الذى قال أنا قاتل غلامك (بالنصب) فلا يؤخذ بقوله ؛ لأن الجملة تدل على المستقبل كما قال الله تعالى: « ولا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله فإن (غداً) حددت زمان المستقبل .

٣ — قال تعالى : «وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال» فقرىء «لنزول» بكسر اللام الأولى وفتح الثانية على معنى : وما كان مكرهم لتزول منه الجبال وإن كان مكرا عظيما ؛ وقرىء (لتزول) بفتح اللام الأولى وضم الثانية على معنى : وإن مكرهم لشديد غالب حتى لتزول منه الجبال الراسيات !!

٤ — قال تعالى : «ودوا لو تدهن فيدهنون» بالنون فى إحدى القراءات على معنى : فهم يدهنون رجاء أن تدهن مثلهم ، أى تصانع وتجامل على حساب الحق ، وفى قراءة : (فيدهنوا) بحذف النون على معنى : ودوا لو تدهن ليدهنوا مثلك ؛ والفرق كما نرى دقيق بين المعنيين .

٥ — ذكر ابن النديم نقلا عن أبى عبيدة أن أبا الأسود الدؤلى سمع قارئا يتلو قوله تعالى : «إن الله برىء من المشركين ورسوله» بكسر لام «ورسوله» وهذا المعنى يخرج قارئه من الإيمان إلى الكفر ؛ لأنه تحريف فى كلام الله تعالى والمعنى عليه : أن الله يتبرأ من المشركين ويتبرأ من رسوله وحاشا لله ؛ أما الآية فصحتها ضم لام (رسوله) لأن معناها أن الله برىء من المشركين ورسوله كذلك برىء منهم ، وذكر أبو عبيدة فى خبر طويل أن هذا كان سبب وضع النحو .

٦ — ذكر المؤرخون أن شاعر الخوارج أشاد فى قصيدة من قصائده بزعماء الخوارج وأخذ يسرد أسماءهم إلى أن قال : (ومنا أمير المؤمنين شبيب) وهذا اعتراف من الشاعر بإمامة شبيب وخلع منه لبيعة الخليفة الأموى ، ولكن الشاعر وقع فى قبضة الخليفة فأراد قتله جزاء له على خلع الطاعة ، ولكن الشاعر أحسن الاعتذار فقال إن ما قلته هو : (منا — أمير المؤمنين — شبيب) بفتح راء أمير لا بضمها وعلى هذا يكون المعنى : ومنا شبيب يا أمير المؤمنين فالموقف موقف مدح يصدق فيه الشاعر أو يكذب لا موقف خروج على الخليفة يستحق الشاعر عليه القصاص .

٧ — جاء فى الأمثال العربية : «الصيف ضيعت اللبن» — بفتح الصيف وكسر تاء الفعل (ضيعت) قاله عمرو ابن عدس ، حينما ألحت عليه زوجته

فى طلب طلاقها فاستجاب لها وتزوجت غيره ثم ندمت ندما شديدا وأرادت الرجوع إليه بعد وفاة زوجها، فقال هذا المثل ومعناه ضيعت اللبن فى الصيف أى فات الأوان فإذا قرأ هذا المثل قارى: (الصيف ضيعت اللبن) بضم الصيف وسكون تاء الفعل وفتح اللبن تغير المعنى تغيرا تاما.

٨ — قال تعالى: « ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب » معناه أوصى إبراهيم بنيه وأوصى يعقوب أيضا بنيه بكلمة التوحيد. فلو قرأنا. فى غير القرآن (ويعقوب) بفتح الياء لتغير المعنى تغيرا تاما فيكون الموصى إبراهيم، والذين وجه إليهم التوصية هم بنو إبراهيم ويعقوب.

٩ — قال تعالى: « إنا كل شىء خلقناه بقدر » بفتح اللام من (كل) ومعناه: إن الله خلق جميع الكائنات، وأنه خلقها بتقدير دقيق، وفى الجملة تأكيد بالحرف (إن) وبتكرار (خلقنا) المقدرة بعد (إنا) والمذكورة؛ ولو قرأنا الجملة فى غير القرآن الكريم بضم لام كل لتغير المعنى، وأصبح أن ما خلقه الله أوجده بتقدير دقيق، وبهذا تغفل الجملة أن الله خلق جميع الكائنات وتفقد التوكيد.

١٠ — ذكر السيوطى فى كتابه (الأشباه والنظائر) ان الرشيد كتب إلى أبى يوسف: أفتنا ـ حاطك الله ـ فى قول القائل:

فأنت طلاق والطلاق عزيمة
ثلاثا، ومن يخرق أعق وأظلم

ماذا يلزمه إذا رفع الثلاث؟ وماذا يلزمه إذا نصبها؟ قال أبو يوسف: قلت هذه مسألة نحوية فقهية لا آمن فيها الخطأ فأتيت الكسائى فسألته فقال: إن رفع (ثلاثا) طلقت زوجته طلقة واحدة حيث قال: أنت طلاق، ثم أخبر أن الطلاق التام ثلاث، وإن نصبها وقع الطلاق ثلاث طلقات؛ لأن معناه أنت طالق ثلاثا وجملة (الطلاق عزيمة) جملة اعتراضية.

هذا فضلا عما ذكره علماء البلاغة من دواعى التقديم والتأخير والذكر والحذف والفصل والوصل، وإذا كانت اللغات تتفاضل بوفرة ألفاظها؛ فإن عوامل الإعراب تضيف ثروة أخرى إلى ثروة الألفاظ، فإن الجملة الواحدة يستطيع

البليغ أن ينوع معانيها دون أن يغير ألفاظها، اكتفاء بتغيير علامات الإعراب.

ومما يتصل بقواعد الإعراب تحديد أزمان الأفعال، وعلماء اللغات يعتبرون تعدد مقاييس الأزمان من علامات رقي اللغة ؛ وقد اتخذ المتعصبون من المستشرقين هذه القاعدة ذريعة للطعن في اللغة العربية بوصفها ناقصة في دلالة الأفعال على الأزمنة ؛ ومن الغريب أنهم أصدروا هذا الحكم على العربية، ثم حاولوا أن يتلمسوا الأسباب التي تبرر هذا الحكم المتعسف فزعموا أن العربية نشأت في صحراء مقفرة لا قيمة للوقت عند أهلها، فالأوقات تمضي متشابهة، والمعالم متشابهة، فلا حاجة للتمييز الدقيق وفات هؤلاء المتعسفين أن العرب اشتهروا بين الأمم بمعرفة اقتفاء الآثار ومواطىء الأقدام، والتمييز بين المعالم إلى درجة تكاد تفوق الخيال، وعرفوا أيضا مطالع الكواكب والنجوم واستدلوا بها على معرفة الأوقات ومواقع الغيث والأنواء وجاء القرآن الكريم مخاطبا لهم بما يعلمون «وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر»، «وعلامات وبالنجم هم يهتدون»، وقد وضع الإسلام معالم لتمييز أوقات الصلاة وبدء الصيام ونهايته، ولدقة العرب في تمييز الأوقات تمييزا دقيقا وضعوا لكل ساعة من ساعات الليل والنهار اسما خاصا بها «يقال لأول ساعة من النهار : الصباح، ثم البكور -قبل طلوع الشمس- ثم الغداة بعد طلوعها، ثم الضحى ثم رأد الضحى، ثم الإشراق، ثم الضحاء ثم الزوال، ثم الهاجرة، ثم الظهيرة، ثم الرواح، ثم الأصيل، ثم العصر، ثم المساء ثم الطفل، ثم العشية، ثم الشفق، ثم العشاء ثم العتمة، ثم السحرة، ثم الغلس، ثم البلجة، ثم التنوير»(١). كما وضعوا لحركة الرحيل في كل وقت من هذه الأوقات فعلا خاصا بها - كما أنهم وضعوا اسما خاصا لكل فترة من مراحل عمر الإنسان.

وإذا كان النحاة العرب قسموا الأفعال إلى ماض وحاضر ومستقبل فهي قسمة منطقية، أما تقسيم الأفعال في كل زمن من هذه الأزمنة فإن العربية عنيت به، وحددت معالمه كما حددته كثير من اللغات

(١) الألفاظ الكتابية ص٢٨٧ بتصرف يسير.

العالمية الحديثة ، فإنا نجد أفعالا مساعدة Auxiliary فى اللغة الإنكليزية تسبق الأفعال لتدل على أنها تامة أو مستمرة فى الماضى أو الحاضر أو المستقبل ؛ وفى العربية أفعال مساعدة تعطى هذه المعانى فى دقة وتحديد ووضوح قد لا نجد له نظيراً فى كثير من اللغات ؛ فالاستمرار فى الماضى بكثرة تؤديه عبارة « طالما » فتقول : «طالما أحسنت إليه» ، للدلالة على استمرار هذا الإحسان فى الماضى بكثرة فإذا كان الاستمرار قليلا قلت : « قلما » وإذا كان الاستمرار غير محدد بكثرة أو قلة استعملنا الفعل المساعد « ظللت » .

فإذا وصلت بالماضى إلى الحاضر قلت : « مازلت أحسن إليه أو لا أزال أحسن إليه » ، فإذا أردت المستقبل استعملت السين أو سوف أو بعض الأفعال المساعدة « سأحسن إليه » فإذا أردت الاستمرار فى المستقبل قلت : « سأظل أحسن إليه » ، والنفى يأتى فى الماضى مسبوقا بالحرف (لم) ويمتد النفى إلى الحاضر مع ترقب انتهائه فى زمن قريب فى المستقبل باستعمال الحرف (لما) ، ويمتد إلى المستقبل باستعمال الحرف (لن) - والحرف (ربما) يدل على احتمال وقوع الفعل فى الماضى أو المستقبل - والحرف قد يدل على تحقق وقوع الفعل فى الماضى وعلى الشك فى وقوعه فى المستقبل ... هذا إلى الأفعال المطاوعة التى تقع مترتبة على أفعال سابقة .. وهكذا نرانا إذا درسنا الأفعال فى دقة وإحاطة وجدنا العربية قد حددت معالم الأزمنة وملابساتها فى دقة قد لا تتيسر فى غيرها من اللغات الحديثة .

ولكن الإنصاف يقتضينا أن نقرر أن قواعد النحو والصرف فى العربية تحتاج الى شىء من التيسير بحذف كثير من التفصيلات الفرعية ، وبضم المتشابهات بعضها إلى بعض ونبذ الخلافات الفرعية التى جعلت هذه القواعد غاية لا وسيلة ؛ وهذا يوفر وقتا وجهدا كبيرين على من يحبون العربية ويحرصون على تعلمها من الأجانب كما يسهل فهمها على أبنائنا الطلاب ، وقد خطا المجمع اللغوى فى هذا التيسير خطوات موفقة نرجوا أن نجد لها طريقها الى التنفيذ العملى وبهذا نسرع بالخروج بلغتنا المجيدة الى النطاق العالمى الذى نرجوه لها عن قريب ؟ (للبحث بقية)

على عبد العظيم

دروس من سير شهداء العلم والإيمان :

شهداء الصحابة يومي الرجيع وبئر معونة

للأستاذ حسن فتح الباب

— ٢ —

يوم بئر معونة :

لم تكن مأساة يوم الرجيع لتصد رسول الله عن إيفاد بعوثه إلى القبائل التى تطالب تعاليمها شرائع الدين . فتلك مهمة دينية سامية لا ينبغى أن يقف فى سبيلها خوف أو تردد ، ولا بد من نشر الإسلام فى الجزيرة العربية مهما كانت التضحيات وإذا كانت الغزوات جهادا فى سبيل الله يؤجر عليه أصحابه أحياء أو أمواتا ، فإن التوعية بالعقيدة لا تقل عنه مثوبة عند الله ، لأن العلم ركن أساسى من أركان الدولة الإسلامية . ومن ثم فإن الاضطلاع برسالته جهاد أى جهاد . وإن مواجهة مسئوليات الدعوة فى أوقات السلم وأوقات الحرب أمر حقيقى لا بديل له.

ولقد بكى المسلمون شهداء يوم الرجيع الذين قتلوا فى سبيل الدعوة الخالدة ، وراحوا ضحايا الغدر والخديعة . ورأى رسول الله أنه لا مناص من المضى قدما فى إرسال مبعوثيه لهداية الناس، فذلك هدف رئيسى لا يمكن العدول عنه ، ولا ينبغى أن يقف فى سبيله حائل ، أما الوسيلة ، فيمكن تعديلها بما يكفل تحقيق ذلك الهدف دون خسارة تصيب المسلمين. وهذا التعديل هو الدرس المستخلص من يوم الرجيع . فليكن الحذر عاصما من سوء العاقبة، وليتحقق الرسول عليه السلام من صدق من يلجأ إليه من الأعراب ملتمسا منه بعث بعض أصحابه للتعليم والترشيد . ذلك أحرى أن يحقق نجاح الرسالة ، وأن يعصم فى الوقت نفسه دماء المسلمين ويحفظ هيبتهم بين القبائل . أما إذا كانت مشيئة الله قد جرت على خلاف ذلك فإنما الأمر لله من قبل ومن بعد وهو العليم الحكيم .

وكذلك استقر عزم الرسول على الاستمرار فى إرسال الدعاة مع توخى الحيطة الكافية لتأمينهم ، وذلك درس

يجدر بنا الاستفادة منه ، وعبرة يحسن أن نستلهمها فى علاج المشكلات المماثلة . فلا ينبغى أن تقهرنا المحن مهما ادلهمت ظلماتها فنقعد باكين محسورين ، ونفتح بذلك للعدو بابا ينفذ منه إلى تحقيق مآربه الآثمة ، وهى تخريب الجبهة الداخلية وإضعاف الروح المعنوية ، بل لابد أن نطوى صفحتها بعد أن نستخلص منها التجربة التى تقينا الوقوع فى الخطأ الذى تمخضت عنه المحنة ، ولنكفكف من عبرات الحزن وآلام الماضى ونتهيأ لاستقبال فجر جديد بلا أسى ولا ندم ، فليس الألم بمجد فى استعادة ما فات ، وليست الحياة انتصارا كلها ، ولا بد لليل أن ينجلى وللسحب أن تنقشع ثم يعود الصحو والصفو . وطريق الجهاد دائما محفوف بالمخاطر ، والعبرة بالنصر الأخير ، وإن الشهداء لملاقو ربهم فى عليين ، خالدين فيها أبدا ، فلنقف دون عقيدتنا مجاهدين ، فالحياة عقيدة وجهاد .

عقدة أبى براء

ولقد غرس القائد الأعظم هذه القيم العليا جميعا فى نفوس أصحابه حين وضعها موضع التطبيق العملى . فما أن وفد عليه أبو براء عامر بن مالك الكلابى حتى دعاه الرسول إلى الإسلام . فلم يقبل ولكنه لم يظهر عداوة للإسلام ؛ بل قال : يا محمد ، لو بعثت رجالا من أصحابك إلى أهل نجد تدعوهم إلى أمرك لرجوت أن يستجيبوا لك ، فقال عليه السلام : إنى أخشى عليهم أهل نجد ، دلالة على خشيته أن يغدروا بهم كما غدرت هذيل بخبيب وأصحابه ، فقال أبو براء مؤكداً مسئوليته عن تأمينهم : أنا لهم جار - أى مجيرهم - فابعثهم فليدعوا إلى أمرك .

وكان الرجل من فرسان قومه وشجعانهم حتى عرف بملاعب الأسنة ، وهو عم عامر بن الطفيل زعيم النجديين وعدو المسلمين ، كما عرف عن أبى براء أنه لا يخاف من أجاره عدوان أحد عليه ، فلا غرو أن يطمئن الرسول إلى قوله ، ويثق بضمانه ، فيبعث معه المنذر ابن عمرو الساعدى وأربعين رجلا ، وجاء فى البخارى أنهم كانوا ثلاثين ، وقيل سبعون من خيار الصحابة يسمون القراء كانوا يحطبون بالنهار ويصلون بالليل ، وذلك ليسلم المنذر رسالة النبى إلى عامر بن الطفيل يدعوه فيها إلى الإسلام .

وخرج ركب أصحاب رسول الله من المدينة فى طريقهم عبر الصحراء إلى نجد، حتى نزلوا موقعاً يقال له (بئر معونة) بين أرض بنى عامر وأرض بنى سليم فعسكروا فيه .

وأوفدوا من هناك واحداً منهم، وهو حرام بن ملحان يحمل إلى ابن الطفيل كتاب النبى ، فلما أتاه لم ينظر فى كتابه بل وثب عليه فقتله غيلة وغدراً ، ثم استصرخ بنى عامر على أصحاب الرسول كى يقتلوهم ، فأبوا أن يجيبوه ، وقالوا : لن نخفر ذمة أبى براء وقد عقد لهم عقدا وجوارا ، فاستصرخ قبائل من بنى سليم : عصيبة ورعلا وذكوان ، فأجابوه إلى ذلك ، وخرجوا فى وفرة من العدد والعدة لقتال المسلمين ، وكان هؤلاء قد استبطأوا صاحبهم حراما فأقبلوا فى إثره وما أن لقيتهم عصابة ابن الطفيل حتى أحاطت بهم فى رحالهم ، فاستلوا سيوفهم ثم قاتلوا الكثرة الباغية الغادرة حتى قتلوا عن آخرهم إلا كعب بن زيد فإنهم تركوه وبه رمق ، فحمل من المعركة جريحا إلى المدينة وعاش حتى قتل شهيداً يوم الخندق .

أعتق ليموت:

ومما يجدر بالذكر ذلك الموقف البطولى الذى سجله بعض الرواة للمنذر بن عمرو قائد جماعة المسلمين ، إذ عرض عليه ابن الطفيل وعصبته أن يتركوه قائلين ، إن شئت أمناك . فأبى وقاتلهم حتى قتل ، وفى هذا الشهيد العظيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أعتق ليموت ، يعنى أنه تقدم على الموت وهو يعرفه ، وتلك عليا مراتب الشهداء .

وذلك الموقف الذى روى عن المنذر بن محمد بن عقبة ، وكان يصحب المسلمين مع عمرو بن أمية الضمرى ، وكانا قد عهد إليهما القيام على مطيهم التى تركوها ترعى - حراسة إياهم - إذ شاهدا طيرا تحوم على موضع بالصحراء فقالوا: والله إن لهذه الطير شأنا ، وسارا يستطلعان الأمر ، فإذا أصحابهم فى دمائهم ، وإذا الخيل التى أصابتهم واقفة ، فقال المنذر لعمرو : ما ترى؟ فقال : أرى أن نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره الخبر . فقال المنذر : ما كنت لأرغب عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو . ثم قاتل حتى قتل .

واقتاد المجرمون عمرو بن أمية أسيراً فلما أخبرهم نه من مضر أطلقه عامر بن الطفيل ، وجز ناصيته ، وأعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمه ، وخرج عمرو بن أمية حتى إذا كان فى طريقه إلى المدينة أقبل رجلان من بنى عامر - وقيل من بنى سليم - حتى نزلا معه فى ظل هو فيه ، وكان معهما عقد - أى أمان - من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعلم به عمرو بن أميـــة ، وكان قد سألهما حين نزلا : من أنتما ؟ قالا : من بنى عامر . فأمهلهما حتى إذا ناما عدا عليهما فقتلهما ، وهو يرى أنه قد أصاب منهما ثأره من قومهما فيما أصابوا من أصحاب رسول الله ، فلما قدم على النبى قال : « أبت من بينهم » . وأخــــبره عمرو بمقتل أصحابه وبقتل العامريين . فقال : « لقد قتلت قتيلين كان لهما منى أمان وجوار ، لأدينهما - أى أؤدى ديتهما - هذا عمل أبى براء ، لقد كنت لهذا كارها متخوفا » .

وقد بلغ أبا براء ما صنع عامر بن الطفيل، فشق عليه إهداره عهده ، وقال حسان ابن ثابت شاعر رسول الله يحرض أبا براء على عامر بن الطفيل :

بنى أم البنين ، ألم يرعكم
وأنتم من ذوائب أهل نجد
تهـــكم عامر بأبى براء
ليخفره ، وما خطأ كعمد
ألا أبلغ ربيعة ذا المساعى
فما أحدثت فى الحدثان بعدى
أبوك أبو الحروب أبو براء
وخالك ماجد حكم بن سعد

فحمل ربيعة بن أبى براء على عامر ابن الطفيل انتقاما منه لأبيه ، فطعنه بالرمح ، فأخطأه ووقع عن فرسه فقال: هذا عمل أبى براء ، إن أنا مت فدمى لعمى فلا يتعبن به ، وإن أحسن فسأرى رأيى .

دعاء على الظالمين :

ومما يروى فى تلك الواقعة أن عمرو ابن أمية افتقد عامر بن فهيرة من بين القتلى - وهو من نعلم فضله فى تاريخ الإسلام إذ كان يحلب الغنم نهارا للنبى وأبى بكر فى الغار ثم يعفى فى عودته على آثار أقدام عبد الله بن أبى بكر فى مساره إلى رسول الله وصاحبه وإيابه

إلى مكة - فسأل عنه عامر بن الطفيل فقال : قتله رجل من بنى كلاب يقال له جبار بن سلمى ، ولما طعنه ، قال: فزت والله ، ورفع إلى السماء علوا ، فأسلم قاتله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الملائكة وارت جثته وأنزل عليين».

وحزن النبى على شهداء بئر معونة أشد الحزن ، وبلغ من حزنه أنه ظل شهراً كاملا يدعو على قتاتهم بعد الركعة من الصبح ، فكان يقول : « اللهم اشدد وطأتك على مضر، اللهم سنين كسنى يوسف اللهم عليك ببنى لحيان وعضل والقارة وزعب ورعل وذكوان وعصيبة ، فإنهم عصوا الله ورسوله » كما قال: « اللهم أهد بنى عامر واطلب خفرتى من عامر بن الطفيل»

ويمثل موقف أصحاب رسول الله ومعلمى شريعة الحق فى يومى الرجيع وبئر معونة واستشهادهم فى سبيل الرسالة أسمى القيم الروحية التى بثها الإسلام فى قلوب أبنائه ، فجعلهم روادا للبشرية كلها ومصابيح للهداية فى تاريخها ، كما يمثل التغيير الجذرى الذى أحدثه فى نفوسهم ومجتمعهم ؛ إذ نقلهم من ظلمات الغواية والضلال إلى أنوار اليقين ، ومن العبودية إلى التحرر ، ومن الحرص على المال والجاه والمتعة الدنيوية إلى التضحية فى سبيل المبدأ ، ويتبدى ذلك التغيير بيناً إذا عقدنا مقارنة بين موقف المشركين فى هاتين الواقعتين وموقف المسلمين من الصحابة ، فالأولون يمثلون الغدر والخسة والعدوان ، على حين يمثل المؤمنون من جنود النبى قوة الإيمان ، والثقة المطلقة بالله ورسوله ، وصلابة الإرادة فى أداء الأمانة أو الموت دونها ، ذلك الموت الذى يعذب لديهم حفاظا على الشرف والكرامة ودفاعا عن العقيدة ، ولئن سقطوا شهداء فى معركة الصراع بين الحق والباطل فلقد طهروا الأرض من رجس الأشرار وحرروا الإنسان من استغلال الإنسان ولولا تلك الدماء الزكية التى روت الجزيرة العربية لما ازدهرت شجرة الحق والحرية والمعرفة بها ثم ترعرعت حتى أخرجت أعظم الحضارات فى تاريخ الإنسانية ، ولا غرو أن تصدر هذه الآيات عنهم فهم أصحاب العلم الأعظم ، وهم آباء الطلائع الإسلامية المجاهدة فى سبيل العلم والإيمان ؟

حسن فتح الباب

التعبئة للمستقبل ومسئوليتها

للدكتور محمد خليفه

منذ اغتصبت الصهيونية فلسطين من أبنائها العرب ، وطردتهم من أرضهم وديارهم ، بل شردتهم فى البلاد العربية لاجئين ، تؤويهم خيام لا تقى حر الهواجر ، ولا عصف الأعاصير ، منذ ذلك والأمة العربية تعبىء كل طاقاتها وإمكانياتها المادية والروحية للمعركة التى طال ليلها ولم يلتمع فى الآفاق فجر من أمل ولا بشائر من رجاء ، ومازالت الأمة العربية تبذل جهودها فى المحافل الدولية لإعادة الأرض السليبة إلى أصحابها ، وإرجاع الشعب الشريد إلى دياره ، واقتلاع الخنجر المسموم الذى طعن به الاستعمار قلب الأمة فعاش اثنين وعشرين عاما ينزف وما زال .

ولقد فرضت تلك الأحداث علينا أن نعيش فى حرب مع الصهيونية والاستعمار ، ولعب الاستعمار ماوسعه اللعب ، وعبث ما شاء له العبث بوحدة الصف العربى وتأثر بعبثه الموالون لسياسته حينا ، وتيقظت فيهم العروبة حينا ، وخلال تلك المعركة الطويلة زود الاستعمار إسرائيل بما تريد وفوق ما تريد من وسائل التخريب والتدمير والفناء حتى يستسلم العرب لسيطرة الصهيونية على كل ما كسبت ، وعانت دول المواجهة ما عانت من ألوان العسف والسفك والتقتيل والإبادة ، والتهمت نيران المعارك الكثير من اقتصاديات تلك البلاد ، واستأثرت ميزانية الحرب بأرقام سخت بها الشعوب فى سبيل أمنها وسلامتها ، وآثرت تلك الشعوب السلاح والذخيرة على العيش ؛ لأنها آمنت بأن الجوع مع الأمن والعزة والكرامة خير من أطايب العيش فى قيود الفزع والذل والمهانة ، ولقد عبأت البلاد كل ما تملك لخوض المعركة والإعداد لها ، فجالت الأقلام تصور للعالم بشاعة الظلم وشناعته وتبرز الصور الدامية التى تعلن وحشية الحضارة ، وما يجره التقدم العلمى على المتخلفين

والمستضعفين ، وما يمحو به صناع الموت معالم الإنسانية الوادعة من الوجود ، وحشدت الخواطر والأفكار والعقول كل ما استطاعت من الصور وثروات اللغة لتستنفر العرب وتحفز هممهم وتلهب عزائمهم حتى أيقظ صرير الأقلام الغفاة وهي تؤذن : حي على الجهاد ، فاحتشدوا على خط النار أبطالا يرتقبون ساعة الانقضاض ، وتجمعوا فى المصانع عمالا يمدون المعركة بما تريد ، وسهروا فى الحقول فلاحين تعمل جهودهم لإمداد هؤلاء وأولئك بما يحتاجون من زاد .

وجاشت ألسنة الخطباء فى المحافل والمجتمعات تؤدى دورها فى المعركة .

وانطلقت ألسنة الوعاظ وخطباء المساجد تقدم من صور البطولات إبان الفتوحات الإسلامية ما يحفز على استعادتها إلى وجود الأمة .

وتيقظ وجود الأمة العربية على ضجيج المعركة فعاشت كلها فى الصراع عقولا مفكرة ، وجهوداً مبذولة ، وطاقات يجددها الأمل ، اللهم إلا النفر الذين أعمتهم المادة والهوى عن دنيا المعركة ففقدوا حين عموا عروبتهم ومروءتهم وهانت عليهم الدماء المراقة والأشلاء الممزقة وصموا أسماعهم عن أنات الثكالى ، وعميت أبصارهم وبصائرهم عن مخيمات اللاجئين ومن تحتها من الأرامل واليتامى فابتز هؤلاء بفنهم الرخيص أموال الشواذ التى أرخصوها فى سبيل شهواتهم ولذائذهم .

وخليق بالأمة المحاربة أن تدمر العبث على رءوس العابثين، وأن يسمو كل ما فيها فوق مستوى اللهو الساقط الوطنى منه والمستورد ، ومن العجب أن يتبلور ارتباطنا بالدول الغربية والشرقية ثقافيا واجتماعيا فى تلك الأفلام الرخيصة التى تلهب الغرائز وتثير شيطان الجنس . وقد أعد الماضى والحاضر للمعركة العدة ولكن المعركة ستطول وستبقى الحرب بين العرب وإسرائيل ما بقيت إسرائيل فوق أرض العرب ، ومن ثم فالأمة مسئولة عن التعبئة العامة للمستقبل البعيد وإعداد الأجيال ليوم الخلاص يوم تطهير أرض العرب من الدخلاء المغتصبين يوم يدوى فى أرجاء تلك البلاد نداء : الله أكبر الله أكبر وترجع الدنيا صداه .

ولهذا اليوم المنشود يجب أن يرسم

المسئولون في الحكومات العربية ، ويخططوا لذلك المستقبل ويعبئوا شعوبهم دينيا وروحيا وعسكريا وعلميا واقتصاديا واجتماعيا .

* * *

« التعبئة الدينية »

منذ أكثر من ثلث قرن كانت هنالك ثقافات دينية في حواضر البلاد العربية وتراها على الرغم من سيطرة الاستعمار على سياسة التعليم في تلك البلاد وكأنما أحس كل مسلم بواجبه حيال عقيدته في هذه الفترة ، أو كأنما تيقظت الغيرة الدينية الكامنة في النفوس ، فبذل كل من لديه قسط من تلك الثقافات جهده لنشر الوعي الديني حيث يكون ، وكانت مصادر تلك الثقافة في القرى :

١ — مكاتب تحفيظ القرآن (الكتاتيب) وقد أدت رسالتها خير ما يكون الأداء من تحفيظ الناشئة كتاب الله وكان (الفقهاء) يعلمون الصبيان الصلاة ، ويوجهونهم إليها ، ويحاسبونهم على تركها .

٢ — أنصاف المتعلمين ممن لم يستكملوا تعليمهم في الأزهر أو في غيره ، وكان لهم أثرهم في نشر الثقافة الدينية في القرى في مساجدها ومجتمعاتها .

٣ — المتعلمون في الأزهر أو في غيره ، وقد قاموا بنصيب كبير في تثقيف المسلمين في المساجد في عطلة الصيف .

٤ — الصحف والمجلات الدينية ، وكان لها جهدها في بث الوعي الديني والقيام بدور توجيهي ؛ لأن أكثر الكاتبين كانت لهم عواطفهم وغيرتهم الدينية ، وكانوا حربا على من حاد عن جادة الدين من الكتاب والأدباء .

« واجبنا اليوم »

وواجب كل مسلم اليوم مسئول أو غير مسئول من القمة إلى القاعدة أن يتيقظ للأخطار التي تهدد ثقافتنا الدينية والتي يحشدها الغرب والشرق للقضاء على مصدر شريعة الإسلام وثقافته (القرآن) فواجبنا أن نصد عنه ما يدبر له ، وأن نحذر أشباه المسلمين ممن يعيشون بيننا ، ويرسلون أفكارهم المسمومة تعمل عملها في الأجيال بألسنتهم وأقلامهم .

وإننا كمسلمين مسئولون عن كتاب الله عن تحفيظه ونشر ثقافته وتهيئة الجو الصالح لشبابنا لينهل من ينابيعه .

وواجب إدارة المعاهد بل واجب الأزهركله التخطيط والتوجيه والتشجيع للواجبات الدينية المناطة بهم ، وكل ذلك يكون بعد الإيمان بالواجب ووجود الضمير الحي والتحرك فى مكان المسئولية فى ثقة وإخلاص .

ويجب أن تمتد صورة العمل وبذل الجهد فى سبيل تثقيف الأمة دينيا إلى الجامعة الأزهرية ، إلى طلابها وأساتذتها ليؤدوا دورهم الفعال فى فترات العطلة وغيرها ؛ إذ ليست رسالتهم محصورة فى قاعة المحاضرات فحسب ، بل يجب أن تتعداها رسالتهم إلى الجمعيات والأندية والمساجد والمحافل العامة ليكونوا دعاة إلى الله بحق كما أمرهم الله ، وكما عهدتهم الأمة فى ماضيها .

وكما ترجو منهم الأمة فى حاضرها وينتظر مستقبلها ؛ فليعبىء الأزهر لذلك كل جهد ليصون الإسلام وكتاب الإسلام .

إن فى الأزهر أقلاما يجب أن تتحرك لتدعو إلى الله ، وإن فى الأزهر ألسنة يجب أن تنطلق لتوجه وتنذر وتحذر .

وإن فى الأزهر من الثقافة الدينية ما يعين على إعادة الشباب إلى صراط الله الذى لا يذل من اعتز به ولا يضام من نصر دينه .

« التعبئة الروحية »

وعلى الأمة أن تعبىء الأجيال روحيا لذلك المستقبل الغامض الذى تقبل عليه، وإن الذين يتحملون أولا مسئولية تلك التعبئةهم رجال الأزهر بألسنتهم وأقلامهم، ومدرسو المدارس وأساتذة الجامعات ثانيا بإعداد المناهج التى تتطلبها تلك التعبئة من تاريخنا الإسلامى والمجتمع الإسلامى الأول والمجتمع العربى القديم والحديث على أن تعتمد دراسة تلك المناهج على إبراز الجوانب التى تربى الشباب ، وتقف به على التراث الكبير من تاريخ رجالنا وعلمائنا ومصلحينا ، وأسرة الصحافة ثالثا : بعد إيمان كتابها بواجبهم وبدورهم الذى ينتظر منهم .

وإن الصحافة التى تفسح صدرها لنشر صحيفتين من صفحاتها فى كل يوم لأخبار الرياضة لن تضيق إذا خلصت النيات عن نشر مايعبىء شبابنا تعبئة روحية فهل يستجيب المسئولون فيها لذلك الواجب؟

أما الإذاعة والتليفزيون ودور السينما

فلها دورها الخطير فى تلك التعبئة الروحية لأنها تكون جميعها المدرسة الأولى للشعب ، وعلى قدر مكانها تكون مسئوليتها ، ولا مغالاة إذا قلنا إنها المسئولة الأولى عن التعبئة ، وإن مناهج التعبئة الروحية فيها يجب أن تشترك فى إعدادها وزارات الثقافة والإرشاد والشباب والأزهر ، ويجب أن تشرف على كل ما يذاع لجنة ممن يؤمنون بأثر التعبئة الروحية فى تكوين الأجيال وبنائها ، ويؤمنون كذلك بخطر الفن الساقط على أخلاق الشباب ، ويؤمنون قبل ذلك بأن البناء الذى يصمد للأحداث، ويجابه الشدائد إنما تكون دعامته الأولى وركيزته الصلبة على الأخلاق ، ولن يقوم بناء أمة بغير أخلاق .

ولن يحتاج مؤلفو (الأفلام) والبرامج والتمثيليات أكثر من لفتة من المسئولين وتوجيه صريح يوضح حاجة مستقبل الأمة وحياتها إلى اتجاه جديد فى التربية .

وما أحوجنا إلى الصراحة البناءة التى تضع المشاعل على طريق المستقبل، وتقيم النذر على جوانبه قبل أن تنزلق الأجيال إلى مهاو لا يعلم عمقها إلا الله .

« التعبئة العسكرية »

ليس معنى ذلك أننا نعنى لخط النار أو خط المواجهة فحسب بل يراد إعداد الأمة كلها عسكريا للغد ، وقوام هذه التعبئة إعداد الشباب بدنيا بإقامة معسكرات يدرب فيها الشباب على الخشونة وعلى الاستعداد لتحمل مسئولية الدفاع داخليا حين تدور رحى المعركة .

وليس طلاب المدارس والجامعات وحدهم هم الذين يحملون مسئولية الدفاع المدنى ، بل يجب أن يشركهم عمال المصانع والفلاحون ، ولعلنا استفدنا من دروس الماضى لنعرف كيف ندافع فى المستقبل .

وإن فى ميادين الساحات الرياضية المنتشرة فى الحواضر والقرى ما يتسع لتربية شباب الأمة عسكريا استعداداً لليوم الذى سيحمل فيه السلاح كل قادر على حمله من ملايين هذه الأمة ليكون فى الجبهة أو فيما وراء الجبهة جنديا ذائداً عن الوطن بكل ما لديه من قوة .

وإن هذه الملايين التى تعيش على أرض الوطن العربى يجب أن يكون فى حسابها أنها ستتحول يوما ما إلى قوة مدافعة ، ثم إلى قوة ضاربة ، ثم إلى قوة غازية ؛ تمحو من أرضها كل ما وطده الاستعمار والصهيونية من قلاع أو تحصينات لتعود الأرض المقدسة إلى أصحابها الذين درجوا على ثراها أطفالا ، ومرحوا صبية ، وشمخوا شبابا ، وإن هذه الأرض لتنتظر فيهم بنوة مؤمنة بحق الأمومة عليهم .

« التعبئة العلمية »

كان لنا السبق العلمى فى العالم منذ قرون ، وصحا العالم من ليله الطويل على الشرق تغمره أنوار العلم والمعرفة ، ثم نمنا نحن ، وطالت إغفاءتنا قرونا ، ثم صحونا لنشهد الدنيا من حولنا وهى فى سباق علمى رهيب تحتل فيه مصانع الموت والفناء مكانها ، حتى قيست مكانة الدول بمقياس القدرة على إهلاك البشرية وتدمير كل ما أقامته الحضارات لا بما تحمل أرضها من ملايين البشر ، ولا بما تحمل من مقدسات دينية ، ولا بأنها كانت موطن النبيين أو ماتق الأنبياء والرسل ، فكل هذه اعتبارات ليست فى حساب صناع الموت وأعداء البشرية والإنسانية السامية . وإن إسرائيل على ضآلة أعدادها قد عبأت طاقاتها العلمية للمعركة ، واستعانت فى ذلك بقدرة أمريكا العلمية .

وإن النكسة التى منينا بها عام ١٩٦٧ لم تكن نتيجة معركة خضناها ، ولكنها كانت نتيجة العلم الذى وقفت به أمريكا إلى جانب إسرائيل لحظات خاطفة فى بدء الهجوم فكانت النكسة ، ومن ثم كان لزاما علينا ونحن نعبىء للمستقبل أن نعنى أعظم ما نعنى بالتعبئة العلمية الحربية وما يتصل بها .

وفى الدول الصديقة خبرات علمية وتقدم قد يسبق التقدم الأمريكى فى الكثير ونعتقد أنها لا تضن بالعلم على أصدقائها حين تثق فيهم وفى قدراتهم وفى صيانة أسرارها الحربية ، وإنا ونحن نستعد يجب أن نسابق الزمن فلا تفوتنا الفرص فى اغتنام الخبرات العلمية ، فلنجند من شبابنا كفايات فيها استعدادها وصبرها وجهدها لدراسات علمية فى مختلف الميادين .

(البقية ص ٥٩٧)

من علوم السنة :

المُجرّحُون بالرّواية

للأستاذ محمد نجيب المطيعي

– ٦ –

ولنعقد هذا البحث لبيان حال الذين جرحوا ووهنوا لا بسبب صفات تنتقص من أقدارهم، ولا بسبب أعمال ثرب عليهم بها، ولكن حديثا واحدا فقط كان سببا فى جرح ذلك الراوى إما لأن روايته لم يتابع عليها، أو ليس لها شواهد تعتضد بها، وإما أنها مناقضة لقطعى أو متفق عليه أو أصح أو أعلى إسناداً وهكذا .

فإذا قيل : حديث ضعيف لأن فى إسناده فلانا الذى اختلط بآخره وقد رواه سنة تسعين مثلا وكان قد بدأ يختلط سنة تسع وثمانين، عرفنا أن الحديث هنا مردود براويه، فيكون الجرح لاحقا بالراوى لحوقا ذاتيا، وكذلك نقول فيمن هو أشد ضعفا، كمن ثبت كذبه فى غير رواية الحديث فإن روايته للحديث مردودة باتفاق، لأن فيه خصلة من الخصال التى تنافى العدالة .

أما ما نحن بصدده الآن فهو ذلك الراوى الذى لم يرو إلا حديثاً واحداً لم يتابع عليه ولم ترد له شواهد تعضده، وبعد أن أعملنا الاعتبار وأسقطنا عدالته وضبطه فكان هذا الحديث المفرد كالضربة القاضية وقبل أن نأتى على هذه الأفراد، نوضح هذه المصطلحات الثلاثة :

١ – المتابعة .

٢ – الشواهد .

٣ – الاعتبار .

فالمتابعة : عند أصحابنا نوعان : تامة وقاصرة (فالأولى) أن يروى الحديث بإسناده من طريق شيخه ويرويه آخر من طبقته عن ذلك الشيخ بالإسناد عينه إلى إلى منتهاه (والثانية) ألا يبلغ الإسناد فى المتابعة الى شيخه، أما الشواهد فهو روايات أو رواية أخرى تؤدى بمعناها إلى تعضيد الحديث وليست بإسناده أو بلفظه، أما الاعتبار فإنه الهيئة التى نصل بها الى معرفة المتابعات والشواهد، ومن ثم قلنا : أعملنا الاعتبار .

اذا ثبت هذا فإن هذه الأفراد قد وصمت أفرادها وأغلقت فى وجوههم ساحة العدول الضابطين .

١ - حديث « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمشى الرجل بين المرأتين إذا استقبلتاه » يرويه داود بن أبى صالح عن نافع عن ابن عمر، قال البخارى : لا يتابع عليه وقال أبو زرعة الرازى : لا أعرفه - يعنى داود - إلا بهذا الحديث المنكر .

٢ - حديث سلام بن رزين يروى عن الأعمش يرويه العقيلى عن عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثت أبى بما حدثنا خالد ابن ابراهيم حدثنا سلام بن رزين عن ابن مسعود قال : « بينما أنا والنبى صلى الله عليه وسلم فى طريق إذ برجل قد صرع فدنوت فقرأت فى أذنه فجلس النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ماذا قرأت ؟ قلت : « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون » قال : والذى نفسى بيده لو قرأها موقن على جبل لزال » فقال أبى : هذا موضوع هذا حديث الكذابين .

٣ — عن أنس أن فاطمة جاءت تشكو مجل يديها من أثر الطحن فأتاها النبى صلى الله عليه وسلم بغلام وعليها ثوب فذهبت تغطى رأسها فخرج رجلاها ، وذهبت تغطى رجليها فخرج رأسها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما هذا أبوك وغلامك . يرويه سلام بن أبى الصهباء، يقول البخارى : منكر الحديث . ويقول البخارى : من قلت فيه : منكر الحديث فلا تحل الرواية عنه ، وليس له غيره .

٤ — حديث ابن عباس « أن عثمان سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال : ما بينه وبين الاسم الأكبر إلا كما بين السواد وبياضها من القرب » هذا الحديث لم يرو سلام بن وهب الجندى غيره عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس .

٥ — حديث ابن عباس مرفوعاً : « من علمه الله القرآن ثم شكا الفقر كتب الله عليه الفقر والفاقة إلى يوم القيامة » يرويه رجل يدعى سلام بن يزيد القارىء البصرى ساقه العقيلى فى الضعفاء وقال : لا يتابع على حديثه حدثنا محمد بن اسماعيل - يعنى البخارى - حدثنا داود بن المحبر حدثنا سلام بن يزيد القارىء عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس .

٦ — قال ابن عدى عن أبى زرعة أخبرنا محمد بن حسين أخبرنا محمد بن عماد أخبرنا ابن رفاعة أخبرنا الحلعى عن سلامة بن روح عن الزهرى على أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أكثر أهل الجنة البله » قال أحمد بن صالح : سألت عنبسة بن خالد عن سلامة فقال : لم يكن له من السن ما يسمع من عقيل ، وسألت عنه بأيلة فأخبرنى ثقة أنه ما سمع من عقيل وحديثه عن كتب عقيل . وقد روى له ابن عدى، قال أحمد ابن صالح : سمعت سلامة يحدث عن عقيل حديث السقيفة ، فقال : ولا والذى بايع بعرة أن تفتلا . قلت : هو تغرة أن يقتلا . قال : لا ، قلت : فما معناه ؟ قال : البعرة تفتلها فتنتثر اه .

قلت: هذا من تسويغ الخطأ والاعتذار عنه بالإصرار عليه وتأبى الحق وعدم الرضوخ له . وفى النهاية لابن الأثير جـ ٣ ص٣٥٦: التغرة مصدر غررته إذا ألقيته فى الغرر ، وهى من التغرير كالتعلة من التعليل ، وفى الكلام مضاف محذوف تقديره : خوف تغرة أن يقتلا ، أى خوف وقوعهما فى القتل فحذف المضاف الذى هو الخوف وأقام المضاف إليه الذى هو تغرة مقامه وانتصب على أنه مفعول له . ويجوز أن يكون قوله : (أن يقتلا) بدلا من (تغرة) ويكون المضاف محذوفاً كالأول ، ومن أضاف (تغرة) إلى (أن يقتلا) فمعناه خوف تغرته قتلهما اه .

٧ — معمر أو معمر بن بريك (بالتخفيف أو التثقيل) يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم : (من شم الورد ولم يصل على فقد جفانى) أخرجه الشيبانى أخبرنا عبد المحمود والمؤذن بسنجار أخبرنا صدر الدين عبد الوهاب سمعت معمر بن بريك ، قال الذهبى : فهذا من نمط رتن الهندى فقبح الله من يكذب .

٨ — حديث عن أبى رافع مولى النبى صلى الله عليه وسلم : « نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر ونزلت معه فدعا بكحل إثمد فاكتحل به فى رمضان وهو صائم » ، رواه معمر (بالتثقيل) هو ابن محمد ابن عبد الله بن أبى رافع . ومعمر هذا خانته ذاكرته فلم تسعفه بالتاريخ الصحيح فإن نزول النبى صلى الله عليه وسلم خيبر كان فى أول سنة سبع أى فى المحرم فأين

هو من شهر رمضان ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم في خيبر .

٩ — حديث : « أن جبريل أتاني يبتسم فقلت : مم تضحك ؟ قال : من رحم معلقة بالعرش تدعو الله على من قطعها ، فقلت: ياجبرائيل كم بينهما ؟ قال خمسة عشر أبداً » هذا الخبر يرويه سلمة ابن حامد أو مسلمة بن حامد على اختلاف لأنه لم يطارق غيره، قال البكراوي: حدثنا عبدالعزيز بن عبدالصمد القمي عن سلامة ابن حامد عن حبيب بن الضحاك الجهني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحديث .

١٠ — حديث عن ابن عباس : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طعام المتباهين وعن طعام المتبارين » هذا الحديث رواه سليمان بن حجاج، رواه عنه الدراوردي عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس وقد كان هذا الحديث آفة سليمان هذا .

١١ — حديث عن أبي هريرة مرفوعا « والذي بعثني بالحق نبيا لا تنقضي الدنيا حتى يقع بهم الخسف والمسخ والقذف قيل : ومتى ذاك ؟ قال : إذا رأيت النساء ركبن السروج وكثرت القينات وشهادة الزور وشرب المسلمون في آنية أهل الشرك: الذهب والفضة، واستغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء فاستنفروا واستعدوا » قال بشر بن الوليد : حدثنا سليمان اليمامي (بالميم نسبة إلى اليمامة) عن يحي بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال البخاري : سليمان اليمامي منكر الحديث وقد سبق لنا أن نقلنا قول البخاري المأثور عنه : إذا قلت عن رجل منكر الحديث فلا تحل الرواية عنه .

١٢ — حديث سليمان بن شعيب عن ابن لهيعة حدثنا عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : « اشتبكت الحرب يوم خيبر، قيل للنبي صلى الله عليه وسلم هذه الحرب قد اشتبكت فأخبرنا بأكرم أصحابك عليك فإن يكن أمر عرفناه وإن تكن الأخرى أتيناه ، فقال : أبو بكر وزيري يقوم في الناس مقامي من بعدي وعمر ينطق بالحق على لساني ، وأنا من عثمان وعثمان مني، وعلي أخي وصاحبي يوم القيامة » قال الذهبي : المتهم بوضع هذا هذا الشيخ الجاهل سليمان بن شعيب ابن الليث بن سعد .

١٣ — حديث عن أنس مرفوعا : « من حسن عبادة المرء حسن ظنه » اتهم سليمان بن الفضل الذى يرويه عن ابن المبارك عن همام عن قتادة عن أنس قال ابن عدى : هذا بهذا السند لا أصل له .

١٤ — حديث عن أنس مرفوعا : « بشر المشائين فى الظلم بالنور التام يوم القيامة » اتهم به سليمان بن مسلم مؤذن مسجد ثابت البنانى . رواه عن ثابت عن أنس ، قال العقيلى - تلميذ البخارى ووارث علمه - فى سليمان بن مسلم هذا : لا يتابع على حديثه ولا يعرف إلا به .

١٥ — حديث عن أنس مرفوعاً : « لكل باب منهم جزء مقسوم قال : جزء أشركوا وجزء شكوا فى الله وجزء غفلوا عن الله » اتهم به سليمان بن مهران المدائنى الضرير ، قال ابن عدى : له خبر منكر عن عبد الله بن روح المدائنى حدثنا فى سنة أربع ومائتين حدثنا سلام عن أبى بشر عن أنس وساق الحديث .

١٦ — حديث عن جابر بن عبد الله قال : « خرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : خرج من عندى خليلى جبرائيل ، فقال : يا محمد إن عبداً لله عبد الله خمسمائة سنة على رأس جبل عرضه وطوله ثلاثون ذراعاً فى ثلاثين ذراعاً والبحر محيط به أربعة آلاف فرسخ من كل ناحية أخرج الله عينا بعرض الأصبع وشجرة رمان تخرج كل ليلة رمانة فإذا أمسى نزل فتوضأ وأخذ الرمانة فأكلها ثم قام لصلاته فسأل ربه عند وقت الأجل أن يقبضه ساجداً وألا يجعل للأرض ولا لشىء يفسده عليه سبيلا حتى يبعثه الله وهو ساجد ففعل فنحن نمر عليه إذا هبطنا فنجد فى العلم أنه يبعث فيوقف بين يدى الله فيقول : أدخلوا عبدى الجنة برحمتى فنعم العبد كنت ، فيقول : بلى بعملى فيقول الله لملائكته : قايسوا عبدى بنعمتى عليه وبعمله فيجد نعمة البصر قد أحاطت بعبادة خمسمائة سنة ، وهكذا إلى أن يقول : إنما الأشياء برحمته يا محمد » رواه الحاكم فى المستدرك من طريق يحى بن بكير حدثنا الليث عن سليمان بن هرم عن ابن المنكدر عن جابر وأسانيد أخرى كلها عن سليمان بن هرم ، قال الأزدى : لا يصح حديثه . وقال العقيلى : مجهول وحديثه غير محفوظ . وقال الذهبى : لم يصح حديثه هذا والله يقول : « ادخلوا

الجنة بما كنتم تعملون » ولكن لا ينجى أحداً عمله من عذاب الله كما صح ، بل أعمالنا الصالحة هى من فضل الله علينا ومن نعمه لا بحول منا ولا قوة فله الحمد على الحمد له .

١٧ — حديث: «علموا أبناءكم الرماية والسباحة ونعم لهو المرأة المغزل وإذا دعاك أبواك فأجب أمك » آفته سليمان ابن عمرو الأنصارى شامى ، روى عنه على بن عياش هذا الخبر قال ابن عدى: روى عنه على بن عياش خبراً باطلا وليس هذا بمعروف عمرو بن عثمان الحمصى حدثنا ابن عياش عن سليم بن عمرو عن عم أبيه عن بكر بن عبد الله بن ربيع الأنصارى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وساق الخبر .

١٨ — عن عائشة مرفوعا : « أبغض العباد إلى الله من كان ثوباه خيراً من عمله أن تكون ثيابه ثياب الأنبياء وعمله عمل الجبارين » هذا الخبر يقول الذهبى فى سليم بن عيسى الكوفى القارىء: روى عن الثورى خبرا منكرا ساقه العقيلى قال الذهبى : هذا الخبر باطل .

١٩ - « تبعث بعدى بعوث فكونوا فى بعث خراسان ثم انزلوا كورة يقال لها (مرو) بناها ذو القرنين لا يصيب أهلها سوء » قال ابن حبان : سهل بن عبد الله ابن بريدة المروزى عن أبيه روى عنه أخوه أوس وهو منكر الحديث ، فذكر خبراً منكراً وساق الحديث ، قال الذهبى هذا الخبر باطل .

٢٠ - « من أكل الطين فقد أعان على نفسه » آفته سهل بن عبد الله المروزى .

٢١ - « لا هم إلا هم الدين ولا وجع إلا وجع العين » سهل بن قرين عن ابن أبى ذئب عن ابن المنكدر عن جابر مرفوعاً قال الذهبى: غمزه ابن حبان وكذبه الأزدى

٢٢ - « لا يبغى على الناس إلا ابن بغية أو فيه عرق منها » سهل الأعرابى قال الذهبى : لا يقبل . روى هذا عن بلال ابن أبى بردة عن أبيه عن أبى موسى مرفوعا ولم يتابع عليه بل لم يقبل .

٢٣ - « إن لقلب ابن آدم بكل واد شعبة فمن توكل على الله كفاه الشعب » صالح بن رزيق عن سعيد بن عبد الرحمن الجمحى عن موسى بن على عن أبيه عن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وساقه قال الذهبى : صالح بن رزيق عن سعيد

الجحمى وعنه الكوسج فقط بحديث منكر هو هذا ،

٢٤ — « يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها » الحديث آفته صالح بن رستم عن ثوبان فقال عبد الرحمن بن يزيد بن جابر: حدثنى شيخ يكنى أبا عبد السلام عن ثوبان مرفوعاً وساقه هكذا فى سنن أبى داود فهو هنا بكنيته أشهر ولكن سماه أبو زرعة الدمشقى والنسائى « صالح بن رستم »

٢٥ — صالح بن عبد الجبار أتى بخبر منكر جداً رواه بن الأعرابى فى معجمه قال : حدثنا محمد بن صالح - كيلجة - حدثنا عبد الملك بن سلمة حدثنا صالح ابن عبد الجبار عن ابن جريج عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعاً : « الرضاع يغير الطباع » وهو الذى روى فى الصداق عن ابن عباس مرفوعاً « ولو عوداً من أراك »

٢٦ — ضرار بن سهل عن الحسن ابن عرفة قال الذهبى : عرف بخبر باطل ولا يدرى من ذا الحيوان ، والحديث عن ابن عرفة حدثنا الأبار عن حميد عن أنس قال على : قال لى النبى صلى الله عليه وسلم : **ياعلى إن الله قد أمرنى أن أتخذ أبا بكر والداً وعمر مشيراً وعثمان سنداً وأنت ظهيرا ، أنتم قد أخذ الله لكم الميثاق لا يحبكم إلا مؤمن تقى ، أنتم خلفاء أمتى وعقد ذمتى** رواه أخو تبوك عبد الوهاب الكلابى عن عبد الله بن أحمد الغباغبى أحد المجهولين عن ضرار .

٢٧ — طريف بن ناصح عن معاوية ابن عمار عن أبى الزبير قال : سألت ابن عمر عمن طلق امرأته ثلاثاً وهى حائض فقال : إنى طلقت امرأتى ثلاثاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى حائض فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السنة . قال الذهبى : طريف ابن ناصح عن معاوية بن عمار شيعى لا يكاد يعـــرف ، والخبر منكر رواه الدارقطنى وقال : كل رواته شيعة ويبطله ما فى الصحيح من أنه طلق واحدة ؟ يتبع

محمد نجيب المطيعى

الحب بين الزوجين في الأدب العربي القديم

للأستاذ الغزالي حرب

— ٢ —

من أروع ظواهر حب الزوجة لزوجها في أدبنا العربي القديم ، الظواهر الآتية :

١ — حنينها إليه إذا غاب حنينا يتمثل في أنها كانت إذا غاب في سفر تأخذ حفنة من تراب موضع رجليه معتقدة أن ذلك كفيل بسرعة عودته إليها غانما سالما من سفره وفي ذلك تقول إحدى الزوجات العربيات :

أخذت ترابا من مواطىء رجله
غداة غدا كيما يئوب مسلما

وتقول زوجة أخرى في دعاء جار لله عز وجل :

قالت له واقتضبت من إثره
يا رب أنت جاره في سفره (١)

٢ — اعتبارها مصابها فيه أخطر من مصابها في أي إنسان آخر ، وذلك ما باركه الأدب الإسلامي الأصيل الذي اعتبر حداد الزوجة على زوجها أربعة أشهر وعشرا ، وحدادها على ابنها أو أبيها أو أمها أو أخيها ثلاثة أيام ، وفي ذلك يقول القرآن الكريم : «والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا» . ويقول الحديث المحمدي الشريف : (لا يحل لامرأة أن تحد على ميت أكثر من ثلاثة أيام إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا) ومما رواه كتاب السيرة النبوية أن الرسول عقب عودته من غزوة أحد التي هزم فيها المسلمون وقتل كثير من شهدائهم ، استقبلته السيدة : حمنة بنت جحش فنعى لها أخاها الشهيد عبد الله بن جحش ، فاسترجعت واستغفرت ، ثم نعى لها خالها سيد الشهداء حمـــزة بن عبد المطلب ، فاسترجعت واستغفرت ، ثم زادت عن الاسترجاع ، والاستغفار ، ثم نعى لها زوجها الحبيب ، مصعب بن عمير فصاحت وولولت واشتد بها النحيب . . فقال

(١) انظر بلوغ الأرب ٢ - ٢٣٩

الرسول - صلى الله عليه وسلم - : إن زوج المرأة منها لبمكان [1] .

وصدق رسول الله ، فالأب أو الأم أو الأخ أو الابن أو الابنة ، كل له مكانه ومنزلة فى قلب حواء ، ولكن الزوج الحبيب له مكانته ومنزلته التى لا تسامى طوال حياته وبعد وفاته ، وما أكثر الأشعار التى عبر بها بعض الشعراء فى الجاهلية عن مشاعر زوجاتهم نحوهم وخوفهن عليهم من الهلاك حتى لا تحل لعنة الترمل عليهن واليتم والحرمان على أولادهن منهم ، وانظروا ما قاله فى ذلك مثلا عروة بن الورد وعمرو بن براقة الهمذانى وعمرو بن معد يكرب الزبيدى وغيرهم [2] .

وما أكثر الزوجات الوفيات اللاتى أبى عليهن الوفاء لأزواجهن إلا الإضراب عن الزواج من غيرهم ، حتى نهاية الحياة، ومنهن على سبيل المثال لا الحصر :

(أ) السيدة هند بنت النعمان بن المنذر بعد قتل زوجها عدى بن زيد على يدى أبيها النعمان نفسه ، فقد قضت بقية حياتها فى الدير المعروف بدير هند فى الحيرة ، ولما خطبها المغيرة بن شعبة والى الكوفة فى عهد معاوية رفضت فى ولاء ووفاء لزوجها العزيز [1] .

(ب) والسيدة نائلة بنت القرافصة الكلبية بعد مقتل زوجها الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان ، فقد خطبها معاوية ابن أبى سفيان نفسه معجبا بثناياها ، فما كان منها إلا أن كسرت ثناياها ومقدم أسنانها ثم بعثت بها إليه فأمسك نفسه عن الطمع فيها .

(ج) والسيدة الرباب بنت امرىء القيس بعد استشهاد زوجها الحسين ابن على الذى قال فيها وفى بنتها منه سكينة بنت الحسين بيته المشهور :

لعمرك إننى لأحب دارا
تحل بها سكينة والرباب

وبعد استشهاد الحسين ، تقدم إليها

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ٣/٥٠ وتاريخ الطبرى ٣/٢٧ والمغازى للواقدى ٢٨٤-٢٨٥ .

(٢) ارجع إلى هذه الأشعار مثلا فى : الأغانى ٣/٨٢ وشعراء النصرانية ٨٨٤، ٨٩٨ والعقد الفريد ١/٢٤٣ والأصمعيات ٢ - ٦٠ وديوان عروة بن الورد ص ١٣-٢١-٢٣ .

(١) الأغانى ٢-١٣١ دار الكتب .

أكثر من خاطب مرموق ، فقالت كلمتها المشهورة (والله لا اتخذت حموا بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -)[١] .

وروى الأصمعى عن رجل من بنى ضبة أنه عرض على فتاة تأيمت أن يتزوجها فأطرقت ساعة ثم رفعت رأسها وعيناها تذرفان دموعا فاضت بها مشاعرها . . قائلة فى ولاء ووفاء[٢] :

كنا كغصنين من بان غذاؤهما
ماء الجداول فى روضات جنات
فاجتث صاحبها من جنب صاحبه
دهر يكر بفرحات وترحات
وكان عاهدنى إن خاننى زمن
ألا يضاجع إنس بعد موتاتى
وكنت عاهدته أيضاً فعاجله
ريب المنون قريبا سنيات
فاصرف عتابك عمن ليس يصرفه
عن الوفاء له خاب التحيات

(١) انظر المستطرف ١ - ١٧٥ وأخبار النساء لابن القيم ٦٢ والمحبر لأبى جعفر السكرى مطبعة المعارف العثمانية بحيدرأباد سنة ٩٤٢ ص ٢٩٦

(٢) انظر عيون الأخبار لابن قتيبة طبعة دار الكتب ١٣/٤ وأخبار النساء ٦١

ومن أروع آيات الشعر العربى القديم فى وفاء الزوجة لزوجها بعد فقده قول السيدة فاطمة بنت الأحجم الخزاعية ترثى زوجها الجراح بالأبيات الآتية التى قالوا : إن السيدة عائشة تمثلت بها عقب وفاة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وإليكم هذه الأبيات :

يا عين بكى عند كل صباح
جودى بأربعة على الجراح (١)
قد كنت لى جبلا ألوذ بظله
أمشى البراز وكنت أنت جناحى
فاليوم أخضع للذليل واتقى
منه وأدفع ظالمى بالراح
وأغض من بصرى وأعلم أنه
قد بان حد فوارس ورماحى

(١) من العجب أن الاستاذ الدكتور / أحمد الحوفى نقل هذه الأبيات مرة كمرثية لزوجها الجراح ص ١٨٢ - ٤٩١ ومرة كمرثية لأبيها ص ٤٨٨ من كتابه العظيم « المرأة فى الشعر الجاهلى » ومن رووها كمرثية فيها لأبيها : أبو على القالى فى الأمالى ج ٢ والتبريزى فى شرح الحماسة ج ٢ ص ١٨٩ مطبعة بولاق والدكتور عبد الحى دياب ص ٣٨٦ فى « العقاد ناقدا »

وإذا دعت قمرية شجنا لها
يوما على غصن دعوت صباحي (١)

وما آخر وما أشهر رثاء جليلة بنت مرة لزوجها كليب الذى تمنت أن تفديه بحياتها ويكفينا منه قولها :

يا قتيلا قوض الدهر به
سقف بيتي جميعا من عل
هدم البيت الذى استحدثته
وانثنى فى هدم بيتى الأول
ورمانى قتله من كثب
رمية المصمى به المستأصل
يا نسائى دونكن اليوم قد
خصنى الدهر برزء معضل
خصنى قتل كليب بلظى
من ورائى ولظى من أسفل (٢)

ومن روائع مراثى الشاعرات العربيات قديما :

(١) شرح الحماسة للتبريزى ٢ - ١٨٩ والآمالى ٢ - ١ ومعنى قولها جوذى بأربعة جوذى بالموقين واللحاظين ومعنى دعوت صباحى قلت : واسوء صباحى .

(٢) الكامل لابن الأثير ١ - ٢١٦ ونهاية الأرب ٥ - ٢١٤ والأغانى دار الكتب ٥ - ٦٣

مرثية الخنساء لزوجها مرداس بن أبى عامر السلمى ومنها قولها :

وفضل مرداسا على الناس فضله
وإن كل هم همه فهو فاعله (١)

ومرثية السيدة خرنق لزوجها وأولادها الثلاثة ومنها البيت المأثور :

لا يبعدن قومى الذين هم
سم العداة وآفة الجزر (٢)

ومرثية السيدة دخدنوس أو تختينوس لزوجها عمير بن سعيد بن زرارة وترونها فى الشعر (٣) والشعراء ، ومرثية السيدة عاتكة بنت عمرو بن نفيل لزوجها الصحابى الجليل الزبير بن العوام (٤) ومرثية سلمى بنت حريث النغرية لزوجها زفر وبها نختم مراثى الزوجات الوفيات :

أصبحت فيها لريب الدهر صابرة
للذل أكثر تحنانا إلى زفر
إلى امرىء ماجد الآباء كان لنا
حصنا حصينا من اللأواء والغير

(١) ديوان الخنساء ٢٥٦ والأغانى ٤ - ٢١٢
(٢) الأمالى ٢ - ١٥٨ وديوان خرنق ص ٣
(٣) الشعر والشعراء لابن قتيبة ٢٨٢
(٤) انظر حسن الصحابة فى شرح أشعار الصحابة الجير زاده على فهمى ١ — ٢٩٤ والحماسة البصرية ٨٤ مخطوط

كان العماد لنا فى كل حادثة
تأتى بها نائبات الدهر والقدر (١)

٣ - حرصها على ماله وثروته تلافيا للفقر الذى هو أخطر ما يهدد الهناءة الأسرية والسعادة الزوجية وما فاضت الأشعار العربية القديمة بشكوى الزوجات والأزواج من الفقر ؛ قبل سواه .. فعروة بن الورد يقول لزوجته :

ذرينى للغنى أسعى فإنى
رأيت الناس شرهم الفقير
وأهونهم وأحقرهم لديهم
وإن أمسى له نسب وخير
ويقصى فى الندى وتزدريه
حليلته وينهره الصغير

وعبيد بن الأبرص يعلل فراق زوجته له بقلة ماله وكبر سنه قائلا من أبيات له .

زعمت أننى كبرت وأنى
قل مالى وضن عنى الموالى (٢)

وخليفة بن حمل بن عامر المشهور بذى الخرق يتساءل وقد خاصمته زوجته أم حبيش لفقره :

ما بال أم حبيش لا تكلمنا
لما افتقرنا وقد نثرى فنتفق (١)

وأعشى همذان الشاعر الإسلامى يحدثنا عن تبرم زوجته بفقره حائرا بين قولها وقوله :

قالت تعاتبنى عرسى وتسألنى
أين الدراهم عنا والدنانير
فقلت : أنفقتها والله يخلفها
والدهر ذو مرة عسر وتيسير
إن يرزق الله أعدائى فقد رزقت
من قبلهم فى مراعيها الخنازير
قالت : فرزقك رزق غير متسع
وما لديك من الخيرات قطمير
وقد رضيت بأن تحيا على رمق
يوما فيوما كما تحيا العصافير (٢)

وما شهد أبو العلاء المعرى للشاعر علقمة الفحل بأنه « أعلم الناس بالنساء إلا لقوله مصورا ضيقهن بالفقر والشيب

فإن تسألونى بالنساء فإننى
بصير بأدواء النساء طبيب
إذا شاب رأس المرء أو قل ماله
فليس له من ودهن نصيب

---

(١) بلاغات النساء لابن طيفور سنة ١٩٠٨ ص ١٨١

(٢) البيان والتبيين ١ - ١٩٨ - وشعراء النصرانية ٨٨٨ وديوان عروة بن الورد ص ٢٠

(١) البيان والتبيين ١/١٩٩ وديوان عبيد ابن الأبرص القصيدة ١١ وخزانة الأدب ١-٢٧

(٢) انظر الحيوان للجاحظ ٧/٦٢

يردن ثراء المال حيث علمنه
وشرخ الشباب عندهن عجيب(١)

هذا الفقر ، الذى هو أخطر شبح رهيب ، يهدد حياة الأسرة وسعادتها ليس عيبا أن تتلافاه وتتقى شره وأذاه الزوجة العربية من قديم الزمن ، ولا أقل من شدة حرصها على مال زوجها ما استطاعت إلى ذلك سبيلا ، وإذا كانت الأم حريصة على مال ابنها بدافع الأمومة غير متأثرة بنفع شخصى تتوقعه - فالزوجة كما قال الأستاذ أحمد الحوفى (٢) بحق تحرص على هذا المال « بدافع المشاركة فى الحياة وبدافع شخصى من شعورها بأن هذا المال لها ولبنيها ولزوجها وأنها تحقق به آرابها فهى أشد من الأم حرصا وأشدمنها لوما للرجل على الإسراف ، وهى ترى إسرافا ما يعتده الزوج أريحية وواجبا محتوما » ، وأضيف إلى ما ذكره الأستاذ الدكتور أننا ما رأينا شاعرا جاهليا أو إسلاميا يشير فى شعره من قريب أو من بعيد إلى لوم أمه على إسرافه فى البذل والتضحية ، بل رأينا أما كأم حاتم الطائى ، فى الجاهلية أو عبد الرحمن بن عوف فى الإسلام تحث ابنها على المزيد من البذل والتضحية ، بالمال ، أما الزوجات العربيات فما أكثر ما لمن أزواجهن على الإسراف ، وحينما أبى بعضهم الانتهاء عن ذلك الإسراف سارعن إلى تطليقهم أو البعد عنهم ، تاركات هؤلاء الأزواج المسرفين لشبح الفقر اللعين .

(١) فالسيدة ماوية بنت عفرز طلقت زوجها حاتما الطائى بعد أن رأت ما رأت من تخرقه فى كرمه الحاتمى غير عابئة بمواعظه التى حاول أن يعظها بها قائلا مكررا اسمها ونداءها مطلع كل بيت من أبياتها الخمسة الآتية :

أماوى إن المال غاد ورائح
ويبقى من المال الأحاديث والذكر
أماوى إنى لا أقول لسائل
إذا جاء يوما : حل فى مالنا نزر

---

(١) انظر المفضليات ٢ - ١٩٢ والعقد الفريد ٣ - ٢١٨ ورسالة الغفران للمعرى تحقيق الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء)

(٢) انظر « المرأة فى العصر الجاهلى » للدكتور الحوفى ص ١٧٤

أماوى ما يغنى الثراء عن الغنى
إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر
أماوى إن يصبح صداى بقفرة
من الأرض لا ماء هناك ولا خمر
ترى أن ما أهلكت لم يك ضرنى
وإن يدى مما بخلت به صفر (١)

٢ — وزوجة النمر بن تولب جزعت أيما جزع من إسراف زوجها فى الحفاوة بضيوفه وإكرامهم .. فقال فى ذلك أبياتا تسعة يكفينا منها البيت الأخير ، وهو بيت القصيد .

لا تجزعى إن منفس أهلكته
فإذا هلكت فعند ذلك فأجزعى (١)

وغير هذين النموذجين كثير يعمر بطون الكتب ؟

الغزالى حرب

(١) ديوان حاتم ١١ والعقد الفريد ١ - ٢٣٦ وزهر الآداب ٣ - ١٨٣ وشعراء النصرانية ١٠٩

(١) خزانة الأدب للبغدى ١ - ٢١٥

(بقية المنشور على ص ٥٨٣)

ولدينا فى الداخل مجالات علمية تتصل بالمعركة تحتاج إلى نفوس مخلصة وطاقات كبيرة تتحرك فيها وكل إليها ، باذلة كل جهد وراحة فى سبيل الخلاص الذى تتطلع الأمة إلى فجر يومه .

ويجب أن تتجه مناهج دراساتنا فى الجامعات والمعاهد وجهة علمية تفيد المعركة فى كل ميادينها : الهندسية ، والصناعية والرياضية ، والتخطيطية ، ولا تضيع الجهود فى دراسات نظرية قد لا يكون لها كبير الفائدة فى مستقبلنا الحربى .

إن كل معهد ومدرسة وجامعة يجب أن تتفجر فيها طاقات جديدة من العمل العلمى الذى قد تحوله الظروف إلى وسائل حربية أو متصلة بما تتطلبه الحرب فى المعركة الطويلة التى نرتقب دقاتها المؤذنة بالانطلاق ؟

د . محمد محمد خليفة

باب الفتوى

يقدمه الأستاذ : محمد أبو شادى

الإجابة للجنة الفتوى بالأزهر

ورد إلى لجنة الفتوى بالأزهر استفتاء من السيد / سيد محمد رزق المسلم المقيم بألمانيا الغربية يتضمن ما يأتى :

١ — أنه تعاقد كتابياً مع سيدة ألمانية مسيحية برضاها على أنه بعد التزوج بينهما يكون التحاكم بينهما للقانون العربى المعمول به فى بلد الزوج، وأن هذا القانون العربى - يعنى الإسلامى - هو الأساس لتنظيم العلاقة الزوجية بينهما .

٢ — تم بينهما التزوج ، وأنجب منها ولدين ، ثم تجدد بينهما شقاق وخلاف على استحقاق الحضانة والولاية : فالرجل يطلب الحكم له باعتباره الأب ، والولى الشرعى على ولديه القاصرين وعملا بالتعاقد الكتابى الذى رضيته الزوجة ، ووقعت عليه وتزوجت بمقتضاه .

٣ — تقدم الزوج « سيد محمد رزق » إلى محكمة الوصاية فى مدينة جيوسهايم بألمانيا الغربية يطالب إثبات حقه فى الحضانة والولاية على ولديه القاصرين .

٤ — كانت وجهة نظر المحكمة هناك أن طلبت من البروفوسور «فرد» رئيس قسم القانون بمعهد ميونخ إصدار فتوى بخصوص هذه القضية .

٥ — أن البروفسور « فرد » أصدر فتواه متضمنة أمرين - أحدهما - أن القوانين فى الشرق الأوسط والقائمة على أسس دينية إسلامية لا تراعى فى تنظيمها لمسألة الوصاية والحضانة صالح الأطفال القصر . . لذلك فإن مثل هذه القوانين المبنية على نظم قانونية دينية لا يجوز تطبيقها فى ألمانيا عملا بالمادة ٣٠ من القانون هناك .

وفى نهاية الاستفتاء سأل السيد / سيد محمد رزق هل يرغم أبناء الشرق من المسلمين على تنظيم حياتهم فيما يختص

بأحوالهم الشخصية وتنظيم العلاقة بينهم وبين أبنائهم المسلمين على أساس النظم القانونية لدولة أوربية غير إسلامية ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد فنفيد بما يأتى :

الأول : أن هذا التعاقد الكتابى الذى صدر بين سيد محمد رزق والسيدة الألمانية باختيارهما يعتبر فى نظر الإسلام ، وفى نظر العقل ، وفى نظر القانون الوضعى الصحيح تعاقداً سليما من شوائب الإكراه أو التدليس أو الجهالة بما يترتب عليه من آثار ملزمة لكل من المتعاقدين ، فيكون سارياً عليهما إذا تحقق الزواج بينهما - وقد تحقق الزواج فعلا ، وأنجب الزوج من هذه الزوجة طفلين فيكون لهذا التعاقد بقية آثاره كحق التقاضى للزوج أمام القوانين المعمول بها فى بلاده الإسلامية .

وإن لم يكن هذا التعاقد محتوما وملزماً فلا قيمة لأى عقد شخصى يرتضيه شخصان مكلفان مع أن النظرية العامة فى التشريع الوضعى أن العقد شريعة المتعاقدين ، وهذه النظرية تتفق تماما مع وجهة الإسلام فى كل شىء لا يكون مخالفاً لأحكامه كهذا الاتفاق المذكور .

الثانى : أن المحكمة هناك لم تلتفت مبدئياً إلى هذا التعاقد وركنت إلى رأى البروفوسور « فرد » من علماء القانون هناك ، وقد أفتى البروفوسور برأيه الشخصى ، أن القوانين فى الشرق الأوسط تقوم على أسس دينية إسلامية وأنها لا تراعى فى تنظيمها لمسألة الوصاية والحضانة صالح الأطفال القصر ، وتراعى نفوذ الرجل وأنه وحده له حق الوصاية على أولاده ولا تراعى ما تتطلبه الإنسانية التى تراعيها القوانين الألمانية وأن القوانين المبنية على مثل هذه الأسس الدينية تتعارض مع النظام الألمانى ولا يجوز ولا يمكن تطبيقها فى ألمانيا عملا بالمادة ٣٠ من القانون هناك .

والناظر فى فتوى البروفسور (فرد) يراها حملة عدائية على الإسلام فيما وصفه به من عدم رعايته لصالح الطفل وعدم رعايته لما تتطلبه الإنسانية .

والبروفسور « فرد » رجل لا يدين

بالإسلام ولم يدرسه دراسة علمية تقف به على تعاليمه الصحيحة ، وكان الإنصاف العلمى يقتضيه أن يتحاشى المساس بدين لا يعرفه، وكل ما عنده من هذا القبيل هى أفكار وأقوال يستمدها من كتب غير إسلامية ، وفيها ما فيها من مفتريات فإن الإسلام دين سماوى ولا يعقل فى تشريعه أن يكون قاصرا فى رعاية الطفل وما تتطلبه الإنسانية من تشريع وضعى من عمل الناس لأن وضع القوانين يكون فى بيئة محلية ولا يكون عاما كالإسلام .

وقد راعى الإسلام صالح الطفل ومقتضيات الإنسانية فى ضوء الحكمة الإلهية التى تتسامى عن تشريع البشر ، ولا تكون مؤقتة بوقتها كما هو شأن القوانين الوضعية ، وذلك أن الإسلام يتعهد الطفل من أول وجوده حملا فى أمه تحفظ له حقه فى الميراث ، وجعل الولاية عليه بعد وضعه مسئولية الأب أو من يقوم مقامه إذا كان الأب متوفيا ، فعلى الولى أن يتولى شئون الطفل من حيث النفقة، والتربية والمحافظة عليه من المفاسد وتهيئته لأن يكون فى مجتمعه على مسلك إنسانى محمود يسد فراغه فى مجال الأعمال النافعة له ، ولأمته ، والذى يقدر على هذه الولاية هو الأب أولا ، إذ الأب هو الأقدر على الكفاح وتحمل الأعباء واختيار الأصلح للطفل ، والوصول به إلى الحياة العملية ، لذلك كانت هذه الولاية من خصوصيات الآباء حتى لا يتخلف الطفل عن طريق الرشاد .

كما راعى الإسلام صالح الطفل فى مدة طفولته ، فجعل الحضانة حقا للأم ، والحضانة هى الخدمات والرعاية الشخصية للطفل بعد وضعه ، فالأم ترضعه أو تشرف على إرضاعه وتمهد فراشه وتتعهده فى نومه وفى يقظته ، وفى نظافته ، وإبعاده عن التعرض لما يضره من تحركات ، وهكذا مما يحتاجه الطفل فى صغره حتى يبلغ سنا معينة فتنتهى حضانة الأم لعدم حاجة الطفل إليها منذ يبلغ تلك السن .

وشرط استحقاق الأم لحق الحضانة ألا يخشى من ناحيتها ضرر على الطفل فى جسمه أو فى تربيته الخلقية ، أو إعداده للحياة بالتعليم النافع له ، فإن كانت الأم مع غير أبيه ، أو كانت غير كفء لهذه الرعاية أو يخشى من جانبها أى ضرر على الطفل، فالحضانة

تنتقل عن الأم إلى غيرها كالأب خاصة فى الحادثة المسئول عنها من السيد / سيد محمد رزق .

ومن هذا البيان يظهر فى وضوح أن الإسلام يراعى مصلحة الطفل ويراعى فى شخصه ما تتطلبه الإنسانية أكثر من أى قانون وضعى .

ولعل ما ركن إليه البروفسور (فرد) فى تجريحه للإسلام عن جهالة به وبأحكامه وفى إنكاره لأهمية التعاقد المشروط بين الطرفين ، لعل هذا يكون واضحا فى نزعته العدوانية للإسلام ، والإسلام واضح وضوح الشمس فى كبد السماء ، ولا ينكر الشمس الواضحة إلا من كان فاقد البصر ؛ وبذلك يكون الحق الذى ترضاه الضمائر الإنسانية هو فى جانب السيد / سيد محمد رزق المسلم هذا وأما إقامة المسلم فى بلد غير إسلامى فلا تجيز للمسلم أن يخالف أحكام دينه فى قليل ولا كثير مهما يكن خضوعه للقانون فى غير الشئون الدينية بل الواجب شرعا على المسلم أن يلزم دينه فى كل وطن يقيم فيه ، فإن ضر فى دينه أو أحس بتوجيهات تلزمه مخالفة دينه فعليه شرعا أن يلتمس بلدا آخر يهاجر إليه بعيدا عن التأثيرات التى يلاقيها .

« ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيراً وسعة » ووجوب الهجرة على المسلم بدينه إلى بلد آمن يستفاد من نصوص كثيرة فى القرآن ، نحو قوله تعالى « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض » يعنى كنا عاجزين عن متابعة الدين!! « قالوا - يعنى الملائكة - ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا » .

وبهذا علم الجواب عن جميع ما ورد فى الاستفتاء والله تعالى أعلم ؟

محمد أبو شادى

أنباء وآراء

● محنة المسلمين فى الفلبين

محنة المسلمين فى الفلبين حلقة من سلسلة المحن الإسلامية فى آسيا فى القرن العشرين:

كان المسلمون فى سنغافورة يغطون الكثافة الكلية للسكان بنسبة مائة فى المائة فصارت نسبتهم إلى بقية سكان سنغافورة ٤٠ ٪.

وهذه محنة المسلمين فى الفلبين:

جاء فى تصريح « توودو لونا يتويدا » عضو حزب الحكومة ورئيس مجلس النواب فى الفلبين، وهو تصريح نشرته مجلة (قبات) فى إبريل الماضى :

« إن المسيحيين فى جنوب البلاد لا يتورعون عن قطع الأذن اليمنى للمسلمين الذين يذبحونهم، ويحملون هذه الآذان المقطوعة فى قارورات يضعونها حول أعناقهم ».

وأرسل «داتو أودتوج متالام» وهو قائد مسلم وصديق شخصى لماركوس - رئيس الفلبين - برقية إلى رئيس الفلبين وإلى رئيس شرطة « مانيلا » جاء فيها :

« إنى أريد أن أرى هذه الحكومة تستطيع فى مدة أسبوع واحد فعل شىء أى شىء لحل هذه القضية، وإلا فلن يكون اختيار ثان أمام الأمة الإسلامية من أن تأخذ المبادرة لكى تثأر لشهدائها بنفسها ؛ لأن الحكومة قد رفضت أن تتخذ أى خطوة مهما كانت تافهة ».

العجيب أن حتمية الموقف اقتضت أن يتخذ المسلمون فى مانيلا موقف المقاومة لأولئك السفاكين، فاعتبرت حكومة الفلبين موقف المسلمين «تشكيلا» غير شرعى تجب مقاومته، فوقفت بذلك - عن قصد منها - إلى جانب المعتدين.

وقد أسفر الموقف حاليا عن اتجاه دولى لحماية المسلمين - بخاصة والحرب الأهلية توشك أن تقع - فأبرق رئيس وزراء ماليزيا إلى مندوبها فى هيئة الأمم لإثارة القضية عاجلا بها، وتتخذ الحكومات الإسلامية الآن موقفا موحدا منها ؟

على الخطيب

and because this form was preserved by the Prophet himself in 'Uman where Jaifar and 'Abd, who ruled conjointly, had embraced Islam. (2)

275 — The universal caliph does not exist now-a-days among the Muslims ;. nevertheless the masses continue to aspire for it. The very independant existence of Muslims is also subject to fragmentary reconquest Before restoring the institution of a universal caliphate, it may be that they could have reccurse to the precedents of the time of the Prophet, in order to avoid regional rivalries and susceptibilities ; one may have for instance a "Council of Caliphate" composed of the heads of all the Muslim States, Sunnites as well as Shi'ites Quraishites as well as non-Quraishites ; and by rotation every member could could preside over the Council, say for a year

DUTIES OF THE STATE

276 — The duties and functions of a Muslim state seem to be four : Executive (for the civil and military administration), Legislative, Judical, and Cultural.

277 — The Executive does not require elaborate examination ; it is self- evident, and obtains everywhere in the world. The sovereignty belongs to God, and it is a trust which is administered by man, for the wellbeing of all without exception.

278 — We have already mentioned the restrictions of legislative competence in their Islamic society, in the light of the fact that there is the Qur'an, Word of God, which is the source of law in all walks of life, spiritual as well as temporal.

279 — In the domain of judiciary we have already pointed out the equality of all men before law, in which the head of the state is not exempt even vis-a-vis his subjects. The Qur'an (5/42-50, 5/66) has ordained another important disposition ; The non-Muslim inhabitants of the Islamic State enjoy a judical autonomy, each community its own tribunals, its own judges administering its own laws in all walks of life, civil as well as penal.

(to be continued)

2 — The letter of the Prophet inviting them to Islam is preserved, and says : If you both embrace Islam, I shall maintain you both as rulers, but if you refuse to embrace Islam, your kindom will vanish."

of caliphate for the head of the state. The powers and privileges of the caliph were nominally conferred on the Grand National Assembly, which however neither claimed them nor exercised them. The last Turkish caliph 'Abdulmajid II, the 100th after the Prophet, died in exile as a refuge in Paris. In the meanwhile the caliphate of Morocco became a protectorate of France.

274 — Some observations suggest themselves in this connection. The Prophet hap predicted that after him, the caliphate would continue only for thirty years and that afterwards a biting kingship " would follow (cf. Ibn Athir's Nihayah, Tirmidhi, Abu-Dawud). Another saying is attributed to the Prophet to the effect that the caliphate belongs to the tribe of Quraish. The context of this last direction is not known ; but the practice of the Prophet himself does not seem to confirm the obligatory character of this qualification. For history shows that since his arrival in Madinah and the founding of a City State there, the Prophet left his metropolis at least 25 times, in order to go on military expeditions to defend the state territory as well as for pacific avocations (such as contracting alliances, making a pilgrimage) On all such occasions, he nominated a vicegerent in Madinah, yet it was not the same person that he chose always for carrying on the interim government. We find among these vicegerents, called khalifah or caliph, Madinans, Quraishites, Kinanites and others ; there was even a blind person, At the time of his last journey when he went on pilgrimage, just three months before his death it was a blind person who was the "caliph" in the metropolis. Another point to be noted is that, at the election of Abu-Bakr as caliph, there was a proposal for a sort of joint-rule with two caliphs operating simultaneously. (1) For practical reasons, the proposel was rejected. It is nevertheless one of the possible form of Muslim government, as it is recognized by the Qur'an (20/32) which speaks of Aaron as the associate of Moses in the statal power,

---

1) This is the narration of Ibn-Hisham, As for Ibn Sa'd (111/i p.151) he gives details and refers even to the practice of the Prophet, and says; "Abu Sa'd al Kudri reports ; When the Prophet breathed his last, the orators of the Ansarites stood up and one of them said ; O Muhagirites whenever the Prophet nominated some peras ' aamil (governor), he attached to him someone from amongst us, so we are of opinion that this power (caliphate) should also be exercised by two persons, one from among you and one from among us ".

resemble the republic, the duration of the power was like that of a monarchy From the very beginning, there have been dissidents to the elected caliphs; later there have been even rival claimants and these caused bloodshed in the community from time to time. Later power was held by some dynasty. Thus came the Umaiyads, who in their turn were replaced by the 'Abbasids; these latter did not succeed in obtaining the homage of the far-off province of Spain, where independant dynasties of Muslim rulers exercised sovereign powers, without however daring to assume the title of "caliph". It required two more centuries before the Muslim world knew the multiplicity of caliphs, at Baghdad, Cordova, and Cairo (Fatimids). The Turks, when converted to Islam, brought a new element. First they furnished soldiers and then commanders who became the real governing power in the State. Side by side with the caliphs, there appeared a "commander of the commanders", and later a "sultan", and the State authority become divided and adminsitration went into the hands of the Sultan who governed in the name of the caliph. This excited greed and roused up jealousies; several provinces became independant, producing "dynasties" of governers, who in their turn replaced by other adventurers; and the caliph had no choice but to ratify the fait accompli whenever it arose.

The Fatimid caliphate of Cairo disappeared first; and this kingdom was acquired by a dynasty of Turkish-Kurdish governers, who recognized the caliphate of Baghdad. When this latter was devastated by the pagan Tatars, the seat of the caliphate was moved to Cairo. Latter the Ottoman Turks conquered Egypt, and abolished the neo-'Abbasid dynasty of caliphs there. After some time, the Spanish caliphate surrendered the country to Christian conquerors, and reconstituted a caliphate in Morocco. The Turkish Istanbul, and the Mughal Delhi also pretended to the caliphate; but however big their empires might have been, their claims were recognized only inside their respective jurisdictions Prior to these two, there had at least been the obligatory qualification of a caliph being a Quraishite, i. e, a descendant of the Meccan Arabs of the time of the Prophet The Turks and the Mughals did not fufil this condition; but we shall revert to the point later. The Mughals were removed from their Indian power by the British; the Turkish caliph of Istanbul was later deposed by his own subjects, who not only chose a republican from of government, but would not even preserve the dignity

ment of the contract and the deposition of the ruler by the same representative personalites.

271 – It was by virtue of being the messenger of God, that the Prophet Muhammad commanded his community; and the law which he promulgated and left to posterity was equally of Divine inspiration. For his successors, the sovereignty of God continued to exist as a reality, in the sphere of their competence; therein they were the successor of the Prophet of God.

But for them there was no possibility of receiving Divine revelations; and thus their power in the matter of legislation was restricted: they could not abrogate the laws established by the Prophet in the name of God; they could however interpret these laws, and legislate in cases where the law of the time of the Prophet was silent. In other words, the caliph could not be a despot, at least in matters of legislation: he is a constitutional head, and as much subject to the laws of the country as any ordinary inhabitant of the State. The tradition created by the Prophet himself is responsible for the fact that the head of the Muslim State should not be above the law; and history shows that the caliphs could always be cited, even by the humblest of the subjects, also by non-Muslims, to appear before the courts of the country, from the time of Abu-Bakr (the first caliph) to our day.

272 – The theory and practice of the caliphate have however not always been indentical in Muslim society. A rapid sketch of this history would be useful for understanding the actual position.

THE CALIPHATE

273 – The Qur'an speaks of kings, both good and bad, and never refers to other forms of government, such as a republic. The fact that there have been differences of opinion, at the death of the Prophet, shows that he had not left positive and precise instructions regarding his succession. Certain groups wanted that the statal power should rest, as a heirloom, in his family; and as he had left no male issue his uncle 'Abbas, or his Ali were the next of kin to succeed him.

Others wanted an ad hoc individual election; and inside this group, there were differences as to the candidate to be chosen An overwhelming majority rallied in favour of an election. The form of government thus established was intermediary between hereditary monarchy and a republic: the caliph was elected for life. It the fact of election makes

law for all, the same direction to turn to in the service of prayer the same place for meeting in the universal pilgrimage, etc., the institution of the universal caliphate plays a particular role.

267 – Naturalization is a feature now admitted among all " nations " a messenger of God, sent towards the totality of human beings (cf Qur'an 34/28) and also the last of such messengers (cf Qur'an 33/40), and therefore for all time, till the end of the world His teaching abolished the inequalities of races and classes. Moreover, the Prophet himself exercised all powers, spiritual as well atemporal and others, in the community which he had organized into a state and endowed with all its organisms. This cumulation of powers was passed in heritage, after his death, to his successors in the state, with the difference that these successors were not prophets and so did not recieve the Divine revelations. The Prophet Muhammad had always insisted on the necessity of community life, and he went so far as to declare that "Whoever died without knowing his Imam (caliph), dies in paganism. " He had also insisted on unity and solidarity inside the Muslim community, saying that " Whoever separates himself from it goes to Hell." (reported by Muslim Tirmidhi etc.)

268 – Even in the time of the Prophet, there were individuals and even groups of Muslims, who lived voluntarily or under constraint, outside the frontiers of the Islamic State, for example in Abyssinia, and in Mecca (before its conquest by the Prophet). Some of the non-Muslim regions did not know religious tolerance, and persecuted the Muslims (as in the city-state of Mecca and the Byzantine empire). Others, like the Christian Abyssinia, practised a liberal policy in matters of conscience.

269 – As we have just seen, the caliph inherited from the Prophet the exercise of the double power, spiritual-temporal, and he presided over the celebration of the service of worship in the mosque, and he was the head of the State in temporal affairs.

270 – To recognize the Prophet, one used to take the oath of allegiance, (bai'ah, or contract of obedience) ; and one did the same for the caliphs at the moment of their election. The basis of the statal organization is a contract concluded between the ruler and the ruled In practise, only persons the most representative of the population take this oath of allegiance. This nomination under a contract of course implies the possibility of the annul-

proved too weak to serve the needs of defence and security in a world where egoism and cupidity hand renderd inevitable wars of everybody against everybody else. But groups biggerthan tribes were created sometimes by use of force by warriors and emprors. Failing however to create and identity of interests among the totality of the subjets, these artificial unions were constantly menaced by disintegration.

263 — Without entering into the history of the several thousand years of the development of this aspect of human society, it would suffice to consider the idea of nationlity prevalent in our own time in order to illustrate the point. If nationality is based on the identity of language race, or place of birth, it goes without saying that it will make the problem of aliens or strangers exist perpetually, and such a nationality will be too narrow, ever to be able to embrace the inhabitants of the entire world ; and if the aliens are not assimilated, there will always be the risk of conflict and wars. In fact, the tie of nationality is not very sure boud at all. For two brothers may be enemies, and two strangers, having a common ideology, may be friends.

264 — The Quran (30/22, 49/13) has rejected all superiority on account of language, colour of skin or other ineluctable incidences of nature, and recognizes the only superiority of individuals as that based on piety. A common ideology is the basis of 'nationality' among the Muslims, and Islam is this ideology. We shall not speak of religions which do not admit conversion. Among the religions of universal application, Islam distinguishes itself by the feature that it does not exact the renunciation of the world, but insists on the body and soul growing and operation simultaneously The past has shown that Muslims have assimilated this supra-racial and supra-regional ideal of brotherhood ; and this sentiment is a living force among them to this day.

265 — Naturaliziation is a feature now admitted among all "nations" but to be naturalized in a new language, in a new colour of skin, and in a new land is not as easy as to adhere to a new idology.

For others nationality is essentially an ineluctable accident of nature ; in Islam it is a thing depending solely upon the will and choice of the individual.

MEANS OF UNIVERSALIZATION

266 — Apart from the means already mentioned, namely the same

responsibility, and does not forget the development of the individual, and yet it organizes all individuals in a single whole, the world Muslim community The same law regulates the affairs of all, whatever the class or country ; and as we shall see, the same chief, Caliph, receives the allegiance of all the faithful of the world.

NATIONALITY

259 – One finds in human society, turn by turn, two contradictory tendencies : centripetal and centrifugal On the one hand, separate individuals group themselves in wedlock, families, tribes, city-states, states and empires, sometime willingly and at other time under compulsion. On the other hand, descending from the same couple and ancestors, groups detach themselves from bigger units in order to lead separate and independent lives, away from their relatives ; and this separation is occasioned sometimes amicably, for the purpose of finding the means of livelihood elsewhere and lightening the charge on a locality too restricted to furnish food for all ; while at other times, it is dictated by passions, quarrels and other motives.

260 – In spite of the almost unanimous concept that all human races have the same common origin, two factors have powerfully contributed to accentuate the diversity : death and distance. Man is instinctively attached to close relatives and ancestors, yet the cementing factor disappears with the death of the common parent ; and the notion of relationship among the surviving members, whose number mulitiplies every day, bears an importance and an infulence which gradually become less and less effective. As regards distance, not only does it make us forget the ties of relationship, but also, as history has shown, creates insurmountable obstacles. One ceases to speak the same language, uphold the same interests or defend the same values.

261 – At the dawn of Islam, in the 7th century of the Christian era, differences and prejudices arising from race, language, place of birth and other things had become the rule rather than the exception ; they developed deep-rooted notions, which grew to be almost natural in tincts. It was so everywhere in the world, in Arabia, in Europe, in in Africa, in Asia, in America and elsewhere. Islam came to class these notions among the evil traits of humanity, and tried to bring about a cure

262 – The unifying ties of family, of clan, and even of tribe

So the Qur'an (2/286) says: "... for each soul, it is only that which it hath earned, and against it only that which it hath deserved -" A noble spirit does not permit itself evil on the pretext that others also indulge in the same Instead of imitating the vices of others, one should set others an example of good and of integrity of character.

256 – Some remarks may be made on social conduct in general. Regarding the rights of good neighbourliness, the Prophet Muhammad declared; "Gabriel has so often and so greatly insisted upon the rights of neighbours, that I feared that he was going to accord them the right to heritage even as to the near relative of a deceased " It is related that there lived a Jew in the neighbourhood of the Prophet in Madinah and the Prophet himself set an example to show how a Muslim should treat his non-Muslim neighbours. Among other daily acts of courtesy, the Prophet used to go to the house of this Jew if he fell ill, in order to inquire about his health, and to be otherwise of help to him. As regards daily relations with others, the Prophet declared: "None of you is a believer if he does not like for his brother exactly that which he likes for his own self." Or again: "The best of men is he who does good to others." The Qur'an (59/9) has spoken of a concrete case, that of the first Muslims of Madinah, who had extended their hospitality to the Meccan refugees, and it cites them as an example of practical Islam: "... theyprefer (the Refugees) above themselves though poverty be thier (own) lot ..."

257 – To conclude: "O ye who believe! Be ye staunch in justice, witnesses for God, even though it be against yourselves or (your) parents or (your) kindred, whether (the case be) of a rich man or a poor man..." (Qur'an 4/135)

THE POLITICAL SYSTEM OF ISLAM

The Islamic conception of life being a co-ordination between the body and the soul, it was natural that a very close relationship should have been established between religion and politics, between the mosque and the citadel. In its social conception, Islam is "communal". It prefers a social life, demands worship in collectivity and congregation, in which every one turns towards the same centre (the Ka'bah), fasting together at the same time in all parts of the world, and visiting the House of God (the Ka'bah) as one of the principal duties of all Muslims, men and women. It lays emphasis on strictly personal

man, for which latter crime the Qur'an (24/4) has imposed the punishment of eighty stripes therefore alcoholic drinks should also have the same sanction. What enormous economic loss would be avoided, and how many homes would recover peace, if drink, so dangerous to health and morality, were given up:

252 — Among the acts for which no definite penalty has been prescribed but which are left to the discretion of the judge, we may mention games of chance of all kinds (including lotteries, gambling on the results of races, etc) Who does not know the tragedies of casinos ? How many homes have not been ruined in the vain hope of easy gain - and therefore illicit gain ? Lotteries, on national scales, gradully upset the equitable distribution of the country's wealth, and prove to be the source of all economic ills. They affect politics too.

253 — In his anxiety for cleansing society, and above all public administration, from corruption, the Prophet employed the severest terms of condemnation : " One who takes as well as one who offers bribe, would both go to Hell." One day, a taxcollector submitted his accounts to the Prophet, saying : These are the public revenues, and these are gifts which people have offered me. Getting furious, the Prophet mounted the pulpit of his mosque and addressed : " Let these tax-collector remain in his house of thier mothers and see if gifts come to them ! Without the knowledge of her husband, one day the wife of the caliph 'Umar sent through an official envoy, proceeding to Byzantium, a present to the wife of the emperor who in her turn, sent a precious necklace. When the caliph learnt this news, he confiscated the necklace in favour of the Public Treasury, and paid his wife the value of her original present to the empress as has been recorded be Tabari.

254 — In order to ameliorate public morality, the Prophet said one day : " Don't insult time ; it is God that you insult, because the succession of nights and days comes from Him. " This is an admonition that deserves to be considered by our contemporaries even today. After all what avails our malediction of the weather so many times every day, if not prove our own stupidity ?

255 — Islam does not exact the impossible ; it seeks only to bring a constant betterment of human morals, in all walks of life, by means available to individuals and collectivities. And the responsibility will always remain personal.

THE SYSTEM OF MORALITY

By

DR. MUHAMMED HAMIDULLAH

(II)

249 – We do not require to enter into the details of the different aspects of the injunction against theft and highway robberry, or other crimes against property.

250 – It is characteristic of Islam to have imposed a penalty on the defamation of women in the matter of their chastity. When one thinks of the numerous occasions when one indulges in conjectures against neighbours or other women and the ease with which one gives liberty to one's tongue, in the company of friends, one will admit that this Islamic break is well founded in the interests of society. If someone intends to accuse a woman, one should produce judicial proofs ; otherwise, conjectures touching the honour of a woman will be punished with severe sanctions.

251 – The prohibition of alcoholic drinks is one of the most well-known traits of Islam.

It was by gradual steps that the Qur'an had enforced it ; " They question thee about alcoholic drink and games of chance ; say : In both there is a great siu and certain profits for men, yet the sin of them is greater than their usefulness " (2 : 219). Again (4 : 43) : " O ye who believe ! Draw not near unto service of worship when ye are drunk, till ye know that which ye untter . . . ." And finally (5;93-94) : " O ye who believe ! Verily the wine, and games of chance, and idols, and divining arrows are only an infamy of Satan's handiwork ; leave it aside, haply ye may prosper. Satan seeketh only to cast among you enmity and hatred by means of wine and games of chance, and to turn you from remembrance of God and from (His) worship ; will ye then abstain ? " It will not pass unnoticed that in this last verse, the Qur'an includes alcoholic drinks and idolatry in the same category. During his life, the Prophet Muhammad administered forty stripes to those who violated the injunction. The caliph ' Umar doubled the punishment, arguing that drunkenness leads to obscene loquacity in which one calumniates the chastity of wo-

medical sciuence. Muslims continued their work in the service of sciences and arts until misfortunes afflicted their principal intellectual centres in the East and in the west.

Once a civilization declines, due to calamities of wholesale massacres, the burning of liberaries with their hundreds of thousands of books, and occup tion of intelluctual centres by barbarians it takes several centuries of time as well as numerous resources before one can make up the distance.

« إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » . (الرعد ١١)

(Lo ! Allah changes not the condition of a folk until they **(first)** change that which is in their hearts;) (13 : 11)

« الله لا إله إلا هو الحى القيوم ، لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض ، من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه ، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ، ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء ، وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم » (البقرة ٢٢٥)

(Allah - There is no god save Him. The Ever-living the Self subsistent by whom all subsist. Slumber over takes Him not, nor sleep. To Him belongs whatever is in the heavens and whatever is in the earth. Who is he that can intercede with Him but by His permission ? He Knows what is before them and what is behind them. And they encompass nothing of His knowledge except what He pleases. His knowledge extends over the heavens and the earth and the preservation of them both tires Him not. And He is the Most High, the Great).

(Surah II, Verse 225)

Volumes would be required to enumerate the host of scientific and learned men who flourished about this epoch, all of whom have, in some way or other left their mark on the history of progress.

In order to give information of a general character relating to the Muslim contribution to the various branches of sciences and arts, we have to understand the general attitude of Islam towards the life in this world. Islam is a comprehensive concept of life It is not a religion merely describing the relations between man and his Creator

The Holy Quran give expression again and again to the quest for the well-being in this world and in the Hereafter. It teaches mankind to Pray :

« ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار »

(... Our Lord ! Give unto us in this world that which is best and the Hereafter that which is best ...)
(28 / 77)

It is quest for the well-being which attracts man to study and learn, in order to profit by all that exists in the universe, and to be grateful to God. The Holy Quran says :

« هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً »

(He it is Who created for you all that is in the earth) (2 : 29)

The Quran urges men not only to go on exploration but also for new discoveries as the Holy Quran says:

« قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلكم »

(... Say : travel in the land and see the nature of end of those who were before you) (30 : 42)

And (... Who meditate over the creation of the heavens and the earth) and says :

ربنا ما خلقت هذا باطلا .

Our Lord ! Thou created not thi in vain. (3 : 191). It is not surpris ing if Muslims had the good luc of developing new sciences, arts an culture.

As the Quran has repeatedl urged to mediate over the creatio of the Universe, and to study ho the heavens and the earth ha been made subservient to ma there has never been a confli between faith and reason in Islam

Thus it is that the Muslin began very early an ever-progressi and serious study of Chemistr physics, zoology, mathematics a

What was the condition of learning and science in christendom at this epoch ? Under Constantine and his orthodox successors the Aesclepions were closed for ever ; the public libraries established by the liberality of the pagan emperors were dispersed or destroyed; learning was "branded as magic or punished as treason ; and philosophy and science were exterminated.

The ecclesiastical hatred against human learnining had found expression in the patristic maxim "Ignorance is the mother of devotion" and Pope Gregory the great founder of ecclesiastical superemacy, give effect to this obscurantist dogma by expelling from Rome all scientific studies, and burning the Palatine Library founded by Augustus Caesar. He forbade the study of the ancient writers of Greece and Rome. He introduced and sanctified the mythologic christianity which continued for centuries the predominating creed of Europe, with its worship of relics and the remains of saints. Science and literature were placced under the ban by orthodox Christianity, and they succeeded in emancipating themselves only when Free Thought had broken down the barriers raised by orthodoxy against the progress of the human mind.

Abdullah al-Mamun has been deservedly styled the Augustus of the Arabs. "He was not ignorant that they are the elect of God, his best and most useful servants, whose lives are devoted to the improvement of their rational faculties., that the teachers of wisdom are the true Luminaries and legislators of the world.

Mamn was followed by a brilliant succession of princes who continued his work. Under him his successors, the principal distinguishing feature of the school of Bagdad was true and strongly marked scientific spirit, which dominated over all its achievements. The deductive method, hitherto proudly regarded as the invention and sole monopoly of modern Europe, was perfectly understood by the Moslems.

"Marching from the known to the unknown, the school of Bagdad rendered to itself on exact account of the pheromena for the purpose of rising from the effect to the cause, accepting only what had been demonstrated by experience ; such were the principles taught by the (Muslim) masters. " The Arabs in the centrury", continues the author we are quoting, "were in the possession of that fecund method which was to become long afterwards, in the hands of the moderns, the instrument of their most beauitiful discoveries".

Europe and America of this century. That spirit carried the Muslims forward on the path of a great nation founded on the basis of science and human civilization. Referring to the role of Islam in spreading sciences, philosophy and arts, through the institutions of Muslim Capitals, the learned Muslim Scholar Ameer Ali writes :

"Travelling in search of knowledge was, according to the precept of the Prophet a pious duty. From every part of the globe students and scholars flocked to cordova, to Bagdad and to Cairo to listen to the words of the Saracenic sages. Even Christians from remote corners of Europe attended Muslim colleges Men who became in after-life the heads of the Christian church, acquired their scholarship from Islamic teachers. The rise of Cairo under al-Muiz-li-din-illah added a spirit of rivalry to the patronage of learning on the part of the Caliphs of the Houses of Abbas and Fatima.

Al-Muiz was the Mamun of the west-the Maecens of Muslim Africa, which then embraced the whole of the continent from the eastern confines of Egypt to the shores of the Atlantic and the borders of the Sahara. During the reign of al-Muiz and his first three successors, the arts and the sciences flourished under the especial and loving protection of the sovereigns. The free university of Cairo, the Dar-ul-Hikmat-Scientific Institute established by al-Muiz, "anticipated Bacon's ideal with a fact". The Idrisides at Fez, and the Moorish sovereigns in spain outvied each other in the cultivation of arts and letters

From the shores of the Atlantic eastward to the Indian Ocean, far away even to the pacific, resounded the voice of philosophy and learning, under Muslim guidance and Muslim inspiration. And when the House of Abbas lost its grasp on the empire of the East, the chiefs who held the reins of government in the tracts which at one time where under the undivided temporal sway of the Caliphs, extended the same protection to science and literature as the Pontiffs from whom they still derived their title to sovereignity.

This glorious period lasted, in spite of the triumph of patristicism and its unconcealed jealousy towards scientific and philosphical pursuits, until the fall of Bagdad before Tartaric hordes. But the wild savages who overturned the Caliphate and destroyed civilisation, as soon as they adopted Islam became ardent protectors of learning !

great benefits accrue therefrom which God alone compassed ; and without the howledge of writing no other knowledge could be comprehended ....." (The spirit of Islam Part - II)

With the spirit of knowledge and wisdom Islam carried its followers forward on a wave of progress, and inabled them to achieve a high degree of intellectual and material development. Up to the time of the Islamic dispensation the Arab world, which restricted within the peninsula of Arabia, had shown no signs of intellectual growth. Science and literature possessed no voteries. Poetry oratory, and some astrology formed the favourite interests of the pre-Islamic Arabs.

But the devotion of the Prophet to knowledge and sciences gave a new impulse to the awakened energies of the people. He announced the importance of knouldge and wisdom in the field of the spiritual and material progress of mankind. He would often say : "The ink of the scholar is more holy than the blood of the martyr". And "He who travels in search of Knowledge, to him God shows the way to Paradise ; knowledge enables its possessor to distinguish what is forbidden from what is not ; it lights the way to Heaven".

The teachings of the Quran and the sayings of the Prophet raised, within few years of the dawning of Islam, the Arabian peninsula as the centre of attraction from abroad. The nucleus of educational and cultural seat emerged in Madina from the spirit of Islam grew soon into educational and scientific centres and universities at Bagdad, Cordova, Cairo etc. These centres fulfilled the true tenor of the statements of the Prophet : "With knowledge, the servant of God rises to the heights of goodness and to a noble position associates with sovereigns in this world and attains to the perfection of happiness in the next". The high spirit of seeking knowledge cultivated by the preachings of the Prophet impeled his disciples to seek for knowledge, in all walks of Life and to travel in search of it

The early disciples of the Prophet realised the spirit of his teachings and grasped the meaning of his words. The gentle and calm teachings instilled in the life of them a great desire of knowledge. Thus a real renaissance in all branches of knowledge, took place in the Muslim World. From the time of its birth in the seventh century upto the end of the 17th, the Muslim world was animated by a scientific and literary spirit equal in force and energy to that which animates

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER :

ABDUL RAHIM FUDA

SHAABAN 1391 | ENGLISH SECTION | SEPTEMBER 1971

Islam - The Religion of Knowledge & Wisdom

By

Dr. Mohiaddin Alwaye

The Holy Quran itself bore testimony to the supreme value of Knowledge and learning in the first verses revealed to the Prophet :

إقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم .

(سورة العلق)

It means : "Read : In the name of thy Lord Who created ; Created man from a clot. Read : And thy Lord is the Most Bountcous, Who taught by the pen, Taught man that which he know not." 96 : 1 – 5.

The Prophet preached of the value of knowledge in the following words : "Acquire knowledge, because he who acquires it in the way of the Lord performs an act of piety ; who speaks of it, praises the Lord ; who seeks it, adores God ; who dispenses instruction in it bestows alms ; and who imparts it to its fitting objects, performs an act of devotion to God".

Commenting on the above mentioned first verses of the Quran, Imam Zamakhsari says: "God taught human beings that which they did not know, and this testifies to the greatness of His beneficence, for He has given to His servants knowledge of that which they did not know. And He has brought them out of the darkness of ignorance to the light of knowledge, and made them aware of the inestimable blessings of the knowledge of writing, for

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
« بدل الاشتراك »
٥٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٦٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

الجزء السابع — السنة الثالثة والأربعون — رمضان سنة ١٣٩١ هـ — أكتوبر ١٩٧١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

قدر هذا الشهر الأغر

للأستاذ عبد الرحيم فوده

عن قتادة رحمه الله أنه قال : إن الله اصطفى صفايا من خلقه ، اصطفى من الملائكة رسلا ، ومن الناس رسلا ، واصطفى من الكلام ذكره ، واصطفى من الأرض المساجد ، واصطفى من الشهور رمضان والأشهر الحرم ، واصطفى من الأيام يوم الجمعة . واصطفى من الليالى ليلة القدر ، فعظموا ما عظم الله ، فإنما تعظم الأشياء بما عظمها الله عند أهل العلم والفهم .

٢ — وقد اجتمع لهذا الشهر ما يعظم به قدره ، ويجعله غرة فى جبين الزمن كله ، ومن ثم ذكره الله باسمه ـ دون غيره ـ حيث قال : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » فنزول القرآن فيه ، وفى ليلة مباركة من لياليه . سماها الله ليلة القدر ، وذكر أنها خير من ألف شهر . قمة ما يعد من مفاخر هذا الشهر .

ذلك لأن القرآن كما قال الله فيه : « كتاب أنزلناه إليك مبارك » والليلة التى أنزل فيها كما قال الله فيها : « إنا أنزلناه فى ليلة مباركة » ثم هو حياة الحياة كما يفهم من قول الله فيه : « وكذلك أوحينا

إليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم » وقد وصفه النبي ببعض ما فيه حيث قال : « فيه نبأ من قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل .. من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، هو حبل الله المتين ، ونوره المبين، والذكر الحكيم، والصراط المستقيم ، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تتشعب معه الآراء ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يمله الأتقياء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه . وهو الذى لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا : إنا سمعنا قرآنا عجبا ، من علم علمه سبق ، ومن قال به صدق . ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر . ومن اعتصم به هدى إلى صراط مستقيم » .

٣ — فلو لم يكن لهذا الشهر غير شرف نزول القرآن فيه لكان ذلك غاية الفضل والشرف فكيف وقد جعل الله فيه فريضة الصيام ، وهى من أركان الإسلام الخمسة وحقق للإسلام فيه النصر فى غزوة بدر وفتح مكة ، ومعركة عين جالوت مع التتار والمنصورة مع الصليبيين ، والأندلس مع القوط .. ؟

إنه موسم خير عام يلتقى فيه المسلمون على صيام نهاره ، وقيام لياليه ، وتوثيق صلتهم بالله فيه ، وتحقيق - ما ينبغى - أن يسودهم من إخاء وود وولاء .

٤ — ذلك لأن صيام هذا الشهر فى مظهره الاجتماعى كما يقول العقاد رحمه الله : يعطينا مظهر أسرة عظيمة من مئات الملايين ، تنتشر فى جوانب الأرض ، وتقترن شعائرها الدينية كل يوم بأمس ما يحس الإنسان فى حاجته اليومية ، وهو أمر الطعام والشراب ومتع الأجساد .. ملايين من الناس فى جوانب الأرض يطعمون على نظام واحد ، ويمسكون عن الطعام على نظام واحد ، ويستقبلون ربهم على نظام واحد وقلما انتظمت أسرة بين جدران بيت على مثل هذا النظام .

٥ — وهو فى تأثيره على الفرد كما يفهم من قول الله : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من

قبلكم لعلكم تتقون » فالتقوى هى ثمرة الصوم وضمير الصائم ، وقد قرن الله بها كل خير كما يفهم من قوله : « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب » وقوله : « ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً » وقوله : « ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا » وقوله فى المتقين : « أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون » .

٦ — ثم إنه يعود المسلم على الصبر فى الشدة والشكر فى الرخاء ، لأنه يجمع هذين الأمرين فى الحرمان من الطعام والشراب وملامسة النساء فى النهار ، والاستمتاع بذلك فى الليل ، والصبر والشكر كلاهما من مقومات الشخصية القوية ، التى لا تهزها الشدائد . ولا تستخفها المناعم والملذات .

٧ — وقد توج الله صوم هذا الشهر بزكاة الفطر . ليشيع بين الفقراء والأغنياء الشعور بالسرور ؛ لأداء الواجب ، وعودة الحرية ، وبهجة العيد.

ذلك بعض مايذكر لهذا الشهر العظيم وما يفسر به احتفال النبى لاستقباله والتيمن بهلاله ، فقد كان يستقبله بهذه الكلمات : (اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان ، والسلامة والإسلام ، ربى وربك الله ، هلال رشد وخير) صلى الله عليه وسلم ، ووفقنا إلى الانتفاع بسيرته واتباع سنته ؟

عبد الرحيم فوده

قال صلى الله عليه وسلم :

« من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه »

ليلة القدر

للأستاذ مصطفى الطير

« إنا أنزلناه فى ليلة القدر ، وما أدراك ما ليلة القدر ، ليلة القدر خير من ألف شهر ، تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر ، سلام هى حتى مطلع الفجر » .
(سورة القدر)

ليلة القدر لها منزلة عظيمة فى نفوس المسلمين جميعا ، خاصتهم وعامتهم ، سلفهم وخلفهم ، وأهل الصلاح منهم ينتظرونها كل عام ليزجوا بأرواحهم ونفوسهم فى أمواج أنوارها ، وليغنموا من عطاء ربهم الذى وعده من قام ليلها وأحيا أسحارها ، وأهل الحاجات منهم يرفعون أكفهم ضارعين خاشعين ، يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا ، وكشفاً للنوازل وتفريجاً للكروب ، ورحمة ربى وحنانه وسلامه وسعت الجميع ، وصدق الله تعالى إذ يقول : « سلام هى حتى مطلع الفجر » .

والزمان كله عند الله سواء ، فليس لبعضه فضل على بعض إلا لأسباب تقتضيه أو غايات تترتب عليه ، وكذلك كان الأمر فى ليلة القدر ، فإنها وإن كانت حصة من الزمان ، فقد رفع الله منزلتها بنزول القرآن ، وشرفها بذلك فوق جميع الأزمان ، وجعلها من أجله متنزلا للرحمات ومهبطا للسلام ، من غروب شمسها إلى مطلع فجرها ، فتعال معى أيها القارىء الكريم ، لنتعرف فضلها من هذه السورة الكريمة التى نزلت بشأنها .

« إنا أنزلناه فى ليلة القدر »

القدر هنا بمعنى الشرف والمنزلة الرفيعة والمعنى : إنا أنزلنا القرآن فى ليلة الشرف والمنزلة السامية ، لنزول القرآن العظيم فيها ، ولأن العبادة والدعاء ، يعلو قدرهما فيها ، ويرتفع ثوابهما عند الله تعالى ، وتفسير القدر بالشرف معروف لغة ،

يقال : فلان له قـدر عند الناس ، أى شرف ومنزلة كريمة وإنما أضمر إلى القرآن فى قـوله « أنزلناه » مع أن اسم القرآن لم يسبق هذا الضمير، للإيذان بعظم قدره واستغنائه عن التصريح باسمه لشهرته .

وقيل القدر بمعنى التقدير ، فعن ابن عباس وغيره أنه يقدر فى هـذه الليلة ما يكون فى تلك السنة ، من مطر ورزق وإحياء وإماتة وغيرها ، إلى السنة القابلة أى: إنا أنزلناه فى ليلة تقدير شئون الخلائق أى: إظهار هذه الشئون وإعلانها للملائكة المأمورين بتنفيذ مقدورات الله فى الكون وهم الذين يعرفـون بمدبرات الأمور ، كما فى قوله تعالى : « فالمدبرات أمراً » ، أما تقدير الله لأمور الكون فأزلى سابق على خلق السموات والأرض ، كما جاء فى الحـديث الصحيح : « جفت الأقلام وطويت الصحف » .

وبهـذا التأويل تطابقت الآية مـع قوله تعالى فى سورة الدخان: « إنا أنزلناه فى ليلة مباركة إنا كنا منذرين ، فيهـا يفرق كل أمر حكيم » .

وقيل للحسين بن الفضيل : أليس قد قدر الله تعـالى المقادير قبل أن يخـلق السموات والأرض ، قال بلى ، قيل فما معنى ليـلة القدر ، قال : سوق المقادير إلى المواقيت ، وتنفيذ القضاء المقـدر ، وقد عظم الله تلك الليلة المباركة فقال :

« وما أدراك ما ليلة القدر »

يعنى وأى شىء أعلمك يا محمـد ما هى ليلة القدر فى علو منزلتها وفضلها عند الله تعـالى ؟ أى أن فضلها لا يعلمه سـوى عـــلام الغيوب ، ثم عظمها بطريقة أصرح فقال :

« ليلة القدر خير من ألف شهر »

فأنت ترى أنه تعـالى اختار لإنزاله ليلة هى أشرف الليالى ، بحيث تعدل فى شرفها وفضلها ألف شهر ، وكيـف لا ينزل فى أشرف ليلة وهو أغلى كلام من أعز متـكلم ، نزل على أعز رسـول لأعز أمة وقد أجهد المفسرون أنفسهم فى فهم المراد من هـذه الآية الكريمة ، فقيل معناها : أن العمل الصالح فيها خير منه فى ألف شهر ليست فيها ، وروى عن ابن عباس أنه ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلا من بنى إسرائيل حمـل السلاح فى سبيل الله ألف شهر ، فعجب لذلك وقال يارب جعلت أمتى

أقصر الأمم أعمارا وأقلها أعمالا، فأعطاه الله ليلة القدر خيرا من ألف شهر لكل عامل إلى يوم القيامة ، وكذلك روى عن ابن مسعود .

وما نظن ذلك يصح رواية عنهما ، فإن بنى إسرائيل كانوا يتهربون من القتال حفاظا على أرواحهم ، ووهنا فى إيمانهم ، فهم الذين قالوا لموسى عليه السلام ، حينما أمرهم بجهاد الجبارين « اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون » فليس مقبولا أن يجاهد أحدهم ثلاثا وثمانين سنة وثلثا فى سبيل الله كما أن آجالنا ليست أقصر من أجالهم ، فأعمارنا وأعمارهم متقاربة .

ولأنه ليس مقبولا أن يعدل قيام ليلها جهادا فى سبيل الله سواء كان الجهاد منا أو ممن سبقنا ، فإن تعريض الأجساد والأرواح لأخطار الجهاد فى تأييد دين الله والدفاع عنه ولو يوما واحدا، لا يمكن أن يفضله قيام ليلة واحدة مهما كان قدرها وفضلها .

ولأنه لو كان قيام ليلها يغنى عن الجهاد ألف شهر لتعرض الإسلام لخطر كبير، ولهذا قال بعض العلماء إن كونها خيرا من ألف شهر للتكثير فى ثواب عبادتها وليس للحصر العددى .

والذى أفهمه أن هذه الليلة وإن كان يعظم فيها قدر الأعمال لقوله صلى الله عليه وسلم « من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه» رواه البخارى ومسلم ، فإن كونها خيرا من ألف شهر جاءها من أن القرآن العظيم نزل فيها ، فهو مصدر التشريع السماوى الرفيع والدستور الإلهى الخطير، فكانت هذه الليلة خيرا من ألف شهر لم ينزل فيها ، لما فيه من المنافع التى تعود على الجنس البشرى فى عقيدته، وسمو روحه وأخلاقه ، وقوانين معاشه ومعاده .

لقد كان الناس يعيشون قبل الإسلام فى حروب متتابعة، فلا تكاد تنتهى حرب حتى تشتعل حرب أخرى أشد وأقسى ، لأغراض لا تتصل بالمناهج الشريفة ، والمثل العليا، إلى جانب ما كانوا يعتقدونه من ألوهية الأنصاب وشرعية الأزلام وربوبية الكواكب والبشر وما كانوا يغشونه من مفاسد الأخلاق ، وأدران الذنوب والمظالم ، فكانت هذه الليلة التى نزل فيها القرآن ، حدا فاصلا بين هذا

كلـه ، وبين العلم والعرفان ، ومعرفة الواحـد الديان ، وقوانين السـلوك والأخلاق الفاضلة وفتح أبواب الاستقرار والتجمع بين الأمـة العربية وسواها ، على أساس من تبادل النفع والخير والمحبة والسلام ، تحت دين واحد لرب واحد ، يخافونه ويحذرون حسابه وعقابه ، فكيف لا تفضل ألف شهر لم ينزل فيها القـرآن والناس فى جهالتهم يعمهون ، أليست ليلة الشفاء خيرا من ألف شهر يقضيها المرء عليلا مهدما .

والمراد من إنزال القـرآن فيها ابتداء إنزاله كما قاله الشعبى ، فقد بدأ إنزاله فيها ثم تتابع إنزاله حسب الوقائع التى نزل فى شأنها ، لمدة ثلاث وعشرين سنة هى مدة البعثة النبوية .

ونقل عن ابن عباس أنه نزل كله ليلة القدر إلى السماء الدنيا ، ثم تتابع نزوله منها منجما على النبى صلى الله عليه وسـلم حسب الوقائع ، ولكنه لم يرفع ذلك إلى النبى صلى الله عليه وسـلم ، ولعل ذلك من قبيل الرأى القابل للخطأ والصواب فإنه لا حاجة لأن ينزل إلى السماء الدنيا لأن نقله من اللوح المحفوظ ميسور لجبريل عليه السلام من وقت لآخر .

(وقت ليلة القدر)

أكـثر العلماء على أنها فى أوتار العشر الأخير من رمضان ، ومعظم هؤلاء على أنها ليـلة السابع والعشرين من رمضان وعمادهم فى ذلك ما روى عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان متحريها ، فليتحرها ليلة سبع وعشرين » وما صح من رواية أحمـد ومسلم وأبى داود والترمذى وغيرهم عن زر بن حبيش أنه قال : قلت لأبى بن كعب ، إن أخاك عبد الله بن مسعود يقول « من يقم الحول يصب ليـلة القدر فقال ، يغفر الله لأبى عبد الرحمن ، لقد علم أنها فى العشر الأخير من رمضان ، وأنها ليلة سبع وعشرين ولـكنه أراد أن لا يتكل الناس ، ثم حلف لا يستثنى (أى لا يقول إن شاء الله) أنها ليلة سبع وعشرين » الخ الحديث ، قال الترمذى حديث حسن صحيح وخرجـه مسلم وبقية من ذكرنا .

وقال أبى بن كعب : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ليلة القدر ليلة سبع وعشرين » أى من رمضان .

وقال أبو بكر الوراق : إن الله تعالى قسم ليالى هذا الشهر - شهر رمضان -

على كلمات هذه السورة ، فلما بلغ السابعة والعشرين أشار إليها فقال « هى » وأيضا فإن ليلة القدر كرر ذكرها ثلاث مرات، وهى تسعة أحرف، فتجىء سبعا وعشرين.

وبعد ما تقدم نقول : إن اختلاف العلماء فى تحديد وقتها تابع لاختلاف الروايات فى ذلك ، ولعل الله تعالى أخفى وقتها ليتعدد طلب العبد لها بألوان الدعاء والعبادة ، كما أخفى الإجابة فى الدعاء ليبالغ العبد فيه، وكما أخفى ساعة الإجابة فى يوم الجمعة ، ليجتهد فى الدعاء فى جميع يومها ، وكما أخفى موعد قيام الساعة ، ليديموا الحذر من مفاجأتها .

ونحن نرجح أنها فى العشر الأخير من رمضان ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعتكف فى المسجد فى هذه العشر ، وأغلب الظن أنه كان يفعل ذلك طلبا لها ، ويساعد على هذا الترجيح ما نقلناه من حديثى ابن عمر وزر بن حبيش ، وحديث أبى بن كعب ، قالت عائشة رضى الله عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر الأخير (أى من رمضان) شد مئزره وأحيى ليله وأيقظ أهله » .

« تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر » .

أى تنزل الملائكة والروح فى تلك الليلة على دفعات بإذن ربهم وأمره لهم ، من أجل كل أمر قضاه الله عز وجل فى تلك السنة القابلة ليباشروا تنفيذه ؛ فإن فيها يفرق كل أمر حكيم على ما سبق بيانه .

والملائكة أجسام نورانية قادرة على التشكل، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، والروح هو جبريل عليه السلام، قال تعالى « نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين » وقيل الروح بمعنى الرحمة .

« سلام هى حتى مطلع الفجر » .

أى يسلم فيها الملائكة على مؤمنى أهل الأرض تحية لهم ، وقيل يسلم الله عليهم، والسلام من الله الرحمة ومن الملائكة استغفار ، ويجوز أن يكون المعنى أن الله يسالم فيها عباده ويتجاوز عن سيئاتهم السابقة ، إذا أقبلوا على عبادته جل وعلا ويستمر هذا السلام حتى مطلع الفجر .

(من يحرز فضلها)

يحرز فضل هذه الليلة من قامها احتسابا لوجه الله تعالى ، قال صلى الله عليه وسلم (من قام ليلة القدر إيمانا

واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه) رواه البخارى ومسلم.

وقال النووى فى شرحه لمسلم : لا ينال فضلها إلا من أطاعه الله عليها ، فمن قامها ولم يشعر بها لم ينل فضلها ، وخالفه المتولى والأوزاعى، حيث قالا : إن فضلها يناله من قامها بإخلاص لله تعالى .

(إحياء ليلة القدر)

إحياء هذه الليلة يكون بالصلاة والدعاء وقراءة القرآن والسنة النبوية فى وقت منها ، فلا ينام ليلها كله ، وأخرج مالك فى الموطأ عن سعيد بن جبير « من شهد العشاء من ليلة القدر ، فقد أخذ بحظه منها » أى من صلاها فى جماعة فقد نال حظا من قيامها الذى يحرز به فضلها ، قال القرطبى : ومثله لا يقال بالرأى، وأخرج البيهقى عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى المغرب والعشاء فى جماعة حتى ينقضى شهر رمضان ، فقد أصاب من ليلة القدر بحظ وافر » .

وأخرج أحمد والترمذى وصححه النسائى وابن ماجة وغيرهم عن عائشة رضى الله عنها قالت : قلت يا رسول الله ، إن وافقت ليلة القدر فما أقول ؟ قال : « قولى اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنى » .

وقال سفيان الثورى : الدعاء فى تلك الليلة أحب من الصلاة ، وقال إذا قرأ ودعا كان حسنا .

(أصحاب الحظ السعيد)

أصحاب الحظ السعيد هم أولئك الذين يكشف الله لهم بعض ملكوت السموات والأرض ، فيرون الملائكة فيها على صورها ، بين قائم وقاعد ، وراكع وساجد، ومسبح وممجد، ومهلل ومكبر ويرون فى الجنة منازل الأنبياء والأولياء والصديقين والشهداء ، ويشاهدون من عظمة ملك الله ما يحير الألباب ، ويجلى لهم كبرياء ذى الجلال والإكرام .

ومنهم من يرون الناس فيها على الحقيقة التى هم عليها ، وينكشف لهم المستور من حالهم فيرون المخلص على إخلاصه والمنافق على نفاقه ، فنعوذ بالله من الرياء وأهله ، ونسأله تعالى حسن الخاتمة ؟

مصطفى محمد الطير

الرّضا بحُكم الله ورسُوله

للدكتور محمد أبو شهبة

روى البخارى فى صحيحه قال: حدثنا عبد الله بن يوسف، قال: حدثنا الليث، قال: حدثنى ابن شهاب عن عروة عن عبد الله بن الزبير - رضى الله عنهما - أنه حدثه:

(أن رجلا من الأنصار خاصم الزبير عند النبى - صلى الله عليه وسلم - فى شراج الحرة التى يسقون بها النخل، فقال الأنصارى: سرح الماء يمر، فأبى عليه، فاختصما عند النبى - صلى الله عليه وسلم - فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - للزبير: اسق يا زبير، ثم أرسل الماء إلى جارك، فغضب الأنصارى، فقال: أن كان ابن عمتك، فتلون وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم قال اسق يا زبير، ثم احبس الماء حتى يبلغ إلى الجدد - وفى رواية أخرى: ثم أرسل الماء إلى جارك - فقال الزبير: والله إنى لأحسب هذه الآية نزلت فى ذلك « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ...)

وفى رواية أخرى للبخارى - فى كتاب التفسير - زيادة « واستوفى النبى صلى الله عليه وسلم للزبير حقه فى صريح الحكم حين أحفظه الأنصارى، وكان أشار عليهما بأمر لهما فيه سعة » .

تخريج الحديث: روى هذا الحديث الإمام البخارى فى صحيحه: كتاب المزارعة - باب سكر الأنهار، وباب: شرب الأعلى قبل الأسفل، وباب شراب الأعلى إلى الكعبين، وفى كتاب الصلح - باب إذا أشار الإمام بالصلح فأبى، وفى كتاب التفسير - سورة النساء - باب « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم » .

ورواه مسلم فى صحيحه أيضاً، ورواه الإمام أحمد فى مسنده من مسند عبد الله بن الزبير، ورواه النسائى فى

سننه ، عن عروة ، عن أخيه عبد الله ، عن أبيه الزبير .

ما يتعلق بالسند : هذا الحديث رواه البخارى فى صحيحه عن عروة بن الزبير، عن عبد الله بن الزبير من طريق الليث بن سعد ، ورواه غيره عن عبد الله عن أبيه ، ورواه أيضاً عن عروة من غير ذكر أخيه عبد الله ، ولا ذكر أبيه الزبير وصورته صورة المرسل ، وقد اختلف الرواة عن عروة ، فمنهم من وقف به عند عروة ، ومنهم من قال : عن عروة عن الزبير أبيه ، ومع هذا فقد صححه الإمام البخارى، قال الحافظ فى الفتح[1] : « قلت : وإنما صححه البخارى مع هذا الاختلاف اعتماداً على صحة سماع عروة عن أبيه ، وعلى صحة سماع عبد الله بن الزبير من النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فكيفما دار فهو على ثقة ، ثم الحديث ورد فى شىء يتعلق بالزبير فداعية ولده متوفرة على ضبطه ... »

(١) فتح البارى جـ ٥ ص ٢٧ ط عبد الرحمن محمد .

« الشرح والبيان »

من هو عبد الله بن الزبير ؟ .

هو أبو خبيب[1] عبد الله بن الزبير ابن العوام ، بن خـويلد ، بن أسد ، ابن عبد العزى بن قصى القرشى الأسدى ويكنى أيضا بأبى بكر .

أبوه الزبير بن العـوام من السابقين الأولين للإسلام ابن عمـة رسول الله صلى الله عليه وسلم السيدة صفية بنت عبد المطلب ، وحوارى[2] رسول الله صلى الله عليه وسلم، المضحى بنفسه فى سبيل طاعته وأحد أبطال المسلمين المغاوير .

وأمه السيدة أسماء بنت الصديق ـ رضى الله تعالى عنهما ـ ذات النطاقين فقد نعتها بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجـدته لأبيه : السيدة صفية بنت عبد المطلب ، وعمـة أبيه الزبير السيدة الطاهرة خديجة رضى الله عنها ، وخالته أم المؤمنين السيدة عائشة .

وهو أول مولود ولد فى الإسلام بعد الهجرة للمهاجرين ، فحنكه رسول الله بتمرة لاكها فى فيه ، ثم دلك حنكه

(١) بضم الخاء على صورة المصغر، أكبر أولاده
(٢) المخلص له ، والناصر له

بها ، فكان ريق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أول شيء دخل جوفه، وسماه عبد الله ، ولما ولد كبر المسلمون وفرحوا به لأن اليهود كانوا يزعمون أنهم سحروهم فلا يولد لهم ولد فكذبهم الله سبحانه وتعالى

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وعن أبيه ، وعن عمر ، وعثمان وغيرهم وروى عنه أخوه عروة وابناه : عامر وعباد ، وعبيدة السلماني وعطاء بن أبي رباح وغيرهم .

وكان صواما قواما ، طويل الصلاة ، عظيم الشجاعة ، وأحضره أبوه الزبير عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبايعه وعمره سبع سنين أو ثمان سنين ، فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم مقبلا تبسم وبايعه .

وكانت له مواقف بطولية في الفتوحات الإسلامية ، وقد بويع له بالخلافة بعد موت يزيد بن معاوية، حتى ولي عبد الملك ابن مروان ، فسير له الحجاج ثم حاصره الحجاج بمكة حتى قتل شهيدا بعد قتال مرير ، وذلك في النصف من جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين للهجرة ، فرضي الله عنه .

عروة بن الزبير : أما عروة بن الزبير فهو أحد الفقهاء السبعة المشهورين بالمدينة، وأحد علماء التابعين وأجلتهم ، روى عن أبيه، وخالته عائشة ، وأخيه عبد الله وأمه أسماء ، وعلي بن أبي طالب وغيرهم، وروى عنه أولاده : (عبد الله ، وعثمان وهشام ، ومحمد ، ويحيى) وابن ابنه عمر ابن عبد الله بن عروة، وسليمان بن يسار، وعطاء بن أبي رباح وغيرهم، وقد استفاد من خالته السيدة عائشة في الرواية فائدة كبيرة ، وقد ذكره ابن سعد في الطبقة الثانية من أهل المدينة ، وقال : كان ثقة كثير الحديث ، فقيها ، عالما، ثبتا، مأمونا ولد في خلافة عثمان سنة تسع وعشرين، وقيل في آخر خلافة عمر سنة ثلاث وعشرين ، ومات وهو صائم سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاث ، أو خمس وتسعين .

« أن رجلا من الأنصار » .

وفي رواية البخاري في الصلح زيادة « قد شهد بدرا » .

الأنصار : هم أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من قبيلتي الأوس والخزرج ، وقد اختلف في تعيين اسم هذا الرجل، فقيل: ثابت بن قيس بن شماس

ورد بأنه ليس بدريا ، وقيل : حاطب ابن أبي بلتعة، ورد بأنه ليس من الأنصار وإنما هو مهاجري ، وقيل : ثعلبة بن حاطب ، فقد ذكر بن إسحاق في أهل بدر ثعلبة بن حاطب ، وهو من بني أمية ابن زيد ، وهو غير ثعلبة بن حاطب الذي نزل فيه قوله تعالى « ومنهم من عاهد الله . . » ولم يكن بدريا ، وقيل غير ذلك (١) ، ويهون من الأمر أنه لا يتوقف علم العلم به كبير فائدة .

« خاصم الزبير في شراج الحرة التي يسقون بها النخل » .

في رواية أخرى خاصم الزبير رجلا ، والروايتان بمعنى؛ لأن المخاصمة مفاعلة من الجانبين ، فكل منهما مخاصم للآخر ، فأيهما يصلح أن يكون فاعلا ، وأيهما يصلح أن يكون مفعولا .

« شراج » بكسر الشين المعجمة وبالجيم جمع شرج ـ بفتح أول وسكون الراء ـ مثل بحر ، وبحار ويجمع على شروج أيضاً وقيل مفرده شرجة و « الحرة » موضع معروف بالمدينة ، وهي خمسة مواضع المشهور منها اثنتان : حرة واقم ، وحرة ليلى ، وقال أبو عبيد : كان بالمدينة واديان يسيلان بماء المطر فيتنافس الناس فيه ، فقضى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ للأعلى ، فالأعلى .

« فقال الأنصاري : سرح الماء يمر » .

سرح : فعل أمر من التسريح أي أطلقه والمأمور الزبير ، وإنما قال له ذلك ؛ لأن الماء كان يمر بأرض الزبير قبل أرض الأنصاري فيحبسه الزبير لأجل سقي أرضه ، ثم يرسله إلى أرض جاره ، فالتمس منه الأنصاري تعجيل ذلك ، فأبى الزبير .

« فاختصما عند النبي صلى الله عليه وسلم »

كان الخلاف في مثل هذا في الجاهلية ربما يوقع حربا طويلة بين قبيلتين، ولكن الله لما هدى العرب إلى الإسلام ، لم يعد هناك مجال لمثل ذلك ، وصار الكل يحتكمون إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليحكم بينهم بما أراه الله من القرآن والسنة ، وبذلك أبدلهم الله بالاحتكام إلى السيف والقوة الاحتكام إلى شريعة الله ، وصار الخضوع لسلطان الشريعة الإسلامية شعار معظم المسلمين إن لم يكن كلهم .

(١) فتح الباري حـ ٥ ص ٢٧ .

« فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اسق يازبير، ثم أرسل الماء إلى جارك ».

اسق : بهمز وصل من الثلاثى، وبهمزة قطع من الرباعى ، يقال : سقى، وأسقى، وفى رواية أخرى: « اسق يازبير - فأمره بالمعروف - ثم أرسل ... » أمره : على صيغة الماضى، وجملة (فأمره) من الراوى وهى معترضة لبيان أن رسول الله أمره بأمر فيه يسر وسهولة للطرفين ، وضبطه الكرمانى بفتح الهمزة وكسر الميم وتشديد الراء ، على أنه فعل أمر من الإمرار ، وعلى هذا يكون من كلام الرسول ، وما ذكره الكرمانى محتمل ، كما قال الحافظ بن حجر .

« فغضب الأنصارى فقال : أن كان ابن عمتك » .

الفاء الأولى للعطف، والثانية فى «فقال» تفسيرية لبيان مظهر غضبه و « أن كان » جملة تعايلية ، أى حكمت له لأن كان ابن عمتك ، لأن الزبير هو ابن السيدة صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ويحذف حرف الجر فى مثل هذا قياسا ، وهو مثل قوله تعالى : « إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى » وقوله « أن كان ذا مال وبنين » أى لا تطعه لأجل ذلك و « ابن عمتك » منصوب على أنه خبر كان ، وفى رواية أبى ذر عن الكشميهنى « آن كان ... » بهمزة مفتوحة ممدودة ، وأصلها « أأن ... » على الاستفهام ثم سهلت الهمزة ، وهى للاستفهام الإنكارى [1] ، وقد قال الحافظ فى الفتح : ولم يقع لنا فى الرواية مد ، ولا أدرى كيف غاب ذلك عن الحافظ الكبير، مع أن رواية البخارى فى « باب شرب الأعلى إلى الكعبين » جاءت بالمد [2] ، وحكى الكرمانى « إن كان.. » بكسر الهمزة على أنها شرطية والجواب محذوف ، قال الحافظ : ولا أعرف هذه الرواية ، أقول : وليس كل ما صح عربية يجوز أن يكون رواية .

« فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

أى تغير ، وهو كناية عن الغضب وكان إذا غضب صلى الله عليه وسلم تمعر

(١) إرشاد السارى للقسطلانى ج٨ ص٩٦

(٢) انظر صحيح البخارى ج٣ ص١٤٦ ط الشعب المأخوذة عن نسخة صحيح البخارى القديمة المحققة .

وجهه ، وحق لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يغضب ؛ فإن رسول الله كان قد راعى بحكمه هذا مصلحة الخصمين ، وهى أن يسقى الزبير سقيا خفيفا ثم يرسل الماء إلى جاره ؛ فالحكم كان فيه رفق ؛ ويسر ؛ وسهولة ؛ ولكن الخصم لما لم يقبل واتخذ من ذلك وسيلة للطعن فى الحكم لم يكن بد لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أن يحكم بالحكم الظاهر الواضح وأن يستوفى للزبير حقه ؛ لأن الأنصارى أبان باعتراضه أنه ليس أهلا للمساهلة والمصالحة على ما هو أرفق وأصلح .

« ثم قال : اسق يا زبير ؛ ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدد » .

الجدد : بفتح الجيم ، وسكون الدال المهملة ، هو مايوضع بين شرابات النخل كالجدار ، وقيل هى الحواجز التى تحبس الماء بين الحيضان ، والشربات بمعجمة ، وفتحات ، هى الحفر التى تحفر فى أصول النخل والمراد أن يسق نخله سقيا كاملا حتى يصل الماء إلى الجدد ، ولما كان الجدد يختلف بالطول والقصر ، قاس الصحابة ما وقعت فيه القصة ، فوجدوه يبلغ الكعبين فجعلوا ذلك معيارا لاستحقاق الأول فالأول ، فانظر إلى فقه الصحابة ، ودقة فهمهم ، رضى الله عنهم

وقد جاءت رواية البخارى فى «التفسير » موضحة لهذا ففيها : «واستوفى النبى صلى الله عليه وسلم للزبير حقه فى صريح الحكم حين أحفظه الأنصارى ، وكان أشار عليهما بأمر لهما فيه سعة » يعنى الصلح على ترك بعض حق الزبير ، فلما لم يرض الأنصارى ، استقصى عليه الصلاة والسلام للزبير حقه ، وحكم له به على الأنصارى .

« فقال الزبير : والله إنى لأحسب هذه الآية ، نزلت فى ذلك « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم »(١)

هكذا وردت هذه الرواية بالشك وغلبة الظن وكذلك جاءت معظم الروايات وجاءت بعض الروايات بالقطع ، ففى رواية البخارى - باب شرب الأعلى إلى الكعبين - ما نصه « فقال الزبير : والله إن هذه الآية أنزلت فى ذلك « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم .. » وفى رواية عبد الرحمن بن إسحاق « ونزلت فلا وربك . . » قال الحافظ فى الفتح : والراجح رواية الأكثر ، وأن الزبير

(١) النساء الآية ٦٥

كان لا يجزم بذلك (١) أقول: ولعله كان غير جازم أولا، ثم جزم وقطع بذلك أو الأمر بالعكس.

أقوال أخرى فى سبب نزول هذه الآية:

وهناك أقوال أخرى فى سبب نزول هذه الآية، فقد جزم مجاهد والشعبى بأن الآية نزلت فيمن نزلت فيهم الآية قبلها وهى قوله تعالى: «ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك، وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت، وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيداً ...» الآيات(٢).

فقد روى إسحاق بن راهويه فى تفسيره بإسناد صحيح عن الشعبى قال: كان بين رجل من اليهود، ورجل من المنافقين خصومة، فدعا اليهودى المنافق إلى النبى صلى الله عليه وسلم، لأنه علم أنه لا يقبل الرشوة، ودعا المنافق اليهودى إلى حكامهم، لأنه علم أنهم يأخذونها فأنزل الله هذه الآيات إلى قوله: «ويسلموا تسليما».

وأخرج ابن أبى حاتم من طريق أبى نجيح عن مجاهد نحوه، وروى الطبرى عن ابن عباس أن حاكم اليهود يومئذ كان أبا برزة الأسلمى قبل أن يسلم، ويصير صحابيا، وروى بإسناد صحيح إلى مجاهد أنه كعب بن الأشرف.

وروى الكلبى فى تفسيره عن أبى صالح عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية فى رجل من المنافقين كان بينه، وبين يهودى خصومة، فقال اليهودى: انطلق بنا إلى محمد، وقال المنافق: بل نأتى كعب بن الأشرف وأنهما احتكما إلى النبى فحكم لليهودى، فأبى المنافق إلا أن يذهبا إلى عمر ليقضى بينهما، فكان قضاؤه بينهما أن قتل المنافق، وقال هذا حكم الله فيمن لم يقبل حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان ذلك سبب نزل الآيات وتسمية عمر بالفاروق. قال الحافظ ابن حجر: وهذا الطريق وإن كان ضعيفاً، لكن تقوى بطريق مجاهد، ولا يضره الاختلاف لإمكان التعدد، أقول: يعنى أن يكون السبب متعدداً، والآيات نزلت لكل ذلك، وقد رجح الطبرى فى تفسيره، وعزاه إلى أهل

(١) الفتح حـ ٥ ص ٢٩

(٢) النساء ٦٠ وما بعدها.

التأويل أن سبب نزولها هذه القصة ليتسق نظام الآيات كلها فى سبب واحد ولم يعرض بينها ما يقتضى خلاف ذلك، ثم قال: ولا مانع أن تكون قصة الزبير وخصمه وقعت فى أثناء ذلك فيتناولها عموم الآية[1].

أقول: ولو جاءت روايات قصة الزبير كلها بالجزم بأن هذا سبب نزول قوله تعالى: «فلا وربك ...» فهذا لا يمنع أن تكون هناك أحداث أخرى، ثم جاءت الآية بعد ذلك مبينة حكم الله فيمن لا يرضى بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكون المنزل واحد والأسباب متعددة له أمثلة كثيرة ذكرها علماء علوم القرآن[2].

ما يستنبط من الحديث من الأحكام والآداب:

١ — حكم الشرع فيما إذا كان هناك مسيل ماء (نهر، أو ترعة، أو قناة، أو ماء عين جارية) يمر على قطع من الأراضى المزروعة لأشخاص متعددين أن الحق فى السقى إنما هو للأول فالأول وهكذا، والمراد بالأول من يكون مبدأ الماء من ناحيته على الصحيح، فله أن يسقى حتى يبلغ الماء الكعبين ثم يرسل الماء إلى جاره، وهذا فيما إذا كان الماء قليلا لا يكفى إلا واحداً، فإن كان كثيراً، فالحق للجميع أو كان قليلا ولكن لا حاجة له فيه، فليس له أن يحبسه عمن بعده.

٢ — أن الرضا بحكم الله ورسوله من شروط الإيمان الكامل، وأن الاحتكام إلى القرآن والسنة من شروط الإيمان أيضاً، وفى الحديث الشريف: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به» رواه أبو داود.

٣ — أن هذا الحديث الشريف يكشف اللثام عن دقة نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسعة فقهه، وحسن تصرفه فى الأمور، وعن مواهبه صلى الله عليه وسلم فى القضاء، وعلى رجال القضاء أن يعنوا بدراسة أقضية الرسول، كى يستفيدوا منها فى قضائهم، وحتى تحصل لهم ملكة فقهية أصيلة فى معالجتهم للقضايا، ويوفقوا ما استطاعوا بين مصلحة الخصمين، وإن باب القضاء لباب واسع فى كتب الأحاديث والسنن.

(١) فتح البارى ج ٥ ص ٢٩.

(٢) الإتقان فى علوم القرآن مبحث سبب النزول، المدخل لدراسة القرآن الكريم لكاتب المقال ص ١١٠-١١٢

(٤) أن للقاضى أن يشير بالصلح بين الخصمين مراعاة للتيسير، والمساهلة بينهما، فإن أبى أحد الخصمين فليحكم بينهما بالحكم الظاهر الواضح، مهما كان فيه شدة على أحدهما، ولا ضير عليه فى هذا ومن يسر يسر له ومن عسر عسر عليه.

(٥) لا منافاة بين هذا الحديث وحديث النهى عن الحكم فى حال الغضب، وهو قوله صلى الله عليه وسلم (لا يقضين حكم بين اثنين وهو غضبان) رواه الشيخان، لأن النهى عن ذلك لما يخشى على الحاكم من أن يستبد به الغضب، فيقسو أو يغلظ، أو يحكم بغير الحق، وهو صلى الله عليه وسلم معصوم من ذلك فهو لا يغضب إلا لله، وهو حكم عدل فى حال الغضب، وفى حال الرضا، وسيرته صلى الله عليه وسلم وأقضيته أكبر شاهد على ذلك.

(٦) ما كان عليه الصحابة الكرام من فقه واسع وبعد نظر، وحسن تصرف، ولا عجب فقد تخرجوا فى مدرسة النبوة، ذلك أنهم لما رأوا أن الحواجز التى تكون بين الحيضان، أو بين الحفر التى تحفر للنخيل ونحوها غير منضبطة، وليست واحدة قدروا ذلك بوصول الماء إلى الكعبين، وهو الخيار والأمر الوسط فى سقى النخيل والأعناب ونحوها فلا هو قليل مجحف، ولا كثير مفسد، ففى الحديث « فقدرت الأنصار، والناس قول النبى صلى الله عليه وسلم: (اسق ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر) وكان ذلك إلى الكعبين » والحمد لله الذى هدانا لهذا، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله؟

د. محمد محمد أبو شهبة

قال الله تعالى:

« قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم، قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين ».

آل عمران: ٣١، ٣٢

أول معركة فى الإسلام

للدكتور محمد خليفة

نفث جبريل فى روع محمد صلى الله عليه وسلم : يا محمد إن الله وعدكم إحدى الطائفتين : إما العير وإما النفير .

ولم يكن قد مضى على هجرة النبى غير عام أسلم خلاله بضع مئات قد لا تثبت أمام الزحف القرشى ، وهو يدرك حب الدعة الذى قد يراود بعض النفوس ، ويدرك كذلك حب المال الذى يرى فيه المهاجرون عوضا عما تركوه فى مكة .

ويرى فيه الأنصار خيرا لدنياهم ، وهذا وذاك قد يغرى الناس باختيار العير لما تحمل من متاع الدنيا ولقلة حماتها ؛ لأنهم أربعون رجلا على رأسهم أبو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو ابن هشام ، ولا قبل لهذا العدد بلقاء الثائرين من المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق ، ولا بلقاء الأنصار الذين عاهدوا الرسول على أن يمنعوه ويحموه ، وسيرغم حماة العير على التسليم والاستسلام حين يأخذ المسلمون عليهم السبل .

ولمعت فى خواطر الرسول العزة المنشودة للإسلام فى سلطانها المرتقب الذى لا يقيم شموخه غير دحر القوة القرشية المناوئة وتحطيم شوكتها .

وأنى يتحقق ذلك الأمل فيجتذب النفوس من حب العير إلى حب النفير وما محمد بالحاكم المستبد فيحمل الناس قسرا على مالا يحبون ، وما هو بالطامع فى عرش يقيم دعائمه ولو على الأشلاء والجماجم فيحمله ذلك على فرض رأى لم يقتنع به أصحابه ، ولكنه رسول الله الذى يصيخ إلى أمر ربه فى قوله : « وشاورهم فى الأمر » .

مجلس الاستشارة :

ودعا الرسول كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار وقال : ما تقولون إن القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب ذلول فالعير أحب إليكم أم النفير ؟

قالوا : بل العير أحب إلينا من لقاء العدو .

وتغير وجه الرسول صلى الله عليه وسلم حين دق سمعه حب العير . وكأنما كانت الكلمات المطلة من أفواههم حرابا تطعن الأمل وتجرح العزة التى كانت متمناه، ثم انتزع نفسه مما غشيها من الألم والأسى فقال : إن العير قد مضت على ساحل البحر وهذا أبو جهل وقد أقبل وطمع بهذا فى تحويل أفكارهم إلى أبى جهل وقد أقبل يهدد أمنهم وسلامة ذراريهم ونسائهم ، وأنه قد يعيد إلى الأذهان صور الغارات الجاهلية ، وما كان فيها من وحشية ليدفعهم بهذا إلى الخروج قبل أن يدخل عليهم المدينة من أقطارها .

ولكنهم قالوا : يارسول الله عليك بالعير ودع العدو ، وقرأ كبار الصحابة فى وجه الرسول ثورة الغضب يجيش دمها فى وجهه .

ونهض أبو بكر فأيد رسول الله فيما يرى وتبعه عمر كذلك وقام على أثرها سعد ابن عبادة فقال: يارسول الله انظر أمرك فامض فوالله لو سرت إلى عدن أبين ما تخلف عنك رجل من الأنصار .

ووثب المقداد بن الأسود فقال : يا رسول الله امض لما أمرك الله فإنا معك لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ، ولكن نقول : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ما دامت عين منا تطرف .

وضحك الرسول ونفست عنه كلمات المقداد فأطفأت ثورة غضبه، وكانت كلمات المقداد معبرة عن رأى جمهرة المهاجرين وتطلع الرسول إلى الأنصار فقال : أشيروا على أيها الناس ؛ لأن خروجه للقاء العدو خارج المدينة لم تتضمنه بيعة العقبة التى نصت على براءة الأنصار من عهد الرسول حتى يصل إلى المدينة فإذا وصلها فهو فى ذمامهم يمنعونه مما يمنعون منه آباءهم ونساءهم وليس فى البيعة نص صريح يحمل الأنصار على الدفاع عن الرسول خارج المدينة ، بل هم مسئولون أمام العهد عن حمايته إذا دهمه العدو فى مدينتهم .

وفطن الأنصار إلى أن وراء قوله : أشيروا على أيها الناس ، ما وراءه من حيث الإفصاح فى صراحة عن رأيهم فى هذا الخروج ، وكأنه يريد أن يسمع

من الأنصار تفسيراً جديداً لعهد بيعة العقبة ، أو إضافة مادة جديدة لهذا العهد بأنهم مستعدون لأن يخوضوا معه معارك الإسلام حيثما يريدها الله ورسوله .

وقام سعد بن معاذ سيد الأنصار فقال : لكأنك تريدنا يارسول الله؟ قال: أجل. قال سعد : قد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ماجئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا ، إنا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله .

وبهذه الكلمات أضاف الأنصار إلى عهدهم طاعتهم ومضيهم مع الرسول حتى لو خاض البحر وأن عدو الله ورسوله عدو لهم ، وكشفت الكلمات عن صبرهم وصدقهم فى الحرب .

وغمرت الفرحة قلب محمد - صلى الله عليه وسلم - وتراءت له بدر وتجلت له مصارع الأعداء جثثا تتخبط فى دمائها ، وأشلاء ممزقة ، ورءوسا تناطح الرمال بعد أن عجزت عن مناضلة الرجال، فقال: أبشروا إن الله وعدنى إحدى الطائفتين والله لكأنى أنظر إلى مصارع القوم .

إلى بدر :

وقف أبو جهل يصيح فى أهل مكة : النجاء النجاء على كل صعب ذلول ، عيركم وأموالكم إن أصابها محمد لن تفلحوا بعدها أبدا، وذلك بعد أن جاء رسول أبى سفيان يخبر قريشا بانتهاب المسلمين للعير، ودوت كلمات أبى جهل بين دروب مكة وشعابها ففزع كل من له فى العير تجارة بل فزعت قريش كلها ؛ لأنها تخشى على طريق تجارتها مع الشام أن يهدده المسلمون .

وخرجت قريش فى ألف من رجالها يتقدمهم مائة فارس لتقضى على المسلمين بل لتدمر المدينة على المهاجرين والأنصار وزحف ألف محارب تحت نجائبهم الأحقاد، وتلهب أعناق خيولهم الضغائن ، ثم جاءهم نبأ نجاة العير بعد أن أخذت طريق الساحل .

ولكن صلف أبى جهل وغروره بجيشه صرخ فى الناس : لن نرجع حتى نأتى بدرا فننحر الجزور ونشرب الخمور

وتغنينا القيان وتعزف المعازف، وتسمع العرب بمخرجنا وأن محمدا لم يصب العير بل قد أغضضناه .

« وسالت بأعناق المطى الأباطح » تتدفق إلى بدر ومجتمع العرب وسوقهم فى كل عام .

وبين المدينة انطلق منادى المسلمين بعد قرار الخروج ينادى : إلى بدر ، فخرج ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا يتقدمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد انتزع الله من قلوبهم حب الدنيا ، وأطار من أخيلتهم صورة العير وما كانت تحمل من خير الشام ، ولم تفزعهم قلتهم ، ولم ترعهم ضآلة استعدادهم ؛ فليس معهم غير فرس واحد وقلة من الجمال يتعاقبون عليها .

ونزلت قريش بقضها وقضيضها على ماء بدر، ونزل المسلمون فى كثيب تسوخ فيه الأقدام ، وساقت إليهم عناية الله المطر فجرى الوادى واتخذ أصحاب الرسول الحياض على عدوة الوادى ، وكان ذلك أول شعاع يبشرهم بأنهم فى كنف الله ومن كان فى كنفه سخر الله له كل شىء حتى الطبيعة .

الملائكة فى المعركة :

وأوحى الله إلى ملائكته أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا وتولى هو إلقاء الرعب فى قلوب الكافرين .

ونزل جبريل فى خمسمائة ملك على الميمنة وفيها أبو بكر .

ونزل ميكائيل فى خمسمائة ملك على الميسرة وفيها على بن أبى طالب ، وبهذا العدد الكبير من الملائكة كثر سواد المسلمين ، فريعت قريش لهذه الكثرة التى تبدى فيها جيش المسلمين ، وامتدت يد الفزع تنتزع الأمن والسكينة من قلوبهم ، وتهصر قوة السواعد وعزائم الصدور ، وانطبعت الصورة الكبيرة فى أعين القرشيين ، وتحركت آثارها المخيفة تعمل عملها فى القلوب خوفا ووجلا .

دعاء :

وجاء الصحابة يدعون الله : ربنا انصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين أغثنا .

واستقبل الرسول القبلة ورفع يديه متضرعا إلى ربه : اللهم أنجز لى ما وعدتنى اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الأرض .

وما زال يصرخ بالدعاء حتى سقط رداؤه عن منكبيه فقال له أبو بكر : يا نبى الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك .

صراع بين الحق والباطل :

والتقى الجمعان ، وبرز على أرض المعركة صناديد قريش يطلبون مبارزة أكفائهم من المهاجرين ودارت المبارزة ثم تفجرت المعركة وبين غبارها تساقط فحول قريش يتخبطون فى دمائهم كما يتساقط الذباب أمام (المبيدات) وزاد سقوط أبطال قريش إيمان القلة المؤمنة ، فاندفعت تكتسح الباطل الحانق ، وتجتاح الضلال الحاقد ، وفعل الرعب أفاعيله فى قلوب الكثرة الباغية فخارت قواها ، ولم تعد لديها غير أنفاس تلعب بالصدور ، وبقايا من قوة تلتقط الأقدام من الرمال ، ثم تجرها إلى طريق مكة وقد استحوذ عليهم الإعياء وكيف يبلغونها وجراح أجسامهم تنزف ، وجراح نفوسهم تفيض بالحسرة لهذا التمثيل الذى كتب وتفيض بالدمع على أولئك القتلى الذين خلفوهم على رمال بدر وعلى أولئك الأسرى الذين سيقوا فى القيود ليقضى المسلمون فيهم بما يرون .

وما كان ذلك الصراع بين جيشين متعادلين فى العدة والعدد ولكنه بين قلة تخوض المعركة بإيمانها وصبرها وثقتها فى وعد الله ، وتفانيها فى الإخلاص لرسول الله ، وصدقها فى اللقاء وحبها لبذل الدم والتضحية بالروح فى سبيل الله وبين كثرة مغرورة ينفخ الطغيان أنوفها ويرفع الاعتزاز بالشيطان هاماتها .

ولكنها فاجأها يقين القلة المنطلقة كالموج الصاخب ألقى أثقاله فانكسرت أمامه السدود ، وانهارت الصلابة فلم تثبت قريش ، وطلب النجاء على النجائب والخيول من لم تحمله الأقدام ولم تساعده السيقان على الفرار .

العبرة من الذكرى :

ولا خير فى صور البيان السحرية التى تصور هذه الذكرى كتابة أو قولا إن لم تحرك ملايين المسلمين فى عالمنا إلى العبرة من هذه الذكرى ، وإلى الانفعال بها فى معارك حاضرنا ، وإلى تصور القلة المؤمنة التى خاضت معركة بدر فى ثقة بربها ، واعتزازها بسلاح إيمانها وصبرها ولعل تلك الذكرى تخلق فى الصدور قلوباً مشحونة بالإيمان الذى يتفجر حين يؤذن له أن يتفجر فيمحو البغى ويمحق الطغيان .

فلا جدوى من آية تتلى فى هــذه الذكرى إن لم تلهب قلوب جنودنا على خط النار لتجعل كل محارب منهم جنديا من جنود بدر الذين هزموا ثلاثة أمثالهم عدداً واستولوا على أضعاف أضعاف ما كانوا يملكون عدداً حين تخفف القرشيون من عتادهم وفروا بأرواحهم أمام القوى البشرية الجائحة .

ولا خـير فى درس ترن كلماته فى الأسماع إن لم تخفق معها القلوب وتنفعل بها المشاعر .

أيها المحاربون :

اذكروا غزاة بدر الذين كتبوا للتاريخ ما كتبوا من أمجاد ما زالت وستبقى أبداً حديث القرون والأجيال .

اذكروا إيمـانهم الذى ثبت قلوبهم فما وهنوا وما استكانوا ، اذكروا صبرهم عند التقاء الجمعين وهم فى قلة لو لم يتداركهم معها الصبر ، ويمسك بهم حب البذل لذابوا على الصحراء عند أول حملة يحملها عليهم الأعداء .

اذكروهم فى ثقتهم بالله يحمون دينه ويرفعون لواءه وينصرون كلمته والله معهم.

اذكروهم وإيمـانهم يخلق سيوفهم من مادة جديدة هى مادة الموت التي لا تترك فيمن لمسته أثرا للحياة ، اذكروهم وقد تركوا طغاة قريش الذين أطغاهم الغرور طعـاما للجوارح والسباع ولم يحمهم ما اعتزوا به من مردة الشياطين .

اذكروهم وهم يسوقون أمامهم الأسرى كما تساق الأنعام إلى حتفها .

اذكروا كل ذلك لعل الله ينفعكم وينفع أمتكم بهذه الذكرى .

ورددوا دائما قوله تعالى : « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين » .

أيها المحاربون :

إنـكم أبناء أمة قضت على عزة اليهود فى الجزيرة وصرعت جيـوش الكفر واستسلم لها الأكاسرة والقياصرة وأدبت التتار ، وقذفت فى البر جموع الصليبيين أمة لها ماض عاش حديث الزمن ، فصلوا أمجـاد حاضرها بأمجاد ماضيها واشتروا الجنة بأغلى ماتملكون « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله » ؟

دكتور : محمد محمد خليفة

القراءات فى نظر المستشرقين والملحدين

للأستاذ عبد الفتاح القاضى

- ٦ -

وفى القرآن الكريم كلمات أخرى رسمت غير معجمة ولا مشكولة ، ورسمها كذلك يجعلها محتملة لقراءات متعددة ، واللغة العربية تجيز فيها هذه القراءات ، ومع ذلك لم يختلف فيها القراء ، ولم تتعدد فيها القراءات، بل اتفقوا على قراءة واحدة فيها ، لأنه لم يرو فيها بالسند القوى ، والأثر الثابت ، والنقل الموثق إلا هذه القراءة ، وأما غيرها من القراءات التى يحتملها رسم المصاحف ، فليس له سند يعتمد عليه ، وأصل يرد إليه ؛ فلم يقرأ به أحد ، ومن أمثلة ذلك :

١ــ « خطف يخطف » جاء فى لغة العرب أن فيها لغتين خطف يخطف من باب علم يعلم ، وخطف يخطف من باب عمد يعمد ، ولكن القراء أجمعوا على قراءتها بكسر الطاء فى الماضى وفتحها فى المضارع .

٢ــ «مكث» فى قوله تعالى فى سورة الإسراء « وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث » (الآية ١٠٦) اللغة تجيز فيها تثليث الميم، ورسمها يحتمل الأوجه الثلاثة ولكن القراء اتفقوا على قراءتها بضم الميم، فلو كانت القراءات بالرأى والاختيار وكان خلو الكلمات من الشكل سببا فى اختلاف القراءات وتنوعها لاختلف القراء فى قراءة الكلمات السابقة فكان منهم من يقرأ « خطف يخطف » من باب علم ، ومنهم من يقرؤها من باب ضرب .

وكان منهم من يقرأ « على مكث» بضم الميم ، ومنهم من يقرا بفتحها ومنهم من يقرأ بكسرها ، ولكن القراء أجمعوا على قراءة خطف بالكسر ، يخطف بالفتح ، وعلى قراءة « على مكث» بالضم ؛ فحينئذ لا تكون القراءات بالرأى والاختيار ، ولا بالهوى والاجتهاد ، ولا يكون تجرد المصاحف من الشكل سببا فى تنوع القراءات واختلافها ، إنما سبب التنوع والاختلاف الروايات

الصحيحة؛ والأسانيد الموصولة، والنقول الصريحة والتوقيت؛ والتلقى، والسماع .

٣ — لفظ الرضاعة فى القرآن نحو «لمن أراد أن يتم الرضاعة»، «وأخواتكم من الرضاعة» فى رائه لغتان الفتح والكسر ولكن القراء أجمعوا على قراءته بالفتح.

٤ — «يوصيكم الله فى أولادكم» فى سورة النساء (الآية ١١)

تجيز اللغة فى يوصيكم فتح الواو وتشديد الصاد، من التوصية . كما تجيز سكون الواو وتخفيف الصاد من الإيصاء.

وقد جاءت اللغتان فى القرآن الكريم فى قوله تعالى «ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب» فى سورة البقرة ، قرىء «ووصى» بواوين مفتوحتين مع تشديد الصاد من التوصية وقرىء «وأوصى» بواوين الأولى مفتوحة والثانية ساكنة، وبينهما همزة مفتوحة مع تخفيف الصاد من الإيصاء ، وفى قوله تعالى «فمن خاف من موص جنفاً أو إثماً فأصلح بينهم فلا إثم عليه» فى سورة البقرة (الآية ١٨٢) قرىء «موص» بفتح الواو وتشديد الصاد من التوصية ، وقرىء ، بسكون الواو وتخفيف الصاد من الإيصاء .

ومع أن التشديد والتخفيف لغتان ذكرتا فى الآيتين المذكورتين لم تقرأ هذه الآية «يوصيكم الله فى أولادكم ..» إلا بقراءة واحدة ، وهى سكون الواو وتخفيف الصاد ؛ لأنه لم يرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا هذه القراءة . وهذا يدل على أن القراءات إنما تعتمد على السند والآثار لا على الكتابة والاختيار .

٥ — وذكر بعض الأدباء عن الأصمعى أنه سأل المازنى : ما تقول فى قول الله عز وجل «إنا كل شىء خلقناه بقدر..»؟ فقال المازنى : يذهب سيبويه إلى أن الرفع فيه أقوى من النصب فى العربية، لاشتغال الفعل بالضمير؛ وليس هنا شىء هو بالفعل أقوى .

ولكن أبت القراء إلا النصب ، فنحن نقرؤها كذلك اتباعا ، لأن القراءة سنة ، انتهى .

٦ — «وقال الإمام الفراء فى كتابه (معانى القرآن) فى قوله تعالى فى سورة طه «إنما صنعوا كيد ساحر» ـ ولو قرأ قارئ بالنصب لكان صوابا إذا جعلت (إن وما) حرفا واحدا، ولكن لم يقرأ به

واحد من القراء العشرة، ولا من الأربعة الذين فوق العشرة .

٧ — وقال الفراء أيضا فى قوله تعالى فى سورة الكهف « فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا» قرأ القراء « إن» بالكسر ولو قرئت بالفتح على معنى: لأن لم يؤمنوا أو من أن لم يؤمنوا لكان صوابا ولكن اتفق القراء على قراءة « إن » بالكسر ا.ه

على أن بعض أئمة القراءة قد خالف مرسوم جميع المصاحف العثمانية ، إيثارا للأثر ، واتباعا للنقل ، واقتداء بالسنة ، وعملا بالتلقى والمشافهة ، ومحافظة على التوقيف والسماع ومن أمثلة ذلك :

١ — « الصراط » معرفا ومنكرا فى جميع القرآن الكريم ، « والله يقبض ويبصط » فى سورة البقرة ، « وزادكم فى الخلق بصطة » فى الأعراف ، « أم هم المصيطرون » فى الطور ، « لست عليهم بمصيطر » فى الغاشية ، كتبت هذه الكلمات فى جميع المصاحف العثمانية بالصاد ومع هذا قرأها بعض القراء بالسين ، وقرأها بعضهم بإشمام الصاد صوت الزاى، والقراءات الثلاثة متواترة.

٢ — « ألا إن ثمود كفروا ربهم » فى هود ، « وعاداً وثمود وأصحاب الرس» فى الفرقان ، « وعادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم » فى العنكبوت ، « وثمود فما أبقى » فى النجم .

كتبت كلمة « ثمود » فى هذه الآيات فى جميع المصاحف العثمانية بالألف بعد الدال ، ومع ذلك قرأها بعض القراء بحذف الألف اقتداء بالسنة ، ومثل هذه الكلمة فى رسم المصاحف كلمتا «قوارير» فى سورة الإنسان فقد رسمتا بإثبات الألف بعد الراء فى جميع المصاحف وقرأها البعض بحذفها ، والقراءة بحذف الألف - فى كلتا الكلمتين - متواترة ، كالقراءة بإثباتها .

٣ — «إلا أن تقطع قلوبهم» فى سورة التوبة رسمت كلمة « إلا » هكذا فى جميع المصاحف على أنها أداة استثناء ، ولكن بعض القراء قرأها هكذا « إلى » على أنها حرف جر عملا بالتلقى .

٤ — « لأهب لك » فى مريم رسمت فى جميع المصاحف بألف بعد اللام، ومع ذلك قرأها بعض القراء بياء بعد اللام اتباعا للنقل .

٥ — « الأيكة » رسمت هذه الكلمة في سورة الشعراء في قوله تعالى « كذب أصحاب الأيكة المرسلين » ، وفي سورة ص في قوله تعالى « وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب » رسمت هكذا « ليكة » في جميع المصاحف بحذف الألف قبل اللام فقرأها بعض القراء بحذف همزة الوصل قبل اللام مع فتح اللام وياء ساكنة بعدها وفتح التاء ، وهذه القراءة موافقة للرسم وقرأها البعض هكذا « الأيكة » بهمزة وصل مع سكون اللام وهمزة مفتوحة بعدها مع سكون الياء وكسر التاء ، وهذه القراءة مخالفة لرسم جميع المصاحف ولكنها ثبتت بطريق التواتر كالقراءة الأولى .

ومن جميع ما تقدم يتضح اتضاحا لا شبهة فيه أن اختلاف القراءات وتنوعها ليس وليد إغفال الكلمات القرآنية من النقط والشكل ، إذ لو كان كذلك لكانت كل قراءة يحتملها رسم المصاحف صحيحة متى وافقت اللغة ، وليس كذلك . فإن كثيرا من الكلمات يحتمل رسمها أكثر من قراءة لتجرد الكلمات من الإعجام والشكل ، ولكن لم يصح فيها إلا قراءة واحدة كما سبق .

فحينئذ يكون مرجع القراءات الروايات المتواترة والآثار الصحيحة ، والأسانيد القوية المروية عن الثقات الأثبات ، ولا دخل للرسم والكتابة فيها مطلقا .

والخلاصة أن أية قراءة لا يعتد بها ، ولا تعتبر قرآنا إلا إذا كانت ركيزتها التلقين والتوقيف والتلقي والمشافهة وكانت دعامتها الرواية والنقل والسماع .

قال الإمام الحافظ أبو شامة في شرح الشاطبية عند الكلام على قراءة (ولؤلؤا) في سورة الحج ما نصه : ورسم بالألف في الحج خاصة دون فاطر .

والقراءة نقل ، فما وافق منها ظاهر الخط كان أقوى ، وليس اتباع الخط بمجرده واجبا ما لم يعضده نقل . فإن وافق فبها ونعمت ، ذلك نور على نور ، قال الشيخ - السخاوى تلميذ الإمام الشاطبي - وهذا الموضع أدل دليل على اتباع النقل في القراءة ، لأنهم لو اتبعوا الخط . وكانت القراءة إنما هي مستندة إليه لقرءوا هنا - في سورة الحج - بالألف ، وفي الملائكة - فاطر - بالخفض ، قال أبو عبيد : ولولا الكراهة لخلاف الناس لكان اتباع الخط أحب إلى ، فيكون في سورة

الحج بالنصب ، وفى سورة فاطر بالخفض ، انتهى .

الدليل الرابع : . على أن مصدر القراءات النقل لا الرسم - ينجم عن رأى جولد زيهر . أن منشأ القراءات تجرد المصاحف من النقط والشكل . أن يكون القرآن الكريم قد قرىء فى خير العهود عهد النبوة ، وعهد الصحابة ، وعهد التابعين بقراءات وأوجه لا يعرف الصحيح منها من غيره ، ولا المنزل منها من غير المنزل ولا المتواتر منها من غير المتواتر .

وبداهة العقل قاضية ببطلان هذا وفساده .

ثم إنه لا يستقيم فى حكمة الحكيم جل علاه أن يكل أمر القرآن . وهو أعظم دستور سماوى - إلى العباد يقرءوه كل واحد منهم حسب ميله وهـــواه ، وحسب رغبته واختياره ، ويعبر كل واحد منهم فى نطاق قدرته على التعبير والأسلوب ، والناس فى هذا متفاوتون تفاوتا شاسعا ، أقول: لا يستقيم هذا فى حكمة الحكيم ، لأن فيه تعريضا لنصوص القرآن للتناقض والتعارض ، والتخاذل والتهافت ، والتغيير والتحريف .

الدليل الخامس : لو كان مبعث اختلاف القراءات وتنوعها خلو المصاحف من النقط والشكل ، وكان كل قارىء يقرأ بقراءة يختارها من تلقاء نفسه ، ولم يكن مبعثها الوحى والمشافهة ، والتلقى من فيه صلى الله عليه وسلم لكان بعض القرآن من كلام البشر ، ولم يكن كله وحيا سماويا منزلا من عند الله تعالى ولو كان كذلك لذهبت أعظم خاصية من خصائصه ، تلك الخاصية التى امتاز بها القرآن عن سائر الكتب السماوية السالفة هى الإعجاز ، ولو ذهبت عنه صفة الإعجاز لم يكن للتحدى به . بجميع قراءاته ورواياته . وجه ، ولم يكن لعجز العرب عن معارضته سر ، حيث إن بعضه من وضع بنى جنسهم ولم يكن للإيمان به ، والتعبد بتلاوته معنى أصلا ، ولكن الله تعالى أمرنا بالإيمان به ، والتعبد بتلاوته ، وتحدى به سائر العرب فعجزوا عن معارضته ، والإتيان بمثله ، بل بأقصر سورة من سوره ، فحينئذ تكون صفة الإعجاز ملازمة له ، لا تفارقه ولا تنفك عنه ، إذاً لم يكن بعضه من كلام البشر ، بل كله من كلام الله عز وجل . فلم يكن مبعث

القراءات خلو المصاحف من النقط والحركات ، بل مبعثها الوحى والتلقى ، والمشافهة من فيه صلى الله عليه وسلم ، وهو المطلوب .

الدليل السادس . أن القرآن الكريم سجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لا يستطيع أن يبدل فى القرآن الكريم كلمة بكلمة ، أو حرفا بآخر . وأشار إلى أن هذا التبديل معصية يترتب عليها العقاب الأخروى الشديد فقال تعالى : « وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله ، قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى إن اتبع إلا ما يوحى إلى إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم » سورة يونس ، وقال تعالى : « ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين » سورة الحاقة .

فإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يستطيع أن يبدل فى القرآن الكريم شيئا - فهل يملك غيره - صحابيا كان أم تابعيا أم غيرهما - أن يضع كلمة مكان كلمة ، أو حرف موضع حرف ؟

الدليل السابع : أن الله تعالى وعد بحفظ كتابه من أن تمتد إليه يد العبث والتحريف التى امتدت إلى ما سبقه من الكتب السماوية فقال تعالى « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » سورة الحجر ، وقال تعالى « وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » سورة فصلت .

ولا شك أن قراءته بالرأى والاختيار تفضى - من قريب أو بعيد - إلى تعريض نصوصه للتغيير والتصحيف ، وذلك ينافى الوعد بحفظه ، ووصفه بأنه « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » ؟

(يتبع) عبد الفتاح القاضى

جيش الرّوم أيام الفتح الإسلامى

للواء الركن : محمود شيت خطاب

القوات البرية

١ — التنظيم :

تطور جيش الروم بالتدريج ، أسوة بالجيوش العالمية الأخرى ، فقد كان الناس فى أوائل أدوار تمدنهم قبائل يدافع عنها القادرون على حمل السلاح من رجالها ، فإذا تهدد القبيلة خطر عسكرى اجتمع رجالها بلا ترتيب ولا نظام . ثم ينال كل واحد من الغنيمة ما يستطيع الحصول عليه بنسبة شجاعته وقوة شكيمته فلما تحضر الناس وتقاسموا الأعمال ونشأت الدول ، كان من أقدم المهن عندهم الكهانة والجندية .

وأول دولة نظمت الجند على أسس تنظيمية ثابتة هى الدولة الفرعونية فى مصر فقد جندت جنداً من الزنوج والأحباش حوالى القرن العشرين قبل الميلاد أخضعت بهم سكان سواحل البحر الأحمر ثم انتشر أمر التجنيد فى الدول القديمة : الآشورية والبابلية والفينيقية واليونانية والرومانية والفارسية . الخ ، وكان نظام جيش الفراعنة هو نظام الصفوف المتعاقبة المتراصة ، والمشهور أن (رمسيس) الثانى هو منظم الجيش المصرى على النظام المعروف .

واقتبس اليونان نظام الجند المصرى ونوعوه ، فأنشأوا نظام الفرق ، حيث تتراص الجنود صفوفاً متعاقبة ، وكانت الفرقة مؤلفة من أربعة آلاف رجل ، يصطف رجالها الواحد بجانب الآخر على بضعة أقدام فى صفوف متعاقبة الواحد وراء الآخر ، فجعلها (فيليب المقدونى) ضعفى ذلك ، ثم جعلها ابنه الأسكندر أربعة أضعاف وقارب ما بين الرجال حتى كادت تتماس أكتافهم وتترابط تروسهم ، ثم اصطنع لهم رماحا طول بعضها أربعة وعشرون قدماً ، وفى هذا النظام تكون رماح الصف الأمامى قصيرة ورماح ما وراءه أطول فأطول حتى تبرز

رماح الصف الخامس ثلاثة أقدام نحو الإمام وكان (فيليب) قد نظم فرقة من الفرسان ، فأضاف إليها ابنه الأسكندر آلات الحرب ومن جملتها المنجنيق، وبهذا التنظيم تغلب الأسكندر على كثير من الجيوش فى كثير من المعارك قبل الميلاد بأربعة قرون ، فلما نشأت دولة الروم ؛ اقتبست نظام الفرق من اليونان ؛ وأدخلته فى تنظيم جيشها البرى .

كان الجيش منظما من فرق ، تعداد كل فرقة عشرة آلاف رجل [1] تتألف من ثلاث طبقات من المقاتلين : الشباب ومنهم يتألف الصف الأول فى الحرب ، والكهول فى الصف الثانى ، وأهل الدربة والحنكة فى الصف الثالث ، والصفوف المتعاقبة الأخرى ، وكان يلحق بكل فرقة من المشاة كتيبة من الفرسان تتسلح بالسهام والمقاليع والمزاريق لمشاغلة الأعداء فى حرب المشاة ولإجراء الاستطلاع قبل الاصطدام ، وحماية المشاة أثناءه ، وللقيام بالمطاردة بعد هزيمة الأعداء .

وكانت كل فرقة من فرق المشاة تضم عشرة آلاف رجل بقيادة بطريق[1] .

قسم الروم الفرقة إلى قسمين : كل قسم مؤلف من خمسة آلاف رجل [2] بقيادة (طومرخان[3] Turmarch) .

وقسموا كل لواء إلى خمس كراديس[4] كل كردوس بقيادة طرنجاريه [5] : (Drungairs) ، وقسموا كل كردوس إلى خمسة سرايا ، كل سرية مؤلفة من مائتى

---

(١) فى رواية أن تعداد الفرقة ستة آلاف جندى .

(١) البطريق : من أشراف الروم ويشابه فى التنظيم الحديث : قائد فرقة برية لواء .

(٢) يشابه تنظيم لواء المشاة فى الوقت الحاضر الذى يكون بقيادة عميد أو عقيد

(٣) يشابه منصب قائد لواء فى الوقت الحاضر وهو برتبة عميد أو عقيد .

(٤) الكراديس : جمع كردوس ، وهى كلمة يونانية معربة استعملها العرب، ومعناها ألف جندى ، والكردوس يشابه الوحدة فى التنظيم الحديث .

(٥) يشابه قائد وحدة فى التنظيم الحديث الذى يكون برتبة مقدم .

جندى[1] بقيادة (قومس)(٢)، وقسموا كل سرية إلى خمس فصائل ، كل فصيلة مؤلفة من أربعين جنديا (٣) بقيادة (قمرطغ) وقسموا كل فصيلة إلى أربع حضائر ، كل حضيرة مؤلفة من عشرة جنود بقيادة الدمرداغ (ضابط صف) (انظر المخططات المرفقة) .

هذا هو مجمل تنظيم جيش الروم البرى حين ظهر الإسلام ، لذلك قسم خالد ابن الوليد رضى الله عنه جيشه إلى كراديس فى معركة (اليرموك) الحاسمة سنة ثلاث عشرة الهجرية ، (٦٣٤ م) وهى تعبية لم تعبها العرب من قبل(٤)، وقسم الكردوس إلى عشرة أقسام على كل قسم (نقيب) ، وقسم كلا منهما إلى عشرة أقسام على كل قسم منها (عريف) .

ولو لم يطور العرب تنظيم جيشهم فى معركة (اليرموك) لما انتصروا أبداً .

(١) يشابه تنظيم السرية فى الوقت الحاضر.

(٢) يشابه قائد سرية فى الوقت الحاضر الذى يكون برتبة نقيب أو رائد .

(٣) يشابه الفصيلة فى الوقت الحاضر الذى تكون بقيادة ملازم .

(٤) الطبرى (٢ / ٥٩٣) وابن الأثير (٢ / ١٥٨)

٢ — التسليح :

كان الفرسان والمشاة فى جيش الروم يقسمون إلى فرق خفيفة السلاح وفرق ثقيلة السلاح، وكان الفارس ذو السلاح الثقيل يلبس خوذة فولاذية ودرعا من الزرد يكسوه من رقبته إلى فخذيه وقفازا من الحديد وأحذية من الفولاذ ، وكان يحمل عباءة خفيفة يرتديها فوق سلاحه صيفا وعباءة فضفاضة من الصوف يتدثر بها شتاء ، وكان سلاحه سيفا عريضا وخنجرا ورمحا وقوسا للرماية من فوق ظهور الخيل وجعبة للسهام .

وإذا كان الفارس ممن يقفون فى الصفوف الأمامية ويقومون بالهجوم ، وضعت درع فولاذية على صدر حصانه وعصابات فولاذية على جبهته .

وكان الفارس ذو الأسلحة الخفيفة عادة من الرماة،ويرتدى سترة من الزرد أما الجنود المشاة المسلحون بالأسلحة الثقيلة ، فيرتدون دروعا من الزرد تغطى أنصاف أجسادهم العليا وخوذا فولاذية. وكانت أسلحتهم السيف والرمح وفأسا لها نصل قاطع من ناحية وسن مدببة من ناحية أخرى .

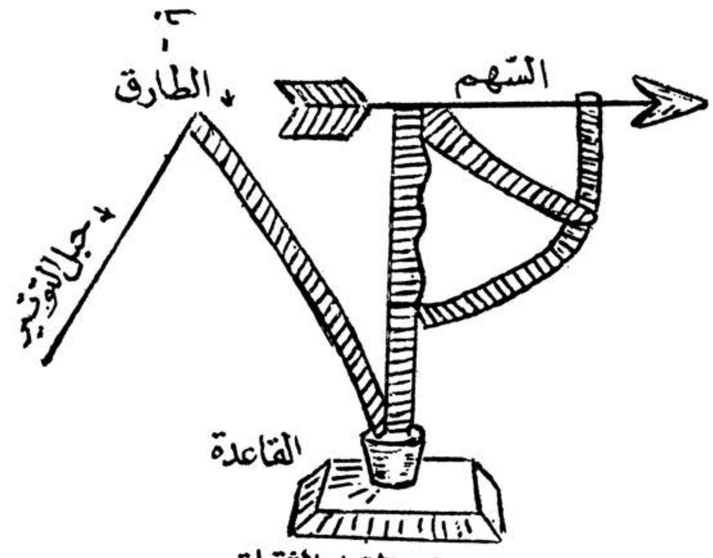

منجنيق لرمى السّهام الثّقيلة

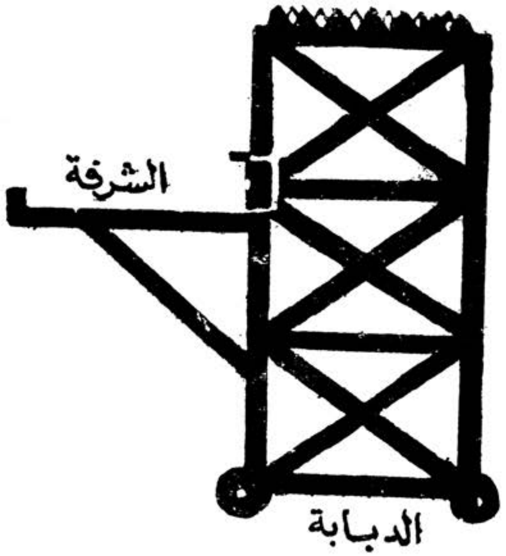

الدبابة

وكان الجنود المشاة المسلحون بالأسلحة الخفيفة من الرماة بالقوس أو من الذين يطعنون بالحراب، يلبسون قمصانا طويلة من الزرد تصل إلى الركب أو دروعا خفيفة فى بعض الأحيان، ويحملون جعبا للسهام فيها أربعون سهما ويحملون فئوسا فى أحزمتهم ، وكانوا يعلقون على ظهورهم تروسا مستديرة .

وكان للروم آلات حربية ثقيلة كالبروج والعرادة والمنجنيق والدبابة والكبش تحمل بجانب متاع الجيش على الحيوانات أو العجلات .

ويغلب أن كلمة (برج) مشتقة من اليونانية، وقد وضعت لبرج متحرك شيد من الخشب ومغطى بالجلد والحديد وكان يستعمل للاقتراب من الحصون أو المدن المنيعة لاقتحامها ولقذف السهام أو الأحجار أو أية مقذوفات أخرى. وفى معظم الأحيان يجر البرج على عجلات خشبية أو حديدية أو يدفع على أسطوانات وتتألف البرج من عدة أدوار فوق بعضها يوصل إليها بدرجات من الداخل، وينتهى البرج بقنطرة خشبية يمكن إلقاؤها على الحصن أو السور ليرقى عليها الجنود فى هجومهم على العدو.

والعرادة: آلة أصغر من المنجنيق، تلقى بها الحجارة على أبعاد كبيرة وقد عرفها الفرس أيضاً.

والدبابة: آلة من آلات الحرب، يدخل فيها الرجال فيدبون بها إلى الأسوار ليثقبوها وهى شبه برج متحرك له أحياناً أربعة أدوار: أولها من الخشب، وثانيها من الرصاص، وثالثها من الحديد، ورابعها من النحاس الأصفر. وتصعد إلى طبقات الدبابة الجنود لنقب الحصون وتسلق الأسوار. وكانت الدبابات تسبق المشاه حتى تقترب إلى مسافات قصيرة من مواقع العدو أو حصونه، وهناك تعمل عملها فى قذف الحجارة أو كرات الغاز المشتعلة أو النبال، وكان القادة يخصصون عدداً من الجنود للسير خلف الدبابة حتى يسووا طريقها ويزيلوا الموانع التى يصنعها العدو فى طريقها.

والضبر: وجمعه ضبور، مثل رؤس الاسفاط يتقى بها فى الحرب، وهى جلد يغشى خشباً يكمن تحته الرجال عند الهجوم أو الانسحاب.

والعيار: قطعة من جلد أو قماش قوية قابلة العرض مطوية، تمسك من طرفيها ويوضع الحجر أو الحصاة أو قطع الحديد أو الرصاص المصوب نحو الهدف فى وسطها.

المقلاع: مكون من كفة توضع فيها القذيفة مربوطة بثلاثة حبال أو سيور متينة، تمسك من أطرافها، وبعد تدويرها مراراً باليد يفلت طرف واحد من الحبال أو السيور المذكورة، فيقذف ما فى الكفة إلى بعد شاسع بقوة واندفاع.

والكبش: آلة من خشب وحديد، تجر بنوع من الحبال، فتدق الحائط فينهدم.

وأصل الكبش دبابة، ولكن له رأس فى مقدمه مثل رأس الكبش ، يتصل داخل الدبابة بعمود غليظ معلق بحبال تجرى على بكرة معلقة بسقف الدبابة لسهولة جرها . ويتعاون الجنود الذين يتحصنون داخل الكبش مع آخرين استتروا بدروعه ووقفوا خلفه على ضرب السور حتى يخرقوه .

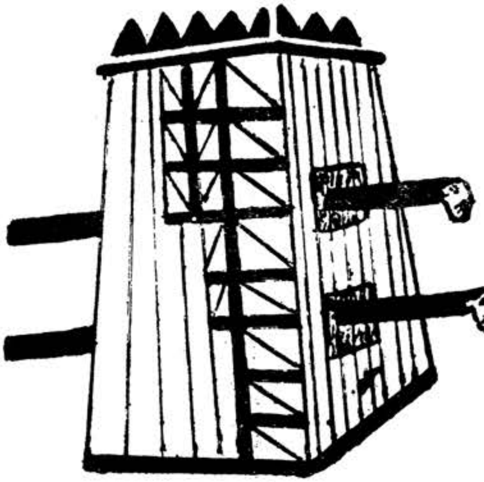

رأس الكبش

ومن المجانيق أنواع لرمى السهام التى توضع فى المنجنيق وترمى عنها بالأقواس إلى مسافات بعيدة وقوة خارقة وأخرى لرمى الحجارة حتى تهدم الحصون ، وثالثة لرمى قدور النفط أو الكرات المشتعلة من النيران الإغريقية .

والنفاطة آلة لقذف النفط .

٣ — الأسلحة :

المشاه : وهم الذين يسيرون على أقدامهم ، ويكون أكثر الجيش البرى من سلاح المشاة وقديماً قالوا : (المشاة سيد الأسلحة) .

والفرسان أو الخيالة ، وهم الذين يمتطون الخيول ، ويكون واجبهم حماية القوة والاستطلاع والمطاردة ، ويعتمد

هذا السلاح على سرعة الحركة وعلى تأثيره المعنوى فى العدو .

والمهندسون ، وهم الفنيون الذين يشرفون على آلات الحصار ويرافقون الجيش لتمهيد الطرق واستطلاع المعابر وإقامة الجسور وإنشاء الحصون والاستحكامات وهدم حصون واستحكامات الأعداء .

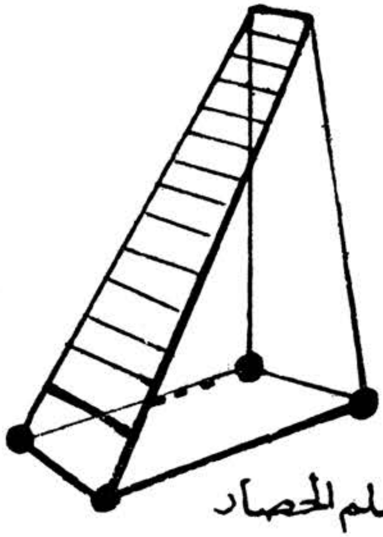

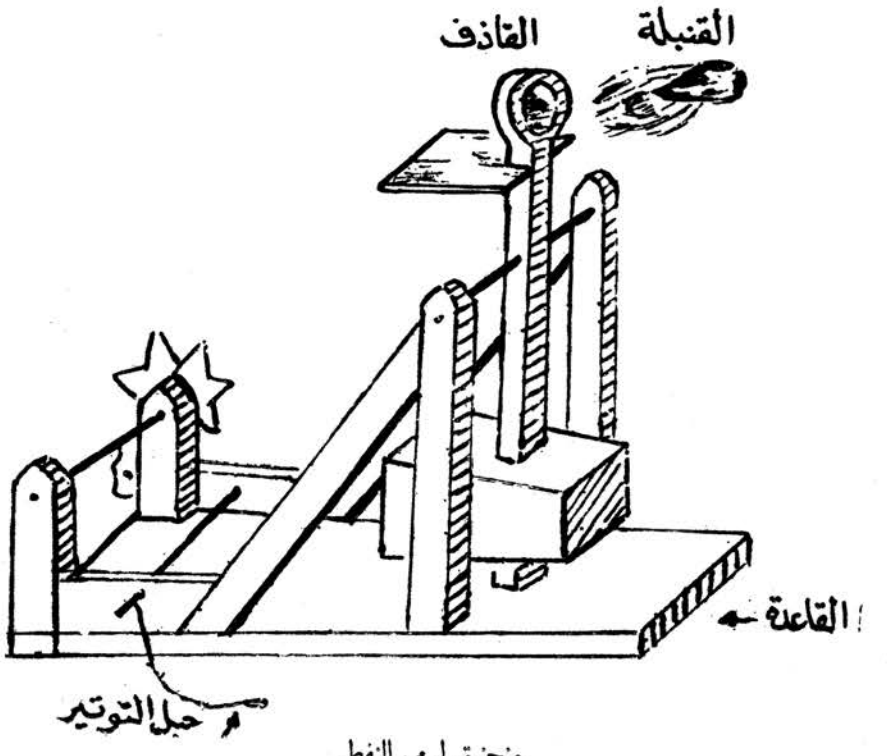

منجنيق لرمى النفط

والنفاطة : وهم الذين يقذفون النفط ويعدونه للقذف ، وللنفاط ثوب خاص يرتديه كى لا يصاب بأذى من النفط .

والسيافة : وهم المدربون على استعمال السيوف راكباً وراجلا ، والماهرون منهم فى استعمال السيف هم الذين يخرجون للمبارزة .

والرماحة : وهم الذين يتقنون استعمال الرماح فى القتال .

والنشابة : وهم المدربون على رمى السهام .

والمنجنيقيون : وهم الذين يستعملون المنجنيق وأشباهه فى القتال .

وسلاح الإشارة : وهم الذين يؤمنون الاتصال بين القوات داخلياً وبينها وبين مقراتها العاليا خارجياً .

وسلاح النقل : وهم الذين ينقلون الأسلحة والذخيرة والميرة والتموين ومواد العينة والقضايا الإدارية الأخرى من قواعد الجيش إلى ساحات القتال .

والأطباء : وهم المسئولون عن علاج الجرحى والمرضى من أفراد الجيش .

والممرضون : وهم الذين يعاونون الأطباء فى حمل رسالتهم الطبية .

والبياطرة : وهم المسئولون عن علاج الخيل والبغال وحيوانات النقل كافة .

ورجال الدين : وهم المسئولون عن غرس العقيدة والتحريض على القتال ورفع المعنويات بين المحاربين .

وسلاح الميرة : وهم المسئولون عن التموين ، وسلاح العينة ، وهم المسئولون عن السلاح والذخيرة والمواد الأخرى .

٤ — فنون التعبئة :

كان الروم يعتمدون الحذر والحيطة فى قتالهم ، وقلما يبادرون إلى اتخاذ الأساليب الخطرة فى الحرب .

وكان شعارهم : أقصى كسب بأقل الخسائر .

وكان على القائد أن يستوثق من الظروف الملائمة للعمليات العسكرية قبل الاشتراك فى أى اشتباك حربى ، فالهرب المصطنع ، والمباغتة ، والهجوم الليلى ، والكمين ، والمفاوضة لكسب الوقت — كل هذه وغيرها وسائل مقبولة وكان الجندى الذى يعتمد على القوة حيث يغنى الدهاء فى كسب النصر ، يعتبر

أبله، ولا بأس بإرسال خطابات مريبة لقادة العدو لبذر الشقاق بينهم وبين قادتهم، كما أنه لا بأس بإخبار الجند بانتصارات وهمية لرفع معنوياتهم.

وكانت قوة الروم فى مخابراتهم، فقد جعلوا شغلهم الشاغل دراسة سبل عدوهم فى الحرب، ومواجهتها بأفضل الطرق واستحصال أدق تفاصيل المعلومات على أعدائهم.

وكان للروم مقدرة فى الحصار، ولديهم قواعد خاصة تختلف تبعا لنوع البرج المحاصر والبيئة المحيطة به، وكانت هذه القواعد تطبق ولكنها لم تكن جامدة بل تتسم بالمرونة.

وكانت قوة جيش الروم فى خيالته الثقيلة، وكان نظامه محكما وخدماته الإدارية جيدة.

وكانت له فرق طبية خاصة، وكان الفرسان التابعون للخدمات الطبية يحملون الجرحى من ميدان المعركة إلى أطباء الجيش فى المؤخرة.

كما أن سلاح هندسة الروم متمرس على إزالة العقبات الطبيعية، له خبرة جيدة بإزالتها قادر على إقامة المعابر والجسور

وكانت لديه أساليب معلومة فى اختيار المعسكرات وحمايتها، وتعاليم خاصة فى مسير الاقتراب وفى الدفاع والهجوم والانسحاب والمطاردة وفى إقامة الكمائن وفى زرع الربايا فى الحروب الجبلية.

وكان يهتم كثيرا بتطبيق مبدأ (الأمن) لقواته كما يهتم بمبدأ (حشد القوى) و(رفع المعنويات) و(تأمين القضايا الإدارية).

وكانت للروم مؤلفات فنية عسكرية يطبقون ما جاء فيها، ويتدربون تدريبا عسكريا على العمل بموجب مبادئها.

لقد كان للروم فنون تعبوية معروفة من الناحيتين النظرية والعملية.

الملحق (ا) تنظيم القوات البرية للروم

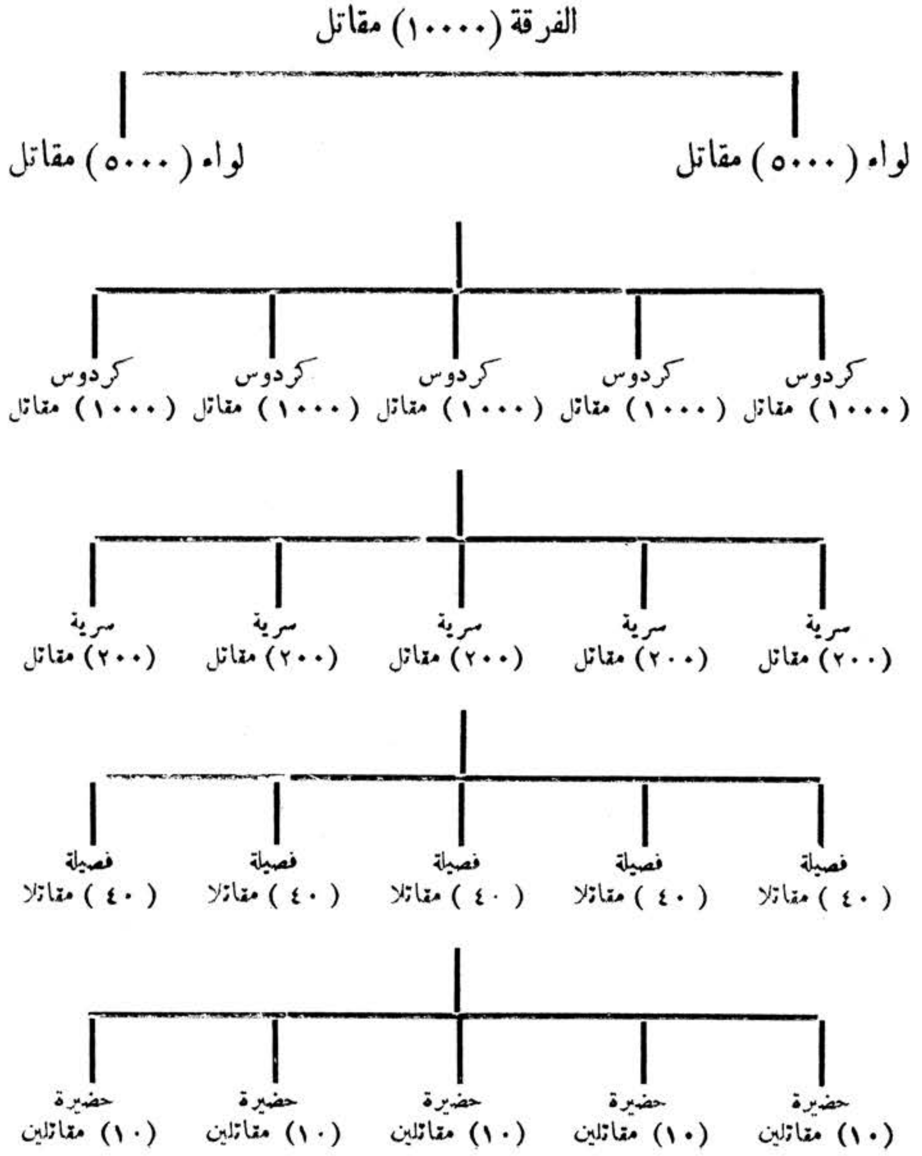

الملحق (ب)

تنظيم القوات البرية لجيش المسلمين

الجيـــش

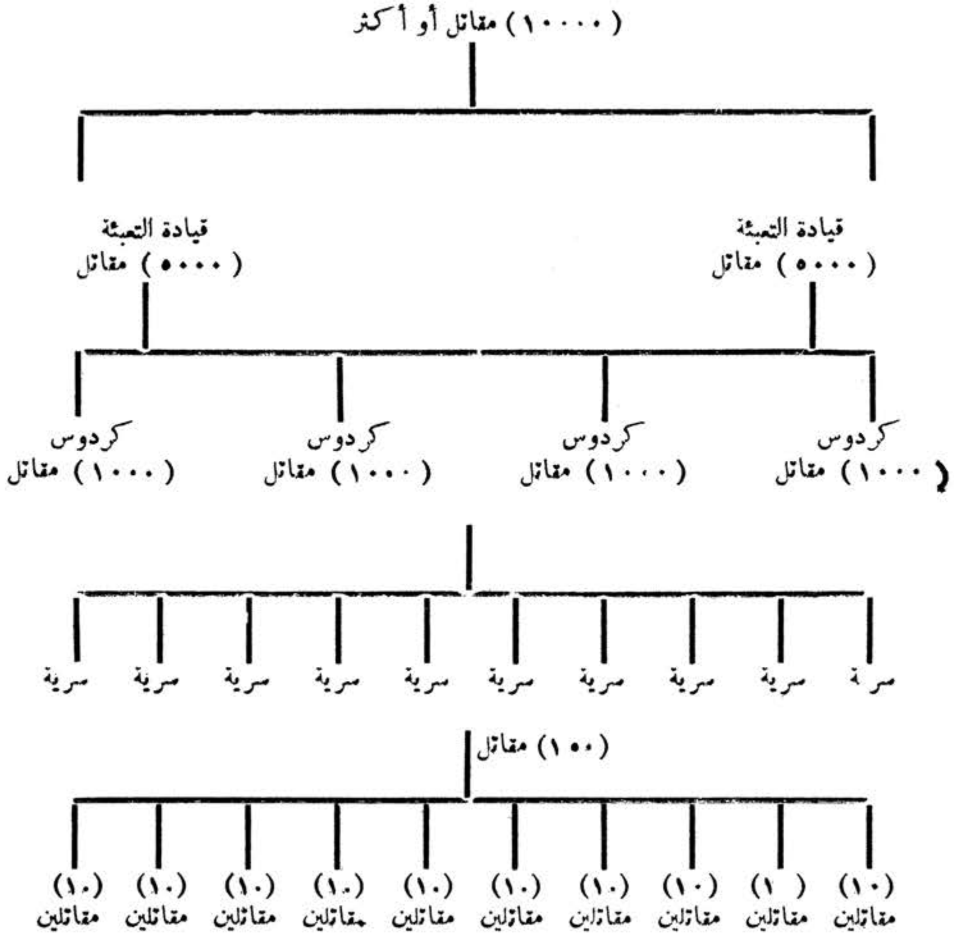

الملحق (ج) قيادات القوات البرية للروم ومقارنتها بقيادات
جيش المسلمين فى عهد الخلفاء الراشدين وبنى أمية
وقيادات الجيوش العربية الحديثة

مسلسل	عدد المقاتلين	قيادة الروم	قيادة جيش المسلمين	الرتب العربية حالياً
١	١٠٠٠٠	بطريق	أمير الجيش	لــــواء
٢	٥٠٠٠	طومرخان	أمير التعبئة	عميـد
٣	١٠٠٠	طرنجارية Drungairs/	أمير الكردوس	مقـدم
٤	٢٠٠	القومس	قائد السرية	نقيب
٥	١٠٠	—	النقيب	—
٦	٤٠	القمرطخ	—	ملازم
٧	١٠	الدمرداخ	عريف	رقيب

بحرية الروم

١ – أعتبر الروم القوة البحرية أقل أهمية من الجيوش البرية ، وقد اتجهت روما الجمهورية إلى البحر مكرهة ، ويصدق الحكم نفسه على الإمبراطورية البيزنطية ، فقد بنى الأسطول الرومانى تحت ضغط الحروب البونية وأبقى عليه ليقوم بمراقبة البحار ولقهر القراصنة وحماية واردات الحبوب المنقولة لروما والقسطنطينية .

وقد اعتمد حكام القسطنطينية خلال القرنين السادس والسابع الميلاديين فى الدفاع البرى عن ممتلكاتهم على التحصينات الضخمة والمراكز القوية التى أقاموها على حدودهم وفى داخل أراضيهم جرياً على سياسة الرومان التقليدية ، ولكن البيزنطيين وسعوا مجـــال التحصينات وزودوها بحاميات نظامية على الاستعانة بقوات من الجنود المحليين أو المعاهدين من مستوطنى الريف المجاور .

وهكذا كانت المنظومة الدفاعية فى مناطق البحر الأبيض المتـوسط حتى فتوح المسلمين الاكتفاء بقوات صغيرة من الجنود المحترفين ، تشد أزر قوات الدفاع المحلية فى مناطق الخطر .

ولكنه كان للروم فى القرن السابع الميلادى قواعد بحرية ودور للصناعة فى قرطاجنة وعكا والإسكندرية والقسطنطينية ، حيث تم بناء كثير من السفن الحربية الخفيفة السريعة بجانب قواعد أخرى فى سرقوسة بصقلية وفى سبتة وجزر الباليار .

والراجح أنه كان للدولة فى القرن السادس الميلادى أساطيل إقليمية تشبه أساطيل الأمبراطورية .

وفى الحرب كانت الدولة تعـــزز أسطولها بعدد من السفن التجارية لنقل الجنود والإمدادات والأسلحة والذخيرة والمواد ، ولم تواجه البحرية البيزنطية عدواً خطراً حتى ظهر الأسطول الإسلامى.

وقد تغيرت التنظيمات البحرية البيزنطية على إثر ضغط هجمات العرب فى القرنين السابع والثامن ، فوضع على رأس كل إقليم قائد حربى له السلطة الحربية والمدنية معاً ، فأتاح ذلك وسائل فعالة للدفاع ، وقد طبق هذا النظام فى البحرية والجيش البرى معاً ، فقد تطلبت القوة البحرية النامية للعرب جهوداً بيزنطية مضادة ،

إذا أصبح النقل البرى صعباً لمواجهة الخطر ، فكان لا بد من الالتفات إلى المواصلات البحرية .

كان نظام القوة البحرية البيزنطية فى صورته الأخيرة أواخر القرن السابع وأوائل القرن الثامن عبارة عن أسطول حربى قوامه أسطول مركزى امبراطورى فى القسطنطينية بقيادة القائد الأعلى للبحرية مباشرة ، أو عن طريق نائب للقائد الأعلى، وهناك أسطولان إقليميان فى الشرق، هما أسطول بحر إيجة وأسطول جنوب آسيا الصغرى ، ويخضع كل منهما لقيادة نائب أمير البحر (عميد بحرى) ، وإلى جانبهما قطع بحرية صغيرة فى بلاد الشرق ، وفى رامتا ، ويحتمل وجود أسطول إقليمى ثالث فى إفريقية حتى الفتح الإسلامى لهـا ، وقد احتفظ الأسطول البحرى الامبراطورى وكل أسطول إقليمى بمستلزماته الخاصة من سفن الحرب والبحارة ودور الصناعة وأحواض البناء والمعدات البحرية الأخرى على نفقة الأقاليم التى تقيم فيها الأساطيل(١) .

مما تقدم يظهر أن بحرية الروم كانت تتألف من بحرية تابعة للإمبراطورية ، وهى حاضرة لدعم البحرية الإقليمية ، تتحرك لنجدتها عند الحاجة ، وهى بسيطرة مركزية بقيادة قائد أعلى بحرى، يستلم أوامره من الإمبراطور مباشرة ؛ لذلك فإن هذه البحرية تكون بحرية سوقية (استراتيجية) ،وتكون احتياطا عاماً للبحرية الإقليمية ، تتدخل فى الحروب التى لا تستطيع البحرية الإقليمية معالجتها كما ينبغى .

أما الخط الأول من البحرية البيزنطية، فهى البحرية الإقليمية التى تكون مسئولة عن المناطق النائية عن العاصمة القسطنطينية وهذه البحرية مسئولة عن إحباط الاعتداءات الخارجية باتخاذ الإجراءات الفورية ، فإذا استطاعت التغلب عليها فإنها لا تطلب سند البحرية الإمبراطورية وإلا فإنها تستمد عونها وتطالب بسندها.

وهذه البحرية الإقليمية أو المحلية ، تتبع الحكام المحليين من الناحية العلمية ولكنها مسئولة أمام مرجعها الأعلى فى القيادة العليا للبحرية من الناحية الفنية . لذلك كانت هذه البحرية ـ بسيطرة غير

(١) الحدود الإسلامية البيزنطية — فتحى عثمان (١/٣٢٧-٣٣٠) .

مركزية - تتلقى أوامرها من الحكام المحليين ، لمعالجة الحروب المحلية ، وقد تتجه من منطقتها لنجدة المناطق المهددة الأخرى بأوامر من القيادة العليا للبحرية.

لذلك كانت البحرية الإقليمية بحرية تعبوية (تكتيكية) ، أو هى الخط الأمامى للبحرية البيزنطية الإمبراطورية .

وحين كانت البحرية البيزنطية أقوى من بحرية الأمم الأخرى فى حوض البحر الأبيض المتوسط ، جعلت من هذا البحر بحيرة بيزنطية وسيطرت على الشرق الأوسط .

وحين أصبحت بحرية المسلمين أقوى من بحرية البيزنطيين فى البحر الأبيض المتوسط ، خسر الروم أرض الشام ومصر وشمال إفريقية .

إن السيطرة بالبحرية على البحر الأبيض المتوسط ، تؤدى إلى النصر كما حدث للفنيقيين واليونان والرومان والروم والعرب فى الأزمنة الغابرة ، وكما حدث فى العصور المتأخرة بالنسبة للبرتغال والأسبان وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية .

لا عجب إذا من تنافس الدول الكبرى فى العصور المتعاقبة القديمة والوسطى والحديثة على السيطرة بالبحرية على حوض البحر الأبيض المتوسط ، لأن ذلك يؤدى إلى السيطرة العالمية .

٢ — وكانت وحدة الأسطول البيزنطى هى (الدروموند Dromond) من الكلمة اليونانية (Dromos) أو الجارية ، وتحمل فوق المائة رجل فى الغالب بصفين من المجاديف وفيها سبعون من جنود البحر والباقون من المجدفين والملاحين .

وبجانب ذلك ، كانت هناك سفن ذات طراز مختلف ، منها ما هو أكثر سرعة يسمى (Pamphylus, Pamphylis) ، وهى ذات صفين من المجاديف ، ومن هذا النوع كانت سفينة القيادة التى تحمل العلم ، وهذا النوع من السفن يستخدم فى المطاردة والقتال .

وكانت هناك سفن بصف واحد من المجاديف (Galleys) تستخدم للاستطلاع ونقل الرسائل . كما كان الأسطول يستعين بالسفن التجارية عند الحاجة .

٣ — وكانت السفن تتسلح بمنجنيقات ضاربة ، غير أن أهم أسلحتها كانت النار الإغريقية ويبدو أن هذه المادة الكيماوية كانت من أنواع مختلفة ، وتستعمل بطرق شتى . وصورتها الأساسية أن تكون قذائف يدوية تنفجر عند اصطدامها بسفن العدو ، أو تكون أوعية ترسل خلال الهواء بوساطة المنجنيقات ، وربما استخدمت قذائف فى دفع مواد سريعة الالتهاب خلال أنابيب باتجاه أهداف بعيدة وقد حفظ تركيب النار الإغريقية سراً مصوناً ، وكانت لها مخازن فى المدن البحرية الكبرى .

٤ — وكان رجال السفن يتكونون من رعايا الامبراطورية ، ومن الفرنج والروم والافريقيين ومن المرتزقة الأجانب مثل الروس [١] .

وكان هؤلاء الرجال يتكونون من جنود البحر : رماة ، ومنجنيقيون ، وأرباب الحرف ، وإداريون لتصليح السفن وإدامتها . ومن المجدفين المدربين على الجدف ، الذين يمارسوا واجباتهم ولهم قابلية على الاستمرار فى عملهم مدة طويلة دون كلل أو ملل ؟

محمود شيت خطاب

(١) انظر التفاصيل فى : الحدود الإسلامية البيزنطية (٣٦١ - ٣٦٣) .

قال الله تعالى :

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء فى سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون » . (صدق الله العظيم)

البيعة

للدكتور مصطفى كمال وصفى

– ٣ –

على أساس ما سبق يتبين أن البيعة ليست حقا عاما على وجه التساوى لجميع الناس بل تختلف قيمتها من مبايع لآخر حسب صفته فى أمة المسلمين .

فهى ليست صوتا انتخابيا ولا تحتسب على وجه المساواة المطلقة كما هو الحال فى القانون الحديث ، بل لكل عقد قيمته وأثره على الوجه الذى بيناه .

ومما يوضح ذلك : أن الجماعة فى الإسلام تنصرف إلى جماعة العلماء ، فاتباع الجماعة يعنى اتباع العلماء وليس اتباع الأغلبية العددية ، ولزوم الجماعة يعنى لزوم أهل العلم ، وبيعة الجماعة فى البيعة يعنى بيعة أهل العلم للإمام الحق .

فقد قال الإمام أبو عبدالله البخارى فى ترجمة باب قول النبى صلى الله عليه وسلم : لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق يقاتلون « وهم أهل العلم » .

وقال أيضا رضى الله عنه فى ترجمة أخرى : (باب قوله تعالى « وكذلك جعلناكم أمة وسطا » وما أمر النبى صلى الله عليه وسلم بلزوم الجماعة وهم أهل العلم) (كتاب الاعتصام نسخة الشعب جزء ٩ صفحة ١٢٤ و ١٣٢) وقال الإمام ابن حجر فى الترجمة الأولى إن قوله وهم أهل العلم هى من كلام المصنف ، أى الإمام البخارى فليست هى أثر ولا تعليق . وقال فى الثانية إن « الوسط هو العدل » لأن أهل الجهل ليسوا عدولا وكذلك أهل البدع . فعرف أن المراد بالوصف المذكور أهل السنة والجماعة وهم أهل العلم الشرعى . أما من سواهم ، فلو نسب إلى العلم فهى نسبة صورية لا حقيقية وورد الأمر بلزوم الجماعة فى عدة أحاديث ، منها ما أخرجه الترمذى مصححا من حديث الحارث بن الحارث الأشعرى ، فذكر

حديثا طويلا وفيه : وأنا آمركم بخمس أمرني الله بهن - السمع والطاعة والجهاد والهجرة والجماعة . فإن من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه . وفي خطبة عمر الشهيرة التي خطبها بالجابية : «عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد » قال ابن حجر « والمراد بالجماعة أهل الحل والعقد من كل عصر . وقال الكرماني : مقتضى الأمر بلزوم الجماعة أنه يلزم المكلف متابعة ما أجمع عليه المجتهدون وهم المراد بقوله «وهم أهل العلم»

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لابن عمر « يا عبد الله بن عمر كيف بك إذا بقيت في حثالة من الناس » (كتاب الصلاة - القبلة والمساجد . نسخة الشعب الجزء الأول صفحة ١٢٩) .

فإن لم تكن جماعة فقد سأل حذيفة ابن اليمان النبي صلى الله عليه وسلم هل بعد هذا الخير والإسلام من شيء « فقال نعم .. قوم يهدون بغير هدى .. قال : فما تأمرني إن أدركني ذلك ؟ قال : تلزم جماعة المسلمين وإمامهم : قلت : فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال : فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تقصد بأصل شجرة وأنت على ذلك » (كتاب الفتن - صحيح البخاري نسخة الشعب جزء ٩ صفحة ٩٥) .

بيان من يبايع لهم :

أما من يبايع لهم فهم المستجمعون لشروط الإمامة .

وفي ذلك تفصيل نحيل عليه ولا نخوض فيه

وفي الكلام صحة إمام المفضول مع وجود الأفضل تفصيل أيضا وخلاف في المذاهب وخاصة عند الشيعة والخوارج ونحن نعتمد من مذاهبهم : الزيدية ، والإمامية الجعفرية والأباضية ، فهذه مذاهب تأخذ منها موسوعة الفقه الإسلامي التي يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ونحن نعني هذا بالذات فيما نعرض السنة الصحيحة - وعند البخاري بالذات - وليس أقوال المذاهب .

فإن كان إمامان ، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم - (سيكون خلفاء فيكثرون قالوا : فما تأمرنا ؟ قال: فوا ببيعة الأول والأول وأعطوهم حقهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم) . (بخاري الشعب كتاب الأنبياء الجزء الرابع صفحة ٢٠٦) .

المبايعة شروطها وكيفيتها وما تكون عليه:

ومما تقدم فإنه من بايع رجلا من غير مشورة المسلمين فلا يبايع ـ الحديث .

ولا تصح المبايعـة على دنيا ، لقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فمن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فله ما هاجر إليه ، كما روى البخارى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ : (ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عـذاب أليم : رجل كان له فضل ماء بالطريق فمنعه من ابن السبيل ، ورجل بايع إماما لا يبايعه إلا لدنيا ، ورجل أقام سلعته بعد العصر) .

(صحيح البخارى ـ كتاب المساقاة ـ نسخة الشعب جزء ٣ صفحة ١٤٥ وكتاب الأحكام ـ نسخة الشعب جزء ٩ ص ٩٩) .

وتجوز المبايعة على شروط ، وقد علمنا أن ثقيفا بايعت ودخلت الإسـلام على شروط ، أورده أبو عبيدة بن سـلام فى كتاب الأموال .

وأورد البخارى فى باب « ما يجوز من الشروط فى الإسـلام والأحـكام والمبايعة » . حديث الحديبية وفيه خبر رد أبى جندل بن سهيل بن عمرو لمـا رده النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم الحديبية وخبر بيعـة أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط لما خرجت للبيعة فجاء أهلها يسألون النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يرجعها إليهم . (كتاب الشروط بخارى الشعب جزء ٣ صفحة ٢٤٦ و ٢٤٧) .

وتجوز بيعة النساء ، ولا تجوز بيعـة الصبى (بخارى الشعب الجزء الثالث صفحة ١٨٤ والجزء السابع صفحـة ٦٣ والجزء التاسع صفحة ٩٨ و ٩٩) .

ويبايع الإمام الناس بالتعاقد والمصالحة ولا تمس يده يد امرأة إن بايعها كما روى عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم . ويبايع وفودهم كما بايع رسـول الله ـ صلى الله عليـه وسلم ـ وفود العرب من اليمن وعبد القيس وغيرهما ، ويبايع عرفاءهم ويستشيرهم كما استشار عرفاء المسلمين فى غنائم هوازن .

وإذا بايع الإمام الناس جاز أن تختلف أمور البيعة من قوم لغيرهم حسبما يجد من مهمهم وحالهم ، فقد رأى فى ناس أن يأخذ

عليهم عهدا فى أمر له أهمية خاصة فيهم ومن ذلك ماروى أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما عاهد وفد عبد قيس عاهدهم على الإسلام وأداء الخمس (خمس الغنيمة) وذلك لأنهم أهل ثغور ورباط وهم مجاورون فى ذلك الوقت لمضر ، وكانوا حربا على المسلمين .

ومن شأن ذلك أن يدخلوا الحروب وتقع لهم الغنائم ولذلك ذكرها النبى صلى الله عليه وسلم خاصة فى بيعتهم ، وليس معناه أن غيرهم لا يفعل ذلك فهو حكم عام من القرآن ، ولا أن ذلك يلزمهم أكثر من سائر المسلمين ولكنه اختصاص وتنبيه .

وكذلك فقد روى عبادة : بايعنا النبى صلى الله عليه وسلم أن لا ننتهب (صحيح البخارى ـ كتاب المظالم ـ نسخة الشعب الجزء الثالث صفحة ١٧٧) . فهذا أمر خاص بناس على طريق التجارة وفى وسط دار الإسلام فنحن فيه على أمر يختلف عما عليه أهل الثغور ، وكذلك روى أنه بايع على السمع والطاعة فيما استطاع ، أو السمع والطاعة فى المنشط والمكره ، وأن يقوموا بالحق لا يخافون لومة لائم (بخارى الشعب كتاب الأحكام جزء ٩ صفحة ٩٦) .

وبايع جرير بن عبد الله على النصح لأئمة المسلمين وعامتهم ، ربما لما لمس فيه من سداد الرأى والصدق .

وهكذا فنرى أن البيعة قد تتخصص ولكنها لا تنسخ حكما ولا تغير شرعا ؛ لأن الشرع عام للمسلمين ولا يغير منه ما ينبه له آحادهم .

وكذا ، فإن البيعة قد لا تكون على الإمامة والخلافة ، بل قد تكون لمهام الأمور وعند الإقدام على الخطر والأمر الجامع ذى البال ، فقد بايع النبى صلى الله عليه وسلم المؤمنين تحت الشجرة يوم الحديبية ، وسئل سلمة بن الأكوع على ما كنتم تبايعون النبى صلى الله عليه وسلم قال : كنا نبايعه على الموت ، قال عبد الله ابن زيد رضى الله عنه ، فلما كان زمن الحرة أتاه آت فقال له : أن ابن حنظلة يبايع الناس على الموت ، فقال : لا أبايع على هذا أحدا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم . (البخارى ـ كتاب الجهاد الجزء الرابع صفحة ٦١) .

المبايعة ـ الإقالة منها ونقضها :

والبيعة عقد مازم للطرفين فلا يستطيع الإمام أن يستقيل منها ، ولا المبايع أن يستقيل .

فالإمام ما دام مستجمعا لشروط الإمامة لم يطرأ عليه سبب للعزل ليس له أن يستقيل إلا أن يقبل الناس ذلك.

وكذلك فليس للفرد أن يستقيل إلا أن يقيله الإمام لما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أن أعرابيا قدم على المدينة فبايعه . ثم أراده على أن يقيله من بيعته فلم يقله النبى صلى الله عليه وسلم (البخارى كتاب فضائل المدينة الجزء الثالث صفحة ٢٩) .

وأما الغدر فيها فقد توعد عليه النبى صلى الله عليه وسلم بوعيد الغادر .

وماورد فيه من أحاديث الترهيب. وقد ورد عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال إن النبى صلى الله عليه وسلم قنت شهرا بعد الركوع يدعو على أحياء من بنى سليم ، قال : بعث أربعين أو سبعين من القراء إلى أناس مشركين فعرض لهم هؤلاء فقتلوهم وكان بينهم وبين النبى صلى الله عليه وسلم عهد ، فما رأيته وجد على أحد ما وجد عليهم . (البخارى ـ كتاب الجزية ـ الجزء الثالث صفحة ١٢٢) .

مقارنة بين نظام البيعة ونظام التصويت الحديث :

ومن ذلك يتبين أن نظام البيعة يختلف عن نظام التصويت فى الانتخابات اختلافا عظيما . فالأول قد يتعدى أثره إلى الغير ، والثانى ذاتى بحث ، والأول علنى ويقوم على الاعتبار الشخصى للمبايع والثانى سرى وليس للاعتبار الذاتى فيه ـ غالبا ـ أى محل ، فلا يقوم على أساس من المساواة العادية المطلقة . وإن كان أحيانا يعتبر فى الناخب صفات خاصة ككونه حائزا لمؤهل عال أو دافعا لقدر من الضرائب أو نحو ذلك ، وعند هذه الدرجة يتساوى مع أمثاله مساواة تامة .

ونظام البيعة لا يمكن تنفيذه إلا فى بيئة إسلامية حقيقية. حتى تتمكن البيئة من إخراج ذوى الحل والعقد وأهل الاختيار على حقيقتهم . فإن لم تكن البيئة إسلامية خرج الناس على شاكلة بيئتهم، ولا يصلح أن يعينوا بقرار من

الإمام (مرسوم أونحوه) . لأنهم يجب أن ينبعوا من صميم الشعب ، ولا يسبغ الإمام هذه الصفة على ناس لم يرشحهم أهل الإسلام . ولا تتقبل من قيود التنظيم إلا تسجيل من ارتضاهم أهل المسجد كل فترة معينة ، وقوام هذا النظام بالذات هو احترام الرأى والعلماء . فإذا صلح ذلك كله - وهو ليس من السهل توفيره - أخرجت الجماعة الإمام الصالح والشورى الصالحة ، وإن فسد فإن أول جزاء يوقعه الله على الناس أن تفسد أحوالهم ، فهذا النظام لا يعمل إلا فى أصفى الأجواء لأصفى النفوس .

وكذلك نظام الانتخاب فهو يتطلب صفاء المجتمع ورقيه الشديد حتى ينتج المقصود منه ، وإلا فهو عرضة فى الغالب للدعايات غير المشروعة وإنجاح أهل الفساد والتزوير والتزييف مما عرفناه جيداً فى كثير من الظروف .

وهو على أية حال لا يصلح للنظام الإسلامى لأن النظام الإسلامى يقوم على العقيدة والعقيدة تتطلب التمييز ، أما عمومية الانتخابات فلا تصلح حتما لهذا النظام وإنما يصلح للنظم التى تقوم على الأغلبية العددية ، كالنظام الرأسمالى الذى يتخذ من المساواة شعارا كاذبا بتجنيد جموع الشعب للتصويت لأصحاب النفوذ والمال ، أو النظام الشيوعى الذى ينادى بسيادة البروليتاريا .

ومهما كان النظام فإن التوازن الدستورى يعتمد فى الحقيقة على حصانة النفوس ومتانة الأخلاق ، فإن كانت الأخلاق ساقطة فإن الحصانات لا تعدو أن تصير أجهزة للتحكم وتجميع مراكز القوى ، وكذلك فى الإسلام فإنه لا يطبق إلا فى بيئة إسلامية مؤمنة ، وإن أول جزاء يلقاه المسلمون إذا فسدت أحوالهم أن يحرموا الحاكم الصالح - إلا أن يأتيهم صدفة - فلا يستطيعون أن يرشحوه وينصبوه عليهم ، وهذا جزاء من جنس العمل ؛ فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . ولنا إن شاء الله - إذا أذن وعرضنا للتوازن الدستورى - فسحة فى الكلام على ذلك ؟

د : مصطفى كمال وصفى

الإسلام والمسلمون في أوربا

للأستاذ محمد علوى عبد الهادى

١ – دعاة الإسلام فى أوروبا :

يتركز المفهوم العام للبلاد الإسلامية فى الأقطار الآسيوية والإفريقية التى تسود فيها غالبية من السكان المسلمين وقلما يتذكر الناس أن فى كثير من بلاد أوروبا والأمريكتين جاليات إسلامية قوية تهفو آمالها وأشواقها إلى إخوانهم فى الدين فى الأقطار الإسلامية الكبيرة بل إن كثيراً من الناس من خاصة المتعلمين لا يعلمون أن فى كثير من بلاد أوروبا مناطق يتركز فيها المسلمون ويكونون جاليات تختلف قوة وضعفاً حسب أقدار تاريخها .

ذلك أن مقررات التاريخ التى تدرس فى مدارسنا ومدارس معظم البلاد العربية تغفل إغفالا معيباً ماكان من أمر بلاد الإسلام بعد العصر العباسى الثانى، ولذلك فإن خريجى مدارس التعليم العام لا يعلمون ما كان من أمر دول شرق ووسط آسيا الإسلامية ولا عن تاريخ الأتراك من تتار ومغول وعثمانيين وصراعهم مع الدول الأوروبية شيئاً وهم يجهلون كل الجهل دولة الإسلام فى صقلية.

ولعل أحداث التاريخ القريب فى بلاد العرب قد ألقت فى نفوس العرب شيئاً من الكراهية لسلطنة آل عثمان التى كان ظهورها وامتلاكها لزمام سلطان المسلمين فى حوض البحر المتوسط نذيراً بضعف هيبة المسلمين وسوء حالهم كما أن الجزء الضئيل من تاريخ المغول والأتراك الذى يدرس بالمدارس العربية لا تصور إلا وحشية المغول والتتار .

ولكن القراءة الواعية لنشاط هذه الدول تجعل مشاعر السخط المعتادة تختفى ليحل محلها شعور بفضل هذه الدول فى نشر الإسلام فى ربوع كثيرة وقفت فتوح دولة الإسلام الأولى عندها .

٢ – كيف دخل الإسلام أوروبا ؟

على مدى أربعة قرون من الزمان من فتح القسطنطينية فى منتصف القرن الخامس عشر الميلادى حتى منتصف القرن التاسع عشر دامت الحروب

والغزوات بين آل عثمان وممالك أوروبا الشرقية والروسية، وفتح الأتراك بلاد اليونان والبلقان وبعض الولايات السوفيتية بين بحر البلطيق والبحر الأسود.

وقف المد الإسلامى على يد العرب عند حدود دولة تركيا الحالية شمالا وعند حدود بلاد السند شرقاً.

ولكن ظهور الدول التركية الغزنوية والسلجوقية أعطى دفعة للمد الإسلامى فدخل فى حوزة الدول الغزنوية كثير من بلاد الهند وأفغانستان وأجزاء من تركستان الشرقية والصين، وامتدت دولة السلاجقة إلى آسيا الصغرى وبلاد البلغار الشرقية وجورجيا والقوقاز حتى أصبح البحر الأسود وبحر آزوف بحيرة إسلامية.

ثم جاء (جنكيزخان) وأولاده وأحفاده من بعده فانتشروا غرباً، ولا تذكر كتب التاريخ إلا الدمار الذى أوقعوه فى البلاد التى فتحوها.

ولكن الحق والإنصاف يقضى بأن نذكر أنهم بعد أن خربوا بغداد وقضوا على دولة الخلافة العباسية المتداعية اعتنقوا الإسلام واعتنق من بعدهم أتباعهم هذا الدين الحنيف ثم اتجهوا نحو الغرب الشمالى فغزوا معظم بلاد الاتحاد السوفيتى وجمهوريات بحر البلطيق.

وقد زار (ابن بطوطة) هذه البلاد فى النصف الأول من القرن الثامن الهجرى ووصف أحوال المسلمين بها.

ثم جاء العثمانيون وعلى مدى ٤ قرون من الزمان بعد فتح القسطنطينية فى منتصف القرن الخامس عشر الميلادى حتى منتصف القرن التاسع عشر دامت الحروب والغزوات بين آل عثمان وممالك أوروبا وروسيا ودخل تحت حكمهم بلاد البلقان وأجزاء من النمسا والمجر.

ولكن الدول الأوربية وخاصة الدول الكاثوليكية منها لم تترك الأتراك فى هدوء فدامت الحرب ضد الترك من جانب والنمسا أو الروسيا تارة أو من جانب أحلاف مقدسة بين دول أوربا المختلفة القوية يباركها البابوات، وتبادلت هذه الأطراف النصر، ولم تهدأ ثائرة الدول الأوربية ضد العثمانيين حتى قضت عليها تماما فى الحرب العالمية الأولى.

وبعيداً عن جو الحروب الذى حال دون توطيد أركان حضارة إسلامية قوية بشرق أوربا فإن سياسة الأتراك اتسمت بقدر كبير جدا من الحرية الدينية. فلم يكن للدولة دخل أي دخل فى عقائد

الشعوب التى فتحوها فى الشرق أو الغرب متأسية فى ذلك سياسة المسلمين الأول .

ولو أن دولة صدر الإسلام لم تتدخل رسميا فى نشر الدعوة فإن الشعب نفسه سار على نهج الصحابة والتابعين فى الحماس لنشر الدعوة .

ولكن انهيار الشعوب الإسلامية الذى انتهى بسقوط بغداد فى يد المغول والشام فى يد الصليبيين كان عرضا لضعف مستوى التعليم والتربية وبالتالى لضعف مستوى البشر، ومن ثم ضعف حال الدولة الإسلامية .

ولما ظهر العثمانيون اتجهوا بقوتهم الحربية غربا وحاولوا أن يجددوا من شأن الإسلام ؛ فأنشأ محمد الفاتح هيئة دينية من كبار علماء البلاد الإسلامية التى دانت لسلطانه وجعل من رئيس هذه الهيئة شيخا للإسلام .

وكان المأمول أن تقوم هذه الهيئة بدور الدعـــوة والتوجيه الروحى والتشريعى للمسلمين، ولكن الحالة العامة للفكر الإسلامى فى ذلك العصر لم تستطع مواجهة حاجات الأمم الجديدة ولم تهىء لها برامج للدعوة والتعليم؛ ولذلك بقيت غالبية شعوب هذه الأمم على دياناتها القديمة .

ولكن رغم ذلك فقد استطاع الإسلام ببساطته وإعجازه أن يدخل قلوب الناس فى كثير من البلاد ؛ ليس فقط تلك التى غزاها العثمانيون، ولكن فى كثير من البلاد التى ربطت الحروب بينها وبينهم بسبب.

ويقول مرجع نمساوى[1]: إنه فى منتصف القرن الثانى عشر احتل بعض الجنود المسلمين الذين كانوا يعملون فى خدمة ملوك المجر بعض أراضى النمسا[2] وإن صلوات الجمعة كانت تقام علنا وسرا فى بعض قرى النمسا ، وأن بلاط ملوك المجر كان يضم رجالا ممتازين من المسلمين كمستشارين وقواد ورجال مال ، ويقول هذا المرجع : إن التقاويم الغربية تذكر أسماء أربعة رؤساء لبعثات تبشير إسلامية دخلت النمسا من المجر ، وإن هؤلاء المبشرين كانوا يرتدون قفاطين وأغطية للرأس من شعر الجمل ، وكانوا يعيشون معيشة بسيطة ويرفضون أطعمة أهل

(١) النمسا والإسلام : للدكتور إسماعيل باليش ،وهو نمساوى مسلم ويعمل بمدرسة التجارة العليا بفيينا .

(٢) يلاحظ أن هذا الزمن كان زمن الحروب الصليبية وظهور قوة عماد الدين زنكى وولده نور الدين

العقائد الأخرى ولا يشربون الخمر ، ويحمدون الله كثيراً على كسرة من الخبز الأسود ويدعون للمعطى برفع أيديهم للسماء وكانوا يتكلمون عدة لغات ولهم قدرة غريبة على الجدال السلمى .

وبفضل أمثال هؤلاء دخل الإسلام كثير من القبائل التى تسكن بلاد شرق أوروبا من اليونان جنوبا حتى بلاد بحر البلطيق وبولندا شمالا .

ويذكر المؤرخون الأوربيون أن السلطان سليم الأول أراد أن يرغم اليونانيين على اعتناق الإسلام ولكن شيخ الإسلام « على الجمالى » حال دون ذلك وذكره بما أصدره جده محمد الفاتح من فرمان يعطى حرية التدين إلى اليونانيين ومع الحرية الدينية التى تمتعت بها الشعوب الأوروبية تحت حكم الأتراك يذكر المؤرخون عهود العسف والظلم التى وقعت وكانت تقع على غير الكاثوليك عند ما ينسحب المسلمون من أى من هذه البلاد .

٣ — العوامل المضادة التى حجبت انتشار الإسلام فى أوروبا :

لو أن الفتح العثمانى تم وحال المسلمين ظل كما كان فى صدر الإسلام ، لكان من المؤكد أن نور الإسلام قد ساد ربوع أوروبا كلها .

ولكن القوى التى أثرت فى عقول الناس منذ محمد الفاتح كانت مستقطبة فى قوتين :

(ا) دعوة الإسلام ويحمل لواءها هيئة العلماء التى كونها محمد الفاتح فى الشرق الإسلامى .

(ب) قوة الكنيستين : الكاثوليكية والشرقية التى تولت عبء المحافظة على المسيحية والدعوة لها ليس فى أوربا فقط ولكن فى نفس بلاد السلطنة العثمانية .

فأما عن هيئة العلماء المسلمين ونشاطها فقد كان شأنها شأن باقى مرافق الدولة والشعب، خمول وتواكل وكسل، وعجزت هذه الهيئة عن أن تساير الهيئة الحربية التى كانت لدولة آل عثمان فى أول أيامها ولم تكن هذه الهيئة أكثر من مجموعة من العلماء الجامدين يلوذون ببلاط السلطان دون أن يكون لهم تنظيم إدارى أو علاقة روحية تربطهم بالشعب، وعندما عم الفساد فى بلاد السلاطين أصدروا فتوى بوقف الاجتهاد فى الفقه الإسلامى وبذلك زاد موقف المسلمين جمودا على جمود .

ولو كانت القوة الحربية التى أظهرت آل عثمان ومن قبلهم الأتراك السلاجقة

قد صاحبها دعوة مذهبية كدعوة المعتزلة التى عاصرت الفتوحات العربية فى دولة بنى أمية ودولة العباسيين الأولى ، والتى كان لها تنظيم رائع من الدعاة والمدرسين الذين كان لهم الفضل فى دعوة الناس للإسلام وفتح المدارس وتعليم النشء لو كان قد أتيح للأتراك السلاجقة والعثمانيين مثل هذا التنظيم التثقيفى لكان الفتح العثمانى قد انتهى بإدماج الشعوب التى فتحوها فى نطاق الأمم الإسلامية .

ولكن مع ضعف أجهزة التوجيه والتعليم للمسلمين كان على الجانب الآخر جهاز قوى مدعم بسلطات روحية وإدارية يقف مع سلطة الحكم الزمنى على قدم سواء، إن لم يكن فى ذلك الوقت يتفوق عليها إذ كان على الملوك واجب الولاء لهذا السلطان ونعنى به سلطان الكنيسة التى كان الملوك يستمدون السلطة الزمنية منها .

وفى الوقت الذى كان النشاط العقلى للمسلمين يتجه نحو الخمول والركود كانت الكنيستان : الأرثوذكية والكاثوليكية تجتاحهما نهضة عقلية شاملة، وبعد الفرقة التى دامت قرونا طويلة تحالفت هاتان الكنيستان بل إن الكنيسة البروتستانتية التى نشأت ثائرة على كنيسة روما قد اتحدت معها للوقوف فى وجه الزحف التركى .

وواجهت الكنيسة الغزو العقلى الإسلامى بكل وسائل الدعوة ، من فقه فلسفى وكتابات علمية على شتى المستويات إلى التأثير المركز لفنون الغناء والموسيقى والشعر والقصائد الشعبية والقصص الذى راج وروج معه أفكارا سوداء تناقلها الناس حتى رسبت فى أعماق باطنهم تبث فيهم روح الكراهية ضد الإسلام والتعصب ضده ، وكانت عاملا لا شك فيه لوقف تأثير الإسلام على عقول الناس وبالتالى وقف انتشاره بين الشعوب الأوروبية ، ولكن رغم ذلك فقد دخل الإسلام قلوب عدة ملايين من البشر آمنوا به عن عقيدة وصدق إيمان .

وحتى بعد أن خرجت هذه البلاد من حكم العثمانيين بقى الموحدون على دينهم يعبدون الله الواحد الأحد القهار رغم عسف الحكام الجدد وقسوتهم فى إجبار الناس على اعتناق الكثلكة .

ولقد اغتصبت الروسية عدة مناطق من أوروبا وآسيا بعد ثورتها على الاحتلال المغولى الذى دام بها قرابة ثلاثة قرون

واستولت النمسا على مناطق أخرى واستقلت اليونان تحت حماية القوى الأوروبية الكبرى فى أوائل القرن التاسع عشر واستولت إيطاليا على جنوبها والجزء المحيط بها بما فيها صقلية وسردينيا وأخذت فرنسا كورسيكا واحتلت بريطانيا قبرص ومالطة. وانفردت الكنائس بأمر التعليم والتثقيف والتعبئة الروحية للناس، ولكن رغم كل الصعوبات بقى المسلمون على دينهم حتى اليوم.

حقا لقد تقلص العدد بشكل ملحوظ ولا زال يتناقص بحكم قسوة الظروف وانعدام السبيل نحو تعليم الأجيال الجديدة أمر دينهم.

٤ — الأوضاع الحالية للمسلمين فى أوروبا :

على أنه بالرغم من هذه العوامل فإن تعداد المسلمين التقريبى فى هذه البلاد يقدر كالآتى (١) :

٤٨ مليون مسلم فى جمهوريات الاتحاد السوفيتى الأوروبية والآسيوية.

٣ مليون مسلم فى يوغوسلافيا.

٢ مليون مسلم فى بلاد البلقان (البانيا رومانيا، بلغاريا، المجر واليونان).

٢٠٠ ألف مسلم فى بولندا.

٦٠ ألف مسلم فى فنلندا

كذلك فقد أعقب الحرب العالمية الثانية دخول مهاجرين مسلمين إلى أوربا قدموا من آسيا وأفريقيا لأجل العمل أو التعليم أو اللجوء السياسى كما قدموا من البلاد الأوربية لنفس الأغراض وبذلك وجدت جاليات إسلامية كبيرة فى ألمانيا وسويسرا والنمسا وفرنسا وإيطاليا وأسبانيا وبريطانيا (١) وتختلف حال المسلمين فى كل بلد من هذه البلاد قوة وضعفا وشدة ورخاء، تبعا للظروف السياسية لبلادهم.

وقد اتصلت شخصيا ببعض الجاليات الإسلامية فى أوربا، ولمست أحوالهم ومشاكلهم، وفى المقالات التالية تقرير عنهم ؟

محمد علوى عبد الهادى

(١) هذه الأرقام مأخوذة من بيانات شبه رسمية للمسلمين فى تلك البلاد.

(١) لا يمكن إعطاء أرقام محدودة عن أعداد هؤلاء المهاجرين المسلمين لتغير أعدادهم باستمرار، ولأن مصادر الإحصاء القومية لا تنشر بيانات عنهم ولكن البيانات غير الرسمية تشير إلى تفوق العدد الإجمالى فى هذه البلاد عن مليونين.

يا أذن الشباب اسمعي

للدكتور عز الدين علي السيد

– ٢ –

أعود وقد شاقني أن أحدثك إلى ما وعدتك به ، من ذكر أبيات قلائل للشعراء المحدثين ، يبكي فيها من فارقهم الصبا شبابهم، لتعرف كنزك الثمين الذي ملكك الله مفاتيح أبوابه، ولن أطيل فأنت في نفس العصر تقرأ كما أقرأ هذا الإنتاج العاطفي لأهله .

هل قرأت للبارودي تلك الأبيات ؟

وهيهات ! ما بعد الشبيبة موسم
يطيب.. ولا بعد (الجزيرة) معهد
شباب وإخوان رزئت ودادهم
وكل امرىء في الدهر يشقى ويسعد

أخلق الشيب جدتي وكساني
خلعة منه رثة الجلباب
ولوى شعر حاجبي على عيـ
ـني حتى أظل كالهداب

ذهب الصبا وتولت الأعوام
فعلى الصبا وعلى الزمان سلام
تا الله أنسى ما حييت عهوده
ولكل عهد في الكرام ذمام
إذ نحن في عيش ترف ظلاله
ولنا بمعترك الهوى آثام

إنها قصيدة طويلة يعزي فيها الشاعر نفسه ، بأن الشيب وذهاب الصبا سنة الله في خلقه ، وهو يعارض بها أبا نواس :

لا تحسبن العيش دام لمترف
هيهات ! ليس على الزمان دوام
تأتي الشهور وتنتهي ساعاتها
لمع السراب .. وتنقضي الأعوام
والناس فيما بين ذلك وارد
أو صادر تجري به الأيام

إنه يقف من نفسه في هذه الأبيات الطويلة موقف الواعظ الخطيب والمحتاج إلى طول الموعظة هو المفجوع بطول الكارثة .

إن البارودى دائما يحن إلى الشباب ولا يملك إلا أن يبره بالتحية والدعاء والترحم ، لأنه كان شديد البر به أيام صحبته . .

ألا فرعى الله الصبا ما أبره
وحيا شبابا مر وهو نضير
إذ العيش أفواف ترف ظلاله
علينا وسلسال الوفاء نمير
وإذ نحن فيما بين إخوان لذة
على شيم ما إن بهن نكير

وقد يشتد صوت عاطفته فيصرخ غالبا صوت عقله فيجمع بيت من شعره هذين الصوتين معا :

ردوا على الصبا من عصرى الخالى
وهل يعود سواد اللمة البالى . ؟

ثم تنداح دائرة الذكرى لتتسع للماضى يهيج أشجانه التى لا تبرأ بالسلوى فيهتف :

ماض من العيش ما لاحت مخايله
فى صفحة الفكر إلا هاج بلبالى
سلت قلوب فقرت فى مضاجعها
بعد الحنين .. وقلبى ليس بالسالى

وكيف يسلو من يقارن بين حاليه فيرى البون شاسعا ؟ غير أنه لا يرى جدوى فيعود إلى التعزى بسنة الحياة :

أصبحت لا أستطيع الثوب أسحبه
وقد أكون وضافى الدرع سربالى
ولا تكاد يدى تجرى شبا قلمى
وكان طوع بنانى كل عسال
فإن يكن جف عودى بعد نضرته
فالدهر مصدر إدبار وإقبال !

أما إسماعيل صبرى فحسبك أن تسمعه ينادى الموت قائلا :

ياموت خذ ما أبقت الأيام والساعات منى
بينى وبينك خطوة إن تخطها فرجت عنى

وأما حافظ إبراهيم فيكفينا قوله :

سلام عليك زمان الشباب
ربيع الحياة بآذارها
لأنت مخفف أحزانها
وأنت مسوغ أكدارها
ولولا الشباب ، وذكرى الشباب
لعاش الفتى عمره كارها
قطفنا الحياة به حلوة
وقد جاء إبان إمرارها . !

وهكذا أيها الشاب ، يمكنك أن تتصور كنزك الثرى المملوك لك اليوم فى أمثال هذه الأنات ، لتقف أمامه شكوراً لمن أنعم به عليك .. وهنا أقف

هنيهة صامتا، لا قالياً لك فإن حديثى معك طويل، ولكن لأترك لك سبحات فى خيالك مع هذا الكنز تتحسسه، وتجيل فيه النظر لتزن خطاك فى صحبته، وتعرف مكانك من الدرب .. لعلك تهتدى بتجارب الأسلاف .. أناس يتنفسون الصعداء .. يطلبون الزفير فى صور من الشعر .. والتنهد فى ضرب من الوزن .. يعوضون ما فقدوا فى الحقيقة باسترجاعه حلما من الذكرى وصورة من الخيال . !

مع القرآن :

هل تجليت جانب أمرك ؟ فانظر معى فى هذه الرحاب الخصيبة، وتدبر لوعة الفقد، ولذعة الفراق، لهذه الفترة من العمر، حين تمضى فلا يكون بعدها إلا الاقتناع بالواقع المر، والإشفاق من تحمل التبعة .. إلى أى حد تمثل ذلك حكاية الحق سبحانه قصة ضيف إبراهيم عليه السلام : « هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين. إذ دخلوا عليه فقالوا: سلاما، قال : سلام قوم منكرون . فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين . فقربه إليهم قال : ألا تأكلون . فأوجس منهم خيفة قالوا : لا تخف، وبشروه بغلام عليم . فأقبلت امرأته فى صرة فصكت وجهها وقالت : عجوز عقيم . قالوا : كذلك قال ربك إنه هو الحكيم العليم » (الذاريات ٢٤-٣٠) .

هذه قصة من فاتها الشباب تبشر بولد كم كانت تود بجدع الأنف أن تناله فى وقته .. تصك وجهها وتهتف عجباً وإشفاقا : عجوز .. عقيم ..

ويحكى لنا القرآن فى سياق آخر ذات القصة «فبشرناها بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب . قالت : يا ويلتى ! أألد وأنا عجوز، وهذا بعلى شيخاً ؟ إن هذا لشيء عجيب ! » (هود ٧١، ٧٢) .

ثم انظر إلى هذه الصورة تتكرر بوجه آخر فى نبى الله زكريا عليه السلام : « فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب : أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين » ما أعظم هذه البشرى، وما أسرع ما أجيب دعاؤه فتحققت أمنيته ولكن ماذا يصنع وهو يحس ألم الكبر وانهيار الشيخوخة، التى يعبر عنها فى سورة أخرى بقوله : « رب إنى وهن

العظم منى واشتعل الرأس شيباً ! » إنه لا يسع قلبه البشرى إلا أن يقول : « رب أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر » . (آل عمران ٣٩) « رب أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقراً وقد بلغت من الكبر عتياً » (مريم ٨) .

ثم انظر إلى قصة موسى وشعيب عليهما السلام ولم تجد ابنتاه إلا أن تصدفا عن الماء حتى يصدر الرعاء إحساساً منهما بضعف أبيهما وشيخوخته وعدم المساعد والنصير، سألهما موسى : « ما خطبكما ؟ قالتا : لا نسقى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير ! فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال : رب إنى لما أنزلت إلى من خير فقير » .

ثم انظر أى وصف غير قوة الشباب وأمانته كان مسوغ طلب الفتاة إلى أبيها الشيخ أن يستأجر موسى ثمانى حجج أو عشراً ليستعين به فى كبرته ، فكان به موسى الخائف المترقب نسباً وصهراً « قالت إحداهما : يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين . قال : إنى أريد أن أنكحك إحدى ابنتى هاتين على أن تأجرنى ثمانى حجج ، فإن أتممت عشراً فمن عندك ... » . (القصص ٢٣ - ٢٧) .

إن تذكر الشيخوخة والتذكير بها نغم تهتز له أوتار القلب وتنصب معه من العين الدموع ، ولا أزكى لذلك مثلا إلا أن يذكر الله به الناس فى البذل رحمة بالضعفاء ليجزيهم فى ضعفهم بالمثل ، ألا ترى ذلك فى قوله تعالى: « أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت » (البقرة ٢٦٦) .

هذه صور الهرم خريف الحياة ، حين تصوح أزهار القوة ، وتتساقط أوراق العافية ، فلا ترى العين إلا انصراف النضرة ، واصفرار الدنيا ، ولا تسمع الأذن إلا أنين الطير، وحنين القلب إلى ربيع لا يعود . !

أتريد أن تقيس بالإصبع مكانك من أطوار الحياة البشرية ، ثم تحدد مع مركزك منها الأهداف الكريمة والأعمال النبيلة التى تجعلك دائما مسيطراً . راضيا . غير نادم . ؟

انظر إلى نفسك جيداً فتحقق معالمها ثم انظر إلى قول ربك الحق : « الله الذى خلقكم من ضعف ، ثم جعل من بعد ضعف قوة ، ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة ، يخلق مايشاء وهو العليم القدير » (الروم ٥٤) .

« يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ، ثم من نطفة ، ثم من علقة ، ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ، ثم نخرجكم طفلا ؛ ثم لتبلغوا أشدكم ؛ ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكى لا يعلم من بعد علم شيئا ». الحج (٥)

« ومن نعمره ننكسه فى الخلق أفلا يعقلون ؟ » (يس ٦٨) .

كم من خطوة سلكتها إلى أن صرت هكذا . . ؟ ليكن لك فيها تأمل وعظة اربط كلا منها بالأصابع الخفة للرحمة والحكمة واللطف والكرم وانظر إلى كل خطوة لم تدركها بالخوف والحذر ؛ والإعداد والترقب . . ثم هيا بنا لنجول قليلا فى دفء حنان أنت محوط به قد لا تكون عارفا مصدره .

أتدرى ما هو المصدر ؟ هو الإسلام دين البر والرحمة الذى شملك بره وحنانه، وأنت حلم سعيد، وخيال طائف فى خاطر يتشهاك أو قدب يترقبك .

كيف عنى بك الإسلام؟

لقد نظر الإسلام إليك وأنت فى الغيب خاطرا رفافا ، فأوجب على كل من أبويك اختيار شريكه فيك ، ووضع لهذا الاختيار منهاجا ، لتجىء صالحا شريفا ، ينبض قلبك بدم الكرامة والعزة : نادى أبناء الإسلام نبيهم قائلا : «تخيروا لنطفكم ، فانكحوا الأكفاء وانكحوا إليهم » ، كما هتف بهم مرشدا : « إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه . إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد عريض » ووقف موقف الشرح والموازنة والترجيح ، ليثوب أناس إلى رشدهم ، ويتحروا الأمثل فى اختيار أمهات أبنائهم ، فقال عليه السلام : « تنكح المرأة لأربع خصال : لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها . فاظفر بذات الدين تربت يداك » .

أدر عقلك طويلا فى هذه المنة ثم انظر جوانب أخرى قد تدق على بعض

الغافلين: لقد شدد عليه السلام فى إعلان النكاح بين الناس، حتى يجعل الزوجين رهينى الواقع، يلتزمان حقوق الزوجية، لا يفكر أحدهما فى الهرب لأتفه الأسباب وقد تكون المرأة حاملا، فتنقطع حبال الولد أو تشبه المنقطعة، ولهذا يقول: «أعلنوا هذا النكاح واجعلوه فى المساجد واضربوا عليه بالدفوف» كما يقول: «فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت» فهو لا يرضى زواجا غير معلن ولا موثق بالشهود والأولياء، حتى تندفع الظنة، وتقوى الثقة، وتستقر التبعة، ويخرج الولد معافى من لمزات اللامزين، آمنا أن يضيع بين قوم مستهترين.

هـــل رأيت ؟

تخيل معى شعور ابن لا يعرف أباه.. كم يكون فى الحياة ذله. ؟ وكم يكون على الأبرار الأطهار حقده.؟ وكم يكون الإجرام مزاج لحمه ودمه. ؟ وكم وكم. ؟

من أجل هذا حرم الإسلام الزنا قائلا: «ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا» وأوجب الحد على الزناة دون أن تأخذ المؤمنين بهما رأفة، محافظة على دين الله، وجعل الزانى نازل القيمة دانى الهمة ليس مكافئا للعفيفة، بل للزانية أو المشركة «الزانى لا ينكح إلا زانية أو مشركة، والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك، وحرم ذلك على المؤمنين».

بل أوجب غض البصر الذى هو بريد الزنا «قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم، ذلك أزكى لهم، إن الله خبير بما يصنعون. وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن» وأكثر حول ذلك المعنى، ليرفع المؤمن عن الدنس، وليطهر المولود من ذل جريمة لم يأتها، فيجىء رافعا رأسه بالنسب الطاهر والحلال الشريف..

هل عرفت ؟.

غير أن الأم قد تنحرف وهى فى عصمة زوج، فلا يدرى بها، فإذا حملت من جريمة الانحراف، أدخلت على الأب من ليس من نسبه، وكلفته من الكد عليه ما ليس واجبا، ولهذا بين عليه السلام شديد الجزاء الذى أعده الله لمن هذا شأنها، حتى لا تجد فى اللعان عند انكشاف الأمر للزوج أو ارتيابه فيها

مخلصا ، قال صلى الله عليه وسلم : « أيما امرأة أدخلت على قومها من ليس منهم فليست من الله فى شىء . . ولن يدخلها الجنة ! » ومقابل ذلك، ولئلا تحمل الغيرة فى غـير الحق أزواجا على التخلص من أولادهم كان تمام الحديث : « وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر إليه احتجب الله عنه يوم القيامة وفضحه على رءوس الأولين والآخرين » .

ولصـدق النسب وتحقيقه ، وأمانة الزوجة ووفائها ، وليحيا الولد سليما من نظرة الشك فيه ، آمنا هز كيانه العاطفى بحرف يقال، أدخل الله سبحانه فى مبايعة النساء للنبى ، ألا يأتين بابن لم ينجبنه ، فينسبنه إلى الزوج بهتانا وهـو مصدق « ياأيها النبى إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ألا يشركن بالله شيئا ،ولا يسرقن ، ولا يزنين ، ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن ، وأرجلهن ، ولا يعصينك فى معروف ، فبايعهن ، واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم » .

ثم ماذا من أجلك لتـكون عزيزاً كريما ولتنشأ شريفا أبيا ، وماجدا حرا .

أمور كثيرة وكثيرة . . تعرف بها حب الإسلام لك ، وفضله عليك ومكان حقه منك . . أجعلها موعدى معك فى غد ترافقك فيه العناية ؟

د . عز الدين على السيد

قال الله تعـالى :

« شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بـكم اليسر ولا يريد بـكم العسر ولتـكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلـكم تشكرون » . (البقرة : ١٨٥)

من شعراء الأزهر :

نظراتٌ فى شعر أحمد الزين

للدكتور محمد رجب البيومى

— ٢ —

شعر الزين جيد رائع، فهو لا يهبط عن مستواه فى كل ما يقول؛ لأنه لا يحرص على الإطالة التى تدعو إلى التكلف والتلفيق ولا يهتم بأن يعد من مكثرى المنشئين الذين لا يفتئون يطالعون الناس بقصائدهم على فترات متقاربة، بل كان يستجيب إلى هواتف نفسه الصادقة وحدها، ولعله كان يسكت كثيرا من هذه الهواتف فلا يستجيب لها إلا إذا أدامت الضجيج وواصلت الإلحاح، فإذا ما تهيأ للنظم نحى عن خاطره ما يسبق إليه من معتاد القول المتداول وأخذ يرصد أعمق أحاسيسه لترفده بطريف المعانى، لذلك تجد ديوانه قليلا فى يدك، ولكنك تطالعه فتجد هذا الحيز الضئيل يمتعك ويشغلك بما لا يسمح به ديوان ضخم خرج فى عدة أجزاء، ولعل صداقة الزين منذ صباه لشيخ شعراء مصر اسماعيل صبرى هى التى طبعته على الإقلال الموجز، إذ كان صبرى لا يكاد يبدع فى غير مقطوعاته القصيرة، كما أنه لم يكن ليهش للقول فى كل غرض يتاح، بل كان يقتصر على الصادق من خلجات الحس، والدقيق من نوازع الوجدان، وهكذا انتقل أثر صبرى الأستاذ إلى صديقه الزين التلميذ، وفى المقدمة الرائعة التى كتبها أحمد الزين لديوان صبرى ما يدل على أثر هذه الصداقة وقوتها فى نفس صاحب المقدمة وقد رثى أحمد الزين أستاذه بقصيدة تحدث فيها عن شعره حديثا يصدق على شعر الزين نفسه، وقد أحسن القول إحساناً لم يتح لكثير ممن رثوا شيخ الشعراء، ففاتهم أن يقولوا مثل قول الزين:

شعر لو أن الدهر أقفر حسنه
نشرت صحائفه فكانت مربعا
ملك النفوس بسحره فتخاله
نغما على نبض القلوب موقعا
طب النفوس يعيد فى ميت المنى
روحا ويبعث فى القنوط المطمعا

متلمس من كل نفس سرها
وملامس من كل قلب موضعا
لم تفتتن يوما وشعرك فتنة
يا مبدعاً لم يزهـــه ما أبدعا
شعر إذا يتـلى يـكاد لحسنه
تثب القلوب من الصدور تطلعا
فكأنها فى كل بيت تبتغى
نبـأ عن الأحباب فيـه أودعا
لو أن شعرك كان سجعا للقطا
كاد الأراك مع القطا أن يسجعا

وإذا كان صبرى قد برع فى مقطوعاته الغزلية براعة أثقلت كفته فى ميزان النقد فقد جاءت قصائد الزين العاطفية نمطاً رائعاً من بارع الشعر، لأن الزين لم يكن كأبى العلاء المعرى يكبت نوازعه نحو المرأة كبتاً صارماً لا هوادة فيـه، إذ أحس تلقائيا بانصرافها عن مثله، فجاهد نفسه كإنسان حتى استطاع أن يسلوها ثم أخذ أهبته للهجوم عليها فأخذ يعدد هناتها ويتحدث عن سوء ظنه فيها حديث الزارى المستهجن، لم يكن الزين كأبى العـلاء فى ذلك كما لم يـكن كبشار حين تهالك على اللذاذة الفاجرة فى شعره تهالكا جعـله أمام قارئه حلس نساء وصريع شهوة، ولعله لم يكن كذلك إلا فى ديوانه وحده؛ إذ ليس من اليسير على مثل بشار فى دمامته وعاهته أن يستجاب إلى رغباته الهابطة بهـذا اليسر، إلا إذا كان لـكل ساقطة لا قطة كما يقال، أما الزين فقد شعر بالحنين لحواء وصافاها الود وقال فيها الجميل المطرب من القول، بل قال فيها ما لا يتاح لغـير مبصر يرى من مشاهد الحسن ما يأخذ عليه لبه، ويملك مشاعره، فمن يقرأ مثلا قصيدة ابتسامة فى ديوانه يعجب كيف اهتدى إلى معانيها شاعر لم تتح له رؤية الابتسامة خاطفة بشعاعها الأخاذ فقال عنها فى بعض ما قال:

ابسمى عن شعاع حسنك يسفر
لفؤادى نور من الحسن يصبى
وأضيىء ذاك السنا من ثناياك
تضىء بالرجاء أحـــلام صب
ابسمى للرياض يبسم لك الز
هر ويكسى النبات نضرة خصب
يا لورد تشع فيـه الثنايا
بسنا يسحر القـلوب ويسبى
لو ضممت الشفاه ضنا عليها
نفذت بالسنا إلى كل لب
فلجت بينها منافسة الحسن
فـكل بحظه منه يذبى [1]

(١) يذبى بالنون بعد الياء، لا كما جاء فى الديوان

ويروح الحديث من فيك تيا
ها فيزهى بلؤلؤ منه رطب
فإذا مازج الحديث ابتسام
راح منه نشوان من غير شرب
ابسمى للمقل يستصغر الكو
ن بما فيه ثراء وكسب
ابسمى لى إذا سألت لقاء
بسمة منك لو تشائين حسبى

والبيت الأخير مفتاح لشخصية الزين العاطفية ، إذ يصور حدود آماله وغاية مبتغاه ، فقد كان أحمد الزين عاشقا محروما وقد رزق حساسية مفرطة جعلته يحاول التنكر لغرامه ، والقسوة عليه ، فيقع فى صراع مرير حين يجبر نفسه على السلو جبراً لا يكاد يؤتى ثمرته فى أيام حتى تتألب عليه دواعى الشوق عاصفة مجتاحة وهذا بعض ما عناه فى قوله :

يا لخفاق إذا ما قر
هزته شجونه
واصلٌ من صد عنه
صائن من لا يصونه
خانه الصبر ولولا الصد
ما كان يخونه
سكن الليل فما للـ
قلب يجفوه سكونه
كم وكم أقسم أن يسـ
لو فما برت يمينه
كلما ظن سلوا
كذبت فيه ظنونه

وأصحاب العشق المحروم يقنعون بأقل ما يرضى ، وهكذا كان أحمد الزين ، فهو لا يرجو من ليلاه غير الوعد بالمنى ، ليبيت على أمل فقط ، أما أن يتحقق هذا الأمل فهذا مالا يفكر فيه ، وبحسبه أن يأمل البذل وإن لم ينل بذلا ، بل بحسبه أن تعلم ليلاه أنه يحب ، بل حسبه أن تظن ذلك ظنا ليس بالعلم ، وأن يخطر ذكره فى وهمها مرة واحدة ، فذلك أسعد ما يرجو ، كل هذه عواطف يائسة تترك قتامها الدامس فى نفس صاحبها ، ثم تجبره على أن يعبر عنها فى ذلة وضراعة حين يقول :

عللينا بالأمانى وانجلى
وعدينا بالتدانى وامطلى
كم سألنا وقنعنا أننا
نأمل البذل وإن لم تبذل
ورضينا منك لو أجدى الرضا
بتمنى الوصل إن لم تصلى
فاسأليه مرة ما سقمه
حسب من أسقمته أن تسألى

حسبه علمك عنه أنه
مسه الحب بداء معضل
حسبه الظن إذا لم توقنى
أنه حمل ما لم يحمل
أخطرى وهمك فيه مرة
خطرة الشجو على بال الخلى

ولعل مصدر هذا اليأس اللاذع عليه أن ليلاه تعطف ولا تحب ، وأصحاب الحساسية الرقيقة يرون العطف مأساة أخرى تضاف إلى مأساة الحب ، وقد أكد هذا الشعور لدى العاشق الضرير علمه أن مصيبته فى عينه تحول دون أن تجذب إليه قلب إنسانة تهفو ، فكل ما يمكن أن يتصور منها أن تعطف فقط لا أن تحب ، وهذا ما أشار إليه قوله :

رب يوم قات أشكو فرنت
نظر العطف وإن لم تفعل
لم تكد تعطف حتى ردها
عن حديث العطف صمت الخجل
آه لو أصغيت لى أشكو الذى
شف جسمى آه لو أصغيت لى !

وإذا كان الشاعر العاشق ضريرا لا يبصر ؛ فإن أكبر لذته فى حديث صاحبته ، وقد تفنن فى وصفه تفننا يعجز البصراء ؛ حيث رأى فيه من البهجة فنونا لا تفد على غير خاطر الزين ، وإذا كان الشاعر ذواقة يستطيب الغناء الجيد ويصوره كثيرا فى شعره الرائع ؛ فإن الأذن الحساسة هى التى جعلته يتمتع بفنون مستترة من هذا التغريد الصوتى لا يصل إلى عمقها المتغلغل غيره ، هذه الأذن هى التى رأت الحديث سحرا أى سحر ، فهو نبرات أخجلت وتر العود حنانا وحنينا ، يبعث شجو الهوى ويهمس فى يابس النبت فينضر ، تحسده النسمة إذ تحمله للسامع ، وتكاد تضن به لنفاسته بل تود العين أن تكون أذنا لتتمتع بحظها من هذا الصوت الرقيق الذى صاغه الله من الحنو العذب ؛ كما صاغ ظل الفردوس الحانى وماء النبع السلسال ، وهذا بعض ما أشار إليه قوله :

ما غناء الراح قد ظلت سنينا
حدثينا تبعثى النشوة فينا
أسمعينا نبرات أخجلت
وتر العود حنانا وحنينا
وابعثى شجو الهوى من منطق
يلمس النفس فيذكيها شجونا
واهمسى فى يابس النبت به
تلبسيه نضرة للناظرينا

تلك أنت فإن شك امرؤ
حدثيه يعد الشك يقينا
ألهميه منك فرقان الهوى
فى حديث يجعل الصبوة دينا
توشك النسمة إذ تحمله
عنك أن تحسد فيه السامعينا
ودت النسمة لو ضنت به
وضنين كل من يحوى ثمينا
ارسلى سحرك فى صوت إذا
ما سرى فى اليأس منى اليائسينا
صاغه الله من الرفق كما
صاغ ظل الخلد والفيض المعينا
ذاب حتى كاد يخفى رقة
لست أدرى أرنينا أم أنينا
حدثينا وأعيدى ما مضى
من حديث واحسبى أنا نسينا

والبيت الأخير وثبة نفسية رائعة ، إذ يصور هيام الروح المتصل بالحديث لا يعنيها تجدد معانيه قدر ما يعنيها نفاذ سحره ، وعمق موسيقاه ، وحلاوة رنينه بل ربما تجددت المعانى بتكراره فأفصحت عن جديد لا يدرك فى المطارحة الأولى للقول ، وقد قال الشاعر فيما قال ، إن النسمة تحسد السامعين متعة الحديث حين تحمله فتكاد تضن به ! والإحساس بالنسمة على هذا النحو جعل من النسيم لدى العاشق المحروم شيئا ذا بال ، فهو الذى يهدى الشوق للحبيب حين يتضرم باللهفة وينفح بالشوق ، وهو الرقيق الذى يحمل الرقيق من الأمانى واللطيف الذى يحمل من اللطف ما يلمس موضع الإشفاق من القلوب! ثم هو أمين لا يشى بحديث ، وعجيب كتمانه السر وهو يحمله إلى الآفاق جميعها دون اختزال ، ودون أن يحترق بما يحمل من زفرات الصبوة ولواعج الحرمان ..

والشاعر بعد هذا النفاذ العميق إلى حقائق النسيم الوجدانية يعقد موازنة رائعة بين رقة النسيم ورقة صاحبته ، ثم لا يلبث أن يؤثر صاحبته عليه فهى أرق وأصفى ؛ وإذا كانت ذا حظ أكبر من حظ النسيم فى الرقة واللطف فقد زادت عليه بالإشراق الناصع ، وماتدخره من شعاع جاذب للروح ، لقد حاولت أن ألخص بعض حديث الزين عن النسيم وهو تلخيص يقتضب الخواطر الرائعة ويضائل سحرها مضاءلة تتسع فى ميدانها الشعرى واضحة شفافة حين يقول :

يا نسيما أهدى إليها اشتياقى
ما أبر النسيم بالعشاق !

يا رقيقا كم حملوك رقيقا
من منى عذبة ومن أشواق
ورسو لاحوى من اللطف ما يلمس
فى القلب موضع الإشفاق
ياله كيف لا يحول سموما
بالذى فيه من جوى واحتراق
حامل النار كيف يبرد مسا
أى واق منها له أى واق ؟
كم عيون رويت عنها فسميت
بليــلا والفضل للآماق
وفؤاد حملت عنه خفوقا
بالهوى فى فؤادك الخفاق
سر إليها واحمل إلى شفتيها
قبــلة ثم لفهـا بعناق
لك جسما أرق منك وأصفى
أبدعت فيه قدرة الخلاق
فيه لين النسيم واللطف لكن
زاد حسنا عليه بالإشراق
ليت شعرى أى النسيمين أشهى
ضل فى ذاك منطق الأذواق ؟

ونطيل الحديث لو ذهبنا نحلل ما قال الزين فى لواعج الشوق ، ونوازع الصبابة ، لأن شعر الزين كله جيد مختار ومحاولة الاختيار منه تقع بالكاتب فى حيرة وتردد ، إذ أنه كان لا يسمح بالفضول والحشو فى قصيدته ليسقط الناقد منها ما يشاء بل يسوقها فريدة مختارة تتجاور أبياتها تجاور اللآلىء الزاهرة فى العقد النضيد حين تشرق على نحر وضئ ، وقد عاش الزين عاشقا ولم ينس عشقه حتى فى مواقف الرثاء ، وأذكر أنه فى تأبين صديقة الشاعر الكبير الأستاذ محمد الهراوى قد استطاع أن ينفس عن شجونه الوجدانية حين قال فى بكائه :

ياليت خالق هذا الكون فرقنا
فى البدء ما وصل بالموت ينفصل
وما اشتهاؤك ودا حزن آخره
ينسيك ما أسلفت أيامه الأول
دع الهيام بما تبلى محاسنه
يمضى وتخلفه الأحزان والعلل
عيب الجمال بلاه بعد نضرته
ياليت عشاقه قبل الهوى عقلوا

وهو قول يحمل من اليأس اللاذع جمرات ذات ضرم وحريق ، وهكذا ظل العاشق المحروم لهيفا قانعا بأيسر اليسير يائسا غير آمل حتى فارق دنياه ! رحمه الله؟

د . محمد رجب البيومى

لمحات من نظام القضاء في الإسلام

للأستاذ عمر الفاروق عبد الحليم

يحتل القضاء مكانا ممتازا ، ومنزلة رفيعة فى البناء الاجتماعى الداخلى فى الدولة الحديثة ، وكذلك كان مكانه على مدى التاريخ . فهو يؤدى دورا مستقلا بناء وهاما ومتميزا بين سلطات الدولة وهيئاتها . فهو طريق العدل ، وأداته وحماه . ولقد كان العدل ، منذ كان الإنسان ، حلم حياته ، وأمل مفكريه ، وجوهر شرائعه وسياج أمنه ورائد ركبه على طريق الرخاء والتقدم والسلام .. من أجل ذلك عنيت الدساتير الحديثة ، والقوانين الأساسية بتنظيم القضاء وتأكيد دوره ، وتحقيق ضمانات استقلاله واستقراره ، وتحديد ولايته وبيان اختصاصاته . وذلك فى إطار النظرية السياسية والاجتماعية والاقتصادية السائدة فى المجتمع . لأن نظام القضاء وثيق الصلة بتطور المجتمع ونوعيته ، يتأثر بذلك ويؤثر فيه ، لا ينفصل عن نسيجه ، ولا يتقدم عن مسيرته . ولا يتخلف عن تطوره .

وتظهر الصلة الوثيقة بين القضاء والمجتمع فى وضوح وجلاء من خلال دراسة نظام القضاء فى الإسلام . فلقد كان النظام ، أو التنظيم بعبارة أدق ، القضائى فى الإسلام ، فى مبدأ ظهوره وليد ظروف الحياة العربية فى ذلك العصر ونتاجها ، وتطور مع تطورها .

واكتسب مع الزمن خصائصه المتميزة من خصائص المجتمع الإسلامى خلال تطوره من بداوة الحياة فى شبه جزيرة العرب ، فى فطرتها وبساطتها ، وقيامها أساسا على العلاقات داخل القبيلة ، بين أفرادها وعشائرها وبطونها ، والعلاقات بين القبائل دون قيام نظام سياسى جامع أو حكومة موحدة ، سواء فى ذلك القبائل الدائمة الارتحال فى الصحراء ، أو تلك المستقرة فى الحواضر ، مثل مكة أو يثرب

أو الطائف ، من هذه البداوة إلى حضارة الأقاليم خارج شبه الجزيرة، التى فتحها الله على المسلمين ودخلت دار الإسلام، وفيها صورة أخرى من التنظيم الاجتماعى والوحدة السياسية ، والحكومة ذات الولاية العامة الشاملة بأجهزتها المتخصصة وسجلاتها ودواوينها ، التى ما لبثت منذ عصر الخليفة الثانى ، أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب أن أصبحت جزءاً من الدولة الإسلامية ، وإطارا لحركتها، بعد اقتباسها وتعريبها والتوفيق بينها وبين نظم الشريعة الغراء ووسائلها ولكن ذلك كله ، وإن كان مؤشرا لازما يهدى إلى التعرف على بواكير تنظيم القضاء فى الإسلام وتطوره ، فإن تفاصيله تخرج عن نطاق هذه الدراسة .

متى سلمنا بصحة هذه الصلة الوثيقة بين نظام القضاء وبين حالة المجتمع الذى ينشأ فيه، وهى صحيحة ، فيبقى أن نتسائل هل كان هذا شأن نظام القضاء فى الإسلام أو هل كان ينبغى أن يكون شأنه كذلك اتساقا مع القواعد العامة لتطور العمران البشرى أم أن لرسالة الإسلام من الخصائص الفريدة ما يقتضى منحى آخر يخالف هذه السنن ؟

ذلك بأن الشريعة الإسلامية وإن نزل بها الوحى الأمين على النبى العربى الكريم محمد صلى الله عليه وسلم فى مكة قلب الجزيرة العربية ، لم تكن مع ذلك رسالة خاصة إلى هذا الحى من بلاد العرب وحده ؛ بل ولا إلى الأمة العربية خاصة . لقد كانت خصوصية الرسالات سمة من سمات الديانات السماوية السابقة . أما دعوة محمد (صلى الله عليه وسلم) فقد جاءت بالدين القيم ، رسالة إلى سائر البشر فى جميع أقطار المعمورة من لدن نزول الوحى على النبى الكريم إلى آخر الزمان حتى يرث الله الأرض ومن عليها . فهل كان هذا الشمول والتعميم يستوجب وضع نظم عامة شاملة لا تتقيد بالنظام الاجتماعى القائم ولا تقف عند درجة تطوره . ولا تواجه صورة الحياة فيه ؟

لقد اتجه رأى البعض إلى هذا النحو . وقفز منه إلى نتائج نراها خاطئة لأن مقدماتها لم تكن لازمة . فقد رأى الشيخ على عبد الرازق فى كتابه الإسلام وأصول الحكم أن الكتاب الكريم والسنة

الصحيحة خلت من وضع نظام للقضاء أو أساس لنظام القضاء . وجاءت توجيهاتها فى هذا الشأن على صورة عامة غامضة ومبهمة . واتخذ من ذلك سبيلا للقول بأن الإسلام لم يضع نظاماً للحكم.

ومصدر الخطأ فى ذلك ، فيما نعتقد مستلهمين الصواب من الله ، أن شمول الرسالة يتمثل فى قواعدها العامة ، وأصولها الكلية . وحدة فى العقيدة ، وحدة فى العبادة، وحدة فى نظام المعاملات فى قواعده الجوهرية ، أما ما دون ذلك من تنظيمات جزئية وتطبيقات عملية فإنه فى إطار عام موحد، يتسع لتقبل الخلاف عليه بين بلد من دار الإسلام وبلد آخر ، بقدر ما يتسع لدرجة من التطور الرشيد مع تقدم الزمن وتغير الأحوال وهذا هو منهج آيات الأحكام فى القرآن بوصفها المصدر الأول للتشريع وإطاره يكشف تتبعها عن حكمة بالغة هى توجيه المشرع إلى أن يقتصر فى تشريعه على قدر حاجة من يشرع لهم فلا يشرع لحوادث قد تجد فى المستقبل أو لحوادث يفترضها وإنما يضع الأحكام التى تعرض للحاجات القائمة ، فى صيغ كلية ، مع الإشارة إلى عللها ، وحكمة تشريعها ، وتقرير قواعد وأصول عامة بجانبها يسترشد بها المشرع فى المستقبل . ليواجه ما يجد فى زمنه من مصالح مشروعة ونظم جديدة ، فلا يضيق التشريع مع الزمن بأية حاجة فى أى عصر وأى مكان .

من أجل ذلك كان شأن نظام القضاء فى الإسلام، نشأ مع المجتمع الذى ظهرت فيه الدعوة ، بقدر ما احتاج إليه، وتطور مع الزمن ليوكب الحياة الاجتماعية فى تطورها الدائب ، ومن أجل ذلك يلزمنا للنظر فيه ، أن نرجع البصر عبر القرون لنستشرف حالة مجتمع جزيرة العرب، أو مجتمع الحجاز خاصة، أو مجتمع مكة والمدينة على التخصيص الأدق حين بعث محمد صلى الله عليه وسلم برسالته العامة الهادية إلى خير الدنيا وخير الآخرة ، والخاتمة لرسالات السماء إلى الإنسان . تصديق الذى بين يديه وتماما لكل شىء . . . نرجع البصر لنرى ماذا كانت عليه الحياة الاجتماعية فى بلاد العرب حين ظهر الإسلام ، وماذا كان نظامها القانونى ، إن أمكن أن نعتبر أن لها نظاما قانونيا فى ضوء مفهوم النظام القانونى الحديث

ولنتعرف ماذا يكون من أثر ذلك جميعه على نظام القضاء الوليد .

كان المجتمع العربى فى الحجاز آنذاك مجتمعا بدويا خالصاً . القبيلة هى وحدته الاجتماعية وهى وحدته السياسية فى نفس الوقت . ولم يكن ثمة نظام قانونى بالمعنى الذى نعرفه الآن . وإنما كان الأمر إلى العرف ، أو إلى مجموعة الأعراف السائدة فى القبائل . وكان عرف القبيلة يتكون من مجموع عاداتها وتقاليدها وتراثها خاصة . وقد تأثر العرف فى بعض القبائل،وفى يثرب خاصة ، ببعض مبادىء اليهودية وبعض مبادى المسيحية ، نتيجة لاختلاط اليهود والنصارى ببعض أحياء العرب . وكان الأب رئيس الأسرة وحاكمها ، وكلمته قانونها . وكذلك كان شيخ القبيلة ، على مستوى القبيلة ، السيد المطاع ، بيده السلطان على سائر بطونها وعشائرها . أسرها وأقدادها . هو حاكمها المطلق وهو قاضيها ومشرعها . وهو ممثلها لدى القبائل الأخرى فيما يشتجر من خلاف بين القبائل أو بين أفراد ينتمون إلى قبيلة أخرى . وكان شيخ القبيلة فى قضائه بين أفرادها يلجأ إلى حكمة الكاهن أو فراسة العراف . فقد كان العرب يعتقدون أن للكاهن قرينا من الجن يظهره على ماخفى من الأمر فيستطيع إظهار الحق . وأما العراف فيرونه ذا فطنة يعرف الأمور بقرائنها وينفذ بالفراسة إلى مكنونها وباطنها . أما القضاء بين القبائل فهو نوع من التحكيم ، يختار رؤساء القبائل حكما بينها رجالاً عرفوا بجودة الرأى وأصالة الحكم من أهل الشرف والصدق والأمانة . يحفظ التاريخ من أسماء هؤلاء المحكمين أكثم بن صيفى . ومن أسماء الكهان سطيحا الذئبى الذى عرف بسطيح الكاهن . على أن الأمر فى فض النزاع لم يكن ، مع ذلك ، يرجع إلى حكم المحكمين إلا بمقدار رضاء شيخ القبيلة عنه وإلا فللقوة القدح المعلى فى النفاذ إلى ما تريد يستوى أن تعتقده حقا . أو تقصد إليها استعلاء وبطشاً .

ومن قبيل هذا التحكيم ما ورد فى الصحيفة التى كتبها الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، أول العهد بيثرب والتى آخى فيها بين المهاجرين والأنصار. والتى وادع فيها اليهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم ، واشترط عليهم وشرط لهم والتى وقعها يهود بنى

عوف . كما وقع مثلها من بعد بنو قريظة وبنو النضير وبنو قينقاع . فقد جاء فيها « وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده ، فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله » فهذا فيما ترى مشارطة تحكيم تستقيم مع النظام السائد آنذاك . وليست كما رآها البعض عهدا بالقضاء . لأن مرد الأمر فيها إلى الاتفاق وليس إلى الولاية ؛ فلم تكن للرسول صلى الله عليه وسلم آنذاك ولاية عامة على المدينة تشمل سائر أهلها من غير المسلمين .

وبمثل بساطة هذه الحياة العربية حين ظهر الإسلام . كانت حياة الجماعة الإسلامية الأولى ، بسيطة أشد البساطة سمحة غاية ما تكون السماحة . استبقت الإطار العام لتنظيم الحياة من حولها . على رغم ما أدخلته على واقع هذه الحياة ومضمونها من تغيير شامل وما استهدفت به فكرها وتقاليدها وعاداتها من تحويل عظيم .

فكان الرسول صلوات الله وسلامه عليه زعيما لجماعة المسلمين فى شئون دنياهم ورئيسا وحاكما . كما كان فى شئون الدين نبيا وإماما وهاديا . وإليه كان يرجع الأمر كله فى تنظيم حياة المسلمين فى شتى المناحى . وإليه كان المرجع فى فض كل ما يشور بينهم من منازعات ، فى الأموال أو فى الدماء . كما كان إليه وحده إقامة الحدود ، أو الأمر بإقامتها أعنى الحكم بها بعبارة أدق . ولو عهد بالتنفيذ إلى غيره . . وفى كلمة واحدة كانت له صلى الله عليه وسلم ولاية القضاء .

وكانت الحكومة الإسلامية الأولى بسيطة التركيب غاية ما تكون البساطة . إلى حد يمكن معه القول أنها كانت مركزة فى شخص الرسول العظيم . إلا ما كان صلى الله عليه وسلم يعهد به إلى بعض صحابته من اختصاصات محددة . إما بشكل دائم كالعهد إلى سيدنا بلال بالأذان وإما فى مناسبة معينة ، ينتهى التكليف بأدائها كما كان الشأن فى غالب الأحيان فالحياة فى إطارها العام يظهر طابعها فى انتقال رابطة الولاء بين الأفراد من العصبية الجاهلية إلى العاطفة الدينية بين المسلمين . ومع مراعاة أن الاحتفاظ بهذا الشكل التنظيمى إنما كان إلى حين ، وبقدر ما كان موائما لدرجة انتشار

(البقية صفحة ٦٩١)

الإمام أبو حنيفة وعنايته بالحديث

للأستاذ منشاوى عبود

— ٢ —

ورد خبر الواحد إذا لم يوافق الشروط لم ينفرد بهذا المبدأ أبو حنيفة ، بل إن كثيرا من الأئمة رد كل منهم خبر الواحد إذا لم يوافق أصوله ، فمثلا الإمام مالك رضى الله عنه لا يعمل بما خالف عمل أهل المدينة من أخبار الآحاد ويعلل ذلك بأن عملهم بمنزلة مرويهم لثقتهم ، فصار خبر الواحد بجنبه شاذا ، إذ خالفه من هو أكثر منه .

وعمل الإمام أبى حنيفة بالقياس إذا لم توجد آثار صحيحة مسلك لا غبار عليه ولم يكن أبو حنيفة بدعا فى ذلك ، فإن أكثر الأئمة المجتهدين يرون العمل بالقياس فيما لا يوجد فيه نص ما .

٣ — وأما ما نسب إلى بعض الأئمة والمحدثين من روايات تحمل الطعن على أبى حنيفة رضى الله عنه فلم تصح تلك الروايات ، ووجد ما يعارضها من روايات أخرى تفيد الثناء عليه والإشادة به ، فمن روايات الطعن عليه ما ذكره الخطيب البغدادى فى ص ٣٩٦ ، ٤١٥ منسوبا إلى مالك رضى الله عنه : أخبرنا ابن الفضل أخبرنا عبد الله بن جعفر بن درستويه حدثنا يعقوب بن سفيان ، حدثنى الحسن بن الصباح ، حدثنا إسحق ابن إبراهيم الحنينى قال : قال مالك :

ما ولد فى الإسلام مولود أضر على أهل الإسلام من أبى حنيفة وكان يعيب الرأى ويقول :

قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تم هذا الأمر واستكمل فإنما ينبغى أن تتبع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولا تتبع الرأى ، وإنه متى اتبع الرأى ، جاء رجل آخر أقوى منك فاتبعته ، فأنت كلما جاء رجل غلبك اتبعته ، أرى هذا الأمر لا يتم .

وهذه الرواية باطلة من وجوه :

الأول ما قيل فى سندها ، فقد قيل : عبد الله بن جعفر هو الذى كان إذا أعطى

شيئا يحدث بما لم يسمعه ، والحسن ابن الصباح ليس بقوى عند النسائى ، وإسحاق بن إبراهيم الحنينى ، ذكره ابن الجوزى فى الضعفاء ، وقال الذهبى : صاحب أوابد ، وقال البخارى : فى حديثه نظر ، وهو من أشد كلمات الجرح عنده ، وقال الحاكم : أبو أحمد كف بصره ، واضطرب حديثه .

وقال أبو حاتم : لم يرضه أحمد بن صالح وقال النسائى : ليس بثقة .

على أن ابن جرير روى فى تهذيب الآثار عن الحسن بن الصباح البزار ، عن الحنينى هذا الخبر بلفظ أن مالكا قال: قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تم هذا الأمر واستكمل ، فإنما ينبغى أن تتبع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى آخر الخبر كما فى « جامع بيان العلم » لابن عبد البر (٢-١٤٤) وليس فى روايته ذكر أبى حنيفة أصلا .

فيكون ابن درستويه (الدراهمى) هو الذى زاد فى الخبر ما شاء .

الثانى : أن مالكا رضى الله عنه صاحب القدح المعلى فى الرأى ، وأصحابه المعروفون بالفقه معدودون فى الرأى ، وما رده من الأحاديث التى رواها هو بأصح الأسانيد عنده فى « الموطأ » يزيد على سبعين حديثا ، وقد قال يحيى بن سلام : سمعت عبد الله بن غانم فى مجلس إبراهيم ابن الأغلب يحدث عن الليث بن سعد أنه قال : أحصيت على مالك بن أنس سبعين مسألة كلها مخالفة لسنة النبى صلى الله عليه وسلم مما قال مالك فيها برأيه ، قال : وقد كتبت إليه فى ذلك كما فى جامع بيان العلم لابن عبد البر (٢ - ١٤٨) بل لابن حزم جزء فى ذلك ، وأجوبة ابن القاسم عن أسئلة أسد بن الفرات تنادى بالرأى ، بل هو أسى مذهب مالك .

فليس معقولا أن يعمل مالك رضى الله عنه بالرأى ، ويصيب غيره إذا عمل به .

وليس الرأى بمذموم مطلقاً ، وإنما الرأى المذموم هو الرأى عن هوى من غير استمداد من الكتاب والسنة ودلالة اللغة ، وأنى يقع هذا من الأئمة المتبوعين؟

الثالث : عرف عن مالك رضى الله عنه أنه كان يقدر أبا حنيفة ، ويشيد بفضله ، يدلك على هذا أن الليث بن سعد قال للإمام مالك : أراك تعرق ، أجابه مالك قائلا : (عرقت مع أبى حنيفة ،

إنه لفقيه يا مصرى) كما رواه القاضى عياض فى أوائل المدارك .

والفقيه هو البارع فى علم الكتاب والسنة، ومواطن الإجماع ،والاختلاف ومسالك القياس، فالاعتراف لواحد بأنه فقيه اعتراف له بكل خير .

وقد كان مالك رضى الله عنه يذاكر أبا حنيفة العلم فى المسجد النبوى طوال الليل كلما قدم أبو حنيفة المدينة، كما ذكر الموفق الخوارزمى وغيره .

فكيف بعد هذا يتصور أن يقول مالك فى أبى حنيفة هذا القول الشنيع ؟ ومن تصور أن مالكا يقول فى حق أى شخص فضلا عن مثل فقيه الملة : (ما ولد فى الإسلام مولود أضر على الإسلام منه) ، تصور أنه يجازف فى القول رجماً بالغيب .

وقد برأ الباجى مالكا من أمثال هذه السفاسف غاية التبرئة فى شرح الموطأ (٧ - ٣٠٠) ، والباجى من أعرف الناس بمالك وأقواله (٢) .

ومن روايات الطعن أيضاً ما ساقه الخطيب (ص ٣٨٣ ، ٣٩٤) منسوباً إلى أبى بكر بن أبى داود السجستانى : حدثنا محمد بن على بن مخلد الوراق عن أبى بكر محمد بن عبد الله بن صالح الأسدى الفقيه المالكى قال : سمعت أبا بكر بن أبى داود السجستانى وهو يقول لأصحابه :

ما تقولون فى مسألة اتفق عليها مالك وأصحابه ، والأوزاعى وأصحابه ، والحسن ابن صالح وأصحابه ، وسفيان الثورى وأصحابه ، وأحمد بن حنبل وأصحابه ؟ فقالوا له : يا أبا بكر لا تكون مسألة أصح من هذه ، فقال : هؤلاء كلهم اتفقوا على تضليل أبى حنيفة .

وأبو بكر بن أبى داود هو عبد الله ابن سليمان بن الأشعث السجستانى ، ابن أبى داود صاحب السنن ، ويدل على بطلان روايته أنه كذبه أبوه ، وابن صاعد ، وإبراهيم بن الأصبهانى ، وابن جرير ، وكذب الحافظ أبو الوليد الباجى ما يروى عن مالك فى هذا الصدد أشد تكذيب فى المنتقى شرح الموطأ (٧ / ٣٠٠) .

وثناء الحسن بن صالح على أبى حنيفة فى غاية من الشهرة، وقد ذكره ابن عبد البر

(١) تأنيب الخطيب بتصرف ص ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ .

فى « الانتقاء » بسنده (ص ١٢٨) — وكذلك ثناء سفيان الثورى عليه مخرج فى « الانتقاء » (ص ١٢٧) . وثناء الليث عليه فى كتاب ابن أبى العوام — وثناء الأوزاعى عليه فى تاريخ الخطيب (ص ٣٣٨) .

وكان أحمد يترحم عليه ، ويحسن القول فيه على ما سبق من الخطيب فى (ص ٣٢٧) وعلى ما نقله الطوفى فى شرح مختصر الروضة « عن أبى الورد أحد أئمة الحنابلة » .

فظهر بذلك أن ابن أبى داود هذا كان بهاتا فيما روى ، مكذبا لأبيه أبى داود صاحب السنن حيث قال ابن عبد البر فى الانتقاء (ص ٣٢) حدثنا عبد الله ابن محمد بن عبد المؤمن بن يحيى رحمه الله قال:

أنا أبو بكر محمد بن بكر بن عبد الرزاق التمار المعروف بابن داسة قال : سمعت أبا داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستانى رحمه الله يقول : (رحم الله مالكا كان إماما ، رحم الله الشافعى كان إماما ، رحم الله أبا حنيفة كان إماما) اه(١) .

ووصف شخص بأنه « إمام » ينبئ عن توثيقه ، وأنه مهدى ، يقود إلى الرشاد .

وينبغى أن يلاحظ أن أبا حنيفة ذاع فضله ، وسمت منزلته بين العلماء الأعلام وهو فى مقامه هذا لا يخلو من حاقدين عليه ، وحاسدين له من أهل الهوى ، فلا يبعد أن يحاولوا جاهدين أن ينالوا منه بانتحال روايات تغض من قدره ، وتذهب الثقة به ، وحسبنا فى الرد على هذه الروايات أن ندرك أن الدافع لها خصومة أصحابها لأبى حنيفة ، وهذه الخصومة من أسباب جرحهم ، فترد عليهم أخبارهم ، ولا تجوز عليه شهادتهم ، ثناء الأئمة والمحدثين على أبى حنيفة :

أثنى كثير من الأئمة والمحدثين على أبى حنيفة ثناء مستطابا ، فمن ذلك ماقاله ابن الجوزى فى المنتظم :

لا يختلف الناس فى فهم أبى حنيفة وفقهه ، كان سفيان الثورى، وابن المبارك يقولان :

أبو حنيفة أفقه الناس، وقيل لمالك : هل رأيت أبا حنيفة ؟ فقال : رأيت

(١) المرجع السابق بتصرف ٦٨ ، ٦٩ .

رجلا لو كلمك فى هذه السارية أن يجعلها ذهبا لقام بحجته ، وقال الشافعى : الناس عيال فى الفقه على أبى حنيفة ا هـ (١) .

ومنه ما روى عن عبد الله بن أحمد ابن إبراهيم الدورقى قال : سئل يحيى ابن معين ، وأنا أسمع عن أبى حنيفة ، فقال : ثقة ، ما سمعت أحدا ضعفه ، هذا شعبة بن الحجاج يكتب إليه أن يحدث ويأمره ، وشعبة شعبة (٢) .

ومنه أن سفيان الثورى كان كثير الاعتداد بفتوى أبى حنيفة ، حريصا على متابعته ، قال عبد الله بن داود الحرمى : كنت عند سفيان الثورى فسأله رجل عن مسألة من مسائل الحج ، وأجابه ، فقال له الرجل : إن أبا حنيفة قال فيها كذا ، فقال : هو كما قال أبو حنيفة ، ومن يقول غير هذا ؟ قال الحسن بن مالك : سمعت أبا يوسف يقول : سفيان الثورى أكثر متابعة لأبى حنيفة منى (١) .

ومنه : ما روى عن يحيى بن آدم قال : سمعت الحسن بن صالح يقول : كان النعمان ابن ثابت فهما عالما متثبتاً فى علمه ، إذا صح عنده الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعده إلى غيره (٢) .

ومنه : ما روى سويد بن سعيد الأنبارى قال : سمعت سفيان بن عيينة يقول : أول من أقعدنى للحديث بالكوفة أبو حنيفة ، أقعدنى فى الجامع ، وقال : هذا أقعد الناس بحديث عمرو بن دينار فحدثهم (٣) .

ومنه : ما روى عن سليمان بن حرب قال : سمعت حماد بن زيد يقول : والله إنى لأحب أبا حنيفة لحبه لأيوب ، وروى حماد بن زيد عن أبى حنيفة أحاديث كثيرة (٤) .

ومنه : ما قال ابن شبرمة : عجزت النساء أن تلد مثل النعمان (٥) .

---

(١) فقه أهل العراق وحديثهم للشيخ الكوثرى ص ٥٤

(٢) الانتقاء لابن عبد البر ص ١٢٧

---

(١) الانتقاء ص ١٢٧ ، ١٢٨ .

(٢) المرجع السابق ص ١٣٠ .

(٣) الانتقاء ص ١٢٨ .

(٤) الانتقاء ص ١٣٠ .

(٥) الانتقاء ص ١٣١ .

ومنه : ما روى محمد بن جرير الطبرى قال : عباس قال : سمعت يحيى بن نعيم يقول : سمعت يحيى بن سعيد القطان يقول : لا نكذب الله ، ربما ذهبنا إلى الشيء من قول أبى حنيفة فقلنا به (١) .

ومنه : ما روى خلد بن صبيح قال : سمعت أبا يوسف يقول : كنا نختلف فى المسألة ، فيأتى أبو حنيفة فنسأله ، فكأنما يخرجها من كمه ، فيدفعها إلينا ، قال : وما رأيت أحداً أعلم بتفسير الحديث من أبى حنيفة (٢) .

ومنه : أن الحافظ الذهبى عد أبا حنيفة فى حفاظ الحديث ، وذكره فى تذكرته التى قال فى ديباجتها : هذه تذكرة بأسماء معدلى حملة العلم النبوى ، ومن يرجع إلى اجتهادهم فى التصحيح والتزييف والتوفيق والتضعيف انتهى .

فعلم منه أن أبا حنيفة كان حافظاً ، معدلا حاملا للعلم النبوى ، يرجع إلى اجتهاده فى تصحيح الأحاديث وتضعيفها ، وتوثيق الرجال وتزييفها (٣) .

(١) الانتقاء ١٣٢ .

(٢) الانتقاء ص ١٣٩ .

(٣) إنهاء السكن إلى من يطالع إعلاء السنن لشيخ الإسلام ظفر أحمد العثمانى ص ٧٦

ومنه : ما قال الحافظ محمد بن يوسف الصالحى الشافعى مؤلف السيرة الكبرى الشامية فى (عقود الجمان) - وهو فى مجلد - كان أبو حنيفة من كبار حفاظ الحديث وأعيانهم ، ولولا كثرة اعتنائه بالحديث ما تهيأ له استنباط مسائل الفقه ، وذكره الذهبى فى (طبقات الحفاظ) ولقد أصاب وأجاد . اهـ .

ثم قال فى الباب الثالث والعشرين من من (عقود الجمان) إنما قلت الرواية عنه وإن كان متسع الحفظ لاشتغاله بالاستنباط ، وكذلك لم يرو عن مالك والشافعى إلا القليل بالنسبة إلى ما سمعاه للسبب نفسه ، كما قلت رواية أمثال أبى بكر وعمر من كبار الصحابة رضى الله عنهم بالنسبة إلى كثرة اطلاعهم ، وقد كثرت رواية من دونهم بالنسبة إليهم اهـ ، ثم ساق أخباراً تدل على كثرة ما عند أبى حنيفة من الحديث ، ثم أطال النفس فى سرد أسانيده فى رواية مسانيد أبى حنيفة السبعة عشر لجامعيها من أصحابه وغيرهم تدليلا على كثرة حديثه (١) .

رحم الله الإمام الأعظم أبا حنيفة ، وجزاه عن الإسلام وأهله خير الجزاء ؟

منشاوى عثمان عبود

(١) انظر (تأنيب الخطيب) ص ١٥٦ .

الصوم والجهاد

للأستاذ عبد الغفار الباز

تمام الصوم وكماله فيما يتضمنه من غايات ، وما يحمله من معان تكشف للمؤمن عن حقائق ثابتة هى :

١ — تطهير النفس من دنس الحياة وخلوصها إلى الله ، بالتزام العمل بكل ما أمر به الشرع ، واجتناب كل ما حذر منه ونهى عنه، وهذا قمة مقاصده وغاياته؛ جاء فى المأثور عن عمر رضى الله عنه أنه قال :

« ليس الصيام من الطعام والشراب وحده ، ولكن من الكذب والباطل واللغو والحلف » .

فالإمساك عن الطعام والشراب ليس مقصودا فى حد ذاته وإنما فيما يترتب عليه من تهذيب النفس وصونها من الدخول فيما يخدع الناس بالكذب وإلباس الحق بالباطل ، أو لغو اللسان فى حديث ينهش به عروض الناس . أو يشوه به وجه الحق . فيجره ذلك إلى الحلف باليمين الباطل .

وفى الحديث أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم ، (١) ليخبره عن امرأتين صائمتين كادتا تموتان من العطش فجىء بهما إلى الرسول ، فأمرهما أن يقيئا ، فتقايئا قيحا ودما وصديدا ولحما عبطا (طريا) حتى ملأت كل واحدة قدحها . ثم قال عليه الصلاة والسلام .

« إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ماحرم الله عليهما ـ جاست إحداهما إلى الأخرى فجعلتا تأكلان من لحوم الناس » .

ولعلنا ندرك من هذا حكمة الله فى إخفاء جزاء الصائم من قوله تعالى فى حديثه القدسى (٢) :

« كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به »

إذ الصوم سر بين العبد وربه من

(١) راجع نشرة وزارة الأوقاف رقم ٣٠

(٢) راجع تفسير القرطبى ط الشعب ص ٦٥٠ ، وفقه السنة جـ ٣ للشيخ سيد سابق.

حيث غايته المقصودة فى خير ثمار يقدمه العبد بصومه :

عن عبد الله بن عمرو أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (١) « الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ؛ يقول الصيام - أى - رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعنى فيه ، ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعنى فيه فيشفعان » .

وفى الحديث الشريف أيضا « أن فى الجنة بابا يقال له الريان (٢) يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل معهم أحد غيرهم . يقال : أين الصائمون ، فيدخلون منه ، فإذا دخل آخرهم أغلق فلم يدخل منه أحد » .

٢ - والحقيقة الثانية : فيما تضمنه الصوم فى غاياته ومعانيه .. إحساس المرء بآلام الجوع والعطش ، كى لا ينسى السائل والمحروم . والبائس والفقير ، ولهذا كانت الصدقات ، وكانت فريضة الزكاة ؛ وكان ترغيب الإسلام فيهما أمرا جميلا على النفس المؤمنة ، التى أصقلها الصوم وهذب طباعها .

فقال تعالى « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » - (معينة كالزكاة المفروضة . أو غير معينة كالتطوع) (١)

وقال عليه الصلاة والسلام : « من أدى زكاة ماله ذهب عنه شره » .

وكما كان الترغيب فى أداء الصدقة والزكاة كان الترهيب للمانعين عطاءهما .

قال تعالى : « ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم (٢) الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة » .

وقال الرسول عليه الصلاة والسلام « ما من صاحب كنز لا يؤدى زكاته إلا أحمى عليه فى نار جهنم » الحديث .

وقال : « من أتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه - يعنى - شدقيه - ثم يقول : أنا كنزك ، أنا مالك ، ثم تلا هذه الآية « ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله » الآية .

---

(١) راجع نشرة وزارة الأوقاف ٣٠

(٢) راجع فقه السنة جـ ٣

(١) راجع فقه السنة .

(٢) راجع فقه السنة صـ ٣

إن المال رغم شدة النفس على الحرص به يهون عليها الصوم تأديته في مصارف الخير .

وبهذا يكون الصيام قد أدى مفعوله كما يؤدى حقن المريض المعالج إلى تسكين الألم ؛ فيتماثل للشفاء .

٣ — الحقيقة الثالثة :

أن الصوم راحة للبدن ووقاية له من الأمراض ، وحرص لسلامة أجزائه بين وقت وآخر من تخمة المأكل والمشرب ، التى تصيب الجسم بالعطب ؛ فكما يحتاج العامل إلى إجازة يريح فيها نفسه من متاعب العمل تحتاج أجهزة الجسم إلى راحة تستعيد فيها النشاط والقوة .

وإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول[1] :

« صوموا تصحوا » .

فإن الطب الحديث قد أثبت أن للصوم أثرا طيبا على الجسم وغدده وأعضائه وأنه يشفى كثيرا من الأمراض .

ولعل فى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : « المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء » .

إشارة إلى أن الصوم أثر من آثار العلاج .

وفى قوله عليه الصلاة والسلام « ماملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه » بيان أن الإقلال من الطعام راحة للبدن ، ووقاية من التخمة التى قد تودى بالجسم وتفضى به إلى الموت . [١]

٤ — الحقيقة الرابعة :

أن الصوم وثيقة عهد جديد من العبد لربه يروض بها نفسه على الدخول فى محراب الوفاء الدائم لله ؛ لأنه تعالى هو الخالق المنعم الذى وجب على النفس تقواه وعلى القلب شكره وعلى الوجدان صفاء فكره فى أسمى معانيه لله وحده حتى يكون المسلم على معرفة وثيقة بربه .

وصدق الله العظيم القائل « واتقوا الله ويعلمكم الله » .

(١) راجع كتاب الهلال عن شهر رمضان للأستاذ خليل طاهر ص ٧٥ الخ .

(١) راجع أمثال عالمية للأستاذ محمد مصطفى غنيم بجريدة الأخبار يوم ١٥ / ٩ / ٧١ الصفحة الأخيرة .

إن دخول النفس فى محراب الوفاء لله يجعلها قادرة على أن تكف عن المعاصى تقربا إليه .

وبهذا تكون نفس الصائم قد تجردت من شوائب دنيا الناس لتصعد سائحة فى فسيح ملكوت الله ثم تعود وقد تزودت بخير ثمار رغبته .

فأطالت فيه الحديث ما طالت بها الحياة فى دنيا الناس يتلقفه جيل بعد جيل طمعا فيما عند الله وطلبا لمرضاته :

٥ — الحقيقة الخامسة :

مجاهدة الصائم لنفسه ولا يزال معها فى جهاد حتى تتذرع بالصبر ، لتكون على حمل مشقات الحياة أجدر وعلى تحمل مسئوليات الحياة أكفأ .

وهذا هو أول أنواع الجهاد وأعلاه !!

فالجهاد إذا نوعان(١) :

١ — جهاد المرء مع نفسه وهو أكبر أنواع الجهاد وأوله ، ويدخل فيه مصارعة الشيطان ، أشد نصير لجانب الشر فى نفس الإنسان .

وسماه الرسول صلى الله عليه وسلم . بالجهاد الأكبر فقد روى أنه لما رجع من غزوة تبوك ، قال : « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر » .

وهنا يتضح دور الصيام فى تربية النفس وتعويدها الصبر لتكون قادرة على ما هو أشق .

وكما أن الصوم تزكية للبدن فهو تضييق لمسالك الشيطان .

قال صلى الله عليه وسلم نداء للشباب فى مجاهدة النفس :

« يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة(١) (القدرة على الزواج) فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » (أثر طيب فى تهذيب النفس) .

ويقول صلى الله عليه وسلم ناهيا للصائم أن لا يتورط مع نفسه فيحمله جانب الشر فيها على أذى الغير .

« (٢)الصيام جنة — فإذا كان أحدكم صائما ، فلا يرفث ، ولا يجهل ، فإن سابه

(١) راجع الإسلام وتنظيم العلاقات الإنسانية للأستاذ محمد اللافى شرعان من صفحة ١٩٧ الخ .

(١) راجع نشرة وزارة الأوقاف رقم ٣٠

(٢) راجع فقه السنة حـ٣ صـ١٩٤ ، ونشرة وزارة الأوقاف رقم ٣٠

أحد ، أو قاتله (غير معتد على عرض أومال أووطن) فليقل إنى صائم مرتين» .

ويقول عليه الصلاة والسلام . « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » !

إن آداب الصوم التى ربى الصائم بها نفسه وهذب طباعها حتى تذرعت بالصبر . قد ارتقت به من الدرجات الدنيا إلى أعلا درجات الرقى عند الله بإدخالها من باب الريان وعلى هذا يكون الصبر أعم من الصوم .

إذ الصوم نصف الصبر كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبهذا اللون من الجهاد يكون الصائم قد انتصر فى جهاده مع نفسه وحطم فيها جانب الشر وغلب الشيطان فى صراعه معه .

وهذا أول أنواع الجهاد وأرقاه تربية للنفس على الصمود فى صراعها مع الباطل:

٢ — والنوع الثانى من الجهاد هو:(١) جهاد المرء مع الحياة ؛ ويدخل فيه جهاد العدو بأى لون من ألوان العداء :

(أ) فأما جهاد الإنسان مع الحياة فمتعدد اللون نجمله فى أمرين :

١ — الأول: جهاد فى ميدان العيش والبناء والتقدم فى سبيل الله ، حتى يكون المؤمن بهذا الجهاد قوياً فى غير ضعف . مرفوع الرأس فى غير كبر ، عزيزاً غير مهان ، آمناً فى موطنه فى غير وجل أو خوف ، قال عليه الصلاة والسلام : « المؤمن القوى خير وأحب إلى من المؤمن الضعيف » .

وفى سبيل حوافز العمل فى سبيل العيش والبناء ، يقول الله تعالى : « فإذا قضيت الصلاة فانتشرو فى الأرض وابتغوا من فضل الله » .

ويقول عليه الصلاة والسلام «ما كسب رجل كسبا أطيب من عمل يده »(١).

٢ — والأمر الثانى من جهاد الإنسان مع الحياة ؛ تحصيل علم نافع ، فيه تطوير للحياة حيث أراد الله لدنيا الناس أن تكون جميلة فى غير قبح ، فاضلة فى غير دنس .

إذ العلم من أقوى أساحة النصر على صعاب الحياة ، والنصر فى ميدان

(١) راجع الإسلام وتنظيم العلاقات الإنسانية للأستاذ اللافى شرعان ص ١٩٧ الخ

(١) راجع نشرة مجلة الإذاعة والتليفزيون تقديم الدكتور محمد الفحام شيخ الأزهر وراجع كتب السيرة ـ باب العمل .

الكفاح ضد العدو بمختلف أساليبه وتعدد ألوانه .

قال تعالى : « فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً » . أى بما فى القرآن من علم فيه إقامة الحجج ودفع الشبه وحوافز العمل من طريق العلم النافع لصالح البشر .

(ب) أما جهاد العدو : [1]

ويكون باللسان والمال والقلب، وتقدم الحديث عن هذه الثلاثة عند الحديث عن الجهاد بالنفس، وعند الحديث عن الجهاد فى ميدان الحياة من أجل العيش بالعمل والعلم ، وبقى الجهاد باليد ، وهو آخر البذل بكل ما فى الحياة من غال ورخيص، دفاعا عن الحق بكل وسائل القوى ، فى ساحة القتال : دفاعا وهجوما ، زاحفا وراكبا ، شاهراً سلاحه فى يده .

قال تعالى : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير » (سورة الحج) .

وقال تعالى فى سورة البقرة: «وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله » الآية .

وقال فى سورة الأنفال: «وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين » .

إن الجهاد فى سبيل الله أمر مشروع حفاظا على النفس المؤمنة أن تذل أو تهان بعد أن رباها الله بأنواع العبادات ؛ وأشقها تربية النفس بالصوم كما تقدم ومجاهدتها بالتخلص من أدران الحياة الدنيا وشهواتها المغرية .

قال تعالى « فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون ، والله معكم ولن يتركم أعمالكم » .

إن الحيطة من العدو واليقظة له ، بإعداد الجيوش المقاتلة فى سبيل نصرة الحق أمر مقدم وقدر محتوم .

قال تعالى « يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعاً ».

وقال تعالى: « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » .

وإن من القوة ، الثبات فى ميدان الضرب والطعن بالزحف القاتل فى غير

---

(١) راجع الإسلام وتنظيم العلاقات الإنسانية للأستاذ محمد اللافى شرعان باب الجهاد .

إدبار إلا من كان فى تحرفه مستنشقا عبير القوة مجدداً لنوع الزحف .

قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار . . . » الآية .

إن النفس التى رباها الله على موائد عباداته ، لتستعذب الجهاد وتتذوق مرارة القتال ، دفاعا عن حق مغتصب ، أو صوناً لكرامة الدين أو عرض مهتوك أو دم مهدور ، طلباً للشهادة ورغبة فيما عند الله من حسن الجزاء :

قال عليه الصلاة والسلام : « من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد » .

وأى نفس لا تستعذب الجهاد ومرارته . طمعاً فى جنة الله ووقاية من ناره ؟

وقد قال عليه الصلاة والسلام : « حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات ؟

عبد الغفار الباز محمد الباز

بقية المنشور على صفحة ٦٧٨

الدعوة واتساع دار الإسلام . وأن هذا الشكل لم يمنع التبدل العظيم فى طريقة الحياة ووسائلها .

وبقدر بساطة تركيب الحكومة ، وبساطة سيرها ، كانت بساطة عماية القضاء ، فلم تكن له يوم ذاك دار خاصة ، ولا انفرد به قضاة متخصصون متفرغون ، ولا كانت ثمة إجراءات لعرض المنازعة أو نظرها أو الحكم فيها أو تنفيذ هذا الحكم. تلك كانت تعقيدات لا تحتملها هذه الحياة البسيطة. ولو حرص المشرع على تحديد تلك المسائل على نحو ما عرفت الجماعة فيما بعد؛ لبدا ذلك تنظيما غير ذى موضوع يتنزه عنه الشارع الحكيم ويتجافى مع هدى آيات الأحكام الذى ألممنا فيما سبق به : وضع القواعد العامة وبيان عالى الأحكام .

هذا البناء القضائى البسيط فى أوله ، والمتطور مع الزمن بحسب الحاجات ، هو ما نرجو أن نوفق إلى التعرض له بالبيان فى مقالات قادمة إن شاء الله ؟

عمر الفاروق عبد الحليم

فى متعلقات الظرف وشبهه

للأستاذ عباس أبو السعود

لابد أن يتعلق الظرف وشبهه وهو الجار والمجرور بأحد الأشياء الآتية : ـ

١ — الفعل ، كما فى قوله تعالى : « فبشرهم بمغفرة وأجر كريم » ،وقولك: وقفت أمام أبى الهول ساعة ، وقول الحكماء : يستدل على عقل الرجل بقلة مقاله ، وعلى فضله بكثرة احتماله .

وقول الشاعر :

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت
له عن عدو فى ثياب صديق

وقولك : ينزل الغواصون تحت الماء، ليصيدوا ما فيه من در ومرجان .

٢ — ما يشبه الفعل ، كالمصدر ، والمشتقات .

فمن المصدر نحو قوله تعالى « تنزيل من حكيم حميد ».

وقول الشاعر :

وحمدك المرء مالم تبله خطأ
وذمك المرء بعد الحمد تكذيب

وقول آخر :

ما أرى الفضل والتكرم إلا
كفك النفس عن طلاب الفضول

وقول آخر :

إنا لفى زمن ترك القبيح به
من أكثر الناس إحسان وإجمال

ومن اسم الفاعل قولك :

كأنك بالشتاء مقبل ، وأنت هائم تحت السحاب والمطر .

ومن صيغ المبالغة قوله تعالى « إن الله عليم بذات الصدور » وقولك : لى صديق بذال للأموال وقت الشدة

ومن اسم المفعول قوله تعالى « غير المغضوب عليهم » وقولهم : المرء مخبوء تحت لسانه ، وقولك : لا تقس على رجل مصاب فى ماله أو عياله .

ومن الصفة المشبهة قولهم : كان هارون الرشيد فصيحا فى إلقاء حججه ، سديد الرأى فى تدبير الأمور ،وقولهم : لا تكن جزعا عند الشدائد ، وقولك : التاجر الشريف فى معاملاته يقبل الناس على الشراء منه

ومن أسم التفضيل قولك : القاهرة أوسع مدينة فى مصر ، والعمل الطيب أبقى من كل شيء عند الله ، وفى المثل « وعد الكريم ألزم من دين الغريم »
وقول الشاعر :

قالوا رجوت الندى منه بلا سبب
فقلت هل سبب أقوى من الكرم ؟

ومن اسم الآلة قولهم : العشرة محك الأصدقاء فى المعاملة ، والعمل مفتاح السعادة عند من يعقل .

٣ — الاسم الجامد المؤول بما يشبه الفعل كما فى قول الشاعر :

أسد على وفى الحروب نعامة
ربداء تجفل من صفير الصافر

فعلى متعلق بأسد لتأوله بشجاع ، وفى الحروب متعلق بنعامة لتأولها بضعيف وكما فى قولك: فلان حاتم فى قومه وقت الأزمات ، فالظرف وشبهه متعلقان بحاتم لتأوله بكريم ، وقول الشاعر :

وإن لسانى شهدة يشتفى بها
وهو على من صبه الله علقم

فشبه الظرف متعلق بعلقم لتأوله بشديد المرارة ، ومن هذا قوله تعالى « وهو الله فى السموات وفى الأرض » أى هو المسمى بهذا الاسم ، وقوله « وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله » فشبه الظرف متعلق بإله لتأوله بمعبود ، ولا يجوز أن يعرب إله مبتدأ خبره فى السماء كما يتوهم ، لأن الصلة حينئذ تكون خالية من العائد .

٤ — الحرف الذى يشير إلى معنى الفعل ، كما فى قول الشاعر :

فكأنه فى الحسن صورة يوسف
وكأننى فى الحزن قلب أبيه

فشبه الظرف متعلق بكأن ، لأنها تشير فى الشطر الأول إلى معنى يشبه ، وفى الشطر الثانى إلى معنى أشبه ، وكما فى قول كعب بن زهير :

وما سعاد غداة البين إذ رحلوا
إلا أغن (١) غضيض(٢) الطرف مكحول

فالظرف هنا وهو غداة البين متعلق بما، لأنها بمعنى أنفى أو انتفى ، وفى التنزيل « ما أنت بنعمة ربك بمجنون » أى انتفى ذلك وهو كونك مجنونا بنعمة ربك .

---

(١) الأغن : الظبى فى ترنينه غنة ، وهى ترخيم فى صوته من نحو الخياشيم

(٢) غضيض الطرف : فاتره

وقد قال النحاة : إذا جاز لحرف التشبيه أن يعمل فى الحال ، فعمله فى الظرف وشبهه أجدر ، ومثال عمل حرف التشبيه فى الحال قول امرىء القيس

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب(١) والحشف(٢) البالى

فرطبا ويابسا حالان من قلوب ، والعامل فيهما كأن لما فيها من معنى الفعل .

والمعنى : أن العقاب لكثرة ما تصيد من الطير ولا تأكله كله ، ترى قلوب الطير عند وكرها رطبة ويابسة ، وهاهو ذا قد شبه القلوب الرطبة بالعناب ، واليابسة بالحشف .

(١) العناب بالضم : تمر أحمر معروف

(٢) الحشف بفتحتين : أردأ التمر ، وهو الذى يجف قبل أن ينضج

٥ — الفعل المحذوف ، كما فى قوله عز شأنه « وإلى ثمود أخاهم صالحاً » أى وأرسلنا إلى ثمود ، وقوله « فى تسع آيات إلى فرعون وقومه » أى اذهب إلى فرعون وقومه فى تسع آيات ، وقوله « وبالوالدين إحسانا » أى وأحسنوا بالوالدين إحسانا

تنبيه :

الحرف الزائد لا يحتاج إلى متعلق ، لأنه إنما أتى به للتوكيد لا للربط كما فى قوله تعالى : « وكفى بالله شهيدا » وقوله « هل من خالق غير الله »

وقولك : رب رسالة مفيدة كتبتها ، وكذا خلا ، وعدا ، وحاشا فى الاستثناء إذا خفضن ؟

عباس أبو السعود مصطفى

قال الله تعالى :

« الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد » . الزمر : ٢٣

بين الكتب والصحف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

● مشكلة الأفكار فى العالم الإسلامى :

هذه دراسة جديدة للمفكر الجزائرى مالك بن نبى ، نشرتها له فى كتاب ، مكتبة عمار بالقاهرة ، والأستاذ مالك ابن نبى ليس فى حاجة إلى أن نعرف به قراء العربية ، فقد زخرت المكتبة الإسلامية والعربية بعديد من دراساته العميقة التى عالج فيها بأسلوب تحليلى مشكلات الحضارة ، كتبها بالفرنسية وترجمت إلى العربية ، وطبعت عدة طبعات فى القاهرة وبيروت ، وفى مقدمة هذه الدراسات القيمة : الظاهرة القرآنية — وجهة العالم الإسلامى — فكرة كومنولث إسلامى — مشكلة الثقافة — الفكرة الأفروسيوية ـ شروط النهضة ـ إنتاج المستشرقين ، ثم هذه الدرسة التى بين أيدينا « مشكلة الأفكار فى العالم الإسلامى » .

بلغت صفحات هذه الدراسة مائتين وعشرين صفحة ، وهى تقع فى سبعة عشر فصلا ، تناولت : الفراغ الكونى ، الطفل والأفكار ، المجتمع والأفكار ، الحضارة والأفكار ، عالم الأفكار ، الأفكار المطبوعة والموضوعة ، جدلية العالم الثقافى ، جدلية الفكر والشىء ، صراع الفكر والوثن ، صدق الأفكار وفعاليتها ، الأفكار وديناميكا المجتمع ، الأفكار والتطور الثورى ، الأفكار والسياسة ، الأفكار وازدواج اللغة ، الأفكار الميتة والأفكار القاتلة ، ثم انتقام الأفكار المخذولة .

يرى الأستاذ مالك أن هناك طريقتين أساسيتين لملء هذا الفراغ الكونى : إما أن ينظر الإنسان حول قدميه أى نحو الأرض ، وإما أن يرفع بصره نحو السماء والطريقة الأولى تؤدى إلى شغل فراغ الإنسان بأشياء ، أى أن نظرته المتسلطة

تريد أن تستحوذ على أشياء ، بينما الثانية تؤدى إلى شغل هذا الفراغ بالأفكار ، أى أن نظرته المستفسرة ستكون فى بحث دائب عن الحقيقة، ومن هنا ينشأ نموذجان من الثقافة : ثقافة هيمنة ذات جذور فنية ، وثقافة حضارية ذات جذور أخلاقية ، والظاهرة الدينية تتجلى حيث يوجه الإنسان بصره إلى السماء ، ويبدو أن أوربا قد حرمت مع ذلك من هذه الظاهرة الدينية ، وكأن طبيعة الرجل الأوربى الممتلئة بشعور فياض بآدميته لم تترك فيه مكانا للعنصر الدينى ، وعلى نقيض ذلك ، يبدو أن الإنسان المنتمى إلى الجنس السامى مؤهلا للمسائل الميتافيزيقية وأن العنصر الدينى فيه لا يترك إلا مجالا ضيقا للمشاغل الأرضية . .

ونحن نرى أن الإسلام يقف موقفا وسطا بين النقيضين ، فالله أمر المسلم أن يتفكر فى خلق السماء والأرض معا ، وكما يعمر السماء بالأفكار التى هى نتاج العقل ، كذلك يعمر الأرض بالأعمال التى هى نتاج الشطر المادى من تكوين الإنسان ، والإسلام فى موقفه الوسط يفرض على المسلم أن لا يذر ارتباطه بالأرض يطغى على ارتباطه بالسماء ، ولا ارتباطه بالسماء يطغى على ارتباطه بالأرض . .

ويرى الأستاذ مالك أن الفكرة الصادقة ليست دائما فعالة ، والفكرة الفعالة ليست دائما صادقة ، وهذان مظهران مختلفان ، يترتب على الخلط بينهما أحكام خاطئة يزداد خطرها فى تاريخ الأمم حين يصبح هذا الخلط بين أيدى المتخصصين فى الصراع الفكرى أداة لتضليل العقول واغتصاب الضمائر .

ويضرب مثلا بفكرة الدورة الدموية فقد اكتشفها طبيب عربى مسلم هو ابن النفيس ، ولكنها لم تؤد دورها العلمى إلا عن طريق الطبيب الإنجليزى (و. هارفى) بعد ذلك بأربعة قرون ، إن مجموعة الظروف هى التى أجبرتها على الانزواء إلى أن وجدت فرصتها فى مجال التطبيق ، ومعنى ذلك أنها طوال أربعة قرون كانت حقيقة وصادقة ، ولكنها لم تكن فعالة . .

هذا كلام له وزنه ؛ فالفكرة الصادقة إن لم ترتبط بالفعالية ، لا يطعن

هذا فى صدقها ، وكذلك فعالية الفكرة لا تهب لها القداسة ، فكثير من الأفكار الصادقة يفرض عليها الانزواء أمام ضغوط السلطة السياسية وغيرها ، كما أن كثيرا من الأفكار الباطلة، قد يكون لها فعاليتها ، بل وتزدهر هذه الفعالية ربما عبر بضعة قرون ما دامت تجد قوى دافعة لها من سلطة من سياسية أو غيرها، والأمثلة فى التاريخ القديم والحديث أكثر من أن تحصى .

إلا أن هناك حقيقة مقررة هى بمثابة النظرية الرياضية التى لا تقبل المناقشة ، هذه الحقيقة هى أن الفكرة الصادقة مهما اختفت وطال اختفاؤها فلا بد أن تنال حظها من الفعالية ، وعلى العكس ، فإن الفكرة الباطلة مهما ازدهرت وطال ازدهارها فلا بد أن تتعرى يوما وتكشف عن حقيقة بطلانها ، والقرآن الكريم صور ذلك فى أجلى صورة وهو يقول : « كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض كذلك يضرب الله الأمثال »

وبعد ـ فقد كان الأستاذ مالك بن نبى متواضعا حين ذكر فى مقدمة كتابه : أنه لن يقدم دراسة وافية للمشكلة ، بل على العكس ، سيكتفى بمجرد إلقاء الضوء على معالمها وعلى تركيبها الخاص بل وحين قرر فى خاتمة دراسته : أنه إن لم يكن قد حالفه التوفيق فى وضع حل واضح لهذه المشكلة ، فيكفى أنه طوقها بالقدر المطلوب .

وفضلا عن ذلك فإنه لم تكن له غاية سوى فتح نقاش حول هذه المشكلة لم ينته بعد بهذه الصفحات ، لكن الواقع أن الأستاذ مالك قدم دراسة مستفيضة عن المشكلة وأسبابها وأبعادها ، وحسبه أنه حاول أن يبين الصعوبات التى يتخبط فيها المجتمع الإسلامى ، وهو يواجه مشكلاته الحاضرة .

وإن كانت هناك بعض الملاحظات فهى تتلخص فى أن بعض الفصول لم يغطها بالمعطيات الإسلامية كفصل : « الطفل والأفكار » مثلا ، كذلك لم يسلط أضواء كافية على بعض أعلام المفكرين الغربيين الذين استشهد بأفكارهم وأعمالهم ، حتى لتكاد تحس بأن الدراسة موجهة للبيئة الأوربية التى بلغت

شأوا من الثقافة الحضارية ، كذلك وقعت بعض الأخطاء اللغوية ، ومن الممكن التجاوز عن الأخطاء التى وقعت فى صلب الدراسة ، لكن من غير المعقول التجاوز عن خطأ فى كلمات الإهداء وهى بخط المؤلف مثل الجوهرات (الثلاثة) وهى الثلاث، ومثل (ليأنسن) أيامى الأخيرة ، وهى (ليؤنسن) .

● ما الدبلوماسية ؟

هذا كتيب صدر للدكتور عز الدين فودة ، ضمن المكتبة الثقافية التى تصدرها الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر بالقاهرة .

بدأ المؤلف دراسته الموجزة بالتعريف بالدبلوماسية : تطور المعنى الاصطلاحى لكلمة دبلوماسية اليونانية الأصل ، التى انتقلت إلى اللاتينية ومنها إلى اللغات الأوربية الحية ، ثم إلى اللغة العربية لتعنى مفهومها الاصطلاحى الحديث، ثم عرض لنشأة الأسلوب الدبلوماسى فى المجتمعات القديمة فالدبلوماسية سلوك اجتماعى فطرى عرف فى محيط القبيلة قديما ، ثم نشأ من التمثيل الدبلوماسى بين القبائل والجماعات البشرية ، ثم عرض فى الفصل الثالث للدبلوماسية والحرب وهما أداتان للسياسة الخارجية، ثم دور الدبلوماسية فى الحرب الحديثة وفى مجال الحياد ، وفى الفصل الرابع عرض للدبلوماسية والعلاقات الدولية الحديثة حيث أدت دورها فى إقامة القواعد القانونية ، وفى الفصل الخامس والأخير عرض لاختصاصات الممثل الدبلوماسى الذى ليس لمهمته حدود واضحة ، ولكنها متشعبة واسعة تتصل بجميع المسائل المشتركة بين الدول التى تمثلها والدولة التى هو ممثل لديها .

الحقيقة أن هذه الدراسة ممتعة برغم إيجازها ، وكل ما يهمنا إزاء التعليق عليها هو أننا دائما نتطلع إلى مكان الأفكار الإسلامية فى مثل هذه الدراسات الموضوعية الجادة، فقد تجاهل عن - غير عمد - الدبلوماسية الإسلامية وهو يعرض لنشأة الدبلوماسية فى العصور السابقة مع أن الدبلوماسية نشأت مع الإسلام حين قامت دولته المتكاملة فى المدينة بعد الهجرة ولم تكن رسائل الرسول صلوات الله عليه إلى الأباطرة والملوك إلا عملا دبلوماسيا فى مفهوم الدبلوماسية الحديثة والمراجع فى مجال الدبلوماسية الإسلامية

كثيرة: القديم منها: كالأحكام السلطانية الماوردي: والحديثة مثل الوثائق التاريخية في عهد النبوة والخلافة الراشدة للدكتور محمد حميد الله، الأستاذ المحاضر بجامعة السوربون، وبجامعتي أنقرة واسطنبول والفقه السياسي عند المسلمين للمرحوم الدكتور محمود فياض. صحيح أن المؤلف عندما عرض لتعريف الدبلوماسية ذكر تعريف معاوية «لو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت» إلى جانب تعريفات سانو الدبلوماسي البريطاني، ودي مارتينس الفقيه الدولي، ومانيكار السفير الهندي وزورين الدبلوماسي السوفيتي وغيرهم لكن كنا نود أن يكون للفكر الإسلامي مكانه في صميم الدراسة الموضوعية التي هي جديرة بكل تقدير.

● مشكلة لا حل لها:

نشرت جريدة الأهرام في عددها الصادر في ١٩٧١/٩/٧ تحقيقا عن مشكلة السينما مع مدير المؤسسة الأستاذ عبد الحميد جودة السحار؛ واتضح من التحقيق أن مؤسسة السينما تخسر سنويا نصف مليون من الجنيهات؛ وشيء طبيعي أن يدافع مدير المؤسسة عن هذا الانهيار بمنطق اقتصادي؛ استطاع به أن يجد أكثر من مبرر لهذه الخسارة الفادحة؛ فالعمالة زائدة عن حاجتها في المؤسسة؛ والضرائب تستولي على ٤٢ ٪. من الإيراد لا الربح كسائر المؤسسات التجارية؛ لكن الشيء غير الطبيعي أن يقنع أحد بأن هناك أدنى فائدة تعود على الشعب لقاء هذه الخسارة؛ ومعظم الأفلام تحت مستوى الهبوط وتأثيرها السيء على المستوى الأخلاقي لدى الشباب؛ لا يستطيع أن ينكره مدير مؤسسة السينما؛ إن فيلم «أبي فوق الشجرة» ضرب رقما قياسيا في الإيراد؛ وليس هذا راجعا إلى القيمة الفنية قصة وتمثيلا وتصويرا وإخراجا بل لأن إعلانات الفيلم كانت تشير إلى أن الفيلم يتضمن خمسين قبلة بين البطل والبطلة، مما حدا بمثل مطرب آخر إلى إنتاج فيلم مع نفس بطلة فيلم «أبي فوق الشجرة» وذكرت الإعلانات أن الفيلم يتضمن خمسا وخمسين قبلة..

لقد ذكر التحقيق الصحفي الذي قامت به جريدة الأهرام أن مدير المؤسسة

قال أمام النيابة الإدارية وهى تحقق فى الخسارة : « من كان منهم - يعنى المسئولين - بلا خطيئة فليرمنى بحجر » ، ولا نظن أن مثل هـذا المنطق الدفاعى يعفيـه من المسئوليـة عن خسارة نصف مليون جنيه سنويا ، ومصر فى ظروف حرب تحتاج إلى كل جنيه من الجنيهات الخمسمائة المبجلة .

● قراءات :

قال الإمام الغزالى رضى الله عنه :

الصوم ثلاث درجات : صوم العموم ، وصوم الخصوص ، وصوم خصوص الخصوص .

أما صوم العموم .. فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة .

وأما صوم الخصوص .. فهو كف السمع والبصر واللسان ، واليد والرجل ، وسائر الجوارح عن الآثام ..

وأما صوم خصوص الخصوص .. فصوم القلب عن اللمم الدنية ، والأفكار الدنيـوية . . وكفه عما سوى الله عز وجل بالـكلية ؟

محمد عبد الله السمان

« دعاء »

إلهى بعفـوك كلـى رجاء
فقلبى وروحى لربى فـداء
وأنت الغفور بديع الحيـاة
ولست لفضلك إلا وعـاء
لسانى يقـول وقلبى مشـول
وعقلى يجـول فهبنى الرجاء

محمد شعبان على

باب الفتوى

يقدمه الأستاذ : محمد أبو شادى

من أحكام الصيام والزكاة

السؤال : من السيد / فريد حلاوة

هل يجوز صوم يوم الشك ؟ .

الجواب : صوم يوم الشك معصية لقول عمار بن ياسر «من صام اليوم الذى يشك فيه فقد عصى أبا القاسم « محمدا صلى الله عليه وسلم » رواه أصحاب السنن الأربعة وصححه الترمذى ولكن لا بأس من صيامه إذا كان مسبوقا بصوم عدة أيام قبله وكان له عادة صوم يوم فوقع الشك فيه لما رواه أبو هريرة رضى الله عنه قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتقدمن أحدكم رمضان بصوم يوم أو يومين إلا أن يكون رجلا كان يصوم صياما فليصمه » رواه البخارى ومسلم وأحمد وأصحاب السنن الأربعة .

ومن السائل أيضا : هل هناك دليل على تبييت النية فى رمضان ؟ .

الجواب : روت حفصة زوج النبى صلى الله عليه وسلم عنه أنه قال « من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له » رواه أحمد وأبو داود والنسائى وابن ماجه والترمذى ، ومعنى من لم يجمع أى من لم يعزم على الصيام فينويه ليلا .

ومنه أيضا : هل يجب الصوم على الصبى؟

الجواب : لا يجب الصوم على الصبى إلا إذا احتلم ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « رفع القلم عن ثلاث عن المجنون حتى يفيق وعن النائم حتى يستيقظ وعن الصبى حتى يحتلم » رواه أحمد وأبو داود والترمذى .

ولكن يحسن تدريب الصبيان على الصيام فقد ورد عن الربيع بنت معوذ قالت أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار التى حول

المدينة من كان أصبح صائما فليتم صومه ومن كان أصبح مفطرا فليتم بقية يومه فكنا بعد ذلك نصومه ونصومه صبياننا الصغار منهم، ونذهب إلى المسجد فنجعل لهم اللعبة من العهن فإذا بكى أحدهم من الطعام أعطيناها إياه حتى يكون عند الإفطار، رواه البخارى ومسلم.

ومن الحاج / على درويش

ما حكم من تعمد الأكل أو الشراب بعد طلوع الفجر إلى الغروب وهو ذاكر لصيامه ؟

الجواب : حكمه أنه فسد صومه ولزمه القضاء يوما بيوم وعليه الاستغفار لذنبه من تعمد مخالفة الله.

من السائل أيضا ما حكم من غلبه القيء أو تعمده ؟.

الجواب : من استقاء فقد أفطر وعليه القضاء، فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من استقاء عمدا فليقض » وعنه أيضا أنه قال « من ذرعه القيء (أى غلبه) وهو صائم فليس عليه قضاء ».

ومن السيد / محمد عوض عطيه عوض

هل الكحل يفسد الصيام ؟

الجواب : الاكتحال لا يفسد الصوم فقد ورد عن عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم اكتحل فى رمضان وهو صائم رواه ابن ماجه.

ويسرى هذا الحكم على ما يستقطر فى نهار رمضان سواء أكان فى العين أو الأذن أو الأنف.

ومثل ذلك غبار الطريق والطحين، ولا بأس بالفتيل يستدخل بالدواء فى جوف الصائم، ولا بأس بالحقنة فى الوريد أو تحت الجلد.

وقد قال أبو محمد بن حزم فى توجيه هذه الأحكام : « إنما نهانا الله تعالى فى الصوم عن الأكل وعن الشرب وعن الجماع وتعمد القيء والمعاصى وما علمنا أكلا ولا شربا يكون على دبر أو أحليل أو أذن أو عين أو أنف أو من جرح فى البطن أو الرأس وما نهينا قط عن أن نوصل إلى الجوف بغير الأكل والشرب مالم يحرم علينا إيصاله.

من السيد / عبد الحميد اسماعيل موسى

ما هى الأعذار التى تبيح الفطر فى رمضان ؟

الجواب: يباح الفطر للمسافر والمريض على أن يقضى كل منهما أياما فى غير رمضان بعدد ما أفطر .

قال تعالى « فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر » .

والفطر رخصة للمسافر إن أخذ بها فحسن وإلا فلا جناح عليه ، ويستوى فى ذلك المسافر على قدميه وعلى دابة وعلى قاطرة أو سيارة أوطائرة لأن الله لم يعين وسيلة بعينها للسفر .

وللحامل والمرضع أن تفطرا وعليهما القضاء بعد زوال عارض الحمل والإرضاع كالمسافر، وقد ورد عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله وضع عن المسافر شطر الصلاة وعن المسافر والمرضع والحبلى الصوم رواه أحمد والترمذى وأبو داود والنسائى وابن ماجه .

من السيد / جابر شحاته عثمان

ما حكم من عجز عن الصيام لشيخوخته ؟

الجواب : اختلف العلماء فى ذلك ، فمنهم من قال يفطر ولا فدية عليه ؛ لأنه لا يطيق الصوم لكبره والله تعالى يقول « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » وإذن فهو غير مكلف أن يصوم ، وبناء عليه لا تلزمه فدية طعام مسكين عن كل يوم يفطره ، ومن القائلين بذلك الإمام مالك والإمام الشافعى فى أحد قوليه وأبو ثور وداود وابن حزم .

ومنهم من أوجب الفدية لقوله تعالى « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين» فقد روى عن ابن عباس ، أن الآية الكريمة خاصة بالشيخ الكبير وكذلك المرأة الكبيرة وهذا مذهب الجمهور .

من السيد / الشحات محمد أبو كريت

ما حكم صدقة الفطر وما مقاديرها بالكيل المصرى على جميع المذاهب وما هو أصل الخلاف بين الفقهاء ؟

الجواب : هى واجبة على الرجال والنساء الصغير منهم والكبير، يقول النبى صلى الله عليه وسلم أدوا صاعاً من بر أو قمح أو صاعا من تمر أو شعير عن كل حرا أو عبد صغيرا كان أوكبيرا وتخرج من غالب قوت البلد .

وعند الحنفية : إن كان المخرج منه قمحا فيجب نصف صاع عن الفرد الواحد ، ويقدر الصاع بالكيل المصرى بقدحين وثلث فالواجب من القمح قدح وسدس

عن كل فرد ، وعلى هذا فالكيلة المصرية تكفى سبعة أفراد إذا زيد عليها سدس قدح ، والواجب من غير القمح كالشعير والذرة وغيرهما صاع كامل ، وعلى هذا فالكيلة المصرية تجزىء عن ثلاثة ويبقى منها قدح مصرى .

والشافعية قالوا : إن القدر الواجب عن كل فرد صاع (وهو قدحان بالكيل المصرى) من غالب قوت المخرج عنه فالكيلة تجزىء عن أربعة فقط .

والمالكية قالوا : إن القدر الواجب عن الفرد صاع وهو قدح وثلث فالكيلة المصرية تجزىء عن ستة أفراد ، ومرجع الخلاف بين هؤلاء الفقهاء هو مقدار الصاع وقد ذكرناه .

ومن السائل نفسه : هل يجوز إخراج زكاة الفطر نقوداً ؟

نعم يجوز ذلك على مذهب الإمام أبى حنيفة النعمان بل هو أفضل لأنه أكثر نفعاً للفقراء .

من السيد / حسن موسى عثمان

ما وقت إخراجها ؟

(ج) يندب إخراجها بعد فجر يوم العيد وقبل الخروج للصلاة ، ويجوز إخراجها قبل العيد بيوم أو يومين ويجوز إخراجها من أول شهر رمضان فى أى يوم شاء على رأى الإمام الشافعى .

من السائل : هل زكاة الخادم على نفسه أو على مخدومه ؟

(ج) زكاة الخادم على نفسه إن كان له أجر فإن لم يكن له أجر فزكاته على مخدومه والله أعلم .

محمد أبو شادى

فى الحديث القدسى أن الله تعالى قال :

« كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به » .

أنباء وآراء

● اختيار رئيس دولة الاتحاد :

تم فى ليلة النصف من شعبان ١٣٩١ اختيار الرئيس محمد أنور السادات أول رئيس لدولة الاتحاد وإنه لاختيار موفق فى ليلة مباركة توحد فيها اتجاه المسلمين جميعا إلى البيت الحرام قبلة صلاة ومناط رجاء .

وإنا لندعو الله سبحانه أن يجعل هذا الاتحاد نواة وحدة للعرب تعز الإسلام وتبنى وحدة الأمة الإسلامية وتجمع أمرها فى إرادة صلبة وسيادة حرة تعيد مجد الإسلام والمسلمين .

● العربية فى « الجزائر » :

تبدأ الجزائر عامها الدراسى الحالى ، واللغة العربية لغة التعليم الوطنى فى جميع مراحله وفروعه ، كذلك تصير لغة الإدارة فى جميع الإجراءات الرسمية .

كانت حكومة الجزائر قد أصدرت قرارا بذلك فى ٢٩ / ٦ / ١٩٧١

● ماذا بعد شتاينر ؟

سجلت محاضر محاكمة « شتاينر » العميل الألمانى المرتزق الذى كان يقوم بنشاط انفصالى فى جنوب السودان — دور مراكز التبشير العالمية والحكومات الاستعمارية متعاونتين فى العمل ضد الإسلام ، وليس بعد اعتراف شتاينر نفسه دليل على ما تقوم به الإرساليات التبشيرية من عمل إجرامى ضد الإسلام والمسلمين .

● فقيد العالم الإسلامى :

فقدت الأمة الإسلامية عالما جليلا هو فضيلة الشيخ محمد نور الحسن وكيل الأزهر الأسبق وعضو مجمع البحوث الإسلامية ، ومشيخة الأزهر ومجمع البحوث إذ ينعيان إلى العالم الإسلامى ، والأمة العربية هذا العالم الجليل إنما يردان له بعض الذى يستحقه من تقدير لخدماته الجليلة وآثاره الطيبة فى محيط

المجتمع الإسلامى . تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جناته .

● مؤتمر الأدباء الثامن :

ينعقد مؤتمر الأدباء العرب الثامن فى دمشق ، ويستغرق الفترة من ٢٤ إلى ٢٧من شوال الموافق١٢إلى١٥/١٢/١٩٧١ سيمثل كل دولة ثمانية من أدبائها وشعرائها

● « رب زدنى علما » :

عنوان جليل لبرنامج جديد على الشاشة الصغيرة .

وهو مسابقة علمية فى الثقافة الإسلامية والفكر الدينى ، يعده الدكتور كامل البوهى الإذاعى المعروف .

ويسر (مجلة الأزهر) أن تسهم فى جوائز هذه المسابقة العلمية ، وتشجيع هذا البرنامج الممتاز .

● الهيئة العامة للدعوة الإسلامية بليبيا

أصدر مجلس قيادة الثورة الليبى قانونا بإنشاء الهيئة العامة للدعوة الإسلامية ، نص القانون على أن تتبع الهيئة مجلس قيادة الثورة ، ويكون مقرها طرابلس ، وخولها صلاحية إنشاء فروع لها فى الدول الإسلامية .

ومن أهم واجبات الهيئة — الواردة فى القانون التأسيسى — العمل الجاد على نشر الدعوة الإسلامية بجميع الوسائل وتنفيذ قرارات مؤتمرات الدعوة الإسلامية .

● صورة الأرض للشريف الإدريسى

نشرت نقابة المهندسين العراقية خريطة نادرة للأرض من تصوير الشريف الإدريسى ، وظهرت فى طبعة ملونة طبيعيا وساعدها فى النشر مؤسسة كولبنكيان .

كان المستشرق كونراد ملر قد جمع أجزاءها المتفرقة ، وأعادها إلى أصلها العربى محققة ومحررة محمد بهجت الأثرى ودكتور جواد على عضوا المجمع العلمى العراقى ، ورجعا فى تحقيقها وتصحيحها إلى خمس نسخ مصورة من كتاب (نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق) للإدريسى وطائفة من كتب العرب الجغرافية ووضعاما استدركاه على المستشرق المذكور بين معكوفين ( ) واختلاف نسخ الكتاب عما دونه بين قوسين « » صغيرين ؟

على الخطيب

strikes the imagination of the reader of a manual on Islamic law is that this law seeks to regulate the entire field of human life, in its material aspect as well as the spiritual one. Such manuals begin usually with the rites and practices of cult, and discuss under this rubric also the constitutional question of sovereignity, since the imam, i. e. the head of the State is ex-officio leader of the service of worship in the mosque. One should not therefore be astonished that this part of law books deals also with the subject of the payment of taxes; since the Quran has often spoken of worship and the zakat-tax in the same breath, worship being bodily worship and tax the worship of God by means of money.

Thereafter the law manual discusses contractual relations of all sorts; then the crimes penalties, which include laws of war and peace with foeign countries, i. e. international law and diplomacy also; and finally the rules governing heritage and wills. Man is composed both of body and soul; and if government with the enormous resources at its disposal attends exclusively to material affairs, the spirit would be famished, being left on its own private resources, very meagre in comparsion with those available in temporal affairs The unequal develópments of body and soul will lead to lack of equilibrium in man, the consequences of which will in the long run be disastrous to civilization. This treatment of the whole, both of body and soul, does not imply that the uninitiated should adventure in the domain of religion, even as a poet, for instance, should not be allowed to perform surgical operattions; every branch of human activity must have its own specialists and experts.

(to be continued)

already occapied the countries that lay in between. This written constitution, prepared by the Muhammad, comprising 52 clauses, has come down to us in toto (cf. Ibn Hisham, for instance). It treats with a variety of questions, such as the respective rights and duties of the ruler and ruled, legislation, administration of justice, organization of defence, treatment of non-Muslim subjects, social insurance on the basis of mutuality, and other requirement of that age. The Act dates from 622 of the Christian era, i. e, the first year of the Hijrah.

UNIVERSAL INTERNATIONAL LAW

304 – War, which unfortunately has always been very frequent among the members of the human family, is a time when one is least disposed to behave reasonably and do justice against one's own self, and in favour of one's adversary. As it is really a question of life and death, and struggle of very existence, in which the least mistake or error would lead to dangerous consequences, the sovereigns and heads of State have always claimed the privilege to decide, at their discretion, the measures they take in regard to the enemy. The science relating to such behaviour of independent sovereigns has existed from very old times; but it formed part of politics and mere discretion, at the most guided by experience. The Muslims seem to have been the first to separate this science of public international law from the changing whims and fancies of the rulers of the States, and to place it on a purely legal basis. Moreover, it is they who have left to posterity the oldest extant works on internatianal law, developed as an independent science. Among authors of such treatises, we find names of such eminent personalities as Abu Hanifah, Malik, al-Auza'i, Abu Yousef, Muhammad ash-Shaibani, Zufar, al-Waqidi, etc. They all called the subject siyar (conduct, i e, of the sovereign).

Further, in the ordinary codes of law - the oldest extant work hails from Zaid ibn 'Ali who died in 120 or 122 H, and also by every subsequent author - one speaks of this subject as forming part of the law of the land. In fact one speaks of it immediately after the question of highway robbery, as if war could be justified for the same reason as police action against highwaymen. The result is that belligerents have both rights and obligations, cognizable by Muslim courts

GENERAL CHARACTERISTIC OF MUSLIM LAW CODES

305 – The first thing which

conduct. This science called ever since Usul al-Fiqh among the Muslims, treats simultaneously with the philosophy of law, sources of rules, and principles of legislation, interpretation and application of legal texts. These, latter, i. e., laws and rules are called furu' (branches) of this tree. Apparently these authors were inspired in the choice of the terms by the Quranic verse (14/24-25) : " the example of a goodly word is like a goodly tree : Its roots set firm, its branches reaching into heaven ', giving its fruit at every season by permission of its Lord."

INTENTION IN ACT

302 – Among the novelites in the domain of fundamental notions of law, may be pointed out the importance given to the conception of motive and intention (niyah) in acts. This notion is based on the celebrated saying of the Prophet of Islam (d. 632 after Christ) : " The acts are not (to be judged) except by motives." Ever since an intentional tort or crime, and one caused involuntarily, have not been treated alike by Muslim tribunals.

WRITTEN CONSTITUTION OF STATE

303 – It is interesting as well as inspiring to note that the very first revelation (Quran 96/1 - 5) received by the Prophet of Islam, who was an unlettered person himself, was the praise of pen as a means of learning unknown things, and as a grace of God. It is not surprising that, when the Prophet Muhammad endowed his people with a statal organism, created out of nothing, he promulgated a written constitution for this State, which was a City-State at first, but only ten years later, at the moment of the demise of its founder, extended over the whole of the big Arabian Peninsula, and the southern portions of Iraq and Palestine. (1) After another fifteen years, during the caliphate of Uthman, there was an astonishing penetration of Muslim armies to Andalusia (Spain) on the one hand, and the Chinese Turkistan (2) on the other, they having

(1) Among those who received invitation of the Prophet Muhammad to embrace Islam, there is also the King of Samawah, in Iraq. As to Palestine, the campaign of Tobuk attached Ailah, Jarba and Adhurh to the Islamic territory.

(2) For the conquest of part of Spain in the year 27H., cf. Tabbari, Baladhuri, etc and for that of Transoxiana or Chinese Turkistan in the same year, see Baladhuri, which fact is corroborated by Chinese historians also.

word, that it does not hesitate (8/72) to give it preference over the material interest of the Muslim community. It teaches us the Islamic law of neutrality even in the case of religious persecution, in the following terms : " . . . with regard to those who believe (in Islam) but do not immigrate) into Islamic territory), ye have no duty to protect them till they immigrate : but if they seek help from you in the name of religion then it is your duty to help (them) except against a folk between whom and you there is a treaty of peace (mithaq) : and God is Seer of what ye do."

CONCLUSION

299 – To sum up, Islam seeks to establish a world community, with complete equality among peoples, without distinction of race, class, or country. It seeks to convert by persuasion, allowing no compulsion in religious beliefs, every individual being personally responsible to God. To Islam, government signifies a trust, a service, in which the functionaries are the servant of the people. According to the Islam, it is the duty of every individual to make a constant effort for spreading the good and prevent evil ; and God judges us according to our acts and intentions.

THE JUDICIAL SYSTEM OF ISLAM

SPECIAL CONTRIBUTION OF MUSLIMS

Law exists in human society from time immemorial. Every race, every region, and every group of men has made some contribution in this sphere. The contribution made by muslims is as rich as it is worthy and valuble.

SCIENCE OF LAW

301 – The ancients have all had their particular laws, yet a science of law, abstract in existence and distinct from laws and codes, does not seem to have ever been thought of before Shaf'i (1) (150 - 204 H./ 767-820). The work of this jurist, Risalah designates this science under the expressive nam of usul al-fiqh " Roots of Law, " from which shoot the branches of the rules of human

(1) He died in 204 H/820). He has had some predecessors, such as Abu Hanifah (d. 767) with his Kitab ar-Ra'y (i. e. on the Juridical opinion), and this latter's two pupils Muhammad as - Shaibani and Abu Yousuf each of whom with a Kitab Usul al-fiqh (i. e. on the Roots of Law) Yet none of them has come dawn to us, in order to judge them on the basis of their contents.

head of the State, who is as much subject to the jurisdiction of the courts as any other iuhabitant of the country. If the head of the Muslim State does not enjoy such privileges (of injustice, remnant of class discriminations) in his own country, one should not expect them in favour of foreign sovereigns and ambassadors. All regard, appropriate to their quality as guest and their diginity, is paid to them, yet they are not held to be above law and justice.

295 – Several cases of classical times bring to relief another peculiar feature of Islamic justice. Hostages were exchanged to guarantee the faithful execution of treaties, stipulating expressly that if one of the contracting parties should murder the hostages furnished by the other party, this latter would have the right to be avenged on the hostages in its hands. Cases of this kind happened in the time of caliph Mu'awiyah and al - Mansur, and the Muslim jurists unanimously observed that the enemy hostages could not be put to death, because the perfidy and treachery was employed by their ruler and not by these hostages in person; and the Quran (16/64, 55/38 etc) forbids formally vicarious punishment and inflicting reprisals on one for the crime of anther.

296 – The Muslim law of war is humane. It makes a distinction between belligerents and combatants: it does not permit the killing of minors, wemon, the very old, sick, and monks; debts in favour of the citizens of the enemy country are not touched by the declaration of war; or killing or devastation beyond the strict indispensable minimum is forbidden; prisoners are well treated, and their acts of belligerency are not concidered as crimes. In order to diminish the temptation of the conquering soldiers, booty does not go to the one who seizes it, but to the government which centralizes all spoils and redistributes them, fourfifth going to the participants of the expedition one – fifth to the government coffers; the share of a soldier and of the commander - in-chief are alike and equal.

297 – In a interesting passage (47/35), the Quran enjoins peace and says: "do not falter, and cry for peace when ye are the uppermost: God is with you and He well not forget your (praiseworthy) actions." It reverts to it again (8/61) and Says: "If they incline to peace, then incline to that and have confidence in God." So did the Prophet on the conquest of Mecca, and told its inhabitants: "Go you are freed."

298 – The Quran attaches so great an importance to the given

293 – The question of jurisdiction has also certain peculiarities. Foreigners residing in the Islamic territory are subjected to Muslim jurisdiction, but not to Muslim law, because Islam tolerates on its territory a multiplicity of laws, with autonomous judiciary for each community. A stranger would belong therefore to the jurisdiction of his own confessional tribunal. If he is a Chritian, Jew, or anything else, and if the other party to the litigation is also of the same confession – no matter whether this other party is a subject of the Muslim State or a stranger – the case is decided by the confessional court according to its own laws Generally no distinction is made between civil and criminal cases with respect to this jurisdiction. As for cases where the litigants belong to different communities, the question has already been discussed above, However, it is always permissible under Muslim law (cf Quran 5/42-50) for a non-Muslim to renounce this privilege and go before the Islamic tribunal, provided both parties to the suit agree. In such an eventuality, the Islamic law is applied. It is permissible for the Muslim judge to apply even foreign law, personal law of the parties to the case, as is evident from the practice of the Prophet; Two Jews, guilty of adultery, were brought by their coreligionists, and the Prophet caused to bring the Bible (Book of Levites) and administered Jewish law to them, as is reported by Bukhari. It may be mentioned by the way that the concern for legality has forced the Muslim jurists to admit that if a crime is committed, even against a Muslim, who is the subject of the Muslim State, by a foreigner in a foreign country, and this foreigner later comes peacefully to the Muslim territory, he will not be tried by the Islamic tribunals, which are not competent to hear a case that had taken place outside the territory of their jurisdiction. Muslim jurists are unanimous on the point. Muhammad ash-Shaibani, pupil of Abu Hanifah, has recorded even a saying of the Prophet in support of this law : " Atiyah Ibn Qais al-Kilabi relates that the Prophet has said : If a man takes refuge in enemy country after having committed murder, immorality or theft, and later returns after obtaining the safe-conduct, he would still be judged for what he fled from ; but if he has committed murder, illicit sexual intercourse or theft in the enemy territory and later came on a safe-conduct, no punishment would be inflicted on him for what he had committed in the enemy territory". (Sarakshi, Sharh as-Siyar al-Kabir, Iv 108).

294 – Islamic law does not admit exemptions in favour of the

discretion and arbitrary rule, changing with the whims and fancies of individual commanders and ages. The Jewish law asserted (Deauteronomy 20)16, I Samuel 15/3) that God had ordained the extermination of the Amalecites ('Amaliqah, Arab inhabitants of Palestine); and that the rest of the world might be allowed to live on payment of tribute to and as servants of the Jews. Until 1856, the Westerners reserved the application of international law to Christian peoples ; and since then they made a distinction between the civilized and non-civilized peoples, the latter having still no rights. In the history of International law, Muslims have been the first and so far also the only-to admit [the right of foreigners without any discrimination or reserve both during war and peace.

289 – The first Muslim State was founded and governed by the Prophet. It was the city-state of Madinah, a confederacy of autonomous villages, inhabited by Muslims Jews, pagan Arabs, and possibly a handful of Christians. The very nature of this State demanded a religious tolerance, which was formally recognized in the constitution of this State, which document has come down to us, The first treaties of defensive alliance were concluded with non-Muslim, and were always scrupulously observed. The Quran insists in the strongest of terms on the obligation of fulfilling promises and on being just in this respect (otherwise imposing punishment in the Hereafter).

290 – The different sources of the rules of international conduct comprise not only internal legislation, but also treaties with foreigners, etc.

291 – The jurists have so greatly insisted on the importance of the given word, that they say that, if a foreigner obtains permission and comes to the Islamic territory, for a fixed period, and if in the meanwhile war breaks out between the Muslim government and that of the said foreigner, the security of the latter would not be affected : he may stay in tranquility until the expiration of his visa of sojoun ; and not only may he return home in all sofety and security ; but also take with him all his goods and gains. Moreover during the sojourn he would enjoy the protection of the courts even as before the outbreak of the war.

292 – The person of the ambassador is considered immune from all violation, even if he brings a most unpleasant message. He enjoys his liberty of creed, and security of sojourn and return.

goes to a higher official, even to the head of the State who also leads the service of worship in the public mosques of their locality or street and is accessible to every commoner.

FOREIGN POLICY

286 – The relations with foreign countries are based on what is called international law. The rules of conduct in this domain have had an evolution very much slower than those of the mutual behaviour inside a social group. In pre-Islamic antiquity, international law had no independant existence : it formed part of politics and was dependent on the will and pleasure of the head of the State. Few were the rights recognized for foreign friends, still less for enemies.

287 – We may bring into relief the historic fact, that it was the Muslims who not only developed international law, the first in the world, as a distinct discipline, but also made it from part of law (instead of politics). They composed special monographs on the subject, under the name of siyar (conduct, i. e, of the ruler), and they also spoke of it in the general treatises of law. To the very first originators of these studies (of the early second century of the Hijrah / 8th century of the Christian era), the question of war formed part of penal law. So, after discussing brigandage and highway robbery of the local people, the jurists logically spoke of similar activities by foreigners, demanding a greater mobilization of the forces of order. But the very inclusion of war under the heading of penal law means unequivocally that it had to do with legal matters, in which the accused had the right of defending himself before a judicial tribunal.

288 – The basic principle of the system of interational relations in Islam, in the words of jurists, is that "the Muslims and non-Muslims are equal (sawa') in respect of the sufferings of this world." In ancient times, the Greeks, for instance, had the conception that there was an international law which regulated the relations amongst only the Greek city-states; as for the Barbarians i. e. non-Greeks, nature had intended them, as was said by Aristotle, to be the slaves of the Greeks. Therefore it was an abritrary conduct, and no law, which was the rule with regard to relations with them. The ancient Hindus had a similar notion, and the dogma of the division of humanity into castes together with the notion of untouchability rendered the fate of the defeated still more precarious The Romans recognized a few rights in respect of foreign friends; yet for the rest of the world there was nothing but

king remain as much subjuct to the Divine law as the cult and the prophet. The source of authority and and codes of law remain the same; only the application of law and the execution of necessary dispositions relate to different persons. It is more a question of specialization than a divorce between the two aspects of life.

CONSULTATIVE DELIBERATIONS

283 – The importance and utility of consultation cannot be too greatly emphasized. The Quran (3/159, 27/32, 42/38) commands the Muslims again and again to take their decisions after consultation, whether in a public matter or a private one. The practice of the Prophet has reinforced this disposition. For, in spite of the exceptional quality of his being guided by the Divine revelations, the Prophet Muhammad always consulted his companions and the representatives of the tribes of his adherents, before taking decision. The first caliphs were not less ardent defenders of the consultative institutions.

284 – In this respect also, the Quran does not prescribe hard and fast methods The number, the form of election, the duration of representation, etc., are left to the discretion of the leaders of every age and every country. What is important is that one should be surrounded by representative personalities, enjoying the confidence of those whom they represent and possessing integrity of character.

285 – The Quran has also spoken of a kind of proportionate representation, while describing the selection of 70 representatives from among his people by Moses, to be received in the presence of God (cf. Q 7/155). Further (in 7/160) one may discern even a sort of proportionate representation, since twelve springs of water were alloted to as many tribes accompanying Moses in the desert. Any how we know that the aim of all representation, selected or elected is that the government should always remain in touch with public opinion. This aim is relalized in Islam in a perfect manner through the institution of the congregational sevices of worship. So five times every day and even on Friday which is the weekly holiday – every Muslim, man and woman, has to gather in the mosque of the street or locality where he resides (or otherwise present), and it is the highest government officeial of the locality who leads the service of worship. This provides the possibility of meeting the highest responsible authority and complainingto him of any injustice or hardship befalling any individual. If that proves of no avail, the individual

The Political System of Islam

By

Dr. Muhammed Hamidullah

(II)

280 – By cultural duty, we mean the very raison-d'etre of Islam, which seeks that the Word of God alone should prevail in this world. It is the duty of each and every individual Muslim, and a forticri that of the Muslim government, not only to abide by the Divine law in daily behaviours, but also to organize foreign missions in order to make others know what Islam stands for The basic principle, as the Quran (2/256), says, is that "There is no compulsion in religion" Far from implying a lethargy and indifference, a perpetual and disinterested struggle is thereby imposed to persuade others for the welfoundedness of Islam.

FORM OF GOVERNMENT

281 – Islam attaches no importance to the external form of government; it is satisfied if the well-being of man in both world's is aimed at, and the Divine law applied Thus the constitutional question takes a secondary place, and as we have already mentioned, a republic, a a monarchy, and a joint-rule, among other forms, are all valid in the Islamic community.

282 – If this aim is realized by a single cheif, one accepts it If at a given time, in a given surrounding, all the requisite qualities of a "commander of the Faithful" or caliph are not found united in the same person, one admits voluntarily the division of power also for the purpose of the better functioning of the government. We may refer to the famous case cited by the Quran (2/246 - 7); A former prophet was solicited by his people to select for them a king beside his own prophetic self, so that they might wage war under his leadership, against the enemy which had expelled them from their homes and families. The designation of a king in the presence of and in addition to a prophet, and even by the intermediation of the latter, shows the lengths to which one can go in this direction. A division is thus made between the spiritual and temporal functions, yet no arbitrary power is tolerated for either of them; the politics and the

earth. But fasting accustoms him to face the hardships of life, being in itself a practical lesson to that end, and increases his powers of resistence. It has yet another physical value, the rest given to the digestive organs for a whole month only gives them additional strength, like fallow ground which, by rest, becomes more productive as all organs of the body are so made that the rest only increases their capacity for work. What has been said about physical and social value relates to the external side of the fast but, as stated in the begining, the ethical side of fasting is its spiritual and moral value.

The social value of fasting is realized through its spiritual and moral values. The appearence of the moon of Ramadan is a signal for a mass movement towards a moral discipline and spiritual training throughout the Muslim world Rich and poor, great and small are brought together five times daily in the mosque on terms of perfect equality and thus healthy social relations are established through prayer, but in their homes they live in different environments The rich sit down tables laden with rich foods, three, four, even more times daily, while the poor cannot find sufficient with which to satisfy their hunger even twice a day.

Fasting has also a greatest moral value. The man who is able to rule his desires, to make them work as he likes, in whom will-power is so developed that he can command himself, is the man who has attained to true moral greatness Fasting is the training ground where man is taught the greatest moral lesson of his life – the lesson that he should be prepared to suffer the highest prevention and undergo the hardest trial rather than indulge in that which is not permitted to him. That lesson is repeated from day to day for a whole month and just as physical exercise strengthens man physically, moral exercise of abstaining from everything that is not allowed, strengthens the moral side of life.

« وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب
أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا
لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون »
(البقرة ١٨٦)

(And when My servants question the concerning Me, then surely I am nigh I anwser the prayer of supplicnt when he makes supplication to Me. So let them answer My Call and believe in Me, in order that they may be led aright) 2 : 186

It is not refraining from food or drink that makes the faster near to God ; it is refraining from foul speech and evil words and evil deeds of all kinds ; so much so that he does not even utter an offensive word by way of retaliation. Thus the faster undergoes not only a physical discipline by curbing his carnal desires, the craving for food and drink, and the sex appetite, but he is actually required to undergo a direct moral discipline by avoiding all kinds of evil words and evil deeds. It is a direct training on the spiritual side of man.

Not the deepest devotion can develop that sense of the nearness to God and of His presence everywhere, which fasting day after day for a whole month does. The Divine presence which may be a matter of faith to others, becomes a reality for him, and this is made possible by the spiritual discipline underlying fasting.

A new consciousness of a higher life, a life above that which is maintained by eating and drinking, has been awakend in him, and this is the life spiritual. No temptatiou is greater than the temptation of satisfying one's thirst and hunger when drink and food are in one's possession, yet this temptation is overcome, with a set purpose of drawing closer and closer to his Lord.

Another aspect of the moral development of man by this means is that he is thus taught to conquer his physical desires. He takes his food at regular intervals and that is no doubt a desirable rule of life, but fasting for a month in the year teaches him the higher lesson that, instead of being the slave of his appetites, and desires, he should be their master, being able of change the course of his life if he so wills it. In this way, fasting creats power of will and patience in man. It will help him to keep his duty to his Lord, and to face difficulties of Life.

Fasting has a more important physical value. The man who cannot face the hardships of life who is not able to live at times, without his usual comforts cannot said to be even physically fit for life on this

ster and the incurably ill. God the Almighty, desires the ease for His creatures and He desires not hardship for them.

The rule of abstinence from eating, drinking etc. is restricted to the day only, but it is allowed to refresh the system during the night of the fast. The Holy Quran says :

« أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم
هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم الله أنكم
كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم
فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم
وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط
الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم
أتموا الصيام إلى الليل ....» (البقرة ١٨٧)

(It is made lawful for you to go unto your wives on the night of the fast. They are raiment for you and ye are raiment for them. Allah is aware that ye were deceiving yourselves in this respect and He hath turned in mercy toward you and relieved you. So hold intercourse with them and seek that which Allah that ordained for you, and eat and drink until the white thread becometh distinct to you from the black thread of the dawn. Then strictly observe the fast till nightfall ...) (2 : 187)

The month of Ramadan was chosen to be the month of fasting because God, the Almighty wanted to honour such a month, in which the revelation of the Holy Quran began for the guidance of humanity, by prescribing in it such a noble worship about which the Prophet (peace be upon him) said :

« قال تعالى : كل عمل ابن آدم له إلا الصوم
فإنه لى وأنا أجزى به يدع طعامه وشرابه
من أجلى .»

(God says : the benefit of every man's actions goes back to him, except fasting ; It is for Me, and I shall take care of its reward for him who abstains from his eating and drinking for My own sake).

It is recalled that Quran has dealt fully with three conditions of man, namely the physical, the moral and the spiritual. This three-fold condition of man is the three stages of his development. Fasting as prescribed in Islam, has its values in these three stages, but the essence of the Fast is its moral and spiritual value, and the Holy Quran and Hadith have laid special stress on this. In speakiug of Ramadan the Holy Quran specially refers to nearness to God, as if its attainment were an aim in fasting and then adds :

sunset, as defined by some jurisprudents, is not the objective of fasting that is rightly acceptable to God.

Whoever puts his trust in anybody other than God, or he who is behaving sinfully, or he who sets out plots and intrigue, or harboures envy and hate, or tries to disunite Muslims - the fasting of all such people is liable to be inacceptable. Likewise is the fasting of those who did oppression and injustice, or those who abuse others by tongue or by action. The Prophet said :

« من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه »

(He who does not quit false testimony and acting by it, God shall have no consideration of his fasting by mere abstinence from eating and drinking) He also Said :

« رب صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش » .

(How many a fasting person, who does not get any result of his fasting but hunger and thirst).

Regarding the consensus of Muslims, they agreed unanimously upon the prescription of fasting in Ramadan, that it is one of the Pillars of Islam and that who disbelieves in it, is considered as a disbeliever in Islam itself. Fasting is obligatory on Muslims who are sane, mature, sound and dweller. A woman should be, moreover, free from menses and childbrith blood. So fasting is not required from the smallchild, the sick, travaller, the oldster, menstruating woman, the woman bleeding after childbirth or pregnant and who breast feed their child (if they fear harm).

As regards the menstruating woman and that in confinement, they have to break fasting and they shall make up for it in like numbers of days. The very old man or woman, the ill who suffer from an incurable disease, and those worker who are engaged in hard jobs to earn their necessary livelihood - all of them are allowed not to fast on redemption of feeding a poor for each day of Ramadan. The Holy Quran says :

« وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين . . . . » (البقرة ١٨٤)

(. . . And for those who find it extremely hard there is a redemption : the feeding of a man in need. .) The Pregnant and the women who breast feed, are allowed to break fasting if they anticipate harm for themselves or for their babies, and they shall feed a man in need for each day ; like the case of the old-

bad desires, and fight the evil tendencies towards anger and revenge. Life is a mixture of prosperity and hardship; and man has to equip himself with patience and trust in God so that he could bear the burden of life. There fore, fasting was prescribed for one whole month to teach people kind of patience and trust in God which help him to overcome the hardships of life.

In addition to the moral elevation and spiritual development, fasting has its physical advantages. It is a well-known teaching of the Prophet that hunger is the best cure to many ailments. This is a fact proved and defended nowadays by medical experts. Fasting is prescribed to the able bodied and the strong, as a means of chastening the spirit by imposing a restraint on the body.

Those who bear in mind the excesses of the pre-Islamic Arabs in their pleasures as well as their vices, will appreciate the value of the regulation and comprehend how wonderfully adapted it is for keeping in check the animal propensities of man especially among semi-civilised races.

Through fasting, the righteousness and virtue could be originated in the heart of man and it may help him to appreciate the favours of God. When we suffer hunger and thirst we tend to know the grace of God in granting us our food and drink It is reported that the Prophet (peace be upon him) said : "My Lord wanted to honour me by giving me as much gold as to cover the plains of Mecca, I said : No my Lord, but enough to let me eat one day and go hungry one day; when I suffer hunger I would appeal to you and remember you; and when I get satisfied I would thank you and praise you".

Fasting creats discipline in life and unity of intention and action among the muslims It will help them to keep order and regularity in their everyday life.

Thouh fasting is defined as abstinence from eating, drinking and sex appetite, it is prescribed for nobler objectives. The Quranic verse which prescribes fasting begins by this call: « يا أيها الذين آمنوا » (O you who believe) and ends by these words : « لعلكم تتقون » (so that you may guard against evil) and ; «ولعلكم تشكرون» (so that you may be grateful). This is an indication that fasting is abstinence from all bad deeds that is incompatible with faith or with keeping duty to God. Thus mere abstinence from eating, drinking and sex appetite from dawn until

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER :

ABDUL RAHIM FŪDA

RAMADAN 1391	ENGLISH SECTION	OCTOBER 1971

FASTING IN ISLAM

By

Dr. Mohiaddin Alwaye

Fasting of Ramadan is made obligatory in the Holy Quran, the Sunna (the Traditions of the Prophet) and by the unanimous consensus of Muslims. The Holy Quran says :

« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » (البقرة ١٨٣)

(O you who believe, Fasting is prescribed for you, as it was prescribed for those of before you, so that you may guard against evil)
2 : 183

Islam observes the nature and the needs of humankind, in its all systems. Therefore, we find clear and detailed rules in the case of people who are required to keep fasting and those who are excepted from it. The traveller and the sick who is hoping recovery are allowed not to fast and they shall make up for their missing days of fasting in later times when there are no difficulties. The Quran says :

« فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر . . . » (البقرة ١٨٤)

(And for him who is sick among you, or on a journey (he shall fast) the same number of other days. . .)
2 : 184

Fasting is Prescribed to teach people keeping duty to God, patience and power of will. Expereince in these kinds of conduct helps the man to face the difficulties of life, overcome

٢٢٢٦٤
ورايا

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
« بدل الاشتراك »
٥٠ ق في الجمهورية العربية المتحدة
٦٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء الثامن والتاسع — السنة الثالثة والأربعون — شوال سنة ١٣٩١ هـ — نوفمبر ١٩٧١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الأعياد والمواسم الإسلامية

للأستاذ عبد الرحيم فوده

كل يوم يحتفل فيه بذكرى كريمة عظيمة يسمى عيدا، إما لأنه يعود فيثير الشعور بالابتهاج والسرور، أو لأنه تكثر فيه العوائد والفوائد.

وقيل فى تعليل تسمية الأوقات التى تتميز بالخير عن غيرها مواسم : إنها ذات سمات خاصة بها، وفيها من البر والخير ما يدل عليها أو يشير إليها، فالموسم هو الوقت الذى يظهر فيه الخير، أو يعرف بأنه خير، فيحتفل الناس له، ويهتمون به ويرون فيه فرصة يحرصون على اغتنامها، والانتفاع بها.

وقد فضل الله بعض الأيام والليالى والأشهر على بعض، وجعل بعضها أعيادا وبعضها مواسم، ويتجدد فيها الشعور بالأمل والجذل، وتعظم فيها الرغبة فى الثواب، والإحسان فى العمل فتوج صوم رمضان بعيد الفطر، وحج بيته الحرام بعيد الأضحى، وأيام الأسبوع بيوم الجمعة، وجعل هذه الأيام أعيادا إسلامية، اليوم الأول من شهر شوال، واليوم العاشر من شهر ذى الحجة، ويوم الجمعة من كل أسبوع، فقد اعتبره الشارع من الأعياد التى ينبغى أن يحتفى بها المؤمن

بما شاء من ألوان العبادة ، كالذكر وقراءة القرآن والصلاة على النبى ، والدعاء ، والاغتسال، والسواك، والطيب، وإزالة الشعر، وتقليم الظفر، ولبس أحسن الثياب والتبكير إلى المساجد ؛ فقد قال صلى الله عليه وسلم : إن هذا اليوم عيد جعله الله للمسلمين ، فمن جاء إلى الجمعة فليغتسل ، وإن كان طيب فليمس منه ، وعليكم بالسواك . أما المواسم الإسلامية ، فقد ذكر منها القرآن الأشهر الحرم ، وشهر رمضان وليلة القدر منه ، وأيام التشريق ووردت أحاديث ببعضها كيوم عرفة ويوم عاشوراء . والعشر الأواخر من شهر رمضان . والعشر الأول من شهر ذى الحجة وأول المحرم .

وهذه الأعياد والمواسم معالم يتميز بها طابع المجتمع الإسلامى عن غيره من المجتمعات ، وهى من الشعائر الدينية التى تؤكد إيمان المؤمنين بوجودهم واستقلالهم واعتزازهم بربهم، فإذا كان فيها ما يتفق غير المسلمين مع المسلمين على تعظيمه ، فينبغى ألا يجور ذلك على الشخصية الإسلامية فلا تنماع تقاليد المسلمين فى تقاليد غيرهم ولهذا أمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يصوم المسلمون التاسع مع العاشر فى يوم عاشوراء حتى لا يختلط عملهم بعمل اليهود فقال عليه السلام : صوموا التاسع والعاشر ولا تشبهوا باليهود ، ذلك لأن اليهود كانوا يفردون العاشر بالصوم فأمر صلى الله عليه وسلم بمخالفتهم فى ذلك لتبقى لهم شخصيتهم المتميزة وطابعهم الخاص، ووجودهم المستقل ، وقال صلى الله عليه وسلم : « إن لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم » ولما قدم - عليه السلام - المدينة وجد لأهلها يومين يلعبون فيهما . فقال: ماهذان اليومان ..؟ قالوا كنا نلعب فيهما فى الجاهلية ، فقال : قد أبدلكم الله خيرا منهما ، يوم الأضحى ويوم الفطر، وذلك يفهم منه أن هذين اليومين ينبغى أن يفعل فيهما ما لم يكن يفعل فى الجاهلية من ألوان اللهو واللعب وضروب التسلية أو التسرية إلا أن يكون مما يبيحه الإسلام لبراءته وطهارته واتفاقه مع ما يدعو إليه من خير وبر ..

ولا شك أن الأعياد والمواسم واحات فى الزمن ، يفىء إلى ظلها الناس

ليشعروا بالراحة ، والمتعة والاستجمام ثم يستأنفوا سيرهم وعملهم ، وقد استردوا صحة النفس ، وراحة البال ، وحب العمل ولكن الأعياد فى الإسلام لها شأنها ووزنها فى حياة الفرد والمجتمع ، فهى أيام فرح وبشر وخير بما يشيعه توزيع زكاة الفطر ويوم الأضاحى من الشعور بالبشر والسرور عند الفقراء . وبما يشعر به الجميع من غبطة لأداء فريضة الصيام وفريضة الحج ، وبما يتطلع إليه الجميع من أمل فى الثواب وخير فى الدنيا والآخرة ، فقد قال تعالى : « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » وقال جل شأنه: « الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب » .؟

عبد الرحيم فودة

قال الله تعالى :

« من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون ، قل إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين ، قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » .

(الأنعام : ١٦٠ - ١٦٣)

دراسات قرآنيـة :

المفاضلة بين الأنبيـاء

للأستاذ مصطفى الطير

« آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله » (الآية ٢٨٥ من البقرة)

كتب إلينا السيد/ محمد أبو المكارم خليفة الموظف بالإصلاح الزراعى ، أن أحد زملائه المسيحيين الموظفين بالإصلاح الزراعى ، بالزعفران مركز بيلا ، سأله بعض الأسئلة التى يبغى من ورائها تشكيك المسلمين زملائه فى عقائدهم ، ثم شافهنا بأنه يتابعهم بأمثال هـذه التشكيكات ، وحتى لا يكون لهذه التشكيكات أثرها الذى يبغيه صاحبها ، يرجو السائل الإجابة على ما كتبه إلينا فى شأنها .

ونحـن إذ نستجيب إلى طلبه ، نوجه نظر ذلك الزميل المسيحى ، إلى أنه لا يصح له ـ كما لا يصح لغيره ـ أن يدخل نفسه فى هذا الجدل الذى من شأنه إثارة الخصومة بين أبناء الوطن الواحد ، فى وقت تحتاج فيه الأمة إلى المحبة والترابط والبعـد عما من شـأنه التفريق وزرع الأحقاد ، فنحن أمام عـدو مشترك ، يكفر بعيسى كما يكفر بمحمد عليهما الصلاة والسلام ؛ ويكفر بالنصرانية كما يكفر بالإسلام ؛ وأن واجب الوطن على الجميع ؛ أن يقابلوه كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا كما هو شأن المواطنين المخلصين .

وليعلم الزميل الذى يتابع شبهاته وتشكيكاته أنه لا يليق أن نسمع أصواتا ناشزة ؛ فى وقت نحتاج فيه إلى وحدة الأصوات ووحدة القلوب .

ومحاولة النيل من الإسلام ؛ لم تجرب من أفراد فحسب ؛ ولكنها جربت من أمم قوية ؛ فباءت بالفشل ، وأحيانا كانت تأتى بنتائج إيجابيـة للمسلمين بدخول الغزاة فى دين الإسلام بعد مخالطة أهله والتعرف على حقائق دينهم ، فالمغول

الذين اكتسحوا الممالك ، ومنها بعض الأقطار الإسلامية ، دخــل منهم فى الإسلام أعداد هائلة ، وأصبحوا من أعظم أنصاره ، وها أنت ذا تعلم أن وسط آسيا منهم، وأن أكثرهم مسلمون والحمد لله ، كما أنك تعلم مصير الحروب الاستعمارية الصليبية وغيرها فى الجزيرة العربية ، وصدق الله إذ يقول « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون (٣٢) التوبة .

وكل من يحاول ذلك فهو بمشيئة الله تعالى على حد قول الشاعر :

كناطح صخرة يوما ليوهنها
فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

وبعد هذه المقدمة نعود إلى الشبهات فنجيب عليها فيما يلى :

تفضيل إسحاق على إسماعيل جهل :

يقول الزميل المسيحى لزميله المسلم ما يأتى :

(١) المسيحيون أبنــاء إسحاق ، والآيات الواردة فى تعظيم إسحاق أكثر من الآيات الواردة فى تعظيم إسماعيل .

(٢) إسحاق هو ابن السيدة، وإسماعيل هو ابن الجارية .

وغرض الزميل المسيحى من ذلك أن إسحق الذى هو جدهم كما يقول أفضل من إسماعيل الذى هو جد النبى محمد صلى الله عليه وسلم لأمرين : أحدهما كثرة مدح القرآن لإسحق وقلة مدحه لإسماعيل ، وثانيهما أن إسحق ابن حرة ، وإسماعيل ابن جارية .

وردا على هذا نقول ، إن الله لا يرسل من عباده إلى خلقه ، سوى أكملهم وأقربهم إليه ، وإن درجتهم العالية عند الله ترجع إلى أنهم رسل الله ، ورسول العظيم لا بد أن يكون عظيما ، والدخول فى المفاضلة بين الرسل ، فيه من سوء الأدب مع الله ورسله ما لا غاية وراءه .

ولا يحق لأحد أن يجعل من نفسه قاضيا بينهم ، فيحكم بأن هذا أفضل من ذاك ، فمن نحن حتى يكون معيار فضلهم بأيدينا ، وحسب شهواتنا وأغراضنا .

صحيح أن الله تعالى فضل بعض الرسل على بعض ، كما قال « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ، ورفع بعضهم درجات » (٢٥٣ البقرة) ولكن تفضيلهم من شأن الله ، « والله أعلم حيث يجعل رسالته » وما دام

لم يرد نص فى تفضيل إسحق على إسماعيل أو العكس ؛ فلا يصح أن يسىء أحد الأدب ، ويقول بفضل أحدهما على الآخر ، بل لو فرض وجود نص فمن الأدب الإمساك عن المفاضلة ، وما سمعنا عن أحد من العقلاء فضل أحدا على آخر، لأن أم الأول حرة وأم الثانى جارية ، فالفضل لا يرجع إلى الأمهات ، ولا إلى الحرية ، وإنما يعود إلى الخلق والدين بين المتفاضلين ، هكذا يقول العقلاء والفضلاء ، وهكذا تعلمنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى » .

وهل من الأدب مع رسل الله أن يقال عن أحدهم إنه ابن حرة ، والآخر ابن جارية ، وكلاهما ابن خليل الرحمن وهل يصح أن يقوله رجل يعيش فى عصر يحرم استرقاق الإنسان لأخيه الإنسان.

وهل كون الرجل ابنا للجارية يعوقه عن بلوغ أعلى المكارم والمنازل بحيث يفوقه ابن الحرة ، ألم يقرأ صاحب هذه الأسئلة عن الأمين ابن الحرة والمأمون ابن الجارية ، وأن الأول كان مدللا ففشل فى حكمه ودالت دولته، وأن الثانى كان جادا فنجح فى حكمه وبقيت دولته، وامتاز عصره بالنشاط العلمى البعيد المدى وإذا كان الأمر كذلك فما معنى الشغب فى أمور لا هى فى العير ولا فى النفير .

ألا فليعلم السائل المشاغب أن إسماعيل هو أول من أدخل فرحة البنوة فى قلب أبيه إبراهيم ، ثم رزق أبوه إسحاق بعده من سارة بعد أن كانت عقيما ، فتمت به فرحة أبيه ، وكلاهما له العز فى الدنيا والآخرة ، لبنوته لخليل الرحمن، ولتبليغه الرسالة عن رب العالمين ، ولقد علمنا القرآن الأدب مع رسل الله جميعا فقال : « لا نفرق بين أحد من رسله » كما علمنا ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ قال « لا تفضلونى على يونس بن متى » مع أن يونس عليه السلام آخذه الله تعالى ، إذ ترك قومه لما بدت أمارات نزول العذاب بقومه ، قبل أن يأمره الله بتركهم « فالتقمه الحوت وهو مليم » أى آت بما يلام عليه « فلولا أنه كان من المسبحين ، للبث فى بطنه إلى يوم يبعثون» ومع هذا فقد نهانا نبينا عن تفضيله عليه تأدبا مع رسل الله صلوات الله عليهم أجمعين .

فمن هذا نعلم أنه لا ينبغى التفريق بين رسل الله فى الإيمان أو الفضل ، فإن المفاضلة بينهم ، والجدل الذى يكون حول ذلك ، ربما أدى إلى انتقاص أحدهم ، أوتهوين أمر رسالته أوالخلاف بين أهل الأديان ، فى حين أن تقدير منازلهم من شأن علام الغيوب دون سواه.

ولقد نسى موظف الإصلاح الزراعى فى غمرة انتقاصه لإسماعيل عليه السلام ، أنهم انتقصوا إسحاق الذى أراد أن يفضله على إسماعيل ، فقد جعلوه ولدا عاقا مشاغباً لأبيه ، إذ قالوا إنه صارع الله تعالى ، وأوشك أن يغلبه، فضربه الله (فى حق وركه) فحدث له عرق النسا بسبب ذلك كما جاء فى العهد القديم . وإسحاق عندهم هو ابن الله البكر، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ، إنكم لا ترضون لأحد من البشر أن يصارع أباه ، وتجردونه عن الأدب وتصمونه بالوقاحة ، فكيف رضيتم لابن الله البكر فى زعمكم أن يصنع ما صنعه بأبيه ، ثم تذهبون بعد ذلك إلى تفضيله على إسماعيل .

ثم بعد ذلك نسألكم : أيصح لأسرة محترمة أن يتصارع فيها الأب مع ابنه والابن مع أبيه ، وإذا كان هذا لا يصح فى الناس ، فكيف رضيتم للأسرة الإلهية التى زعمتموها أن تكون أسرة مشاغبة وأن تسووها بغوغاء البشر وأهل الانحراف الذين يتصارعون لغير سبب، وصدق الله إذ يقول : « وما قدروا الله حق قدره ، والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون» (٦٧ الزمر)

وليعلم السائل المشكك أن المسيحيين ليسوا كلهم أولاد إسحاق كما ادعى ، بل أولاده هم مسيحيو بنى إسرائيل ، أما المسيحيون فى أنحاء الأرض ، فهم من أصول شتى كما يعرفه صغار التلاميذ .

وليست كثرة الثناء على إسحق وقلته على إسماعيل فى القرآن - إن صح ذلك - دليلا على فضل إسحاق على إسماعيل ، ولكنها دليل على أن محمدا صلى الله عليه وسلم (وهو خير ولد إسماعيل) ليس متعصباً لأبيه، وأن كتاب الله الذى أنزله عليه يكتفى فى حق أبيه من الثناء بما لا يتهم فيه بالمبالغة ، بينما هو فى حق إسحاق وغيره يكثر من الثناء ، أرأيت

لو أن أحداً بالغ فى الثناء على أبيه أوجده وقصر فى الثناء على من هم مثله فى الفضل، أفيكون محمودا عند العقلاء ؟ كلا .

الذبيح إسماعيل لا إسحاق:

٣ — ثم يمعن الزميل فى التشكيك فيقول : إن التوراة ذكرت أن الذبيح هو إسحاق ، وليس إسماعيل ، وكذلك تقول كتب قصص القرآن وبعض المفسرين — كذا يقول .

ونجيب على ذلك بأن هـــذه ليست بعقيدة حتى يتعين على المكلف معرفتها بيقين ، ولكنها مسألة تاريخية ، وسيان عندنا أن يكون الذبيح إسماعيل أو إسحاق ، فكلاهما نبى ، وكلاهما ولد من صلب إبراهيم عليهم السلام .

وقد اختلف العلماء والمؤرخون فى شخص الذبيح ، ونحن نرجح أن يكون هو إسماعيل لعدة أمور :

(أولها) وهو أهمها قوله تعالى : « فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب » (٧١ هود) .

والذى بلغ بشارة الله هم الملائكة الذين جاءوا إبراهيم عليه السلام فى صورة البشر ، وأخبروه أنهم مرسلون الى قوم لوط ليهلكوهم ـ وكان نبى الله لوط ابن أخ لإبراهيم عليهما السلام .

وكانت سارة زوجة إبراهيم عليه السلام قائمة تسمع البشرى بهلاك قوم لوط المجرمين، فضحكت سرورا بذلك ، فبشروها ببشارة تخصها ، وهى أنها ستلد وأن ولدها سيكون اسمه إسحاق ، وأن إسحاق سوف ينجب ابنا يدعى يعقوب عليهم السلام ، فعجبت لهذه البشرى وقالت «ياويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا إن هذا لشىء عجيب» (٧٢ هود) الخ .

ولما كانت هذه البشارة أمام إبراهيم عليه السلام ، فإنه علم منها أنه سيولد له إسحاق ويعيش وينجب ولدا اسمه يعقوب فلهذا يستحيل أن يأمره الله بذبحه بعد أن بشره الله بهذه البشارة ، التى تقتضى أن يبقى لا أن يذبح ويموت ، لما فى أمره بذبحه مع تبشيره بحياته من التناقض ، والتناقض فى أحكام الله مستحيل ، فهل فهمت أيها السائل المشاغب ؟

(وثانيها) أنه لما هاجر وترك قومه عابدى الأصنام ، بعد أن نجاه الله من النار ، طلب من الله ولدا من الصالحين ، فبشره بغلام حليم ، وذلك قوله تعالى

« وقال إنى ذاهب إلى ربى سيهدين رب هب لى من الصالحين فبشرناه بغلام حليم » (٩٩ - ١٠١ سورة الصافات) ، ولما كانت الفاء للترتيب والتعقيب ، فإنها تدل فى قوله تعالى « فبشرناه بغلام حليم » على أن البشارة بالغلام الحليم جاءت عقب الهجرة والدعاء بالولد .

وبما أن إسماعيل عليه السلام هو أول ولد جاءه بعد هذه الهجرة ، وبعد هذا الدعاء ، بإجماع جميع الأديان والمؤرخين فإن ذلك حجة فى أنه هو الغلام الحليم الذى بشره الله به عقب دعائه ، وإذا كان إسماعيل هو الغلام الحليم ، فإنه يكون هو الذبيح بلا أدنى ريب ، لأن مساق الآيات هكذا « فبشرناه بغلام حليم ، فلما بلغ معه السعى قال يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك . فانظر ماذا ترى » الآيات من سورة الصافات .

(وثالثها) أنه ذكر فى التوراة أن الله امتحن ابراهيم عليه السلام ، فقال له (خذ ابنك وحيدك الذى تحبه ، وأمض إلى بلد العبادة ، ثم اذبحه قربانا على أحد الجبال الذى أعرفك به) الخ .. ومعنى كون ولده وحيده أنه ليس له ولد غيره ، وذلك لا يتحقق إلا مع إسماعيل ، أما إسحق فقد رزق به بعد إسماعيل ولم يكن إسحق وحيدا ، فقد كان إسماعيل موجودا ينفى الوحدة عنه ، فالوحدة إذن لا تصح إلا لإسماعيل ، لأنه فى أول شبابه لم يكن لأبيه ولد سواه فيكون هو الذبيح لا إسحاق .

وقد ولد إسماعيل وسن أبيه ست وثمانون سنة ، وولد إسحق وسن أبيه مائة سنة ، كما جاء فى التوراة ، وأما ذكر إسحاق فى التوراة بعد قوله (ابنك وحيدك الذى تحبه) فنترك الحكم عليه للقارىء ، فهو أعلم بما كان اليهود يفعلونه بها من التغيير والتبديل ، فالحق أنها من إضافاتهم لأن إسحاق لم يكن ابنه الوحيد بالإجماع كما ذكرنا .

وهناك أدلة أخرى ، وحسبنا ما ذكرنا ولا تغفل عن أن هذه ليست عقيدة ، وإنما هى مسألة تاريخية ، والحق فيها ما ذكرنا .

لماذا لم ينه القرآن عن الاسترقاق ؟

ثم يمضي موظف الإصلاح المسيحى فى تضايل زملائه المسلمين وتشكيكهم فيقول :

٤ — لماذا لم ينه القرآن عن اتخاذ العبيد والأرقاء فى آيات صريحة ؟

وقبل أن نجيب على هذا السؤال نقول: إن السائل يقصد من وراء سؤاله أن الإسلام لم يكن جادا فى منعه المسلمين من الاسترقاق ، ولو كان جادا لنص القرآن على منعه .

وردنا على ذلك أنه ما كان يليق بك توجيه هذا السؤال ، فإن من كان بيته من زجاج لا يقذف الناس بالحجارة ، فأنتم الذين استعبدتم البشر ، وجعلتم استعبادهم مشروعا ، وجاء الإسلام ليخلص البشرية من هذا الميراث ، ففى الباب العشرين من كتاب الاستثناء ما يأتى :

« وإذا دنوت من قرية لتقاتلها ادعهم أولا إلى الصلح (١٠) فإن قبلت وفتحت لك الأبواب فكل الشعب يخلص ويكونون لك عبيدا يعطونك الجزية (١١)

فما قولك أيها السائل فى هذا النص الثابت فى عهدكم القديم ؛ لقد جاء الإسلام والاسترقاق متأصل فى نفوس الناس ، مشركين وأهل كتاب ، ولما كان إبطاله شاقا عالجه بالحكمة ، فجعل العتق أحد كفارات اليمين والظهار والفطر فى رمضان فى بعض حالاته ، ومنع بيع الجارية التى تحمل من سيدها ، لأن ولدها سيكون سببا فى حريتها ، وشرع مكاتبة العبيد والإماء والتعاقد معهم على الحرية فى مقابل عوض يتفق عليه بين السيد ومملوكه ، وفرض فى الزكاة حصة لتخليص رقابهم فى قوله تعالى « وفى الرقاب » وغير ذلك من تيسيرات العتق ، ومنها أنه استحب إعتاقهم ووعد جزيل الثواب عليه .

هذا هو موقف الإسلام من عتق الأرقاء ، وهو موقف يتسم بالحكمة والصواب ، وليس فى شريعته استرقاق من يصالحنا ، كما مضى فى نص العهد القديم ، بل فيه الوصية بتأمين المشرك المستجير حتى يبلغ مأمنه : « وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه » -٦- التوبة ، وفيه الوصية بأهل الذمة اليهود والنصارى المسالمين ، قال صلى الله عليه وسلم : (لهم ما لنا وعليهم ما علينا) وقال (من آذى ذميا فقد أذانى) .

لماذا كان المسيح يبرىء الأكمه والأبرص ويحيى الموتى ؟

ثم يمضى الموظف المسيحى بالإصلاح

الزراعي في محاولة تشكيكه لزملائه المسلمين وتضايلهم فيقول :

(٥) لماذا كان للمسيح صفات إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى ، أليس ذلك يدل على أنه أفضل الأنبياء بالإضافة إلى أنه سيقتل المسيح الدجال .

ورداً على ذلك نقول : إن السائل تلطف مع زملائه ، فلم يقل ما فى نفسه ، وماهى عقيدته وهى أن إحياءه للموتى وإبراءه للأكمه والأبرص دليل على أنه ابن الله ، كما يزعمون ، ثم نقول إن هذه وسابقاتها وغيرها قصة معروفة ومدونة عند أولئك المتصيدين من مئات السنين ، وقد علموا من قديم أنها نغمة ناشزة لم تفدهم ، وكان عليهم أن يكفوا عن هذا الهذيان فالحق واضح لذوى الأبصار .

إن لكل نبى معجزة ليست من صنعه ، بل هى من صنع خالقه الذى بعثه ، لتكون شاهدا على صدقه .

وآية كل رسول تناسب زمانه الذى بعث فيه ، ففى عهد موسى عليه السلام كان السحر سائداً عند الفراعنة واليهود فجعلت آيته ذات مظهر يشبهه ولكنها تخالفه ، فقد كانت آيته عصا تنقلب حية كما تنقلب حبالهم وعصيهم حيات ، ولكنها كانت تلقف ما يأفكون ويبطل بها السحر والساحرون ، وكان الطب سائداً فى عهد عيسى ، فكانت معجزته من نوع خارق للعادة فى الطب ، إذ كان يعالج الأمراض المستعصية بدعاء الواحد القهار ، أما الطب فكان يعالجها بالعقار وكان يحيى الموتى بإذن الله ، أما الطب فيقف عند ذلك حائرا .

زد على ذلك أن بنى إسرائيل كانوا مأخوذين ومبهورين بمعجزة موسى ، فلا يقنعهم أن يجيئهم رسول بعده بمعجزة دون معجزته التى أبطل بها السحر ، وشق بها البحر حتى عبروا فى طرق يابسة إلى برسيناء ، وضرب بها الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا ، فلا بد أن يجيئهم عيسى عليه السلام بمعجزة تفوق معجزة موسى ، حتى يمكن زحزحتهم عن عقيدتهم فيه وفى أمه مريم البتول ، فلهذا جاءت معجزته على هذا النمط الذى جاءهم به ، بإذن الله رب العالمين ، وما له عليها من اقتدار ذاتى .

وأما قتله للمسيح الدجال فإنه تابع لمهمته الأصلية التى تتصل به شخصيا ، ولا بد

من نزوله من أجلها كما بيناه فى مقال المجلة فى عدد شعبان ، وتتلخص مهمة نزوله فيما يأتى :

(١) أن يشهد لأخيه محمد صلى الله عليه وسلم بأنه هو الرسول الذى بشرهم به بعد أن كذبوه .

(٢) أن يصحح خطأ المسيحيين فيما اعتقدوه فيه ، فيعلمهم أنه ليس إلها ولا ابنا لله ولا ثالث ثلاثة .

(٣) أن يبين خطأ اليهود فيما زعموه فيه وفى أمه .

(٤) أن يقتل المسيح الدجال ويكسر الصليب ويقتل من يبقى على عقيدة فيه تخالف كونه نبيا مرسلا كسائر المرسلين إلى غير ذلك مما يتصل بهذه المهمة .

ويتبين من ذلك أن معظم مهمته يتعلق بتصحيح أمره أمام بنى إسرائيل ، وأن يؤكد أن شريعة محمد هى شريعة إخوانه النبيين ، ردا على قومه بنى إسرائيل الذين كفروا بذلك ، وأن يحمل الناس عليها لتكون كلمة الله هى العليا ، وصدق الرسول إذ يقول: « الأنبياء بنو علات ، أمهاتهم شتى ودينهم واحد »

ولولا ذلك لما كان هناك داع لنزوله فالإسلام يشق طريقه فى أرجاء العالم بفضل القرآن العظيم ، وقيام العلماء ببيان حقه الواضح ، فهو الدين الخالى من الخرافات والخزعبلات وتأليه البشر ، المنزه للأنبياء عن المعاصى ، الذى يجعل السلطان للواحد الديان ، لا لرجال الأديان ، وصدق الرسول إذ قال « ولن يزال أمر هذه الأمة مستقيما حتى تقوم الساعة » ونلخص مقالنا فى أن العقيدة الحقة تقتضى البعد عن المفاضلة بين المرسلين، فذلك من شأن الله وحده ؛ قال تعالى : « لا نفرق بين أحد من رسله » وقال صلى الله عليه وسلم : « لا تفضلونى على يونس بن متى » وذلك لمنع الناس من الخوض فيهم بالباطل ؛ وأن الإسلام حرر الأرقاء ؛ أما غيره فقد شرع استبعاد المسالمين . وأحب أن يعيش هذا المجادل بالباطل مع إخوانه المسلمين فى محبة ووئام ؛ فلا يفكروا فى غير عملهم ووطنهم ، « والله يقول الحق وهو يهدى السبيل » وليعلم أيضا أن شعارنا هو قول الله تعالى « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » .؟

مصطفى محمد الطير

من هدى السنة

الإسلام دين القوة

للأستاذ منشاوى عبود

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفى كل خير ، احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ، ولا تعجز وإن أصابك شىء فلا تقل لو أنى فعلت كان كذا ، وكذا ، ولكن قل : قدر الله وماشاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان) رواه مسلم .

اللغة :

(المؤمن القوى) قيل: هو من لا يلتفت إلى الأسباب ، ولا يعتمد عليها لقوة باطنه، وعظيم يقينه ، بل يثق بمسبب الأسباب.

وقيل: هو من له صدق رغبة فى أمور الآخرة ، فيكون أكثر إقداماً على العبادات ، والتزود من الطاعات .

وهذان التفسيران يرجعان إلى قوة الاعتقاد فى الله عز وجل .

وقيل: هو من صبر على مجالسة الناس، وتحمل أذاهم ، وعلمهم الخير والرشاد ، وهو تفسير لا يختلف كثيراً عن التفسيرين السابقين ، فإنه يعتبر أثراً ونتيجة لقوة الاعتقاد .

وذهب بعض العلماء إلى تفسير القوة بقوة البدن والنفس ، ومضاء العزيمة التى يصلح معها الشخص للقيام بوظائف العبادات من الحج والصوم والجهاد وغير ذلك مما يقوم به الدين .

وقوة البدن إنما يمتدح الشخص بها إذا كان شاكراً لله عليها ، قائماً بما تقتضيه واجبات تلك القوة ، وبدون هذا لا يكون لقوى البدن فضل على غيره ممن يساويه فى سلامة العقيدة ورسوخ الإيمان

والذى أرجحه أن الحديث ما دام لم يقيد القوة بشىء معين فإنها تشمل القوة فى كل خير ، فالمراد المؤمن القوى فى عقيدته ، وفى خلقه ، وفى بدنه إذا كان شاكراً لله تعالى على نعمة العافية .

(خير) أفعل تفضيل من خار ، حذفت همزته تخفيفاً لكثرة الاستعمال .

(وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف) المراد به عكس ما قيل فى المؤمن القوى

(وفى كل خير) أى فى كل من المؤمن القوى والمؤمن الضعيف خير لاشتراكهما فى أصل الإيمان، وخير هنا مصدر وهو خلاف الشر.

(ولا تعجز) بكسر الجيم على الأفصح أى لا تركن إلى العجز والتواكل متعللا بالقدر.

(فلا تقل لو أنى فعلت كان كذا وكذا) كلمة كذا مركبة من كلمتين كاف التشبيه وذا اسم الإشارة ثم جعلت كلمة واحدة بعد زوال معنى الإشارة والتشبيه، وجعلت كناية عما يراد بها، وهى كناية عن مبهم.

(فإن لو تفتح عمل الشيطان) أى فإن هذه المقالة وهى (لو أنى فعلت كان كذا) إذا ذكرت على سبيل معارضة القدر، والاعتراض، أو مع اعتقاد أن ذلك المانع لو ارتفع لوقع خلاف المقدور ـ تفتح باباً لوساوس الشيطان المفضية بصاحبها للخسران، أما إذا أتى الشخص (بلو) على وجه التأسف على مافات من خير مع علمه أنه لن يصيبه إلا ما قدر الله تعالى فلا شىء فى ذلك، كما فى حديث: (لو استقبلت من أمرى ما استدبرت) الحديث.

البيـان:

الإسلام دين القـــوة فى عقيدته، وفى تشريعاته، فهو يدعو إلى سلامة الاعتقاد وقوته، قال تعالى: «واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا».

وينوه بالقوة فى مراقبة الله سبحانه والإخلاص فى عبادته، قال صلوات الله وسلامه عليه: (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)[1].

وينـوه بها أيضا فى شرعية الرمل فى الطواف حول البيت الحرام، فقد جاء فى سبب مشروعيته أن المسلمين بعد أن هاجروا إلى المدينة، وأتوا مكة للطواف حول البيت، قال فيهم كفار مكة ـ استخفافا بهم ـ هؤلاء قوم أضعفتهم حمى يثرب.

فقال صلوات الله وسلامه عليه حماية لهيبة المسلمين فى نفوس الكافرين (رحم الله امرءاً أرى القوم قوة من نفسه) فشرع الرمل فى الطواف، ويبين تعالى أهمية القوة والعتاد فى إلقاء الرعب فى نفوس الأعداء فيقول: «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو

---

(١) بعض حديث رواه البخارى

الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » .

وكذلك عنى الإسلام بقوة البدن عناية فائقة ، ومن أجل رعايتها شرعت أحكام كثيرة ، فمن كان مريضا يضره استعمال الماء تيمم وصلى ؛ ومن كان يشق عليه الصيام أفطر وقضى ، ومن كان على سفر قصر الصلاة الرباعية ، ولجلال نعمة القوة فى البدن والحواس طلب النبى عليه الصلاة والسلام فى دعائه استمرار النفع بها فقال: (ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا) ، فعلى هذا يكون الثناء الوارد فى الحديث على المؤمن القوى فى عقيدته ، وفى خلقه وفى بدنه لأن هذا أنفع لنفسه ولأمته ، وإلا فماذا تنفع قوة العقيدة مع ضعف البدن فى مدافعة جيش زاحف يحاول أن يستعمر البلاد ، ويمتهن المقدسات ؛ وينتهك الحرمات ؟ وما الذى تفيده قوة العقيدة وحدها فى مواجهة داء عضال لو ترك لفتك بالأجساد ؟

وماذا تنفع قوة الاعتقاد فقط فى امتثال أمر الله تعالى بالسعى لتحصيل الرزق الذى يحفظ للمؤمن عزته وكرامته ؟ وماذا تفيد فى الاستجابة لطلبه سبحانه السير فى الأرض لأخذ العظة والاعتبار؟

وما مبلغها فى إنجاز ما كلفنا به تعالى من التعاون على البر والتقوى ، وإقامة العدل والسلام ؟ .

وما أثرها إذا أرادت الأمة النهوض باقتصادها ومشروعاتها العمرانية لتساير ركب الحضارة وتنجو من مخالب الدول العاتية التى تستغل حاجة الشعوب فتفرض عليها سلطان الذل والاستعباد ؟ .

من أجل هذا كله كان المؤمن القوى جديرا بما نال من تشريف وتكريم وكان قوله صلى الله عليه وسلم : (وفى كل خير) لتطييب خاطر المؤمن الضعيف وتسكين نفسه ، حتى لا يتملكه اليأس والألم ، ولم يقل عليه الصلاة والسلام : ولكل محبة مثلا ، لئلا يركن الضعيف إلى وضعه ، ويرضى بالقرار على حالته ، وفتح صلوات الله وسلامه عليه بابا للتخلص من الضعف ورسم منهاج القوة ، فأمر بأن يحرص المسلم على كل ما ينفعه فى صيانة دينه ، وصلاح دنياه ، وأن يستعين بالله تعالى فى جميع الشئون من غير عجز ولا كسل ولا تواكل وتعلل بالقدر فقال: (احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز) وهذه الجمل الثلاث وإن اتحدت فى الغرض والطلب إلا أن لكل جملة بعد سابقتها

مدلولا خاصا، فالجملة الأولى: تفيد التزام الحرص على ما ينفع المؤمن فى دينه ودنياه ليصون عقيدته ويحفظ نفسه وعياله، والجملة الثانية: تفيد طلب الإلتجاء إلى الله والاستعانة به بعد التزام الحرص على ما ينفع حتى لا يجرى الإنسان وراء حرصه، والجملة الثالثة: تفيد بعد طلب الاستعانة بالله التحذير من التواكل والإسراف فى الاعتماد على الأقدار.

ولما كانت الأمور كلها خاضعة لإرادة الله تعالى ومشيئته، ومرتبطة بقضائه وقدره قبل ارتباطها بالأسباب العادية نبه الحديث على أن ما يجرى منها على غير ما ينتظر الإنسان ويحب ينبغى أن يتلق بالإذعان والتسليم، والقبول والرضا، ولا يحصل ما ينبىء عن التبرم بالقضاء، ولا على أنه كان فى الوسع تغيير المقدور لأن هذا يفتح نافذة للشيطان يدخل منها فينشر وساوسه، ويقوى تسلطه ويجعل العبد يخضع لقيادته، ويتخذه وليا من دون ربه، وفى ذلك الخطب الفاجع، والطامة الكبرى، (ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا)

فإن أصاب الإنسان ما يكره ينبغى لحماية عقيدته، وبقائها متينة قوية أن يبادر فيقول قولا نابعا من قلبه: هذا ما شاء الله وقدره، وماشاءه وقدره فلا بد واقع، وإليه يرجع الأمر كله وهو العليم الحكيم.

والحديث الكريم يهدف إلى مقاصد سامية نجملها فيما يأتى:

١ — التنويه بمنزلة المؤمن القوى عند الله عز وجل.

٢ — توجيه المؤمن الضعيف إلى عدم الركون لحالته، وإلى أن يأخذ بأسباب القوة ليرفع منزلته.

٣ — ينبغى للمؤمن أن يتطلع إلى أشرف الأعمال، وأنبل الغايات.

٤ — الحث على الاستمساك بما ينفع الإنسان فى دينه ودنياه.

٥ — الحض على الاستعانة بالله تعالى فى غير عجز ولا تواكل.

٦ — يلزم المؤمن أن يرضى بقضاء الله وقدره.

٧ — التحذير من وساوس الشيطان والوقاية من أسباب فتنه، وفقنا الله تعالى للاستمساك بهدى النبوة، والاعتزاز بتعاليمها، حتى نكون أهلا لمزيد محبته سبحانه وجزيل عطائه ؟

منشاوى عثمان عبود

عدلُ الإسلام وظلّهُ على اليهود

للدكتور محمد رجب البيّومى

كان نفر من الباحثين الاجتماعيين يرون فى الارتقاء المادى لأمة من الأمم مقياسا لرقيها الإنسانى ، ودليلا على تقدمها المعيشى ، حتى انتقض ذلك بما تمخضت عنه الحضارة الأوربية من حروب مدمرة ، واستعمار ظالم ، وإذا كانت هذه الحضارة بعض آثار العلم فإن ارتقاءه اليوم لا يصلح كذلك أن يكون مقياس الرقى المأمول للإنسانية ! ولأن يعيش الناس فى عصر الجمل والسفينة الشراعية سالمين مسالمين خير من أن يعيشوا فى عصر الفضاء والقمر متناحرين ، وقد تكون الحرب مأساة كل عصر فى القديم والحديث ، إلا أن خطرها فى عهود التقدم العلمى من الجسامة الفادحة بحيث لا يقاس به ما كان من خطرها فى سالف العهود ! لذلك اتجه الباحثون عن مقياس الرقى إلى العامل الخلقى للأمة ، فهو وحده آية التقدم المنشود ! فإذا قام نظام الأمة على أساس من الخلق القويم فقد ضمنت علاج أكثر الشرور ، وحرصت على أن تمد للإنسانية يداً بيضاء تعمل على رأب الصدوع وبرء الجراح .

نقول ذلك لنمهد للغرض الذى نريده من تسطير هذا المقال ، فقد دأب نفر من السطحيين عن غرض أو غير غرض على ترديد ما يزعمه بعض المستشرقين من أن جماعة اليهود بالمدينة على عهد الرسول كانوا على نمط حضارى متقدم ، أتاح للمسلمين أن يأخذوا عنهم كثيرا من تعاليمهم الاجتماعية والثقافية والدينية ؛ واشتط بعضهم فذكر فروقا يزعمها بين الوحى المدنى والوحى المكى ؛ ليؤكد تأثير التشريع المدنى بهؤلاء الحضاريين المتقدمين ؛ ونخوض فى حديث معاد إذا حاولنا أن نرد على هذا الإفك الصارخ فقد نهضت أقلام مخاصة إلى تفنيده ؛ بل خصه الأستاذ الكبير محمد أحمد عرفه بكتاب خاص تحت عنوان « نقض مطاعن فى القرآن الكريم » ، ولكننا نريد الآن أن نوضح العامل الخلقى لدى يهود المدينة على عهد النبوة مقرونا بخلق الإسلام

الصريح فى نصـــوصه الواضحة ، ليرى القراء أن ما ذهب إليه اليوم باحثو الاجتماع من تقدير العامل الخلقى كأساس أصيل للتقدم الإنسانى يقـدم للمنصفين أروع الصور الزاهية عن رقى الإسلام وازدهاره كما يقـدم فى الوقت نفسه صورة معتمة لأناس تنحدر فيهم القيم الخلقية إلى أحـط دركات الأنانية ثم يجىء غلاة المتعصبين فيزعمونهم أصحاب الارتقاء الإنسانى والثقافى فى جزيرة العرب ، ويجـدون من أبواق المسلمين أنفسهم من يتبنون أكاذيبهم الدنيئة فينشرونها غير عابئين .

يقول الله عز وجل فى سورة آل عمران « ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنـه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون بلى من أوفى بعهـده واتقى فإن الله يحب المتقين » .

وقـد ذكر المفسرون فى شرح هـذا النص الكريم أن المراد به بيان حال عجيبة من أحوال بعض أهـل الكتاب وهم اليهود ؛ إذ كانوا يخونون الأمانة ، ويستحلون أكل أموال من ليس من الإسرائيليين غرورا فى الدين وتأويلا فى الكتاب حين يزعمون أن ليس عليهم فى الأميين ـ وهم العرب ـ جناح فى ابتزاز أموالهم بشتى الطرق ، إنما يكون الجناح الآثم فى ابتزاز أموال الإسرائيليين وحـدهم ، فهم الشعب الممتاز الجـدير باحترام ماله ودمه ! ثم يشتطون فيزعمون أن ذلك حـكم الله الذى جاءت به التوراة فيقولون على الله الكذب ، وهم يعلمون أن توراتهم محرفـة وأن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة .

هذه التفرقة الأنانية فى التعامل المادى بين اليهود وغيرهم تدل دلالة قاطعة على انتفاء العنصر الخلقى فى النظـر اليهودى وتؤكد أن جماعة كهؤلاء يسيئون للإنسانية أبلغ إساءة إذا تصدروا ركبها الحضارى ، فحقوق الإنسان مهدرة لديهم غير مصونة إلا أن يكون آدميا إسرائيليا ! وإذا أخـذت كل أمة بمثل هـذا المبدأ فلن يكون سلام .

وإذا وهم غير المسلم أن ماذكره القرآن الكريم عن أنانية اليهود الشرهة غير متأكد فإننا ننقل له نص التوراة الذى يستندون إليه فى ذلك كما جاء فى سفر التثنية ٢٣ .

« تقول التوراة على لسان موسى فيما أمره به ربه ، لا تقرض أخاك بربا : ربا فضة ، أو ربا طعام ، أو ربا شىء ما مما يقرض بربا، للأجنبى تقرض بربا، ولكن لأخيك لا تقرض بربا ، لكى يبارك الرب إلهك كل ما تمتد إليه يدك فى الأرض التى أنت داخل لتملكها » .

فهذا النص الثابت فى سفر التثنية مما يطابق قول الله عز وجل عنهم : « ليس علينا فى الأميين سبيل » ، ولا نريد أن نستطرد فننقل عن أحبار اليهود أقوالا كثيرة تثبت اختصاصهم وحدهم بالخير ، وتنظر إلى من سواهم نظرة الالتهام الشره فكل ذلك أصبح من المسلمات الذائعة وقد أستحال إلى برامج عملية تقوم الدولة الصهيونية الآن فى فلسطين بتنفيذها غير عابئة برأى عالمى ، أو سمعة دولية ! فكل الأمم فى اعتبارهم دون الشعب المختار .

وإذا كان الإسلام يعامل مخالفيه ، كما يعامل مناصريه ، ملتزما الحق ؛ ومستجيبا إلى نوازع الضمير الإنسانى فى كل تشريع يرتئيه ؛ فليس من شأننا اليوم أن نسهب فى ذلك ولكننا نشير إلى حادثة حكاها القرآن لنقدمها صورة وضيئة لإنصاف الإسلام ! ولنقف من نص التوراة السابق موقف النقيض .

قال الله تعالى فى سورة النساء : « إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما ؛ واستغفر الله إن الله كان غفوراً رحيما ؛ ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما ؛ يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا ؛ ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم فى الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا ؛ ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيما ومن يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما ، ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً ؛ ولولا

فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما » .

روى ابن جرير ، عن قتادة فى سبب نزول هذه الآيات ما فحواه أن رجلا من الأنصار يسمى طعمة بن أبيرق سرق درعا لعمه ثم خشى افتضاح أمره فرمى بالدرع على منزل يهودى بالمدينة يقال له زيد بن السمير ، وجاء قوم طعمة فاتهموا اليهودى ليبرءوا ذمة صاحبهم ، ثم تحاكموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبدا له أن اليهودى هو السارق حسبما صوره له قوم طعمه ولكن الله عز وجل شاء أن يفضح الباطل فأنزل هذه الآيات القاطعة فى براءة اليهودى واتهام الأنصارى ، وأنت حين تستعرض النص القرآنى تجد من عدالة التشريع النزيه مالا تكاد تجد له نظيرا فى أى دستور متعارف ، فقد أعلن الله تعالى أنه أوحى الكتاب لنبيه ليحكم بين الناس بالحق ، فيما أراه الله .

قال صاحب المنار فى الجزء الخامس من تفسيره ص ٣٩٧ ط ثالثة : «ظاهر الروايات أن النبى صلى الله عليه وسلم مال إلى تصديق المسلمين وإدانته اليهودى لما كان يغلب على المسلمين فى ذلك العهد من الصدق والأمانة ، وعلى اليهود من الكذب والخيانة ، ولذلك قال العلماء فى القديم والحديث أن أولئك المسلمين لم يكونوا إلا منافقين ؛ لأن مثل عمل طعمة وتأييد من أيده فيه لا يصدر عمداً إلا عن منافق وتبع ذلك أنه صلى الله عليه وسلم ود لو يكون انبلج بالحق فى الخصومة للمسلمين الذين يرجح صدقهم فأراد أن يساعدهم على ذلك ، ولكنه لم يفعل انتظارا لوحى الله تعالى فعلمه الله بهذه الآيات أن الاعتقاد الشخصى والميل الفطرى والدينى لا ينبغى أن يظهر لهما أثر ما فى مجلس القضاء ولا أن يساعد القاضى من يظن أنه هو صاحب الحق ، بل عليه أن يساوى بين الخصمين فى كل شيء وإذا كان هذا هو الواجب ، وكان ذلك الميل إلى تأييد من غلب على الظن صدقه يفضى إلى مساعدته فى الخصومة فيكون الحاكم خصيما عنه لو فعل ، وإذا كان طلب الانتصار لهم من الخائنين فى الواقع ونفس الأمر فى هذه القضية

فقد وجب الاستغفار من هذا الاجتهاد ومن حسن الظن ، ثم عجب القرآن لهؤلاء الذين يريدون أن يبرءوا ذمتهم أمام الناس ولا يريدون أن يبرءوا ذمتهم أمام الله إذ يبيتون مالا يرضى من القول حين واجهوا الرسول ببراءة طعمة وشهدوا على اليهودى بالسرقة لوجود الدرع فى منزله

وإذا كانوا قد جادلوا عن الخونة حتى لبسوا الأمر على الناس فى الحياة فمن يستطيع أن يجادل عنهم يوم القيامة والله مطلع على السرائر فلا ينفع لديه تمويه وادعاء .

ثم خلصت الآيات إلى الحكم الصريح القاطع بأن من يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا ، وموضع الشاهد فى هذه الآية هو قول الله (يرم به بريئا) أى أى برىء من أى دين أو أى مكان أو أية طائفة ! فالحق لا يختلف باختلاف الناس كما زعمت اليهود ، ولكن الحق سيد الجميع! ثم والى القرآن تأكيده الجازم فخاطب الرسول بقوله : « ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شىء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما » ، هاتان صورتان متقابلتان تنطق أولاهما بالأثرة الوبيئة والتعصب الأعمى لدى اليهود ، وتنطق أخراهما بالحيدة المنصفة ، والمساواة العادلة بين الناس كافة لدى المسلمين ، وقد اطرد تاريخ الفريقين فيما تتابع من العصور على نحو مارسمته الصورتان المتقابلتان ، فكان اليهود مثال الابتزاز الدنىء والأثرة الملحفة وقد شق عليهم أن يبعث الله نبيه من العرب فيصيروا أصحاب سلطان تخضع له بنو اسرائيل وكذلك ما يزالون منذ البعثة النبوية يضعون الخطط الظاهرة والمستترة لامتلاك الأرض المقدسة حتى سمحت الظروف التعيسة لهم بوعد بلفور وماأعقبه من عمل الإنجليز على التمكين لهم فى احتلال فلسطين جزءا جزءا ، وقد كنت أقرأ فى تفسير المنار عند قول الله عزوجل عن هؤلاء « أم لهم نصيب من الملك فإذن لا يأتون الناس نقيرا » ، فراعنى أن أجد السيد محمد رشيد رضا يشرح الآية الكريمة منذ ستين عاما وكأنه يرى من

دستور الغيب ما حدث بعد كارثة العالم العربى فى حرب يونيو سنة ١٩٦٧ م حيث يقول بالجزء الخامس من المنار ص ١٥٩ ط ثالثة ما نصه :

« وحاصل المعنى أن هؤلاء اليهود أصحاب أثرة شديدة وشح مطاع يشق عليهم أن ينتفع منهم أحد من غير أنفسهم فإذا صار لهم ملك حرصوا على منع الناس أدنى النفع وأحقره، فإن تم لهم ما يسعون إليه من إعادة ملكهم إلى بيت المقدس وما حوله ، فإنهم يطردون المسلمين والنصارى من تلك الأرض المقدسة ولا يعطونهم منها نقيرا من نواة أو موضع زرع نخلة أو نقرة فى أرض وجبل » .

هذا ما أطرد عليه تاريخ اليهود منذ البعثة إلى يومنا هذا ، وهو كما ترى يدور فى إطار التعصب الأنانى الذى أشار النص القرآنى الأول إلى صورة منه، أما ما اطرد عليه تاريخ المسلمين فما لا يخرج عن إطار النزاهة العالية التى أشار النص القرآنى الثانى إلى صورة منها ، فحين فتح المسلمون بلاد الشام وإفريقية والأندلس أنقذوا شراذمهم المضطهدة وساووهم بالمسلمين فى جميع الحقوق حتى كان منهم بعض الوزراء وكبار الأطباء والتجار وأرباب المال ؟ وكانوا فى الزمن القريب يفرون من أوربا إلى بلاد الخلافة الإسلامية ليستنشقوا ريح الأمن ، ومازالت الحيلة تسعفهم كيدا ومكرا وخيانة حتى قامت دولتهم الآثمة وأتيح لها أن تنتصر بعض الوقت ، فكان ما كان من نسف الدور ونهب المتاجر، وقتل الأرواح ، وتشريد آلاف اللاجئين حتى ليجوز لنا أن ننشد متحسرين :

ملكنا فكان العفو منا سجية
فلما ملكتم سال بالدم أبطح

د . محمد رجب البيومى

أصول التربية الإسلامية

للدكتور عباس حلمي إسماعيل

أدب الله سبحانه وتعالى رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم أحسن تأديب، ورباه خير تربية ، فاشتهر بين قومه بالأدب الرفيع ، والسلوك الكريم ، والصدق والأمانة ، فكان بما اتصف به من شمائل مثلا طيبا للإنسان الكامل المهذب ،وكان قدوة صالحة للإنسانية ، يتعلمون منه الدأب والصبر ، والمروءة والتواضع ، والشجاعة والنجدة،وكانت أعماله وأقواله سجلا للحياة الطيبة ، ونبراسا يهتدى به. وقد صاغه الله تعالى معلما أحكم ما يكون المعلم ، وصنعه مربيا أنجح ما يكون المربى ، وبعثه معلما ومربيا فى الأسرة والمجتمع ، والأمة والإنسانية عامة ، فاختط مناهج التربية القويمة ، ليتمم مكارم الأخـــلاق كما أوضح طريقته فى تربية الناس ، بأنه أمر أن يخاطب الناس على قدر عقولهم ، لأن الناس يختلفون إدراكا واستعدادا وظروفا .

وفى القرآن الكريم بين الله لنبيه المنهج العام ، الذى يتبعه فى تربية الناس أفرادا وجماعات ، وكيف يأخذهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويصبر عليهم ، فكان فى أسرته يحدب على الأطفال ، ويغمرهم بالحنان ، ويعلمهم المشى ، ويتعهد بنفسه نظافتهم ، قاضيا على تلك العادة الموروثة فى طباع العرب ، وهى الجفوة التى كان الأطفال يلقونها من آبائهم ، والخشونة التى كانوا يأخذونهم بها ، منذ نعومة أظافرهم ، لأنهم لم يعرفوا أهمية الحب وغيره من الحاجات النفسية فى تكوين شخصية الطفل .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يربى المعلمين من أصحابه ، ويزودهم بالنصائح ، ويضع لهم الخطة التى يسيرون عليها ، ثم يرسلهم إلى أنحاء الجزيرة ، ليدعوا الناس إلى الإسلام ، ويعلموهم الكتاب والحكمة ، ففى السنة العاشرة من الهجرة (٦٣١ م) أرسل على بن أبى طالب كرم الله وجهه فى ثلاثمائة فارس إلى بنى مذحج من أهل اليمن ، وقال له : سر حتى تنزل بساحتهم ، فادعهم إلى قول

لا إله إلا الله ، فإن قالوا نعم فمرهم بالصلاة ، ولا تبغ منهم غير ذلك، ولأن يهدى بك الله رجلا واحدا خير مما طلعت عليه الشمس ، ولا تقاتلهم حتى يقاتلوك وإذا جلس إليك الخصمان ، فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر، فسار حتى انتهى إليهم ولقى جموعهم ، ودعاهم إلى الإسلام فأبوا ، ثم أجابوا بعد قتالهم وهزيمتهم ، وتابعه رءساؤهم وأسلموا ، وطلبوا منه أن يأخذ زكاة أموالهم، وأن يكونوا على من وراءهم من قومهم .

واتجاهه العام ، صلى الله عليه وسلم ، فى توجيه أصحابه ، تمثل فى قوله : «يسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا » . دون تزمت أو إرهاق ، وكان يتخول أصحابه بالموعظة ، مخافة أن يسئمهم ، أى يطلب الحال التى يأنس فيها نشاطهم للموعظة فيعظهم ، ولا يكثر عليهم فيملوا يلق بالموعظة فى أسلوب من التمثيل والتصوير ، حتى يكون أبلغ فى الإفهام وأقوى فى التأثير ، يعطى كل من جلس إليه نصيبا من وجهه ، وما استصغاه أحد إلا ظن أنه أكرم الناس عليه .

انظر كيف يحبب أصحابه فى الجليس الصالح ، وينفرهم من الجليس السوء ، فيقول : مثل الجليس السوء كمثل صاحب الكير ، إن لم يحرقك بشرره علق بك من ريحه (فكما أن الريح يعلق بالثوب ولا يشعر به ، فكذلك يسهل الفساد على القلب ولا يشعر به) ومثل الجليس الصالح مثل صاحب المسك ، إن لم يهب لك منه تجد ريحه .

اتبع الإسلام فى تربية أبنائه وبناته ، ليصل بهم إلى ما يهدف إليه من البطولة عدة أساليب ، منها غرس الشعور بالكرامة الإنسانية ، لأن عزيز النفس يأبى الدنايا ، وقبل هذا ينبغى أن يكون المربى هو نفسه عالى الهمة موفور الكرامة حتى يكون قدوة لمن يربيه ، ومن أهم دعائم التربية الإسلامية، التربية الاستقلالية وتتجسد فى التبكير بتحمل المسئوليات ، ولقد نصح علماء التربية فى الإسلام أن يبعد طالب العلم عن أهله ، لتقل علاقته بالدنيا ومشاغلها ، فهى صارفة عن تحصيل العلم ، كما نصحوا بتدريب الحدث على أن يخدم نفسه بنفسه ، ولا يستعين بغيره فيما يستطيع أن يؤديه بنفسه . ومن تعاليم الرسول الكريم : صاحب الشىء أحق بحمله .

إنما هى الرجولة ، التى بثها فى العرب

دينهم وعظماؤهم، فعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، يضع البرامج لتعليم الرجولة فيقول : (علموا أولادكم العوم والرماية ومروهم فليثبوا على الخيل وثبا ، ورووهم ما يجمل من الشعر) . والرجولة صفة جامعة لكل صفات الشرف من اعتداد بالنفس، واحترام لها، وشعور عميق بأداء الواجب ، مهما كلف صاحبه من نصب ، وحماية لما فى ذمته من أسرة وأمة ودين .

فلا عجب إذا أنجبت هذه التربية العربية الإسلامية رجالا ، أشاد بهم أحد الحكام الرومان فى القرن السابع الميلادى، وقد أرسل إليه الامبراطور هرقل يعنفه ، لعجزه عن صد جيوش المسلمين ، فرد عليه الحاكم قائلا : « إنهم أقل منا عدداً، ولكن عربياً واحداً يعادل مائة من رجالنا ، ذلك أنهم لا يطمعون فى شىء من متاع الدنيا ، ويكتفون بالكساء البسيط والغذاء القليل ، هذا فى الوقت الذى يرغبون فى الاستشهاد ، لأنه أفضل طريق إلى الجنة ، فى حين نتعلق نحن بأهداب الحياة ونخشى الموت ، ياسيدى الامبراطور[١] » .

وفى عصر بنى أمية ، حوالى سنة ٥٠هـ (٦٧٠ م) أوصى عتبة بن أبى سفيان مؤدب ولده عبد الصمد ، فقال: «ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح بنى إصلاح نفسك ، فإن أعينهم معقودة بعينك ، فالحسن عندهم ما استحسنت ، والقبيح عندهم ما استقبحت ، وعلمهم كتاب الله، ولا تكرههم عليه فيملوه ، ولا تتركهم منه فيهجروه . ثم روهم من الشعر أعفه، ومن الحديث أشرفه ، ولا تخرجهم من علم إلى غيره حتى يحكموه ، فإن ازدحام الكلام فى السمع مضلة للفهم . وتهددهم بى ، وأدبهم دونى ، وكن لهم كالطبيب الذى لا يعجل بالدواء قبل معرفة الداء وجنبهم محادثة النساء ، ورَوِّهم سير الحكماء واستزدنى بزيادتك إياهم أزدك . وإياك أن تتكل على عذر منى لك ، فقد اتكلت على كفاية فيك ، وزد فى تأديبهم أزدك فى برى إن شاء الله » .

اشتملت الوصية على توجيهات تربوية قيمة ، منها أن يكون المربى قدوة صالحة لتلاميذه ، حتى يطبعهم على السلوك الطيب عن طريق الاقتداء ، واختار عتبة المواد التى تدرس لأولاده . وأوصى

(١) Eyre : European Civilization p. 64

بعدم الانتقال بالتلاميذ من موضوع إلى آخر ، حتى يفهموا الموضوع الأول، فيكون البناء على أساس متين ، وينبغى أن يعمد المربى إلى وسائل التشويق ، فلا يكرههم على الدرس ، أو يحملهم على الحفظ قسرا ، لأن ذلك مدعاة إلى السأم والملل . وأن يذكرهم بما سبق لهم حفظه، حتى لا يتعرضوا لنسيانه ، وذلك بتوجيه أسئلة للمراجعة من حين لآخر ، وحينما يلجأ المربى إلى تأديب الأولاد بأيديهم ، يجب ألا يتجاوز فى ذلك طور التخفيف بسلطة الأب؛ على أن يقوم المربى بتوقيع الجزاء المناسب على التلاميذ ؛ حتى تبقى هيبة الأب يرهبونها ويخافونها من بعيد.

ويجدر بالمربى أن يكون حليما واسع الصدر ، فيتجاوز أحيانا عن توقيع العقاب ، اكتفاء بالتوجيه والنصيحة ، ومن واجبه أن يكون دائما مع تلاميذه كالطبيب الذى ينبغى أن يعرف الداء ، قبل أن يصف الدواء، فيبحث عن عيوبهم وعللهم ، ثم يعالجها بوسائله الخاصة . ويوصى عتبة مؤدب أولاده ، بأن يجنبهم محادثة النساء والغزل ، لينشئوا من طفولتهم على العفة والجد والرجولة والخشونة . ولم يغفل عن تشجيع المربى ولا يخفى أن تشجيع المعلم من خير الوسائل الحافزة على العمل . ويرى أن المعلم الكفء ، لا ينبغى أن يتعالل بالأعذار ؛ فى عدم تقدم تلاميذه ؛ فى معلوماتهم أو أخلاقهم ؛ فإن تلمس المعاذير فى ذلك ؛ والتعلل بها ، دليل الفشل وعنوان الكسل . كما يرى أن الثقة فى المعلم ، من أعظم البواعث له على النهوض بمهمته ، وإخلاصه فى عمله .

وتمر السنون والأعوام ، ويجىء هارون الرشيد ، مع عصره الذهبى ١٧٠ - ١٩٣ ﻫ (٧٨٦-٨٠٨ م)فيضيف درة جديدة ، فى جبين التربية العربية الإسلامية ، عندما يوصى مؤدب ولده الأمين وصية هذا نصها : « يا أحمر ؛ إن أمير المومنين قد دفع إليك مهجة نفسه وثمرة قلبه؛ فصير يدك عليه مبسوطة وطاعته لك واجبة ؛ فكن له بحيث وصفك أمير المؤمنين : أقرئه القرآن ؛ وعرفه الأخبار وروه الأشعار وعلمه الشعر ؛ وبصره بمواقع الكلام وبدله ؛ وامنعه الضحك إلا فى أوقاته ؛ وخذه بتعظيم مشايخ بنى هاشم إذا دخلوا عليه؛

ورفع مجالس القواد إذا حضروا مجلسه ؛ ولا تمرن بك ساعة ؛ إلا وأنت تغتنم فرصة تفيده إياها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه ولا تمعن في مسامحته ؛ فيستحلى الفراغ ويألفه ، وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة ؛ فإن أباهما فعليك بالشدة والغلاظة».

والملحوظ أن الوصية تضمنت الخطة ثم التنفيذ ؛ كما اشتملت على التدرج في التعليم ؛ من اللين إلى الحزم إلى العقوبة .

ويبدو أن الرشيد كان مهتما بأمر وقوف الحاضرين ، تعظيما لعلية القوم ، فقد حدث أن محمد بن الحسن تلميذ الإمام أبي حنيفة ، وأحد الصاحبين من تلاميذه كان جالسا في جماعة ، لم يكن بينها الصاحب الآخر أبو يوسف صاحب كتاب الخراج ، وأقبل الرشيد فقاموا إلا محمدا ، الذي تعلم التواضع ، على ألا ينزل به إلى المذلة والخنوع ، ومضى الرشيد لشأنه ، ثم جاء صاحب الخليفة ينادي : محمد بن الحسن ، فارتجفت القلوب ، لما سيصيب تلميذ أبي حنيفة من غضب الرشيد ، فلما كان بين يديه ، سأله الرشيد: لماذا انفرد بالجلوس عندما قدم عليهم ؟ فقال له محمد : كرهت أن أخرج عن الفئة التي جعلتني فيها ، إنك أهلتني للعلم ، فكرهت أن أخرج منه إلى فئة الخدمة التي هي خارجة منه ؛ وإن ابن عمك - صلى الله عليه وسلم - قال : «من أحب أن يمثل له الرجال قياما ؛ فليتبوء مقعده من النار » . وإنما أراد بذلك العلماء ؛ فقال الرشيد : صدقت يا محمد .

ولا شك أن التجارب التطبيقية لتعاليم دينهم ؛ قد أنجبت رجالا تصدوا للأعمال العامة ؛ وما يتصل بمصالح الأفراد ومطالب الجماعات . فكتب الحسن بن سهل ؛ وزير الخليفة المأمون ؛ إلى محمد بن سماعة القاضي ؛ يطلب إليه اختيار رجل كامل ؛ يتولى أحد مناصب الدولة. وكان ابن سهل مطمئنا إلى أن صديقه ؛ سوف يختار له هذا الرجل ؛ في أقرب وقت ممكن ؛ لكثرة الرجال الكوامل إذ ذاك . وهذا هو نص ما كتبه ابن سهل : «أما بعد فإني احتجت لبعض أموري ؛ إلى رجل جامع لخصال الخير؛ ذي عفة ونزاهة طعمة ؛ قد هذبته الآداب ؛ وأحكمته التجارب ؛ ليس بظنين في رأيه ؛ ولا بمطعون في حسبه ؛ إن أوتمن على الأسرار قام بها . وإن قلد مهما من الأمور أجزأ فيه . له سن مع أدب ولسان . تقعده الرزانة ، ويسكنه

الحلم ، تكفيه اللحظة ، وترشده السكتة . له تواضع العلماء ، وفهم الفقهاء ، وجواب الحكماء ، لا يبيع نصيب يومه بحرمان غده دلائل الفضل عليه لائحة ، وإمارات العلم له شاهدة ، مضطلعا بما استنهض ، مستقلا بما حمل ، وقد آثرتك بطلبه ، وحبوتك بارتياده ، ثقة بفضل اختيارك ومعرفة بحسن تأتيك » .

ومن العلماء المسلمين الذين اهتموا بالتربية أبو حامد الغزالى ، حدث سنة ٤٨٤ﻫ (١٠٩١م) أن اشترك فى مناظرة مع نفر من العلماء ، فى حضرة الوزير نظام الملك بدولة السلاجقة ، فكانت الغلبة للغزالى بفضل حكمته وقوة حجته فأعجب به نظام الملك ، وعهد إليه بالتدريس فى المدرسة النظامية التى أسسها ببغداد . كتب الغزالى فى شئون التربية ، فى عدد من مؤلفاته ومنها : فاتحة العلوم ، وأيها الولد ، وإحياء علوم الدين . ويتحدث الغزالى عن تنشئة الطفل فيقول : « ينبغى أن يمنع من النوم نهارا فإنه يورث الكسل كما ينبغى أن يعود الخشونة فى المفرش والملبس والمطعم ، ويعود فى بعض النهار المشى والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل .. ويعود التواضع والإكرام لكل من عاشره ، والتلطف فى الكلام معهم .. وينبغى أن يعود ألا يبصق فى مجلسه ولا يتثاءب بحضرة غيره ، ويعلم كيفية الجلوس ويمنع من كثرة الكلام ، وأن يحسن الاستماع مهما تكلم غيره ممن هو أكبر منه سنا ، وأن يقوم ويوسع له المكان ، ويمنع من لغو الكلام وفحشه ومن اللعن والسب » . وينبه الغزالى كلا من الأب والمربى إلى أهمية اللعب للصغير فيقول : « ينبغى أن يؤذن له بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعبا جميلا يستريح إليه من تعب المكتب ، بحيث لا يتعب من اللعب ، فإن منع الطفل من اللعب وإرهاقه إلى التعلم دائما يميت قلبه ، ويبطل ذكاءه وينغص عليه العيش حتى يطلب الحيلة فى الخلاص منه » . ونادى الغزالى بمبدأ الفروق الفردية فهو ينصح بأن « يقتصر المتعلم على قدر فهمه فلا يلقى إليه مالا يبلغه عقله ؛ فينفره أو يخبط عليه عقله (١) » .

وثمة عالم آخر أدلى بآرائه فى الحقل التربوى ؛ وهو عبد الرحمن بن خلدون الذى أنصفه أحد حساده ؛ وهو لسان

(١) الغزالى : إحياء علوم الدين ج ١ ، ج ٣

الدين بن الخطيب الوزير بغرناطة فقال : « كان ابن خلدون رجلا فاضلا حسن الخلق ؛ جم الفضائل ؛ صعب المقادة خاطبا للخطر ؛ متقدما فى فنون عقلية ونقلية؛ سديد البحث؛ كثير الحفظ؛ بارع الخط ؛ مغرى بالتجلة ؛ حسن المعاشرة».
إن آراء ابن خلدون فى التربية تستهدف إعداد رجال يستطيعون أن يعيشوا عيشة سعيدة ،ولذا يجب ألا يكتفى المعلم بالعلم لكى يصير معلما ، بل لا بد أن يحسن الطريقة التى يقدم بها العلم فيقول : « بما يدل على أن تعليم العلم صناعة اختلاف الاصطلاحات فيه .. وأيسر طرق الفهم هو فتق اللسان بالمحاورة والمناظرة ، فإن قبول العلم والاستعداد فيه ينشأ تدريجاً » ويحث على التنقل فى طلب العلم فيقول : « إن الرحلة فى طلب العلم ولقاء المشيخة ، أصحاب الاختصاص ، مزيد كمال فى العلم ، والسبب فى ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم تارة علما وتعليما وإلقاء ، وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة ، ولا سيما عند تعدد الأساتذة وتنوعهم » وهاجم ابن خلدون المختصرات فقال : « إن فى ذلك إفسادا للتعليم ، وإخلالا بالتحصيل، وتضييع الوقت المتعلم فى تتبع ألفاظ الاختصار العويصة فى الفهم »، وأشار إلى ما للقهر والاستبداد من أثر فى إذلال النفس وضيقها والركون إلى الكذب والكسل والخبث فقال : « انظر إلى اليهود وما حصل بذلك فيهم من خلق السوء ، حتى أنهم يوصفون فى كل أفق وعصر بالحرج ومعناه التخابث والكيد » ويؤمن ابن خلدون بانتقال أثر التدريب فيقول : « إن إتقان الصنائع لا يجعل الإنسان ماهرا فيها فقط ، وإنما تنتقل مهارته إلى غيرها من الصنائع الأخرى التى يتعلمها إذا كانت قريبة من الأولى التى أتقنها ، فمثلا إذا مهر الإنسان فى الخط فإن أثر هذه المهارة ينتقل إذا تعلم النقش على الجدران ، وكذلك من تظهر مهارته فى الحساب يسهل عليه أن يتقن الجبر والهندسة » .

وأفاد الأزهر من هذه الآراء ، منذ قدم ابن خلدون إلى القاهرة سنة ٧٨٤ هـ (١٣٨٢ م) بعد أن ألف مقدمة كتابه المعروف باسم العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر ؟

عباس حلمى إسماعيل

القراءات في نظر المستشرقين والملحدين

للأستاذ عبد الفتاح القاضي

— ٧ —

الدليل الثامن : ثبت ثبوتا قطعيا لا يدع مجالا لشك أو ريبة أن الصحابة رضى الله عنهم لم يكن مصدرهم فى حفظ القرآن الكريم — بقراءاته ورواياته — المصحف ، لأنه لم يكن وجد بعد ، إنما كان مصدرهم فى حفظه السماع من فى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — والتلقى منه ، والأخذ عنه ، ومشافهتهم بالقرآن مباشرة مع حرصهم الحرص كل الحرص على حفظ وضبط كل ما يسمعونه فى صدورهم وانتقاشه على صفحات قلوبهم ولذلك مدحوا بأن «أناجيلهم فى صدورهم» يعنى أنهم يستظهرونه ويحفظونه عن ظهر قلب ، وفى هـذا إشارة إلى أن أهل الكتاب لا يمكنهم أن يقرءوا إلا فى الكتب من غير حفظ ولا استظهار .

الدليل التاسع : أن من عرف حال الصحابة ، ومحبتهم لدينهم ، وتقديسهم لكتاب ربهم الذى يعتقدون فيه أنه يجمع شريعتهم ، ومناط سعادتهم ، ومعجزة نبيهم ، تلك العقيدة التى هونت عليهم مفارقة أوطانهم وأبنائهم ، والخروج عن أموالهم ورفيع جاههم ، بل كان ذلك التقديس يهون عليهم بيع نفوسهم وأرواحهم دفاعا عنه، وذودا عن حياضه .

أقول : إن من عرف حال هؤلاء الصحابة لا يعتريه أدنى ارتياب فى أنهم كانوا على اعتقاد راسخ ، ويقين ثابت بأن هذا الكتاب وحى سماوى عن الله تعالى لا دخل لأحد من البشر فيه بوجه من الوجوه ، وأنهم لو أحسوا بأن لأحد دخلا فيه ، فى أية ناحية من نواحيه ، بزيادة أو نقص ، أو ذكر أو حذف ، أو وضع كلمة مكان أخرى ، أو حرف فى موضع آخر ، فيكون بذلك عرضة للآراء المختلفة والمذاهب المتباينة — لما رضيت نفوسهم الأبية باتباعه ، والإذعان لقوانينه وأحكامه ، لأن نفوسهم طبعت على تعشق الانطلاق والحـرية ، ومقت التقيد والعبودية .

الدليل العاشر : أن من القراء العشرة من بلغ الذروة فى العربية ، وكان فيها إماما يرحل إليه، ويؤخذ عنه،وله مذهب خاص فى النحو اشتهر به ، ومع ذلك كان فى القراءة لا يتعدى ما نقله عن أئمته ، وتلقاه عن شيوخه ، ولو خالف مذهبه فى العربية .

من هؤلاء الإمام أبو عمرو بن العلاء البصرى، قال الأصمعى: قال لى أبو عمرو: لولا أنه ليس لى أن أقرأ إلا بما قرىء لقرأت كذا وكذا من الحروف كذا وكذا ، فكان أبو عمرو يخالف مذهبه فى النحو اتباعا للأثر ، قال ابن خالويه فى الحجة : أدغم أبو عمرو وحده الراء فى اللام فى يغفر لكم وما شاكله فى القرآن الكريم ، وهو ضعيف عند البصريين ، وورد عن الكسائى مثل ما ورد عن أبى عمرو ، فكانت قراءته فى بعض المواضع تخالف مذهبه فى النحو، وليس هناك تفسير لذلك إلا أن هؤلاء الأئمة كانوا يستندون فى قراءتهم إلى النقل والرواية لا إلى القواعد والدراية . قال الإمام سفيان الثورى : ما قرأ حمزة حرفا من كتاب الله إلا بأثر، وكان ليحيى ابن سلام اختيار فى القراءة ولكن من طريق الآثار .

وكان الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام يختار من القراءات ما يوافق العربية والأثر جميعا .

الدليل الحادى عشر : أجمع المسلمون على تواتر قراءات الأئمة العشرة وثبوتها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق القطع واليقين.

والتواتر ـ كما عرفه علماء الأصول ـ اتفاق طائفة ـ على أمر ـ تحيل العادة تواطؤهم على الكذب ، أو وقوع الكذب منهم صدفة واتفاقا ، فالمتواتر من الأخبار ما يرويه جماعة تحيل العادة تواطؤهم وتوافقهم على الكذب أو وقوع الكذب منهم صدفة واتفاقا عن جماعة كذلك من مبدأ السند إلى منتهاه ، ويكون مستند الطبقة الأخيرة منه الحس من مشاهدة أو سماع ، فلا يتحقق التواتر إلا إذا وجد العدد الموصوف بما ذكر فى كل الطبقات من بدء السند إلى نهايته ، فلو فقد هذا العدد فى طبقة من طبقات السند انتفى التواتر .

والمتواتر يفيد العلم لسامعه، وهذا المعنى متحقق فى قراءات الأئمة العشرة ، وهم نافع بن أبى نعيم ، وأبو جعفر يزيد ابن القعقاع المدنيان ؛ وعبد الله بن كثير المكى ، وأبو عمرو بن العلاء ويعقوب ابن إسحاق البصريان ، وعبد الله بن عامر الدمشقى ، وعاصم بن أبى النجود، وحمزة ابن حبيب الزيات وعلى بن حمزة الكسائى وخلف بن هشام البزار الكوفيون.

فقد روى قراءات هؤلاء الأئمة معظم الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلقوها من فيه مشافهة ورواها عن الصحابة التابعون وأتباع التابعين .

ومن هؤلاء وهؤلاء القراء العشرة المذكورون ،ورواها عنهم أمم لاتحصى كثرة وعددا فى جميع العصر والأجيال لم تخل أمة من الأمم ، ولا عصر من العصر ولا مصر من الأمصار إلا وفيه من الكثرة الكاثرة ، والجم الغفير ، والجمع الوفير من يروى قراءات هؤلاء الأئمة ، ويحذقها وينقلها لغيره إلى وقتنا هذا ، ولن تزال الأمم — إن شاء الله تعالى ـ على تعاقبها ،وتلاحقها ، وتتابعها تتعاهد هذه القراءات وترويها ، وتنقلها لمن بعدها ، وتقرؤها وتقرىء بها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وهذا مصداق لقوله تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

ومن الأدلة على تواتر قراءات الأئمة العشرة ما يلى :

١ ـ إن هذه القراءات أبعاض القرآن وأجزاؤه ، وقد ثبت القرآن كله بجميع أبعاضه وأجزائه بطريق التواتر فيكون كل جزء منه ثابتا بطريق التواتر ضرورة ثبوت الأجزاء بثبوت الكل ، لأنه إذا ثبت الكل بطريق التواتر كان كل جزء منه ثابتا بهذه الطريق بالضرورة .

فمثلا : قراءة لفظ « الصراط » بالصاد بعض من القرآن، وقراءته بالسين بعض آخر منه . فكلتا القراءتين متواترة ، إذ الطريق التى وصلت إلينا منها إحدى القراءتين هى نفس الطريق التى وصلت إلينا منها القراءة الأخرى ، فيكون كل منهما قرآنا .

وإلا لو قلنا : إن إحدى القراءتين متواترة دون الأخرى ـ وطريق ورودهما واحدة ـ لكان ذلك تحكما باطلا . وترجيحا لإحدى القراءتين المتساويتين على الأخرى

دون مرجح وهو باطل ، فحينئذ تكون القراءتان متواترتين وهو المطلوب .

٢ - ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (أنزل القرآن على سبعة أحرف) أخرجه البخارى ومسلم من طرق متعددة قوية تفيد بمجموعها تواتر هذا الحديث ، بل صرح بعض العلماء بتواتره منهم الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام ، والإمام الحاكم النيسابورى ، والحافظ جلال الدين السيوطى فى كتابيه : الإتقان وتدريب الراوى شرح تقريب النواوى وعلى تواتر هذا الحديث يكون مفيدا العلم والقطع بإنزال القرآن على الأحرف السبعة . وقد قام الدليل على نسخ ماعدا القراءات العشر فبقيت القراءات العشر على القطع بثبوتها .

٣ - نصوص علماء الإسلام .

(١) قال الإمام القرطبى : وقد أجمع المسلمون فى جميع الأمصار على الاعتماد على ما صح عن هؤلاء الأئمة فيما رأوه ورووه من القراءات ، وكتبوا فى ذلك مصنفات ، واستمر الإجماع على الصواب وحصل ما وعد الله به من حفظ الكتاب وعلى هذا الأئمة المتقدمون والفضلاء المحققون كابن جرير الطبرى والقاضى أبى بكر بن أبى الطيب وغيرهما . انتهى .

(ب) وقال القاضى أبو بكر بن أبى الطيب فى كتابه : الانتصار : « لم يقصد عثمان رضى الله عنه قصد أبى بكر فى جمع القرآن بين لوحين ، وإنما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المتواترة المعروفة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وإلغاء ما ليس كذلك » انتهى .

(ج) وقال ابن عطية « ومضت الأعصار والأمصار على قراءات الأئمة السبعة بل ، العشرة ، وبها يصلى لأنها ثبتت بالإجماع » انتهى .

(د) وقال الإمام المحقق ابن الجزرى فى منجد المقرئين : وقال العلامة ابن السبكى : « القراءات السبع التى اقتصر عليها الشاطبى والثلاث التى هى : قراءة أبى جعفر وقراءة يعقوب وقراءة خلف ، متواترة معلومة من الدين بالضرورة ، وكل حرف انفرد به واحد من العشرة معلوم من الدين بالضرورة أنه منزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكابر فى شىء من ذلك إلا جاهل . وليس تواتر شىء من ذلك مقصورا على من قرأ بالروايات ، بل هى متواترة عند كل مسلم ، يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد

[٣]

أن محمدا رسول الله ، ولو كان مع ذلك عاميا جلفا ، لا يحفظ من القرآن حرفا ، وحظ كل مسلم وحقه أن يدين الله تبارك وتعالى وتجزم نفسه بأن ما ذكرناه متواتر ، معلوم باليقين ، لا تتطرق الظنون ولا الارتياب إلى شيء منه ، والله تعالى أعلم . انتهى .

وقال ابن الجزرى فى منجد المقرئين أيضا : كل قراءة وافقت العربية مطلقا ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو تقديرا ، وتواتر نقلها ـ هذه هى القراءة المتواترة المقطوع بها ، ومعنى العربية مطلقا أى بوجه من الإعراب نحو قراءة حمزة : والأرحام بالجر ، وقراءة أبى جعفر : ليجزى قوما .

ومعنى أحد المصاحف العثمانية : واحد من المصاحف التى وجهها الخليفة عثمان إلى الأمصار ، كقراءة ابن كثير فى الموضع الأخير من سورة التوبة : تجرى من تحتها الأنهار ، بزيادة من ، فإنها لا توجد إلا فى المصحف المكى .

ومعنى ولو تقديرا ما يحتمل رسم المصحف كقراءة من قرأ : مالك يوم الدين بالألف فإنها كتبت بغير الألف فى جميع المصاحف ، فاحتملت الكتابة أن تكون مالك بالألف وفعل بها كما فعل باسم الفاعل من قوله : قادر ، صالح ، ونحو ذلك مما حذفت منه الألف للاختصار ، وهو موافق للرسم تقديرا ، ونعنى بالتواتر ما رواه جماعة عن جماعة كذا إلى منتهى السند ، وهو يفيد العلم من غير تعيين عدد على الصحيح .

والذى جمع فى زماننا هذه الأركان الثلاثة هو قراءات الأئمة العشرة التى أجمع الناس على تلقيها بالقبول ، وهم أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى وخلف .

أخذها الخلف عن السلف إلى أن وصلت إلى زماننا ، فقراءة أحدهم كقراءة الباقين فى كونها مقطوعا بها .

ثم قال ابن الجزرى بعد كلام :

فالذى وصل اليوم إلينا متواترا وصحيحا مقطوعا به ، مجمعا عليه غير منازع فيه ، متلقى بالقبول ، هو قراءات الأئمة العشرة ورواتهم المشهورين ، هذا الذى تحرر من أقوال العلماء ، وعليه الناس اليوم ، بالشام والعراق ومصر والحجاز .

ثم نقل ابن الجزرى عن كثير من أئمة الإسلام مثل محيى السنة أبى محمد الحسن ابن مسعود البغوى ، وحافظ المشرق ، المجمع على فضله ، أبى العلاء الحسن ابن أحمد الهمدانى ، والحافظ المجتهد أبى عمرو بن الصلاح ، والحافظ مجتهد العصر أبى العباس أحمد بن تيمية ، والإمام أبى الحسن السبكى وولده قاضى القضاة ـ نقل ابن الجزرى عن هؤلاء وأمثالهم من الأعلام : تواتر القراءات العشر انتهى .

وقصارى ما يقال فى ذلك أنه لم يظفر كتاب من الكتب السماوية بما ظفر به القرآن الكريم ، من ثبوته ثبوتا قطعيا بطريق التواتر الذى يدرأ كل شك ، ويدفع كل ارتياب ، ويدل على أن الصحابة رضى الله عنهم ، تلقوه من فيه صلى الله عليه وسلم بقراءاته ورواياته ، ولقنوه من بعدهم بقراءاته وهيئاته وطرق أدائه فى ضبط وأمانة وثقة ، هى مضرب الأمثال فلم يضيعوا منه جملة ، ولم يغفلوا منه كلمة ، ولم يهملوا منه حرفا ، أو حركة أو سكونا ، ولم يدر بخلدهم أن يبدلوا منه كلمة بأخرى ، أو حرفا بآخر ، ونقله عن الصحابة التابعون على هذا الوجه من الإحكام والتحرير ، والإتقان والتجويد .

ثم نقله عن التابعين الأمم المتعاقبة والأجيال المتلاحقة ، أمة بعد أمة ، وجيلا إثر جيل ، إلى أن وصل إلينا ، ولن تزال الأمم تتعاهده ، وترويه ، وتنقله لمن بعدها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وهذا مصداق قوله تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

عبد الفتاح القاضى

●●●●

رسالة الأزهر في السودان

من القرن العاشر الهجرى حتى القرن الثالث عشر

للأستاذ ابراهيم محمد الفحام

يعد السودان الشقيق ، فى مقدمة البلدان العربية ، التى تربطها ببلادنا ، روابط القربى والعقيدة والجوار .

وقد أسهم الأزهر الشريف ، بنصيب وافر ، فى توثيق هذه الروابط ، منذ أجيال طوال .

وإذا كانت صلة الأزهر بالسودان، قد اكتسبت الطابع الرسمى، منذ بعث محمد على مع حملته إلى هذا القطر فى سنة ١٢٣٦ هـ (١٨٢٠ م) ثلاثة من العلماء ، هم الشيخ محمد الأسيوطى الحنفى ، والشيخ أحمد البقلى الشافعى ، والشيخ أحمد السلاوى المالكى، إلا أن رسالة الأزهر ، ذات الطابع الثقافى الخالص ، لم تكن غريبة عن السودان ، قبل ذلك التاريخ .

فقبل تلك الحملة بعدة قرون ، كانت بعض الزيارات المتبادلة بين بعض الشيوخ السودانيين والمصريين ، قد أسهمت على قلتها، فى إبلاغ تلك الرسالة إلى ذلك الشطر من وادى النيل.

وقد أنجب القرن العاشر الهجرى ، نخبة من أشهر أولئك الشيوخ الذين قاموا بدور بارز فى ذلك المجال ،

ومن الشيوخ السودانيين الذين قاموا بذلك الدور .

محمود العركى (أو راجل القصير) :

وهو محمود بن أحمد بن حسن المعرك المعروف بمحمود العركى ، أو راجل القصير . وقد تتلمذ فى مصر بين سنتى ٩٣٥ و ٩٤٠ هـ على اثنين من شيوخ المالكية، هما شمس الدين اللقانى، وناصر الدين اللقانى ، وأقام عقب عودته من مصر ، فى جزيرة سنار ، من ناحية النيل الأبيض ، حيث أقام لنفسه بيتاً عرف باسم « قصر محمود » وأسس سبع عشرة مدرسة ، فى المنطقة الواقعة بين الحسانية (توتى) وأليس ، وهو موضع على شاطىء النيل الأبيض الأيمن جنوبى الخرطوم ، يعرف الآن بالكوة ،

وكانت تلك المنطقة من النيل الأبيض ،

والأقاليم الواقعة شرقيها ، إلى حدود سنار ، خالية من معاهد العلم والمساجد، وقد ذكر الفقيه السودانى محمد ضيف الله فى كتابه المسمى بـ « الطبقات : فى خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء فى السودان» أنه «أول من أمر الناس بالعدة ، وكانت المرأة قبله يطلقها زوجها ويتزوجها غيره فى يومه أو ثانيه».

وذكر الدكتور عبد العزيز أمين عبد المجيد ، فى كتابه « التربية فى السودان » أنه « كان من أوائل السودانيين — إن لم يكن أولهم الذين درسوا فى مصر ، فى الجامع الأزهر » .

إبراهيم بن جابر المعروف بالبولاد :

هو إبراهيم (المعروف بالبولاد) بن جابر بن عون بن سليم بن رباط بن غلام الله ، أحد «السادة الركابية» المشهود لهم بالعلم والصلاح فى السودان ، وقد تتلمذ فى مصر على محمد البنوفرى وغيره من شيوخ المالكية ، وأخذ عليهم الفقه والأصول والنحو ، ثم رجع إلى موطنه بجزيرة « ترويخ » من ديار الشايقية ، حيث أقام مدرسة درس فيها فقه المالكية وخاصة مختصر خليل بن اسحق المالكى، ورسالة أبى زيد القيروانى .

وفى ذلك يقول محمد ضيف الله فى طبقاته « ثم رجع إلى ترويخ ودرس فيها خليلا والرسالة ، وهو أول من درس خليلا فى بلاد الفونج ، وشدت إليه الرحال ، ومدرسته فى خليل سبع ختمات - أى قام بتدريس مختصر خليل سبع مرات - وعلم فيها أربعين إنساناً ، صاروا كلهم أولياء وأقطاباً بإذن الله » .

عبد الرحمن بن جابر:

وقد تتلمذ على أخيه إبراهيم بن جابر (المعروف بالبولاد) ثم رحل إلى مصر، حيث تتلمذ أيضاً على محمد البنوفرى فى الأزهر الشريف ، وقد خلف أخاه فى التدريس ، وأقام ثلاثة مساجد أحدها فى دار الشايقية ، والثانى فى « كورتى » والثالث فى « الدفار » بدنقلة . وكان يقرأ فى كل مسجد أربعة أشهر ، وقيل إنه درس مختصر خليل فى تلك المساجد أربعين مرة .

وكان يقتدى فى تنقله بين تلك المساجد الثلاثة ، بشيخه محمد البنوفرى ، الذى كان

يمضى أربعة أشهر فى القاهرة ، ومثلها فى الاسكندرية، ثم يقضى أربعة الأشهر الثالثة فى الحجاز ، حيث اعتاد أن يحج سنوياً إلى بيت الله الحرام .

ومن العلماء السودانيين الذين تخرجوا عليه عبدالله بن دفع الله العركى ، وعبدالله ابن مشيخ النويرى ، ويعقوب ابن الشيخ بان النقا الضرير ، والمسلمى ولد أبى ونيسة ، والحاج لقانى وعيسى بن محمد ابن عيسى سوار الذهب ، وإبراهيم ابن أم رابعة.

محمد بن سرحان العودى المعروف بصغيرون :

ولد بجزيرة « ترويخ » بديار الشايقية وتلقى العلم على خاله إسماعيل بن جابر بن عون (من السادة الركابية) وأذن له بالتدريس ثم رحل إلى مصر ، حيث تلقى العلم على محمد البنوفرى ، وأذن له أيضاً بالتدريس ، فجلس فى مجلس أخواله إبراهيم وعبدالرحمن وإسماعيل من بعدهم ثم أقام مسجداً فى «قوز المطرمة» فقصده كثير من الطلاب ، من مختلف أنحاء البلاد . وانتفع به الناس . ووصفه محمد ضيف الله فى طبقاته بأنه « كان من زهاد العلماء ، وكبار الصالحين » .

وكان ممن أخذ عنه من علماء السودان دفع الله بن إدريس ، وعبد الرحيم ولد بحر ، وإبراهيم ولد برى ، وعلى ولد برى ومحمد وحمودة ومازرى أولاد التنقار الجعلى .

محمد بن جمال الدين الحجاجاى العامرى (المعروف بحلاوى) .

ولد بالكاملين على الشاطىء الأيسر للنيل الأزرق ، وتتلمذ على الشيخ محمد ابن عيسى سوار الذهب ، ثم سافر إلى مصر ، حيث درس فى الأزهر ، وكانت له دراية بالفتاوى والأحكام .

وقد عمر حتى جاوز المائة بكثير .

عبد الرحمن بن حمدتو الخطيب :

وقد سافر إلى مصر ،ودرس بالأزهر ، حيث تتلمذ على محمد النبوفرى ، ثم عاد إلى السودان ، حيث تصدى للتدريس .

وكان ممن تخرج عليه من علماء السودان حمد بن عبد الله الأغبش ، وإبراهيم بن عودى المعروف بالفرضى ، وكان سبب تسميته (الفرضى) تضلعه فى علم الفرائض ، وقد ألف حاشية فيه عرفت بـ(الفرضية) .

عبدالرحمن بن ابراهيم بن أبى ملاح الكبانى:

وقد سافر إلى مصر، ودرس بالأزهر حيث تتلمذ على على الأجهودى، فقرأ عليه مختصر خليل، ومنظومته فى التوحيد وأجازه فيهما، ثم عاد إلى السودان حيث أفاد بعلمه الناس.

ومن الشيوخ المصريين الذين وفدوا على السودان، لتبليغ رسالة الأزهر فيه:

محمد القناوى المصرى المالكى :

وأصله من مدينة إدفو بصعيد مصر. وقد تتلمذ على سالم السنهورى، ويوسف الزرقانى بالأزهر، ثم رحل إلى السودان، فدخل مدينة سنار وأربجى (على الشاطىء الأيسر للنيل الأزرق) ثم انتقل منها إلى قرية بربر (بين دنقلة وجزيرة سنار) حيث أقام بها مسجدا، تولى فيه تدريس الرسالة والعقائد والنحو، وسائر العلوم وولى القضاء فباشره بثقة ونزاهة، ونهى الحكام والقضاة عن الرشوة، ولم تأخذه فى ذلك لومة لائم، حتى أنه أدان ابنه بتلك التهمة، ولم يجامله؛ وأعلن بطلان أحكامه.

وكان ممن تتلمذ عليه من علماء السودان محمد بن عيسى بن صالح البدرى المشهور بـ (سوار الذهب) من أهل دنقلة، وقد قرأ عليه العقائد والمنطق وعلوم القرآن الكريم، وسلك عليه الطريق، وأصبح فيما بعد من أجل علماء السودان.

وكان مطاعا عند ملوك الفونج (وهم ملوك سنار المشهورون)، ودفن بدنقلة حيث ظل ضريحه مزاراً لتلامذته ومريديه الأوفياء، ومن أخذوا عنهم فيما بعد.

ومن العلماء الذين تتلمذوا عليه أيضاً حفيده مضوى بن الداوى بن محمد القناوى والمكى النحوى الرباطابى.

وتعرف طبقة الفقهاء التى أخذت عنه وعن تلامذته وأبنائه وأحفاده فى مدينة بربرة حتى الآن باسم (المصاروة).

محمد بن على بن قرم الكيمانى المصرى الشافعى

وقد تتلمذ فى الأزهر على محمد الخطيب الشربينى، أحد أعلام الشافعية فى مصر ثم وفد على السودان فى نحو سنة ٩٧٠ هـ وموطن قريته بربر، بعد أن مر بمدينة سنار، وكان أول من درس المذهب الشافعى فى السودان، وأخذ عنه كثير من الطلاب.

ومن العلماء السودانيين الذين تتلمذوا

عليه عبد الله العركى ، وإبراهيم الفرضى والقاضى دشين الشافعى ، وهو أحد الفقهاء الأربعة الذين عينهم الشيخ عجيب المنحلك بأمر الملك دكين، ولقب بقاضى العدالة ، إذ ضربت الأمثال بعدالته ، وجرأته فى الحق .

وقد خلف من الأولاد الشكال وشافعى ومكى ومدنى ، وكانوا جميعاً من الصلحاء والفضلاء ، وقد دفن فى بربر وله فيها قبر طاهر يزار .

ويبدو أن تلك الصلات الثقافية الإسلامية ، بين مصر والسودان ، قد انكمشت إلى حد ما قبل الحملة المصرية ، ثم عادت إليها حيويتها على نحو تدريجى .

فلم يكن ينقضى زمن قصير حتى بعثت إلى السودان وفود متتالية من العلماء الذين أدوا واجبهم بكل صدق وذكاء وإخلاص ، حتى أثاروا فى نفوس عدد غير قليل من تلامذتهم الرغبة فى الرحيل إلى مصر للاستزادة من العلم ، فى رحاب الأزهر الشريف .

وقد ذكر على مبارك باشا فى خططه أنه فى ١٢٥٣ هـ التحق طالب سودانى يسمى محمد على وداعة بالأزهر ، فوجد به ستة من مواطنيه ، أبناء سنار .

وبعد خمس سنوات قدم ذلك الطالب بأسمهم لأول مرة طلباً بالتماس الموافقة على صرف خبز خاص لهم (جراية) أسوة بالطلاب من سائر الأجناس، فووق لهم على ذلك :

ثم أنشىء لهم ، بناء على طلبه أيضاً ، رواق خاص فى ١٢٦٣هـ وقد أصبح ذلك الطالب ـ فيما بعد ـ شيخا لذلك الرواق .

وكان من حكمدارى السودان الذين اشتهروا بالغيرة الدينية ، والرغبة فى نشر العلوم جعفر مظهر باشا ، الذى بعث خطابا إلى السكرتير الخاص للخديوى فى ٢٧ من رجب سنة ١٢٨٤ هـ طاب فيه بذل وضرورة الترغيب لحمل بعض الذين حفظوا القرآن من أهالى السودان، وحصلوا على بعض المبادىء النحوية ، والفقهية ، للانتساب إلى الجامع الأزهر لمدة ثلاث سنوات ، لإكمال علومهم وثقافتهم ، حتى إذا عادوا إلى أهليهم كانوا رسل الثقافة الدينية السليمة ودعاة الدين القويم » .

وقد استجابت الحكومة المصرية لذلك فأحسنت استقبال الفوج الأول الذين اصطحبهم الحكمدار بنفسه للقاهرة ،

وكان يتكون من طالبين فقط اتضح من اختبارهما أنهما «حفظا القرآن حفظا تاما ، وأحاطا ببعض المسائل الفقهية»

والتمس الحكمدار أن يمنح كل منهما فى كل يوم قرشين ، علاوة على رغيف الجراية ، الذى يصرف للطلاب الذين يفدون للأزهر من تلقاء أنفسهم وذلك منعا لنفورهما وتثبيط عزائمهما وخوفا من عدم رغبة غيرهما فى الالتحاق، وإعانة لهما على المعيشة » .

ومن الرعيل الأول من الطلاب السودانيين الذين تخرجوا فى الأزهر فى ذلك العهد الشيخ أحمد ودعيس صاحب مسجد ودعيس المشهور بالجزيرة؟ والشيخ أحمد الأزهرى بن الشيخ اسماعيل ابن عبد الله الولى الكرونانى المشهور ، وابن اخته الشيخ اسماعيل القادر والشيخ عبد الرحمن المعنوى ، والشيخ الحسن إبراهيم .

وقد أقام أولئك الشيوخ عقب عودتهم إلى السودان مدارس ومساجد للعلم ، كان من أشهرها ذلك المسجد الذى أقامه الشيخ أحمد الأزهرى فى مدينة (الأبيض) سنة ١٢٨٠ ه وأقام حوله منازل لطلبة العلم الذين أخذوا يفدون عليه من سائر أنحاء السودان .

وذكر نعوم بك شقير فى كتابه (تاريخ السودان القديم والحديث) أن طلاب ذلك المسجد كانوا يتلقون فيه العلوم الآتية بالترتيب : «النحو والصرف؛ فالتلخيص لجمع الجوامع ؛ فمفردات اللغة ، فالمعانى والبيان والبديع ؛ فالعروض والقوافى ؛ فالمنطق ؛ فعلم التوحيد فعلم التفسير والحديث ؛ فعلم الفقه ؛ فعلم التصوف ؛ فعلم الجبر والمقابلة ».

وقد حضر أحد أولئك الطلبة ـ وهو الشيخ إسماعيل بن الشيخ أحمد الأزهرى إلى مصر فى سنة ١٣١٨ ه واطلع شيخ الأزهر على معارفه ؛ فشهد له بغزارة التحصيل ؛ وأجازه بالفتوى والتعليم لأحكام الشرع ؛ فعينته حكومة السودان قاضيا على كردفان .

وفى الوقت نفسه فقد تخرج فى مسجد الخرطوم ـ على أيدى العلماء الأزهريين كثير من علماء السودان ؛ الذين بذلوا قصارى جهدهم لنشر الثقافة الإسلامية فى ذلك القطر ؛ مثل الشيخ إبراهيم عبد الباقى مفتى السودان فيما بعد

والشيخ محمد أحمد نور السرورابى ، والشيخ أمين الضرير ، والشيخ شاكر المفتى . والشيخ مصطفى السلاوى والشريف السيد حسين المجدى ، والشريف المحروقى .

وقد أسهم علماء الأزهر كذلك فى التدريس بالمدارس ذات النظام الحديث التى انشئت تباعا بالسودان ، على غرار مدارس القاهرة ، وغيرها من المدن المصرية .

وعندما صدر فى سنة ١٢٦٦ ﻫ أمر المجلس الخصوصى » بالقاهرة بإنشاء مدرسة بالخرطوم على هذا النظام « على أن يقبل ويقيد بها مائتان وخمسون غلاما من بلاد دنقلة والخرطوم وسنار وتاكه أى كسلا) وملحقاتها ، من أولاد مشايخها وأحفادهم » وعين رفاعة بك رافع الطهطاوى ناظراً لها إختار لهذه المدرسة أحد عشر معلما كان من بينهم سبعة من ضباط الجيش ، وأربعة من العلماء الأزهرين

وقد ألغيت تلك المدرسة ـ للأسف ـ بعد ذلك بأربع سنوات ، بأمر والى مصر محمد سعيد باشا .

وقد شهد رفاعة بك لأبناء السودان بالاستعداد لتلقى العلوم والإفادة منها كما أشاد بتعاون أبناء الشعب على تيسير تلقى تلك العلوم على مواطنيهم . فكان مما ذكره فى كتابه (مناهج الألباب المصرية فى مباهج الآداب العصرية) أنهم كانوا يشتغلون » بما ألفوه من العلوم الشرعية ؛ شغل رغبة واجتهاد ؛ ولهم مآثر عظيمة فى حسن التعلم والتعليم حتى إن البلدة إذا كان بها عالم شهير يرحل إليه من البلاد الأجنبية للمجاورة من طلبة العلم العدد الكثير . والجم الغفير فيعينه أهل بلدته على ذلك بتوزيع المجاورين على البيوت بحسب الاستطاعة .

فكل إنسان من الأهالى يخصه الواحد والاثنين . فيقومون بشئونهم مدة التعلم والتعليم .

وفى سنة ١٢٨٠ ﻫ بدىء مرة أخرى فى إنشاء خمس مدارس جديدة : على ذلك النظام فى السودان . بناء على اقتراح موسى حمدى باشا الحكمدار . وكان من بين العلوم التى يدرسها العلماء الأزهريون فيها « شرح الكفراوى . وشرح الشيخ

(بقية المنشور على ص ٧٥٤)

مع الشبـــاب :

قف ساعة معى

للدكتور عز الدين على السيد

شاقنى الحديث إليك ، فقف ساعة معى ، إنها ساعة لى . ولكنها أيضالك لأن لى فيها متاع النصيحة المخلصة . ولك فيها متاع الناظر اللبيب .

ارأيت مايسعد النفس وينشى القلب من الدفء الحبيب فى ليالى الشتاء والنسيم العليل فى نهار الصيف ؟

أى حلم لذيذ وخيال ممتع أنت فيه عندهما ؟

ليست يد الإسلام أقل دفئا على نفسك ولا أدنى روحا على قلبك . مما تجد ظاهرا فى الطبيعة .

إنه يريدك قوى الجسم . سوى الروح سعيد الحياة !

عرفت أثارة مما حباك وأنت فى الغيب لتولد فى الحمى المحمود متكافىء الأبوين كرامة ، مزدهر الحياة مجدا .

قف اليوم ساعة معى . ننظر ماغرس الله فى قلوب الآباء من حبنا . ومافطرها عليه من الرغبة فينا . وما قاوم به شذوذ المنحرفين بالأسباب العارصة ليرعانا . وما أوجبه لنا من الحقوق عليهم ليسعدنا فإن ذلك فضلا يلزمنا الخجل من أنفسنا والحياء من عقوقنا . ونحن ما زلنا ـ وسوف نظل ـ أطفالا فى مهد رحمته لاغنى بقدرتنا عن قدرته . ولا استقلال بقوتنا عن قوته :

« من يهد الله فهو المهتد . ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشداً » .

« ياأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله . والله هو الغنى الحميد »

فطرة الله :

ينبت حب الإنجاب فى قلوب البشر فطرة . حكمة شاءها الله لبقاء الجنس وزينها القدر ونماها حتى فى الطفولة الحالمة ، حين نرى قلوب الصغار تفيض حنانا ورقة . والقبلات الحارة والبريئة معا تطبعها الشفاه الجميلة الغضة على خدود

الدمى وأفواه (التماثيل) وعبارات الحب والعطف تغمره هذه اللعب السعيدة وهى تملأ خيال أولادنا بغاما ودلا.

جعل الله البنين فى فطرة الناس شهوة مشتهاة، ليطلبوها ويحرصوا عليها، « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين ».

وجعلهم الله زينة من زينة الدنيا . ليرغبوا فيها ويستزيدوا جمالها « المال والبنون زينة الحياة الدنيا » .

وبهجة للقلب وقرة للعين، ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين » وأمتن الله بها عليهم لما يعلم فى فطرتهم من هذا الحب والحرص قائلا: « وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات » .

وبين لنا جانباً من هذا الحب فى دعاء إبراهيم الممتحن بفراق ولده « ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم . ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم . وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » .

وفى صفة يعقوب المبتلى بفراق يوسف: « وتولى عنهم وقال : يا أسفا على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم » . « إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله وأعلم من الله مالا تعلمون » .

وفى أمله ورجائه وارتباط وجدانه بولده :

« إنى لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون » وفى مس قميصه رد بصره « فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيراً » وفى وصفه أم موسى وقد أوحى إليها بطرحه فى اليم إبقاء عليه : « وأصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين » وصور أملها فيه وارتباط روحها به حين قال : « وقالت لأخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون »

وجعل عودته قرة لعينها وفرحة لقلبها « فرددناه إلى أمه كى تقر عينها ولا تحزن» بل صور لنا الله الحنين إلى نعمة الولد ، والشوق الضارع إلى رؤيته فى دعاء زكريا المحروم طاعته : «فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا » .

بل حمل من حرم الإنجاب على التبنى رجاء النفع وشغل العاطفة ، فنقل إلينا

صوراً تهز القلب ، وتغلى قيمة النعمة ، فانظر قوله سبحانه فى قصة موسى :

« وقالت امرأة فرعون : قرة عين لى ولك .! لا تقتلوه .! عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا .! » .

وقوله تعالى فى قصة يوسف :

« وقال الذى اشتراه من مصر لامرأته أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً » .

وأعطانا لهـذا الحب الذى غرسه فى القلوب ألوانا تصل إلى الغرور بالبنين تارة ، والخشية على حياتهم أخرى ، وجعل من مظاهر الأولى غرور الوليد إذ ندد به سبحانه قائلا : « أن كان ذامال وبنين إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين » ، وإذ هدده قائلا : « ذرنى ومن خلقت وحيدا ، وجعلت له مالا ممدودا ، وبنين شهودا » .

كما صور هذه الخشية المقلقة فى قوله :

« وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم ، فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا » .

لطف التكوين :

أرأيت معى هذه الفطرة المنجبة تتدفق حنانا وحبا .؟

أرأيت عناية الله بك فى هذه الفطرة ؟ فانظر مرة أخرى إلى آثار رحمة الله فى تكوينك . !

تأمل هذه الآيات واسبح تحت ظلالها حيث تنسى كل هواك وصوارفك فى ساعة حانية من ساعات ربك .. إنك إن تعرفه فتذرف عيناك عبرة ندم ، ويئن قلبك أنة اعتراف ـ ربحت ربحا لا يحصره حد .

من أى مادة أنت ؟

« قتل الإنسان ما أكفره ! من أى شىء خلقه ؟ من نطفة خلقه فقدره » !

« ألم نخلقكم من ماء مهين ؟ »

« فلينظر الإنسان مم خلق . خلق من ماء دافق ، يخرج من بين الصلب والترائب »

« إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا »

وفى أى قرار تكونت ؟

« ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين »

« يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث »

وأى رعاية تعهدتك؟ وأى علم شملك ؟

« هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض، وإذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم »

« الله يعلم ماتحمل كل أنثى ، وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار »

وأى حكمة أحكمت زمنك؟ وأى جمال رسم صورتك ؟

« ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا »

« هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء ، لا إله إلا الله هو العزيز الحكيم »

« يأيها الإنسان ماغرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك . فى أى صورة ماشاء ركبك »

« خلق السموات والأرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم وإليه المصير »

« الله الذى جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين »

أرأيت ؟

أى ألم تلقاه الأم وهى تحملك وهنا على وهن ؟ وأى أمل سلاها به الله فى نور وجهك المرتقب ؟ تعد اليوم بالساعة لتراك ، وتعد ثوبك ومهدك قبل لقياك ، لا تتبرم بك وهى وجعة منك ، ولا يزيدها تضورها إلا شفقة عليك .. لا تنام على جنب يؤذيك وإن نالها الأذى ، ولا تطعم أو تشرب ما تشتهى إن قيل هو ضرر يؤذيك . ! ثم هى تضعك كرها كما حملتك كرها ، فلا تكون رؤيتها الهلاك بوضعك أشد من فرحها بسلامتك ، وسعادتها بطلعتك .. يفجر حنونها الثدى بغذائك الأوحد .. وتظهر فيك آية الله فترى منبع غذائك بعينك ، وتجذبه بفمك وتتحرك حكمة الله فى ظاهر حياتك اليوم ، ماتحركت فى باطنها أمس !

« والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون »

حقوق مشروعة :

وهكذا تجد القرآن يرسم خطة حياتك والإسلام يضع قانون عيشك ، فيوجب لك على أبويك أمورا قد لا يعرفانها ، أو ينسيانها إذا عرفاها ، تصحبك منذ الحمل بك ، إلى أن تبلغ وترشد .

عرف الإسلام حقك عند الوفاق ، وقرره عند الفراق والطلاق ، فلم يشأ لك

أن تهدر جنينا فى الرحم ، تخاصا منك ، أو هربا من تبعتك ، فأوجب من أجلك العدة ، وحرم كتمان أمرك إظهارا لشأنك :

« والمطلقات يتربص بأنفسهن ثلاثة قروء ، ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن ، إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر »

وحث الآباء حثا لطيفا على رد الأمهات صيانة للثمرة ، ووفاء للأمل :

« وبعولتهن أحق بردهن فى ذلك إن أرادوا إصلاحا »

ومد أجل عدتهن إلى وضع حملهن ، حتى يضعنه طاهرا من الشوائب، خالصا من العلائق :

« وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن »

وأوجب لهن بذلك النفقة ، ومدها لتمام الرضاع ، لئلا تألم أنفسهن فيسبب الألم الضيق بالولد :

وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن ، فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن وأتمروا بينكم بمعروف»

حق الحياة :

وأمن الاسلام على حياتك ، ضد الشذوذ وضعف الإرادة، وقد كان المولود يقتل سفها ، خشية عار أو إملاق ، ولولا ذلك التأمين لما حالت الموانع حتى اليوم من ذلك السفه ، ونحن نرى العصر المحموم بالعلم يفتن فى صور مقنعة وعلل مموهة ، ليقلل من زحام الأفواه على رزق الله ، فانظر وثائق إسلامك : « وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم » .

« قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم ، وحرموا ما رزقهم الله افتراءا على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين » .

« قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم» «ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم ، إن قتلهم كان خطئا كبيرا » .

« وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ! أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب؟ ألاساء مايحكمون».

« وإذا الموءودة سئلت : بأى ذنب قتلت ؟ » .

أيها الشاب المسلم : أرأيت حق حياتك فى هذه الوثيقة ؟

أيتها الفتاة المسلمة : ألا تعتزين بهذا الدين اعتزازك بنبض قلبك ؟ لتعيش مع هذه الكلمات وقتا يسعدك ، ولتنظر فضل الله بها نظراً يقربك ، أتركك الآن مطلا عليك ، بروح لن يزال حبيبا لك ، وقلب سيحيا حريصا عليك ، والله يسدد خطاى وخطاك ، ويكلؤنى بالرعاية ويكلؤك ؟ .

د . عز الدين على السيد

بقية المنشور على صفحة ٧٤٨

خالد . أوشرح الأزهرية وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك) .

ثم أنشئت مدرستان أخريان إحداهما فى سواكن . والأخرى فى مصوع سنة ١٢٨٨ هـ .

وقد روى إسماعيل سرهنك باشا فى كتابه « حقائق الأخبار عن دول البحار أن غوردون باشا عندما عاد إلى السودان سنة ١٨٧٧ م (١٢٩٤ هـ) حكمدارا لها أقفل تلك المدارس « بدعوى أنها تكلف الحكومة المصرية نفقات طائلة لا وجوب لها » كما أبطل إرسال الطلبة السودانيين الناجحين بمدارس الحكومة إلى مصر .

وبرغم تلك السياسة الخبيثة المغرضة . التى تفاقمت حدتها فى عهد الاحتلال البريطانى الذى بدأ سنة ١٨٨٢م (١٢٩٩)هـ فقد ظل الأزهر الشريف - ذلك المنار الإسلامى العظيم - يؤدى رسالته الخالدة ودوره التاريخى المجيد . فى توثيق الروابط الثقافية والدينية بين الشعبين المصرى والسودانى الشقيقين ؟

إبراهيم محمد الفحام

النّجـــوى

للأستاذ محمد محمد الشرقاوى

ومعناها : أن ينتحى اثنان أو أكثر جانباً على مرأى من ثالث له بهم صلة ، ومعه بصحبتهم عهد .. فيتشاوران ويتهامسان بحديث يشوبه الغموض ، ويكتنفه الإبهام والمواربة .. بحيث يثير فى نفس هذا الثالث الشكوك والجفوة .. نتيجة لعزله عن مجرى الحديث ، وإبعاده عن مضمون المشاورة والهمس .. وقد جاء الإسلام الحنيف بالنهى عن هذا التعامل الغامض المريب . ودعا إلى اللياقة ومراعاة المشاعر التى تتأثر عادة بتلك التفرقة تأثراً سيئاً عميقاً . وتترك وراءها آثاراً أسوأ فى العلائق الفردية. والصلات الأخوية التى يجب أن تكون الصراحة والصدق والمجاملة رائدها . وديدنها . وفى الحديث الشريف : « إذا كنتم ثلاثة فلا يتناج اثنان دون صاحبهما فإن ذلك يحزنه » وفى رواية : « فلا يتناج اثنان دون الثالث وفى رواية ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم[1] : « إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس. من أجل أن ذلك يحزنه » فإذا زاد المتناجيان مع رفيقهما على ثلاثة فلا بأس من انفرادهما بالتشاور والمسارة وخصوصية الحديث . إذ أن اختلاط الثالث بغيره من عامة الناس يزيل عنه وحشة العزل . وتوهم النفور منه . أو التآمر عليه .. فالمنهى عنه على كل حال هو وضع الفرد فى حال اشتباه وريبة . وإشعاره بأنه ليس أهلا للأمانة. واتهامه اتهاما صامتا بما قد يكون بريئاً منه .. ومن شأن هذا أن يحرك الحساسيات الحادة . ويبذر بذور الحقد والكراهية. وقد يبدو هذا فى نظر البعض هيناً . وهو عند الله عظيم . فلو كان المجتمعون عشرة أفراد مثلا رجالا أو نساء أو خليطا منهما فتمالأ منهم تسعة فى حديث

(١) سبل السلام جـ ٤ صـ ٢٢٦ والحديث متفق عليه واللفظ لمسلم .

خاص ، وأبعدوا عنهم العاشر .. لحق التسعة الإثم ، ووقعـــوا تحت طائلة المؤاخذة الدينية سواء كانوا فى سفر أو حضر كما ذهب إليه[1] ابن عمر ومالك وجماهير العلماء ، وقد شرط الرسول صلى الله عليه وسلم الاختلاط مع الناس ليكون حداً فاصلا بين مناجاة منهى عنها ، ومناجاة لا نهى فيها ولا تثريب حرصاً منه على سلامة الصدور ، ووثاقة الصلات بين الأفراد ، وتنقية المجتمع مما يشوبه من أدران الغل والضغينة ، والحقد والموجدة. والنجوى فى أصلها اللغوى[2] مأخوذة من النجو : وهو المكان المرتفع أو السر بين اثنين وهذا المعنى ملاحظ فى حكمة النهى عن النجوى بمعناها السابق لأن المتناجيين يتباعدان عن خليطهما ويترفعان عنه بصيانة سرهما عن مسمعه ، ووقاية مصالحهما عن علمه وإدراكه ، ويقال انتجى القـــوم أو تناجوا أى تساروا ، وانتجى فلان فلانا : اختصه بمناجاته فهو نجى ، والاسم النجوى.

وفى مطلع الإسلام كانت النجوى

(١) المصدر السابق .

(٢) مختار الصحاح ص ٦٤٨ .

سلاحا خبيثا من أسلحة اليهود الماكرة التى كادوا بها للإسلام والمسلمين كما هو دأبهم على مر العصور والدهور ، وكانوا يستعينون بالمنافقين فى المدينة لحبك أطراف المناجاة المريبة ؛ وإشاعة البلبلة والمخاوف فى قلوب المؤمنين بعد أن جبنوا عن مجاهرة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه بعدائهم . وإماطة اللثام عن لددهم وخصومتهم ؛ وبعد أن وضعهم المسلمون تحت الرقابة المشددة ؛ والملاحظة الدقيقة اليقظة . رغم ما كان بين المسلمين وبينهم من عهود ومواثيق لم يقيموا لها وزناً ؛ ولم يحسبوا لها حسابا .. أخرج ابن حاتم عن مقاتل بن حبان[1] : « كان بين اليهود وبين النبى صلى الله عليه وسلم موادعة .. فكان إذا مر بهم رجل من أصحابه جلسوا يتناجون بينهم حتى يظن المؤمن أنهم يتناجون بقتله أو بما يكره ؛ فإذا رأى ذلك خشيهم وأوجس منهم خيفة ، فترك طريقه عليهم ، فنهاهم النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك فلم ينتهوا ،

(١) سبل السلام ج ٤ ص ٢٢٦ .

فأنزل الله تعالى : « ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون فى أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير»(١) وأخرج مثل ذلك عبدبن حميد وابن المنذر عن مجاهد .

وقداحتل حديث النجوى مكانا مرموقا فى القرآن الكريم ، وذكرت فى مواطن كثيرة منه وكثر ترددادها فى سورة المجادلة حيث اشتملت عليها ست آيات بينات تحدد ماكان منها محلا للحظر والعقوبة ، وماكان موضعا للأمر به والحث عليه ، وفى أول آية من هاتيك الآيات الست . بدأالله تعالى بتقرير علمه الشامل، وإحاطته التامة بكل مافى الكون ومن فيه . وذلك بطبيعة الحال يتضمن العلم بمناجاة المتهامسين ، وأحاديث المتكتمين . الذين كان بعضهم يتشكك فى مدى شمول علم الله تعالى لهم . حتى نفاه فريق ، وقال الفريق الآخر : إنه يعلم بعض مانقول ولا يعلم البعض . ناسين أن علمه للبعض حجة ودليل على علمه للكل إذ لا فرق بين الأبعاض فى متناول العلم . وفى ذلك يقول تعالى : « ألم تر أن الله يعلم مافى السموات ومافى الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلاهو رابعهم ولاخمسة إلاهو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شىء عليم » وفى هذه الآية تحذير وإنذار بليغ لكل من تسول له نفسه أن يتهامس أو يوسوس لغيره بقصد بث الأوهام . ونشر الإرهاب ونسج الهواجس المخيفة بين الآمنين .

وإيحاء بأن ما يلفظونه من قول ، وما يبيتون من تدبير ، وما يضمرون من مكر .. مسجل عليهم ، إلى حين يتحاسبون عليه ويؤاخذون به .. ، يقول الزمخشرى فى كشافه (١) : « كان اليهود والمنافقون يتناجون فيما بينهم ، ويتغامزون بأعينهم إذا رأوا المؤمنين ، يريدون أن يغيظوهم فنهاهم الرسول صلى الله عليه وسلم ، فعادوا لمثل فعلهم ، وكان تناجيهم بما هو إثم وعدوان للمؤمنين ، وتواص بمعصية الرسول

(١) سورة المجادلة ٨.

(١) الجزء الثالث ج ٤٤١ .

ومخالفته ، ويقولون فى تحية النبى : السام عليك يا محمد ؛ والسام الموت ؛ والله تعالى يقول : « وسلام على عباده الذين اصطفى » و « يأيها الرسول » و « يأيها النبى » ؛ وكانوا يقولون : ماله إن كان نبيا لا يدعو علينا حتى يعذبنا الله بما نقول؛ فوجه الخطاب إليهم وإلى غيرهم بقوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذى إليه تحشرون » .

وبهذا ظهر الفارق بين سرية وتهامس يرضى عنهما الله تعالى ؛ وبين مالا يرضاه من ذلك. فإن كان محورهما البر والتعاون على الخير والحق والعدالة فهما عمل مبرور وسعى مشكور يقرب أهله إلى الله زلفى.. وإن كان غمزا ولمزا وطعنا وتجريحا ؛ وإيهاما بالخطر؛ وإرهابا للآمنين.. كان عملا شيطانيا طائشا يحاربه الله؛ ويتوعد أهله بالويل والثبور وعظائم الأمور.. وإلى هذا يشير القرآن الكريم فى قوله تعالى: « إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا ؛ وليس بضارهم شيئا إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون » .. والمعنى أن الشيطان وحده هو صاحب المصلحة فى ذلك العمل الآثم ؛ والذنب العظيم .. فهو الذى يزين التناجى بالإثم والتهامس بالعدوان ؛ ويمليه على أهله .. بقصد توليد الحزن والأسى فى دخائل المؤمنين وملء صدورهم بالهواجس المروعة ؛ والأوهام المضللة . .

فكأنه هو صاحبها ومصدرها، وإليه يرجع تدبيرها وترويجها بيد أن المؤمنين بالله ورسوله ، وبقضائه وقدره . . قد عرفوا بما لا مزيد عليه أنه لا الشيطان ولا حزبه من اليهود والمنافقين ولا أحابيله المريبة التى ينصبها لهم على الطريق بضارهم شيئا لم يكتب الله عليهم ضرره ولا بزائد فى أقدارهم أمرا لم يقدر الله لهم زيادته. فلن يصيبهم إلا ما كتب الله لهم . ولن ينزل بهم إلا ما سبق به القلم فى صحائفهم وإذن فهم يقاومون الحزن الزائف، والأسى الدخيل ، وهم يوثقون توكلهم على خالقهم الذى استأثر بالخلق كله والأمر كله « ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين » .

وحين نصل إلى هذه الآية الكريمة نجد فيها نوعا من المناجاة المشروعة الملائمة لمقاصد الشرع ومبادىء العقيدة الحقة .

وذلك حين يتواصى المتهامسون فيما بينهم بالصبر وبالحق ، ويتآمرون على إزالة المنكرات ، وإحقاق الحقوق ، ومناصرة الصالح العام . . وهذا هو ما دعت إليه الآية الكريمة : «وتناجوا بالبر والتقوى وقد استفيد من توجيه الأمر السابق معنى الإلزام والوجوب. لهذا لا نعجب إذا رأينا المسلمين عقب سماعهم لذلك التبليغ وهم يتكوكبون على الرسول صلى الله عليه وسلم ويتزاحمون على مجلسه . . كل منهم يريد أن يفاتحه بذات نفسه ، ودخيلة حسه . . وأن يغتنم منه حديثا خاصا ، ومناجاة هامسة . . ولكن الرسول بشر له طاقاته ، وله إمكانياته الإنسانية المحدودة فلم يستطع تحمل هذا الضغط الهائل من طلاب النجوى . وأصابه الملل والبرم . وهنا تدركه رحمة الله تعالى التى لا تفارقه ، ويتعرض لنفحة من نفحات كرمه التى لا تنفك عنه . . فتنزل الآية الكريمة الأخرى : « يأيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة»

وبهذا لم يعد الباب مفتوحا أمام كل داخل على الرسول لمناجاته ، ولم يبق الطريق ممهداً زلولا كما كان من قبل . . ولكنه صار مقيداً بضريبة مالية جديدة تؤدى للفقراء والمساكين ، لتحد من تدفق التيار المتجدد من عشاق مناجاة الرسول ، ولنضفى على المجتمع الإسلامى خيراً جديداً يضاف إلى ما تقدمه من خيرات وبركات . . وفعلا انحسر المد الصحابى عن الرسول بعد نزول هذه الآية . . بل إن الأخبار تؤكد أن واحداً منهم فقط هو الذى كان له شرف تقديم صدقته بين يدى مناجاته للرسول صلى الله عليه وسلم وأن الوقت لم يتسع لغيره لمشاركته فى هذا السبق المشرف . . أما هذا السباق المتصدق فهو على بن أبى طالب كرم الله وجهه فقد روى عنه : « أن فى كتاب الله الآية ما عمل بها أحد قبلى ، ولا يعمل بها أحد بعدى . . كان لى دينار فصرفته ، فكنت إذا ناجيت الرسول صلى الله عليه وسلم تصدقت بدرهم » . . وقال الكلبى : « تصدق بعشر دراهم فى عشر كلمات سأل عنهن رسول الله صلى الله عليه وسلم » وكانت تلك المأثرة الكريمة موضع غبطة وتمن من بعض الصحابة فقد روى عن ابن عمر رضى الله عنهما قوله [1] : « كان لعلى ثلاث لو كانت لى

(١) الكشاف حـ ٢ ص ٤٤٣ .

واحدة منهن كانت أحب إلى من حمر النعم : تزويجه فاطمة ، وإعطاؤه الراية يوم خيبر ، وآية النجوى » فعلى رضى الله عنه كان الأول والأخير فى تنفيذ مضمون تلك الآية الكريمة والسبب فى ذلك أن الوقت لم تكن فيه فسحة مواتية للمشاركة والإسهام ، فقد نسخ العمل بهذه الآية الكريمة فى سرعة خاطفة قيل : لم يدم العمل بها إلا عشر ليال . . وقيل : لم تكن إلا ساعة من نهار : وقال فيها ابن عباس رضى الله عنهما : إنها منسوخة بالآية التى بعدها ، وقيل : هى منسوخة بالزكاة .. أما الآية التى نسختها فى رأى ابن عباس فهى قوله تعالى : « أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون » ، وتحمل تلك الآية الكريمة فى تضاعيفها مظهراً آخر من مظاهر اليسر والتخفيف ، والرحمة والتلطيف وهى سمات تمثل طابع هذا الدين السمح بصفة عامة . . فهى تعنى : أنه حيث قد شق عليكم هذا الإنفاق المتجدد مع كل مناجاة للرسول لما يحملكم إياه من مؤونه مالية زائدة قد تنوء بها همتكم ، ولا تطيقها عزائمكم لأن الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ، وحيث إن الله تعالى قد تاب عليكم وقبل عذركم ، ورحم ضعفكم وحاجتكم فقد رخص لكم فى التخلى عن هذه الصدقات ، وأباح لكم مناجاة الرسول كما كانت أول مرة على أن تستبدلوا بشرط الصدقات المتكررة شرطا آخر يدخل فى طوق إمكاناتكم ، ويساير احتياجاتكم وهو أن تقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة ، وتطيعوا الله ورسوله فى كل ما أمر وتنتهوا عما نهى وفى هذا العوض الكافى ، والجزاء الوافى عن الصدقات التى طولبتم بها من قبل . .

وبعـــد :

فقد ظهر من هذا العرض لموضوع النجوى أنها اسم بمعنى المناجاة أو التناجى وهى اختصاص البعض بالحديث الهامس ، والتشاور السرى مع التكتم الشديد ، والتستر عن شخص غير مرغوب فى مشاركته على مرأى منه .

وأن ذلك عمل يثير الأحقاد والمواجد فى نفس هذا الشخص ولذا أدخله الشرع فى نطاق المحظورات الدينية وأنه لا بأس

(البقية صفحة ٧٦٥)

المسلمون في الأندلس

للأستاذ محمود محمد شبكه

من الأحداث الهامة التى لها قيمتها وأهميتها فى تاريخ الإسلام والمسلمين فتح الأندلس هذا الفروس المفقود الذى أسس المسلمون فيه حضارة سامقة البنيان شامخة الذرى استمرت أكثر من ثمانية قرون تشع نورا ساطعا استنارت به أوربا وبددت به ظلماتها الحالكة ومن المصادفات التى دبرتها يد القدر أن فتح الأندلس مر بمراحل ثلاث وكل مرحلة منها كانت تبدأ فى شهر رمضان ، ولقد كانت الأندلس قبل الفتح الإسلامى تعيش فى فوضى واضطراب ، وكان المجتمع الأندلسى مجتمعا منحلا لا تجمع أفراده رابطة ولا يسوده نظام يقوم على أساس الفوارق الاجتماعية ونظام الطبقات ، فقد كان الشعب يعانى من الفقر والحرمان ويواجه كل ألوان الظلم والعسف ويتحمل وحده الضرائب الفادحة والعمل المضنى فى ضياع الأشراف ورجال الدين. مسلوبة منه كل إرادة وحرية، وذلك أن (القوط) حينما دخلوا البلاد ترفعوا عن الشعب ولم يختلطوا بسكان البلاد الأصليين بل عاشوا فى أبراجهم العاجية وأقاموا الحواجز والفوارق وكان الشعب ينقسم إلى طوائف : الأولى طائفة العبيد وهم الذين يكدحون ويزرعون الأرض لأسيادهم، وكان القانون يعطى للسيد الحق فى قتل العبد وتعذيبه والتصرف فيه حسبما يريد ، وكان العبيد وعائلاتهم يعتبرون ضمن ثروة المالك بحيث إذا انتقلت الأرض من مالك إلى آخر انتقلوا مع الأرض إلى المالك الجديد . أما الطائفة الثانية : فهى الطبقة المتوسطة وهم الأحرار الذين يسكنون المدن ولم تكن حالتهم خيرا من حالة العبيد إذ كانت الضرائب تثقل كاهلهم وتستنزف أموالهم ليتمتع بها الأشراف والحكام ويبعثرونها على ملذاتهم وشهواتهم أما الثالثة التى كانت تجبى إليها الخيرات وتعيش فى ترف ونعيم فهى طبقة الأشراف ورجال الدين .

ثم إن (القوط) فقدوا خلالهم الحربية ونسوا فنون القتال وضاعت شجاعتهم

نتيجـــة لانغماسهم فى النعيم والترف وإخلادهم للراحة والدعة ، ولم يلقوا بالا إلى الجيش بل إن الجيش نفسه كان مكونا من عناصر مضطهدة مغـلوبة على أمرها حاقدة على الحكام ، وكان أشباه الأرقاء فى الجيش يزيدون على عدد الأحرار فيه مما جعل الرغبة فى الدفاع عن البـلاد ضعيفة بل معدومة كل ذلك سهل للمسلمين مهمتهم فى فتح الأندلس .

أما ظروف هذا الفتح فترجع إلى أن موسى بن نصير عندما تسلم مقاليد الأمور فى أفريقية شرع موسى فى غزو بقيـة بلاد المغرب ثم رجع إلى (القيروان) وترك طارق بن زياد وجنده على الساحل المغربى عند (طنجة) وما جاورها نظر طارق فإذا ميناء (سبتة) على مقربة منه وإذا به يسمع عن رجـل قوى عظيم السلطان هو (يليان) حاكم (سبتة) وما حواليها من البربر ، وأن هذا الحاكم وثيق الصلة بملك الأندلس فى الوقت الذى أدرك (يليان) ما يتهدده من خطر وما ينتظر إقليمه من ضياع نتيجة لزحف المسلمين عليه فاستطاع أن يعقد أسباب الصداقة بينه وبين طارق بن زياد حتى يأمن جانبه وقد رحب طارق بهذه الصداقة نظرا لما يؤمله على يد (يليان) من مساعدة فى إخضاع قبائل البربر .

أما مفاتيح الملك فى الأندلس فقـد تسلمها (لذريق) بعد قتله للملك السابق (غيطشة) ونظراً لما بين (يليان) حاكم (سبتة) وبين (غيطشة) من تحالف وصداقة فقد حاول العبور إلى الأندلس لنصرة حليفه، ولكن أنصار الملك الجديد لم يمكنوه من الوصول إلى هدفه ، وهنا فكر (يليان) فى توجيه موسى بن نصير لفتح الأندلس وذلك لسببين : أولاهما أن يصرف موسى عن التفكير فى غزو معقله، وذلك بعد أن حاول غزوه من قبل فلم يوفق نظراً لمناعته وقوته، وثانيهما : الثأر لصديقه(غيطشة)والانتقام من قاتله (لذريق) الذى نـكل به وبأتباعه شر تنكيل ، فكتب موسى إلى الخليفة الوليد ابن عبد الملك يستأذنه فى فتح الأندلس فرد عليه الخليفة : (أن خضها بالسرايا حتى تختبرها ولا تغرر بالمسلمين فى بحر شديد الأهوال، فكتب إليه إنه ليس ببحر وإنما هو خليج يصف صفة ما خلفه للناظر، فكتب إليه : وإن كان فاختبره بالسرايا).

نفذ موسى أمر الخليفة ولم يجنح إلى المغامرة والمخاطرة وعهد بهـذا الأمر

إلى قائد من قواده الأكفاء هو أبو زرعة طريف بن ملوك على رأس سرية صغيرة تتكون من أربعمائة جندى ومائة فارس عبروا البحر على ظهر أربع من السفن قدمها لهم (يليان) وقد نزلوا فى جزيرة سميت منذ ذلك الحين باسم (جزيرة طريف) وقد ساعد الحملة فى مهمتها أنباء (غيطشة) الملك السابق وأصدقاء (يليان) وكان ذلك فى رمضان سنة ٩١ هجرية وقد قام طريف وجنوده بعديد من الغارات الخاطفة وعادت الحملة وقد أدت مهمة البحث والاستطلاع بنجاح الأمر الذى طمأن موسى وشجعه على فتح الأندلس.

فمن يكون بطل هذا الفتح وقائد جيش المسلمين فيه لقد اختار موسى لهذا العمل العظيم طارق بن زياد وهو من أصل بربرى إلا أن ثقة موسى فيه وحبه له جعله يفضله على غيره من قادة العرب ،

عبر طارق وجيشه المضيق على السفن التى قدمها (يليان) أما أن طارقا أحرق هذه السفن فذلك أمر مشكوك فى صحته لسببين الأول أن هذه الواقعة لم يذكرها من المؤرخين القدماء إلا الإدريسى وهو من رجال القرن الثانى عشر الميلادى والسبب الثانى أن هـــذه السفن لم تكن ملكا للعرب بل كانت ملكا لـ (يليان) [1] .

عسكر الجيش فى الجبل الذى عرف بعد ذلك بجبل (طارق) وقد اختار طارق هذا الموقع ليكون حصنا يحتمى فيه الجيش ، وفى هذه الأثناء فوجىء الجيش بكتيبة تحاول الهجوم فتصدت لها فرقة من الجند أبادتها عن آخرها ولم ينج منها إلا جندى واحد استطاع الفرار واللحاق (بلذريق) ليقص عليه ما شاهده مما جعله يسرع نحو الجنوب استعدادا لرد الغزاة الفاتحين ، أما طارق فقد اتجه إلى الشمال واستمر فى المسير حتى استقر فى موقع حصين عند وادى (بكة) ، ثم أرسل العيون والأرصاد ثم ما لبث أن علم بأن (لذريق) فى الطريق إليه بجيشه وأنه تجاوز قرطبة واستقر عند (شذونة) بجيش جرار يبلغ عدده سبعون ألفا كما جاء فى كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة ، فماذا يفعل طارق إزاء هذا الجيش الضخم إذ أن ما معه من جند لا طاقة له بلقاء جيش كبير كهذا .

فأرسل يطلب مددا من موسى بن نصير فأمده موسى بطريف بن ملوك فى خمسة

---

(١) فجر الأندلس للدكتور حسين مؤنس هامش صفحة ٦٩ .

آلاف جندى أغلبهم من الفرسان فأصبح تعداد جيش طارق اثنى عشر ألفا عدا من انضم إليهم من النصارى وأهل البلاد الخارجين على الحكم ، وبدأت المعركة الفاصلة فى يوم الأحد الثامن والعشرين من رمضان سنة ٩٢ هجرية على أرض وادى (برباط) وقبل بدء المعركة ألقى طارق خطبته المشهورة التى يقول فيها (أيها الناس أين المفر البحر من ورائكم والعدو أمامكم فليس ثم والله إلا الصدق والصبر فإنهما لا يغلبان وهما جندان منصوران لا تضر معهما قلة ولا تنفع مع الخور والكسل والفشل والاختلاف والعجب كثرة .. إلى آخر ماقال) .

استحر القتال وعنف المعركة وحمى وطيسها فى اليوم التالى وأظهر جيش المسلمين من ضروب البطولة والشجاعة ما جل عن الوصف ، أما القوط فقد صمدوا لهجمات العرب فى أول المعركة ولكن مقاومتهم ما لبثت أن ضعفت أمام ضربات المسلمين ومن ناحية أخرى دبت الخيانة فى صفوف جيش (لذريق) إذ أن أنصار الملك السابق (غيطشة) وأعداء لذريق وكثير من الفرسان تركوا الميدان وفروا من المعركة فوقع الخلل والاضطراب فى صفوف الجيش مما جعل المسلمين يحصدون بسيوفهم الفلول الهاربة ، وأسفرت المعركة عن كثرة هائلة من قتلى الأعداء أما (لذريق) فقد أراد أن يعبر نهر (البرباط) ولكنه غرق فيه ولم يعثر إلا على (خفه المفضض) وقد استشهد من المسلمين فى هذه المعركة ثلاثة آلاف أما الغنائم التى حصل عليها المسلمون فقد كانت من الكثرة بحيث لا يحصيها العد وبخاصة الخيل التى تعتبر صفوة هذه الغنائم وخلاصتها وقد ترتب على هذا النصر نتيجتين هامتين الأولى: أن أهل إفريقية تدفقوا كالسيل العرم على الأندلس وانتشروا فى البلاد المفتوحة وتضخم جيش المسلمين . الثانية : أن بلاد الأندلس دب فيها الفزع والذعر وكما يروى صاحب نفح الطيب : (وارتفع أهل الأندلس عند ذلك إلى الحصون والقلاع وتهاربوا من السهل ولحقوا بالجبال) ، واستطاع طارق بعد ذلك أن يفتتح طليطلة دون جهد بعد أن خرج عنها أهلها فرارا حينما علموا بقدوم المسلمين إليها وأصبحت كنوزها وجواهرها غنيمة باردة للمسلمين.

أما موسى بن نصير فإنه (لما سمع بما حصل عليه طارق من النصر عبر إلى

الجزيرة ولحق بمولاه طارق) كما جاء فى نفح الطيب وكان عبور موسى إلى الأندلس فى رمضان سنة ٩٣ هجرية فى جيش عدته ثمانية عشر ألفا أكثرهم من العرب وفيهم عدد كبير من التابعين وقد سار بجيشه يفتح البلاد الجنوبية والغربية وتعاون الرجلان معا فى إتمام الفتح حتى إذا ما أديا مهمتهما ورجعا إلى المشرق ترك موسى ابنه عبد العزيز واليا على الأندلس ويحسن بنا أن نختم هذا المقال بكلمة للدكتور حسين مؤنس من كتابه (فجر الأندلس) يقول فيها :

ولو ذكر الإنسان أن موسى أكمل عمل طارق وأن عبدالعزيز أكمل عمل الاثنين لا ستبان أن العرب ساروا فى فتح هذه البلاد على خطة محكمة لم يكن من الميسور وضع أحسن منها ، ولو أن مجلسا للحرب من كبار العسكريين اجتمع ليضع خطة لفتح البلاد لما وفق إلى خير من ذلك وتلك ناحية لا ينبغى ألا تغيب عن ذهن الإنسان وهو يدرس هذا الفتح لأنها فى الواقع تدل على نبوغ حربى عند هؤلاء المسلمين الأولين .

محمود محمد شبكة

(بقية المنشور على ص ٧٦٠)

بالنجوى إذا كان هناك اختلاط بالناس حتى لا يشعر الرفيق المستبعد بوحشة وانعزالية .

وإن النجوى استعملها اليهود والمنافقون بمهارة ضد أمن الصحابة وهدوء أعصابهم ، فمن يلجأ إليها فهو متشبه بهؤلاء وأولئك : « ومن تشبه بقوم فهو منهم » وأن الإسلام فضحهم وبين عيوبهم ونهى عن اتباع أساليبهم الماكرة وحيلهم الخبيثة .

وأن الصدقة التى فرضت قبل مناجاة الرسول صلى الله عليه وسلم فى مطلع الإسلام قد نسخت بعد وقت يسير من العمل بها ولم يعمل بها إلا على ابن أبى طالب رضى الله عنه .

وأن النجوى التى تستهدف البر والخير، والصلاح والإصلاح مأذون فيها شرعا . بل قد تكون واجبة إذا دعت إليها ظروف الحال وصدق الله تعالى : « لا خير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس » ؟

محمد محمد الشرقاوى

من الأصول السياسية :

الشورى في الإسلام

للدكتور مصطفى كمال وصفي

لم يحسن كتاب الإسلاميات المعاصرة عرض موضوع الشورى، وهم فى عرضه يكادون يكونون على نمط واحد من ذكر بعض وقائع الشورى فى أيام النبى صلى الله عليه وسلم وصاحبيه، مع بيان أن الشورى أحد دعائم الحكم الإسلامى، ثم اقتراح صياغتها فى العصر الحديث على وجه يشبه تشكيل المجالس النيابية التى تقوم بالانتخاب العام.

وهم فى عرضهم لهذا الموضوع معذورون.

فليس فى كتب الفقه شىء عنه.

ففى الوقت الذى يعلنونه كمبدأ أساسى للحكم الإسلامى لا يجدون وراء هذا الإعلان أى مورد يغذى الصورة التى رسموها له فى أذهانهم. وهم يريدون أن يجعلوا الإسلام ديموقراطيا على الطريقة الحديثة، وأن يقرروا أن الشورى الإسلامية هى سند لهذه الديمقراطية ومساغها فى الإسلام..

ولكنهم مخطئون فى ذلك كما هم مخطئون فى كثير من الأمور، لأنهم يريدون أن يأتوا البيوت من غير أبوابها، ويريدون أن يطوعوا الإسلام لما يفهمونه ويصنفونه تحت نوع من أنواع النظم الموجودة فى العصر الحديث حتى يكون قريب التصور للأذهان الحاضرة.

وهذا خطأ محض، لأن الذى يريد أن يدخل ساحة الإسلام لا بد من أن يأتى ذلك من بابه ولا بد من أن يطوع نفسه للإسلام ومبادئه، وأن يخضع تصوره لحقيقته وأن يعايش بيئته الموضوعية وأن يستخرج نظاما إسلاميا يقوم على بيئة إسلامية، لأنه كما نؤكد دائما أن الإسلام يستلزم بيئة إسلامية. وإذا لم توجد البيئة الإسلامية فإنه يتعذر إنشاء نظام إسلامى حقيقى وإذا حاولنا أن ننشىء فقها إسلاميا فى بيئة غير إسلامية فإننا لن نصل

إلى شيء فلا يمكن تطويع الإسلام لغير بيئته ، بل لابد من أن تطوع البيئة للإسلام وأن تبادر النفوس إليه والله غنى ونحن الفقراء، فمن أراد نظام الإسلام كاملا فلابد أن يلاقيه بنية حسنة ، ومن أراد أن يطوع الإسلام والناس على حالهم فإن الله غنى عن العالمين .

والسبب الذى يحدونا إلى القول بأن البيئة الديمقراطية الحديثة لا تصلح للإسلام ، ولا تصلح ـ بالتالى ـ لتصور الشورى فى وعائها ، ولا أن تكون الشورى الإسلامية وسيلة للوصول إليها ، وأن الديمقراطية الحديثة تختلف تماما عن النظام الإسلامى اختلافا تاما .

فمن ناحية : تفترض الديمقراطية الحديثة حرية السلطة التشريعية ، ومن ثم فإن تولى الشعب للسلطة المذكورة، وليس فقط مشاورته فيها ـ يجب أن يكون فى المقام الأول وأن يكون الدعامة الإساسية للحكم الديموقراطى الحديث ، لأن أول أساس لهذا الحكم هو أن الشعب مصدر السلطات. ولذلك يجب أن يكون التشريع ـ وهو المناط الأعلى للحكم ـ بيد الشعب . وأن يتسلط عليه بإرادته .

ولما كان هذا هو التصور الحديث للحكم ، فإن مفكرى الإسلاميات العصرية أرادوا نقل ذلك إلى الإسلام ولم يتصوروا إلا أن تكون الشورى دعامة للحكم الإسلامى كما هى فى النظم الحديثة ووجدوا فى مثل قوله تعالى: «وشاورهم فى الأمر» وقوله تعالى: «وأمرهم شورى بينهم» وبعض أحاديث مشاوراته صلى الله عليه وسلم الناس فى بعض الأمور ، وواقعات مشاورة خليفتيه لهم ، مستنداً لقولهم . ولكنهم إذا انتقلوا إلى كتب الفروع لم يجدوا ما يغذوا هذا الشعار الكبير الذى رسموه . وبذلك أخرجوا الموضوع فجاً بدون تطبيق . واستعاروا له التطابيق من نظمهم الحالية . وكأنهم بذلك كرجل يحفر النهر العظيم فى غير أرض محتاجة . ثم يعمد من بعد ذلك لإنشاء ما يرويه هذا النهر الصناعى الذى لا حاجة لنا به لأن للأرض مراويها الطبيعية التى يسرها الله من الغيث .

والواقع أن مفكرى الإسلاميات الحديثة كلما عمدوا إلى هذه الوسائل الدخيله ، ولم يصادفوا ، ما يلاقيها من التطبيق فى كتب الفروع ، اتهموا

الإسلام بأنه ليس له نظرية سياسية . فهم مثل من اعتقروا أنهاراً أخرى بأسماء الشعارات الحديثة كالحرية والمساواة ونحو ذلك ، فبارت عليهم كما بارت حفيرة الديموقراطية . ولو أنهم فهموا أصول الإسلام واخضعوا عقولهم لمقتضياته لما أجهدوا أنفسهم ، وخرجوا لنا بما لا يمكن أن يعتبر إسلاميا . .

هذا من ناحية أن سلطة الشعب مختلفة فى النظامين الإسلامى والحديث ، وبالتالى فإن وظيفة الشورى فيهما ومكانها مختلفان تماما .

ومن ناحية أخرى فإن دور الفرد فى كل من الإسلام والنظم الحديثة مختلف تمام الاختلاف ، وبالتالى فإن معنى الشورى فيهما مختلف تمام الاختلاف . وهذا الاختلاف بدوره يمنع تماما من الاعتماد على الشكل الديمقراطى الحديث فى إخراج الشورى الإسلامية فى هيئته .

فالديمقراطية الحديثة بنوعيها - الحرة والشعبية - هى فى الحقيقة ديموقراطيات صورية لا يجد الفرد فيها فرصة حقيقية لممارسة سلطته . فإن الفرد فى النظام الديموقراطى الحر ليس له أية صفة إلا كعضو فى هيئة من الهيئات . فهو إذا اجتمع بصفته هذه فى أحد المجالس أو إحدى الهيئات أو اللجان فإنه يشترك مع غيره فى المداولة وإبداء الرأى والتصويت ، لينسبك صوته - فى النهاية - مع غيره فى تكوين القرار الصادر . وليس له خارج هذه الصفة وبدون هذه الطريقة أية ممارسة أو سلطة او صفة تجعل له حقا عاما فى أى أمر إلا أن يدلى بصوته كناخب أو فى استفتاء عام . .

وهذه الطريقة تؤدى إلى صورية الحق الشعبى . لأن الواقع - الذى مهما احترزنا منه فهو كائن - هو أن أى هيئة أو مجلس إنما تخضع لنفوذ شخص أو فئة تتحكم فيه . وهذه هى طبيعة الأمور التى لا مناص منها والتى يجدر بنا أن نعترف بها صراحة بدلا من أن نخضع أنفسنا لأوهام النظريات الديموقراطية الحديثة .

فالحزب السياسى مثلا - الذى هو أداة الممارسة الشعبية فى الدول الديمقراطية الحرة - خاضع لسيطرة رئيسه وكبار أعضائه . وهذه الفئة المحدودة التى لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة عدداً هى التى تتصرف فى أصوات الأعضاء . فهم لا يتكلمون ولا يناقشون إلا فى حدود المخطط الذى وضعته إدارة

الحزب . ويجب أن تكون أصواتهم حسب تصرف هذه الإدارة . وكذلك الانتخابات العامة فأفراد الناخبين يعاهدون حزبا يرتضونه جملة . وبالتالى فإن أصواتهم ملك لهذه الفئة المسيطرة . وهم إذا انفكوا عن ذلك فإن أصواتهم تؤول إلى الرفض . . أى إلى لا شىء فلا يقام بذلك بناء دستورى أو نظامى من أى نوع .

هذا فضلا عن أن هذه الديمقراطية تقوم على الكثرة العددية فتحتسب ناساً لا شأن لهم بالسياسة ، بل يلقون بأصواتهم حيثما اتفق .

فالتصوير النظرى للسلطة الشعبية ، وإقامتها على أساس من المساواة العامة ، هو أمر تحكمى بحت لا يمت للواقع بصلة .

والذى يحدث إنه عندما تقوم المعركة الانتخابية ينشط ذوو الأطماع إلى مكاتب الدعاية وخبرائها وإلى الوسائل الصناعية الكاذبة التى تنسج فى أذهان العامة صورة براقة لا أساس لها من الصحة عن فضائل المرشح ومواهبه . ولما كان معظم الناس لا يشعرون حقيقة بأهمية أصواتهم فإنهم يسارعون إلى التخلص منها بأى وسيلة وربما بدافع الحصول على رشوة مما يدفعه المرشحون للناخبين ، أو تضاء الحوائج الشخصية عن طريق من لهم به معرفة من المرشحين ، أو بالانصياع لتهديد الإدارة والخوف من أعضائها . بل إن الإدارة نفسها تختصر الطريق أحياناً بطريق التزوير فتفتعل الأغلبية التى توصلها إلى مآربها .. وبذلك فإن الحكم الديمقراطى الليبرالى هو صورى تماما ويؤول أمره فى النهاية إلى يدين اثنتين تتحكمان فى الأمر . يد رجل الحزب الحاكم ويد رجل الحزب المعارض . وهذا الشخص - وبطانة معدودة حوله - هم الذين يفيدون فى النهاية من هذه العجلة الكبيرة التى تدار باسم الشعارات الخلابة.

وإذا انتقلنا إلى النظم الشيوعيه فإننا نجدها فى الواقع لا تتخلص من هذه الظاهرة ، بل الملاحظ أن هذه النظم فى بعض البلاد الشيوعية قد اقترنت بوسائل بوليسية ضاغطة ، واعترفت فلسفاتها بضرورة مصادرة الحريات المعارضة ، لأنها تبيح تقسيم الناس إلى أصدقاء للشعب وأعداء للشعب .

وتكاد سيادة القانون فى هذه النظم

(البقية صفحة ٧٧٦)

العربية لغة الإسلام والمسلمين

للأستاذ على عبد العظيم

٧ – بناء الجملة

منذ أمد قريب اتجه علماء اللغات إلى العناية التامة بدراسة بناء الجمل، واستعانوا فى هذه الدراسات بالأجهزة الكهربائية والالكترونية، أو أشرطة التسجيل مع الاهتمام بدراسة الأصوات اللغوية وبناء الكلمة، ومن هنا ظهر ما يمكن أن نسميه بالنحو التحولى أو الانتقالى Transformational grammar والهدف منه تحديد الإمكانيات التعبيرية الكامنة فى هذه اللغة أو تلك، وهذه الإمكانيات هى التى يستطيع أن يستغلها الأديب فى إحدى اللغات ويستعملها فى وسائل التعبير إيجابا أو سلبا، ويمكن تقويم اللغات بمدى تعدد هذه الإمكانيات.

وأبرز الفروق الواضحة فى اللغات تتجلى فى تركيب الجمل، ففى بعض اللغات تظهر الجمل فيها بسيطة مطردة متوازية متلاحقة، سواء كانت مرتبطة بحروف العطف أم غير مرتبطة بها، ويسميها علماء اللغة بالجمل المتوازية Barataxe ولكن بعض اللغات الراقية تتنوع فيها الجمل وتتركب وتتعقد تبعاً لارتقاء الأفكار وتنوع المعارف وتشابك المدنيات والحضارات، ويسمى علماء اللغة هذه الجمل بالجمل المركبة Hypotaxe ومن الخير أن نسوق أمثلة لهذين النوعين للتوضيح فمن الجمل السهلة البسيطة المتوازية قول الشاعر العربى:

ألمت، فحيت، ثم قامت، فودعت
فلما تولت كادت النفس تزهق

فالجمل هنا متلاحقة فى يسر وسهولة وتتابع زمنى واضح دون تركيب أو تعقيد.

ومن الجمل المركبة قول المتنبى:

بكاؤكما كالربع – أشجاه طاسمه –
بأن تسعدا، والدمع أشفاه ساجمه

فالجمل هنا متداخلة، وإذا أردنا حل

ما فيها من التركيب قلنا : بكاؤكما معى إسعاداً لى فى شجوى يتم بسكب الدموع الغزيرة فإنها تشفى الغايل كما أن الربوع البالية يكون أشدها تأثيرا أمعنها فى الطموس والاندثار .

وعلماء اللغات - وكثير منهم متعصبون على اللغة العربية - يعدون اللغات السامية ومنها العربية - تقوم على الجمل المتوازية البسيطة لما فيها من سذاجة كما يعدون اللغات الآرية قائمة على الجمل المركبة بما تضمه من أفكار متشابكة وآراء عميقة وتيارات عقلية مركبة .

وفاتهم أن اللغة العربية تضم هذين النوعين ولكنها تضع كلا منهما فى موضعه المناسب ؛ لأن بلاغتها قائمة على (مراعاة مقتضى الحال) فالخطيب الذى يتحدث إلى جمهوة الشعب غير الكاتب الذى يبحث ويدرس غير العالم الذى يجرب ويستقصى غير الشاعر الذى ينفعل ويترنم بانفعالاته ولكل منهم جمهوره الذى يتأثر به ويتجاوب معه .

ونستطيع أن نضرب أمثلة رائعة من القرآن الكريم للجمل المتوازية ثم للجمل المركبة فالقرآن الكريم حينما يخاطب جمهرة الناس لافتا أنظارهم إلى الآيات الكونية التى يشاهدها الجميع ، ومالها من دلالات، يقول فى جمل متتابعة سهلة الفهم رتيبة التوقيع الموسيقى « والشمس وضحاها . والقمر إذا تلاها . والنهار إذا جلاها . والليل إذا يغشاها . والسماء ومابناها . والأرض وما طحاها ونفس وما سوأها . فألهمها فجورها . وتقواها قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها » .

وإذا أراد وصف الطبيعة البشرية التى يحسها الجميع قال ، فى جمل متوازية متتابعة : « إن الإنسان لربه لكنود . وإنه على ذلك لشهيد . وإنه لحب الخير لشديد » .

أما حين يلجأ إلى الجدل المنطقى والحوار الفلسفى ؛ فإن الوضع يتغير ؛ فإن الجمل تتراكب وتتشابك ، وقد يسقط بعضها أثناء التركيب ؛ لأن العقل اللماح والنظر الثاقب يدركانها .

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى ، فى مجادلة المشركين الجاحدين : « أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سموهم أم تنبئونه بما لا يعلم فى الأرض أم بظاهر من القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فما له من هاد » فإذا أردنا حل هذه الجمل المتراكبة المتشابكة قلنا : أجعلتم

الله الذى هو قائم ومسيطر على كل نفس من حيث خلقتها وتكوينها مثل شركائكم الذين لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا؟ وحذف جملة (الشركاء) التى تقابل «من هو قائم على كل نفس» لأنها مفهومة من المعنى، والحكمة بلاغية دقيقة: هى أنهم أهون من أن يتناولهم الذكر وبخاصة فى مقام الحديث عن الله جل جلاله، ولكن المشركين لتفاهة عقولهم جعلوا لله شركاء، ثم انتقلت الجمل من الخبر إلى الإنشاء «قل سموهم» فمن هم هؤلاء الشركاء؟ أهم الأحجار والأصنام؟ أم الشمس والقمر؟ أم بعض البشر؟ إنهم جميعاً من خلق الله تعالى القائم على كل نفس بما كسبت، والمشركون أنفسهم يعلمون هذا «ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله» وإذا أفحمهم المجادلون قالوا «ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى» ولهذا تحداهم الله بقوله «قل سموهم» ليخزيهم ويخجلهم بذكر هذه الأسماء المدعاة التى لا تكاد تظهر لها حقيقة «إن هى إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم» وهنا فى زحمة المعانى تسقط جملة يدركها العقل الناقد، تقديرها أتعجزون عن الجواب؟ «أم تنبئونه بما لا يعلم فى الأرض»؟ وكلا الأمرين مفحم.

فإن الله لا تخفى عليه خافية؛ فإما أن يصمتوا عن الجواب عاجزين، وإما أن يجيبوا بما هو شر من العجز والإفحام. وقد يفسرون الشركة بما يخرجها عن معناها بظاهر القول ثم أضربت الآية عن المجادلة وأصدرت حكما حاسماً «بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل» فالأمر ليس أمر عقل، ولا منطق؛ بل هى أوهام زينت للذين كفروا العدول عن الحق والميل عن قصد السبيل، والبناء للمجهول هنا يدل على أن التزيين والصد عن السبيل قام على عوامل مجهولة وهمية لا تستحق الذكر فضلا عن التأثير؛ ثم صدر التقرير الحاسم فى ختام الآية الكريمة بأن الهداية بيد الله وحده «ومن يضلل الله فماله من هاد» فمن شاء الهداية فعليه أن يلجأ إلى الله - لا إلى الأصنام - وأن يستعين بالله - لا بالشركاء.

وقد عقب الزمخشرى على الآية الكريمة بقوله: «هذا الاحتجاج وأساليبه العجيبة التى ورد عليها مناد على نفسه بلسان طلق ذلق أنه ليس من كلام البشر لمن عرف

وأنصف من نفسه فتبارك الله أحسن الخالقين ».

ومن العجيب أن المتعصبين على العربية يعيبونها بأنها مثقلة بحركات الإعراب ويرون هذه الحركات تزيدها تركيباً وتعقيداً على حين أنهم يمدحون هنا التركيب والتعقيد ويشيدون بهما فى اللغات الآرية، ويتهمون اللغات السامية بالسذاجة والبساطة، وفاتهم أن اللاتينية وهى من الأصول الأساسية للغات الآرية قائمة على قواعد الإعراب، وفاتهم أن اللغة الألمانية وهى فى الذروة من اللغات الآرية قائمة على قواعد الإعراب؛ فهذه القواعد مزية كبرى فى تركيب الجمل وتنظيمها ومنحها تنويعاً متعدداً ودلالات شتى بما تتيحه من تقديم وتأخير، وذكر وحذف، ووصل وفصل وتصريح وتلميح وسهولة وتركيب وقد تنبه علماء العربية القدماء إلى هذه المزية، فقال ابن فارس: « من العلوم الجليلة التى اختصت بها اللغة العربية الإعراب فهو الفارق بين المعانى المتكافئة فى اللفظ، وبه يعرف الخبر الذى هو أصل الكلام، ولولاه ما ميز فاعل من مفعول ولا مضاف من منعوت، ولا تعجب من استفهام، ولا صدر من مصدر ولا نعت من تأكيد ... »(١)

على أن أصدق مقياس للحكم على لغة من اللغات هو مقدار ما استوعبته هذه اللغة من آثار أدبية أو فلسفية أو علمية ومدى استيعابها للحضارات المختلفة ثم مدى إسهامها فى إنشاء هذه الحضارات.

أما الآثار الأدبية فحسبنا أن اللغة العربية أدت إلينا القرآن الكريم وإذا كان العلماء الباحثون يختلفون فى الإيمان بما يحمله من عقيدة روحية؛ فإن الإجماع منعقد بين جميع الباحثين فى اللغة العربية من علماء الشرق والغرب على أن القرآن الكريم آية من آيات الآداب العالمية الكبرى؛ وما من كتاب ترك آثاراً خالدة فى الشرق والغرب وغير تيار الأحداث التاريخية الكبرى مثل القرآن الكريم.

وأما التراث العربى الخالد فإننا ندع الكلام لمستشرق كبير هو العلامة الفرنسى « لويس ماسينيون » حيث أورد ما يزعمه النقاد من عدم وجود عيون

(١) المزهر ج ١ ص ٣٢٧، ٣٢٨ (الطبعة الرابعه) مطبعة عيسى الحلبى :

كبيرة فى الأدب العربى مثل الإلياذة عند الإغريق ، ثم قال، فى الرد على هذا النقد : « ما نظن هذا النقد يقوم إلا عند من يأخذون إنتاج الفكر والروح بمقياس الكم ويخضعونه للثقل والمادة فيحكمون بحسب عدد المجلدات والأسطر ؛ ومع ذلك فإن عدد الأبيات الشهيرة بما تحمله من ثروة لا يعدو فى الإلياذة مائة بيت وما تبقى بعد ذلك ليس إلا حشوا وتطويلا وتصنعا ؛ وباستطاعة العرب أن يفاخروا غيرهم من الأمم بما فى أدبهم من جوامع الكلم التى تحمل من سمو الفكر وأمارات الفتوة والمروءة ما لا مثيل له ، وإعجاز التأليف عند العرب يأتى من الإيجاز الذى كأنه تركيز بالتقطير ثم كيف ننسى بعض مطالع قصائد المتنبى وهى كالأسهم صيغت من حكم خالصة تسمو قدرا على مجلدات من أقصوصات . كيف ننسى حكمة المتصوفين وكأنها قطرات ماء انسكبت فحملتها الراحتان فى ابتهالها إلى الله ؟ وأخيرا كيف ننسى أن العرب قد وضعوا فى مجال العلوم الرياضية والكيماوية من الاصطلاحات الدقيقة ما يسير اليوم فى خط متواز مع أحدث الأبحاث فى تلك العلوم »[1] .

على أن الأدب العربى لم يكتف بأن يزدهر ويونع ويؤتى أطيب الثمرات ، بل إنه ترك آثارا رائعة فى الآداب الغربية مما يظهر بوضوح فى أدب «جوته» أكبر شعراء الألمان ، و « دانتى » أكبر شعراء الإيطاليين، و«تشوسر» رائد الشعر الانكليزى ، وقد سجل الباحثون ماتركه الشعر العربى من آثار عميقة فى صياغته وأسلوبه فى شعراء التروبادور : Troubadour

ويقرر المستشرق الانكليزى الشهير «جب» Gibb أن الدراسات الحديثة توضح آثار العناصر الشرقية فى آداب العصور الوسطى، وتثبت اعتماد الغرب على الشرق فى المادة وفى الطريقة ، ويؤكد أن الدين الذى تدين به أوربا فى العصور الوسطى لأدب النثر العربى لا جدال فيه، وتعددت المصنفات التى تناولت آثار الأدب العربى فى كل لغة من اللغات الغربية ، ومن أبدع المؤلفات التى تناولت هذا الموضوع فى الأدب الانكليزى كتاب The Crescent and the Rose لمؤلفه

(١) فقه اللغة للدكتور على عبد الواحد وافى (الطبعة الثالثة) ص ٢٨٠ ، ٢٨١

العلامة « شيو » Chew طبعة نيويورك سنة ١٩٣٧ وكتاب الإسلام فى الأدب الانجليزى Islam in English Literature ولا يستطيع أى باحث أن يمارى فى أن ابن خلدون هو مؤسس علم الاجتماع وفلسفة التاريخ ، كما لا يستطيع أن ينكر أن الإدريسى هو أكبر جغرافى العالم فى القرون الوسطى وأن كتابه (نزهة المشتاق) ظل المصدر الرئيسى لدراسة العلوم الجغرافية فى جامعات أوربا مئات السنين ، ويقوم معهد الدراسات الشرقية فى نابولى بطبعه كاملا للمرة الأولى وقد صدر الجزء الأول منذ أشهر ، وتفضل مشكورا فأهداه إلى، ومن المقدر أن يتم طبعه فى عشرة أجزاء كاملة، وقد نصحت القائمين على إصداره بأن يلحقوه بأطلس يضم الخرائط التفصيلية للأقاليم السبعة كما رسمها الإدريسى فوعدوا بهذا مشكورين .

ولقد ثبت أن العرب هم أول من نظم علم الجبر وأطلق عليه هذا الاسم وجعله علما مستقلا ، وما تزال كلمة الجبر Algebra مستعملة فى اللغات الأجنبية حتى الآن ، ويعتبر الخوارزمى أول من ألف فيه بطريقة منتظمة ، وكان كتابه (الجبر والمقابلة)، المصدر الذى اعتمدت عليه أوربا وجامعاتها مئات السنين ، « نشرة محققا الدكتور على مصطفى مشرفة والدكتور محمد مرسى » ؛ ولا يشك باحث منصف سواء من الغرب أو الشرق أن ابن الهيثم هو مؤسس علم الضوء الحديث وأنه أول من وضع قوانين الهندسة المستوية والمجسمة فى بحوث الضوء وتمييز نقطة الانعكاس فى المرايا الكروية والاسطوانية والمخروطية : المحدبة منها والمقعرة .

ومن العباقرة الذى أسهموا فى مجال الدراسات الهندسية وأحدثوا بها آثاراً عالمية خالدة البيرونى ونصير الدين الطوسى ومحمد البغدادى وثابت بن قرة وغيرهم من الأعلام الخالدين ، أما كتب الطب العربى فقد ظلت أهم المراجع الطبية فى جامعات أوربا حتى عصر النهضة الحديثة ومن أهمها كتاب الحاوى للرازى وكتاب كامل الصناعة لعلى بن العباس والقانون لابن سينا ، وقد وصف ابن النفيس الدورة الدموية وصفا لم يسبقه إليه أحد من الأطباء ، وأفرد الباحثون من أطباء العرب كتبا خاصة فى العقاقير مثل ابن البيطار والهروى والمردينى

والأنطاكى وغيرهم ، وظل كتاب الزهراوى فى التشريح أهم مرجع تستقى منه أعظم الجامعات الأوربية مئات السنين ، ولا يتسع المجال للحديث عن ابن ماجد وما قدمه من كشوف علمية فى الملاحة البحرية .

والحديث عما قدمته الحضارة العربية للعالم من آثار خالدة يحتاج إلى مجلدات وقد تناول هذا الموضوع بإسهاب العلامة ديورانت فى كتابه (قصة الحضارة) كما تناوله سارتون فى كتابه (العلم القديم والمدنية الحديثة) وغوستاف لوبون فى كتابه (حضارة العرب) وغيرهم من كبار الباحثين الغربيين ، وقد أصدرت اليونسكو أخيرا كتابا قيما باسم) أثر العرب والإسلام فى النهضة الأوربية) وفيه من الأمثلة العملية ما يقطع كل شك أو امتراء .

وعلى الرغم من هذا وقفت مؤسسة اليونسكو من اللغة العربية موقفا غريبا حاولت فيه أن توقف تيار زحفها الحديث لتكون لغة عالمية كبرى مستندة إلى أدلة واهية سننقضها فى الحديث التالى إن شاء الله ؟

على عبد العظيم

(بقية المنشور على صفحة ٧٦٩)

تكون أمراً مفروغا من عدم لزومه ومن ثانويته بالنسبة لاعتبارات الأمن التى تسود الدولة .

ولذلك كله فإن البيئات الديموقراطية الحديثة هى بيئات غير موضوعية لا يجوز أن ينشدها المسلم أو أن يجند مبادىء الإسلام فى سبيل الوصول إليها .

والوقع أن مكانة الشورى فى الإسلام تأتى بعد العدل المنضبط بأصول الشريعة ومقاصدها ، ونحن لا نحتاج بعد ذلك إلى هذه الألوان من البناء الصناعى الذى اجتهد فيه أكثر المعاصرين والذى يخلص فى النهاية إلى أنه يقوم مجلس نيابى بالتصويت الانتخابى العام كما هو الحال فى النظم الديموقراطية الليبرالية المعاصرة ؟

د . مصطفى كمال وصفى

مرثية الرندى من عيون الشعر الأندلسى

للدكتور احمد عبد الواحد

منذ بدأت القواعد الإسلامية الكبرى تسقط فى الأندلس، ولاحت نذر الانهيار وأخذت رقعة الوطن الإسلامى تتقلص أمام زحف الغزو الأسبانى ، وصارت قوة المسلمين تتضاءل أمام تعاظم الخطر المسيحى ، وامتد التشقق والانقسام فى الجبهة الإسلامية إزاء التماسك والاتحاد فى الجبهة النصرانية، أى منذ بدأت حركة الغزو المسيحى تهدد الوجود الإسلامى بالأندلس ، وبدا لذوى التبصر من أبنائها شبح النهاية ، أخذت الدموع تترقرق فى العيون جزعا على الفردوس الذى كان نجمه متجها نحو الأفول .

حتى إن سقوط قاعدة كبرى - كطليطلة - على قدر ما أثار من فجيعة لضياع البلد وتشرد أهله ، لم يغفل أهل التبصر من الأندلسيين عن دلالته وما يعنيه ، فنجد ابن العسال اليحصبى يصيح بأهل الأندلس ، ولم يكن ذلك منه إلا إمعانا فى التنبيه ومبالغة فى التذكير :

يا أهل أندلس حثوا رواحلكم
فما المقام بها إلا من الغلط
الثوب ينسل من أطرافه وأرى
ثوب الجزيرة منسولا من الوسط
ونحن بين عدو لا يفارقنا
كيف الحياة مع الحيات فى سفط

ولما توالى سقوط القواعد الأندلسية وأخذت الأندلس تسير فى طريق النهاية ترددت القصائد فى بكائها والرثاء لها ، فكان هذا الرثاء - قبل أن تبلغ نهايتها إنذارا بأعلى ما يبلغ الصوت لتدارك أمرها قبل أن تخرج من قبضة الإسلام إلى الأبد .

* * *

وكان من أبرز هذه القصائد مرثية صالح بن شريف الرندى[1] ذات الشهرة

(١) هو أبو الطيب صالح بن شريف الرندى كان من أهل رندة كما يدل على ذلك لقبه ، وقد ولد بها سنة ٦٠١هـ ، وتوفى سنة ٦٨٤هـ ويصفه ابن عبد الملك فى التكملة بأنه «خاتمة أدباء الاندلس » وكان بارعا فى النثر والنظم معا ، وله مقامات بديعة فى أغراض شتى، =

الواسعة فى الأدب الأندلسى، وقد رثا بها الأندلس بعدما رأى من تغلب النصارى على قواعدها.

والقصيدة تبدأ ببعض الحكم التى تمهد للغرض، وهى ترسم جو الفناء، وتثير إحساسا بتوقع السوء، وتهيء الأذهان لحديث الفاجعة، وهو - بلا شك - تمهيد بارع:

لكل شىء إذا ما تم نقصان
فلا يغر بطيب العيش إنسان
هى الأمور كما شاهدتها دول
من سره زمن ساءته أزمان
وهذه الدار لا تبقى على أحد
ولا يدوم على حال لها شان

ويسوق الرندى بعد ذلك جملة من الإشارات التاريخية، مثلا لما يفعله الدهر بالجبابرة وما ملكوه وما أثلوه:

أين الملوك ذوو التيجان من يمن
وأين منهم أكاليل وتيجان.. الخ

وبعد هذا التساؤل الممعن فى تقرير ما ساقه عن حتمية المصير، يرسم جو النهاية:

أتى على الكل أمر لا مرد له
حتى قضوا فكأن الأمر ما كانوا
وصار ما كان من ملك ومن ملك
كما حكى عن خيال الطيف وسنان

ويخلص من ذلك إلى اصطفاء ثلاثة ملوك كان يحق لهم الخلود - لو كان خلود - فيجعل فناءهم مثلا. لصولة الدهر التى لا تدافع:

دار الزمان على دارا وقاتله
وأم كسرى فما آواه إيوان
كأنما الصعب لم يسهل له سبب
يوما ولا ملك الدنيا سليمان

وبعد تعداد الفجائع عامة يخلص إلى ذكر الفجيعة التى أنشأ لها القصيدة:

دهى الجزيرة أمر لا عزاء له
هوى له أحد وانهد ثهلان

ويذكر ما أصاب الدين فيها:

= وكان كثير الوفود على غرناطة والتردد على بلاطها، وقد عاش الرندى فى عصر الفتنة الكبرى التى اضطرمت بها الأندلس فى أواسط القرن السابع الهجرى، والتى تمخضت عن قيام مملكة غرناطة وسقوط معظم القواعد الأندلسية الكبرى فى يد النصارى، وكان من خاصة المقربين إلى السلطان محمد بن الأحمر مؤسس مملكة غرناطه (باختصار عن «نهاية الأندلس» ص ٤٥٧ نقلا عن مخطوط «الإحاطه فى تاريخ غرناطه» المحفوظ بالإسكوريال):

أصابها العين فى الإسلام فارتزأت
حتى خلت منه أقطار وبلدان

ثم يعدد مدنها الضائعة ومحاسنها ويتحسر عليها :

فاسأل بلنسية ما شأن مرسية
وأين شاطبة أم أين جيان .. الخ

وفيما يلى ذلك يصف تبدل الحال بالبلاد التى انتهبها النصارى فيقابل بين حاليها ، ويبكى الإسلام عليها ، ثم يهز المشاعر لتستفيق وتتنبه لهول النكبة التى ذهبت بإشبيلية وكانت قريبة عهد بالسقوط ، ثم يتوجه بأسلوب بالغ الزجر إلى الناعمين فى أوطانهم القاعدين عن نصرة إخوانهم ، ويستثير الهمم لتدارك أمر المسلمين فى الجزيرة ويقدم صوراً مما يلاقونه :

فلو تراهم حيارى لا دليل لهم
عليهم من ثياب الذل ألوان .. الخ

ويستثير أسف كل مسلم :

لمثل هذا يذوب القلب من كمد
إن كان فى القلب إسلام وإيمان(١)

تلك هى قصيدة الرندى التى حازت منزلة متميزة بين المراثى القومية ، وأصبحت معدودة فى عيون الشعر الأندلسى .

* * *

ويصف المقرى هذه القصيدة بأنها « فريدة » (١) .

ويقول عنها نيكل : « إنها بين المراثى - التى تصف محنة المسلمين وتستغيث مسلمى المغرب - أشهرها وأشدها تأثيراً » (٢) .

ويقارن المستشرق الأسبانى إميليو غارسياغومس بين هذه القصيدة وقصيدة ابن عبدون (٣) الرائية فى رثاء ملك بنى الأفطس أصحاب بطليوس (٤) ، التى مطلعها :

(١) انظر القصيدة فى « نفح الطيب » الجزء الثانى ص ٥٩٤ ، ٥٩٥ ط الأزهرية مختارات من الشعر الأندلسى - لنيكل ص ٢٠٠ ، ٢٠١ .

(١) نفح الطيب - الجزء الثانى ص ٥٩٤

(٢) انظر :
Nykl : Hispano Arabic Poetry, p. 337

(٣) أبو محمد عبد المجيد بن عبدون ، كان وزيراً وكاتباً لبنى الأفطس ، توفى سنة ٥٢٠ هـ (١١٢٦ م)

(٤) بنو الأفطس أصحاب بطليوس (انتهوا إلى قبيلة « تجيب » العربية ولكن الثابت أنهم من البربر » كانت مملكتهم واسعة ، ومن أشهر رجالها محمد بن الأفطس الملقب بالمظفر ، وعمر الملقب بالمتوكل ، وقد أزال المرابطون دولته فى عهد يوسف ابن تاشفين مع دول الطوائف الأخرى - عدا سرقسطة - سنة ٤٨٧ هـ

الدهر يفجع بعد العين بالأثر
فما البكاء على الأشباح والصور

فيقول عن قصيدة الرندى :

« إنها أقل من قصيدة ابن عبدون قيمة بلاغية شعرية ، ولكن نصيبها من صدق الإحساس أعظم ، وهى ليست مجرد فيض عنيف من ألم عنيف عن المنفعة الخاصة وإنما هى صرخة أرسلها الرندى يطلب من دول المسلمين الإسراع لصريخ الأندلس الذى كان يقترب من النهاية »(١).

وهذا حق لا نخالف فيه ، ولكن المقارنة بين القصيدتين تظهر تأثر الرندى بابن عبدون ومحاكاته له فى بحر القصيدة ، وفى افتتاحها بالحكم والإشارات التاريخية.

وفوق هذا فقد تأثره تأثراً واضحا فيما ساقه من هذه الحكم والإشارات التاريخية حتى ليكاد مدخلا القصيدتين يتفقان فى المعنى :

قال ابن عبدون :

فلا تغرنك من دنياك نومتها

وقال الرندى :

فلا يغر بطيب العيش إنسان

وقال ابن عبدون :

هوت بدارا وفلت غرب قاتله

وقال الرندى :

دار الزمان على دارا وقاتله

وقال ابن عبدون :

واسترجعت من بنى ساسان ماوهبت

وقال الرندى :

وأين ما ساسه فى الفرس ساسان

وقال ابن عبدون :

وألحقت أختها طسما وعاد على
عاد وجرهم منها ناقض المرر

وقال الرندى :

وأين عاد وشداد وقحطان

وقال ابن عبدون :

وما أقالت ذوى الهيئات من يمن

وقال الرندى :

أين الملوك ذوو التيجان من يمن (١)

بيد أن قصيدة الرندى تزخر بجوانب أدبية يرجع إليها - فوق صدق الباعث وفيض الشعور - ما اكتسبته من منزلة رفيعة بين المراثى القومية ، ومن هذه الجوانب بناؤها الفنى المحكم إلى حد كبير ، واتساق صورها بما ينمى

(١) الشعر الأندلسى - لفارسيا غومس (ترجمه الدكتور حسين مؤنس) ص ٦١، ٦٢

(١) انظر قصيدة ابن عبدون فى المعجب للمراكشى ص ٤١

الإحساس بالفاجعة ، ويستثير أعمق المشاعر ، بجانب المقابلة البارعة التى تمثل المفارقة التى أحدثتها الفاجعة ، ومن مثل قوله :

بالأمس كانوا ملوكا فى ديارهم
واليوم هم فى بلاد الكفر عبدان

واستثارة عواطف مختلفة لا تقتصر على الجانب الدينى كقوله :

كم من فتاة كحسن الشمس إذ طلعت
كأنما هى ياقوت ومرجان
يقودها العلج للمكروه مكرهة
والعين باكية والقلب حيران

هذا مع تنويع الأساليب الخبرية والإنشائية ، واستخدام عبارات ترتبط بمعان جمة تسترسل فى الذهن حتى يحويها الغموض ، ومن هذه العبارات :

أصابها العين فى الإسلام ..

و : كما حكى عن خيال الطيف وسنان

وكذلك التشخيص : مثل قوله :

فاسأل بلنسية ما شأن مرسية

و : تبكى الحنيفية البيضاء من أسف

و : حتى المحاريب تبكى وهى جامدة
حتى المنابر ترثى وهى عيدان

هذا إلى جوانب أخرى فى القصيدة تستبين بالتأمل فى الأبيات ، وتشهد بمالها فى البلاغة من حظ موفور .

* * *

بقى أن نذكر أن المستشرق المشهور ا . ر . نيكل A. R. Nykl أحد كبار المتخصصين فى الشعر الأندلسى ، قد ذكر أن هذه القصيدة ترجمها « شاك » إلى الألمانية ، وترجمها « فاليرا » إلى الأسبانية ، كما ترجمها هو ـ أى نيكل ـ إلى الإنجليزية ، وبمراجعة ترجمته يتبين أنه لم يحسن فهم بعض الأبيات فى القصيدة ، فقد ترجم قول الرندى :

لكل شىء إذا ما تم نقصان :

Every theng that is not perfect is devective

على معنى « كل شىء لم يتم فهو ناقص » ظناً منه أن « ما » نافية وترجم قوله :

تبكى الحنيفية البيضاء من أسف :(١)

The white wells of ablution are weeping with sorrow.

* * *

رحم الله الرندى ـ فقد كان مسلما غيورا ـ وحفظ ـ سبحانه ـ للمسلمين دينهم وديارهم ، ونصرهم على الأعداء المتربصين ؟

دكتور أحمد عبد الواحد

(١) انظر Hispano-Arabic Poetry, p. 337

الملكية بوضع اليد أو سقوط الحق بمضى المدة

للأستاذ سيد عبد الله حسين

— ٢ —

تكلمت فى عدد المجلة فى شهر رجب سنة ١٣٩١ عن الملكية بوضع اليد وبينت بالدليل أن أصلها مأخوذ من التشريع الإسلامى - وفى هذا المقال نتمم هذا البحث والله المستعان .

أولا : إضافة وضع اليد - فى القانون الفرنسى .

تتكون من إضافة مدة وضع اليد السابقة إلى مدة وضع اليد الحالى لتكون مدة تكفى للتملك بوضع اليد - م ٢٢٣٥ و ٢٢٣٧ - ق . ف .

فى ملكية الوارث يستمر وضع اليد كالمورث بحسن نية أو بسوء نية بالنظر إلى التملك بوضع اليد - فإن كان المورث واضعا يده مؤقتا أو كان مالكا بسوء نية فلا ينتفع واضع اليد الحالى بالمدة الماضية - ولا ينفعه وضع اليد الدائم ولا حسن نيته - بل يجب أن تمر ٣٠ سنة منها مدة وضع يد مورثه - فإن ساءت نية واضع اليد الحالى وحسنت نية المورث انتفع واضع اليد الحالى بمدة عشر سنين إلى عشرين سنة منها وضع اليد السابق .

وفى ملكية الموصى له بشىء معين من التركة فواضع اليد يبتدى مدة جديدة ولا علاقة له بمن تلقى عنه الملك - فإن كان واضعا يده مؤقتا صح لواضع اليد الحالى ابتداء مدة وضع اليد بحسن نية من تاريخ وضع يده لينتفع بالملكية بوضع اليد من عشر سنين إلى عشرين عاما - وحسن نية واضع اليد السابق لا تنفع واضع اليد الحالى متى كان سيء النية فيجب مرور ثلاثين عاما ، ويجوز له إضافة وضع اليد السابق لبلوغ الثلاثين ص ٥٥٣ ج ١ فوانيه .

ثانيا : إضافة وضع اليد فى التشريع الإسلامى .

إضافة وضع اليد السابق إلى وضع اليد الحالى مبدأ مقرر فى التشريع الإسلامى

لأن وضع اليد من أسباب الملكية فهو حق مكتسب للمورث ويحسب من تركته مايستحقه ورثته من بعده لأن الوراثة استمرار لأعمال المورث فينتقل كل ما للمورث من مالية تشمل ملك العقار والمنقول وماله من ديون وما عليه من تبعات مالية أو مقدرة بالمال فيرث ورثته حق الخيار فى بيع الخيار وحق الشفعة وحق الرهن وحق وضع اليد ، وحقوق الارتفاق غير الشخصية ـ فيقوم الورثة مقام مورثهم فى هذه الحقوق وأمثالها ـ فلا يؤخذ من تحت يدهم إلا كما كان يؤخذ من يد مورثهم، فحق وضع اليد للمورث ينتقل للورثة ويعاملون به كما كان يعامل المورث من الأحكام ، وعلى هذا فلا ينقطع وضع اليد بموت المورث وللورثة الحق فى التمسك بوضع يد مورثهم حتى تتم المدة المقررة للملكية بوضع اليد .

وجاء فى عدة مواضع أن الوارث يقوم مقام المورث حتى فى حلف اليمين ، ففى الشرح الكبير ص ٢٩٤ ج ٣ (وللمميز رد تصرف نفسه إذا لم يعلم وصيه بتصرفه أو علم وسكت ، أو لم يكن له ولى إن رشد .

وكتب العلامة الدسوقى على كلمة (بتصرفه) فقال: سواء كان تصرفه بما يجوز للولى رده كالمعاوضة أو بما يجب عليه رده كالعتق والهبة ؛ وأما وارث المحجور البائع فهل ينتقل له ما كان لمورثه من رد التصرف أم لا ، قولان ـ يعنى أن المحجور إذا تصرف ببيع أو هبة أو عتق ولم يطلع على ذلك إلا بعد موته فهل لوارثه أن يرده من بعده كما كان يرده هو لو كان حيا أو لا يرده قولان مرجحان.

وجاء بص ٢٠٢ ج ٤ الشرح الكبير (يحلف وارث الصبى البالغ إن مات الصبى قبل بلوغه ـ فإذا حلف الصبى بعد بلوغه أو حلف وارثه إن مات استحق المدعى به وأخذه من المطلوب إن كان فإذا فات أخذ قيمته (ومثله) .

وجاء بص ٢٢١ الشرح الكبير ج ٤ (وصحة شهادة بينة الملك لشخص حى أو ميت يكون :

١ — بالتصرف من واضع اليد فى ذلك الشىء .

٢ — وعدم منازع له فيه .

٣ — وحوز طال كعشرة أشهر .

٤ — وأنها لم تخرج عن ملكه فى علمنا بناقل شرعى للآن فيحلف المشهود له بتا

أنها لم تخرج عن ملكه ويحلف وارثه على نفى العلم ويستحقها) اهـ .

ومن هذا نعرف :

١ — أن وضع يد المورث يورث عنه ويضم لوضع يد الورثة حتى تتم مدة الملكية بوضع اليد .

٢ — يعامل الوارث كالمورث فى وضع اليد فتجرى عليه كل أحكام وضع اليد فإن كان المورث غاصبا أو فى حكم الغاصب كالأمين الذى امتنع عن رد الأمانة فالوارث يعتبر غاصبا كذلك .

وشرط حسن نية وضع اليد يجب أن تتوفر فى واضع اليد ووارثه حسن النية ابتداء ودواما فإن انتفى هذا الشرط فلا وضع يد وبالتالى فلا ملكية بوضع اليد ويجب عليهما رد المغصوب إلى مالكه .

ـ أما الموصى له ـ فإن كان الموصى حسن النية والموصى له كذلك فتسرى مدة وضع اليد المقررة ابتداء من يوم وضع يد الموصى على الوصية ـ اللهم إلا إذا كان الموصى قد تملك قبل وفاته بوضع اليد فللموصى له أو الموهوب له أن يدفع بهذا مدعى الملكية القائم عليهما لأنه متى تمت مدة الملكية بوضع اليد وضعاً سليما صحيحا فلا تسمع دعوى ولا شهود ـ وقد جاء بصفحة ١٩٢ ج ٢ الشرح الصغير ما نصه (أن المشترى من الغاصب ووارثه وموهوبه إن علموا بالغصب فغتصبون يجرى فيهم ما جرى فيه اهـ .

ثالثا : وقف مدة وضع اليد للتملك بها فى القانون الفرنسى .

وهو وقف مؤقت فى مدة مضى المدة فيقف سريان المدة مادام سبب الوقوف موجودا ومتى زال السبب ابتدأ سريان المدة مضافة إلى المدة التى وقفت عندها م ٢٢٤٢ صفحة ٥٥٤ ج ١ فوانيه .

وأسباب وقوف المدة التى رتبها القانون ، هى : (١) القصر عن درجة البلوغ حتى يبلغوا (٢) المحجور عليهم قضائيا حتى يعين لهم وكيل أو يفرج عنهم.

ولا تقف لصالح ناقص العقل غير المحجور عليهم قضائيا ولو كانوا فى مستشفى فاقدى الشعور ولا لصالح الشخص المحجور عليه عقابا له لا حماية له ـ ولا لصالح تاجر مفلس فى مدة رفع يده .

وفى كل حال يوجد مانع قانونى أو فعلى من مباشرة أو رفع دعوى الاسترداد

حصل خلاف بين الفقهاء والقضاء ـ فالقضاء يقول تقف حتى يزول السبب ـ والمتشرعون يقولون لا تقف فى غير مانص عليه القانون ـ ص٥٥٥ وص٥٥٦ ج١ فوانيه م ٢٢٥١

رابعاً : وقف مدة وضع اليد للتملك بها فى التشريع الأسلامى :

إن هذا المبدأ مأخوذ من التشريع الإسلامى نصا ـــ فإذا وضع إنسان يده على شىء من أملاك الغير ناويا تملكه بوضع اليد المدة الطويلة وكان المالك الحقيقى حاضراً عالما ولم يمنعه مانع من التقاضى ومضت مدة قصيرة كسنة مثلا ثم ذهب عقل المالك وأصبح غير مكلف شرعا فإن مدة وضع اليد على ملكه من الغير تقف ؛ لعدم أهليته للتقاضى ، فإن عاد إليه عقله بعد مدة وعرف بوضع يد الغير على ملكه ولم يكن عنده مانع من طلب حقه فإن المدة الواجبة لتكميل وضع اليد للملكية تبتدىء وتحسب المدة الأولى التى كانت قبل جنون المالك على هذه المدة المبتدأة لأن شرط الحيازة الصحيحة قد تحقق فى المدة الأولى وفى المدة الثانية .

فمن شروط وضع اليد المفيد للملكية (حضور المدعى « وهو خصم واضع اليد» ـ وسكوته بلاعذر ولامانع) وهنا قد سكت بعذر وهو طرو الجنون عليه الذى جعله ليس أهلا للطلب فلا يقاضى ولا يتقاضى مادام عذره قائما ومانعه من التقاضى مانع ، فالمانع من سريان المدة مؤقت بوقت عدم الأهلية ومتى زال المانع عاده إليه حق وضع اليد الشرعى فتضم المدتان لسريان مدة وضع اليد المملكة .

فقد جاء بصفحة ٤٣٣ ش ـ ك ج ٤ (بالمحشى) فإن نازع ذلك الحاضر الحائز لم يسقط حقه (وهو محترز قوله سكت وقوله أو جهل محترز قوله بلا مانع وكذا قوله بلا مانع) لأن شروط وضع اليد المقبول شرعا :

١ ـــ وضع اليد على الشىء والاستيلاء عليه .

٢ ـــ حضور المدعى .

٣ ـــ سكوته بلا عذر ولا مانع .

٤ ـــ عالم بوضع اليد (ويعذر بجهله لذلك الشىء المحاز ، هل هو مالكه أم لا ويعذر بقيام عذر به من إكراه ونحوه فلا يسقط حق المالك بوضع اليد ، ومن العذر الصغر والسفه) اهـ .

وجاء بصفحة ٤٣٤ بحاشية الدسوقى ش. ك: ومنها إذا كان المكان لا يتيسر

فيه من يزجر ويردع (فلا حيازة إلا فى موضع الحكام لا فى البادية - ومنها خوف الحاضر من سطوة الحائز أو من سطوة من استند إليه - فلا حيازة لذى شوكة وتغلب) اهـ .

يقف سريان مدة وضع اليد المفيدة للملكية فى كل حال يوجد مانع قانونى أو فعلى من مباشرة رفع دعوى الاسترداد - كالجنون والصغر والسفه والغيبة مع عدم العلم الخ .

أما المحجور عليه بالإفلاس فلا تقف المدة لحجره لا يمنعه من طلب حقه فإن لم يفعل فلدائنيه هذا الحق ويقوم غرماؤه مقامه فى ذلك - ولهم منعه من تنازله عن حق وضع اليد لأنه يكثر ماله وبالتالى لسداد ما عليه لغرمائه .

فقد جاء بصفحة ٢٩٤ فى الشرح الكبير ج ٣ ما نصه (وللمميز رد تصرف نفسه إذا لم يعلم وصيه بتصرفه أو علم وسكت أو لم يكن له ولى إن رشد) ومعناه أن عديم الأهلية الشرعية لا تسرى على أملاكه مدة وضع اليد المملكة حتى تعود إليه أهليته فيسترد ملكه من واضع اليد إن كان قائما ومثله أو قيمته إن كان مالكا وجاء بصفحة ٢٩٢ خرشى ج٥ (إذا تصرف بغير إذن وليه ولم يعلم بذلك إلا بعد خروجه من الحجر أو علم وسكت أو كان مهملا لا ولى له وتصرف ثم خرج من الحجر رشيدا فإن النظر فى ذلك له لا لغيره فإن شاء رده وإن شاء أمضاه ومثل الصبى إذا بلغ رشيدا السفيه إذا رشد) .

يعنى أن وضع اليد يقف مدة عدم أهلية المالك ومتى أصبح أهلا فله استرداد ملكه ولا تنفع الحائز حيازته .

خامسا : قطع المدة المقررة للتملك بوضع اليد (تشريع فرنسى) .

وهو وقف سريان المدة المقررة للتملك بوضع اليد بحصول بعض أفعال محدودة بالقانون ، بمعنى أن الوقت الذى مضى للآن يمحى ولا يصح ضمه للحصول على الملكية بوضع اليد المدة المقررة ص ٥٥٦ ج ١ فوانيه - والفرق بين إيقاف سريان المدة وقطع المدة المقررة للتملك - أن إيقاف سريان المدة سببه مؤقت ومتى زال سرت نفس المدة فيحسب ما مضى من الوقت قبل الإيقاف على المدة المبتدأة بعد زوال السبب .

وقطع المدة زوال المدة السابقة على السبب القاطع فتبتدئ مدة جديدة للتملك بوضع اليد ص ٥٥٧ ج ١ فوانيه .

وأسباب قطع المدة أمران : سبب مدنى، وسبب طبيعى م ٢٢٤٢ وص٥٥٧ ج ١ فوانيه .

السبب المدنى :

١ — المتابعة القضائية وهى أعمال قضائية لقطع مدة وضع اليد للتملك - وهى إعلان الحضور أمام أى قضاء (صلح - مدنى - تجارى) - أو تأجيل أو رداً على دعوى المدعى م ٢٢٤٤ ص ٥٥٧ ج ١ فوانيه - فيصير استرداد العقار مقبولا - ويمنع المدعى عليه من الوصول إلى التملك بوضع اليد مدة رفع الدعوى ولا تسمح بابتداء مدة جديدة لوضع اليد (فإن قبلت دعوى المالك وأثبتها أخذ العقار وإن رفضت عاد وضع اليد سليما للملكية) ص٥٥٨ وص٥٥٩ ج ١ فوانيه

٢ — الاعتراف بحق المالك - متى اعترف واضع اليد بحق المالك انقطعت المدة الماضية قبل الاعتراف وأصبحت لاغية - ويمكن الابتداء من جديد بعد الاعتراف - ولا تبتدىء فى المتابعة القضائية م ٢٢٤٨ ص٥٥٩ ج ١ فوانيه .

السبب الطبيعى : واحد ، وهو حرمان واضع اليد من التمتع لمدة سنة سواء كان المانع هو المالك أو غيره م ٢٢٤٣ ص ٥٥٩ ج ١ فوانيه .

سادساً : قطع المدة المقررة للتملك بوضع اليد (تشريع إسلامى) :

هذه المسألة مأخوذة قطعا من شروط وضع اليد المفيد للملكية لأنه يشترط فى وضع اليد المفيد للملكية (عدم منازع له فيه) ويشترط أيضا (أنها لم تخرج عن ملكه فى علم شهود وضع اليد بناقل شرعى للآن) ويشترط أيضا (سكوت المالك مع علمه بوضع اليد من الحائز) وعلى هذه الشروط إذا وجبت تحقق وضع اليد الشرعى مع بقية شروط وضع اليد فإن لم يتحقق كلها أو بعضها ألغى وضع اليد وبطل فلا يصح لواضع اليد التمسك به وللمالك رفع دعواه وتقديم أدلته ويقبل ذلك فإن صحت حكم له بأحقية الشىء المتنازع فيه ولا عبرة بوضع اليد ولو طال، فقد جاء فى حاشية الدسوقى على الشرح الكبير ص٢٣٣ ج ٤ ما يأتى : (فإن نازع ذلك الحاضر الحائز لم يسقط حقه) (وهو محترز ساكت) - وقوله (أو جهل محترز قوله بلا مانع) وكذا قوله (أو قام به مانع). وظاهر الشارح عدم سقوط حق المدعى إذا نازع ولو كانت المنازعة فى أى وقت من العشر سنين)

ومعنى عدم سقوط المدعى عدم احتساب مدة وضع اليد السابقة فتعتبر لاغية .

ويشترط أيضا فى صحة وضع اليد المفيد للملكية (نسبتها « أى الملكية » مع الاستيلاء لنفسه) فإن اعترف بأن الشىء موضع الحيازة لبس ملكا له حتى ولو لم ينسب ملكيته لآخر - فقد بطلت الحيازة ولا تفيده الملكية - فقد جاء فى حاشية الدسوقى على الشرح الكبير ص ١٩٦ ج ٤ ما يأتى :

(ويعتمد الشاهد بالملك على وجه البت على : (١) وضع اليد عليه . (٢) التصرف فيه تصرف المالك فى ملكه . (٣) نسبتها لنفسه . (٤) عدم المنازع . (٥) طول الحيازة) .

ومعناه أن الحائز إذا اعترف بعدم ملكيته للشىء موضع النزاع فقد ألغيت المدة الماضية على اعترافه، وللمالك الحق فى دعواه وسماع أدلته ، ووضع اليد لا يفيد المتمسك به ولا حق له فى وضع اليد مدعيا الملكية بعد اعترافه بأن الشىء ملك للغير ، فإذا لم يرده لصاحبه اعتبر غاصبا وتطبق عليه أحكام الغاصب .

ويشترط أيضا فى صحة وضع اليد المفيد للملكية أن يستمر وضع اليد على الشىء المحوز حتى يحصل به ملكية ذلك الشىء ، فإن انقطع وضع اليد بأى سبب أو بأى شخص ألغيت المدة السابقة على انقطاع وضع اليد فإن انقطع لأى سبب ثم أعاد وضع يده على هذا الشىء فلا يضم المدة السابقة على المدة اللاحقة بل يكون ابتداء مدة جديدة .

فقد جاء فى حاشية الدسوقى على الشرح الكبير ص ٢٢١ ج ٤ ما يأتى (وإنها لم تخرج عن ملكه فى علمنا بناقل شرعى للآن ، فيحلف الشهود له بتا أنها لم تخرج عن ملكه) .

ومعنى هذا الشرط، وهو دوام وضع اليد على الشىء المحاز أن انقطاع وضع اليد يلغى المدة السابقة عليه فلا تحسب مع وضع اليد الجديد .

سابعا : نتائج التملك بوضع اليد المدة الطويلة (تشريع فرنسى) .

١ - وضع اليد المدة الطويلة يفيد ملكية العقار لواضع اليد م ٢٢٦٥ ص ٥٦٠ ج ١ فوانيه .

٢ - وضع اليد المدة الطويلة لا يمحى

الحقوق العينية التى على العقار (حق التمتع وحق الاستعمال وحق السكنى وحق الانتفاع وحق الرهن على العقار) فيملك واضع اليد العقار مع بقاء هذه الحقوق على العين المتملكة بوضع اليد فلا تسقط إلا بمضى المدة المقدرة للسقوط، فلا علاقة بين ملكية العقار والحقوق المترتبة على هذا العقار ، وقد يتفقان إذا ابتدآ معا وكانت مدتهما ٣٠ سنة .

٣ ـ الملك بوضع اليد لا يحمى الحق الشخصى الذى على العقار كدعوى البطلان لعدم الأهلية للتعاقد أو النقص فى إرادة البائع ، فيجوز للبائع رفعها ضد واضع اليد، ولا يسقط هذا الحق إلا بمضى عشر سنوات ، وكذا دعوى إرجاع العقار أو دعوى التعويض فلا يسقطان إلا بمضى المدة المقررة لهما قانونا .

٤ ـ التملك بوضع اليد لا يحصل بموجب القانون، فليس من الحق العام يحكم به القاضى من غير طلب بل لا بد لواضع اليد أن يدعيه صراحة فى دعوى الاسترداد م ٢٢٢٤ ص ٥٦١ ج ١ فوانيه .

٥ ـ نتائج التملك بوضع اليد تنسحب على الماضى إلى أول يوم وضع اليد ص ٥٦٤ ج ١ فوانيه . ؟ (يتبع)

سيد عبد الله حسين

قال الله تعالى :

« إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا » .

(النساء : ٥٨)

بين الكتب والصحف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

● خاطرات جمال الدين الأفغاني :

إن الكتابة عن الأفغاني لا يملها قارىء ، كما أن الحديث عنه لا يسأمه سامع ، فالأفغاني : « جمع فى جبة واحدة من الزهد أمة من الأخلاق والمروءات ، ودنيا من العقل والذكاء والعبقريات » كما يقول الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل الذى قام باختيار هــذه الخاطرات وتنسيقها ، ثم ضمنها كتابا يقع فى أكثر من مائة وخمسين صفحة ، وقامت بنشره « دار حراء » بالقاهرة .

لقد رصد الأستاذ سيد الأهل هـذه الخاطرات فى أبواب ثلاثة : الدين والأخلاق - العلم والاجتماع - ثم السياسة والتدبير ، ولقد تناولت الخاطرات فى الباب الأول : أديان التوحيد والدعوات الدينية ، والدعوة الإسلامية وتقريب المذاهب ، ونظرية الوحدة ، والنبوة والحكمة ، والمرأة والحجاب ، واشتراكية الإسلام ، واللغة ، ومستقبل الإنسان ، والتعصب الدينى والخرافات . . . وغير ذلك . .

ولا بد من وقفة هنا . . هذه الخاطرة التى عنون لهـا « بالقول الحكيم » قال الأفغانى :

« كل مسلم مريض ودواؤه فى القرآن وما على طالب الحكمة إلا أن يتدبر معانيه ويعمل بأحكامه .. فهل المسلمون اليوم عاملون بما جاءهم به محمد - صلوات الله عليه ، أو مقتدون به كما اقتدى به الأصحاب أو التابعون ؟

أم تقولون : إن محمدا لم يكن حكيما حكمته من قلبه - تلك الحجة الواهية لمرضى القلوب وساقطى الهمم ومتكأ أهل الذل .

يا قوم ، إن محمدا جاء نبيا مرسلا ، وقبل النبوة كان أمينا صادقا ، لم يقنع بأسود بيته مثل عمه حمزة وابن عمه على ، وأبطال قريش والأنصار أن يخوضوا وحدهم غمرات الموت فى الحروب لمن

تحداهم وناهضهم من كفار قريش ، بل هو هو بذاته الكريمة ، وقد أفرغ عليه الدروع ، وتقلد الصارم البتار واقتحم الوغى ، فتكسرت ثناياه، وتخضب وجهه بالدم انتصارا للحق ومقاومة للباطل ، علمكم بنفسه وأرشدكم بقوله وفعله .

أين المسلمون اليوم من شيء من هذا الإقدام وتلك الهمم ؟؟

وتحت عنوان « المرأة والحجاب » قال الأفغانى :

المجتمع الإنسانى إنما قام على دعامتين أويقوم بالمجتمع عاملان: المرأة والرجل وفى كل من التكوينين من ناقص وزائد ويرشدنا ذلك التباين فى تكوين العاملين إلى وجوب اختلاف عملهما بما لديهما من معدات وآلات التكوين ليتم من ورائهما عمـــل صحيح بالنتيجة وبناء مستجمع لوازمه ..

وكان مما تناولته الخاطرات فى الباب الثانى : قـــدر العلم ، القرآن والعلم ، الإشارات العلمية ، النشوء والارتقاء ، عرش المرأة ، سبق العرب ، فناء العالم .

وتحت عنوان « سبق العرب » يقول الأفغانى فى خاطرته :

«أخذ المنصفون اليوم من علماء الغرب بالاعتراف للعرب ببعض الفضائل بما سبقوا إليه، كالجبر ـ وهو من موضوعات العرب ـ وواضعه «أبو السمع» والجاذبية والمركز ، لم يكن المكتشف لهما « اسحق نيوتن » مع الاعتراف بفضل الرجل ..

وكذلك التحليل والتركيب واكتشاف الفوسفور ، واستحضار الأوكسيجين والايدروجين ، كذلك حامض الأزوت وحامض الكبريت والكبريتى وغيرها من عمادات مباحث الكيمياء ، كل هذا من مكتشفات العرب ..

وكان الأساتذة فى علم الكيمياء للجيل الثالث للهجرة : أحمد بن مسلمة المجريطى وتلميذه ابن بشرون ، وأبو السمع ، وقد تقدمهم مثل جابر بن حيان ، ومن بعدهم زكريا أبو بكر الرازى .. وغيرهم .. »

وكان مما تناولته الخاطرات فى الباب الثالث : سياسة القرآن ، السياسة الإسلامية ، العرب والإسلام ، قدسية مصر، أخلاق الإنجليز ، ذريعة الاحتلال كذب الاستعمار ، الفلاح والعامل ، أيها الشرقيون ..

وتحت عنوان : « اغتيال مصر » قال الأفغانى فى خاطرته :

« إن الأسباب التى هيأت سقوط مصر فى مخالب الإنجليز غريبة فى بابها ، إذ أصبحت وهى من نفس المصريين وبقوتهم يعدونها خارجة عنهم ، نعم إن المصريين كانوا أيام « عرابى » على قسمين : قسم يروم حفظ الحالة القديمة والوقوف عندما يرسم به الخديوى ، وقسم كان يميل أحد جانبيه إلى عرابى ويهاب بالجانب الآخر وسلطة الرسم القديم . فكان هذا القسم الثانى فى ريبة من أمره - ولا عزيمة مع الريب - والقسم الأول لحله إلى الخمول والفشل ، فدخل الإنجليز بلا حرب حقيقة ، بل بنوع من الترهيب وقليل من الترغيب ، وخفيف من الدسائس صادف قلوبا مستعدة فأخذ منها مقاما ، فانحلت الرابطة وتفرق الناس عن عرابى بزوال جانب الميل إليه من قلوبهم » .

وبعد : فقد كنت أود أن يوفق الأستاذ عبدالعزيز سيدالأهل - الذى بذل جهداً مشكورا فى اختيار هذه الخاطرات التى بلغت تسعين خاطرة - كنت أود أن يوفق إلى تقديم شخصية الأفغانى فى صورة الثائر الحكيم الذى كان يهز بحكمته القلوب ، كما يهز بثورته العروش ولا أعتقد أن قول الأستاذ سيد الأهل فى تعقيبه على الخاطرات : « لقد أوسع جمال الدين القول فى كل أمر واتجاه ، فجعلنا نقسم كلامه بين الدين والأخلاق والعلم والاجتماع ، والسياسة والتدبير ، وقد طاف فى كل هذه الآفاق ، وفصل وضرب الأمثال ، غير أننا لم نأخذ منه كل ما أعطى» . لا أعتقد أن مثل هذا القول يصلح تبريراً لما عجزت عنه الخاطرات فى تقديم الأفغانى فى صورة الحكيم الثائر . .

ربما كان هناك مبرر مقبول ، وهو أن الأستاذ سيد الأهل التزم بالعنوان الذى اختاره « خاطرات » ، وإنما بدا فيها الأفغانى فى صورة « الحكيم » ، أكثر مما بدت فيها صورة « الثائر » التى تبدو واضحة فى خطبه ومقالاته . .

هناك شىء آخر ، فقد سبق هذه الخاطرات خاطرات أخرى من اختيار محمد باشا المخزومى عام ١٩٣١ ، وكنت أود أن يسلط أضواء فى تعقيبه على تلك

الخاطرات السابقة ، توضح العمل بين العملين على الأقل ..

وهذا وذاك لا ينقص عمل الأستاذ سيد الأهل شيئا من التقدير ، فقد أمتعتنا هذه الخاطرات التى استوعبت ألوانا من المعرفة والبحث والنقد والحكمة ..

* * *

● هذا الكتاب.. وقضية السطو الأدبى:

إنها كلمة عامة أرجو أن لا تؤول لمصلحة أحد طرفى الخصومة فى هذه القضية ، قضية أى سطو أدبى من كاتب على زميل له ، وبخاصة إذا كان الأخير حياً يرزق ، فالسطو على تراث الأموات عملية لم ولن تتوقف ، لكن السطو على إنتاج الأحياء يجب أن يوضع له حد ، ولست أدرى كيف يرضى إنسان مثقف لنفسه أن ينسب إلى نفسه إنتاجا غير شرعى ، وإذا كان القانون المطاط يعجز عن أن يضيق عليه الخناق ، فهلا يضيق عليه ضميره الخناق ؟

هذا تمهيد موجز قبل الدخول فى هذه القضية ، فقد وضع أخى الأستاذ الشيخ محمد قمر الدولة ناصف المدرس بمعهد دسوق الدينى والمجند حاليـاً بقواتنا المسلحة ، وضع بين يدى كتابين يحملان عنوانا واحداً هو « رابعة العدوية » أما الأول فمن تأليفه ، ويقع فى ثمانين صفحة وقد نشر ضمن سلسلة « كتب إسلامية » التى يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، أما الكتاب الآخر فهو من تأليف الأستاذ محمود الشرقاوى ، ويقع فى مائة وأربع وأربعين صفحة ، وقد نشر ضمن مطبوعات دار الشعب بالقاهرة فى رمضان الفائت عام ١٣٩١هـ بينما نشر الكتاب الأول فى رمضان عام ١٣٨٥هـ وطلب منى الأستاذ قمر الدين أن أثير على صفحات مجلة الأزهر هذا السطو الذى وقع على كتابه ، بعد أن أودعنى الوثائق التى يراها دليلا قاطعاً على أن المؤلف الأخير قد سرق كتابه ، ولم يسرق مجرد أفكاره ، وإنما خطة البحث وفقرات طويلة بأكملها ، فى كل باب من أبواب كتابه ، بل حتى الفقرة الأخيرة التى اختتم بها البحث ..

وقد قرأت الكتابين قراءة استيعاب وفحص ، وتأكد لدى أن أخانا الأستاذ قمر الدين على جانب كبير من الحق مع شىء طفيف من المبالغة أحياناً ، لكنى

أستطيع أن أؤكد أن كتاب الأستاذ الشرقاوى ليس إلا بسطا لكتاب الأستاذ قمر الدين على وجه التقريب ، ولم يخل هذا البسط من نقل صفحات لا فقرات بأكملها ، ويبقى مع ذلك للأستاذ الشرقاوى حق الدفاع عن نفسه إن كان ثمة دفاع يملكه.

وهناك ملاحظتان :

أولاهما : أن الأستاذ قمر الدين توهم أن المؤلف هو الأستاذ الشيخ محمود الشرقاوى العالم الأزهرى والذى توفى إلى رحمة الله ، والحقيقة أن المؤلف هو الأستاذ محمود الشرقاوى الموظف بمصلحة الاستعلامات ومن حملة ليسانس الحقوق أى من رجال القانون ..

أما الملاحظة الأخرى، فهى أن الأستاذ قمر الدين يعتبر أن دارا كبيرة كدار الشعب مسئولة ، بل ألقى عليها جانبا من اللوم ، وقد يقال : إن دار النشر قدم إليها كتاب وأقرته لأنه جدير بالنشر لكن المفروض أن تكون اللجنة التى تراجع الكتب على صلة ومتابعة لما ينشر ، وبخاصة إذا كان « اسم رابعة العدوية » مزدحما بالدراسات والأبحاث عنه ، فإذا لم يكن فى الدراسة جديد ، كانت تكرارا لا معنى له .

وأخيراً يتساءل المؤلف ، ماذا يفعل ؟ وللإجابة عن تساؤله أقول له : إن هناك قانونا يحمى حق المؤلف ، وله أن يلجأ إلى القانون .

* * *

● الأوقاف الإسلامية ترعى الإنسان والحيوان :

فى هذا المعنى كتب فضيلة الشيخ الباقورى فى جريدة الأهرام يقول :

« والذى يقرأ التاريخ قراءة مستبصر متدبر ، ويرى من صور التراحم ، ومعانى البر فى المجتمع الإسلامى مالا يجد له نظيرا فى مجتمع آخر فى دنيا الناس ومن أجل هذه الصور صورة لا نظن أنها وقعت فى غير هذا المجتمع الفاضل ، بل لعل ما يقع فى المجتمعات الأخرى يناقض هذه الصورة ويسخر منها ، فإن الناس يعرفون أن (الخيول) إذا شاخت عمد المجتمع - مثلا فى دولته - إلى قتلها رميا بالرصاص ، ولكن المسلمين صنعوا فى هذا الباب صنيعا لم يسبقهم إليه سابق ، وربما لن يلحقهم فيه لاحق .

وهو صنيع يتراءى شامخا لامعا من خلال (وقف إسلامى) على الخيول التى

تشيخ وتعجز عن الكر والفر ، بعد أن أفنت عمرها فى ميادين الجهاد فى سبيل الله وهذا الوقف الذى يشير إلى أكرم صور البر وأعجبها .. قام فى دمشق البلد العربى الأصيل ، ونحن إذا تركنا دمشق إلى القاهرة ؛ رأينا فى وزارة الأوقاف المصرية وقفا يعرف بـ (الوقف على الكلاب الضالة) وهو وقف المرحوم المنشاوى (باشا) رحمه الله .

والذين يستعرضون (حجج الأوقاف) فى مصر وسوريا وتونس والمغرب الأقصى والجزائر ، وسائر البلاد العربية يرون صوراً من هذه الأوقاف تقوم كلها على البر ، وتؤكد أن المجتمع الصالح مصدر بر شامل » .

* * *

● المساواة أمام القضاء :

وتحت هذا العنوان كتب الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى على صفحات جريدة الأخبار :

« .. ولقد كان من أهم أهداف الثورة الفرنسية : المساواة ، وبصفة خاصة المساواة أمام القضاء ، فقد كان للأمراء ورجال الحاشية وكبار الملاك امتيازات خاصة ، ولكن الإسلام كان قد تخلص من هذا كله منذ زمن بعيد ، وقد فتح المسلمون بلادا كثيرة ، وكان من الطبيعى أن يشعروا بالامتياز على أبناء البلاد المفتوحة الذين حررهم الإسلام ، ولكن ولاة أمورهم كانوا يردونهم إلى تعاليم الدين بحسم ، ويكلفونهم فى سبيل تحقيق المساواة مشقة هائلة .. » .

وبعد أن ضرب الكاتب أمثلة منها قصة ابن عمرو بن العاص الذى اعتدى على أحد عامة المصريين ، وكيف أصر عمر بن الخطاب على أن يقتص من ابن الوالى ، وقال كلمته المشهورة : « متى استعبدتم الناس ، وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا » ، وقصة احتكام يهودى وعلى ابن أبى طالب إلى عمر ، وكيف طلب عمر من على أن يقوم ويجلس أمام خصمه قائلا له : « ساو خصمك يا أبا الحسن » بعد أن ضرب الكاتب هذين المثلين المشهورين قال :

« بهذه الروح عند الحاكم والمحكوم ، أكد الفكر الإسلامى الحر قاعدة المساواة أمام القضاء .. أن الناس سواء

فى الحقوق والواجبات ، لتكون هذه المبادىء من بعد هدف الثورات الكبرى فى التاريخ الإنسانى .. » .

* * *

● قراءات :

« جاء الإسلام مهذبا لليهودية والنصرانية مؤسسا على الحكمة والعزم ، هادما للتشريك بالكلية ، ومحكما لقواعد الحرية السياسية المتوسطة بين الديمقراطية والأوروستقراطية ، فأسس التوحيد ، ونزع كل سلطة دينية أو تغلبية تتحكم فى النفوس أو فى الأجسام ، ووضع شريعة حكمة إجمالية صالحة لكل زمان وقوم ومكان ، وأوجد مدنية فطرية سامية ، وأظهر للوجود حكومة كحكومة الخلفاء الراشدين التى لم يسمح الزمان بمثال لها بين البشر حتى ولو لم يخلفهم فيها بين المسلمين أنفسهم خلف ..

فإن هؤلاء الخلفاء الراشدين فهموا معنى ومغزى القرآن النازل بلغتهم ، وعملوا به واتخذوه إماما ، فأنشأوا حكومة قضت بالتساوى ، حتى بينهم أنفسهم وبين فقراء الأمة فى نعيم الحياة وشظفها ، وأحدثوا فى المسلمين عواطف إخوة وروابط هيئة اجتماعية اشتراكية لا تكاد توجد بين أشقاء يعيشون بإعالة أب واحد وفى حضانة أم واحدة .. » .

(من كتاب طبائع الاستبداد للكواكبى) .

محمد عبد الله السمان

باب الفتوى

يقدمه الأستاذ : محمد أبو شادى

(الإجابة للجنة الفتوى بالأزهر)

السـؤال من السيد / الأستاذ محمـد اسماعيل حسنى

توفى المرحوم اسماعيل حسنى إبراهيم سنة ١٩٦٧ عن زوجة وابن وأربع بنات وعن بنتى ابن توفى قبله .

وكان المتوفى قد أوصى لابنه وبناته الأربع السابق ذكرهم بوصية اختيارية مقدارها ٨ أفدنة و ٥ قراريط ، يخص الابن المتوفى ٢ فـدان مع الإحاطة بأن التركة جميعها ٢٤ فـدانا و ١٦ قـيراطا وسهم واحدا .

مع الإحاطة بأن الزوجة لم تجز الوصية فيما يزيد على ثلث التركة وأن باقى الورثة يجيزونها . فما مقدار الوصية الواجبة لبنتى الابن ؟ وما نصيب الزوجة فى هذه التركة ؟

الجواب :

فنفيد بأن فى تركة هذا المتوفى وصيتين إحداهما واجبـة لبنتى الابن وثانيتهما اختيارية للابن والأربع بنات الأحياء دون الابن المتوفى قبله لبطلان الوصية له بوفاته قبـل الموصى ، وبذلك تصبح

ط ف

الوصية الاختيارية ٥ ٦ .

الوصية الواجبة :

حيث إن فى تركة هـذا المتوفى وصية واجبة لبنتى الابن المتوفى قبله بمقدار ما كان يستحقه الابن لو كان حيا وقت وفاة أبيه فى حـدود ثلث التركة عمـلا بقانون الوصية الواجبة المعمول به من أول أغسطس سنة ١٩٤٦ فتقسم التركة ٣٢ جزءا، سبعة أجزاء منها وصية واجبة لبنتى الابن وهـو نصيب والدهما لو كان حيا وقت وفاة المـورث يقسم بينهما بالتساوى، والباقى وهو ٢٥ جزءا هـو الميراث لورثته الأحياء .

وحيث إن الميراث الذى كان يستحق

س ط ف

فيه الابن المتوفى قدره ١ ١١ ١٨ وذلك بعد استخراج الوصية الاختيارية

ط ف
التى قدرها ٥ ٦ فيكون نصيب بنتى
س ف س ط ف س ف
الابن هو ٧ × ١ ١١ ١٨ = ١٨ ٢٢ ٤
٣٢
مناصفة بين البنتين .

ولما كان فى هذه التركة وصية اختيارية أخرى ، وأن مجموع الوصيتين يزيد على ثلث التركة وأن الزوجة لم تجز هذه الزيادة وإن كان باقى الورثة قد أجازوها فيخرج نصيب الزوجة من ثلثى التركة جميعها ويكون لها فرض الثمن لوجود الفرع الوارث ومقداره
س ط ف س ط ف
١ × ١٦ ١٠ ١٦ = ٨ ١ ٢
٨
فدانين وقيراط وثمانية أسهم .

وما بقى من التركة بعد استخراج الوصية الواجبة ونصيب الزوجة المذكورين فى هذا الجواب ، يخرج منه الوصية الاختيارية والباقى يكون للابن والبنات الأربع الأحياء تعصيبا يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى والله تعالى أعلم .

هل يجوز للمسلم الأجنبى الذى لا يعرف اللغة العربية أن يصلى بلغته ؟

الجواب :

اطلعت لجنة الفتوى على سؤال المستفتى ونفيد بأن جمهور أئمة المذاهب الإسلامية على أنه لا يجوز فى الصلاة النطق بتكبيرة الإحرام والفاتحة بغير اللغة العربية ، فالعاجز عن النطق باللغة العربية يجب عليه أن يتعلمها وخاصة قراءة الفاتحة ولو بأجرة لأنها واجبة فى الصلاة فإن لم يفعل مع القدرة لم تصح صلاته لتركه الفرض قادراً عليه .

فإن لم يكن قادراً على حفظ الفاتحة كلها وحفظ ولو آية واحدة منها قرأها وكررها بمقدار قراءة الفاتحة ، فإن لم يقدر وقدر على ذكر الله وجب عليه أن يذكر بمقدار الفاتحة ، ويسن أن يكون هذا الذكر « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم » ويكرر بمقدار الفاتحة فإن عجز عن ذلك أيضاً وقف ساكتاً بدون قراءة مقدار قراءة الفاتحة ومثل الفاتحة تكبيرة الإحرام فلا تقال بغير العربية فإن عجز نوى بقلبه الدخول فى الصلاة .

وليس للمسلم أن يترجم القرآن الكريم

بلغة أخرى لأن الترجمة عنه تفسير لا قرآن ، لأن القرآن الكريم هو اللفظ العربى المنزل من الله سبحانه وتعالى على سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال تعالى « إنا أنزلناه قرآنا عربياً » وقال تعالى « بلسان عربى مبين » وترجمة آيات القرآن لا تسمى قرآنا ولا تصح بها الصلاة. وبهذا علم الجواب والله تعالى أعلم.

ما أخذه الأخ من المال للصرف منه على القضية لا يحرمه من حقه فى الميراث

باعت امرأة لبنتيها ١٦ قيراطا، وسجل هذا البيع تسجيلا تاريخياً ، ولكنه بيع بدون ثمن ، وقد حدث أن طلبت الأم من بنتيها تسليمها الـ ١٦ قيراطاً لرهنها للصرف منها فرفضت إحدى البنتين هذا الطلب ووافقت الأخرى عليه ، فقامت الأم وبنتها ببيع نصف فدان إلى مشتر واشترطا عليه رد الثمن نظير رد الأرض المباعة ، ثم لم يتيسر لهم ذلك ، فقام المشترى ببيع الأرض المذكورة إلى مشتر آخر وسجل هذا البيع تسجيلا نهائياً .

فرفعت المرأة وبنتها الأمر إلى القضاء عن طريق أحد المستغلين بالمحاكم، فاشترط عليها أخذ ثمانية قراريط نظير الصرف على هذه القضية وتكليف أحد المحامين ليتولى رد الحق لهما . وأثنــاء سير الدعوى أمام المحكمة توفيت الأم ، وأوقفت الدعوى بالتالى ، ثم جددت عن طريق ورثتها الشرعيين ، ومنهم أخوها الشقيق الذى اشترط على الوكيل القضائى أخذ قيراط من هذه الأرض نظير حضوره إلى المحكمة أثناء سير الدعوى باعتباره وارثا لأخته .

وقد انتهى الأمر بالمحكمة إلى إلغاء عقد البيع الأول والثانى ثم رد الثمن وإعادة الأرض إلى ورثة الأم . ثم تصالح الوكيل القضائى مع الأخ على أخذ بعض النقدية نظير التنازل عن القيراط السابق الاتفاق عليه .

فهل الأرض التى قضت المحكمة بردها من حق البنت ؟ أم من حق ورثة الأم ؟ وهل التصالح مع الأخ يفيد تنازله عن استحقاقه فى ميراث أخته (الأم) ؟ نرجو الإفادة عن ذلك ؟

الجواب :

عقد البيع من الأم لبنتيها بـ١٦ قيراطاً لكل منهما ثمانية قراريط حيث لم يحدد

(البقية على صفحة ٨٠٢)

أنباء وآراء

● مطالبة بإعادة النظر فى نصوص « العهد القديم » :

تجددت الدعوة إلى النظر فى نصوص « العهد القديم » التى لا تتفق مع الحقائق التاريخية .

فقد اكتشفت بعثة الآثار الدولية فى منطقة مناجم الملك سليمان بصحراء النقب أن المصريين عاشوا بهذه المنطقة منذ ٣٢٧١ عاما حيث استقروا فى « تبمنا » على بعد ٣٢ كيلومتراً شمالى العقبة (إيلات) واستغلوا مناجم النحاس بالمنطقة بطريقة فنية عالية .

صرح البرفيسور (بينو روتنبرج) أحد علماء الآثار بأن هذا الكشف يتطلب إعادة النظر فى نصوص « العهد القديم » الحالية وهذا دليل على ما أحدثه الكتبة من تحريف فى العهد .

● قرار حاسم ضد مدارس التبشير بالكويت .

قد تأكد لوزارة التربية بالكويت ما تقوم به «مدرسة المنصورة» فى هذا المجال دون مبالاة من نشر مخطط عدوانى رهيب يستهدف إماعة الحقائق الإسلامية وبذر الشك فى قيمها فى نفوس الصغار فأصدر السيد جاسم المرزوق وزير التربية قراراً بإغلاقها لثبوت مخالفتها للمناهج المقررة التى وافقت عليها الوزارة وارتكابها مخالفات تسىء إلى الإسلام بشكل ظاهر مقصود، وقال الوزير : « إنه سبق لوزارة التربية أن حذرت هذه المدرسة عدة مرات إلا أن اللامسئولية والاستهتار كانا دائما الشعار الذى اتخذته إدارة هذه المدرسة ؛ فكان لابد من الإجراء الصارم لتكون عبرة للجميع ، لأن كرامة الإسلام وهيبة القانون فوق أى اعتبار » ، وتبدأ الكويت عامها الدراسى الحالى .

● مذابح المسلمين فى الفلبين :

يبذل « تنكو عبد الرحمن » رئيس وزراء ماليزيا جهوداً عظيمة فى محاولات

دولية لوقف المذابح المستعرة ضد المسلمين فى جنوب الفلبين .

تبين أن الهدف المباشر لهذه المذابح هو محاولة القضاء التام على مسلمى جزيرة « ماندناو » حتى يمكن لهذه الولاية أن تنضم لجزيرة مانيلا المسيحية فى الشمال ، وهى الجزيرة التى يقطنها عدد كبير من الأوربيين .

● أقدم صحيفة مغربية حتى الآن .

فى بحث للأستاذ السيد زين العابدين الكتانى فى موضوع «الصحافة المغربية » اكتشف أن أقدم صحيفة مغربية هى صحيفة « طنين سبتة » والعدد الذى عثر عليه منها ، يحمل تاريخ ٨ سبتمبر ١٨٨٣ وهو مطبوع باللغة العربية فى عهد السلطان « الحسن الأول » ١٨٧٣ - ١٨٩٤ م و(سبتة) مدينة بشمال المغرب ، وكان المعتقد أن أقدم صحيفة مغربية هى جريدة (المغرب) التى صدرت بالعربية عام ١٨٨٩

● كلية إسلامية فى يوغوسلافيا .

قدمت حكومة السودان مبلغ عشرة آلاف جنيه مساهمة منها فى مشروع إنشاء « كلية إسلامية » فى يوغوسلافيا تعنى بالشباب المسلم وتوفر له الدراسات الإسلامية والعربية بجانب الدراسات المعاصرة .

سبق المشروع حملة لجمع التبرعات من أنحاء العالم الإسلامى لتغطية النقص فى تكاليف المشروع وقد تلقت اللجنة المشرفة عليه معونات مادية عديدة من الجهات الإسلامية الرسمية والخاصة .

● اعتناق الإسلام بفرنسا .

نشرت إحدى الهيئات الإسلامية بفرنسا إحصائية عن معتنقى الإسلام بها ، فذكرت أن عدد الذين يعتنقون الديانة الإسلامية لا يقل عن مائتى شخص سنويا ، وتستقبل المراكز الإسلامية فى فرنسا بشكل دائم العديد من الشخصيات الراغبين فى الإسلام .

ولا يقل عدد المسلمين - بفرنسا - حاليا عن مائتى مليون مسلم .

● الاعتراف بالوجود الإسلامى فى أوربا .

ينظر «البرلمان» البلجيكى فى الاعتراف بالدين الإسلامى عقيدة كائنة فى المجتمع البلجيكى ، وتقوم السيدة « فاطمة محمد عبد الله » بعرض أمر الاعتراف

بالعقيدة الإسلامية على مجلس النواب الإيطالى .

والسيدة فاطمة اعتنقت الإسلام بالقاهرة وكانت تسمى قبل إسلامها مارتشيلا مايكل .

وفى إيطاليا أسلمت شخصية بارزة أخرى ، فقد أعلن دكتور « جيان كارلو أولى » إسلامه وتسمى باسم « الحسين » وتبعه نجله . والدكتور أحد رجلين أعدا القاموس الإيطالى الحديث ، ثانيهما رئيس المجمع اللغوى الإيطالى حاليا .

على الخطيب

(بقية المنشور على صفحة ٧٩٩)

فيه ثمن ولم تقبض الأم من ذلك شيئا فإنه يعتبر وصية تنفذ فى الثلث لو بقيت ولم ترجع فيها الأم ، وحيث إن الأم طلبت من بنتيها أن يوافقاها على التصرف فى الأرض لحاجتها إلى المال فإن هذا يعتبر رجوعا فى الوصية .

وعلى ذلك فتصرف الأم فى ١٢ قيراطا تصرف صحيح وقد اعتبر هذا التصرف رهنا للمرتهن مقدار المبلغ الذى له وقد دفعته البنت الصغرى كما أفاد ذلك السائل شفهيا وفك هذا الرهن فهو دين تستوفيه من التركة قبل الميراث فيما يبقى من الستة عشر قيراطا بعد سداد الدين ومصاريف القضية يستحق للورثة على حسب الميراث الشرعى وما أخذه الأخ من نقود ضمن مصاريف القضية بعد تنازله عن القيراط لا يحرمه من حقه فى الميراث والله تعالى أعلم .

محمد أبو شادى

extended, at the time of his death, over the whole Arabian Peninsula together with some parts of Southern Iraq and Palestine. International caravans traversed Arabia. It is well known that the Sassanians and the Byzaantines had occupied certain regions of Arabia, and established colonies or protectorates. In the fairs, particularly of Eastern Arabia, merchants were attracted every year even from India, China, and "from the West", as Ibn al-Kalbi and al-Masudi have described. There were not only nomads in Arabia, but also settled people, of whom the Yamanites and Lihyanittes had developed civilizations dating from before the foundation of the cities of Athens and Rome.

324 – The customary laws of the country were transformed, when Islam came, into statal acts of legislation; and the Prophet had, for his adherents and subjects, the prerogative not only of modifying the old customes, but also of promulgating entirely new laws. His status as the messenger of God was responsible for the exceptional prestige he held. So much so that not only his words, but even his acts also constituted law for the Muslims in all walks of life; even his very silence implied that he did not oppose a custom which was practised around him by his adherents.

This triple source of legislation, viz., his words, which are all based on Divine revelation, his deeds, and his tacit approval of the practices and customs of his adherents, has been preserved to us in the Quran and the Hadith. When he was still alive, another source began to germinate, viz., the deduction and elaboration of rules, in cases where the legislation was silent, and this was done by jurists other than the head of the state.

body, Islam admits and even encourages that every group, Christian, Jewish, Magian or other should have its own tribunals presided overby its own judges, in order to have its own laws applied in all branches of human affairs, civil as well as criminal. If the parties to a dispute belong to different communities, a kind of private international law decides the conflict of laws. Instead of seeking the absorption and assimilation of everybody in the "ruling" community, Islam protects the interests of all its subjects. (cf. S 293 supra).

322 – As for the administration of justice among Muslims, apart from its simplicity and expedition, the institution of the "purification of witnesses" is worth mentioning. In fact in every locality tribunals organize archives regarding the conduct and habits of all the inhabitants, in order to know, when necessary, whether a witness is trustworthy. It is not left only to the opposite party to weaken the value of an evidence. The Quran (24/4) has said that, if someone accuses the chastity of a woman and does not prove it according to the judicial exigencies, not only is he punished, but is also rendered, for ever, unworthy of testimony before tribunals.

ORIGIN AND DEVELOPMENT OF LAW

323 – The Prophet Muhammad taught theological and eschatological dogmas to his adherents ; he also gave them laws concerning all activities of life, individual as well as collective, temporal as well as spiritual ; moreover, he created a State out of nothing, which he administered, built up armies which he commanded, set up a system of diplomacy and foreign relations which he controlled ; and if there were litigations, it was he who decided them among his subjects. So, it is to him rather than anybody else that one should look for studying the origin of the Islamic law. He was born in a family of merchants and caravan - leaders, inhabiting Mecca. In his youth he had visited the fairs and markets of Yaman and of Eastern Arabia, i. e. 'Uman cf. Ibn Hanbal IV, 206 – as well as of Palestine. His co-citizens used to go also to Iraq, Egypt and Abyssinia with the object of trade.

When he began his missinoary life, the violent reaction of his compatriots obliged him to go into exile and settle down in another town, Madinah, where agriculture was the principal means of livelihood of the inhabitants. There he organised a statal life ; first a city-state was established, which was gradually transformed into a State which

to what pleasth the envoy of God ! "This individual effort of opinion and common - sense on the part of an honest and conscientious man is not only a means of developing the law, but also a recipient of the Prophet.

(V) It may be remembered that, in legislation on a new problem, in the interpretation of a sacred text, or in any other case of development of the Islamic law, even when it is occasioned on the basis of a consensus, there is always the possibility that one rule adopted by a process would later be replaced by another rule, by later jurists using the same process. Opinion of an individual by the opinion of another individual, a consensus by another consensus. (This refers to opinions of jurists only, and has nothing to do with the Quran or the authentic Hadith).

319 – History has shown that the power of 'legislation' has been vested in Islam in private savants, who are outside official interference. Such legislation would neither suffer from the influence of daily politics, nor serve the interests of particular persons, even if they were heads of the State. The jurists being all equal, each of them can freely criticise the opinion of the other, providing thus the possiblility of bringing into relief all the aspects of a problem, either immediately or in the course of generations to come, and so arriving at the best solution.

320 – Thus one sees that the Divine origin of legislation in Islam does not render it rigid out of all proportion. What is more important still is that this quality of the Divine origin of law inspires in the believers an awe for the law, in order that it may be observed conscientiously and scrupulously. It may be added that the jurists of classical times have unanimously declared – that "All that the Muslims consider good, is good in the eyes of God", – even if it does not concern a saying of the Prophet himself. (To Sarakhsi it is a Hadith of the Prophet ; Ibn Hanbal has known it as a saying of Ibn Masud the companion of the Prophet). The consensus, in the light of this interpretation, implies that even the deduction of lay savants, entails Divine approval, a fact which adds to the respect of law in the eyes of men.

ADMINISTRATION OF JUSTICE

321 – A characteristic feature of the Quranic legislation in this respect is the judicial autonomy accorded to the different communities comprising the subjects. Far from imposingt he Quranic law on ever-

a special study of the subject has the right of doing that. A sick man would never consult a poet, not even a laureate who has gained a a Nobel prize ; to construct a house, one does not consult a surgen, but an engineer ; in the same way, for questions one must study a law and perfect one's knowledge of the subject : the opinion of persons outside the profession will only be a venture. The interpretations of the specialists show the posibility of adapting even the Divine law to circumstances ; for Muhammad being the last of the prophets and having left this world as all mortals, there is no more posibility of receiving a new revelation from God to decide problems in the case of divergence of interpretations.

There must evidently be divergences of opinion, since all men do not think in the same manner. It may be pointed out that judges, juris-consults or other experts of law are all human beings ; and if they differ among themselves, the public follows the one who appears to be more authoritative. In a Judicial litigation, the judge is obeyed ; in other cases, the schools of law obtain preference in the eyes of the adherents of the respective schools and so on.

(III) The Prophet Muhammad himself has enunciated the rule. "My people shall nevever be unanimous in an error," (reported by Ibn Hanbal, Tirmudhi, Ibn Majah and others) : Such a negative consensus has great possibilities of developing the Islamic law and adapting it to changing circumstances. The spirit of investigation is never strangled ; on the contrary this Hadith seems to lay down that every opinion which is not rejected unanimously will not entail excommunication.

(IV) A celebrated incident of the life of the Prophet Muhammad reported by a large number of sources, deserves mention : Mu'adh ibn Jabal, a judge-designate of Yaman, paid a visit to the Prophet to take his leave before departure to take up office. The following conversation took place : "On what basis shalt thou decide litigation ? – According to the provisions in the Book of God (the Quran) ! And if thou dost not find any provision therein ? – Then according to the conduct of Messenger of God (i. e. Muhammad)!

– And if thou dost not find a provision even therein ? – Well then, I shall make an effort with my own opinion ! "The Prophet was so delighted at this reply, that far from reproaching him, he exclaimed : "Praise be to God Who hath guided the envoy of His envoy

that He is omnipresent, omnipotent, just and merciful. Moreover, in His great mercy, He has given man not only reason but also guides, chosen from among men themselves, instructed in the directions which are most wise and most useful to human society. God being transcendent, He sends His message to His chosen men by means of intermediate celestial message-bearers.

316 – God is perfect and eternal. Among men, on the contrary, there is a constant evolution. God does not change His opinions, but He exacts from men only that which accords with their individual capacities. That is why there are divergences, at least in certain details, among legislations each of which claims to be based on Divine revelations. In legislative matters the latest law abrogates and replaces all the former ones ; the same is true of Divine revelations.

317 – Among Muslims, the Quran, which is a book in Arabic language, is the Word of God, a Divine revelation recieved by the Prophet Muhammad and destined for his adherents. Moreover, in His quality of being the messenger of God, Muhammad, of the holy memory, has explained the sacred text, and given further directions ; and these are recorded in Hadith, or the collection of the reports on the sayings and doings of the Prophet Muhammad.

318 – It goes without saying that the laws promulgated by an auhority can only be abrogated by itself or by a superior authority, but not by an inferior one. So a Divine revelation can be abrogated only by another posterior Divine revelation. Similarly the directions of the Prophet can be modified by himself or by God, but not by any of his disciples or others. But this theoretical aspect of rigidity becomes in practice quite elastic in Islam, in order to permit men to adapt themselves to exigencies and circumstances:

(I) The laws, even those of Divine origin or emanating from the Prophet, have not all the same range. We have just seen that only some of these are obligatory ; others are only recommended, while in the rest of the cases, the law allows great latitude to individuals. A study of the sources shows that the rules of the first category, i. e , the obligatory ones, are very few in number; the recommedatory rules are a bit more numerous ; and cases where the text is silent are innumerable.

(II) An inferior authority does not change the law, yet it may interpret it. The power of interpretation is not the monopoly of any person in Islam : every man making

teaching as well as the practice of the Prophet Muhammad, followed by his successors, requires that the head of the State should be fully capable of being cited before the tribunals of the country, without the least restriction. The Islamic tradition has been that judges never hesitated in practice to decide even against their sovereigns in cases of default.

311 – It is needless to mention in detail the material sanctions which exist in Islam as in all other civilizations. Thus there are services which are charged with the maintenance of law and order, watch and ward, peace and tranquillity in the mutual relations of the inhabitants of the country and if anybody is victim of violence he can complain before the tribunals, and the police would drag the accused to appear before the judges, whose decision is finally executed.

312 – But the conception of society, as envisaged by the Prophet of Islam, has added another sanction, perhaps more efficacious than the material one, and that is the spiritual sanction. Maintaining all the administrative paraphernalia of justice, Islam has inculcated in the minds of its adherents the notion of the resurrection after death, of Divine judgement and salvation or condemnation in the Hereafter. It is thus that the believer accoplishes his obligations even when he has the opportunity of violating them with impunity, and he abstains from doing harm to others in spite of all the temptations and the enjoyment of security against risks of retaliation.

313 – This triple sanction – of rulers being equally subject to the general law, material sanctions and spiritual sanctions, each element of which strenghtens the efficacy of the other, – tries to secure in Islam the maximum observance of laws and the realization of the rights and obligations of all. It is more efficacious than a system in which only one of these sanctions obtains.

THE LEGISLATION

314 – In order to better understand the implication of the affirmation the God is the supreme Legislator, we have to think of the different aspects of the question.

315 – Islam believes in One God, Who is not only the Creator of all but also the Sustainer, the 'sine qua non' of the very existence of the universe. He is not "placed on the retired list' after having created what He has created. Islam believes further that God is transcendent and beyond all physical preception of man, &

and says that one must do the ma'ruf and abstain from the munkar. Now, ma'ruf means a good which is recepgnized as such by everybody and which is considered by reason to be good, and therefore is commanded. And munkar means a thing which is denounced by everybody as not at all being good, an evil which isrecognized as such by everybody; and that which is considered by reason to be evil would be forbidden. A very great part of Islamic morality belongs to this domain; and the cases are very rare in which the Quran forbids a thing and in which there is a divergence of human opinion, such as the prohibition of alcoholic drinks, or games of chance; but to tell the truth the raison-d'etre of law even in such cases is not concealed from thinking and mature minds. In practise, this is a question of confidence in the wisdom and itelligence of the Legislator, whose direction in all the other cases have occasioned nothing but universal approbation.

THE SANCTIONS

309 – One meets among the members of the human race most varied temperaments, and these could be divided into three big categories: those who are good and resist all temptations of evil, without in the least being compelled by anybody thereto; those who are bad, and seek, by all means, to escape even from the most strict supervision; and finally those who behave in a suitable manner so long as they have a fear of reprisals, but who permit themselves injustice also when there are temptations with more or less probability of escaping from detection. Unfortunately the number of the individuals of the first category is very restricted; they need neither guides, nor sanctions against violation of laws. The other two categories require sanctions in the interests of society. The disposition of the spirit to do harm to others may be a sickness, a remnant of the criminal animality, a result of bad education, or due to other causes. An attempt will be made to control and counteract the possible harm done by men of the second category, whose number forunately is also not very great. There remains the third or the intermediate category of the very vast majority of men. They require sanctions, but of what kind?

310 – It goes without saying that if a chieftain has himself a bad conscience, having committed a prohibited thing, he would have little courage to reproach others about that thing. Therefore Islam has struck at the root and the cource of this kind of evil, and declared that nobody is exempt from obligations, not even the prophet. The

Judicial System of Islam

By

DR. MUHAMMED HAMIDULLAH

(II)

306 — Another feature of the Islamic law seems to be the emphasis laid on the correlativity of right and obligation. Not only the mutual relations of men among themselves, but even those of men with their Creator are based on the same principle; and cult is nothing but the performance of the duty of man corresponding to the rights the usufruct of worldly things that Providence has accorded him. To speak only of the "rights of man," without simultaneously bringing into relief his duties would be transforming him into a rapacious beast, a wolf or a devil.

PHILOSOPHY OF LAW

307 — The classical jurists, among Muslims, place law on the double basis of good and evil. One should do what is good and abstain from what is evil. The good and evil are sometimes absolute and self-evident, and at other times merely relative and partial. This leads us to the five-fold division of all judicial rules both orders and injunctions. Thus, all that is absolutely good would be an absolute duty, and one must do that. Everything which has a preponderant good would be recommended and considered meritorious.

Things where both these aspects, of good and evil, are equal or which have neither of them, would be left to the discretion of the individual to do or abstain from, at will, and even to change the practice from time to time; this category would be a matter of indifferance to law. Things absolutely evil would be objects of complete prohibition, and, finally, things which have a preponderance of evil would be reprehensible and discourged. This basic division of acts or rules into five categories may have other sub-divisions with as minute nuances as the direction on a compass dial in addition to the four cardinal points of north, south, east and west.

308 — It remains to define and distiguish between the good and the evil. The Quran, which is the word of God and holy Book to Muslims, speaks of these on many occasions,

« والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون » . النحل ٧٨

(And Allah has brought you forth from the wombs of your mother-you did not know any thing and He gave you the hearing and the sight and the hearts that you may give thanks) 16 : 78.

« ... فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون » . العنكبوت ١٧

(... Therefore seek the susterance from Allah and serve Him and be grateful to Him : to Him you shall be brought back) 29 : 17.

LOVE OF GOD

« ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ... » البقرة ١٦٥

(And there are some among men who take for themselves objects of worship besides Allah ; they love them as they should love Allah ; and those who believe are stronger in love for Allah . . .) 2 : 156

« ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ... » البقرة ١٧٧

(There is no piety in turning you faces toward the East or the West, but he is pious who believes in Allah ; and the Last Day, and the angels, and the Book, and the Prophets, and give away wealth out of love for Him to the near of kin, and the orphans, and the needy, and the wayfarer, and the beggars, and for (the emancipation of) the captives, and keep up prayer and pay the poor-rate ; and the performers of their promise when they make a promise, and the patient in distress and affliction and in time of trouble : these are they who are true, and these are they who fear the Lord). 2 : 177

« يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون» البقرة ١٧٢

(O you who believe ! eat of good things that we have provided you with, and give thanks to Allah if Him it is that you serve) 2 : 172

«... ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون » . البقرة ١٨٥

(.. And (He desires) that you should exalt the greatness of Allah for His having guided you and that you may give thanks), 2 : 185.

« وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلا ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزى الشاكرين » . آل عمران ١٤٥

(No one can die except by Allah's permission, according to the Book that fixes the term of life; and who ever desires the reward of this world, We will give him of it, and whoever desires the reward of the Hereafter, We will give him of it; and We will reward the grate ful). 3 : 145.

« ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكراً عليما » . النساء ١٤٧

(Why should Allah punish you, if you are grateful and believe ? and Allah is the multiplier of rewards, kuowing) 4 : 147.

« ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم ». التوبة ١٠٤

(Do they uot know that Allah accepts repentance from His servauts and takes the alms, and that Allah is He who is the Relenting, the Merciful). 9 : 104

« وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون». الشورى ٢٥

(And He it is who accepts repentance from His servants and pardons the evil deeds, and He knows what you do). 42 : 25

« يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار..» التحريم ٨

(O you who believe ! turn repentant to Allah with sincere repentance; haply your Lord will remit from you your evil deeds, and will bring you into Gardens beneath which the rivers flow . . .). 66 : 8

GRATTUDE

فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون. البقرة ١٥٢

(Therefore remember Me, I will remember you, and be thankful to Me and be not ungratiful to Me), 2 : 152

best provision is the fear of God : fear Me, then, O men of understanding). 2 : 194,197

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون » آل عمران ١٠٢

(O you who believe ! fear Allah as He should be feared, and die not undes you be 'Muslims' – who have sunendered to God –). 3 : 102

« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء . . . » النساء ١

(O people ! fear your Lord, Who created you from a single Being and created its mate of the same (kind) and spread from these two many men and women . . .) 4 : 1

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » . الحجرات ١٣

(O you men ! Surely We have created you of a male and a female, and We have divided you into nations and tribes that you may know each other ; surely the most honourable of you in the sight of Allah is who fears Him most ; Surely Allah is knowing Aware). 49 : 13

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون » . الحشر ١٨

(O you who believe ! fear Allah, and let every soul consider what it has sent on for the morrow, and fear Allah ; surely Allah is Aware of what you do). 59 : 18

R E P E N T A N C E

« إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » البقرة ٢٢٢

(. . . Surely Allah loves those who turn much (to Him), repent and He loves those who purify thamselves). 2 : 222

« إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما » النساء ١٧

(Repentance with Allah is only for these who do evil in ignorance, then turn (to Allah) soon, so these it is to whom Allah turns (mercifully), and Allah is ever knowing, Wise). 4 : 17 And :

(And repentance is not for those who go on doing evil deeds until when death comes to one of them, he says : Surely now, I repent; nor (for) those who die while they are unbelievers. These are they for whom we have prepared a painful chastisement). 4 : 18

The Duties of Believers Towards God – In Verses From the Quran –

TURST IN GOD

« ... فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين ، إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون » .

آل عمران ١٥٩، ١٦٠

(. . . Pardon them therefore and ask r God's forgiveness for them, and take counsel with them in the affair ; so when thou hast (thus) determined, then place thy trust in Allah ; surely Allah loves those who trust. If Allah assists you, then there is none that can overcome you, and if He foresakes you, who is there then that can assist you after Him ? And on Allah should the believers rely) 3 : 159,160

« قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون » .

التوبة ٥١

(Say : Nothing will afflict us save what Allah has destined for us : He is our Patron ; and on Allah let the believers rely). 9 : 51

« وتوكل على الحى الذى لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيراً » .

الفرقان ٥٨

(And rely on the Everliving Who dies not and hymn His Praise ; and Sufficient is He as being aware of the faults of His servants). 25 : 58

« وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا » .

الأحزاب ٣

(And rely on Allah ; is Sufficient as a Trustee). 33 : 3

FEAR OF GOD

« ... واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين ... وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب » . البقرة ١٩٤، ١٩٧

(. . . And fear Allah, and know that Allah is with those who fear Him . . . . And whatever good you do, Allah knows it ; and make provision (for your journey); but the

and make none sharer of the worship due unto his Lord) 19 : 110

If ever the racial problem is to be solved in a desirable manner, then it is this Islamic principle of equality of opportunity which will have to permeate the thoughts and actions of our present day society. And put in practice the cardinal principle of Islamic faith that superiority is to be attained only on the basis of good works and best conducts.

While we live in an age of imenense achievements in the fields of physical sciences and material inventions these achievements could not solve the race-problem which is a particularly significant one, whose prominece has been very much enhanced by recent events in certain parts of the world. Race may simply explained as a group of human being possessing common genetical and biological claracteristic from which they differ from other groups. It completly excludes mental traits such as intelligence and temperament.

It may be recalled that the twentieth century is one of the most terrible period which withnesses the most besetting evils of all times, challenging the very mentality of modern society. At present, the essence of the racial conflict raging has become centred around the notorious dichotomy of man into white and coloured. Race begots argue that the achievements of certain races exceed those of others, and from this follows the moral that the races who chose to consider their capacities superior have acquired the right and even duty to subjugate those whom they regard as inferior to themselves. Those who found this view abhorrent have countered with the suggestion that all people are similar in their abilities and potentialities.

The decisive point is, however, that human capacities can only by discovered if equality of opportunity is provided for all. Even United Nations Universal Declaration of Human Rights says : "All human beings are born free and equal in dignity and rights. They are endowed with reason and conscience and should act towards one another in a spirit of brotherhood".

This is the equality which Islam preaches, an equality as practised by the Prophet and all true Muslims. It begins first of all with a firm conviction of the inner mind that the whole humanity is the purposeful product of a single and Divine Creaton, to whom the basis of judging one's greatness of character and integrity is not the pigmentation of the skin, race, colour or nationality but the piety which can be associated with one's actions.

exhort one another to enduarance).
103 : 1 - 3

« ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو
أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة
ولا يظلمون نقيرا » . النساء ١٢٤

(And whose doeth good works, whether of male or female, and he (or she) is a believer, such will enter paradise and they will not be wronged the dint in a datestone)
4 : 124

The message of Islam was indeed a miraculous revolution that brought about an unprecedent change among the warring tribes of Arabia, when it was engaged in blood feuds. Prophet Muhammad (peace be on him) infused the true light to see the face of truth from the mirror of conscience and to understand the merit of mutual respect and love of service to fellow-men. He taught them that this kind of life is the highest form of submission to God. The spiritual enlightenment led to identify themselves in the art of noble living, to glorify the Almighty God, and work for the welfare of all.

The foundation of a true religion rests with a belief in a soul, without which there is no hope of a future life. In the physical world, light helps all other things to be visible and colour is seen behind it. The Holy Quran exhorted the people to cultivate the spirit of selfless service and sacrifice, through which alone salvation is assured, and to rise to the peak of greatness in the standard of human achievements and to reach the summit of satisfaction.

Islam created the precept of unity, fraternity and equality, as the soundest and safest structure of solidarity in human relationship. The relative merit between possession and withdrawal cannot be final and conclusive. But there are other qualifications to outlast the vanishing things of a fleeting world. There is no priesthood in Islam to act as an intermediary. A Muslim has every right to appeal God direct.

It is also one of the basic facts of Islam that it condemns any attempt to elevate even the Prophets above others except in what was reaveled to them from God. Emphasizing this point the Holy Quran says:

« قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما
إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه
فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه
أحدا ». الكهف ١١٠

(Say : I am only a mortal like you. My Lord inspired in me that your God is only One God. And whoever hoped for the meeting with his Lord, let him do righteous work

Almighty Allah. The holy Quran declares :

«... وما من إله إلا الله وإن الله لهو العزيز الحكيم ، فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين»
(آل عمران ٦٢ - ٦٣)

(. . . There is no God dare Allah, and Allah it the Mighty, wise. And if they turn away, then lo ! Allah is Aware of (who are) the corrupters) 3 : 62,63

Once the mankind accepts the common origin of all the communities and the Oneness of the Creator and Sustainer of the whole Universe, each member must be regarded as being equal to any other. Imposition of laws or practices favouring one section of the community more than other will be against the teachings of Islam. Because Islam condemns any form of discremination, whether it is class division or racial prejudices and enjoins the principle of equality and universal brotherhood.

The division of a society based on the colour of the skin or the social status of its individuals will always be socially harmful, morally unjustified, and above all, can never be approved by the teachings of Islam. In a community such as that envisaged by the Quran one section cannot deny to another the opportunity and facilities which it may have been fortunate to acquire. How can humanity, with its common origin, and with its common love and devotian to the Common Creator and Sustainer, harbour the fallacious thought that some are found to lie within the fetters of others ?

The Quran clearly teaches that superiority is to be attained only on the basis of good works and not through ancestral line. As it is clear from the following verses :

« وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الأوفى، وأن إلى ربك المنتهى » النجم ٣٩ - ٤٢

(And that man can have nothing but what he strives for. And that his striving will be seen. Then he will be rewarded for it with the fullest reward. And that to your Lord is the God) 53 : 39 - 42 And (O ye who believe ! Observe your duty to Allah, and let every soul look to that which it sendeth on before for the morrow. And Observe your duty to Allah . . .) 59 : 18

« والعصر ، إن الإنسان لفي خسر ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » العصر ١ - ٣

(By the declining day., Lo ! man is in a state of loss. Save those who believe and do good works, and exhort one another to truth and

MAJALLATU'L AZHAR
(AL - AZHAR MAGAZINE)
MANAGER :
ABDUL RAHIM FŪDA

SHAWWAL 1391	ENGLISH SECTION	NOVEMBER 1971

Who is the Most Honourable In the Sight of God

By
Dr. Mohiaddin Alwaye

It is one of the basic facts of Islam that it reminds the people the common origin of all mankind. It declares that despite any apparent divergence of colour, race and tongue the humanity shonld be proud to trace its fundamental unity back to the One Lord, the Creator and Sustainer of the universe. Referring to this basic concept of Islam the Holy Quran says :

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » . (الحجرات ١٣)

(O people ! verily, We have created you of a male and female; and We have made you nations and tribes that you may recognise one another, Truly, the most worthy of honour in the Sight of Allah is he who fears Him most. Verily, Allah is Knowing, Aware). 49 : 13

When the individual accepts the common origin of all mankind the communitty can be discerned as being a single unit in which its members should be blessed with a harmonious life. In such a life the basis of judging one's greatness of character and integrity is the piety. Islam achieves this feeling by, first of all, freeing humanmind from servitude to any one except the

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
«بدل الاشتراك»
٥٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٦٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

«العنوان»
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

الجزء التاسع — السنة الثالثة والأربعون — ذو القعدة سنة ١٣٩١ هـ — ديسمبر ١٩٧١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى النصر مهما يكن الثمن

للأستاذ عبد الرحيم فودة

معنى النصر يصدق على التغلب على العدو كما يصدق على النجاة منه ، إذ يقال نصره على عدوه بمعنى ساعده وأيده وأعانه عليه ، ونصره من عدوه بمعنى خلصه ونجاه منه ، وقد تكفل الله للمؤمنين بهذين الأمرين متى كان إيمانهم به صادقا ، واعتمادهم عليه قويا ، بل جعل ذلك حقا لهم عليه كما يفهم من قوله : « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » وقوله : « إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد » وقوله « يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .

وذلك حق لا سبيل إلى الشك فيه ، عند من يؤمنون بالله إيمانا صادقا ، ويوقنون بأنه جل شأنه لا يخلف وعده ، ويبذلون كل ما فى طاقاتهم من جهد لنصرة دينه والجهاد فى سبيله ، ويتوخون فيما يصدر عنهم من قول أو فعل تقواه ورضاه ، ومن ثم بعث عمر رضى الله عنه إلى قائد من قواد الجيش يقول له : إنى آمرك ومن معك بتقوى الله على كل حال ، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو وأقوى المكيدة فى الحرب ، وإنى آمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا من

المعاصى منكم من عدوكم ، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله .

والواقع الذى لا شك فيه - كذلك - أن الإيمان قوة كبرى لا تعرف الهزيمة ولا تعترف بالضعف ، لأن المؤمن متى وثق بأنه على حق ، وبأن الله معه بعونه ونصره ، وبأن الحياة لا تقاس قيمتها بقيمة الحياة الآخرة لم يعبأ بما يصيبه فى سبيل الله ، ولم يأبه لما يتعرض له من شدائد ، وإنما يستسهل الصعب . ويستعذب المر ، ويرى الموت فى سبيل الحق والدفاع عنه سبيلا إلى حياة أعظم وأكرم من هذه الحياة ، فإذا بذل كل ما فى طاقته من جهد فى سبيل هذه الغاية الكريمة العظيمة التى يتغياها ويتوخاها ويعمل لها كان الله عونه فيما لا يبلغه جهده ووسعه ، وأمده بقوى أخرى كبرى تسنده وتؤيده ، وتحقق له التغلب على عدوه أو التخلص من كيده وشره ، « وما يعلم جنود ربك إلا هو » « ولله جنود السموات والأرض وكان الله عزيزا حكيما » .

غير أن الإيمان الذى يكفل النصر ليس كما يتوهم البعض مجرد تصديق بوجود الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وإنما هو كما يقول الله : « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون » فالجهاد - وهو استفراغ الوسع فى مدافعة العدو - بالأموال والأنفس ، هو الأثر الناطق بالإيمان الصادق ، وهو آية الصدق والتقوى كما يقول الله فى الصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس : « أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » .

ويظهر ذلك فيما قاله سعد بن معاذ للنبى صلى الله عليه وسلم حينما استشار الأنصار فى مواجهة العدو والالتحام به فى غزوة بدر ؛ فقد نهض يسمعه هذه الكلمات : « لقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض يارسول الله لما أردت ، فنحن معك ، فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ماتخلف منا رجل واحد ،

وما نكره أن تلقى بنا العدو غداً ؛ إنا لصبر فى الحرب ، صدق عند اللقاء ، لعل الله يريك منا ماتقر به عينك . فسر على بركة الله » . .

كان ذلك موقف الأنصار مع النبى فى أول معركة خاضها ضد المشركين . وكان الله معهم كما يفهم من قوله لرسوله صلى الله عليه وسلم : « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين ، بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ، وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم » . .

واليوم يتأهب العرب والمسلمون لخوض معركة مصير مع أعدائهم وأعداء دينهم ، بعد أن ظهر للعالم كله حقهم وباطل عدوهم ، فليمضوا على بركة الله إلى النصر مهما يكن الثمن أو يطل الزمن ، وليضعوا نصب أعينهم وملء قلوبهم قول الله : « ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً » وقوله : « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار ، ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير » .

إنها معركة دين ، ومعركة شرف ، ومعركة حياة ، فليذكروا قول الله : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين » .

نعم ، ليذكروا ذلك ، ويذكروا معه الذين سبقوهم إلى الإيمان بذلك ، وكانوا كما قال خالد رضى الله عنه لقائد من قواد الفرس : لقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة ، فإنهم من الذين يقول الله فيهم « أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه » .

وصدق الله إذ يقول : « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز » .

عبد الرحيم فودة

دور الدعاية فى الجهاد الإسلامى

للأستاذ أبو الوفا المراغى

إذا تهدد العدو الوطن واتضحت نواياه وأهدافه العدوانية وجب على كل مؤمن أن يتحمل مسئولياته فى ميدان العمل ، وميادين العمل الحربى واسعة مختلفة ، فهناك العمل فى جبهة القتال وفى التمريض وفى التموين ، وفى مصانع الذخيرة، وفى الدعاية بأنواعها، وفى الدفاع المدنى وتأمين المواصلات ومقاومة الإشاعات ونحو ذلك مما لا يحصر ومما يعبر عنه بالتعبئة الشاملة وفى التعبئة الشاملة على كل فرد فى الأمة مسئولية العمل فيما يناسبه من تلك الميادين وبذل ما وسعه جهده وطاقته، ولعل لهذا المعنى سمى الإسلام قتال العدو جهادا ، وكأنه يوحى بذلك إلى وجوب استفراغ الطاقة فى هذا السبيل، وقد تحتم القوانين فى حال الحرب على الأفراد أعمالا ويحتم الدين أعمالا إلا أن ما يحتمه الدين أعم وأشمل وأفيد وأكمل ، فالأعمال التى تحتمها القوانين محصورة وقد يؤديها الفرد بسلطان القانون والخوف من عقوبته والأعمال التى يحتمها الدين لا تقع تحت حصر وكل مايرى الفرد أنه ذو جدوى من الأعمال افترض عليه أن يؤديه، وإذا أداه بسلطان الدين والضمير أداه على أكمل ما يمكن أن يؤدى ، فيصل به إلى أحسن النتائج ، وإذا كان الدين يتوخى الرضا والطواعية ويستلهم الضمير فى كل الأعمال فإنه يحرص كل الحرص على ذلك فى الأعمال الحربية لما لها من الأثر والخطر، فقد سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء ؟ فقال : من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله .

ومن أهم الأعمال الحربية الدعاية القائمة على المخاتلة والمماكرة وانتهاز الفرص واهتبال الغفلة، فهى عامل مهم فى توجيه الحرب وجهة النصر، ومجاله واسع وهو متطور بتطور الثقافات والحضارات

وقد استخدمته الأمم قديما وحديثا وعرفه العرب كما عرفه العجم ، ومن طرائف ما حفظه تاريخ العرب من ذلك مماكرة قصير بالذباء ؛ ليأخذ منها لعمرو ابن عدى بثأر خاله جذيمة التى قتلته فقد جدع أنفه ليوهم أن عمرا أساء إليه واتهمه بالتغرير بخاله فجدع أنفه وضرب ظهره لتستأنس به وتثق فيه حتى إذا تم له ذلك دبر لها تلك الحيلة الغريبة فى الانتقام منها فقد حمل إليها الرجال فى الجوالق والغرائر على الإبل موهما بذلك أنها هدايا وألطاف حتى إذا وصلت إلى المدينة واستمكنت منها خرج الرجال من الغرائر وأحاطوا بالمدينة وأهلها وبالذباء فقتلوهم ، وقيل فى ذلك المثل المشهور « لمكر ما جدع قصير أنفه » والحكاية معروفة فى أكثر كتب الأدب والأمثال .

وقد مارس المسلمون هذا الأسلوب فكان النبى صلى الله عليه وسلم إذا غزا غزوة ورى بغيرها ، أى أظهر أنه سيذهب إلى مكان وهو يقصد غيره أو يريد أقواما وهو يبغى آخرين ، وليس فى هذا محظور فإنه من خدع الحرب ومكايدها ، والحرب أكثر ما تعتمد على هذا الأسلوب وقد أعاره النبى اهتماما خاصا حتى كاد يحصر الحرب فى الخداع ، فقال : الحرب خدعة .

وقد توسع العلماء فى جواز استعمال الخداع فى الحرب ، فأجازه أكثرهم ولو أدى إلى الكذب نظراً لخطورة عواقب الحرب على المسلمين ، وقالوا إن الكذب فى هذا الموطن مما يترخص فيه ، وتوسط بعضهم فأجاز الخداع بالتورية دون الكذب ، وحظر بعضهم الخداع فى العهود والمواثيق ، قال الطبرى : إنما يجوز (الخداع) بالمعاريض دون حقيقة الكذب ، فإنه لا يحل ، وقال النووى : الظاهر إباحة حقيقة الكذب لكن الاقتصار على التعريض أفضل ، وقال المهاب : الخداع فى الحرب جائز كيفما يمكن إلا بالأيمان والعهود .

ومن أروع ما روى فى باب الدعاية وأنجحه فى الحروب الإسلامية ما انتدب له نعيم بن مسعود رضى الله عنه حين تظاهرت قريش وحلفاؤها واليهود المقيمون بالمدينة وحولها على المسلمين فاشتد كربهم وتأزمت أمورهم كما قص القرآن الكريم فى قوله

جل شأنه : « إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا » ، فقد عرض نعيم على الرسول حين أسلم أحد أمرين : إما أن يظهر إسلامه وينضم إلى المسلمين أو يكتم إسلامه ، ويقوم بوظيفة الدعاية للمسلمين ضد قريش واليهود فيفرق بينهم ويشتت شملهم ويمزق وحدتهم فاختار له الرسول الأمر الثانى لأهميته وجدواه فاضطلع نعيم بالقيام بهذه المهمة على أمثل الوجوه وأمهر الأساليب ، وكأنه درس فن الدعاية على أحدث القواعد ، ونجح نجاحا باهرا كان له أثره فى هزيمة الأحزاب التى تألبت على المسلمين فى شراسة وسعار وإنا نورد القصة كاملة لنمتع القارىء بمعانيها وأسلوبها الذى قام على شكل حوار بين نعيم وبين الرسول وبين نعيم أيضا وبين قريش واليهود وبلغ فى حسن السبك وجودة الحبك مبلغه من العمق والإقناع روى ابن هشام قال : أتى نعيم بن مسعود رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إنى قد أسلمت وإن قومى لم يعلموا بإسلامى فمرنى بما شئت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا إن استطعت فإن الحرب خدعة فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بنى قريظة وكان لهم نديما فى الجاهلية ، فقال : يا بنى قريظة قد عرفتم ودى إياكم وخاصة ما بينى وبينكم ، قالوا صدقت لست عندنا بمتهم ، فقال لهم : إن قريشا وغطفان ليسوا كأنتم ، البلد بلدكم ، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدرون على أن تحولوا منه إلى غيره وإن قريشا وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه وقد ظاهرتموهم عليه وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره فليسوا كأنتم ، فإن رأوا نهزة أصابوها وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ولا طاقة لكم به إن خلا بكم ، فلا تقاتلوه مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمدا حتى تناجزوه فقالوا له : لقد أشرت بالرأى ثم خرج حتى أتى قريشا ، فقال لأبى سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش قد عرفتم ودى لكم

وفراق محمدا وإنه قد بلغنى أمر قد رأيت على حقا أن أبلغكموه نصحا لكم فاكتموا عنى ، قالوا نفعل ، قال تعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد وقد أرسلوا إليه أنا قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقى منهم حتى نستأصلهم، فأرسل إليهم أن نعم، فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلا واحدا ثم خرج حتى أتى غطفان فقال: يا معشر غطفان إنكم أصلى وعشيرتى وأحب الناس إلى ولا أراكم تتهموننى قالوا : صدقت ما أنت عندنا بمتهم، قال: فاكتموا عنى، قالوا : نفعل فما أمرك ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس وكان من صنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أن أرسل أبو سفيان بن حرب ورؤس غطفان إلى بنى قريظة عكرمة ابن أبى جهل فى نفر من قريش وغطفان فقالوا لهم : إنا لسنا بدار مقام قد هلك الخف والحافر فاغدوا للقتال حتى نناجز محمدا ونفرغ مما بيننا وبينه فأرسلوا إليهم أن اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئا وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثا فأصابه ما لم يخف عليكم ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمدا حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا فإنا نخشى أن ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال أن تنشمروا إلى بلادكم وتتركونا والرجل فى بلدنا ولا طاقة لنا بذلك منه فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة، قالت قريش وغطفان والله أن الذى حدثكم نعيم ابن مسعود لحق فأرسلوا إلى بنى قريظة إنا والله لا ندفع إليكم رجلا واحدا من رجالنا فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا، فقالت بنو قريظة حين انتهت الرسل إليهم بهذا : إن الذى ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ما يريد القوم إلا أن تقاتلوا فإن رأوا فرصة انتهزوها وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل فى بلدكم فأرسلوا إلى قريش وغطفان إنا والله لا نقاتل

(البقية على صفحة ٨١٤)

دراسات قرآنية :

بناء البيت وأذان إبرهيم بالحج

للأستاذ مصطفى الطير

« وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم » البقرة ١٢٧ .

« وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق » الحج ٢٧ .

إذا أراد الله تعالى أمرا هيأ له أسبابه وكذلك كان شأنه سبحانه فى البيت العتيق فإنه لما شاء أن يجعله فى أرض الحجاز مثابة للناس وآمنا، ومناطاً للدين ومنارة للهدى ،أمر إبراهيم عليه السلام أن ينقل أبنه الرضيع إسماعيل مع أمه هاجر إلى موضع البيت الحرام من أرض الحجاز وكانت أرضا لا زرع فيها ولا ماء، فنفذ إبراهيم أمر ربه ، وأجرى الله بقدرته ماء زمزم ليكون مصدر حياتهما وسبباً لتجمع القبائل حولها ، فإن الماء أهم مطلب لسكان الصحراء .

وما شاء الله كان ، فقد أبصرت قبيلة جرهم من بعيد ، طيورا تحوم فوق هذه البقعة المباركة وهى لا تحوم إلا فوق ماء فأقبلت نحو الأرض التى تطير فوقها فوجدت هناك أما ووليدها ، وقد أكرمهما الله بهذا الرزق الذى لم يعهدوه من قبل، فأستأذنتها فى الاستيطان حولها فأذنت لها ورحبت بها .

وبين أفراد هذه القبيلة نشأ إسماعيل حتى قوى عوده وأصبح رجلا سويا ، وحينئذ أمر الله إبراهيم عليه السلام أن يبنى البيت الحرام بمعونة ولده إسماعيل، فبنياه فى موضعه الحالى ، وكانا يدعوان الله قائلين « ربنا تقبل منا . إنك أنت السميع العليم ، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك، وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم »

ولما أتما بناءه أمر الله نبيه إبراهيم عليه السلام أن يدعو الناس إلى الحج ، روى ابن جرير والحاكم وصححه وغيرهما عن ابن عباس قال : « لما فرغ إبراهيم من بناء البيت ، قال رب قد فرغت ، قال أذن فى الناس بالحج ، قال يارب ومايبلغ صوتى ، قال أذن وعلى البلاغ ، قال رب كيف أقول، قال : قل يا أيها الناس كتب عليكم الحج إلى البيت العتيق ، فسمعه أهل السماء والأرض ، ألا ترى أنهم يجيئون من أقصى البلاد يلبون » .

وجاء فى رواية أخرى أنه عليه السلام صعد أباقبيس فوضع أصبعيه فى أذنيه ، ثم نادى: « ياأيها الناس إن الله كتب عليكم الحج فأجيبوا ربكم ، فأجابوه بالتلبية فى أصلاب الرجال وأرحام النساء وأول من أجاب أهل اليمن ، فليس حاج يحج من يومئذ إلى أن تقوم الساعة إلا من أجاب يومئذ إبراهيم » ، وفى هذا يقول الله تعالى : « وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا » ، أى مشاة « وعلى كل ضامر » أى ركبانا على كل بعير مهزول من طول السفر « يأتين » أى الإبل الضامرة « من كل فج عميق » أى طريق بعيد « ليشهدوا منافع لهم » ، عظيمة الخطر جليلة القدر فى الدنيا والآخرة .

(حنين الحجاج)

وهذا الحنين الذى يتزاحم على قلب كل من كتب له الحج حتى يؤدى الفريضة ، ما هو إلا ترجمة للتفاعل بين دعوة الله المنقوشة فى روحه ، وبين الرغبة العارمة فى الاستجابة تنفيذاً لمشيئة الله ، ذلك التفاعل الذى ينتهى إلى أداء المناسك فى زمرة المشاة والركبان ، وهم يقولون فى صوت جماعى أو فردى : لبيك اللهم لبيك ، أى إجابة لدعوتك يا ألله بعد إجابة ، وقبولا لضيافتك فى بيتك الحرام وليس كل مشتاق إلى الحج يبلغ مناه ، فما أكثر من حرمتهم الأعذار ، وحالت دون رغباتهم الأقدار ، فاللهم اكتب ثواب النية الصالحة للتائقين المحرومين ، واعف عن القادرين المقصرين ، فإنك ياامولانا أرحم الراحمين .

(فضل الحج وحكمه وأسراره)

قلنا إن الحج إلى البيت الحرام هو تلبية لدعوة الله تعالى ، وقد جعل الله البيت مكاناً لضيافة من دعاهم ، والمائدة التى يجلسون إليها ، هى مائدة الغفران

والرحمة والثواب الجزيل على ما بذلوا من جهد ومال فى سبيل تلبية هذه الدعوة المباركة .

روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » وبسندهما عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » ، وروى البزار : « الحجاج والعمار وفد الله دعاهم فأتوه ، وسألوه فأعطاهم » ، وبما أنه تعالى صاحب الضيافة وأنت لا تراه ، فلهذا تطوف بيت ضيافته لك كما يصنع المحب الهائم مع المحبوب الذى يرى نعمه ولا يرى ذاته ، لكنك هنا تطوف ببيت هو موضع الدعاء ، وبريد الأمل والرجاء وليس بيتاً يحوى ذات المحبوب ، فالله تعالى منزه عن المكان ، وهذا الطواف حول البيت العتيق عنوان الهيمان برب المكان .

وحينما تستلم الحجر الأسود وتقبله فأنت تودعه أسرار الحب وأشواق القلب ، وتجعل منه صندوق البريد الذى يرفع تفاعل الحب لخالق الأكوان ، الذى لا سبيل إلى شهوده بالعيون ، كما تجعله شاهداً لك عند الله تعالى بأنك لبيت دعوته .

عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليبعثن الله الحجر له عينان يبصر بهما ، ولسان ينطق به يشهد على من استلمه بحق » رواه البيهقى بإسناد صحيح على شرط مسلم .

ولا غرابة فى ذلك على الله ، فقد أقدر عباده على أن يجعلوا الحديد يتكلم ويحسب ويكتب ويطرب فهو سبحانه بقوله كن يكون ذلك دون معاناة ، ولله تعالى من البدائع الكونية مالا يعد ذلك شيئا مذكوراً بجانبه .

وعند استلامك للحجر يستحب أن تقول : بسم الله والله أكبر ، اللهم إيمانا بك ، وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك ، واتباعا لسنة نبيك ، وفى أثناء الطواف تقول : سبحان الله والحمد لله ، ولا إله إلا الله والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وتدعو الله بما شئت .

وبهذا الإخلاص لرب البيت وحده ، مع تنزيهه عن المكان والزمان تمحض الطواف لعبادة الله ، وتخلص من شرك

العرب ، فقد كانوا يفعلونه تعظيما لما في البيت وما حوله من الأوثان، وكذلك كان شأنهم مع سائر المناسك .

ولقد أكثر الله في سورة الحج من الحث على تجريد الحج من شوائب الشرك وحسبك قوله : « ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق » .

ومن حكم الحج وأسراره أنه عملية تجميع للسكان في هذا المكان على ملة التوحيد ، قام بها إبراهيم عليه السلام بتكليف من ربه ، لتكون تلك البقعة المباركة منطلقا للدين الحق ومشرقا لشمسه بعد أن حال قومه دون ذلك تعصبا لأصنامهم وإصرارا على عبادة الكواكب

ومنها أنه في الشريعة الإسلامية حفاظ على ذات الغرض السابق ، وموسم لاجتماع المسلمين وتعاطفهم وتبادل الخير فيما بينهم ، وعقد أواصر المودة والألفة بين أهل الآفاق المختلفة ، وتأكيد الوحدة الدينية والفكرية التي تجمعهم ، والعمل على إزالة أسباب الفرقة في صفوفهم ولو أمكن أن يستفاد من الحج على الوجه الذي أراده الإسلام منه لعز المسلمون واستعادوا مجدهم الغابر ، ففي موسم الحج عقد الرسول معاهدتين مع أهل المدينة قبل هجرته إليها ، وكان لهما شأن عظيم في انطلاق الإسلام من عقاله بمكة ، وانتشاره في أنحاء الأرض ، وحسبك هذه الصراحة القرآنية في إثبات فوائده «ليشهدوا منافع لهم» قال ابن عباس: منافع في الدنيا ومنافع في الآخرة ، فأما منافع الآخرة فرضوان الله ، وأما منافع الدنيا فما يصيبون من لحوم البدن في ذلك اليوم والذبائح والنحارات .

وعن الباقر تخصيص المنافع بالأخروية وعن ابن عباس في رواية أخرى تخصيصها بالدنيوية ، ولكن التعميم أولى كما نقلناه في الرواية الأولى، فإنه أولى بإطلاق اللفظ .

وقد جعل الله الحج مظهراً لإخلاص العبد لربه ، فقد هجر فيه الأوطان ، وفارق الأهل والخلان ، ولم يكترث بمتاعب الرحلة ومشقاتها وبعد مداها .

كما أنه مذكر بوجوب التزود للآخرة إذ يقول الحاج لنفسه إنك في رحلة الحج تتزودين بالمال والطعام والشراب وأداة الوصول من سفينة أو طائرة أو سيارة أو دابة ، فعليك أيتها النفس في رحلة

الآخرة أن تتزودى بما يبلغك المنى ويحقق الأمل، وإن خير الزاد التقوى .

والغسل للإحرام ولبس غير المخيط والتطيب مرآة ينظر فيها الحاج نهاية الحياة حيث يوضع على سرير الغسل، ويطيب بالحنوط، ويلف بكفن غير مخيط .

والمحرم أشعث أغبر لهفان، وكذلك يخرج الإنسان من القبر حيران، ووقوف الحجيج بعرفات خائفين من عقاب الله وطامعين فى رحمته يذكرهم بموقفهم فى ساحة القيامة، وهم ما بين شقى وسعيد، والإفاضة من المزدلفة تذكر بالسوق لفصل القضاء، والمبيت بمنى يحرك قلوب المذنبين إلى تمنى شفاعة الشافعين يوم الدين، وحلق الرأس والتنظيف مذكر بالخروج من السيئات بالغفران المطهر من الذنوب، والبيت الحرام الذى جعله الله مثابة للناس وأمنا مذكر بالجنة دار السلام، فإن من دخلها أمن من الفناء، وسلم من الزوال، وكما أن الكعبة حفت بمكاره السفر وأخطاره، فكذلك الجنة حفت بمكاره النفس الإنسانية الباغية فهى تكره الطاعة وتميل إلى المعصية .

فنسأل الله تعالى أن يوفقنا لاجتياز مفازات الحياة الدنيا برواحل الطاعات فإنه سبحانه رءوف بالعباد ؟

مصطفى محمد الحديدى الطير

(بقية المنشور على صفحة ٨٠٩)

معكم محمدا حتى تعطونا رهنا فأبوا عليهم وخذل الله بينهم وبعث الله عليهم الريح فى ليال شاتية باردة شديدة البرد فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح آنيتهم، وبذلك انفرجت الأزمة. تلك هى قصة نعيم فى باب الدعاية الإسلامية، وهى حقيقة بأن ترسمها أجيال المسلمين كنماذج لما يمكن أن يتمخض عنه العقل المتفتح من أساليبها، وفن الدعاية لا تنحصر قواعده وهو كما قلنا يتطور بتطور العصور والظروف والبيئات، ولكل ظرف ولكل بيئة ما يلائمه وما تمليه المناسبات، إلا أن من أهم عناصر الدعاية: الذهن اللماح وانتهاز الفرص والإلمام بنفسيات العدو واستغلال أزماته واتجاهاته ؟

أبو الوفا المراغى

من هدى السنة :

الحَجّ وَالعُمْرَة

للدكتور محمد أبو شهبة

روى الشيخان فى صحيحيهما بسندهما عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » .

تخريج الحديث :

رواه البخارى فى صحيحه ـ كتاب الحج ـ باب وجوب العمرة وفضلها ، ورواه مسلم فى صحيحه ـ كتاب الحج ـ باب فضل الحج والعمرة .

(الشرح والبيان)

«أبو هريرة» رضى الله عنه تقدمت ترجمته(١)

« العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما » .

العمرة لغة : الزيارة ، يقال اعتمر البيت زاره ، ففى القاموس مادة عمر : « وعمر الله منزلك عمارة ، وأعمره جعله آهلا ، والرجل ماله ، وبيته عمارة ، وعمورا : لزمه ، وعمر المال نفسه كنصر وكرم ، وسمع ، عمارة : صار عامراً ، وأعمره المكان ، واستعمره فيه جعله يعمره ، ... وقد اعتمر ، والعمرة : الزيارة ، وقد اعتمر ، وأعمره : أعانه على أدائها .. والمعتمر : الزائر ، والقاصد للشىء» ومن ثم نرى أن المادة من معانيها الزيارة ، والقصد ، وجعل المكان عامراً آهلا .

والعمرة فى الشرع : زيارة البيت الحرام لأجل الطواف والسعى ، فركناها الطواف حول البيت ، والسعى بين الصفا والمروة .

ولما كان الحج لا يجوز إلا فى أشهر خاصة ، وقد لا يتيسر للإنسان السبيل إليه فى أشهر الحج اقتضت رحمة الله بعباده ، وليبقى هذا المكان المقدس آهلا بالزوار والعباد ، أن يجعل لهم نسكا آخر فى جميع أيام السنة ، وهى العمرة فيصح أداؤها فى أى وقت يشاء من العام .

وقد اختلف العلماء فى العمرة : أهى واجبة أم سنة ؟

(١) عدد رمضان ١٣٨٩ هـ .

فالجمهور على أنها واجبة ، وممن قال بالوجوب من السلف: السادة عمر ، وابنه عبد الله ، وابن عباس ، وطاووس ، وعطاء ، وابن المسيب، والحسن البصرى والثورى، وإليه ذهب الإمامان الجليلان: الشافعى وأحمد ، وإليه ذهب الإمام البخارى كما تدل على ذلك ترجمته للحديث.

وذهب الأئمة : أبو حنيفة ، ومالك ، وأبو ثور إلى أنها سنة ، وحكى هذا الرأى عن النخعى ، وقد ذهب الجمهور ومنهم : الأئمة، مالك، والشافعى، وأحمد إلى أنها لا تكره لغير الحاج فى يوم عرفة ، والأضحى ، وأيام التشريق.

وقال الإمام أبو حنيفة : إنها تكره تحريما[1] فى خمسة أيام: عرفة ، والأضحى وأيام التشريق الثلاثة ، وقال أبو يوسف من أصحاب الإمام : تكره فى أربعة أيام فقط : عرفة ، وأيام التشريق .

« إلى » معناها الانتهاء أى العمرة المنتهية إلى عمرة أخرى ، وقال ابن التين: يحتمل أن تكون « إلى » بمعنى « مع » وهذا الجزء من الحديث يدل على تكرار العمرة فى العام الواحد خلافا لمن كره ذلك .

« كفارة لما بينهما » .

الكفارة : على وزن « فعالة » صيغة مبالغة ، وقيل : إن التاء فيها للنقل من الوصفية إلى العلمية ، وهو اسم لكل ما يستر الذنوب ، ويمحوها ، مأخوذة من الكفر ، وهو الستر ، قال لبيد الشاعر : « فى ليلة كفر النجوم غمامها » أى ستر ، ومنه الكافر لأنه كفر نعمة الله ، أى سترها بجحوده ، ومنه قيل للفلاح كافر ؛ لأنه يكفر البذر أى يستره بالحرث ونحوه ومنه قيل لليل كافر .

وقد اختلف العلماء فى الذنوب التى تكفر بالعمرة ؛ أهى الصغائر أم الكبائر ؟

فالجمهور سلفا وخلفا على أن المراد بها الصغائر ، وأما الكبائر فإنها تكفرها التوبة النصوح أو رحمة الله تبارك وتعالى وفضله، وبذلك قال الإمام القاضى عياض ـ رحمه الله ـ وبه قال إمام الحرمين ـ رحمه الله تعالى ـ .

ويشهد للجمهور ما رواه الإمام مسلم

(١) المكروه تحريما أقرب إلى الحرام منه إلى الحلال ، بخلاف المكروه تنزيها فإنه إلى الحلال أقرب منه إلى الحرام .

فى صحيحه من حديث العلاء عن أبيه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الصلوات الخمس كفارة لما بينها إذا اجتنبت الكبائر » فحملوا ما أطلق على هـــذا المقيد على القاعدة الأصولية المعروفة أن المطلق يحمل على المقيد، وذهب بعض العلماء إلى التعميم ، فيشمل التكفير الصغائر ، والكبائر ، وإلى هذا ذهب العلامة ابن المنذر ، محتجا بأن الروايات مطلقة غير مقيدة ، وفضل الله كبير، ورحمته واسعة، وقد نقل الإمام ابن عبد البر هذا عن بعض علماء عصره وبالغ فى الإنكار عليه .

ويشهد لهذا البعض عموم قوله تعالى « إن الله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا » [1] فإن قوله سبحانه وتعالى : «ويغفر مادون ذلك لمن يشاء » يشمل الصغائر ، والكبائر .

ومن العلماء من فصل فى الكبائر بين ما يتعلق منها بحق الله تعالى ، وما يتعلق منها بحق العبد ، فقال بغفران الأولى ، وعدم غفران الثانية ، إلا بالتحلل والاسترضاء ، وهو تفصيل حسن ، ولعل مما يشهد له الحديث الذى رواه مسلم فى صحيحه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أترون من المفلس فيكم ؟ فقالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال : إن المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة ، وصيام ، وزكاة ، ويأتى وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح به فى النار [1] والحديث الذى رواه البخارى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: « من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه ، أو شىء ، فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه » [2]

وهنا إشكالان يردان على الحديث

(١) النساء : ١١٦ .

(١) صحيح مسلم ـ كتاب البر ، والصلة ، والأدب ـ باب تحريم الظلم .

(٢) صحيح البخارى ـ كتاب المظالم ـ باب من كانت له مظلمة عند الرجل فحللها له، هل يبين مظلمته ؟

نرى لزاما علينا أن نعرض لهما ثم نبين وجه الحق فيهما حتى لا يلتبس الأمر على بعض المطالعين ، أو القارئين، ويكون على ثلج من آيات القرآن الكريم ، والسنة النبوية .

الأول : أن الصغائر مكفرة باجتناب الكبائر ، بنص القرآن الكريم ، قال تعالى : « إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم ، وندخلكم مدخلا كريما » (١) فالمراد بالسيئات هى الصغائر بدليل مقابلتها للكبائر ، وإذا كان الأمر كذلك فما الذى تكفره العمرة ؟

الثانى : أنه ورد فى هذا الحديث أن العمرة إلى العمرة مكفرة لما بينهما ، وفى الأحاديث الصحيحة الأخرى : أن الصلوات الخمس مكفرات لما بينهن ، فى الحديث الصحيح المتفق عليه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات ، هل يبقى من درنه شىء ؟ قالوا: لا يبقى من درنه (٢) شىء ، قال : فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا» رواه الشيخان وغيرهما .

(١) النساء : ٣١ .

(٢) الدرن بفتح الدال والراء آخره نون: الوسخ والقذر .

وأن الجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينها، إذا اجتنبت الكبائر، ففى صحيح مسلم مرفوعا أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة كفارات لما بينهن مالم تغش (١) الكبائر » .

وكذلك صح أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « مامن امرىء مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها ، وخشوعها ، وركوعها ، إلا كانت له كفارة لما قبلها من الذنوب ، ما لم تؤت كبيرة ، وذلك الدهر كله » رواه مسلم .

وكذلك صح أن صوم يوم عرفة يكفر السنة الماضية ، والمستقبلة ، فعن أبى قتادة رضى الله عنه قال : « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم عرفة ؟ قال : « يكفر السنة الماضية ، والباقية » رواه مسلم .

وأن صوم يوم عاشوراء يكفر السنة الماضية أيضا ، فعن أبى قتادة أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل

(١) ما لم توت وترتكب

عن صيام يوم عاشوراء، فقال : « يكفر السنة الماضية » رواه مسلم، وكذلك ثبت أن قيام ليلة القدر يكفر ما قبلها من الذنوب ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من يقم ليلة القدر إيمانا ، واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » رواه الشيخان ، فإذا كفرت العمرة فما الذى تكفره الصلوات ؟ وإذا كفرت الذنوب الصلوات فما الذى يكفره صوم رمضان؟ وإذا كفر صوم رمضان فما الذى تكفره ليلة القدر ؟ وهلم جرا .

وأحب أن أؤصل قاعدة قبل أجيب عن هذين الإشكالين ، وهى : أن كلام الله تبارك وتعالى لا يتعارض قط فى الحقيقة ونفس الأمر، وما صح من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، فهو صلى الله عليه وسلم ما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى ، فالقرآن والسنة من مشكاة واحدة ، وكذلك لا يخالف كلام الله تعالى بعضه بعضا ، قال تعالى « أفلا يتدبرون القرآن ، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً [1] » ، وكذلك لا يخالف الصحيح من كلام النبي صلى الله عليه وسلم بعضه بعضا ، فإذا رأى المسلم العاقل شيئا مما قد يظن أنه تعارض ، فلا يتهم الشريعة ، وإنما يتهم نفسه ، وليبحث، بعقل متئد، وقلب مؤمن حتى يصل إلى الحق والصواب ، وتتبين له هذه الحقيقة .

أما الجواب عن الإشكالين فإن كل واحدة من هذه العبادات المذكورات صالحة للتكفير فإن وجد ما تكفره هذه الأعمال من الصغائر كفرتها .

وإن صادفت كبيرة أو كبائر ، ولم تصادف صغيرة رجونا أن يخفف الله تعالى عن فاعل ذلك من الكبائر بمقدار ما عمل حتى تمحى، وليس ذلك على فضل الله بعزيز .

وإن لم تصادف صغيرة ، ولا كبيرة كتبت له بها حسنات ، ودفعت له بها درجات ، ولكنى أحب منك - أيها القارىء - أن تتأمل وتتفكر فى : من ذا الذى تخلو صحيفته من الكبائر فضلا عن الصغائر ؟ ولاسيما فى هذه العصر الذى أصبح فيه القابض على دينه كالقابض على الجمر!! ألسنا نرى المنكرات جهاراً نهاراً ولا ننكر ؟ ألسنا نرى المعروف مضيعاً

(١) النساء : ٨٢

ولا نأمر به ؟ أليس الكثيرون لا يصلون، ولا يصومون ؟ ! وإذا صلوها أخروها عن وقتها ؟ ! وتأخير الصلاة عن وقتها كبيرة، ثم من أين لنا أن كل أعمالنا ، أو معظمها، أو بعضها مقبول؟ فلا تستكثر أيها المسلم أعمال الخير والعبادات مهما كثرت وسل الله العافية فى الدنيا والآخرة ، ورضى الله تبارك وتعالى عن سيدنا عمر الفاروق الذى تمنى أن يخرج من الدنيا كفافا ؛ لا له ، ولا عليه !! وقد دل هذا الجزء من الحديث على فضل الإكثار من العمرة ، وبه احتج بعض العلماء فى تأييد مذهب الجمهور فى استحباب تكرار العمرة فى السنة الواحدة مرارا ، وبه قال الأئمة: أبو حنيفة ، والشافعى ، وأحمد وغيرهم، وقال الإمام مالك وأكثر أصحابه : يكره أن يعتمر فى السنة أكثر من عمرة ، وقال آخرون : لا يعتمر فى شهر أكثر من عمرة ، وهم جميعا محجوجون بهذا الحديث ، والأصح والأظهر ماذهب إليه الجمهور، لأن قوله صلى الله عليه وسلم خرج مخرج الحث على تكرير العمرة ، والإكثار منها ، ولو حمل الحديث على غير ذلك بأن فعلت مرة واحدة يلزم أن لا تكون لها فائدة ، لأن التكفير مشروط بفعلها ثانية، وبفوات المشروط تفوت الفائدة ، وقد طال المقال اليوم فلنرجىء شرح باقى الحديث إلى المقال الآتى إن شاء الله تعالى ؟

د. محمد محمد أبو شهبة

قال الله تعالى :

« قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا . وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيراً » (الإسراء : ١١٠،١١١)

القراءات فى نظر المستشرقين والملحدين

للأستاذ عبد الفتاح القاضى

— ٨ —

ولنرجع إلى الآيات التى ضربها أمثلة لما قال :

أما قوله تعالى : « ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون» (الأعراف آية ٤٨) فلم يقرأ تستكبرون بالثاء المثلثة بدلا من الباء الموحدة أحد من القراء العشرة ، فليست هذه القراءة قراءة متواترة ولا مشهورة ،ولاصحيحة ولا شاذة . بل هى قراءة مردودة بائدة لم يعبأ بها أحد من علماء القراءات ، ولم يركن إليها ، ولم يقم لها أئمة الأداء وشيوخ الإقراء وزنا ، وحسبنا دليلا على نكارتها أنها لم تسند إلى قارىء معين ولا إلى راو معروف ، وهذا من أبين البراهين على أن المعتبر فى القراءات إنما هو النقل والسند لا الرسم والخط .

وأما قوله تعالى : « وهو الذى يرسل الرياح بشراً بين يدى رحمته» (الأعراف آية ٥٧) فقد قرأ عاصم « بشراً » فى هذه الآية بالباء التحتية الموحدة المضمومة مع سكون الشين ، وقرأ ابن عامر بالنون المضمومة مع سكون الشين وقرأ حمزة والكسائى وخلف بالنون المفتوحة مع سكون الشين وقرأ المدنيان والبصريان والمكى بالنون الفوقية المضمومة مع ضم الشين ، وكلها قراءات واردة بطريق التواتر مقطوع بثبوتها .

وأما قوله تعالى « وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه» (التوبة آية ١١٤) فالقراءة الثابتة المتواترة فى الآية « إياه » بكسر الهمزة والياء التحتية المثناة المشددة . وقرىء «أباه» بفتح الهمزة والباء الموحدة التحتية المخففة ، وهذه القراءة ـ وإن كان المعنى يسيغها ، ورسم المصحف يحتملها ـ شاذة لم يقرأ بها أحد من الثقات الأثبات الذين اعتمدت قراءاتهم ، وتلقيت بالقبول ، فلا يحفل بها ولا يلتفت إليها ؛ فلو كانت القراءات ناشئة عن الخط لكانت هذه

القراءة ثابتة معتبرة معتمدة ؛ لكن هذه القراءة لم تعتمد ولم تثبت فلم تكن القراءات ناشئة من الخط بل من الرواية والسند .

وأما قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا » (النساء آية ٩٤) فقد قرأ حمزة والكسائى وخلف « فتثبتوا » وقرأ غيرهم « فتبينوا » .

والقراءتان صحيحتان ثابتتان بطريق التواتر، وصدق جولدزيهر - وقد يصدق الكذوب - فى قوله : والهيكل المرسوم « فسوا » يتحمل الوجهين .

وعلى كل حال لا تسبب هـــذه الاختلافات وما شابهها فرقا من جهة المعنى العام ، ولا من جهة الاستعمال الفقهى . انتهى .

وإن تعجب بعد ذلك فعجب قول جولد زيهر فى صفحة ١٠ فى معرض الكلام على قوله تعالى : « وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم » (سورة البقرة آية ٥٤)

قال : « وهذا ينطبق فى الواقع على ماجاء فى سفر الخروج فصل ٣٢ فاصلة ٢٧ الذى هو مصدر الكلمات القرآنية » فإن هذا القول - مع كونه افتراء على الله تعالى وكذباً صارخا ، ورمياً للقرآن بما هو منه براء - يتناقض تناقضاً مكشوفا مع قوله فى صفحة ٦ فى شأن القرآن : « إن كل كلمة منه ، وكل حرف من حروفه يسجل كلام الله تعالى الذى سجل نصه المعتمد منذ القدم فى اللوح المحفوظ ، ومن هذا اللوح نزل به ملك الوحى شفاها على الرسول المختار . انتهى .

إن هناك إجماعا من العلماء - إسلاميين وغير إسلاميين - على أن مصدر الكتب السماوية كلها هو اللوح المحفوظ لافرق فى ذلك بين القرآن وغيره من الكتب السماوية .

ثم استمع إليه وهو يصمم على أن تنوع القراءات من محض الرأى والاختيار لا من النقل عن السنة والآثار .

يقول فى الآية التى ذكرنا نصها آنفاً ٥٤ من سورة البقرة : « وربما كان مفسرون قدماء معتد بهم ومنهم قتادة البصرى المتوفى سنة ١١٧ هجرية قد وجدوا هذا الأمر بقتل أنفسهم أو بقتل الآثمين منهم أمراً شديد القسوة وغير متناسب مع الخطيئة فآثروا تحلية الحرف

الرابع من هيكل الحروف الصامتة فأقيلوا أنفسكم بنقطتين من أسفل بدل التاء المثناة من أعلى فقرأوا : « فأقيلوا أنفسكم » ، بمعنى: حققوا الرجوع عما فعلتم بالندم على الخطيئة المقترفة ، وهذا المثال يدل فعلا على أن ملاحظات موضوعية قد شاركت فى سبب اختلاف القراءة خلافا للأمثلة السابقة التى نشأ الاختلاف فيها من مجرد ملابسات فنية ترجع إلى الرسم » انتهى .

ورداً عليه نقول :

١ — قد بينا فيما سبق بالحجج النواهض والبراهين الدوامغ أن مصدر القراءات المعتمدة النقل والرواية ، والتلقى والمشافهة، ولا مجال للرأى والاختيار فيها . وأن القراءات نشأت قبل أن يجمع القرآن فى الصحف فى عهد أبى بكر ، وقبل أن تدون المصاحف فى عهد عثمان، وأن اختلاف القراءات لم ينشأ من إغفال المصاحف من نقط الحروف وشكلها ولا من هيئتها ورسمها .

وقراءة قتادة : « فأقيلوا أنفسكم » لم ينقلها أحد من القراء الأثبات ، وليس لها سند يعتمد عليه ، ولا أصل يرجع إليه . وقتادة البصرى لم ينظم فى سلك القراء ، ولم تنسب إليه قراءة ما إلا هذه القراءة التى لم يشركه أحد فيها .

٢ — نقل عن قتادة نفسه أنه فسر الآية بما يخالف هذه القراءة ، فقد نقل عنه شيخ المفسرين الإمام ابن جرير الطبرى فى تفسيره أنه - قتادة - قال « فاقتلوا أنفسكم » قاموا صفين فقتل بعضهم بعضا حتى قيل لهم كفوا .

قال قتادة « كانت شهادة للمقتول وتوبة للحى » انتهى .

وقال ابن كثير فى تفسيره : وقال قتادة أمر القوم بشديد من الأمر فقاموا يتناحرون بالشفار يقتل بعضهم بعضا حتى بلغ الله فيهم نقمته ، فسقطت الشفار من أيديهم فأمسك عنهم القتل فجعل لحيهم توبة وللمقتول شهادة . انتهى .

وهذان النصان يدلان دلالة واضحة لاخفاء فيها ولا غموض على أن قتادة يرى أن المراد من القتل فى الآية الكريمة القتل الحقيق . وهذا ما يراه جمهور المفسرين خلفا عن سلف ، وحينئذ يكون رأى قتادة فى تأويل الآية مخالفا لقراءته فيها ، فالذى نكاد نجزم به أن هذه القراءة مدسوسة على قتادة ، إذ لو صحت عنه لكان رأيه فى تأويل الآية ما نقله عنه

جولدزيهر أن المراد بالقتل : الندم على الفعل ، ولكنه يرى أن المراد بالقتل : القتل الحقيقى كما نقله عنه الشيخان الجليلان ابن جرير ، وابن كثير ، فحينئذ تكون نسبة القراءة إليه غير صحيحة .

والخلاصة ، أن هذه القراءة قراءة منكرة مخالفة للنقل الصحيح عن قتادة فى معنى الآية ، فلا يلتفت إلى هذه القراءة ولا يعول عليها .

ثم ننتقل إلى آيتى ٨ ، ٩ من سورة الفتح وهما « إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا، لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا » .

ومحصل ما قاله فيهما أن الضمير فى « وتعزروه » يرجع إلى الله تعالى، والتعزير معناه : المساعدة والمعونة ، ولما كان هذا المعنى لا يليق بالله سبحانه وتعالى إذ هو الغنى المطلق عن جميع عباده - لا يحتاج إلى من يساعده ويعينه - عدل بعضهم عن القراءة بالراء لإيهامها مالا يليق به تعالى - إلى القراءة بالزاى المعجمة ، لأن معناها التعظيم وهو يليق به سبحانه ، ثم عاد فاستشعر أن فى القرآن آيات تفيد أن من العباد من ينصرون الله عز وجل، كقوله تعالى « ولينصرن الله من ينصره » سورة الحج آية ٤٠، وقوله تعالى « إن تنصروا الله ينصركم » سورة محمد آية ١٧ وقوله تعالى « وينصرون الله ورسوله » سورة الحشر آية ٨ ، ثم أجاب عن الآيات المذكورة بأن لفظ نصر - وإن كان معناه مرادفا للمساعدة والمعونة - قد يستعمل ويراد منه النصر الأدنى بالطاعة والامتثال دون أن يصور تصويرا جهيرا معنى المساعدة المادية كما يصوره لفظ عزر المستعمل هنا . انتهى .

وأقول : اختلف المفسرون فى مرجع الضمائر الثلاثة فى الآية الكريمة : وتعزروه،وتوقروه،وتسبحوه ، فذهب فريق منهم إلى أن الضميرين الأولين فى وتعزروه وتوقروه، يرجعان إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله ورسوله لأنه أقرب مذكور فى الآية،ولقوله تعالى « فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه » آية ١٥٧ من سورة الأعراف ؛ إذ الضمير فى وعزروه يعود على الرسول قطعا والقرآن يفسر بعضه بعضا ويشهد بعضه لبعض ، والمراد من تعزير الرسول فى الآيتين مساعدته ومعونته بالنفس والمال فى سبيل نصرة دينه ، وعلو كلمته، ولا غضاضة فى إضافة التعزير - بالمعنى المتقدم - إلى رسول الله

صلى الله عليه وسلم . والضمير فى وتسبحوه يعود على الله تعالى لا محالة - إذ التسبيح لا يكون إلا له سبحانه، وذهب فريق آخر إلى أن الضمائر الثلاثة تعود على الله تعالى لأن الأصل فى الضمائر المتعددة المنظومة فى سلك واحد أن يكون مرجعها واحدا والمراد من تعزير الله تعالى تقوية دينه ونصرة شرعه .

وأما القراءة بالزاى بدلا من الراء فلم تعتمد عند أحد من القراء العشرة ولا عند ذوى القراءات الشاذة إذ لم تستند إلى نقل ورواية، وإن كان معناها صحيحا ورسم المصحف يحتملها . وحسبنا هذا شاهدا على أن الرسم ليس هو السبب فى اختلاف القراءات إنما السبب هو النقل الصحيح والسند السليم .

وقد آن لنا أن نبحث القراءات التى نشأت - فى زعمه - من تجرد المصحف من الشكل .

(١) قوله تعالى « ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذا منظرين » سورة الحجر آية ٨، ذكر فيها جولد زيهر ثلاث قراءات:

الأولى : بنونين الأولى مضمومة والثانية مفتوحة مع كسر الزاى وتشديدها

الثانية : بتاء مفتوحة فنون ساكنة مع كسر الزاى وتخفيفها .

الثالثة : بتاء مضمومة فنون ساكنة مع فتح الزاى مخففة .

وأقول : لا شك أن رسم المصحف يحتمل هذه القراءات الثلاث ، لكن الذى ثبت متواترا من القراءات فى هذه الآية ثلاث قراءات .

الأولى : هى القراءة الأولى التى ذكرها وهى قراءة حفص وحمزة والكسائى وخلف والبزار .

الثانية : بتاء مثناة فوقية مضمومة فنون مفتوحة مع فتح الزاى وتشديدها وهى قراءة أبى بكر شعبة بن عباس عن عاصم .

الثالثة : بتاء مثناة فوقية مفتوحة فنون مفتوحة مع فتح الزاى مشددة وهى قراءة نافع وأبى جعفر المدنيين ، وابن كثير المكى وأبى عمرو ويعقوب البصريين وابن عامر الشامى .

وأما القراءتان الأخريان اللتان ذكرهما جولد زيهر فليستا من القراءات المتواترة ، ولا من القراءات الصحيحة ولا من القراءات الشاذة ولا يعرف أن أحدا قرأ بإحدى هاتين القراءتين

فيها من صنعته واختراعه ، وهما جديرتان بالرفض والإنكار ، وهذا من الأدلة الصادقة والبراهين القوية على أن إهمال الشكل والحركات فى المصحف لادخل له فى القراءات مطلقا ، اتفاقا ، أو اختلافا ، ومما يعضد هذا أن القراء - مع اختلافهم فى قراءة « ما ننزل الملائكة إلا بالحق » على ماسمعت - قد اتفقوا على قراءة « وما ننزله إلا بقدر معلوم » آية ٢١ فى نفس هذه السورة - الحجر - بنونين الأولى مضمومة، والثانية مفتوحة مع كسر الزاى مشددة .

٢ — قوله تعالى « ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب » سورة الرعد آية ٤٣

قرأ القراء العشرة « ومن » بفتح الميم، « عنده » بفتح الدال « علم الكتاب » بكسر العين وسكون اللام على أن من اسم موصول معطوف على لفظ الجلالة و « عنده علم الكتاب » جملة تقدم فيها الخبر على المبتدأ وهى صلة الموصول والمعنى : كفى بالله وبالذى عنده علم الكتاب من اليهود والنصارى شهيدا على أنى رسول الله حقا .

وقرأ الحسن والمطوعى « ومن عنده علم الكتاب » بكسر ميم ومن وكسر دال وهاء عنده على أن من حرف جر ، والجار والمجرور خبر مقدم، وعلم الكتاب مبتدأ مؤخر ومضاف إليه - وهى قراءة شاذة لم تثبت بطريق التواتر ، والقراءة لا تعتمد ولا تعتبر قرآنا إلا إذا ثبتت بطريق التواتر، وقرىء ومن عنده بكسر الميم والدال أيضا وعلم بضم العين وكسر اللام وفتح الميم على أنه فعل ماض مبنى للمفعول ، والكتاب مرفوع على أنه نائب فاعل ، وهذه القراءة أشد شذوذا من الأولى ، وقرىء أيضا مثل هذه القراءة مع تشديد اللام ، وهى أو غل وأعمق فى الشذوذ من سابقتها ، ولا يخفى أن الرسم يحتمل هذه القراءات كلها ، ولكن لم يصح منها إلا الأولى ، وحسبك هذا حجة على أن مرجع القراءات إنما هو الأثر والنقل لا الكتابة والرسم، وشاهدا على أن ركيزة كل قراءة هى المشافهة والتلقى ، ودعامتها النقل والسماع .

والله تعالى الموفق ؟

عبد الفتاح القاضى

عدل الإسلام في نظام الأسرة

للأستاذ محمد الشرقاوى

كان الناس قبل الإسلام يقسمون المواريث طوعا لمآربهم الشخصية ، ووفقا لأهوائهم المغرضة .. فكانوا يحرمون الصغار والنساء ويعطون الكبار الذكور ويرون أنه لا يرث إلا من حمل السلاح وحمى الذمار .. فكانت المرأة الجاهلية مهضومة الحق .. مهيضة الجناح .. تعيش تحت أوضاع اجتماعية ظالمة ، وتواجه تحدياً عنصريا بغيضا ، .. وقد حدث أن أوس بن ثابت توفى عن زوجة وثلاث بنات وولدى عم .. فأخذا المال كله .. فشكت الزوجة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وقالت : « مات أوس وترك ثلاث بنات وأنا امرأته ، وليس عندى ما أنفقه عليهن ، وترك مالا حسنا ، فأخذه سويد وعرفجة ابنا عمه ولم يعطيانى ولا بناته شيئا ، فدعاهما النبى صلى الله عليه وسلم ، فقالا : أولادها لا يركبن فرسا ، ولا يحملن كلا ولا ينكين عدوا ، فنزل قوله تعالى : « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا » وقد بينت الآية الكريمة أن الإرث غير مختص بالرجال البالغين ، فأوقف الرسول التركة فى انتظار التفصيل المحدد لكل نصيب على حدة .. إذ كانت تلك الآية مجملة فى بيانها ، .. حتى نزلت الآية الشارحة لنظام المواريث ، الموضحة لأسلوب تفتيت الثروة المتروكة وراء الميت بين أهله وذويه .. على مقتضى ما تهدى إليه الحكمة الهادفة .. والمصلحة العليا وهى قوله تعالى : « .. للذكر مثل حظ الأنثيين .. » إلى آخر ما تضمنته من بيان فصل لمقادير الأنصباء وأسهم الوارثين منسوبا بعضها إلى بعض ، ومحسوبا بعضها فى ضمن بعض .. فأعطى الرسول الزوجة الثمن ، والبنات الثلثين ، وابنى عمه ما بقى .. وإذا كانت الآية الكريمة قد بدأت جدول المقادير بكلمة « نصيبا مفروضا » ، فإنها قد ختمته أيضا بالتنصيص على تحتمه الذى

لا مفر منه ، وعلى التحذير من مراوغته أو التحلل منه حين أكدت فى نهاية الآية الكريمة معنى الوصية المشددة بالوعد والوعيد فى قوله تعالى بعد ذكر الأنصباء « وصية من الله والله عليم حليم . تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ، ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين » وبهذا أشرب تعبير الوصية .. معنى الفرضية واللزوم والتحتم والوجوب . . ولاسيما إذا وضعنا فى اعتبارنا تقرير تلك الفكرة .. بالنص على الفرضية فى منتصف الحديث عن توزيع التركة بقوله تعالى « ... آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله إن الله كان عليما حكيما » .

وهكذا قضى الإسلام قضاء مبرما على الأفكار الجاهلية البالية ، والمظالم الاجتماعية البائدة .. حين حرر المرأة من تجنى الرجال عليها ، واستبدادهم بالحق دونها .. ومنحها حقها الطبيعى بصفة شرعية ملزمة .. فى الخلافة عن الميت فى ماله المتروك .. باعتبارها جزءاً منه أو جزءاً لجزئه أو لجزء جزئه .. أو تمت إليه بنسب القربى أو الزوجية أو الولاء .. وتلك حقوق لازمة للإنسان من حيث هو إنسان .. لا تهدرها نوعية الجنس ، ولا حداثة السن ، بل تؤكدها لحمة القرابة ، أو وثاقة الرباط المقدس فى الزوجية أو العصوبة أو الولاء .. ومن هنا ظفرت المرأة فى ظل الإسلام بحق طوته ظلمات الماضى ، واهتضمته مظالم القرون .. حتى جاءت الشريعة الغراء .. فانتشلته من غمار النسيان ، وأزاحت عنه غبار الإهمال .. وأبرزته حقيقة ناصعة البيان فى تضاعيف القرآن الكريم .

ولقد تولى الشارع الحكيم بنفسه تقدير المواريث بعد أيلولة المال من يد المورث إلى يد الوارث بعد أن عبثت به الأهواء والنزعات .. وذلك ليقيمه على أساس مكين من العدالة المطلقة بين المتقاسمين .. كل بحسب مساس نفعه للميت ، ومدى لصوقه به .. وطالبنا فى ختام سورة النساء بالتسليم المطلق لأمر الله والنزول - عن طواعية - على حكمه فى المواريث خوفا من الانحراف إلى هوة الضلال .. أو الانحراف فى تيار الهوى المردى

وذلك بقوله تعالى : « يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شىء عليم » .

ومع هذا البيان المنصف ، والتشريع الحكيم فى قطاع الأسرة ، وقانون المواريث .. فإننا لا زلنا نلمس فى مجتمعنا رواسب الجاهلية الظالمة ، ونلمح فى حياتنا أشباح الماضى البغيض .. حين نرى بعض الآباء والأمهات ، والأقارب يتدخلون بأهوائهم المريضة ، وآرائهم المدخولة فى إعادة توزيع الثروات .. وفى تعديل المقادير التى أخذت صفة الإحكام والإبرام فيكتبون الوصايا المتحيزة ، ويعترفون بالديون المضارة ، ويدبرون الحيل والألاعيب لحرمان ولد دون ولد .. أو لإقصاء البنات دون الذكور ، أو لتمييز أحد المتساويين على الآخر ، وهم بذلك لا يقدمون خيراً لذويهم ولا يهيئون منفعة للمقربين إليهم .. وإنما يخلفون بعد موتهم ناراً للحقد تنهش الصدور ، وتأكل القلوب ، وتملأ الحنايا بدخان الضغينة والبغضاء ، وتشحن النيات بالأفكار السوداء ، وسرعان ما تظهر تلك الأزمات المكبوتة إلى عالم الواقع فى صورة قصاص ملفق الأسباب أو معارك قد تتقطع فيها الأرحام ، وتهدر الحقوق ، وتستباح الحرمات ، وتتصدع جبهة الأسرة الواحدة ، وتستحيل إلى فرق مبعثرة بفعل الأنانية فى الوارث ، والعصبية فى المورث .

وكم تلاطم خضم الحياة ، واستفاضت أنهار الواقع بقصص دامية ، وحوادث مؤسفة بين عائلات كانت ترفرف عليها السكينة والوحدة قبل وفاة عائلها ثم غدت تقاسى ويلات الانقسام والتخوف نتيجة تصرف هدام من جانب مورثها بتبديل حكم الله المبين ، وشرعه المكين ضارباً عرض الحائط بروابط القربى ، ووشائج النسب ، وصلات الأسرة .. بما يفتعله من وصايا جائرة ، أو بيوع صورية ، أو إقرارات مزورة ، أو هدايا ومنح متحيفة .. فيوقعون أنفسهم فى ضباب الشك ، ويحسون فى أعماقهم بوخز الضمير وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات فمن استبرأ لدينه وعرضه فقد برأ ، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه » وفى قوله : « ..والإثم ماحاك فى صدرك وكرهت أن يطلع الناس عليه وإن أفتاك الناس وأفتوك »

وقد اشترط الله تعالى فى الوصية والدين اللذين يسبقان قسمة الميراث أن يعبرا عن رغبة حقيقية فى البر ، وإرادة الخير ، وذلك حين قال بعد تقرير كل نصيب : « من بعد وصية يوصى بها أودين غير مضار » أى غير مدخل بوصيته أو بدينه الضرر على الورثة ، وإنما تكون الوصية أو الدين إضراراً بالوارثين .. إذا قصد بهما إلحاق الأذى بهم بأن كان الدين مصطنعاً أو زائفاً ، أو كانت الوصية مجحفة بحقوقهم . . أو زائدة على الثلث المقرر له تفضلا من الله تعالى عليه فى أخريات أيامه .. ليتدارك به مافات، أويزيد به الأجر قبل الممات.. على أن يكون الورثة فى غنى عن هذا الثلث المسموح به فى التركة لأعمال البر.. وإلا كان الأفضل إغناء الورثة به ، وسد حاجتهم منه . . والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله تصدق عليكم بثلث أموالكم عند وفاتكم زيادة فى حسناتكم ».

وقد روت كتب السنة الصحاح قصة النعمان بن بشير رضى الله عنه التى تشير إلى أن مجافاة العدل بين الأولاد فى المنح والعطايا يعتبر ظلماً فى نظر الدين ، ويتسم بالظلم الذى يدين صاحبه بالمسئولية فى محراب العدالة الإلهية . . وهذه القصة قد تعددت رواياتها ، وتنوعت أساليبها ولكنها تتفق فى مفهومها ومضمونها على شىء واحد . . هو نفرة الإسلام من الانحياز المادى إلى جانب من الأولاد.. أو الوارثين دون جانب ، على شكل يعطل تشريع الميراث المقرر ، أو يحتال على موازين العدل الكامنة فيه وفى غيره وتلك الروايات فى جملتها تعطى الصورة الآتية : ـ

« أعطى بشير ولده النعمان رضى الله عنهما جارية أو غلاما على سبيل العطية . فلم ترض زوجة بشير وهى عمرة بنت رواحة ، وقالت : لا أرضى حتى تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . . فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنى أعطيت ابنى من عمرة بنت رواحة عطية.. فأمرتنى أن أشهدك يارسول الله .. قال: أعطيت سائر ولدك مثل هذا ؟ . . قال : لا . . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم . قال : فرجع فرد عطيته . . وزادت بعض الروايات : لا تشهدنى على جور .. أشهد

على هذا غيرى .. إنه عمل غير صالح .. إن لبنيك عليك من الحق أن تعدل بينهم .. كما لك عليهم من الحق أن يعدلوا فى برك .. أيسرك أن يكونوا لك فى البر سواء ؟. قال : نعم ، فقال : فلا إذن » .

وقد اختلفت وجهات النظر الفقهية بين العلماء والمحدثين فى استنباط الحكم الملائم من هذه القصة ، وقد صرح البخارى بوجوب التسوية بين الأولاد فى العطية وهو مذهب طاوس والثورى ـ وجعلوا هذا الحكم عاما فى الأولاد قبل وفاة مورثهم وبعد وفاته . . وعن أحمد ابن حنبل رضى الله عنه مثل هذا الرأى وهو يوجب الرجوع فى العطية عند التفاضل ، وعنه رواية أخرى تجوز التفاضل بين الأولاد فى الحياة إن كان له سبب كأن يحتاج الولد لزمانة أو نحو ذلك . . وممن قال بوجوب التسوية فى الحياتين أبو يوسف رضى الله عنه إن قصد بالتفضيل الإضرار .

وهناك من الفقهاء من فرق بين حال الإرث بعد وفاة المورث ، وحالة العطية قبل وفاته . .

فبالنسبة لحال الإرث يحرمون التفاضل لأنه إخلال بحكم الله المقرر .. وبالنسبة لما قبل الموت يحملون الأمر بالتسوية بين الأولاد على الندب ، والنهى على الكراهة التنزيهية .. فيكره للوالد وإن علا أن يهب لأحد ولديه أكثر من الآخر ولو ذكرا لئلا يفضى إلى العقوق .

بيد أن النظر الدقيق فى لهجة أسلوب الرسول صلى الله عليه وسلم فى حديث النعمان بن بشير الآنف الذكر وما انطوى عليه من التبرؤ من الإشهاد عليه .. ومن دمغه بالجور الذى هو أبلغ من الظلم ، ومن الأمر بالتقوى الذى لا يتوجه إلا فى إطار التحتيم والإلزام ، ومن الوصية بالعدل الذى هو فرض كله .. ومن نفى الصلاح عن نوعية هذا العمل ومن وضع قاعدة لقياس صورة العطية العادلة .. على صورة البر العادل.. ومن قوله أخيرا : « فلا إذن » كل هذا يرجح الرأى القائل بوجوب التسوية فى العطية سواء فى الحياة أو بعد الممات ، ويجعل هذا الرأى ـ فى نظرنا ـ هو المنهاج القويم للسير فى درب العدالة ، ونشدان الكمال على طريق العمل ؟

محمد محمد الشرقاوى

من شرفات التاريخ :

ابن خلدون .... السياسي الماهر

للدكتور محمد رجب البيومي

مساكين بائسون! هؤلاء الذين تقذف بهم نحوسهم الآلية إلى طغاة سفاحين، ثم لا يجدون من سعة الحيلة ومرونة التخلص ما يعصم نفوسهم من الهلاك فترين الدهشة على عقولهم، وتتردد الحيرة فى ألسنتهم ثم ينطقون بكلمات متقطعة تزيد اللهب اشتعالا فيلاقون حتوفهم الأثيمة شهداء أبرياء ولو كان لهم إثارة من لباقة لعصموا الدماء أن تراق فى ساعة طيش هوجاء!.

لقد كان تيمورلنك طاغية سفاحا يرتاح إلى الدماء المسفوكة والأشلاء المتطايرة ارتياح الكريم للعطاء! فلا يفتأ يتطلب عند الدول ترات موهومة توجب الحرب والإبادة والاستئصال، فكم حرق من مدن عامرة وكم ذبح من آلاف وآلاف! وكم بنى من جماجم الشهداء أبراجا شاهقات! وكأنى به وقد صعد بنظره إلى الأفق فشاهد النيران تندلع وسمع الصراخ يدوى!! وتأمل مشاهد الرعب الدامية فى الطبيعة الهائجة المفزعة، فالمنازل تهوى من عليائها كالرمال والأشجار والنخيل تترنح فى مهب العاصفة ثم تتساقط فى تخاذل واستسلام والشمس يحجبها الغبار المنتشر فتستتر إلى أمد، والماء يضطرب فى أنهاره مصبوغا بحمرة الدماء! كأنى به وقد رأى ذلك كله فهزه انتعاش مريح! وفاض على خاطره من الصفاء ما يفيض على قلب المؤمن الخاشع حين يستمع إلى نداء الفضيلة فيأسو الجراح الناغرة ويمسح آثار الدموع الهاميات!!

لقد سجل التاريخ فظائع تيمورلنك ببغداد تنزف سطوره بالدماء وتلتهب حروفه بالحسرة! ولكنه سجل فيما سجل بعض المزايا المقبولة لهذا السفاح الرهيب! فقد ذكر مؤرخوه أنه كان يقرأ القرآن صباح مساء! وأنه أحب العلم والعلماء فولع بمجالس المناظرة ومباحث الجدل

فى الفقه والشريعة والكلام، وأنه كان يحمل مسجدا متنقلا من الخيام الممتدة على هيئة سرادق فسيح فإذا استراح فى مكان ما نصب مسجده، وصدع الأذان يدوى! فأقبل جنوده على الصلاة أفواجا وراء أفواج وفى مجالس العلم التى يهيء لها العلماء من كل قطر والتراجمة من كل لسان تألقت سعود مشرقة فارتفع خامل وازدهر ذابل! كما خيمت نحوس أليمة فهوت كواكب وأفلت نجوم! وقد يكون لنشأة الطاغية الأولى فى جيل غادر ماكر أكبر الأثر فى توجسه وانقضاضه كما أن لهذه النشأة الأولى نفسها بعض الذكريات الحلوة التى عطفت به بين الفينة والفينة إلى الخير والمعروف! ولقد استطاع بعض معاصريه أن يجمعوا المعلومات الكثيرة عن حياته وتصرفاته ثم عكفوا على دراستها عكوفاً فاحصاً منقباً حتى تغلغلوا إلى أعماقه وفهموا بواعث نقمته وأسباب راحته، وعلى ضوء هذه الدراسة النفسية أمكنهم أن يحوزوا إعجابه، وتقديره، فلم ينجوا بأنفسهم من عقابه فحسب، بل أصبحوا موضع حبه وإعجابه! وصاروا أنس مجالسه وبهجة سمره، وتلك براعة فائقة تذكر لهؤلاء مقرونة بالحمد والإعجاب.

لقد عاش مؤرخنا الألمعى ابن خلدون فى عصر الطاغية الرهيب وساقته الأقدار إلى مناقشته ومحادثته؛ إذ سار مع الجيش المصرى إلى دمشق فى كوكبة من العلماء ودامت الحرب سجالا بين المصريين والتتار! حتى قامت بواعث الفتنة فى مصر فتقهقر القادة من الجنود، ووقفت دمشق فى مهب الريح العاصفة تنتظر ماسمعته من فظائع الطاغية من النسف والتدمير!! ورأى العلماء أن يقوموا بواجبهم فى السفارة بين المدينة المضطربة والفاتح السفاح فتقدم نفر من ذوى الحصافة فيهم يحاولون أن يطفئوا النار المشتعلة بعض الإطفاء! وركن كل فقيه إلى نفسه يهيء ما عسى أن يتقدم به من الأقوال ويحرص على أن يقدم من العبارة الناعمة والاستعطاف اللين ما يجذب به نفس هذا الفاتح الرهيب!! فكلمة واحدة تند من متسرع عجول فى لحظة من لحظات انفعاله كافية للإطاحة برأسه والنقمة على أصحابه وبلدته؛ فلا بد إذن من الملاينة الناعمة والتدبير الحصيف.

خلا ابن خلدون إلى نفسه! فجمع أشتات ذهنه وأخذ يفحص كل ما تحويه

ذاكرته من مواقف تيمورلنك وأعماله وطفق يتلمس العلل ويستخلص النتائج ويجهد القريحة كمن يتكشف أسرار حصن منيع أحكم رتاجه وعز مناله فهو يبحث عن أسباب نقمته على أعدائه وأسباب نعمته على حاشيته وخاصته ولماذا قدم فلانا وفلانا من العلماء! ولماذا نكب زيداً وعمراً من الفضلاء حتى تكشفت له نفسية الفاتح تكشفا صادقا! وعرف كيف ينجو بحيلته من وحش كاسر يتحفز للوثوب!!

ذكر ابن خلدون فى خلوته أن تيمورلنك محب للمدح والثناء معظم للصالحين والأولياء، وقد برقت فى أذنه قصة الطاغية مع زين الدين أبى بكر الخوافى ولى خراسان وصاحب الكرامات والمكاشفات؛ إذ دخل خلوته وانحنى على رجله لاثما مقبلا، فوضع الشيخ يده على ظهره ثم رفعها فقال تيمور: لو لم يرفع الشيخ يده لقضى على؛ فقد تصورت أن السماء تقع على الأرض وأنا بينهما، ثم جلس فى أدب بين يدى الشيخ، وقال لم لا تأمرون ملوككم بالعدل فى الرعية فقال له الشيخ: أمرناهم فلم يأتمروا فسلطناك عليهم ففرح تيمور بهذا وقال ملكت الدنيا ورب الكعبة! هذه الحادثة اليسيرة تنبىء عن تعظيم الرجل للأولياء وولعه بالمكاشفة وأخبار الغيب كما تنطق بحبه للمديح وارتياحه للثناء فليأخذ منها ابن خلدون طريقا يصل به إلى قلب تيمور، فقد عرف مفتاح شخصيته، ولن يلبث أن يجد الدليل إلى فؤاده؛ فقد هان الصعب واستقام السبيل.

كان زى ابن خلدون المغربى يختلف عن زى أقرانه من علماء مصر والشام ومن ثم فقد كان موضع الانتباه من تيمور، فأخذ يراقب حركاته ويطيل النظر فى سحنته وهيئته حتى إذا وضعت أطباق الطعام وأقبل العلماء، طفق يراقب طريقة كل آكل وحركاته وكأنه يأخذ من هيئة التناول والازدراد أدلة ناطقة بالسلوك والاتجاه، وصورة كاشفة للأخلاق والميول، وهذا حق فسلوك الإنسان فى عمل صغير كهذا، دليل يفصح عن معدنه وخلاله، وهو ما تنبه له الفيلسوف المؤرخ فكان مثال الأدب واللباقة فيما يأخذ ويدع من الطعام!! حتى إذا فرغ من شأنه أقبل على مجلس الفاتح مع أقرانه فى وقار هادىء وسمت رزين.

دار الحديث فأخذ ابن خلدون بزمامه ورأى أن يمهد لقوله بالثناء على تيمور، والموازنة الراجحة على الأنداد والأمثال فقال: مولاى الأمير: لقد تقلبت بى الأيام فشاهدت دولا وملوكا وشهدت مشارق الأرض ومغاربها وحضرت فلانا وفلانا من السلاطين «وكتبت عن تواريخ الأمم الغابرة ما أقام الخبر السالف مقام العيان الراهن، ولكن لله المنة والحمد فقد من على بأن أحيانى حتى رأيت من هو الملك على الحقيقة! فإن كان طعام الملوك يؤكل لدفع التلف فطعام مولانا الأمير يؤكل لنيل الشرف. هذا الإطراء الزائد قد صادف فى نفس تيمور أكبر ارتياح، وطرد عن وجهه سحابة عابسة ليحل مكانها ائتلاق وانطلاق! فتشجع ابن خلدون ومضى فى سبيله يقول: إن لى الآن أربعين سنة أتمنى لقاءك وأحلم به فى الغدو والرواح حتى ظفرت به اليوم فالحمد لله رب العالمين».

وكان ترجمان المجلس القاضى الداهية عبد الجبار المعتزلى، فلاحظ كثيرا من الغلو فى إطراء ابن خلدون، وانتهز جملته الأخيرة ليسأله ولماذا كنت تبحث عن الأمير منذ أربعين عاما؟ ومن أدراك به فانطلق المؤرخ الماكر يقول: لقد كنا نسمع إذ ذاك من متصوفة المغرب ترقبهم لظهور قائد عظيم من أمة بادية أهل خيام تتغلب على الممالك وتغلب الدول، وتستولى على أكثر المعمور، وذلك إذا اجتمع الكوكبان العاليان: زحل والمشترى، وقد قال لى أستاذنا إمام المعقولات محمد ابراهيم الآبلى إن ذلك قريب وستعيش إلى أن تراه؛ وإذن فقد تحقق كلام الأستاذ. لقد ظفر الفيلسوف الحاذق بمحبة السفاح الداهية فقد أطراه أولا ثم نقل له نبوءة صوفى زاهد ممن يعتقد فيهم المكاشفة ثم أكد ذلك بأمر فلكى يحسب له تيمور حسابه ويراه صادقا لا يخلف، ولولا دهاء ابن خلدون وخبرته الدقيقة بنفسية صاحبه ما بلغ هذا المبلغ العظيم، ونحن نوقن أنه لفق هذه النبوءة تلفيقا لتصادف منزلها الكريم!!

فكان له ما أراد من الحظوة والتوفيق اندفع تيمور فى سمر مع صاحبه وأغفل نظراءه من العلماء؛ فسأله فى تبسط زائد عن تاريخ حياته وملوك زمانه ثم استوضح

كثيرا عن طنجة وبرقة وسبتة ، وساجهانة وتلمسان وغيرها من بلاد المغرب مما يؤكد أن الطاغية كان على شوق لمعرفة أحوال هذه البلاد ، فهو يتطلع إلى فتحها والاستيلاء عليها مستعينا بما يقطفه عنها من المعلومات والأنباء ، لذلك لم يترك ابن خلدون حتى أمره أن يدون له فى كتاب خاص جميع الأوصاف الخاصة ببلاد المغرب واهتبل المؤرخ هذا الطلب فقام به على أحسن وجه يتاح ، وبادر بإنجازه فى سرعة أدهشت الفاتح وأعجبته فأضاف بذلك منة جديدة تدنى منزلته وتقرب حماه !! وقد كان تيمور مولعاً بمساجلة العلماء فهو لا يفتأ يعقد الحلقات ويضع الأسئلة ويدير النقاش ، ولم يكن كما قال ابن خلدون بعد ذلك عالما بارعا وإنما كان يدعى العلم مستعينا بشكيمته وبأسه مع ذكاء متوثب يمكنه من استخلاص اللباب وإدارة الحديث كما يريد، وفى الطغاة من يريدون أن يحرزوا كل مفخرة ، فهم يدعون المعرفة ادعاء وجلساؤهم من العلماء يعرفون مبلغهم من العلم أو الجهل ولا يجرأون على الاعتراف بحقيقتهم رهبة وخوفا ، فإذا اجتمع أولو العلم للمناظرة رأيت تطاول الطغاة وادعاءهم ، ورأيت مع ذلك من ينكسر ؛ لهم من العلماء تقية ورعبا ولو زالت الفوارق لسمعت السباب الشائن والتجهيل الصراح !! تقدم إلى تيمور بعض أبناء العباسيين من طالبى الخلافة راجيا أن يعينه على استعادة مجد آبائه وأجداده ؛ فابتسم الطاغية ابتساماً مريباً ؛ وعقد مجلساً من العلماء لمناقشة الدعوة المرفوعة ؛ ثم أومأ تيمور إلى ابن خلدون ليفصل الموضوع ، فماذا صنع الباقعة الحصيف ؟ لقد لجأ إلى دراسته الشخصية لميول تيمور ومذهبه ، فعرف أنه شيعى متعصب يكره بنى العباس ؛ وإذا جرؤ مفت متسرع على القول بأحقيتهم فى الخلافة ، فقد هدر دمه لساعته فانطلق ابن خلدون يعلن أن الحديث القائل بأن الخلافة لبنى العباس ما بقيت الدنيا ؛ مفترى موضوع !! وأخذ يشرح انتقال الأمر لأبى بكر وعمر وعثمان وعلى ، ثم تحوله إلى معاوية وأبناء أسرته ؛ ثم انتهاءه إلى بنى العباس تغلبا وقهرا ؛ وخلص من استعراضه إلى رفض الدعوى المرفوعة باستعادة الخلافة ؛ ونحن لا نخطئ المؤرخ فى حكمه ؛ فهو الصائب الصحيح فى منطق

الإسلام ، ولكننا نشير إلى براعته فى استكناه الغوامض واستشفاف السرائر وبهذه الدراسة النفسية البارعة جاوز المخاوف وأمن الصعاب !!

كان المؤرخ العظيم يشعر بالقلق والاضطراب فى صحبة تيمور ؛ فالطاغية غادر لا يؤتمن وصاحب السلطان كراكب البحر إن سلم من الغرق لم يسلم من الفرق ؛ فكيف ينضم إلى حاشيته ؛ وفيهم من ينفس عليه علمه فلا يؤمن أن يقوم بافتراء كاذب يتمخض عن سفك دمه البرىء دون تحقيق !!

لابد إذن من النزوح ؛ فلا قرار على زأر من الأسد ، ولابد إذن من الحيلة فى هذا السفر العاجل كيلا تحوم حوله الظنون ؛ لقد استمع إلى مشورة بعض أصدقائه فأشار عليه بأن يطرفه ببعض هداياه كما جرت به عادة التتار والمغول ؛ فاختار المؤلف مصحفا مذهبا وسجادة أنيقة ونسخة من قصيدة البوصيرى فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وأربع علب من حلوى مصر الفاخرة، ثم دخل على الرجل فى أدب وخشوع ؛ وناوله المصحف فوضعه على رأسه والسجادة فقبلها ؛ والبردة فسأل عن موضوعها وناظمها والحلوى ففرقها على أصحابه وأكل منها ثم قال :

أيها الأمير: إن أكبر أمنياتى أن أسعد بصحبتك ولكن لى تاريخا كبيرا بذلت فيه جهد العمر ونور العين وبحث الحياة وقد جمعت به الوقائع بأسرها وتركته بمصر، وسيضيع بددا إن لم أسارع بإنقاذه فإذا تفضلت فأمرتنى بالذهاب إلى مصر لاستحضاره والعودة سريعا إلى مقامك كان ذلك منية الدنيا وسعادة الحياة !!

قال تيمور : لك ما تشاء وأجازه فى الرحيل فسار عنه فى فرحة غامرة واستبشار عظيم !!

لقد كشف ابن خلدون فى سلوكه هذا مع الطاغية عن سياسة حاذقة ودهاء عظيم ولو رزق ضحاياه فى ساحة مناظراته ونقاشه شيئا من مقدرة ابن خلدون ومرونته لعصموا أرواحهم من الوبال ؛ فقد استطاع بلباقته الحصيفة أن يحقق كل مآربه ؛ كما أدرك ببصيرته النافذة هول ما سيتعرض له من المآسى الدامية ؛ إن دامت صحبته واتصل سببه بأسباب تيمور .

ولم يشأ أن يهجم على الاستئذان فى الرحيل دون توطئة وتمهيد ... فاختار الهدية المناسبة والوقت المناسب، وقد كان خاصة تيمور من العلماء يضيقون بعلم ابن خلدون وكياسته، فرحبوا بابتعاده ورجوا تيمور مع الراجين فى سفره !! ولم يبد أحدهم شكا فى نواياه فسارت الريح هادئة وسلم الزورق من الأعاصير! ولنا فى سلوك الفيلسوف مثل نحتذيه فعلينا أن نرسم الخطة الصائبة فى المآزم ونستشير العقل السديد فى المعاضل .

وقد يقول قائل: إن مرونة ابن خلدون لا تتاح لغير من درسوا دراسته، وثقفوا ثقافته ؛ ونحن لا نوافق على ذلك؛ إذ أننا نفرق فرقاً واضحاً بين العلم والسلوك فقد يحصل العالم آلاف المسائل، ويدرس مئات الشروح ثم لا يجد من السلوك البصير عاصماً يهديه حين تشتبه الأمور ؛ وقد يكون الرجل محدود المعارف ضئيل التحصيل ؛ ولكن بصيرته النافذة تسعفه بالحل السريع فى معاضله ؛ فيفر إلى الشاطىء فى سلام دون أن يرتطم بصخرة عاتية أو يفاجأ بإعصار مخيف ؟

د . محمد رجب البيومى

قال الله تعالى :

« أو لم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » . (الروم : ٩)

العربيّة لغة الإسلام والمسلمين

للأستاذ علي عبد العظيم

٨ — موقف اليونسكو من العربية

أصدرت منظمة اليونسكو كتاباً قيماً عن «أثر العرب والإسلام فى النهضة الأوربية» بأقلام نخبة من أعلام الباحثين أشادت فيه باللغة العربية وما قدمته إلى الحضارة العالمية من آثار خالدات .

ولكنها على الرغم من هذا أقامت صعوبات عديدة فى وجه تقدم العربية وزحفها لاحتلال مكانها فى الصدارة بين اللغات الراقية فى العصر الحديث ، فقد أصدرت الوثيقة رقم 15 C/22 وموضوعها «استخدام اللغة العربية لغة عمل فى المنظمة» ذكرت فيها أن صعوبات عديدة تقف حائلة دون استخدام اللغة العربية على نطاق واسع فى مطبوعات المنظمة الدولية ، ولخصت هذه الصعوبات فى ثلاث نقاط رئيسية :

١ — إن الترجمة إلى العربية تتطلب ضعف الوقت اللازم للترجمة إلى أى لغة أخرى من لغات العمل فى المنظمة .

٢ — إن حجم الترجمة العربية قد يتعادل مع حجم الترجمة الروسية أو يزيد عنها بقليل ، ومع هذا فإخراج الوثائق العربية يتطلب عدداً أكبر من المترجمين.

٣ — تعذر وجود عدد كاف من المترجمين الأجانب الذين يجيدون اللغة العربية ويستطيعون الترجمة منها إلى لغات العالم الأخرى فى المنظمة ، وإن وجد هؤلاء المترجمون الأكفاء فلا يمكن الاستعانة بهم بصفة مؤقتة ، بل يحسن تعيينهم بصورة دائمة حتى يمكن الإفادة منهم فى أى وقت .

وقد عنى المجمع اللغوى - كما عنيت مدرسة الألسن بالقاهرة - بمناقشة هذه الوثيقة مناقشة علمية دقيقة ، وسنعرض آراء كل منهما بإيجاز ، ثم نعقب على بحثيهما بما يعن لنا من آراء .

* * *

رأى مجمع اللغة العربية :

أولا : ناقش المجمع موضوع الكتاب الأزرق (مشروع برنامج وميزانية اليونسكو) وأنه صدر فى ٣٩٦ صفحة بالأصل الفرنسى، وفى ٣٧٨ صفحة بالأصل الانجليزى ، على حين صدر فى اللغة العربية فى حجم ٦٧١ صفحة ، ورجع هذا إلى عدة أسباب فنية لا شأن لها بقصور اللغة العربية ، ويمكن إجمال هذه الأسباب فيما يلى :

(ا) النص العربى مكتوب بالآلة الكاتبة وحجم الحروف العربية بها أكبر من حجم الحروف اللاتينية بالمطبعة ، فلا وجه للموازنة بين الآلة الكاتبة والمطبعة .

(ب) فى صفحات النص العربى بالآلة الكاتبة فراغات كبيرة مما يسمى فى الاصطلاح الفنى بالتهوية ومن الممكن ضغطها دون ضرر .

(ج) فى الانكليزية والفرنسية يمكن كتابة نصف الكلمة فى نهاية السطر وتكملتها فى أول السطر التالى ، وهذا غير مألوف فى الاستعمال العربى الآن ، وإن كان العرب القدماء قد استعملوه .

(د) فى اللغات الأجنبية يشار إلى أسماء الهيئات والمنظمات الدولية بحروف رمزية أما فى الترجمة العربية فيشار إليها بعدة كلمات (ومن الممكن الاصطلاح على رموز حرفية فى العربية).

(هـ) فى الوثائق العربية يشار إلى اسم الشهر مرتين مثل : مايو/أيار ، إبريل/نيسان ، ديسمبر/كانون الأول ، على العكس من اللغات الأجنبية .

(و) فى الوثائق العربية تكتب الأرقام بالحروف على حين تكتب بالأرقام فقط فى اللغات الأجنبية .

(ز) بعض المصطلحات العلمية تتم ترجمتها إلى العربية فى جمل طويلة أو عدة جمل للتوضيح على حين نأخذ رمزاً اصطلاحياً فى اللغات الأجنبية ، لأن المصطلح العربى لم يتم وضعه أو لم يتم الاتفاق عليه ، وهذه الصعوبات كلها معوقات شكلية من اليسير التغلب عليها دون مشقة أو عناء .

ثانياً : ناقش المجمع موضوع عدم وجود عدد كاف من المترجمين من العربية وإليها ، وأثبت أنه من اليسير وجودهم بين

من اشتغلوا فى الهيئات الدولية (١) ، وبين من تم تدريبهم من خريجى الجامعات ومعهد الألسن وبخاصة إذا تم وضع معجم لمصطلحات اليونسكو بالعربية مثل المعاجم الموجودة لهذه المصطلحات باللغات الأربع المستخدمة فى منظمة اليونسكو ،

ثالثاً : من حيث المسافات المطبعية - وهى الحيز الذى يأخذه الحرف عند الطباعة أو الدق على الآلة الكاتبة - أثبت المجمع أن اللغة العربية لغة إيجاز (٢) على العكس من اللغات الأجنبية، وأن هذا يتيح للنص العربى أن يأخذ حيزاً فى الطباعة أقل بكثير مما يأخذه الحيز فى النص الأجنبى. وساق لهذا أمثلة عديدة فى النصوص العربية وما يقابلها فى اللغة الفرنسية ، ومن هذه الأمثلة فى المفردات والجمل :

(ا) المؤتمران : تأخذ فى العربية ٩ مسافات مطبعية ، وفى الترجمة الفرنسية ٢٠ مسافة .

(ب) الباب : تأخذ فى العربية ٦ مسافات مطبعية ، وفى الترجمة الفرنسية ٨ مسافات .

(ج) حكوماتهم : تأخذ فى العربية ٨ مسافات مطبعية ،وفى الترجمة الفرنسية ١٩ مسافة .

(د) كن يتحدين : تأخذ فى العربية ٩ مسافات مطبعية ، وفى الترجمة الفرنسية ١٥ مسافة .

(ه) قابلهم : تأخذ فى العربية ٦ مسافات مطبعية ، وفى الترجمة الفرنسية ١٦ مسافة .

(و) مهمة المؤتمر : تأخذ فى العربية ١٢ مسافة مطبعية ، وفى الترجمة الفرنسية ٢٥ مسافة .

(ز) جميع الأعضاء : تأخذ فى العربية ١٥ مسافة مطبعية ، وفى الترجمة الفرنسية ٢٧ مسافة .

(ح) ثم ساق جملة طويلة هى : « يعمل المجلس التنفيذى المؤلف من ثلاثين عضواً يمثلون حكوماتهم على تنفيذ برنامج اليونسكو بين دورات المؤتمر العام» والمسافة المطبعية لهذه الجملة هى ١١٠

---

(١) يتولى التدريس بالجامعات الغربية نخبة من أعلام العرب ممن نالوا أرقى الشهادات من هذه الجامعات ؛ ومن الممكن الانتفاع فى الترجمة من العربية وإليها بهؤلاء الأعلام

(٢) سنعرض لهذا فى بحث تال إن شاء الله

مسافات على حين أنها تبلغ فى الفرنسية نحو ٢٠٠ مسافة تقريباً .

ومن هذا يتضح أن اللغة العربية تقل فى حجمها المطبعى عن اللغات الأجنبية بمقدار كبير .

* * *

رأى معهد الألسن :

اطلع المعهد على رأى اليونسكو وعلى مذكرة مجمع اللغـــة العربية ، وناقش الموضوع من زاوية أخرى ، أثبت فيها بطريقة عملية أن اللغة العربية لغة إيجاز معنى وتركيبا ، وأن النص العربى أقل حجما مما يقابله باللغات الأجنبية ، وأورد أدلة عديدة نستطيع أن نوجزها فيما يلى :

١ — تعبر اللغات الأخـرى عن الصوتيات Short Vowels - وهى مايعرف بحركات الشكل - بحرف أو أكثر على حين تعبر اللغة العربية عنها بحركات الشكل وهى لا تشغل حيزا ما ، وقد تستعمل اللغات الأخرى صوائت مزدوجة مثل Ee أو Oo أو صائتتين مختلفتين مثل Au أو Ea أو Ou على حين تكتفى العربيـة بحرف واحد من حروف المـد .

٢ — الحروف المدغمة (المشددة) يكتب كل منهما مستقلا فى اللغات الأخرى على حين تكتب مدغمة فى العربية فإن كلمـة محمد تكتب باللغات الأخرى هـكذا Mohammed فهى لا تتجـاوز فى العربية أربعة حـروف ولـكنها تبلغ فى اللغات الأخرى ثمانية .

٣ — فى اللغة العربية حروف منطوقة ولـكنها تحذف فى الكتابة اختصاراً مثل هذا هذه ، هذان .

٤ — تستعمل اللغات الغربية سوابق للـكلمات prefixes أو لواحق Suffixes للدلالة على معان جديدة على حين تكتفى اللغة العربية بالاشتقاق والتصريف ولا يزيد هذا عن تغيير ترتيب الحروف أو إضافة حرف أو حرفين إلى بناء الكلمة العربية .

٥ — لا تستعمل اللغة العربية الأفعال المساعـدة Auxiliary verbs إلا نادرا على حين أنها شائعة شيوعا كثيرا فى اللغات الأجنبية حتى لا تـكاد تخلو منها جمـلة وبخاصة فى الاستفهام والبناء للمجهول .

٦ — أفعل التفضيل أخصر فى العربية منه فى اللغات الأخـرى ، فالانكليزية تستعمل عبارة More قبل الصفـة فى الدرجة الثانية ؛ وعبـارة Most قبلها

فى الدرجة الثالثة ، أما العربية فتقول : جميل ، أجمل ، الأجمل ؛ فلا تحتاج إلى سوابق إلا فى حالات قليلة مثل: أكثر امتيازا ، وأعظم جاذبية ، وأقل تبلدا..

٧ — أسماء الأفعال فى العربية موجزة بالنسبة إلى اللغات الأخرى ، وكذلك علاقة النسب فهى حرف الياء فى العربية على حين أنها ثلاثة أحرف فى الانكليزية مثل مصرى Egyptian .

* * *

وقد تناول هذا الموضوع الأستاذ محمد شوقى أمين من زاوية أخرى، ويمكن إيجاز بحثه فى النقاط الآتية :

١ — إن الكتاب الأزرق الذى أصدره اليونسكو فى ٦٧١ صفحة باللغة العربية وفى ٣٩٦ ص بالفرنسية وفى ٣٧٨ ص بالإنكليزية يمكن اختصار ترجمته إلى أقل من ثلثيه دون إخلال بالمعانى الكلية أو الجزئية ، وساق أمثلة عديدة لهذا الإيجاز الوافى .

٢ — إن الكتاب المقدس مترجم إلى اللغات العالمية الحديثة ، وأى فقرة منه بالعربية أقل من مثيلاتها باللغات الأخرى حجما ومسافة، وعدد كلماتها أقل.

٣ — فى المعجمات الثنائية بين العربية وغيرها من اللغات نلاحظ أن حجم الكلمات والجمل فيها أقل من حجم ما يقابلها من اللغة الأجنبية، ومنها المعجم العسكرى الذى تشرف عليه الجامعة العربية فى لغات عديدة منها العربية ، فالعربية فيه أقل من سواها من اللغات.

٤ — ومما يؤيد هذا عمليا : ميثاق جامعة الدول العربية فى نصه العربى وفى ترجماته الأجنبية ، وميثاق هيئة الأمم المتحدة فى نصوصه الأجنبية والعربية ، ومصطلحات المؤتمرات والمنظمات الدولية باللغات الأجنبية وترجمتها العربية التى أقرها مجمع اللغة العربية .

* * *

ونستطيع أن نضيف إلى ما سبق :

١ — من مزايا العربية ما يسميه اللغويون بالنحت، وهو أن يدمج الكاتب أو المتكلم كلمتين أو جملة فى لفظ واحد يدل عليها ، وقد ألف ابن الخطير كتابا سماه (تنبيه البارعين على المنحوت من كلام العرب) ومن أمثلة النحت : هلل: قال : لا إله إلا الله ، وحمدل : قال :

الحمد لله ؛ وحولق (١) : قال : لا حول ولا قوة إلا بالله ؛ وسبحل : قال سبحان الله ، وهيلل : قال : لا إله إلا الله ، وحسبل: قال : حسبنا الله .. ومن أمثلته عبشمى فى عبدشمس ، وعبدرى فى عبدالدار وعبقسى فى عبد قيس ، واختزال عبارة صلى الله عليه وسلم إلى (صلعم) .

٢ — سقوط بعض الحروف لفظا وكتابة فى بعض الكلمات لكثرة استعمالها بعد إدماجها فيما قبلها أو بعدها من حروف أو ظروف ، مثل عم ؟ فى قوله تعالى « عم يتساءلون » فإن أصلها (عن ما) أى عن أى شىء يتساءلون ؛ ومثل فيم ؟ فى قول الشاعر :

فيم التشبث بالغد ؟

والموت منك بمرصد

أصلها (فى ما) ومثل: إلام ؟ وعلام أصلها (إلى ما) و (على ما) فى قول شوقى :

إلام الخلف بينكمو إلاما؟

وتلك الضجة الكبرى علاما؟

(١) من الأخطاء الشائعة قولهم حوقل ، والصحيح ما ذكرناه ، فإن الحوقلة مشية الشيخ الضعيف .

ومثل مم ؟ أصلها من ما ؛ ولم ؟ أصلها لـ ما ، وحتام ؟ أصلها حتى ما .

٣ — بعض الحروف يندمج فى الأحرف المشابهة لها فيصبحان حرفا واحدا مشددا مثل اطلع أصلها اطتلع ، ومثل امحى أصلها انمحى ، ومثل اتزن أصلها اوتزن ، ومثل اتضع أصلها اوتضع ، ومثل اظلم أصلها اظتلم .

٤ — إذا كان المضارع مبدوءا بالتاء واستعملته فى الخطاب تسقط إحدى التاءين مثل: أنت تكلم ، وتعلم ، وتهذب ، وتقدم ؛ بدلا من تتكلم ، وتتعلم ، وتتهذب ، وتتقدم .

٥ — بعض الحروف لا تنطق ولا تكتب اختصاراً وبعضها ينطق ولا يكتب إيجازاً مثل : بسم الله (سقطت الألف من اسم وألف المد من اسم الجلالة) ومثل ألف المد فى أسماء الإشارة : هذا هذه هذان ، أولئك ، ذلك ذلكما ، ذلكم ؛ ومثل هأنذا ، يأيها ، لكن إله ، إسحق ، هرون ؛ كما تسقط الواو فى مثل : داود طاوس ، كما تسقط الياء ، فى الاسم المنقوص المنون مثل قاض ، غاز سام (إذا كان غير منصوب) كما تحذف (أل) المعرفة إذا كان الاسم مسبوقا بلام

الجر، مثل : لله، للبر ، للعمل، للقسم..(١)

٦— تسقط (لا) النافية بعد القسم مثل قوله تعالى : « تالله تفتأ تذكر يوسف » تقديرها تالله لا تفتأ تذكر يوسف ، ومثل قول البارودى :

تالله أهدأ أو تقوم قيامة
فيها الدماء على الدماء تراق

تقديرها: تالله لا أهدأ حتى تقوم قيامة.

٧— الجمل الاسمية فى العربية لا تحتاج إلى فعل الكينونة على حين تراه مستعملا فى الإنكليزية ، فإنك تقول فى العربية : (على فى حديقته) ولكنك تقول فى الإنكليزية على كائن أو موجود فى حديقته Ali is in his garden وتقول فى العربية: الطائر على الغصن ، ولكنك تقول فى الإنكليزية: الطائر موجود على الغصن

The bird is on the branch

وفى هذا من الإيجاز مافيه .

٨ — لا تحتاج العربية إلى روابط للإضافة فإنك تقول فى العربية : كتاب المطالعة ، وقد تحذف آخر المضاف عند التثنية والجمع فتقول: مهندسا المدينة ومعلمو المدرسة بدلا من (مهندسان ومعلمون) أما فى الفرنسية فلا بد من كلمة متوسطة تربط المضاف بالمضاف إليه هى de وفى الإنكليزية تربط الأداة of بينهما ، فعبارة آخر الشهر، يقابلها فى الإنكليزية

The end of the month

٩ — للتشبيه فى العربية أداة موجزة هى كاف التشبيه ، وهى حرف واحد يسبق المشبه به؛ ولكن أداته فى الإنكليزية As وهى تتكرر مرتين: مرة قبل الصفة ومرة بعدها فتقول فى العربية : قوى كالحصان، وتقول فى الإنكليزية :

As strong as a horse

١٠ — أسماء الأفعال فى العربية أشد إيجازاً من مثيلاتها فى الإنكليزية مثل: عليك (بكذا) ويقابلها فى الانكليزية You have to ومثل : هيهات ، ويقابلها فى الإنكليزية It is too for والمجال لا يتسع للاستقصاء، فاللغة العربية لغة إيجاز دقيق واف سواء كان إيجاز قصر أم إيجاز حذف أم إيجاز إيحاء، وهذا هو موضوع حديثنا التالى إن شاء الله ؟ للبحث بقية

على عبد العظيم

---

(١) الإنصاف يقتضينا أن نذكر أن الواو تزيد فى مثل أولو ، وأولاء وعمرو؛ وتزيد الألف فى مثل مائة وثلاثمائة ، وبعد واو الجماعة مثل كتبوا ، اسمعوا ، لم يأكلوا، ولكنها كلمات معدودة من السهل صرف النظر عنها والاكتفاء بمراعاة النطق وحده

من الأصول السياسية والدستورية :

الشورى فى الإسلام

للدكتور مصطفى كمال وصفى

— ٢ —

بينا أن البيئة الإسلامية تخالف الحل الديمقراطى الحديث كأساس للشورى. لأن كيان الفرد فى دولة الإسلام بصفته الفردية لا يتخلى عن الكيان الجماعى فيستطيع به أن يمارس ولاية عامة فيقوم بالمرافق العامة ويدافع عن المصلحة العامة باسمه الخاص بدعوى الحسبة ، وغير ذلك . فالفرد بسبب مسئوليته الخاصة عن الصالح العام محتاج أيضاً للشورى ولا تكون قاصرة على الأجهزة العامة كما فى القانون الحديث .

ولذلك فكيان الشورى فى الإسلام أعم وأشمل منها فى النظم الحديثة . فبينما هى فى النظام الحديث تكون للحاكم فقط نراها ذات مجال عام فى النظام الإسلامى ، فكل المسلمين يتصرفون لوجه الله فى الإسلام وابتغاء إقامة المصالح ودرء المفاسد ، وكلهم لذلك يتطلب الفتيا والشورى فى الشئون العامة التى يفترض الدين اختصاصهم وعنايتهم بها . وكذاء فإن الشورى تختلف فى الإسلام - من ناحية أخرى - عن ديموقراطية العصر الحديث ، بسبب تقيد السلطة التشريعية. فحرية المشرع الحديث فى التشريع وكون هذه السلطة نابعة من الشعب كمصدر للسلطات جعل الشورى فى العصر الحديث إنشائية مطلقة فى المشروعية والملاءمة . وكون السلطة التشريعية فى الإسلام مقيدة ومحفوظة لله تعالى ، جعل الشورى فى الإسلام مقيدة المجال وقاصرة على الملاءمة دون المشروعية. فالملاءمة يصح أن تكون مجالا للشورى بمعناها المفهوم. أما فى مسائل المشروعية - أى مسائل إنزال النص على الواقعة وتطبيقه فهذه تكون محلا للاجتهاد ، أى محاولة الكشف عن حكم الله فى هذه النازلة

دون أن يكون للمجتهد فى هذه الحالة حرية الحل . فإما أن يصادف اجتهاده حكم الله وإما أن يكون مخطئاً فيه . وذلك بدون تدرج فى السلطات . فرب رأى صادر من أحد العامة يكون أولى من رأى أمير المؤمنين ، إذا كان الأول مطابقا ـ دون الآخر ـ لحكم الله مصيباً فى اجتهاده .

* * *

وهذه الملاحظات تفتح لنا باب البحث فى طبيعة الشورى فى الإسلام ، ومجالها ، والقائمين بها .

* * *

وقبل أن نعرض لذلك نبين أن الكتاب العزيز أشار إلى الشورى فى موضعين ، أحدهما فى سورة آل عمران (الآية ١٥٩) وثانيهما فى سورة الشورى (الآية ٣٨) .

وفى الأولى يقول الله تعالى : « فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر ، فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين » .

وقد وردت هذه الآية الكريمة فى مجال الكلام عن القتال ، مما دعا طائفة من العلماء إلى القول بأن مجالها مكائد الحروب وعند لقاء العدو ، فيشاورهم النبى صلى الله عليه وسلم تطييبا لنفوسهم ورفعا لأقدارهم وتألفا على دينهم ، وإن كان الله تعالى قد أغناه عن رأيهم بوحيه ، وقال الجمهور غير ذلك . وأنها عامة فى الأمور فقد نقل القرطبى عن ابن عطية : أن « الشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام ومن لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب » ، ونقل عن غيره أنه « واجب على الولاة مشاورة العلماء فيما لا يعلمون وما أشكل عليهم من أمور الدين ، ووجوه الجيش فيما يتعلق بالحرب ووجوه الناس فيما يتعلق بالمصالح ، ووجوه الكتاب والوزراء والعمال فيما يتعلق بمصالح البلاد وعمارتها » . وقال ابن كثير نزلت فى صاحبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، وكانا حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم ووزيريه وأبوى المسلمين . وروى عن الإمام أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبى بكر وعمر :

لو اجتمعتما فى مشورة ما خالفتكما . وأنه صلى الله عليه وسلم سئل عن العزم، فقال: « مشاورة أهل الرأى ثم اتباعهم . . » وروى عن ابن ماجه وأبى داود وغيرهما عن أبى هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال : (المستشار مؤتمن) وقال أيضا : « إذا استشار أحدكم أخاه فليشر عليه » .

وقد عرف أن النبى صلى الله عليه وسلم شاورهم يوم بدر فى الذهاب إلى العير فقالوا : لا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون . وشاورهم أيضا أين يكون المنزل فأشاروا عليه . وشاورهم يوم أحد فى أن يقعد فى المدينة أو يخرج إلى العدو . وشاورهم يوم الخندق فأشاروا عليه بحفر الخندق. وشاورهم يومها أيضا فى مصالحة الأحزاب على ثلث ثمار المدينة فأبوا عليه فتركه . وشاورهم فى سبايا هوازن وفى حديث الإفك وغير ذلك . كما عرف عن أبى بكر وعمر تشاورهما ومشاورة المسلمين فى كثير من الأمور ، منها مشاورة أبى بكر عمر فى قتال ما نعى الزكاة وفى جمع القرآن .

وأما ما جاء فى سورة الشورى فهو قوله تعالى : « والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون، والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون، والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون» .

وقد نزلت هذه الآيات الكريمة فى وصف الأنصار ومدحهم ، فهى تقرر خبراً ، ولا تأمر بإنشاء كما هو الشأن فى آية آل عمران السابقة . ولكنها تدل على إقرار الشارع الكريم للشورى إلا أن سياق سورة الشورى ليس سياق قتال وجهاد كآل عمران فى موضع آية الشورى بها - فإن سورة الشورى تتحدث - عموما - عما شرع الله لنا ، وإنزاله وتطبيقه على الأحوال ؛ فقد قال فيها:

« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه . . » « فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم . . » « الله الذى

أنزل الكتاب بالحق والميزان ومايدريك لعل الساعة قريب » ، « أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله » .

وهكذا فإن هذه السورة الكريمة تعرض لما أنزل الله من الدين ووجوب تطبيقه وعدم جواز تشريع غيره . وأن ذلك خير وأبقى للذين يؤمنون به والذين أمرهم شورى بينهم .

* * *

طبيعة الشورى فى الإسلام :

والشورى فى الإسلام من أسباب ظهور العلم وتحكيمه فى شئون المسلمين .

فالدولة الإسلامية هى - حقيقة - دولة إيمان وعلم ، فهى تقوم على عقيدة التوحيد والإيمان بذلك إيماناً يقتضى أن يمتثل الناس أوامر الله فيتضامنوا فى تنفيذ ما أمر الله به ، واجتناب ما نهى الله عنه .

وهذا الإيمان لا يكون إلا بعد العلم وعن طريقه ، فقد قال الإمام البخارى رضى الله عنه فى بيان مكانة العلم من الإيمان أن (العلم قبل القول والعمل لقوله تعالى : « فاعلم أنه لا إله إلا الله » فبدأ بالعلم) ، وقال أيضاً : (باب فضل العلم وقول الله تعالى : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات »).

فهذا كله إشادة بدور العلم فى تحقيق العقيدة وإظهارها وبيانها والعمل بها ؛ إذ لولا العلم لظل الإيمان شعاراً وعنواناً ونداء لا يرى التطبيق ، وإنما بالعلم يتبين كيف ينفذ المؤمنون ما أمرهم به الله تعالى ، وكيف يحققون المصالح ويدرءون المفاسد ، وبذلك فإن الشورى فى الإسلام هى مراجعة أهل العلم فى تطبيق الدين على الحياة .

والأمر فى ذلك ينقسم إلى مرحلتين واضحتين :

مرحلة ما نسميه الآن بالملاءمة .

ومرحلة ما نسميه الآن بالمشروعية .

فالملاءمة : هى سؤال أهل الخبرة فيما هم خبراء فيه ؛ فيستجمع منهم عناصر الفهم فى شئونهم ، فإن كان الأمر يتعلق بالزراعة أو المال أو التجارة سئل أهل الفن فى ذلك ، لقوله تعالى: « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » .

وليس ذلك مشاورة بمعنى أن يشارك

كل من السائل والمسئول برأيه فى ذلك، ولكنها طلب من السائل وخضوع منه لما يبديه المسئول ؛ إذ لا رأى له فيما لا يعلمه .

فمن استشار طبيبا فإنه فى الحقيقة يعرض نفسه عليه ليلتزم برأيه ويسير عليه .

وأما المشروعية : فهى وزن رأى أهل الخبرة والفن بقياس الشرع .

فإن العالم المسلم الخبير بأحكام الله وحلاله وحرامه إذا سئل فى معاملة من المعاملات - كعقد التأمين على الحياة أو استغلال البترول والمعادن - فإنه يرجع أولا إلى أصحاب الفن فى ذلك ليفهم منهم ما يتطلبه الأمر من الدواعى والمصالح وما يكون من الخير إذا تحققت والشر إذا تخلفت ؛ فإذا تحرى ذلك ودققه ووقف عليه، فإنه يقيسه بمقياس الشريعة والأحكام ويبدى فيه رأى العلم بعد سماع أهل الخبرة والفن . كالقاضى الذى يحيل الدعوى على الخبراء ويحكم بناء على تقريرهم فيها .

فالمشروعية مقيدة بما أظهره أهل الخبرة وبما أنزل الله على رسوله من الأحكام وبما يكون من طرق الاجتهاد لإظهار حكم الله .

والمشاورة فى المشروعية ليست مطلقة بل مقيدة ؛ فإن العمل الاستشارى فيها هو اجتهاد وبحث عن الحقيقة ، وليس إنشاء مطلقا حسب الرأى والهوى . واشتراك أهل العلم فى ذلك هو أيضا طلب منهم وخضوع لحكم الله ، فهم ينشدونه جميعا ويتوسلون للوصول إليه، ولا رأى لهم إلا أن يصادفوا الحق ، فالحق غالب عليهم ؟

د . مصطفى كمال وصفى

من الخصومات الأدبية :

الكاتبُ المجْهول وَإعجَاز القرآنْ

للأستاذ محمد رجاد البنا

على صفحات مجلة الرسالة المحتجبة وفى غضون الأربعينيات من هذا القرن الميلادى، كانت تدور معارك أدبية طاحنة وخصومات فكرية ساخنة يشتعل أوارها حينا ويخبو لهبها حينا ، ثم هى فى الحالتين تثرى الحركة الأدبية والفكرية بخصوبة رائعة تحفز الدارسين على البحث و تغرى الأقلام بالسجال وتشد القارىء إلى لون من الفكر طريف ، ثم هو مع طرافته لا يخلو من دسامة فكرية وبحث دقيق .

وإذا كان لكل عقد من العقود الزمنية — فى مجال الفكر — مميزاته التى تبرزه بين موجات الزمن المتلاحقة ، فإن الخصومات الأدبية والفكرية هى سمة هذا العقد «الأربعينيات» وهذا من النتائج الطبيعية لكل حوار فكرى يدور فى فترات تأصيل الثقافة وتعميق مفاهيم الفكر وتأسيس أسس النقد ، وليس معنى هذا الزعم أن المعارك الأدبية والخصومات الفكرية وليدة هذا العقد وإنما هى امتداد لمعارك عنيفة اشتعلت مع بداية هذا القرن وصاحبته حتى ازدهرت فترة ما بين الثورتين ١٩١٩ - ١٩٥٢ ، ولكنى أزعم أن عنف هذه المعارك بلغ قمة ازدهاره وثورة اشتعاله فى خلال هذا العقد الذى خلف لنا تراثا هائلا ورصيدا ضخما من الخصومات والمعارك والمحاورات فى النثر والشعر حول قضايا فكرية وأدبية ولغوية وثقافية، وقد دارت هذه المعارك بين المحافظين والمجددين ، ثم دارت بين المجددين أنفسهم متطرفيهم ومعتدليهم ، وكان من أبرز أعلامها فى معسكر المحافظين : أحمد زكى باشا وفريد وجدى والرافعى «مصطفى صادق» ومحمد أحمد الغمراوى وشكيب أرسلان ورشيد رضا ، وفى معسكر المجددين : العقاد والمازنى وزكى مبارك وهيكل (محمد حسين) وطه حسين [1] .

ولقد أوشك هذا اللون الفكرى

(١) أنور الجندى - المعارك الأدبية

أن يسود حياتنا الأدبية ويسيطر عليها لولا انشغال الأقلام بتأصيل مفاهيم سياسية واجتماعية أحدثتها ثورة الثالث والعشرين من يوليو ١٩٥٢، كذلك فقد أوشك الميدان أن يخلو من فرسان الصراع أمثال العقاد ومندور وزكى مبارك والرافعى بينما جنح غيرهم من لف لفهم إلى شاطىء السلام، أضف إلى ذلك سببا ثالثا، وهو اختفاء المجلات الأدبية المتخصصة وذلك مما جعل حركة الرواج الادبى غير ما كانت عليه فى غابر الأيام - ولقد أوشكت المعارك أن تشتعل من جديد حول القديم والجديد وبين مناهج الثقافة وأيها أجدر بالبقاء وذلك حينما عادت مجلتا الرسالة والثقافة إلى الظهور إبان ١٩٦٤، ١٩٦٥ وكان من جراء تجدد هذه الخصومات والمعارك التى انتصر فيها الباطل بظلامه على الحق بنوره أن أغلقت المجلتان وبقى الأدباء والمفكرون وحدهم يكسرون من حدة أقلامهم التى أطاحت - دون وعى منهم - بهاتين النافذتين اللتين كانتا تبعثان الضوء والهواء فى أفقنا الفكرى.

ولقد استطاعت هذه المعارك أن تكشف عن حقيقة النفوس وطبائعها وأن تبين عن الزيف والصحيح فى القيم الأدبية وذلك بالطبع مما أفاد تاريخ الأدب المعاصر واستقامت بسببه - إلى حد ما - مقاييس نقدنا الحديث.

فالمعركة التى دارت حول الإسلام وأصول الحكم، وتلك التى دارت حول الشعر الجاهلى، والمعركة التى دارت حول رسالة منصور فهمى للدكتوراه والخصومة التى نشبت بسبب كتاب النثر الفنى فى القرن الرابع الهجرى لزكى مبارك، كل هذه المعارك غرست فى عقول الشباب من أبناء هذا الجيل عاملين مهمين:

أولهما: أن الدين ما زال يسيطر على ثقافتنا ولن يتمكن أبداً الغزو الثقافى للغرب أن يحتل موقعاً فى تاريخنا الأدبى.

ثانيهما: أن هناك لدى الغرب بعض مناهج جديدة فى البحث لا ضير فى تطبيقها والسير على منوالها إذا دعت الحاجة وهى ولابد داعية[1].

على أننى لست مع الزاعمين بأن المعارك والخصومات حملت الخير كل الخير فى ركابها، فلا جدل أن ثمة بعض المعارك

(١) بتصرف من رسالة مخطوطة الماجستير عن مجلة الرسالة لمحمد السيد محمد.

غلب عليها النقد الذاتى وخرجت عن الموضوعية وتلونت باللون الحزبى مما جعل صاحب الرأى يتذبذب بين حفاظ وتطرف ، وبين تأييد للرأى ومعارضة له إلا أن ثمة قلة من الأدباء والمفكرين اتخذوا الحيدة سبيلهم وانتصروا لجانب الحق وحده دون خوف من رقيب أو خشية من سلطان سوى سلطان ضمائرهم ومسئولية أقلامهم . وخصومة اليوم التى نعرضها والتى جرتنا إلى هذه التوطئة من الخصومات التى اتسمت بالطرافة لأنها أوشكت أن تدور من طرف واحد حينما حاول الطرف الآخر الفرار من ميدان السجال، لولا أن قيض الله له من كشف عنه اللثام فعاد إلى الميدان كى يخسر المعركة ، وتلك هى الوقائع مرتبة الأحداث[1] :

١ — صدرت الرسالة (العدد ٥٥١ المجلد الثانى عشر ١٩٤٤) وبين صفحاتها مقال تحت عنوان « أعوذ برب الفلق ، من شر ما خلق » نسب إلى الكاتب المجهول قال فيه صاحبه ذلك المجهول « أما بعد فإنى لا أعوذ برب الفلق من شر ما خلق وإنما أعوذ برب الفلق من خير ما خلق وهو الجمال » .

وانتهز الأستاذ محمد أحمد الغمراوى الفرصة كى يكيل الضربات الموجعات للكاتب المجهول بعد أن كشف السر عنه زاعماً أنه الدكتور زكى مبارك ، وذلك فى مقال نشر بالرسالة (العدد ٥٥٤) من السنة نفسها تحت عنوان « من إعجاز القرآن » وفيه يندد تنديداً جارحا بالدكتور زكى مبارك ويسفه آراءه وأفكاره السابقة واللاحقة بل ويعيب إنتاجه كله نثراً وشعراً ثم يضرب ضربته حينما يوجه إليه نص التهمة قائلا « والغلطة المنكرة هو جهله أن كلمة « شر » فى الآية الكريمة اسم لا أفعل تفضيل وأن الفرق بين معنى الآية كما فهمها وبين معناها كما أنزلت هو الفرق بين الجماد والحى وبين الإعجاز وغير الإعجاز، ثم يتابع قوله « وإذا أدرك زكى مبارك غلطته فحاول أن ينكر أن (شر) فى جملته أفعل تفضيل كذبته كلمة « خير » فى نفس الجملة إذ لا شك مطلقاً فى أن (خير) فى جملته تلك أفعل تفضيل جاء فى مقابلة «شر» أفعل التفضيل الآخر فى أول الجملة ، ثم يمضى الغمراوى

(١) مجلة الرسالة السنة الثانية عشرة .

فى التدليل على وجهة نظره قائلا «إن كلمة شر إذا كانت اسماً مضافاً إلى ما الموصولة كما هى فى الواقع فى قوله تعالى «من شر ما خلق» فى السورة الكريمة المعروفة شملت كل شر لكل مخلوق؛ فالاستعاذة بالله من شر ما خلق على هذا الوجه هى استعاذة تامة كاملة لم تدع موضعاً لاستدراك مستدرك ولا للعب لاعب.

ثم يقول «قد يكون الجمال غير ما خلق الله وقد لا يكون، لكن إذا كان للجمال شر يخشى ويستعاذ بالله منه فقد دخل فى الشر المطلق شر كل مخلوق خلقه الله، وهو ما أمر الله الإنسان بالاستعاذة منه برب الفلق فلا داعى هنا قط إلى تعوذ جديد من الجمال أو من غير الجمال.

ثم يمضى على هذا النحو إلى أن ينهى المقال كما بدأه بالطعن فى كفاءة الدكتور مبارك العلمية وعدم إحاطته بالإعجاز الفنى للقرآن الكريم.

٢ — ولو سكت الدكتور مبارك فلم يرد لكان فى سكوته الخير ولوفر على نفسه عناء معركة خاسرة ولمرت تلك الخصومة كما مر غيرها من الخصومات التى حمل سكوت الدكتور فيها على محمل غير الهزيمة كأن يقال إنه استهان بخصمه أو أنه يرحمه من سخط قلمه أو غير ذلك من التعاليل والتفاسير.

ولكن شاء الله أن يتكشف الأمر وينجلى الستر حينما كتب معقبا على الاتهام الذى وجه اليه من أنه الكاتب المجهول (الرسالة العدد ٥٥٥) تحت عنوان (نميمة الأسلوب) يقول «قضيت ما قضيت من زمانى وأنا نهبة للنمائم ولم يبق من البلاية إلا أن ينم على أسلوبى وكنت أظنه يحفظ أسرارى عفا الله عنك يا أسلوب المبارك» ثم يستطرد قائلا «أقول هذا وقد حاول ناس أن يقلدوا أسلوبى ليؤذونى كالذى يصنع الكاتب المجهول والكاتب المعروف والدكتور بديع الزمان والسيد فلان والفتى الأزهرى والأستاذ الجامعى، وهى أسماء رجال من تلاميذى وأنا لن أخذل تلاميذى ولن أنهاهم عن تقليد أسلوبى، ولكن من هذا الكاتب الذى ينتهز فى العدد السالف من مجلة الرسالة فيحمل الدكتور زكى مبارك جرائر الكاتب المجهول؟ من هذا الكاتب وهو لا يمضغ إلا كلاما حاورنى به منذ عشرين سنة

فى بيت القاياتى؟ إنه يتمسح بالدين لينتصر على ، وليس هناك فالإسلام لا يعرف أمثاله لأنه دين حقائق لا دين أباطيل » .

وواضح أن الدكتور يبرأ من المقال «قل أعوذ برب الفلق » ويهرب من اللقب « الـكاتب المجهول » ولـكنه يكاد يفصح عن نفسه دون أن يدرى حينما يقول فى نهاية التعقيب « ولو كان مسلما صحيح الإيمان ، لستر أخطائى إن كنت من المخطئين ولن يقام لتحديه ميزان لأنه أضعف من يقام لتحديه ميزان » .

٣ — ويبتهج الأستاذ الغمراوى لهذا الخذلان المباركى الذى أعان عنه صاحبه دون أن يدرى فيكتب معقبا على التعقيب فى بريد الرسالة (العـدد ٥٠٦) مهددا ومنذرا بإعلان الحرب والتى أعلنت فعلا فيما بعد (١) فهو يقول فرحا مبتهجا .

« ينكر الدكتور زكى مبارك أنه « الكاتب المجهول » وليس فى الناس من يصدقه فى ذلك ولا زكى مبارك نفسه » إلى أن يقول متحديا « لقد أسندت إلى زكى مبارك تهما معينة تحديته بها كما يقول لينكرها إن استطاع فلم يفعل ، ولو استطاع لفعل لـكنه يعـلم أن مجرد الإنـكار لا يغنى وكلامه شاهد عليه ثم عز عليه أن يتبرأ من كلامه ذلك بعد أن طال افتخاره به فجمجم يقول إنى أتمسح بالدين لأنتصر عليه ، ودمدم يظن أنه يستطيع أن يخدع الناس عن ضعفه بتظاهره بالقوة ولست أبغى إلا أن يعرفه الناس فيحذروه ، ثم يهدد وينذر بإشعال نار الحرب الضروس التى لا تبقى ولا تذر إن لم ينته الدكتور عما هو فيه انظر اليه يقول « فإذا هو لم يخرج مما دخل فيه بالتبرؤ منه والرجوع عنه فسنخرج نحن مما دخلنا فيه بإيراد الدليل عليه من كلام زكى مبارك نفسه وحسبنا الله ونعم الوكـيل .

٤ — وأوشك الأمر أن ينتهى عنـد هذا الحد ولو انتهى لأسفرت الخصومة عن شك فى ـ نتائجها النهائية ـ ذلك أن الدكتور مبارك وهو (أبو المعارك) يتذبذب فى التبرؤ من مقاله الذى نشره مستعيراً لقب الـكاتب المجهول إلا أن قلم التحرير فى مجلة الرسالة ـ لأمر يعلمه الله ـ أراد أن يفصح عن الأمر بما لا يدع

---

(١) تجـددت حملات النثر الفنى فى مجـلة الرسالة بعد توقفها ، ولذلك حديث طويل.

مجالا للشك فى أسلوب الدكتور فصدر العدد (٥٥٦) من الرسالة وبين مقالاته مقال تحت عنوان « لقد هان هـذا الخطب » ذكر فى فهرس العدد منسوبا إلى الدكتور زكى مبارك بينما ذيل داخل العدد بلقب وإمضاء الكاتب المجهول وكأن المحرر يريد أن يلفت ذهن القارىء الواعى فى طريقة كنائية إلى أن الكاتب المجهول هو نفسه الدكتور زكى مبارك .

وبتلك الخدعة الصحفية وضع الصبح لذى عينين وانكشف للقراء أمر الكاتب المجهول وانفضح ستر الدكتور مبارك الذى ظن أن الأمور تسير معه فى كل الأحايين، وكانت هذه المعركة مقدمة طبيعية لتجدد المعارك حول كتاب النثر الفنى الذى نأمل أن نجلو أسرارها فى عدد قادم.

وكتبت الهزيمة سطورها - هذه المرة - على جبين الدكتور زكى مبارك الذى خاض معارك كثيرة انتصر فى أكثرها وهزم فى القليل منها حينما كانت تفوته الحيطة من أمره، عفا الله عنه وغفر له؟

محمد جاد البنا

قال الله تعالى :

« أو لم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض قادر أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلا لا ريب فيه فأبى الظالمون إلا كفورا ، قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى إذاً لأمسكتم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتورا » (الإسراء : ٩٩، ١٠٠)

عمر بن الخطاب وفكره الاقتصادى

للأستاذ فاروق منصور

١ – مدخل عام للاقتصاد الإسلامى

الاقتصاد الإسلامى لا يلقى من الباحثين المعاصرين العناية التى يستحقها وعلى الرغم من أهمية هذا الاقتصاد وعلى الرغم من الثروة الفقهية التى نجدها فى تراثنا الإسلامى سواء أكان بحوثا مفردة فى الاقتصاد ككتاب الأموال لابن سلام والخراج لأبى يوسف مثلا ، أو كان متناثرا فى كتب الفقة على مختلف المذاهب الإسلامية وتعدد وجهات نظر الفقهاء المسلمين .

وقلة العناية بالفكر الاقتصادى الإسلامى نقص يجب أن نتداركه وننهض للتخلص منه ، وتفريط فى فرع هام من فروع الفكر الإسلامى ، وتقصير فى أمر يشغل بال العالم كله، ويلقى عناية الدارسين المعاصرين ، ذلك هو علم الاقتصاد .

الاقتصاد فى العصر الحديث:

إن الاقتصاد سواء فى المجالات الفلسفية أو فى التطبيق يؤثر فى عالم اليوم تأثيرا بالغا ، فالصراع على أشده بين النظريات الاقتصادية كل منها يزعم لنفسه التفوق، وكل منها يدعى أنه أكثر رعاية للإنسان وأكثر عدالة والحرب الباردة والساخنة تشتد وتتزايد بين الكتل الاقتصادية والأنظمة الاقتصادية فالرأسمالية تحارب الشيوعية وتحارب الاشتراكية ، وكل منها ينقسم إلى فروع واتجاهات يدعم بعضها البعض أو يناقض بعضها البعض ويرى أن صالحه لا يتحقق إلا فى سحق هذا الاتجاه الاقتصادى أو ذاك، فيسعى جاهدا ينظم للهجوم ،ويخطط للضربات رغبة فى دعم ما يذهب إليه .

ولا يستطيع إنسان أن ينكر ما يحدثه الاقتصاد من أثر فى المجتمعات المعاصرة فهو الذى يؤثر على قيمها ويسهم فى سلوك الأفراد والجماعات؛ وبذلك يشكل النظام الاجتماعى وفقا له ؛ لذلك نجد سيلا من الدراسات الاقتصادية يصدر سنويا فى الشرق والغرب ونجد فرقاً من العلماء

المتخصصين فى كل لون من ألوان الاقتصاد تتابع الجهد العلمى وتنمى التفكير وتواصل الدراسة فى مجالاتها الاقتصادية كما نجد الأجيال المتعاقبة من المفكرين الاقتصاديين فى كل مذهب كى لا يتوقف التفكير الاقتصادى ، وكى لا ينعزل أو يتخلف أو يقصر عن متابعة استخراج القواعد والتقنينات من خلال ما ينتج عن آثار التطبيق وما تقدمه الظروف والتجارب المختلفة . نجد مثلا د . كناى ونجد آدم سميث ومارشال وجيد وكارل منجز وبوهم باورك وشومبيتر وفالراس وباريتو وماركس وهيابرونر وساى وباستيا ، وريكاردو ، ومل وليبرمان وكينز وغيرهم .

وعندما نتابع سلسلة الأسماء وغض النظر فى دراساتهم نجد أن كل مذهب من المذاهب الاقتصادية يحظى بعناية الأجيال ولا يتوقف التفكير فيه والإضافة إليه عند جيل معين أو فترة زمنية معينة كما حدث للاقتصاد الإسلامى ،

المناهج الاستعمارية والاقتصاد الإسلامى :

إذا أردنا أن نعرف السر فى جمود التأليف فى الاقتصاد الإسلامى وتوقف الكتابة أو التفكير فيه فإننا نجد ذلك كامنا فى العوامل السياسية والاجتماعية التى أدت إلى جمود الفكر الإسلامى فى مرحلة معينة وتوقف الاجتهاد بعد أن أغلقت أبوابه بانتهاء العلماء القادرين على التفكير وبتمزق العالم الإسلامى وتحوله إلى ولايات مبعثرة .

والمؤلفات الاقتصادية العربية كثيرة ولكنها لا تحفل بالدراسات الاقتصادية الإسلامية لأسباب مفهومة أيضاً ويمكن إرجاعها إلى الأمور الآتية :

١ — إن المؤلفات الإسلامية فى الاقتصاد الإسلامى والتى تعد من مفاخر تراثنا شبه مجهولة ولا يكاد يعرفها من دارسى الاقتصاد إلا القليل جداً .

٢ — إن الكثير من أبحاث الفكر الاقتصادى الإسلامى لا تزال مبعثرة خلال صفحات كتب الفقه والتاريخ والرحلات ، وتحتاج إلى عمليات تجميع على أساس موحد .

٣ — عجز مناهجنا الدراسية عن أن توجه وتقود إلى منابع الفكر الإسلامى الأصيلة بحيث يستطيع الدارس أن يتفهم

ما لديه من كنوز ويدرك ما بين يديه من معارف أصيلة ونادرة حتى يستطيع أن يخرج منها بشيء جديد يثرى الفكر الإنسانى ويعمقه .

٤ — الحملات الاستعمارية المسعورة ضد الإسلام والمسلمين والتى تركزت فى محاربة الفكر الإسلامى بالتقايل من شأنه أحيانا أو إبعاد الدارسين عن المنابع الأصيلة والجوهرية فيه، فاهتم المستشرقون بالحديث المستمر والثناء العاطر على جانب من التراث الإسلامى لا تتمثل فيه السمات الإسلامية ولا تنعكس فيه القيم والفضائل الإسلامية ، وركزوا اهتمامهم على إحياء وبعث كل ما من شأنه أن يباعد بين المسلمين وفكرهم ، وبين المسلمين ودينهم ، وبين المسلمين وما يمكن أن يفيدهم، فاهتموا بالصور المريضة والأدب الانهزامى وتركوا الحق إلى الزيف ، وحضارة البناء إلى مورثات التمزق وفق خطة الهدم الذى ينشدونه ثم نسبوا ذلك إلى الإسلام والمسلمين ملقين فى روع القارئين أن هذا هو الفكر الإسلامى .

وتلك جريمة للمستشرقين يدحضها الواقع والتاريخ كما ينفيها طبيعة الإنسان العربى وما أثر عنه من حب الفضيلة والسمو بالغرائز والاعتداد بالنفس والبعد عما يشين وبأن كلمته انعكاس لسلوكه وسلوكه تطبيقاً أميناً لقيمه وما تمتلىء به نفسه من عزة وإباء واعتداد وثقة فى النفس وصبر على المكاره وحب فى التضحية والفداء .

٥ — الهزيمة الفكرية التى منيت بها أجيال مسلمة أمام الغزو الأوربى عندما انبهر المثقفون العرب بنتائج الحضارة الأوربية وما أحرزته من تقدم فى مجالات الصناعة فى وقت كانت الحضارة الإسلامية قد تجمدت وتحول حاضر المسلمين إلى الركود والتخلف أدى إلى انسلاخ المسلمين عن حضارتهم، ومحاولتهم الأخذ بنصيب وافر عن كل ماهو غربى سواء فى الفكر أو العلم أو السلوك أو القيم .

٦ — المناهج العلمية لجامعات الغرب والتى تكفلت بأن تقنع الدارسين بأن الحضارة كلها من صنع أوربا وبأنه لا يمكن أن يوصف شىء ما بأنه علمى ما لم يكن أوربياً، وكانت البداية بالنسبة لعلم الاقتصاد الادعاء بأن « آدم سميث »

المولود باسكوتلاند فى ٥ يونيو ١٧٢٣ م وخريج جامعة اكسفورد ، هو مؤسس علم الاقتصاد وأبو الاقتصاد السياسى الحديث لأنه ألف كتابه الشهير « ثروة الأمم » الذى أصدره عام ١٧٧٦ م .

الطريق إلى الفكر الاقتصادى الإسلامى :

كانت هذه بعض العوامل والأسباب التى أدت إلى إهمال الدارسين المسلمين للدراسات الاقتصادية الإسلامية الأمر الذى انتهى إلى القول بعدم وجود نظرية إسلامية معاصرة فى الاقتصاد أو وجود مفكرين اقتصاديين إسلاميين ؛ حيث كل مالدينا من رجال ومن خبرات اقتصادية عربية هم فى الحقيقة امتداد للتفكير الاقتصادى المرتبط بالمناهج الموضوعة لنا والحدود المرسومة لنا فكرياً ، والتى لا يمكننا أن نخرج عنها طالما نحن سائرين فى فلكها ، ولانحاول الانطلاق إلى ما هو أبعد منها .

إن شخصية المفكر الاقتصادى العربى ستظل مهزوزة ومشوهةومائعةمالم يرجع بفكره إلى تراثنا الإسلامى ويتفهمه ، بحيث يعمد إلى تغيير مناهجه فى الفهم ، فيتخلص من رواسب دراسته ويتجرد من كل أفكار مسبقة يكون قد تعلمها أو علقت بذهنه عن الفكر الإسلامى وهو فى ذلك يخدم نفسه ويحدد طريقه المستقيم للمعرفة وفى نفس الوقت يكون متبعا للأسلوب العلمى فى البحث والذى يشترط فى الباحث أن يلقى بعيداً كل فكرة مسبقة عن موضوع بحثه ويتجرد تماما أمام ما سيناقشه ، ولن يتأتى له الفهم السليم ولن يصل إلى نتائج سليمة مالم يع الأسس العلمية للفكر الإسلامى ويتفهم التعاريف والمصطلحات الإسلامية فهما دقيقا يصل إلى معطيات القرآن والسنة وتطبيقات الخلفاء الراشدين وآراء الباحثين فى الفقه الإسلامى .

وإذا ما استطاع الباحث العربى أن يلم بذلك ثم يربطه بما درسه من دراسة اقتصادية حديثة قائمة على منهج علمى على أن يلاحظ :

١ — أن الربط لا يتم بتطبيق المصطلحات والمفاهيم والتعاريف والمسلمات والأسس والنظريات والمقاييس العلمية تطبيقا سليما ، فلكل عصر طريقته ومقاييسه وقيمه ، وعليه أن يدرك أن علم

الاقتصاد بمفهومه الحديث ليس حديثا كله بل هو عبارة عن محصلة للفكر الإنسانى فى محاولاته الدائبة للوصول إلى المعرفة وتقديم ما يخدم الإنسان ويجعل حياته أكثر أمنا وأوفر راحة .

٢ — أن الكثير من النظريات الاقتصادية بمفهومها الغربى أو الشرقى المعاصر أخذت بلا أمانة عن الفكر الإسلامى ونقل بعضها نقلا غير أمين عن مؤلفات أو أبحاث فى تراثنا الإسلامى ثم نسبت لعلماء الشرق أو الغرب وعدت ـ بالتزييف والتزوير والتلفيق ـ أبحاثا علمية وأكتشافات معاصرة ودليلا على عبقرية هؤلاء الذين اختلسوها ونسبوها إلى أنفسهم ، نجد ذلك فى الكثير من أفكار آدم سميث وماركس وكينز بل إننا نجده فى أفكار ليبرمان عن الحوافز ، ذلك المفكر الاقتصادى السوفيتى الذى ينظر إليه على أنه مجدد الماركسية والباحث الجاد الذى جنبها الكثير من عيوبها وتلافى جوانب النقص فيها واستطاع بفكره أن ينمى الإنتاج ويضاعفه ويعمل على رفع المقدرة الإنتاجية للعامل ورفع درجة الاستفادة بالآلة ، كما يقال ، كما نجده عند روبرت هيلبرونرى فى كتاباته عن دور الاقتصاد فى خدمة المجتمع ونجده عندما يتناول الوفرة فى الحياة المادية وكيف أنها تحمل فى طياتها استعدادا خفيا للتعرض للأخطار يحمل أصداء فكر عمر بن الخطاب رضى الله عنه ونظراته فى الرفاهية وما تجره من أضرار ، وإذا كان ذلك يقوم دليلا على تفوق المسلمين فى النواحى الاقتصادية فإن تبيانه بالتوضيح والتفصيل والمقارنة أمر يجب أن يأخذ كل اهتمامنا وسنحاول أن نبذل قصارى جهدنا للقيام بهذا العبء كواجب إسلامى وخدمة للحقيقة ونهوضا بالواجب العلمى الذى هو فرض كفاية نسأل الله أن يعيننا والكثير من أبناء أمتنا العربية وعالمنا الإسلامى إلى التوفيق فيه والقيام بحقه

٣ ـ أن عملية الوقوف عن تفسير بعض آيات القرآن تفسيراً اقتصاديا ومحاولة توضيح أن لدينا من الفكر العلمى الاقتصادى الكثير بسرد الآيات البينات أو إيراد الأحاديث النبوية الكريمة عملية يجب أن نضم إليها روح النصوص ومعطياتها على أن يتم مثل هذا التفهم فى إطار إسلامى مرتبط بالتعاليم الإسلامية

والأوامر والنواهى الإلهية والخصائص الطبيعية للإنسان.

٤ — وإذا ماقام الباحث الاقتصادى المعاصر بإجراء عملية مقارنة علمية بين الأقوال والحلول والتفسيرات الاقتصادية فى الإسلام وبين ما جاء فى التاريخ الاقتصادى وما دخل على النظريات الاقتصادية من تغيير وإضافات مع ربطه بواقع الإنسان وكيانه فإنه سيجد أن الفكرة الاقتصادية الإسلامية أكثر دقة وأصالة وأبعد أثراً وأعظم عائداً بحيث يمكن القول بأن الكثير من مستحدثات الفكر الاقتصادى لا تعدم أصلا إسلاميا أو جذوراً عربية يمكن نسبة هذا الفكر إليها أو يمكن على الأقل أن يقال أن الفكر الاقتصادى المعاصر إذا لم يكن تأثر بأفكار المسلمين فى علم الاقتصاد فإنه على الأقل مسبوق بالفكر الاقتصادى الإسلامى فى أجزاء هامة منه كالموازنة الاقتصادية والادخار، والتخطيط، وتفسير المؤثرات الطبقية، وفائض القيمة والدوافع الاقتصادية أو الدوافع غير الاقتصادية

٥ — أن المقارنة بين العبقريات الاقتصادية العربية ـ من خلال الأعمال والأقوال والكتابات التى يحفل بها تراثنا ـ والعبقريات الاقتصادية ستؤدى إلى الاعتراف بتفوق العبقرية الإسلامية الاقتصادية وأن المفكرين الاقتصاديين المسلمين ابتداء من عمر بن الخطاب حتى توقف الكتابة الاقتصادية فى التراث الإسلامى ـ قد تفوقوا على الفكر الاقتصادى عن غيرهم؛ فكانوا طرازا فريدا أكمل نقص الفكرة الاقتصادية عند من تقدمهم وأتوا بجديد مازال يعد سبقا وما زال بعيدا على أن يلحق، اللهم إلا فى بعض المجالات التى نتجت من التطبيق فى مجالات مختلفة وفى ظروف وبيئات متباينة وفى بعض الاستخدامات العلمية الجديدة كالاستفادة من الإحصائيات وعلم الإحصاء بصورة أدق وأكبر من استخدام المفكر الاقتصادى المسلم لها لأنه لم يكن يوليها مثل هذه العناية أو لأنه كان يملك البديل.

٦ ـ أن الكتابات الحديثة قد أضفت نوعا من البطولات الوهمية على بعض المفكريين الاقتصاديين لعوامل سياسية أو قومية كما أن المؤرخين الاقتصاديين المعاصرين لم تكن أمامهم التفاصيل الكاملة عن تطور علم الاقتصاد منذ البدء

وحتى العصر الحديث مرتبطا بالفكر الإسلامى، وإلا لما قال جوزيف شومبيتر هذا القول الغريب ، وهو يتحدث عن ماركس رغم أنه لم يكن من أتباعه «كان ماركس أولا وقبل كل شيء عالما ضايعا فى العلم ، وقد يبدو غريبا أن نضفى مثل هذا السمو من الناحية العلمية ، إلا أنه من الأهمية بمكان أن نقدر هذا التفوق العلمى حق قدره ، فالعباقرة والمصلحون لا يتفوقون عادة فى ناحية احتراف العلم كما قد نعزو صفة الابتكار فيما أتوا به ، إذا كان ثمة ابتكار ، إلى أنهم كانوا فى أغلب الأحيان غير متفوقين علميا » .

ويضيف « كان شغوفا بالقراءة، منكبا على العمل لفترات طويلة دون أن يشعر بالتعب والإعياء ، قادرا على استيعاب ما قرأه ، مناضلا مع كل حقيقة أو نوع من الجدل العلمى يتوافر على قراءته بعاطفة نزاعة إلى التعمق فى التفاصيل » .

« وهو إذ ينقـــد وينبذ أية فكرة أو يساير ويتجاوب مع أية فكرة أخرى فقد كان دائما يتعمق فى تحليل كل موضوع يطرأ له ، ولعـل أبرز دليل على هـذا التعمق الفكرى هو مؤلفه فى « نظريات فائض القيمة » الذى يعتبر بحق صرحا شامخا من التفوق النظرى » .

« ونظرا لعقليته الفذة فقد كان أبرز ما فى تحليله اهتمامه بالمشكلة بوصفها مشكلة رغم ما يخالج نفسه من إحساسات ومشاعر ومهما بلغت اتجاهاته إزاء التلاعب بالمعانى التى تتضمنها نتائجه النهائية ، فقـد كان جادا فى عمـله ، وبخاصة فى تذليـل الصعوبات المنطقية التى كانت تعترض سبيل تحليله النظرى، كما كان جادا فى وضع دعائم نظرياته العلمية على الرغم مما وجه إليها من نقد ومآخذ » (١)

المسلمون وليس كارل ماركس:

ونود أن نقف هنا قليلا لنحلل هذا القول :

(أ) إننا لا يعنينا أن نقلل من قيمة ماركس كمفكر اقتصادى بل يهمنا أن نبرز دائما أوجه الخلاف والاتفاق بين فكره وفكرنا وليس هناك عداء مسبق من ناحيتنا اتجاه هذا الفكر ؛ إذ أننا نملك فكرا اقتصاديا إسلاميا واضحا متكاملا محـدد السمات والاتجاهات متميزا بقيم

(١) جوزيف .أ. شومبيتر ـ علم من أئمة الاقتصاد سلسلة الألف كتاب ص ٤٧، ٤٨

خلقية معينة لن نجد ما يدنو منها فى أى فكر ، ولا نطالب أى فكر أن يكون تابعا لنا بل نطالبه بالتزام المنهج العلمى فيحاول أن يتعرف على فكرنا ويتفهم ما وصل إليه قبل أى ادعاء وقبل أى محاولة للزعم بالتفوق والنبوغ .

ب : كما يهمنا معرفة المقاييس التى يضعها المؤرخون لعلم الاقتصاد وعلى أى أساس يحق لهذا العالم أو ذاك أن ينال لقب مفكر اقتصادى أو عبقرى اقتصادى. إن الصفات التى أطلقها جوزيف شومبيتر نراها بديهيات يجب توافرها فى أى باحث عادى فى مدارس الفكر الإسلامى، وفى تاريخ علمائنا من الصور الباهرة ما تتضاءل أمامه هذه الهالات الضخمة التى يحيطون بها مفكرا كماركس أو مارشال ؛ لذلك فإننا عندما نقول أن هذا المفكر الإسلامى أو ذاك يعد من المفكرين الاقتصاديين سيكون قولنا صادقا ويحمل الكثير من الأدلة .

ج : إن الثناء الكبير الذى يقدمه شومبيتر على كتابات كارل ماركس عن فائض القيمة شهادة من عالم اقتصادى غربى بتفوق الفكر الماركسى فى هذه الناحية التى تعد من أهم نواحى الاقتصاد المعاصر، وهى فى نفس الوقت شهادة علمية من مفكر اقتصادى عصرى على تفوق الاقتصاد الإسلامى إذ أن نظرية فائض القيمة التى يزعم ماركس أنه مكتشفها هى من نتاج العقلية الإسلامية مع ملاحظة تغافل كارل ماركس أو تجاهله ومعاداته للعنصر الأخلاقى فى النظرية .

إن هذه النظرية مأخوذة عن كتابات أو اتجاهات إسلامية سبقتها وهى منقولة نقلا يكاد يكون حرفيا والذى أدخله عليها كارل ماركس، هى تلك التفسيرات التى فتحت الباب أمام النقاد لينتقدوا النظرية، ويقيموا الدليل على وجود بعض أخطاء فيها ، ولو ترك ماركس النظرية كما هى وأتى بالصورة التى وجدت عليها فى الفكر الإســـلامى لتجنب كل نقد أو معارضة، إننا نرد نظرية فائض القيمة إلى فكر عمر بن الخطاب الاقتصادى وسنحاول أن نداـل على ذلك ونتتبع كيف نقلت الفكرة حتى وصلت مشوهة بالصورة الموجودة عليها الآن إلى الفكر الغربى وسنتابع مسارها حتى وصولها إلى كارل ماركس والتحويرات التى حاول

إدخالها وناقش بالتفصيل كيف حاول أن ينسب لنفسه فكرة عرفها الفكر الإسلامى كثمرة فكر إسلامى لعمر ابن الخطاب منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا قبل ماركس (١)

لقد اضطررنا أن نحدد الملاحظات السابقة أمام الباحث فى الاقتصاد الإسلامى كى نضمن وصوله إلى نتائج علمية فى مجال هام أثر فى الفكر الإنسانى ويعد المصدر الأساسى لكل تفكير اقتصادى، ومع هذا يجد تجاهلا ويتعرض لحرب طويلة ومتصلة : فالبعض ينكر إنكارا تاما أن يكون هناك فكر اقتصادى إسلامى ، أو يكون الإنسان العربى قد اهتدى بعقليته التى تميل إلى العواطف ولا تهتم بالتحليل الأمر الذى انتهى إلى أن يسلم الدارسون العرب بمثل هذه الدعوات ؛ بل إنهم لم يقفوا عند حد التسليم بل تجاوزوه إلى ترديد القول بصحته حتى كاد يصبح حقيقة مسلمة ! !

فاروق منصور

---

(١) هناك من يؤكد أن كارل ماركس نقل نظرية فائض القيمة عن كتاب: الأموال لابن سلام، ولقد حاول البعض أن يقارن بينه وبين ابن خلدون وتستند الأموال الأولى على ما ثبت أن كارل ماركس قرأ كتاب الأموال الذى استعار مخطوطته من مكتبة المعهد البريطانى بلندن كما هو ثابت فى سجلات الإعارة بتلك المكتبة والحق أن هذه النظرية من فكر ابن الخطاب نقلها ابن سلام فى الأموال كما دارت حولها كتابات ابن خلدون مما يتيح لنا القول أن ماركس نقل مع عدم الالتزام بالجانب الأخلاقى المميز للفكر الإسلامى ولاقتصاد الإسلام كما سنبينه .

موالاة الأعداء

للأستاذ عزت على عيد

الولى لغة .. الناصر والمعين .

وتولاه : اتخذ وليا .

والمراد بالموالاة هنا : مناصرة المسلم غير المسلم وتعاونه معه فى حربه ضد المسلمين أو ضد الإسلام .

وقد وردت الآيات الكريمة تحذر من ذلك وتذكر ما تعلل به من اتجه للتعاون مع الكافرين ضد الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته من خشيتهم أن تكون الدائرة على المسلمين فيكون لهم يد عند الكافرين .. وذلك ناتج عن اهتزاز الثقة فى حماية الله لدينه ونصره لأهله وأوليائه .

أما إذا كان غير المسلم مسالما للمسلمين .. غير معتد على حرمات الدين ، فالتعاون معه جائز .. ومناصرته فى حدود المصالح الإسلامية لا مانع منها .. فقد حالف الرسول صلى الله عليه وسلم اليهود وعاهدهم على التعاون فى الدفاع عن المدينة ضد كل معتد عليها .. ولم يحاربهم إلا حينما كادوا له ونقضوا عهدهم معه ،

وقد رسم القرآن الكريم موقف المسلمين من الأعداء فى صراحة ووضوح فقال تعالى :

« لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ، رضى الله عنهم ورضوا عنه ، أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون »

فقد نزلت هذه الآيات فى بعض الصحابة الذين اضطرتهم ظروف الصراع بين الإسلام والكفر إلى مواجهة آبائهم أو إخوانهم أو أبنائهم أو بعض أقاربهم وكانوا بذلك أمام أمرين :

أمر الدين والعقيدة ، وأمر القرابة والرحم ..

ولكنهم غلبوا حياة الإسلام على حياة أقاربهم ، وقدموا واجب الدين على

واجب القرابة وصلة الدم . . وكانوا فى ذلك على حق وعلى هدى مستقيم .

إن علاقة القرابة علاقة دنيوية بحتة ، وعلاقة الدين علاقة دنيوية أخروية .

وتأثير الأقارب - مهما كان - تأثير مادى لا يتعدى عمر الإنسان المحدود ..

أما تأثير الدين فهو تأثير مادى معنوى يشمل الدنيا والآخرة .

ثم إن المسلمين قد خرجوا إلى الجهاد مضحين بأنفسهم فى سبيل بقاء الدين والدفاع عنه ضد كل اعتداء ، فكيف يتوقفون عن التضحية بغيرهم - أيا كان - فى سبيل الدين ؟

من هنا كان تعبير القرآن الفريد :

« لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم » .

فالرابطة الدينية ينبغى أن تتغلب على كل عاطفة ، وأن تتحكم فى سير المؤمن وعلاقته بالناس ..

وليس على مستوى الإيمان من يتودد إلى الكافرين - خاصة فى أوقات الحرب والصراع ..

ولهذا كان التركيز على وصف الكافر هنا بما يقتضى زجره والتنفير منه ومقاومته ..

« يوادون من حاد الله ورسوله » أى من حارب أو هاجم بأية وسيلة وعن أى طريق دين الله الحق ، ورسالة رسوله صلى الله عليه وسلم ..

وإذا كان الحكم بعدم الإيمان هنا فى حق من تودد إلى أعداء الدين من الأقارب - مهما كانت درجة القرابة - فإن من يتودد إلى أعداء الدين من الغرباء أعمق فى الكفر وأبلغ فى الضلال ..

ولعل من أوضح ما يبين لنا شؤم موالاة الكافرين ، وحبهم ، وتيسير أمور المساعدة لهم قوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم ، إن الله لا يهدى القوم الظالمين » ..

ولكن ما السبب فى ذلك ؟ .. ولماذا لم يكتف الإسلام بتحريم هذا التودد وتلك الموالاة .. بل جعله من الكفر ؟

إن الجليس يهوى جليسه ، والمحب يهوى حبيبه .. والطباع تنتقل بالتآلف

والتعارف ، والعادات تسرى من فرد إلى فرد ومن جماعة إلى جماعة ، والذى يتصل بالأعداء ويتآلف معهم ، سرعان ما يتطبع بطبعهم ، ويتشبع بأفكارهم ، ويتحول تدريجيا إلى عدو للمسلمين ..

وهذه ناحية هامة ،اهتم بها الإسلام اهتماما خاصا، وبنى على أساسها كثيراً من التوجيهات والأحكام : —

ففى الحديث الصحيح عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال :

« الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف »

ولا يمكن لمن تغلغل الإيمان فى قلبه ، وسرى فى نفسه ، وسيطر على سلوكه ، أن يقبل على موالاة أعداء الله ، أو التودد إليهم ، أو التخلى عن كراهيتهم ، لما يمثلونه من تهديد لدينه ولحياته وحياة إخوانه من المؤمنين .

إن الاتصال بالفاسقين يغرى بالفسق ويسوق إليه ، والاجتماع مع المفسدين يدفع إلى الفساد ويؤدى إلى الوقوع فيه وعلى العكس من ذلك : فإن موالاة المؤمنين تعمق الإيمان ، وتدعم الوحدة بينهم ، وتركز الإخاء الذى هو أساس بقائهم واستمرار تقدمهم . .

يصور لنا ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

«مثل الجليس الصالح والجليس السوء، كمثل حامل المسك ونافخ الكير .. فحامل المسك إما يحذيك - وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة - ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة »(١) .

ولذلك كانت مجالس الخير مهبط الرحمات ومنزل الخيرات .. وكانت مجالس اللهو وأماكن الفساد ، منابع الإفساد، ومواطن الإضلال والتضليل.

قال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم والأمة تبع له فى ذلك :

« واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ، ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ، ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً » وقال : « ولا تركنوا إلى الذين ظلموا

---

(١) رواه البخارى ومسلم ، ومعنى يحذيك : يعطيك .. وتبتاع ، أى تشترى.

فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون » .

وفى حديث طويل عن مجالس الذكر ومن يجلس فيها ، يبين الرسول صلى الله عليه وسلم حاكياً عن ربه بركة مجالستها فى أوضح عبارة وأدق بيان :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إن لله تعالى ملائكة يطوفون فى الطرق ، يلتمسون أهل الذكر ، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله عز وجل تنادوا : هلموا إلى حاجتكم .. فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا ، فيسألهم ربهم وهو أعلم : مايقول عبادى ؟ قال : يقولون : يسبحونك ويكبرونك ، ويحمدونك ويمجدونك .. فيقول : هل رأونى ؟ فيقولون : لا والله مارأوك فيقول : كيف لو رأونى ؟ قال: يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيداً ، وأكثر لك تسبيحاً .. فيقول: فماذا يسألون ؟ .. قال : يقولون : يسألونك الجنة .. قال : يقول : وهل رأوها ؟ .. قال : يقولون : لا .. والله يارب ما رأوها . قال : يقول : فكيف لو رأوها ؟ .. قال : يقولون : لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً ، وأشد لها طلباً ، وأعظم فيها رغبة .. قال : فمم يتعوذون ؟ .. قال : يتعوذون من النار . قال : فيقول : وهل رأوها ؟ .. قال : يقولون : لا .. والله ما رأوها .. فيقول: فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فراراً ، وأشد لها مخافة .. قال : فيقول: فأشهدكم أنى قد غفرت لهم .. قال: يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم ، إنما جاء لحاجة قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم »(١).

وقيل للنبى صلى الله عليه وسلم :

« الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم .. فقال صلى الله عليه وسلم : المرء مع من أحب »(٢).

ومن هنا يتبين لنا أن الأحبة والأصدقاء هم أساس من أسس الحكم على دين الشخص وأخلاقه ، وسلوكه وأعماله ، فى جانب الخير أو جانب الشر وبقدر ما تدل موالاة الأعداء ومودتهم على عدم الإيمان .. يدل حب المؤمنين والتعاون معهم على صدق الإيمان وعمق الدين .

---

(١) متفق عليه . (٢) متفق عليه .

وهكذا يمكن بقليل من النظر الفاحص أن نعرف أن النهى عن موالاة الأعداء والتحذير منه، هو فى نفس الوقت دعوة إلى الأخوة بين المؤمنين وتعميق وحدتهم على أساس من الخير والصلاح أو بمعنى أشمل على أساس من الدين، قال تعالى: «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله، أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم»

هذه هى أسس الموالاة والمودة التى ينبغى أن يقيم عليها المؤمن علاقاته مع الناس، قال صلى الله عليه وسلم:

«الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل»[1].

فإذا كان لكل إنسان حزب ينتمى إليه، ويتفاعل معه، ويؤثر فيه ويتأثر به فإن حزب المؤمن الذى يلجأ إليه ويدخل فى رحابه.. هو حزب الله.

وحزب الله هم من جمعتهم صفات طيبة وربطت بين قلوبهم روابط كريمة وحدت مشاعرهم، ومزجت بين طباعهم وألفت بين أرواحهم..

وهذه الصفات كما ذكرها الله سبحانه وتعالى، لاتعتمد على الحركات المظهرية التى تهتم بالشكل، وتتجاهل المضمون وهى كل الصفات التى وصف الله بها المؤمنين، ووصف بها المتقين، ووصف بها الصابرين.

إنها صفات تقوم على الإيمان الصادق والعمل الصالح، والخلق المستقيم. ولا يجوز للمسلم أن يترك حزب الله إلى حزب سواه مهما كان الإغراء: مالا أو جاها أو ما إلى ذلك، فإنه - إن فعل ذلك - لن يجنى إلا خسارا ولن يحصل إلا على سراب.

ونعود إلى ما بدأنا به هذا الحديث..

ما هو جزاء من غلب الدين على كل شىء فى الحياة؟ ما هى قيمته فى نظر الإسلام؟ إن أصدق مايعبر تعبيرا صادقا عن هذه الأسئلة قول الله تعالى عمن حققوا ذلك بالفعل قبل القول:

«أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه، ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون»[2].

عزت على عيد

---

(١) رواه أبو داود والترمذى، وقال حسن.

لمحات من نظام القضاء في الإسلام

للأستاذ عمر الفاروق عبد الحليم

— ٢ —

من قضاء الرسول

قدمنا فى المقال الأول أن القضاء وثيق الصلة بالمجتمع الذى هو قائم فيه ، يؤثر فى بنيانه ويتأثر به ، ويتفاعل معه . وهو جزء من السلطة العليا فى المجتمع ، يثبت لمن تثبت له هذه السلطة إن كان واحداً ، وينبثق عنها إن كانت لجماعة أو لهيئة فهو تركيب بسيط أشد ما تكون البساطة حين يكون البناء الاجتماعى كذلك . ثم يتطور نظامه مع المجتمع فى إطار واحد، وقدمنا فيه كذلك أن المجتمع الإسلامى الأول اكتسب من المجتمع العربى فى مكة والمدينة حيث ظهرت الدعوة الإسلامية، سماته البدوية المغرقة فى البساطة فنشأ على أساس السلطة الواحدة، تجمعت فى شخص الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، فكانت له ، إلى جانب حمل الأمانة وتبليغ الرسالة ، الأمانة الدينية والزعامة السياسية والرياسة الدنيوية ، وكان ذلك إلى جانب اتفاقه مع طبيعة المجتمع الذى نشأ الإسلام بين ظهرانيه ، يحقق الخصيصة التى تميز بها الإسلام على الأديان السماوية السابقة، وتفرد بها دونها بأنه دين ودولة ، عقيدة وسياسة يبتغى هداية الإنسان إلى خيرى الدنيا والآخرة، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم إمام المسلمين ، ورئيس الجماعة الإسلامية حيث بدأت جماعة صغيرة لا تملك مقومات الدولة ، ثم رئيس الدولة الإسلامية حين استوفت الجماعة بعد الهجرة ودخول الأنصار فى الإسلام مقومات الدولة ، وكان وفى نفس الوقت مفتى الدولة وقاضيها لم يتول القضاء فيها ، فى زمنه ، غيره ، إلا من عهد هو إليه ليفصل فى خصومة بذاتها .

والآن نخصص هذا المقال للحديث عن قضاء الرسول الكريم .

والحديث عن نظام القضاء يتضمن فى الفقه الحديث موضوعات محددة ، تشمل الحديث عن القاضى ، كيف يتم اختياره وبأية شروط ، وتحديد ولايته ، وما يدخل فى اختصاصه ، كما يتناول بيان المحاكم ، وطبقاتها ، ودرجاتها ، وتوزيع ولاية القضاء بينها ، والأحكام وقوتها وآثارها ، ومكان هذا الحديث يتوزع بين الدساتير ، التى تعنى بتحديد ولاية القضاء ، وتحقيق ضماناته ، وبين ما يعرف بقوانين نظام القضاء على اختلاف ما يطلق عليها من أسماء والتى تعنى بتفصيل ما أجملت الدساتير من أحكام .

على أن الحاجة إلى هذه الأحكام المفصلة لا تظهر ضرورتها إلا حين تصل درجة تطور المجتمع إلى الحد الذى تنفصل فيه السلطة الحاكمة إلى ولايات متعددة ، لا نعنى بذلك ولايات مكانية ، وإنما ولايات نوعية كولاية سن القوانين وولاية الفتيا وولاية القضاء وغيرها من أنواع نشاط السلطة الحاكمة ، وحيث يقوم بكل ولاية من هذه الولايات وال متخصص لها منفرد بها ؛ لأنه حينئذ يكون لكل ولاية شروط خاصة يلزم توفرها فيمن يتولاها ، وضوابط محددة تجب مراعاتها فى التحمل بها وأدائها .

ولم تكن حاجة من هذه الحاجات قد ظهرت فى عهد الرسول الكريم ، فلقد اجتمعت فيه ، - على ما تقدم - الإمامة والزعامة والرياسة والقضاء . ومن أجل ذلك فإن دراسة نظام القضاء فى عصره صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن تقف عند تلك الموضوعات ولا أن تتقيد بها . وإنما تمتد هذه الدراسة إلى غايات أرحب تنظر فى قضاء الرسول العظيم ؛ لتستظهر من خلال القواعد العامة لسماع الدعوى وفض التنازع وإصدار الحكم ، ولتستبين من خلال ممارسته صلى الله عليه وسلم للقضاء ، أصول التشريع وحكمته ، بل ولتتعرف آداب التقاضى وأخلاقيات التنازع ، وكيف يجمل أن تكون المطالبة وكيف تحسن المبادرة إلى أداء الأمانات ورد الحقوق والنأى عن اللدد فى الخصام فلقد كانت محكمة الرسول الكريم مدرسة تربى فيها المسلمون على تقديس الحق والتزامه ، واحترام الواجب وأدائه اختيارا ، وتربية السلوك على الأمانة

والصدق . وأى مدرسة أهدى من المدرسة العملية ، التى تجمع إلى بيان الحق القدرة على تقريره والإلزام به .

هذه المحكمة - المدرسة ، التى وضع الرسول الكريم أساسها ، ما تزال حلما للبشر ، وغاية تنشدها الدساتير والنظم. نقرأ فى واحد من أحدث النظم القضائية المعاصرة ، يستقى أحكامه من نظرية أبعد ما تكون عن العقيدة الإسلامية ، هو نظام القضاء فى الاتحاد السوفيتى الصادر فى ٢٧ / ١٢ / ١٩٥٧ - نقرأ فيه صدى هذه الغاية السامية للقضاء ، تعليم الفرد وترقية وجدان المجتمع. وذلك فيما تنص عليه المادة الثالثة من ذلك النظام بأن على المحكمة أن تتوخى فى كل نشاطها تعليم المواطنين احترام القانون، والقيام بشرف بالواجبات الاجتماعية والمدنية، واحترام حقوق الآخرين ، ومصالحهم المشروعة ، وكرامتهم وسمعتهم . وألا تستهدف من توقيع العقوبات على الجرائم مجرد العقاب ؛ بل تأخذ فى اعتبارها هدف إصلاح الجناة ، وإعادة تربيتهم .

وهكذا ، كان الرسول صلى الله عليه وسلم فى قضائه معلما ، وكان قضاؤه هديا وإرشادا يرتد معه المتخاصمون إلى الحق مختارين ، فلم يكن فى الأمر يومئذ اجراءات مخصوصة ولا شكل معين ، وإنما كان الخصمان يأتيان معا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يعرضان عليه ما شجر بينهما من خلاف ، ولكن الخلاف قد لا يقف عند الحكم الشرعى بل قد يمتد إلى ذات الوقائع والأحوال ، وهنا يكون القضاء وتطلب الدليل ، فيطالب البينة ويستوفى الدليل ويوجه اليمين . وقد تعوز الخصم البينة ، فهنالك يتجلى هدى الرسول العظيم بأن القضاء إرشاد وهداية ، وليس مجرد حكم وولاية، وأن الأمر فى استظهار الحق إلى ضمير ذات الخصم المسلم، يرده عن الغى إلى الصواب مجرد النصح والإرشاد والتعليم .

روى الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده من حديث أم سلمة زوج الرسول رضى الله عنها أنه جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم رجلان يختصمان فى مواريث بينهما قد درست وليس لأيهما بينة، فقال: ألا إنكم تختصمون إلى رسول الله ، وإنما أنا بشر ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من

البعض . وإنما أحكم بينكم على نحو ما أسمع فمن قضيت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار يأتى بها إسطاماً فى عنقه يوم القيامة (والإسطام هو المسعار الذى تحرك به النار) . قالت فبكى الرجلان ، وقال كل منهما : حقى لأخى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما إذن فقوما فاذهبا فلتقتسما. ثم توخيا الحق ، ثم استهما ، ثم ليحلل كل منكما صاحبه .

وروى مسلم فى صحيحه من حديث ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : لو يعطى الناس بدعواهم لادعى أناس دماء رجال وأموالهم . ولكن اليمين على المدعى عليه . كما روى مسلم أيضاً من حديث أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع جلبة خصم بباب حجرته ، فخرج إليهم فقال : إنما أنا بشر وإنه يأتينى الخصم فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض ، فأحسب أنه صادق فأقضى له ، فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هى قطعة من النار فليحملها أو يذرها .

وهكذا، على هذا النحو المشرق،كانت تعاليم الرسول فى قضائه بين المسلمين .

وكان قبول المسلمين للحكم ، وكأن صاحبى المواريث الدارسة ما جاءا يختصمان بل يستغيثان ، أطلعا الرسول الكريم على ما استغلق عليهما من الأمر فأرشدهما إلى طريق الحق ، فتناصفا إليه مذعنين ، راضيين مرضيين ، وأكثر من ذلك كان يتقدم المحكوم عليه بنفسه إلى الرسول، لينفذ عليه حكمه ، يحدوه إلى ذلك الوازع الدينى الذى هذب أخلاقه ورقق طباعه وما عرف من الحق ، وفى ذلك يقول الحق تبارك وتعالى فى هذه الآية من سورة النساء « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ، ويسلموا تسليما »

وكان ذلك يظهر أوضح وأجلى فى الحدود حيث يتجاوز الأمر نطاق الأخلاق وما تدعو إليه من اتباع الحق والانتهاء عن البغى ، إلى نطاق التكفير عن الجرم والتطهر من الذنب ، والمآب إلى الله بالتوبة الصادقة ، فالمسلم الصادق اليقين، إذ يذهب عنه إيمانه حال المعصية ، ويرتد بالتوبة تصديقا لقول الرسول الكريم : لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يسرق

السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر من يشربها وهـو مؤمن ، فإنه إذا فعل ذلك خلع ربقة الإيمان من عنقه ، فإن تاب تاب الله عليه ، هذا المسلم حين يتوب إلى الله يسعى إلى التكفير والتطهر ليقبل الله توبته ويتوب عليه ، فتراه يسعى إلى الرسول معترفا بجرمه ولو لم يكن ظهر من أمره شيء ، بل ولو لم يرفع المجنى عليه أمره إلى الرسول ، يروى ابن ماجة فى سننه ، عن عبد الرحمن ابن ثعلبة الأنصارى عن أبيه ، أن عمرو ابن سمرة بن حبيب بن عبد شمس جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله إنى سرقت جملا لبنى فلان ، فطهرنى ، فأرسل إليهم النبى ، فقالوا إنا افتقدنا جملا لنا ، فأمر به النبى صلى الله عليه وسلم فقطعت يده ، قال ثعلبة ، وأنا أنظر إليه حين وقعت يده وهو يقول :

الحمد لله الذى طهرنى منك ، أردت أن تدخلى جسدى النار .

ومثال آخر : ينقل الإمام ابن القيم فى زاد المعاد من صحيح مسلم أن الغامدية جاءت إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ، إنى زنيت فطهرنى ، وأنه ردها ، فلما كان الغد عادت إليه فقالت : يارسول الله لم تردنى ؟ لعلك إن تردنى كما رددت ماعزاً ، فوالله إنى لحبلى ، قال : أما الآن فاذهبى حتى تلدى ، فلما ولدت أتته بالصبى فى خرقة وقالت : هذا قد ولدته ، قال صلى الله عليه وسلم فاذهبى فأرضعيه حتى تفطميه ، فلما فطمته جاءت بالصبى وفى يده كسرة خبز ، فقالت : هذا ابنى قد فطمته وقد أكل الطعام ، فدفع الصبى إلى رجل من المسلمين وأمر بها فحفر لها حتى صدرها وأمر الناس فرجموها ، فأقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها حتى انتضح الدم على وجهه ، فسبها ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : مهلا ياخالد ، فوالذى نفسى بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له ، ثم أمر بها فصلى عليها ودفنت .

هكذا كان هديه صلى الله عليه وسلم فى قضائه ، وتلك كانت تعاليمه ، وذلك ماكان من أمر استجابة المسلمين إلى الهدى ، ومسارعتهم إلى الحق وتسليمهم بالحكم ، والتماسهم فى ذلك ثواب الله ودعاء الرسول ؟

عمر الفاروق عبد الحليم

من التراث الإسلامي:

الدرر الكامنة
في أعيان المائة الثامنة

للأستاذ محمد كمال الدين

يعد كتاب الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة تأليف شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلانى من أهم مراجع التراث الإسلامى، بما حوى من تاريخ لحياة أعلام قرن كامل من الزمان هو القرن الثامن الهجرى، وفى علمنا أنه أول كتاب يتعرض لمثل هذا العدد الكبير من الكتاب والأدباء والشعراء وغيرهم ممن احتواهم قرن واحد، وتبعه على نفس الطريقة - كتب أخرى تناولت أعلام القرن التاسع للحافظ السخاوى - تلميذ ابن حجر - تحت عنوان «الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع»، ثم تبعه كتاب «النور السافر فى أخبار القرن العاشر» للشيخ عبد القادر بن الشيخ العيدروس، وتناول فيه أعلام القرن العاشر الهجرى على نمط كتابى العسقلانى والسخاوى، ومن فضل هذا الكتاب أيضا - أى الدرر الكامنة - أنه سرد كثيرا من تراجم النساء الفاضلات المحدثات، وذكر اشتغالهن بالتدريس والتحديث وحبهن لعلوم الفقه والحديث، وشغفهن بالتصنيف والتأليف كما أنه أستوفى احوال الملوك والسلاطين، لا سيما ملوك التتر وسلاطين الترك وأمراء المغول بما لم يسبق إليه أحد، وذكر فيه الحروب التى دارت رحاها فى ذلك القرن، كما نقد أحوال الرجال والنساء وسلك فيه طريقا جيدا، فتكلم عن شمائلهم الحسنه، وعاداتهم الذميمة، ولم يحد فى مسلكه عن الطرق السديدة.

ويقول الشيخ محمد سيد جاد الحق - محقق الكتاب - أن الدرر الكامنة للعسقلانى أصاب من ألوان الثقافة العربية التى لا يستطيع أحد أن ينسج على منوالها، ففيه ينتقل القارىء من تاريخ إلى فلسفة إلى حكمة إلى أدب، بل هو الوثيقة التاريخية التى تصور للبشر حضارة الإنسان

فى أجمل صورها وأبهى عصورها ، ولم يغادر أحدا من النبهاء والملوك والأمراء والسادة العلماء وأرباب المحابر والأقلام وأصحاب السيف والسنان والعمال والوزراء والقراء والفقهاء والنحاة والأدباء ، والكتاب والشعراء والأطباء والحكماء وأصحاب النحل والبدع ..الخ .

ويقول مؤلف الكتاب - ابن حجر العسقلانى - فى مقدمته : « هذا تعليق مفيد جمعت فيه من تراجم من كان فى المائة الثامنة من الهجرة النبوية من ابتداء سنة إحدى وسبعمائة إلى آخر سنة ثمانى مائة من الأعيان والعلماء والملوك والأمراء والكتاب والوزراء والأدباء والشعراء وعنيت برواة الحديث النبوى فذكرت من اطلعت على حاله ، وأشرت إلى بعض مروياته ، إذ الكثير منهم شيوخ شيوخى ، وبعضهم أدركته ولم ألقه ، وبعضهم لقيته ولم أسمع منه ، وبعضهم سمعت منه » .

وقد رجع العسقلانى إلى مراجع كثيرة استمد منها مادة كتابه ، وقد ذكر بعضها مثل « أعيان العصر » لأبى الصفاء الصفدى ، « ومجانى العصر » لأبى حيان « وتاريخ مصر » لقطب الدين الحابى ، « والوفيات لتقى الدين بن رافع » « والخطط للمقريزى » ، « والوفيات » للحافظ شمس الدين أبى الحسن بن أيبك الدمياطى ..الخ

ويحتوى كتاب « الدر الكامنة » على الترجمة لحياة ٥٢٠٤ من أعلام ذلك القرن وأصدرته دار الكتب الحديثة فى خمسة أجزاء كبيرة فى أكثر من ٢٢٠٠ صفحة عام ١٩٦٦ ، وأكثر الأعلام الواردة فى ثنايا الكتاب لم نسمع عنهم ، ولم نعرف بهم ، وبعضهم نعرفه معرفة تامة ونقرأ عنهم ولهم الكثير ، وبعضهم شخصيات طريفة احتلت فى زمانها مكانة كبيرة ، وبعضها لنساء شهيرات فلنتصفح معا حياة بعض تلك الشخصيات :

● فمن النساء الشهيرات « عائشة بنت ابراهيم » وزوج الحافظ المزى ، سمعت من ابن عساكر وحدثت ، وكانت تحفظ القرآن وتلقنه النساء ، ويقول ابن كثير إنها كانت عديمة النظير ، لكثرة عبادتها ، وحسن تأديتها للقرآن ، تفضل فى ذلك على كثير من الرجال ، وكانت زاهدة فى الدنيا .

● ابراهيم ابن محمد بن قيم الجوزية

ذكره الذهبي فى المعجم، وتفقه فى الدين واشتغل بالعلم، وشرح ألفية ابن مالك، وكان فاضلا فى النحو والفقه . .

● ابراهيم بن حمويه الجوينى (٥٤٤ - ٦٢٢ هـ)

● أبو بكر محمد الطبرى (ت ٧٣٦ هـ ومات عن ٨٦ سنة)

● أبو القاسم بن تيمية الحرانى (ولد ٦٦١ هـ)

● ومن الشخصيات الظريفة : أحمد ابن محمد بن الصاحب الأديب الفقيه، والشاعر، وكان حاد النادرة سريع البادرة يهاب جانبه، وله شعر طريف فى الشطرنج يقول فيه :

لى فى الشطرنج علم
أتقن الإدمان حفظه
ألعب الغائب منها
فأراه طيبا يقظه

● فخر الدين بن الخطيب الفقيه الشافعى (٦٦٢ - ٧٣٨ هـ)

وقد مهر فى الفنون حتى كان يدرس لكل من قصده فى أى كتاب أراده من أى علم أحضره، ولم ير الناس له فى ذلك نظيرا، كان يقرىء فى « الحاوى » وغيره من الفروع، وفى « المحصول » وغيره من أصول الفقه، وفى الشاطبية، وغيرها من القراءات وفى « الفرائض » وأنواع الحساب، وفى العربية والتصريف، وفى الحكمة والطب، ومن كتبه : « شرح التعجيز » وشرح الشامل الصغير، « وشرح مختصر بن الحاجب »، « وشرح البديع لابن الساعاتى » « وشرح الحاوى » وشرح « مختصر مسلم » . .

● العلامة عز الدين الموصلى الشاعر المشهور نزيل دمشق، وقد مهر فى النظم، وجمع ديوان شعره فى مجلد، وله البديعية المشهورة، وهى قصيدة نبوية عارض بها بديعية الصفى الحلى وزاد عليه أن التزم أن يودع كل بيت اسم النوع البديعى بطريق التورية أو الاستخدام، وشرحها فى مجلد واحد، وله أخرى لامية على وزن بانت سعاد (مات سنة ٨٧٩)

● عبدالعزيز بن العريض الطائى الحلى صفى الدين (٦٧٧ - ٧٥٢) مهر فى الأدب وتفوق فى الفنون وتعلم المعانى والبيان وله ديوان مشهور يشتمل على فنون كثيرة .

● أحمد بن محمد شمس الدين ابن الحريرى

كان شكله ضخما مفرطاً فى السمنة ، وله نوادر مضحكة من نمط مايحكى عن جحا.

● على بن محمد بن صالح بن الرسام الصفدى ، وكان بارعا فى الرسم على الخشب والقماش ، ثم اشتغل بالعلم وحفظ التعجيز ، وكان يشارك العربية والأصول ونشر العلم بصفد وخاصة علم الفرائض .

هذه نماذج من شخصيات الكتاب ، الذى تعددت نسخه عند التحقيق ، واطلع عليها المحقق ، ومنها نسخ بالمتحف البريطانى ، وأخرى بمدينة فينا ، ونسخ بخزانة دار حكومة الهند ، وقد اشتملت جميعاً على أخطاء كثيرة عنى بتصحيحها ، وسد الناقص منها ، والرجوع إلى أهم المراجع التاريخية ليضبط عليها بعض الأعلام والتواريخ. وبهذا جاء الكتاب مفيداً فى هذا اللون من التأريخ ، كما جاء دقيقاً فى معلوماته وبياناته .

أما العسقلانى ، مؤلف الكتاب ، فهو عالم جليل ، ولد بمصر ٧٧٣ هـ ، ونشأ يتيما ، وكفله أحد أقربائه وعنى بتعليمه حتى حفظ القرآن وهو ابن التاسعة وكان له ذكاء نادر وعظيم حفظ وسرعة بديهة وتنقل فى عدة أقطار يتلقى فيها دروسه على أعلامها، وتقرب إليه الحكام والوزراء ، وتعددت مؤلفاته حتى بلغت المائة والخمسين كتابا نذكر منها - إلى جانب الدرر الكامنة - كتابه « فتح البارى بشرح البخارى » فى بضعة عشر مجلداً، وكتاب «هدى السارى لمقدمة فتح البارى » ، وكتاب « تهذيب التهذيب »، وهو اختصار لتهذيب الكمال للمزى ، وكتاب « إتحاف المهرة بأطراف العشرة » ، وكتاب « الأحكام لبيان مافى القرآن » ، وكتاب « تحفة أهل الحديث عن شيوخ الحديث » ، وكتاب « نزهة الألباب فى الألقاب.. » الخ، وكانت وفاته سنة ٨٥٢ هـ فى القاهرة أيضاً ، وكان ممن حضر الصلاة عليه السلطان الملك الظاهر جقمق وأتباعه وحمل النعش السلطان فمن دونه من الرؤساء والعلماء .

أما محقق الكتاب ، فهو عالم فاضل من علماء الأزهر ، متفقه فى العلم والدين ، وله أكثر من مصنف، بذل فيه من الجهد الشىء الكثير ، ومما يذكر أنه بذل فى تحقيق كتاب الدرر الكامنة لابن حجر العسقلانى جهداً متواصلا استغرق منه عامين كاملين ، فجاء - حقيقة - كتاباً جديراً بالعناية والاهتمام ؟

محمد كمال الدين

مع الشباب :

عناية الإسلام بالنشء

للدكتور عز الدين على السيد

هأنذا أعود إليك أقف ساعة معك ، فنى حديثى إليك متعة ، يزيدها عمقا أنه واجب ودين ، أحط بكل كلمة منه حلقة من سلسلة أولها عندك وآخرها فى الغيب محجوب عنا ، مستأثر به دوننا ، فهو منسوب إلى الله « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول »

أما حديث ساعتنا فهو فى أعلى طابق للشعور المرهف المهذب ، الذى اختص به الإسلام ورسوله المصطفى لدعوته ، فلم يعرف الذوق البشرى ألطف منه كمالا ، ولا أكمل منه لطفا .

لا تعجب فتعجل . . لن ترانى قطغاليا .

حتى تسميتك :

قانون الحياة ومنهج السلوك هو الشاغل الأول والأولى لواضع القانون ومشرع المجتمع ، يظل منه فى فقر لإصلاح فقرة ، ومد لتعديل ، مادة ، لا يفرغ من شاغل حتيث إلا بزحام شاغل ، وهذه سمة ماهو صنع الإنسان .

ولهذا نجد أمورا كثيرة يعوزها النظر ، قد تكون لدى الناس من المحقرات ، وعنها تنشأ العظائم .

بصفة عامة حذر الإسلام من تلك الصغائر ، فقال عليه الصلاة والسلام : « إياكم ومحقرات الذنوب . . . » وخطب أمته فى حجة الوداع فكان من خطبته : « إن الشيطان قد يئس أن يعبد فى أرضكم هذه ، ولكنه رضى أن يطاع فيما تحقرونه من أعمالكم » .

ولعل من هذه المحقرات سوء اختيار الأسماء للأبناء ، لغير علة بلا روية ، أو لعلة هى ألصق بالجهل وحماقة التقدير : كرد عين العائن أو التظرف والدعابة ، وما تزال فى أيام الناس هذه وبعد الهبوط على القمر والمريخ حضارة وتقدما ، نسمع أسماء وكنى وألقابا لمعاصرين ، تضحكنا بالرغم منا ، أو يتطير بها من شأنه التشاؤم وقد يقتل أحد هذين صاحب الاسم غما ،

إذا كبت فى نفسه ألمه ، ولم يتصرف تصرفا غضبيا يصون به أنفة الإنسان الغيور .

خطأ تافه فى ذاته ، جسيم فى خطره ، سبق إليه النظر البعيد البعيد ، من أرق الناس إحساسا ، وأصدقهم تعاطفا مع الخير والفضيلة ، فلم تشغله عظائم الأمور عن دقائق الوجود فأوجب على الوالد أن يكرم نفسه فيكرم ابنه بإحسان تسميته أليس هو نفسه يكنى بولده ؟ فكيف به حين ينادى : يا أبا . . . ؟ عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسمائكم » .

وقد ضرب ـ عليه الصلاة والسلام ـ المثل للحسن والقبيح فقال :

« تسموا بأسماء الأنبياء ، وأحب الأسماء إلى الله تعالى عبد الله ، وعبد الرحمن ، وأصدقها حارث وهمام ، وأقبحها حرب ومرة » .

أما الأول فلما فيه من إقرار بالعبودية لمن لا تجب فى الحقيقة إلا له ، وفيه تمييز للمولود بالإيمان ، وتذكير بالله والرحمن كلما نودى فسمع اسمه .

وأما الثانى فلما فيه من تفاؤل بالخير ، وأنه يعيش وينتج لأمته .

وأما الثالث فلا مندوحة من إقرار النفس ببشاعته والنفور منه .

وقد أخرج مالك عن يحى بن سعيد رضى الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للقحة تحلب : من يحلب هذه فقام رجل ، فقال : ما اسمك ؟ فقال : مرة ، فقال له : اجلس ، ثم قال : من يحلب هذه ؟ فقام رجل ، فقال : ما اسمك فقال : حرب ، فقال له : اجلس ، ثم قال من يحلب هذه ؟ فقام رجل ، فقال له : ما اسمك ؟ فقال : يعيش ، فقال : احلب .

وليس ذلك منه صلى الله عليه وسلم لتطير ، فقد نهانا عن الطيرة ، ولكنه حسن التوجيه للأمة ، وتعريف المؤمنين أن المرء قد يحرم الخير بسوء تسميته ، ليشفق كل والد على ولده من الحرمان ، فيختار له اسماً مشرقاً سمحا ، يرفع به صوته ، ولا يطأطىء لسماعه رأسه .

وقد زاد حرصه صلى الله عليه وسلم

على من شرفوا بلقائه ، فغير أسماء بعضهم لقبحها ، تكريماً لهم بالإيمان الذى أخرجهم من الظلمات إلى النور ، فكانوا به فى حال جديدة يلازمها تسمية جديدة تنشرح بها الصدور وتأنس الألسنة .

عن أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغير الاسم القبيح » .

جاءه رجل فسأله عن اسمه فقال له : أصرم ، فقال عليه السلام : بل أنت زرعة - وجاءه آخر فسأله : ما اسمك ؟ فقال : حزن . قال : بل أنت سهل قال الرجل : لا أغير اسماً سمانيه أبى . قال ابن المسيب رحمه الله يبين أثر مخالفة جده : فما زالت فينا الحزونة بعد .

وهكذا غير - عليه السلام - حربا فسماه سلما ، وأرضا تسمى عفرة سماها خضرة ، وشعب الضلالة جعله شعب الهدى ، وبنى مغوية سماهم بنى رشد وبدل اسم عاصية بجميلة .

ومن أرق وصاياه إلى أمرائه : « لا تبردوا بريدا إلا حسن الوجه حسن الاسم »

ومن لطائف المفارقات فى هذا النهج ما روى أن عمر - رضى الله عنه - قال لرجل : « ما اسمك ؟ قال : جمرة ، قال : ابن من ؟ قال : ابن شهاب ، قال : ممن ؟ قال : من الحرقة ، قال : أين مسكنك ؟ قال : بحرة النار . قال : بأيها ؟ قال : بذات لظى ، قال عمر رضى الله عنه : أدرك أهلك فقد احترقوا » رووا أن ما أخبر به عمر قد وقع .

كما أوردوا أنه سأل رجلا أراد أن يستعين به فى عمل عن اسمه واسم أبيه ، فقال الرجل : ظالم بن سراقة ، فقال رضى الله عنه : تظلم أنت وأبوك يسرق . ولم يستعن به .

وهكذا تكثر الأخبار عن تنفير النبى وصحبه من الأسماء القبيحة ، وعن ترغيبهم فى الأسماء الحسنة ، لما توحى به الأسماء من معانى النفرة والكآبة وما تشعه فى النفس من أضواء المسرة والبهجة ، وهى قطرة إنسانية لا يسع امرأ تجاهلها وإن يكن عميق الإيمان بالقدر ، وقديماً تشاءم العرب بالغراب لاشتقاق اسمه من الغربة ، واتخذوا من دلالات الأسماء معانى شعورية تضفى على النفس ألوانها ، فتنقبض توجسا أو تنبسط بشرى ومن ذلك ما حكوا أن أشعب كان يختلف إلى

قينة بالمدينة ، فلما أراد الانصراف سألها أن تعطيه خاتم ذهب كان فى يدها ليذكرها به ، فقالت: إنه ذهب وأخاف أن تذهب ، ولكن خذ العود فلعلك أن تعود .

أرأيت أرق وجدانا وأرق ذوقا من رسولك الودود ، عليه الصلاة والسلام ، حين وجه أبويك إلى أحسن الأسماء يهديانه إليك ؟

حق التهذيب وحسن الرعاية :

وليخرجك الإسلام عاملا حيا ، نقيا قويا ، بناء معمرا ، أوجب على الأبوين حق تعليمك وتهذيبك ، وحسن سياستك ورعايتك ، فى كل شيء حتى منامك ويقظتك ، وحذر من النار كل أمرىء فى أهله ، واشتد التحذير فى القول الحق « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد .. » .

ووقاية النفس والأهل الذين أعزهم الولد تكون بالسير على الجادة والتزام خلق الإسلام ، والتقويم منذ الصغر بكريم آدابه ، حيث يجعل الأب الراعى من عمله ومن قوله لولده القدوة فينشأ على نهجه ، وينطبع بسنته ، ومن قبل نادى إبراهيم ربه : «رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء » .

وقال عزوجل: «والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم» ولا أحب إلى الآباء من أن يلحق بهم الأبناء على سنن الخير والنجاح ، وهم يوقنون أنهم امتداد لهم وزيادة بعد موتهم فى أجرهم لأن مما أخبر نبيهم بأنه لا ينقطع ، الولد الصالح يدعو لأبيه .

وضرب الله مثلا للأبوة الصالحة وأثرها فى الولد ، ليحرص كل أب على صلاح نفسه لصلاح ولده فقال « وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك » .

أما التربية المباشرة والتأديب المحس ، فنتلقاه مثالا واقعا فى أفعال نبيك الكريم وأقواله إذ نراه حينا يشتد فى غير عنف وأحياناً يلين فى غير ضعف ، سالكا فى تهذيب الولد مسلك الحكيم العادل ، حتى ينشأ مستقيم الخلق لا فسلا ساقط الهمة . ولا متعسفا معقد السلوك .

ونحن فى أحدث ما وصلت إليه الدراسة النفسية والتربوية نقرأ : أن من أهم العناصر فى حياة الطفل الانفعالية ما يحبوه به الآخرون من محبة، وما يكنه هو لهم من الحب ، ولذلك نرى الطفل المنبوذ أو الذى يحس القسوة ممن حوله تمتلىء نفسه بالعقد التى تظهر فى سوء سلوكه وتصرفه ، والتى تحتاج إلى علاج ينتشله من براثن هذا التعقيد .

أما مظهر شدته الحكيمة فنراه فى معاملة الحسن عليه السلام وقد تناول إحدى تمرات الصدقة ، وهو يلتفت إليه منكراً عليه : كخ كخ . ! إرم بها . !

أما شعرت أنا لا نأكل الصدقة ؟

ومنه أمره عليه الصلاة والسلام فى شأن الصلاة بضرب المتخلف عنها إذا بلغ العشر « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم فى المضاجع » .

وقد أثمر فى أنفس الصحابة ذلك التطبيق العملى الكريم أيما إثمار ، حتى رأينا من صبيان المسلمين من يؤم قومه فى الصلاة كعمرو بن سلمة الذى يقول : « أممت قومى وأنا ابن ست أو سبع سنين، وكنت أكثرهم قرآنا » .

ولا تغيب عنك الحكمة البالغة فى أمره عليه السلام بتفريق الولد فى المضاجع تستوى فى النظر الوجهة الصحية والوجهة السلوكية ، ولعل الكثير من أمراض المجتمع تبدأ بذوره من عدم المبالاة بهذه الوصاة .

أما مظاهر الرحمة والحنو على الولد ، لينشأ محبا للحياة مستبشراً بمجتمعه ، فقد كثرت فى آثار التربية المحمدية كثرة يعيي المقام أن تستوعب ، ولهذا نضرب القليل من الأمثلة للكثير منها ، وقليل يتأمل فيشفى ، خير من كثير قد يمل فيترك .

يقول المعلم الرءوف عليه الصلاة والسلام : « إنى لأدخل فى الصلاة وأنا أريد أن أطيلها ، فأسمع بكاء الصبى فأتجوز فى صلاتى لما أعلم من وجد أمه من بكائه » .

دع الألفاظ تحدث وجدانك .. لا تفزعها ولا ترعها . . وانظر إلى أى مدى يتحكم تقدير العواطف الإنسانية فى الفرائض الإلهية ، وهل فرضت هذه الفرائض إلا لإعلاء الوجدان ؟

عن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال: صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الأولى، ثم خرج إلى أهله وخرجت معه، فاستقبله ولدان فجعل يمسح خدى أحدهم واحداً بعد واحد، ومسح خدى فوجدت ليده برداً وريحا كأنما أخرجها من جونة عطار .

وعن البراء رضى الله عنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحسن على عاتقه يقول: اللهم إنى أحبه فأحبه .

وأوصى المؤمنين فقال: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا»، ورآه الأقرع بن حابس يقبل الحسن فقال: إن لى عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً! فأجابه ناظراً إليه نظرة ذات معنى: من لم يرحم لا يرحم! أو أملك. إن كان الله نزع منكم الرحمة ؟

بل تعدى حنانه ورفقه إلى كل ذى كبد رطبة من سوى البشر، فحكى قصة امرأة دخلت النار فى هرة حبستها، وقصة رجل شكر الله له فغفر له، إذ سقى كلباً ملأ له خفه وكان يلهث من العطش، وأنكر على أصحابه حين أخذ آخذ منهم فرخى حمرة جاءت فوقهم تعرش، فقال غاضباً: «من فجع هذه بولدها ؟ ردوا ولدها إليها .!» .

إن لفظ الفجيعة وحده كاف فى الدلالة على المشاركة الوجدانية من قلبه الحنون عليه الصلاة والسلام لقلب الفاقد الملهوف . . وإذا لم يكن قلب نبى خاتم الأنبياء من الرحمة هكذا فمن تراه يكون من قلوب البشر . ؟

هكذا وجه الإسلام أبويك لتخريجك كاملا حياً، وحملهما التبعة الكاملة فى تقويمك «كل مولود يولد على الفطرة، وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» و «كل راع مسئول عن رعيته» و «بحسب امرىء من الشر أن يضيع من يعول» .

أرأيت أخى نعمة الله والرسول عليك . ؟ عش إلى لقياك فى إيحاء هذه الكلمات، والله راعيك والسلام عليك؟

عز الدين على السيد

بين الكتب والصحف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

● « سيرة الرسول ومعالمها من القرآن والسنة المطهرة » :

الأستاذ محمد إسماعيل ، من الكتاب الإسلاميين الذين قدموا إلى المكتبة العربية والإسلامية عديداً من الدراسات الإسلامية ، بل هو من القلائل الدائبين على التنقيب والتحصيل ، الذين لا تهدأ أفكارهم فى مجال البحث ، ولا أقلامهم فى مجال التأليف .

وكتابه الجديد هذا الذى نشرته « دار الفكر العربى » بالقاهرة ، يقع فى ستين ومائتى صفحة من القطع الكبير ، وقد تناول السيرة المحمدية - على صاحبها أكمل الصلاة وأكمل التسليم - وقد بدأ كتابه ببحث عن القرآن الكريم ، والكتب السماوية المبشرة بالرسول ، ومعالم السيرة النبوية فى القرآن ، ثم أخذ يستوعب السيرة النبوية ، بميلاد الرسول ، ثم قدم صورة عن أحوال مكة فى عصره : فعرض لحادث الفيل ، وغزوة أبرهة الحبشى لمكة ، ومقابلة أبرهة لعبد المطلب ، وأهمية حادث الفيل لأهل مكة ، ثم راح يواصل سرد ظروف السيرة فى الفترة المكية : نزول الوحى ، وبدء الدعوة ، موقف قريش وأبى لهب من الدعوة الإسلامية ، ماوقع على المسلمين من إيذاء قريش ، الهجرة إلى الحبشة ، هجرة الرسول إلى الطائف ، الإسراء والمعراج ، بعثتى العقبة ، الهجرة إلى يثرب .

وفى الفترة المدنية ، عرض المؤلف لبدء بناء الدولة الإسلامية فى يثرب ، تنظيم الحياة فى المجتمع المدنى بعد الهجرة . الغزوات : من غزوة بدر إلى غزوة تبوك ، حديث الإفك ، صلح الحديبية زوجات الرسول ، رسائل النبى إلى الملوك والحكام ، عمرة القضاء ، عام الوفود وحج أبى بكر بالناس ، ثم حجة الوداع ومرض النبى ووفاته ، ثم ختم المؤلف دراسته ببحث عن دلائل ثبوت النبوة لمحمد - صلوات الله وسلامه عليه - وأشار إلى أن هذه الدلائل مأخوذة من كتاب « تثبيت دلائل النبوة » لقاضى القضاة

عبد الجبار بن أحمد الهمذانى المتوفى عام ٤١٥ هـ .

الحق أن المؤلف أمتعنا بهذه الدراسة الشيقة ، فالسيرة المحمدية العطرة - على صاحبها أفضل الصلاة وأكمل التسليم - تشد المسلم إليها، فلا يمل قراءتها ، ولا يمل استيعابها ، وقد بذل المؤلف جهداً مشكوراً ، إذ قدم إلينا السيرة فى كتاب مستقل ، معدود الصفحات ، يفيد منه القارىء الذى يهمه بالدرجة الأولى أن يلم بالسيرة فى وقت قصير ، وبجهد ذهنى قليل.

ولنا بعد ذلك وقفات :

١ — إن المؤلف حدد منهجه فى البحث فى العنوان الذى اختاره لدراسته : « سيرة الرسول ومعالمها من القرآن والسنة المطهرة » لكن القارىء لا يحس بالتزام المؤلف بهذا المنهج ، فى دقة يتطلبها البحث ، إذ يحس القارىء - وهو يقرأ هذه الدراسة - أنه إنما يقرأ فى أى كتاب من كتب السيرة المعروفة له ، وكون المؤلف يشير إلى الآيات القرآنية التى نزلت بشأن حادث من الأحداث، أو بشأن ظرف من الظروف، لا يعنى أنه أتى بمنهج جديد ، فكل كتب السيرة - وربما بلا استثناء - سارت على هذا المنهج . . ولا يغيب عن ذهن المؤلف ولا عن ذهن أى قارىء مثقف أن المكتبة الإسلامية ليست فقيرة إلى كتب السيرة وإنما إلى منهج جديد فى كتابة السيرة على أساس علمى وموضوعى ، ولا يمكن أن نتجاهل فى هذا المجال الأخير مؤلفات هيكل والعقاد وطه حسين ، والمستشرقين المنصفين المجردين من الأهواء .

٢ — لقد خلت الدراسة من البحث التحليلى كما ينبغى ، وكذلك المناقشة لآراء غير المؤلف ، التى كانت فى مسيس الحاجة إلى المناقشة ، سواء أكان هذا الغير مسلما أخطأه التوفيق ، أم غير مسلم استبد به الهوى .. لقد عقد المؤلف فصلين عقب بهما على غزوتى بدر وأحد، لكن تعقيبه على كلتا الغزوتين لم يكن إلا سرد جزء من السيرة نفسها ، فقد أشار المؤلف مثلا فى تعقيبه على غزوة بدر أن النبى بعد هذه الغزوة تزوج حفصة ، وزوج عثمان ابنته أم كلثوم ، وزوج عليا ابنته فاطمة ..

٣ — ذكر المؤلف فى آخر كتابه المراجع التى اعتمد عليها فى دراسته هذه،

فعد أكثر من عشرين مرجعا من التراث القديم، وبضعة عشر مرجعا من الكتابات الحديثة، وهذا شيء جميل، لكن لا تكاد تحس بأثر كبير لهذه المراجع، فالمفروض أن هذه المراجع قديمها وحديثها ليست على رأى واحد فى عديد من أحداث السيرة لا فى مجال الإثبات والإنكار فحسب، بل أيضا فى مجال الإحصاء والزمان والمكان، والظروف والملابسات والمفروض أيضا فى كاتب السيرة أن يعنى بشيء من التحقيق الموضوعى .

وفى جزئية من الجزئيات، هم المؤلف بالرد على خصوم الإسلام من المستشرقين المعاندين، ومن لف لفهم من الملحدين المتأثرين بأقوالهم الكاذبة، فى أن الكعبة بصورتها المادية وثن يعبد .. وأن الحجر الأسود وثن آخر ... » فقال : والحقيقة التى نطق بها القرآن المجيد أن بيت الله مقام مكان مقدس .. وأن الحجر الأسود معلم مقدس أيضا، وليست هى فى ذاتها معبودات تعبد .. » أهذا كل ما يقال فى مثل هذا الموقف، إن المستشرقين والملحدين لا يوقفهم عند حدهم إلا المناقشة الموضوعية، ولا يكفى أن يقال لهم : إن بيت الله هو أول بيت أقيم لعبادة الله عبادة خالصة ..

٤ — ولست أدرى . لماذا ترك المؤلف السرايا التى تمت بإشراف وتوجيه الرسول قبل معركة بدر وبعدها ؟ إنها جزء من السيرة ولا ريب فى ذلك .. فقد حدث منها قبل بدر، بضع سرايا وبعد بدر بضع وثلاثون سرية ..

وبعد : فإن هذه الوقفات هى بمثابة لفتات ليس إلا، وتبقى الدراسة بعد ذلك دراسة لها تقديرها .

* * *

● القصص فى القرآن .

يقول الأستاذ مصطفى عبد اللطيف درويش فى مقدمة كتابه الجديد : « من مواقف الإيمان، كما صورها القرآن » .

« القرآن كتاب الله للدعوة إلى الله : « قل هذه سبيلى أدعو إلى الله » « وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار » « ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله »

والقصص فى القرآن الكريم لا يخرج عن هذا الهدف : الدعوة إلى الله، ولهذا سماه جل شأنه (القصص الحق) حق فى أحداثه ووقائعه، وحق فيما يدعو إليه،

فهو يصور الواقع كما حدث ، ليس فيه نسج من خيال المؤلفين .

والهدف من قصص القرآن ، تربية الإيمان فى النفس، وتدريبها على الطاعة، والثقة بالخالق جل وعلا ، وجاء ذلك فى صورة قصص وقع فعلا ، ليكون أبلغ فى دعوة النفوس لتعيش فى جو الوقائع والأحداث .

وإن أدق المواقف فى قصص القرآن الكريم ، هى اللحظات التى يوضع فيها الإيمان فى تجربة واختبار ، وعلى قدر قوة الإيمان تكون قوة التجربة ، وفى لحظة من اللحظات ، تنتصر فيها النفس فى صراعها الرهيب ، بين عامل الثقة الكاملة بخالقها والتسليم المطلق له ، وبين التهديد بالأذى الذى يسلب الإنسان ما ينشده فى الحياة من السلامة والأمان وفى النهاية ينتصر الإيمان ، لأن النفس المؤمنة الصابرة فى إيمانها ، والنفس التى تتوعدها بالأذى، كلتاهما ناصيتها بيد الملك الجبار ..

(ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها)

(إليه يرجع الأمر كله)

(إن الحكم إلا لله) .

(وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو، وإن يردك بخير فلا راد لفضله) هذه كلها قوانين أشد ثبوتا من قوانين دوران الأرض، وجريان الشمس والقمر بل هذه كلها قضايا وأحكام لا تقبل النقض ، ومن تسرب إلى نفسه شيء من الشك فيها ، فقد خرج من حظيرة الإيمان أو قل : خرج الإيمان من حظيرة قلبه »

بهذه الكلمات الطيبة ، قدم المؤلف كتابه الجديد الذى ظهر منذ أيام ، والمؤلف بالإضافة إلى دراسته القانونية والاقتصادية ، حاصل على دبلوم الدراسات العليا فى الشريعة الإسلامية ولقد استمتعت ساعات بقراءة كتابه الممتع عشت هذه الساعات فى جو روحى ساحر، وكان فى عرضه لمواقف الإيمان موفقا ، إذ استعمل الأسلوب القصصى الجذاب ، ولقد وقفت طويلا أمام عبارات ختم بها دراسته، وهى جديرة بالوقوف أمامها :

« إذا أردنا أن نقول للناس : هذا ديننا وتلك تعاليمنا .. وهذا كتابنا . .

فلا بد أن تكون صورة حية متحركة ، بكل ما فى الإسلام والقرآن من نظم وتعاليم » .

هذه كلمة عابرة كتحية لكتاب جدير بالقراءة ، إلى أن تحين الفرصة لمناقشته لأنه جدير بالمناقشة أيضا . .

● المسجد المتعدد الوظيفة :

فى جريدة الجمعة « بالأخبار » أشار المحرر إلى أن السيد الدكتور محمود فوزى رئيس مجلس الوزراء يأمل ، بل يطالب أن يقوم المسجد بدوره فى خدمة المجتمع لذلك يجب أن يكون متعدد الوظيفة : « إن أهم مشكلة تعانيها البلاد هى ما نسميها ـ عرفا ـ الفاقد أو الضائع ، وإذا كان معظم الاتجاه يستهدف الفاقد المادى ، فإننى ألفت الأنظار اليوم إلى الضائع فى البشر وفى القيم البشرية، وواجبنا اليوم حكومة وشعبا وتنظيما سياسيا ، أن نجدد أنفسنا كبشر وأن نجعل الإنسان محل اهتمامنا فى المقام الأول » . .

ويعقب المحرر على كلمات السيد رئيس الوزراء :

« فى ضوء هذه الكلمات المحددة التى تجعل المسئولية عامة لإيقاف الضائع فى البشر ، ولاستعادة القيم البشرية ، ولتجديد نفس المواطن « إنسانيا » طلب الدكتور محمود فوزى إلى وزارة الأوقاف أن تعد مشروعا متكاملا ومدروسا، لتنشيط وظائف المسجد وأهدافه فى المجتمع ، بحيث يصبح المسجد ـ كما ينبغى أن يكون « متعدد الوظيفة» فى خدمة الجماهير التى تؤمه ، وقادراً بذلك على أن يضاعف من حجم المترددين عليه ، ومن حجم الخدمة التى يقدمها لهم ، ومن تنوعها فى مجال التربية الدينية والقومية والعلمية والثقافية والرياضية، وفى مجال تجديد أنفسنا كبشر واستعادة الضائع من القيم » .

وشكر الله للسيد / رئيس الوزراء ، . وشكر الله أيضا لوزارة الأوقاف التى استجابت لكلمات لها وزنها قرعت آذانها ، فقد بادرت إلى تحقيق رغبة السيد رئيس الوزراء ، وأعدت فعلا مشروعا كاملا يحقق رغبته ، بل لقد اختارت المساجد التى ستسهم فى هذا المشروع الجليل ، وحين يتحقق ، تكون الوزارة قد بدأت تعيد للمسجد ماضيه المجيد. إن مسجد قرطبة كانت تدرس علوم اللغة والنحو فيه ، وإن حماد الراوية والكميت كانا فى مسجد الكوفة يتذاكران الأشعار وأيام العرب ، ومسلم بن الوليد

كان يملى شعره فى مسجد البصرة، بل درس الطب وعلم الميقات، وفى الأزهر درس الطب، وفى عام ١٨٦٤ م صدر بيان عن مشيخة الأزهر الشريف بالعلوم التى تدرس فيه كان من بينها «الحكمة الفلسفية والجبر والحساب والمقابلة، والفلك، والهيئة والهندسة والموسيقى» والأزهر يومئذ مسجد «إى والله مسجد»

ولكى يكتب لهذا المشروع الجليل الخطير .. النجاح يجب أن نعيد بناء إمام المسجد من جديد، وأن نرى نماذج من المساجد المفتوحة التى كانت فى الكوفة والبصرة، وبغداد والقاهرة وتونس وقرطبة، وأن تنتدب الوزارة علماء فى شتى المعارف للتدريس .

فقد كان طلاب المعرفة يسيرون آلاف الأميال سيرا على الأقدام، ميممين وجوههم شطر هذه المساجد التى لم تكن قاصرة على العبــادة فقط بل كانت مدارس للعلم والمعرفة يقوم بالتدريس فيها كبار العلماء .

لذلك تخرج فى هـذه المساجد آلاف المفكرين الإسلاميين الذين تركوا للأجيال الإسلامية القادمة تراثا فكريا ضخما، كان وما يزال أعظم تراث عرفه تاريخ الفكر الإنسانى، هذا التراث الذى حفظ للإسلام مكانته كمنهل عذب لشتى المعارف والعلوم الإنسانية والذى قام، بدوره الفعال، لا فى نشر الثقافة فحسب بل فى الذود عن الإسلام حيال الذين دأبوا على النيل منه كدين ودولة وتشريع ونظام متكامل . معاً .

* * *

* قراءات : (عودا إلى كتاب الله)

«إلى الكتاب المقـدس الذى لم يصبه تحريف ابداً، لا فى أيدى أصدقائه ولا فى أيدى أعدائه سواء فى ذلك الجهلة منهم والمتعلمون .

ذلك الكتاب الذى لا يبلى، بل يبقى كما أنزله الله على نبيـــه ... ... آخر الأنبياء والمرسلين .

إنه إلى ذلك المنبع النقى سيعود المسلمون فعندما ينهلون مباشرة من هذا الكتاب المقدس، فلن يفشلوا فى العودة إلى نهضتهم القديمة، والشواهد قوية على أن هذه العملية قد بدأت فعلا . » .

من كتاب تفسير الإسلام

للدكتورة لورا فاجليرى

أستاذة الدراسات الشرقية بمعهد ميلانو

محمد عبد الله السمان

باب الفتوى

يقدمه الأستاذ : محمد أبو شادى

(الإجابة للجنة الفتوى بالأزهر)

السؤال من السيد / إسحاق بن عبد الكريم (من أهالى تايلاند)

أوصى شخص لزوجته بربع ماله ولأخويه وأخته الوارثين ببقيته للذكر مثل حظ الأنثيين وبعد أن كتب الوصية المذكورة تزوج بامرأة أخرى وأنجب منها بنتين وابن ، ومات دون أن يعدل عن وصيته - ماحكم الوصية وما حكم الميراث عنه ؟ وذلك وفقا للشريعة الإسلامية .

الجواب :

أما بعد فنفيد بأنه لا تجوز الوصية للوارث إلا إذا أجازها ورثة هذا الموصى وعلى ذلك فالوصية للزوجة الأولى لا تنفذ إلا بموافقة الورثة ، أما وصية الأخوة فإنها جائزة ولكنها لا تنفذ إلا فى ثلث التركة فقط ويحتاج مازاد على موافقة ورثة الموصى ، وما بقى بعد استخراج الوصايا يكون ميراثا للزوجتين منه الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث والباقى لأولاده تعصيبا يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى . والله تعالى أعلم

* * *

السؤال من السيد / ايليا سالم سوداح ص.ب رقم ١٠٠١٦ الأشرفية/عمان/الأردن

حرضت امرأة رجلا على قتل زوجها وقد قام فعلا بقتله ، وقد أدين القاتل بإعدامه وأدينت المحرضة بالحكم عليها بالسجن ٢٥ عاما ، وقد تأيد الحكمان استئنافيا ، وأصبحا نهائيين فهل للزوجة المحرضة على قتل زوجها حق الإرث فى تركته ؟

الجواب :

أما بعد فتفيد اللجنة بأنها ترى الفتوى بمذهب الإمام مالك - رضى الله عنه - فى جعل المحرض على القتل كالمباشر فى المنع من الأرث ، وذلك لأن العلة التى ذكرت لمنع المباشر وهو استعجاله الإرث متحققة فى المحرض .

وبهذا المذهب أخذ القانون المصرى رقم ٧٧ لسنة ١٩٤٣ الخاص بالمواريث حيث نص فى مادته الخامسة « من موانع الأرث قتل المورث عمدا سواء كان القاتل فاعلا أصليا أم شريكا أم كان شاهد زور أدت شهادته إلى الحكم بالإعدام وتنفيذه إذا كان القتل بلا حق ولا عذر ، وكان الفاعل عاقلا بالغا من العمر خمس عشرة سنة كما نص فى المذكرة التفسيرية للقانون المشار إليه « على أنه يدخل فى القتل بالسبب الآمر ، والدال ، والمحرض ، والمشارك ، والربيئة ، وواضع السم » . وبهذا علم الجواب عن السؤال والله أعلم

* * *

السؤال من السيد/ الأستاذ أحمد حسن الفقى سفير جمهورية مصر العربية/ بلندن

هل يجوز ضم المبالغ المتجمعة من زكاة الفطر إلى مبالغ أخرى كانت مخصصة لبناء المسجد والمكتبة الإسلامية بلندن ؟

الجواب :

أما بعد : فقد اطلعت لجنة الفتوى بالأزهر على الاستفتاء المتعلق بصرف زكاة الفطر فى بناء المسجد والمكتبة الإسلامية بلندن .

وتفيد بأن مصارف الزكاة المفروضة فى الفطر أو عن الأموال ثمانية مذكورة فى قوله تعالى « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل » .

وليس فى هذه المصارف الثمانية ذكر صريح للمساجد ، ولكن قوله تعالى «وفى سبيل الله» قد يتسع لشمول المساجد والمكتبات الإسلامية وذلك أن جمهرة من الأئمة قصروا معنى هذه الجملة (وفى سبيل الله) على جهادنا للكفار لإعلاء « كلمة الله » وهو تفسير غير مازم بالاقتصار على هذا المعنى لأن الكلمة أوسع من هذا .

ولذلك ذهب آخرون من الأئمة إلى أن (سبيل الله) معناها كل عمل من أعمال البر التى يدعو إليها الإسلام مما ينفع جماعة المسلمين ويثاب عليه فاعله .

وعلى هذا التوجيه تكون المساجد داخلة فى هذه الأعمال الخيرة .

غير أن الزكاة يقصد منها قصدا أوليا سد حاجة الفقراء والإسهام فى جهاد الكفار

وجمعا بين تفسيرات الأئمة ؛ تحقيقا لمقاصد الزكاة بوجه أشمل ..

ترى اللجنة أنه يجوز أخذ شىء من مال صدقات الفطر للاستعانة به فيما ذكر بالسؤال عن المسجد والمكتبة الإسلامية ويترك من الصدقات شىء للجهاد إن احتيج إليه ، وللفقراء إن وجدوا حتى لا تضيع عليهم مصلحتهم الخاصة فى ضروراتهم المعيشية .

وبذلك يتيسر تحقيق الوجهة الشرعية التى يرمى إليها الأئمة فى تفسير جملة (سبيل الله) والله أعلم .

* * *

الاستفتاء من السيد / الأستاذ محمود يونس خبير شئون الأوقاف بعدن

سألنى شاب صومالى مسلم عن جواز صلاة المسلم بغير اللغة العربية لمن يجهلها ، ونظرا لأهمية هذا الاستفتاء ، فقد أحيل إلى لجنة الفتوى بالأزهر للإجابة عليه وبيان حكم الشرع فيه مع بيان المراجع بشأن هذا الموضوع .

الجواب

أما بعد / فقد اطلعت لجنة الفتوى على سؤال المستفتى ونفيد بأن جمهور أئمة المذاهب الإسلامية على أنه لا يجوز فى الصلاة النطق بتكبيرة الإحرام والفاتحة بغير اللغة العربية ، فالعاجز عن النطق باللغة العربية يجب عليه أن يتعلمها وخاصة قراءة الفاتحة ولو بأجرة لأنها واجبة فى الصلاة فإن لم يفعل مع القدرة لم تصح صلاته لتركه الفرض قادرا عليه .

فإن لم يكن قادرا على حفظ الفاتحة كلها وحفظ ولو آية واحدة منها قرأها وكررها بمقدار قراءة الفاتحة ؛ فإن لم يقدر وقدر على ذكر الله وجب عليه أن يذكر بمقدار الفاتحة ويسن أن يكون هذا الذكر : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . ويكرر بمقدار الفاتحة ، فإن عجز عن ذلك أيضا وقف ساكتا بدون قراءة مقدار قراءة الفاتحة ومثل الفاتحة تكبيرة الإحرام فلا تقال بغير العربية فإن عجز نوى بقلبه الدخول فى الصلاة .

وليس للمسلم أن يترجم القرآن الكريم بلغة أخرى لأن الترجمة عنه تفسير لا قرآن ، لأن القرآن الكريم هو اللفظ العربى المنزل من الله سبحانه وتعالى على سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال

تعالى « إنا أنزلناه قرآنا عربيا،وقال تعالى « بلسان عربى مبين » وترجمة آيات القرآن لا تسمى قرآنا ولا تصح بها الصلاة . وبهذا علم الجواب والله تعالى أعلم ،،[1]

* * *

السؤال من السيد / الأستاذ محمــــد عبد السلام المحامى

على من تكون نفقة صغيرين : والدهما يقضى عقوبة مدتها سبع سنوات فى سجن القاهرة ، مع الإحاطة بأن للصغيرين المذكورين أما وجدا لأم وجدة لأم وجداً لأب ؟

الجواب

أما بعد : فنفيد بأن نفقة هـذين الصغيرين تكون فى مالهما إن كانا موسرين وإلا ففى مال أبيهما إن كان موسرا ، فإن لم يكن موسرا فعلى الأم إن كانت موسرة لقربها ، فإن لم تكن موسرة فتجب نفقتهما على الجدتين بالتساوى بينهمـا لأنهما متساويتان فى الدرجة ومستحقتان فى الميراث ـ عند عدم الأم ـ دون الجد لأم الذى تساوى معهما فى الدرجة ولكنه غير وارث ، فإن عجزتا عن الإنفاق وجبت نفقتهما على الجد لأم .

والله تعـالى أعلم ؟

محمد أبو شادى

---

(١) المراجع :

المذهب المـالـكى : الجامع الصغير جـ ١ صفحة ١٠٤ إلى صفحة ١٠٧ طبعة الحلبى

المذهب الحنبـلى : كشاف القناع عن متن الإقناع جـ ١ صفحة ٢٢٦ .

المذهب الشافعى : الجلال المحلى على شرح منهاج الطالبين وحاشيتى قليوبى وعميرة جـ ١ صفحة ١٤٨ إلى صفحة ١٥١ .

أنباء وآراء

● الإمام الأكبر عضو بالمجمع اللغوى.

تم انتخاب الإمام الأكبر فضيلة الدكتور محمد الفحام شيخ الأزهر عضوا بمجمع اللغة العربية ، أجرى الاقتراع لشغل أربعة كراسى خالية بالمجمع فى ٢٦ من شوال ١٣٩١ - ١٣ / ١٢ / ١٩٧١ . دخل الانتخابات ستة عشر مرشحاً ، فاز منهم اثنان : الإمام الأكبر والأستاذ على السباعى .

● الإمام الأكبر ودعم الثقافة الإسلامية بالشارقة .

استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه فى ٢٦ من شوال ١٣٩١-١٣/١٢/١٩٧١ الشيخ عبد الله المحمودى مدير الأوقاف والشئون الدينية بالشارقة ، تناول الحديث إمكانيات دعم التعاون الثقافى الإسلامى الذى يمكن أن يقدمه الأزهر فى هذا المجال .

● مجمع البحوث الإسلامية والمركز الإسلامى بلندن :

صدر القراران الجمهوريان رقما (٢٩٥٧ ، ٢٩٥٨) فى الثامن من شوال ١٣٩١ الموافق ٢٥/١١/١٩٧١ بإعارة :

١ — فضيلة الدكتور أحمد إبراهيم مهنا مدير البحوث والنشر بمجمع البحوث الإسلامية إلى المركز الإسلامى بلندن ليعمل به نائباً لمدير المركز .

٢ — والشيخ جمال مناع على سليمان .

٣ — والشيخ / السيد متولى أحمد الدرش للعمل بنفس المركز لمدة عامين دراسيين ١٣٩١،١٣٩٢ - ١٣٩٢،١٣٩٣ .

يقوم الشيخان / جمال مناع والسيد الدرش بالتدريس ونشر الثقافة الإسلامية .

● جمعية الجامعات الإسلامية .

تكونت (جمعية الجامعات الإسلامية) برئاسة الأستاذ محمد الفاسى وزير الثقافة والتعليم الأصلى بالمملكة المغربية .

تهدف الجمعية إلى دعم التعليم الإسلامى بالنسبة لعموم الجامعات والكليات

الإسلامية وانعقد آخر اجتماع لها بتونس واشترك فى هذا الاجتماع وفود عن جامعة الزيتونة ، والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وجامعة الأردن ، والجامعة السورية .

● (الفتاوى الشامية) للعلامة ابن عابدين .

أصدرت المكتبة النعمانية بـ (ديوبند) كتاب (الفتاوى الشامية) للعلامة ابن عابدين أحد أعلام المذهب الحنفى ، ويعتبر هذا الكتاب الفريد ذخيرة فقهية قيمة .

صدر الكتاب فى عدة مجلدات .

● مدير الأوقاف بإمارة الشارقة :

زار الشيخ عبد الله المحمودى مدير الأوقاف والشئون العامة بإمارة الشارقة ورئيس وفدها بالجامعة العربية، وفضيلة الشيخ عبد العزيز عيسى مدير المعاهد الأزهرية - فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود وكيل الأزهر بمكتبه صباح الخميس ٢٢ من شوال ١٣٩١ الموافق ٩ / ١٢ / ١٩٧١ ، ثم زاروا جميعا لجنة الفتوى والمكتبة الأزهرية ، واستمعوا لبعض الدروس فى كل من كلية الدراسات الإسلامية والعربية ، ومعهد القاهرة .

● الاتحاد الإسلامى العالمى للمنظمات الطلابية .

بلغ مجموع منظمات الاتحاد الإسلامى العالمى للمنظمات الطلابية أربع عشرة منظمة تضم : اتحاد الطلبة المسلمين فى الولايات المتحدة الأمريكية وكندا واتحاد الطلبة المسلمين فى أوربا واتحاد الطلبة المسلمين فى أسبانيا ، واتحاد الطلبة فى المملكة المتحدة وإيرلندا ، واتحاد الطلبة المسلمين فى نيجيريا ، واتحاد الطلبة المسلمين فى أندونسيا ، ومنظمة الخريجين الإسلاميين وجمعية الطلبة المسلمين فى باكستان ، واتحاد الطلبة المسلمين فى ماليزيا ، واتحاد الطلبة المسلمين فى جزر فيجى ، واتحاد الطلبة المسلمين فى جامعة سنغافورة، واتحاد الطلبة المسلمين فى فرنسا واتحاد جمعيات الطلبة المسلمين فى استراليا ، واتحاد الطلبة المسلمين فى غيانا (أمريكا الجنوبية) واتحاد الطلبة المسلمين فى سيلان .

ويرأس الأمانة العامة للاتحاد حاليا الدكتور أحمد توتونجى ، ويعمل السيد تسنيم عالم أمينا عاما مساعدا ، والسيد مصطفى محمد أمينا ماليا .

وقد انعقد المؤتمر الأول للاتحاد العام بمسجد بلال بمدينة آخن بألمانيا الغربية فى الفترة بين ١٧ ، ٢١ من جمادى الأولى عام ١٣٩١ .

وينتظر أن يكون لهذا الاتحاد مؤتمرات دورية سنوية .

● نشرت جريدة (ال غازيتنبو) الإيطالية أن بولس السادس قد وقع البيان الذى هيأه له المجمع الدينى، خاصا باليهود ، وينص هذا البيان على تنظيم العلاقات بين الكاثوليك واليهود وكانت هذه العلاقات محرمة من قبل .

● إسرائيل وراء مذابح المسلمين فى الفلبين .

أعلن الزعيم الفلبينى المسلم (السيد على يادا بن داتون «Salipada-Penda Tun») رئيس حزب الأحرار المعارض فى مؤتمر صحفى عقده فى (مانيلا) أنه يشتبه فى وجود ضلع لإسرائيل فى التحريض على هذه المجازر .

يمثل السيد داتون إقليم كوتاباتو فى مجلس النواب الفلبينى ، وهو الإقليم الذى تعرض لكثير من هذه المذابح .

● جاء فى العدد الماضى ص (٨٠١) خبر (اعتناق الإسلام بفرنسا) الكلمة التالية : (ولا يقل عدد المسلمين بفرنسا حاليا عن مائتى مليون مسلم) وصواب العبارة (عن مليونى مسلم) .

على الخطيب

●●●

British companies were breaking the monopoly of slave trade.

I give here some statistics :

1 – In 1790 this was about 200,000 slaves in the state of Verginia alone.

2 – Between 1680 and 1700 about 140,000 slaves were exported from the shores of West Africa to America by one Britisa Company called the African Company 160,000 more were carried by other private slave traders.

3 – Between 1700 and the end of 1786 as many as 610,000 Negro slaves were transported to Jamaica alone.

4 – The estimate of slaves arrieved to the West Indies between 1680 and 1686 arrive to a total of about 2,130,000.

5 – Private traders transported during the year 1790 about 74,000 African slaves to the shores of America this is distributed between traders of British 38,000, French 20,000, Dutch 400, Danes 2000, Portugeese 1000, thus about half of the private trade was in the hands of the British.

6 – In Jamaica as an example there were 40,000 African slaves in the year 1690, from that year till 1820 there were imported about 800,000 but the total number of African slaves alive on that date were only 340,000 slaves.

7 – From every 100 slaves transported from Africa : The average 17 died during the first 9 weeks and no more than 50 continued to live after landing on the shores of America and West Indies.

Many captures were thrown out of the ships dead either because of undernourishment or diseases. Some were thrown out alive because of lack of food or water on board the ships.

(to be continued)

that times such situation as robbing the humanity from such human beings as the slaves of land. But on the opposite, the Cristian churches in Europe coped with serfdom of people relating to the land and the property of the church. The Popes and the Churches owned lands with Serfs on them irrespective of the human souls of these serfs and the Christian Church made a lot of profit from the institution of serfdom. And as sarfdom was one of the institutions of feudalism and as the Church itself was turned to a feudal system, then it was not strange to find the Christian Church of Europe backing that regime.

SOME FACTS ABOUT SLAVE TRADE

Before the sixteenth century slave trade was so restricted, and numbers of slaves sold and bought in Markets were not so numerious. But from that time after the discovery of the new world, and little after the begining of the advancement of some societies without that severe kind of serfdom, the slave trader began to create the new system of colonial slavery in which politics interferred to let it become the most severe kind of slavery and the most effective upon the world up to our date in the shape of social discrimination. The slave trade began as we had mentioned with the discovery of the new world as well as with the first journies around Africa to discover a new route to the Far East and Southern Asia. During the Journey of Henery the Navigator in 1442 AD his men captured some Arabs from the coast of Africa and took them as slaves, and this was the begining of the new source of slavery upon which depended modern slave-trade and slavery system. The first Spanish and Portugeese forts were then built along the shore of Africa to capture men and send them to be sold in Spain and Portugal and then transferred to the newly discovered lands of west Indies and the shores of the Americas. Permissions were taken from the King of Spain for providing Slaves to Haiti, Cuba and Jamaica. In these licences the annual number given to some persons arrived sometimes to 4,000 slaves and that was in the first two decades of the 16th century. The monopoly of the trade continued during the sixteenth century in the hands of Portuguese and Spanish traders who also supplied the British colonies in north America with slaves. The Dutch then began to trade in slaves followed by the British and the number of Negro slaves in British colonies multiplied to huudreds of thousands towards the end of the 17th century when

should not possess property of any kind, whatever he gains or aquire is the possession of his master. It was not allowed for a slave to enter in any kind of contract. Masters were prevented to accuse their slaves with crimes at the court but they had all the rights to punish them as they wish. Systematic terrorism was performed by the masters and the government in the Roman Empire in order to supress them and to keep the Free Class far from the dangers of this great number of frustrated class.

Considering the Roman Dependencies in the Mediterranean and in Western and Central Europe the people of this Roman Colonies were all considered subjugated to the Roman people. They had not any rights. Their land were considered the property of the Empire and they have to cultivate and work for Rome. Many of them were captured and transported to Rome to attend the servile class existing there for the pleasure, amusement and service ot the Roman masters.

Slavery as we had mentioned before existed also in Persia, India and amongst the Arabs before Islam, but it took different terms than that of the Greeks and specially Romans.

Slaves were used in most of these societies for domestic works in the houses and palaces of their masters.

The war and invasion were the main sources of slaves, in the world. War Prisoners were taken as slaves and conquered nations were wholly considered as slaves. Capture as a source of slaves was not so widespread before and it began with the coming of the white man to Africa

THE CONTINUATION OF SLAVERY IN THE MEDEAVAL WORLD :

Europe which inherited the culture of Greek and Rome continued practicing the institution of slavery after the decline of the Roman Empire and the Creation of the Mosaic of little states in Europe. And inspite of Charistianity which was passive towards this institution of slavery it was performed with a more severe shape than it was before. In medeaval Europe slavery was transitioned to serfdom. Under this new society slaves became related to the land, not the persons. They became a part of the land, sold with it and transferred with the land upon which they work as the land itself was transferred from person, and so loosing the rest of their humanity and human rights.

Christianity did not consider in

which, as they assume existed then in ancient Egypt. But the reality about this is that the beliefs of the Peoples of ancient Egypt in the Devine Kingdom and that the Kings were the Rulers of Allah on the earth and that the Royal families were related to the Gods, together with the belief in after life, people in thousands voluntarily assisted in building the homes of eternity for their Kings and Gods. They did it with complete free will as a kind of worhipping their gods or sacrificing to them thier fatigue and sweat.

In India and Persia, on the other hand, slaves were used merely in the service of the courts of the Royal families, thus they were little in number.

Comparing this with the Slavery in Greek and Roman Societies we find our two main diffirences.

FIRST : That slaves in Greek and Roman Societies were looked upon as commodity and not as human beings, and irrespective of their souls and human nature, slaves were in the status of complete subjection to their masters. They had not any rights except the right of a minimum existance and not living.

SECOND : That the slave population as we mentioned before was so large that it exceded half of the societies and so it was the real societes of Masters and slaves or in other words human and non human peoples.

From this two main principles all kinds of frustration and cruelity were performed against the slaves who were completely prevented from performing any kind of human rights or even instincts. Any thing they have to do was for the pleasure and enjoyment of the masters who were sadist enough to enjoy the fight to death between their slaves or between a slave and a wild animal for the mere sake of joy and pleasure.

I will not go far in discussing the cruelty of the romans to slaves but is sufficient to say that the Roman Laws had classified slaves (Servus) into two kinds : " Servi Publici " and " Privati " and that meant that all the people in the service of the government were considered (Servi Publici) and those in the service of persons were considered (Privati) and all were considered slaves. That means a complete recognition of the existance of a servile class in the society. The place of this class was also defined in the Roman Law as in complete subjection to the masters and complete rights to use them and treat them according to the masters' will. The slave

Islam, and hiding the real Islamic attitude and objectives towards this inherited regime.

2 – The exageration of the facts about the slave trade performed by some Arabs.

3 – Creating wrongly a great role of Arabs in the slave trade of the fifteenth, sixteenth, seventeenth and eighteenth century and trying to relate some personal misdeeds with Islam itself.

4 – Screening and hiding the facts about the European slave trade and trying to create a humanitarian role for christianity and christian missions.

5 – Writing very short notes about the cruelty and inhumanity of Europeans dealing with slave trade.

6 – Hiding completely the bad effects and results of European slave trade upon the potentialities and development of the continent of Africa which was the most important source of slaves.

These are the general trends in dealing with the subject in the books mostly written by biast writers and effecting the thoughts and attitudes of other writers and intellegentzia who became effected and misled by the original writings of orientalists and western writers.

In this article we are going to discuss in brief some facts that clarify and correct the misunderanding and the bad reputation of the subject of slavery and slave trade.

SLAVERY BEFORE ISLAM :

If we studied the history of the Ancient world we will find out that slavery existed in most of the societies of the world in different shapes. But the most striking shape of slavery was that existing in Greek and Rome. Really slavery existed as an institution in the regimes of other nations, but it was not so severe and barbarious as it was amongst these two nations because the population of slaves in other places of the world was uncomparable with the high percentage of salve population in Greek and Rome, which almost exceeded 50 per cent of the total populations of this two nations.

Slavery existed in Ancient Egypt but slaves were not the property of persons whatever their rank was but they were mere war prisoners who were freed just at the end of the wars and receiving tributaries from the conquered nations.

Also some writers try to deform the shape of religious life in ancient Egypt by assuming that building Pyramids depended mainly on a kind of slavery or serfdom institution

Slavery Between Islam and Western Civilization – A Comparative Study of Attitudes

By : MOHAMMED GALAL ABBAS
Director of Arab Cultural Centre, Kano

INTRODUCTION :

Slavery is a subject of importance specially to all African and Muslim Peoples. Its importance is derived from three main factors :

First : That it was an institution that survived in the world on certain basis up to the revelation of Islam, which changed the attitudes towards this institution.

Second : That the movement of Slave trade during the last four centuries had effected the manpower and development of the Continent of Africa, and then the movement of the abolition was linked with the last stages of colonising this Continent.

Third : That the slavery had a continuation in the contemporary world, still existing in the shape of racial discrimination in U. S. A. and in some countries of Africa.

The voluminous literature written about Slavery and slave trade contains mainly the points of view of western writers intending to defend and screen the sins and misdeeds of European colonial powers during the long centuries when slave trade was performed with the most inhuman, savage and barbarious means.

At the same time orientalists, in their dealing with Islam and Islamic institution, intended to deform the facts about the Islamic attitudes towards slavery.

This writings together with the educational policies of the colonialists had caused a very bad reputation of the subject amongst the educated peoples of Africa and Asia.

This bad reputation did not come directly from the academic literature but it was transmitted through the carricula of education and the manuels used in schools, in which dealing with slavery and slave trade was put in these books according to the following principals ;

1— Introducing the subject with deformed facts about slavery in

11, 137). Malik at Madinah, and al-Auzai in Syria, undertook at the same time a similar task, but they depended on their own solitary knowledge and personal resources. If Abu-Hanifah laid an emphasis on reasoning — notwithstanding the recourse to the Quran and the Hadith as the basis of all law — Malik preferred the usage of the population of Madinah — a twon impregnated with the traditions of the Prophet — to deduction or logical interpretation.

331 — The Quran was "Published" only a few months after the death of the Prophet. The task of the collecting the data on the sayings and doings of the Prophet as well as his tacil approbation of the conduct of his companions — a material which is called Hadith — was undertaken by some persons in the life - time of the Prophet, and later by many others after the Prophet's death. More than a hundred thousand of the companions of the Prophet have left to posterity valuable traditions, basedon whatever they remembered on the subject. Some put them down in writing — over fifty, according to the latest research — and others conveyed them by oral communication. These materials of very high legal value were naturaly dispersed in the three continents when the companions of the Prophet had gone and settled in the time of the Caliphs Umar and Uthman. In the following generations, the researchers compiled treatises, even more comprehensive based on and amalgamating the collections of individual memoirs of the companions of the Prophet.

332 — The evaluation of the case law and the codification of the Hadith were completed as parallel works at the same time, yet each ignored and was suspicious of the other. Ash-shafii was born in the year in which Abu-Hanifah died. Mutual differences or polemics led the jurists to take greater cognizance of the Hadith; and the specialists of Hadith to put in order the data an the sayings and doings of the Prophet, to evaluate the individual merits of the sources of transmission, and determine the context and time of the different sayings the Prophet, for purposes of deducting the law therefrom. Ash - Shafii specialised simultaneously in law and in Hadith and thanks to his high intellectual qualities and his efforts, synthesis was discovered between the two disciplines. Ash-Shafii is the first in world history create an abstract science of law distinct from laws in the sense of rules applied in a country.

(to be continued)

(under Dhu-Nuwas) : Christian domination (under the Abyssinians) followed by the Magian or Parsi occupation of the Iranians, who in their turn yielded place to Islam.

The Yemanites influenced by all these successive interactions and strains, were persuaded once again under Caliph Umar to emigrate to Iraq and populate it, particularly the part Kufah, which was a new town raised beside the old city of Hirah, Umar sent Ibn Masud one of the most eminent jurists from among the companions of the Prophet, to conduct a school there. His successors at the school, 'Alqamah an-Nakhai, Ibrahim an-Nakhai, Hammad, and Abu Hanifa were all, by providential chance, specialists in law. In the meanwhile, Ali, another great jurist among the companions of the Prophet, transferred the seat of the caliphate from Madinah to Kufah. It is not surprising therefore that this town became the seat of uninterrupted traditions, and gained an ever - increasing reputation in matters of law.

330 – The absence of all interference from the governmental authority in the liberty of the opinions of the judges and jurists proved greatly favourable for the rapid progress of this science ; but it suffered from certain inconveniences too. In fact, an experienced and high ranking administrator as Ibn al-Muqaffa complained in his Kitab as Sahaba at the beginning of the second century of the Hijrah, of the enormous quantity of divergences in the Muslim case law, be that penal law, the law of personal status or any other branches of law, particularly in Basrah and Kufah ; and he suggested to the caliph the creation of a suprime institution for the revision of the decisions of the judiciary and the imposition of a single, uniform law in all parts of the realm. The suggestion proved abortive. His contemporary, Abu Hanifah, was jealous of the liberty of science, and solicitous of keeping it aloof from the turmoil of ever-changing politics; and he created, instead, an academy of law.

With its forty members, of whom each one was a specialist in a science auxiliary to law — such as the exegesis of the Quran, Hadith, logic, lexicology, etc. – this academy undertook the task of evaluating the case of the time, and of codifying the laws ; it tried also to fill up the gaps in Muslim law on points on which neither the text nor the precedents of the case law had pronounced any opinion. One of his biographers states that Abu-Hanifaq (D. 150 H.) "had promulgated half a million rules" (cf. al-Muwaffaq,

domain concerned). So, all that does not go against the legislation emanating from the Prophet is permissable, and constitutes good law, the laws and even customs of foreign countries have always served as raw material to the Muslim jurists, in order to detach from them those that were incompatible with Islam, the rest being lawful. This source is perennial.

327 — Another source, surprising perhaps, is the direction given by the Quran (6/90) that the Divine revelations received by the former prophets — and it has named almost a score of them, such as Enoch, Noah, Abraham, Moses, David, Solomon, Jesus Christ, John the Baptist – are equally valid for Muslims. But its range and scope was limited only to revelations, the authenticity of which was proved beyond doubt, that is, those recognised expressly by the Quran or the Hadith to be so. The law of revelation of Pentateuch is an instance mentioned in the Quran (5/45), when it is precisely said : "God has prescribed that on Jews", without adding "and on you".

328 — Only fifteen years after the death of the Prophet, we see the Muslims ruling over three continents, over vast territories in Asia and Africa and in Andalusia in Europe. Caliph 'Umar had judged the Sassanian fiscality to be good enough to be continued in the provinces of Iraq and Iran ; the Byzantine fiscality he found oppressive, and changed it in Syria and Egypt ; and so on and so forth. The whole of the first century of the Hijrah was a period of adaptation, consolidation and transformation. The documents on papyrus, discovered in Egypt, inform us of many aspects of Egyptian administration. From the beginning of the second centuary of the Hijrah, we possess codes of law, complied by private jurists one of the earliest of them being Zaid ibn Ali, who died in 120 H.

329 — The ancients called Yaman "Arabia Felix", — as distinct from Arabia Petra and Arabia Deserta — and not without reason. The physical and other conditions had given it in pre-Christian antiquity an incomparable superiority over other regins of Arabia, as regards culture and civilization ; its wealth, as attested by the Bible, was legendary, and its kindoms mighty. At the beginning of the Cristian era, a wave of emigration had led certain Yamanite tribes to Iraq, where they founded the Kingdom of Hirah, which was celebrated for its patronage of letters, and which continued to exist till the dawn of Islam. In the meanwhile Yaman knew Jewish rule

Judicial System of Islam

By

DR. MUHAMMED HAMIDULLAH

(III)

In fact there were judges and juris-consults, in the time of Prophet, even in the metropolis, not to speak of the provincial administrative centres. We have already mentioned the instructions given to 'Muadh' when he was sent to Yaman as judge. There were cases, when the provincial functionaries demanded instructions from the central government, which also took the initiative and intervened in cases of incorrect decisions of the subordinates, if and when they came to the notice of the higher authority. The order to change or modify the ancient customs and practices, or the Islamisation of the law of the whole country, could take place only gradually, because the judges didnet intervene except in cases brought to their notice; in which the pratics acted, in ignorance of law, according to their convinience, must have been numerous. For instance, a Muslim had been married to his own german sister; when the case was brought to the caliph Umar and he asked the explanation from the person concerned, this latter replied that he did not know that it was prohibited. The caliph separated them and demanded the man to pay damages to his sister, yet he did not inflict punishment on account of fornication or incest.

325 — The death of the Prophet marks the cessation of the Divine revelations which had the force of ordering every law, abrogating or modifying every old custom and practice. Thereafter the Muslim community was obliged to be contented with the legislation already accomplished by the Prophet, and with the means of the development of law authorized by this same legislation. "Development" does not mean abrogation of what the Prophet had legislated, but to know the law in case of the silence of the law.

326 – Of these, the most important were perhaps the following. On several occasions, the Quran (4/24, 5/1) has, after instituting certain prohibitions, expressly added that all the rest was lawful (in the

(Say : We believe in Allah and what has been revealed to us, and what was revealed to Abraham and Ismael and Isaak and Jacob and the tribes, and what was given to Moses and Jesus and to the prophets from their Lord ; We do not make any distinction between any of them, and to Him do we submit. And whoever desires a religion other than Islam, it shall not be accepted from Him, and in the Hereafter he shall be one of the losers). 3 : 84 - 85

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون» آل عمران ١٠٢

(O you who believe ! Fear God as He should be feared, and die not unless you be Muslims). 3 : 102

« . . . اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا. . » المائدة ٣

(. . . This day have I perfected for you your religion and completed My favour on you and chosen for you Islam as a religion. . .) 5 : 3

« وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون» الزمر ٥٤

(And return repentant to your Lord, and resign yourselves to Him before there comes to you the chastisement, then you shall not be helped). 39 : 54

« قل إنى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءنى البينات من ربى وأمرت أن أسلم لرب العالمين » . غافر ٦٦

(Say : Verly I am forbidden to worship what you call on beside Allah, since there have come to me manifest signs from my Lord, and I am bidden to be resigned unto the Lord of worlds). 40 : 66

« ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين » فصلت ٣٣

(And who speaks better than he who calls to Allah while he himself does good, and Says : I am surely of those who submit ?) 41 ; 33

« إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً » . الفتح ١٠

(Surley those who swear allegiance to thee do but swear allegiance to Allah ; the hand of Allah is above their hands. Therefore whoever breaks (his faith), he breaks it only to the injury of his own soul, and whoever fulfils what he has covenanted with Allah, He will grant him a mighty Reward) 48 : 10

RESIGNATION TO GOD'S WILL-ISLAM

« بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » . البقرة ١١٢

(. . . Whoever submits himself entirely to Allah and he is the doer of good entirely (to others) he has his reward from his Lord, and there is no fear for them nor shall they grieve). 2 : 112

« شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ، إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب » . آل عمران ١٨ ، ١٩

(Allah bears witness that there is no God but He, and (so do) the angels and those possessed of knowledge, being maintainer of justice ; there is no god but He, the Mighty, the Wise. Surely the (true) religion with Allah is Islam. . .) 3 : 18-19

« ... وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد » . آل عمران ٢٠

(. . . And say to those who have been given the Book and to the unlearned people. Do you submit yourseleves ? So if they submit, then indeed they follow the right way ; and if they turn back, then upon thee is only the delivery of the message and Allah sees (His) servants). 3 : 20

«قل أمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ، ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » .

آل عمران ٨٤ ، ٨٥

The Duties of Believers Towards God
— In Verses From the Quran —

— II —

FULFILMENT OF GOD'S COVENANT

« الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه
ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون
فى الارض أولئك هم الخاسرون» . البقرة ٢٧

(Who break the Covenant of Allah after its confirmation and cut asunder what Allah has ordered to be joined, and make mischief in the land; these it is that are the losers). 2 : 27

« ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن
حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان
بالقسط لا نكلف نفساً إلا وسعها وإذا قلتم
فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا
ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون » .
الانعام ١٥٢

(And do not approach the property of the orphan except in the best manner until he attains his maturity; and give full measure and weight with justice — We do not impose on any soul a duty except to the extent of its ability; and when you speak, them be just though it be (against) a relative, and fulfil Allah's covenant; this He has enjoined you with that you may be mindful). 6 : 152

« الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون
الميثاق » . الرعد ٢٠

(Those who fulfil Allah's Covenant and break not the compact.....) 13 : 20

« وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا
تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله
عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون » .
النحل ٩١

(And fulfil the Covenant of Allah when you have made a covenant, and do not break the oaths after making them fast, and you have indeed made Allah a surety for you; surely Allah knows what you do). 16 : 91

the heart of the world, as it situated at the cross-roads of both land-bridges and seaways. The Holy land of Mecca was not only easily attained from all parts of the middele east, but also easily accessible for pilgrims from the different parts of the world. No wonder therefore that Islamic civilization was able to attain it unity of pattern over such a wide belt across the world. The conception of middleness goes far beyond the idea of simple geographical or geometrical centrality in the old world, but also Islam itself has bestowed another deeper sense of moderation that added to the idea of centrality between other nations.

While developing its own power of adaptability through its moderation, Islam was able to maintain its originality and its purity. Thus the fact that Islamic community was an open one, which allowed for the integration of racial elements, made Islamic civilization a non-discriminating one. It is another historical fact that Islam was really not spread by the sword, as is often argued. The use of force is a clear contradication to the very fundamental principle of Islamic faith. The spread of Islamic culture and civilization widely during a phase of political and military weakness of the Muslim communities is indeed a historical phenomenon almost unique to Islam.

As a creed, Islam has proved its immense power of survival under all conditions. It is a creed which implies that members of its community should work for both their present life and their future life after death. This is the best safeguard for a balanced life. The first important feature of Islamic civilization is the fact that its distinquishing characteristics spring from a Divine Guidance. This guidance supplies it with spirit, strength and coherence. It also directs to a just balance between spirit and body, mind and matter. The other important feature of this civilization is its universality and wide-tolerance. It is not a civilization of one particular nation, region or race but it is a human civilization.

irrespective of linguistice, racial, political or geographical differences, is the key-note of the social structure in Islam : The basic organism of its social structure is the family, built on love, compassion and mutual co-operation and faithfullness.

The cooperation of all classes of the society in the interest of the whole community, the efficient and loyal dischargining of responsibilities are the important directives of the teachings of Islam in the core of its social system. Islam is a religion of reason. The cultural starting point of the Islamic civilization is the search for knowledge from all possible sources. The employment of reason in discovering the mysteries of the universe and in mastering natural resources for the benefit of mankind is also one of the main factors of the Islamic civilization.

Now we can proceed to study some aspects of the economic system defined in the teachings of Islam. The economic system of it built on mutual benefits, regarding wealth as a means and not an end, and respect for individual ownership, provided it is not exploitative nor prejudicial to public interest. Islam disapproves of both extravagance and hearding of wealth, and the withholding of money from production and investment.

We have to recall that the simplicity preached by Islam, helped towards its radiation in a variety of environment. It was able to develop a certain degree of adaptability which did not touch its entirety. The open-mindedness of Islam was another source of impression and strength. When the followers of the Prophet spread from the original home land they found peoples and cultures of other patterns. By using reason and conscience they were able to appreciate these cultures and to attain compromise, and they were able to absorb older cultural patterns and give them its own outlook. In this way the Muslims became the unifiers of cultural and civilizational complexes that could not otherwise have attained unity of human outlook. Islam was the most moderate element that could bring together, in fraternity and peace, all other elements of humanity. Because the nation of Islam, as ordained by God, is a nation of mankind as a whole, irrespective of colour, racial affinity or historical prejudice.

Another important pattern of the Islamic civilization is the middleness of its nation. The sense of unity amongst Muslims was indeed fostered and promoted by the geogra phical cituation of Arabia, cradle land of Islam. The geographical situation of Arabia gave it a special place in

// MAJALLATU'L AZHAR
(AL - AZHAR MAGAZINE)
MANAGER :
ABDUL RAHIM FŪDA

Dhul'ul Qa'deh 1391	ENGLISH SECTION	DECEMBER 1971

Islam And Human Civilization

By
Dr. Mohiaddin Alwaye

Islam Came as a real and total revolution in human life. This revolution covered both the spiritual and material aspects of life of the individual and society. By its very nature, Islam aimed at the development of life and civilization, on the basis of faith and moral values. It meant a religion for this life as well as for the other one.

In other words Islam is a religion for humanity whose mission is to build up life and civilization. As a religion of humanity Islam has some distinguishing factors that help to understand the achievement of its mission in the field of human civilization. The following are main sources of strength and distinction in the build-up of Islamic life and civilization :

The main pillar of the Islamic system is the belief in the existence of God and His Oneness, and the upholding of His Commands and Guidance in both individual and social life. According to the teachings of Islam, the belief without action and behaviour in obedience to the precepts of religion is a deficient one. A Muslim who does not respect the dignity of man, irrespective of colour, race or creed is not a true Muslim. Islam insists on the equality of all before God, on respect for the essential human rights, and on the peaceful co-existence between all communities and nations.

The basic principle of its moral system is the purity of conscience and the goodness of intention. The sense of fraternity between individuals,

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
« بدل الاشتراك »
٥٠ قرشاً في الجمهورية العربية المتحدة
٦٠ قرشاً خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

الجزء العاشر — السنة الثالثة والأربعون — ذو الحجة سنة ١٣٩١ هـ — يناير ١٩٧٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم

على الطائر الميمون

للأستاذ عبد الرحيم فودة

هذه كلمة تقال للمسافر، دعاء له بالأمن واليمن، وتفاؤلا بالخير في ذهابه وإيابه وليس أجدر بها وأخلق ممن يرحل إلى أحب أرض الله إلى الله وإلى رسوله، ليحج بيته الحرام، ويعود بالأجر والغنيمة كما قال - صلى الله عليه وسلم - : (هذا البيت دعامة الإسلام ؛ فمن خرج يؤم هذا البيت من حاج أو معتمر كان مضمونا على الله إن قبضه أن يدخله الجنة وإن رده رده بأجر وغنيمة) .

فهذا الحديث يفهم منه أن هذا البيت من الإسلام بمنزلة العماد من البناء، وأن الله ضمن لمن يقصده بحج أو عمرة أن يدخله الجنة إذا مات، وأن يرده بالأجر والخير إذا عاش، ولا شك أن ذلك عهد مأمون مضمون من الله (ومن أوفى بعهده من الله) وقد روى عن النبي - كذلك - من الأحاديث ما يغرى المؤمنين بالحج والعمرة، ويثير في نفوسهم الشغف بهما والشوق اليهما . والحرص عليهما، ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : الحجاج والعمار وفد الله، إن دعوه أجابهم، وإن استغفروه غفر لهم، وقوله - صلى الله عليه وسلم - : (تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير خبث

الحديد والذهب والفضة ، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة .

ومعنى هـذا أن الحج والعمرة تصفو بهما النفوس كما تصفو المعادن بتخليصها من كل ما يشوبها ويعيبها ، وهذا المعنى يلتقى مع ما يفهم من قوله عليه الصلاة والسلام : (من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه) .

ولا شـك أن أعمال الحج ومناسكه وقرباته وحرماته تزيـل عن النفوس صدأها وتذيب منها ماعلق بها من أوضار وتعود بهـا إلى فطرتها السوية النقية ، إذ يتجرد الحجيج من كل ما يصلهم بشواغل الدنيا ، ويقبلون على الله جموعا تذكره وتشكره وتستغفره ، ويذكرون بهذا البيت ، وبالصفا والمروة إلى جانبه وبالمناسك والشعائر من حوله ، ما يوثق صلتهم بالله ، وثقتهم برحمته ، وإيمـانهم بعدله وفضله .

ذلك لأن هـذا البيت أقـدم وأعظم بيوت الله ، وقد قرن الله به اليمن والأمن والخير حيث قال: «فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف» وجعله وما حوله حرما آمنا، كما يقول: «أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم» ، وقد رفع قواعده إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، وحماه الله ممن حاولوا هدمه وصرف أنظار الحجيج عنه، فأهلكهم دونه كما يقول: «ألم يجعل كيدهم فى تضليل . وارسل عليهم طيرا أبابيل. ترميهم بحجارة من سجيل. فجعلهم كعصف مأكول» فهو لذلك ـ ولأكثر من ذلك ـ أحق مكان بأن يتجه إليه المؤمنون فى كل صلاة كما يقول الله : «ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمـون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون» ، ومن ثم كان حجه تتويجا لهذا الاتجاه الذى أمر به الله كما يفهـم من قوله : «ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا» .

وقـد سماه الله البيت العتيق أى القـديم الكريم حيث قال : «لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق» ونسبه إليه تكريما له وتعظيما لشأنه حيث قال : «وعهـدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود» واستجاب دعاء إبراهيم وإسماعيل

عنده حين كانا يرفعان قواعده ويقولان: «ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم. ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم» ..

ومن ثم يجب أن يذكر المسلمون قيمتهم وقيمة الدين الذى أنعم الله به عليهم، وقيمة المقدسات التى آلت إليهم، وأن يذكروا ماذكره الله فى آخر سورة الحج حيث قال: «يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون. وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير».

ليذكروا ذلك ويذكروا معه أن المسجد الأقصى قبلتهم الأولى، وأن الله قرنه بالمسجد الحرام حيث قال: «سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى»، وجعله وما حوله كما يقول «الذى باركنا حوله»، فعليهم أن يجاهدوا فى الله حق جهاده لتطهيره من أعداء الله وأعداء دينه، والله غالب على أمره، وهو القاهر فوق عباده «ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز».

عبد الرحيم فودة

قال تعالى:

«الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب». (البقرة: ١٩٧)

مسئولية الإنسان عن نفسه فى نظر الإسلام

للأستاذ أبو الوفا المراغى

عن معاذ بن جبل ـ رضى الله عنه قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : (لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال : عن عمره فيم أفناه ؟ وعن شبابه فيم أبلاه ؟ وعن ماله من أين اكتسبه ؟ وفيم أنفقه ؟ وعن علمه ماذا عمل فيه ؟

رواه البزار والطبرانى بإسناد صحيح .

الإنسان مخلوق ممتاز ليس كغيره من المخلوقات ، فله أسجد الله الملائكة ، وسخر له ما فى السموات ومافى الأرض ولن يكون كذلك دون أن تكون له رسالة جادة هادفة ، ورسالته فى إجمال : أن يعرف ربه ويعبده ، ويعرف به ويدعو إلى توحيده وعبادته ، ويكشف عن سنن الله فى الوجود وأسراره وحكمه فى الوجود وأن يتعاون مع بنى نوعه فى استعمار الأرض والاستمتاع بما خلق فيها من متاع وجمال ، فى تعاطف وتعاون دون أثرة ولا أنانية ؛ ليصل بذلك إلى ما قدر له من خير فى الدنيا والآخرة .

وقد هيأه الله لرسالته بما فضله به على كثير من خلقه ومنحه ، مايحتاج إليه فى أداء رسالته ليقطع عذره ويسقط احتجاجه ، وزوده بوسيلتين تكمل إحداهما الأخرى : زوده بالعقل وهو طريق إلى العلم غير المحدود ، وبالشرع وهو المهذب للسلوك ، والراسم للحدود وبالعقل يفهم الشرع ، وبالشرع يصان العقل عن الزيغ والضلال ، وبهما استبان الرشد من الغى ، والهدى من الضلال ، وأصبح الإنسان موضع المسئولية والمؤاخذة .

والإنسان فى رحـــلة حياته فى سفر غايته الآخرة ، وفى امتحان نتيجته السعادة أو الشقاء ، وكما قال تعالى : « الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور » .

وعمر الإنسان هو الفترة الزمنية

التى قدر الله أن يعيشها فى الدنيا وسواء كانت طويلة أم قصيرة ، فهى على كل حال مجال تقلبه فى الدنيا كادحا بفكره وجسمه يمارس ما لا يحصى من الأعمال ويدبر ويفكر فيما لا يحصى من الشئون ابتغاء قوته ولذته وسعادته ، وهو فى سبيل ذلك يعامل من يشاء من الخلائق ويعاشر ويصادق من شاء من الناس ، والمعاملات سواء بالبيع أم الشراء أم الاستصناع أم المزارعة أم بالخلطة والمعاشرة لها جانبان : من العدل والإنصاف أو الظلم والإجحاف وهو مطالب بحكم العقل والشرع أن يكون رقيبا على نفسه يمسك ميزان الحق بيده هو فيأخذ ماله ويعطى ما عليه وهذا ؛ امتحان الدنيا الذى يختبر فيه الإيمان وتمتحن فيه العزائم والقلوب ويعرف به مكان المرء من ربه ودينه .

وللمعاشرة جانبان : من الأمانة والخيانة ومن الرقة والغلظة ومن الرقة والسماحة والعفو والمغفرة ، والعقوبة والانتقام وهو مطالب ـ بحكم العقل والشرع ـ أيضا إن يختار خير الجانبين وأفضل الأمرين :

« ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم : وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم »

وقد يغطى الهوى والشباب والجهل والقوة والثروة والجاه والرياسة والسلطان على عيون بعض الناس فتصرفهم عن الاستجابة لداعى العقل والشرع وعما رسمه لهم من الحدود ؛ فيصبحون فى غفلة عن مصائرهم ومقدراتهم ، « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه » .

ولهؤلاء مساق النذر فى القرآن الكريم وفى السنة المطهرة مذكرة ومنبهة ويجىء منها مثل قول الرسول فى حديثنا هـذا : لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال : عن عمره فيم أفناه ألخ ففى هذا الحديث إنذار إجمالى لسؤال الإنسان عن عمره فيم أفناه .

يعنى ماذا عمل فى عمره ؟ هل قضاه فى الجد وفيما ينفع الناس ويرضى الله ؟ أو قضاه فى اللهو واللعب ؟ وهل كان نشاطه فى حدود ما رسم له فى علاقته بالله وفى معاملاته للناس ، وهل جعل إلهـه هواه فضل عن الله ؟ أو تفتح قلبه فقهر الشيطان

فكان من جنـد الرحمن ؟ ؟ ذلك ما هو مسئول عنه ، وخلاصته أنه مسئول عما صدر عنه ومحاسب على ما كسبت يداه ؛ « وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين » .

ولمـا كان فيما أنعم الله به على الإنسان نعم جليلة تستوجب مزيداً من الشكر ، وأن يحسن فيها التصرف ، وتستخدم فيما أراد الله أن تستخدم فيه ؛ لتؤتى ثمارها فى إصلاح حال الفرد وحال الجماعة خص النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ الإنسان من أجلها بإنذار خاص على كل منها ، ليزداد التنبه إلى عظم المسئولية عنهـا ، خصه بالإنذار بالسؤال عن ماله من أين جاءه ؟ ومن أى الطرق حصل عليه ؟ وفيم أنفقه ؟ وفى أى الوجوه استخدمه ؟ وعن علمـه ماذا كان شأنه فيه ؟ وعن شبابه : ماذا عمل به

والحق أن هذه النعم الثلاث نعم جليلة ربمـا كانت أجل النعم على الإنسان وبتوافرها وبحسن استخدامها يتوافر للمرء وسائل النجاح والصلاح والفلاح . ومن النعم التى خصها الحـديث بإنذار مستقل نعمة المـال ، ولا شك أن المال من أجل النعم ومكانه فى الحياة مكان الروح من الجسد ، فيه تستقيم حياة الفرد ضروريا وكماليا كما تقـوم عليه شئون الجماعة ، وقد جعله الله قياما للناس حيث قال جل شأنه : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لـكم قياما » ، وكما قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « نعم المال الصالح للرجل الصالح » .

وهو الوسيلة إلى المطالب والرغائب ، لذا كان حبيب الروح ومعشوق الناس منذ وجد الناس ، ولخطر المال وشغف الناس به والتـكالب على جمعه خصه الرسول بإنذار مستقل كما أسلفنا ، وكان حديثه عنه من جوامع كلمه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد أوجز الحديث عن شئونه كلها على تشبعها وتشتتها فى كلمات ؛ حيث قال : عن ماله من أين اكتسبه ، وفيم أنفقـه ؟ فتلك الكلمات تلخص شئون الاقتصاد كلهـا ، فالاقتصاد جمع وإنفاق واستثمار وصرف وكل من الجمع والإنفاق محفوف بالمخاطر فسبيل الجمع محفوف بمخاطر الجشع والظلم والخيانة والانتهاب والسرقة والخـــداع والغش والرياء والإرباء واستغلال ضوائق الناس وسبيل الإنفاق

محفوف بمخاطر الشح على النفس والأهل والجماعة والبذل فى الشهوات المحرمة وبالتفاخر والتطاول والبطر والرياء والاستعانة به على البغى والعدوان، وقد حرص الإسلام على أن يضع لشئون المال - جمعا وإنفاقا - قواعد واضحة تقى المسلم مخاطر كل من الطريقين ومكانهما أبواب المعاملات من كتب الحديث والفقه.

من الإرشادات الإلهية فى المال لفت نظر الإنسان إلى أن المال الذى بيده ليس ملكا له على الحقيقة وإنما هو مال الله استخلفه فيه فينبغى أن ينفقه فيما أراد مالكه كما قال جل شأنه: «وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير»، ومن الإرشادات النبوية قوله صلى الله عليه وسلم: (الدنيا خضرة حلوة، من اكتسب فيها مالا من حله وأنفقه فى حقه أثابه الله عليه وأورده جنته، ومن اكتسب منها مالا من غير حله وأنفقه فى غير حقه أحله الله دار الهوان).

والشباب ربيع الحياة وأطيب فترة فيها لا يقدره إلا من فرغ شبابه وأخذ يتحسر على فراقه، وما كان يتأتى له فيه من لذة ومتاع، لذا فهو من أجل نعم الله على الإنسان، إلا أنه مع ذلك مرحلة الجهل والطيش والنزق والغرور، سيما إذا توافر معه الفراغ والثراء فإذ ذاك تحوطه المخاطر وتحتف به المزالق.

إن الشباب والفراغ والجدة
مفسدة للمرء أى مفسدة

لذا نبه الإسلام إلى انتهاز فرصته واستغلاله ليعمل الشاب وهو قوى ما سيعجز عنه حين تهن قوته وتضعف منته، ومما أثر فى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (خذ من شبابك لهرمك) ومن قوتك لضعفك، ومن صحتك لمرضك) وممن خصهم الله بمزيد من فضله يوم القيامة سبعة، منهم شاب نشأ فى عبادة الله، إن للشباب ثورة وله شرة وتعوز الشاب التجربة والخبرة والقيم، والقيم فى نظره موضع بحث لا يعترف بها حتى يحس أثرها فى نفسه وفيمن حوله، وقد يكون ذلك بعد فوات الأوان، فالشباب أحوج ما يكونون إلى الإنذار بالوعيد والتنبيه إلى المصائر والشباب إما قوة بناءة معمرة وإما قوة هدامة مدمرة وإنه كما قال صلى الله عليه وسلم.

(الشباب شعبة من الجنون) وكما قيل قديما :

إن الشباب والشعر الأسود
ما لم يعاص كان جنونا

أما العلم فإن النعمة فيه ظاهرة والفضل فيه معروف ، والاشتغال ببيان مزاياه اشتغال بالفضول من الكلام، ويكفى فى بيان مزاياه أن نعلم أنه هو الفارق بين الإنسان والحيوان وأنه ، النور الهادى فى ظلمات الحياة والدليل الصادق إلى الحق وإلى الطريق المستقيم ، وأن يقول الله فى العلماء «هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون»

والإنسان مسئول عن العلم تعلما وتعليما مسئول أن يتعلم ومسئول أن يعلم غيره ما هو فى حاجة إليه ، وأبغض الناس إلى الله عالم ضن بعلمه على الناس ومن كتم علما يحسنه ألجم بلجام من نار يوم القيامة

وليس للتعلم ولا للتعليم حدود فكل ما جاءت به الشرائع أو جادت به القرائح وأصلح من أحوال الناس حق على المسلم أن يتعلمه ويعلمه .

والعلم كما يكون نورا يضىء فقد يكون نارا تحرق ، وهو فى عقول الأخيار نور يضىء وفى أيدى الطغاة والأشرار نار تحرق .

وأول مسئوليات العالم عن علمه أن يعمل بما علم ليكون قدوة بعلمه وعمله وويل لعالم لم ينفعه علمه و «كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون» كما قال القرآن الكريم وشر الناس عند الله عالم لم ينفعه الله بعلمه كما قال صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله يستعيذ بالله من علم لا ينفع ودعاء لا يسمع وقلب لا يخشع وبطن لا تشبع .

وجملة القول فى معنى الحديث أنه إنذار للمسلم بأنه مسئول عن عمله فى حياته إجمالا وعما خوله الله له من نعم المال والشباب والعلم بوجه خاص لأنها نعم جليلة تستوجب الشكر عليها وحسن التصرف فيها ، وجعلها وسيلة إلى السعادة فى الأولى والآخرة .

أبو الوفا المراغى

●●●

عيد النحر وأحكام الأضحية

للأستاذ مصطفى الطير

قال تعالى « وفديناه بذبح عظيم » - ١٠٧ - الصافات

قال تعالى « فصل لربك وانحر » - ٢ - الكوثر

رأى إبراهيم عليه السلام ليلة الثامن من ذى الحجة من يناديه : يا إبراهيم إن الله يأمرك بذبح ابنك ، فلما أصبح روى فى ذلك ولم يتعجل بذبحه فى ذلك اليوم الذى سمى من أجل ذلك يوم التروية .

وكان سبب ترويه وتأنيه شكه فى هذا الذى رآه فى منامه ، أهو أمر من الله تعالى ، أم حلم من الأحلام القابلة للتأويل ،وفى الليلة الثانية تكررت الرؤيا فأدرك أنها من الله ، وعرف بتكرارها أنها مطلوبة التنفيذ بذاتها ، فلهذا سمى يومها التالى لها يوم عرفة ، وهو اليوم التاسع من ذى الحجة .

وتكررت الرؤيا فى الليلة الثالثة ، فتأكدت المعرفة ، وأصبح على نية التنفيذ ، ثم صارح إبراهيم عليه السلام ولده بما رأى قائلا : « إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى » ، وذلك ليعرف رأيه فيما أمره الله به ، ولكيلا يفاجئه بهذه المحنة الرهيبة .

ومع أن الذبيح كان غلاما فقد كان ناضج الرأى عريق الإيمان ، فلهذا قال لأبيه « يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين » .

ولما سمع الخليل إجابة صغيره ، توجه به إلى حيث يذبحه عند الصخرة بمنى ، وقيل فى المنحر الذى يذبح فيه اليوم ، وعندئذ أضجعه على جنبه ، وجعل جبينه إلى جهة الأرض ليتيسر الذبح ، وذلك كالذى يصنع فى ذبح الشاة ، والجبين أحد جانبى الوجه ، فإن للوجه جبينين .

ولما أمسك بالسكين ليذبح ولده ،

وبلغت المحنة ذروتها ، تفضل الله برحمته عليهما ، وفدى الغلام بذبح عظيم ، فذبحه إبراهيم عليه السلام بدلا عن غلامه ، ووقاه الله بذلك ألم الفجيعة على ولده ، وفداحة ذبحه له بيده ، وفى ذلك يقول الله تعالى : « فلما أسلما وتله للجبين . وناديناه أن يا إبراهيم . قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزى المحسنين » . إلى قوله : « إنه من عبادنا المؤمنين » .

وبذلك سنت الأضحية فى عاشر ذى الحجة ، مشاركة للخليل فى فدائه ، وشكراً لله تعالى على نعمة الفداء لهذا الذبيح الكريم .

والراجح أن الذبيح هو إسماعيل وليس إسحاق عليهما السلام ، لأنه بالإجماع هو الذى وهبه الله تعالى لإبراهيم عليه السلام عقب هجرته لقومه . بعد ما ألقوه فى النار فكانت عليه بردا وسلاما ، وجاءت قصته عقب قصة هجرته وهبته ، وإليك مساق القصة فى الصافات : «قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه فى الجحيم ، فأرادوا به كيدا فجعلناهم الأسفلين ، وقال إنى ذاهب إلى ربى سيهدين ، رب هب لى من الصالحين ، فبشرناه بغلام حليم ، فلما بلغ معه السعى قال يابنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى » وبقية نصوص القصة مرذكرها ، ثم أتبع الله هذه القصة فى سورة الصافات أيضا بالبشارة بإسحاق ، وفى ذلك يقول الله تعالى « وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين » فالبشارة بإسحاق معطوفة على البشارة بهذا الغلام الذبيح الذى ذكرت قصته قبل البشارة بإسحاق ، وذلك يدل لمن له ذوق سليم على أن إسماعيل هو الذبيح وليس إسحاق كما قيل .

(الأعياد من طبائع الأمم)

من طبائع الأمم أن تتخذ لها أعيادا تستريح فيها من متاعب الحياة وهمومها ، وتجدد نشاطها وتستعيد همتها وعزيمتها ، فتنطلق فيها على سجيتها فى بهجة وانشراح متحللة من جميع الأعباء والتكاليف التى أرهقتها .

والناس فى الابتهاج بالعيد ضربان ، فمنهم مقتصد فى ألوان المرح والغبطة ، مقتصر على مالا يخل بالمروءة ، ومنهم مسرف فيها ، فلا يدع مقدورا عليه إلا فعله ، وإن أخل بالمروءة وخدش الكرامة .

ولما شرف الله أهل المدينة بالإسلام كان لهم عيدان : النيروز والمهرجان ، فعيد النيروز : أول يوم تتحول فيه الشمس إلى برج الحمل ، ويكون عادة فى شهر (برمهات) ، وهو أول السنة الشمسية ، وعيد المهرجان : أول يوم تتحول فيه الشمس إلى برج الميزان ، ويكون فى شهر (توت) وهما يومان معتدلان فى الحرارة والبرودة ، يستوى فيهما الليل والنهار ،

وكانت أعيادهم قبل الإسلام تتم بالطابع الجاهلى فى بهجتهم وانشراحهم ، فلما قدم الرسول إلى المدينة ، وعلم بعيديهم وعاداتهم فيهما قال لهم : « إن الله تبارك وتعالى أبدلكم بهما خيرا منهما ، يوم الفطر ويوم النحر » وكان اختيار يوم النحر لأنه هو اليوم الذى نجى الله فيه إسماعيل عليه السلام من الذبح ، فناسب أن يكون يوم عيد لذلك ، كما أن فيه الفرحة الكبرى بحج بيت الله الحرام ، من قوم هجروا أوطانهم القريبة والبعيدة ، واغتربوا عن أهليهم وألوان متعهم ليؤدوا فريضة الإسلام ، فناسب أن يشاركهم من لم يحجوا فى فرحتهم ، فاعتبر عيداً للجميع

(اللهو فى الأعياد)

يتحتم على المسلمين أن لا يخرجوا فى ابتهاجهم بالعيد إلى المجون العابث الذى كان عليه الناس قبل الإسلام ، فعليهم أن لا يفرطوا فى واجب ، وأن لا يغشوا شيئا من المنكرات .

ويباح لهم اللهو البرىء الخالى عن ذلك ، فقد روى الإمام أحمد فى مسنده عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت « دخل علينا أبو بكر يوم عيد وعندنا جاريتان تذكران يوم بعاث ، يوم قتل فيه صناديد الأوس والخزرج ، فقال أبو بكر : عباد الله أمزموز الشيطان ، قالها ثلاثا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أبابكر إن لكل قوم عيداً ، وإن اليوم عيدنا » وكانت الجاريتان تضربان بالدف كما فى رواية أخرى لهذا الحديث .

والجارية : هى الأنثى قبل البلوغ ، كما أن الغلام : هو الذكر قبل البلوغ ، وإحدى هاتين الجاريتين كانت لحسان بن ثابت .

ويوم بعاث : هو يوم جرت فيه الحرب بين الأوس والخزرج فى الجاهلية ، وكان النصر فيه للأوس وبعاث اسم لحصن للأوس ، واستمرت الحرب بينهما مائة وعشرين

سنة قبل الإسلام ، ثم زالت بعد أن شرفهما الله بالإسلام ، وفى ذلك يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم « لو أنفقت مافى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم »

(تشريع البر فى الأعياد الإسلامية)

تمتاز الأعياد الإسلامية بتشريعات تستهدف البر بالفقراء والمحتاجين ، والعطف على الأرحام والأرامل والأيتام فعيد الفطر يقترن بتشريع زكاة الفطر ، وعيد النحر يقترن بتشريع نحر الأضحية وكلاهما للبر بالمعوزين والتوسعة عليهم فى وقت أعده الله للفرح والغبطة للجميع ، وقد تعطلت فيه الأعمال وموارد الأرزاق للكادحين .

(الأضحية وأحكامها)

شرعت الأضحية بفعل النبى صلى الله عليه وسلم وقوله ، فأما فعله فهو مارواه البخارى ومسلم وغيرهما عن أنس قال: ـ والنص لمسلم ـ « ضحى النبى صلى الله عليه وسلم بكبشين أملحين أقرنين ذبحهما بيده وسمى وكبر ووضع رجله على صفاحهما » زاد البخارى قول أنس « وأنا أضحى بكبشين » وروى الترمذى « أن النبى صلى الله عليه وسلم أتى بكبش فذبحه بيده ، وقال بسم الله والله أكبر هذا عنى وعمن لم يضح من أمتى » أى من غير القادرين ، وهناك غير ما تقدم من الروايات فى فعله صلى الله عليه وسلم .

وأما قوله فقد جاء فيه مارواه الترمذى « أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ماعمل ابن آدم من عمل يوم النحر ، أحب إلى الله من إهراق الدم ، إنها لتأتى يوم القيامة بقرونها وأشعارها وأظلافها ، وإن الدم ليقع بمكان من الله ، قبل أن يقع على الأرض ، فطيبوا بها نفسا » إلى غير ذلك من الروايات .

والمقصود من إهراق الدم التضحية للتوسعة على أهل البيت والبر بالمحتاجين وذوى القربى ، وليس إهراق الدم لذاته والأضحية ـ كما قال الشافعى ـ سنة على كل من وجد السبيل من المسلمين من أهل المدائن والقرى ، وأهل السفر والحضر والحاج بمنى وغيرهم ، ممن كان معه هدى ومن لم يكن معه هدى . ا هـ

وكونها سنة للحاج هو الثابت فى الصحيح ، فقد روى البخارى ومسلم (أن النبى صلى الله عليه وسلم ضحى

فى منى عن نسائه بالبقر) فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم حين ضحى حاجا مع زوجاته .

ومع كونها سنة عند الشافعى فهى سنة كفاية فى حق أهل البيت الواحد ، فإذا ضحى أحدهم حصلت سنة التضحية فى حقهم ، وعلى هـــذا حمل ما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم (ضحى بكبشين، قال : اللهم تقبل من محمد وآل محمد) قاله الرافعى .

ويدل لكونها سنة كفاية أيضا مارواه مالك فى الموطأ عن أبى أيوب الأنصارى قال : (كنا نضحى بالشاة الواحدة ، يذبحها الرجل عنه وعن أهل بيته ، ثم تباهى الناس بعد فصارت مباهاة) وبكونها سنة كفاية قال الجمهور ، ومنهم أبو بكر وعمر وبلال ومالك وأحمد وأبو يوسف وداود وغيرهم .

وقال أبو حنيفة والليث بن سعد والأوزاعى : الأضحية واجبة على الموسر ، إلا الحاج بمنى ، وقال محمد ابن الحسن: هى واجبة على المقيم بالأمصار ، والمشهور عن أبى حنيفة أنه إنما أوجبها على مقيم بالأمصار يملك نصابا ، واحتج القائلون بوجوبها على الميسور بأحاديث لا تنهض دليلا على ما قالوا ، ولا مجال لذكرها ومناقشتها فى هذا المقال .

(وقت ذبح الأضحية)

يدخل وقت ذبحها عند الشافعية إذا طلعت الشمس يوم عيد الأضحى ، ومضى بعدطلوعها قدر ركعتين وخطبتين خفيفتين، ومنهم من اعتبر وقت الركعتين كوقت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان يقرأ فى صلاته بعد الفاتحة فى الركعة الأولى سورة ـ ق ـ وفى الركعة الثانية سورة اقتربت ، وأما خطبته عليه الصلاة والسلام فقد كانت مخففة بلا خلاف ، والحكمة فى توقيت الذبح بما ذكر أن يكون هم المسلم مصروفا إلى الصلاة وسماع الخطبتين ، لا إلى لحم الأضحية .

وظاهر كلام صاحب الشامل أن من يعتبر الركعتين خفيفتين يكتفى بأقل ما يجزىء فيهما ، وحكى الرافعى عن بعض أهل العلم أنه يكفى مضى وقت يسع ركعتين بعد خروج وقت الكراهة ولا يعتبر الخطبتين .

والذبح قبل الوقت المذكور لا تحصل به السنة ، والذبيحة حينئذ لحم قدمه الذابح لأهله ، روى البراء رضي الله عنه قال : « خطب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يوم النحر بعد الصلاة فقال: « من صلى صلاتنا هذه ونسك نسكنا ، فقد أصاب سنتنا ، ومن نسك قبل صلاتنا فتلك شاة لحم ، فليذبح مكانها » رواه البخاري ومسلم وغيرهما ماعدا « فليذبح مكانها » فهي لغيرهما ، فإن ذبح بعد هذا الوقت أجزأه ، سواء أصلى الإمام أم لم يصل ، وسواء أكان من أهل الأمصار ، أم من أهل القرى أو البوادي أو المسافرين ، وسواء أذبح الإمام أضحية أم لم يذبح .

وقال أبو حنيفة : يدخل وقتها في حق أهل الأمصار إذا صلى الإمام وخطب ؛ فمن ذبح قبل ذلك لم يجزه ، وأما أهل القرى والبوادي فوقتها في حقهم إذا طلع الفجر الثاني .

وقال مالك : لا يجوز ذبحها إلا بعد صلاة الإمام وخطبتيه وذبحه ، وقال أحمد : لا يجوز قبل صلاة الإمام ، ويجوز بعدها قبل ذبح الإمام ، ويستوي عنده في ذلك أهل القرى والأمصار ، ولكل دليله ولا مجال هنا لذكر الأدلة ومناقشتها ، وأيسر هذه الآراء والمذاهب ماحكاه الرافعي عن بعض أهل العلم ، وهو أنه يكفي مضي زمن يسع ركعتين بعد خروج وقت الكراهة ، ووقت الكراهة يخرج بعد نحو نصف ساعة من شروق الشمس.

وأما آخر وقت للذبح عند الشافعية فهو قبل غروب شمس آخر يوم من أيام التشريق بمقدار ذبح الأضحية لقوله صلى الله عليه وسلم : « كل أيام التشريق ذبح » ، وأيام التشريق هي ثاني وثالث ورابع أيام العيد .

وقال مالك وأبو حنيفة وأحمد : يختص الذبح بيوم العيد ويومين بعده .

(مايجزىء في الأضحية)

يجزىء فيها الإبل والبقر والغنم دون سواها ، وتدخل الجواميس في البقر ، وتدخل المعز في الغنم ، ولا يجزىء في الغنم إلا الجذع من الضأن ، وهو ما استكمل سنة وهو الأصح ، وقيل ما استكمل ستة أشهر ، أما المعز فلا يجزىء فيها إلا الثنى ، وهو ماله سنتان ودخل في الثالثة ، وقيل يكفي فيه ماله سنة كاملة ، والأول أصح .

ولا يجزىء من الإبل إلا الثنى ، وهو ما استكمل خمس سنين ، ودخل في السادسة ، ولا يجزىء في البقر إلا الثنى

أيضا، وهو فيها ما استكمل سنتين ودخل في الثالثة .

وتجزيء كل من البدنة والبقرة عن سبعة ، والشاة عن واحد ، وحده أو معه أسرته ، وأجمع العلماء على استحباب السمينة ، ولا تجزيء ما فيها عيب ينقص اللحم ، فلا تجزيء العمياء ولا العوراء ولا العجفاء التي ذهب مخها من شدة هزالها ؛ فإن كان بها بعض هزال فإنها تجزيء .

ولا تجزيء مقطوعة الأذن كلها أو معظمها ، وتجزيء مشقوقتها أو المقطوع بعض يسير منها ، ولا تجزيء الجرباء ولو قل جربها ، ولا العرجاء إن اشتد عرجها ، ولا المريضة مرضا يسبب هزالها وفساد لحمها

ويجزيء الخصي ؛ لأن ما فقد منه يعوض بالسمن ، وتجزيء المكوية ، والتي لا قرن لها ، وكذا مكسورة القرن ، ومكسورة بعض الأسنان ، أما ذاهبة الأسنان كلها بكسر أو سقوط ففي إجزائها وعدمه رأيان .

(ما يستحب في نحرها)

يستحب أن يذبح المضحي أضحيته بنفسه كما فعل النبي - صلى الله عليه وسلم - ويجوز أن يستنيب غيره ، ويستحب أن يكون النائب مسلما ؛ لأن ذبحها قربة ، فإن استناب يهوديا أو نصرانيا جاز ؛ لأنه تؤكل ذبيحته لكنه مكروه ، ويستحب أن يشهد الذبح إذا استناب .

ويستحب أيضاً أن يحد السكين ، ويريح الذبيحة ، وأن يمر السكين بقوة وتحامل وأن يستقبل الذابح القبلة ويوجه إليها الضحية ، وأن يسمي الله تعالى ، فإن ترك التسمية حلت الذبيحة لكنه مكروه ويستحب أن يكبر مع التسمية ، وأن يقول اللهم منك وإليك تقبل مني ، وعند الحنفية أن التسمية شرط للإباحة عند التذكر دون النسيان ، وهذا هو مذهب الجمهور ، والمالكية لهم رأيان : أحدهما كالشافعية الذين تقدم مذهبهم ، والثاني كالحنفية .

ما يصنع بلحم الأضحية

يستحب لصاحب الأضحية المتطوع بها أن يأكل بعضها ويتصدق بالباقي ، وليس الأكل منها بواجب ، فلو تصدق بالجميع لجاز ، وهذا مذهب الشافعية وعامة العلماء ومنهم المالكية والحنفية .

وقيل لا يجوز التصدق بالجميع ، بل يجب أكل شيء منها ولو يسيرا ؛ لظاهر

قوله تعالى « فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير » وهـــذا مذهب بعض السلف وبعض الشافعيـة ، والصحيح الأول ، ويستحب أن يأكل الثلث، ويتصدق بالثلث على الفقراء والمساكين ، ويهدى الثلث إلى غيرهم .

واتفق الشافعيـة على أنه لو تصدق ببعضها على مسكين واحد ، لحصلت السنة بذلك ، ولا بد من إعطـاء اللحم نيئاً ، فلا يكفى إعطاؤه مطبوخا .

وأجاز بعض العلماء أن يأكل المضحى جميع أضحيته ، ولا يعطى منها شيئا للفقراء ، وقال : إن الثواب يحصل بإراقة الدم ، وهـذا قول ضعيف لا يتناسب مع حكمة مشروعية الأضحيـة ؛ فإنه لا يليق بالإسلام أن يشرعها من أجل إراقة دمها فحسب .

والصحيح ما قاله الجمهور من لزوم التصدق بشىء منها لتحصل سنة الأضحية فلو أكل الجميع لزمه ضمان بعضها، وحدده بعض العلماء بالنصف ، وحـدده بعض آخر بالثلث ، فعليه أن يشترى بقيمته لحما ويتصدق به ، وقيل يجوز أن يتصدق بالقيمة ، دراهم أو غيرها .

فإن كانت الأضحيـة منذورة ، فلا يحل له أكل شىء منها بلا خـلاف ، فلو أكل غرم قيمة ما أكله للفقراء ، على نحو ما ذكرنا ، والله تعالى أعلم ؟

مصطفى محمد الطير

من آثار الإمام محمد بن الحسن الشيبانى :

أخبرنا أبو حنيفة قال : حدثنـا الأفطس قال : ما من نبى يهرب من قومه إلا هرب إلى الكعبة يعبد ربهـا ، وإن حولها لقبر ثلاثمائة نبى .

الحَجّ المبْرُور

للدكتور محمد أبو شهبة

روى الشيخان فى صحيحيهما بسندهما عن أبى هريرة أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » وروى الشيخان فى صحيحيهما بسندهما عن أبى هريرة قال :

«سئل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : أى الأعمال أفضل ؟ قال : إيمان بالله ورسوله ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : جهاد فى سبيل الله ، قيل ثم ماذا ؟ قال : حج مبرور » .

تخريج الحديث الثانى : رواه البخارى فى صحيحه : كتاب الإيمان ـ باب الإيمان هو العمل . وفى كتاب الحج ـ باب فضل الحج المبرور ، ورواه مسلم فى صحيحه كتاب الإيمان ـ باب الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال .

الشرح والبيان

فى مقال « من هـدى السنة » الماضى تحدثت عن شطر الحديث الأول .

واليوم أتحدث عن الشطر الباقى ، وعما يتعلق بالحج المبرور فى الحديث ، فأقول ـ وبالله التوفيق :

« الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة »

الحج لغة : القصد ، وقيل القصد إلى معظم ، وهو بفتح الحاء وكسرها لغتان الكسر لغة الحجاز ، والفتح لغة غيرهم ، وقيل العكس ، وقيل بالفتح الاسم ، وبالكسر المصدر ، وقيل بالعكس ، وقد قرىء بهما فى قوله تعالى : « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا » وهما قراءتان سبعيتان متواترتان .

والحج فى الشرع : قصد أماكن مخصوصة ، بأفعال مخصوصة ، فى أشهر مخصوصة ، وهى شوال ، وذو القعدة ، وعشر من ذى الحجة ، وقيل : وذو الحجة كله .

وهذه الأماكن المخصوصة هى : المسجد

الحرام حيث الكعبة المشرفة ، وعرفات ، والمزدلفة ، ومنى ، أماكن مقدسة، تحمل ذكريات لبعض أنبياء الله عظيمة ، وفيها آثار ومشاهد كريمة، والأفعال المخصوصة هي : الطواف بالبيت الحرام ، والسعى بين الصفا والمروة ، والوقوف بعرفة ، والذهاب إلى المزدلفة، ومنى ، ورمى الجمار والذبح أو النحر ، والحلق ، أو التقصير وما يتخلل ذلك من : تلبية وتهليل وتكبير ودعاء وتوبة واستغفار . والحج ركن من أركان الإسلام ، وفريضة محكمة باقية إلى يوم القيامة، فرضه الله على القادر المستطيع - مسلما أو مسلمة - الذى يملك النفقه والراحلة الفاضلتين عن حاجته بقية العام ، وحاجة من يعول ويمون .

وقد اختلف العلماء فى سنة فرضيته فقيل : سنة خمس من الهجرة ، وقيل سنة ست، وقيل سنة تسع، وأوسطها هو أرجحها.

وقد ثبتت فرضية الحج بالكتاب ، والسنة ، والإجماع .

اما الكتاب فقوله تعالى : « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين » [1]

(١) آل عمران ٩٧

فاللام فى قوله « ولله » تفيد الإلزام ، والوجوب ، و « على » كذلك تفيد الإلزام، والحتم ، والفرضية، وقيل بقوله تعالى : « وأتموا الحج والعمرة لله » [1] والصحيح الأول ؛ لأن الأمر بالإتمام لا يستلزم الفرضية .

وأما السنة فكثيرة منها : قوله - صلى الله عليه وسلم : « بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصيام رمضان ، والحج» رواه الشيخان وغيرهما وفى حديث جبريل المشهور الطويل قال جبريل : « يا محمد أخبرنى عن الإسلام؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا » رواه الشيخان وغيرهما ، وفى حديث ضمام ابن ثعلبة : « .. قال : وزعم [2] رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلا

(١) البقرة الآية ١٩٦

(٢) أى قال ، والزعم يأتى فى اللغة العربية بمعنى القول

قال : صدق » رواه الشيخان وغيرهما إلى غير ذلك من الأحاديث .

وأما الإجماع؛ فقد اتفق العلماء قاطبة على أن الحج ركن من أركان الإسلام وفريضة من فرائضه، والحج يجب في العمر مرة ، وما زاد عنها فهو تطوع؛ فقد روى الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن أبي هريرة قال : « خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ، « يا أيها الناس إن الله فرض عليكم الحج ، فحجوا ، فقال رجل (١) : أكل عام يارسول الله ؟ فسكت حتى قالها «ثلاثا» فقال النبي- صلى الله عليه وسلم : « لو قلت : نعم لوجبت ولما استطعتم ، ذروني ما تركتكم ؛ فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء فاتركوه » .

ورواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه ، والحاكم وفي آخره زيادة : « والحج مرة ، فمن زاد فهو تطوع » .

وشروط وجوب الحج : الإسلام ، والعقل، والبلوغ، والحرية، والاستطاعة فلا يجب على الكافر ، ولا على المجنون، ولا على الصبي ، ولا على العبد ،ولو حج صبي يعقل صح حجه ولكن لا تسقط به حجة الإسلام المفروضة ، فلو بلغ الصبي وتوفرت في حقه شروط وجوب الحج عليه أن يحج ثانيا ، ولا يجب على غير المستطيع ولكن لو تكلف وتحمل فحج تسقط عنه الفريضة، ويكون مأجورا مثابا

والاستطاعة نوعان : الاستطاعة بالنفس والإستطاعة بالغير .

أما الاستطاعة بالنفس فأن يكون قادرا على الذهاب، والقدرة على النفقة والراحلة في الذهاب والإياب بما يفضل عن نفقة عياله ، ومن تلزمه نفقتهم وكسوتهم وعن دين يكون عليه .

وأما الاستطاعة بالغير فهي أن يكون عاجزا بنفسه بأن يكون زمنا ، أو به مرض غير مرجو الزوال لكن له مال يمكنه أن يستأجر به من يحج عنه ، يجب عليه أن يستأجر ، أو لم يكن له مال ولكن بذل له ولده ، أو أجنبي الطاعة في أن يحج عنه يلزمه أن يأمره ، إذا كان يعتمد صدقه .

---

(١) هو الأقرع بن حابس كما بينته الروايات الاخرى .

وقد اختلف الفقهاء في كونه فرضا على الفور أم على التراخي ؟ على قولين مشهورين، فمنهم من يرى وجوبه على الفور ومنه من يرى وجوبه على التراخي ، ولا يتسع المقام لذكر الأدلة .

والأولى والأفضل التعجيل به للمستطيع عند عدم الموانع الشرعية ؛ لأن الآجال غير معلومة ، ولا يدرى المسلم ما يكون في غده ، فقد يمرض المريض ، وتضل الراحلة (١) وتعرض الحاجة، والأليق بالمسلم اغتنام الخير والمسارعة إليه ، وفى الحديث النبوى الشريف ما يرشد إلى هذا ، قال - صلى الله عليه وسلم : « من أراد الحج فليعجل ؛ فإنه قد يمرض المريض (٢) ، وتضل الدابة ، وتعرض الحاجة » رواه أحمد ، وأبو داود

« المبرور » . اسم مفعول من بر المتعدى بنفسه ، تقول ! بر الله حجك يتعدى بنفسه وفى لغة يتعدى بالهمزة فيقال : أبر الله تعالى الحج ، وأبررت القول ، واليمين ، وأما إذا كان من « بر » اللازم فلا بد من تقدير حرف جر أى المبرور فيه

قال في المصباح المنير مادة « بر » « ... وبر الحج ، واليمين ، والقول براً أيضاً فهو بر ، وبار أيضا ، ويستعمل متعديا أيضا بنفسه في الحج ، وبالحرف في اليمين والقول ، فيقال : بر الله تعالى الحج بره ، برورا ، أى قبله ، وبررت في القول واليمين أبر فيهما برورا أيضا إذا صدقت فيهما ، فأنا بر ، وبار ، وفى لغة يتعدى بالهمزة ، فيقال أبر الله تعالى الحج ، وأبررت القول واليمين، فمعنى المادة يدور حول الصدق والإخلاص فيه ، أو القبول وعدم الرد ، أو وقوع الشيء على أكمل حالاته ، وأعلى درجاته فمن ثم اختلف العلماء في معنى المبرور .

فقيل : هو الذى لا يخالطه شىء من الإثم ، والمخالفة ، والمعاصى ، وعلى هذا المعنى يدل قول الله تعالى : « فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج(١) » ، وقول النبى - صلى الله عليه وسلم : « من حج فلم يرفث ، ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » رواه

(١) أى تغيب ، أو تهلك ، والمراد تعطل طرق المواصلات ، ووسائلها .

(٢) أى يمرض الصحيح فيؤول أمره إلى كونه مريضا .

(١) البقرة الآية ١٩٧ .

الشيخان ؛ وهذا المعنى هو الذى رجحه الإمام النووى فى شرحه على مسلم .

وقيل: هو القبول، ولما كان القبول إنما يعلمه الله تعالى فقد جعلوا له علامة وأمارة وهى أن يرجع خيرا مما كان ، ويتخلى عما كان يقترفه من المعاصى ، ولا يعاودها .

وقيل : هو الذى لا رياء فيه ، ولا سمعة

وهذه الأقوال متقاربة ، أو متلازمة ، ويمكننا أن نجعل منها قولا واحدا فنقول: هو الذى أخلص فيه صاحبه ، وقصد به وجه الله، وأداه على خير ما يكون فلا رفث فيه ، ولا فسوق ، ولا مماراة ومنازعة ، وأكثر فيه من عمل الخير والبر ، ويصير صاحبه بعد عودته أحسن حالا منه قبل ذهابـــه .

وقد ورد تفسير المبرور فى حديث لكنه ضعيف ، فقد روى الإمام أحمد ، والحاكم عن جابر هذا الحديث وفى آخره « قالوا : يارسول الله ، ما بر الحج ؟ قال إطعام الطعام ، وإفشاء السلام » وقد علق عليه الحافظ فى الفتح فقال : « فى إسناده ضعف ، ولو ثبت لكان هـو المتعين » .

أقول : وهذا التفسير داخل فى المعنى الذى اخترته ، فلعله صلى الله عليه وسلم عرفه ببعض أنواعه وكثيرا ما يرد فى السنة التعريف بذكر بعض الأمثلة.

ليس له جزاء إلا الجنة » .

معنى ذلك كما قال الإمام النووى : أنه لا يقتصر لصاحبه من الجزاء على تكفير بعض ذنوبه ، بل لا بد من دخوله الجنة وهذا وعد من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووعد رسول الله من وعد الله تبارك وتعالى ، ووعد الله ورسوله لا يتخلفان أبدا .

وإذا لاحظنا المعنى الذى اخترته للمبرور ، يكون المراد به استحقاق دخول الجنة مع السابقين ، فيكون فيه ضمان من الله سبحانه أن يحول بين صاحبه ، وبين المعاصى فيما يستقبل من الزمان ، أو إذا وقعت منه بعض المعـــاصى ، والذنوب فالله يغفرها له ، وهذا الذى ذكرناه من دخولها مع السابقين هو الظاهر من الحديث .

وأما ماقاله بعضهم: « يحتمل أن يكون الثواب بالجنة بعد المؤاخذة بالذنب يعنى

دخولها لا مع السابقين ، فلا يصح إذ لافائدة إذاً للعبادة الخاصة وهي الحج المبرور إذ كل العصاة كذلك على المذهب الذى عليه أهل السنة والجماعة من أن من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة إما سابقا وإما لاحقا ، والحديث إنما سيق لإظهار فضل هذه العبادة الخاصة ، وثوابها عند الله ، وهو الحج المبرور .

« ما يؤخذ من الحديث من الأحكام والآداب :

(١) فضل النسكين : الحج والعمرة ، والترغيب فيهما وأن الحج فرض بالإجماع ، وأما العمرة فالراجح أنها سنة .

(٢) جواز تكرار العمرة ، ولو فى السنة الواحدة ، أو الشهر الواحد ، أو الأسبوع الواحد ، بل واليوم الواحد لمن يستطيع ذلك ، وليس بمكروه كما قال بعض العلماء .

(٣) سعة فضل الله ورحمته على عباده فقد فتح لهم أبواب التوبة ، وغفران الذنوب ، وتكفير الخطايا على مصراعيها وذلك بتشريعاته الحكيمة ، التى تغسل السيئات ، وتمحو الذنوب وترفع الدرجات ، وتقرب المؤمن إلى ربه .

(٤) عدة من حج حجا مبرورا بدخول الجنة لا محالة ، ووعد الله ونبيه لا يتخلفان .

(٥) أن يقصد الحاج من حجه مغفرة الله له ؛ وأن يحل عليه رضوانه ؛ وأن عليه إخلاص النية وقصد الصلاح والفلاح ؛ وحسن الحال ؛ وخير العاقبة والمآل لا ما يقصده بعض الناس من حجهم أن يكتسب لقب « الحاج » ، والتسمى به ؛ والتستر وراء هذا اللقب ، واستهواء العامة ؛ فإن مثل هذا يرجعه من حجه صفر اليدين ولم ينله منه إلا التعب والعناء .

نسأل الله سبحانه أن يكفر عن خطايانا وأن يلبسنا حلل رضوانه ، وأن يديم صلتنا ببيته المحرم ، إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير ؟

محمد محمد أبو شهبة

شبابنا فى الخارج

للدكتور محمد ابراهيم الجيوشى

تتزاحم أمامى أفكار عدة كلها لازم فى هذا الحديث ومطلوب لهذا المقام ، ولم أستطع أن أفضل بعضها على بعض لإيمانى بأن كلا منها من المقومات الضرورية للشاب المسلم بعامة والعربى بخاصة فى هذا المجتمع الذى وفد إليه يتزود من معارفه وينهل من علومه . ويأخذ من طرائقه فى البحث والدرس ما يستطيع به أن يقدم خيرا لأمته . أو يسهم فى بناء مجد بلاده ، ولكن الشاب الذى قطع المسافات الشاسعة، وجاب البحار الواسعة وامتطى صفحة الفضاء محتملا مرارة الغربة وفراق الأهل والعشيرة ، ربما تقع عينه أول ما تقع على سلوك لهذا المجتمع الذى وفد إليه يخالف كل المخالفة ما تعوده فى بلاده وربما رأى من المثل والأخلاق والعادات والتقاليد والأوضاع ما يثير دهشته وعجبه وعلى الجملة فهو يرى نمط الحياة هنا على طرفى نقيض عن الحياة فى بلاده وكأنما عناه المتنبى حين قال :

ولكن الفتى العربى فيها
غريب الوجه واليد واللسان

هذه الغربة التى يستشعرها الشاب العربى والمسلم فى البلاد التى وفد إليها وفى ضميره ووعيه وكل مشاعره أنها بلاد الحضارة الزاهرة والفكر الصائب والسلوك السوى ، ثم يجدها بعد ذلك تخالف كل المخالفة ما ألفه فى بلاده من المثل والعقائد والأفكار فيقع فى بلبلة نفسية مدمرة ويتعرض لغزو فكرى رهيب ويقع تحت طائلة تسلط قاس يحاول أن يجتث من إحساسه ومشاعره ووجدانه ما آمن به من مثل ، وما تربى عليه من أخلاق ، وما تعوده من سلوك أو على الأقل ما يؤمن به من أنه الطريق الأمثل للسلوك البشرى النقى ، والخلق الإنسانى الرفيع .

ثم تعرضه لهذا الإغراء المتصل بممارسة هذا اللون من الحياة سواء فى المنزل أو الشارع أو دور التعليم أو المؤسسات

الأخرى إلى جانب ما استقر فى وعيه ورسب فى إحساسه من أن هذا المجتمع هو مجتمع الحياة الحضارية المثلى والتقدم الاجتماعى المنشود ، لا بد أن يؤدى به كل ذلك إلى نتيجة حتمية واحدة، هى أن يشارك المجتمع الجديد فى قيمه ويسايره فى سلوكه ، ويتابعه فى طريقه ، وقد تغريه المتع الحسية بالإيغال فى هذه السبل الخطرة ، فما تشعر به إلا وقد انسلخ من كل ما جاء به . فإن هتف به هاتف يحاول أن ينبهه إلى سوء النتيجة جابهه بالسخرية ، ورد عليه باستعلاء بأن هذه هى الحياة ، والحمق هم الذين لا يأخذون بنصيبهم منها ، فإن لفته إلى ماضيه، ونبهه إلى المستقبل وتبعاته تمثل بقول القائل :

ما مضى فات والمؤمل غيب ولك الساعة التى أنت فيها

وهذه الصورة وإن لم تكن عامة بالنسبة لشبابنا، ولكنها سمة غالبة، وظاهرة ملاحظة ، وهناك الكثيرون الذين ينظرون إلى هذه الأوضاع بقلق ، ويحاولون أن يجدوا معينا لهم على التغلب على مغرياتها ، ولهذا كان لزاما علينا أن نخص شبابنا بتوجيه يقظ واع ، ونبث فى وعيهم وعقولهم القيم المستنيرة لأخلاقنا ومثلنا وقيمنا الروحية ؛ حتى يستطيعوا أن يصمدوا أمام هذه المغريات .

ونحن والحمد لله نملك أثمن ثروة من المثل والقيم والمبادىء فى العالم قادرة على تحقيق سعادة الإنسان، وعلى أن تهيىء له الاتزان النفسى والرقى الفكرى إلى جانب السبق الحضارى والوقوف على أسرار الكون وكنه الحياة ولكننا لم نحسن استغلال هذه الثروة الضخمة أو إذا أردنا الدقة لم نقف على حقيقتها وقدرتها على صنع سعادة البشر وتحقيق رفاهية الإنسان على هذه الأرض .

ولهذا كان لا بد لنا أن نتزود دائما من هذه المبادىء ما يمكننا من الوقوف فى وجه المغريات فى قوة لا تعرف الخور، والرد على الطاعنين والمتعصبين والحاقدين حينما يتناولون ديننا بالغمز، لا أن ننظر نظر البلهاء ونحن نستمع إلى الطعن فى ديننا والإزراء على عقائدنا وهى فى الواقع لا تمت إلى الحقائق بصلة وليس لها إلى الحق من سبيل .

ولكى نكون منصفين لانفسنا قبل انصافنا لغيرنا نرى لزاما علينا، أن نستعرض

الخطوط العريضة لأساليب التربية فى العالم ونضع بإزائها أساليب الإسلام فى تربية الأفراد وإعدادهم للحياة .

أما هذه الأساليب فنراها تركز على جانب من جوانب القوى الإنسانية وتهمل بقية الجوانب الأخرى، فبعضها يركز على تربية القوى الجسمية، وبعضها يركز على تربية القوى الروحية ، وبعضها يركز على تربية القوى الفكرية فى الإنسان ، وهذه النظرات التى تلونت على أساسها أساليب الإعداد والتوجيه تبعا لاختلاف المبدأ الذى صدرت عنه لا يمكن أن تعد الإنسان السوى الذى يعمق إحساسه بمعانى الإنسانية النبيلة وقيمها العليا من غير تفريق بين جنس وجنس ولا بين لون ولون ، ذلك لأنها نظرت إلى كل من هذه القوى المختلفة فى الإنسان نظرة منفصلة عن سائر القوى الأخرى ، ولم تهتم بها الاهتمام الواجب؛ وبذلك تقدمت بعض قوى النفس وتأخرت الأخرى وفقد التوازن بين قوى الإنسان الثلاث.

ومما لا شك فيه أن الاتجاه السائد فى أمم الحضارة من الاهتمام بالناحية الفكرية والسير فى طريقها إلى أبعد الغايات قد حقق للإنسان تقدما حضاريا باهرا ومكنه من التحكم فى قوى الطبيعة والوقوف على أسرار الكون ، فاجتاز الفضاء وصنع الصاروخ وتطلع إلى الكواكب الأخرى يتلمس الطريق إليها ، ويلقى برحاله على وجهها ، وحقق للإنسان من وسائل الرفاهية المادية ما يثير الدهشة والإعجاب ، ولكن هل شعر بالطمأنينة فى هذه الحياة التى ألقت إليه بزمامها؟ هل استطاع هذا السلاح الجبار الذى سخر له كل قوى الكون أن يبسط عليه جناح الأمن ويبعد عن طريقه أشواك القلق وشبحه المخيف ؟ .

إن الإنسانية فى عصرها الحضارى الزاهر لا تزال تتوق إلى لحظات تنعم فيها ببرد السعادة ، وتبعد عن أحلامها أغوال القلق المدمر الرهيب الذى يقضى على أمنها ويزلزل استقرارها .

وإذا كانت هذه هى النتيجة ، فماذا عند الإسلام ؟ وما الذى يمكن أن يقدمه للإنسانية لينتشلها من هذا اللج المتلاطم الذى أغرق سفينة أمنها واستقرارها ؟

إن علينا أولا قبل أن ننتهى إلى الإجابة عن هذا السؤال أن نبحث عن الخطة

التى رسمها الإسلام للإعداد والتوجيه وأن نتعرف خطوطها النظرية، ونعرض بعض تطبيقاتها العملية، لكى نرى إذا كان من الممكن حقا أن يحقق الإسلام بمنهجه للنفس الإنسانية التقدم والرفاهية والسلام، أم أنها دعوى لا يسعفها التطبيق العملى.

ونبادر فنقول: إن الإسلام ينظر إلى الإنسان نظرة شاملة تتناول كل جوانبه المختلفة ويشرع لكل منها ما يحقق لها النمو والاطراد إلى جانب الإنسان التام مع بقية الجوانب الأخرى، والتعاون مع كافة القوى العاملة فى النفس الإنسانية بدون أن تطغى واحدة منها على الأخرى.

إنه ينظر إلى الإنسان: جسمه وعقله وروحه، إلى حياته المادية وحياته الروحية وألوان نشاطه المختلف على وجه الأرض فى شتى ميادين الحس والعقل والروح، يأخذ هذه القوى فى الإنسان مجتمعة لا يهمل واحدة منها فيشرع لها ما يناسبها فى دقة بالغة، وفى الوقت نفسه لا يفرض عليها ما يخالف فطرتها أو يصادم استعدادها.

لا يأخذ واحداً منها فيركز عليه ويترك باقيها، فتفقد التناسق بينها ويصبح نغماً نشازاً بين مجموعة من الأنغام، وعن طريق النظرة الشاملة والتناسق بين القوى المختلفة فى النفس الإنسانية يحقق الإسلام التوازن النفسى للبشر، وهو الدعامة الأولى التى لا بد منها لكى نبنى فرداً سويا، ومجتمعاً قويا، وأمة ناهضة.

وإنما كان ذلك كذلك لأن الإسلام دين الفطرة ومبادئه أوحى بها من يعلم خفايا النفوس وأسرارها: « فطرة الله التى فطر الناس عليها، لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ».

أما وسائل النظم الأخرى فهى من صنع البشر، والناس مهما بلغوا من المقدرة الفكرية لا يستطيعون أن يتخلصوا من سلطان الوراثة ولا من أثر البيئة، فأى توجيه أو تخطيط أو تفكير إنسانى إنما هو خاضع لمؤثرات البيئة والوراثة من غير أن يشعر صاحبه، وليس ذلك عيباً فيه، لأنه بذلك يصدر عن الطبيعة التى فطره الله عليها، وآية ذلك ما نراه من الصراع الرهيب بين معسكرات الأرض التى تتنازع على سيادتها والتحكم

فيها ، فالسباق قائم على أشده بين الجميع وكل يوم نسمع عن جديد اكتشفه العلم أو اهتدى إليه الفكر الإنسانى الجبار ، ومع تزايدالتقدم العلمى يستبدبالإنسانية القلق على المصير الرهيب الذى تخشاه ؛ ذلك لأن الحافز على تحقيق هـذا السبق ليس المثل المنشود لبناء سعادة الإنسان وإنما شهوة القلب وحب التسلط . وسبب ذلك كله أن النظرة التى بحثت فى آفاق العلم وجابت فى نواحيه لم ترتبط بمثل أعلى تسعى إليه ، وتجعل عملها هذا استجابة لدعوة أخرى هى دعوة الله إلى التفكير والعمل ، ومراقبته حينما نفكر وحينما نعمل ، وهذا هو الفيصل بين الإسلام وغيره من النظم .

فكل عمل وتفكيروسعى فى الإسلام مرتبط بالله مقصود به وجهه، سواء كان فى ميدان الجسم أو العقل أو الروح ، والعبادات الإسلامية كلها تجمع بين هذه المعانى وتبرز هذه الخطوط ، وما ذلك إلا لأن العقل والروح والجسم وحدة يتكون منها الإنسان .

حقا إن لكل منها ميدانه ومجاله ، ولكنها مع ذلك لا ينفك واحد منها عن الآخر ، ومثلها مثل اليد فى الإنسان فهى تتحرك وتمسك وتدع وتعمل، ولكنها مرتبطة ببقية الأجزاء الأخرى من جسم الإنسان بالعروق والدماء والأعصاب، ولو فقدت الإتصال بهذه الأجزاء فقدت القدرة على الحياة . (١)

وأول ما ركز الإسلام ركز على الجانب الروحى ؛ لأن النفس أن سلمت طواياها ونظفت حناياها واستضاءت بصيرتها سارعت إلى جلب الخير للإنسان، وتفانت فى تقديم العون له؛ لأنها ترى فى ذلك العمل رضا الله سبحانه والفوز بمحبته ، ولسنا نعنى بذلك اعتزال الدنيا والبعد عن الحياة ، وإنما نعنى المشاركة الإيجابية فيها، والأخذ بالوسائل النقية النظيفة حتى تزول العقبات التى يبعثها الحرص والشح وحب السيطرة والاستعلاء من طريق الإنسان .

ولأمر ما ركز الإسلام على تحقيق السلام الداخلى للنفس الإنسانية ؛ لأن الإنسان إذا كان مدفوعا من داخله بالرغبة فى السلام انعكست هذه الرغبة على أعماله كلها وأصبح يسيرا على الناس

(١) التربية الإسلامية لمحمد قطب

أن يحققوا السلام بينهم ، وهـذه القوة الموجهة الدافعة هى التى يسميها الباحثون المحدثون بالضمير ولعلماء الإسلام بحوث مستفيضة فى هـذه الجوانب ليس المجال محتملا لها ، ولعل فى قول النبى - صلى الله عليه وسلم: «ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسـد كله ألا وهى القلب » لعل فى هذا القول المضيء مايشير إلى التفسير الذى ذهبنا إليه .

ولو علمنا هذه الحقيقة لأدركنا هدف الإسلام من إحاطته المسلم بطائفة كبيرة من الأدعية عندما ينام وعندما يستيقظ وعندما يبدأ السفر وعندما يؤوب من سفره ، وعندما يباشر أى لون من ألوان النشاط يجد له فيه توجيها يحثه على أن يكون وثيق الصلة بخالق الكون ومبدعه فإن فيها مايلفته إلى سر الحياة وحقيقة الكون هذا إلى جانب العبادات الأخرى التى ألزمه بها ، وأظهرها الصلاة التى يؤديها كل يوم خمس مرات ، ولو أدركنا هدف الإسلام من فرضها على هـذا النحو تفهمنا قول النبى صلى الله عليه وسلم: « أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات . أكان ذلك يبقى من درنه شيئا ، قلنـا : لا يارسول الله قال : فذلك مثل الصلوات الخمس » لو تتبعنا العبادات الأخرى لطال بنـا المقام .

وإلى جانب عناية الإسـلام بالجانب الروحى فى تربية المسلم وإعداده نبه إلى العقل وقيمته فى إدراك الحقـائق والتعويل عليه فى معرفة الـكون والحيـاة ، واتخذ القرآن منهجـا فريدا فى التدليل على قدرة الله والإقرار بربوبيته ، وذلك بلفته الأنظار إلى بدائع مخلوقاته فى السموات والأرض ، وأثر حكمته فى تقدير الأمور وضبطها ، ثم التعقيب على ذلك بلفت الإنسان إلى التفكير والتدبر والبحث حتى يقف على سر الـكون وكنه الحياة ، فيبنى ويشيد ويعمر ويخترع ، ويجوب آفاق المجهول ، لـكن ليحقق سعادة الإنسان ويعمر الأرض ويحظى برضى الله الخالق البارىء المصور .

ولنلق بأسماعنا إلى بعض آيات الـكتاب الحـكيم فى هذا الصدد ، يقول تعـالى: فى سورة (ق) « أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لهـا من فروج . والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج .

تبصرة وذكرى لكل عبد منيب . ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد. والنخل باسقات لها طلع نضيد . رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج » .

ويقول فى سورة الفرقان : « ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا . ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا . وهو الذى جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا . وجعل النهار نشورا . وهو الذى أرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته وأنزلنا من السماء ماءطهوراً. لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسى كثيراً » إلى أن يقول « وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا . وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسباً وصهرا وكان ربك قديرا » .

ويقول فى سورة الأنبياء : « أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شىء حى أفلا يؤمنون . وجعلنا فى الأرض رواسى أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون . وجعلنا السماءسقفامحفوظا وهم عن آياتها معرضون وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون » إلى غير ذلك من الآيات العديدة التى زخر بها القرآن الكريم ، والتى تكشف عن عظمة الخالق سبحانه ، وتوجه النفس الإنسانية إلى البحث والكشف ومعرفة سر الحياة.

وقد فهم المسلمون الأولون هذه الدعوة من القرآن الكريم ؛ فانطلقوا إلى آفاق المعرفة ، وسجلوا كثيراً من ألوان العلوم وطرائق البحث فى الطب والنبات والحيوان والفلك والجبر والهندسة والكيميا وغيرها من ألوان المعارف الإنسانية التى أثروا بها الرصيد الإنسانى.

وما أجدر الشباب وهم الصفوة التى اختارتها الأمة ، وبعثت بها إلى البلاد فى مشارق الأرض ومغاربها ؛ أقول: ما أجدرهم أن يمضوا على الطريق ويحملوا الراية ، ويبنوا كما بنى الأسلاف على أساس أصيل من دعوة القرآن إلى المعرفة ووقف هذه المعارف على خدمة الإنسان ورفاهية البشر ، لا لتدمير حياته والقضاء على استقراره وأمنه .

أما الجانب الأخير فلم تكن عناية الإسلام به أقل من سابقيه ، فكما نشد الإسلام الإنسان القوى الروح ، وأعد الطريق ليأخذ العقل سبيله السوى إلى البحث والدرس والتأمل والإبداع وربط كل ذلك بالمثل الأعلى واعتبار كل جهد فى هذه السبيل عبادة يتقرب بها إلى الله وعملا ينال به المرء ثواب خالقه ؛ كذلك دعا إلى أن يكون المسلم قويا فى بدنه وأعضائه سليما من النقص والآفات والأسقام فدعا المسلم إلى أن يتخير لأعقابه فقال : « تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس » وبهذا التوجيه كشف عن أثر الوراثة فى الأجيال ؛ بل زاد على ذلك حينما أشار إلى أن زواج الأقارب ربما يكون سبباً فى ضعف النسل ، وقد أكد العلم الحديث هذه الفكرة ، وقال : إن زواج القريبات يجعل الأولاد عرضة للأمراض أكثر من أولاد غير القريبات .

وقد سبق الإسلام إلى ذلك منذ قرابة أربعة عشر قرنا حينما قال نبى الإسلام صلوات الله وسلامه عليه : « اغتربوا لا تضووا أى (لا تضعفوا) ، ثم دعا إلى التربية السليمة بتشجيع كل ما من شأنه أن يحقق هذه الغاية ؛ حتى قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه « علموا أولادكم الرماية والسباحة وركوب الخيل » بعد أن سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « إن لبدنك عليك حقا » ونهى هؤلاء النفر الذين تعاهدوا وعلى أن يقوموا الليل فلا ينامون ويصوموا فلا يفطرون ، ويجتنبوا النساء فلا يتزوجون بقوله : « أما أنا فأصلى وأنام ، وأصوم وأفطر وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى » .

فهل استبان لنا بعد ذلك أن الإسلام قادر على تلبية حاجات الروح والعقل والجسد وأنه سن من النظم التربوية ووسائل الإعداد ما يجعل المسلم قويا فى روحه فيتحمل المصاعب ويتغلب على العقبات ، قويا فى عقله فينشىء ويعمر ويبنى ويبحث ويكتشف ويخترع ويحقق السعادة لبنى الإنسان قويا فى بدنه فلا يكسل ولا يخمل ولا تنتابه العلل وتنهشه الأسقام ، حتى قال نبى الإسلام « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » . ؟

محمد ابراهيم الجيوشى

مراسلة فقهية بين إمامين كبيرين

للدكتور محمد رجب البيومي

— ١ —

الحقيقة بنت البحث ، وللوصول إلى هذه الحقيقة تتصاول عقول ، وتتنازع أقلام ، وقد يكون المتناظران من أصحاب الضمير العلمى النزيه ، فتسفر الحقائق واضحة بعد الجولات المخلصة دون أن يحجبها غيم ، أو يحول دونها نقاب ! وهذا فى القليل المشاهد ، أما الكثير الملموس لدينا فى تاريخ الجدل العلمى فقد اصطدم بأهواء مغرضة باعدت بينه وبين الصواب الصريح ، لذلك اضطر علماء البحث والمناظرة إلى تقرير آداب علمية تعصم من الشطط والجموح ، ووجد لدينا علم قائم برأسه يعرف بعلم « آداب البحث والمناظرة » وقد كان فى علم المنطق بقضاياه ومسائله ما يحول دون الشطط ، ولكن وجد من أرباب السفسطة من جعل قضايا المنطق مطايا تخب إلى أهوائه ، فامتهن الأقيسة ، والأشكال امتهانا إن دل على قوة الاحتيال ومرونة الذكاء فقد دل على زيف الخلق وفساد الضمير ، وأذكر أن الإمام الغزالى قد بسط للبحث العلمى آدابا خلقية يرعاها المتناظران ، وكأنه يرى الخلق دعامة للمنطق ، يستند إليها أقوى استناد ، وما اضطر الغزالى إلى تسطير هذه الآداب إلا لينقذ ذوى الجدل مما ينفجر تحت أقدامهم من مهاو ذات اتساع ! وكان الظن بأولى العلم أن يبتعدوا عن الشبهات ولكن النفوس هى النفوس .

قال أبو حيان التوحيدى : سمعت الشيخ أبا حامد الاسفرائينى يقول لطاهر العبادانى ، لا تعلق كثيرا لما تسمع منى فى مجالس الجدل ؛ فإن الكلام فيها يجرى على ختل الخصم ومغالطته ودفعه ومغالبته ؛ فلسنا نتكلم لوجه الله خالصا . ولو أردنا ذلك لكان خطونا إلى الصمت أسرع من تطاولنا إلى الكلام ، وإن كنا فى كثير من هذا نبوء بغضب الله فإنا نطمع فى سعة رحمته .

وأبو حامد الاسفرائينى من أئمة الشافعية

وقد وجد من الشجاعة ما دفعه إلى الاعتراف بمزالق الجدل ومهاوى النقاش وهو بذلك يعبر عن حقيقة ملموسة بين أكثر المتجادلين، حين ينقلب الجدل العلمى من الموضوعية إلى الذاتية، فتتغلب الأهواء وتسيطر الأغراض، إلا من رحم ربك وهم قليلون.

وقد أردت فى هذا المقال أن أبسط مسألة فقهية كانت إحدى موضوعات الجدل بين إمامين عظيمين من أئمة الإسلام لتكون نموذجا عاليا للأدب الرفيع والخلق الرصين فى المناظرات العلمية، إذا اتجه نقاشها وجهة خالصة للحقيقة وقد ظهر بين المتناقشين الكبيرين من كمال الخلق وخلوص النية وشدة التحرز ما يعصم من الانحدار، وما ظنك بنقاش فقهى يقوم بين إمام المدينة « مالك بن أنس » وإمام الكنانة « الليث بن سعد » وهما من هما فى تاريخ التشريع.

لقد صدر الإمامان الكبيران عن خلق رصين ونظر نزيه لأن مشهما الإسلامية قد فرضت عليهما آدابا مرعية تصل بهما إلى اجتلاء الحقيقة فبرهنا بذلك على أن الخلق النزيه دعامة العالم، على ضوئه يسيرون فى أفيائه يستظل! وإذا أردنا اليوم أن ننشىء رجال البحث العلمى فى شتى ميادينه؛ فلا بد من تربية إسلامية تعصم الخلق وتضرب المثل، وقد كانت تربية الإمامين فى دور الطلب مما ساعد على ارتقائهما العلمى والاجتماعى، فهى الجذور الأصيلة التى هيأت للشجرتين الوارفتين أن تساقطا أطيب الثمر وأحلاه ولا بد من الإلمام ببعض ما ينبىء عن ذلك، قبل أن نصل إلى موضوع المناظرة ليعرف القارىء أى نبع رائق تدفق منه أعذب الماء، فروى الأفئدة وشفى الصدور..

استمع مالك فى دور الطلب إلى كبار الشيوخ من أمثال: الزهرى وربيعة ونافع وهشام بن عروة وابن جريج، فأخذ عنهم نظافة المسلك قبل أن يأخذ عنهم رواية العلم، وكانت أمه تدفعه إلى المذاكرة والصبر، وقد ألبسته لأول عهده بالدرس ثيابا نظيفة وعمامة طويلة، ثم قالت: له إذهب إلى ربيعة فتعلم من أدبه قبل علمه!. فهى - إذن - أم حصيفة تجعل الأدب أول ما يحرص عليه الناشىء الطموح. وبهذا الأدب

ثابر مالك وصابر واصطدم بالعقبات فما ضجر، قال ابن القاسم : أفضى طلب العلم بمالك الى أن نقض سقف بيته فباع خشبه، ثم أقبلت عليه الدنيا بعد ذلك».

وحين أنس من نفسه الكفاية العلمية لم يتصدر للفتيا حتى عرض نفسه على أساتذته ليأخذ منهم براءة العلم، وهو يقول : فى ذلك - ما جلست للفتيا حتى شهد لى سبعون شيخا بالعلم، ويقول : لا خير فيمن يرى نفسه بحالة لا يراه الناس لها أهلا.

هذا التشدد البالغ وليد أدب حساس ودليل تقدير تام لمسئولية العالم، وصاحبه لا يهجم على الفتوى هجوما دون تبصرة؛ بل إنه ليتلبث فى بعض الأحوال ثم يقول : لا أدرى وقد ذهب المثل بقوله السائر : من قال لا أدرى فقد أفتى! وصاحب هذا القول إذا ناظر وناقش لا يحرص على التفلج، ولا يميل بالدليل إلى غير وجهه! ولو حرص كل متناظر على الحق حرصه المتحرز لا تحسم الخلاف بأيسر دليل.

ومتى وئدت فى نفس العالم شهوة التغلب فإنها تفسح المجال لفضائل رفيعة من التواضع والوقار والحلم والبعد عن اللجاجة والمراء! وهذه بعض أخلاق مالك إذ كان هادئا رزينا كثير الحلم، يشهد الصلوات والجنائز ويعود المرضى ويقضى الحقوق، ويعدل بين تلاميذه فى حلقات الدرس؛ فلا يهتم بطالب دون طالب إلا إذا آنس لدى بعض النبهاء حصافة ملموسة، فإنه يحيل عليه فى تسامح بعض ما يوجه إليه من أسئلة! وقد يلقى عليه السؤال فلا يجيب لوقته: إذ يرى من الحكمة أن يراجع النظراء فى موضوعه! وسامعوه يجلونه عن أن يتعجلوا الإجابة وهذا ما عناه من - قال فى شأنه :

يدع السؤال فلا يراجع هيبة
والحاضرون نواكس الأذقان

ومع هذا التواضع للعامة فقد كان ذا عزة منيعة لدى الخاصة من الخلفاء والأمراء، فقد كتب إليه هرون الرشيد يطلب أن يسعى الإمام إلى قصره فيحدثه فقال مالك للرسول فى عزة : العلم لا يأتى بل يؤتى، فاضطر الرشيد إلى أن يسعى إليه، فجلس فى حلقته مستندا إلى الجدار،

والطلاب غير مستندين ! فقال مالك يا أمير المؤمنين إن من إجلال رسول الله إجلال العلم . فاستوى الخليفة فى مجلسه وطفق يستمع !

وقد عرف عن الإمام أنه إذا أراد أن يحدث توضأ وجلس على صدر فراشه وسرح لحيته ، وتمكن فى جلسته ، وقد سئل فى ذلك فقال: أحب أن أعظم حديث رسول الله ! وقد استن سنة حميدة حين حرم على نفسه أن يركب مطيته فى المدينة حتى مع تقدم السن وضعف القوة عن المسير ، فإذا روجع فى ذلك قال: لا أركب فى مدينة بها قبر رسول الله ! ونحن نقرأ فى تراجم الأسلاف عمن استنوا بسنة مالك ؛ فكانوا يدخلون المدينة راجلين . وكأن ألسنة حالهم تنشد مع المتنبى .

نزلنا عن الأكوار نمشى كرامة
لمن حل فيها أن نلم بها ركبا

هذا بعض ما يقال عن مالك ، أما الليث ابن سعد فلا بد أن نلم بذرو من حديثه وإن كان مالك أشهر ذكرا ، وأبعد صيتا منه ، وقد قال: الشافعى ـ رضى الله عنه ـ الليث أفقه من مالك إلا أن قومه ضيعوه وكأنى بالشافعى ، رحمه الله ، لا يقصد إلى الموزانة قدر ما يقصد إلى التنويه بفضل الليث والاحتفاء بعلمه فى بلد ضيعه ؛ فلم يقبل على الاستفادة من فقهه ، وتفسير ذلك أن لكل إمام من أئمة المذاهب الفقهية تلاميذ جمعوا مسائله ودرسوا فتاواه ثم استخلصوا من مجموعها قواعد المذهب فى ضوء الاتجاه الفقهى الذى ينتحيه الإمام ، كذلك فعل تلاميذ مالك وأبى حنيفة وغيرهما من الأفذاذ أما الليث فلم يرزق من تلاميذه فى مصر من عكف على تدوين مسائله واستخلاص قضاياه ؛ فضاع عبيره فى الفضاء الفسيح دون أن يتنسم أريجه غير قلة من الناس وهكذا ضاع الليث فى مصر ، كما يفهم من كلام الشافعى رحمه الله ! وقد ذكر مترجموه أنه أدرك نيفا وخمسين رجلا من التابعين فنهل من علمهم وعل ، وقد شد الرحال إلى الحجاز والعراق ليأخذ عن فقهاء الإقليمين ما يشد أزره العلمى وقامت له فى دور الحداثة مناظرات تشهد بفضله ونبوغه وقد قال الإمام أحمد ابن حنبل: ليس فى المصريين من هو أثبت من الليث بن سعد ، وهو قول مقتصد إذا قيس بقول الشافعى ، ومن تلاميذه: عبدالله

ابن المبارك وأشهب وهاشم بن القاسم ويونس بن محمد وغيرهم ، وقد رزق حظوة فى الجاه والمال لموقف له اشتهر مع الرشيد حيث أفتاه بما أرضى الحق فى مأزق ضاق بالخليفة حتى اتسع على يد الليث فأمر له بالجوائز والخلع وبإقطاع كبير فى الجيزة ! هذا من الناحية المادية أما من الوجهة الأدبية فقد أمر الرشيد عماله بمصر أن يصدروا عن أمر الليث فى مهام الأمور ! وقد اكتظت رحابه بما منح من الخير إذ بلغ دخله السنوى من إقطاع الجيزة مائة ألف دينار ؛ لم يكن ليخزن منها شيئا للعام القابل ؛ بل كان يفرق أكثرها على المساكين والفقراء حتى لم تجب عليه فيها الزكاة إذ لم تبق فى حوزته سنة كاملة تستحق بها الفريضة ، وقد أحصوا بيوتا كثيرة لنساء من الأرامل كانت ذات راتب شهرى لدى الليث ، ومع هذه الثروة الطائلة فقد كان الزهد سبيله فى المأكل والمشرب ؛ فلم يسرف قليلا أو كثيرا فى متع الحياة ، والزاهد الحق من ينصرف عن اللذائذ وهى فى متناول يده ، حيث تتكاثر دواعى الإغراء ، وتتمهد وسائل الترف ، أما من يزهد عن فقر واحتياج فقد اضطر .

وتنقل بعض الروايات أن مالكا رضى الله عنه ، قد كتب إلى الليث يقول : « إنك تأكل الدقاق وتلبس الرقاق وتمشى فى الأسواق » فأجابه الليث بقول الله عز وجل : « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » ! وأنا أشك فى مثل ذلك لأن مالكا ـ رضي الله عنه ـ كان أكثر عمره ذا سعة ورخاء ـ وإن لم يبلغ فى ذلك مبلغ الليث ـ وقد كان يأخذ بنصيب طيب من المباح فى المأكل والملبس والمشرب ، ومن أقواله فى ذلك (ما أحب لأحد أنعم الله عليه إلا أن يظهر أثر نعمته عليه ، وبخاصة أهل العلم) وقوله : (التواضع فى التقى والدين لا فى اللباس) كما كان له رداء عدنى اشتراه بخمسمائة درهم على حين يلبس الطيالس البغدادية والثياب الخرسانية ! فإذا كان هذا شأن مالك فى التمتع بالمظهر اللائق لأهل العلم فكيف ينكر ما يفعله على الليث بن سعد ولعل من الأوفق أن نشير بهذه المناسبة إلى أن من جلال الفقيه أن يبرز للناس

فى زى نظيف جميل وفى مظهر طيب قائق ، لأن الأثر الحسى يلقى ظله على الأثر المعنوى ، وما أتى أكثر المتقشفين من رجال العلم إلا من هوانهم على أنفسهم ، فهانوا على الناس ! ومن المؤسف أننا نخطىء معانى التواضع فنظنها تتخذ سماتها فى الملبس الخشن والظهر المنحنى والصوت الهامس مع أن التواضع الحقيقى إحدى المعانى النفسية التى تظهر فى السلوك والمعاملة غير متقيدة بسمت خاص يوحى بالتضاؤل والانزواء ! ومن المفيد أن نذكر أن الليث بن سعد كان يغرق مالكا فى هداياه الكثيرة ، وقد أرسل إمام دار الهجرة إلى صاحبه فى مصر يطلب قليلا من العصفر يصبغ به ثياب تلاميذ فأرسل إليه الليث مقدارا كبيرا صبغ به ثياب التلاميذ والجيران وبقى منه ما بيع بألف دينار ! كما ذكروا أن مالكا أهدى إليه طبقا من تمر المدينة فأعاده مملوءاً بالذهب ! وفى ذلك مايدل على تمكن الود واتصال الوشائج بين الرجلين ، فلولا أن مالكا يعرف قدر صاحبه وطهر مورده وكريم سخائه ما قبل هداياه ، ولولا أن الليث يقدر مكانة مالك ويرعى مقامه العلمى ما والى إليه تحفه الغالية !

وقد كان إهداء التمر إلى الليث رمزا طاهرا لتمر المدينة التى شرفها الله بمثوى رسوله يبعث إلى الكنانة ذات الولع الشغوف بتنسم الأجواء الطاهرة فى منزل الوحى ! فهو رمز روحى يستحق أن يكافأ بالذهب دون مغالاة ، وهذا بعض ماعناه ابن سعد حين تقبل التمر فى شغف وإجلال .

ومع اتصال الهدايا العينية قد اتصلت المراسلات العلمية بين الإمامين ، إذ أن نقلة العلم من المدينة إلى الفسطاط ومن الفسطاط إلى المدينة قد حملوا الإمام دار الهجرة بعض ما أصدره الليث من أحكام فقهية فى مصر كانت مدعاة النظر لديه ، فرأى أن ينبه صاحبه إلى ماعن له بشأنها من نظر ، وقد عفى الزمن على هذه المراسلات المتتابعة إلا رسالتين تبودلتا بشأن عمل أهل المدينة، ومكانه من التشريع فقد حفظتهما الكتب المدونة ـ كمثل نادر للرسائل الأخرى ، وقد تأكد لنا ذلك حين رأينا رسالة الإمام مالك تشير إلى كتب سابقة لا نعلم شيئا عن مضمونها،

ومن الغريب أن رسالة الإمام الليث قد حفظت جميعها دون بتر واختصار ، أما رسالة الإمام مالك فنصها ينبىء عن بعض ما حذف منها بتصرف الرواة ! وكان الظن أن يتطرق الحذف إلى رسالة الليث دون صاحبه ؛ لأن لمالك من الأشياع والأنصار من تركوا عشرات الكتب الجامعة فبذلوا أقصى ما تتحمله الطاقة فى تدوين كل ما أثر عنه ! أما الليث فقد أضاعه قومه فقيها وكاتبا ، فبقاء رسالته وافية شافية تتناقلها الأجيال مما يمنح بعض العزاء لدارسيه المتعطشين.

ويخيل إلى أن المودة بين الرجلين قد ساعدت على الصراحة النزيهة فى القول دون غضب أو ملام فقد بدأ مالك بتشديد النكير على صاحبه فى مسألة خصها بالحديث جلية دون مواربة ، فعقب عليه الليث بما يرى أنه الحق ، ثم رأى المجال ذا سعة فعمد إلى مسائل أخرى - من فقه مالك - يخصها بالنقد والتشريح مشددا النكير فى قوة ، وهكذا العلماء من الأماثل لا تمنعهم أصالة الود، وقوة الإخاء وقديم الصحبة أن يكاشفوا أصدق المكاشفة فيما يصدرون من الأحكام ، وذلك بعض ما أخذ الله عليهم من الميثاق حين منحهم العلم كى يظهروه ولا يكتموه ! وأظن القارىء قد اشتاق إلى معرفة ما دار من النقاش ، بعد هذا التمهيد . ؟

د . محمد رجب البيومى

من حديث أبى حنيفة رضى الله عنه :

عن أبى حنيفة عن موسى بن أبى كثير عن ابن مسعود - رضى الله عنه - أنه قال : « من أفتى الناس فى كل ما يسألونه عنه . . فى كل شىء . . فهو مجنون » .

أسبابُ الطّلاق .. لا الطّلاق

للدكتور عبد الناصر توفيق العطار

١ — يتجه بعض المفكرين إلى تقييد الطلاق ، زاعمين أن إباحته على النحو الموجود به الآن فى مصر يؤدى إلى أضرار اجتماعية ، غير أنهم يختلفون حول قيود الطلاق ، منهم من يقترح ألا يقع الطلاق إلا بحكم من القاضى وبعد إثبات مبرر له يقتنع به القاضى ، ومنهم من يقترح ألا يقع الطلاق إلا بحكم من القاضى دون إثبات المبرر ، ومنهم من يرى تكليف القاضى بتوثيق إشهاد الطلاق بدلا من (المأذون) ، ومنهم من يرى عدم وقوع الطلاق إلا إذا كان متفقا مع السنة . . . الخ .

٢ — ومن المؤسف أن الكثيرين منا ينظر إلى الطلاق نظرة خاطئة ؛ إذ يعتبره وباء يحتاج إلى علاج ، لكن النظرة الصحيحة للطلاق هى النظرة إليه بإعتباره علاجا لحياة زوجية فاشلة ، أما الوباء الذى يحتاج إلى علاج فليس هو الطلاق ذاته أيا كانت صورته ، وانما هو أسباب الطلاق ذاتها كالفرقة بين الزوجين واستحكام النفور واعتداء أحدهما على الآخر والزنا وسوء السلوك .. الخ فإذا فشلت الحياة الزوجية لقيام سبب من هذه الأسباب فلا يوجد علاج ناجع للزوجين غير الطلاق .

وإذا نظرنا إلى الطلاق النظرة الصحيحة باعتباره علاجا لحياة زوجية فاشلة ، فلا ينبغى أن تبدد جهودنا فى علاج الطلاق بتقييده أو منعه .. الخ ، وإنما يجب علينا أن نعالج أسباب الطلاق ذاتها ، أى نعالج أسباب فشل الحياة الزوجية وعندئذ ستقل حالات الطلاق أو تنعدم . وبغير علاج أسباب فشل الحياة الزوجية فإن الطلاق لا بد واقع قانونا أو عملا أيا كانت القيود والأغلال التى ستحول أو تقلل من وقوعه . ولا شك أن حال الزوجين والأولاد والمجتمع عند فشل الحياة الزوجية ستكون أشد خطراً من حالهم بعد الطلاق .

٣ — ومن الملاحظ أن الذين يثيرون الضجة حول الطلاق يغفلون عن البحث فى أسباب الطلاق ، ولا يفكر معظمهم فى علاج لها .

فمثلا تعتبر الفرقة والخصام واستحكام النفور بين الزوجين من أهم أسباب الطلاق ، فهل بحثنا عن أسباب هذه الفرقة وذلك الخصام وعالجناها ؟ هناك مثلا اختلاف الطباع بين الزوجين واختلاف مستوى التعليم، ومشاكل تطور المجتمع من حول الزوجين ، وذلك وغيره مما يؤدى إلى الاختلاف بين الزوجين والخصام واستحكام النفور ، فهل رسمنا سياسة لتوعية جادة مخلصة تهدف إلى تبصرة كل رجل وامرأة بأسس الزواج السليم ، وما يجلب المودة بين الزوجين ..

إن تقييد الطلاق لن يخفف من هذا الخصام أو تلك الفرقة وذلك النفور شيئا ، إن لم يكن سببا جديداً للخصام ! !

٤ — على أن الجديد فى دعاوى تقييد الطلاق بإذن القاضى هو زعم أنصارها بأن هذا التقييد ترضى عنه الشريعة الإسلامية : لأنه يحقق مصالح الناس فى زعمهم ، وأحكام الشريعة الإسلامية بنيت على المصالح أو هى تهدف إلى تحقيق مصالح الناس !

وبادىء ذى بدء أود أن أنبه إلى أن تقييد الطلاق بإذن القاضى ، إنما هو اتجاه سايرت فيه القوانين الأجنبية الفقه الكنسى، فقد كان الطلاق مباحا فى بداية عهد المسيحية ، ثم رأى كهنة المسيحية تقييده بضرورة اللجوء إليهم ، وأصبح الطلاق لا يقع إلا بإذن الكاهن ، ولما اتجه واضعو القوانين الحديثة إلى فصل الكنيسة عن الدولة جعلوا القاضى يحل محل الكاهن فى الإذن بالطلاق .

أما فى البلاد الإسلامية فقد كان الطلاق يقع بإرادة الزوج وحده ، دون إذن من أحد علماء الدين ، ودون إذن من القاضى . بل فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كان يقع الطلاق بإرادة الرجل دون إذن خاص من الرسول عليه الصلاة والسلام أو إذن من أحد أصحابه واستمر العمل على ذلك حتى الآن .

والقول بأن الطلاق لا يقع بغير إذن القاضى ، أمر غريب على فقه الشريعة الإسلامية وأحكامها ؛ لأنه يعطى للقاضى

الحق فى ألا يأذن فى الطلاق وهو ما لا نعلم أن أحداً من علماء المسلمين قال به من قبل .

وليس صحيحاً ما يزعمونه من أن تقييد الطلاق بإذن القاضى فيه مصالح للناس . فمصالح الناس تتحقق إذا عالجنا أسباب فشل الحياة الزوجية ، ومتى أفلحنا فى هذا العلاج فلن يكون هناك طلاق ، أما إذا فشلنا فى هذا العلاج فلا يوجد علاج آخر بديل غير الطلاق .

ولا شك أن رفض القاضى دعوى الطلاق لن يحول دون استمرار الخصام والنفور بين الزوجين ، إن لم يزد هذا الخصام والنفور نارا واشتعالا ، كما أنه لن يحول دون تشريد الأولاد .. إلى آخر ما يملأون به الآذان من مساوىء الطلاق فيما يزعمون !.

٥ — لقد قيل : إن تقييد الطلاق بإذن القاضى يمنع ظلم الرجل للمرأة ويتيح فرصة للتفكير فى الطلاق كما يسمح للقاضى بأن يدعو أهل الزوجين للصلح بينهما قبل الطلاق ، ولو ترك الأمر لأحد الزوجين أو للرجل وحده لكان فوضى ! هكذا يدعون !

والواقع أن إعطاء الرجل الحق فى طلاق زوجته لا ظلم فيه للمرأة . لأن الرجل هو المسئول الأول عن الأسرة والمكلف بالإنفاق عليها، وكما لا يستساغ أن نفرض على أى رئيس لجماعة التعاون مع عاملين لا يقبلهم حتى لا يضطرب سير العمل، فكذلك لا يستساغ أن نفرض على الرجل وهو المسئول الأول عن الأسرة التعاون مع امرأة لا يقبلها ، خصوصا أن للمرأة فى الشريعة الإسلامية حق طلب التطليق من زوجها . وإذا أجبرنا الرجل على أن يعيش مع زوجة لا يقبلها ، فإن سير العمل فى الأسرة سيضطرب، ويكون عدم الطلاق هو الفوضى ، والطلاق هو العلاج الصحيح .

ومن الملاحظ أن الرجل لا يطلق غالبا إلا بعد تفكير فى ذلك ومحاولات للصلح بينه وبين زوجه ، وذلك نظرا لما سيلقى عليه من أعباء . وإذا لم يفكر الرجل قبل الطلاق فى آثاره ، فالطلاق ـ وفقا لأحكام الشريعة الإسلامية الغراء ـ رجعى فى الأصل تظل فيه الزوجة خلال مدة العدة على ذمة زوجها الذى له أن

يراجعها فيها ، وخلال مدة العدة سيفكر الرجل حتما فى الطلاق وآثاره ، كما سيبذل الأهل والأصدقاء مساعى كثيرة للصلح كما هو مشاهد فى واقع الحياة .

ومن يتأمل أحكام الشريعة الإسلامية فى الطلاق يجد أنها فى صالح المرأة أكثر مما هى فى صالح الرجل ؛ فالمرأة تستحق دائما مؤخر الصداق ونفقة العدة والمتعة سواء أكانت مخطئة أم كان الرجل هو المخطىء ، وبالمثل من تطلق لاعتدائها على زوجها . . . الخ . هذه من جهة ، ومن جهة أخرى يطلق الرجل بإرادته المنفردة دون أن يسأل عن مبرر الطلاق ، بينما لا يقضى بالطلاق بناء على طلب المرأة إلا إذا أثبتت مبرراً للطلاق وليس فى هذا تمييز للرجل على المرأة : بل على العكس فيه تفضيل للمرأة على الرجل ، ذلك أن عدم مساءلة الرجل عن مبرر الطلاق يعنى ستر عيوب المرأة ؛ بينما مساءلة المرأة عن مبرر الطلاق يكشف عيوب الرجل . والشرع لا يبغى أن يكشف عيوب الرجل ، إذ حسب الرجل إذا أراد أن يستر عيبه - أن يطلق زوجته بإرادته المنفردة ؛ وعندئذ لن يتصدى القضاء للبحث عن مبرر الطلاق . على أن عدم مساءلة الرجل عن مبرر الطلاق لا يعنى أن له سلطة مطلقة فيه ، لأن الشرع - كما ذكرنا - يلزم المطلق بمؤخر الصداق وبالنفقة المقررة للمطلقة وللأولاد ، وهى أعباء جسام تجعل الرجل لا يقدم على الطلاق إلا ولديه المبرر القوى الذى يدعوه لذلك ، غير أنه يلزم بهذه الأعباء سواء كان مخطئا فى طلاقه أو كان خطأ زوجته هو الذى أدى إلى الطلاق ، فهل هناك تشريع آخر غير الشريعة الإسلامية فيه هذه الرحمة بالنساء وفيه هذا الستر العظيم لدوافع الطلاق !!

عجبا لدعاة تقييد الطلاق بإذن القاضى ، يريدون كشف عيوب المرأة أمام القضاء ، ويزعمون أنهم من أنصار المرأة والأدهى والأمر أن ينسبوا للشريعة الإسلامية ما ليس منها .. !!

د . عبد الناصر توفيق العطار

نبىّ الله داوُد ونبأ الخصمين

للأستاذ عطية محمد سالم

قال تعالى : « وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب . إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط . إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزنى فى الخطاب . قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وإن كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب . فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب . ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق » .

جاء نبأ الخصم مع داود عليه الصلاة والسلام واستغفاره عما فتن به فى هذا السياق فنظر بعض المفسرين إليه نظرة محدودة ووجد إسرائيليات منسوجة فى إطار قصصى يبرز عنصر المرأة فى خلالها وشجع على إيرادها عندهم ذكر النعاج ما تستعمله العرب من ذكر النعجة كناية عن المرأة كقول الراجز .

بيض ثلاث كنعاج جم
يضحكن عن كالبرد المنهم

وكقول ابن عون :

أنا أبوهن ثلاث هنه
رابعة فى البيت صغراهنه
ونعجتى خمسا توفيهنه
ألا فتى سمح يغذيهنه

فربطوا بين استغفاره وفتنته وراحوا يستخرجون نوعها وصورتها : فمن مكثر ومن مقل . ولا يخرجون عن عنصر المرأة فمنهم كابن جرير - وهو إمام فى التفسير وشيخ المفسرين - يذكر ، ولكن عن وهب ابن منبه وهو معروف فى الرواية وعند المحدثين ، بأن داود عليه الصلاة والسلام وهو فى محرابه جاءه الشيطان ، وهو فى صورة طائر ريشه من ذهب فمد إليه يده ليأخذه فابتعد عنه فاتبعه فخرج من الكوة فتبعه ببصره فوقعت عينه على امرأة تغتسل على سطح بيتها من أجمل النساء فشعرت

به؛ فأرسلت شعرها تستتر به فزاده تعلقا بها فسأل عنها وعلم أن لها زوجا غازياً فأرسل إلى أميره يقدمه بالتابوت فانتصر ثم أمر بتقديمه مرة أخرى ؛ وفى الثالثة قتل وتزوجها من بعده ، فعاتبه الله وأرسل إليه ملكين فى صورة الخصمين ليبينا له أنه فتن بها مع وجود تسع وتسعين زوجة عنده ، وهكذا يسوق القصة بعدة طرق .

ويقول: غيره إنه لم يسع فى قتل زوجها ولكنه طلب منه أن ينزل له عنها، ويظن صاحب هذا القول أنه أخف وقعا مما قبله؟ لأن الأنصار كانوا ينزلون عن بعض زوجاتهم لإخوانهم المهاجرين ، ومن عجب أن يستدل صاحب هذا القول بفعل الأنصار مع وجود الفارق العظيم ؛ لأن الأنصار هم الذين كانوا يعرضون ذلك طواعية ولم يوجد من مهاجرى واحد طلب من أحد الأنصار أن ينزل له عن إحدى زوجاته ، بل إن عبد الرحمن ابن عوف لما عرض عليه أخوه الأنصارى ذلك وقال له: اختر أى زوجاتى أنزل لك عنها. لم يقبل ذلك لنفسه، وقال: بارك الله لك أمسك عليك زوجك ودلنى على السوق .

بينما يقول آخر: إن داود عليه الصلاة والسلام لم يفعل هذا ولا ذاك. ولكن خطب على خطبة غيره وهو «أوريا» زوج تلك المرأة ، وقال: إنه كان خطب زوجته قبل أن يذهب فى الغزو ثم تقدم إليها داود فخطبها، فرغبوا فيه ومالوا إليه؟ فزوجوه وأنه كان يعلم بخطبتها من قبل ويعتذر عنه بأنه لعله لم يكن محرماً فى شريعته .

بينما يقول غيره : إنه نظر إلى المرأة وعاود النظرة .

وقول خامس يقول : إنه لم يرتكب شيئا من ذلك كله فلم يعرض زوجها للقتل ، ولم يطلب منه أن ينزل عنها ، ولم ينظر إليها ، ولكنه لما قتل زوجها لم يحزن عليه ولم يجزع لقتله كما كان يحزن ويجزع على غيره . وتزوجها من بعده ، وهذا لم يخل من ميل فى نفسه لتلك المرأة على حد . لم أمر بها ولم تسونى .

وهذه الأقوال كلها لم تبتعد عن عنصر المرأة .

وقول سادس يبعد عنها ولا وجود لأثرها فيه إلا أنه يبعد هو عن موضوع السياق بكماله، وذلك أن داود حكم لأحد الخصمين وهو المدعى قبل أن يسمع كلام الخصم الآخر الذى هو المدعى عليه .

ومن عجب أننا لو نسبنا أحد هذه الأقوال لمن يقولها عن نبي الله داود لما رضيه لنفسه . . لا من جهة العفة عن المرأة ولا من جهة الفقه في الحكم .

وكيف بهم يرتضونها لنبي الله داود عليه الصلاة والسلام .

وإني لأعتقد جازما أنه لا يوجد مستند لهذه الأقوال كلها ، ومثلها أمور غيبية لا يمكن إثباتها ولا القول بها إلا بنقل صحيح ونص صريح ، ولا وجود لشيء من ذلك ؛ بل أثر عن علي رضي الله عنه أنه قال : من قال في نبي الله داود شيئا مما يقوله القصاص ـ أي في قصة المرأة حددته مائة وستين جلدة حد الفرية على الأنبياء .

وقد وجد من المفسرين كأبي السعود من يقول: أنزه القلم عن أن يجري بشيء من تلك الأقوال، وابن كثير في تفسيره يقول : هناك أخبار لا مستند لها كلها إسرائيليات لا يعول عليها ولم يذكر منها شيئا .

ولو أن هؤلاء نظروا في السياق من أوله إلى آخره لوجدوا الحقيقة ماثلة أمامهم ولظهرت لهم الفتنة في اعتكافه وهي نسبية بالنظر إلى مقام داود عليه السلام وحالة قومه ومعاملاتهم مع بعض وبغي الكثيرين منهم .

فحقيقة فتنة داود أنها فتنة عباده تؤثر على سياسة الحكم ، فلا أثر للمرأة فيها البتة وقد تكون العبادة فتنة كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم لمعاذ لما صلى بأهل قباء، وأطال صلاته بهم : أفتان أنت يا معاذ، أو تريد أن تكون فتانا يا معاذ . أي بالتزيد عليهم والتطويل بهم وهنا نبي أعطى منصب الخلافة والحكم وفض المنازعات . فيترك ذلك كله ويعتكف لنفسه في محرابه والخاطاء خارج الأسوار يبغى بعضهم على بعض وتقع الفتن والاعتداءات بينهم وهو محجوب عنهم بالحراس الأشداء .

يتضح كل ذلك بأخذ السياق من أوله ابتداء من قوله تعالى : « واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق . والطير محشورة كل له أواب . وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف

خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط. إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزنى فى الخطاب. قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وإن كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ».

وبالتأمل فى هذا السياق نجد نبأ الخصم مسبوقا بقوله تعالى : وشددنا ملكه وأتيناه الحكمة وفصل الخطاب . وهذا إعداد إلهى لنبى الله داود بما أعطاه من حكمة وفصل الخطاب إعدادا قضائيا لفض النزاع بين المتخاصمين .

وبعد السياق قوله تعالى : « يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق » وهذا تنصيب فعلى للخلافة والحكم بالحق الذى ربما لا يتأتى من غيره غالبا ؛ فالنبأ يكتنفه كلا الأمرين : الإعداد للقضاء والتكليف بالحكم .

ولكن نبى الله داود جعل زمنه أثلاثا : فثلثا لنفسه ، وأهله وثلثا لعبادته ، وثلثا لحكومته ، وقد يغتفر له فى يومه الذى جعله لخاصة نفسه وأهله؛ لأنهم مسئولون منه وهم جزء من رعيته .

أما يوم اعتكافه فى المحراب فقد لا يغتفر له مادام يوم الحكومة لا يكفى؛ لأن اعتكافه فى محرابه قاصر على نفسه . أما جلوسه للحكم فهو لرفع الظلم وإقرار العدل ولمصلحة الأمة فهم أحوج ما يكونون ليوم اعتكافه بضمه ليوم حكومته .

وفى طريقة وصول الخصمين إليه وحوارهما معه وحكمه بينهما أوضح دلالة على ذلك، لقد تسوروا عليه المحراب فى الوقت الذى لا يستطيع الناس الوصول إليه لتشديد الحراسة عليه ، وفى هذا إشعار له بأن الناس عاجزون عن الوصول إليه محجوزون عنه مع شدة حاجتهم لحكمه.

ثانياً : قول المدعى وعزنى فى الخطاب أى غلبنى صورة من صور التعدى والغصب المتفشى فى المجتمع ، خارج أسوار محرابه .

ثالثاً : قوله لهما : « لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه» اعتراف بوجود الظلم بين الناس .

رابعاً : قوله لهما : « وإن كثيراً من

الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض ، إقرار منه بطبيعة حال الخلطاء .

خامساً : بمجموع ذلك أفادت المحاورة وجود وتفشى كل من التعدى والظلم والبغى مما يستوجب دوام الجلوس إليهم وفض النزاع بينهم والأخذ على يد الباغى ورد المظالم إلى أهلها ، لا أن يتخلى عن ذلك كله ويعمد إلى محرابه يتعبد ، ولكأن الملكين يقولان له: مادمت تعلم من حال قومك وطبيعة الخلطاء فيهم كل ذلك فلم تركتهم فى بغيهم وظلمهم واعتكفت عنهم فى الوقت الذى أعطاك الله الحكمة وفصل الخطاب وجعلك خليفة فى الأرض لتحكم بين الناس ؟

فاخرج إلى الناس واحكم بينهم بالحق فهو أحب إلى الله وهو منصبك الذى وضعك فيه أى كن حيث أراد الله منك .

فلا أثر هنا ولا وجود لعنصر المرأة فى هذا النبأ وذلك للأمور الآتية :

١ — لو كان لها دخل لأتوه فى مجلس حكمه ولا حاجة إلى تسور المحراب عليه ولكن تسوروا عليه المحراب ليشعروه بخطر الحراس وحجز الناس عنه .

٢ — وصف داود عليه السلام بذى الأيد أى القوة فى العبادة وغيرها .

٣ — إنه أواب شديد الخوف من الله وسريع الرجوع إليه .

٤ — تسخير الجبال يسبحن معه وحشر الطير تسمع إليه كل له أواب .

٥ — تقوية ملكه وحفظه ، كلها تتنافى مع ميله إلى امرأة وتنزهه عن أقل من ذلك .

٦ — إيتاؤه الحكمة يرد ذلك كله لأنه ليس فى شىء من ذلك عمل بالحكمة فحكمته تحده عن هذا كله سواء عن المرأة أو التسرع فى الحكم .

٧ — قوله وإن كثيرا من الخلطاء فى ظاهر لفظه يبعد عنصر المرأة كل البعد لأن معنى الخلطاء الشركاء فى الغنم بالمرعى والفحل والحلب والمراح ، ولا يتأتى اشتراك الخليطين فى النسوة على شىء من ذلك لا فى الفحل ولا فى المبيت وإلا لكان عملا شنيعا .

٨ — إن داود عليه السلام من الأنبياء الذين أمر نبينا عليه الصلاة والسلام بالاقتداء بهم ولا يصح عقلا أو شرعا أن يتأتى شىء من ذلك عنه ؛ فإن لهم العصمة عليهم صلوات الله وسلامه ؟

عطيه محمد سالم

الإمام محمد عبده .. وقصة آدم

للدكتور عبد الغنى الراجحى

للشيخ محمد عبده فى « تفسير المنار » كما نقل عنه تلميذه ومريده الشيخ رشيد رضا مسلك فى تفسير قصة آدم وإبليس والملائكة ، فى القرآن عند تفسيره لهذه القصة فى سورة البقرة ، وهذا المسلك من الشيخ محمد عبده أثار عليه كثيرا من الاعتراضات والانتقادات التى يثيرها فيما بين آونة وأخرى كثير من الدارسين والباحثين والمشتغلين بالتفسير والدراسات القرآنية ، وخلاصة ما أخذوه عليه أنه جوز فى تفسير هذه القصة ، أن يسلك فيها مسلك التأويل والخروج عن الحقيقة والالتزام الحرفى بانطباق الجمل والعبارات ، والحكاية فى القصة ، على شىء واقع فى الخارج والحقيقة ونفس الأمر ، وسمى هذا المسلك بمسلك ومذهب الخلف ، وسمى المسلك والمذهب المقابل له بالتزام تنزيل الحكاية والجمل والعبارات على أمور وماصدقات حقيقية فى الخارج سمى ذلك بمذهب السلف ، ومن حيث إن هذه المسألة من المرحوم الإمام كثر حولها القيل والقال ، والتخريج والتمحل وهل هى من كلامه ، أو من كلام تلميذه الشيخ رشيد رضا ، ومن حيث إنه على جلالة قدره وعظم شأنه وكثرة ما أسداه للإسلام والعلم والفكر والثقافة من خدمات جلى ، قد استهدف من أجل ذلك لغضبات وتجريحات وتشكيكات فى آرائه وعقيدته ودينه . فإننى أريد فى هذه العجالة ، إحقاقا للحق وإنصافاً للرجل العظيم والمفكر والمجدد الإسلامى الكبير أن أتناول هذه المسألة بالشرح والإيضاح حتى تتضح فكرته وتفهم على وجهها الصحيح ، ويقتنع المنصفون بحسن نيته وإخلاص كلمته لوجه العلم والبحث والمعرفة ، ولعلى أستطيع أن أصل إلى ذلك من خلال حقائق وأمور أقررها على الوجه التالى : .

أولا : هذا المنهج والمسلك الذى نهجه وسلكه الشيخ محمد عبده فى تفسيره

موجود ومطبوع فى تفسير المنار من بدء القرن العشرين، يقرأ ويدرس دون أن تثار حوله شكوك وشبهات، ودون أن تستلفت ما فيه من غرابة أنظار القارئين والدارسين والباحثين، إلى أن ظهرت فى نهاية الأربعينيات من هذا القرن العشرين رسالة الفن القصصى فى القرآن التى تقدم بها صاحبها لنيل درجة الدكتوراه من كلية الآداب بجامعة القاهرة، زعم صاحب هذه الرسالة فى رسالته أن القصة فى القرآن قد دخلها الخيال والرمز والتمثيل والأسطورية، وأن القصة فى القرآن لا تكون قصة معجزة أدبية، إلا إذا فهمناها على هذا الوضع، وقد سبق القرآن الآداب العالمية بوجود هذا النوع من القصص فيه، مع إلتزامه بعد ذلك كله بأنه وحى منزل من الله. وأنه بهذا يعلى من شأن القصة القرآنية، ويبين سبقها وإعجازها من حيث البلاغة والتصدير، والروعة والتأثير والصدق الأدبى. عمم صاحب هذا الرأى حكمه هذا على القصص القرآنى بأنواعه، طويله وقصيره ما كان منه مضروبا مثلا، وما كان منه متعلقاً بأشخاص وأنبياء ورسل، عرفوا بأعيانهم وأشخاصهم، تنقل إلينا القصة القرآنية تاريخ حياتهم، وما اعتورهم فى مسيرتهم وهم يبلغون دعوة الله، من شدائد وأزمات تتخذ منها العبر والعظات، وقد أخذ صاحب هذه الرسالة يستدل على رأيه هذا بأدلة كثيرة لم تسلم من النقض والإبطال، وهى فى جماتها شبهات وجهت نحو القصة القرآنية وأجاب عنها علماء التفسير شبهة شبهة، لكنه فى النهاية كأنما يرمى بآخر سهم فى جعبته، راح يستشهد على مدعاه هذا بما ذكره الأستاذ الإمام فى تفسيره لقصة آدم وإبليس والملائكة فى سورة البقرة، من هنا توجهت الأنظار من جديد وبحدة وبشدة وبغضب إلى ما قاله الأستاذ الإمام، وأخذ كثير من الناس يحملون الإمام المظلوم تبعة ما قاله هذا الباحث الذى كان يؤيده فى رأيه ومذهبه ومزاعمه أديب عالم فى كلية آداب القاهرة، وكان المشرف على رسالته، وكان من المرموقين الأفذاذ علما وبحثا وفكراً ومنهجاً.

ثانياً: إن هناك فرقا شاسعاً وبونا واسعاً بين ما ذكره الإمام فى تفسير

قصة آدم ، وبين ما ذكره صاحب رسالة الفن القصصي في القرآن ، ولا يجوز أن يتخذ ما قاله الإمام حجة أو تكأة أو دليلا لما ذهب إليه صاحب « الفن القصصي في القرآن » وعممه في سائر قصص القرآن كله ، ولا يجوز أن نحمل الإمام تبعة ما قاله صاحب هذه الرسالة ولو كان الإمام حيا ورأى وسمع لما وسعه إلا أن يعلن براءته من ذلك ، ومن تهمة أنه السبب في ذلك ، فالإمام لم ينهج منهجه ولم يسلك مسلكه إلا في قصة آدم فحسب ؛ لأنها من الأمور الغيبية لم تجر حوادثها على وجه الأرض بين بشر عرفوا بأعيانهم وذواتهم وتواريخهم ، ولكنها قصة الملأ الأعلى : الله ومن معه من الملائكة وإبليس وآدم ، قبل أن يهبط ويدرج على وجه هذه الأرض ، فهي غيبيات تشبه أن تكون من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ، ومن المقرر المعلوم أنه في تفسير المتشابه مذهبان ورأيان : السلف الذين يأخذون النصوص على ظواهرها متقيدين بحرفيتها ملتزمين بما تفيده من المعاني والوقوع الخارجي، من غير خوض في معرفة الكيفية التي حصلت بها ، فالنصوص معلومة والإيمان بها واجب والكيف في حصولها مجهول.

ومذهب الخلف الذين يؤولون نصوص المتشابه بحملها على معان مجازية أو كنائية من غير تقيد بحرفية النصوص والتزام بوقوع معانيها الوضعية الحرفية في الخارج.

يقول الشيخ رشيد في تفسير المنار في هذا المقام وفي تلك القصة مما يعزز كلامنا هذا : « إن أمر الخليفة وكيفية التكوين من الشئون الإلهية التي يعز الوقوف عليها كما هي ، وقد قص الله علينا في هذه الآيات خبر النشأة الإنسانية ومثل لنا المعاني في صور محسوسة، وأبرز لنا الحكم والأسرار بأسلوب المناظرة والحوار كما هي سنته في مخاطبة الخلق ، وقد ذهب الأستاذ الإمام إلى أن هذه الآيات من المتشابهات التي لا يمكن حملها على ظاهرها لأنها بحسب قانون التخاطب إما استشارة وذلك محال على الله ، وإما إخبار منه سبحانه للملائكة واعتراض منهم ومحاجة وجدال ، وذلك لا يليق بالله تعالى أيضا ولا بملائكته ولا يجامع ما جاء به الدين من وصف الملائكة بأنهم « لا يعصون الله

ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » . وقد أجمعت الأمة الإسلامية على أن الله تعالى منزه عن مشابهة المخلوقات، وقام البرهان العقلى والنقلى على هذه العقيدة، فهى الأصل المحكم فى الاعتقاد الذى يجب أن يرد إليه غيره، فإذا جاء فى نصوص الكتاب أو السنة شىء ينافى ظاهره تنزيه الله، فللمسلمين طريقتان: إحداهما طريقة السلف وهى التنزيه المؤيد بالعقل والنقل فى مثل قوله تعالى: (ليس كمثله شىء) ثم تفويض الأمر إلى الله تعالى فى فهم حقيقة ذلك، والثانية طريقة الخلف وهى التأويل يقولون: إن قواعد الدين الإسلامى وضعت على أساس العقل فلا يخرج شىء منها عن المعقول، فإذا جزم العقل بشىء وورد فى النقل خلافه، يكون الحكم العقلى القاطع قرينة على أن النقل لا يراد به ظاهره ولا بد له من معنى موافق يحمل عليه فينبغى طلبه بالتأويل.

وأنا - والكلام للأستاذ الإمام - على طريقة السلف فى وجوب التسليم والتفويض فيما يتعلق بالله تعالى وصفاته وعالم الغيب، وإننا نسير فى فهم الآيات على كلتا الطريقتين، ولأنه لا بد من فائدة يحمل عليها لأن الله عز وجل لم يخاطبنا بما لا نستفيد منه معنى) هذا كلام الأستاذ الإمام الذى أورده تلميذه عند تفسير قوله تعالى: « وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنى أعلم ما لا تعلمون » ومن هذا النص يتبين اعتذار الإمام لمن يذهب فى تفسير هذه القصة مذهب الخلف والتأويل وبيان المراد المقصود من غير تقيد بتنزيل النص على واقع خارجى، ويتبين كذلك أن الأستاذ الإمام لم يمنع مذهب السلف المشهور فى تفسير هذه القصة بالتزامه فقراتها منزلة على الوقوع الخارجى مع تفويض كيفية ذلك إلى علم الله، ويتبين ثالثاً أن الإمام يقول: إنه على مذهب السلف، ثم ذكر تفسير المنار بقية هذه المقاولات والحوار فى قوله تعالى:

« وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين. قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات

والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون » فقال : (وقد علم مما تقدم أن كل هذه الأقوال والمراجعات والمناظرات يفوض السلف الأمر إلى الله تعالى فى معرفة حقيقتها، ويكتفون بمعرفة فائدتها وحكمتها وقد تقدم بيان ذلك ، وأما الخلف فيلجئون إلى التأويل، وأمثل طرقه فى هذا المقام التمثيل ، وقد مضت سنة الله فى كتابه بأن يبرز لنا الأشياء المعنوية فى قوالب العبارة اللفظية ، ويجلى لنا المعارف المعقولة بالصور المحسوسة تقريباً للأفهام وتسهيلا للإعلام ، ومن ذلك أن عرفنا بهذه القصة قيمة أنفسنا وما أودعه فى فطرتنا مما نمتاز به على غيرنا من المخلوقات ، فعلينا أن نجتهد فى تكميل أنفسنا بالعلوم التى خلقنا مستعدين لها من دون الملائكة وسائر الخلق لتظهر حكمة الله فينا ونعرف معنى إعلام الله الملائكة بفضلنا ومعنى سجودهم لأصلنا).

ثم قال تفسير المنار، نقلا عن الإمام بعد الفراغ من تفسير القصة إلى نهايتها بإخراج آدم من الجنة وبعد تفسيرها التفسير المألوف على مذهب السلف قال :

« وأما تفسير الآيات على طريقة الخلف فى التمثيل فيقال فيه : إن القرآن كثيرا ما يصور المعانى بالتعبير عنها بصيغة السؤال والجواب أو بأسلوب الحكاية، لما فى ذلك من البيان والتأثير؛ فهو يدعو بها الأذهان إلى ما وراءها من المعانى ، كقوله تعالى « يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد » فليس المراد أن الله تعالى يستفهم وهى تجيب ، وإنما هو تمثيل لسعتها وكونها لا تضيق بالمجرمين مهما كثروا، وكقوله عز وجل: « فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين ». ثم يعقب الشيخ رشيد بقوله : « أقول: وهذا الأمر يسمى أمر التكوين ويقابله أمر التشريع؛ وإنما سمى أمر التكوين للتعبير عنه فى التنزيل بقوله تعالى: « إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون » فهو تصوير لتعلق إرادة الربوبية بالإيجاد . ثم قال: ولا أذكر عن أحد من المفسرين المتبعين للأثر تصريحا بأن الأوامر فى قصة آدم من أمر التكوين إلا للحافظ ابن كثير؛ فإنه ذهب فى تفسير « قال فاهبط منها » من سورة الأعراف إلى أن الأمر فيه أمر قدرى كونى ، ومثله ما فى معناه من قصة آدم ومن الآيات الأخرى من مخاطبة إبليس للرب

وجوابها فى شأن إغوائه للبشر وإنذاره إلى يوم القيامة » انتهى .

وهو من أقوى ما يمكن الاحتجاج به للأستاذ الإمام والدفاع عنه ، ثم يردف الشيخ رشيد هذا الذى قاله بقوله ، عقب ذلك مباشرة: «قال الأستاذ الإمام ما مثاله: وتقرير التمثيل فى القصة على هذا المذهب أن إخبار الملائكة بجعل الإنسان خليفة فى الأرض هو عبارة عن تهيئة الأرض وقوى هذا العالم وأرواحه التى بها قوامه ونظامه لوجود نوع من المخلوقات يتصرف فيها فيكون به كمال الوجود فى هذه الأرض ، وسؤال الملائكة عن جعل خليفة يفسد فى الأرض؛ لأنه يعمل فيها باختياره ، ويعطى استعداداً فى العلم والعمل لاحد لهما ، هو تصوير لما فى استعداد الإنسان لذلك ، وتمهيد لبيان أنه لا ينافى خلافته فى الأرض .

وتعليم آدم الأسماء كلها بيان لاستعداد الإنسان لعلم كل شىء فى هذه الأرض وانتفاعه فى استعمالها ـ وعرض الأسماء على الملائكة وسؤالهم عنها وتنصلهم من الجواب تصوير لكون الشعور الذى يصاحب كل روح من الأرواح المصورة للعوالم محدوداً لا يتعدى وظيفته ـ وسجود الملائكة لآدم عبارة عن تسخير هذه الأرواح والقوى له ينتفع بها فى ترقية الكون بمعرفة سنن الله تعالى فى ذلك ـ وإباء إبليس واستكباره عن السجود تمثيل لعجز الإنسان عن إخضاع روح الشر وخواطر السوء التى هى مثار التنازع والتخاصم والتعدى والإفساد فى الأرض ولولا ذلك لجاء على الإنسان زمن يكون أفراده كالملائكة ؛ بل أعظم فيخرجون عن كونهم من هذا النوع البشرى » ، ثم أخذ الشيخ رشيد يفيض فى تخريج بقية أجزاء القصة على هذا النحو الذى لا داعى للإطالة فى بيانه .

ثالثاً : هل ابتدع الشيخ محمد عبده هذا المسلك وهذا المنهج ابتداعا واختلقه وافتراه دون أن يكون له سند من أقوال السابقين ، أو إنه مسبوق بمثل ذلك وإن كان على هيئة بدائية مصغرة ؟ إننا نختار الشق الثانى ، ونوجه أنظار الناقدين للإمام إلى أنه مسبوق بمثل ذلك من علماء فطاحل يحتج برأيهم ، وغاية ما فعله أنه فسر ووضح ، وزاد وأضاف ونمى ، واستخدم ما قاله غيره مجملا قليلا فنماه وانتفع به فى بحثه ، ونقله من موضع

إلى موضع ، وتلك طبيعة العلم والعلماء المشغوفين بالبحث والتأمل ، فقد سبق آنفاً ما نقله الشيخ رشيد عن المفسر العظيم ابن كثير من قوله : إن جميع الأوامر من الله فى قصة آدم أوامر تكوينية لا تشريعية يعنى أنها لم تصدر قولا من الله معمما هذا الاتجاه فى جميع الآيات الأخرى فى هذه القصة ، من مخاطبات إبليس للرب وجوابها، فى شأن إغوائه للبشر وإنكاره إلى يوم القيامة ، وفى حاشية الجمل على الجلالين عند تفسير قوله تعالى فى سورة الأعراف : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين . أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون » .

ما يفيد بل ينص على أنه فى تفسير هذه القصة القصيرة فى هاتين الآيتين مذهبان « طريقة السلف فى تقرير الآية وللخلف طريقة أخرى محصلها : أنه لا إخراج ولا قول ولا شهادة بالفعل ، وإنما هذا كله على سبيل المجاز التمثيلى فشبه حال النوع الإنسانى بعد وجوده بالفعل متصفا بصفات التكليف ، ومن حيث نصب الأدلة الدالة على ربوبية الله المقتضية لأن ينطق ويقر بمقتضاها ، يأخذ الميثاق عليه بالفعل بالإقرار بما ذكر فنصب الأدلة بالفعل إنما هو على طريقة الخلف ، وقول الشارح ونصب لهم دلائل على ربوبيته تلفيق لأن نصب الأدلة إنما هو طريقة الخلف كما علمنا، وقوله بأن أخرج إلى آخره طريقة السلف كما علمنا » انتهى ثم استمرت الحاشية تقول « وقد ذكر البيضاوى القولين ونصه (وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم) معناه ونصب لهم دلائل ربوبيته وركب فى عقولهم ما يدعوهم إلى الإقرار بمنزلة من قيل لهم: (ألست بربكم قالوا بلى) فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم من منزلة الإشهاد والاعتراف على طريقة التمثيل ويدل عليه قوله: (قالوا بلى شهدنا) إلخ وقيل لما خلق الله آدم وأخرج من ظهره ذريته كالذر وأحياهم وجعل لهم العقل والنطق وألهمهم ذلك الحديث » اه

رابعاً : من هذا الذى سبق بجملته وتفصيله يتبين لنا أن الأستاذ الإمام سلك فى تفسيره لقصة آدم مسلكى السلف والخلف ، ولم يجبر أحداً على اختيار أحد

المسلكين ، بل صرح عن نفسه بأنه على طريقة السلف ، ويتبين لنا كذلك أنه مسبوق إلى القول والمسلك الذى قال به وسلكه ، وأنه قصر كلامه هذا على قصة آدم وحدها للاعتبارات السابق ذكرها ، وأنه لا يقول بمثل ذلك فى قصص الأنبياء والمرسلين المعروفين بأعيانهم ، المذكورة وقائعهم فى القرآن الكريم ، فلا يجوز أن يحمل تبعة ما لم يقله ولم يره ولم يسمع به .

إن الأستاذ الإمام كان حجة فى العلم والدين ، طويل الباع واسع الاطلاع ، أفنى زهرة حياته فى دراسة فروع المعرفة والثقافة بأنواعها ، عقلية ونقلية، فلسفية وتاريخية ، وتفسيرية ولغوية ، ووهب نفسه للعلم والدين أينما كان ، فى باريس أو بيروت أو فى دار الإفتاء، أو بين أروقة الجامع الأزهر وأعمدته ،ثم على الصعيد العالمى من أقصى المشرق حين كان يراسل ويناظر الأديب والعالم الروسى (تولستوى) وتلتقى أفكارهما وآراؤهما على عظمة الأديان وعلى رأسها الإسلام، إلى أقصى الغرب حين كان يحاور ويجادل (هانونو) و (رينان) ، الفيلسوفين الفرنسيين ، فى فلسفة الإسلام والقضاء والقدر ، وطبيعة الإسلام ، بين واقعه وواقع المسلمين، والمقارنة بين الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية ، وفى هذه المعانى يقول حافظ فى رثائه له :

وقفت لها نونو ورينان وقفة
أيدك فيها الله بالنفحات
ووفقت بين العلم والدين والحجا
فأطلعت نورا من ثلاث جهات
وأرصدت للباغى على دين أحمد
شباة يراع ساحر النفثات
بكى عالم الإسلام عالم عصره
سراج الدياجى هادم الشبهات

فإذا ما رأينا بعد ذلك لهذا الإمام رأيا فيه غرابة أو جدة أو بعداً عن المألوف ، فعلينا أن نتعمقه دراسة وفهما وتخريجا وتحليلا ، لعل ذلك يكون أجدى من المبادرة باللوم والشتم والتشنيع والتشنج ، ولكل باحث بعد ذلك رأيه وحريته فى أن يقبل أو يرفض ، وهكذا تلتقى حرية الرأى وحرية الكلمة ، والله يعلم المفسد من المصلح ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ؟

د. عبد الغنى عوض الراجحى

الكعبة .. ثم الأزهر *

للأستاذ إسماعيل كوكب

كان من أبرز أهداف فريضة الحج ، إتاحة الفرصة للمسلمين أن يلتقوا كل عام فى مؤتمر دورى يناقش قضايا الإسلام ومشكلات شعوبه، كل القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى ضوء الإسلام، على أن يكون فى نهاية هذا المؤتمر الكبير صورة واضحة لكل ظروف الدعوة الإسلامية دنيا ودينا توضع أمام كل وفد من وفود البلاد الإسلامية المترامية الأطراف ، وبذلك تتحقق أسمى غاية ، وهى دعم الرابطة العقدية بين المسلمين جميعا وامتزاج مشاعرهم وعواطفهم ، وذلك مما يسهم بقسط وافر فى حل المشكلات المعضلة التى تعترض طريق الإسلام كدعوة، وطريق المسلمين كأمة أرادها الله أن تكون أمة وسطا تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله .

وقد اقتضت حكمة الله سبحانه أن تتأخر فريضة الحج إلى السنة الخامسة أو السنة السادسة الهجرية ، وذلك بعد أن استقرت الدعوة الإسلامية فى يثرب وأخذت طريقها إلى الانتشار فى أرجاء الجزيرة العربية ثم تجاوزت حدود الجزيرة العربية إلى آفاق واسعة .

وكان أبرز ما فى هذا المؤتمر السنوى العظيم ، التقاء الفقهاء المسلمين على صعيد واحد ، يبحثون أهم المسائل الدينية بروح سمحة وأفق واسع وعقل مستنير لكن هذا الجانب المهم قد أخذ فى الضمور فى الحقبة الأخيرة ، حيث كان لظهور السياسة الاستعمارية وسلطانها فى ديار المسلمين أثر بالغ فى إضعاف هذه الهمة التى كان يضطلع بأعبائها فقهاء مسلمون ، لهم أقدارهم فى ميدان الفقه الإسلامى ، ومفكرون إسلاميون لهم أقدارهم أيضا فى مجال الفكر الإسلامى فى شتى فروعه وشعبه .

لذلك فكر الأزهر الشريف فى أن يعيد الحيوية من جديد إلى فكرة اجتماع

العلماء والفقهاء والمفكرين المسلمين في مؤتمر عام ، في رحابه ، وهو ليس إلا مشعلا قويا من المشاعل الإسلامية التي لا تخبو مهما كانت الضغوط السياسية وغير السياسية التي توجه إليه بين حين وآخر .

رأى الأزهر أن يعمل على انعقاد مؤتمر عام لعلماء المسلمين كل عام- لا لينافس المؤتمر الإسلامي في موسم الحج ؛ بل ليكون طاقة دفع له ، وكان أن انعقد أول مؤتمر إسلامي لعلماء المسلمين في أواخر عام ١٣٨٣ الهجري وكان أن لبى الدعوة لفيف كبير من العلماء من شتى بقاع العالم الإسلامي . وظل ينعقد دوريا وسيظل إن شاء الله عاملا على نشر الدعوة والتبصير بها وتنقية الثقافة الإسلامية والتعريف بها .

ولا نزاع في أن الأزهر هو بيت الرسالة، ومن أفكار رجاله في أضواء أصول الشريعة ومن بين بطون مؤلفاته ومناقشاته وحي إلهامها من يوم نشأته إلى الآن ، ففي رحباته الواسعة درس فقه مذهب الشيعة ومذهب السنة ، ولقد ألف علماؤه وصنفوا لكل مذهب من المذاهب ، كما أعطى للقرآن الكريم حقه في قراءات وتفسير محكم آياته ،ولغة القرآن لم تحط بسياج المناعة في الشعر ولا في النثر إلا في جنبات الأزهر ، والفلك والرياضيات والمنطق والفلسفة ترعرعت وازدهرت في الأزهر،فهو مكان الدعوة ولقد وقف ضد التيارات التي تصدت لرسالته من أعداء المسلمين والمستعمرين ، فلم تهن له عزيمة ، ووقف طودا شامخا ضد جميع التيارات، ولولاه لكان حظ الإسلام في مصر مثله حظه في ديار ننظر إليها في مضاضة وألم ! !

ولو تكاتفت مؤتمرات الحج ومؤتمرات الأزهر لكان في ذلك قوة انطلاق بالدعوة ، يعيد إليها مجدها في صدر الاسلام ويقضي على الخراصين والمتربصين بدين الله عز وجل .

لقد أنشأ الفاطميون الأزهر في جمادى الأولى سنة ٣٥٩ هـ ٩٧٠ م لأداء الصلوات الخمس وصلاة الجمع والعيدين . . جامعا أطلقوا عليه اسم الجامع الأزهر تيمنا بالسيدة فاطمة الزهراء،وأقاموا فيه تدريس الفقه على مذهب الشيعة الذى كانوا

يعتنقونه ، ودراسة اللغة العربية وآدابها والقراءات والمنطق والفلك ، واتخذوا منه مقراً لشئونهم الرسمية ولبعض الحفلات الرسمية فازدهر بعلومه وبمركزه الرسمى المرموق .

وشاء الله أن يصير الأزهر الحفيظ على لغة القرآن وشريعة الإسلام، فازدهر بعلوم الفقه والحديث والفلسفة والتفسير والرياضة والطبيعة ، وأمه الكثير من أبناء الريف كما حجت إليه طلاب الشعوب العربية ، والفرس وشمال إفريقيا ، وعادت إليه فى عهد المماليك مكانته الدينية والرسمية، كما تقلد علماؤه الكثير من وظائف الدولة القيادية فى القضاء وغيره ؛ فأصبح جامعة للدراسات الإسلامية والعربية ، ومركزا من مراكز الدولة الرسمية .

وقد أرادت الحملة الفرنسية أن تستميل الأزهر والأزهريين إلى جانبها فضمت ثمانية من علمائه إلى لجنتها العليا ، ولكن الأزهر لم يلهه هذا الأسلوب عن الثورة التى أجبرت الفرنسيين على الجلاء، إذ قامت ثورة القاهرة الأولى فى أكتوبر عام ١٧٩٨ بقيادة الشيخ السادات ، وكانت مدافع الفرنسيين توجه إلى صدور الأزهريين ، وثورة القاهرة الثانية فى ١٨٠٠ كان يقودها السيد عمر مكرم ، وانتهت بقتل قائدهم كليبر على يد الطالب الأزهرى (سليمان الحلبى) بعد أن داست خيولهم حرمات الأزهر بسنابكها ، ولما عمت مظالم والى تركيا « خورشيد » فى مصر وثب الأزهر وثبته ونادى بخلع خورشيد وبولاية محمد على ، وأراد محمد على أن يستفيد من مكانة الأزهر الدينية والشعبية فأرسل من رحابه البعثات إلى الأقطار الغربية فعمل رجال الأزهر على الجمع بين حضارة الغرب المدنية وبين نهضته التقدمية والعلمية وعلى رأس هذه البعثات عاد « رفاعة رافع الطهطاوى » رائد النهضة العلمية الحديثة فربط بين الحضارتين ونشطت حركة ترجمة كتب الغرب فأشرف الأزهر على تصحيح ما نقل وما ترجم منها، ولكن ثعلبة محمد على نظرت إلى مكانة الأزهر نظرة الريبة والشك فى تنفيذ مآربه فعمل على محاربته وخلع السيد عمر مكرم من نقابة الأشراف ونفاه إلى دمياط ، كما أنزل جام غضبه على الكثير من علمائه وطلابه ، ولما دب الضعف فى الدولة التركية جرد

الإنجليز حملة لغزو مصر سنة ٧ ١٨ فقاوم الأزهر حملة الإنجليز بكل ما لديه من سلاح وعقد علماؤه مؤتمرا وطنيا أصدروا فيه فتوى بالجهاد ضد الحملة الإنجليزية ووجوب التطوع فى الجيش حتى تطهر البلاد من أوزارهم .

ولما نشبت الثورة العرابية التى قادها أحد أبناء الأزهر « أحمد عرابى » جند له الأزهر أركان ثورته من المفكرين والمحاربين ضد فرنسا وانجلترا فى الوقت الذى وضع فيه شيخها « الشيخ محمد عبده » قسم ثورته الذى أصبح دستور الشعب فى الذود عن بلاده ، ولما أصدر الخديوى توفيق فى ٢ يوليه سنة ٨٨٢، أمرا بعزل أحمد عرابى مستندا على تأييد الإنجليز أفتى علماء الأزهر بمروق الخديوى توفيق على الدين وعزله وعدم شرعية ما يصدره من أوامر ، وتكليف عرابى بالدفاع عن الوطن .

وما كادت الحرب العالمية الأولى تضع أوزارها ، حتى هب الأزهر لتبصير الشعب بالمناداة بحقـــه فى الحرية والاستقلال فتلاقت طبقات الشعب على ساحته تنطلق منها وتعود للانقضاض على الأعداء ، وأشعل نيران الثورة فى البلاد من أقصاها إلى أقصاها فتلاحمت جميع قوى الشعب فى كل مكان ضد الإنجليز ومن فوق منابره تلا حماة القرآن آيات الجهاد ، ولما تقابل الشعب الأعزل مع سيد العالم الذى تغيب الشمس وتشرق فى مستعمراته لم يجد أمامه سوى القتل والنفى لقواد الثورة من علماء الأزهر والمواطنين أيضا الذين من بينهم سعد زغلول ابن الأزهر .

وكان علماء الأزهر هم الرابطة الوثقى بين القديم والجديد ؛ إذ أرسوا أسس الجديد على قواعد القديم ، وفضل ما نتمتع به من ثقافة وعلم ومعرفة إنما يرجع إلى الأزهر الأب الشرعى لمعطيات الحاضر والمسهم إسهاما إيجابيا فى حياتنا على الرغم من محاولات حجب هذه الحقيقة ممن لا يرجون للإسلام وقارا .

وتلاقى الكعبة والأزهر على الهدف الواحد والقصد الطهور ، كفيل بأن يجمع المسلمين فى شرق الأرض ومغربها على كلمة سواء ، سداها ولحمتها إعزاز الإسلام ودعم رايته ؟

إسماعيل كوكب

القراءات في نظر المستشرقين والملحدين

للأستاذ عبد الفتاح القاضي

— ٩ —

نقض زعم جولد زيهر وجود تناقض في القراءات

زعم « جولد زيهر » أن بين بعض القراءات وبعضها تناقضاً في المعنى ، وتعارضاً في المراد وتدافعاً في المقصود ، بحيث لا يمكن الجمع بين المعنيين ، ولا التوفيق بين المرادين ، ثم ساق لذلك مثلا : صدر سورة الروم .

« ألم . غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون » .

قال : « وفي بعض الأحيان قد تؤدي القراءة إلى ترك معنى ، وإحلال معنى آخر مناقض له ، فمن الأمور التاريخية الموجودة في القرآن ماجاء في أول سورة الروم - ثم ذكر الآيات السابقة - وتفسير ذلك عند المفسرين أن ذلك للرد على أهل مكة عندما علموا بانتصار الفرس على الروم سنة ٦١٦ ميلادية ، وقد فرح المشركون بانهزام الروم ، وكانوا يميلون إلى الفرس . وكان الأمر على عكس ذلك عند النبي - صلى الله عليه وسلم - والمسلمين الذين كانوا يميلون إلى الروم وهم أهل كتاب ، وأنه سينقلب الأمر بعد وقت قصير وينتصرون .

وقد رأى المسلمون في ذلك دليلا على النبوة لما فيه من تنبؤ النبي - صلى الله عليه وسلم - بانتصار هرقل على الفرس سنة ٦٢٥م قبل حصوله ، وإن كان لا يعرف تحديد مثل هذه الوقائع التاريخية .

والذي نراه أن المسألة كانت على وجه الرجاء ، وأنه - وإن يكن الروم قد غلبوا الآن فإنهم سيغلبون بعد وقت قصير ، ولكن قراءة الآية على هذا الشكل لم يتفق عليها عند جميع القراء ، فقد قرأ أكثرهم « غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين »

بالبناء للفاعل فى « غلبت » وبالبناء للمفعول فى « سيغلبون » ، وأن ذلك يتعلق بانتصار الروم على بعض القبائل العربية بالشام .

ونحن نرى أن القراءتين متناقضتان فى المعنى ؛ فالغالبون فى القراءة المشهورة هم المغلوبون فى القراء الأخرى (١) انتهى

وفى ترجمة الدكتور « عبـــد الحليم النجار » ـ بعد أن ذكر نحو ما سبق :

« بيـد أن الجميع لم يتفقوا على قراءة النص كما سبق ـ بل قرءوا أيضاً : « غلبت الروم » بالبناء للفاعل ، وهذا يرجع إلى أن نصراً أحرزه الروم تواً على قبائل عربية تقع على الحدود السورية . « فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم » ـ من إضافة المصدر للفاعل « سيغلبون » بالبناء للمفعول ـ « بضع سنين » والمسلمون الذين أجازوا هذه القراءة يروون أخباراً بالنصر الذى أحرزته الجماعة الإسلامية الفتية على البيزنطيين بعد هذا الوحى بتسع سنين . ونرى أن فى القراءة المشهورة والقراءة المخالفة لها تأويلين متغايرين تغايراً بعيداً ؛ فالمنتصرون فى القراءة المشهورة هم المنهزمون فى القراءة المخالفة والفعل المبنى للفاعل فى الأولى مبنى للمفعول فى الثانية .

وإذاً فهما قراءتان وتأويلان لجملة واحدة من كلام الله متعارضان إلى أبعد مدى . انتهى .

وأقول : تضمنت هذه المقالة الأمرين الآتيين :

(١) إن الإخبار بأن الروم ستغلب الفرس كان على جهة الرجاء والأمل من النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا على وجه الثقة واليقين ، ومعنى هذا أن الآية ليس فيها إخبار بالمغيب حتى تكون آية باهرة دالة على صدق نبوة سيدنا محمـد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلى أن القرآن من عند الله تعالى ؛ لأن من حق كل إنسان أن يرجو مايشاء ، وتطمع نفسه فى أى مرغوب ، لا حجر عليه فى ذلك ما دام لا يعـدو فى رجائه الممكن ولا تطمع نفسه فى المستحيل .

(٢) إن بين القراءتين تناقضاً ظاهرا حيث إن القراءة الثانية جعلت المغلوب فى القراءة الأولى غالبا ، وجعلت الغالب فى القراءة الأولى مغـــلوبا ، وهذا تناقض بين .

(١) المذاهب الإسلامية ترجمة الدكتور على حسن عبد القادر

أما الأمر الأول فهو باطل ومردود، إذ ليس فى الآية كلمة واحدة تدل على رجاء أو تشعر بأمل ، أو تلوح بتمن ، وإنما هى خبر جازم ، خبر المخبر الواثق المتيقن أن مضمون خبره سيتحقق لا محالة بمقتضى الوحى الإلهى الكريم ؛ ولذلك حدد الزمن الذى ينتصر فيه الروم على الفرس بأنه فى بضع سنين .

أما الذى يتكلم متطلعا إلى رغبة ، أو متشوفا إلى أمل فلا يستطيع أن يحدد الزمن الذى يتحقق فيه مرغوبه أو يبرز إلى الوجود مؤمله ومطلوبه ، فهذا التحديد يدل على أنه من عند الله قطعا ، وعلى أن محمدا - صلى الله عليه وسلم - إنما هو مخبر عن الله فحسب ، لا يتكلم عن رغبة ولا يتحدث فى أمل . لقد كان الإخبار بهذا النصر - نصر الروم على الفرس، وبأنه كائن فى وقت معين إخبارا بأمرين كل منهما خارج عن متناول الظنون ذلك أن دولة الروم كانت قد بلغت من الضعف حدا حتى هزمت فى بلادها كما قال الله تعالى : « فى أدنى الأرض » فلم يكن أحد يظن أنّ تقوم لها بعد ذلك قائمة ، فضلا عن أن يحدد الوقت الذى سيكون لها فيه النصر ، ولذلك كذب المشركون به ، وتراهنوا على تكذيبه ، على أن القرآن لم يكتف بهذين الوعدين ، بل عززهما بثالث حيث يقول : «ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله» إشارة إلى أن اليوم الذى يكون فيه النصر هناك للروم على الفرس سيقع فيه ههنا نصر للمسلمين على المشركين ، وإذا كان كل واحد من النصرين فى حد ذاته مستبعدا عند الناس فكيف الظن بوقوعهما مقترنين فى يوم واحد ؟ لذلك أكده أعظم التأكيد بقوله : « وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون ».

ولقد صدق الله تعالى وعده وتحققت النبوءة الصادقة فتمت للروم الغلبة على الفرس بإجماع المؤرخين فى غضون سبع سنين كما أخبر العليم الخبير ، وكان يوم نصرها هو اليوم الذى وقع فيه النصر للمسلمين على المشركين فى غزوة بدر الكبرى كما رواه الترمذى عن أبى سعيد ورواه الطبرى عن ابن عباس وغيره .

وقد يقال : هلا حدد القرآن عدد السنين بلفظ أصرح من لفظ البضع المتراوح بين الثلاث والتسع ؟ أليس الله أعلم بيوم النصر وساعته ؟ بله سنته ؟

فنقول : ولكن الناس فى اصطلاحهم الحسابى لا يجرون على طريقة واحدة ، فمنهم من يحسب بالشمس ، ومنهم من يحسب بالقمر، ومنهم من يكمل الكسور ومنهم من يلغيها ، فكان مقتضى الحكمة التعبير باللفظ الصادق على كل تقدير ليكون أقطع للشبهة، وأبعد عن كل جدل ومكابرة.

وربما تراخى الأمر بين بشائر النصر ووقائعه الفاصلة؛ فيقع اختلاف الحاسبين فى تعيين الوقت الذى يضاف إليه النصر والغلبة ؛ ولذا حسن التعبير بلفظ « فى بضع » دون أن يقال : بعد بضع . فحينئذ تكون الآية من الإخبار بالمستقبل المغيب الخاص علمه بالله تعالى ، وتكون من براهين ثبوت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وأن القرآن من قول الله تعالى .

وأما الأمر الثانى فنقول فيه : إن فى الآية الكريمة قراءتين .

الأولى « غلبت » بضم الغين وكسر اللام على البناء للمفعول « سيغلبون » بفتح الياء وكسر اللام مبنيا للفاعل . وهى القراءة المتواترة . والمعنى غلب الفرس الروم فى أدنى الأرض أى أقرب الأرض مما يلى مكة . وكانت الموقعة بين « أذرعات » و « بصرى » وهى أقرب بلاد الشام بالقياس إلى مكة ، وقيل : كانت الموقعة بالجزيرة فتكون أقرب بالقياس إلى أرض كسرى العجم وقيل : كانت بالأردن وفلسطين فتكون أقرب بالقياس إلى بلاد الروم ، وهم أى الروم من بعد غلبهم أى غلب الفرس لهم ، وانتصارهم عليهم ، من إضافة المصدر للمفعول « سيغلبون » أى سيغلب الروم الفرس فى بضع سنين . وسبب نزول الآية الكريمة : أن المشركين كانوا يجادلون المسلمين فى مكة قبل الهجرة حين غلبت فارس الروم، واستولت على ما كان تحت يدها من جزيرة العرب ، وكان الروم أهل كتاب ، دينهم النصرانية ، وكان المجوس غير موحدين ، ديانتهم المجوسية ، ولما انتصرت فارس على الروم فرح المشركون وأخذوا من هذا الانتصار فألا وهو أن ملة الكفر ستغلب ملة الإيمان فكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم لأن المشركين وفارس ليسوا بأهل كتاب، وكان المسلمون يحبون ظهور الروم على الفرس لأن الروم أهل كتاب فهم إلى المسلمين أقرب من غيرهم .

أقول : كان المشركون يجادلون المسلمين ويقولون لهم: إن الروم أهل

كتاب وقد غلبتهم الفرس وهم مجوس . وأنتم تزعمون أنكم ستغلبوننا بالكتاب الذى أنزل عليكم فسنغلبكم كما غلبت فارس الروم ، فنزلت الآية تبشر بغلبة أهل الكتاب من الروم على الفرس فى بضع سنين غلبة يفرح لها المؤمنون الذين يودون انتصار ملة الإيمان من كل دين .

وإذا نظرنا إلى القرآن نظرة صادقة نجد أن معناها وسبب نزولها يعانقان القراءة المتواترة أتم معانقة ولا يبتعدان عنها قيد شعرة .

القراءة الثانية: ونسبت لعلى بن أبى طالب وأبى سعيد الخدرى وغيرهما « غلبت » بفتح العين واللام على البناء للفاعل « سيغلبون » بضم الياء وفتح اللام على البناء للمفعول وعلى هذه القراءة تكون إضافة «غلبهم» من إضافة المصدر للفاعل. والمعنى ـ على هذه القراءة ـ أن الروم تغلبوا وانتصروا على سواد الشام وسيغلبهم المسلمون فى بضع سنين .

وقد غزاهم المسلمون فى السنة التاسعة من نزول الآية ففتحوا بعض بلادهم وتأويل الآية على هذا الوجه ـ على هذه القراءة ـ لا يناقض معنى الآية على القراءة المتواترة ، فإن القراءة المتواترة أفادت أن الفرس تغلبوا على الروم وأن الروم سيتغلبون على الفرس بعد بضع سنين، والتاريخ حقق ذلك. وهذه القراءة أفادت أن الروم تغلبوا على سواد الشام واستولوا على بيت المقدس وانتزعوه من يد الفرس . وقد كان السلطان فى يد الفرس سنين طويلة قبل هذا ، ولم يمض على هذا النصر إلا بضع سنين حتى حارب المسلمون الروم ، واستولوا على جميع ما كان تحت أيديهم من بيت المقدس وغيره من بلاد الشام . فهذا المعنى الذى أفادته هذه القراءة لا يتناقض مع المعنى الذى أفادته القراءة الأولى ؛ لأن التناقض لا يتحقق إلا إذا توارد شيئان متضادان على أمر واحد فى زمن واحد ، كما إذا قيل: إن فلاناً انتصر على فلان فى ساعة كذا وهزمه فلان فى نفس الساعة التى انتصر عليه فيها فقد اجتمع على فلان النصر والهزيمة فى زمن واحد، فإذا توارد شيئان متضادان على أمرين فلا تناقض كما إذا قيل إن فلاناً انتصر على فلان وانهزم من فلان آخر ، كذلك إذا توارد شيئان متضادان على أمر واحد فى زمنين

مختلفين فلا تناقض ، كما إذا قيل إن فلاناً انتصر على فلان فى وقت كذا وانهزم معه فى وقت آخر ، فكذلك تغلب الفرس على الروم فى زمن ثم تغلب الروم على الفرس فى زمن آخر لا يعتبر من التناقض فى شىء .

والخلاصة : أن فارس تغلبت على الروم فى أدنى الأرض وبعد بضع سنين تغلبت الروم على فارس ، هـــذا مفاد القراءة الأولى المتواترة ، أو أن الروم تغلبت على فارس فى أدنى الأرض ثم بعد بضع سنين تغلب المسلمون على الروم ، وهـذا مفاد القراءة الثانية ولا تنافى بين معنى القراءتين كما يظهر بأدنى تأمل .

هـذا صفوة ما قرره العلماء فى الجمع بين القراءتين ، والتوفيق بين معنييهما ومما يدعو إلى الدهشة والعجب أن «جولد زيهر» مع زعمه التناقض بين القراءتين وجزمه به قـد دفعه بنفسه ، ووفق بين معنى القراءتين حيث يقول فى صفحة ٣١ ما نصه : وقرىء « غلبت الروم » بالبناء للفاعل وهذا راجع إلى نصر أحرزه الروم تواً على قبائل عربية تقع على الحدود السورية ، « وهم من بعد غلبهم سيغلبون» بالبناء للمفعول « فى بضع سنين » ، والمسلمون الذين أجازوا هذه القراءة يروون فيها أخباراً بالنصر الذى أحرزته الجماعة الإسلامية الفتية على البيزنطيين بعد هـــذا الوحى بتسع سنين » انتهى .

فادعاؤه بعد هـذا أن بين القراءتين تناقضاً هو التناقض بعينه .

والذى أراه أن هذه القراءة - الثانية - لا تستأهل شيئاً من هذه العناية لما يأتى:

١ — أنها ليست من جملة قراءات الأئمة العشرة المقبولة قراءتهم المتلقاة بالقبول عند علماء القراءة ، وليست من القراءات الشاذة المنسوبة إلى القراء الأربعة الذين فوق العشرة .

٢ — أن هذه القراءة لا تتلاقى مع سبب نزول الآية الكريمة ، ولا مع الوقائع التاريخية الصحيحة ، ولا مع الأحاديث والآثار المتكاثرة التى تتصل بهذه الآيات بأوثق الصلة ، وترتبط بها أتم ارتباط . فهى قراءة جديرة بالرفض والإنكار ، حقيقة باطراحها ، وغض النظر عنها والله الموفق ؟

عبد الفتاح القاضى

الشورى في الإسلام

للدكتور مصطفى كمال وصفي

— ٣ —

وظيفة الشورى :

١ ـ فى العدل : ومما تقدم يتبين أن وظيفة الشورى قاصرة على الملاءمة دون المشروعية . فإنه فى مجال الملاءمة يرجع إلى أهل الخبرة لسؤالهم فيما يعلمون . ومن هنا ربما صح ما روى عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه أشار فى تأبير النخل بنحو معين ، فلما قيل له ، قال : « أنتم أدرى بشئون دنياكم » أو كما قال . أو ما روى من أنه اختار منزلا يوم بدر فقيل له : أهو منزل أنزلكه الله أم هى الحرب والخديعة ؟ فقال : بل الحرب والخديعة فأشير عليه بغيره ، فاتبعه ـ صلى الله عليه وسلم .

وأما فى المشروعية فإن الأمر يكون اجتهاداً وليس شورى . والفرق أن الاجتهاد مقيد بوسائل فنية معينة . وأما الشورى فرأى فيه حرية وتخير واستحسان وتقدير .

وفى ذلك يقرر الإمام البخارى ـ رضى الله عنه فى صحيحه ـ كتاب الاعتصام : « وكان الأئمة بعد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يستشيرون الأمناء وأهل العلم فى الأمور المباحة » أى التى لا يعلم حلالها أو حرامها أو كراهتها أو ندبها . وهى التى ليس فيها نص ولا يعلم لها حكم باجتهاد أو قياس ، وهى ما سميناه بالملاءمات فهذه الأمور هى التى يصح أن تكون موضع الشورى دون غيرها مما علم له حكم من نص أو اجتهاد .

ولذلك فلا يصح أن يستشير الحاكم فى أمر فيه حكم ، كأن يستشيرهم : هل يباح بيع الخمر لأغراض السياحة ؟ أو هل تباح المغانى والملاهى وغير ذلك من المفاسد التى تحكمها النصوص ؟ وإنما يصح أن يستشيرهم فيما هو نظر ، وما يحتاج للرأى أى فى « المباحات » كما قرر الإمام البخارى رضى الله عنه .

وكذلك فإنه حيث وضح حكم الله فلا شورى. قال الإمام البخارى أيضا فى ذلك الموضع: «فإذا وضح الكتاب أو السنة لم يتعدوه إلى غيره».

فى هذه الحالة يكون خضوع وتسليم واستسلام للنص. ولا يكون للإمام أو غيره ممن يطلب الشورى أى تقدير، بل يكون عليه امتثال تام لحكم الله متى وضح الدليل، وبذلك فإن الرخصة المستفادة من قوله تعالى، فى سورة آل عمران (الآية السابقة) «فإذا عزمت فتوكل على الله» والتى تسوغ له - حسب ظاهرها - أن يأخذ بأى رأى، بعد أن يستشير الناس، إنما تتوقف هنا إذا وضح حكم الله. فإنه لا يكون له أن يتعداه إلى غيره أو يزنه بميزان رأيه؛ بل يكون عليه أن يستجيب بلا خيرة له لما أمر الله به.

وبذلك فإن الشورى فى الإسلام تختلف اختلافا جوهريا عن إجراءات سن القوانين بمعرفة السلطة التشريعية فى النظم الحديثة.

ففى النظم الحديثة يعتبر الشعب هو مصدر السلطات، وتعتبر السلطة التشريعية صاحبة الكلمة الأولى والأخيرة فى الأحكام المشرعة، سواء منها ما كان فى مجال الملاءمة أو كان منها فى مجال المشروعية، بل كل أعمالها واقعة فى مجال المشروعية، ولا يقال عنها ملاءمة إلا من باب التجاوز فحسب، إذ أن ملاءمات المشرع تنقلب من الملاءمة إلى المشروعية بإقراره القانون، فإذا اختار المشرع مثلا أن يسن قانونا بتشغيل الأحداث والنساء ووضع لذلك - بتقديره - أحكاما معينة، فإن ما ارتآه فى ذلك ينقلب باختياره له فيصير من المشروعية الحاكمة، وأما فى الإسلام؛ فإن الأمر لا يتغير بما تصدره السلطة العامة - أيا كانت - من التنظيم. بل تظل المشروعية ثابتة كما هى فى كتاب الله وسنة رسوله، وتظل الملاءمة بالرغم من صدور التنظيم - أدنى من تلك الأحكام.

وبذلك فإن السلطة الوضعية لا تملك فى الإسلام أن تسن ما هو خلاف للأحكام الكلية، ولا تستطيع باسم الشورى أو الملاءمة أن تخرج عن إطار المشروعية العليا الأساسية، ولا يحترم قانون تصدره خلافا للأصول الشرعية؛ لأن كل ما يأتى

خلافا لها فهو رد كصريح الحديث الوارد فى هذا الشأن « من جاء فى أمرنا هذا بما يخالفه فهو رد » (متفق عليه) فتنحسر سلطة الشورى ووظيفتها فى الإسلام إلى هذا المجال الضيق التقديرى حيث لا حكم لله بنص أو باجتهاد يستخرج على أساسه ، وفى مجال المباحات فقط على الوجه الذى بيناه .

وفى الواقع فإن أخذ الرأى يمر بأدوار :

الدور الأول : دور تحقيق الدواعى والموجبات والمرامى ، والموجبات التى تحمل على التفكير فى إصدار تنظيم معين مثلا : ظاهرة زيادة النسل فى البلاد والخوف من انفجار سكانى يهدد الموارد ويؤدى إلى المجاعة ، وفى هذا الدور يجب استشارة أهل الخبرة وأهل الحرف فى تحقيق هذه الظاهرة وآثارها فيجب الرجوع إلى الإحصائيين لتحديد مدى اضطراد النسل مع الظروف الكائنة والمنتظرة ، واستشارة أهل الاقتصاد لمعرفة نظريات السكان وضوابطها ومدى انطباقها فى الظروف الكائنة ، وما يعوق اضطراد المعادلة الهندسية لزيادة السكان مع التحسينات القائمة أو المنتظرة فى الموارد وغير ذلك مما يعرفه أهل الفن فى هذه الأمور ، كما يرجع إلى الأطباء ونحوهم لمعرفة وسائل منع التناسل ومدى ضمانها وأمنها ونتائجها ونحو ذلك مما يكون لازما للتحقق من دواعى إصدار تنظيم جديد لتحديد النسل .

والدور الثانى : هو دور إنزال حكم الله تعالى على هذه المقاصد ومدى اعتبارها شرعا ، يعنى إذا كانت هذه المقاصد قائمة فى عين رجل الإحصاء ورجل الاقتصاد والطبيب والباحث الاجتماعى وغيرهم ، فما وزن ذلك فى عين رجل الشرع ؟ وما مدى اعتبار هذه المقاصد شرعية واجبة الاعتبار فى بلاد الإسلام .

وفى هذا الدور يقوم رجل الشرع ، بعد أن يحصل على كل المعلومات الفنية من أصحاب الخبرة العملية ، بقياس ذلك بمقاييس المصلحة الشرعية . فيدرج هذه الاعتبارات فى ترتيبها الشرعى بين الضرورات أو الحاجيات أو التحسينات فإذا تبين له أن هذه الدواعى من الحاجيات مثلا التى يؤدى تنظيمها إلى رفع الحرج والمشقة عن الأمة ، بأن كانت كثرة

السكان مثلا تؤدى إلى غلاء الأسعار ومشقة الحصول على اللوازم ، وندرة المساكن مثلا وغير ذلك ، ولكنه يخل ببعض الضرورات ، وذلك كضرورة المحافظة على الدين حيث تحتاج البلاد للعديد من الجنود للدفاع عنها فى محنة تهددها - كحربنا الحالية مع إسرائيل أو كان يهدد نقص عدد المسلمين بتغلب أعداد غير إسلامية عليهم ، أو كان يخل بضرورة المحافظة على النسل مثلا ، فإنه فى هذه الحالة يعدل عن إصدار هذا التشريع ، ويوجه الفنيين إلى العلاج المباشر بمشكلة نقص الموارد وازدحام السكان ونحو ذلك من الإجراءات التى ترفع الحرج ولا تخل بالضرورات ، أما إذا تبين له أن الازدحام بلغ مداه ، وأن البلاد لديها فوق ما يكفيها للتجنيد ومواجهة العدو ، وهذا أيضا اعتبار فنى يرجع فيه إلى أهل الخبرة فى المسائل العسكرية ، وأنه لا ضرر من التنظيم والتقييد فى هذه الحالة ، وأن عدم التقييد يؤدى إلى الأضرار بالصحة العامة بسبب شدة الازدحام وما يترتب على ذلك من الأمراض ، وبسبب الأمراض التى تنشأ عن نقص التغذية ونحو ذلك ، فإنه قد يقبل من حيث المبدأ اعتبار هذا الأمر من المصالح الشرعية ؛ لأنها لا تخل بمصالح أعلى منها ، وتنبنى إذن على جلب المصلحة ودرء المفاسد .

فإذا تقرر ذلك من حيث المبدأ ووجد على وجه التحقيق مصلحة شرعية يعترف بها الشرع ويعتبر تحقيقها من مقاصده فإنه يأتى بعد ذلك الدور الثالث فى التشريع وهو دور العزم والاستقرار .

ففى هذا الدور وهو دور البت والقطع بعد أخذ الرأى والتشاور فى الدورين السابقين : مرة مع أهل الخبرة الفنية ، ومرة مع أهل الخبرة الشرعية فى الاعتراف بالحاجة الداعية للتشريع كمقصد شرعى معتبر ، يأتى الدور الشرعى البحت الذى يتلخص فى تنسيق الحكم المطلوب بين الأحكام الشرعية الكائنة . وأن يعترف للضرورة بقدرها .

ففى الحالة التى نحن بصددها ؛ وهى حالة الرغبة فى إصدار تشريع لتحديد النسل أو تنظيمه ، تعرض الحجج الشرعية للذين أباحوا تنظيم النسل وتحديده فى الإسلام . والحجج الشرعية للذين

منعوا ذلك ؛ فإذا كان الفريق الأول قد احتج - مثلا بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أباح العزل عن « سبايا أو طاس » وكان الفريق الثانى قد احتج مثلا بحديث « تناسلوا تكاثروا فإنى مباه بكم الأمم » .

فإنه يجب على أولى الأمر فى هذا الدور أن يعتبروا هذه الحجج بأن ينسقوها فيما بينها ، فما ثبتت صحته منها وعدم نسخه بغيره ، وعدم تقييده وحمل على محمل التكليف الواجب أو المندوب ، ينسق بالنسبة لغيره للأخذ بالأولى فالأولى من بعده . ثم يؤخذ من ذلك بقدر ماتوجبه الضرورة ، وتسمح به دون تفريط ولا إفراط .

فإن كان الخطر داهما مستفحلا حالا ، ولكن ينتظر ما يدرؤه من زيادة منتظرة فى الموارد - مثلا باستصلاح أراض جديدة ، أو تحسينات تطرأ كمثل إنشاء السد العالى أو صناعات جديدة ، أو فتح مجالات للهجرة ، فإنه تتخذ فى هذه الحالة إجراءات عاجلة فورية ولكنها مؤقتة ، فيعتبر الظرف طارئا وقتيا . وعلى العكس فإن كانت الحالة تنذر بخطر محتمل أو منتظر ، فإن لون التشريع الجديد وأحكامه تختلف تماما عما تحقق من الظرف الأول .

وبذلك يصدر التنظيم الجديد فى النهاية موافقاً لأغراض الشريعة الإسلامية ودواعيها ومراميها ، ومتفقا مع الواقع الاقتصادى والاجتماعى والعملى المتحقق فى البلاد ، ومتناسقا مع الأحكام الشرعية الدائمة الثابتة التى لا تبديل فيها .

ومن هنا ندرك أن دور الإمام فى قوله تعالى : « فإذا عزمت فتوكل » ليس معناه إطلاق الخيار له ؛ بل معناه التقيد بالصالح وما فيه نظر . فليس له بعد أن يستشير أن يختط خطة يراها بلا مراجع ولا رقيب ، بل ما تزال تحكمه المقاصد الشرعية والتزامه تحقيقها . لأن الولاية العامة منوطة بما هو صالح للرعية . وهى سلطة مقيدة بالصالح العام بلا أدنى شك . ولا يعرف الإسلام إطلاقا سلطة مطلقة انفرادية بلا ضوابط ؛ لأن الانفراد بالأمر استبداد . والإسلام لا يعرف الاستبداد بل الغلبة فيه للصواب أيا كان قائله .

وهذ مسألة يجب أن يهتم بها الباحثون وهى سلطة الإمام فيما هو نظر له . وأن

تبحث الفروع فى ذلك لكى يتبين بوضوح ماله من إطلاقات وما يتقيد فيه من مصلحة الرعية .

وهذا الذى نقرره يوضح لنا تماما مدى الخطأ فى الاندفاع فى الضجيج الذى يثار حول كل مصلحة شرعية يراد التشريع لها . وأن الحماسة والصياح الذى يعلو فى كل مرة هو أمر يسىء للدين أكثر مما يخدمه .

ففى مسألة تنظيم النسل مثلا صاح البعض بالتأييد وبلغ حماسهم لذلك إلى الذرى وصاح البعض الآخر بالتحذير وبلغ حماسهم لذلك منتهاه بل مضى أولئك يطعنون فى هؤلاء ..

وهذا خطأ ؛ لأنهم وصلوا إلى الدور الثالث من الرأى قبل استيفاء الدورين الأولين تماما .

فهم لم يستوعبوا أبداً أقوال أهل الخبرة والفن على وجه دقيق ، لأن الاجهزة العلمية الإحصائية والاقتصادية والاجتماعية لم تقدم لهم التقارير الفنية الصحيحة التى يعتمد عليها . ثم هم لم يصفوا هذه الدواعى بوصفها الشرعى كمقاصد معتبرة ، بسبب أنهم لم يحصلوا على هذه التقارير الفنية اللازمة . وبذلك طاشت السهام عند الاجتهاد فى هذه النازلة .

إن الاجتهاد الشرعى ، يحتاج تماما للمعونة العلمية . ومن هنا نعود مرة أخرى إلى حديث العلم والإيمان . . وأنه مادام أن الأجهزة العلمية فى البلاد لا تمد الفقيه الشرعى ، فإنه من المستحيل عليه إقامة العدل الإسلامى ؛ لأن العدل الإسلامى لا يحتاج فقط إلى خبرة ومعرفة بمحتويات الكتب الشرعيه . ولكنه يحتاج كذلك لتفهم مجريات الأمور الاقتصادية والاجتماعية والعلمية حتى يتسنى استقرار الأحوال الواقعية على أساس من الأحكام الشرعية ؟

د مصطفى كمال وصفى

حُجّاج أفريقيّون في القاهرة

للأستاذ محمد جلال عبّاس

كانت القاهرة منذ إنشائها مركز إشعاع ثقافى ودينى فى القارة الإفريقية ، وكان لموقعها الجغرافى فى الطرف الشمالى الشرقى من القارة ولما ينتهى إليها من طرق قوافل تحمل التجارة والمسافرين أثره الكبير فى جعلها حلقة اتصال بين العالم الإسلامى فى إفريقية وبين بلاد الحرمين ، وقد زاد من أهميتها هذه ما امتازت به من استقرار وأمن ساعد على اتجاه القوافل إليها من غرب إفريقية ومن بلاد المغرب الأقصى والأدنى .

ولقد شهدت القاهرة فى طوال عهود التاريخ مواكب الحجاج من البربر والعرب الوافدين من بلاد المغرب والصحراء ومن أبناء أفريقية الغربية وسلاطينها يحطون رحالهم فيها قبل أن يتابعوا طريقهم إلى الحرمين ، وكانت مواكب الحجاج هذه بمن تحملهم من علماء وفقهاء وأمراء وسلاطين وتجار وحجاج من أبناء الشعوب وسيلة هامة من وسائل الاحتفال الثقافى واللقاء مع علماء الأزهر فى مصر والأخذ عنهم بنصيب من علوم الدين والدنيا لنقلها إلى أوطانهم البعيدة .

وفى تناولنا لبعض مواكب الحج التاريخية التى أتت من غرب أفريقية فى عصور مختلفة وحطت الرحال فى القاهرة وهى فى طريقها إلى المدينة ومكة سوف نتبين ما كان لهذه المواكب من آثار ثقافية ودينية فضلا عن آثارها التجارية والاقتصادية .

كان أشهر موكب للحج أتى من غرب أفريقية هو حج منساموسى (١) خامس سلاطين أمبراطورية «مالى» وكان قد سبقه حج أسلافه وأهمهم منساولى ، غير أن موكب الحج الذى أتى على رأسه منساموسى كان أشهرها لما تركه من أثر كبير فى مصر

---

(١) منسا : معناها السلطان بلغة الماندى حسب ما يذكر القلقشندى نقلا عن مسالك الأبصار .

تحـدث به مؤرخو العصر كثيرا . قال أمير حاجب : لقد كان هـذا السلطان موسى مدة مقامه بمصر قبل توجهه إلى الحجاز الشريف وبعـده على نمط واحد فى التوجه إلى الله - عز وجل - وكأنه بين يديه لكثرة حضـوره ، وكان هو وكل من معه على مثل هـذا مع حسن الزى فى الملبس والسكينة والوقار[١].

وذكر القلقشندى فى صبح الأعشى على لسان « المهمندار » نقلا عن مسالك الأبصار فرحت لملتقاه من جهة السلطان فأكرمنى إكراما عظيما وعاملنى بأجمـل الآداب ولكنه كان لا يحدثنى إلا بترجمان مع إجادته اللسان العربى .

قال : ولمـا قدم قدم للخزانة السلطانية حملا من التبر ، ولم يترك أميراً ولا رب وظيفة سلطانية إلا وبعث إليه بالذهب.

ولما كان أوان الحج بعث إليه السلطان بمبلغ كبير من الدراهم وهجن جليلة كاملة الأكوار والعـــدة لمركبه وهجن أتباع لأصحابه وازواد جمـة وركز له العليق فى الطرق والركب بإكرامه واحترامه .

ولمـا عاد بعث إلى السلطان من هدية الحجاز تبركا فبعث إليه السلطان بالخلع الكاملة له ولأصحابه والتحف والألطاف من البز السكندرى والأمتعه الفاخرة وعاد إلى بلاده .

وقال ابن خلدون فى العبر : كان حجه فى سنه أربع وعشرين وسبع مئة فى الأيام الناصرية أى فى عهد السلطان محمد ابن قلاوون .

وكانت زيارة منساموسى للقاهرة فى طريقه إلى الحج دليلا واضحاً على حسن العلاقات بين حاضرة الإسلام وبين أفريقية الغربية كما دلت على ذلك كتابات المؤرخين ، وعلى ما كان عليه أهل أفريقيه من تمسك بالدين وحب للخير وكرم وثراء.

ولقد اعتاد ملوك (الصنغاى) الذين تولوا الملك الأعظم فى غرب أفريقية بعد سلاطين المـاندى أن يخرجوا للحج بعـد توليهم الملك وإقـرار العرش لهم ، وكانوا هم الآخرون يمرون بالقاهرة فى طريقهم إلى بلاد الحجاز ، وأشهر ملوك الصنغاى الذين زاروا القاهرة فى طريقهم إلى الحج اسكيا محمد أو السلطان محمد بعـد أن استتب له الملك ووسع رقعـة مملكته

(١) عن مخطوطة مسالك الأبصار لابن فضل الله العمرى (بدار الكتب بالقاهرة) .

وأنهى مهامه الحربية اتجه بنظره إلى شئون بلاده الدينية والثقافية، فبنى مسجد «جاو» ومسجد «جنى» وجامع «تمبكتو» الكبير وحول من هذه المساجد مجامع للعلماء والفقهاء وطلاب العلم، ثم سار إلى الحج سنة ١٤٩٧ ميلادية (أى منذ خمس قرون) ونزل بالقاهرة فى موكبه الكبير المؤلف من آلاف الجمال والخيول التى تحمل الذهب والعاج. والزاد والماء وكان ذلك بعد زيارة منسا موسى بقرن ونصف ويذكر عبد الرحمن السعدى (١) فى تاريخ السودان أنه أنفق ثلاثمائة ألف مثقال من الذهب فى رحلته، وأنه حمل معه من مصر إلى ماحمله بضائعها من الأقمشة المطرزة والسروج أحمالا كثيرة من الكتب ليزود بها مساجد البلاد ومدارسها.

وشهدت القرون التالية مواكب حج كثيرة أتت من بلاد النيجر ومن شمال نيجيريا تحمل ملوك «الهاوسا» ومن بلاد «تشاد» تحمل ملوك وسلاطين «برنو وكانم» وقد تحدث ابن «فرتوا» عن «ماى أوريس الوما» وزيارته للقاهرة فى طريقه إلى الحج وما كان فى هذه الزيادة من دعوة لعلماء مصر إلى بلاده لإصلاح الدين وتوالت من بعدهم زيارات زعماء «الفولاتى» من أمثال «عثمان دون قديو» الذى ورد ذكر حجته الكبيرة وزيارته للقاهرة ومقابلته لعلمائها وفقهائها فى كتاب إنفاق الميسور فى تاريخ بلاد التكرور» الذى كتبه أحمدو بللو» وجاء ذكر من كان يراسلهم من علماء مصر والأزهر على لسان ابن اخيه الامير عبدالله فى كتابه تزيين الورقات وخلاف «عثمان دن قديو» الزعيم والمصلح الدينى فى نيجيريا فقد مر بالقاهرة من الحجاج خلال القرن التاسع عشر قافلة حج كبيرة فى عام (١٢٣٦هـ - ١٨٢٠م) تحدث عنها القنصل البريطانى فى مدينة كوماس بغانا حيث قال: كان أوس كومى ملك الأشانتى قد آمن بالإسلام وكان على وشك إعلان ذلك على يد أمير عربى يسمى الشريف إبراهيم، وقد اتفق مع الشريف إبراهيم الأشانتى أن تصحبه جماعة من مسلمى الأشانتى إلى الحج على أن يتعهدوا بسلامتهم، ولكنه تعهد بذلك حتى القاهرة فقط.

أما الحاج عمر الفوتى فقد كانت رحلته

(١) مؤرخ أفريقى من تمبكتو عاش فى القرن السادس عشر.

إلى الحج طويلة استمرت من سنة ١٢٤١ هـ إلى سنة ١٢٤٩ هـ وقد قبل أن يبدأ كفاحه ضـــد المستعمرين الفرنسيين الأوائل وعملائهم . أقام خلالها فترة فى مصر قبل سفره إلى الحجاز ثم فترة أخرى بعد عودته منها حيث اتصل بشيوخ الأزهر وخالط رجال الصوفية فى مصر وبخاصة الخلوتية وجلس يجيب على أسئلة الطلاب فى الجامع ويذكر محمد وعايو قيام الذى كتب قصيدة بلغة الفولاتى عن حياة الحـاج عمر فى الأبيات من ٤٠ إلى ٧٣ عن رحلته إلى مصر والحجاز ذهاباً وعوده وجاء فيها أنه صحب كثيراً من علماء مصر وعلماء الشام ، وقد ظهر أثر ما تلقاه من علم فى مصر فى رده على مجموعة رسائل الأمير أحمد أحمد ملك «ماسينا» واعتمد فيها على كتب علماء مصر وفقهائها وخاصة جلال الدين السيوطى .

* * *

هذه لمسة سريعـة عمن مر بمصر من حجاج أفريقيا مررنا بها على عصور مختلفة حتى القرن المـاضى كان الحج فيها مبعث صلة بين القاهرة وقلب أفريقية فى مجالات التجارة والثقافة وعلوم الدين. يتبين منها ما كان لهذه الصلة من آثار بالغة على إحياء الدين فى أفريقية وقيام حركات الإصلاح الإسلامية ونقل الفهم الصحيح إلى عامة المسلمين فى تلك البلاد .

ولئن كانت طرق المواصلات اليوم قد يسرت طريق الحج من غرب أفريقيا إلى الحجاز مباشرة فان ذلك لم يمنع الكثير من الحجاج الأفريقيين من المرور بالقاهرة فى رحلة عودتهم ليتصـــلوا بالهيئات الإسلامية والأزهر الشريف وليحملوا من مصر أمهات الكتب الدينية والمطبوعات الإسـلامية التى تزخر بها المكتبات فى (القاهرة) ولكن هـذا الاستمرار يحتاج من الأزهر الشريف ومجمع البحوث الإسلامية إلى مزيد من العناية والرعاية لتنظيم استقبال وفود العائدين من الحج ورعايتهم ومساعدتهم فى تحصيل ما يتوقون إليه من مناهل العلوم الإسلامية .

محمد جلال عباس

لمحات من نظام القضاء في الإسلام

للأستاذ عمر الفاروق عبد الحليم

— ٣ —

كان لاجتماع الولايات العامة كلها فى شخص الرسول الكريم ، أثره الظاهر فى ولاية القضاء . فكان ثمة تداخل بين ولاية القضاء وولاية التشريع، فيما صدر عنه - صلى الله عليه وسلم - من أحكام فيما عرض له من الأقضية ، وما وضعه من هدى فى كيفية نظرها . كان المصدر الثانى للأحكام ، بعد القرآن الكريم . فمن الأحكام تحددت القواعد الموضوعية وانبنت عليها فيما بعد الأحكام والسنن الموضوعية . التى تبين الحقوق، بأنواعها من حقوق عامة للفرد فى مواجهة الجماعة بوصفها سلطة عامة ، ومن حقوق خاصة للفرد فى مواجهة غيره من أفراد الجماعة ، فيما يكون بينهم من علاقات مختلفة . سواء ما دخل من هذه العلاقات فى موضوع الأحوال الشخصية للفرد ، أو ما دخل فى نطاق الأحوال العينية ، والحقوق المالية وغيرها من شتى صور المعاملات ، ومن طريقته فى نظر القضية أو مما أشار به على من كلفهم من صحابته رضوان الله عليهم من وسائل فيما يعرضون له من ذلك ، تستمد القواعد الإجرائية ، أو قوانين المرافعات بحسب الاصطلاح المعاصر . فأكثر ما يزخر به الفقه الإسلامى، ويفخر . من الأحكام الشرعية ، فى شتى فروعه ، يقوم بصفة أساسيه ، وفى الجانب الأكبر منه . على السنن الفعلية ، ونعنى بها قضاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما عرض له وطريقته فى القضاء .

ولقد قسم الفقهاء الإسلاميون فى وقت لاحق أركان القضاء إلى ستة : القاضى والمقضى له والمقضى عليه ، والمقضى فيه والمقضى به ، وكيفية القضاء . وكانوا متأثرين فى ذلك بما قدمناه من اجتماع هذه الأحكام كلها فى قضاء الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولكن الذى نراه من هذه الأركان يدخل فى دراسة نظام القضاء ، بمعناه المعاصر ، ومع قليل من

التجوز يسمح بالجمع بين نظام القضاء ونظام التقاضى - هو الأركان الثلاثة الأولى، والركن الأخير، أعنى: القاضى والمقضى له والمقضى عليه، وكيفية القضاء، وأما المقضى فيه، وهو الحق مثار النزاع، والمقضى به، وهو حكم الشرع فى هذا الحق فمجال دراستهما هو صلب النظام القانونى ومجموعه.

ونعرض فيما يلى لكل من هذه الأركان التى اخترناها بالبيان:

(الركن الأول: القاضى)

إذ كان القاضى، على ما أسلفنا من البيان، هو المصطفى - صلى الله عليه وسلم - فإن الأمور لا تحتاج إلى تفصيل، فحسب القضاء شرفا ورفعة وعلو شأن أن ينعقد للرسول الكريم لواؤه.

وكل ما اشترطه المتأخرون من شروط لتولى القضاء إنما هى بعض سجاياه مما كان يتجلى حين يتجرد للقضاء. فالعلم والحلم والعدالة والعدل ليست إلا بعض خلقه السمح وطبعه الحليم، والمتأخرون حين يتحدثون عن لزومها للقاضى، فإنما لأنها متحققة فى النبى الكريم - صلى الله عليه وسلم - وأنها من أبرز خصاله، وكل خصاله فضيلة، ليكون للقاضى فى رسول الله أسوة حسنة.

وأما حين يعهد الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام إلى بعض صحابته عليهم سحائب الرضوان، ليقضى بين خصمين فى مسألة من المسائل، فحسب المختار شرفا أن كان موضع الاختيار، وكفى بذلك شهادة من أكرم شاهد على موفور علم هذا الصحابى الجليل وفضله وشريف خلقه وحلمه، وبيان ذلك أن الرسول عليه صلوات الله وسلامه كان يعهد إلى بعض صحابته بالقضاء ضمن ما يعهد به من الولاية العامة لعامله على البلد الذى يوليه عليه، فقد ورد ذكر القضاء ضمن عهده - صلى الله عليه وسلم - إلى سيدنا معاذ حين ولاه اليمن إذ سأله: بم تحكم؟ قال: بكتاب الله، قال: فإن لم تجد، قال معاذ فبسنة رسول الله، قال، فإن لم تجد، قال أجتهد رأى ولا آلو، قال - صلى الله عليه وسلم: الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله إلى ما يرضى الله.

كذلك كانت تثبت ولاية القضاء لغير معاذ من عمال الرسول على غير بلاد اليمن من البلاد التى دخلت فى دين الله، وكذلك

لمن استعملهم الرسول على المدنية حين كان يتغيب عنها للغزوات أو الحج .

وكذلك كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - يعهد إلى بعض صحابته رضوان الله عليهم فى الفصل فى منازعات بذاتها فلا تثبت لهم ولاية القضاء فى غيرها ، وكان أكثر ذلك ما يكون فى الحالات التى يحتاج الفصل فيها إلى الانتقال إلى محل النزاع أو إلى توافر بعض الخبرات الخاصة .

فمن ذلك ماذكره ابن عبد البر فى كتاب الاستيعاب : أن دارا كانت بين أخوين لخطرا فى ذلك خطاراً (أى أقاما بينهما جداراً) ثم توفيا ولكل منهما عقب . فتنازع العقبان (أى الوارثان) إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأرسل حذيفة اليمانى يقضى بينهما : فقضى بالخطار لمن وجد معاقل القمط يليه (أى لمن وجد معاقد الحبال التى يشد بها الجدار فى ناحيته) . ثم رجع فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم بما فعل فقال : أصبت وأحسنت :

المقضى له والمقضى عليه

إذا كان فقهاء الشريعة قد اختاروا أن يعتبروا كلا من المقضى له والمقضى عليه ركنا قائما بذاته . فإننا نؤثر أن نجمع بينهما ركنا واحداً . لأنهما طرفا القضية ولا يتصور وجودها بصفة عامة إلا بين طرفين : وحتى فى الدعوى الجزائية حيث يكاد هذا التمايز أن يختفى. فإنه فى الحقيقه قائم : بين الحاكم ، ولى الأمر المطالب بتوقيع الحدود . وبين الجانى. وإنما غابت هذه التفرقة لما ذكرناه من قبل من اجتماع الولايات كلها للرسول صلى الله عليه وسلم وإذا كان الفقهاء قد عبروا عن طرفى الخصومة بالمقضى له والمقضى عليه ، باعتبار ما يكون من نتيجة القضاء . فإننا نعبر عنهما ، فى لغة القضاء الحديث بالمدعى والمدعى عليه . باعتبار المركز المبدئى فى الخصومة .

وحين نلتزم الفترة التى نتحدث عنها هاهنا من قضاء المصطفى عليه الصلاة والسلام ، فنحن نرى ، مع فقهاء الشريعة أن التعبير بالمقضى له والمقضى عليه أوفى بالغرض وأدنى إلى التحديد . فلم يكن الأمر دائما أمر مدع ومدعى عليه، لم يكن فى الأمر آنذاك طالب ولا مطلوب ، وإنما كان أمر استرشاد واستهداء يأتى المتنازعان ، ولا نقول الخصمان ، فما كان الأمر يبلغ حد الخصومة ، إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - يسألان الحكم وينصرفان إلى تنفيذه مذعنين راضيين

امتثالا لقول الله سبحانه وتعالى فى سورة النساء : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » وقد أوردنا ذلك فى موضعه فى المقال الأول، وأوردنا تصديقه ما نقله الإمام أحمد فى مسنده من حديث أم سلمة رضى الله عنها عن صاحبى المواريث الدارسة إذ حضرا إلى النبى صلى الله عليه وسلم يستغيثان فنصح لهما وأرشدهما فانصرفا راضيين . بل لقد كان يحدث أن يتدخل الرسول عليه الصلاة والسلام قاضيا بين متنازعين لم يترافعا إليه . ففى صحيح البخارى عن كعب رضى الله عنه أنه تقاضى ابن أبى حدرد دينا كان له عليه - فى المسجد - فارتفعت أصواتهما حتى سمعها الرسول وهو فى بيته - وحجرته الشريفة يومئذ جزء من المسجد - فخرج عليهما حتى كشف سجف حجرته فنادى : يا كعب ، فقال لبيك يارسول الله ، قال صلى الله عليه وسلم : ضع من دينك هذا ، وأومأ إليه ، أى الشطر ، قال : لقد فعلت يا رسول الله فقال : صلى الله عليه وسلم لابن أبى حدرد قم فاقضه.

ومع ذلك فلم تكن التفرقة بين المدعى والمدعى عليه تختفى تماماً ، ولا كانت فائدتها تنتفى ، فأحيانا يحدث ألا يقف الخلاف بين الأطراف حول الحكم الشرعى فى الحق ؛ بل يمتد إلى وجود الحق ذاته ، واحد يطالب بحق له يراه عند صاحبه ، وصاحبه ينكر عليه ذلك الحق أصلا . هنالك لا بد أن يتوجه من يرى نفسه صاحب الحق المجحود إلى الرسول . يدعى بحقه ويطالب بتقريره وبإلزام جاحده برده إليه . هنالك يكون هذا الذى يطالب بالحق ، وينكره عليه الآخر ، ولا يشهد له الظاهر بحقه ، يكون هو المدعى ، ويكون الآخر الذى يقال إن الحق عنده، وهو ينكره ويؤيده الظاهر فى إنكاره ، هو المدعى عليه ، وهنالك تظهر التفرقة بين مركز كل من المتنازعين من حيث: من يكون عليه عبء الإثبات وماذا يكون الدليل المقبول وكانت القاعدة العامة فى ذلك ، كما رسمها الرسول - عليه الصلاة والسلام - أن البينة على من ادعى واليمين على من أنكر ، ونرجىء ذلك إلى الركن الثالث عن كيفية القضاء ؟

(للبحث بقية)

عمر الفاروق عبد الحليم

بعض أوهام صاحب الهامش على القاموس

للأستاذ عباس أبو السعود

الشيخ «نصر الهوريني» هو الحبر الذي ليس فى منقوله غمز ، والبحر الذى ليس فى منقوده لمز ، هو المحقق الذى ملك أعنة اللغة ، فعرف جليها وكشف خفيها فليت له العربية وما فصح من لغاتها ، وملح من بلاغاتها ، وما انتهى إليه من كلام الأعراب فى بواديها ، لا يتخير إلا ماوقع عليه فى عبارات الثقات المبدعين وانطوى تحت استعمالات المفلقين من التراكيب التى تملح وتحسن، ولا تنقبض عنها الألسن ، وما حصل عليه من بطون الكتب من روائع الألفاظ وما تحمله من جوامع الكلم ، لقد أعجز المناظر والمناضل ، وأتقن هذه الصناعة، وتاجر فيها بأنفس بضاعة ، حتى صارت له بين رجالات اللغه مكانة لا تدافع، فاعترفوا له بأنه منها حظى ، وفهمه فيها جاحظى.

ولكن على الرغم مما صورنا من سمات هذا اللغوى الفحل فهو عرضة للنسيان ؛ لأن المرء غير معصوم ، والنسيان فى الإنسان غير معدوم ، والكمال محال لغير ذى الجلال ، والعصمة اختص بها عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ، فعلينا ألا نؤاخذه بما نسى، وألا نرهقه من أمره عسرا ، وكفاه نبلا أن تعد معايبه .

فهاهو ذا قد اعتبر (أفراخا) جمعا شاذا لفرخ، وقال: لأن فعلا صحيح العين ساكنها لا يجمع على أفعال، وشذ منه ثلاثة ألفاظ هى فرخ وأفراخ ، وزند وأزناد ، وحمل وأحمال ، ونسب هذا الرأى إلى ابن هشام فى شرح (الكعبية) ، قال: ولا رابع لها.

ثم أكد هذا الرأى فى مادة (سطر) فقال : وقوله أسطار ظاهره أن أسطارا جمع سطر المفتوح ، وليس كذلك ؛ لأن فعلا بالفتح لا يجمع على أفعال فى غير ألفاظ ثلاثة ؛ بل هو جمع سطر المحرك كأسباب وسبب .

ثم أكده مرة ثانية فى مادة (الفرزع) بزنه برثن فقال : ومر له فى (ل ب د) أن الأنسار سبعة، وهو الصواب، قال شيخنا:

وأنسار لا يخلو عن نظر ، لأن فيه جمع فعل بالفتح على أفعال وهو غير معروف إلا فى حمل وزند وفرخ، وليس هذا منها .

والحق الذى لا مرية فيه ،ولا محيص عنه ، هو أن فعلا المفتوح الفاء والصحيح العين يطرد جمعه على أفعال ، ومن العجب العجاب أن (الفيروزابادى) أورد فى قاموسه مئات لفعل المشار إليه مجموعة على أفعال ؛ ولم ينكر ذلك عليه الشيخ نصر ؛ ولم يدعه ذلك إلى تغيير رأيه : منها شخص وأشخاص ؛ وجفن وأجفان. ونهر وأنهار .ورمس وأرماس وهى القبور وشرط وأشراط .وسمع وأسماع .ورهط وأرهاط . ورأى وآراء .وربع وأرباع وهى الدور . وأرض وآراض . وألف وآلاف . وأنف وآناف. ونذل وأنذال وهم الأخساء المحتقرون ونجد وأنجاد . وكبش وأكباش . وشكل وأشكال . ونقب وأنقاب ، وهى الثقوب . وجد وأجداد وفذو وأفذاد . وشهد وأشهاد . ولحن وألحان . وطلق وأطلاق وهى الظباء وسطر وأسطار . وحبل وأحبال وفن وأفنان ، وزهر وأزهار . وبهو وأبهاء ، وفرد وأفراد وسجع وأسجاع . وعرش وأعراش .ونجم وأنجام، وغير ذلك كثير.

هذا ، وقد جاء على لسان أحد أعضاء المجمع اللغوى . هو الأب أنستاس الكرملى ما يأتى منقولا من محاضر جلسات دور الانعقاد الرابع ص ٥١ .

إن النحاة لم يصيبوا فى قولهم : إن فعلا لا يجمع على أفعال إلا فى ثلاثة ألفاظ لا رابع لها وهى : فرخ ، وحمل وزند . وأكد ابن هشام أنه لا رابع لها

والذى وجدته أن ما سمع عن الفصحاء من جموع فعل على أفعال أكثر مما سمع من جموعه (أى المطردة) على أفعل ، أو فعال بالكسر ، أو فعال بالكسر ، أو فعول بالضم، فعدد ما ورد على أفعل هو ١٤٢ اسم . وعلى فعال ٢٢١ اسم .

فأن يسلموا بجمعه قياسا مطردا على أفعال أحق وأولى ، لأن ماورد فيها هو ٣٤٠ لفظة ، وكلها منقول عن الثقات ، لورودها فى الأمهات المعتمدة مثل القاموس واللسان . ا هـ

ومن شاء مزيدا فى هذا الباب فعليه أن يلجأ إلى كتابى (الفيصل فى ألوان الجموع) ففيه ما يشفى الغلة ويهدى إلى سبيل الصواب ؟

عباس أبو السعود

رسالة إلى شهيد القناة

للأستاذ أحمد عمر هاشم

يا شهيد الحياة ، والدين ، والحق — فجرك الرحب فى الفراديس أشرق
فى سبيل الرحمن ضحيت بالرو — ح .. فكانت ذكراك أبقى ، وأعمق
يا أخى : أرضك الحبيبة أرضى — سار فيها العدو .. سار وحلق
أتراها .. وثورتى فى رباها — والخضم الهدار ماج ، وصفق ؟
قد تحدى عدوه ، وتصدى — ليرد الليل الجحود الملفق !
ويشد الصباح من قبضة الليـ — ـل .. ويضفى على ربا الأرض رونق
فالقناة العصماء أوحت إلينا : — أن نخوض الغمار .. لا نترفق
أرضنا .. أرضنا ترعرع فيها — أمل النصر قد تعالى وأورق
أمل النصر إن تمزق يوماً — فقلوب الدنا له تتمزق !!
مرت النكسة التى محصتنا — والسنى فى الدنا معنى ومرهق
باهت الضوء تائه اللحن واه — فجره حائر النوافذ .. مغلق ..
جامد يرقب الخلاص بعين — تتحدى الإعصار فى كل مزلق
فحرام يرى سناه عدو .. — مطفىء للضياء باغ ، وأخرق
والقناة التى أمر عليها — وعليها دماء أهلى تهرق
حفروها يا نعم من حفروها — من شهيد ، كم شاد فيها وعمق ..
أتراها ، وعزتى فى حماها — لن تراها حياة طاغ وأحمق !!
زحفنا اليوم شد كل خطاه — يعربياً لكل صعب تسلق
يبتنى عزة يشيد انتصارا — ت ، وإلا فالموت أولى وأليق
فسلام عليك فى جنة الخلـ — ـد .. سلام معطر الروح يعبق
وبروض النعيم نم فى ارتياح — أمل النصر عن قريب يحقق

أحمد عمر هاشم

بين الكتب والصحف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

● فضائل مصر للكندى :

هذا الكتاب الذى قامت بنشره مكتبة وهبة بالقاهرة، هو لعمر بن محمد بن يوسف الكندى ، قام بتحقيقه الأستاذان إبراهيم أحمد العدوى أستاذ التاريخ الإسلامى بكلية دار العلوم ، وعلى محمد عمر بمركز تحقيق التراث بدار الكتب .

أما الكتاب فتبدو أهميته - كما يشير إلى ذلك المحققان - فى أنه من أقدم الأوصاف العديدة التى كتبت عن مصر ، ومن ثم فإن هذا الوصف من وجهة نظر التاريخ هو الذى يعد ذا أهمية كبيرة : كمصدر لعديد من المؤرخين أمثال : المقريزى فى خططه، والسيوطى فى «حسن المحاضرة» والقلقشندى فى « صبح الأعشى » وابن تغرى بردى فى « النجوم الزاهرة » ، وابن ظهيرة فى « محاسن مصر والقاهرة » وغيرهم ..

ولقد كان المحققان الفاضلان حريصين فى تقديمهما للكتاب ، على إزالة لبس وقع فيه كثير من المؤرخين المبرزين ، فهؤلاء نسبوا هذا الكتاب «فضائل مصر» لأبى عمر محمد بن يوسف الكندى ،وهو أبو المؤلف الحقيق ، وصاحب كتاب « الولاة والقضاة » المعروف ، وهذا راجع - بالطبع - إلى شهرة الأب ، وقد عجبت عندما رأيت الزركلى فى «الأعلام» يقع فى نفس اللبس ، مع أن كتابه القيم « الأعلام » يعتبر من أحدث الكتب التى ترجمت عن الأعلام ، وقد ساعد على هذا الخلط أيضا أن الأب المؤرخ اشتهر بكنية « أبى عمر » وعمر هو ابنه صاحب كتاب « فضائل مصر » الحقيق .

والمؤلف يبدأ كتابه بفصل عن فضل مصر على غيرها ، ثم يذكر ما ورد فى فضل مصر من آثار قرآنية ونبوية ، وما ورد من دعاء الأنبياء لمصر وأهلها، ثم يشير إلى من ذكرهم الله فى كتابه من أهل مصر ، ومن أظهرته مصر من الحكماء ومن كان بمصر من الأنبياء قبل الإسلام

وكذلك من جاء إلى مصر من الصحابة والفقهاء والعلماء والزهاد، ومن ولد بمصر من الخلفاء، ومن دخلها من الفقهاء والخلفاء والشعراء، ثم يتحدث الكتاب عن خراج مصر ومناظرها، والعجائب التى بها، وعما ورد فى نيل مصر ..

الحق أن المحققين الكريمين بذلا جهدا مشكورا ومضنيا فى نفس الوقت — فى تحقيق هذا الكتاب برغم صغر حجمه فقد اعتمدا على ثلاث نسخ مخطوطة، منها اثنتان بدار الكتب، والثالثة بمعهد المخطوطات بالجامعة العربية، كما قاما بالترجمة الموجزة عن الأعلام الذين ورد ذكرهم فى الكتاب، وأيضا وضعا فى نهاية الكتاب فهارس للموضوعات، والآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأعلام والقبائل والأماكن، ثم فهرسا لمصادر البحث والتحقيق.

وإن كان ثمة ملاحظة فهناك ملاحظتان:

المحققان لم يحققا الأحاديث والآثار كما ينبغى، وكونهما يردان الحديث أو الأثر إلى مصدر تاريخى لا يعد هذا تحقيقا، وحتى بعض الأحاديث والآثار لم يرداها إلى أى مصدر.

كذلك كان بعض الكلمات الغريبة فى حاجة إلى شرح.

ربما كانت عناية المحققين بضبط الكتاب على النسخ المخطوطة قد استنفد جل جهدهما وهو جهد مشكور له تقديره، فقد كان طبع هذا الكتاب الصغير ضرورة دعت إليها أكثر من حاجة.

* * *

● العربية الفصحى .. وأعداؤها:

كانت جريدة الجمعة فى الأخبار قد نشرت مقالا عن «الفصحى .. اللغة الدينية المقدسة» تناول تفنيد المحاولات والمشروعات الاستعمارية والصهيونية لإضعاف الفصحى وترويج العامية فعقب على المقال فضيلة أستاذنا الشيخ عبد الجليل عيسى عضو مجمع البحوث الإسلامية والعميد الأسبق لكلية اللغة العربية، كتب فى العدد التالى:

«إن لغة الأمة من أقوى دعائمها ومقوماتها، بل هى مجرى ونهر هذه المقومات الذى يحفظها ويصونها ويبلغ بها إلى أهدافها .. هذا من المعلومات الأولية، وكلما أحست الأمة بأن عدوا يتربص بها ليطمس لغتها ويفكك مقوماتها

فإنها تهب فى وجهه لتسد عليه كل الطرق وتحبط بيقظتها كل المؤامرات التى يستهدف بها نهر حياتها ومجرى مشاعرها ومعانيها وبلوغ أهدافها وغاياتها فى الحياة وما بعد الحياة .. وهى اللغة » .

وبعد أن أشار فضيلته إلى أن خصوم العرب والمسلمين حاولوا هذه المحاولات الخبيثة من قديم الزمان ، فتصدى لهم رجال مخلصون وأوقفوا الزحف الخفى والمعلن على اللغة المقدسة ، وكان من بعض آثار ذلك إنشاء مجمع اللغة العربية ليخلصها من جيش الأخلاط الدخيلة التى غيرت ملامحها وشوهت جمالها .. قال :

وإنه لمن المخزى حقا أن نسمع من لا يزالون ينعقون بين ظهورنا ممن ينتمون لأمتنا بأن العربيــة الصحيحة لغــة صعبة التعليم ، عسرة النحـو ، معقدة الكتابة ، ويجعلون من هذه المفتريات على « اللغة الكاملة » تبريراً لهـدفهم الأصلى ، وهو تشجيع استعمال اللهجـة العامية - بديلا للعربية - نطقا وكتابة وحـكاية إلى آخر ما يزيفون .. ماذا نقول لهؤلاء أكثر من أنهم لا يجـدون طريقهم إلى إفهام الصحيحة يتعالمون بهـا ، ويتفاصحون بفصاحتها ، لا يخجلون أن يحاولوا قتلها بها ، وهى على عداوتهم طيعـة التعبير ، وهم على جحودهم ينالون كرامـة بيانها ، وإن كانوا على المـلأ ينالون من كرامتها ويهدمون بناءها » .

* * *

● غرناطة وآثارها الفاتنة .

للدكتور عبد الرحمن زكى من سلسلة المكتبة الثقافية صدر هذا البحث الموجز ولحكمة أرادها الله يصدر هـذا العدد من هذه السلسلة يذكرنا بمجد الإسلام الذى ولى فى الأندلس ، فى الوقت الذى نذرف فيه دموعنا على سقوط « دكا » فى الباكستان الشرقية المسلمة ... والتاريخ يعيد نفسه ..

ولم تسقط بالأمس غرناطة وحـدها بل سقطت أشبيلية وقرطبة وغـيرهما ، ولن تكون « دكا » آخر معقل إسلامى يسقط ما دام المسلمون متفرقين أيدى سبأ ، هؤلاء المسلمون الذين لم يحاولوا أن يفقهوا امرة واحدة قول الرسول - صلوات الله وسلامه عليه :

« يد الله على الجماعـة ... وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية .. !!

باب الفتوى

يقدمه الأستاذ : محمد أبو شادى

أحكام الحج :

السؤال :

من السيد / خليل على محمد

هل الحج واجب على الفور أو التراخى ؟

الجواب :

ذهب الشافعى، والثورى، والأوزاعى ومحمد بن الحسن إلى أن الحج واجب على التراخى فيؤدى فى أى وقت من العمر ولا يأثم من وجب عليه بتأخيره متى أداه قبل الوفاة ؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أخر الحج إلى السنة العاشرة من الهجرة وكان معه أزواجه وكثير من أصحابه مع أن إيجابه كان سنة ست من الهجرة .

فلو كان واجبا على الفور لما أخره الرسول ـ صلى الله عليه وسلم .

وذهب أبو حنيفة ومالك وأحمد وبعض أصحاب الشافعى وأبو يوسف إلى أن الحج واجب على الفور لحديث ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من أراد الحج فليعجل ؛ فإنه قد يمرض المريض وتضل الراحلة وتكون الحاجة . رواه أحمد والبيهقى، والطحاوى وابن ماجه، والذين قالوا بأن الحج واجب على التراخى أولوا هذا الحديث وحملوه على الندب وأنه يستحب تعجيله والمبادرة به متى استطاع المكلف أداءه .

☆ ☆ ☆

السؤال :

من السيد / على محمد داود

ما حكم حج الصبى ؟ .

الجواب :

حج الصبى يثاب عليه ولا يجزئه عن حجة الإسلام ؛ لقول النبى صلى الله عليه وسلم : أيما صبى حج ثم بلغ الحنث ــ الحنث الإثم ــ أى بلغ أن يكتب عليه إثمه ــ فعليه أن يحج حجة أخرى. رواه الطبرانى بسند صحيح ، وقد أجمع أهل العلم على أن الصبى إذا حج قبل أن يدرك فعليه الحج إذا أدرك ، ثم إن كان الصبى

مميزا أحرم بنفسه وأدى مناسك الحج وإلا أحرم عنه وليه ولبى وطاف به وسعى ووقف بعرفة ورمى عنه .

٭ ٭ ٭

السؤال :

من السيد عمر عبده صالح

حج المرأة وحدها .

الجواب :

ذهب أبو حنيفة وأصحابه والنخعى والحسن والثورى وأحمد وإسحاق إلى أن المرأة لا يجوز لها أن تخرج إلى الحج وحدها ؛ بل لا بد من أن يكون معها محرم ، وضابط المحرم عند العلماء من حرم عليه نكاحها على التأبيد بسبب مباح لحرمتها فخرج بالتأبيد أخت الزوجة وعمتها وبالمباح أم الموطوءة بشبهة وبنتها وبحرمتها الملاعنة .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم ولا تسافر المرأة إلا مع ذى محرم، فقام رجل وقال : يا رسول الله إن امرأتى خرجت حاجة وإنى اكتتبت فى غزوة كذا وكذا . فقال: انطلق فحج مع امرأتك) رواه البخارى ومسلم واللفظ لمسلم .

قال الحافظ: والمشهور عند الشافعية اشتراط الزوج أو المحرم أو النسوة الثقات وفى قول تكفى امرأة واحدة ثقة، وفى قول نقله الكرابيسى وصححه فى المذهب أنها تسافر وحدها إذا كان الطريق آمنا.

وقد استدل المجيزون لسفر المرأة وحدها من غير محرم ولا زوج إذا وجدت رفقة مأمونة أو كان الطريق آمنا بما رواه البخارى عن عدى بن حاتم قال (بينا أنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل فقال: يا عدى هل رأيت الحيرة — قرية قريبة من الكوفة — قال : قلت لم أرها، وقد أنبئت عنها قال فإن طالت بك حياة لترين الظعينة — الهودج فيه امرأة أو لا — ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله) .

واستدلوا أيضا بأن نساء النبى صلى الله عليه وسلم حججن بعد أن أذن لهن عمر فى آخر حجة حجها ، وبعث معهن عثمان بن عفان وعبدالرحمن بن عوف .

وفى سبل السلام قال ابن تيمية: « إنه يصح الحج من المرأة بدون محرم ».

السؤال :

من السيد / مصطفى ياسين الدمرداش

ما رأى الدين فيمن مات وعليه حج ؟

الجواب :

من مات وعليه حجة الإسلام أو حجة كان قد نذرها وجب على وليه أن يجهز من يحج عنه من ماله كما أن عليه قضاء ديونه، فعن ابن عباس رضى الله عنهما « أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبى - صلى الله عليه وسلم - فقالت : إن أمى نذرت أن تحج ولم تحج حتى ماتت أفأحج عنها ؟ قال : نعم . حجى عنها ، أرأيت لو كان على أمك دين أ كنت قاضيته ؟ اقضوا الله ، فالله أحق بالوفاء » رواه البخارى .

وفى الحديث دليل على وجوب الحج عن الميت سواء أوصى أم لم يوص لأن الدين يجب قضاؤه مطلقا وكذا سائر الحقوق المالية من كفارة أو زكاة أو نذر وإلى هذا ذهب ابن عباس وزيد بن ثابت وأبو هريرة والشافعى ، ويجب إخراج الأجر من رأس المال عندهم ، وقال مالك: يحج عنه إذا أوصى أما إذا لم يوص فلا يحج عنه لأن الحج عبادة غلب فيه جانب البدنية على المالية وإذا أوصى حج عنه من الثلث .

الحج عن الغير

من السيد / إبراهيم دويدار إبراهيم

هل يجوز الحج عن الغير ؟

الجواب : من استطاع السبيل إلى الحج ثم عجز عنه لمرض أو شيخوخة لزمه إحجاج غيره عنه ، لأنه أيس من الحج بنفسه لعجزه ، فصار كالميت فينوب عنه غيره لحديث الفضل بن عباس « أن امرأة من خثعم قالت : يا رسول الله، إن فريضة الحج أدركت أبى شيخا كبيرا لا يستطيع أن يثبت على الراحلة أفأحج عنه ؟ قال : نعم . وذلك فى حجة الوداع » رواه الجماعة ، وقال الترمذى : حديث حسن صحيح .

وقال الترمذى أيضا : (وقد صح عن النبى - صلى الله عليه وسلم - فى هذا الباب غير حديث، والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبى - صلى الله عليه وسلم - وغيرهم) يرون أن يحج عن الميت وبه يقول الثورى وابن المبارك والشافعى وأحمد وإسحاق ، وفى الحديث دليل على أن المرأة يجوز لها أن تحج عن الرجل والمرأة ، والرجل يجوز له أن يحج عن الرجل والمرأة ، ولم يأت نص يخالف ذلك، وقال مالك : إذا أوصى أن يحج عنه

حج عنه ويشترط فيمن يحج عن الغير أن يكون قد سبق له الحج عن نفسه لما رواه ابن عباس رضى الله عنهما (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول لبيك عن شبرمة : فقال أحججت عن نفسك؟ قال لا : قال فحج عن نفسك أو لا ثم حج عنه) رواه أبو داود وابن ماجه وقال البيهقى : هذا إسناد صحيح ليس فى الباب أصح منه .

* * *

التجارة وتأجير الرواحل فى الحج ؟

من السيد / درويش النجار ياسين

هل يجوز الحج مع التجارة وغيرها ؟

الجواب : لا بأس للحاج أن يتاجر ويؤاجر ويتكسب وهو يؤدى أعمال الحج والعمرة . قال ابن عباس: إن الناس فى أول الحج كانوا يتبايعون بمنى وعرفة وسوق ذى المجاز - موضع بجوار عرفة - ومواسم الحج فخافوا البيع وهم حرم ؛ فأنزل الله قوله (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم) فى مواسم الحج. رواه والبخارى ومسلم والنسائى .

* * *

من أين يحرم الحاج بالطائرة ؟

من السيد / خالد يونس

الجواب : قال ابن حزم وغيره: « ومن كان طريقه لا تمر بشىء من المواقيت فليحرم من حيث شاء » بحراً أو براً أو جواً والأفضل أن يحرم من حيث أنشأ السفر من بيته أو من السرادق الذى تعده الوزارة بالمطار .

* * *

ماحكم المبيت بمنى ؟

من السيد إدريس مقبل

الجواب : البيات بمنى واجب فى الليالى الثلاث أو ليلتى الحادى عشر والثانى عشر عند الأئمة الثلاثة ، ويرى الأحناف أن البيات سنة لقول ابن عباس « إذا رميت الجمار فبت حيث شئت » رواه ابن أبى شيبة.

وعن مجاهد : لا بأس بأن يكون أول الليل بمكة وآخره بمنى أو أول الليل بمنى وآخره بمكة ، وقال ابن حزم : ومن لم يبت ليالى منى بمنى فقد أساء ولا شىء عليه . واتفق الفقهاء على أنه يسقط عن ذوى الأعذار .

* * *

وقت رمى جمرة العقبة

من السيدة م . ع . ح

ما وقت رمى جمرة العقبـة ، وهل للنساء أن ترميها فى أى وقت شئن ؟

الجواب : رمى جمرة العقبة يوم العيد إنمـا تكون ضحى لقول جابر : « رمى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ الجمرة بعد النحر ضحى وأما بعد فإذا زالت الشمس» أخرجه الجماعة وهذا خاص بالرجال .

ويجوز للنساء الرمى يوم العيد قبل الفجر لقول السيدة عائشة : « أرسل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأم سلمة ليلة النحر فرمت جمرة العقبة قبل الفجر ، ثم مضت فأفاضت ، وكان ذلك اليوم الذى يكون رسول الله ـ صلى الله عايه وسلم ـ يعنى عندها » رواه أبو داود .

* * *

وقت الرمى بعد يوم النحر ؟

من السيد / لطفى السيد موسى

فى أى وقت يرمى الحـاج الجمرات فى اليوم الثانى والثالث للمتعجل ؟

الجواب : ذهب الجمهور إلى أن الرمى بعد يوم النحر إنمـا يكون بعد الزوال وخالف فى ذلك عطـاء وطاووس وقالا يجوز الرمى قبل الزوال مطلقا ورخص الحنفية فى الرمى يوم النفر قبل الزوال والله أعلم .

محمد أبو شادى

قال الله تعالى :

« إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين » . (آل عمران)

أنباء وآراء

هل تزوج آدم عليه الصلاة والسلام بغير حــواء ؟

فى (المنتخب من السنة) بالمجلد الثانى ، الفصل الثالث ص ٢٨ ، الطبعة الثانية ١٣٨٧ هـ ، وردت العبارة الآتية ، فى التعليق على حديث « بعث النار » هذا التعليق الذى استطرد إلى ذكر « يأجوج ومأجوج » فكانت العبارة بشأنهم :

« وقال كعب : هم من ولد آدم من غير حواء » . اهـ

هذا القول المنسوب إلى كعب ليس له سند من الكتاب العزيز ؛ ولا من حديث شريف ، صحيح أو ضعيف ، وليس مصدره العهد القديم ، أو الأناجيل على ما فى هذه الكتب .

إنما هو حديث (الحاخامات) الذى جمع فيما سمى بالتلمود حيث انتقصوا فيه من الأنبياء ، واضعين لكل نبى معصية ، برأه الله سبحانه منها ، وفيه عن آدم أنه اتصل بغير حواء ، وأن حواء اتصلت بغيره ، وكان الطرف الآخر لكل منهما من جنس الشياطين ، نبرأ إلى الله ونعوذ به من كفر صراح .

ثم انطلق (الحاخامات) - بعــد - إلى تقسيم الآدميين إلى :

(ا) عنصر إنسانى بحت .

(ب) عنصر آدمى الصــورة غير إنسان (١) .

فلا عجب إذا قال اليهود : إن الآدمى الإنسان هو اليهودى فقط ، وما عداه إنما هو حيوان آدمى الصورة خلق لخدمة اليهودى ؛ إذ لا يليق بالأمير أن يخدمه حمار فى صورة بهمية .

هذه قصة التفرقة العنصرية ومنشؤها وهى التى طلاها الصهيونيون بغلاف (اليهودية الحديثة) .

وهى جميعا كامنة فيما نسب لكعب .

---

(١) انظر للدكتور يوسف نصر الله : « الكنز المرصود فى قواعد التلمود » ص ٤٠ وما بعدها ، (مطبعة المعارف ١٨٩٩) .

أنبـاء :

● دعـوة شيخ الأزهر إلى زيارة الجزائر .

استقبل فضيلة الإمام الأكبر دكتور محمد الفحام شيخ الأزهر بمكتبه صباح السبت ٨ من ذى القعـــدة ١٣٩١ - ٢٦ / ١٢ / ٧١ - السيد إبراهيم مزهودى سفير الجزائر بجمهورية مصر العربية - مع الوفد المرافق له .

وفى هذا الاجتماع بحث فضيلته مـع الوفـد الروابط الثقافية والدينية بـين الأزهر والجزائر ، وقـد وجه سيادة السفير الدعوة إلى فضيلة الإمام الأكبر لزيارة الجزائر، ووعد فضيلته بتلبيتها .

● تهنئة الإمام الأكبر للمسيحيين.

جاء فى تهنئة الإمام الأكبر : هنيئا لإخواننا المسيحيين هــــذه الأعياد ، وإنا لنرجـو لهم ما نرجوه لأنفسنا من طيب الحياة ورغد العيش فى وطن يرفل فى الطمأنينة والأمن، سائلين المولى جلت قدرته أن يجنبنا مزالق الشر ، ويبعدنا عن مؤازرة البغى وممالأة قـوى الباطل حتى تسود المحبة ويعم الخير ، وترتفـع راية الحق والعدل والسلام .

● وكيل الأزهر والوفد الأندونيسى

استقبل فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود وكيل الأزهر صباح الثلاثاء ٤ من ذى القعدة ٩١ - ٢٢ / ١٢ / ٧١ الوفـد الأندونيسى الذى سيتجـه إلى الرباط لحضور المؤتمـر الإسلامى هنـاك ممثلا لجمهورية أندونيسيا برياسة السيد ناصر الدين رئيس الدعـوة بوزارة الشئون الدينية الأندونيسية .

وقـد ناقش الوفد مع فضيلته بعض الأبحاث والدراسات التى ستعرض فى المؤتمر حول مشروع تنظيم الأسرة وقد أهداهم فضيلته نسخا من المصحف الشريف ومطبوعات مجمع البحوث الإسلامية .

● أمين عام مجمع البحوث الإسلامية والمشرف العام على الأوقاف بالسودان.

زار فضيلة الشيخ يوسف إسحاق حمد النيل المشرف العــــام على الأوقاف والشئون الدينية والحج بوزارة الأوقاف بجمهورية السودان فضيلة الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار أمين عام مجمع البحوث الإسلامية بمكتبه صباح الاثنين ١٠ من ذى القعدة ٩١ - ٢٧ / ١٢ / ٧١ ودار الحديث حـــول العـلاقات الثقافية

والإسلامية بين مصلحة الشئون الدينية بالسودان والجهات المعنية بالأزهر، كما بحثت فى هذه الجلسة المنح الدراسية المقدمة من الأزهر للسودان، ودعوة بعض الشخصيات الدينية بالسودان لحضور المؤتمر السابع لمجمع البحوث الإسلامية.

● هدايا مجلة الأزهر فى الخارج.

نشرت جريدة الثورة الليبية - فى حلقات متتابعة - كتيب مجلة الأزهر «العرب واليهود فى القرآن» كذلك ترجم «الوحى والقرآن» إلى اللغة الأندونيسية.

كلا الكتابين لفضيلة الشيخ عبدالرحيم فودة مدير مجلة الأزهر ورئيس تحريرها.

● مجلة «الزهراء»

صدر أول عدد من مجلة «الزهراء» حافلا بالبحوث العربية القيمة والدراسات الإسلامية النافعة.

تصدر «الزهراء» عن جمعية الدراسات الإسلامية ويرأس تحريرها فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ أحمد حسن الباقورى نرجو للزميلة الزهراء الازدهار والرواج فى خدمة الإسلام والمسلمين ؟

على الخطيب

(بقية المنشور على صفحة ٩٨٢)

● قراءات:

«إن الإسلام لم يقف يوما ما، سدا فى وجه التقدم والعلم .. إنه يقدر الجهود الفكرية فى الإنسان إلى درجة يرفعه فيها فوق الملائكة، وما من دين ذهب أبعد من الإسلام فى تأكيد غلبة العقل، وبالتالى غلبة العلم على جميع مظاهر الحياة ..

إننا نرغب فى أن نتعلم وأن نتقدم وأن نصبح من الناحية العلمية والاقتصادية أكفاء كالشعوب الغربية .. ولكن الشىء الوحيد الذى لا يستطيع المسلمون أن يتمنوه هو أن ينظروا بعيون غربية ويروا الآراء الغربية ..

إنهم لا يستطيعون أن يتمنوا - إذا أرادوا أن يظلوا مسلمين - أن يتبدلوا بحضارة الإسلام الروحية تجارب مادية من أوربا .. »

من كتاب «الإسلام فى مفترق الطرق» لليوبولدفايس ؟

محمد عبد الله السمان

فهرس أبجــدى عام

للمجلد الثالث والأربعين من مجلة الأزهر

سنة ١٣٩١هـ – ١٩٧١م

الموضوع — الصفحة

(ا)

الأزهر فى تاريخ العروبة والإسلام ٨٧

أسباب الطلاق .. لا الطلاق ... ٩٣٦

الإسلام دين القوة ٧١٩

الإسلام والحرب النفسية ... ٢٧٣

الإسلام والعروبة فى أمريكا اللاتينية ٢٨٢

الإسلام وكرامة الإنسان ... ٣٤١

الإسلام والمسلمون فى أوربا ... ٦٥٥

أبو بكر الصديق فى مرآة شاعر معاصر ... ... ٣٥٠ ، ٤٨٧

أدب الإسلام فى الجهاد ٤٢٠

أربع عشرة ميزة لصلاة الجمعة ويومها ٥٣٠

أصول التربية الإسلامية ... ٧٢٩

الأعياد والمواسم الإسلامية ... ٧٠٧

الإمام أبو حنيفة وعنايتـــه بالحديث ... ... ٥٤٣ ، ٦٧٩

الإمام محمد عبده وقصة آدم . . ٩٤٥

إلى النصر مهما يكن الثمن ٨٠٣

أول معركة فى الإسلام ٦٢١

(ب)

بعض أوهام صاحب الهامش على القــاموس ٩٧٧

بلاغة الإقناع فى القرآن ... ٢٦ ، ١٣٤

بناء البيت وآذان إبراهيم بالحج ٨١٠

ابن خلدون السياسى .. الماهر ٨٣٢

البوصيرى وشعر النقد الاجتماعى ١٥٣

البيعـــة ... ... ٣٤٥،٥٤٨،٦٤٩

بين يدى هذه الذكرى ١٩٣

(ت)

اتجاهات تربوية فى هدى رسول الله ٤١

تضامن الأمة فى الإصلاح ودرء الفساد ٤٣١

التعبئة للمستقبل ومسئوليتها ... ٥٧٨

(ج)

الجنس والصحة النفسية فى نظر الإســـلام ٤٨

جنوب السودان الوثنى ٥٦

الموضوع	الصفحة
الجهاد فى سبيل الله — — —	١٩٦
الجرح والتعديل — — —	٣٨٥
جيش الروم أيام الفتح الإسلامى	٦٣٣
(ح)	
الحب بين الزوجين فى الأدب العربى — — — —	٣٧٦ ، ٥٩١
حتمية الدستور الإسلامى —	٤٥١
حجاج أفريقيون فى القاهرة —	٩٦٩
الحج والعمرة — — — —	٨١٥
الحج المبرور — — — —	٩١٥
حقوق الإنسان فى الإسلام —	٢٣١
حقوق الأولاد وآدابهم — —	٣٢٤
حكم الإسلام فى شهادات الاستثمار بمجموعة (ج) —	٤٠٦
حول التفسير العلمى للقرآن	١٢١
(د)	
الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة	٨٧٦
دروس من غزوة تبوك — —	٤٢٤
الدكتور محمد أحمد الغمراوى —	٣٩٥
دلالة القرآن على نفسه — —	٣١٨
دور الدعاية فى الجهاد الإسلامى	٨٠٦
الدولة الإسلامية دولة إنسانية	٢٥٣
الدين قوام الحياة وزمام الخير	٩٧
(ر)	
رسالة الأزهر فى السودان —	٧٤٢
رسالة إلى شهيد القناة (قصيدة)	٩٧٩
الرضا بحكم الله ورسوله — —	٦١٢
الرضا بشرائع الإسلام من الإيمان	٥٢٤
رعاية الإسلام للقيم والمعانى الإنسانية	٢٤٤
(س)	
السحر بين الدين والمجتمع — —	٤٨٢
سلطان القانون — — — —	٤٥٩
(ش)	
شبابنا فى الخارج — — —	٩٢١
شهداء الصحابة يومى الرجيع وبئر معونة — — — —	٤٧٧ ، ٥٧٣
شهر صفر وبداية الجهاد — —	١٣٠
الشهيد فى الإسلام — — —	٢٩٦
الشورى فى الإسلام	٧٦٦، ٨٤٦، ٩٦٣
(ص)	
الصادق الواثق الذى لا يهاب —	٤١١
صحة النفس والحياة — — —	٣١٥
الصراع الثقافى فى حياة الشباب	٢٣٦
الصوم والجهاد — — — —	٦٨٥
الصيغ التى تأتى بمعنى (مفعول)	٣٩٢
(ط)	
طرائف فى ألغاز — — — —	٨٣

الموضوع	الصفحة
(ع)	
استعمالات «بين» — — — —	١٦٣
عدل الإسلام فى نظام الأسرة —	٨٢٧
عدل الإسلام وظله على اليهود —	٧٢٣
العربية لغة الإسلام والمسلمين	١٤٧،٣٧٣ ٤٩٤،٥٦٧ ٧٧٠،٨٣٩
علاقة التشريع الإسلامى بالتشريع الوضعى — —	٣٩،٢٥٦
علو الهمة فى حياة المسلمين —	٥٦٠
على الطائر الميمون — — —	٨٩٩
عمر بن الخطاب وفكره الاقتصادى	٨٥٧
عناية الإسلام بالنشء — —	٨٨٠
العنصرية أساس قيام إسرائيل —	٢٦٥
عيد النحر وأحكام الأضحية —	٩٠٧
(ف)	
فى القصاص حياة يا أولى الألباب	٤٤٥
فى متعلقات الظرف وشبهه —	٦٩٢
(ق)	
قدر هذا الشهر الأغر — —	٦٠٣
القراءات فى نظر المستشرقين والملحدين — — — —	٦٥،١٧٤ ٣٦٩،٤٧٢ ٦٢٧،٧٣٦ ٨٢١،٩٥٧

الموضوع	الصفحة
قف ساعة معى — — — — —	٧٤٩
(ك)	
الكاتب المجهول وإعجاز القرآن	٨٥١
كبائر الإثم وصغائره — — —	٤٣٩
الكعبة . . ثم الأزهر — —	٩٥٣
كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر	١٩٦
كلمة السيد الدكتور وزير الأزهر	٢٠٢
كلمة فضيلة الدكتور الأمين العام	٢٠٨
كلمة الوفود — — — — —	٢١٢
كلمة السيد رئيس الجمهورية — —	٢٢٢
(ل)	
لا .. يا رائد الشباب — — —	١٦٧
لمحات من نظام القضاء فى الإسلام — — — —	٦٧٤،٨٧١ ٩٧٣
ليلة القدر — — — — —	٦٠٦
(م)	
المؤتمر السادس لمجمع البحوث الإسلامية — — — — — —	٢١٦
المتخلفون عن واجب القتال . .	٥١٠
متى نتعلم ؟ — — — — — —	٧٦
المجرحون بالرواية — — —	٥٨٤
مراسلة فقهية — — — — —	٩٢٩
مرثية الرندى من عيون الشعر الأندلسى — — — — —	٧٧٧

الموضوع	الصفحة
مسئولية الإنسان عن نفسه —	٩٠٢
مسئولية الإيمان — —	١١٧ ، ٣٣٠
المستشرقون واللغة العربية وآدابها	٣٦١
المسلمون فى الأندلس — —	٧٦١
مصادر الشريعة الإسلامية وثباتها — — — — —	٤٣، ١١٢
مصريون .. وعرب .. ومسلمون	٥٠٢
المصطلحات العسكرية —	١٨٥ ، ٤٠٢
معانى الهجرة — — —	١٢
مكانة الجهاد من الإيمان — —	١٧
الملكية بوضع اليد أو سقوط الحق بمضى المدة — — —	٤٦٤ ، ٧٨٢
من الأصول السياسية والدستورية	٣٤٥
من حديث الهجرة النبوية —	٢١
من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى	٤١٤
المهاجرون والأنصار — —	١
موالاة الأعداء — — —	٨٦٦
الموسوعة القرآنية —	١٦٩ ، ٣٩٨

(ن)

الموضوع	الصفحة
النجوى — — — —	٧٥٥
نبى الله داود ونبأ الخصمين —	٩٤٠
انتشار الإسلام فى الرحاب —	١٥٨
نزول المسيح من علامات الساعة	٥١٥
نظام الاقتصاد فى الإسلام —	٦
نظرات فى شعر أحمد الزين	٥٥٣ ، ٦٦٨

(هـ)

الموضوع	الصفحة
الهجرة عيد الحرية — — —	٣٤
هلال المحرم « قصيدة شعر » —	٦٣

(و)

الموضوع	الصفحة
وراء كلمات — — — — —	٧٨
وقفة مع منطق الإلحاد — —	٣٣٣
ويمكرون .. ويمكر الله — —	٣٧٨

(ى)

الموضوع	الصفحة
يا أذن الشباب اسمعى ..	٥٢٧ ، ٦٦١
يقظة المؤمن وفطنته — — —	١٢٥

(هدايا صدرت مع مجلة الأزهر)

١ — الهجرة : مقدماتها ونتائجها
٢ — المال فى نظر الإسلام
٣ — أولياء الله بين الموالين والجافين
٤ — العرب واليهود فى القرآن
٥ — دين الإنسانية . . الإسلام
٦ — فى رحاب رمضان
٧ — حقوق الإنسان فى الإسلام
٨ — الحرب فى الإسلام والقانون الدولى العام
٩ — مناسك الحج

The above mentioned three sources are the agencies which influence the mind of an individual. After that let us discuss something about educational programme. First we discuss the existing education system prevailing among Muslim Communties.

The existing education system is strile. It is evident because it is keeping the Muslims backward, and is not producing the effects which would have elevated the community. The existing system is a mixture of two kinds of educations a part of it has an Islamic base i. e. Concept based on *Allah* and the Creation of *Allah ;* the second part is borrowed from the West, i. e. concept based on the creation by accident and that no will of the Created exists. During the education process in Muslims' communities the first part i. e. *Allah* and His will is spoken aloud whereas the Western thought about automaton of nature is suggested tacitly. This creates confusion in ihe sub-conscious mind of the Muslim student. You know that the force of subconscious mind is far more stronger than the conscious mind, Naturally such education must produce Scholars who shall constantly face dilemma in their mind and remain confused and unproductive. The existing education has prove a failure upto this time and shall prove a failure in future. If the existing system is replaced by some other system which shall have this contradictory foundation it shall also prove strile and wastefull. The existing system is inherite from the Imperialist powers who had been dominate Muslims' Countries during past centuries.

The education system imposed by the Imperialist powers on Muslim Communities had multifarious purpose to serve. For example, it served the purpose of destroying the Muslims disciplinary education system by rendering it useless for the secondary education. Therefore, a lack of a proper first stage education among Muslims have become a problem. The secondary education which was introduced by them was devoid of any proper foundation based on Islamic discipline which could suit to the minds of Muslims. Thus the whole education system was a confusion based on hybrid culture, i. e. part of it was European culture and the other part of local culture.

(to be continued)

between the capability of an American or European born person and the capability of a person born and grown up in one of the Muslims' Countries. The former (i. e. American or European) can design and make a secure vehicle which can carry him to the fabulous Journey to the moon, whereas the later (i. e. a person born in a Muslim's Community) drags himself on the earth, if he does not avail a vehicle made by non-Muslims. "Where from that difference comes ?" The answer is 'from education'.

You can imagine that it is the existing education system which is keeping the Muslims backward. You know that after the birth the child is reared by his or her parents at the first stage. If the parents are clever they discipline their child properly, and thus he becomes a useful member of a civilized society. On the other hand if the parents are ignorant, they put the child in the vicious circle of ignorance and destitute. The child without training and guidance does not become a cultured and disciplined person. You can see that how important it is that the first teachers (i. e. the parents) should be properly educated.

The other thing which effects on the mind of the child is his environment. The environment is created by people who surround it. Thus it is men who influence the environment. And environment forms and controls the habits and customs of the community. What is true for an individual's training that is true for the whole community as well. The whole community or a part of the community requires the educational and training programmes in the same way as that an individual requires education and training. Only the nature of education and training becomes different. It might not be wrong to point out that at present this is a weak side of the Muslim Community. A special kind of reformatory education programme is required to correct the environments of Muslim Communities.

The skill of the teacher plays the most important role in building up the mind of the students. The teachers skill lies in the effective communication of ideas from his mind to the mind to the mind of his pupil. The effective communica-ation conditions the way of thinking and disciplines the mind from 'mind wondering to a systematic and logical way of thinking ; and that leads to the knowledge. If the teacher knows that and does communicate ideas efficiently, he is a good teacher, otherwise — with all his degrees and the certificates he possesses — he is a wasteful agency.

A Letter To Muslim 'Ulamas'

By

NASSEM UL-ISLAM USMANI

Dear Brothers in Islam,

I beg to draw your attention to the points stated in this letter and request you to ponder upon them. I hope that you will look into "What is said in it ?" Since it is a letter it is an informal piece of writing, and the repetition of words and ideas, i. e. tautology, is used to make the point clearer.

It is a fact that Muslims of this era are backward and weaker than other communities of the present world and they are exposed to the danger of annihilation. The international events against Muslims give an indication of this danger. Further they give an indication of a tacit collusion among non-Muslims to work for it under different guises without uttering name of Islam or Muslims. Moreover the Muslims in majority have been falling victim of the more efficient propaganda of non-Muslim communities, which have been doing an irrepairable damage to the Muslim communities of this era. The teachers and Ulamas with a well organized programme may succeed in saving the community. Otherwise a general apathy is becoming the ruling character of the day and this apathy is a warrant of the total disintegration of the community.

The teachers and Ulamas can help Muslim community as a whole through educational programme. You know that human being has performed many wonders by his deeds in this world ; and the originator of those deeds is his mind. The builder of a good mind is good education, which comes through good teachers. You know also that when children come out of the wombs of their mothers, they are endowed by the nature the same mental capability — except with the genetic differences – irrespective of that in which part of the world they have taken birth. In other words they take birth in Russia, America, Africa, China, India, or Arabia their mental capabilites are the same – if they are not impaired by some mental defect or disease.

But twenty years after the birth a remarkable difference appears

Islam did not stop at this fundamental principles but [as the religion with belief in] One God, Allah, and considering all people slaves of Allah, had also brought to the society the method and the way leading to the freedom of slaves gradually to the objective of abolishing slavery completely from the society.

There are two means :

FIRST : The voluntary emancipation of slaves by their Masters which is called (Al-Itq).

SECOND : The writing of the freedom of the slave which is called (Al Mukatabah).

Means of Al Itq are various in Islam. And Islam began with a well known movement of freeing slaves from the bands of unbelievers. Abu Bakr El Seddik, Umar Ibn El Khattab and other rich men who early embraced Islam had spent their money to pay for slaves to their masters and set them free.

The well known Belal was one of those many emancipated slaves.

The holy Quran also had defined different kinds of compensation of sins "Kaffarah" by emancipating slaves for example : In the case of wrong killing where the Quran says:

"And who kills a believer by mistake he should free a believing slave".

As well as in the 'Kaffara' for 'Fitr' (or non fasting Ramadan) and in the 'Kaffara' for some wrongs in the ceremonies of Al Hajj. And in the case of a wrong oath or unfulfilled oath. In the case of woman slave giving birth to a son or daughter from her master the mother is freed after his death and the son is completely free. A part of Almsgiving should be spent on the emancipation of slaves.

'Al Mokatabah' or the writing of freedom is considered one of the means of emancipating slaves. That means a master writes to his slave to be free if he could work freely and gain a sum of money to pay for his freedom or to give his master a special kind of service to be agreed upon between them.

It this new institution of 'Al Mokatabah' slaves had got the right for a kind of contract with masters. The right which was never given to them in any society before Islam.

Concerning the treatment of slaves Islam had ordered everybody to be good and kind to some related people within whose are the slave as in the folowing verse :

"And be good to the parents and to the near kin and the orphans and the needy and the neighbour of your kin and the alien neighbour and the companion in a journey and the way far and those whom your right hand possess mean your slaves Allah does not like that who is proud and boastful". Quran

This verse had raised the slaves to the rank of other masters kin and related to the real masters.

Also masters were permitted for intermarriage with their slaves where the Holy Quran says :

"Let them marry from the believing maids whom your right hands possess, Allah knoweth best your faith. You proceeded one from another. So wed them by permission of their folk and give unto them their portions in kindness".

I think it is evident that this verse confirms the real humanity of the slaves and raise their rank in the society up to be married to master. This is completely a radical attitude if compared with that kind of discrimination practised in western civilization.

Another humanitarian attitude in Islam can be easily understood from the saying of Prophet Muhammed peace be on him in the Hadith : *"Your slaves are your brothers.. so he who has a brother under him should feed him, and clothe him, as he feeds and dresses himself; do not ask them to do things beyond their power and if you do so you have to help them".*

Prophet Muhammed also orders Muslims to be so sensitive with their slaves :

"None of you should say this is my slave or this is my slave girl, but you should call them my man and my maiden".

The Prophet adds to this a kind of threat to the masters when he said :

"Surely Allah has made you their masters, and if he wished he could have likewise made you their possessed slaves".

So Islam had returned to slaves their humanity and taught them and their masters the lesson of equality to the common origin of mankind. And as well had given the principles of treating slaves goodly.

THE ISLAMIC ATTITUDE :

We had seen how slavery was existing in the world and how it developed as an institution from slavery to serfdom and then in the modern times to the movement of slave trade which led to the colonization and racial discrimination in U. S. A. and South Africa.

If we compared this with the Attitude of Islam we will find so many differences :

FIRST : That Islam found that slavery is an existing institution which needs to be abolished gradually, because a radical alternation would not be easily accepted in societies which are brought up under the influence of the regimes.

SECOND : That Islam considered the slave not just as a commodity but looked upon him as a human being with a soul similar to that of his master.

THIRD : The main notion of Islam towards Slavery was to abolish it finally because it is an institution which is not in accordance with the principals of Islam.

That is the general attitude of Islam towards Slavery. It depends on the principal of restoration of human dignity which is understood from the verse addressing to masters as well as to slaves saying : "YOU ARE (SPRUNG) THE ONE FROM THE OTHER". « بعضكم من بعض »

And the saying of Prophet Muhammed, (peace be opon him) in the Hadith : "YOU ARE ALL SONS OF ADAM, AND ADAM WAS CREATED FROM DUST".

« كلكم لآدم وآدم من تراب » (الحديث)

This verse and this Hadith affirm the principle of equality between all human beings irrespective of their ranks or position in the society. Accordingly it is understood by all Muslims that every human being, slave or master are equal to each other as they are derived from the same creation. It is also understood that there must be no superiority of a master over his slave merely because of being a master, but the superiority is depending upon peity. This principle is affirmed by the saying of Prophet Muhammed in the Hadith :

" THERE IS NO SUPERIORITY FOR AN ARAB OVER A NON ARAB NOR FOR A WHITE MAN OVER A BLACK MAN NOR A RED OVER A BLACK MAN EXCEPT ACCORDING TO HIS PIETY".

لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى .

more gains from the slave trade in which she coped and monopolized for centuries before the Nineteenth century. The British policy then realized that to interfere to abolish slave trade and to stop the movement of transporting slaves to America, can be a means to stop the colonial activities of other colonial powers competing and scrambling upon Africa. France did the same. The compaigns against slave traders, the "X" treaties signed with most African Chiefs to get the right of inspection and prevention of slave trade, and the protection treaties as well as the treaties held by the Royal African Company to extend legal trade and prevent slave trade; all paved the way of colonizing parts of Africa by the British and Franch succeeding the Spanish and Portogeuse. Germans also took a part through the movement of abolition to gain some colonies in the time when its capitalism felt need for it.

So the movement of abolition was adopted by the colonial powers of the world not for a pure humanitarian sake but for the sake of colonialism and imperialism.

Connected with this, the movement of abolition of slavery in the lands of America and West Indies had helped Britain and France to create colonies on the shores of Africa sueh as Sieria Leone and Gabon where cities of Freetown and Libreville were established to settle the freed slaves from West Indies.

Besides the colonization of a wide parts African continent between the colonial powers of the world there was another result of the abolition movement. The Freed Slaves in America had composed a social cast or class which inspite of the declaration, in the constitution of U. S. A., of their rights and equality, they still up to date suffering from social discrimination which is performed with the most in human shape.

In Africa itself the slavery and subjugation of people continued in the former French colonies and the Portoguese territories in the form of compulsory labour and limited rights. Though that had ended with the independance in the French speaking countries but it is still continuing in the Portoguese colonies.

In the South the worst forms of Prustrating Africans are performed by the white Governments of South Africa and Rhodesia, in the form of Aparthied and the newly invented regime of Bantustan according to which the Africans are to be restricted in certain areas and are allowed to leave for work except for certain times only.

Slavery Between Islam and Western Civilization - A Comparative Study of Attitudes

By : MOHAMMED GALAL ABBAS
Director of Arab Cultural Centre, Kano

— II —

The European courts sentenced those slave traders with offences against the economy and not against humanity. When they were brought by the contractors before the court accused with the death of thousands of slaves during the Journey accross the Atlantic.

Also many Africans were killed or burnt during the raids to capture the slaves. Others died during the march from inside West Africa to the slave camps in the European forts built specially for receiving and exporting slaves. And so millions perished before the journey accross the Atlantic to the America, and other millions perished during the journies accross the Atlantic, and only few millions counting about 20 millions survived after other millions who had died on the land in hard works, severe treatment, lack of even the minimum human rights and instincts.

THE ABOLITION MOVEMENT AND ITS CONSEQUENCES

Voices of humanitarians had raised calling for stopping the cruelty with which slave trade was accompanied. From these we have to mention writers and poets like Sir Richard Steels, Thomas' Day, John Mostly, Adam Smith, Gilbert, Dean Tucker and others in England and France. These voices found reputation in the house of Commons in Britain and Wilberforce moved in 1792 a resolution to abolish slave trade. It was followed by other motions brought forward. But the abolition movement did not find any political support at first because of the great gains and profits from the slave trade.

Britain began to suport the movement and to adopt it practically after the American revolution and the independence of the United States of America. Britain had no

It means : "The first House (of worship) appointed for men was that at Bakka : Full of blessing and of guidance for all kinds of beings : In it are signs manifest ; (for example), the Station of Abraham ; Whoever enters it attains security ; Pilgrimage thereto is a duty men owe to God, – Those who can afford the journey ; but if any deny faith, God stands not in need of any of His creatures." (3 : 96, 97)

Brothers, according to these verses of the Holy Quran, Makkah and its surroundings witnessed the struggle of the Prophet Abraham and his son Ismael, and are identified with the call of Allah from the deep past. Also, they have witnessed the strife of Ismael and his mother. Finally, they have been the scene of the life of the Prophet Muhammad (Peace and Blessings be upon him !) and the great sacrifices which were made by the Prophet Abraham when he was prepared to offer his only son as a sacrifice to Allah, as well as what the Prophet Muhammad sacrificed during his lifetime until the Truth prevailed.

We can learn from the Pilgrimage how to make sacrifices for our country and for the protection of our brothers and sisters wherever they may be, whether in the East or in the West. We must know that we must not hesitate to sacrifice, whether by money or by our souls, and this only is the just way which gives a value to our freedc trive in the way of Allah, using your property and sacrificing your soul".

When Muslims gather around the House of Allah, coming from every corner of the earth, of different colours, tongues and nationalities, they all become as one army in the House of Allah, all having ONE Faith, repeating the same words, worshipping the ONE God. They then feel the brotherhood that is between them, each looking after the other ; and they then know and feel the full and real meaning of ISLAM. The Oneness of Allah and brotherhood of all Muslims makes it easy for us, whether in the East or in the West, to help one another truly as members of one family, wherever we may be.

Brothers, UNITY and BROTHERHOOD are what we must have in our lives these days and we pray that Allah will grant us His Mercy and guide us always in the right way. "Whosoever holds fast in the way of Allah, he certainly is guided to the right path."

'Our Lord : Send amongst them an apostle of their own, who shall rehearse Thy Signs to them and instruct them in Scripture and Wisdom, and sanctify them ; for Thou art the Exalted in Might, the Wise".
(2 : 125 — 129)

As we see from the foregoing verses of the Surah Al-Bakarah and Surah Ibrahim, the Prophet Abraham asked Allah to put in the hearts of the people a longing to go the place in which he left his son, and to make it secure. The following verses will tell us how Allah answered this call and made it continuous for life on this earth. The verses say :

« وإذا بوأنا لإبراهيم مكان البيت ألا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود . وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير. ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق ». الحج ٧٦ ـ ٧٩

These verses mean :

"And We gave the site to Abrham, of the Sacr.d House, (saying) : 'Associate not anything (in worship) with me ; and sanctify My House for those who compass it round, and stand up (for prayer) and bow, and prostrate themselves (therein in prayer).

'And proclaim the Pilgrimage among men : they will come to thee on foot and (mounted) on every kind of camel, lean on account of journeys through deep and distant mountain ravines ; that they may witness the benefits (provided) for them and celebrate the name of God, through the Days appointed, over the cattle (which) He has provided for them (for sacrifice) : then eat ye thereof and feed the distressed ones in want.

'Then let them complete the rites prescribed for them, perform their vows and (again) circumambulate the Acient House'. (22 : 76-79)

From the time of the Prophet Abraham, thousands of people have been going to Makkah every year even before the advent of Islam, and they have had complete respect for this Sacred House, a feeling of complete safety and security there and a longing to stay around it. Islam brought much more respect and care to this House, calling upon Muslims to visist it every year at a certain time. This call is recorded in the Holy Quran :

« إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين ». آل عمران ٩٦ ، ٩٧

O our Lord ! I have made some of my offspring to dwell in a valley without cultivation, by Thy Sacred House ; in order, O our Lord, that they may establish regular Prayer : So fill the hearts of some among men with love towards them, and feed them with fruits so that they may give thanks." (14 : 35 - 37)

This is the first call from the Prophet Abraham to Allah to instill in the hearts of the people the longing to go to Makkah.

In Surah al - Baqarah there is more detail about the building of the Mosque by the Prophet Abraham and his son Ismael. This is also the Surah in which Abraham calls for the coming of the Prophet Muhammad and the honouring of the Sacred House (Ka'ba) after it was built :

« وإذ جعلنا البيت مثابة للنـــاس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود . وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم اضطره إلى عذاب النار وبئس المصير . وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنـــا تقبل منا إنك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم » .

البقرة ١٢٥ — ١٢٩

These verses mean :

"Remember We made the House a place of assembly (a resort) for mankind and a place of safety ; and take ye the Station of Abraham (the place where Abraham stood to pray) as a place of prayer ; and We convenanted with Abraham and Ismael that they should sanctify My House for those who compass it round, and those who meditate therein, and bow, and prostrate themselves (therein in prayer).

"And remember Abraham said : 'My Lord, make this a City of Peace, and feed its People with fruits, – such of them as believe in God and the Last Day.' He said : '(Yea), and such as reject Faith, – for awhile will I grant them their pleasure, but will soon drive them to the torment of Fire, — an evil destination (indeed) !

"And remember Abraham and Ismael raised the foundations of the House (With this prayer) : 'Our Lord ! Accept (this service) from us : For Thou art the All-Hearing, the All-Knowing.

"Our Lord ! Make of us Muslims, bowing to Thy (Will), and of our progeny a people Muslim, bowing to Thy (Will) ; and show us our places for the celebration of (due) rites ; and turn unto us (in Mercy); for Thou art the Oft-Returning, Most Merciful.

The Pilgrimage (Hajj) And its Significances

The eyes of the whole Muslim world fixced on that central spot which saw the fiirst rays of the Divine Guidance. It is to this Holy place of Makkah that all Muslims turn at the time of the prayers and make their pilgrimage.

The following is the text of a lecture given by Mr. Muhammad Ibrahim El-Geyoushi, on the significances of Ka'ba at Makkah and the pilgrimage to it, at the Mauritius Muslim Society meeting. :

When we think or talk about Pilgrimage, we must accept it as the best example of how we should live our lives. Pilgrimage, as all of us know, is one of the five pillars of Islam. But we may ask : " Why did Allah prescribe the Pilgrimage for us?" The answer to this question will our subject today. We must look for the answer in the Holy Quran, and this will provide a good opportunity for us to know more about our Glorious Quran.

The Holy Quran speaks about Pilgrimage and the Sacred Mosque in Mecca in five Surahs, four of them revealed in Madînah and the fifth revealed in Mecca. When we listen to some of these verses, they may well throw light on the answer to the question raised. We know that the revelations at Mecca were before those at Medinah. One of the verses revealed at Mecca says :

« وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام ، رب انهن أضللن كثيراً من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ، ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون .)

إبراهيم ٣٥ – ٣٧

It means : "And when Abraham said 'My Lord, make this city secure and preserve me and my sons from worshipping idols. My Lord ! Surely they have lead many of mankind astray, but whoso followed me he verily is of me, – but Thou art indeed Oft-Forgiving, Most Merciful.

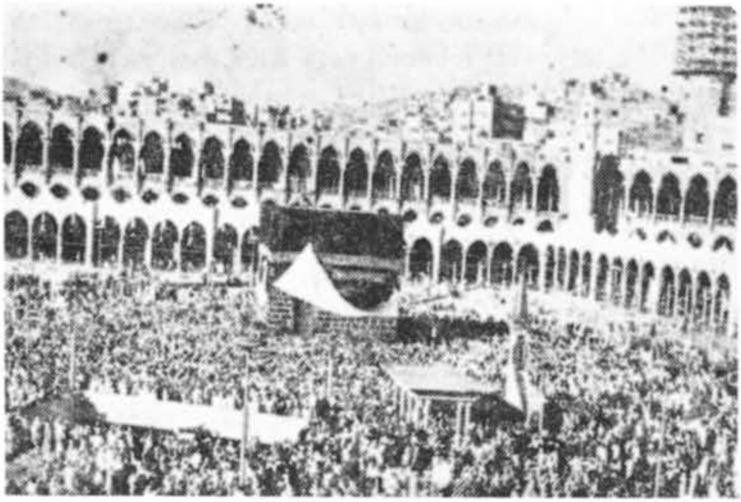

Ka'ba and the Sacred Mosque of Makka

Mosque is a small building called the Maqam Ibrahim. It means the place of Ibrahim, and this name handed down from antiquity as a decided proof of the connection of Prophet Ibrahim with the Ka'ba.

It is said in Islamic cosmology that before the world was created the Ka'ba was a focus in the flux of pre-existence and that the world was formed from this particular point. Thus it becomes the navel of earth. Also in cosmography, the Ka'ba corresponds with pole star and as the latter is the highest point in the heavens, so the former is the highest point in the earth.

The four corners of the Ka'ba indicate the cardinal points of the compass.

The fact of its being a centre of pilgrimage can only have came down from time immemorial, for there is no tradition or record showing that it was introduced at any time within historical memory.

in mind that the clear object of Qibla is to bring about a unity of purpose. So as they have all one centre to turn to, they must set one goal before themsleves. The City of Makka is situated in the centre of all great Sacred places of the Muslim World.

The Prophet's Mosque of Madina Al-Aqsa Mosque of Jerusalem, Ummayyad Mosque of Damascuss, Al-Azhar Mosque of Cairo and all Mosques of the world are connected with the Sacred House of Makka, as it is the direction of all Mosques of the world, and the central point of the Muslims. The Significance of this land and its connection with the Father of the prophets, Abraham, the ancestors of the Arabs, Ismael, and the last of the prophets Muhammad (peace be on them) find clear mentions in the following verses ; The Holy Quran referred to the prayers offered by Abraham and Ismael after the completion of the re-building of Ka'ba at Makka :

« ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ، ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم (البقرة ١٢٨ ، ١٢٩) .

It means : "Our Lord ! And make us sub-missive unto Thee and of our seed a nation sub-missive unto Thee, and show us our ways of worship, and relent toward us Lo ! Thou, art the Relenting, the Merciful. Our Lord ! And raise up in their midst a messenger from among them who shall recite unto them. Thy revelations, and shall instruct them in the Scripture and wisdom and shall make them grow. Lo ! Thou only Thou, art the Mighty, Wise" (2 : 128 – 129).

As the Ka'ba is an inescapable part of the Islamic religion, and there is concentrated the adoration of millions, and the chief features of the Haj centre around it, something must be known about the history, name and description of this Sacred House. The root word 'Ka'ba' means it became high and exalted or became prominent. This Sacred House is called Ka'ba on account of its glory and exaltation. It is a rectangular building, almost the centre of Masjid al-Haram (the Sacred Mosque of Mecca).

The Hajr al-Aswad (the Black Stone) is built into the wall in the eastern corner of the Ka'ba at the height of about five feet. It is of a reddish black colour about eight inches in diameter and is now kept in a silver bant. Within the Sacred

In other verse of the Quran Abraham is spoken of : "And when we assigned to Abraham the place of the House saying, Do not set up aught with me and purify My House for those who bow and prostrate themselves ". Then addressing to Abraham, the revelation continues : "And proclaim unto mankind the pilgrimage. They will come unto thee on foot and on every lean camel ; they will come from every deep ravine. That they may witness things that are of benefit to them, and mention the name of Allah an appointed days over the best of cattle that He hath bestowed upon them. Then eat thereof and feed therewith the poor unfortunate. Then let them make an end of their unkemptness and pay their vows and go around the ancient House".
22 : 27 — 29

As a historical evidence of antiquity of Ka'ba the Holy Qran proclaims the Ka'ka as the first House of Divine worship on earth. In one place it is called al-Bait al-Atiq or the Ancient House. It is also called at Bait al-Haram, which arries the meaning of 'forbidden'; in other words, a place where of the sanctity must not be violated. There is nothing in the Holy Qur'an to show when and by whom the Kab'a was first built. The Qur'an makes it clear that the Ka'ba was already there when Abraham left Ismael in the wilderness of Arabia as the Qur'an said : "I have settled some of my offspring in a valley unproductive near Thy Sacred House..."

It also appears from this verse : "... And when Abraham and Ismeal raised the foundations of the House.." that the Ka'ba was rebuilt by Abraham and Ismeal. It appears from this that Ismael had been purposely left near the Sacred House. When Abraham left them in the wilderness of Arabia the Ka'ba was in a demolished condition. After that the father and the son re-built the house.

As the city of Ka'ba which is the first sanctuary to be erected for mankind on earth, Makka is called in the Qur'an as "Mother of villages" (6 : 92). The eyes of the whole Muslim world fixed on that central spot which saw the first rays of the Divine guidance.

It is to this Holy place of Makka that all Muslims turn at the time of the prayers and make their pilgrimage. The Sacred House of Makka is called Kaba on account of its glory and exaltation, for the root word Ka'ba means it became prominent, high or exalted.

All mosques of the world are built facing it. It should be born

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER :

ABDUL RAHIM FŪDA

Dhul'Hijjah 1391	ENGLISH SECTION	JANUARY 1972

Why Makka Is Chosen For Hajj ?

By

Dr. Mohiaddin Alwaye

The Sacredness of Makka is Spoken of in still clearer words in the following verses of the Quran :

« إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة
الذى حرمها وله كل شىء وأمرت أن أكون
من المسلمين » . النمل ٩١

It means : "I am Commanded only that I shall serve the Lord of this City, Who has made it sacred, and His are all things. And I am Commanded to be of those who surrender (unto Him)" 27 : 91.

In one of the earliest revelations of the Quran Makka is described as "the Land made safe". In another revelation it is referred to as follows :

« لا أقسم بهذا البلد ، وأنت حل بهذا
البلد ، ووالد وما ولد » . البلد ١ - ٣

It means : "Nay I swear by this City. And thou art an indweller of this City. And the begetter and whom he begot". 90 : 1 - 3

The names of the "Father of the Prophets", Abraham and his son Ismael find clear connection with Makka and its great Mosque :" . . . And when Abraham said: My Lord ! make this City secure and save me and my sons from worshipping idols. . . . . O our Lord ! I have settled a part of my offspring in a valley unproductive of fruit near Thy Sacred House, our Lord ! that they may keep up prayer ; therefore make the hearts of some people yearn towards them and provide them with fruits in order that they may be thankful '. 14 : 35-37